مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (100) المجلد الثاني– 31 اذار لسنة 2026

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047
البريد الالكتروني: jasha@coart.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (765) لسنة 2002

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (100) المجلد الثاني- 31 أذار لسنة 2026
عدد الصفحات : 1102 صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الجراح



دار ومكتب[illegible] والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. منذر علي عبد المالك

مدير التحرير : أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. عـــادل شـــابث جابـــر	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. قصـــي صبحـــي عبـــاس	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. وســـن سعيـــد عبـــود	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. سجـــى مؤيـد عبد اللطيف	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. ميثـــم عبد الكاظم جـواد	كليـــة الآداب / جامعـــة بغـــداد
ا.د. اوســـام بحـــر جـرك	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.د. ماجـــدة حســـو منصـــور	كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية
أ.د. فاضـــل مهـــدي بيـــات	تركيـــــا منظمـــــة ارســـيكا
أ.د. حســـين القهـــــواني	الادرن /الجامعـــــة الاردنيـــــة
أ.د. مارجرتنـــا فـــان أيـــس	المانيـــا/ معهـــد الاثـــار الالمـــاني
أ.د. والـــــتر زالابيرجـــــر	المانيـــــا/ جامعـــــة ميـــــونخ
أ.د. بـــــيتر ميكلـــــوس	المانيـــــا/ جامعـــــة هايـــــدلبر
أ.م.د. صلاح الدين محسن زاير	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أم.د. فـــاروق محمـــد علـــي	كليـــــة الآداب / جامعـــة بغـداد
أ.م.د. بشـــرى عنـــاد محمـــد	كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

مدقق اللغـــة العربيـــة: م.د . سهـــاد مـــازن فائـــق

مدقق اللغة الانكليزية: م.د. علياء عبد الحسين ناصر

شروط النشر في المجلة

1. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(12) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
2. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
3. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
4. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن 25 صفحة حجم (A4).
5. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
6. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
7. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

8. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
   أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (14).
   ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (16)
   الملخص خط (12) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث
   الاخرى الخط (14) .
   ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft
   Office Word.
9. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة
   لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
10. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق
    التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز(15) يوم.
11. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على
    وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
12. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع
    والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.
13. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :
    jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع
    ثم رفع طلب للنشر.

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

فهرس العدد (100) المجلد الثاني

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
.1	اراء محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) عن صنوف الاسلحة واستخداماتها في الجيوش الاسلامية	حنين صلاح طعمة أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	26-3
.2	آرمنيوس فامبري وكتابة تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى الوقت الحاضر دراسة تحليلية (1832-1913م)	أ.د. عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي	68-27
.3	التحديات الاجتماعية والصراعات بين العمالة الو افدة والمجتمع العراقي	دعاء لبيب ا. د نغم طالب عبدالله	94-69
.4	التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث	أحمد سمين احمد شريف	118-95
.5	الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ/ 634-644م) "مقاربة تحليلية في ضوء النصوص التاريخية"	د.جوتيار تمر صديق	142-119
.6	النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو 1932-1942 (دراسة في الوثائق الأمريكية)	م.د. صبا ربيع احمد	166-143
.7	تاريخ النقود في العراق من أواخر العهد العثماني الى قيام الدولة الحديثة 1869 – 1933	م.م ازهار محمد جادم	186-167
.8	دورجيمس كالاهان في السياسة البريطانية 1950-1964	محمد علي عبود عواد أ.د. حسين حماد عبد	214-187
.9	الموقف الإيراني تجاه الاتحاد العربي الهاشمي عام 1958	م.م. هاريوان يوسف إبراهيم أ.م.د. نيبار بديع عبد العزيز	258-215
.10	تبصرة ذوي الألباب في تحقيق مقدار النصاب تصنيف القاضي عبد الله بن محسن الصنعاني (ت1240هـ) لأول مرة تحقق على أربع نسخ القسم الأول حققها وعلق عليها	أ.م.د.عمر سعدون حمود أ.د.مقتدر حمدان عبد المجيد	284-259

.11	ثورة بلجيكا 1830- 1831	م.م. وداد عبـــدالزهرة كـــاطع ضمد	306-285
.12	الحركـة النسـوية الروسـية ونشـاطها التعليمي 1855-1764	م. طالب هاشم عاتي	330-307
.13	الدارقطني (ت385هـ/995م) سيرته ومؤلفاته	أ.د. زكية حسن إبراهيم	356-331
.14	أثـر مـؤتمر داكـار في تعزيـز التعـاون العربـي – الافريقي 19-22 نيسان 1976	أ.م.د. لمياء صفاء حسن	376-357
.15	درهـم فضـة نادر ضـرب مدينـة سـنجار في عهـد الخليفـة القـاهر بـالله (320-322هـ / 932–934م): دراسة تحليلية فنية	حسين رفيق حسن أ.م.د. جوان احمد اسماعيل أ.م.د. أراس أسماعيل خضر	420-377
.16	الدلالات الرمزية للكشكول (وعاء الصدقات)	ختام مهدي عبد الامير الربيعي أ.د حيدر فرحان الصبيحاوي	438-421
.17	دور الجنـد الاتـراك في سياسـة العباسـيين الداخلية من ٢١٨ هـ- ٦٥٦ هـ	أ.م.د. اميمة قاسم يحيى	463-439
.18	روايات جوذر الصقلبي عن الإمام الإسماعيلي إسماعيل المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)	موسى أنور جابر شده أ.د. غنية ياسر كباشي	491-464
.19	الصلات الحضارية بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق البحر الأحمر والقرن الافريقي	معمر محمد عبدالواحد العامري	537-492
.20	شاركالي شري سيرته وحياته	أ.م.د.وسن جاسم محمد	561-538
.21	تمرد فريز في بنسلفانيا 1798-1799	أ.م.د.زيـدان حسـان حـاوي مخيلف الشويلي	601-562
.22	الفكـر الوحـدوي لـدويلات المـدن في بـلاد الر افدين الضرورة والتحديات	أ.م.د. مروان نجاح البلام	619-602
.23	الـدور الاقتصـادي لكـارل توتشـيل في المملكـة العربية السعودية 1934-1948	م. د. أمـين ياسـين عبـاس العيساوي	641-920
.24	تطـورات قضـية لـوكربي في ضـوء مقـالات ومتابعـات جريـدتي الجمهوريـة والثـورة العر اقيتان 1988 – 1992	م.م. سارة كمال جسام	663-642

.25	مرويات التاريخ السري عن اثروسيرة اولاد جنكيزخان المعتمدين الاربع	دنيا رياض نون البنداوي أ.د.عبد الرحمن فرطوس حيدر	683-664
.26	مساهمة علماء مدينة كرخ جدان في العلوم الانسانية والاعمال الادارية في مدينة بغداد	ا.م.د حسام قاسم محمد الصميدعي	717-684
.27	مصادر الوحي القرآني في الرؤيا الاستشراقية	م. د. نعمه حمد ياسين الحبيب	739-718
.28	معركة جلاء القوات الأجنبية من لبنان 1943 – 1946	م. د. محمد سكّير مرعيد	770-740
.29	مفهوم الوحي في علم الكلام الجديد دراسة مقارنة بين أراء (عبد الجبار الرفاعي- عبد الكريم سروش)	م.د حنان شهاب احمد	798-771
.30	المناقشات البرلمانية الكويتية لاقرار الموزانة المالية للاعوام 1971 ـ 1974	م.م. عبد الحمزة حميد كاظم	828-799
.31	منشورات مجلة النفط والتنمية لتنظيم شؤون نقل النفط العراقي (1975-1990)	سجى طاهر أحمد أ.د.علياء محمد حسين	848-829
.32	موقف الولايات المتحدة الأميركية من أنشاء السد العالي في مصر (1952-1956)	أ.م.د. خنساء زكي شمس الدين	886-849
.33	موقف ليبيا من تطورات القضية الفلسطينية (2002 – 2011)	م.م اصاله عمار ياسر	908-887
.34	نشوء علم الآثار الكلاسيكي في أوربا و أثرهُ في الدراسات الآثارية المعاصرة	م. د. عمر جسام فاضل	940-909
.35	نص مساحة من السنة الثالثة لحكم الملك شو- سين (2036 ق.م)	ا.م.د جاسم عبد الأمير جاسم	962-941
.36	هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني 1524-1821	أ.م.د الهام حمزة منسي الطفيلي	1012-963
.37	ثقافة العصر البرونزي في اليمن وردم الفجوة الحضارية الاستيطان القديم في حوض صنعاء أنموذجاً	خالد عبده محمد الحاج	1058-1013

.38	إبراهيم سعيد البيضاني -دراسة في اهتماماته في الفكر التاريخي وصناعة التاريخ - الوثيقة التاريخية نموذجا	أ.م.د. رياض خليل حسين	1072-1059
.39	أنماط الرعاية الاجتماعية عند العرب حتى القرن العاشر الهجري	ا.د. جنان احمد عبد العزيز	1092-1073
.40	الكتابات الملكية السومرية على المخاريط الفخارية في ضوء النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة	أ.م.د. خالد حيدر عثمان الحافظ	1102-1093

اراء محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) عن صنوف الاسلحة واستخداماتها في الجيوش الاسلامية

حنين صلاح طعمة

أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر

جامعة بغداد ـ كلية الآداب – قسم التاريخ

The views of Muhammad ibn Mankali (d. 784 AH / 1382 AD) on the types of weapons and their uses in the Islamic armies

Haneen Salah Ta'meh
Prof, Dr. Abd al-Rahman Fartus Haydar

University of Baghdad / College of Arts / Department of History

اراء محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) عن صنوف الاسلحة واستخداماتها في الجيوش الاسلامية

حنين صلاح طعمة

أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر

الملخص :

يعد التدوين في ميدان النظم العسكرية الإسلامية من الحقول التاريخية التي كان نتاج المسلمين فيها شحيحا قياسا بصنوف التدوين التاريخي الأخرى، لكن محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) يعد علما بارزا في هذا الصنف من التدوين التاريخي ولا سيما انه قد عاش في كنف دولة كان قوام نشأتها وديمومتها هو النشاط العسكري وهي الدولة المملوكية فضلا عن ان ابن منكلي قد تولى بنفسه مناصب عسكرية مرموقة في دولة المماليك، لذا فان الآراء التي دونها عن صنوف الأسلحة تكتسي أهمية حاصة لانها نتاج التجربة النظرية والعملية التي يمتلكها والتي انصهرت في بوتقة مؤلفاته٠

الكلمات المفتاحية: ابن منكلي، المماليك، العسكرية الاسلامية، الأسلحة الاسلامي.

Abstract

Writing on Islamic military systems is one of the historical fields in which Muslim scholarship has been scarce compared to other types of historical writing. However, Muhammad ibn Mankali (d. 784 AH/1382 CE) is a prominent figure in this genre, especially since he lived under the rule of a state whose foundation and continuity were based on military activity—the Mamluk state. Furthermore, Ibn Mankali himself held prestigious military positions within the Mamluk state. Therefore, his writings on various types of weapons are of particular importance, as they are the product of his theoretical and practical experience, which were fused into his works..

Keywords: Ibn Mankali, Mamluks, Islamic military, Islamic.

المقدمة

أسهم المسلمون بتظور النظم العسكرية في العصر الوسيط بشكل فاعل لا ينكره أي منصف في ميدان التأريخ بفعل الأنشطة العسكرية التي زاولها المسلمون منذ فجر انبثاق دولتهم الأولى في عصر النبوة المباركة (١-١١هـ/٦٢٢-٦٣٢م) والعصور التي تلته حتى عصر دوله المماليك البحرية (٦٤٨ -٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)، لكن هذا الاسهام العملي الواسع لم يواكبه نشاط يوازي سعته على صعيد التدوين التاريخي في ميدان النظم العسكرية باستثناء بعض المحاولات الشحيحة٠

ولذا نجد ان موضوع (اراء محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) عن صنوف الاسلحة واستخداماتها في الجيوش الاسلامية)، جدير بالبحث فيه نظرا لسعة ما دونه محمد بن منكلي عن النظم العسكرية وصنوف الأسلحة عطفا على خبرته العملية بوصفه من ابرز من تولى منصب نقيب الجيش المملوكي ، وهو منصب نفيس حتى ان من يتولى اختيار من يتولاه هو السلطان المملوكي ذاته مما يدل على أهمية ومكانة من يتولاه٠

وسيتم الاعتماد في هذا البحث على منهج استخلاص اراء محمد بن منكلي عن صنوف الأسلحة وسنسعى لتتبع تلك الآراء عطفا على تصنيف الأسلحة الى أسلحة هجومية واسلحة دفاعية، ساعين التي تتبع ما ذكره ابن منكلي في مؤلفاته عن كل سلاح منها وأبرز مميزاته واستخداماته، وبالتأكيد فان هذ الآراء من الأهمية بمكان عطفا على الخبرة التي كان يمتلكها ابن منكلي بوصفه ممن ترقى في الرتب العسكرية في الجيش المملوكي٠

اراء محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) عن صنوف الاسلحة واستخداماتها في الجيوش الإسلامية

يعتبر السلاح اسم يجمع آلة الحرب، وقيل هو كل ما قوتل به حتى العصا تعتبر سلاحا لان الشخص يذب بها عن نفسه ولذلك سميت العصا سلاحا [١]، اما المسلحة: فهم القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ذوي سلاح ولأنهم يسكنون المسلحة وهو كالثغر والمرقب يكون فيهم اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة [٢] والسلاح آلة وكل عده

حرب سواء من الآلات الثقيلة او الخفيفة جماعية كانت او فرديه تستخدم في المعركة سواء كانت للدفاع او الهجوم او الوقاية [٣] .

ويعتبر البحث في اسلحة النظام العسكري مهمه جدا لأنه يعكس الوضع الميداني ومدى تقدم وقوة ذلك النظام، وخاصه ان محمد بن منكلي عاصر حكم المماليك البحرية (٦٤٨-٧٩٢هـ / ١٢٥٠-١٣٨٩ م) الذي كان نظامهم يتمتع بعتاد عسكري مميز لأن ما توفر لهم لم يتوفر لغيرهم في مجال الاسلحة، فالمماليك معظمهم اصحاب خبرة ومعرفه في تصنيع السلاح، [٤] .

وكان الاهتمام بالأسلحة وتجهيزها أمر مهم في الدولة العربية الاسلامية، حتى ان نقيب المماليك كان يأمر بالضرب والسجن لكل من يتهاون في تجهيز السلاح، اذ تم ضرب نقيب القلعة في الحكم المملوكي ثلاثين عصا على رجليه عندما فرط في تجهيز خزائن السلاح. [٥]

وينبغي على الجند ان يحملوا سلاحان احدهما يبقى مع المقاتل والآخر ما يذهب من يده ، مما ينبغي لأصحاب الاسلحة عند الحرب ان يكون اعتمادهم على ما يبقى من الاسلحة في ايديهم مثل السيف والعمد والخناجر والرماح والكافركوبات [٦] التي تلبس لتحمي من ضربات الاعداء، وان يكون امرهم فيما لا يبقى معهم من الاسلحة عند استعمالها والابقاء عليها والاخذ بالوثيقة في استعمالها الا تخرج من ايديهم حتى يصيبوا بها موضعا ويستيقنوا بالنجاح فيما يستعملوها ، ويثقوا بالتمكن كالسهام والمزاريق والحجارة او يقذف بها مما يكاد ان ترد عليهم وترجع اليهم فيكون لهم وعليهم [٧] .

كما ويحث ابن منكلي الاجناد على تعلم الرماية بقوله: " **وفائدتها: ان الرامي على من تحته في جدار السور، اذا رمى على عدوه، ان يرميه بحيث لا يرى لعدوه، ويكون سهمه اذا نزل، ينزل مع جدار السور سواء، وكذلك الذي يرمي من في البئر، يرمي عدوه بحيث لا يراه**"[٨].

ولغرض دراسة الاسلحة القتالية المتنوعة التي استخدمها الجيش العربي الاسلامي من خلال مؤلفات محمد بن منكلي (ت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م) يمكن تقسيمها وتصنيفها بحسب

طبيعة استخدامها الى اسلحة فردية واسلحة جماعية (ثقيلة) واسلحة وقائية، واما الاسلحة الهجومية الخفيفة التي اقتصرت على استخدام الجندي الواحد كالسيف والرمح، والجماعية وهي ما يستخدم من خلال تعاون أكثر من جندي كالمنجنيقات، اما الدفاعية الوقائية من الاسلحة ما كان الجندي او المجموعات يتحصنون فيه ومن خلالها يتفادون ضربات الاعداء كالدبابات والدروع والتروس. [٩] .

المبحث الأول: الأسلحة الهجومية

ويسعنا تصنيف الأسلحة الهجومية الى ضربين رئيسين هما:

اولاً: الاسلحة الهجومية الخفيفة

١-السيف:

يتحدث ان منكلي عن القواطع من السيوف بقوله:" **واعلم ان القواطع من جميع السيوف من غير جهة جواهرها، بل بأشكالها؛ فقصارها اذا جاءت متونها واستوت سطوحها ونحتها؛ فلم يكن فيها موضع داخل وموضع خارج، ولا موضع اثخن من موضع؛ فانه ينبغي ان يكون رقيق الحد قدر شعره من كل جانب فهذه اقطع السيوف للكرابة ... فأجودها ما كانت رائحته رائحه دهن الدفلى،[١٠]و الشوقل ورائحه السمن بالزعفران. والرديء ما كانت رائحته رائحه ابوال البقر وارواح القردة والضفادع ... وشرها ما كانت رائحته شحم السلحفاة**".[١١]

وتطرق صاحب كتاب الحيل في الحروب الى كيفية تعلم عمل السيف بقولة: " **إذا اردت ان تتعلم عمل السيف فارسا والضرب به؛ فأعمد الى قصبة رطبه، يكون طولها بقامة الفارس، او قضيبا رطبا، فانصبه في الارض، وأوثق اسفله، واجعله على يمينك ... فاذا حاذيته ودنوت منه؛ استللت سيفك من جفنه بخطرة [١٢]حسنه، ونفحت [١٣]به كما يحاذى منكبك من القضيب شزرا. وليكن نفحك والسل معا باشارة ولباقة. تفعل ذلك مرارا وتقصر من القضيب بالضرب في كل طلق مقدار شبر حتى يصير الى مقدار ذراع من الارض**".[١٤].

واضاف ابن منكلي عن احوال المقدم: " **ان يكون عنده خبره بخيار الرماح، وخيار السيوف، وخيار القسي، وما هو الاولى من ذلك من حق الفارس والراجل** ". [١٥] أي ان يكون للقائد خبرة بطبيعة الاسلحة العسكرية واجودها وان يعطي السلاح المناسب للجندي الذي يناسبه مع طريقة عمله العسكري بالاضافه لبراعته وخبرته في السلاح.

٢-الرمح:

كان ابن منكلي يرى ان الفارس في جند الجيوش الاسلامية بعد ان يتعلم الرمي بالرمح والرمحين والضرب بالسيف والحذاقة في الطعن يبرع فيهما، ثم ينتقل الى تعلم العمل بالسيف والرمح معا، لأنها من الفنون المهمة والصعبة التي كان على الفارس يثبت مهارته فيها، فكان عليه ان يكون السيف معه ويأخذ الرمح بيده منصفا ثم يسلم الرمح الى يساره مع العنان ويضرب بيده اليمنى الى قائم السيف ويجرده ويلوح به يمينا ويسارا، ومن ثم يأخذ السيف تحت ابطه الايمن ويلزمه ويقبض بكفه الايسر على قائم السيف، ويتناول الرمح بيده اليمنى وقد كان الفارس يستعرض تلك المهارة في الميادين والمواكب العسكرية .[١٦].

ويذكر ابن منكلي تعبئه عسكرية تسمى المطاردة " **ومن شرط اصحاب هذه التعبئة ان يتباعدوا عند تصافهم، لتخليص رماحهم ... ومن كمال تعبيتهم ان يكون في المقدمة رماة ذو خبره، لاحتمال قلة النكاية في العدو، ثم يلي الرماة الرماحون واصحاب السيوف بعدهم، ففي ذلك هندسة حربية** ".[١٧] اي ان هذه التعبئة العسكرية تتم على اساس تباعد عناصرها لأعطاء المساحة الكافية للجند لاستخدام الرماح بالنسبة الى طولها، ويكون في المقدمة الجند الاكثر خبرة ومعرفه في امور الحرب من الرماة ومن ثم رماة الرماح والسيوف

٣-القوس:

ان القوس عباره عن الة على هيئه هلال ترمى بها السهام، وجمعه اقواس وقسي وقياس، وانه عود منحن يصل بين طرفيه وتر ترمى بها السهام [١٨]، وهو من الاسلحة التي استخدمها جيش المسلمين ببراعة في حروبهم، واستطاعوا ان ينتزعوا من خصومهم ميزه التفوق في استخدامه بالمعارك العسكرية، اذ يعتبر القوس من الاسلحة الرئيسية لصنف الرماة من الجيش وانه من الاسلحة التي يتسلح بها الخيالة ايضا. [١٩].

يشير ابن منكلي الى انه يتعين على الجند ان يستصحبوا معهم قوسين وقت الرمي على الاعداء أحدهما قوية والاخرى اوطأ، فأذا وهب الجندي الرامي قوه في الحرب تناول القوس القوية لأنه إذا رمى على القوس الوطيئة في هذه الحالة لا ينفذ سهمه ويصير مطمعه لعدوه، وان القوس القوية تكون على قدر قوة الرامي بحيث اذا يرمي عليها سام كثيره لا يتعب ولا تتدمل اصابعه [٢٠].

ولمعرفة الرمي الصحيح يستوجب على الجندي تعلم الرمي بالصنيع ،وقد ذكر محمد بن منكلي الرمي بالصنيع متذمرا على فساد الرمي في زمانه قائلا : " ... **فأخذ الناس بالأهوان ؛ فقل منفعة الرمي الصنيع في الحروب وشده النكاية ؛ فوقع ذلك عند الجاهل ان الرمي الصنيع : الرمي بالقوس الواسطية** [٢١]**اللينة ؛ فرفضه اهل الحروب ،واخطأوا في ذلك ... وقصروا السهام ؛ فصاروا ينزعون في القسي الى صدورهم ؛ فيشتد وقع نشابهم بالقرب .ومنهم من يرمي عن قوس اصلب من مقدار قوته فيجاذبه عند النزع ، وقوته اصلب من نصف صلابه القوس ؛ فهو لا يمكنه مع هذه الحال ان يثبت يساره ولا يصح بصره له ، بل لا يدري اين يرمي** " [٢٢].

ثانيًا: – الاسلحة الهجومية الثقيلة:

تعتبر الاسلحة الثقيلة من الاسلحة التي يتولى العمل بها واستخدامها من قبل عدد من الجند واشتهرت الجيوش العربية الاسلامية وجيش المماليك في استخدامها وتتميز بفعاليتها في القتال لما لها من تأثير كبير في التخريب والتدمير والحرائق والهدم كالمنجنيقات والدبابات وسلالم الحصار والاسلحة النارية وغيرها [٢٣].

١–المنجنيق:

ان المنجنيق يعتبر من الاسلحة الثقيلة التي تستخدمها الجيوش العربية الاسلامية ضد الاعداء ويعد من الاسلحة المهمة لما لها من تأثير فعال في تهديم الحصون واشعال الحرائق بواسطه المقذوفات من كرات النار والنفط والحجارة التي تستخدم في رمي الاعداء لمسافات بعيدة في الحصار [٢٤]، وقد تطورت اساليب القتال عند العرب واشتهرت الجيوش العربية الاسلامية وخاصه جيش المماليك في صناعة المنجنيق لما له من دور كبير في حصار

الحصون والقلاع ، اذ تم استخدام المنجنيق عند دخول مدينه عكا من قبل جيش المماليك التي كانت تعتبر اخر معقل للصليبيين في بلاد الشام سنه (٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م) وكان السلطان الأشرف خليل (٦٨٩ -٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ -١٢٩٣ م) يتابع بنفسه صناعة الآلات العسكرية . [٢٥].

ويوصي محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ /١٣٨٢م) الجند عند القتال ان: " **يكن معهم المنجنيقات وكذلك الحجارة الحادة الاطراف بقدر ما تملأ الكف، فأنها تقوم مقام السلاح، لتأثيرها في الاعداء، وليكن رميها برفق وتايد لئلا يتعبوا أنفسهم، فيقصروا ويطلع العدو على كللهم، فيدخل عليهم** " [٢٦].

وبذلك يمكن اعتبار المنجنيق أحد أبرز ابتكارات الاسلحة العسكرية في الدولة العربية الاسلامية، اذ أسهم في تطوير تقنيات الحصار بشكل ملحوظ من خلال قدرته على قذف المقذوفات الثقيلة لمسافات بعيدة، مما ادى الى احداث تغيير واضحا في اساليب الهجوم والدفاع وبناء التحصينات.

٢-الدبابة:

وهي من الآلات التي تستخدم في التقرب من اسوار الاعداء لهدمها واحداث ثغره فيها، وقد كان الجند يقذفون الحجارة وكرات الحجارة المشتعلة والنبال من داخل الدبابة او يقوموا بتسلق الاسوار وثقبها [٢٧]، وقيل: انها آلة تتخذ للحروب من الجلد والخشب يدخل فيها الرجال، ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وهم في جوفها، سميت بذلك لأنها تدفع فتدب [٢٨].

ولتجنب حرق الدبابات بالنفط والنار والماء المهلك عند تقدمها لهدم اسوار المدن يجب طليها بالأدوية [٢٩] الموقيه لأشعال النار ، اما عن الاحتراس من نقب المدينة المحاصرة من قبل الاعداء كما ذكر صاحب كتاب الحيل في الحروب : فعندما ترمى بأوتار الحديد الغلاظ المحماة بالنار وفي حال تم تحصينها من ذلك ؛ يتم رميها بالصخور العظام لتندق وتتكسر او توظيف الرجال المربوطين بالحبال في آلات الحصار كالمجانيق لتشال بعد الرمي بها ولأضعاف البنى الدفاعية فيها ، او بمتابعة الضرب بها و رميها بالكلاليب

لتعلق بها وازاحه اجزاء معينه منها ؛ويهدف كل ذلك الى اضعاف دفاعات المدينة ولمنع تمكين العدو يتم اتحاذ الحواجب كالصناديق بالأبواب الواسعة والعظام الثخان؛ والتنقيب في اطرافها نقبا واسعا بمقدار ما يتم ادخال فيها الخشب الغلاظ مع وضع الخشب على السور ووضع فوقه اللبن ليثقلها لتمنع الرمي على المدينة من الحجارة والسهام ولمنع العدو من الدنو اليها [٣٠] .

ولهدم المدن باستخدام الدبابة يجب ان تكون الدبابات محدودبة من قبل الطول ليكون مقدمها اشرف من مؤخرها لكي يزال عنها ما القى عليها ، ويجب ان يكون جنبها اوسع من ظهرها من ناحيه العرض ويتم وضع الناشبة من خلفها لكي لا يصيبها حجر اليد ممن رماهم من فوق السور ، فان قربت الدبابات وضعوا ايديهم في الهدم بمقدار عرض ذراع من الحائط ليستر الحائط اياهم ان اعتلت دباباتهم ثم يأخذوا في الهدم يمنه ويسره ، ثم يضعوا عوائق الخشب لدعم مما يلي اعلى النقب واسفله ويتم نصب بينهما عمد الخشب لئلا ينهار السور قبل الفراغ من المقدار الذي يريدونه، ومن ثم يتم طلي جميع تلك العمد بالنفط المطبوخ بالأدوية وبعد خروج الجند من موضع النقب الى دباباتهم ، يقوموا باشعال النار في كل واحد من العمد ويتنحوا عن السور وبذلك يتم الهدم . [٣١] .

٣-السلالم (سلالم الحصار):

تعتبر سلالم الحصار من آلات الحصار الثقيلة التي استخدمتها الجيوش العربية الاسلامية في حروبهم ضد الاعداء [٣٢]، وأنها عبارة عن سلالم من الخشب العريض المتكون من عدة طوابق محمولة على ناقلة تدفع باتجاه السور المحاصر وتوضع على الاسوار ليتم تسلقها من قبل الجند ويعبروا من خلالها الى داخل الحصون، وقيل: هي سلالم من الخشب او المعدن تركب اثناء الحصار من خارج اسوار المدن المحاصرة حيث توصل من الارض الى مستوى جدار الحصن او الى برج الحصن، ليتم من خلالها عبور الجيوش المهاجمة الى داخل الحصن بهدف اقتحامه [٣٣].

وقد تطرق ابن منكلي الى كيفيه احتراس الجند من تسلق السلالم بقوله : " **اما الاحتراس من قبل التسلق بالسلالم؛ فوجهة : ان لا يغفلوا عنه ... فاذا العدو قد ساوى من على**

السور من الحراس والحفظة واشد الحراسة من ذلك حراسة الليل ؛ لكثرة الغفلة والفترة وفترات النعاس المعترية وغثيان الظلمة ... فان قرب العدو السلالم عنوة ، ونصبوها جهرة ، وارادوا المكابرة والمكاثرة اعد اهل المدينة لذلك اشياء ، منها :اعمدة رخام ،او اعمدة خشب غلاظ ثقال فاذا وضعوا السلالم قربوا تلك الاعمدة ؛فوضعوها عرضا بمحذاه السلالم وهم لا يشعرون يتربصون صعودهم ؛فاذا علوها دحرجوها عليهم لتحطمهم ... " . [٣٤].

٤-الاسلحة النارية والنفط:

ان النفط والنار من الاسلحة التي تكون مزيج من المواد الملتهبة كالكبريت والنورة والاترج و السندروس وغيرها يرمى بها لأحراق العدو في حصونه ومراكبة ، وفي الاسلحة النارية انواع بعضها يصلح لحرق المراكب واخرى تزداد اشتعالا اذا رش الماء عليها [٣٥]، وقد كان للنفط قوة هائلة على نشر الحرائق ، اذ كان يصنع داخل الدولة المملوكية على نار هادئة ويقطر ويوضع عليه كبريت ليزيد من اشتعاله وكانت مدينه الاسكندرية مكان لتصنيعه واستخراجه ،كما وكانت تصنع المقذوفات بأحجام مختلفة منها ما يرمى بالمنجنيق ومنها ما يرمى بالنشاب بالاضافة الى استخدام النفط والنار الذي يقد على الماء ويصلح لحرق المراكب ولا ينطفئ [٣٦].

ولقد اعتمد جند المماليك على الاسلحة النارية والنفط في حروبهم ضد اعدائهم فقد استخدموا الأساليب والاسلحة النارية التي كانت تتمثل باستخدام النفط والقذائف السهام النارية بواسطة المنجنيق التي عنوا بصناعتها لما كان لها من دور كبير في معاركهم العسكرية وفي الحصار. [٣٧].

اما في حرق مدن العدو فيتم احراق المساكن من خلال رمي النار والنفط بالنواضح لمن قرب، ومن رميها بالمجانيق والعرادات لما بعد [٣٨]، اما عن احراق سور مدائن الحجارة يتم باتخاذ القدور الكثيرة من الحديد وفي اسفلها ثقب بها رؤوس تامه الى خارج، تحشى تلك القدور بالفحم ثم تلصق افواهها بالسور ويوضع في رؤوس تلك الثقب التي في أسفل كل قدر افواه المنافخ ثم ينفخ عليها تلك المنافخ حتى يحرق الحجر ثم يرش على كل ما احرق منها الخل الثقيف الحذق ليحمل الاحراق على السور فينهار كالرمل [٣٩].

واضاف محمد بن منكلي (ت٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) خديعة جند العدو من خلال جعلهم يعتقدون ان جيش المسلمين رحل عن حصارهم كليا، فيؤدي ذلك الى اخماد اهتمامهم وتحصيناتهم، فاذا هاجمتهم جيوش المسلمين بغته في الليل بعد ان يكونوا قد هيئوا ما يرموهم به من المقذوفات كالسهام النارية [٤٠] والمدافع المهولة والمجانيق ويكون ذلك اخر الليل حين أمن جند العدو [٤١]. .

المبحث الثاني: – التحصينات الدفاعية (الاسلحة الدفاعية)

ويمكن ان تقسم الى الاسلحة الدفاعية الخفيفة والثقيلة:

اولاً: – الاسلحة الدفاعية الخفيفة:

تعتبر من الاسلحة التي يستخدمها الجند العسكريين للوقاية من تعرضهم للأصابه بأسلحة العدو كطعنات الرماح او السهام وللوقاية من ضربات السيوف وهذه الاسلحة هي:

١–الدروع (الجواشن):

يعد الدرع من الاسلحة الدفاعية المعروفة القديمة ويكون عبارة عن ثوب ينسج من حلقات حديدية متداخلة تسمى الزرد ويتم لبسه على القسم العلوي من الجسم لحماية المقاتل من ضربات الاعداء [٤٢]، ويكون لبعض الدروع سيقان تشد هذه السيقان بكلاليب من الحديد الى الدرع تسمى الزردانات [٤٣] ، وكان الجند يلبسون تحت الدرع ثوب من النسيج المبطن اشبه بالوسادة ليقيهم من خشونة حلقات الدرع [٤٤] ، اما غلائل الدروع فقيل بطائن تلبس تحت الدروع وقيل: هي مسامير الدروع التي تجمع بين رؤوس الحلق لأَنها تغل فيها[٤٥]، والدرع هو اللبوس وقيل : انه حلق الحديد ويقال ادرع القوم سرابيل الدم أي تسربلوا فجرحوا وجرحوا ،اما المفاضة من الدروع فتعني الواسعة [٤٦].

ومن لوازم القادة وجندهم في المعارك العسكرية التي ذكرها محمد بن منكلي (ت٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) ان يتخذوا من اللباس الواقي وغيره مع القدرة، اذ يجب على الجند العسكريين ان يستصحبوا السلاح الخفيف كالزرديات والكبر والبيض الخفاف كالكوافي ذوي البراقع، وينبغي ان تكون الزردية مخاد ثنتان على الكتف لتمنع نزول ثقل الحديد عن الاكتاف وقت الركض المتطاول. [٤٧] .

٢- الترس:

يعتبر من الاسلحة الوقائية الرئيسية لحماية الجند في حروبهم ضد الاعداء ، والترس: كل ما يتوقى به من السلاح وهو الآلة التي يتقى بها الجندي الضرب والرمي ويمكن ان تكون من الحديد او الخشب او الجلد يحملها الراجلة والفرسان لحمايتهم من رماح الاعداء وسيوفهم وسهامهم(٤٨)، والترس: من السلاح المتوقى بها معروف وجمعه أتراس وتراس وترسة وتروس ، وكل شيء تترست فهو مترسة لك ورجل تارس ذو ترس ورجل تراس صاحب ترس والتترس التستر بالترس به (٤٩)، ويسمى الترس بالمجن والجحفة والدرقة ايضا(٥٠)، وقد كان الفارس يستخدم ترس معلق في عنقه، يقبض عليه بيده اليسرى من سيور مثبتة في سطحه الداخلي، وكان هذا الترس يصنع من الخشب، والجلد، والأربطة الحديدية، ويزدان في وسطه بمشبك من الحديد المذهب .(٥١).

كما ذكر ابن منكلي ان من لوازم الجندي في الاسلحة الوقائية هي : " **ان يكون عنده من التراس عدة ان قدر على شرائها: ترس حديد، وترس فولاذ، وترس خشب، وترس خيزران، وترس جلد** " (٥٢)، اذ ان الترس من الاسلحة الدفاعية المهمة التي تم استخدامها في الحروب على مر العصور، فكما كان السيف لا يفارق يمين المحارب كان الترس ايضا لا يفارق يسارة او عن ظهره عند حملة (٥٣).

٣-البيض (الخوذة):

تعتبر من آلات الحرب الوقائية يلبسها الجند العسكريين لوقاية رؤوسهم من ضربات سلاح الاعداء وتكون ذات شكل مستدير او بيضاوي، ويتم صنعها من المعدن القوي لكيلا تؤثر فيها الضربات، وقد تم نقش عليها الآيات القرآنية والكتابات الدعائية والحروف (٥٤)، وتكون هذه الحروف احرفا كبارا كل حرف بطول شبر، ويتم وضع الخوذ على رؤوس الجند على وفق ترتيب الحروف. (٥٥).

وقد كان هناك نوع من البيض يسمى المغفر الذي يتكون من نسيج من الحلقات يتدلى على الوجه والرقبة للحماية وتكون له فتحه امام العين لتأمين الرؤيا الجيدة لمن لبسها ، كما حصل في سنه ٦٥هـ/ ٦١٨م عندما اشتدت شوكه الخوارج في البصرة " **فجاءوا**

عليهم مغافر تضرب إلى صدورهم، وعليهم دروع يسحبونها، وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد إلى مناطقهم " [٥٦] ، وفي زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ –٩٦ هـ /٧٠٥–٧١٥ م) زحفت جند المسلمين صوب عمورية سنه (٩٧هـ/ ٧٠٨م) بقيادة مسلمه بن عبد الملك ،اذ كان في مقدمة قوات جيشه عشرة آلاف مقاتل لا يرى منهم الا الحدق . [٥٧]

كما وينبغي على الجند معرفه كيفية وضع الخوذة على الرأس اذ ينبغي ان يكون ارزاز القبع غليضا من خلال عمله بحشوة كثيرة لكي تنزل الخوذة على انف لابسها، ففي زمن السلطان الناصر (٦٩٣–٧٤١هـ/ ١٢٩٣–١٣٤١م) عندما توجه العسكر الى محاربة الأرمن وتم الاتفاق على ان بعض الجند تقنطر فنزلت الخوذة على قصبه انف أحد الجند فغشي عليه من الخوذة لقله حشو قبعها، واراد الأرمن اسره فقاتل المسلمون جند الأرمن قتالا شديدا وتم قتل منهم جماعة حتى سلم بحمايه من جند المسلمين له. [٥٨] .

ثانياً: التحصينات الدفاعية الثقيلة (الاسلحة الثقيلة):

تفنن العرب المسلمون في انشاء التحصينات الدفاعية لحماية الدولة الاسلامية من هجمات الاعداء والتصدي لهم ،وكان هذا نتيجة الممارسة والتجربة لتكون كحواجز تعيق تقدم الجيوش المهاجمة وهذه التحصينات كانت بسيطة لكنها اخذت تتطور بمرور الزمن نتيجة للهجمات والحروب الكثيرة التي خاضها جند المسلمون مما جعلهم يدركون اهمية التحصينات الدفاعية لحماية مدنهم من هجمات جيوش الاعداء وهذه التحصينات تكون اما طبيعية او من عمل الانسان كالقلاع والحصون والخنادق والمطامير المحفورة والمدن المسورة وغياض الشجر والرمال والوحول والانهار والبحار .[٥٩] .ولعل من ابرزها:

١– القلاع والحصون:

لقد شكلت القلاع والحصون ركيزة اساسية في النظام الدفاعي للدولة العربية الاسلامية، اذ لم تعد مجرد مباني حجرية بل مؤسسات عسكرية وادارية تحمي المدن والثغور وتؤمن استقرار الحكم ، ولعل اهتمام العسكرية الاسلامية بأنشاء القلاع واحصون يعكس مدى الوعي العسكري الذي بلغته الدولة الاسلامية آنذاك ،فقد ادرك المسلمون ان الدفاع لا يقوم على الشجاعة وحدها بل على التخطيط والتحصين ايضا لذلك احتلت هذه المنشآت موقعا محورياً

في مؤلفات ابن منكلي الذي نظر اليها من زاوية دينية وعسكرية وعمرانية فكانت رمزا للجهاد تارة ودليلا على العمران والسيادة تارة اخرى . [٦٠].

وان الحصون ليست هي القلاع الشامخة المبني عليها اسوار فقط وانما هي القلاع والمطامير والجبال والغياض والمدن والخنادق والوحول والآجام والبحار والرمال، وقد يجتمع للحصن الواحد من كل هذه الاصناف عدة اصناف، ولكل صنف منها ضروب من العمل والتدبير مختلفة الاحوال، كالقلاع فأن فيها ما يحتاج الى المطاولة والمصابرة واتخاذ الحصون وبنيانها حول السنين الكثيرة، وان منها ما يحتاج الى المعاجلة والمناجزة ويكتفى فيه بأدنى حيلة وبالأيام اليسيرة. [٦١].

كما وينبغي على الجند المقاتلين اذا حاصروا قلعه ان لا يظهروا قوة ولا معرفه بالقتال عند ابتداء الحصار، بل يظهرون كل يوم شيئا مستغربا، ويجب ان يكون نزولهم بعيدا عن الحصن نحو ميلين لضمان استراحة الجند من سماع كثرة الصراخ والعياط، فاذا كانوا قريبين لم يجد الجند راحة من ذلك ليلا ونهارا [٦٢]، ومن الخدع الحربية التي ذكرها ابن منكلي (ت٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) عند محاصرة حصون الاعداء هي ايهام العدو ان جيش المسلمين رحلوا عن الحصن بقولة: " **انا اذا رحلنا عن الحصن، يعتقدون ان رحلنا كليا، فيخمد اهتمامهم. فاذا عدنا بعد يومين، وآتيناهم بغته وان كان ليلا كان اولى ونكون هيأنا ما نرميهم به ليلا، كالسهام النارية والمدافع المهولة والمجانيق، يكون ذلك اخر الليل حين امنهم** ". [٦٣].

ويجب من وجهة نظر ابن منكلي على صاحب الحصن والقلاع في حاله الامن وقبل ان يفاجئه العدو ان يكون قد حصن حصنه واحكم مواضع القتال للمقاتلة والمدافعة عنه، وشحنه بكل آلة وعدة تعين على طول الحصار وتنكي العدو عند المناهضة وان لا يخليه الجند المقاتلين في اي حال من الاحوال وان لا يكون لهم صنعه غيره [٦٤].

٢- الخندق (الخنادق):

وكان يراعى في تصميم الخنادق المنعة خوفا من اجتيازها عند الحصار، لذلك كان يجب ان يكون الخندق من جهة السور مائل نحو العقر لكي يسهل صيانتها وتنظيفها

باستمرار وتكون حافة الخندق من الجهة المقابلة بشكل قائم لمنع الاعداء المهاجمين من العبور خلالها باتجاه الأسوار، وعادة ما يتم حفر الخنادق العميقة والواسعة مع ملئها بالماء وخاصة للخنادق المقامة حول المدن الواقعة على ضفاف الأنهار وتقام فوقها قناطر ثابته او متحركة يتم رفعها وقت الخطر. [٦٥] .

وفي حال كان الخندق الذي حول المدينة لا ماء فيه يجب ان يحشى هذا الخندق بالحطب والتراب بأمر من الوالي بحيث يصبح عائقا امام جيوش الاعداء ويحول دون وصولهم بسهولة وبذلك تكون الحماية اكب، كما ويقل الخطر على الرماة من الجنود اذ يصبح من الصعب على الاعداء ان ينالوا من المدافعين. [٦٦] وهذا انما يوضح مدى اهمية الحلول العملية والتدبيرات الذكية في التعزيز من قوة الدفاع العسكرية .

كما ويتحدث محمد بن منكلي عن احد الطرق التي يتم من خلالها استخدام الخندق للأيقاع بالعدو ويتم ذلك بحفر خندق بين عسكر المسلمين وعسكر الاعداء ويتم ملئه تبنا او شوكا او حشيشا مما تأكله النار، ومن ثم يقوم الجند بتمرير حبل مبلله بالماء المدبر والنفط على طول ذلك الخندق مع جعل طرفه على طرف الخندق مع توكيل بكل واحد من الطرفين واحد من الرجالة ، ومن ثم يتم وضع الحطب في الخندق على الحبل وأمر الرجلين باشعال النار في طرفي الخندق ، فاذا دخل العدو الخندق فان النار تحيط به في اسرع من طرفه العين فلا يقدرون على الخروج من هول النار وظلمة الدخان ، وبعدها يتم الأطباق على قوات العدو واضطرارهم على طلب الأمان . [٦٧].

٣ – الحسك:

يعد الحسك من الوسائل الدفاعية الثابتة التي استخدمها جند المسلمون في حروبهم ضد الاعداء وهو عبارة عن قطع من الحديد او الخشب لها عدة شعب يبقى منها سن مرتفع كيفما وقعت على الارض يتم طرحها حول المعسكرات لعرقلة تقدم خيل العدو ودوابه كما وتستخدم في تحصين الخنادق والحصون ومن انواعه المثلثات والمسدسات والزقازيق ، وقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) اول من استخدمه في حصار الطائف ،حيث امر جنده على نشر الحسك الشائك حول حصن ثقيف وكان الحسك متكون من خشبتين تسمران

على هيئه صليب ، تتألف منها اربع شعب مدببة اذا رمى في الارض بقيت منه شعبه بارزه تتعثر بها اقدام الاعداء وتعمل على تعطيل حركة السير السريعة المطلوبة في ميادين القتال العسكرية . (٦٨) .

ويتحدث ابن منكلي عن الحسك بقوله: تعمل على خلقه السباع ثم تنصب حول العسكر في الحرب؛ فتثب الواحدة منه عشرة أذرع وأكثر من ذلك فتقتل ما استقبلها من انسان او دابه او سبع، ثم ترجع الى مكانها (٦٩)، واضاف " **اذا عرف الوالي من عدوه، وتشرع الى الحملة والابتداء بها، فعلى الوالي ان يطلب لأصحابه في اول وضع التعبئة المواضع المشرفة قليلا، وان يضع الخيل امام الرجالة؛ فان لم يكن ذلك؛ فله وضع الحسك امام الصفوف؛ ليقطع عاديتهم ويبطل عزيمتهم ويذهب بشوكتهم، ويهن كيدهم** ". (٧٠) .

الخلاصة :

مما ذُكِرَ أعلاه اتضح لنا ان التحصينات الدفاعية الثقيلة لم تكن مجرد منشآت حجرية تشيد على اطراف المدن بل كانت تجسيدا عمليا لفكر عسكري متكامل ،وقد نظر اليها المسلمون على انها سلاح استراتيجي طويل الامد يحقق التوازن بين الهجوم والدفاع ،ويعبر عن قدرة الدولة على التنظيم والتخطيط والاستمرارية العسكرية ، بذلك تأتي دراسة الاسلحة وفق مؤلفات محمد بن منكلي لتكشف عن عمق الوعي الاسلامي بفنون الحرب والهندسة العسكرية ،ولتبرز كيف اسهمت الاسلحة سواء دفاعية او هجومية في بناء الحضارة الاسلامية وصون كيانها في وجه التحديات الخارجية.

ويمكن القول ان محمد بن منكلي في مؤلفاته يقدم رؤيه عسكريه متقدمة لزمنه ، تقوم على ان قيمه السلاح لا تقاس بذاته بل بمدى ملائمته للمقاتل وبجوده التدريب عليه ،اذ يرى ان الاسلحة سواء كانت هجومية او دفاعية تشكل جزءا من منظومه قتالية متكاملة تتطلب الانسجام بين الفرسان والمشاة والرماة ،ويؤكد ان جودة الصنعه والانضباط التدريبي هما الاساس في تحقيق التفوق العسكري ، بينما يعد سوء استخدام او اختياره غير الملائم خطرا يفوق ضعف السلاح نفسه ، كما ويبرز في منهجه ميل واضح نحو العقلية العسكرية حيث

يصف الاسلحة على انها ادوات تكتيكية يجب ادارتها وفق قواعد مهنيه دقيقة لا مجرد ادوات قتال تقليدية .

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: المصادر الأولية:

ابن اعثم الكوفي، أبو محمد احمد بن علي، (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)٠

١- الفتوح، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦م) ٠

الانصاري، عمر بن ابراهيم (ت٨١٥ هـ / ١٤١٢م) ٠

٢- تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلون، الجامعة الامريكية، (القاهرة: ١٩٦١م) ٠

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ٠

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (القاهرة: د. ت)٠

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) ٠

٤- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)٠

ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) ٠

٥- الثقات، تحقيق: محمد عب المعيد، دار المعارف العثمانية، (حيدر آباد: ١٩٧٣ م)٠

الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ/١٢٦٧ م)٠

٦- مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، (بيروت:١٩٩٩م)٠

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣ م) ٠

٧- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٨ م)٠

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)٠
٨- الطبقات الكبرى، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبه الخانجي، (القاهرة:٢٠٠١م)٠
السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن (ت٥٨١ هـ / ١١٨٥م) ٠
٩- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، (بيروت :١٤١٢ هـ)٠
ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) ٠
١٠-المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٠م) ٠
الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م)٠
١١- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢ دار التراث، (بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)٠
العباسي، الحسن بن عبد الله (ت٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)٠
١٢- آثار الاول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، (بيروت: ١٩٨٩م)٠
الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (ت١٧٠هـ / ٧٨٦م)٠
١٣- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. م: د. ت)٠
القلقشندي، احمد بن علي (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)٠
١٤- صبح الاعشى في صناعه الانشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٩ م)٠
القنوجي، محمد صديق خان بن حسن (ت١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) ٠
١٥- ابجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧٨م) ٠

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)٠
١٦- الفروسية، تحيق: سمير حسين حلبي، دار الصحابة للتراث، (طنطا: ١٩٩١م)٠
مسكويه، احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)
١٧- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: ابو القاسم امامي، ط٢، (طهران: ٢٠٠٠م)٠
المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)٠
١٨- السلوك لمعرفه دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧ م)٠
ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم (٧١١ هـ / ١٣١١م) ٠
١٩- لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير واخرون، دار المعارف، (القاهرة، د. ت) ٠
المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م)٠
٢٠- وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، (بيروت: ١٩٩٠م)٠
ابن منكلي، محمد الناصري (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) ٠
٢١-الادلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق: اللواء الركن محمود شيت خطاب، مطبعه المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٨٨م)٠
٢٢-التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية، تحقيق: صادق محمود الجميلي، وزارة الثقافة والاعلام دائرة الشئون الثقافية٠
٢٣-الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ٢٠٠٠ م) ٠
النويري، ابو العباس شهاب الدين احمد (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢ م)٠
٢٤-نهاية الارب في فنون الادب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: ٢٠٠٢ م)٠

ابو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ /١٠٠٤ م)٠
٢٥-التلخيص في معرفة اسماء الاشياء، تحقيق: عزه حسن، دار طلاس للدراسات، ط٢، (دمشق: ١٩٩٦م)٠

ثانياً: المراجع الحديثة:

امين، محمد وليلى ابراهيم٠
١- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، الجامعة الامريكية، (القاهرة: ١٩٩٠م)٠
الجنابي، خالد جاسم ٠
٢-تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي، دار الشؤون للثقافة العامة والدار الوطنية، (بغداد: د. ت) ٠
الدراجي، سعد ابراهيم٠
٣- تحصينات المدن العراقية في العصر العثماني واهم منشآتها العسكرية، وزارة الثقافة ، (بغداد :٢٠٠٨م)٠
ديورانت، ويليام جيمس٠
٤- قصة الحضارة، ترجمه: زكي نجيب واخرون، دار الجيل، (بيروت:١٩٨٨م)٠
رزق، عاصم محمد٠
٥- معجم مصطلحات العمارة والفنون، مكتبة مدبولي، (د. م: ٢٠٠٠م)٠
زكي، عبد الرحمن٠
٦-السلاح في الاسلام، دار المعارف، (القاهرة :١٩٥١ م)٠
العلي، صالح احمد٠
٧- المنسوجات والالبسة العربية في العهود الاسلامية الاولى، شركة المطبوعات للنشر، (بيروت: ٢٠٠٣م)٠
العمايرة، محمد عبد الله سالم ٠
٨- المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة، (الاردن: ٢٠١١م)٠

عون، عبد الرؤوف٠
٩-الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، (د. م: ١٩٦١م) ٠
هندي، احسان٠
١٠- الجيش العربي في عصر الفتوحات، (د. م :١٩٧٣ م)٠

الهوامش:

(١) ابن منكلي، محمد الناصري (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) ، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ٢٠٠٠ م) ص٢١؛ النويري، ابو العباس شهاب الدين احمد (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢ م)، نهاية الارب في فنون الادب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة: ٢٠٠٢ م)، ج٦، ص٢٠٠.

(٢) ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم (٧١١ هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير واخرون، دار المعارف، (القاهرة، د. ت) ج٣، ص ٢٠٦٠-٢٠٦١.

(٣)عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، (د. م: ١٩٦١م)، ص١٢٩.

(٤) القنوجي، محمد صديق خان بن حسن (ت١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)، ابجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧٨م)، ج١، ص٣٤٣.

(٥) المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)، السلوك لمعرفه دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧ م)، ج٢، ص١٨.

(٦) الكافركوبات: الكافر يعني الدرع، اما كوبات فيعني الغطاء او الكسوة، فيكون المعنى: الدرع التي تلبس تحتها البطائن. ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) الثقات، تحقيق: محمد عب المعيد، دار المعارف العثمانية، (حيدر آباد: ١٩٧٣ م)، ج٨، ص٥؛ النويري، نهاية الارب، ج٦، ص٢٤٢- ٢٤٣ ٠

(٧) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٣١٦.

(٨) ابن منكلي، الادلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق: اللواء الركن محمود شيت خطاب، مطبعه المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٨٨م)، ص٢٢٧.

(٩) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص١٦٤، ص١٩٨، ص ٢٤٤؛ التدبيرات السلطانية في سياسه الصناعة الحربية، تحقيق: صادق محمود الجميلي، وزارة الثقافة والاعلام دائرة الشئون الثقافية، ص ٣٢٩، ص٣٤٧ ،ص ٣٤٨، ص٣٣٥ ، ص٣٦٥ ؛ الحيل في الحروب ، ص٢١-٢٣ ،ص٤٩، ص٥٠ .

(١٠) الدفلى: هو شجر مر اخضر حسن المنظر يكون في الاودية، ويقال: الدهن شجر الدفلى وقيل هو الحنظل. ينظر: ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) ، المحكم والمحيط الاعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ٢٠٠٠م) ، ،ج٩، ص٣٣٦؛ الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد ،(ت ٥٣٨هـ/١١٤٣ م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (بيروت : ١٩٩٨ م)، ج١،ص٢٩١؛ الرازي ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ/١٢٦٧ م)،مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، (بيروت:١٩٩٩م)، ص١٠٥.

(١١) الحيل في الحروب، ص٣٧-٣٨.

(١٢) الخطر: أي يخطر خطرانا، وخطر بسيفه ورمحه وقضيبه وسوطه، اذا رفعه مره ووضعه مره اخرى. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١١٩٦.

(١٣) النفح: نفحه بالسيف أي ضربه عن اليمين والشمال، والضرب بالسيف على سته وجوه: الضرب شذرا وقدما وردا وبوجه وسفلا والضرب دبرا او خلفا، واثقف الضرب ما كان شذرا. ينظر: ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٥٢؛ الحيل في الحروب، ص٤٤٠

(١٤) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٣٩.

(١٥) الادلة الرسمية، ص٢٣٨.

(١٦) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٦٦.

(١٧) الادلة الرسمية، ص١٩٨.

(١٨) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١، ص ٥٢؛ الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي، دار الشؤون للثقافة العامة والدار الوطنية، (بغداد: د. ت) ص١٤٦.

(١٩) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٢٩؛ ابو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ /١٠٠٤ م)، التلخيص في معرفة اسماء الاشياء، تحقيق: عزه حسن، دار طلاس للدراسات، ط٢، (دمشق: ١٩٩٦م)، ص٣٢٨-٣٢٩ .

(٢٠) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢١) القوس الواسطية: هي القوس المصنوعة من اربعه اشياء، الخشب والعقب والقرن والغراء، ولها سيتان ومقبض وسميت بالواسطية لتوسطها بين القوس الحجازية والفارسية، وتسميها العرب بالمنفصلة لأنفصال اجزاءها قبل التركيب. ينظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

(ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، الفروسية، تحيق: سمير حسين حلبي، دار الصحابة للتراث، (طنطا : ١٩٩١م) ، ص ٧٤٠

([٢٢]) الحيل في الحروب، ص٦٨ –٦٩.

([٢٣]) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص ٢١٩، ص ٢٤٤؛ التدبيرات السلطانية، ص ٣٣٧ –٣٣٨؛ الحيل في الحروب، ص ١١٩، ص٢٨٨، ص ٣٩٩، ص٤٠٥.

([٢٤]) الجنابي، تنظيمات الجيش، ص ١٤٨.

([٢٥]) المقريزي، السلوك، ج١، ص٧٦٤؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (القاهرة: د. ت)، ج ٨، ص٥.

([٢٦]) الادلة الرسمية، ص ٢٤٤.

([٢٧]) زكي، عبد الرحمن، السلاح في الاسلام، دار المعارف، (القاهرة :١٩٥١ م)، ص٢٤–٢٥.

([٢٨]) السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن (ت٥٨١ هـ / ١١٨٥م) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت :١٤١٢ هـ) ، ج ٧، ص ٢٦٦؛ منظور ، لسان العرب ،ج٣ ، ص١٣١٥ .

([٢٩]) لقد كانت الدبابة تتخذ من الخشب الثخين مع تغليفها باللبود والجلود المنقوعة بالخل لمنع النار من احراقها، علما بان مقابلة النفط ان رمى به عليها يكون بالخل والشب المخلوطين المبلولين. ينظر: ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٣٩٧.

([٣٠]) ابن منكلي ، الحيل في الحروب، ص ٣٩٧ ، ص٤٠٥ .

([٣١]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٤٠٥ –٤٠٦.

([٣٢]) الجنابي، التنظيمات، ص ١٥٢.

([٣٣]) العباسي، الحسن بن عبد الله (ت٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)، آثار الاول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، (بيروت: ١٩٨٩م)، ص ١٩٣.

([٣٤]) الحيل في الحروب، ص ٣٩٩.

([٣٥]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص١٢٢–١٢٤؛ هندي، احسان، الجيش العربي في عصر الفتوحات، (د. م :١٩٧٣ م)، ص١٣٦–١٣٨.

([٣٦]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص١١٩، ص١٢٠، ص١٢١، ص١٢٢، ص١٢٩، ص١٧٨، ص١٨٠ .

([٣٧]) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص٢١٩؛ الحيل في الحروب، ص١١٩، ص٢٨٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣٤.

([٣٨]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٤٠٦.

([٣٩]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٤٠٦-٤٠٧.

([٤٠]) السهام النارية: هي قناة ملفوفه بقماش ذات اهداف، لتلت بالنفط وترمى على جند الاعداء وما اشبه ذلك، وعادة ما ترمى بالمنجنيق. ينظر: ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص٢١٩) ٠

([٤١]) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص ٢١٩.

([٤٢]) الجنابي، تنظيمات، ص ١٥٣؛ زكي، السلاح، ص٢٦-٢٧.

([٤٣]) المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، (بيروت: ١٩٩٠م)، ص ٣٢٨؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص٦١٨.

([٤٤]) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٣٢٨٧.

([٤٥]) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٦٥؛ زكي، السلاح، ص٢٧.

([٤٦]) الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (ت١٧٠هـ / ٧٨٦م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. م: د. ت)، ج٢ ،ص٣٤ ٠

([٤٧]) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٦٢.

([٤٨]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٤٧، ص ٥١؛ القلقشندي، احمد بن علي (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، صبح الاعشى في صناعه الانشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٩ م)، ج٢، ص ١٥٢.

([٤٩]) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٢٨.

([٥٠])ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص٣٣٥؛ مسكويه، احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: ابو القاسم امامي، ط٢، (طهران: ٢٠٠٠م)، ج١، ص٤٩٩؛ النويري، نهاية الارب، ج٦، ص ٢٣٩.

([٥١]) ديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمه: زكي نجيب واخرون، دار الجيل، (بيروت:١٩٨٨م)، ج١٤، ص٤٤٢.

([٥٢]) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٦٤.

([٥٣]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٥٠؛ العلي، صالح احمد، المنسوجات والالبسة العربية في العهود الاسلامية الاولى، شركة المطبوعات للنشر، (بيروت: ٢٠٠٣م)، ص٥٢ ،ص٥٣ ٠

([٥٤]) امين، محمد وليلى ابراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، الجامعة الامريكية، (القاهرة: ١٩٩٠م)، ص ٤٣؛ رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون، مكتبة مدبولي، (د. م:

٢٠٠٠م)، ص١٠١؛ العمايرة، محمد عبدالله سالم ، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة، (الاردن: ٢٠١١م)، ص ١١٩.

([٥٥]) ابن منكلي، التدبيرات السلطانية، ص ٣٢٨.

([٥٦]) الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢ دار التراث، (بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)،ج٥ ، ص٦١٨ .

([٥٧]) ابن اعثم الكوفي ، ابو محمد احمد بن اعثم (ت٣١٤هـ / ٩٢٦م)، الفتوح ، دار الكتب العلمية ،(بيروت : ١٩٨٦م) ، ج٤ ، ص ١٣٥ .

([٥٨]) ابن منكلي ، التدبيرات السلطانية ، ص ٣٣٨ .

([٥٩]) الانصاري ، عمر بن ابراهيم (ت٨١٥ هـ / ١٤١٢م) ، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلون ، الجامعة الامريكية ، (القاهرة: ١٩٦١م)، ص ٨٩ .

([٦٠]) ابن منكلي ، الادلة الرسمية ، ص ٢١٦،ص٢١٩-٢٢٠،ص٢٢٣،ص ٣٩٤؛ التدبيرات السلطانية ، ص ٣٤٧-٣٤٨ ؛ الحيل في الحروب ، ص ٢١٠ ،ص ٢٢٣ .

([٦١]) ابن منكلي ، الادلة الرسمية ، ص٢١٦ ؛ الحيل في الحروب ،ص١٩٢ ٠

([٦٢]) ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص ٢١٧.

([٦٣]) ابن منكلي، الادلة الرسمية ، ص٢١٩- ٢٢٠ .

([٦٤])ابن منكلي، الادلة الرسمية، ص٢٢٣.

([٦٥]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٣٩٤، ص ٤٠٧؛ الدراجي، سعد ابراهيم، تحصينات المدن العراقية في العصر العثماني واهم منشآتها العسكرية، وزارة الثقافة، (بغداد :٢٠٠٨م)، ص٤٦٢.

([٦٦]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٤٠٩.

([٦٧]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ٢١٠.

([٦٨]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص١٩٢، ص٣٣٣؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبه الخانجي، (القاهرة:٢٠٠١م)، ج٢، ص١٥٨، ص٢١٤؛ عون، الفن الحربي في صدر الاسلام، ص ١٩٥-١٩٦.

([٦٩]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص ١٩٢.

([٧٠]) ابن منكلي، الحيل في الحروب، ص٣٣٢.

آرمنيوس فامبري وكتابة تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى الوقت الحاضر – دراسة تحليلية (١٨٣٢-١٩١٣م)

أ.د. عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي
كلية الآداب/قسم التاريخ
جامعة بغداد

آرمنيوس فامبري وكتابة تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى الوقت الحاضر
دراسة تحليلية (١٨٣٢–١٩١٣م)

أ. د عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي

المقدمة

نتناول في هذه الدراسة سيرة حياة المجري الرحالة والمؤرخ آرمنيوس فامبري صاحب المؤلفات العديدة ,الذي اوقف حياته في معرفة الحياة الاجتماعية للترك سواء في تاريخهم المعاصر او الاسلامي بعد ان اجاد اللغة التركية اجادة تامة حتى اللهجات التي اختلفت عن اللهجة التركية العثمانية في اواسط آسيا من خلال تخفيه بزي مسلم متصوف مسجلا اوائل المدونات الاوربية عن شعوب تركستان وخاصة بلاد ما وراء النهر فكانت مقالاته تتسابق عليها دور النشر في بودابست ولندن من اجل نشرها كما قام بتأليف العديد من الكتب ذات العلاقة بالترك في اسيا الوسطى من خلال رحلاته اليها ,وكذلك عن موطنه المجر(هنغاريا)كما الف عدة مؤلفات تسرد سيرة حياته وكفاحه المتواصل من اجل تحقيق اهدافه ومواصلة رحلاته الى بلدان اسيا الوسطى ,ليتفوق على نفسه لتحتل مصنفاته مكانة علمية متميزة تضاهي وتتفوق على العديد من دراسات مستشرقين تناولوا ذات المنطقة رغم تواضع المدرسة الاستشراقية المجرية مقارنة بنظيراتها الاوربية.

قسمنا الدراسة الى اثنى عشر محور منها ما هو ذا صلة بحياته العلمية وتعليمة وبداية رحلاته الى الى اسيا الوسطى ,وسنبحث منهجه الذي اتبعه في مؤلفاته ,كما سنخصص بقية المحاور الى كتابة (تاريخ بخارى منذ اقدم العصور الى وقتنا الحاضر)والذي يعد اول كتاب حديث يتناول تاريخ المدينة منذ الفتح الاسلامي الى العهود التي عاصرها المؤلف.

ونحن سنركز على المباحث التي تناولها عن تاريخها الاسلامي وحسب اي منذ الفتوحات الاسلامية لبلاد ما وراء النهر الى مدة السيطرة المغولية على مدينة بخارى ومدن بلاد ما وراء النهر الاخرى.

اولا. السيرة الذاتية والعلمية لفامبري:

يعد سكان المجر من الشعوب الشرقية الايغورية التي زحفت غربا حتى وصلوا الى مناطق شرق أوربا حيث وجدوا في المجر(هنغاريا) وطنا لهم ,كما يعزز من تراثهم الشرقي وقوعهم تحت الاحتلال العثماني قرابة قرن ونصف ,وحافظ المجريون على تراثهم, ومازالت لهم في بعض الاديار مخطوطات شرقية نادرة ,اما المدارس الاستشراقية التي نهلوا منها مناهجهم في دراسة الشرق فكان المدرسة الهولندية والألمانية والنمساوية فقصدت منهم لدراسة اللغات الشرقية ولاسيما العبرية والتركية والعربية , فأتقنوها وذهب لهم فيها على قلتهم صيت بعيد(1).

ونلحظ في كتابات فامبري تأكيده على حياة البؤس التي عاشها في طفولته في اكثر من مؤلف من مؤلفاته واضطراره لحمل عكاز بيده اليسرى لحين بلوغه سن الرشد ,وبين ان اطعمتهم والبستهم الشحيحة لم تكن لتسد حاجتهم اليها, واشار الى انتباه اساتذته الى ذاكرته القوية الغير عادية بقوله "التي مكنتني من التعلم على ظهر قلب وبسهولة كبيرة اي شيء تقريبا حتى المقاطع اللاتينية التي لم افهمها على الاطلاق"(٢).

ان اغلب معرفتنا بحياة فامبري وانشطته مستمدة من من كتاباته الخاصة ,وخاصة كتاب (قصة كفاحي) وقد نشر هذا العمل الضخم المؤلف من جزئين في اواخر حياة المؤلف ,وهو مصدر مهم لا نشطته وأبحاثه وكذلك لآرائه ووجهات نظره .

ولد فامبري عام ١٨٣٢م في قرية صغيرة على الحدود السلوفاكية المجرية ,لعائلة يهودية فقيرة, وكانت ساقة عرجاء, لغته الام هي المجرية ولكن الكثير من الثقافة العامة كانت المانية تلقى تعليمة المبكر بالكامل في مدرسة دينية يهودية ,والتي سرعان ما تركها لتعلم اللاتينية في مدرسة مسيحية ,ثم تعلم بشكل مستقل العديد من اللغات الاخرى ,انتقل الى اسطنبول في عام ١٨٥٧م,حيث حسن معرفته بالتركية واصبح يتقنها ,وبعد عودته الى بودابست عين محاضرا للغات التركية والعربية والفارسية في جامعة بيست ,وفي عام ١٨٦٧م تمت ترقيته الى الاستاذية وكان قد اعتنق المسيحية لأجل هذا الغرض اذ لم يكن من الممكن تعيين يهودي استاذا في الجامعة المجرية ومع ذلك لم يتأقلم مع المجتمع المجري

الكاثوليكي كما بين ذلك في كتابة (قصة كفاحي),وفي النهاية اتجه الى الصحافة السياسية وكتب على نطاق واسع عن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في اسيا الوسطى والامبراطورية العثمانية وبلاد فارس في الصحف والدوريات البريطانية والالمانية والفرنسية والمجرية والتركية والامريكية (٣).

توفي والده عام ١٨٣٢م ولم يكن يبلغ الا بضعة اشهر ورغم عمل والدته وتزوجها برجل اخر انه ذلك لم يحل من الازمة الاقتصادية التي عاشتها عائلتهم التي ازداد عدد افرادها بهذا الزواج الا انه في المدرسة وبفضل مساعدة بعض العوائل الميسورة تمكن من الحصول على بعض الوجبات المجانية والملابس القديمة (٤).

"وانتقلت الى برسبورج حيث توجد مدارس من مستوى اعلى لذلك غادرت مدرسة سان جورج على الرغم من اني كنت اعيش هناك تقريبا ,وبقي هناك ثلاث سنوات واعمال في مجال تعليم الطهاة القراءة وخدمات الغرف ,ورغم ذلك كان تقيمي متقدما جدا من بين اقراني واتقنت اللغة اللاتينية ...وكنت اخصص ثمانية عشر ساعة للتدريس من اجل لقمة العيش والتعلم الا انني كنت استرق من الوقت المتبقي ما يحسن من مستواي الدراسي ففي عام ١٨٤٧م في احدى مدارس المجر كنت اتعلم الفرنسية واحفظ في اليوم الواحد احيانا مئة كلمة ...ومن ثم انتقلت تدريجيا الى دراسة بقية فروع العائلة اللاتينية الجرمانية والفرنسية ووسعت دراستي الى السلافية"(٥) .

وعلى حد قوله" كانت كل تأملاتي وجهودي وافكاري ومشاعري تتجه نحو ارض الشرق التي كانت تغريني بهالة من الروعة "(٦).

اشار فامبري لإتقانه اللغة الايطالية والتركية ولغات اخرى بشكل نظري, وبين ان الاتراك يتلفظون بألفاظ عربية من ادراك لمعناها, وكان الاعتقاد السائد آنذاك ان الشعب المجري بأكمله سوف يعتنق دين محمد علما انه لم يكن سوى بضعة مئات ممن دخلوا الاسلام من المجر مما سهل من مهمتي في اراضي الدولة العثمانية الذين كانت نار التبشير لدينهم تشتعل في قلبه عند معرفته باني مجري كما ان اتقاني للغة التركية والتحدث بها بطلاقة وقراءة لغة البلد من دون اعيش في تركيا مثيرا للدهشة بالنسبة لهم واعطائي دروسا للغات

المستخدمة في بلدهم امرا طبيعيا للغاية. وربما كنت الاوربي الوحيد في سنة ١٨٦٠م الذي بإمكانه الوصول الى جميع طبقات الشعب التركي (٧).

لذلك هفت نفسه الى الاسفار, وجعل مجالها اسيا ,فكان علية اتقان اللغات الآسيوية هذه المرة وكانت التركية في مقدمتها لتشابهها مع المجرية ,ولم يبلغ العشرين من العمر حتى اتقنها, سافر الى اسطنبول واستقر بها ست سنوات وصنف هناك قاموس الماني تركي طبعة سنة ١٨٥٨م من ١٤٠٠٠ كلمة, ومن اسطنبول قرر التوجه الى اسيا وكانت اولى محطاته ارض روم, ومنها توجه الى ارض الامبراطورية الفارسية وزار معظم مدنها التاريخية ومن شيراز توجه الى اسيا الوسطى فرحل الى خيوه ,ومنها الى بخارى وسمرقند ,وهراة ,وعاد الى مشهد ومن ثم طهران ,وبعد اقامة قصيرة عاد الى استانبول وفي رحلته هذه لبس ابس الدراويش مدعيا الاسلام ليتسنى له مرونة الدخول الى كل المراكز الدينة والتاريخية سواء في ايران ووسط اسيا, وعند عودته الى المجر نصح بالذهاب الى انجلترا بعد ما عرضه من معلومات عن اسيا الوسطى في الأكاديمية المجرية ,وهناك طبع كتابه في غضون ثلاثة اشهر عنونه (رحلات في اسيا الوسطى),وتنقل بعد ذلك بين فرنسا والمانيا ,وعند عودته الى وطنه المجر انصرف الى العمل العلمي والانتاج الفكري ,فبدأ بأن أصدر كتابا بعنوان (دراسات لغوية عن لغة جغتاي)وفيه نشر بعضا من المخطوطات التي كان قد اشتراها من اسواق خيوه ,وبخارى ,ومشهد, واضاف اليها معجما تركيا شرقيا ومرادفاته بالفرنسية والالمانية , ,ولما عاد الى المجر عين استاذا للتركية والفارسية في جامعة بودابست ١٧٨٠م,وانتخب عضوا في مجمع العلوم المجري ١٨٧٦مووعضوا في مجلس ادارته ١٨٩٤م (٨).

ثانيا. مؤلفات فامبري:

نجد اعتداد فامبري بنفسه وسيرته العلمية فاصدر مجلدان كبيران بعنوان(ارمنيوس فامبري :حياته ومغامراته)١٩٠٤م كتبة بنفسه وفيها سرد لرحلاته في آسيا و أوربا وكان انجح عمل له فقد جلبت رواياته جمهورا واسعا ,اذ احتوت على تقارير عن منطقة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت لأوربا ,وصدرت له عد طبعات كما حدث لمؤلفه الآخر عن نفسه

ورحلاته(قصة كفاحي)الذي صدر عام ١٨٩٠م,وتاتي اهميته بالأساس لما حواه من تقارير عن اوصاف القبائل والسكان والمدن ,والحروب الاخيرة ,والتوترات بين السنه والشيعة والعادات المحلية ,وتأثير العلماء ,والتكايا والاسواق ,والآثار ,والمقابر والعمارة والتجارة والصناعة ,والحكم وسوء الادارة ,والاحتفالات ,والمساجد والمدارس ,والشرطة والحكم المحلي والجيش والزراعة والدراويش ,والطعام واللباس ,القوافل, التناقضات الاجتماعية, كما وان الظروف الغير مستقرة التي تعرض لها في هذه المناطق ,والتي تسكنها قبائل عنيفة ,غالبا ما تكون مليئة بالتشويق, وخاصة تنكره بهيئة درويش (٩).

يمكن تقسيم اعمال فامبري الى مجموعتين ,الاولى المجموعة اللغوية ,الاخرى التاريخية والاجتماعية ,الاولى جافة كالغبار في الغالب ,بصيغة قواميس لعدة لغات فكان مزيجا من اللغوي والمؤرخ ,اعتبر نفسة في المقام الاول متخصصا باللغات التركية ومنها الايغورية والتتارية (١٠) .

من بينها قاموس نشره سنة ١٨٥٨م الماني تركي ,كان بمثابة اول قاموس يكتب وهو حتى يومنا القاموس الوحيد الذي يمكن الالماني من السفر الى تركيا(١١).

ونشر كتاب له بعنوان (ملاحظات على النقوش التركية القديمة وسيبريا) احتوى هذا الكتاب على تعليقات على ما اسماه فامبري اللغة التركية القديمة, والتي تعني عنده المعالم الاثرية في منغوليا وبينيسي وتمكن من فك رموزها ,مع ملاحظاته عليها, كانت ادواته البحثية اللغوية في الغالب مخطوطات جمعها وكتابات نسخها اثناء اسفاره, وكذلك له كلام مستفيض فيما اسماه الاعراق الطورانية والايرانية في كتابه(اثنولوجيا آسيا الوسطى),وله كتاب(الشعب التركي في صلاته الاثنولوجية والاثنوغرافية)وهو كتاب شامل لتاريخ الشعوب التركية في سيبريا واسيا الوسطى, ونهر الفولجا, وشبه جزيرة القرم وايران واذربيجان والامبراطورية العثمانية (١٢).

وذكر في مقدمة كتابه هذا بأن الشعب التركي من بين جميع شعوب العالم يتباهى بأكبر توزيع جغرافي اليوم نتيجة روحة الحربية التي امتاز بها وسرعة تنقلاته(١٣).

ومن مؤلفاته ذات التخصص العرقي واللغوي (الثقافة المبكرة لشعب الترك والتتار)صدر سنة ١٨٧٩م وهو عن كتاب استخدم فيه فقه اللغة(الفيلولوجيا)في محاولة لتسليط الضوء على العتمة التي تكتنف الاجناس والشعوب التي سكنت في تركستان وكانت من اراءه في هذا الكتاب قوله :على الرغم من الاختلاف في الخصائص الجسدية لها ,فاسيا الوسطى فيها خليط ملون من الآريين ,والساميين ,والاورال ,والتاي مما يصعب عمل عالم الاعراق في التمييز بينها.. الا انه الذي لا يقبل الشك ان العامل الاقوى في تغيير اللغات هو التأثير الثقافي الاجنبي حيث انه يقدم نتاجات العقل البشري الاجنبية التي خضعت له بالثوب الذي ظهرت فيه منذ البداية ,لذلك يكون التأثير فقط على المفردات ونادرا ما يكون على اشكال اللغة القادرة على بناء جملة (١٤).

ومن ناحية اخرى ذكر بأنه وكما للشمس والتربة اثر في تغير شكل النبات فان لها ذات التأثير على الانسان خاصة ان مرت على المجموعة البشرية المتنقلة والتي غيرت مناطق سكناهم, كما ان الاختلاط بالدم للأتراك بالجنس الآري ادى الى تغير تدريجي من الجيل الثاني الى الجيل الرابع كالتغيير الذي يطرأ على النباتات والحيوانات بتأثير الشمس عليها والتربة, واشار ايضا ان اختلاط الدم سواء عن طريق الزواج او المصاهرة او الغزو ساهم بشكل كبير في تغيير الوحدة العرقية لهم(١٥)و(آثار لغوية ايغورية)(١٦).

اما ابرز مؤلفاته ذات الطابع الاجتماعي التاريخي فهو (رحلتي وانطباعاتي في بلاد فارس)١٨٦٤ بودابست, ورحلة الى اسيا الوسطى التي ترجمت الى ثلاثة عشر لغة ١٨٦٥م,و(الشعوب الشرقية) ١٨٧٦م,و(اصل المجريين) ١٨٨٢م,و(الثقافة الغربية في الشرق),١٩٠٦ م, و(الاتراك والعرب)في الجغرافيا ١٩١١م,والاسلام في اسيا ١٩١٣م,(الثقافة الاولية للشعب التركي التتري)والاهم هو كتاب (تاريخ بخارا وبلاد ما وراء النهر) (١٧)

وفي احد فصول كتابه(صور من اسيا الوسطى) ١٨٦٨م (الدراويش والحجاج) اظهر مدى تعايش الدراويش في حياتهم الصوفية ومدى سعادتهم ,على العكس من الحضارة الغربية الاوربية وهو الزي الذي تنكر به فامبري خلال رحلته الى اسيا الوسطى واصفا

حركاتهم عند رحلته الى سمرقند وترديدهم المستمر لاسم الله(الذكر)حتى يصاب احدهم بهذيان ارتعاشي اثناء النشوة ليتسابق الاخرين للمسه اعتقادا انه له قابلية اشفاء الاخرين, وبين فامبري ان دراويش كشمير يتفوقون على اخوانهم المسلمين في الشرق كله (١٨).

اوعزى فامبري تباين الانتاج الزراعي في حوض نهر جيحون الى تباين المناخ على طول النهر ما بين معتدل الى شديد البرودة عند شواطئ بحر آرال (بحيرة خوارزم)في الاجزاء الجبلية من خوقند, بينما يكون الشتاء اكثر دفئا في المناطق التي تقع الى الجنوب وهناك مناطق لا تطاق حرارتها صيفا مثل خيوه ,ومناطق رطبة, اما منغوليا الديانة المنتشرة كانت الشامانية ,والمشروب الاكثر رواجا هو الكميز Kimis (وكان المشروب المفضل في بلاط اتيلا (١٩) .

وله كتاب (فصول اضافية عن رحلاتي ومغامراتي وعلم الاعراق في اسيا الوسطى)يتناول فيه مواضيع الدراويش والحجاج وما عايشه في رحلته كمدعي لإسلام مرتديا قناعا مؤلما على وجهه استمر عدة اشهر, ضمن قافلة ,زار فيها عدة مدن في مقدمتها بخارى, وقدم في دراسته مخططا لشجرة النسب العرقية لكل من الفرس والترك ,ويمتد في مؤلفه هذا الى التنافس الاستعماري بين انجلترا وروسيا على اسيا الوسطى, ولم يخفي فامبري اعجابه بحياة الدروشة التي يسلم فيها المرء نفسة لأقدار الله من دون مقاومة وتفكير ليصل الى صفاء ذهني وروحي ولولا تطور الحضارة الغربية الواضح على الحضارة الشرقية لكان قد اغري فامبري نفسه بحياة الدروشة التي تمنحه الحرية ورقصهم الدوراني حتى تسيل الدماء من اقدامهم ويسقطون مغشيا عليهم ,واشار ان اكثر اتباعها من الاتراك>ومن الجدير بالذكر ان اسلوبه في كتابة هذا عبارة عن سرد اشبه بالمذكرات ولمشاهد التي راءها في ايران واسيا الوسطى (١٨).

وله كتاب عن مسقط راسة المجر سما (قصة المجر)يتناول فيها تاريخها منذ اقدم الازمان(١٩).

ومن مؤلفاته التي حملت عنوان (رحلات الى اسيا الوسطى)لتسترعي انتباه القاريء ورغبته الملحة لاسيما في أوربا لمعرفة اسرار تلك المنطقة التي كانت المؤلفات عنها شحيحة

آنذاك ,فدون مذكراته عن الايام والاشهر التي قضاها هناك موثقا الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية لشعوب تلك المنطقة الشاسعة(٢٠).

وله كتاب(الاسلام في القرن التاسع عشر: دراسة تقييمية لدوره في الماضي والحاضر والمستقبل)وهو اهم كتاب له في هذا المجال ,وتناول هذا الكتاب الحضارة الاسلامية وتأثيرها على الحياة الاسرية والتعليم والصناعة والتجارة والعلاقات مع المسيحية وتناولت عدة فصول من التعليم والادب وكذلك الصناعة والتجارة ,ومع ذلك فان الفصول الاكثر اصالة ناقشت الابتكارات والاصلاحات الحديثة في الاسلام ,وكان احد عناوينه انحدار الاسلام ام نهضته ,وكانت اجابة فامبري ان تجدد الاسلام امر ممكن تماما بل ومرجح ولكن في ظل ظروف معينة فقط, ويعتمد الى حد كبير على تأثير التدخل الاجتماعي والسياسي والحضاري الاوربي الذي زعم انه فشل حتى الآن(٢١).

بلغت شهرة فامبري مبلغا كبيرا بحيث طلب منه كتابة مقدمات على كتب لمؤلفين من الشرق الاسلامي ,كما ان لغته التركية وعلاقاته مكنته من مقابلة العديد من الشخصيات التركية السياسية المعروفة حتى انه استقبل بحفاوة بالغة عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦م,حتى انه كان يقوم بزيارات سنوية الى اسطنبول بعد ان ربطت سكت القطارات بين البلدين عام ١٨٨٨,حتى ان السلطان عبد الحميد طلب منه مرارا وتكرارا الدفاع عن السياسات العثمانية في الصحافة الاجنبية(٢٢).

وكانت له آراء خاصة بان بإمكان الدولة العثمانية اللحاق بركب الدول الصناعية في أوربا كما اعطى وصفا للسلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦–١٩٠٩م) وذلك عندما اشتهر فامبري في أوربا باعتباره مستشرقا ورحاله استدعاه السلطان عبد الحميد وقربه منه ,وكان احد اوربيين القلائل الذين سمح لهم بمقابلة السلطان العثماني بقوله "كان متواضعا ورزينا الى درجة حيرتني شخصيا, متمسك بدينه غاية التمسك ويرعى العلماء ورجال الدين ,انني استطيع القول بكل ثقة ان العثمانيين اذا استمروا بالسير في الطريق الذي رسمه هذا السلطان فانهم سيسترجعون مجدهم السابق ,وقوتهم السابقة ,وسيصلون الى مستوى الدول الاوربية في مجال الثقافة والاقتصاد في مدة قصيرة" (٢٣).

ثالثا .منهجه في الكتابة التاريخية:

تأثر فامبري بنظريات عصره الرائجة آنذاك خاصة النظرية العرقية والفيلولوجية معرفة مميزات الاعراق التي عاشت في المنطقة (٢٤).

وفي ذلك يستعرض العديد من المفردات المستخدمة لدى الشعب المجري والقرغيزي مثلا فيجد ان القرغيز لم تطرأ على مفرداتهم الكثير من التغيير مقارنة مع الشعب المجري الذي حدث فيه تغيير كبير في المفردات ودخول العديد من المفردات التركية في لغاتها(٢٥).

من سمات كتابات فامبري تقديمه وصفا للقبائل التركية التي كانت تعيش في منطقة آسيا الوسطى نتيجة تعايشه معهم ولمدد طويلة ففي معرض كلامه مثلا عن القرغيز يذكر "هم الاكثر عددا بين البدو والمستوطنين الآخرين في اسيا الوسطى يرتدي الرجال القبعات المصنوعة من اللباد والكالباج فصل الصيف والمبطنة بالفراء فصل الشتاء ,والتي تتدلى قطعها من الخلف لحماية الرقبة, ويرتدون سترة واقية للبرودة لكني استخدمها في الخارج فقط, وترتدي النساء غير المتزوجات سيوكيتي الذي يختلف عن بقية القبعات التركمانية اذ تكون اكثر مخروطية...وهناك خصال شعر تدلى على صدورهن...اما القرغيز الساكنين في الغرب فيفضلون الشكل الروسي في نوع الأحذية اما الشرقيون فيفضلون الحذاء ذو الكعب العالي الضيق ذو انحناء حاد ,دينهم الدين الاسلامي في جميع انحاء العالم تقريبا دخلوا الاسلام منذ عهد الدولة السامانية, ونستنتج من سلوكهم الاجتماعي انهم في حالة استرخاء للغاية "(٢٦).

ورغم ان هذه المشاهد التي رءاها فامبري عن القرغيز وقبائل اسيا الوسطى التركية فهي بالحقيقة تحاكي ان لم تكن مطابقة لحياة القبائل التركية في آسيا الوسطى إبان الحكم الاسلامي للمنطقة في العصور الوسطى فطيلة الحقب الماضية وحتى عهد فامبري لم يطرأ تطور ملموس على حياتهم الاجتماعية لابتعادهم كليا تقريبا عن تغيرات الثورة الصناعية التي شملت اتراك الدولة العثمانية او روسيا.

كما انه عند حديثة عن مدينة بخارى يؤكد على مركزها التجاري المحوري بحيث تأتيها البضائع من جميع الاصقاع خاصة الاقمشة والحرير والملابس المصنوعة في اسيا الوسطى

والهند, ويمر بها الحجاج المتوجهين الى مكة كما قدم وصفا عمرانيا للمدينة ومساجدها على عهد اسماعيل الساماني والمدن والقرى المحيطة ببخارى(٢٧).

والغالب على كتاباته عن اسيا الوسطى واحوالها صفة المذكرات اليومية التي وصل في كتابة ان يؤرخ اليوم بتاريخ شهر ويوم يسرد مشاهداته كما في كتاب (صور من اسيا الوسطى)الذي اصدره سنة ١٨٦٨م (٢٨).

وغالبا ما تنشر هذه المذكرات اليومية التي جمعت احداثها في صفحات عديده متوالية الى كتب تستهوي القاريء الاوربي لندرة المادة عن المنطقة او مقالات في صحف علمية رصينة تصدر في لندن او بودابست .

ومن سلبيات منهجه في الكتابة التاريخية كما هو الحال في كتابة(تاريخ بخارى منذ اقدم الازمنة الى وقتنا الحاضر)هو عدم ذكر هوامش لمصادرة وانما هو يقرأ مادة المصادر ويفهمها ثم يسوق نصا من عنده متوافقا مع مادة المصادر التي اعتمدها من دون الخوض في مقارنات بين الروايات وتواريخ الاحداث كمؤرخين اخرين تناولوا المنطقة ذاتها بلاد ما وراء النهر كبارتولد ,ففي كتابة الوحيد الذي يحمل صفة كتاب تاريخ وليس رحلات تحوي ضمنا مادة تاريخية وهو(تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى وقتنا الحاضر)نجد اشارته لهوامش المادة التاريخية لمتن كتبه لا تتجاوز ١٠% وفي حالات تستوجب من وجهة نظره .

كما انه يأخذ مادته من مصدر واحد قد تكون صفحة كاملة كان تكون من الطبري او النرشخي ساردا الاحداث كاملة ليعقب في نهاية الرواية بما يتفق مع فحوى الرواية من دون تفنيد او اجراء مقارنة مع رواية اخرى لتمييز الحقيقة او حتى التشكيك فيها فيما كانت رواية مفرده رويت في كتاب مؤرخ واحد.

ومن الجدير بالذكر ان ابرز المستشرقين الذين نهجوا نهج فامبري في دراسة تاريخ الترك عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة هو المستشرق الروسي ذو الاصول الالمانية فاسيلي فلادميروفتش بارتولد الذي كمل على دراسات سلفه فامبري في دراسة المنطقة بما يقارب الاربعين عاما مبتدأ مؤلفاته بكتابة والتي كانت في الاصل اطروحته للدكتوراه سنة ١٨٠٠م واستهدفت دراسته (تركستان حتى الغزو المغولي)منطقة اسيا الوسطى ولاسيما بلاد ما وراء

النهر واعقبها دراسات اهتمت بالحقبة التي تلت حكم تيمور لنك والشيء الذي ميزت رحلات الاخير عن فامبري هو الدعم الحكومي له سواء عهد روسيا القيصرية او بدايات الحكم الشيوعي السوفيتي كون المطقة تقع تحت السيطرة الاستعمارية للروس ومن بعدهم السوفيت.(٢٩).

رابعا. سبب واسلوب تأليف كتاب تاريخ بخارى منذ اقد م العصور حتى وقتنا الحاضر:

في سنة ١٨٧٠م الف فامبري (تاريخ بخارى من اقدم العصور الى وقتنا الحاضر) الذي سندرسه,استند فيه على مخطوطات غير معروفة وركز على علاقات بخارى بالمناطق المجاورة ,كما تناول بالتفصيل الدور التاريخي للعرب والسامانيين والاتراك والسلاجقة والمغول والتيموريين ,والاوزبك والشيبانيون وغيرهم في بخارى, واضاف فامبري الى هذا التقرير قدرا كبيرا من المعلومات حول الجغرافيا ,والاديان ,واظهر معرفة ملحوظة بتاريخ آسيا الوسطى ودخا في العديد من التفاصيل ,وزعم انه اول تاريخ للمدينة, حيث قدم مقدمة للكتاب قائلا "الآن اقدم ثمار سنوات عديدة من العمل الشاق الى الجمهور اخير"(٣٠).

والكتاب يتناول تاريخ بخارى قبل الاسلام وحتى عام ١٨٧٠م,يجد فيه القاريء العصر الساماني بمدينته العظيمة بخارى ثم العهود :السلجوقية ,والايغورية, والخوارزمية ,ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الغزو المغولي الجنكيزخاني ثم التيموري ,وينتقل الى الاوزبك ,والشيبانيين والاسترخانيين, والمنغتيين وبعد ذلك يذكر خانية خيوه وخوقند وكاشغر وينهي حديثه بما كان خضوع هذه المنطقة لأسرة رومانوف, واسلوب الكاتب علمي خالص ,فهو مؤرخ وسياسي وحضاري يضع امام القارئ صورة للحياة السياسية للعصر الذي يتحدث عنه ,كما تأخذ الاوضاع الاجتماعية والحضارية من جهده الكثير وهي اكثر مشقة في البحث من السرد السياسي للتاريخ...وحسبنا ان نتصور ان اكثر المراجع الشرقية التي رجع اليها كانت مخطوطة وآنذاك (٣١).

واكد فامبري ان معلوماتنا عن التاريخ الغابر لشعوب اسيا لم تبدأ في الزيادة الا في القرن السابع عشر اذ كانت قبل ذلك مجرد اخبار سطحية طفيفة ,وبخصوص منطقة بلاد ما وراء النهر فان التاريخ لا يعرف عنها شيئا بالقياس الى غيرها ,"لاسيما فجر تاريخ تلك

الامة التي تقطن آسيا الوسطى ,تلك البلاد التي وثقت مجريات السياسة الحديثة من صلاتها بنا برغم موقعها الجغرافي القصي ,ولتحقيق هذه الرغبة ,اقدمت برغم قلة المصادر ,وضالة الامكانيات على محاولة الاضطلاع بهذا العمل الذي لا يخلو من مشقة, الا وهو تدوين اول تاريخ لبخارى ,وفي الواقع كنت افكر منذ اول شبابي في شؤون هذه المنطقة البعيدة ,حتى افنيت كل شبابي في التأهل والاعداد النشيط لهذا ,فضلا عما قمت به من رحلات مضنية في سبيل ذلك...ويبدو ان القدر هو الذي هيأ لي ان اقتحم مناطق لم يسبقني اليها احد من قبل تقريبا او على الاطلاق ,وها انا ذا علي الان ان استكشف بالقلم حقولا جديدة كل الجدة مكتفيا في ذلك ,مع الاعتذار الشديد ,ببيان المراجع القليلة التي لا تجدي بدونها اية طريقة للدرس مهما عظمت"(٣٢).

ويقسم فامبري تاريخ بخارى الى قسمين الاول تاريخ قديم وهو تاريخ بلاد ما وراء النهر ,والثاني تاريخ حديث وهو تاريخ خانية بخارى ورغم ان الفترة التي تأتي بعد نهاية حكم تيمور لم تكن آيا الوسطى موضع اهتمام المؤرخين ,ومع ذلك استطعنا ان نستلخص من عندهم اهم ملامح ذلك الماضي هناك(٣٣).

وفي كتابة ورغم مسمى الكتاب تاريخ بخارى الا انه يستعرض تاريخ بلاد ما وراء النهر وتعاقب القوى السياسية في السيطرة عليها وكانه تاريخ لبلاد ما وراء النهر اكثر منه تاريخ لبخارى.

ولفامبري اسلوب رصين ,وخالي من التعقيد في الكتابة التاريخية حتى يمكن فهمه من اي شخص يجيد القراءة ,وغالبا ما يغير بالنص الاصلي الذي يقتبس منه ليجعل منه اكثر وضوحا ليتبعها بتعليق منه على النص ,واحيانا ما يمهد للموضوع الذي ينوي الخوض فيه ليهيئ القاريء لفهم الموضوع بسهوله ويسر ,ورغم بالبساطة التي اتبعها في طرح مواضيعه الا انه كان حريصا بإيصال المعلومة الصحيحة قدر المستطاع من دون اسلوب السرد المطول او الوقوع في مبالغات المصادر التي اعتمدها سواء في تضخيم الانجازات الحضارية لأحدى الممالك او ذكره لأعداد القتلى ,ولكن من عيوب كتابته والتي لم تؤثر على اهمية كتاباته العلمية حتى وقتنا الحاضر هو عدم قيامه بتحليل مصادره وبيان اهميتها

في اخراج مؤلفه بهذا الشكل لاسيما وانه الف (تاريخ بخارى)وغالبية مصادره لم تكن معروفة للباحثين آنذاك ,فيأخذ من مادة مصادره من دون تحليل للمصدر نفسه او اجراء مقارنة بين مادة المصادر لتغليب نص على الآخر ,ورغم هذا العيب في كتابته الا انه لا نجد خلل واضحا في المادة التي طرحها في كتابه عدا النزر اليسير من الهفوات التي وقع فيها.

كما نجده لا يتوانا في انتقاد سلوكيات الفاتحين العرب من وجهة نظرة التي اثقلت كاهل السكان في مدن بلاد ما وراء النهر ,الا انه في موضع آخر يثني على المسلمين لإسهامهم في ازدهار حضارة مدينة بخارى وسمرقند عهد الدولة السامانية, ومن جانب آخر يحمل الغزو المغولي تداعيات الانهيار الحضاري الذي اصاب المنطقة وفصل المدينتين عن بقية مدن العالم الاسلامي.

ونجد انه في ختام مقدمته عن كتابة يذكر "ها انا اقدم الآن ثمار عمل سنين طويلة الى الجمهور الكريم, ولكم تمنيت ان يتم هذا العمل وفيه من الخطأ والزلل اقل قدر ممكن ,ومهما يكن من شيء فأن كتابة تاريخ اي قطر من الاقطار لأول مرة هو دون شك عمل صعب شاق ,ويضاعف تلك المشقة ان يكون هذا القطر المعني لم تنجل عنه, الا في الجيل الحاضر ,تلك الظلمة الكثيفة التي ظلت تكتنف تاريخه لقرون"(٣٤).

خامسا .موارد كتاب تاريخ بخارى:

اكد فامبري في مقدمة كتابه تاريخ بخارى على قلة المصادر والامكانيات في محاولته تدوين أول تاريخ لبخارى ,مبينا انه سخر معظم شبابه في التأهب والاعداد النشيط لهذا العمل من خلال رحلات مضنية للمنطقة (٣٥).

يتماشى تقسيم مصادر فامبري مع تقسيمة لتاريخها قديم وحديث والذي يهمنا منها تاريخها القديم المرتبط بتاريخها الاسلامي الوسيط ويأتي في مقدمتها

١. تاريخ الطبري ,تاريخ الرسل والملوك لما انفرد فيه من ذكر روايات مهمة عن فتوحات المسلمين لما وراء نهر جيحون .
٢. تاريخ بيهق لأبو الفضل البيهقي بوصفه كتابا لتاريخ بلاد ما وراء النهر ابتدأءا بسيرة سبستكين الى مسعود الغزنوي ,وامراء كاشغر وسمرقند المستقلين .

٣. روضة الصفا لميرخوند ,وحبيب السير لخواندمير وعلم اراي عباسي وتاريخ صفوي.
٤. تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني الذي عده فامبري المرجع الاهم في تاريخ بلاد ما وراء النهر وتاريخ الترك عموما لاسيما غزوات المغول للمنطقة.
٥. ظفر نامة لشرف الدين يزدي وهو سيرة تيمور لنك .
٦. مطلع السعدين لكمال الدين عبد الرزاق(ت ٨٨٧هـ/١٤٢٣م) الذي عاش بهراة ابان فترة ازدهار الحكم التيموري ,ويعد هذا الكتاب بحسب فامبري من امتع الكتب العلمية التي كتبت عن فترة بعينها في تاريخ الشعوب الاسلامية بآسيا.
٧كتاب بابرنامه
٨. شيباني نامه يتعلق الكتاب بتاريخ الاوزبك وبطلهم شيباني خان المبكرة منذ بدأ تجواله في حوض نهر سيحون الادنى رغم سطحية واقتضاب ما قدمة المؤلف عنه,
٩ .كتاب رشيد الدين فضل الله جامع التواريخ لما يحويه من معلومات متعلقة بتاريخ المنطقة تحت الاحتلال المغولي.
١٠. كتاب النرشخي لأبو بكر محمد بن جعفر وكتبه سنة ٣٣٧هـ او ٣٣٢هـ بعنوان (اخبار بخارى)ورغم ان الكتاب كتب بالأصل بالعربية الا انه ترجم الى الفارسية بعد ١٥٠ عاما وهي النسخة التي اعتمدها فامبري في مؤلفة والكتاب يتناول تاريخ بخارى وما حولها واسوارها وابوابها وقصورها وقنواتها ونظام الحكم فيها وطريقة جباية الخراج وتاريخ الحكم الساماني للبلاد وخاصة بخارى والمدن المجاورة لها, وتفاصيل الفتح العربي لبلاد ما وراء النهر في تفاصيل لا نجدها عند غيره.
١١- كتاب شيباني نامه وهو متعلق بأعمال شيباني خان.
١٢. تاريخ سيد راقم حوليات فارسيه عادية الا انها تكشف العلماء والاعيان والشيوخ في الحقبة ما بين ٧٠٠هـ/١٠٥٥م الى عام ١٠١٣هـ/١٦٤٥م (٣٦).

ويضاف الى هذه المصادر الاولية التي اعتمدها فقد اشار انه افاد من كل ما يشير الى تاريخ بلاد ما وراء النهر في اسفار الشرق ,مما هو منشور منها ومما هو مخطوط ,او في الكتب الاوربية وكتب التراجم والرحلات (٣٧).

وعموما فقد استخدم فامبري العديد من المخطوطات التي تتبع اماكنها في مختلف مكتبات العالم كما انه لم يغفل الدراسات الحديثة الاوربية عن المنطقة ومن الجدير بالذكر انه اشار الى تفاوت مادة المصادر مما قد كان يوقعه في فخ تفاوت فصول المادة المعروضة في الكتاب مما جعله لا يسهب في عرض بعض المواضيع رغم توفر مادة المصادر عنها في كتابه بقوله" ولكني لم اخاطر بهذا الصنيع ,ذلك لان قلة المصادر ..كانت تؤدي حتما الى الاخلال بتنساق الكتاب وكما سيتجلى واضحا للعيان جفاف بعض الفصول وضآلة شأنها بالنسبة لغيرها, وكان هذا ما دعاني الى ان امسك عن تفصيل اية واقعة من وقائع الخانيات المجاورة لبخارى او تناول شؤونها "(٣٨).

سادسا .بلاد ما وراء النهر جغرافيا:

كواقع تاريخي جغرافي فبلاد المشرق الاسلامي هي البلاد التي كانت تتبع الامبراطورية الفارسية القديمة بمسمياتها المتعاقبة, فبعد تحريرها من قبل المسلمين اصبح يطلق عليها تسمية(المشرق الاسلامي)وهي الاراضي التي تلي العراق بحسب المستشرق الانجليزي غي لسترانج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) وكانت تعرف سابقاً عند العرب المسلمين بخراسان, وبلاد ما وراء النهر (٣٩).

ففي زمن الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)(٢٣.١٣ هـ/٦٤٤.٦٣٤م)وبعد التحرير الاسلامي للعراق اثر معركة القادسية سنة ١٤هـ /٦٣٥م,حدثت سنة ٦٤١/٢٠م للهجرة معركة نهاوند ,او ما سماه العرب المسلمون معركة (فتح الفتوح)التي انتصر فيها العرب على الفرس ,وعلى اثرها سقطت مدن فارس واحدة تلو الأخرى بيد العرب المسلمين, وهرب الملك الساساني يزدجرد الثالث حتى قتل في مدينة مرو على صاحب طاحونه فارسي طمعاً بما كان يرتديه ومن دون ان يعرف من هوه , ليرث المسلمون كل الاراضي التابعة للدولة الساسانية, وهي خراسان التي, اضيفت اليها لاحقاً بلاد ما وراء النهر عهد بني أميه على يد القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي وهي الارضي الواسعة من آسيا الوسطى المحصورة بين نهري سيحون وجيحون, وعلى هذا فان اقليم المشرق الاسلامي يشمل كل من ايران (فارس, كرمان, مكران, لورستان, الاهواز) والجزء الجنوبي الغربي من روسيا المُحاذي لبحر قزوين

,ويضم ايضاً افغانستان, والجمهوريات الاسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي(اوزبكستان, وتركمانستان, وكزخستان, وطاجكستان, وقيرغيستان)وافغانستان ,وباكستان (السند احدى اقسامها الاربع)وشمال غرب الهند (البنج آب اي الانهار الخمس) ,وعلى هذا الاساس فان حدود المشرق الاسلامي ,بعد استثناء العراق الذي اصبح مركزاً للخلافة العباسية تمتد من الحدود الشرقية للعراق وتركيا الحالية غرباً الى هضبة التبت ,والصين شرقاً ,ومن دلهي غربي الهند جنوباً الى الحدود الجنوبية من روسيا الحالية شمالا, وأصبحت هذه البلاد ولايات إسلامية, تتبع الدولة العربية الاسلامية, وفي غضون قرن ونصف كان غالبية سكان (ايران ,واذربيجان) قد تحولوا الى الاسلام.(٤٠).

اما الترك من سكان بلاد ما وراء النهر والتي هي في العُرف الجغرافي تعُرف بتركستان الغربية, فقد تدرج تحولهم للإسلام لثلاثة قرون لاحقة بسبب بعد مناطقهم عن مراكز الحضارة الاسلامية ,وطبيعة معيشتهم الرعوية القائمة على الترحال والانتقال المستمر من منطقة الى اخرى بحثاً عن المراعي الخصبة (٤١).

كان اقليم المشرق الاسلامي او ما يسميه العرب المسلمون آنذاك خراسان مقسماً الى اربع اقسام ادارية يحكم كل قسم منها مرزبان عهد الدولة الساسانية, وهي في الواقع اربع حكومات كبيرة مدنية او عسكرية(اصفهباد)وهي اذربيجان في الشمال الغربي, وفارس في الجنوب الغربي, وسجستان في الجنوب الشرقي, وخراسان في الشمال الشرقي, وهي تنطبق على الاتجاهات الكبرى الاربع ,لان اذربيجان تفتح الباب على ارمينية والقوقاز وباب زكروس يطل على بلاد ما بين النهرين ,وباب قندهار الى الهند, وباب خراسان الى السهل الطوراني واسيا الوسطى, وفي العهد الاسلامي ظلت المشرق الاسلامي مقسمة اربعة اقسام(ارباع) ايضا واحتفظ العباسيين بهذه التقسيمات الكبرى للأقاليم الايرانية , ومما يؤيد تقسيم خراسان الى ارباع نص اليعقوبي الذي اورده في ولاية عبد الله بن عامر(ت٥٩هـ/٦٧٨م) بانه صير خراسان ارباعا ,وكانت مدن ما وراء النهر ملحقة ادارياً بخرسان عندما سيطر عليها المسلمون في وقت لاحق, وهي بحسب وصف البلدانيين المسلمين من الغرب الى الشرق كلاتي:

القسم الاول(إيران شهر)وهي:

نيسابور, بيهق, , قهستان, وهراة, وبوشنج, وباذغيس,وطوس,سجستان ,كرمان ,مكران, فارس.

القسم الثاني (مرو الشاه جان)وهي:

سرخس, نسا, ومرو الروذ, الطلقان, جوزجان, باذغيس, ابيورد, هزارأسب,وعلى ضفاف نهر جيحون الغربي مدينتي خوارزم, وآمل.

القسم الثالث(بلاد ما وراء النهر) وهي المدن التي تقع على ضفاف نهر جيحون الغربي وهي:

ختل, الباميان ,خست, بذخشان, ترمذ, طخارستان, سمنجان, الصغانيان ,الباميان ,الفارياب, الترمذ وهي شرقي بلخ ,بذخشان وهي مدخل الناس الى التبت ,ومن اندرابه مدخل الناس الى كابل , طخارستان السفلى .

القسم الرابع(بلاد ما وراء النهر)وهي المدن التي تقع بين نهري جيحون وسيحون وعلى ضفاف نهر سيحون وهي:

بخارى, الشاش ,الطرابند ,الصغد ,نسف ,الرويتان ,بناكت ,الرويستان , أسروشنه, فرغانه ,سمرقند, بناكت ,سنام قلعة المقنع ,نسف .(٤٢).

واشار فامبري في هذا المجال ان المتعارف من تسمية بلاد ما وراء النهر انها البلاد التي تقع الى اليمين من حوض نهر جيحون الا ان بعض الجغرافيين المسلمين كالبلخي يضيف مناطق من الجانب الايسر بحوض نهر جيحون الاعلى لها والسبب ان الحدود السياسية للإقليم ومنذ عهد السامانيين الذين كانوا ابناء هذا الجزء من خراسان حكمهم موحد بعد امتداد سيطرتهم العسكرية الى ما وراء نهر جيحون, وحتى العصر الحديث مناطق الطالقان وطخارستان وزم تعبر اجزاء مكملة لبخارى برغم وقوع اقسام منها او وقوعها كلها على الشاطيء الايسر لجيحون(٤٣).

واضاف انه كانت مدن ما وراء النهر ملحقة اداريا بخراسان لان ما ذكر من هذه البلاد كان مضمونا الى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها(٤٤).

وبين ان هذا الاقليم توسع شرقا حتى اصبح يضم مدن في حوض نهر سيحون شرقا اذ اصبحت المنطقة اداريا تخضع لسلطة ادارة واحدة متمثلة بالسامانيين او الغزنويين او السلاجقة ووقد كانت قبيل سيطرة تلك القوى الاسلامية خاضعة للترك ,وكانت حاضرة هذا المنطقة الواسعة هي مدينة بخارى والتي كانت ايام ازدهارها اعظم مدن العالم الاسلامي(٤٥).

رابعا. الفتح العربي لبلاد ما وراء النهر :

وضع فامبري عنوانا لفصله الثاني (غزوات العرب وانتشار الاسلام)والذي هو عبارة سياق تاريخي يؤكد بالدرجة الاولى على انها غزوات غايتها الاستيلاء على الغنائم وتحقيق المكاسب مبينا ان هذه الغزوات نحو ما وراء النهر بدأت على عهد زياد بن ابي سفيان(زياد بن ابيه)سنة ٤٦هـ/٦٦٦م,ومن بعده ابنه عبيد الله بن زياد بأمر من معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٤هـ/٦٧٢م (٤٦) وبعد ان اصبح واليا على خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة وتم الصلح مع تركان خاتون بعد هزيمة جيشها بالف الف ودخل مدينة بيكند (٤٧).

ومن العبارات التي ذكرها فامبري بهذا الخصوص "فلا عجب ان نرى هؤلاء العرب يستهويهم ما عرف عن بلاد الصغد من الثراء فيغزونها ,الغالب انهم اقتحموا هذه البلاد حتى شواطئ جيحون دون خطة مبيته للغزو"(٤٨).

وعند مهاجمة العرب لبخارى من دون ان ينجحوا في السيطرة عليها يذكر "وحمل المسلمون معهم عند رجوعهم الكنوز والاسلحة والثياب وادوات الذهب والفضة وكان من بين ذلك نعال الملكة مرصعا بالأحجار الكريمة قومت بعشرين الف درهم وقد خلب منظرها لب ابناء الصحراء العربية اصحاب الفطرة حين اطلعوا عليها ,وانزل هؤلاء الغزاة الخراب بكل المناطق التي مروا بها في تقهقرهم حتى اقتلعوا الاشجار التي صادفتهم في طريقهم "(٤٩). ولإنقاذ الملكة خاتون بلادها بخارى من الخراب قدمت جزية سنوية مقدارها الف الف درهم ولم يمنع ذلك مهاجمة العرب لبخارى بعد ثلاث سنوات بقيادة سعيد بن عثمان ذاكرا فامبري واستولوا عليها,وانه(القائد المسلم) شغف بالملكة خاتون حبا من دون ايضاح ذلك عدا

الاغاني التي يرددها اهالي بخارى ,واعقب ذلك التوجه من بعدها الى الصغد وسمرقند وبقية مدن بلاد ما وراء النهر (٥٠).

"اقبل بقية جند العرب فقاتلوا الترك حتى هزموهم, وبلغت الغنائم من الكثرة حتى خص كل جندي ما يقوم بعشرة آلاف درهم"(٥١).

ويتكرر الأمر ثانية عهد ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)على خراسان التي افتتحت اجزاء شاسعة من بلاد ما وراء النهر ارسله الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ ٩٥هـ/٦٦٠ م - /٧١٤ م) سنة ٨٦هـ/٧٠٤م لنشر الاسلام ,وهنا وللمرة الثانية يبين فامبري انه بعد تولي قتيبة توجه الى فتح اراضي ما وراء النهر كما فعل سلفه عبيد الله بن زياد عهد معاوية بن ابي سفيان, وما ان ثارت بيكند بسبب من نصبه واليا عليها,وهو ورقة بن نصر الذي جر الكارثة على نفسه وقتل بسبب انه حمل الى داره فتيات جميلات لم يصبر ابوهن على تدنيس شرفه, مما اثار غضب قتيبة فعاد الى المدينة وامر بنهبها واحراقها وبقتل كل من بها من البالغين وسبي النساء والاطفال ...ولنا ان نتصور مبلغ ما كان عليه بدو الصحراء البسطاء من لهفة للاستحواذ على كنوز المغلوبين المكدسة"(٥٢) ,وهي رواية مقتبسة من النرشخي مفادها انه اخذ فتاتان جميلتان من ابوهن فوثب الرجل وطعن ورقه بسكين في صرته ولكنها لم تكن القاضية ولم يقتل فلما بلغ قتيبة الخبر عاد وقتل من كان ببيكند من اهل الحرب جميعا وكان اهل بيكند نجارا الى نهاية الرواية التي اقتبسها فامبري عن النرشخي الذي نجده يترحم على ابو مسلم الخراساني حصرا في كتابه مما يؤكد حقده على قاتليه ممن يمثلون الخلافة العباسية (٥٣). في حين لا نجد اثر لمثل هذه الرواية عند البلاذري وهو من خصص كتابة للفتوحات الاسلامية حصرا مما يجعلها مثارا للشك ,رغم اشارة البلاذري الى فداحة الخسائر البشرية التي اصيب بها سكان بعض المدن المنتفضة ضد الوجود العربي كخوارزم (٥٤).

ومن هذه النصوص وغيرها التي ذكرها فامبري نجده يؤكد على الصورة النمطية التي كونها الاستشراق للفتوحات العربية الاسلامية ,وإن كانت تحمل شيئا من المصداقية في بعض الجوانب لاسيما عهد الدولة الاموية ,ولكن ليس بالشكل الذي يصوره فامبري للقارئ

بحيث يجعل من فتوحات العرب دون تخطيط سوى الحصول على الغنائم وكأن بلاد ما وراء النهر لم تكن جزءا من اراضي الدولة الساسانية التي سقطت بيد المسلمين والتي لابد من اخضاعها خشية محاولة الصين السيطرة عليها بعد الفراغ الاداري الذي اعقب نهاية الحكم الساساني فيها

كما انه يرسم مقاربة غير مباشرة بين تصرف جنكيزخان عند احتلاله مدينة خوارزم مع تركان خاتون حاكمة المدينة وتصرف القائد العربي الفاتح لمدينة بخارى.

وفي وصفه للعرب بالبداوة مقارنة بالترك غاية في التناقض والاخيرين فالأخيرين آنذاك كانوا اكثر بداوة من العرب بمراحل ,كما ان املاك الترك مقارنة بإملاك الدولة الساسانية في خراسان والعراق تعد قطرة في بحر مما يبين الصورة النمطية التي يحملها المستشرقون بصفة عامه عن الفتوحات الاسلامية ,وان وجدت لها جذور في بعض المصادر الاسلامية فهي غالبا ما كانت تفتقر لمنهج التمحيص التاريخي بل كانت حريصة على جمع اكبر عدد من الروايات عن كل حادثة تاريخه وان كانت متناقضة احيانا تاركا للقاري اقتناء الصحيح منها كما انها لا تخلوا من بعض التعصب تجاه العرب الفاتحين لبلادهم مهما صح اسلام مدونيها فللأسف تاريخ العرب كتب بأقلام غير العرب وخاصة اقليم المشرق الاسلامي اذ كتب بيد مواطني الاقليم من غير العرب لاسيما الفرس.

غير ان الغير متلائم مع ما سبق ما اختتم فامبري وصفه لقتيبة بن مسلم الباهلي عند مقتله سنة ٩٦هـ/٧١٧م "ذلك الرجل الذي اقام للإسلام دولة قوية عظيمة في الشرق واجهز على دين زرادشت ذلك الدين الذي اثخنته الجراح في القادسية والنهروان ,وغرس مكانه تعاليم الاسلام في ارض كانت على الدوام اخصب البقاع حمية وتحمسا لهذه العقيدة الجديدة(٥٥).

ثامنا .الحكم الساماني لبلاد ما وراء النهر:

شهدت بخارى تطورا حضاريا مهما بعد ان صارت حاضرة السامانيين, حيث بلغت شهرتها الآفاق ,وكان اسماعيل بن احمد الساماني (٢٧٩-٢٩٥هـ/٨٩٢-٩٠٧م)اول من جعلها مقرا لحكمه بعد ان حلت محل سمرقند, وقد افاض الرحالة والجغرافيين في وصفها

وهي من اقدم مدن تركستان, بنيت قبل الاسلام بقرون عدة اشتهرت بأسواقها المختلفة وبمساجدها بعد دخول الاسلام اليها سكنها العرب الى جانب الترك عهد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ,وكانت معقلا للدراسات والمناظرات العلمية التي حضرها احيانا امراء السامانيين(٥٦).

ذكر فامبري ان حاجة المأمون لفرض سيطرته على بلاد ما وراء النهر التي لم يكتب لها الاستقرار منذ نهاية الحكم الاموي الى كسب ود السامانيين "تلك الاسرة التي يدين لها اقليم جيحون, وتاريخ بخارى المستقل بخاصة بأبهى عصوره"(٥٧).

وتبدأ الحكاية عندما استنجد امير خراسان اسد بن عبد الله بأحد اعيان بلخ من بقايا الزرادشتين ,ويدعى سامان ليوليه على بلده فاعتنق الاسلام وسمى اول اولاده اسد الذي رزق بأربعة اولاد الذين عاصروا المأمون وقضوا على الخارجين على المأمون فكافئهم على صنيعهم, فاقطع نوح سمرقند .واقطع احمد فرغانة ,واقطع يحيى طشقند, واقطع الياس هراة(٥٨).

ويرجع فامبري الى استقرار البلاد عهد السامانيين الفرس على عكس ولاتها العرب "مرد ذلك كان ان العقيدة الاسلامية لم تقض القضاء كله على الشعور بالقومية بين الفرس ,ذلك ان عمال الخليفة من العرب كانوا مكروهين من الاهلين خلاف العمال من اهل البلاد انفسهم ,وهذا السبب الحقيقي الذي مكن لحفنة من العسكريين حبن تمردوا على الخليفة ,من ان ينجحوا في تأسيس دولة جديدة لهم ,وفي هذا كله تفسير للسهولة التي استطاع بها اسماعيل ان يؤسس دولة له دولة مستقلة كان قيامها هدفه الحقيقي منذ اول الامر برغم ما كان يظهره من الخضوع للخليفة ,ولم تعد بخارى مجرد حاضرة وحسب, وانما صارت مركزا لكل النشاط والحركات الفكرية التي ظهرت بعد ذلك في القسم الشرقي من بلاد الدولة الاسلامية ,وحين قضى العرب على كيان ايران القومي وبعد واقعة القادسية ,واجتاح ابناء الصحراء العربية بلاد فارس بقت ذرات الحضارة الفارسية تحت المعابد في ايران الشرقية خاصة عند بلخ وبلاد ما وراء النهر ,ليذكي من نارها السامانيون من بعد ذلك حتى اشرقت اسلامية خالصة في اتجاهها"(٥٩). ويصيب فامبري في رأيه هذا كبد الحقيقة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار

ان الثورة العباسية في خراسان كان مادتها الاساس الفرس بقيادة ابو مسلم الخراساني الذي باءت محاولاته في الحصول على ولاية خراسان ,وادى مقتلة الى قيام اضطرابات في شرق ايران ,فقامت العديد من حركات التمرد والعصيان بوجه الحكم العربي العباسي وربما اعتبره البعض احد خلفاء زرادشت الذين انتظروا رجعته ليملأ الارض عدلا ويعيد مجد الدولة الساسانية, ورغم تقريب العباسيين لأسرة البرامكة الفارسية ,الا ان ذلك لم يجدي نفعا في الرغبة بحكم شبه مستقل خاضع لأسرة فارسية في خراسان وهو ما تحقق لاحقا فالشيء الذي لم يحققه الفرس وقائدهم ابو مسلم الخراساني عهد المنصور العباسي في السنوات الاولى للخلافة العباسية ,نجدهم حققوه بعد جيلين فقط ,وتحديدا ٦٦ سنة ,عندما قدم قائد الجيش العباسي في خراسان طاهر بن الحسين الفارسي الخراساني دعمه هذه المرة للمأمون بن الرشيد بن المهدي بن ابو جعفر المنصور (٦٠).

فادرك المأمون والخلفاء الذين اعقبوه خطورة المرحلة التي تمر بها الخلافة العباسية فاستقر رايهم في الاخذ بمبدأ اللامركزية في حكمهم وعلاقتهم السياسية والادارية مع خراسان, فكان تعيين الاسر الايرانية في خراسان ضرورة ملحة لإخماد الميول الفارسية التي ترمي الى الاستقلال عن الدولة العباسية ,والتفرغ لمواجهة هجمات الترك في بلاد ما وراء النهر ,وحاول المأمون الاستفادة من هذا الاجراء بتعيين اسرة فارسية على خراسان رغما عنه بأن يضرب الفرس بالفرس لإخماد الميول الفارسية ومراقبتها عن كثب واحلال روح الاستقرار والهدوء في خراسان .

وما انطبق على خراسان ينطبق على بلاد ما وراء النهر التي كانت فيها العديد من الاسر الفارسية التي تمتد بجذورها في المنطقة لعقود طويلة من الزمن

ويؤكد فامبري على مكانة بخارى في العلوم الدينية على عهد السامانيين ذاكرا سلسلة من العلماء منهم البخاري شيخ المحدثين صاحب جامع الصحيح ويختتم مقاله في هذا المجال بقوله "والامراء في ان السامانيين الاوائل, بما بذلوه من جهود موفقة بإزاء لغة ايران الاصلية ,جديرون بكل ثناء اكثر من غيرهم من الامراء اصحاب اللسان الفارسي ممن حكموا اسيا حتى اليوم"(٦١).

فكانت بلخ وسمرقند وبخارى تحت حكم السامانيين هي الملاذ الاثير عند العلماء المسلمين الحريصين على الاستمساك بأدق دقائق الشرع والسنة, وبهذا ازدهرت علوم الدين بآسيا الغربية

على الصورة التي عرفتها مكة والمدينة نفسها ,واصبح لبخارى سيادة على مختلف قبائل آسيا الوسطى حتى على عهد الدولة الغزنوية اذ بدو كأنهم خلفاء لآخر اسر فارسية حكمت ارض الحضارة الايرانية القديمة(٦٢).

تاسعا .السيطرة السلجوقية على بخارى وبلاد ما وراء النهر:

ينحدر السلاجقة من احدى القبائل الغزية, ينتمون الى جدهم سلجوق بن دقاق كان تابعاً لاحد خانات تركستان الشرقية (سهوب القرغيز)بيغو, وقائد لجيشة, والذي دخل الاسلام, وترك الخدمة في بلاط بيغو, وغادر مع قومه الى مدينة (جند) عند مصب نهر سيحون, واقام صلات مع اهله من المسلمين, ويكاد يجمع المؤرخون بأن السلاجقة اخذوا الاسلام عن السامانيين حكام تلك المناطق آنذاك, خلف سلجوق والده في زعامة القبلة الغزية والتي تسمت بأسمة, واصبح يطلقون على انفسهم سلاجقة, وعندما أصبحت الاوضاع السياسية ملائمة في بلاد ما وراء النهر لدخول السلاجقة اليها, حيث كان السامانيون في صراع مع القره خانيين, طلب السامانيون المساعدة من سلجوق في حربهم معهم ,فاستجاب سلجوق واتباعه فشارك في هذه الحرب كحليف لهم, وكان لهذه المساعدة اثرها عند السامانيين الذين مثل لهم السلاجقة الفرصة الاخيرة لمواجهة القره خانيين, فأذنوا لسلجوق واتباعه في الاستقرار على ضفاف نهر سيحون لقاء تعهدهم بحراسة المناطق الحدودية, واتخذ سلجوق من مدينة (جند) قاعدة له ومنها انتشروا في بلاد ما وراء النهر بعد ان اكتملت هجرتهم من تركستان الشرقية, واعتنقوا الاسلام على المذهب الحنفي الذي اخذوه من السامانيين (٦٣).

وفي هذه المدة كان السلاجقة قد انشأوا قوة عسكرية نظامية ,واحتل الابن الاكبر لسلجوق مركز الزعامة, وادرك محمود الغزنوي ما للسلاجقة من قوة وبأس وشعر بمدى الخطر الذي يمكن ان يشكلوه على دولته فقرر القضاء عليهم فاستعمل الحيلة للقبض على اسرائيل فارسل اليه يدعوه للقائه بالقرب من نهر جيحون لعقد اتفاقية صداقه, وهناك تم

القبض على اسرائيل وبعض خواصه ,وسجن في قلعة في الهند بقى فيها مدة سبع سنوات, كرهينة كفلت لمحمود الغزنوي, استكانة السلاجقة ,وكان لتلك الحادثة اثرها المؤلم عليهم فصمموا على الثائر لزعيمهم والانتقام له ,خلف ميكائيل بن سلجوق أخاه اسرائيل زعامة السلاجقة, وادرك بأن قوة السلاجقة ادنى من قوة الغزنويين, وان من الصواب مهادنتهم, واخذ بجمع شتات قومه ,وارسل الى السلطان محمود الغزنوي يلتمس عبور نهر جيحون الى مدينة (نسا, وباورد)لأن مقامهم قد ضاق بهم ,ان مراعيهم أصبحت لا تكفي مواشيهم, وكان ذلك عام ٣٨١هـ/١٠٢٧م,ووافق محمود الغزنوي على طلبهم متجاهلاً نصيحة حاكم (طوس)له بعدم السماح للسلاجقة بعبور النهر وذلك ظناً منه ان السلاجقة ,قد ضعفوا بعدما حل بزعيمهم ,وانهم لن يجرؤا على التمرد مجدداً (٦٤).

بخصوص هذا الفصل نجد فامبري لا يركز معلوماته على بخارى او حتى بلاد ما وراء النهر بالقدر الذي يتعلق بأصل السلاجقة وتحركات السلاجقة لحين وصولهم الى العراق .

وتبدأ احداث الاجتياح السلجوقي لخراسان سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م اي بعد وفاة السلطان محمود بسنة واحدة فقط عندما طلب طغرل بك من السلطان مسعود بن محمود الغزنوي التوجه من نسا وبيورد الى بقية مدن خراسان الذي قوبل بالرفض مما استفز طغرل وبدأ بالزحف نحو مدن خراسان مما حتم الصدام بينه وبين مسعود وهو ما حدث الا انه المعركة الفاصلة بينهما كانت سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م هزم فيها مسعود هزيمة تامة لاذ من بعدا بالفرار الى غزنه وقد وافاه اجله بعد ذلك بقليل (٦٥).

ونلاحظ ان فامبري يخرج عن صلب موضوعه المتعلق ببخارى او على الاقل بلاد ما وراء النهر ليتطرق الى استقبال الخليفة القائم بأمر الله (٣٩١ - ٤٦٧ هـ / ١٠٠١ - ١٠٧٥ م)، للسلطان السلجوقي طغرل بك (٣٨٥ - ٤٥٥ هـ/٩٩٥ - ١٠٦٣ م) ومن ثم حروب السلاجقة مع البيزنطنيين في الاناضول (٦٦).

ويذكر فامبري بان "ما يثير العجب أن اسرة شيوخ القبائل التركية هؤلاء يعجزون كل العجز في ان يحتفظوا بكيانهم بنجاح في موطنهم القديم فيما وراء جيحون ,وهم الذين بلغوا الى تمكين نفوذهم في كل انحاء الشرق الاسلامي أمدا طويلا ,بل وفي افريقية نفسها,

واسقطوا الكثير من العروش القديمة واقاموا اسر حاكمة كثيرة ,بدأ نفوذ السلاجقة بالتقلص في بلاد ما وراء النهر بنفس النسبة تماما التي اخذت فتوحاتهم تعم ايران وعربستان والاناضول...لدرجة وجد الب ارسلان(١٠٦٣-١٠٧٢) نفسة مضطرا بعد ذلك بسنوات قليلة الى ان يعبر جيحون بجيش كبير في حملة كلفته حياته"(٦٧).

ويعلق فامبري على نهاية دولة السلاجقة بقوله "انتهى حكم اول اسرة تركية في بلاد ما وراء النهر ,ومن العجيب ان نرى اصحابها لم يساهموا في عهدهم بأي نصيب على الاطلاق لرفع شأن موطنهم القديم من الناحية السياسية او في تقدم مواطنيهم الحضاري فهؤلاء السلاجقة ووهم انفسهم من الترك كانوا يتفاخرون بما استولوا عليه من ارضين في آسيا الغربية ويرون ذلك الاقليم الصغير على جيحون غير جدير باهتمامهم في الغالب"(٦٨).

عاشرا .بخارى ,وبلاد ما وراء النهر عهد الدولة الخوارزمية:

تناول في هذا الفصل من كتابة الصراع السياسي الذي احتدم بين السلاجقة والخوارزميين الذين استطاعوا تحقيق استقلالهم ومن ثم تقويضهم للنفوذ السلجوقي في خراسان والقضاء علية ,ومن جانب آخر الصراع المحتدم في بلاد ما وراء النهر حيث العاصمة خوارزم التي تحولت في ازمنتها الاخيرة عنها الى سمرقند بين الدولة الخوارزمية والقره خطاي ومن ثم الغوريين وبعد عقود انتهى الامر بأن اصبحت الدولة الخوارزمية السيد الاوحد لبلاد ما وراء النهر وخراسان(٦٩).

ويبين فامبري نجاح "تكش(٥٦٧-٥٩٦هـ/١١٧٢-١٢٠٠م) في ان يقيم له دولة لا تقل في اتساع رقعتها عن دولة السلاجقة الاولى او دولة السامانيين ,برغم ما كان من ميل اتباعه الى اثارة الفتن ,بل وميل ابنائه بدورهم اليها كذلك (٧٠), ويقصد هنا حرصه على السلام مع دولة القره خطاي في الشرق وان كلفة ذلك دفع جزية الى زعيمهم ,الا ان هذا السلام ينتهي عهد علاء الدين محمد خوارزمشاة بن تكش(٥٩٦هـ -٦١٧هـ/١٢٠٠-١٢٢٠م) الذي دخل في حروب متواصلة استمرت عشر سنوات ,ولولا ظهور كوجلك على

ساحة الاحداث واتفاق مع ضد القره خطاي وتقاسم املاكهم لما تسنى لخوارزمشاه ان يمد حدود دولته الى ضفاف نهر سيحون عند حدود مدينتي اترار وآب(٧١).

ويوضح فامبري العلاقة المتوترة منذ ايام تكش مع الخلافة العباسية اذ ارادت ان تضطلع بالدور الذي كان يلعبه السلاجقة اتجاهها وهو ما كانت ترفضه الخلافة العباسية ومما زاد من الامر سوءا اكتشاف رسائل موجهة من الخليفة العباسي الناصر الى الامير الغوري يحرضه فيها على الخوارزميين عند اجتياح محمد خوارزم لغزنه مما جعله يقرر تغيير الخليفة العباسي الناصر لدين الله(٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)ولكن ذلك اصطدم بالظروف الجوية التي تعرض لها جيشه شمالي العراق ,من دون ان يذكر فامبري هذا الحدث سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م (٧٢) الا ان هذا الامر لم يدم على الدولة الخوارزمية ففي عهد اخر ملوكها علاء الدين محمد خوارزمشاه المتغطرس حدث الصدام مع المغول عهد قاآنها الاول جنكيزخان لوقوع ما يعرف بالتاريخ حادثة أترار (٧٣).

من اللافت للانتباه ان فامبري لا يذكر بداية العلاقة بين جنكيزخان ومحمد خوارزمشاه اذ كان الاول يريد اقامة علاقات تجارية لتمرير بضائعه المتراكمة من سيطرته على الصين خاصة عبر اسيا الوسطى الخاضعة للدولة الخوارزمية(٧٤).

ويذكر فامبري وذلك نقلا عن الجويني بان غاير خان(اينالجق) نائبه على اترار ومعه رساله يفضي اليه فيها بأنه قد نجح في القبض على اربعمائة من عيون جنكيزخان كانوا قدموا الى اترار في لباس تجار من المسلمين ,وانه في انتظار اوامر السلطان بهذا الصدد, وانساق السلطان وراء عواطفه, وكانت قد وصلته رسالة من جنكيزخان اثارت ثائرته فامر بقتل هؤلاء الاسرى وانا لنرى الجويني على حق حين يقول "ان دمهم اهرق ولكن كل قطرة منه قد كفر عنها بسيل جارف من الدماء, وان رؤوسهم قد سقطت ولكن كل شعرة فيها كلفت مئات الالوف من الناس حياتهم"(٧٥),وكان ذلك سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، لم يستطع جنكيزخان حينها ان يمسك نفسه من بعد ذلك عن ان يشهر سيفه نحو الغرب وهو الذي عقد له لواء الظفر والنصر ذلك الوقت في الشرق, وهكذا كان السلطان محمد بسلوكه هذا هو المسؤول

الاول عن تلك المصائب وذلك الدمار الذي يستحيل اصلاحه والذي انزله الغزو المغولي ببلاد ما وراء النهر والعالم الاسلامي الشرقي كلة وتعدى ذلك الى جزء من أوربا "(٧٦).

ومن النقاط التي ممكن الاشارة اليها في طروحات فامبري عدم اجراءه مقارنة للروايات التي تناولت حادثة اترار كما فعل بارتولد في مصنفه تركستان(٧٧), ومن ناحية اخرى فهو لا يتفق مع دوسن ,وهوارث اللذان جعلا من الحادثة محض صدفة على حد قولهم(حادثة غير مقصودة) لا يتحمل مسئوليتها اي من الطرفين (٧٨).

في حين يحمل فامبري المسؤولية كاملة لمحمد خوارزمشاه وكأن جنكيزخان هو من كان الضحية فالأخير ومن متابعة سلوكياته العسكرية في شرق اسيا كان مبني على اسلوب التجسس ومن ثم الغزو لتلك البلاد ومن دون اي مبرر فقرائن الاحوال الخاصة بفتوحاته بعد احتلاله للدولة الخوارزمية لم تستدعي اي حجة سواء في احتلال العراق او شرق أوربا فكانت خطة جنكيزخان هو الحصول على ثروات العالم اجمع من خلال السيطرة علة مراكزه التجارة الممتدة علة طول الشريان الاقتصادي للعالم آنذاك هو طريق الحرير الممتد من الصين مرورا بمصر ونهاية بشرق أوربا وبذلك يمكنه توريد ثروات شرق اسيا الى شرق أوربا مرورا بأفريقيا والمتمثلة بنافذتها التجارية الى العالم وهي سواحل مصر.

اما السبب الاكثر اهمية ان المغول لم يتقبلوا ان تكون هناك قوى سياسية تعاملهم على قد المساواة بل الاكل عليه ان تبعيته لقاآن المغول الاعظم وهذا ما سنقرأه في المراسلات التي حدثت بين لويس التاسع مع منكو قاآن الذي رفض كلمة التحاف معه وانما التابع ان اراد تحقيق غايته في القضاء على دولة المماليك مما جعل الاخير يندم على مراسلة المغول , وخاطبهم قائلاً: ايها السادة ,لقد بعث ملك فرنسا الينا ملتمساً عطفنا للدخول في طاعتنا ,وهاكم الجزية التي انفذها الينا فأنظروها ,فإذا لم تستسلموا لنا فإننا مرسلون في طلبه للقضاء عليكم", واثناء توجه تلك السفارة الى الملك لويس كانت الامور تسير نحو الاسوأ بالنسبة الى هذا الملك حيث تكبد خسائر فادحه في الشرق العربي- مصر- فقد هزم الملك ,بعد ان قتل غالبية جنده وأسر وعائلته في معركة المنصورة ورحل الملك وقواته من مصر بعد دفع الفدية(٧٩) ، وعند قيسارية تم التقاء سفارة اندريه لونجومو بالملك لويس في(ذي الحجه

٦٤٨هـ/آذار ١٢٥١م),ومعها الرد المغولي فصدم الملك لويس بشدة ما حملته تلك السفارة اليه من خان المغول(٨٠) .

١. اعلان التبعية من قبل الملك الفرنسي للمغول

٢. تقديم الهدايا والاعطيات في كل سنه وهي بذلك تكون بمثابة الجزية

ونتيجة لما جاءت به هذه السفارة وعودة الملك لويس الى فرنسا وهو يجر اذيال الخيبة , الذي ابدى اسفه على ارسال تلك السفارة الى المغول وندم ندماً شديداً(٨١).

فقد باءت احلامه بالفشل وصدم بشدة ما حملته تلك السفارة من اخبار محزنه في ان المغول لم يظهروا أي تعاطف مع النصارى في الغرب(٨٢) ،وانه لم تعد عليه تلك السفارة بأي مساندة ايجابيه من المغول تعوض له عن خسارته وهزيمته في حملته على مصر , حيث لم يكن لتلك السفارة أي تأثير على مجريات الأحداث ,كما أنها لم تحدث أي تقدم أوربي- مغولي سواء ديناً كان او سياسياً(٨٣) .

وفي تلك الفترة كان المغول يتطلعون الى ارسال بعثات الزعماء الغرب اللاتيني بهدف تحقيق توافقات سياسية لاستكشاف الطرق المؤدية الى قلب اوربا واختتمت احدى البعثات مطالبها التي وجهت الى البابا والمسيحين تضمنت

١-ان يشخص البابا بنفسه ويعلن خضوعه لهم دون قيد او شرط

٢-ان يبعث برد واضح على هذه المطالب بالسرعة الممكنة, سواء بالقبول او الرفض(٨٤).

احد عشر .الاحتلال المغولي لبخارى وبلاد ما وراء النهر:

ابتدأ فامبري فصله الثامن من كتابة الغزو المغولي بانهم جنس يشبه الاتراك ,و "هذا الجنس عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م بطلا يدعى تيموجين صاحب اطماع وارادة حديدية وعزم مكنته كلها تمام التمكين من يطوع طبيعة بني جلدته البدائية الخشنة الى اداة صالحة أمدته بتلك القوة التي اجتاح بها العالم الى ما وراء حدود مراعيه بكثير...ولم يظهر على مسرح الاحداث الابعد ان تجاوز الاربعين من عمره "(٨٥).

ليتتبع انتصاراته المتتالية في شرق القارة الآسيوية, (٨٦).

حتى يبدأ بعام ٦١٥هـ/١٢١٨م جبهة غرب اسيا واجتياح اراضي الدولة الخوارزمية في اعقاب حادثة اترار ,و فامبري في هذا لا يختلف عمن سبقه في ايراد تفاصيل هذه الاحداث سواء دوسون او هوارث (٨٧).

فضلا عن اعتماده مادة الجويني تاريخ فاتح العالم بشكل كبير ومن بعده ما اورده ابن الاثير ولعل سرعة هذا الاجتياح الذي استغرق فقط سنتين(٦١٦-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢٠م)وبضعة اشهر لدولة شاسعة المساحة كالدولة الخوارزمية تؤكد الافتراض بأن عيون جنكيزخان كانت في كل مكان, بحيث كان على دراية واسعة بكل المسالك والطرق المؤدية الى مدن الدولة الخوارزمية والتي تقريبا حوصرت جميعا في اوقات متقاربة جدا لم يفصل محاصرة اسوارها سوى مسافة الطريق اذ توزعت الجيوش التي كان يقودها ابناء جنكيزخان عليها بينما خص جنكيزخان نفسة لمحاصرة اترار التي صمدت عدة اشهر الا انها سقطت اخيرا وامر بسكب الفضة المذابة في اذني حاكمها بسبب طمعه(٨٨).

وفيما يخص مدينة بخارى فيذكر فامبري انها استسلمت من دون قتال بعد ان امنهم الغازي على انفسهم ان سلموا مدينتهم وتوجه "جنكيزخان الى مسجده الجامع الفخم ,وكان السامانيون قد بذلوا فيه كثيرا من الاموال ليبدوا في اروع صورة ,فدخله بفرسه ووقف بإزاء المنبر ظانا انه قصر السلطان حتى قيل له انه دار عباده فنزل عن دابته"(٨٩) ليأمر ببدأ اعمال السلب والنهب ولكن من دون قتل ,والحق الحرفيين بجيشه للاستفادة من خدماتهم لاحقا, وهنا يقتبس فامبري نصوص ابن الاثير عن ما احدثه المغول في المدينة من خراب ليعلق من بعدها" وهكذا انتهى حال اهل بخارى الى احط درجات البؤس والشقاء وفرقوا في الارض وهم الذين ذاع صيتهم زمنا طويلا بما كانوا عليه من كلف بالثقافة وشغف بالفنون ,وما شاع عنهم من مكارم الاخلاق (٩٠).

وبعد بخارى يذكر فامبري سقوط سمرقند التي قتل اغلب سكانها حتى من استسلم للمغول, والمدن الخوارزمية الاخرى حتى اصبحت بلاد ما وراء النهر بالكامل بيد جنكيزخان(٩١) .

وذكر فامبري نهاية السلطان محمد خوارزمشاه المذلة بعد ان التجأ الى جزيرة في بحر الخزر(قزوين)"ولئن كان افلت من انتقام عدوه البربري الا ان الحزن كان قد ركبه لما اصاب اسرته اذ كان افرادها جميعا وقعوا في ايدي المغول, ومات في الثاني والعشرين من ذي القعدة عام ٦١٧هـ/١٢٢٧م فقيرا شريدا حتى لم يجدوا ما يكفنونه به الا ثوبه الذي كان يرتديه...وجعل ولاية العهد لابنه جلال الدين"(٩٢).

وهنا يصف فامبري تداعيات الغزو المغولي على بلاد ما وراء النهر عند ذكره وفاة جنكيزخان بقوله "بعد ان ترك من ورائه بكل اسيا آثار النار والحديد التي اشاع بها, بشغفه بالحرب ,الدمار الشامل في القارة كلها ,وتمثلت بأبشع صورها في بلاد ما وراء النهر حيث قضى على حضارة اجيال ,وصار اهلها الى همجية موغلة أنسوا معها ماضيهم السابق وضاع بها كل امل لهم في المستقبل, ولم يتعرض اي جزء من اجزاء آسيا كلها الى ما تعرضت له الاقاليم الواقعة على جيحون وسيحون من القسوة والعنف بسبب غارات جموح المغول عليها"(٩٣).

ويلخص فامبري الرؤية العامة للمؤرخين المسلمين عن المغول من دون تفنيد مما يدلل اتفاقه ضمنا معها "ان قاريء التواريخ الشرقية سوف يصطدم بتكرار وصف المغول بانهم همج اجلاف ,ورجال حرب ان الصورة التي يضعها التاريخ تحت نظر القاريء للقرنين اللذين حكم فيه الجنكيزخانيون بلاد ما وراء النهر يتصور منظرا ملطخا بالدماء يثير الرعب في النفوس ,فهو تاريخ فوضى عاصفة وافراط في الظلم والبغي وقتل وتدمير متوالي"(٩٤).

وهو يتفق مع هوارث في قوله ان المغول مثلوا الفصل المخيف للتاريخ الانساني الذي يتلخص بالتهجير والتدمير للبلاد المتحضرة في خراسان...فقاموا بتدمير الحضارات التي كد في تشييدها غيرهم وحولوها الى صحراء كحال الطاعون والمجاعة(٩٥).

وغالبية المستشرقين الذين جاءوا من بعد فامبري لم يحيدوا عما ذكره سوى بارتولد الذي كانت لهه وجهة نظر خاصة تركز على ايجابيات الغزو على قلتها مقارنة بسلبياته(٩٦).

ثاني عشر. بلاد ما وراء النهر عهد المغول الجغتاي:

بين فامبري انه "بالرغم ان ما بقي لدينا من تاريخ هذه الفظائع قليل ,وذلك لعدم وجود مدونات لتاريخ بلاد ما وراء النهر آنذاك ..ففي عهد جنكيزخان فصلت بخارى وسمرقند وهاتين الدرتين الغاليتين في العالم الاسلامي الغربي عن جيرانها في الجنوب الغربي"(٩٧).

واصبحت بلاد ما وراء النهر تسمى خانية جغتاي نسبة الى ثاني ابناء جنكيزخان الفاتح للمنطقة فاخذ من ابيه بعد وفاته جميع البلاد من ارض الايغور في الشرق الى بخارى وسمرقند في الغرب على ان هذه البلاد تعد مملكة واحدة ,وكانت تخضع خضوعا مباشرا للقاآن الاعظم في منغوليا(٩٨),وشهدت بلاد ما وراء النهر في عقب وفاته فوضى عارمة وحروب مستمرة بين القوى المغولية المتصارعة فيما بينها للسيطرة عليها ,ولعل الرحمة الوحيدة التي كتبت لهذه البلاد هو الحاكم الاداري المسلم لها مسعود بك وهو ابن محمود يلواج فقد روعي في اختياره ما يكفل استعادة الثقة الى نفوس الناس, الا اننا نستطيع ان نقول ان الاحوال ما لبثت ببخارى ان عادت الى سيرها الطبيعي على كل حال(٩٩).

شهدت المنطقة صراعا استمر عقودا بين وقوبلاي (١٢٧١-١٢٩٤م)القآن الاعظم في بكين وابن عمه قايدو(ت١٣٠١م) حفيد اوكتاي في وسط اسيا (غربي منغوليا والصين), وايضا مع مبارك شاه زعيم الجغتاي على عهد قوبيلاي قاآن الذي بعث براق خان بن بيسون توا بن موتوكان بن جغتاي ليحكم الوس جغتاي من دون تعين صريح ليسلب مبارك شاه حكم بلاد ما وراء النهر وهو ما حدث ,ليبتديء الصراع بين براق وقايدو الذي اضطر الى مهادنته لمواجهة القبيلة الذهبية ,وما ان عقد الصلح بينهم حتى تجدد الصراع مع براق الذي خسر ثلث ما وراء النهر لصالح قايدو مما جعله يتجه للتوسع على حساب الدولة الايلخانية عهد آباقا خان بن هولاكو(٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٢م)ورغم مرونة الاخير في التنازل عن بعض المناطق الا ان براق عماه الطمع ليتوغل في خراسان مما عرض نفسه الى كمين انتهى بهزيمته وعودته الى بخارى ليقتل هناك مسموما ,ليعقب ذلك هجوم اباقا على بخارى ليحدث فيها الدمار والتخريب غير ان مسعود بيك سرعان ما اعاد بناءها(١٠٠).

ويختتم فامبري حقبة الحكم المغولي الجغتائي لبلاد ما وراء النهر بالقول" اخذ نجم المغول في الافول من ذلك الوقت ,وذهبت ادراج الرياح كل الجهود التي بذلها ابو سعيد فهؤلاء المغول باعتناقهم الاسلام ورسوم حضارة آسيا الغربية ,انما تخلوا بذلك عن القوة الوحشية التي كانوا قد قدموا عليها من مواطنهم القديمة في الصحراء, فأمدتهم بقدرة لا تبارى ,فاصبحوا من بعد ذلك كالليوث التي سقطت معارفها ولم يعد يهابها احد "(١٠١).

ويقتبس هنا فكرة افول قوة المغول بسبب دخولهم الاسلام وتخليهم عن القوه الوحشيه يحاكي قول ابن خلدون الذي يجعل من البداوة هي القوة التي يكون جانبها مرهوب من الاعداء غير انه يجعل من تأسيس الدولة سببا لبداية الضعف ومن ثم الانهيار وليس تغيير الدين هو من له ذلك الدور التي تحملها المدنية والاستقرار(١٠٢).

وهنا يجانب فامبري الحقيقة فكل الاحداث التي ادت الى نهاية حكم خانية جغتاي هو صراع الامراء المغول للسيطرة على اراضيها سواء في الداخل او الخارج ,وان القاء اللوم على اعتناق خانات المغول للإسلام نجد ان هذا الشيء لا ينطبق في خانية القبيلة الذهبية التي اعتنق خاناتها الاسلام منذ حقبة مبكرة فقد ظلت محافظة على ممتلكاتها بل وسعتها على حساب الروس شمالا وعلى حساب بولندا غربا (١٠٣).

الخلاصة:

ظهر لنا مما سبق عن حياة فامبري انه واجه صعوبات صحية واقتصادية في بداية حياته في المجر وتحصيله العلمي فيها بسبب وفاة والده المبكرة, ورغم كل تلك الظروف استطاع ان يشق طريقا لنفسه مكنته في المستقبل ان يتخصص في مجال دراسي احبه واصبح شغفه الوحيد الا وهو دراسة وتقصي حياة الاتراك في اسيا الوسطى عبر رحلاته العديدة الى هناك.

تمتع فامبري بذاكرة قوية ميزته عن اقرانه كما مهدت له السبيل في حفظ مجموعة من الكلمات من كل لغة كان يشرع في اتقانها مما سهل له اجادة العديد من اللغات الاوربية واللغات الاسيوية في مقدمتها الفارسية والتركية والعربية.

بدأ رحلات فامبري الى اسطنبول وساعده في ذلك اتقانه للتركية التي اكسبته تعاطف الاتراك ,وبعد رحلته الى ايران اتجه الى اسيا الوسطى التي لبس لباس التصوف لكي لا يفصله اي حاجز عن الاختلاط باهلها وفهم وتفحص حياتهم الاجتماعية بكل تفاصيلها.

الف فامبري العديد من المؤلفات التي تنقسم الى ثلاث اقسام الاول يتناول قصة حياته وكفاحه من اجل انجاح مسيرته العلمية وقضاءه الاشهر والسنوات لتحصيل تعليمة واتقان لغات جديدة مستغلا مقدرته الفذة في الحفظ والتذكر ,والثاني لغوي منها قواميس في اللغة ,ودراسة اثنولوجية وفيولوجية (عرقية)عن الاقوام التركية التي شاهدها ,واصولها المختلفة وخصائصها وتوزعها وعلاقاتها ببعضها البعض ويدرس ثقافتها دراسة مقارنة, وقسم ثالث آخر يحمل صفة الجانب الاجتماعي التاريخي يحوي مشاهداته اليومية في اسيا الوسطى , ,كما كان له كتاب في التاريخ وهو(تاريخ بخارى منذ اقدم الازمنة الى وقتنا الحاضر)والذي بين انه اول مؤلف عن تاريخ المدينة وانه تقريبا لا توجد معلومات عنها قبل القرن السابع عشر وان محاولته جاءت لسد هذا الفراغ لشحة المعلومات عن هذه المنطقة رغم ضالة المصادر المتوفرة عن المدينة.

وفي دراستنا لتاريخ بخارى لفامبري بينا الموارد التي اعتمدها فامبري في كتابة مؤلفة وكان قسم منها مخطوطات لم يسبق لاحد ان استخدمها قبله وكذلك مراجع حديثة اوربية

تناولت المنطقة التي يدرسها ,وكان في مقدمة مصادره الاولية كتاب تاريخ بخارى للنرشخي كونه الف كتاب يحمل اسم مدينة بخارى ,وكذلك تاريخ الطبري ,كما اعتمد الجويني ورشيد الدين فضل الله في مادته عن الغزو المغولي وتأسيسه للمملكة الجغتاي في بلاد ما وراء النهر.

اما منهجه في الكتاب فكان منهجا استقرائيا لمادة المصادر التي اعتمدها ومن ثم يقدم راية الخاص في المحاور التي يتناولها ,واقد يسوق فكرة المؤلف بطريقته , ورغم انه وضع عنوانا محددا لكتابه وهو تاريخ بخارى الا اننا نجده يستغرق في الحديث على بقية مدن بلاد ما وراء النهر وذات الشيء بالنسبة للقوى السياسية التي سيطرة على بلاد ما وراء النهر, واحيانا تصدر منه كتابات متعصبة من الفتوحات الاسلامية بجعل الهدف منها الاساسي هو الحصول على الغنائم ,بينما كانت له آراء ايجابية بالحضارة والنتاج الفكري الذي تركة السامانيون في بخارى وسمرقند.

كما وجه انتقادا لاذعا للفظائع التي ارتكبها المغول في بلاد ما وراء النهر وشبهها بالظلم المتوالي والبغي الذي لا حدود له.

وحمل محمد خوارزمشاه مسؤولية ما أصاب الدولة الخوارزمية من خراب رغم ان مجريات الغزو المغولي التي قام بها جنكيزخان وخلفاءه تبين ان مسألة الغزو المغولي للدولة الخوارزمية كانت مسالة وقت ليس الا.

وجعل من دخول المغول الى الاسلام السبب المباشر لضعف المغول واستكانتهم في محاربة المخاطر الخارجية والداخلية والواقع انه لم يكن للإسلام شأن في ذلك بقدر الصراعات المحتدمة بين امراء المغول انفسهم من اجل التوسع والهيمنة على حساب الآخر ابتداءا من الحرب الاهلية بين قويبلاي وأخية واريغ بوقا على زعامة المغول لتشمل كافة ممالكهم الاربع الى نهاية عهودهم فيها.

قائمة الهوامش

(١) نجيب العقيقي ,المستشرقون ط٥(القاهرة, دار المعارف,٢٠٠٦م)ص٣٦-٣٧

(٢)Arminius Vambery, Arminius Vambery His life and Adventures ,Third Edition(Londonm1884)p.2

(3) Jacob M .Landau, Arminius Vambery :Traveller, Scholar ,Politician Middil Eastern Studiesm2014,Vol.50,p.858

(٤) Arminius .Vambery His life,p.3

(٥) Arminius Vambery, Arminius Vambery His life,p.3-7

(٦)Arminius Vambery, Arminius Vambery His life,p.9

(٧) Arminius Vambery, Arminius Vambery His life ,p

(٨)العقيقي ,المستشرقون ,ج٣,ص٣٩,بدوي,موسوعة المستشرقين,ص٤١٤-٤١٥

(٩) Jacob M .Landau, Vambery :Traveller, Scholar,vol,50,p.859-860

(١٠) Jacob M .Landau, Vambery :Traveller, Scholar,vol,50,p.859-860

(١١)Arminius Vambery, Arminius Vambery His life,p.27

(١٢)Jacob M .Landau, Vambery :Traveller, Scholar,vol,50,p. 861

(١٣)Hermann vambery, Turken volk in seinen Ethnologischen und Ethnographischen Beziehungen(Leibzic, 1885)p.1

(١٤)Hermann Vambery,Die primitive culture des Turko –Tatarischen volkes(Leipzig,1879)p.2-4

(١٥)Hermann Vambery ,Die primitive culture des Turko –Tatarischen,p.4-5

(١٦)عبد الرحمن بدوي ,موسوعة المستشرقين,(بيروت,دار العلم للملايين,١٩٩٣م)ص٤١٥

(١٧)العقيقي ,المستشرقون ,ج٣,ص٤٠, بدوي,موسوعة المستشرقين ,ص٤١٥-٤١٦,يحيى مراد معجم اسماء المستشرقين ,ص٧٦٨-٧٦٩ www.kotob arbia.com

(١٨)Sketches of central Asia(pest,1868)p.9 -12

(١٩)p.12) The story of Hungary (London,1886

(٢٠))p.12 Travel in central Asia(London,1863

(٢١)Jacob m. Traveller,V.50,p,863

(٢٢)Jacob,m.Traveller,vol.50,p.863

(٢٣) علاء السيد ,آراء المؤرخين بشخصية السلطان عبد الحميد الثانيwww.doc.org

(٢٤)Hermann Vambery ,Die primitive culture Des Turko –Tatarisschen volkes(Leipzig,1879)p.4-5

(٢٥)Turkenvolk in Ethnologischen und Ethnograpihschen Beziehungen(Leipzig 1885)p.291

(٢٦)Armin Vambery,Vambery Armin Vazlatai Kozep Azsiabol (pest,1868)p.191

(٢٧)Armin Vambery,Vambery Armin Vazlatai Kozep Azsiabol, p. 173-175

(٢٨)central Asia ,p.38-52 Sketches of

(٢٩)ينظر أ.بيتروشيفسكي ,مقدمته على اطروحة بارتولد ,تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ,ترجمة: صلاح الدين عثمان,ط١(الكويت ,المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب,١٩٨١م)ص٩-١٣

٣٠)Jacob m., Traveller,p.862

(٣١) يحيى الخشاب ,تاريخ بخارى لفامبري,ص٣-٤

(٣٢)ارمنيوس فامبري, تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ,ترجمة وتعليق :احمد محمود الساداتي, مراجعة: يحيى الخشاب (القاهرة ,جامعة القاهرة,١٩٨٧م)ص٨

(٣٣)فامبري, تاريخ بخارى,ص٨

(٣٤)تاريخ بخارى,ص١٧

(٣٥) تاريخ بخارى ,ص٨

(٣٦)تاريخ بخارى,ص١٤.٨

(٣٧)تاريخ بخارى,ص١٢

(٣٨)تاريخ بخارى ,ص١٦

(٣٩) لسترانج, غي ,بلدان الخلافة الشرقية, نقلة الى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد(بغداد ,مطبعة الرابطة,١٩٥٤م)ص١٥

(٤٠)ينظر عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ,الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي الى الغزو المغولي(القاهرة ,دار الفكر العربي,١٩٩٩م)ص٧-١٦

(٤١)عطية القوصي ,تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية(القاهرة, مكتبة دار النهضة العربيةو١٩٩٣م)ص٨-٩

.(٤٢)قحطان عبد الستار الحديثي ,ارباع خراسان(جامعة البصرة,مطبعة الجامعة, ١٩٩٠م)ص٢٠

(٤٣)تاريخ بخارى,ص٢١-٢٢

(٤٤)تاريخ بخارى,ص٧٣

(٤٥)تاريخ بخارى,ص٢٤.٢٥

(٤٦) تاريخ بخارى ,ص٥٧

(٤٧)البلاذري ,ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)فتوح البلدان ,وضع حواشيه :عبد القادر محمد علي(بيروت, دار الكتب العلمية,٢٠٠٠م)ص٢٤٥

(٤٨) تاريخ بخارى,ص٥٧

(٤٩)تاريخ بخارى,ص٥٨

(٥٠) تاريخ بخارى,ص٥٨-٥٩

(٥١) تاريخ بخارى,٦١

(٥٢)تاريخ بخارى,٦٢-٦٣

(٥٣)النرشخي ابو بكر محمد بن جعفر(٣٤٨هـ/٩٥٩م) تاريخ بخارى ,عربه عن الفارسية: امين عبد المجيد بدوي, نصر الله مبشر الطرازي,ط٣(القاهرة ,دار المعارف,١٩٦٥م)ص٧٤, ص٢١

(٥٤)البلاذري ,فتوح البلدان,ص٢٥١

(٥٥) تاريخ بخارى,ص٧١

(٥٦)انتصار نصيف شاكر ,المظاهر الحضارية لمدينة بخارى خلال العصور الاسلامية, مجلة الدراسات التاريخية والثقافية ,العدد ٤٠,ص٢١٠

(٥٧) تاريخ بخارى,ص٩١

(٥٨)تاريخ بخارى ,ص٩١-٩٤

(٥٩)تاريخ بخارى,ص١٠٥

(٦٠)الفقي,الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي,ص٣٠-٣٤

(٦١)تاريخ بخارى,ص١٠٥-١٠٧

(٦٢)تاريخ بخارى,ص١٢٤-١٢٤

(٦٣)محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)تاريخ دولة ال سلجوق ,اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني, (بيروت ,دار الافاق الجديدة,١٩٧٨م)ص٧-٩,محمد سهيل طقوش ,تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق,ط٢(بيروت,دار النفائس,٢٠١٦م)ص٣٩-٤٥

(٦٤)الفقي, تاريخ الدول المستقلة,١٣٨-١٤٣

(٦٥)تاريخ بخارى,ص١٣١.١٣٥

(٦٦)تاريخ بخارى,ص١٣٤-١٣٦

(٦٧)تاريخ بخارى,ص١٤٠-١٤١

(٦٨)تاريخ بخارى,ص١٤٤-١٣٥

(٦٩)تاريخ بخارى,ص١٤٧-١٥٨

(٧٠)تاريخ بخارى ,ص ١٥١

(٧١)ينظر تاريخ بخارى,ص١٥٥, ابن الاثير, الكامل في التاريخ,ج١٠,ص٣٣٣,-٣٤٠, بارتولد,تركستان,ص٥١٣-٥٢٨

(٧٢)النسوي, محمد بن احمد (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي(القاهرة, دار الفكر العربي,١٩٥٣م)ص٥٣-٥٤

(٧٣)تاريخ بخارى ,ص١٥٨

(٧٤)النسوي ,سيرة جلال الدين منكبرتي,ص٨٣-٨٤

(٧٥)تاريخ فاتح العالم,ج١,ص٩٩

(٧٦)تاريخ بخارى,ص١٥٨-١٥٩

(٧٧)تركستان من الفتح العربي,ص٥٦٩-٥٧٢

(٧٨)Dhossone ,Histore des Mongols (Amistrdam ,1834) v.1,p.211., Henry Howorth (History of the mongol ,the tartar dominion(cambridg ,1964)v.1,p.74

(٧٩)ابو الفدا, المختصر في اخبار البشر,ج٣,ص٢١٩؛هلال ,العلاقات بين المغول واوربا ,ص ٧٤.

(٨٠)طقوش ,تاريخ المغول العظام ,ص ١٢١.

(٨١)جوانفيل ,حياة القديس لويس ,ص ٢١٩

(٨٢)طقوش ,تاريخ المغول العظام ,ص ١٢١.

(٨٣)هلال ,عادل اسماعيل محمد ,العلاقات بين المغول واوربا واثرها على العالم الاسلامي,ط١ (الهرم, عين للدراسات الانسانية والاجتماعية,١٩٩٧م)ص٩٩

(٨٤)فنست البوفي ,مرأة التاريخ المغول ,ترجمة من اللاتينية الى الانجليزية ستيفن باو ,ترجمه الى العربية: امجد حسن مجيد,ط١(بابل ,مؤسسة ابجد للترجمة والنشر والتوزيع,٢٠٢٥م)ص٢٣

(٨٥)تاريخ بخارى,ص١٦٢

(٨٦)تاريخ بخارى ص١٦٢-١٦٣

(٨٧)Dhossone ,Histore des Mongols) v.1,p.211-249, Henry Howorth ,History of the mongol ,the tartar dominionv.1 ,p.74-90,

(٨٨)ينظر تاريخ بخارى ,ص١٦٤-١٦٩,للتفصيل عطا ملك الجويني, تاريخ فاتح العالم, نقله عن الفارسية :محمد التونجي ,ط١(حلب ,دار الملاح للطباعة,١٩٨٥)ص١١٠-١٤٣

(٨٩)تاريخ بخارى,ص١٧٠

(٩٠)تاريخ بخارى,ص١٧١-١٧٢,ينظر الكامل في التاريخ ,راجعه وصححه :محمد يوسف الدقاق ,ط ٤(بيروت, دار الكتب العلمية,٢٠٠٣م)مج١٠,ص٤٠٦,تاريخ فاتح العالم,ج١,ص١١٨

(٩١) تاريخ بخارى,ص١٧٣-١٧٦

(٩٢)تاريخ بخارى ,ص١٧٨

(٩٣)تاريخ بخارى,ص١٧٩

(٩٤)تاريخ بخارى,ص١٨٢-١٨٣

(٩٥)Howorth ,History of the mongol,v.1,p.102

(٩٦)تركستان,٧٥١

(٩٧)تاريخ بخارى,ص١٨٣

(٩٨)جغتاي خان ,دائرة المعارف الاسلامية, نقلها الى العربية :محمد ثابت الفندي وآخرون,(القاهرة ,دار الشعب,١٩٣٣م)ج٧,ص٣-١١

(٩٩)تاريخ بخارى,ص١٨٥

(١٠٠)ينظر تاريخ بخارى ,ص١٨٥-١٩٨,رشيد الدين فضل الله ,جامع التواريخ ,تاريخ خلفاء جنكيزخان من اوكتاي الى تيمور قاآن, نقلة الى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد ,راجعه وقدم له: يحيى الخشاب ط١(بيروت,دار النهضة للطباعة والنشر,١٩٨٣م)ص٢٢

(١٠١)تاريخ بخارى,ص١٩٩

(١٠٢)ينظر ابن خلدون, عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)المقدمة, تحقيق وتقديم: علي عبد الواحد وافي,ط٢(القاهرة, لجنة البيان العربي,١٩٦٥م)ج١,ص٣١٥-٣١٨

(١٠٣)ينظر هلول, ممدوح محمد مغازي ,السياسة الداخلية لمغول القبيلة الذهبية في روسيا, مجلة حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية,٢٠١٨م, كلية الآداب ,جامعة القاهرة,ص١٢, طقوش, محمد سهيل, تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند,ط١(بيروت, دار النفائس,٢٠٠٧م)ص١٣, بارتولد, تاريخ الترك في اسيا الوسطى, ترجمة: احمد سعيد سليمان,ط١(القاهرة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩٦م)ص١٩٨.

التحديات الاجتماعية والصراعات بين العمالة الوافدة والمجتمع العراقي

دعاء لبيب

ا. د نغم طالب عبدالله

كلية التربية ابن رشد–جامعة بغداد

التحديات الاجتماعية والصراعات بين العمالة الوافدة والمجتمع العراقي

دعاء لبيب

أ. د نغم طالب عبدالله

الملخص:

يتناول البحث ظاهرة العمالة الوافدة في العراق بعد انتهاء الحرب، مركزاً على العمالة المصرية التي أدت إلى تصاعد مشكلات البطالة والصراعات الاجتماعية مع المجتمع المحلي. فقد أدى تسريح الآلاف من العراقيين إلى تولي العمالة الأجنبية، ولا سيما المصرية، لفرص العمل، مما أسهم في زيادة الاحتقان الاجتماعي والتوتر بين الجانبين. كما تناول البحث عدة حوادث عنف ونزاعات نشأت نتيجة المنافسة على فرص العمل، بالإضافة إلى تأثير وسائل الإعلام في تضخيم هذه الأحداث ونقلها بصورة مبالغ فيها. وفي المقابل، أشار إلى أن العمالة السودانية لم تواجه نفس مستوى الصراعات لما تحظى به من سمعة طيبة وقبول اجتماعي أكبر. كما استعرض البحث جهود الحكومتين العراقية والمصرية لمعالجة الأزمة وتنظيم عودة العمالة المصرية، على الرغم من أن التوترات الاجتماعية والسياسية استمرت في التأثير سلباً على العلاقة بين الشعبين.

الكلمات المفتاحية: العمالة، المجتمع العراقي، الصراعات،التحديات الاجتماعية.

Social challenges and conflicts between migrant workers and Iraqi society

Abstract

This study examines the phenomenon of migrant labor in post-war Iraq, focusing on Egyptian labor, which has led to escalating unemployment problems and social conflicts with the local community. The dismissal of thousands of Iraqis led to foreign workers, particularly Egyptians, taking over jobs, contributing to increased social tension and tension between the two sides. The study also examined several incidents of violence and conflicts that arose as a result of competition for job opportunities, as well as the media's

influence in exaggerating and misrepresenting these events. In contrast, it noted that Sudanese workers did not face the same level of conflict due to their good reputation and greater social acceptance. The study also reviewed the efforts of the Iraqi and Egyptian governments to address the crisis and organize the return of Egyptian workers, despite the fact that social and political tensions continued to negatively impact relations between the two peoples.
Keywords: Labor, Iraqi society, conflicts, social challenges.

المقدمة

تأتي هذه الدراسة في سياق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العراق بعد مدة من الاضطرابات والحروب، إذ برزت ظاهرة العمالة الوافدة كعامل مؤثر في معادلة سوق العمل والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العراقي. يهدف البحث إلى تحليل التحديات الاجتماعية والصراعات التي نشأت بين العمالة الوافدة، وعلى رأسها العمالة المصرية، والمجتمع المحلي، مع تسليط الضوء على العوامل المؤدية لهذه الظاهرة، مثل ارتفاع معدلات البطالة والمعاملة التفضيلية للوافدين، فضلاً عن دور الإعلام في نقل الأحداث وتأجيج التوترات. ومن خلال استعراض الوقائع التاريخية والبيانات المتاحة، يسعى البحث إلى تقديم رؤية شاملة لفهم الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذه الأزمة، وتحديد أثرها على العلاقة بين الشعوب وعلى السياسات الحكومية في مجال العمل والاندماج الاجتماعي.

ان العمالة الوافدة كانت لها اثار على المجتمع العراقي، خاصة بعد تسريح الالاف من العراقيين من الجيش، بعد انتهاء الحرب، فقد سيطرت العمالة العربية على معظم فرص العمل، ما اسهم في تفاقم معدلات البطالة بشكل كبير، وهذا الوضع أثار استياء العراقيين، الذين شعروا ان العمالة الوافدة اخذت اماكنهم في سوق العمل، لذلك اندلعت العديد من المشاكل والخلافات بين العراقيين وبين العمالة العربية لاسيما المصريين، وهناك خلافات اخذت صدى كبير في الشارع العراقي والعربي، وانتشرت في الصحف، بينما كانت هناك خلافات بسيطة لم يكن لها ذكر، لكن كان يحدث في كل يوم خلاف لأي سبب كان، فلم

تكن هذه الخلافات بسبب سيطرتهم على سوق العمل فقط، لكن كان هناك سبب اخر، وهو المعاملة الخاصة من قبل الحكومة العراقية للعمالة الوافدة .

إلى جانب مشكلة البطالة، والمعاملة الخاصة،ظهرت قضية أخرى وكانت أكثر تعقيدًا، اذ تم اختفاء العديد من العراقيين خلال الحرب العراقية–الإيرانية، انقطعت أخبارهم لسنوات، او تم اسرهم خلال الحرب. وعند انتهاء الحرب، عادوا الى العراق، لكن تفاجئ الكثير منهم بأنهم مسجلون كمتوفين في السجلات الرسمية، لكن المفاجأة الأكبر كانت أن زوجاتهم قد تزوجوا من المصريين بعقود شرعية، بعد ان ظنوا انهم اصبحوا ارامل .هذا الوضع أسهم في احداث احتقان شديد في المجتمع العراقي، اذ شعر بعض العراقيين بأن هناك عداوة شخصية بينهم وبين المصريين، مما جعلهم يرونهم كخصوم يزاحمونهم في لقمة العيش، و بدأت تنشأ خلافات ومشاكل متكررة بين الطرفين، مما زاد من التوتر الاجتماعي خلال تلك المدة(١).

وفي ظل هذه الاوضاع، نشرت جريدة الوفد المصرية مقالاً لجمال بدوي تساءل فيه عن المسؤول عن الوضع الغريب الذي يعيشه المصريين في العراق ويشير الى ان لبطالة في البلدان العربية تدفع الشباب الى الهجرة بحثاً عن العمل، لكنها في الوقت نفسه تحل مخاطر اجتماعية وأخلاقية قد تؤدي الى انحرافات عدة، فقد بات واضحاً أن أعداد كبيرة من المصريين يعملون بمهن غير منتظمة مثل (اعمال النصب والاحتيال والمتاجرة في الممنوعات) او يعانون من البطالة، وان هذه الظاهرة ليست جديدة لكنها تفاقمت مع الظروف الصعبة التي فرضتها الحرب خاصة بعد عودة المقاتلين العراقيين من جبهات القتال، فقد وجد المصريون أنفسهم في وضع اجتماعي حساس، على الرغم أنهم اصبحوا جزءًا من المجتمع العراقي، الا انهم ظلوا يُنظر اليهم احياناً كغرباء، كما ان بعض الاعمال التي مارسها المصريين أثارت تساؤلات عن مدى تأثيرها على المجتمع العراقي، مما أدى الى نشوء توترات اجتماعية (٢).

بعد انتهاء الحرب العراقية–الايرانية وعودة الجنود العراقيين من الحرب ، تأثرت العمالة العربية الوافدة وخاصة المصرية ، لان عددها كان كبير جداً مقارنة مع عدد السودانيين ، لذلك انخفض سعرها وتجاوز حجمها حاجة العمل الفعلي ، وانتقلت العمالة المصرية الى سوق البطالة ، بعد الاجراءات المتشددة من قبل اصحاب العمل والمصانع ،

بالاستغناء عنهم ، دون انذارهم ، لذلك شهدت حالة طوارئ في وزارة القوى العاملة المصرية ، خصوصاً بعد التصريحات السابقة التي نشرتها الصحف بعد انتهاء الحرب العراقية–الايرانية عن حاجة العراق الى الالاف من العمالة المصرية لاعادة البناء ، مما تسببت هذه التصريحات في تدفق المزيد من العمال المصريين الى العراق وشكلت ازمة ، لكن عند وصولهم لم يجدوا وظائف كافية لهم ، كما ان العديد من اصحاب العمل بدأوا بالاستغناء عن العمال المصريين ، لفتح فرص عمل للعراقيين العائدين من الحرب ، كما ارسلت الحكومة المصرية مذكرة للعراق تطلب منهم منح العمال مهلة قبل انهاء خدماتهم بشكل مفاجئ[٣] .

ومع تدهور العلاقة بين العمالة المصرية والعراقيين، عاد العديد منهم الى مصر، وتحدث العائدون عن المتاعب التي واجهتهم في العراق، وان هذه المتاعب كانت على ثلاث مراحل تبتدأ من رحلة البحث عن الرزق .. كانت الاولى هي مرحلة الالتحاق بالعمل، اما الثانية هي علاقتهم في العمل مع زملائهم العراقيين بعد انتهاء الحرب، اذ وجد هؤلاء انفسهم دون عمل مما زاد التوتر بين الطرفين وجعل العلاقة تتجه للأسوأ يوماً بعد يوم، والمرحلة الثالث هي محاولة الفرار من هذه المتاعب بالعودة الى الوطن وصرف مستحقاتهم، وتحدث احد العمال المصريين العائدين الى مصر عن المعاناة النفسية بسبب المشاكل اليومية التي كان يواجهها، بينما ذكر آخرون بأنهم تعرضوا للتحرش والمضايقات والضرب بشكل متكرر، مما جعلهم متندمين لعملهم في العراق، كما في أحد الحوادث التي وقعت في بغداد، هي مشاجرة بين مجموعة من المصريين والعراقيين، وعندما لجأ المصريين الى مركز الشرطة وسألهم الضابط عن سبب الشجار، اجابوا بأن العراقيين طلبوا منهم العودة الى بلادهم، ومع تزايد الضغوط الاجتماعية والاقتصادية، وقلة فرص العمل، اضطر بعض المصريين الى التسول في شوارع بغداد من اجل الحصول على ثمن تذكرة العودة [٤].

وفي السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ عُقد لقاء مع مجموعة من العمال المصريين مع عدد من العمال المصريين في العراق، وترأس اللقاء رئيس النظام العراقي الاسبق، اذ اكد انهُ راضي عن تصرف المصريين في العراق، مشيراً الى انه لا يوجد ما يدعو للقلق بشأن سلوكهم، وخلال اللقاء تم التطرق الى مسألة التوترات بين بعض العراقيين

والمصريين و تم توجيه رسالة واضحة للمصريين مفادها " **اذا انزعج عراقي من مصري ويقول له عليك ان تخرج من البصرة فعلى المصري ان يرد عليه ويقول له أخرج انت من البصرة لأنها بصرتي فاذا كنت منزعج من وجودي في البصرة فيمكنك ان تغادرها فلمصري في بلده العراق** "(٥).

تحدثت جريد الوفد عن العنف والاوضاع الصعب التي تعرض لها العمال المصريون في العراق خلال شهر تشرين الاول ١٩٨٩، اذ تعرض بعضهم للطعن في السكين في الشوارع، بينما قتل أخرون في حوادث مختلفة، وسط تجاهل من بعض الجهات الامنية، وسجلت حالات اعتداء متكررة منها جريمة قتل مصري طعن حتى الموت في بغداد،وفي حادثة اخرى أطلق رجال الأمن العراقيون النار على مجموعة من العمال المصريين ثناء خروجهم من العمل في مدينة الشرقاط مما أدى الى مقتل أحدهم، فكانت غالبية الحوادث تكون ناتجة عن مشاجرة أو استهداف متعمد، مما أثار غضب الجالية المصرية، خاصة ان السلطات العراقية لم تتدخل بشكل جدي في التحقيقات او في محاسبة الجناة، كما واجه المصريين صعوبة في الحصول على جثث من قبل ذويهم، بسبب نقص المال، مما اضطر العديد من المصريين جمع التبرعات حتى يتمكنوا من شحنه الى مصر، اذ كانت الجثث تصل يومياً الى مطار القاهرة (٦).

قد اجريت الحكومة المصرية اتصالات مكثفة مع السلطات العراقية لأنهاء أزمة العمال المصريين في العراق، وتم الاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة تبحث في حقاق بشأن ارتفاع معدلات وفاة العمال المصريين في العراق، ومدى صحة التقارير التي تؤكد وفاة بعضهم بـ اطلاقات نارية، وكان هناك تنسيق وزارات الداخلية والخارجية والقوى العاملة واتحاد العمال، ومن المقرر أن تعقد اللجنة اجتماعها في القاهرة اليوم الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ للبحث عن الحلول الممكنة في قضية التحويلات وتتطرق للمشاكل التي تعاني منها العمالة المصرية في العراق، ودعت قيادة اتحاد العمال الرئيس حسني مبارك للتدخل شخصياً لانهاء هذه الازمة وحماية المصريين في العراق (٧).

في السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩، تم تشكيل لجنة مصرية عراقية من اجل التحقيق في قضية وفاة مئات العاملين المصريين في العراق، خلال الاشهر القليلة الماضية،

واكد السيد طه ياسين رمضان ان هذه الحوادث تعد استثناء ولا تعكس طبيعة العلاقة الاخوية بين البلدين، وقد تكون اسباب الوفاه، بسبب تدهور الوضع الصحي، او بسبب ظروف العمل الصعبة، او مشكلة تتعلق بالأمان الشخصي[٨]، لكن بعض العمال المصريين الفارين من العراق،افادوا بأنهم تعرضوا للضرب والتعذيب، كما ان السلطات العراقية استولت على مخداتهم، والبعض اكد أن زملائهم كانوا يموتون بطرق غير طبيعية، وطال احد العمال بالكشف عن جثة وصلت من العراق، وبعد الفحص تبين وجود اصابات بطلقات نارية وطعنات بالسكين، واشار ايضاً ان بعض المقاتلين العائدين من لحرب العراقية– الايرانية لم يجدو وظائف خالية، فأخذوا يقاتلون العمال المصريين[٩].

وشهدت الآونة الاخيرة تنظيم عدد كبير من الرحلات الجوية الإضافية لإعادة العمال المصريين من العراق، وخلال(الأربع والعشرين) ساعة الماضية فقط، تم تسيير ستون رحلة جوية، نقلت ما يقارب ستة الالف مصري عائد من العراق، وصرح اللواء محمد منصور مدير أمن المطار ان التنسيق جرى مع الجهات المعنية لضمان تسهيل عودة العمالة المصرية الى مصر، دون أي عقبات[١٠]، كما أعلن سيد نور الدين صادق وهو مدير شركة الخطوط الجوية العراقية، عن افتتاح مركزين في بغداد لتجميع المصريين بهدف تسهيل إجراءات مغادرتهم كذلك قامت الحكومة العراقية بتخفيض أسعار تذاكر السفر بنسبة ٢٥% للعمال الراغبين في العودة مما أدى إلى زيادة الرحلات الجوية إذ كشفت التقارير إنما يقارب مئتان وثمانون عاملاً مصرياً كانوا يعودون إلى مصر يوميا ضمن هذه الرحلات[١١].

لم يكن الشارع المصري والصحف المصرية مقتنعين بنتائج التحقيق الذي أجرتهُ اللجنة المصرية العراقية المشتركة بخصوص قضية عودة العمال المصريين بشكل زائد عن المعتاد خلال مدة زمنية قصيرة، وبشأن وفاة المئات من العمال، لذلك ان هناك اثار شكوك لدى الكثيرين، لهذا السبب اهتمت الصحفة المصرية بجميع القضايا التي تخص العمال المصريين في العراق، ولعبت الروايات التي تم تداولها بين العمال انفسهم، دوراً كبيراً في نقل الاخبار مما ساعد ذلك في تعزيز تغطية الصحافة ومعرفة جميع المشاكل التي تحدث .

وكانت جريدة الثورة تنفي جميع الاخبار والاشاعات التي تتناول مواضيع تخص الخلافات بين العراقيين والعمالة الوافدة بالخصوص المصريين، وتعتبر هذ الاخبار مجرد

شائعات ليس لها اساس من الصحة، لكن من خلال المقال يتضح ان هناك خلافات فعلاً بين العراقيين العائدين من الحرب وبين العمال المصريين بسبب التنافس على فرص العمل،فضلاً عن اجراء لقاء صحفي مع عدد من العمال المصريين، ومن خلال اللقاء اكد العمال المصرين، ان المشاجرات التي كانت تحدث بين الطرفين كانت تصرفات فردية، اي انها كانت قليلة، ولا تمثل الجميع، وذكرو بانهُ لا يوجد مجتمع يخلو من هذه الحوادث، وان احد العمال قال ان الاساءة لم تكون متعمدة من قبل العراقيين ازاء المصريين ،ولا تمثل ظاهرة عامة، وانها نسبة بسيطة جداً قد سيء دون قصد(١٢).

و كان أغلبية الوافدين إلى العراق هم في سن العمل، إذ كان يقدر أعدادهم بالملايين، وهذا العدد الكثيف كان لابد من أن يحصل شجار أو سوء فهم بين العراقيين وبين الوافدين، والى جانب ذلك حدثت العديد من حوادث السير،إذ كانت هذه الحوادث في بعض الأحيان تؤدي إلى إصابات شديدة وإلى الوفاة، خاصة خلال المدة التي اعقبت الحرب اي في عام ١٩٨٩، وازدادت حوادث الدهس سواء كانت بقصد أو بدون قصد، او تكون ناجمة عن التوترات القائمة بين الطرفين، هذه الأحداث ساهمت بتأجج المشاعر وزيادة حدة الخلافات بين العمال الوافدة والمجتمع العراقي، على الرغم من أن الحكومة كانت تنكر هذه الحوادث، وكانت تقول بأن حوادث السير هو أمر طبيعي يحدث في كل يوم، ويعني ذلك انه ليس بالضرورة ان يكون هناك استهداف متعمد (١٣).

كانت هناك العديد من الصحف العربية والمصرية، كانت كل يوم تسلط الضوء على اوضاع المصريين في العراق، فكانت تستخدم عناوين جاذبة، عن عودة جماعية للعمالة المصرية الى بلادهم، سواء كانت بسبب التحويلات المالية التي اخذت صدى واسع، بسبب تأخر العراق عن دفع مستحقات العمالة، او بسبب عودة الجنود من الجيش بعد انتهاء الحرب، فاكتشفوا ان العمال العرب احتلوا كل فرص العمل، فظهرت تساؤلات بين البسطاء حول اذا كان العراق في وقت بحاجة الى سوق العمل، فهل يعني ذلك انه بعد عودة الجنود لم يعد بحاجة لهذه العمالة، على الرغم من ان العراق لديه مساحات كبيرة واعمال متنوعة، ويعني ذلك بأن هناك فرص كافية للعمالة العربية الى جانب العمالة المحلية، دون ان يكون هناك خلافات بين الطرفين بخصوص فرص العمل (١٤).

صحيح أن العراق يمتلك مساحات واسعة واعمال متنوعة، لكن في تلك المدة كان العراق يعاني من ضائقة مالية أثرت بشكل كبير على سوق العمل، مما اسهم بحدوث ازمة اقتصادية كبيرة بسبب التحولات المالية التي حدثت بعد حرب الخليج الاولى، وان هذه الازمة حدثت ايضاً بسبب الانفاق الهائل على الحرب، فكانت الحكومة العراقية لا تستطيع توفير فرص عمل سواء للعراقيين او للعمالة الوافدة.

كما تدفق الى العراق اثناء مدة حرب الخليج اعداد من أسوا العناصر البشرية المصرية منهم اللصوص والنشالون وخريجو السجون وتجار المخدرات، ومنهم الهاربون من أحكام بالسجن في جرائم اخلاقية، ومنهم العاطلون الذين لا يجيدون اي عمل فاحترفوا الدعارة، والتسول، أو بيع المهلبية والمحشى، ولعبة الثلاث ورقات، ومنهم من تزوج من عراقية وانجب منها أطفالا ثم تركهم وهرب بعد حصوله على الاموال . و تغلغلوا في المجتمع العراقي وسببت له مشاكل كبيرة، اذ ظهرت أخلاقيات وسلوكيات مخجلة، وكان من الطبيعي أن يؤدى كل ذلك إلى تذمر العراقيين، وأن يزرع في نفوسهم النقمة، وان يجعلهم يتحينون الفرصة للتخلص منهم، لذلك حدثت الخلافات بين العراقيين والمصريين[١٥].

وفي السابع عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩، تأهل المنتخب المصري لكرة القدم الى كأس العالم ١٩٩٠، بعد فوزه على الجزائر، فأحتفل المصريين بهذا الفوز، فتجمع العديد من العمالة المصرية في منطقة (المربعة)[١٦]. للاحتفال بالمنتخب المصري، وهذه الاحتفالات صادفت في يوم الجمعة التي اطلق عليها (الجمعة الدامية)، اذ تجمع الألاف من المصريين في المنطقة قرب شارع الرشيد من اجل الاحتفال، فقام عدد من العراقيين بأطلاق النار على المصريين يشكل عشوائي، مما ادى الى اصابة مئة وعشرون شخص بجروح، ومقتل سبعة اخرين، وقامت الحكومة باعتقال المتسببين بالحادث، هذه كانت رواية الصحف المصرية[١٧] .

لكن كانت هناك حادثة اخرى حدثت في يوم الاحتفال، وهي حادثة الدهس، التي قام بها عراقي، الذي اقتحم لاحتفال بسيارته ودهس المصريين فتوفى مصري بهذه الحادثة واصابة عدد اخر، مما اشعلت هذه الحاثة الشجار بين لمصريين والعراقيين في منطقة المربعة وكان شجار عنيف وتدخلت بها القوات الامنية من اجل ايقاف هذه المذبحة بين

الطرفين، وتعتبر هذه هي الشرارة الاولى التي اشعلت الخلافات بين العراقيين والمصريين، مما اسهم بعودة عدد كبير من المصريين تاركين مستحقاتهم هرباً الى بلادهم [١٨].

لم تتخذ الحكومة المصرية اجراءات بخصوص ما يواجه العمال في العراق من أزمات وخلافات خلال مدة الثمانينات، وذلك لأنها كانت تربط مع العراق مصالح اقتصادية وسياسية قوية، مما جعل الحكومة المصرية تتعامل بشكل حذر مع القضايا التي تخص العمالة المصرية في العراق، فكان العراق يشتري المنتجات المصرية، ويساهم في تخفيض الأزمة الاقتصادية، التي كان يعاني منها خلال تلك المدة، فضلا عن أن العراق شغل الملايين من العمالة المصرية التي كانت عاطلة عن العمل، وأن وجود هذه العمالة في العراق لقد خفف من الضغط في مصر، لذلك كان حسن مبارك لا يريد أن يضحي بالعراق، من أجل العمال، لأن وجد في العراق فرصة اقتصادية مهمة، إذ كان لا يرغب في مواجهة العراق بسبب العمال لأن ذلك يؤدي إلى خسارة اقتصادية، خصوصا إن مصر كانت ترى المصالح الاقتصادية والسياسية مع العراقية أهم بكثير من التدخل في قضية العمالة، كما أن العراق كان شريكاً اقتصادياً مهماً لذلك ابتعدت مصر عن التدخل في هذه القضية، على الرغم من الصحف التي كانت تكتب عن هذا الموضوع بشكل اليومي .

ونشرت جريدة الاهرام المصرية مقالاً عن الحادثة التي حدثت في بغداد يوم الثامن عشر من نشرين الثاني ١٩٨٩، بعنوان "**اثناء مسيرة للابتهاج بفوز الفريق القومي المصري، سقوط عدد من العاملين المصريين قتلى وجرحى في بغداد** " لقد شهدت بغداد اشتباكات بين عدد من العراقيين ومجموعة من المصريين الذين كانوا يحتفلون في شوارع بغداد تعبيراً عن فرحتهم لتأهيل المنتخب المصري لكأس العالم، وذكر احد العاملين الموجود في موقع الحادثة ان شخص عراقي كان يقود السيارة بسرعة كبيرة وصدم المحتفلين مما ادى الى مصرع واصابة عدد منهم بجروح دون تحديد، وبعد ذلك حدثت اطلاقات نارية وتم تصويبها على المصريين الذين كانوا يحتفلون، وملئت المنطقة بسيارات الاسعاف، وتحطمت وجهات المحلات، وان الحكومة العراقية رفضت التعليق عنن هذه الحادثة، فكان الوضع سيء من قبل حدوث هذه الحادثة، مما ادى الى هجرة عدد كبير من العمالة [١٩].

وبعد الاحداث الدامية التي استمرت اربع ساعات حدثت اعتقالات واسعة للمصريين، وحاصرت الشرطة العراقية جميع المداخل المؤدية الى منطقة المربعة، من اجل منع ازدياد اعداد المصريين في المنطقة،وتم اطلاق العيارات النارية في الهواء من اجل فض الاشتباكات،بين المصريين والعراقيين، واستخدموا الغازات المسيلة للدموع، لتفريق المتظاهرين، وطالبو بتدخل الرئيس حسني مبارك على الفور قبل ان يلقوا مصرعهم، وطالبوا بالعودة الى بلادهم،وخرج جميع المصريين في كل انحاء بغداد، مما ادى الى اعتقال عدد كبير منهم واطلاق انار من اجل تفريقهم، وان جريدة الوفد قالت ان حصيلة الاشتباكات مقتل سبع اشخاص واصابة مئة وعشرون اخرين(٢٠) .

لكن السفارة المصرية في بغداد اكدت وفاة مصري واحد، واصابة سبعون أخرين خلال الاشتباكات التي وقعت في بغداد وتحديداً في مدينة المربعة، وحدثت بين مجوعة من العراقيين ومجموعة من المصريين، مما ادى الى عودة الف وخمسمائة عامل مصري الى بلدهم خلال ستة رحلات اضافية للخطوط الجوية العراقية فضلاً عن رحلتين اعتياديتين نقلت العائدين من العراق (٢١).

فكانت من نتائج الحادثة التي تعرض لها المصريين في العراق، هو حدوث هروب جماعي من العراق، ووصفت جريدة الوفد ان العرقيين هم عصابات يهاجمون المصريين من اجل اجبارهم على مغادرة البلاد وترك اموالهم، فأن هروب العمالة المصرية كانت بسبب الاوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة، اضطر المصريين الهروب عبر الصحراء بعد تخلي العراقيين عنهم فكانوا امام خيارين قاسيين : اما ان يعودوا الى بلادهم دون ممتلكاتهم او يواجهون الاعتقال او السجن، ومن خلال المقابلات التي قامت بها جريدة الوفد مع العائدين، اثبتوا ان عدد من العمالة المصرية كانوا يسجنون مدة طويلة، وشكوا من معاملة العراقيين السيئة اتجاههم، اذ كانوا يسجنون في سجن (ابو غريب) وهو سجن المجرمين، اي ان العمالة الموجودة في العراق فقدت الامان(٢٢).

لكن الصحف العراقية اعتبرت هذه الاحداث هي اشاعات فقط، ولا صحة لهذه الاخبار وان العلاقة بين الحكومتين جيدة، واكدت الحكومة العراقية ان حقوق المصريين لا

تضيع ابداً، وتم اثبات ذلك من خلال لقاء رئيس النظام العراقي الاسبق مع العمال المصريين[٢٣].

كما انتقدت منظمة حقوق الإنسان تبريرات الحكومة العراقية وموقفها اتجاه ما حدث للعمال المصريين في العراق من قتل وإصابات كبيرة،وطالبت الحكومة العراقية التدخل فوراً، من أجل حل هذه الأزمة، التي تعرض لها العمال في داخل العراق، وإيقاف حالات العنف، ومحاسبة مرتكبي الجرائم، وحماية المصريين وتعويض أسر المصابين والمتضررين نتيجة الاحداث التي وقعت في العراق[٢٤] .

قامت الحكومة العراقية بتسهيل عملية مغادرة المصريين، واعلن البنك المركزي العراقي، ان جميع البنوك العراقية وفروعها بدأت بمنح الشيكات السياحية للعمال المصريين الذين يريدون المغادرة الى بلادهم، وان هذه الشيكات تقطع من التحويلات المالية المستحقة لكل عامل [٢٥].

وارتفعت نسبة الوفيات بين العمالة المصرية، وكانت اسباب الوفاة مختلفة، معظمها تحدث بسبب، اطلاق النار من قبل العراقيين، او بالسلاح الابيض، فتواجدت جثث كثيرة تعود للمصريين متعفنة في المستشفيات العراقية، لا تجد من يدفع تكاليف شحنها الى القاهرة[٢٦].

واتهم المصريين العامليين في العراق الحكومة المصرية بانها متهاونة في حمايتهم والدفاع عن حقوقهم، وان الحكومة المصرية لم تتحمل المسئولية اتجاه الاعتداءات التي تعرضوا لها، كما انتقد العمال ايضا تصريحات المسؤولين، بأن الاحداث التي تعرض لها العمال في العراق هي مجرد مشاغبات وخلافات بسيطة ممكن ان تحدث في اي مكان، لكن في نفس الوقت كان العمال يعانون من عنف شديد و اعتقالات، واعتداءات متكررة مما دفع الاغلبية بمغادرة العراق[٢٧].

بعد الاحداث الصعبة التي تعرض العمال المصريين في العراق، وعودة عدد كبير منهم الى مصر، اصبحت الطائرات المتجهة نحو بغداد تحلق دون وجود الركاب، وهي ظاهرة لم تحدث منذ سنوات طويلة، بعد ان كانت الرحلات المتجهة نحو العراق مكتظة

بالعمال المصريين، لكن سوء الاوضاع الامنية ادت الى أنخافض حاد في اعداد المسافرين الى العراق، واعتبرت هذه نقطة تحول في حركة العمالة المصرية [٢٨].

وصرح الرئيس المصري حسني مبارك بأن هناك اطرافاً لا ترغب في ان تكون العلاقة بين العراق ومصر جيدة، مؤكداً على أهمية عدم الاعتماد على وكالات الانباء في الصحف وكأنها حقائق ثابتة دون التحقق منها، ما أشار الى أن احدى الصحف المصرية (الحزبية) ضخمت الاحداث المتعلقة بالمصريين في العراق، ووصفتها بطريقة مبالغ فيها، اذ زعمت ان المصريين هناك يتعرضون (للمذبحة) وشدد الرئيس مبارك على ضرورة عدم تهويل الامور أكثر من حقيقتها، مؤكد ان الحكومة العراقية حريصة على حماية العمال[٢٩].

كما ان العلاقة بين الحكومة المصرية والحكومة العراقية كانت جيدة، ولم يؤثر عليها شيء حتى الاحداث والمشاكل التي تعرض لها العمال المصريين في العراق،لاسيما في ظل المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة خاصة بعد حرب الخليج الاولى، لكن هذه الاحداث اثرت بشكل كبير على علاقة الشعبين العراقي والمصري، مما ظهرت مشاعر العداء والغضب بين الطرفين، مما اسهم في قطع العلاقات الاجتماعية لسنوات.

وخلال الاشهر الاخيرة من عام ١٩٨٩، تعرض بعض العمال المصريين في العراق الى عمليات خطف، اذ تبين ان الاستهداف لم يقتصر على القتل والمشاجرات فقط، انما شمل ايضاً حالات اختطاف، ومن ابرز حالات الخطف التي تناولتها جريدة الوفد، هو عندما ذهب اب مصري الى العراق بحثاً ان ابنهُ الوحيد المختطف، الا انهُ لم يستطيع العثور علية او الحصول على اي معلومة عنهُ، وان السفارة المصرية في العراق اصبحت جثة هامدة لا تساعد في شيء، وفي حادثة اخرى تعرض احد العمال المصريين للاختطاف بعد انفصاله عن شريكه في ادارة المقهى، ولم تتضح عملية الخطف اذا كانت مرتبطة بخلافات شخصية أو بعوامل اخرى، لكن هذه الاحداث سلطت الضوء على المخاطر التي تواجه العمال المصريين في العراق [٣٠].

لذلك طالبت نقابة المحاميين ونقابة الاطباء،بأرسال بعثة طبية الى العراق من اجل الاطلاع على التقارير الطبية بشأن المصريين المصابين والمتوفين، وطلبت نقابة الاطباء من الحكومة المصرية بالتعاون مع الحكومة العراقية، العمل على حقن الدماء ورعاية حقوقهم

ن كما طالبت من الحكومة العراقية بدفع تعويضات لأسر القتلى من ضحايا هذه الحوادث، كما طالبت نقابة المحاميين بضرورة الاطلاع على التحقيقات التي اجرتها السلطات العراقية للمصريين واسرهم، كما اعربت اللجنة التي ارسلتها نقابة المحاميين والاطباء عن قلقها البالغ بشأن ما يجري للعمال المصريين في الاراضي العراقية وتزايد حالات الوفاة الغير طبيعية ذات الشبهة الجنائية،كما أكدت اللجنة في بيانها أن العلاقة بين الشعبين المصري والعراقي هي علاقة اخوة، لكنها تتعرض لمحاولات مستمرة للنيل منها، وشددت على ضرورة تحديد مسؤول عن هذه الاحداث، وتحمل الحكومتين العراقية والمصرية مسؤولية ردود الأفعال الضعيفة التي صدرت عنهما(٣١).

وعلى متن الطائرة المتجهة من القاهرة الى بغداد كان على متنها صحفي من جريدة الوفد والسفير العراقي في القاهرة نبيل نجم، على الرغم من ان الطائرة تتسع نحو اربعمائة شخص لكن لم يكن على متنها سوى عدد قليل من العراقيين المتجهين الى بغداد، اكد السفير ان الحكومة العراقية تولي اهتماماً خاصاً بالمصريين، وقال السفير العراقي نقلاً عن رئيس النظام اعراقي الاسبق، ان الانسان العراقي اصبح يستخدم يده في الخلاف بكثرة اكثر من لسانه مرجعاً ذلك للأثار التي خلفتها الحرب العراقية– الايرانية التي استمرت لمده ثمان سنوات، وان ما يحدث قطعاً تحت نطاق السلوك العادي الذي يحدث في زمان ومكان(٣٢).

وتصاعدت المشاكل والحوادث الاجتماعية بين المصريين والعراقيين، الذي تسبب حدوث تزايد في حالات الوفاة الغامضة، اذ كانت في كثير من الاحيان تنتج عن نزاعات وخلافات حادة بين الطرفيين، ومع مرور الوقت اصبح عودة العمال المصريين الى بلادهم ليست باجسادهم الحية، بل كانوا يعودون جثث ميتة، الذي اطلقت عليها الصحف المصرية اسم (النعوش الطائرة)، كانت هناك ايام محددة من كل اسبوع لنعوش عائدة بجثث المصريين الذين لقوا حتفهم في العراق، ان اول بداية عودة الجثامين الى مصر كانت جثث العمال المصريين الذين تجندوا في الجيش العراقي سواء كان بشكل طوعي او ضمن سياسات تجنيد غير رسمية، مما شكل اول مبرر لعوده المصريين بالتوابيت الى ببلادهم، وبعد انتهاء الحرب دخل المصريين بحرب مع العراقيين(٣٣).

اذ وصلت الى مصر خلال العشرة اشهر الاولى من عام ١٩٨٩، حوالي (الف وثلاثة وخمسون) جثة لمصريين قادمين من العراق، والعديد من هذه الجثث كانت فيها اثار كسور في الجمجمة، كما شهدت محافظة صلاح الدين مشادة ببين عامل عراقي وعامل مصري، وهذه المشادة ادت الى مقتل خمسة عشر مصري بالرصاص، وان احدى الجثث التي وصلت الى مصر كان مذكور ان سبب الوفاة هو التماس كهربائي، لكن والد المتوفي أصر على اعادة التحقيق لمعرفة سبب الوفاة، وبعدما تم فتحها تبين ان هناك كسر في الجمجمة، وعاشت الدوائر الحكومية حال من القلق الشديد لما تنشره الصحف المصرية عن المشاكل التي تواجه المصريين، لذلك امر رئيس النظام العراقي الاسبق، باجراء تحقيقات واسعة بشأن حادثة يوم الجمعة المصادف السابع عشر من تشري الثاني ١٩٨٩، لذلك عقدت الحكومة العراقية اجتماعات مكثفة من اجل البحث في اسباب ودوافع الازمة بين المصريين والعراقيين، وطالب المصرون في العراق بالتدخل الفوري من قبل الرئيس حسن مبارك لاستعادة حقوهم [٣٤].

فقد ربطت الصحف المصرية حادثة يوم السابع عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ بجميع التوترات التي واجهها العمال المصريين في العراق وقامت باستخدام مصطلح (النعوش الطائرة) للأشارة الى تكرار عمليات نقل الجثث المصرية من العراق الى مصر خلال نلك المدة،مما أثار قلقاً واسعاً في مصر، واشارت الى مئات المصريين انتهت حياتهم خلال أشهر قليلة، واخذت قضية النعوش الطائرة صدى واسع في الشارع المصري.

كما نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً بعنوان (العمال المصريون يفرون من العراق)، بسبب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي اثرت على وجودهم مما اضطر العديد منهم العودة من اجل حماية حياهم والتخلص من المشاكل والخلافات المستمرة، واكد بعض المسؤولين المصريين بدقة الروايات التي تناولتها الصحف المصرية الرسمية بخصوص هروب العديد من العمال المصريين من العراق، لكن لم يفصحوا عن هويتهم، وفي الوقت ذاته رفض المسؤولون التعليق على التقارير التي تفيد بإعادة أكثر من مئة جثة مصرية خلال الاسابيع الاخيرة (نهاية تشرين الاول وبداية تشرين الثاني) وسط توقعات بعودة عدد اكثر من الجثث من العراق و بحلول شهر تشرين الاول عام ١٩٨٩ تجاوز عدد الجثث

(الف واثنان واربعون)جثة، متخطياً بذلك العدد المسجل خلال عام ١٩٨٨، والذي بلغ تسعمائة واثنان واربعون جثة[٣٥].

وصرحت الحكومة العراقية بانها تعالج جميع المشاكل التي يعاني منها العمال، بغض النظر عن حجمها، كما دعت اجهزة الاعلام المصرية، ان تتجنب نشر الاخبار التي تزيد من حدة الخلافات وتعزيز مشاعر الكراهية بين الشعبين، واكدت على اهمية دور الاعلام في معالجة الخلافات التي تحدث في العراق، وان تساهم مع الحكومة العراقية في حل قضايا العمال، بهدف تقليل الاضرار، والابتعاد عن الخلافات، وذلك لان الرأي العام يتأثر بالاخبار التي تنشرها وسائل الاعلام، مما يؤدي الى مشاعر عدائية بين الشعبين [٣٦].

كما اكدت السفارة المصرية في العراق ان اوضاع المصريين تحسنت بعد تدخل الحكومة العراقية، وساهم هذا التحسن بانخفاض اعداد العائدين الى مصر، وعاد الهدوء في شوارع بغداد، وضمان حقوق جميع العمالة التي ترغب بالاستقرار في العراق، فضلاً عن ارسال برقيات شكر للعمالة المصرية في العراق، وان العلاقة بين الحكومتين لم تتأثر بهذه الاحداث[٣٧] .

وعلى الرغم من عودة عدد كبير من العمالة المصرية، لكن كان هناك تقريباً مليون مصري كانوا مصريين على البقاء في العراق، ومستمرين في العمل ورفضوا العودة الى مصر، لذلك قامت الحكومة العراقية برعايتهم وحل جميع المشاكل التي تواجههم[٣٨].

وعندما اجريت جريدة الوفد لقاءً مع احد العمال المصريين الذي يعمل في العراق منذ ثلاثة عشر سنة، وهو صاحب محل تجاري، اذ اكد انهُ لم يواجه اي مشاكل على الاطلاق خلال هذه السنوات، ولم يتعرض لأي مضايقات، كما اوضح ان العراقيين اصدقائه، وان المشاكل التي يتم الحديث عنها لا تشمل جميع الصريين، وان هذه الحوادث التي تحصل لم يشاهدها، بل يسمع عنها فقط من بعض المصريين خلال احاديثهم[٣٩].

كما إن الحكومة المصرية ليس لديها معرفة بعدد المصريين المدفون في العراق، وأكدت السفارة المصرية أنها تجهل أعداد المصريين المتوفين، وأكدت الحكومة المصرية أن الحكومة العراقية تتعامل مع العمالة المصرية الموجودة في العراق بحنان، و تتفق معهم جيداً، و أن أعداد الجثث التي كانت تصل الى مصر طبيعية، ليس فيها مبالغة وهذا دليل

على تحسن المعاملة، وكانت قد بلغت في تسعة شهور الماضية قرابة الف جثة مصرية، بينما في السنوات الباقية لم يتجاوز (ستمائة وخمسون)جثة سنوياً، وهذا يدل على إن عام ١٩٨٩هي السنة الوحيدة التي شهدت تزايد في حالات الوفاة، بسبب الخلافات التي حدثت وربما تكون مفتعلة، من أجل تخريب العلاقة بين البلدين وذكرت الحكومتين هذا السبب لذلك كانت تؤكد على مدى قوة العلاقة بين البلدين(٤٠).

ويتضح مما سبق إن الصحافة العراقية كانت تتجنب تناول المشاكل التي كانت تتعرض لها العمالة العربية بما في ذلك العمالة المصرية، إذ لم تسلط الضوء على هذه الحوادث أو مناقشتها في الصحف، لكن في المقابل كانت الصحف المصرية تتابع هذه الأحداث لكنها بالغت فها ونشرت جميع تفاصيلها وسلطت الضوء على جميع المعاناة التي كان يعاني منها العمال في العراق مما جعلها مصدراً رئيسياً للمعلومات حول تلك القضايا كما ان هذه الحوادث لم تشمل جمع المصريين في العراق بل اقتصرت على فئة معينة، اذ ظل عدد من العمال الصريين في العراق رغم ما جرى .

وبعد نشوب حرب الخليج الثانية، تغير الموقف المصري اتجاه العراق جذرياً، وبدأت العلاقة بين العراق ومصر تتغير، لان مصر انضمت الى التحالف الدولي ضد العراق، خصوصاً بعد حدوث تقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية، فأصبحت اكثر فائدة من العراق، وحصلت مصر على دعم اقتصادي كبير من الولايات المتحدة ودول الخليج، ومن ضمنها إعفائها من الديون الخارجية، فضلاً عن المساعدات المالية، فشهدت مدة (١٩٩٠ – ١٩٩١)، عودة ثانية للعمالة المصرية الى بلادهم، بسبب تأزم العلاقات بين مصر والعراق(٤١).

قدمت الحكومة المصرية شكوى ضد العراق تخص العمالة المصرية التي عملت في العراق، وتم تشكيل لجنة تحقيق دولية ثلاثية تتألف من ممثلين عن حكومات وأصحاب أعمال من فرنسا وإنجلترا و كوستاريكا للحقيق في الشكوى المتقدمة من قبل الصريين ضد الحكومة العراقية، لاتخاذها إجراءات تعسفية ضد العمال الصريين التي تمثلت بحجز مستحقاتهم المالية، ومكافآت نهاية الخدمة وصعوبة تحويل الأموال الى مصر فضلاً عن التحقيق في أسباب وفيات المصريين

في العراق، " **اعلن ذلك السيد احمد العماوي رئس اتحاد نقابات عمال مصر وعضو مجلس إدارة المنظمة في اتصال تليفوني من جنيف أجراه معه، هيثم سعد الدين – مندوب – الأهرام، . وقال ان المجلس اتخذ القرار في جلسة خاصة مغلقة مقصورة على أعضاء المجلس، وبحضور مندوب حكومة العراق، إذ عرض عليه السيد مور رئيس مجلس ادارة منظمة العمل الدولية الشكوى المقدمة من اتحاد عمال مصر بموجب المادة ٢٤ من دستور المنظمة – ضد العراق لعدم تقيده بالاتفاقيات الدولية الخاصة** " وتم عرض الشكوى على المندوب العراقي، لكن رد المندوب وقال ان العراق عرض على مصر، البترول العراقي، تعويضاً عن المستحقات العاملين المصريين، لكم مصر لم ترد على هذ العرض، وان العراق ير فض هذه الشكوى التي قدمت ضده [٤٢].

كما نشرت صحيفة الأهرام مقالا بعنوان" **المخابرات العراقية هي التي قتلت المصريين** " إذ قامت بحوار مع معارضين الحكومة العراقية السابقة وتم طرح موضوع قتل العمال المصريين في العراق قالت أن الحكومة السابقة هي التي قامت بدعوة العمالة العربية ورحب بهم في خلال مدة تعرض المصريين إلى القتل والاعتداءات كانت الحكومة العراقية لا تتخذ إجراءات بخصوصهم، فتم التأكيد إن الذي قام بهذه الأعمال هم ليس من الشعب العراقي لأن طبيعة الشعب العراقي مسالم ومضياف وان الذين قتلوا المصريين هم من المخابرات وذلك لأن الحكومة السابقة كانت تعتقد أن المصريين كانوا يساعدون المعارضة العراقية مما جعل الرئيس السابق يعتقد بأن المصريين أصبحوا ضده لذلك قام بإجراءات جمعية وتهجير لذلك أسهم في تأجيج الخلافات بين المصريين والعراقيين بهدف إضعاف العلاقة بين الشعبين [٤٣].

بعد البحث في المصادر العراقية، لم اجد اي مصدر يتناول هذا الموضوع او يؤكده، اذ لم تنشر الصحف العراقية او المصادر الرسمية الى استهداف المصريين في العراق، بالمقابل ركزت الصحف المصرية على هذا الموضوع بشكل

مكثف، ما قد يثير التساؤلات بشأن دقة هذه الروايات ومدى صحتها، خصوصاً في ظل التوترات السياسية بين البلدين خلال تلك المدة .

ويتضح مما سبق، ان السودانيين لم يواجهوا مشاكل وخلافات مع العراقيين على عكس المصريين، وذلك لان العمالة السودانية كانت مسالمة جداً وكانوا مقربين من العراقيين وليسوا اصحاب مشاكل، وكانوا ذات سمعة جيدة، وكانوا معروفين بالهدوء والانضباط، اذ كانوا يميلون الى الطاعة والاستماع للأوامر، مما اصبحوا محل ثقة لدى العراقيين، ولم يكل لديهم سلوكيات سلبية مثل سلوكيات بعض المصريين مثل السرقة واعمال غير قانونية، لذلك السودانيين يحظون بقبول اكبر داخل المجتمع العراقي، فضلا عن ذلك ان الاعمال التي عملت بها العمالة السودانية لم تكن تنافس العراقيين، وكانت القيم والعادات قريبة من المجتمع العراقي، فضلاً عن عدد السودانيين لم يكن كبير مثل العمالة المصرية، ولم تكن هناك حملات اعلامية او شائعات تتحدث عنهم، فلم يدخلوا بمنافسة مع العمالة المحلية.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكن القول إن قضية العمالة الوافدة، وخاصة العمالة المصرية في العراق، تعد من القضايا التي شهدت تأثيرات كبيرة على المستويين الاجتماعي والاقتصادي. فقد ساهمت التحولات السياسية والاقتصادية في تشجيع حركة العمالة بين البلدين، إلا أن هذه الظاهرة لم تكن خالية من التحديات، إذ أدت إلى بعض التوترات الاجتماعية، وخلقت صعوبات مرتبطة بسوق العمل، سواء من إذ ارتفاع معدلات البطالة بين القوى العاملة المحلية أو الحاجة إلى تنظيم العمالة الوافدة وضمان حقوقها. لقد ادت وسائل الإعلام دورًا مزدوجًا في هذه القضية، إذ ساهمت في تسليط الضوء على معاناة العمال ونقل صورة واضحة عن ظروفهم، لكنها في بعض الأحيان ساهمت أيضًا في تضخيم بعض المشكلات، مما أدى إلى تعقيدها بدلًا من معالجتها. ومن هنا، فإن التعامل مع هذه القضية يتطلب مقاربة متوازنة تجمع بين حماية حقوق العمال الوافدين وتأمين فرص العمل للمواطنين المحليين، مما يضمن استقرارًا اقتصاديًا واجتماعيًا لكل الأطراف المعنية، وعليه، فإن البحث في هذه الظاهرة لا ينبغي أن يتوقف عند مجرد استعراض المشاكل، بل يجب أن يسعى إلى تقديم حلول عملية قائمة على التعاون بين الدول، وسن التشريعات المناسبة التي تحمي حقوق العمال وتعزز بيئة عمل آمنة وعادلة. ومن خلال مواصلة البحث العلمي ووضع استراتيجيات تنموية مستدامة، يمكن التوصل إلى حلول تحقق التوازن بين الحاجة إلى العمالة الوافدة وتحقيق الاستقرار في سوق العمل المحلي، مما يسهم في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

المصادر/

اولاً:الوثائق

1- Alan Cowell ,Egyptian Laborers Are Fleeing Iraq, The New York Times, November 15, 1989.

ثانياً:الرسائل والاطاريح الجامعية غير المنشورة

١- صالح خلف صالح، أثار الاجتياح العراقي للكويت على العلاقات العراقية – الامريكية (١٩٨٨–٢٠٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا، ٢٠١٠.

ثالثاً:الصحف

٢- جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٥٩٩، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٣- جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٥٩٩، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٤- جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٦٠٢، ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٥- جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٦٠٤،٢١ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٦- جريدة الاهرام المصرية،العدد ٣٧٦٠٣ ،٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٧- جريدة الاهرام، العدد ٣٧٩٦٥،١٧ تشرين الثاني ١٩٩٠.
٨- جريدة الاهرام، العدد ٣٧٩٦٥،١٧ تشرين الثاني ١٩٩٠.
٩- جريدة الثورة العراقية، العدد ٧١٠٩ ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩..
١٠- جريدة الثورة العراقية، العدد ٧١٠٩، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩.
١١- جريدة الثورة العراقية، العدد ٧١١١ ، ١٨ تشرين الثاني،١٩٨٩.
١٢- جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٦٤، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
١٣- جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٦٧، ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٩.
١٤- جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٧٢ ،٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.
١٥- جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٧٢، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.
١٦- جريدة الوفد ، العدد ٢٩٦ ، ٢ تشرين الثاني ١٩٨٩.
١٧- جريدة الوفد، العدد ٨٤٩ ، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩

١٨- جريدة الوفد، العدد ٨٤٩ ، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
١٩- جريدة الوفد، العدد ٢٩٦، ٢ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٢٠- جريدة الوفد، العدد ٢٩٩ ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٢١- جريدة الوفد، العدد ٢٩٩، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٩
٢٢- جريدة الوفد، العدد ٨٣٦، ٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٢٣- جريدة الوفد، العدد ٨٣٧، ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٢٤- جريدة الوفد، العدد ٨٤٠، ١٣ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٢٥- جريدة الوفد، العدد ٨٤٣، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٢٦- جريدة الوفد، العدد ٨٤٣، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٢٧- جريدة الوفد، العدد ٨٤٤، ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٢٨- جريدة الوفد، العدد ٨٤٧، ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٢٩- جريدة الوفد، العدد ٨٤٨، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٣٠- جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٣١- جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ .
٣٢- جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٣٣- جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٣٤- جريدة الوفد، العدد ٨٥٠، ٢٥ تشرين لثاني ١٩٨٩.
٣٥- جريدة الوفد، العدد ٨٥١، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٩.
٣٦- جريدة الوفد، العدد ٨٦٣ ، ١٠ كانون الاول١٩٨٩.
٣٧- جريدة الوفد،العدد٨٤٤، ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.

رابعاً:شبكة المعلومات الدولية الانترنت

١- حياة بوك،النعوش الطائرة كارثة اصابت المصريين بالعراق، يوتيوب، تاريخ النشر ١٣ شباط ٢٠٢٣، تاريخ زيارة الموقع : ٨ شباط ٢٠٢٥،https://youtu.be/irh٣_Kim٨٨hF٧g?si=ed٤RWY_ahsuxPy

٢- صفاء خلف، (بمناسبة القمة الاقتصادية،الآهوال المصرية العراقية مثالاً،مجلة المدن الاكترونية المستقلة، تاريخ النشر ٢٠١٩\١\١٦، تاريخ زيارة الموقع : ٣٠ كانون الثاني ٢٠٢٥،
https://web.archive.org/web/
٣- عبد الجبار العتابي، (المربعة محلة الاكابر التي تحولت الى خرابة)، مجلة الشبكة العراقية، تاريخ النشر ٢٠١٦، تاريخ زيارة الموقع : كانون الثاني ٢٠٢٥، الموقع الالكتروني : https://magazine.imn.iq/amp/%D
٤- وكالة ستيب، النعوش الطائرة القصة الغامضة لعودة الاف المصريين بتوابيت أقلعت من بغداد، يوتيوب، يوتيوب، تاريخ النشر ٢١ تشرين الاول ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٧ شباط ٢٠٢٥،https://youtu.be/fBQmfzm?si=XzcrQd٧A٨EQAi٥Y١

الهوامش:

(١) وكالة ستيب، النعوش الطائرة القصة الغامضة لعودة الاف المصريين بتوابيت أقلعت من بغداد، يوتيوب، يوتيوب، تاريخ النشر ٢١ تشرين الاول ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٧ شباط ٢٠٢٥،https://youtu.be/fBQmfzm?si=XzcrQd٧A٨EQAi٥Y١

(٢) جريدة الوفد، العدد ٢٩٦، ٢ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

(٣) جريدة الوفد ، العدد ٢٩٦ ، ٢ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٤) جريدة الوفد، العدد ٨٣٦، ٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٥) جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٦٤، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

(٦) جريدة الوفد، العدد ٨٣٧، ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

(٧) جريدة الوفد، العدد ٨٤٠، ١٣ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

(٨) جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٥٩٩، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٩) جريدة الوفد، العدد ٨٤٣، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

(١٠)جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٥٩٩، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(١١)جريدة الوفد، العدد ٨٤٣، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

(١٢) جريدة الثورة العراقية، العدد ٧١٠٩، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(١٣)جريدة الثورة العراقية، العدد ٧١٠٩ ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩..

(١٤) جريدة الثورة العراقية، العدد ٧١١١ ، ١٨ تشرين الثاني،١٩٨٩.

(١٥) جريدة الوفد، العدد ٢٩٩، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٩

(١٦) المربعة :- وهي محلة بغدادية قديمة تعود الى العهد العباسي، وسميت بهذا الاسم لان العراقيين كانو يطلقون على هذا الجزء مربع، اذ كان الناس يقولون للشخص الذي يسكن في هذا المكان (انت تسكن في المربع)، لذلك اطلق هذا الاسم، واصبحت معروفة باسم (محلة المربعة)، وكانت جزء من محلة اسمها (باب المراتب) التي هي واحدة من ابواب باب الخلافة العباسية، وتعتبر من محلات بغداد الشهيرة، تقع خلف سينما الزوراء (الشعب)، فهي تربط بين (شارع باب الشيخ – السنك) وشارع (السيد سلطان العلي) كانت في الماضي تعتبر تحفة جميلة يتباها الجميع في جمالها لكنها مرت بالعديد من التغيرات، اذ اثرت بشكل كبير على جمالها، فكانت تكثر فيها المحلات التجارية، واصبحت منطقة يستوطنها المصريين في السبعينات والثمانينات الى وقتنا الحالي أي انا تحولت الى حي مصري بالكامل. للمزيد ينظر الى عبد الجبار العتابي، (المربعة محلة الاكابر التي تحولت الى خرابة)، مجلة الشبكة العراقية، تاريخ النشر ٢٠١٦، تاريخ زيارة الموقع : كانون الثاني ٢٠٢٥، الموقع الالكتروني : https://magazine.imn.iq/amp/%D

(١٧) صفاء خلف، (بمناسبة القمة الاقتصادية،الآهوال المصرية العراقية مثالاً،مجلة المدن الاكترونية المستقلة، تاريخ النشر ٢٠١٩\١\١٦، تاريخ زيارة الموقع : ٣٠ كانون الثاني ٢٠٢٥، https://web.archive.org/web/

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٦٠٢، ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٠) جريد الوفد، العدد ٢٩٩ ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢١) جريدة الاهرام المصرية،العدد ٣٧٦٠٣ ،٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٢) جريدة الوفد،العدد٨٤٤، ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٣) جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٦٧، ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٤) جريدة الوفد، العدد ٨٤٧، ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٥) جريدة الاهرام المصرية، العدد ٣٧٦٠٤،٢١ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٦) جريدة الوفد، العدد ٨٤٤، ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٧) جريدة الوفد، العدد ٨٤٨، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩.

(٢٨) جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٩.

[٢٩]جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٧٢، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.

[٣٠]جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.

[٣١] جريدة الوفد، العدد ٨٤٩ ، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

[٣٢]جريدة الوفد، العدد ٨٤٩ ، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩

[٣٣] حياة بوك،النعوش الطائرة كارثة اصابت المصريين بالعراق، يوتيوب، تاريخ النشر ١٣ شباط ٢٠٢٣، تاريخ زيارة الموقع : ٨ شباط ٢٠٢٥، https://youtu.be/irh٣Kim_ed٨٨RWY_ahF٧g?si=suxPy٤

[٣٤] جريدة الوفد، العدد ٨٥٠، ٢٥ تشرين لثاني ١٩٨٩.

[35] Alan Cowell ,Egyptian Laborers Are Fleeing Iraq, The New York Times, November 15, 1989, تاريخ زيارة الموقع، ٨شباط ٢٠٢٥، https://web.archive.org/web/20201020013142/https://www.nytimes.com/1989/11/15/world/egyptian-laborers-are-fleeing-iraq.html.

[٣٦] جريدة الجمهورية، العدد ٧٣٧٢ ،٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.

[٣٧] جريدة الوفد، العدد ٨٥١، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٩.

[٣٨] جريدة الوفد، العدد ٨٦٣ ،١٠ كانون الاول١٩٨٩.

[٣٩] جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

[٤٠]جريدة الوفد، العدد ٨٤٩، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ .

[٤١] صالح خلف صالح، أثار الاجتياح العراقي للكويت على العلاقات العراقية – الامريكية (١٩٨٨-٢٠٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا، ٢٠١٠، ص ٤٦ .

[٤٢] جريدة الاهرام، العدد ٣٧٩٦٥،١٧ تشرين الثاني ١٩٩٠.

[٤٣]جريدة الاهرام، العدد ٣٧٩٦٥ ،١٧ تشرين الثاني ١٩٩٠.

التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث

أحمد سمين احمد شريف

ahmed.c.ahmed@tu.edu.iq

جامعة تكريت، كلية التربية، طوز خورماتو

التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث

أحمد سمين احمد شريف

المستخلص:

يتناول هذا البحث التشبيه المركب ووظيفته التصويرية في الشعر العربي الحديث بوصفه تقنية فنية تتجاوز التشبيه التقليدي القائم على المقارنة الجزئية. ينطلق البحث من فرضية أن التشبيه المركب يشتغل على تشبيه هيئة بهيئة أو مشهد بمشهد، فيحوّل القول من الإخبار إلى التصوير والإيحاء، ويغدو جزءًا عضويًا من بنية النص الجمالية والدلالية. يعرض البحث مفهوم التشبيه وأركانه وأغراضه، ثم يميّز بين أنماطه بحسب الحسي والعقلي، وبحسب الإفراد والتقييد والتركيب، مع إبراز خصوصية التشبيه المركب في كون وجه الشبه يُستنتج من مجموع العلاقات داخل الصورة لا من لفظٍ مباشر. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وطبّقت الإطار النظري على نماذج مختارة من شعر محمود درويش وبدر شاكر السياب. ويبيّن التحليل أن التشبيه المركب يسهم في بناء المشهد الشعري على نحو قريب من اللقطة السينمائية، ويكثّف الدلالة، ويولّد أثرًا نفسيًا وجماليًا يوسّع أفق التأويل، ويجعل الصورة أداة لتخليق المعنى وبناء الرؤية. كما تكشف النتائج عن انتقال التشبيه من وظيفة الزينة إلى وظيفة البناء، وعن قدرته على وصل التجربة الذاتية بالسياق الجمعي والوجودي. ويوصي البحث بتوسيع corpus الدواوين، وربط التحليل البلاغي بمناهج سيميائية وظاهراتية، وتضمين نماذج منه في التعليم الجامعي.

الكلمات المفتاحية: التشبيه المركب، الصورة الشعرية، الشعر العربي الحديث، الوظيفة التصويرية، محمود درويش والسياب

Abstract :

This study examines the compound simile and its imagistic function in modern Arabic poetry as an artistic technique that goes beyond the traditional, partial comparison typical of classical simile. It proceeds from the assumption that the compound simile operates by likening one whole configuration to another, or one scene to another,

thereby shifting poetic discourse from plain statement to vivid visualization and suggestion, and becoming an organic component of the poem's aesthetic and semantic structure. The study outlines the concept of simile, its pillars and purposes, then distinguishes its major types (sensory vs. intellectual; simple vs. compound), highlighting the specificity of the compound simile in that the point of resemblance is inferred from the network of relations within the image rather than stated explicitly. Methodologically, the research adopts a descriptive-analytical approach and applies the theoretical framework to selected examples from Mahmoud Darwish and Badr Shakir al-Sayyab. The analysis shows that compound simile contributes to scene-building in a manner akin to cinematic sequencing, intensifies meaning, and generates psychological and aesthetic effects that expand interpretive horizons, making imagery a mechanism for producing meaning and shaping poetic vision. Findings also indicate a shift from ornamentation to structural formation, linking personal experience with collective and existential contexts, and the study recommends broader corpora, semiotic and phenomenological integration, and pedagogical inclusion.

Keywords: compound simile; poetic image; modern Arabic poetry; imagistic function; Darwish and al-Sayyab

المقدمة

لم يعد التشبيه في الشعر العربي الحديث مجرد وسيلة بيانية تقليدية تُستخدم للتوضيح أو لإضفاء لمسة جمالية أسلوبية، بل تطور ليصبح تقنية فنية معقدة تساهم في تشكيل الرؤية الشعرية وبناء الصورة وتكثيف الدلالات. من أبرز الأشكال التي تألقت في التجربة الشعرية الحديثة ما يُعرف بالتشبيه المركب، الذي يهدف إلى مقارنة صورة كلية بأخرى أو مشهد بمشهد، بعيدًا عن الاقتصار على مقارنة جزئية بين مفردتين.

يتميّز هذا النوع من التشبيه بقدرته الفريدة على احتواء التجارب الشعورية المعقدة وترجمتها من مجرد الإخبار إلى التصوير الفني والإيحاء. ويعتمد هذا البحث على افتراض أن التشبيه المركب في الشعر العربي الحديث لم يعد مجرد عنصر تقليدي من البلاغة النصية، بل بات يشكل جزءًا لا يتجزأ من بنية النص الجمالية. كما أنه يعد وسيلة فعالة

لتخليق المعنى، وبناء المشاهد الشعرية، وتوجيه القارئ نحو فهم أعمق للنص. يعالج البحث مفهوم التشبيه المركب وخصائصه الفنية، مسلطًا الضوء على دوره التصويري، وذلك من خلال تحليل أمثلة منتقاة بعناية من قصائد الشعر العربي الحديث.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على دور التشبيه المركب في إثراء الصورة الشعرية الحديثة، وقدرته الفريدة على استيعاب التجارب الشعورية المعقدة التي قد يعجز التشبيه المفرد عن نقلها كما تبرز الأهمية في كونه يربط بين القواعد البلاغية التراثية وبين الممارسات الإبداعية في الشعر الحديث، مما يساهم في فهم أعمق لآليات التشكيل الجمالي.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل حول كيفية مساهمة التشبيه المركب في تشكيل المشهد الشعري في القصيدة العربية الحديثة، وما هي الخصائص الجمالية والوظيفية التي تميزه عن غيره من أنواع التشبيه، وكيف استطاع الشعراء المحدثون توظيفه للتعبير عن رؤاهم الفنية والذاتية.

أهداف البحث

١. تحديد مفهوم التشبيه المركب وأسسه البلاغية في التراث والنقد الحديث.

٢. تحليل الوظيفة التصويرية للتشبيه المركب وقدرته على بناء المشاهد الشعرية.

٣. إبراز التحولات الجمالية والوظيفية التي طرأت على التشبيه المركب في الشعر الحديث.

أسئلة البحث

١. ما هو تعريف التشبيه المركب وما هي أركانه الأساسية؟

٢. كيف يختلف التشبيه المركب عن التشبيه المفرد من حيث البنية والوظيفة؟

٣. ما هي أبرز الوظائف التصويرية التي يؤديها التشبيه المركب في النص الشعري الحديث؟

الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الأدبيات المتعلقة بموضوع التشبيه، يمكن رصد مجموعة من الدراسات التي تناولت هذا الفن من زوايا مختلفة:

١. التشبيه المركب في القرآن الكريم (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر ١٩٨٢م) تناولت هذه الدراسة بلاغة التشبيه المركب في النص القرآني، وكيفية بناء الصور الكلية التي تجمع بين عناصر متعددة لتقريب المعاني الغيبية والتربوية.

٢. التشبيه التمثيلي ومظاهره في الحديث النبوي (دراسة تحليلية) ركزت هذه الدراسة على التشبيه التمثيلي (وهو نوع من التشبيه المركب) في السنة النبوية، مبرزةً دوره في التعليم والإقناع وتجسيد المعاني الأخلاقية.

٣. التشبيه في شعر لبيد (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر): استعرضت هذه الدراسة أنماط التشبيه في الشعر الجاهلي، مع التركيز على قدرة الشاعر على بناء صور مركبة مستمدة من البيئة الصحراوية.

٤. فن التشبيه في شعر أوس بن حجر (دراسة نقدية): تناولت هذه الدراسة التشكيل الجمالي للتشبيه عند أوس بن حجر، وكيفية توظيف الصور المركبة في وصف الطبيعة والحيوان.

٥. البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس: بحثت هذه الدراسة في الخصائص الفنية للصور التشبيهية في المعلقة، مبرزة كيف تحول التشبيه أداة من مجرد وصفية إلى عنصر بنيوي يساهم في وحدة القصيدة.

التمهيد: الصورة الشعرية وتحولاتها في الشعر العربي الحديث

طرأت تغييرات جذرية على الصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث، لم تقتصر على التطوير الشكلي، بل عكست تحولاً عميقًا في وعي الشاعر بذاته وبالعالم من حوله، وبوظيفة اللغة التي يصوغ بها تجربته. ففي الشعر القديم، اعتُبرت الصورة وسيلة إيضاح أو وسيلة لتزيين المعنى، وكانت ترتكز غالبًا على علاقات شبه مألوفة وثابتة متوافقة مع الذائقة الجماعية.

أما في الشعر الحديث، فقد تغيرت وجهة الصورة لتصبح العنصر المحوري للنص الشعري، وأداة أساسية لتوليد الدلالة وبناء رؤية جديدة تخلق عالمًا شعريًا قائمًا بذاته. الصورة الشعرية الحديثة لم تعد انعكاسًا مباشراً للمدركات الحسية أو المفاهيمية، بل أصبحت بناءً تخييليًا معقدًا يقوم على الإيحاء والرمزية، رافضة للدلالات المباشرة أو المتداولة.

ولم يعد الشاعر يكتفي بنقل الواقع كما هو، بل يعيد تشكيله باستخدام خياله، مما يحفز القارئ على تأويل النص ويفتح المجال أمام تفاعل غني ومفتوح بين القارئ والعمل الشعري. هذا التحول أدى بدوره إلى إعادة النظر في بعض الأساليب البلاغية التقليدية، مثل التشبيه، الذي تخلى عن دوره السابق كأداة لتوضيح الصور من خلال المشابهة الجزئية أو الإيضاح البسيط. في الإطار الحديث، تطور التشبيه ليأخذ شكلًا مركبًا يمزج بين عناصر متباعدة ظاهريًا، مما ينتج أثرًا نفسيًا ودلاليًا يتجاوز حدود التشابه الحسي. وهكذا، برز التشبيه المركب كواحدة من أبرز أدوات التصوير في الشعر العربي الحديث، حيث أتاح للشاعر إمكانية التعبير عن تعقيدات التجربة الشعورية وبناء مشاهد شعرية شاملة بعيدة عن الأنماط التقليدية.

المبحث الاول : مفهوم التشبيه المركب واسسه البلاغية

المطلب الاول : تعريف التشبيه واركانه واغراضه

تعريفه : يمكن تعريفه على أنه عملية مقارنة بين أمرين أو أكثر، يتشابهان في صفة أو عدة صفات مشتركة، ويتم تحقيق ذلك من خلال استخدام إحدى أدوات التشبيه التي تبرز هذا التشابه بوضوح وتُضفي على المعنى قوة ودقة في التعبير.[١]

اركانه :

١- المشبه

٢- المشبه به، وهما طرفا التشبيه

٣- وجه الشبه، وهو الصفة المشتركة بين الطرفين

٤- اداة التشبيه، ملفوظة او ملحوظة[٢]

والتشبيه يُعدّ أحد الأساليب البلاغية البارزة التي تُستخدم في تعزيز المعنى وجعله أكثر وضوحاً وتأثيراً في نفوس المتلقين. وهو يتألف عموماً من أركان أربعة أساسية: المشبه،

والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. أما أداة التشبيه، فيمكن أن تكون متنوّعة الصيغ؛ فقد تأتي على هيئة حرف مثل "الكاف" و"كأن"، أو اسماً ككلمة "مثل"، "شبيه"، "نظير"، و"مماثل". وفي بعض الأحيان، قد تكون الأداة فعلاً يعبر بشكل مباشر عن التشابه مثل "يشبه"، "يماثل"، و"يضاهي"، ما يتيح تنويعاً في طرق التعبير لتحقيق المقصد البلاغي.

ومن الجدير بالذكر أن أركان التشبيه قد تجتمع بأكملها في بعض الجمل لتُبرز الصورة البلاغية بوضوح كامل، ولكن في أحيان أخرى قد يُحذف أحد هذه الأركان لإحداث صورة مختزلة تعتمد على السياق لفهم الفكرة. على سبيل المثال، إذا اجتمعت كل الأركان، يمكننا أن نذكر عبارة مثل: "العلم كالنور في الهداية". هنا نجد أن "العلم" هو المشبه الذي يتم وصفه أو مقارنته بشيء آخر، و"النور" هو المشبه به الذي يحمل الخصائص المرغوب نقلها إلى المشبه، و"في الهداية" يمثل وجه الشبه الذي يربط بينهما ويوضح جوانب الاشتراك، وأداة التشبيه "الكاف" تعزز عملية الربط وتيسر فهم العلاقة التشبيهية بين الطرفين.[٣]

اما أغراض التشبيه كثيرة منها ما يأتي :

١. بيان إمكان المشبه : وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلاّ بذكر شبيه له كقوله :

ويلاه إن نظرت و إن هي أعرضت وقع السهام و نزعهن أليم

شبه نظرها بوقع السهام، و إعراضها بنزعها : بيانا لإمكان إيلامها بهما جميعا.

٢. بيان حاله : وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف. كقوله الشاعر

إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين.

٣. بيان مقدار حاله : وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية و كان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة. كقوله :

فيها اثنتان و أربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

شبه النياق السود بخافية الغراب بيانا لمقدار سوادها.

٤. تقرير حاله : كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت و الإيضاح بالمثل. كقوله :

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

شبه تنافير القلوب بكسر الزجاجة تشبيتا لتعذره عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس و المودة.[٤]

هـ. تزيين المشبه أو تقبيحه. كقول الشاعر :

كأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

إذا أشار محدثا فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم[٥]

المطلب الثاني : اقسام التشبيه (الحسي_العقلي_المفرد_المركب)

نذكر بعد هذا التطواف حول أقسام التشبيه باعتبار الحسية والعقلية.

فهناك تشبيه مفرد بمفرد، هناك مقيد بمقيد، هناك مفرد بمقيد، هناك مقيد بمفرد، وهناك مركب بمركب، وهناك مفرد بمركب، ومركب بمفرد. معنى إفراد الطرف: أن يكون شيئًا واحدًا متميزًا بذاته، وليس مقيدًا بقيد يؤثر في صورة التشبيه، وليس على هيئة مركبة من عدة أمور مثل: أن نشبه بالقمر، أو نشبه بالبحر، أو نشبه بالنجوم، إلى غير ذلك.[٦]

معنى تقييد: أن يرتبط الطرف، ويقيد بوصف، أو بإضافة، أو بحال، أو بجار ومجرور؛ تقييدًا لا يبلغ حد التركيب، شريطة أن يكون لهذا القيد أثر في تحقيق وجه الشبه مثل قولنا مثلًا: الراقم على الماء، والمرآة في كف أشل، إلى غير ذلك.[٧]

معنى أن يكون الطرف مركبًا يعني: أن يكون هيئة مؤلفة من أمرين، أو من عدة أمور، قد امتزجت امتزاجًا يجعلها في حكم الشيء الواحد. كما سنذكر ذلك في هذه الأمثلة التالي ذكرها، فنتناول:

اولا : معنى أن يتشبه طرف مفرد بطرف مفرد آخر، نذكر مثلًا من الأمثلة ما جاء في قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا}[٨] ، فهنا يشبه الله –سبحانه وتعالى– الليل باللباس بجامع الستر في كل فكل من الليل، واللباس يستر الناس منه قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}[٩] ، شُبِّهت المرأة باللباس للرجل، وكذلك الرجل شُبِّه باللباس للمرأة، وهذا

التشبيه يحمل في طياته دلالة عميقة على العلاقة الوثيقة بين الطرفين .فكلاهما في مقام المكمل للآخر، حيث يعكس اللباس الحماية والزينة والقرب الدائم الذي يحتاج إليه الإنسان.\

ومن خلال هذا التشبيه البليغ، يظهر مدى الترابط الإنساني بين الرجل والمرأة، إذ لا يمكن لأحدهما أن يكتمل دون وجود الآخر. فاللباس يُعبر عن السكن والاطمئنان والتكامل، وهذه القيم هي جوهر العلاقة التي تجمع بينهما في حياة مشتركة مبنية على المودة والرحمة.

إما أن يكون حسيًّا يدل على الإحاطة والاشتمال وإما أن يكون أمرًا عقليًّا مراد به أن يستر كل الآخر؛ بحيث يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة، مما جاء في تشبيه المفرد بالمفرد قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}[١٠] . فهو تشبيه قلوب أهل الكفر وهم من اليهود بالحجارة بجامع القسوة والصلابة، وأنه لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق والعياذ بالله – . هذا أيضا تشبيه الوجه بالبدر، تشبيه الشعر بالليل، تشبيه الرجل بالأسد، وتشبيه الخد بالورد، إلى غير ذلك مما نلحظ فيه أن المشبه والمشبه به مفردان كل منهما غير مقيد.[١١]

الضرب الثاني من ضروب التشبيه يعتمد على التفرقة بين إفراد الطرفين وتقييدهما ضمن سياقٍ محدد يشترط التركيب المقيد للطرفين؛ أي أن كل طرف من أطراف التشبيه يحمل تقييدًا خاصًا يحدد إطار المعنى المقصود. على سبيل المثال، عندما نقول "التعليم في الصغر كالنقش في الحجر"، نجد أن هناك تقييدًا واضحًا للطرفين: فالتعليم، وهو المشبه، لا يُقصد به التعليم بشكل عام أو مطلق، بل هو مقيد بفترة الصغر، التي توحي بسهولة الاستيعاب وقوة تأثير المعرفة في المراحل الأولى من الحياة .وفي المقابل، النقش، الذي يمثل المشبه به، مقيد بكونه في الحجر، مما يعكس صفة الثبات والدوام والتأثير العميق الذي يصعب محوه بمرور الوقت .هذه التقييدات هي التي تُبقي وجه الشبه دقيقًا ومحددًا بين الطرفين، وهو هنا "الثبات واستمرار الأثر ."وبالطريقة ذاتها، يمكن النظر في التعبير الذي يشبه الشخص الذي يكدح بلا جدوى ومن دون أن يحصد نتيجة، بالقابض على الماء بين كفيه. هنا أيضًا نجد أن طرفي التشبيه يتقيدان بمعانٍ بعيدة عن العموم والشمولية؛ حيث يتم التركيز على فعل القبض بوصفه محاولة عقيمة لا تثمر شيئًا ذا قيمة .وجه الشبه هنا هو المساواة بين قيام الشخص بسعيٍ لا يؤدي إلى نتائج ملموسة وبين القبض على الماء الذي

ينزلق سريعًا دون أن يُمسك. إذن، المعنى المرجو من التشبيه يتضح فقط عند فهم التقييد المشروط في كل طرف .هذه الصور البلاغية التي تمثل التشبيه المقيد نجد مثالاً آخر عليها في قول ابن الرومي، والذي يلخص روح هذا الأسلوب الفني القائم على موازنة دقيقة وتحديد مقصود للطرفين ضمن صورة أدبية ثرية وأبعاد فكرية دقيقة.[١٢]

المبحث الثاني : الوظيفة التصويرية للتشبيه المركب في الشعر الحديث

المطلب الاول : بناء المشهد الشعري

يسهم التشبيه المركب إسهاما فاعلا في بناء المشهد الشعري، إذ يتيح للشاعر أن . يرسم لوحة كلية تتداخل فيها العناصر الحسية والذهنية[١٣]. فالصورة لا تُقدّم بوصفها وصفا ثابتًا، بل مشهدًا متحركا، تتكشف ملامحه تدريجيًا، مما يمنح النص حيوية وديناميةً.[١٤]

ويُلاحظ أن هذا النوع من التشبيه يُقارب في بنيته تقنيات التصوير السينمائي، حيث تنتقل الصورة من لقطة إلى أخرى، وتتراكم التفاصيل لتشكيل المعنى النهائي.[١٥]

تكثيف الدلالة والإيحاء

يمتلك التشبيه المركب قدرة عالية على تكثيف الدلالة، إذ يسمح بتداخل المعاني وتراكبها داخل صورة واحدة[١٦]. فبدل أن يعبّر الشاعر عن فكرته بشكل مباشر يلجأ إلى بناء صورة مركبة تحمل في طياتها أكثر من مستوى دلالي، مما يفتح النص على تعدد التأويلات.[١٧]

وتكمن قوة هذا التشبيه في أنه لا يفرض معنى واحدًا، بل يتيح للمتلقي حرية التفاعل مع النص، واستنباط دلالاته وفق أفقه الثقافي والوجداني[١٨].

ثالثا: البعد النفسي والجمالي

لا تقتصر وظيفة التشبيه المركب على الجانب الدلالي، بل تمتد إلى البعد النفسي والجمالي، إذ يسهم في إثارة الانفعال، وتحريك الخيال وإحداث الأثر الجمالي المنشود[١٩]. فالصورة المركبة تُحدث صدمة فنية تخرج المتلقي من أفق التوقع، وتدفعه إلى إعادة النظر في العلاقات المألوفة بين الأشياء[٢٠]. وبهذا المعنى، يصبح التشبيه المركب أداة فنية فاعلة في التعبير عن القلق الوجودي، والاغتراب والتوترات النفسية التي تميز التجربة الشعرية الحديثة[٢١].

المطلب الثاني : التشبيه المركب في التجربة الشعرية الحديثة

اولا : التشبيه المركب في شعر محمود درويش

يعد التشبيه المركب عنصراً محورياً في التجربة الشعرية لدى محمود درويش، حيث لا يظهر كأداة بيانية منعزلة أو منفصلة عن سياقها، بل يتجلى كجزء غير قابل للتجزئة من البنية الكلية للصورة الشعرية، والتي بدورها تمثل تجسيداً للرؤية الفنية والشعرية بأسلوب يتسم بالعمق والثراء[٢٢]. إن درويش لا يعتمد فقط على مقارنة مفردة بأخرى محددة، وإنما يقوم بنسج علاقة تماثل بين مشهدين متكاملين، أحدهما طبيعي أو إنساني والآخر وجودي أو وطني، ليخلق بذلك إطاراً دلالياً معقداً، تتضافر فيه التفاصيل لبلورة صورة شعرية متكاملة تنبض بالمعاني المتعددة[٢٣].

يتضح هذا جلياً عند تأمل قوله:

ونحن نحبّ الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا ونرقص بين شهيدين... نرفع مئذنة للبنفسج.[٢٤]

هنا نجد أن التشبيه لا يقوم على أدوات بيانية مباشرة أو ملموسة، بل ينبثق من تشكيل صورة مركبة تستند إلى التوازي بين مشهدين متناقضين: مشهد الحياة اليومية ومشهد الموت[٢٥]. في هذه الصورة، تتداخل عناصر الفرح كحب الحياة والرقص مع عناصر الفقد كالشهيدين، لتنسج معاً لوحة متكاملة تعكس الوضع الفلسطيني كحالة مستمرة من التوتر الدائم بين الحياة والموت[٢٦]. ومن خلال هذا التوازي البنيوي، يتمكن درويش من خلق تشبيه مركب لا يكشف فقط عن وجه الشبه بشكل مباشر، بل يدعو القارئ لاكتشافه عبر تحليل التراكم المعنوي لعناصر الصورة[٢٧].

وفي موضع آخر، يقول درويش: هذه الأرض صغيرةٌ كفراشة لكنها تطير منا وإلينا[٢٨].

يتجاوز هذا المقطع الحدود التقليدية للتشبيه البسيط الذي يعتمد على مقارنة مباشرة بين الأرض والفراشة، ليخلق مشهداً ملؤه الرمزية والتعقيد[٢٩]. فالارتباط بين الأرض والفراشة لا يقتصر على ملامح الشكل أو الحجم، بل يتعمق في الإشارة إلى خصائص مثل الخفة، والهشاشة، والديمومة في الحركة[٣٠]. الأرض هنا ليست فراشة مجازة بمفهومها الحرفي، وإنما

تحمل في وضعها الوجودي ما يشبه طبيعة الفراشة المتأرجحة بين القرب والبعد، والرغبة في الاستقرار والقدرة على الانفلات[٣١]. هذه الثنائية حوّلت الصورة إلى مجاز مركب يعكس بمهارة حالة الأرض الفلسطينية المتقلبة بين الانتماء والاغتراب، الحضور والغياب[٣٢].

يرتقي التشبيه المركب عند محمود درويش بوظيفته الفنية والتعبيرية ليصبح أداة بليغة لتحويل الخطاب إلى أفق أكثر عمقاً وتجريداً[٣٣]. فهو لا يكتفي بوصف مباشر أو صياغة تقليدية للحالة الشعورية أو الوجودية، بل يجمع بين العناصر المختلفة ليصوغ رؤى شعرية تحتاج مشاركة فعّالة من القارئ لفهم دلالاتها واستيعاب أبعادها[٣٤]. وهكذا، يتحول المتلقي من مجرد مشاهد سلبي إلى شريك أساسي في فك شيفرة الصور واستيعاب الدلالات الحضارية والإنسانية التي يرغب الشاعر في نقلها.[٣٥]

ثانيا : التشبيه المركب في شعر بدر شاكر السياب

يُعتبر بدر شاكر السياب أحد أعلام الشعر العربي الحديث وأحد أبرز رواد حركة الحداثة الشعرية، حيث ترك بصمة واضحة في تطوير البنية الشعرية والصورة الفنية المركبة[٣٦]. ويظهر إسهام السياب جليًّا في توظيفه للتشبيه المركب كوسيلة مبتكرة لتشكيل مشاهد غنية ومكثفة تجمع بين العمق الرمزي والطابع الوجداني والأسطوري[٣٧]. ففي عالمه الشعري، تمتزج الطبيعة بالمأساة البشرية في تآلف فريد، ويتحوّل المشهد الطبيعي إلى مرآة تعكس الحالات النفسية، مما يجعل من تجربته الشعرية تجربة متفردة وثرية[٣٨].

من أبرز الأمثلة التي تكشف عن مهارته في هذا الأسلوب قوله في قصيدة أنشودة المطر: "عيناك غابتا نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر"[٣٩]. هنا، لا يقوم التشبيه بمحاكاة بسيطة أو مقارنة جامدة بين مفردتين، بل يأخذ شكلاً مركبًا تتلاقى فيه عناصر الطبيعة مثل النخيل والسحر مع شرفات الليل والقمر، وتنصهر جميعها لتُشكّل لوحة بصرية حية ومشحونة بالعاطفة[٤٠]. فالعيون هنا ليست مجرد عيون تُشبَّه بشيء منفرد، بل تصبح نقطة انطلاق لسلسلة متشابكة من الصور التي تندمج لتصنع مشهدًا متكاملًا، يقدم فيه الشاعر الحالة النفسية بصورة غنية ومفتوحة على التأويل[٤١].

ويتجلّى براعته في التشبيه المركب أيضًا

في قوله: "يكاد يذوب في المآقي كما يذوب الغمام في المطر"[٤٢].

إن العلاقة القائمة بين هذين العدَدَي الذائبين لا تقتصر فقط على التشابه الخارجي، لكنها تحمل بُعدًا شعوريًا أعمق[٤٣]. إذ يرتبط الذوبان بحالة وجدانية داخلية تعبر عن الألم والإحساس الداخلي بالذوبان النفسي، متخذةً من ذوبان الغمام صورةٌ رمزية تُكرّس هذه المعاني[٤٤]. وبالتالي، لا يحمل التشبيه مضموناً سطحيًا تقليديًا؛ بل يُصاغ وفق رؤية تُعيد تشكيل الطبيعة لتعبّر عن إحساس الإنسان بصيغة متداخلة تعكس ثراء التجربة الوجدانية[٤٥]. وعلى ضوء هذه النماذج الشعرية، يتضح أن التشبيه المركب يلعب دورًا محوريًا وأساسيًا في بناء الصورة الشعرية عند السياب[٤٦]. فهو ليس مجرد أداة فنية أو تزيينية، وإنما وسيلة عميقة لنقل التجربة الحسية والربط بين الذاتي والكوني بغنى دلالي يستنهض خيال القارئ ويحمله إلى عوالم رمزية تحتمل أبعادًا وتأويلات متعددة[٤٧]. يوجِد السياب من خلال هذه التقنية حالة تناغمية بين الفرد والطبيعة بمختلف تجلياتها، متيحاً للمشاهد الطبيعية أن تصبح رمزًا لمشاعر الإنسان ومعاناته[٤٨].

علاوة على ذلك، يكشف شعر السياب عن رؤيته الفريدة تجاه مفاهيم مثل الألم والاغتراب، حيث لا يعبر عن هذه المشاعر بطرق مباشرة تقليدية، وإنما يصوغها عبر صور مركبة تتشابك فيها معاني المطر والظلمة والموت. وبهذا المنهج الإبداعي، ينتقل المتلقي من حدود الفهم السطحي إلى مستوى أعمق من التفاعل مع النص، فتغدو الصور أداة لاستثارة الإحساس بدلاً من الاقتصار على الإدراك العقلي. وفي نهاية المطاف، يمثّل شعر بدر شاكر السياب نموذجاً فريداً لقدرة القصيدة على تجاوز الواقع المحسوس إلى فضاء أكثر شاعرية وعمقاً، تجعل منها إحدى العلامات البارزة في مسيرة الحداثة الشعرية العربية[٤٩].

وتكمن القوة التصويرية للتشبيه المركب عند السياب في قدرته على خلق مشهد متحرك، تتراكم فيه التفاصيل وتتشابك الرموز بحيث تتحول القصيدة الي لوحة درامية يتفاعل فيها الذاتي بالجمعي، واللحظة الفردية بالسياق التاريخي[٥٠] .

تحليل قصيدة نموذجية في ضوء التشبيه المركب

يركز هذا المحور على تطبيق الإطار النظري الذي سبق تناوله على نص شعري كامل، بهدف استكشاف دور التشبيه المركب كآلية تصويرية وبنائية في الشعر العربي الحديث[٥١].

اولا: التحليل البنيوي للصورة الشعرية

في قصيدة (أنشودة المطر) للشاعر بدر شاكر السياب، تتجلى الصور المركبة باعتبارها أساسًا جوهريًا في بناء النص. حيث يُطرح المطر ليس كظاهرة طبيعية فقط، بل كعنصر دلالي يُرسم من خلاله مشهد كامل متشابك، يجمع بين رموز الخصوبة، الموت، والانتظار[٥٢]. يعتمد التشبيه المركب هنا على التوازي بين تكرار مشهد المطر وتجربة المعاناة الإنسانية، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة[٥٣].

التشبيه لا يظهر بشكل مباشر أو عبر أداة واضحة، بل ينبثق من نسج الصورة الكلية[٥٤].

إذ تتوالى التفاصيل المترابطة لتخلق مشهدًا رمزيًا متكاملًا[٥٥].

والعلاقة بين المطر والمعاناة ليست مجرد تطابق سطحي أو تشابه مباشر، بل هي حالة من التماثل الدلالي التي تُستخلص بشكل ضمني من السياق العام للصورة الشعرية[٥٦].

ثانيا: الوظيفة التصويرية والدلالية

تلعب الصور المركبة في القصيدة دورًا تصويريًا بالغ الأهمية، حيث تمكّن المتلقي من أن يغوص في أعماق التجربة الشعورية وكأنه يعيشها من الداخل بكل تفاصيلها وانفعالاتها[٥٧].

يُظهر التشبيه المركب في هذا السياق براعته الفريدة، فمن خلاله لا يُكتفى بتوضيح المعنى المباشر وحسب، بل يُعمل على نقله بصورة حسية متكاملة تُلامس وجدان القارئ وتستدعي استجابته العاطفية[٥٨]. كما أنه يفتح الباب أمام فضاء متسع من التفسيرات والتأويلات، مما يجعل من عملية التأمل والتفاعل مع النص تجربة متعددة الوجوه[٥٩].

ومن خلال هذا التكوين الجمالي المشبع بالتصوير والرمزية، تتحول القصيدة إلى ساحة دلالية رحبة تمتاز بقدرتها على استيعاب قراءات وتأويلات متعددة، بحيث يستلهم كل قارئ تجربته الخاصة في استقبال النص[٦٠].

بهذا يصبح التشبيه المركب أداة محورية وفعالة تسهم في تشكيل الرؤية الشعرية الحديثة بأسلوبها الذي يمزج بين الإبداع الفني والانفتاح التأويلي، مما يعزز من مكانة القصيدة كفن قائم على التفاعل الحي بين النص والمتلقي.

الخاتمة

توصل هذا البحث إلى أن التشبيه المركب يمثل إحدى الدعائم الأساسية في تشكيل الصورة الشعرية ضمن الشعر العربي الحديث. فقد تخطى دوره البلاغي التقليدي المتمثل في الإيضاح والزينة، ليصبح أداة فنية وبنائية تسهم بفعالية في صياغة الرؤية الشعرية وتكثيف المعاني. كشف التحليل أن التشبيه المركب يعتمد على تشبيه هيئة بهيئة أو مشهد بمشهد، مما يعزّز قدرته على استيعاب التجارب الشعورية المعقدة وترجمتها من مستوى السرد المباشر إلى أفق التصوير والإيحاء.

كما أبرز البحث أن التطورات التي طرأت على بنية الصورة الشعرية الحديثة قد أعادت تعريف دور التشبيه، حيث أصبح جزءًا عضوياً من التركيب الدلالي والجمالي للنص. وقد جاءت الدراسة التطبيقية، التي تناولت نماذج من أعمال محمود درويش وبدر شاكر السياب، لتبرز الأهمية المحورية للتشبيه المركب في بناء المشاهد الشعرية، وربط التجارب الذاتية بالسياقات الجماعية والوجودية، مما يُضفي على النص شعرياً عمقًا نفسيًا وجماليًا.

ختاماً، أكدت النتائج أن التشبيه المركب أسهم بثراء في إثراء الشعر العربي الحديث، مانحاً إياه آفاقاً جديدة للتعبير قائمة على التفاعل الإبداعي بين الصورة واللغة والمتلقي. ينم ذلك عن نضج التجربة الشعرية المعاصرة وقدرتها على تجسيد تعقيدات الواقع الإنساني وأبعاده المتعددة بطرق مبدعة ومؤثرة.

اهم النتائج

١. التشبيه المركب يعتمد على الهيئة الكلية الناتجة عن تألف العناصر ، وليس على المقارنة الجزئية.

٢. يلعب التشبيه المركب دوراً محورياً في بناء المشاهد الشعرية المتحركة في القصيدة الحديثة.

٣. تحول التشبيه في الشعر الحديث من وظيفة "الإيضاح" إلى وظيفة "التخليق" وبناء عوالم فنية جديدة. ٤. الدراسات السابقة أكدت على تجذر هذا الفن في التراث (القرآن والشعرالقديم) مع تطور أدواته في العصرالحديث.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر التراثية البلاغة والنحو وعلوم القرآن

١ الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٢ السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.

٤ السيوطي ، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

ثانياً: المراجع الحديثة (كتب متخصصة)

٥ الجارم علي وأمين مصطفى البلاغة الواضحة وردت في النص باسم "البلاغة والوضاحة")، دار المعارف.

٦. الهاشمي، أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

٧. العمري محمد البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

٨. المسدي، عبد السلام. البلاغة والأسلوبية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٩ صمود، حمادي. من تجليات الخطاب البلاغي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، ٢٠١٠م.

١٠. أبو موسى، محمد محمد خصائص :التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥م.

١١. بازي، محمد الحجاج والظرافة : استراتيجيات الخطاب والتلقي منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥م.

١٢ جامعة المدينة العالمية البلاغة ١ – البيان والبديع، المجلد الأول، جامعة المدينة العالمية.

ثالثاً: الرسائل العلمية والأبحاث المحكمة

١٣. نور عين، فاطمة (أو فطرية). التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥م.

١٤. أبو العلا، محمد الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤م.

١٥. مهدي، إنعام صالح دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤م.

١٦ حليمة مزواري وعائشة بوعمامة. التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت ٢٠١٨م.

١٧. شيماء، بوناقة العربي مايدي. دلالات المطر عند بدر شاكر السياب : انشودة المطر أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت ٢٠١٩م

١٨. الجزري، محمد بن محمد الصورة التشبيهية في قصيدة انشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥م.

١٩. سالم، عطاف. أنشودة المطر للسياب دراسة وتحليل مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية والمصادر الرقمية

٢٠. فارح عبد الشكور معلم عبد. "التشبيه: تعريفه وأقسامه وأمثلة عليه"، شبكة الألوكة الثقافية، تاريخ النشر: ٢٠ أبريل ٢٠٢٠

٢١. جامع الكتب الإسلامية.(كمصدر رقمي لكتاب البلاغة الخاص بجامعة المدينة).

الهوامش:

[١] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص. ٤٥-٤٧.

[٢] يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص. ١٢٠-١٢٢.

[٣] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص. ٥٦-٥٨.

[٤] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ص. ٧٨-٨٠.

[٥] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠، ص. ٥٤-٥٥.

[٦] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٥، ص. ٤٥.

[٧] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، ص. ٤٦.

[٨] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧، ج٤، ص. ٢١٠.

[٩] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، ج٣، ص. ١٤٥.

[١٠] الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص. ٣٢٠.

[١١] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، ص. ٤٦.

[١٢] جامعة المدينة العالمية، البلاغة ١ – البيان والبديع، مجلد ١، ص. ٤٦-٤٧.

[١٣] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص. ١٤٨-١٥٠.

[١٤] يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٥٧-٣٥٩.

[١٥] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، ج٢، ص. ٥٥-٥٧.

[١٦] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص. ١١٢-١١٥.

[١٧] عبد السلام المسدي، البلاغة والأسلوبية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٠، ص. ١٤٢-١٤٥.

[١٨] حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، ٢٠١٠، ص. ٢١٥-٢١٨.

[١٩] محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥، ص. ٢٥٨-٢٦٢.

[٢٠] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص. ١١٢-١١٥.

[٢١] محمد بازي، الحجاج والظرافة: استراتيجيات الخطاب والتلقي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٥، ص. ٤٥-٤٨.

[٢٢] فاطمة نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص. ٢٠-٢٥.

[٢٣] محمد أبو العلا، الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤، ص. ٥٠-٥٥.

[٢٤] مزواري حليمة وبوعمامة عائشة، التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ٢٠١٨، ص. ٣٠.

[٢٥] أنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص. ٤٠-٤٥.

[٢٦] فطرية نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص. ٦٠-٦٥.

[٢٧] إنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص. ٨٠-٨٥.

[٢٨] إنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص ٨٠-٨٥.

[٢٩] مزواري حليمة وبوعمامة عائشة، التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ٢٠١٨، ص ٩٠-٩٥.

[٣٠] فاطمة نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٠٠-١٠٥.

[٣١] محمد أبو العلا، الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤، ص ١١٠-١١٥.

[٣٢] إنعام صالح مهدي، دلالة الرمز في شعر محمود درويش، مجلة جامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢٤، ص ١٢٠-١٢٥.

[٣٣] مزواري حليمة وبوعمامة عائشة، التضافر الأسلوبي في شعر محمود درويش، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تيارت، ٢٠١٨، ص ١٣٠-١٣٥.

[٣٤] فاطمة نور عين، التشبيه في قصيدة "أنا آت إلى ظل عينيك" لمحمود درويش: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٤٠-١٤٥.

[٣٥] محمد أبو العلا، الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش، جامعة بيرزيت، رام الله، ٢٠١٤، ص ١٥٠-١٥٥.

[٣٦] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٢٠-٢٥.

[٣٧] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٣٠-٣٥.

[٣٨] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٤٠-٤٥.

[٣٩] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٥٠-٥٥.

[٤٠] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٦٠-٦٥.

[٤١] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٧٠-٧٥.

[٤٢] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٨٠-٨٥.

[٤٣] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٩٠-٩٥.

[٤٤] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ١٠٠-١٠٥.

[٤٥] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١١٠-١١٥.

[٤٦] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ١٢٠-١٢٥.

[٤٧] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ١٣٠-١٣٥.

[٤٨] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١٤٠-١٤٥.

[٤٩] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١٧٠-١٧٥.

[٥٠] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ١٨٠-١٨٥.

[٥١] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٢٠-٢٥.

[٥٢] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٣٠-٣٥.

[٥٣] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٤٠-٤٥.

[٥٤] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٥٠-٥٥.

[٥٥] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ٦٠-٦٥.

[٥٦] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٧٠-٧٥.

[٥٧] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ٨٠-٨٥.

[٥٨] محمد بن محمد الجزري، الصورة التشبيهية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة بوريرة، ٢٠١٥، ص ٩٠-٩٥.

[٥٩] بوناقة العربي مايدي شيماء، دلالات المطر عند بدر شاكر السياب: أنشودة المطر أنموذجاً، قراءة ابستمولوجية على ضوء المنهج التداولي، رسالة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، ٢٠١٩، ص ١٠٠-١٠٥.

[٦٠] عطاف سالم، أنشودة المطر للسياب: دراسة وتحليل، مجلة العروض الرقمي، ٢٠١٠، ص ١١٠-١١٥

الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب(١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) "مقاربة تحليلية في ضوء النصوص التاريخية"

"Environmental and Psychological Backgrounds in Shaping the Behavior of Caliph Umar Ibn Al-Khattab (13-23 AH / 634-644 AD): An Analytical Approach in Light of Historical Texts"

د.جوتيار تمر صديق

Dr. Jotyar Tamur Sadeeq

jutyartamar72@uod.ac

07504503996

الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب(١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م)
"مقاربة تحليلية في ضوء النصوص التاريخية"

د.جوتيار تمر صديق

الملخص:

أثرت الخلفيات البيئية والنفسية التي نشأ فيها الخليفة عمر بن الخطاب على سلوكياته بعدما تولى خلافة المسلمين بشكل واضح، فضلاً عن أن الكثير من المواقف التي صقلت شخصيته قبل الاسلام وبعده، ظهرت قبل توليه الخلافة لاسيما فيما يتعلق بالشدة والحزم والقسوة في التعامل مع الاحداث والاشخاص، كما إن موقف الخليفة عمر بن الخطاب من الاعاجم يمكن تحليله بشكل متكامل من خلال نظرية الهوية الاجتماعية، والحقل الاجتماعي، فضلاً عن نظرية الرأسمال الرمزي ، إذ يتضح أن مواقفه تجاه الأعاجم كانت مدفوعة بالرغبة في الحفاظ على تماسك الجماعة العربية المؤسسة لدولة الإسلام، ما أدى إلى تفضيلهم في توزيع السلطة والموارد من جهة، والى وضح حدود للاختلاط بين العرب وبينهم من جهة اخرى، فضلاً في الحد من التزواج بين الاعراب والاعاجم بوضع قيود خاصة، مثل الكفاءة في الزواج، وعلى الرغم من ان تلك السياسات، التي قد تبدو وكأنها تمييزية في ظاهرها، إلا انها كانت جزءاً من محاولة لإعادة بناء هيراركية اجتماعية تشبه تلك التي كانت سائدة قبل الإسلام، لكنها مُعاد إنتاجها في سياق ديني، وذلك للحفاظ على الهوية العربية وسيادة العرب الاسلامية.

الكلمات الافتتاحية: الخليفة عمر بن الخطاب، البيئة ، السلوكيات، علم النفس البيئي، الهوية الاجتماعية، الحقل الاجتماعي.

Abstruct:

The environmental and psychological backgrounds in which Caliph Umar Ibn Al-Khattab grew up had a clear influence on his behaviors after assuming the caliphate of Muslims. Furthermore, many of the events that shaped his personality before and after Islam became evident before his accession to the

caliphate, particularly in terms of his strictness, decisiveness, and sternness in dealing with events and people. It can also be said that the stance of Caliph Umar Ibn Al-Khattab towards non-Arabs can be thoroughly analyzed through the lens of Social Identity Theory, the Social Field, as well as the theory of Symbolic Capital. His attitudes towards non-Arabs were driven by a desire to maintain the cohesion of the Arab group that formed the foundation of the Islamic state. This led to their preference in the distribution of power and resources on one hand, and to the establishment of boundaries between Arabs and non-Arabs on the other, including restrictions on intermarriage, such as requiring compatibility in marriage. Although these policies, which might seem discriminatory on the surface, were part of an attempt to rebuild a social hierarchy similar to that which prevailed before Islam, but recontextualized in a religious framework to preserve Arab identity and Islamic Arab dominance.

Keywords: Caliph Umar Ibn Al-Khattab, environment, behaviors, environmental psychology, social identity, social fie

المقدمة:

تعد شخصية الخليفة عمر بن الخطاب من أكثر الشخصيات العربية الاسلامية إثارة للجدل من حيث طبيعة سلوكياته السياسية والاجتماعية، والتي تميزت بالحزم والشدة والانضباط، ما دفع الباحثين الى البحث عن جذور تلك السلوكيات خارج الأطر الدينية، والكتب الفقهية، والنظر إليها بوصفها نتاجاً لتراكمات بيئية ونفسية سابقة، وانطلاقاً من ذلك الفهم، تظهر اهمية الموضوع لكونه يتجاوز الطابع التبجيلي التقليدي لدراسة الشخصيات العربية الاسلامية، ويقدم قراءة علمية تستند الى مفهوم البيئة وتأثيرها السلوكي، مما يفتح الباب أما إعادة تقييم كثير من التصرفات التاريخية بوصفها استجابات لعوامل بيئية ونفسية أكثر من كونها محض تعبير عن المبادئ الدينية.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى تحليل الخلفيات البيئية والنفسية التي اسهمت في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب، من خلال مقاربة تحليلية تستند الى النصوص التاريخية بالدرجة

الاساس والفقهية عند الحاجة، وتوظف المنهج التاريخي التحليلي لفهم السياقات الاجتماعية والثقافية والنفسية التي ساهمت في صياغة تلك السلوكيات.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الآتي: الى أي مدى يمكن اعتبار سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب انعكاساً للبيئة القبلية والاجتماعية والنفسية التي نشأ فيها، أكثر من كونها خالصاً للقيم الاسلامية العالمية؟.

فرضية البحث:

يفترض البحث أن هناك علاقة عضوية بين تنشئة عمر بن الخطاب في بيئة قبلية صارمة، وتربية منزلية قاسية، وبين السياسات التي انتهجها لاحقاً، لاسيما فيما يتعلق بالتمييز بين العرب والموالي من خلال تأكيد السيادة القبلية العربية، والشدة في الادارة، ومظاهر التراتبية الطبقية.

أهمية البحث:

تتجلى في تسليط الضوء على الابعاد النفسية والبيئية غير المدروسة كفاية في شخصية أحد ابرز الخلفاء الراشدين، مما يرفد الدراسات التاريخية والاجتماعية بمقاربة جديدة تجمع بين التاريخ والتحليل النفسي- الاجتماعي.

منهجية البحث:

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي التاريخي، من خلال تتبع النصوص التاريخية الاصلية، وتحليل مضامينها في ضوء النظريات البيئية والسلوكية، مع مراعاة السياقات الزمنية والاجتماعية التي نقلت فيها تلك النصوص.

هيكلية البحث.

تتوزع الدراسة الموسومة (الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب(١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) "مقاربة تحليلية في ضوء النصوص التاريخية") على مقدمة وخاتمة ومبحثين رئيسين، يسلط المبحث الاول الضوء على شخصية الخليفة عمر بن الخطاب بنبذة مختصرة، حول اسمه ونسبه وولادته ونشأته ووفاته، أما المبحث الثاني فإنه

يتناول الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب، وفق مفهوم البيئة وأثرها على سلوكياته، ومن ثم وفق نظرية على النفس البيئي، والهوية الاجتماعية، والحقل الاجتماعي – إدارة الرأسمال الرمزي –، ومن ثم طرح بعض الاستنتاجات من خلال الخاتمة.

الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب: مقاربة تحليلية في ضوء النصوص التاريخية"

المبحث الاول: نبذة عن شخصية الخليفة عمر بن الخطاب.

اولاً: اسمه ونسبه.

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص[١] ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم[٢]، وقيل: حنتمة بنت هشام بن المغيرة، والراجح انها بنت هاشم وهي ابنة عم عمرو والحارث بن هشام وليست اختهما[٣].

تُعد عشيرة بني عدي من أوسط قريش قوة وجاهاً، على أنها لم تبلغ من المكانة في مكة قبل الاسلام ما بلغه بنو هاشم وبنو أمية وبنو مخزوم، إذ لم يكن لها من الثروة ما لهم، إلا أنه شغل أفرادها منصب السفارة والحكم في المنافرات، فكانوا المتحدثين عن قريش الى غيرها من القبائل فيما ينجم من خلاف يتوجب حسمه بالمفاوضات[٤]، وبفعل التنافس العشائري، اضطر بنو عدي في حياة الخطاب، والد عمر، إلى الجلاء عن منازلهم القائمة عند الصفا، وانحازوا الى عشيرة بني سهم، وأقاموا في جوارها[٥] ، وقيل انه منازلهم كانت باصل الجبل الذي يقال له جبل عمر، وكان اسمه قبل الاسلام العاقر، فنسب الى عمر بعد ذلك، وبه كانت منازل بني عدي بن كعب[٦] .

ثانياً: ولادته ونشأته ووفاته.

ولد عمر بن الخطاب بعد عام الفيل(٥٧١م) بثلاث عشرة سنة[٧]، وروي عنه أنه قال: ولدت بعد الفجار الاعظم بأربع سنين[٨]، نشأ في مكة وترعرع في بيئة وثنية في ظل والده الخطاب، الذي اتصف بالقسوة إذ كان فظاً عليه يكلفه بالاعمال الشاقة، ويضربه ضرباً

مبرحاً إذا قصر في العمل[٩]،وذلك ما اضفى على شخصيته الصرامة والقسوة فيما بعد، تأثر عمر بن الخطاب، كغيره من فتيان مكة، بالبيئة التي نشأ فيها في عصر ما قبل الإسلام، والتي اتسمت بالنزعة القبلية والطبقية، وقد عرف في شبابه بالحكمة والفصاحة، حتى كانت تُسند إليه مهام السفارة في قريش قبل إسلامه، لما عُرف به من رجاحة عقل وقدرة على الحوار وتمثيل قبيلته أمام القبائل الأخرى [١٠]، كما اشتغل بالتجارة[١١]، ويرجح انه سافر ما اخواله المخزوميون الى اليمن والحبشة وذلك لارتباطهم الوثيق بتلك المناطق تجارياً[١٢]، وعرف عنه أنه كان حازماً من ذوي الشدة والبأس في مكة [١٣]، متأثراً بالبيئة التي نشأ فيها في كنف والده، وأسلم بعد رجال سبقوه في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة، وقيل: ست وعشرون سنة، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة[١٤]، أما وفاته فقد كانت على الارجح في " ليلة الاربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين"[١٥].

المبحث الثاني: الخلفيات البيئية والنفسية في تشكيل سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب.

اولاً: مفهوم البيئة واثرها على سلوكيات الخليفة عمر بن الخطاب.

يقصد بالبيئة بمعناها العام مجموعة المؤثرات، أو المثيرات التي يتعرض لها الفرد ويستجيب لها استجابات متعددة، تساعده على التعامل معها، تلك المثيرات قد تكون جغرافية مثل طبيعة البيئة وتضاريسها ومناخها، وقد تكون تاريخية متمثلة فيما مر به المجتمع من احداث شكلت واقعه، وقد تكون اجتماعية ثقافية، مثل العادات والتقاليد والقيم وانماط التعامل الاجتماعي، وقد تكون سيكولوجية متمثلة في اهتمامات الفرد واتجاهاته وآرائه نحو الموضوعات المختلفة، وبذلك المعنى يختلف تأثير البيئة على الأفراد[١٦]، أما البيئة بمعناها الخاص فهي الوقائع التي تسبق السلوك، أو النتائج المترتبة عليه، تلك الوقائع أو النتائج يمكن ملاحظتها وتسجيلها والتحكم فيها، بحيث يتغير السلوك[١٧]، " رأيتني وأني لأرعى على الخطاب في هذا المكان، وكان والله ما علمت فظاً غليظاً.." [١٨]، تلك اشارة واضحة على التأثر النفسي بما كان يحدث له جراء المعاملة التي كان يتلقاها من والده الخطاب،

وتلك الحالة تركت اثارها في سياقات الحدث التاريخي الخاص بالخليفة، حيث أن تلك البيئة القاسية جعلته يستخدم الضرب في احيان كثيرة " لقد رأيتني في هذا المكان وأنا في إبل للخطاب وكان فظاً احتطب عليها مرة، واختبط عليها اخرى، ثم اصبحت اليوم يضرب الناس بجنباتي فوقي أحد.." [١٩]، وفي رواية اخرى :ثم اصبحت اليوم وأمر أمة محمد.."[٢٠].

تشكلت ملامح شخصية الخليفة عمر بن الخطاب من تلك البيئة التي نشأ فيها، وتلك الظروف التي احاطت به من حيث التربية وفق متطلبات البيئة التي نشأ فيها، فكسب منها صفات ظهرت في سلوكياته حتى قبل وفاة النبي (ت١١هـ/٦٣٢م)، لاسيما فيما يخص القسوة ومهابة الاخرين منه " عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر فأنت يارسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله، قلن: نعم انت أغلظ وأفظ من رسول الله.." [٢١]، تلك الصفات لازمت الخليفة في حياته الشخصية " ماذا تقول لربك إذا استخلفت علينا عمر وقد عرفت فظاظته وغلظته ودته.." [٢٢]، حتى أنها أثرت على السياسة التي تبناها في حكمه، إذ تمثلت سياسته الادارية والاجتماعية بطابع مزدوج الى حد ما، أو بعبارة أدق بطابع مركب، فلم تخلُ من مظاهر الانضباط والعدل في بعض المواقف، وفي الوقت نفسه حملت في احيان كثيرة توجهاً واضحاً نحو القسوة، والتمييز العرقي والقبلي الموروث بيئياً من جهة اخرى، ولقد تمثل ذلك في بروز نزعة عربية قبلية صريحة، ظهر خلالها تفضيل العرب" وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب، فإنها مادة الاسلام.."[٢٣]،على الموالي، وفي ذلك الشأن يرى أحد الباحثين أن العرب منذ بداية الدعوة الاسلامية كانوا مادة الاسلام، اي حصل تطابق كامل بين العرب والاسلام في النهضة العربية الاسلامية، واستمر ذلك التطابق ضمناً حتى فترة متقدمة من العصر العباسي الاول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م) [٢٤]، وذلك ما يمكن الاستدلال به في تحديد ملامح شخصية الخليفة الانتمائية لقبيلته وقومه كمؤثر بيئي واضح، إذ كانت نفسه تضطرب، حين يخرج الى قومه، ويرى تفرقهم قبل اسلامه، مما يعني أن انتمائه القبلي القريشي العربي كان يحتم عليه البحث عن وسائل

للقضاء على منابع الفتنة التي فرقت بين قومه[٢٥]، ووفق النصوص التاريخية، أنه أراد القضاء على منبع الفتنة آنذاك والتي كانت بنظره هي دعوة النبي "أريد محمداً، هذا الصابئ الذي فرق قريش، وسفه احلامها وعاب دينها وسب آلهتها، وذم من مضى من آبائها فأقتله، فيرجع الامر الى ماكان عليه.." [٢٦]، ذلك الانتماء القوي للقبيلة دفعه حين اسلم واستلم السلطة بأن يضع الاسس التي تحافظ على الهوية الجمعية الاجتماعية والثقافية للعرب بعيداً عن تملك غير العرب لرقاب العرب، وأن يحافظ على نقاء الدم العربي بعد انسياح الجيوش العربية الاسلامية الى المدن والبلدان الاعجمية، فقد تجلت النزعة العرقية لدى الخليفة في كثير من قراراته الادارية، حيث كان يخشى أن يؤدي اختلاط العرب بالاعاجم الى تفكك البنية العربية للمجتمع الاسلامي الوليد "تسيطر عليهم الخشية من ذوبان عنصرهم العربي في العناصر الاخرى غير العربية.." [٢٧].

اصبحت الاسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب اشبه بالقانون جرى العمل عليها، لاسيما فيما يتعلق بتفضيل العرب على الموالي، إذ أن قيامه بتحرير العرب من السبي " "من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حر من مال الله" [٢٨]، اصبح تشرعياً قائماً ليس وفق المدلول السياسي والاجتماعي فحسب، بل حتى الفقهي القانوني الذي كان محل اختلاف بين الصحابة والفقهاء معاً[٢٩]، وتتجلى تلك الرؤية بوضوح تام في مقولته " اني كرهت أن يصير السبي سنة على العرب"[٣٠]، وفي السياق نفسه عدم قبول الرق على العرب" أنه ليقبح بالعرب ان يملك بعضهم بعضاً، وقد وسع الله، وفتح الاعاجم.."[٣١]، الامر الذي فُسر باعتباره اعلاناً لحرمة استرقاق العرب، مقابل ابقاء الاعاجم عرضة للسبي، وذلك ما يبرز ابعاداً تمييزية عرقية واضحة[٣٢]، وشرعت اعماله لتصبح باباً فقهياً يلتزم بها العرب المسلمون، لاسيما عند ذكر باب الاسترقاق،فلا سباء ولا رق ولا ملك على عربي في الإسلام [٣٣]، تحولت الى محل خلاف واراء متعددة بين الرواة والفقهاء، فبعضهم من أجاز الاسترقاق واعتبر ما قاله الخليفة رأي ولا يجوز أن يُجعل حجة، وبعضهم من استدل بقول عمر بن الخطاب ورفض استرقاق العرب، واعتبر ذلك دليلاً على جواز تصرف الإمام وفق المصلحة [٣٤]، في تأكيد صريح ومباشر لرفض خضوع العربي لغيره، مما يعني رفض

امتلاك الموالي لرقاب العرب بأي شكل، وبالتالي ما يعكس رؤية سلطوية متجذرة في الوعي القبلي العربي، والتي ظهرت ملامحها ايضاً في توزيع العطاء، حيث فضل الاحرار على السبايا حتى من زوجات النبي؛ إذ كانت تعطى الحرة أكثر من الأمة باعتبار ان الاخيرات مما افاء الله على رسوله " لا أجعل سبية كابنة ابي بكر الصديق"[٣٥]، وذلك تقسيم يعكس طبقية واضحة، تنطلق من خلفية اجتماعية وبيئية، ترى في النسب والحرية معياراً للتفاضل[٣٦]، ويضاف الى ذلك قراره بمنع الاعاجم من الاقامة الدائمة في المدينة " كنت اريد ألا يدخلها علج من السبي فغلبتموني"[٣٧]، إذ لم يسمح لهم بدخولها إلا بعد ضغط العباس (ت ٣٢هـ/ ٦٤٣م) عم النبي والجماعة الارستقراطية القرشية من اصحاب الاموال والتجار الذين كانوا يأنفون القيام ببعض الاعمال[٣٨]، وسلموها الى الموالي"لا تُدخلوا المدينة من السبي إلا الوصفاء، فقال العباس رضي الله عنه: إن عمل المدينة شديد لا يستقيم إلا بالعلوج"[٣٩]، وذلك اجراء يفهم ضمن اطار الحفاظ على نقاء الطابع العربي الاسلامي الاول، لكنه يتنافى مع مبدأ عالمية الاسلام الذي لايفترض أن يميز بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى[٤٠].

ثانياً: سلوكياته وفق نظرية علم النفس البيئي.

عند تتبع مسار بروز شخصية الخليفة عمر بن الخطاب وفق النصوص التاريخية، لايمكن فصل تلك النزعة العربية القبلية التي برزت في ممارساته عن السياق البيئي والاجتماعي الذي نشأ فيه، حيث كان الانتماء الى القبيلة في عصر ما قبل الاسلام يشكل حجر الزاوية في بناء الهوية الفردية والجمعية[٤١]، فعمر ابن الخطاب القادم من قريش العدنانية، نشأ في بيئة تؤمن بتفوق العنصر العربي، وتعد القبيلة مصدر الحماية والاعتبار، ومن ثم فإن التشبث بالفوارق بين الحُر والعبد[٤٢]، والعربي والاعجمي، ظل متجذراً في اللاوعي الثقافي[٤٣]، حتى بعد دخول الاسلام، وقد اشار بعض الباحثين الى أن شخصية الخليفة عمر بن الخطاب، لم تختر التخلي عن سمات بيئته الاصلية في عصر ما قبل الاسلام ، فبالرغم من ايمانه بمبادئ الاسلام العالمية، لم ينجُ تماماً من تلك التنشئة، بل إن

شخصيته الحازمة والمنضبطة جعلته يُعبر عن تلك النزعة ضمن أطر مؤسسية مثل العطاء والمواطنة [٤٤].

تُظهر خلفيته السلوكية شخصية تتسم بالصرامة والتنظيم، فقد نشأ اصلاً في بيئة صارمة حيث عانى من معاملة والده القاسية معه، كما عانى من العمل القاسي ايضاً اثناء تواجده في بيئته القبلية" لقد كانت نشأة عمر حادة الطبع، فقد تأثر بطباع البيئة القرشية الجافة وشظف العيش في طفولته، الامر الذي جعله قلباً صارماً في احكامه.." [٤٥]، تلك المعاناة أثرت بشكل واضح على سلوكياته فبعد إسلامه، وكذلك على تنظيماته التي جعلته يربط بين الاستحقاق والانتماء القبلي، فالعربي – في نظره – ، أكثر اهلية للقيادة من الاعجمي، وهي نظرة لاتنفصل عن الاطار النفسي الذي تشكل في ظل التحديات التي واجهها الاسلام المبكر، خصوصاً خطر الاعاجم مثل الروم والفرس، ما رسخ لديه شعوراً بضرورة تمتين البنية العربية للدولة الناشئة، ومن ذلك المنطلق، يمكن قراءة موقفه من منع الاعاجم من دخول المدينة، وتفضيل الحُر في العطاء، بوصفها محاولات لحماية الهوية العربية من الذوبان، لكنها في الوقت ذاته تفضح استبطاناً متأصلاً لمفاهيم التراتب العرقي[٤٦]، فقد أدرك بان انسياح العرب في بلدان ومناطق غير العرب سيؤدي الى الاختلاط بهم، ولمعرفته بالنفسيات والبيئة التي خرج منها العرب سيسعون خلف السبايا، وبذلك سيولد قوم هجين "اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات.."[٤٧]، فكان يستعيذ بأولاد السبايا خوفاً من فقدان الهوية القبلية العربية.

إن السلوك السياسي والإداري والاجتماعي للخليفة عمر بن الخطاب كان استجابة نفسية سلوكية لواقع بيئي واجتماعي قائم على التنافس والصراع القبلي "مهلا يا عمر ، أما والله ، ان لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك عرفت: انه من رجال بني عبد مناف.."[٤٨]، كما كانت عليه مكة في اواخر القرن السادس الميلادي، وقد نشأ عمر في بيئة بدوية –حضرية مختلطة، لكنها ظلت مشدودة الى القيم القبلية التقليدية مثل الشرف، والنسب، والطاعة والانتماء، يُفهم ذلك من خلال منظور **علم النفس البيئي** (Ecological Psychology)، حيث تنتج البيئة الصحراوية – المعتمدة على الندرة في

الموارد – افراداً أكثر ميلاً الى التنظيم والانضباط من أجل ضمان البقاء، وفي سياق شخصية الخليفة عمر بن الخطاب، فشدد على ولاته بعدم النزوع وراء رغباتهم كي لايقتدي بهم العامة إذ رد زواج معاذ بن جبل (ت ١٨هـ/٦٣٩م) باليهودية الكتابية[٤٩]، كأنه يرى أن أي إختلال في التوازن القبلي العربي سيؤدي الى زعزعة البنية التحتية للدولة الاسلامية الناشئة، وبذلك، تتقاطع تلك الرؤية مع ما يُعرف ب" نموذج التأقلم البيئي للسلوك"، الذي يشير الى أن البيئة تنتج سلوكيات تتوخى الحماية والتماسك الداخلي [٥٠].

ثالثاً: سلوكياته وفق نظرية الهوية الاجتماعية.

كما يمكن تحليل موقف الخليفة من الاعاجم – الموالي – في ضوء نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory)، التي وضعها " هنري تاجفل وجون تيرنر–هما عالما نفس اجتماعيان– "؛ والتي تنص على أن الأفراد يميلون الى تفضيل أعضاء جماعتهم (ingroup) على الآخرين(outgroup) ، خصوصاً عندما يشعرون بأن الجماعة مهددة، وذلك بالضبط ما يمكن ان يطلق على اعمال وبعض تنظيمات وافعال وقرارات الخليفة عمر بن الخطاب، فبعد انسياح الجيوش العربية الاسلامية الى المناطق والبلدان غير العربية، ودخول عناصر فارسية ورومية ضمن الحدود التي يسيطر عليها العرب، صار التهديد الذي كانت تمثله تلك الجماعات قبل الاسلام يُعاد إنتاجه لاشعورياً في قرارات الخليفة عمر بن الخطاب التي كانت تمنح الافضلية للعرب في التوزيع السياسي والمادي" لقد حافظ العرب على نظامهم القبلي عندما استوطنوا الامصار الاسلامية، فكانت هذه الامصار مقسمة الى قبائل، ولكل منها خطة خاصة يسكن افرادها معاً فيها، كما كانوا يستلمون عطاءهم سوية، وعلى كل قبيلة عريف خاص بها.. "[٥١]، ولم يقتصر الامر على ذلك فحسب، بل أنه حتى في توزيع القبائل العربية في الاماكن التي سيطروا عليها فرض ان يُسكن العرب اماكن تناسب طباعهم كي لايختلطوا بالعجم ويصبحوا مثلهم فأمر بانزال العرب في اماكن بمنزلة الابل إذ أن العرب لا يصلحها الا ما يصلح الابل[٥٢]، ووفقاً ل "تاجفل " و "تيرنر" ان الافراد يدركون هويتهم الشخصية والجماعية، وكيفية تأثير الانتماء الى مجموعة معينة على علاقاتهم مع الاخرين من خلال ميلهم الى تفضيل جماعتهم

(ingroup)على الجماعات الأخرى (outgroup) ، لا سيما عندما يشعرون بأن جماعتهم مهددة [٥٣] ، وعند النظر الى كيفية تعامل الخليفة عمر بن الخطاب مع المسيحيين العرب من بني تغلب[٥٤]، يمكن ملاحظة تلك النزعة العرقية فيه والتي سعت الى الحفاظ على الهوية الاجتماعية العربية ومنعها من الوقوع في دوائر التملك والرق مثل باقي الاقوام غير العربية، إذ أمر بفرض أثقل الضرائب عليهم ليدفعهم بذلك الى الدخول في الاسلام، معللاً ذلك تعليلاً يلفت النظر بقوله: أن هؤلاء عرب، وأن العرب هم جيش الاسلام، ولقد اباح لهم في أن يخدموا في الجيش حتى إذا لم يدخلوا الاسلام، في حين لم يكن يباح لغير المسلمين من أهل البلدان التي سيطر عليها جيش العرب المسلمين ان يشتغلوا في ذلك الجيش، مما يؤكد أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يرمي الى تكوين عصبية عربية، لا الى عصبية اسلامية تتجاوز العرب [٥٥].

تاريخياً عند النظر إلى موقف الخليفة عمر بن الخطاب من الأعاجم بعد الاستيلاء على اراضيهم وسبي نسائهم، نجد أنه قد تصرف وفقاً لعدة متغيرات اجتماعية ونفسية ناتجة عن نظرية الهوية الاجتماعية، فالشعوب التي دخلت ضمن منظومة الحلم العربي الاسلامي، جعلت العرب يشعرون بتهديد لثقافتهم وهويتهم الاجتماعية والسياسية، وذلك ما تنبه اليه الخليفة عمر بن الخطاب، فاخذ يتعامل مع التهديد وفق ما يحتاجه الوضع الاداري والسياسي والاجتماعي لتعزيز هوية العرب" اياكم ورطانة الأعاجم ويقصد بذلك التكلم بغير العربية تشبهاً بالأعاجم[٥٦]، وقال:" تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة "[٥٧]، ففي الفكر العربي لامعنى للإنسان مجرداً من اللغة.. والانسان واللغة في الفكر ذاته معناه الاداة الوظيفية وقيم الانتماء، وهذا يقتضي بالضرورة التعريج على اللغة في تماهيها بين الذات والهوية [٥٨]، ولأن الخليفة كان مدركاً بأن الكثير من الاعاجم دخل الاسلام طمعاً وخوفاً وذلك لأنهم وضعوا امام الحتميات التي فرضها الاسلام منذ البدء، إما الاسلام، أو الجزية أو القتال والسبي[٥٩]، لذا كان عليه حماية الهوية العربية الاسلامية من الاضمحلال في الثقافات الجديدة التي باتت تشكل تهديداً على صفاء الجنس العربي، فلمنع ظهور مجتمع هجين منع زواج المقاتلة العرب من الاعاجم في البلاد التي سيطروا عليها سواء عنوة –

قسراً وقهراً –، ام صلحاً – صولحوا على خرج يؤدونه –، وفي ذلك دلالة واضحة على محاولته للحفاظ على الهوية العربية [٦٠].

رابعاً: سلوكياته وفق نظرية الحقل الاجتماعي (إدارة الرأسمال الرمزي).

كما انه يمكن النظر الى ممارسات الخليفة عمر بن الخطاب السياسية والادارية والاجتماعية وفق نظرية الحقل الاجتماعي من منظور بيير بورديو – عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي – ونظرية "الحقل الاجتماعي(Social Field Theory) "، باعبتارها تمثل شكلاً من اشكال إدارة الرأسمال الرمزي (Symbolic Capital) ، وذلك فيما يتعلق بتكليفهم للقيام بالاعمال التي كانت العرب تستأنف من القيام بها، لاسيما بعد دخولهم باعداد محدودة الى المدينة تحت ضغط الطبقة الارستقراطية القريشية كما سبق وان نوهنا من جهة، فضلاً عن القيود التي وضعت في التعامل معهم اجتماعياً من جهة اخرى، حيث تشير النصوص التاريخية الى صعوبة اندماج العرب مع الموالي اجتماعياً، ورفض العرب في تزويج بناتهم للموالي إلا ما ندر، وكان الخليفة عمر بن الخطاب من اشد المعارضين لذلك الاختلاط بالموالي " لأمنعن فروج ذوات الاحساب إلا من الاكفاء"[٦١]، وتفسر تلك الممارسات وفق نظرية الحقل الاجتماعي على انها تساهم في إعادة هيكلة السلطة عبر الحفاظ على نقاء الجماعة المؤسسة للدولة، اي العرب، وبالتالي فرض تراتبية تفضل المنتمين الى القبائل العربية الكبرى، مما يعكس إعادة انتاج للهيراركية – التدرج أو التسلسل الهرمي – الاجتماعية في شكل ديني، تلك التصورات ليست مجرد تنظيرات مجردة، بل تتجسد في مواقف تاريخية عديدة للخليفة عمر بن الخطاب سبق وان أشرنا اليها، وفي قراراته التي كان يصدرها للولاة بأن "لا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها"[٦٢]، في رواية اخرى" لا تضربوا العرب فتذلوها" [٦٣]، كل ذلك يعكس سلوكاً سياسياً متجذراً في منظومة بيئية – نفسية – سوسيولوجية، حيث تستخدم الهوية العربية كأداة للتماسك الاجتماعي والسياسي في مرحلة باتت الهوية العربية مهددة من قبل الاقوام غير العربية التي وقعت تحت سيطرة العرب، وذلك للعمق التاريخي والحضاري لتلك الاقوام سواء فيما يتعلق بالادارة والتنظيمات، او الحكم والسياسة.

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى عدة استنتاجات نذكر منها:

١-تظهر شخصية عمر بن الخطاب تأثراً واضحاً بالبيئة البدوية والقبلية التي نشأ فيها، وذلك ما انعكس على كثير من ممارساته الادارية والسياسية حتى بعد اعتناقه الاسلام، فقد ظل الولاء القبلي العربي والنظرة التفاضلية حاضرين في تعامله مع غير العرب، مما يدعم الطرح القائل بأن الاسلام لم ينجح تماماً في القضاء على القيم القبلية في مراحله الاولى.

٢-إن تحليل قرارات الخليفة عمر بن الخطاب المتعلقة بالموالي – الاعاجم –، سواء فيما يتعلق بالعطاء، أو زواج الحرة بغير الحر (الكفاءة في الزواج)، أو حتى فرض العربية عليهم، مع التأكيد على حفظ الانساب وعدم الاختلاط مع الاعاجم للحفاظ على العنصر العربي النقي، يظهر ميلاً الى ترسيخ التمايز الاجتماعي، وهو ما يتعارض مع مبدأ المساواة الاسلامية، ويؤكد البعد السياسي القبلي ، والنفعي في ادارة الدولة الجديدة.

٣-يبين البحث أن شخصية الخليفة عمر بن الخطاب لايمكن فهمها بمعزل عن سياقها البيئي والاجتماعي والتاريخي، مما يعني بالتالي امكانية تجاوز المثاليات التي صورت شخصيته، وسلط الضوء على الحقائق الاجتماعية والسياسية التي حكمت تجربته، وتظهره في ضوء الشخصية المتأرجحة بين المبادئ الدينية والانتماءات القبلية.

الهوامش:

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، أعد فهارسها: رياض عبدالله عبدالهادي، دار احياء التراث العربي (بيروت:١٩٩٦)، ١٤١/٣ .

(٢) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، علق عليه وخرج احاديثه: علي محمد دندل، ياسين سعدالدين بيان، دار الكتب العلمية(بيروت:١٩٩٦)، ٢٤٥/١ .

(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل(بيروت: ١٩٩٢)، ٣/ ١١٤٤.

(٤) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية(بيروت: ٢٠١١)، ٢٨/٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: محمد التونجي، دار صادر(بيروت:٢٠٠٩)، ٢٦٢/٣.

(٥) للتفصيل ينظر: فايزة مجدوني، اسهامات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظم الاسلامية واثرها على الحضارة الانسانية،رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لكلية الاداب واللغات، جامعة تلسمان، الجزائر، ٢٠١٣، ص١٩.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٤١/٣؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ٣٤٦/١؛ البلاذري، انساب الاشراف، ٣٨/٧.

(٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢(الرياض:١٩٨٥)، ص ١٥٣.

(٨) البلاذري، انساب الاشراف، ٣٣/٧؛ الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق: عبدأ. علي مهنا، شركة الاعلمي للمطبوعات(بيروت:٢٠١٢)، ٥٧٤/٣؛ الفجار الاعظم: يقصد به الحرب الرابعة التي اندلعت بين قريش وكنانة من جهة، وقيس عيلان من جهة اخرى، وسميت بحرب الفجار لأن الطرفين المتقاتلين استحلا القتال، والمحارم في الاشهر الحرم، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبر،

(٩) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ٣٤٦/١-٣٤٧، البلاذري، انساب الاشراف، ٣٧/٧.

(١٠) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ٣/ ١١٤٥؛ ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد عوض، عادل احمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية(بيروت:١٩٩٤) ، ١٣٨/٤.

(١١) البلاذري، انساب الاشراف، ٣٩/٧؛ ٣١٥/١٠؛ وللتفصيل ينظر: فايزة مجدوني، اسهامات الخليفة عمر بن الخطاب ، ص٢٠.

(١٢) حول علاقة المخزوميين بالتجارة مع اليمن والحبشة ينظر: باتريشيا كرون، تجارة مكة وظهور الاسلام، ترجمة:آمال محمد الروبي، المجلس الاعلى للثقافة(القاهرة:٢٠٠٥)، ص٢٠٩.

(١٣) ابن عبد البر،الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ٣/ ١١٤٥.

(١٤) البلاذري، انساب الاشراف، ٢٨/٧-٢٩.

(١٥) الطبري، تاريخ الطبري، ٥٧١/٣.

(١٦) سليمان محمود عطاالله، علم النفس الجنائي، الاكاديميون للنشر والتوزيع(الاردن:٢٠١٦)، ص٥٠.

(١٧) B.F. Skinner, *Science and Human Behavior*, Free Press, ,New York, 1953,pp: 32.

(١٨) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ١/ ٣٤٦.

(١٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٤٢/٣؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ١/ ٣٤٧.

(٢٠) البلاذري، انساب الاشراف، ٣٧/٧.

(٢١) أحمد بن حنبل،كتاب فضائل الصحابة،تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، مطبوعات جتمعة أم القرى مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي(مكة المكرمة:١٩٨٣)، ١/ ٢٤٥.

(٢٢) البلاذري، انساب الاشراف، ٣٤/٧.

(٢٣) الطبري،تاريخ الطبري ، ٥٧٠/٣.

(٢٤) احمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت:٢٠١٣)، ص ٧٤.

(٢٥) للتفصيل حول ذلك الاضطراب والقلق الذي كان ينتاب عمر بن الخطاب في بيئته القبلية ينظر: سهيل طقوس، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية، درا النفائس (بيروت :٢٠٠٣)، ص١٧٤.

(٢٦) البلاذري، انساب الاشراف، ٢٩/٧.

(٢٧) للتفصيل ينظر: حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية، دار الفارابي،ط٢ (بيروت:٢٠٠٨)، ٤٦١/١-٤٦٢.

(٢٨)البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٢١/١٠.

(٢٩) للتفصيل ينظر: الشوكاني، نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث (مصر:١٩٩٣)، ٧/٨.

(٣٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط٢(بيروت:٢٠٠٢)، ٩٥/١.

(٣١) الطبري، تاريخ الطبري، ١٧٩/٣.

(٣٢) للتفصيل ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة: ٢٠٠٤)، ٣١/ ٣٨٠-٣٨٢.

(٣٣) الشافعي، الأُم، تحقيق: رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع

(القاهرة:٢٠٠١)، ٦٦٨/٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ١٧٩/٣.

(٣٤) للتفصيل ينظر: ابن قدامة، تحقيق: عبدالله التركي، دار عالم الكتب(الرياض:١٩٩٧)، ١٣٠/٩؛ ابن حزم، المحلى بالاثار، تحقيق: عبدالغفار البنداري، دار الفكر (بيروت:١٩٨٥)، ٩٨/١١؛ ابو يعلي، الاحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية(بيروت:١٩٩٥)، ص١٤٣؛ إبن القيم، احكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف الشلبي(الرياض:١٩٩٧)، ٦٨٨/٢.

(٣٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٧٤/١؛ وحول التفاضل ينظر: فتوح البلدان، ص٤٤١؛ هناك اختلاف فيما فرضه عمر بن الخطاب لصفية، القول الأول ستة الاف، والثاني عشرة الاف، ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (بيروت:٢٠١٣)، ٤٣/٥.

(٣٦) حول الافتخار بالانساب ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ٢٥٧/٥-٢٥٨.

(٣٧) ابن سعد، الطبقات، ٣٢٤/٣-٣٢٥؛ وللتفصيل ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر (بيروت :١٩٩٤)، ٧٨/٩ .

(٣٨) حسن ابراهيم حسن، على إبراهيم حسن،النظم الإسلامية بحث في النظم السياسية والإدارية والمالية والقضائية، وفي نظام الرق عن المسلمين قي كل العصور، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة:١٩٣٩)،ص٣٦٨؛ سهاد فاضل عباس مصطفى، الموالي وأثرهم في الحياة العامة حتى نهاية الخلافة العباسية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد(٣٥)، ايلول ٢٠١٨، ص١٥٣.

(٣٩) ابن شبة،تاريخ المدينة المنورة،٦٢/٢ .

(٤٠) للتفصيل حول المساواة ينظر: البيهقي، شعب الايمان، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع(الرياض:٢٠٠٩)، ٢٨٩/٤.

(٤١) للتفصيل حول الهوية الجماعية والفردية ينظر: احمد بعلبكي ، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص ٤٠١.

(٤٢) العادة في الامة المؤلفة من طبقات أن أهل كل طبقة تتزواج فيما بينها ويندر أن يحصل التزواج بين طبقة واخرى إلا ما قد يقتنيه الاحرار من الجواري على سبيل التملك، للتفصيل ينظر: جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام، مطبعة الهلال،ط٢(مصر:١٩٢٢)، ٤٥/١.

(٤٣) للتفصيل حول وعي القبيلة الجمعي ينظر: احمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ص ٥٩.

(٤٤) هاني الطيب، الشخصية القيادية لعمر بن الخطاب: الاثر البيئي والنشأة العشائرية، مجلة التاريخ الاسلامي المعاصر، المؤسسة الدولية للفكر الاسلامي، العدد (١٢) ، فرجينيا، ٢٠١٩، ص ص١٣٤-١٥٢.

(٤٥) محمد عمارة، الخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، دار الشروق للنشر والتوزيع(القاهرة :٢٠٠٤)، ص٧٣.

(٤٦) للتفصيل ينظر: حسن عبدالكريم، السياسة العربية في صدر الاسلام: الخلفاء الراشدون انموذجاً، مركز دراسات الوحدة العربية(بيروت:٢٠٠١)، ص ص ١١٨-١٢٢.

(٤٧) الدينوري، الاخبار الطوال، تحقيق: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية (بيروت:٢٠٠١)، ص١٨٦.

(٤٨) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٦/٢٤٤؛ابن كثير،البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان(الجيزة:١٩٩٨)، ٤/٢٩١.

(٤٩)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي (الدمام: ٢٠١٠)،٢/١٤٨؛ وعن زواج المسلم للكتابية ينظر: البندري بنت عبد الله الجليل، زواج المسلم بغير المسلمة والاثار المترتبة عليه (دراسة فقهية)، مجلة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الاميرة نورة بنت عبدالرحمن، العدد الثاني والثلاثون، الجزء الرابع، ص١٥٢٧.

(٥٠) حول تأثير البيئة الصحراوية على السلوك الانساني ينظر: محمد حسن غانم، علم النفس البيئي، دار الكتاب الحديث(القاهرة:٢٠١٠)، ص ٤٥-٤٧؛ عبدالرحمن محمد عيسوي، علم النفس البيئي، منشأة المعارف(الاسكندرية:١٩٩٧)، ص١١٢-١١٥.

(٥١)صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (الموصل:١٩٨١)،١/١٢٨.

(٥٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥.

(٥٣) Henri Tajfel and John C Turner, An Ignorative Theory of Intergroup Conflict, in The Social Psychology of Intergroup Relations , eds, William G. Austin, and Stephen Weichel, Monterey, CA, Books, Cole, 1979.pp; 33-47.

(٥٤)ابو يوسف، الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت :١٩٧٩). ص١٣٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ص١٨٦-١٨٧؛ الطبري، تاريخ الطبري، ٣/٤٤٥، ٤٥٨.

(٥٥) للتفصيل ينظر: حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية، دار الفارابي،ط٢

(بيروت:٢٠٠٨)، ٤٦٥/١.

(٥٦) كما ورد أن ابن عمر كان اذا سمع بعض ولده يلحن ضربه؛ البيهقي، السنن الكبري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣(بيروت:٢٠٠٣)، ٢٨/٢؛ وينظر: ابن زياد الاعرابي، كتاب نوادر ابن الاعرابي، تحقيق: أحمد رجب ابو سالم، (بيروت: ٢٠١٣)،ص٤٢.

(٥٧)الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي(ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات(بيروت:١٩٩٢)، ٥٤٥/٣.

(٥٨) عبدالسلام المسدي، الهوية العربية والامن اللغوي، (بيروت:٢٠١٤)، ص ص١٣١-١٣٥.

(٥٩) حول ذلك ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٨/٢.

(٦٠) احمد صالح العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، المجمع العلمي العراقي(بغداد:١٩٨١)، ص٢٢؛ قارن مع عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢ (بيروت:٢٠٠٧)، ص٨٠.

(٦١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ١٠٨؛ ابن قدامة، المغني، ٩/ ٣٨٧؛ الصنعاني، المصنف، تحقيق: ايمن نصرالدين الازهري، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٠). ١٢٣/٦؛ ابن الهمام، شرح فتح القدير على شرح الهداية بداية المبتدي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٣)، ٢٨٠/٣.

(٦٢) الطبري، تاريخ الطبري،٥٨١/٣.

(٦٣) الصنعاني، المصنف، ١٠/ ٢٨٥.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المصادر الاولية

-ابن الأثير. عزالدين ابي الحسن علي بن محمد(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).ا

١-الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت: ٢٠١٧).

-ابن الأعرابي. ابي عبد الله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م).

٢-كتاب نوادر ابن الاعرابي، تحقيق: أحمد رجب أبو سالم، دار الكتاب العلمية (بيروت: ٢٠١٣).

-البلاذري. أحمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٣-انساب الاشراف،تحقيق تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية(بيروت: ٢٠١١).

٤- فتوح البلدان، عنى بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية (بيروت:

١٩٧٨).
-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني(ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م).
٥-السنن الكبري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣(بيروت:٢٠٠٣).
٦-شعب الايمان، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع(الرياض:٢٠٠٩).
-ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم النميري(ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م).
٧-مجموع الفتاوي، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، محمد بن عبدالرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف(المدينة المنورة:٢٠٠٤).
-ابن حزم، علي بن سعيد بن حزم بن غالب الاندلسي(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
٨-المحلى بالاثار، تحقيق: عبدالغفار البنداري، دار الفكر (بيروت:١٩٨٥).
-ابن حنبل. أحمد بن محمد بن حنبل(ت٢٤١هـ/٨٥٥م).
٩-كتاب فضائل الصحابة،تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، مطبوعات جتمعة أم القرى مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي(مكة المكرمة:١٩٨٣).
-ابن خياط.أبو عمر خليفة بن خياط الشيباني(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).
١٠-تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢(الرياض:١٩٨٥).
-الدينوري: ابو حنيفة الدينوري(ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).
١١-الاخبار الطوال، تحقيق: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية (بيروت:٢٠٠١).
-الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي(ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) .
١٢-ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت:١٩٩٢).
-سبط ابن الجوزي، يوسف بن علي(ت٦٥٤هـ/١٢٥٧م).
١٣-مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية(بيروت:٢٠١٣).
-ابن سعد. محمد بن سعد النمري(ت٢٣٠هـ/٨٥٤م).
١٤-الطبقات الكبرى، أعد فهارسها: رياض عبدالله عبدالهادي، دار احياء التراث العربي(بيروت:١٩٩٦).
-الشافعي، محمد بن ادريس(ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م).
١٥-الأُم، تحقيق: رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة:٢٠٠١).
-ابن شبة، عمر بن شبة النميري(ت٢٦٢هـ/٨٧٧م).
١٦-تاريخ المدينة المنورة، علق عليه وخرج احاديثه: علي محمد دندل، ياسين سعدالدين بيان، دار

الكتب العلمية(بيروت:١٩٩٦).
-الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م).
١٧-نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث (مصر:١٩٩٣).
-الصنعاني،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري (ت ٢١١هـ/٨٢٧م).
١٨-المصنف، تحقيق: ايمن نصرالدين الازهري، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٠).
-الطبري(محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
١٩-تاريخ الطبري، تحقيق: عبد أ.علي مهنا، شركة الاعلمي للمطبوعات(بيروت:٢٠١٢).
-ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م).
٢٠-الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل(بيروت: ١٩٩٢).
-ابن عبد ربه. أحمد بن محمد(٣٢٨هـ/٩٤٠م)١٤٥.
٢١- العقد الفريد، تحقيق: محمد التونجي، دار صادر، ط٢(بيروت: ٢٠٠٩).
-ابن قدامة. محمد بن عبد الله العدوي القرشي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)
٢٢-المغني، تحقيق: عبدالله التركي، دار عالم الكتب(الرياض:١٩٩٧).
-ابن قيم الجوزية. شمس الدين محمد بن ابي بكر الحنبلي(ت٧٥١هـ/١٣٥٠م).
٢٣-احكام اهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العازوري،رمادي للنشر (الدمام: ١٩٩٧).
-ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
٢٤-البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان(الجيزة:١٩٩٨).
٢٥-تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي (الدمام: ٢٠١٠).
-ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي(ت٨٦١هـ/١٤٥٧م).
٢٦-شرح فتح القدير على شرح الهداية بداية المبتدي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٣).
-الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان(ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م).
٢٧-بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر (بيروت :١٩٩٤).
-اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن واضح(ت٢٩٢هـ/٩٠٤م).

٢٨-تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط٢(بيروت:٢٠٠٢).
-ابو يعلي، محمد بن الحسين بن محمد البغدادي(ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م).
٢٩-الاحكام السلطانية، تحقيق:محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية(بيروت:١٩٩٥).
-أبو يوسف. يعقوب بن إبراهيم الانصاري(ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م).
٣٠- كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت :١٩٧٩).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة.

١-احمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت:٢٠١٣).
٢-باتريشيا كرون، تجارة مكة وظهور الاسلام، ترجمة:آمال محمد الروبي، المجلس الاعلى للثقافة(القاهرة:٢٠٠٥).
٣-جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام، مطبعة الهلال،ط٢(مصر:١٩٢٢).
٤-حسن ابراهيم حسن، على إبراهيم حسن،النظم الإسلامية بحث في النظم السياسية والإدارية والمالية والقضائية، وفي نظام الرق عن المسلمين قي كل العصور، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة:١٩٣٩).
٥-حسن عبدالكريم، السياسة العربية في صدر الاسلام: الخلفاء الراشدون انموذجاً، مركز درسات الوحدة العربية(بيروت:٢٠٠١).
٦-حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية، دار الفارابي،ط٢ (بيروت:٢٠٠٨).
٧ -سليمان محمود عطاالله، علم النفس الجنائي، الاكاديميون للنشر والتوزيع(الاردن:٢٠١٦).
٨-سهيل طقوس، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية، درا النفائس (بيروت :٢٠٠٣).
٩- صالح احمد العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، المجمع العلمي العراقي(بغداد:١٩٨١).
١٠- صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (الموصل:١٩٨١).
١١-عبدالرحمن محمد عيسوي، علم النفس البيئي، منشأة المعارف(الاسكندرية:١٩٩٧).
١٢-عبدالسلام المسدي، الهوية العربية والامن اللغوي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات(بيروت:٢٠١٤).
١٣--عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢ (بيروت:٢٠٠٧).

١٤-محمد حسن غانم، علم النفس البيئي، دار الكتاب الحديث(القاهرة:٢٠١٠).
١٥-محمد عمارة، الخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، دار الشروق للنشر والتوزيع(القاهرة :٢٠٠٤).

ثالثاً: الرسائل الجامعية والبحوث الاكاديمية.

١- البندري بنت عبد الله الجليل، زواج المسلم بغير المسلمة والاثار المترتبة عليه (دراسة فقهية)، مجلة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الاميرة نورة بنت عبدالرحمن، العدد الثاني والثلاثون، الجزء الرابع.
٢-سهاد فاضل عباس مصطفى، الموالي وأثرهم في الحياة العامة حتى نهاية الخلافة العباسية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد(٣٥)، ايلول ٢٠١٨.
٣-فايزة مجدوني، اسهامات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظم الاسلامية واثرها على الحضارة الانسانية،رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لكلية الاداب واللغات، جامعة تلسمان، الجزائر، ٢٠١٣.
٤-هاني الطيب، الشخصية القيادية لعمر بن الخطاب: الاثر البيئي والنشأة العشائرية، مجلة التاريخ الاسلامي المعاصر، المؤسسة الدولية للفكر الاسلامي، العدد (١٢) ، فرجينيا، ٢٠١٩.

رابعاً: المراجع الاجنبية.

B.F. Skinner, *Science and Human Behavior*, Free Press, ,New York, 1953.١-
2-Henri Tajfel and John C Turner, An Ignorative Theory of Intergroup Conflict, in The Social Psychology of Intergroup Relations , eds, William G. Austin, and Stephen Weichel, Monterey, CA, Books, Cole, 1979.

النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو ١٩٣٢-١٩٤٢
(دراسة في الوثائق الأمريكية)

م.د. صبا ربيع احمد

Dr. Saba Rabeea Ahmed

جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

Saba.ahmed@uoanbar.edu.iq

النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو ١٩٣٢-١٩٤٢ (دراسة في الوثائق الأمريكية)

م.د. صبا ربيع احمد

المستخلص:

اتسم النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو خلال المدة ١٩٣٢-١٩٤٢ بتصاعد التوترات السياسية والعسكرية، رافقهُ محاولات دبلوماسية متكررة لإيجاد تسوية سلمية، إذ أخذ النزاع طابعاً دولياً مع تدخل الولايات المتحدة الامريكية والأرجنتين والبرازيل وتشيلي، التي سعت من خلال وساطتها إلى احتواء الأزمة ومنع تفاقمها، وعلى الرغم من نجاح تلك الجهود في تجنب اندلاع حرب واسعة، فإن الخلافات الحدودية ظلت قائمة بسبب تضارب المطالب بين الطرفين، حتى انتهت تلك المرحلة بعقد بروتوكول ريو دي جانيرو عام ١٩٤٢، الذي مثل محطة بارزة في مسار التسوية الدبلوماسية في تلك المدة، بيد انه لم يتمكن من حل النزاع بصورة حاسمة، إذ بقيت بعض المناطق موضع خلاف حتى العقود الأخيرة من القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: الإكوادور، بيرو، النزاع الحدودي، ريو دي جانيرو، الأمازون، الولايات المتحدة الأمريكية، ليما، كيتو.

Abstract

The border dispute between Ecuador and Peru during the period 1932–1942 was marked by escalating political and military tensions, accompanied by repeated diplomatic attempts to reach a peaceful settlement. The dispute took on an international dimension with the involvement of the United States, Argentina, Brazil, and Chile, which sought through their mediation to contain the crisis and prevent its escalation. Although these efforts succeeded in avoiding a large-scale war, the border disagreements persisted due to conflicting territorial claims between the two parties. This phase concluded with the signing of the Rio de Janeiro Conference in 1942, which represented a significant milestone in the course of diplomatic settlement during that period. However, it failed to resolve the dispute decisively, as some

areas remained contested until the later decades of the twentieth century.

Keywords: Ecuador, Peru, border conflict, Rio de Janeiro, Amazon, United States of America, Lima, Quito.

المقدمة:

شهدت العلاقات بين الإكوادور وبيرو منذ مطلع القرن العشرين توترات حدودية، انعكست آثارها بشكل واضح في سلسلة من النزاعات السياسية والعسكرية، كان أبرزها النزاع الحدودي بين البلدين خلال المدة (١٩٣٢-١٩٤٢)، الذي عُد من أكثر النزاعات الإقليمية تعقيداً في أمريكا اللاتينية، لما تضمنه من تداخلات تاريخية وجغرافية وسياسية تعود جذورها إلى ما بعد مرحلة الاستقلال عن اسبانيا، وخلال تلك المدة تصاعدت حدة التوتر بين الدولتين حتى بلغت ذروتها في اندلاع حرب مفتوحة عام ١٩٤١، رافقها عدد من المحاولات لاحتواء الأزمة عبر التفاوض والوساطة الدولية، ولم يكن ذلك النزاع مجرد خلاف حول ترسيم الحدود، بل عكس صراعاً طويل الأمد على الموارد والأراضي الحدودية.

هدفت تلك الدراسة إلى بحث النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو خلال المدة (١٩٣٢-١٩٤٢)، من خلال تتبع تطور الاحداث العسكرية والدبلوماسية، وفهم دوافع الأطراف المتنازعة، وبيان دور الوساطة الدولية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في محاولات تسوية ذلك النزاع، كما تناولت الدراسة أثر الاتفاقيات المؤقتة والحوادث الحدودية التي شهدتها تلك المدة، وتكمن أهمية ذلك النزاع في كونه مثالاً بارزاً للتحديات التي واجهتها الدول الحديثة في ترسيم حدودها الوطنية بعد انتهاء حقبة الاستعمار.

أظهرت نتائج الدراسة أن النزاع الحدودي بين الاكوادور وبيرو كان نتيجة تراكم الخلافات التاريخية والجغرافية، وأن الحلول المؤقتة لم تكن كافية دون وجود توازن عسكري وسياسي واضح بين الطرفين، كما تبين أن دور الوساطة الدولية على الرغم من أهميته كان مرتبطاً بالواقع العسكري والمصالح السياسية أكثر من اعتمادها على توافق حقيقي بين الطرفين، وعلى الرغم من أن بروتوكول ريو دي جانيرو ١٩٤٢، شكل خطوة محورية نحو تحقيق نوع من الاستقرار الرسمي بين الإكوادور وبيرو، من خلال إنهاء الحرب وإعادة ترسيم الحدود برعاية دولية، بيد أنه لم ينجح في حل النزاع بشكل نهائي، إذ استمرت الخلافات بين

الطرفين في العقود اللاحقة، بسبب اعتراض الإكوادور على بعض بنوده، وتجدد المواجهات الحدودية بينهما، مما دل على أن الاتفاق مثل تسوية مؤقتة أكثر من كونه حلاً دائماً.

اعتمدت الدراسة بشكل أساس على وثائق وزارة الخارجية الأمريكية كمصدر رئيسي لتحليل مراحل النزاع الحدودي بين البلدين، لما توفره من معلومات دقيقة وموثقة حول المواقف الرسمية والمراسلات الدبلوماسية، كما ساهمت تلك الوثائق في تقديم رؤية أعمق لطبيعة الدور الأمريكي في إدارة الأزمة وتأثيره على مجريات التفاوض والتسوية.

قسمت الدراسة إلى مبحثين إذ تناول المبحث الأول بداية النزاع ودور الولايات المتحدة الأمريكية في التسوية حتى عام ١٩٤١، في حين تطرق المبحث الثاني المساعي الدولية للتسوية وتوقيع بروتوكول ريو دي جانيرو عام ١٩٤٢.

المبحث الأول: بداية النزاع ودور الولايات المتحدة الأمريكية في التسوية حتى عام ١٩٤١

كان النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو خلال المدة (١٩٣٢-١٩٤٢)، من أبرز النزاعات التي شهدتها أمريكا اللاتينية، ففي أيلول ١٩٣٢، ومع اندلاع نزاع ليتيسيا [١] بين كولومبيا وبيرو، سعت الإكوادور إلى استغلال الوضع لتعزيز موقفها في نزاعها الحدودي مع بيرو من خلال دعم كولومبيا سياسياً ودبلوماسياً، الامر الذي اثار بيرو واعدته خطوة عدائية غير مباشرة ومحاولة إحراج بيرو دولياً[٢].

يبدو أن بيرو رأت في دعم الإكوادور لكولومبيا طعنة دبلوماسية، واعدته مؤشرا على أن الإكوادور تنتظر الفرصة للمواجهة، الأمر الذي زاد من حدة التوتر بين البلدين.

تصاعدت التوترات السياسية والعسكرية بشكل كبير بين الإكوادور وبيرو قرب رافد زامبيلا(Zambila) في نهر مارانيون(Maranon) شمال شرق بيرو، ففي التاسع من تشرين الأول ١٩٣٢، قامت القوات البيروفية باجتياز الحدود واحتلال بلدة تشاكراس (Chacras) الإكوادورية، في خطوة شكلت تصعيداً خطيراً في النزاع الحدودي القائم بين البلدين وساد التوتر أجواء العاصمة الأكوادورية كيتو، ورداً على ذلك، أصدرت الحكومة الأكوادورية أمراً بإرسال قوات من مدينة غواياكيل (Guayaquil) إلى مدينة ماتشالا [٣] (Machala) تحسباً لأي تطورات عسكرية محتملة، تبعها بياناً أصدره وزير الخارجية الإكوادوري كاتون

كارديناس(Caton Cardenas) ونشر في الحادي عشر من تشرين الأول ١٩٣٢، أشار فيه إلى أسباب وتطورات الحادث والذي حدث بسبب تغيير في مجرى نهر زاروميلا (Zarumilla)، ذلك التغير أدى إلى تكوَن جزيرة جديدة سميت بجزيرة بوسيتون[٤] والتي أصبحت نقطة خلاف رئيسية بين البلدين، وتعد الجزيرة ذات أهمية اقتصادية بسبب تربتها الخصبة التي كان يستغلها مواطنو كلا البلدين، ولاسيما في زراعة التبغ مما تتسبب بين الحين والأخر في مشكلات متكررة مع حراس الكمارك ومسؤولي احتكار التبغ التابعين للحكومة الإكوادورية، ففي العاشر من تشرين الأول وقع حادث اخر بين مزارعي كلا البلدين، وجرى تبادل ثماني طلقات نارية دون وقوع إصابات، ومع ذلك، أدى اطلاق النار إلى وصول خمسين من الحراس البيروفيين وعدد قليل من حراس الاكوادور الى مكان الحادث، وتمركزت تلك القوات وجهاً لوجه في وضع ينذر بتصعيد خطير غير ان القادة الميدانيين في كلا الجانبين تعاملوا مع الموقف بحكمة، وبعد التأكد من طبيعة الحادث تمكنوا من منع حدوث أي اشتباك، بيد أن أحد موظفي التلغراف الإكوادورية كان يستحم في النهر لحظة وصول الحراس البيروفيين إلى المنطقة الحدودية، أرسل برقية عاجلة الى الحكومة في كيتو تضمنت وصفاً مبالغاً فيه للواقعة، مما أثار القلق في الأوساط الرسمية الإكوادورية، وبناءً على مضمون البرقية، أوعزت الحكومة الاكوادورية الى محافظ ولاية إل أورو(El Oro بضرورة التوجه شخصياً الى موقع الحادث لإجراء تحقيق ميداني[٥]، كما توجهت مجموعة من افراد الشرطة والكمارك وعدد من المدنيين التابعين للإكوادور بالتوغل في جزيرة بوسيتون، إذ قاموا بتدمير بعض مزارع التبغ البيروفية وإزالة الأسوار المحيطة بها، بيد أنه تم طردهم من قبل الحرس المدني البيروفي وانسحبوا الى بلدة تشاكراس لإعادة تنظيم صفوفهم وشكلوا قوة ضمت ما يقرب من أربعين شرطياً وعشرين من حراس الكمارك، وتمكنت من دفع القوات البيروفية الى الوراء عبر نهر زاروميلا وجرى تبادل لإطلاق النار، مما جعل الوضع خطيراً للغاية[٦].

أثار الحادث الحدودي الكثير من التكهنات بشأن المسار الذي قد تتخذه الإكوادور، إذ نشرت صحف ليما تقريراً صحفياً مفاده أن الإكوادور تقدمت بطلب لشراء أسلحة من الخارج، وكان من ضمنها صحيفة إل كوميرسيو(El Comercio) البيروفية التي ذكرت أن الإكوادور

قررت اقتراض مليون سوكر[٧] (Sucre) من البنك الاحتياطي لشراء عشر طائرات عسكرية وبناء مطار عسكري في مدينة لاتاكونغا، الأمر الذي دفع السلطات البيروفية إلى فرض رقابة مشددة على الصحف، وقمع الاخبار القادمة من الإكوادور، لاسيما تلك التي تؤثر على الرأي العام البيروفي، كما اتخذت بيرو إجراءات عسكرية منها ارسال طائرة مائية عسكرية في رحلة تفتيش الى الموقع البيروفي الامامي في بلدة كابو بانتوخا(Cabo Pantoja)، فضلاً عن ارسال خمسمائة جندي الى مدينة ليتيسيا، وتعزيزات وذخيرة للحاميات البيروفية في أعالي نهري نابو وكوراري، وفي الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٣٢، خصصت الحكومة البيروفية مائتان وخمسون ألف سول[٨] (Sol) لبناء ميناء جديد في مدينة تومبيس(Tumbes) على الحدود الإكوادورية على الرغم من اهمال حكومة ليما لمدينة تومبيس لسنوات طويلة وتركها في حالة من التدهور[٩].

أشارت التقارير الواردة من مدينة تومبيس في بيرو ومدينة ماشالا(Machala) في الإكوادور بتاريخ الثاني والعشرين من تشرين الأول ١٩٣٢، إلى قيام الطرفين بتعزيز وجودهما العسكري على الحدود المشتركة، إذ أرسلت الإكوادور مفرزة من الشرطة تحت قيادة الكابتن برافو(Bravo)، في حين ارسلت بيرو مفرزة من الحرس المدني تحت قيادة الكابتن فييفرا(Vievra)، وفي السابع والعشرين من تشرين الأول، جرت مفاوضات دبلوماسية بين الضابطين بهدف التوصل الى تسوية سلمية للنزاع الحدودي القائم بين البلدين، غير ان الوفد البيروفي قدم خلال تلك المفاوضات مطالبة رسمية بجزيرة بوسيتون، معلناً رغبة بلاده بتعليق دورياتها العسكرية في بلدة بوزو فيردي(Pozo Verde)، وعلى الرغم من ذلك التصريح، صدرت أوامر من الحكومة البيروفية اكدت استمرار احتلال بوسيتون عسكرياً، الامر الذي دفع الضابط الإكوادوري إلى تقديم احتجاج رسمي على ذلك الاجراء، وانتهت المفاوضات دون التوصل الى تسوية سلمية[١٠].

انتشرت اخبار غير مؤكدة في العاصمة البيروفية ليما في عام ١٩٣٢، مفادها أن الإكوادور أبرمت اتفاقية سرية مع كولومبيا تقضي بحصول الأخيرة على مساعدة مباشرة من الإكوادور في حال نشوب حرب مع بيرو، الأمر الذي أثار الرأي العام البيروفي الذي خشي

أن تستغل الإكوادور انشغال بلادهم بأي مواجهة مع كولومبيا لتفتعل أزمة حدودية شمالية، مما يؤدي إلى فتح جبهتين عسكريتين على بيرو في آن واحد(١١).

أدركت الإدارة الامريكية خطر النزاع الإقليمي وسعت إلى احتواء الموقف عبر الوسائل الدبلوماسية، إذ وجهت الأطراف المتنازعة الإكوادور وبيرو إلى ضرورة اللجوء الى الطرق السلمية لتسوية النزاع الحدودي القائم بينهما، ففي مذكرة بعث بها السفير الأمريكي في بيرو فريد موريس ديرينغ (Fred (Morris Dearing إلى وزير الخارجية الأمريكي هنري ل.ستيمسون (Henry L.Stimson) (١٩٢٩-١٩٣٣) في العاشر من تشرين الثاني ١٩٣٢، أشار فيها إلى قلقه من احتمال اندلاع مواجهة مباشرة بين الإكوادور وبيرو، وأوصى بمتابعة دقيقة للتحركات العسكرية على حدودهما الشمالية، لاسيما بعد إعلان الإكوادور دعمها الدبلوماسي لكولومبيا في نزاعها مع بيرو، مما أثار مخاوف حقيقية لدى الحكومة البيروفية من احتمال فتح جبهة جديدة في الشمال، وعلى أثر ذلك بادرت بيرو إلى توجيه دعوة رسمية إلى الإكوادور لإجراء مفاوضات في العاصمة البيروفية ليما بشأن القضايا الحدودية في محاولة لاحتواء الموقف وتفادي أي تصعيد إضافي(١٢) .

يتضح أن تصاعد خطر اندلاع مواجهة عسكرية مفتوحة بين الإكوادور وبيرو، دفع الإدارة الامريكية الى إعادة تقييم موقفها من النزاع، نظراً إلى تداعياته المحتملة على التوازن الإقليمي في أمريكا اللاتينية، كما ارتبط ذلك الاهتمام بتقديرات استراتيجية مفادها أن استمرار النزاع قد يشكل تهديداً مباشراً لمصالح الولايات المتحدة الامريكية، ولاسيما في ظل الأهمية الجغرافية والاقتصادية لمنطقة الأمازون بما تحتويه من موارد طبيعية ومائية حيوية، مما دفعت تلك العوامل صناع القرار في واشنطن إلى انتهاج مسار دبلوماسي نشط، تمثل في الوساطة والضغط السياسي في محاولة لاحتواء الازمة دون تحولها إلى نزاع كبير من شأنه الإخلال باستقرار القارة الامريكية.

أعربت الإكوادور عن استعدادها للدخول في مفاوضات مباشرة مع بيرو، لكنها اشترطت أن تعقد المفاوضات في واشنطن وليس في ليما، استناداً إلى (بروتوكول بونس-كاسترو لعام ١٩٢٤)(١٣)، ففي محادثة السفير الإكوادوري في واشنطن غونزالو زالدومبيد (Gonzalo Zaldumbide) مع مساعد وزير الخارجية الأمريكي فرانسيس وايت

(Francis White) في الرابع عشر من كانون الأول ١٩٣٢، أشار إلى رغبة الإكوادور في عقد المفاوضات في بلد محايد للتوسط ويفضل الولايات المتحدة الامريكية(١٤).

سعت الإكوادور إلى استغلال الأوضاع السياسية السائدة في المنطقة لتعزيز موقفها التفاوضي مع اقتراب انعقاد بروتوكول ريو دي جانيرو بين كولومبيا وبيرو كفرصة لتعزيز مطالبها الإقليمية تجاه بيرو، مستفيدةً من الظرف المضطرب والجهود الدولية المبذولة لتفادي نزاع واسع النطاق في أمريكا اللاتينية، ففي التاسع من كانون الثاني ١٩٣٣، وجهت وزارة الخارجية الإكوادورية مذكرة رسمية إلى الإدارة الأمريكية اعربت فيها عن رغبة بلادها في المشاركة في المؤتمر، انطلاقاً من قناعتها بأن أي تسوية حدودية بين كولومبيا وبيرو قد يكون لها تداعيات مباشرة على مصالحها الاستراتيجية في الأمازون، كما أكدت رغبتها في إدراج ملف نزاعها الحدودي مع بيرو ضمن المفاوضات، ولكن بشكل منفصل عن المفاوضات بين كولومبيا وبيرو، وطلبت من الولايات المتحدة الامريكية دعماً سياسياً يضمن تمثيلها في المؤتمر وعدت أن استبعادها من مفاوضات تتناول شؤون منطقة الأمازون يُعد إخلالاً بمبدأ التوازن الإقليمي الذي تسعى الدول الامريكية إلى الحفاظ عليه(١٥).

أبدت الإدارة الأمريكية في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٣٣، تفهماً لمطالب الإكوادور بالانضمام إلى بروتوكول ريو دي جانيرو، لكنها امتنعت عن اتخاذ موقف داعم بشكل صريح أو ممارسة أي ضغوط على الدول المنظمة لضمان مشاركتها، واكتفى الموقف الأمريكي بالاستعداد لتقديم المساعدة عند الحاجة، مع الإشارة إلى أن قرار إشراك الإكوادور عائد إلى الدول الثلاث المنظمة للمؤتمر: البرازيل، وكولومبيا، وبيرو(١٦)، إذ أبدت بيرو عن تحفظها على مشاركة الإكوادور مؤكدة أن مشاركتها قد توسع جدول الأعمال ويعرقل التوصل إلى تسوية محددة، بينما تراجعت البرازيل عن توجيه الدعوة الرسمية للإكوادور، بحجة أن مشاركتها تعتمد على موافقة طرفي النزاع، أما كولومبيا أظهرت تردداً واضحاً تجاه انضمام الإكوادور خشية أن يؤدي ذلك إلى تعقيد المفاوضات(١٧).

سعت واشنطن إلى تهدئة التوترات في اعقاب رفض طلب الإكوادور للمشاركة في المؤتمر، من خلال حث الحكومة البيروفية على الدخول في مفاوضات ثنائية مباشرة مع الإكوادور، وقد استجابت بيرو لتلك المبادرة في السابع والعشرين من حزيران ١٩٣٣، وأبدت

استعدادها للتفاوض مع الإكوادور في العاصمة ليما[١٨]، ووجهت دعوة رسمية للإكوادور التي ردت في التاسع عشر من تشرين الأول ١٩٣٣، بقبول متردد مدفوعة بتوقعها أن الولايات المتحدة الأمريكية ستدعم موقفها اثناء المفاوضات[١٩]، بيد أن المفاوضات الثنائية التي جرت في ليما لم تسفر عن أي تفاهم مشترك، مما دفع الإكوادور وبيرو إلى تقديم طلب مشترك في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٣٤، إلى الولايات المتحدة الأمريكية بقبول نقل المفاوضات إلى واشنطن وتولي دور المحكم في تسوية النزاع الحدودي بينهما[٢٠]، وفي ضوء ذلك، وافقت الادارة الامريكية رسمياً على ذلك في اوائل شباط ١٩٣٤، استناداً إلى (بروتوكول بونس-كاسترو لعام ١٩٢٤)، الذي نص على اللجوء إلى التحكيم الرئاسي الأمريكي في حال تعثر المفاوضات المباشرة، وبناءً على ذلك، استقبلت واشنطن وفدي البلدين لبدء المفاوضات بإشراف امريكي مباشر[٢١].

أعلن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت (Franklin Roosevelt) (١٩٣٣-١٩٤٥)، في بيان رسمي صادر عن البيت الأبيض في السادس من شباط ١٩٣٤، موافقته على تولي مهمة التحكيم في النزاع الحدودي بين الطرفين، قائلاً "**أن هذه الخطوة تمثل تقدماً ملموساً نحو تسوية سلمية للنزاع الطويل الأمد بين البلدين**"[٢٢].

بدأت اللقاءات الأولية والمباحثات التمهيدية بين وفدي الإكوادور وبيرو في ليما خلال تموز ١٩٣٤، وركزت تلك المباحثات على تنظيم آليات التفاوض ووضع الأسس الإجرائية للمسار التحكيمي بين الطرفين[٢٣]، وفي السادس من تموز ١٩٣٦، وقعت الحكومتان الإكوادورية والبيروفية اتفاقية في ليما، مهدت لاستئناف التحكيم في واشنطن، وجاء ذلك الاتفاق تأكيداً لالتزام الطرفين بالإطار القانوني لـ (بروتوكول بونس-كاسترو لعام ١٩٢٤)، مع احتفاظ كل طرف بمواقعه الإقليمية حتى انتهاء المفاوضات في واشنطن، دون أن يُعد ذلك اعترافاً قانونياً من أي منهما بسيادة الطرف الاخر على الأراضي التي يسيطر عليها فعلياً، ومثل ذلك النص الأساس الذي نشأ عنه لاحقاً ما سمي بـ "خط الوضع الراهن لعام ١٩٣٦"[٢٤].

أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بياناً صحفياً في الثلاثين من أيلول ١٩٣٦، أعلنت فيه بدء الجلسة الرسمية الأولى من المفاوضات التحكيمية بين وفدي الإكوادور وبيرو في

البيت الأبيض، بحضور الرئيس الأمريكي روزفلت، إذ أكد البيان على أهمية تعزيز السلام في نصف الكرة الغربي، مشدداً على أن عملية التحكيم تستند إلى (بروتوكول بونس-كاسترو لعام ١٩٢٤)، كما أبرز دور الولايات المتحدة الامريكية في تهيئة بيئة تفاوضية محايدة، ودعمها للمسار القانوني والدبلوماسي دون التدخل في نتائجه[٢٥].

يمكن القول أن الفجوة الزمنية بين بيان الرئيس الأمريكي روزفلت الداعي إلى تسوية النزاع في السادس من شباط ١٩٣٤، وبين بدء المفاوضات في الثلاثين من أيلول ١٩٣٦، مثل مؤشراً واضحاً على فتور الموقف الأمريكي الذي اكتفى بموقف رمزي دون اتخاذ خطوات تنفيذية، وسبب ذلك يعود إلى انشغال الولايات المتحدة الأمريكية بالأوضاع الاقتصادية الداخلية عقب الأزمة الاقتصادية العالمية، اما بيرو فقد عدتُ نفسها الطرف الأقوى ميدانياً، ولم تُبدِ اهتماماً كبيراً بالمفاوضات التي قد تؤدي إلى إعادة النظر في مكاسبها الميدانية أو فرض تنازلات عليها، في المقابل، واجهت الإكوادور اضطرابات سياسية داخلية متكررة، مما أدى إلى ضعف قدرتها على اتخاذ قرارات تفاوضية حاسمة.

شرعت الوفود الرسمية لكل من الإكوادور وبيرو في عقد سلسلة من المباحثات في واشنطن منذ الثلاثين من ايلول ١٩٣٦، بيد أن تلك المباحثات واجهت منذ بدايتها خلافات عميقة حول الأسس الجغرافية والتاريخية لترسيم الحدود في منطقة الامازون، فضلاً عن تجاوز القوات الإكوادورية إلى منطقة زارروميلا المحايدة[٢٦]، الأمر الذي أدى إلى تباطؤ واضح في المباحثات، إذ أشارت وزارة الخارجية الأمريكية في الثامن من شباط ١٩٣٨، بأن الإكوادور تواصل رفضها لأي تعديل غير مشروط في إطار بروتوكول التحكيم، وأكدت على ضرورة معالجة تفاصيل دقيقة تتعلق بأسس التحكيم وحدوده القانونية، مما جعل فرصة التوصل إلى اتفاق شامل محدودة على الرغم من الجهود الأمريكية المبذولة لإنهاء النزاع[٢٧]، وفي الرابع من حزيران ١٩٣٨، بعثت وزارة الخارجية الامريكية مذكرة إلى الحكومة الإكوادورية أكدت فيها على ضرورة التزام الطرفين بالسعي إلى إيجاد تسوية سلمية عاجلة، محذرة من أن استمرار النزاع دون أفق تفاوضي واقعي قد يؤدي إلى تعطيل المسار التحكيمي بأكمله[٢٨]، وعلى الرغم من استمرار اللقاءات والمداولات، لم تُفضِ الجهود إلى أي اتفاق

حاسم، مما أدى إلى حالة من الدبلوماسي واستمرار الوضع القائم دون التوصل إلى تسوية نهائية[٢٩].

أبلغت السفارة الأمريكية في كيتو وزارة الخارجية الامريكية في الحادي والعشرين من تموز ١٩٣٩، بوقوع حادث حدودي مسلح بين القوات الإكوادورية والبيروفية عند نقطة أغواس فيرديس (Aguas Verdes) الواقعة ضمن ولاية إل أورو بمنطقة بوسيتوس، وبحسب البرقية، وقع الاشتباك وقع في الثامن عشر من الشهر ذاته، وأسفر عن توتر دبلوماسي متبادل، إذ قدم ممثلو كلا الطرفين احتجاجات رسمية يتهم كل منهما الاخر بالمسؤولية عن بدء إطلاق النار، وبناءً على ذلك، أصدرت وزارة الخارجية الإكوادورية بياناً رسمياً قدمت فيه روايتها التفصيلية للحادث موضحةً أن دورية مكونة من أربعة جنود إكوادوريين كانت تؤدي مهمة مراقبة اعتيادية في المنطقة وعندما تعرضت لإطلاق نار مفاجئ من قبل الحرس المدني البيروفي، مما اضطرها إلى الرد دفاعاً عن النفس، كما حمل البيان بيرو المسؤولية الكاملة وراء ذلك التصعيد، متهم إياها بانتهاك الوضع القائم وغزو أراضٍ إكوادورية، واستندت الحكومة الإكوادورية في ذلك إلى تقارير جيولوجية صادرة عن خبراء أجانب والتي أكدت أن نهر زاروميلا لم يُغير مجراه وأن منطقة بوسيتوس التي وقع فيها الاشتباك تقع ضمن الحدود الإكوادورية[٣٠]، وفي الثاني والعشرين من تموز ١٩٣٩، جاء الرد البيروفي عبر بيان رسمي مؤكدة أن منطقة أغواس فيرديس تقع تحت سيادتها منذ زمن طويل، وأنها تضم مركزاً دائماً للشرطة البيروفية، وأشارت أن الحادث وقع نتيجة هجوم إكوادوري، أسفر عن مقتل اثنين من افراد الشرطة، كما رفضت ما وصفته بالادعاءات غير الدقيقة المتعلقة بالمسح الجيولوجي، ومؤكدةً أن تلك التقارير لا تغير من الواقع القانوني والسيادي للمنطقة[٣١].

يبدو أن الحادث الحدودي عكس اخفاق الطرفين في بناء تفاهم حقيقي فيما بينهما، على الرغم من الجهود الدبلوماسية لحل الخلافات، إذ تمثل الموقف الإكوادوري في التأكيد على سيادته الإقليمية استناداً على أسس تاريخية وجيولوجية مدعومة بتقارير علمية، أما الموقف البيروفي، فيبدو كان أكثر تمسكاً بسيطرته الفعلية على الارض، مع رفضه للأدلة

التي قدمتها الإكوادور، مما كان يعكس اعتماد بيرو على قوتها ونفوذها لتثبيت مطالبها الحدودية.

المبحث الثاني: المساعي الدولية للتسوية وتوقيع بروتوكول ريو دي جانيرو عام ١٩٤٢

تجددت الحوادث الحدودية بين الإكوادور وبيرو في أوائل عام ١٩٤٠، الامر الذي أسهم في تصعيد النزاع بين البلدين، وأمام ذلك التصعيد كثفت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل والأرجنتين جهودها الدبلوماسية لاحتواء الموقف، إدراكاً منها لما يشكله النزاع من خطر على الأمن الإقليمي في مرحلة دولية حرجة تزامنت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية(٣٢)، وفي ظل تلك التطورات، انعقد مؤتمر هافانا في الحادي والعشرين من تموز عام ١٩٤٠، بمشاركة دول القارة الأمريكية ومن بينها الإكوادور وبيرو، إذ تم التأكيد على مبدأ سيادة الدول ورفض استخدام القوة في تسوية النزاعات الحدودية، والدعوة إلى الحلول السلمية كإطار مشترك لحفظ الاستقرار في النصف الغربي من الكرة الأرضية(٣٣).

اقترحت الإدارة الأمريكية في الثاني من كانون الثاني ١٩٤١، إحالة القضية إلى وساطة ودية وتحكيم محايد، إذ أشارت إلى ضرورة تعاون الإكوادور وبيرو مع لجنة دولية محايدة تحظى بدعم واعتراف رسمي، مع ترشيح البرازيل لتولي دور الوسيط الفعال، نظراً لموقعها الإقليمي وثقلها السياسي في القارة، من جانبها، أبدت الحكومة الإكوادورية استعدادها للتعاون مع اللجنة، مؤكدة حرصها على تجنب اللجوء إلى القوة، واعتمادها على دعم المجتمع الدولي لتحقيق تسوية سلمية للنزاع، بيد أن الموقف الأكوادوري جاء مصحوباً بتحفظات على شروط عمل اللجنة، منها عدم الاعتراف بسيطرة بيرو على مدينتي توميس وجيان، ورفضه خطوط الحدود المؤقتة التي اعتمدت على مواقع السيطرة العسكرية الفعلية لبيرو(٣٤).

أصدرت الحكومة البيروفية في الثاني عشر من شباط ١٩٤١، بياناً أعربت فيه عن موقف صارم تجاه جهود التسوية، إذ رفضت أي وساطة لا تضمن مسبقاً احتفاظها بالأراضي الواقعة تحت سيطرتها منذ عقود، بما في ذلك مدن تومبيس، وجيان، وأمازوناس، ولوريتو، كما رفضت فكرة التحكيم الدولي، مؤكدة أن الظروف السياسية غير مناسبة للتفاوض في ظل ما وصفته بـ "الحملة الدعائية والضغوط الإكوادورية"، واقترحت اعتماد

خطوط السيطرة العسكرية الفعلية كحل مؤقت لتثبيت الوضع الحدودي، مع تأكيدها في الوقت نفسه التزامها بالحل السلمي وحقها في الدفاع عن النفس إذا ما تعرضت لهجوم، الأمر الذي أثار قلق الإدارة الأمريكية الذي رأت فيه انغلاقاً دبلوماسياً لا يساعد على تهدئة النزاع، ويكرس واقعاً ميدانياً مرفوضاً من قبل الإكوادور، ويبقي النزاع قائماً دون تسوية نهائية، كما حذرت واشنطن من استغلال قوى اجنبية غير أمريكية للنزاع في ظل الأوضاع الدولية المتوترة، وأبدت في الوقت نفسه استعدادها لدعم وساطة محايدة يقودها طرف يحظى بثقة الجانبين، مشيرة إلى وزير الخارجية البرازيلي اوزفالدو أرانيا(Oswaldo Aranha) (١٩٣٨-١٩٤٤)، كأحد أبرز المرشحين للقيام بدور فعال في تسوية النزاع بما يخدم استقرار القارة الامريكية[٣٥].

يتضح مما سبق، ان مؤتمر هافانا عام ١٩٤٠، على الرغم من تأكيده على ضرورة احترام السلم القاري ورفض استخدام القوة في تسوية النزاعات بين دول القارة الأمريكية، بيد أنه لم ينجح في تحقيق التزام فعلي من الإكوادور وبيرو، ويعود ذلك إلى غياب آليات تنفيذية ملزمة، فضلاً عن اختلاف تفسيرات الطرفين لمفاهيم السيادة والحدود، إلى جانب عدم وجود رقابة دولية تحول دون التصعيد العسكري بينهما، وانشغال الولايات المتحدة الأمريكية بالأوضاع الدولية المتوترة بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية، مما قلل من قدرتها على ممارسة ضغوط دبلوماسية لاحتواء النزاع.

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين والبرازيل في الثامن من أيار ١٩٤١، استعدادها للقيام بدور الوسيط، أو الانضمام إلى أي آلية تفاوضية تراها الإكوادور وبيرو مناسبة[٣٦]، وفي التاسع من أيار، رحبت حكومة الإكوادور بتلك المبادرة، وأكدت تمسكها بالحلول السلمية وثقتها بالدور الدولي لتحقيق تسوية عادلة للنزاع الحدودي مع بيرو[٣٧].

طرأ تغيير دبلوماسي على موقف بيرو تجاه المساعي الثلاثية الودية بين شهري شباط وآيار ١٩٤١، إذ أبدت بيرو في البداية رفضها لأي وساطة دولية، متمسكةً بموقفها القانوني الذي رفض النقاش حول سيادتها على مدن تومبيس، وجيان، وماياناس، مؤكدةً أن مجرد قبول الوساطة يعد مساساً بالسيادة الوطنية، بيد أن الموقف البيروفي تغيير واتجه نحو التكيف التدريجي في ظل التطورات الإقليمية والدولية، لاسيما بعد المبادرة المشتركة التي

طرحتها الارجنتين والبرازيل والولايات المتحدة الأمريكية في أيار ١٩٤١، إذ أعلنت بيرو في التاسع عشر من أيار من العام نفسه، قبولها الرسمي للوساطة الدولية، لكنها قيدته بعدم التنازل عن حقوقها(٣٨).

أعلنت الإدارة الأمريكية في السادس عشر من أيار ١٩٤١، أن قبول الطرفين ولو كان جزئياً من جانب بيرو يُعد كافياً لبدء المفاوضات، مؤكدة أهمية تجنب أي توتر قد يؤدي إلى اخفاق المبادرة بالكامل، وبناءً على ذلك، وجهت وزارة الخارجية الأمريكية رسالة مشتركة إلى حكومتي كيتو وليما لإطلاق المرحلة العملية من الوساطة دون تأخير(٣٩)، غير أن الجهود الدبلوماسية تلقت ضربة قوية مع تجدد الاشتباكات العسكرية بين البلدين في الخامس من تموز ١٩٤١، عندما اجتاحت القوات البيروفية المؤلفة من عشرة آلاف جندي أراضي الإكوادور بعملية عسكرية واسعة شاركت فيها القوات البرية والجوية، وتقدمت لمسافة ٨٠ كم داخل منطقة الأمازون، واحتلت مدينة سانتا روزا (Santa Rosa) في ولاية إل أورو في المقابل، دفعت الإكوادور بقوة عسكرية محدودة بلغت ألف وستمائة جندي حاولت من خلالها الدفاع عن مواقعها دون تحقيق نتائج واضحة، إذ اقتصرت عملياتها على الدفاع ومحاولة الحد من تقدم القوات البيروفية، وبلغت المواجهات ذروتها في معركة زاروميلا بين الثالث والعشرين والحادي والثلاثين من تموز، التي مثلت تحولاً خطيراً في النزاع بين الطرفين(٤٠).

تحركت الولايات المتحدة الامريكية والبرازيل والأرجنتين وكلفت ممثليها الدبلوماسيين في كيتو وليما بعقد لقاءات مباشرة مع وزيري خارجية البلدين بهدف التهدئة، وعلى الرغم من تضارب الروايات حول الطرف الذي بدأ الاشتباك، إذ اقترحت الدول الثلاث سحب القوات العسكرية لكلا الطرفين لمسافة ١٥ كم من خطوط التماس المؤقتة، مع فرض حظر على تحليق الطائرات فوق المنطقة الحدودية، وفي حال وافقت الإكوادور وبيرو على ذلك المقترح، سيتم التوقيع على إعلان صداقة مع التزامهما بإبقاء قواتهما العسكرية خلف المواقع الجديدة التي ستنسحب إليها، كما تقرر إحالة مهمة الاشراف إلى الملحقين العسكريين للدول الامريكية في العاصمتين كيتو وليما بالتعاون مع السلطات التي تعينها حكومتا الإكوادور وبيرو(٤١).

طرحت بيرو في الثالث عشر من أيلول ١٩٤١، مشروعاً لتسوية النزاع الحدودي مع الإكوادور تضمن سبع نقاط أساسية، ركزت في مجملها على تأكيد سيادتها على المناطق الواقعة من المحيط الهادئ حتى نهر تشينتشيبي(Chinchipe) مع فتح باب التفاوض بشأن المناطق المتنازع عليها، كما اقترحت إخلاء ولاية إل أورو بشرط أن تبقى منزوعة السلاح وتحت رقابة دولية، إلى حين تحويل الاتفاق إلى معاهدة خلال مدة لا تتجاوز ستة أشهر، وشمل المقترح ايضاً التفاوض حول التعويضات المالية المرتبطة بالاحتلال العسكري المؤقت(٤٢).

توصل ممثلو الإكوادور وبيرو في الثاني من تشرين الأول ١٩٤١، إلى اتفاقية بمشاركة المراقبين المحايدين، نصت على إنشاء منطقة محايدة يُمنع فيها وجود القوات المسلحة وتوضع تحت رقابة دولية مع بقاء الشرطة المدنية تحت إشراف المراقبين دون أن يشكل ذلك أي إقرار بالسيادة أو ادعاءً بالملكية(٤٣)، ثم دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في الخامس من تشرين الأول ١٩٤١، وأعربت وزارة الخارجية الأمريكية عن ترحيبها لتوقيع الاتفاقية، مؤكدة على أنها تعد خطوة مهمة نحو منع تكرار الاشتباكات المسلحة وتعزيز جهود التهدئة للنزاع الحدودي، كما أشارت إلى بإن تلك الاتفاقية لا تتعارض مع بيانها الصادر في الثالث والعشرين من أيلول، والذي تضمن موقفها من تسوية النزاع وفق المبادئ السلمية(٤٤).

سعت الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين والبرازيل منذ كانون الأول ١٩٤١، إلى فرض تسوية سلمية للنزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو، إذ اصبح الحفاظ على وحدة القارة الأمريكية أمراً ذا أهمية للإدارة الأمريكية في ظل ظروف الحرب العالمية الثانية، واقترحت الدول الثلاث اعتماد "خط الوضع الراهن لعام ١٩٣٦" كأساس لإجراء مفاوضات نهائية ودائمة، بالتزامن مع انسحاب القوات البيروفية إلى ما وراء الخط، كما دعت إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين في العاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس بحضور ممثلو الدول الوسيطة مع اشعار باقي الجمهوريات الأمريكية بتفاصيل المبادرة، وشجعت على انضمام تشيلي إلى جهود الوساطة وهو ما وافقت عليه لاحقاً كل من الإكوادور وبيرو(٤٥).

يبدو أن قبول الدول الثلاث بانضمام تشيلي إلى الوساطة الدبلوماسية الرامية لتسوية النزاع بين البلدين، جاء بدافع الرغبة في توسيع قاعدة الوساطة الإقليمية، بهدف تعزيز الاستقرار والأمن القاري، واختيار تشيلي تحديداً كان يرتبط بمكانتها الدبلوماسية في القارة الأمريكية، وعلاقاتها الجيدة مع الطرفين المتنازعين، فضلاً عن موقفها الحيادي في النزاعات الإقليمية، مما منحها قدرة على المساهمة في تهدئة الوضع وضمان التزام الطرفين بمسار التفاوض.

جاء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الجمهوريات الأمريكية في ريو دي جانيرو في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٢، بهدف تنسيق المواقف تجاه دول المحور، ومواجهة التهديدات الخارجية وضمان الاستقرار الداخلي للقارة من خلال تسوية النزاعات الإقليمية ومنها النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو الذي مثل عقبة رئيسية أمام جهود تعزيز التعاون والوحدة بين دول القارة الأمريكية[٤٦]، وكان أبرز نتائجه التوقيع على بروتوكول ريو دي جانيرو في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٢، بين وزير خارجية الإكوادور جوليو توبار دونوسو(Julio Tobar Donoso)(١٩٣٨-١٩٤٢) ونظيره البيروفي الفريدو سولف إي مورو(Alfredo Solf y Muro)(١٩٣٩-١٩٤٤)، وتضمن البروتوكول تسعة بنود تتعلق بالنزاع الإكوادوري-البيروفي من بينها الاتفاق على انسحاب القوات البيروفية إلى "خط الوضع الراهن لعام ١٩٣٦" خلال خمسة عشر يوماً، وإنشاء منطقة منزوعة السلاح برعاية مراقبين عسكريين من الدول الوسيطة الولايات المتحدة الأمريكية، والأرجنتين، والبرازيل، فضلاً عن تشيلي، وبقاء القوات العسكرية للبلدين في مواقعها الجديدة حتى يتم الترسيم النهائي لخط الحدود، إلى جانب تتمتع الإكوادور بالملاحة في نهر الأمازون وروافده الشمالية بنفس الامتيازات التي تتمتع بها البرازيل وكولومبيا[٤٧].

دخل البروتوكول حيز التنفيذ في السادس والعشرين من شباط ١٩٤٢، مما أدى إلى تشكيل اللجنة المشتركة لترسيم الحدود بين الإكوادور وبيرو، والتي كلفت بمهمة تنفيذ بنود الاتفاق المتعلقة بانسحاب القوات البيروفية إلى المواقع المتفق عليها ضمن "خط الوضع الراهن لعام ١٩٣٦"، وشرعت اللجنة المشتركة في عملها في حزيران من العام نفسه، إذ قامت بإجراء مسح ميداني وقسمت الحدود الكلية إلى قطاعين: الأول القطاع الغربي يمتد

من بوكا دي كابونيس(Boca de Capones) على ساحل المحيط الهادئ إلى ملتقى نهري تشينتشيبي وسان فرانسيسكو، والثاني القطاع الشرقي ويمتد من النقطة الأخيرة إلى مصب رافد غويبي(Cuepi) في نهر بوتومايو(Putumayo)، ومنحت بيرو منطقتي زامورا-سانتياغو وفقاً للمادة الثامنة من البروتوكول، ولاسيما الجزء الممتد من مصب نهر زامورا حتى مصب رافد يابوي (Yaupi)، وفيما يخص الإكوادور، احتفظت بأجزاء من سلسلة جبال كورديليرا ديل كوندور، وخلال عمل اللجنة اندلع خلاف بين الإكوادور وبيرو حول تحديد خطوط الحدود في المناطق النائية والصعبة جغرافياً في غابات الأمازون، بسبب مطالبات متضاربة من كلا الطرفين على مساحات واسعة من الأرضي، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الامريكية والأرجنتين والبرازيل وتشيلي إلى تكليف وزير خارجية البرازيل اوزفالدو أرانيا بمتابعة القضية، والذي بدوره تمكن من حل أربعة خلافات اندلعت في القطاع الغربي(٤٨).

واجه تنفيذ بنود بروتوكول ريو دي جانيرو صعوبات كبيرة، على الرغم من استمرار أعمال اللجنة لعدة أشهر، إذ شكل الرفض الشعبي الواسع في الإكوادور، أبرز تلك التحديات، ونظر الرأي العام الإكوادوري إلى البروتوكول بوصفه اتفاقاً مفروضاً عليهم بالقوة، والذي منع بلادهم من الوصول إلى نهر مارانيون، فضلاً عن منحه بيرو معظم المناطق المتنازع عليها والتي كانت مناطق ذات أهمية استراتيجية واقتصادية غنية بالموارد الطبيعية ومتصلة بحوض الأمازون(٤٩)، في المقابل منح البروتوكول مساحات أقل تنوعاً وثقلاً للإكوادور، الامر الذي خلق ضغوطاً داخلية على الحكومات الإكوادورية المتعاقبة ودفعها إلى السعي لمراجعته أو التهرب من تطبيقه، مما دفع السلطات الإكوادورية إلى تبني سياسة قائمة على المطالبة بتعديل البروتوكول بما يتيح لها الحصول على منفذ سيادي نحو نهر مارانيون، بينما أصرت بيرو على أن البروتوكول صك دولي لا يمكن المساس به أو مراجعته أو إبطاله من جانب واحد، عند ذلك بقي النزاع الحدودي مصدر توتر مستمر في العلاقات بين البلدين على مدى عقود لاحقة(٥٠).

الخاتمة

- أن اندلاع النزاع الحدودي بين الإكوادور وبيرو في عام ١٩٣٢، تأثر جزئياً بتداعيات النزاع بين كولومبيا وبيرو، مما منح الإكوادور فرصة لتعزيز وجودها في المناطق المتنازع عليها.

-كان اندلاع النزاع العسكري في عام ١٩٤١ بسبب إخفاق الاتفاقيات المؤقتة السابقة، بما في ذلك اتفاقية الوضع الراهن لعام ١٩٣٦، والتي افتقرت إلى الطابع الالزامي، إذ فسرته بيرو بأنه منحها تفويضاً باستمرار السيطرة على كافة المناطق التي لم تكن الإكوادور قد احتلتها فعلياً عند توقيع الاتفاقية.

-اظهر تدخل الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين والبرازيل وتشيلي أهمية الوساطة الدولية في الحد من التصعيد العسكري.

-نجح بروتوكول ريو دي جانيرو في تهدئة التوتر العسكري بين الطرفين، بيد أنه لم يتمكن من معالجة النزاع بشكل جذري، مما أدى إلى استمرار الخلافات حتى أواخر القرن العشرين.

الهوامش:

(١) نزاع ليتيسيا: نزاع حدودي مسلح وقع بين كولومبيا وبيرو في الأول من أيلول عام ١٩٣٢، في غابات الامازون العليا، بدأ عندما هاجمت مجموعة بيروفية متطرفة وسيطرت على مدينة ليتيسيا الكولومبية والتي تنازلت عنها بيرو لكولومبيا بموجب معاهدة سالومون-لوزانو عام ١٩٢٢، بيد ان المعاهدة لم تنفذ وأثارت معارضة كبيرة داخل بيرو لاسيما بعد اكتشاف غنى المنطقة بالموارد الطبيعية، ردت كولومبيا بإرسال قوات عسكرية الى المنطقة، مما أدى الى نزاع مسلح محدود بين البلدين والذي انتهى بتدخل عصبة الأمم، وعقد بروتوكول ريو دي جانيرو في الرابع والعشرين من أيار عام ١٩٣٤، بموجبه اعادت بيرو ليتيسيا الى كولومبيا. للمزيد ينظر: L.H.Woolsey, The Leticia Dispute between Colombia and Peru, American Journal of International Law, Vol 29, No.1, January 1935, p.p.94-99.

([2]) Roonald Brucest John, The Ecuador–Peru Boundary Dispute: The Road to settlement, Inerntion Boundaries Research Unit, Vol.3, No.1, UK, 1999, p.1.

([٣]) ماتشالا: مدينة ساحلية تقع في جنوب غرب الإكوادور، عاصمة ولاية إل أورو، تقع على بعد ٤٠ كم من الحدود مع بيرو، وعلى بعد ٣ كم من خليج غواياكيل، مما يجعلها حلقة وصل استراتيجية بين المحيط الهادئ والجبال الإنديزية. للمزيد ينظر: Encyclopedia Britannica, https://www.britannica.com

([٤]) بوسيتون: جزيرة تقع على نهر زاروميلا بين قناة نهر قديمة والقناة الجديدة، يبلغ طولها ثمانية اميال وعرضها ثمانية اميال تقريباً، طالبت بها كل من بيرو والاكوادور، إذ زعم البيروفيون ان قناة النهر القديمة هي الخط الفاصل بينما يؤكد الاكوادوريون ان قناة النهر الجديدة هي الخط الفاصل. للمزيد ينظر: Foreign Relations of the United States., Vol.V, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2242, Lima, October 17, 1932, p.353.

([5]) F.R.U.S., Vol.V, , Memorandum the Minister in Ecuador (Dawson) to the Secretary of State, No.712, Quito, October 13, 1932, p.353.

([6]) F.R.U.S., Vol.V, , Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2242, Lima, October 17, 1932, p.354.

([٧]) سوكر: رمز الأيزو (ECS) أصبحت عملة إكوادوية رسمياً عام ١٨٨٤، ليحل محل البيزو الإكوادوري، وسميت بذلك الاسم تكريماً للثوري الفنزويلي أنطونيو خوسيه دي سوكر أحد قادة الاستقلال في أمريكا اللاتينية، وفي عام ٢٠٠٠ أعلن رئيس الإكوادور جمال ماهود عن اعتماد الدولار الأمريكي كعملة رسمية بديلة للسوكر. للمزيد ينظر: Encyclopedia Britannica, https://www.britannica.com

([٨]) سول: رمز العملة (S) اصبح السول عملة بيرو في ستينيات القرن التاسع عشر، بيد تم استبداله خلال احتلال تشيلي للبلاد، حتى تم إعادة طرحه في ثلاثينيات القرن العشرين. للمزيد ينظر: Encyclopedia Britannica, https://www.britannica.com

([9]) F.R.U.S., Vol.V, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2270, Lima, October 24, 1932, p.356.

([10]) F.R.U.S., Vol.V, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2291, Lima, October 31, 1932, p.359.

([11]) F.R.U.S., Vol.V, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2315, Lima, November 7, 1932, p.360.

([12]) F.R.U.S., Vol.V, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2331, Lima, November 10, 1932, p.361.

([١٣]) بروتوكول بونس-كاسترو: وقع في العاصمة الإكوادورية كيتو في ٢١ حزيران ١٩٢٤، بين الإكوادور وبيرو، وسمي باسم المندوبين الموقعين عليه الإكوادوري هويسيه ريكاردو بونس والبيروفي فيرمين كاسترو، وكان برعاية الولايات المتحدة الامريكية، نص على تسوية النزاع الحدودي بين البلدين من خلال مفاوضات مباشرة، وفي حال الاخفاق يتم اللجوء الى تحكيم رئيس الولايات المتحدة الامريكية بصفته طرفاً محايداً، وعُد ذلك البروتوكول الاطار القانوني الذي استندت إليه محاولات التفاوض خلال الثلاثينيات، لاسيما في أزمات عامي ١٩٣٢و ١٩٣٣. للمزيد ينظر: F.R.U.S., Vol.IV, Memorandum the Assistant Secretary of State (Welles) to President Roosevelt, No.561, Washington, January 31, 1934, p.461.

([14]) F.R.U.S., Vol.V, Memorandum by the Assistant Secretary of State (White), No.386, Washington, December 23, 1932, p.371.

([15]) F.R.U.S., Vol.V, Memorandum the Minister in Ecuador (Dawson) to the Secretary of State, No.622, Quito, January 9, 1933, p563.

([16]) F.R.U.S., Vol.IV, Memorandum by the Assistant Secretary of State (White), No.627, Washington, January 19, 1933, pp.566-567.

([17])F.R.U.S., Vol.IV, Memorandum the Minister in Ecuador (Dawson) to the Secretary of State, No.626, Quito, January 16, 1933, p565.

([18]) F.R.U.S., Vol.IV, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.2891, Lima, June 27, 1933, p.573.

([19]) F.R.U.S., Vol.IV, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.642, Lima, October 19, 1933, p.579.

([20]) F.R.U.S., Vol.IV, Memorandum the Ambassador in Peru (Dearing) to the Secretary of State, No.3225, Lima, January 19, 1934, p.579.

(21) F.R.U.S., Vol.IV, The Secretary of State to the Ecuadoran Minister (Alfaro), No.562, Washington, February 12, 1934, pp.462-463.

(22) Franklin D. Roosevelt, "Statement on the Presidents Agreement to Arbitrate the Peru-Ecuador Boundary Dispute", February 6, 1934, The American Presidency Project, https://www.presidency.ucsb.edu/documents/statement-the-presidents-agreement-arbitrate-the-peru-ecuador-boundary-dispute

(23) F.R.U.S.,Vol.IV, Memorandum by the Chief of the Division of Latin American Affairs (Wilson), No.564, Washington, July 9, 1934, p.465.

(24) F.R.U.S.,Vol.V, Agreement Between the Republics of Ecuador and Peru, Signed at Lima, July 6, 1936, No.96, July 6, 1936, p.117.

(25) F.R.U.S.,Vol.V, Press Release Lssued by the Department of State, September 30, 1936, No.101, September 30, 1936, p.121.

(26) F.R.U.S.,Vol.V, Memorandum the Minister in Ecuador (Gonzalez) to the Secretary of State, No.34, June 9, 1937, p.49.

(27) F.R.U.S.,Vol.V, Memorandum of Conversation, by the Under Secretary of State (Welles), No.196, Wshington, February 8, 1938, p220.

(28) F.R.U.S.,Vol.V, The Acting Secretary of State to the Minister in Ecuador (Long), No.200, Wshington, June 4, 1938, p225.

(29) Roonald Brucest John, op.cit, p.16.

(30) F.R.U.S.,Vol.V, The Minister in Ecuador (Long) to the Secretary of State, No.581, Quito, July 21, 1939, p.145.

(31) F.R.U.S.,Vol.V, The Charge in Peru (Dreyfus) to the Secretary of State, No.194, Lima, July 22, 1939, p.147.

(32) Roonald Brucest John, op.cit, p.18.

(33) F.R.U.S., Vol.V, Second Meeting of the Foreign Ministers of the American Republics, held at Habana July 21-30, 1940, No.237-318, July 21, 1940, pp.181-256.

(34) F.R.U.S., Vol.VI, The Secretary of State to the Charge in Brazil (Burdett), No.247, Washington, January 2, 1941, p.213.

(35) F.R.U.S., Vol.VI, Memorandum of Conversation, by the Under Secretary of State (Welles), No.252, Washington, February 28, 1941, pp.217-218.

(36) F.R.U.S., Vol.VI, The Secretary of State to the Ecuadoran Minister for Foreign Affairs (Tobar Donoso), No.257, Washington, May 8, 1941, p.222.

(37) F.R.U.S., Vol.VI, The Ecuadoran Minister for Foreign Affairs (Tobar Donoso) to the Secretary of State, No.258, Quito, May 9, 1941, p.223.

(38) F.R.U.S., Vol.VI, The Peruvian Minister for Foreign Affairs (Solf y Muro) to the Secretary of State, No.259, Lima, May 13, 1941, pp.224-225.

(39) F.R.U.S.,Vol.VI, The Secretary of State to the Ambassador in Brazil (Caffery), No.261, Washington, May 16, 1941, p.227.

(40) CIA, Historical Summary of the Ecuador-Peru Border Dispute, No.100, October 28, 1978, p.3.

(41) F.R.U.S.,Vol.VI, The Acting Secretary of State to the Ambassador in Peru (Norweb), No.266, Washington, July 8, 1941, p.232.

(42) F.R.U.S.,Vol.VI, Memorandum Regarding a Settlement With Ecuador Handed by the Peruvian Minister for Foreign Affairs to the American, Argentine, and Brazilian Ambassadors in Peru, September 13, 1941, No.268, Lima, September 13, 1941, p.233.

(43) F.R.U.S.,Vol.VI, The Ambassador in Peru (Norweb) to the Secretary of State, No.269, Lima, October 3, 1941, p.234.

(44) F.R.U.S.,Vol.VI, The Secretary of State to the Ambassador in Peru (Norweb), No.270, Washington, October 5, 1941, p.235.

(45) F.R.U.S., Vol.VI, The Secretary of State to Certain Diplomatic Missions in the American Republics, No.297, Washington, December 26, 1941, p.253.

(46) F.R.U.S.,Vol.V, Third Meeting of the Foreign Ministers of the American Republics, held at Rio de Janeiro, January 15-28, 1942.

(47) CIA, The Protocol of Rio de Janeiro, No.18, November 1963, p.83.Rodriguez Ferrand and Graciela, 1942 Protocol of Rio de Janeiro, Law Library of Congress, U.S., 1994.

(48) CIA, Final Demarcation of Ecuador-Peru Boundary, No.3165/0500, July 24, 1945, pp.1-3.

(49) CIA, Boundary Dispute Clouds Rio Conference, No.17, March 10, 1965, p.1.

(50) U.S. Department of State, International Boundary Study- Peru-Ecuador Boundary, No.172, Bureau of Intelligence and Research, Washington, May 19, 1980, p.7.

تاريخ النقود في العراق من أواخر العهد العثماني الى قيام الدولة الحديثة ١٨٦٩ – ١٩٣٣

The History of Currency in Iraq from the Late Ottoman Era to the Establishment of the Modern State 1869-1933

م.م ازهار محمد جادم

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية /قسم التاريخ

Azhar Muhammad Jadim / Al-Mustansiriya University / College of Basic Education / Department of History

AZHAR Mohmed JADm

qazharmohamed80@uomstansiyah.iq

تاريخ النقود في العراق من أواخر العهد العثماني الى قيام الدولة الحديثة ١٨٦٩ – ١٩٣٣

م.م ازهار محمد جادم

الملخص

في الفترة ١٨٩٦و١٩٣٣،مرت النقود في العراق بتحولات كبيرة خلال الحكم العثماني،كانت الليرة العثمانية العملة الرسمية،الى جانب استخدام بعض العملات الأجنبية.بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧،ثم ادخال الروبية الهندية كعملة متداولة في عام ١٩٢٠،أنشى الانتداب البريطاني على العراق،مما زاد من الاعتماد على النظام النقدي البريطاني.وفي عام ١٩٣١،أنشى مجلس العملة العراقي تمهيداً الإصدار عملة وطنية واخيراً في عام ١٩٣٢أصدرت أول عملة عراقية باسم(الدينار العراقي) لتحل محل الروبية.

الكلمات المفتاحية: (الليرة العثمانية، الروبية الهندية، الانتداب البريطاني، مجلس العملة العراقي، الدنيار العراقي)

Abstract

Between 1896 and 1933, Iraq experienced significant changes in its currency system. During the Ottoman rule, the Ottoman lira was the official currency, alongside the use of some foreign coins.After the British occupation in 1917, the lndian rupee was int oduced as the main currency.ln1920، with the establishment of the British Mandatae, lraqs monetary system became more aligned with British standards.In1931،the Iraqi Currency Board was established in preparation for

Keywords :(Ottomanlira, lndian rupee, British Mandate, Iraqi dinar)

المقدمة

تعتبر مكانة الدول الحديثة اقتصاديا من مكانة نقودها، ولاسيما الورقية فهي تمثل الوجه الحضاري والتراث الثقافي لهذا البلد، وقد اتجه الفكر الاقتصادي نحو الأوراق النقدية لعدم قدرة النقود المعدنية على مسايرة التطور الاقتصادي بسبب الصعوبة النسبية في حملها ونقلها في الصفقات التجارية الكبيرة والتي تكون بمبالغ ضخمة.

وبحكم سيطرة الدولة العثمانية على العراق فقد فرضت عليه استخدام اوراقها النقدية ومسكوكاتها المعدنية، وبعد الاحتلال البريطاني للعراق فرضت الروبية الهندية للتداول في العراق، وبعد تنصيب الملك فيصل الأول بدأت المطالبة بإصدارعملة نقدية وطنية تدل على استقلال العراق، لذا انقسم تاريخ النقود في العراق الى ثلاثة مراحل رئيسية الأولى مرحلة العهد العثماني، والثانية مرحلة الاحتلال البريطاني، والثالثة مرحلة العهد الوطني وصدور العملة الوطنية، ومن هنا جاءت أهمية الموضوع لتوضع مراحل النقود وانواعها ودور الصحافة ورأي الشعب العراقي في اصدار العملة الوطنية.

قسم البحث الى خمس محاور تناول المحور الأول أنواع النقود في العراق وقسم الى ثلاث أصناف وهي النقود العثمانية والهندية والعملات الأجنبية الأخرى، اما المحور الثاني فتطرق الى العملة في منهاج الحكومة ودور الحكومة في سن القوانين الخاصة بإصدار العملة، اما المحور الثالث فقد وضح دور المجلس النواب في التصديق على لوائح القوانين والتعديلات التي أجريت عليها، وبين المحور الرابع رأي الصحافة في مسألة اصدار العملة في العراق، اما المحور الخامس فقد وضح الآراء المعارضة لإصدار العملة لاسيما الأحزاب المعارضة وغرف التجارة.

اعتمد البحث على مصادر عدة أهمها أطروحة سعد كاظم حسن (تاريخ النقود العراقية ١٩٢٢– ١٩٥٨)، إضافة الى بعض المصادر أهمها كتاب ناهض عبد الرزاق القيسي (النقود في العراق) وكتاب سعيد عبود السامرائي (اقتصاديات العراق) غطت هذه المصادر جانبا كبيرا من البحث.

اولاً:انواع العملة في العراق

❖ **العملـــة العثمـانيـــة**

احتل العثمانيون بغداد في ٣١ كانون الاول ١٥٣٤، بقيادة السلطان سليمان القانوني، بدأ عندئذ استخدام النقد العثماني في العراق الذي كان مزدوجاً من الذهب والفضة، واستمر ذلك حتى عام ١٨٨٠، الا ان تقلب سعر الفضة لعدم ثباته من جهة والاتجاه العالمي نحو جعل الذهب وحده النقود من جهة أخرى، أجبر الدولة العثمانية على اتخاذ الليرة الذهبية العملة الرسمية وترك العملة الفضية (حسن، ١٩٩٨، صفحة ١٢).

اقدمت الدولة العثمانية على اصدار اوراقاً نقدية في ١٤ تموز ١٨٩١، وجعلت التعامل بها اجبارياً، وكانت هذه الأوراق على شكل سندات، وكانت في بداية الأمر تؤدي دوراً شبيها بدور العملة الورقية، اذ يمكن تسديد الضرائب او ديون الدولة بها (علي، ١٩٨٣، صفحة ٣٨)، وفي عام ١٨٩٢ وزعت الأوراق النقدية على الناس وقبض عوضاً عنها نقوداً ذهبية وفضية (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٧٦)، وبحكم سيطرة الدولة العثمانية على العراق فقد فرض عليه استخدام أوراقها النقدية ومسكوكاتها المعدنية، وقد كان اول دخول للأوراق النقدية الى العراق في عام ١٩١٣، وكانت هذه الاوراق تتألف من الليرة (الزيدي، د.ت، الصفحات ٦٦٩– ٦٨٥) وتعادل (١٠٠) قرش (العزاوي، ١٩٥٨، صفحة ١٤٧)، ونصف الليرة وتعادل (٥٠) قرش وربع الليرة وتعادل (٢٠) قرش، وكذلك فئات العشرين قرشا والخمسة قروش والقرشين والقرش الواحد، ولكن قيمتها في الاسواق هبطت عن ذلك الى حد كبير (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٧٦).

كانت قيمة النقود في العراق غير ثابتة لاختلاف نوعيتها وتعدد جنسياتها وتشير احدى الوثائق العثمانية من ولاية البصرة الى وزارة الداخلية بتاريخ ٢٦ شعبان ١٩١٢ الى وجود نقود ايرانية وبريطانية من فئة القروش اذ يتعامل بها بين الناس لذا طالبت الدولة العثمانبة بالموافقة على ارسال مبلغ الفين ليرة عثمانية وخمس الاف مجيدية للتداول واصدار امر بمنع التداول بالعملات الاجنبية، وبتاريخ ٢٧ شوال ١٩١٢ جاءت الموافقة على المبلغ المذكور ومنع تداول العملات الاجنبية، إذ تم الاطلاع على مضمون الوثيقة من قبل وزارتي الداخلية والمالية (الشلال، د.ت، صفحة ٢).

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ اصدرت الدولة العثمانية النقود الورقية الالزامية بدلاً عن الليرة الذهبية والنقود الفضية المتداولة وصلت الى (١٦٠) مليون ليرة عثمانية ورقية مع (٤٠) مليون ليرة من المسكوكات الذهبية والفضية، الا ان صدور مقادير كبيرة من هذه النقود الورقية ادى الى هبوط قيمتها، ولم تستطع ان تفرض ترويجها بالقوة وبالعقوبات القانونية في بعض انحاء القطر، لاسيما في المناطق الريفية، حيث امتنع الكثيرون عن تسلمها او التداول بها في معاملاتهم التجارية، نظراً لضعف ثقة الناس بها، الا ان النقود النقود المعدنية اختفت لإقبال الناس الى اكتنازها وبقاء العملة الورقية الجديدة في التداول (حسن، ١٩٩٨، صفحة ١٢).

ومن اشهر النقود العثمانية التي شاع استخدامها في العرافق هي: الليرة الذهبية ومضاعفاتها الخمس ليرات، والليرتان والنصف، فضلاً عن اجزائها النصف والربع، وكلها من الذهب، اما النقود الفضية فهي المجيدي والنصف والربع، فضلاً عن القرش المنحاسي ومضاعفاتة واجزاء (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٤٥).

❖ العملة الهندية

بعد الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤ شاع استعمال الروبية الهندية، نتيجة لادخال القوات البريطانية كميات كبيرة من النقود الهندية لسد نفقاتها وسد الحاجات العسكرية، ثم اخذت بريطانيا بأستيراد الروبيات من الهند، ومما ساعد على ازدياد الطلب على الروبيات هو سحب النقود الذهبية من التداول بصورة مستمرة، والهبوط المستمر في قيمة الاوراق النقدية العثمانية، وبلغ مقدار الكمية التي جلبتها القوات البريطانية من النقود الهندية حتى اواخرعام ١٩١٧ اكثر من مئة مليون روبية وكان ثلث هذه الكمية نقوداً فضية والثلثان الاخران كانت من الأوراق النقدية (حمادة، ١٩٣٨، صفحة ٤٣٤).

وفي الثاني والعشرين من كانون الأول ١٩١٦ أصدر السير بيرسي كوكس رئيس الحكام السياسيين البريطانيين في العراق بياناً منع بموجبه التداول بالعملة الورقية العثمانية واستخدام مكانها (الروبية) المعمول بها في الهند، ومنع المتاجرة أو المعاملة بها في المعاملات التجارية، واذا ما ضبطت في حوزة أحد فأنه سوف يعرض نفسه لغرامة تصل الى (٥٠٠) روبية أو أضعاف المبلغ المتعامل به (الربيعي، ٢٠٠٥، صفحة ٧٩).

استمرت السلطة البريطانية المحتلة في ترتيب اوضاعها المالية، من خلال دعم وضخ الكميات التي تحتاجها المصارف من العملة الهندية، ومطالبة الأهالي بتسديد الضرائب والرسوم بالروبية الورقية، حتى نجحت السلطة في نهاية ١٩١٧ في جعل الروبية الهندية الورقية هي اساس التعامل النقدي، واصدرت السلطة المحتلة في ١١ آب عام ١٩١٧ بيان رقم ٤ الغت بموجبه قانون الحكومة العثمانية المؤقت الصادر في ٤ تشرين الثاني ١٩١٢ الخاص بدفع الديون التي بذمة المتعهدين او الشركات التابعة للدول المعادية، واعقبته ببيان في ٢٧ آب عام ١٩١٧ رقم ٥، سمحت بموجبه دفع ما تبقى من الايجارات والديون ومبالغ العقود والمقالات التي عقدت قبل اول نيسان ١٩١٧ بالروبيات بدلاً من الليرة التركية (الخزرجي، ٢٠١٦، صفحة ٢٦٦)، وبهذا اصبحت الروبية عملة رسمية في العراق بموجب البيان الصادر من الادارة البريطانية في ١٧ آب ١٩١٧ (الزيدي، د.ت، صفحة ٦٦٩).

كانت هناك اسباب عدة لاستخدام الروبية الهندية في العراق، يأتي في مقدمتها ان هذه العملة كانت معروفة في تداولها قبيل الحرب العالمية الأولى لسكان مدينة البصرة الميناء الوحيد للعراق والمطل على الخليج العربي والواقع تحت الحماية البريطانية، فكانت التجارة من صادرات وواردات متأثرة بإمارات الخليج العربي التي تتداول بالعملة الهندية "الروبية" قبل الاحتلال البريطاني للعراق، كما أن هذه العملة فرض التعامل بها من قبل سلطات الاحتلال البريطاني واعتبرت عملة قانونية تدفع بها الديون (حسن، ١٩٩٨، صفحة ١٤)' فضلاً عن كونها تحظى بسمعه قوية في ضماناتها واحتياطيها فقد كانت نسبة الفضة فيها كبيرة تساوي ٦١ % وبالتالي فهي عملة تمتلك قيمة ذاتية ومرغوب فيها، وكان لاتساع نشاط الهند التجاري اضافة الى النفوذ البريطاني وتوجهات سياسته الرامية الى احلال العملة الهندية في العراق، وثبات سعر الصرف النسبي بين الروبية الهندية والجنية الاسترليني، اثر في توحيد هذه العملة وزيادة فعاليتها في الحياة الاقتصادية في العراق (جميل، ١٩٤٩، صفحة ٣٥٤).

من جانب اخر كانت العملة الورقية التي أصدرتها الدولة العثمانية واعطتها سعراً الزامياً وسحبت مقابلها بعض الذهب المتداول قد اختفى قسم منها اما بسبب الخوف من المصادرة من قبل السلطات العثمانية، او من اجل الادخار الأمر الذي افرغ الساحة من كميات العملة المتداولة فكان لابد من سد النقص بعملة اخرى، كما أن الليرة التركية كان سعرها في هبوط

مستمر وكان شائعاً أن ليس لها ما يضمنها وليس هناك حدود لإصدارها لذا انعدمت الثقة الرغبة في التعامل بها (الجليلي، ١٩٤٦، الصفحات ٩٨-١٠٠).

كانت العملتين العثمانية والهندية عملتين قانونيتين لغاية ١٧ اب ١٩١٧ حيث اصدر القائد العام للقوات البريطانية في العراق بيانا اصبحت بموجبه العملة الهندية وحدها هي العملة القانونية في البلاد، ونص البيان على أن:" جميع المقاولات والعقود والديون والايجارات...الخ التي عقدت قبل اول نيسان ١٩١٧، بالعملة التركية والتي لم تدفع او بقى منها شيء لم يدفع في التاريخ المذكور او تستحق الدفع بعد ذلك فيجوز للمدين الوفاء بها بالروبيات حسب السعر القانوني لليرة التركية وقت وفاء الدين "، وحدد البيان سعر الليرة التركية باربعة عشر روبية (الجليلي، ١٩٤٦، الصفحات ١٠٢-١٠٣).

❖العملات الاجنبية الاخرى

كان في أسواق العراق خلال الحكم العثماني الكثير من النقود الأجنبية، فضلاً عن النقود العثمانية التي سكت بمدن العراق مثل بغداد والبصرة والموصل والحلة كما تداولت في اسواق العراق النقود العثمانية التي سكت في ولاياتهم الأخرى.

أ – النقود الذهبية الاجنبية

١- البندقي: نقد ذهبي سك ايطاليا وكان أول من سكه رومير الثاني دوق صقلية، وذكر البندقي في الوثائق والفرمانات العثمانية باسم الدوكة البندقي.

٢ – الدوكا:نقد ذهبي اجنبي وسمي دوقية وحملت على الوجه صورة الملك التي ضربت في عهده.

٣ – ابو الخيال:نقد ذهبي و هو الجنيه الباون الاسترليني.

٤ – الجواشيم: عملة ذهبية فرنسية كانت مستخدمة في العراق.

٥- الدبلون: نقد ذهبي اسباني وكانت قيمته في بغداد ١٦٠٠ قرش.

٦- الهن: نقد ذهبي اجنبي شاع استخدامه بالعراق ويعادل اربع روبيات هندية.

٧- المجهز: نقد ذهبي نمساوي كان يعادل ٨٩ قرش.

٨- النادرية: نقد ذهبي متداول في اسواق العراق.

٩- الكرون: نقد ذهبي فرنسي وكان يعادل ٢٢٥ فلساً عراقياً.

١٠- العباسية:دنانير ذهبية ايرانية وسميت بالعباسية نسبة الي شاه عباس الصفوي والدينار العباسي كان يعادل ١١٩ بارد.

١١- القرش الأحمر: نقد ذهبي الماني مأخوذ من الكلمة الألمانية.

١٢ – الروبل: نقد روسي وكان يعادل ليرة عثمانية وريال مجيدي ابيض ونصف ريال مجيدي.

١٣ – البالدز: نقد ذهبي اجنبي كان يعادل ٥٢، ٢٥ بفلس العراق (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٥٣)

ب – النقود الفضية الاجنبية المتداولة في العراق أبان الحكم العثماني

١- الطائر:نقد فضي نمساوي ويسمى الآتير، وشاع استخدامه في الجزيرة العربية، كما ذكرته كتب الرحالة للعراق.

٢- الريال:نقد فضي اسباني وقد اطلق لفظ الريال على العديد من العملات منها الاسباني والهولندي والألماني.

٣- ابو دبيله: نقد فضي فارسي سك في عهد الاسرة القاجارية سنة ١٨٧٠م وقد كان مستعملا في الاسواق العراقية أبان الحكم العثماني وسمي بهذا الاسم لعدم انتظام سكه، وكان يعادل قرشين صحيحين.

٤- ابوالطوب: وهو ريال فضي وكان يعادل ٩٤ قرشا.

٥- الاسبر: نقد فضي هولندي ورد ذكره في كتب الرحالة للعراق، والاسبر كلمة يونانية معناها الابيض.

٦- الايكو: نقد فضي وكلمة ايكو وشاع استخدام الايكو بالعراق.

٧- بيجا او بيجوه: نقد فضي كان متداولاً في بغداد ويقال لها ام الستة فلوس.

٨- بياستر: نقد فضي يوناني شاع تداوله في المدن العثمانية وانها تساوي غرش او قرش.

١١ – بنبات: نقد فضي فارسي كان متداولاً باسواق العراق ويساوي نصف قرآن.

١٢- الدانة: نقد عثماني يعادل عشرة قروش.

١٣- مناط: نقد فضي كانت له أجزاء النصف والربع شاع استخدامه في بغداد.

١٤- المنكنة: نقد فضي من اضعاف القران وكل عشرة منها تعادل تومان.

١٦- المعدني: عملة فضية اجنبية انكليزية وهي تعادل الفلس.

١٧- النيرة: وهي الليرة وسميت بالنيرة عند بدو الاردن وبادية الشام والعراق وهي الليرة الانكليزية الإسترلينية (عبدالله، ٢٠١٤، الصفحات ٥١٣ – ٥١٤).

١٩ – السنتيم: جزء من الفرنك الفرنسي، وقد استخدم في العراق.

٢٠- السيجت: نقد فضي اوربي تداول به العراق في العصر العثماني.

٢١- شلن: نقد فضي انكليزي وكان يساوي ٥٠ فلسا عراقيا.

٢٣- الفرنك : نقد فرنسي شاع استخدامه بالشرق وكان يعادل زهاء عشرين قرشا رانجا.

٢٤- الفلورين: نقد نمساوي ويعادل تسعة قروش.

٢٥- الفتة: نقد فضي قاجاري وقد تداول به في العراق حينذاك.

٢٦ – القران: نقد فضي ايراني وقد ورد ذكره في كتب الرحالة عام ١٨٧٤.

٢٧- القرش الأسود من النقود الفضية المستخدمة بالاسواق العثمانية.

٢٨ – الروبية: نقد هندي شاع استخدامه بالعراق وكانت الروبية تحمل صورة الملكة فكتورياو تعادل ٧٥ فلسا.

٢٩ – التومان: نقد ايراني شاع استخدامة بالعراق في العصر العثماني (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٥٦).

ج – النقود النحاسية الأجنبية في العراق ابان الحكم العثماني

١- أنة:نقد هندي من النيكل يساوي فلس واحد آبان دخول الانكليز ويسميه العامة عانة واصبحت تعادل اربعة فلوس.

٢- البيزة: من النقود الهندية معمولة من النحاس وهي من أجزاء العانة.

٣- الباي:نقود نحاسية صغيرة بريطانية حملت صورة الملكة فكتوريا.

٤- جوليات:هي نقد كان مستخدم بالعراق، وأن الجولية هي البغدادية السالكة بالموصل، وان كل عشر جوليات تساوي قرش روماني.

٥- دوكرد:نقد نحاسي يعادل فلس (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٥٧).

ثانياً: العملة في منهاج الحكومة العراقية

بعد تتويج الملك فيصل الاول في ٢٣ آب ١٩٢١ملكاً على العراق شعر المسؤولون ان التعامل بالعملة الهندية هو مظهر من مظاهر التبعية للأجنبي، وبدأت تطلعات الحركة الوطنية تطالب بوضع نظام نقدي مستقل للعراق وتندد بالعملة الهندية (السياسة، ١٩٣١)، لذا بدأت التوجهات بأن يكون هناك نقد وطني يمثل سيادة العراق واعتباره رمزاً من رموز الاستقلال والحرية، وانطلاقاً من هذا الاتجاه الوطني لاستكمال السيادة السياسية والاقتصادية بدأ التفكير بشكل جدي في اصدارعملة وطنية منذ عام ١٩٢٢ (الربيعي ا.، ١٩٨٩، صفحة ١٨٢)، كما طالب المختصون في مجال الاقتصاد ببعض المطالب جاء في مقدمتها اصدار نقود ذهبية الى جانب الاوراق النقدية، كما ان الاصدار يجب ان يكون في العراق وليس خارجة، فضلاً عن تحذيرهم من تسرب الاموال الى الخارج (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٥٩).

كان اصدار عملة وطنية من بين الأمور الاقتصادية المهمة التي وضعتها الوزارة السعدونية الأولى (١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢– ١٥ تشرين الاول ١٩٢٣) نصب اهتمامها باعتباره موضوعاً جلب اهتمام الراي العام لسنوات، كما ان الروبية تسببت بخسائر كبيرة للاقتصاد العراقي لعدم استقرار قيمتها، وفي عهد الوزارة السعدونية الثالثة (١٤ كانون الثاني ١٩٢٢– ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٣) وضعت لأول مرة في ٢٤ نيسان ١٩٢٨ لائحة قانون العملة، ونصت على ان تكون هناك ادارة لجنة يكون مقرها في لندن وهي التي تشرف على الاصدار والاستغلال (حمادة، ١٩٣٨، صفحة ٤٣٥).

اصدرت الحكومة العراقية قانوناً عام ١٩٣١ شكلت بموجبه لجنة لاصدارعملة وطنية لاول مرة في تاريخ العراق، وقد اعتمد وحدة النقد الاساسية وتنقسم الى الف فلس وحددت قيمتة على اساس ٣٢٢٣ / ٧ غرامات من الذهب وهي نفس قيمة الجنية البريطاني انذاك (سلمان، ٢٠٠٦، صفحة ٢٠٥)، كما منح القانون هذه اللجنة جميع الصلاحيات نيابة عن الحكومة وتحدد موعد انتهاء عملها بعد تأسيس مصرف وطني عراقي له امتياز خاص بإصدار الأوراق النقدية في العراق، وتصدر بعد ذلك الأوراق النقدية عن ذلك المصرف، اما النقود المعدنية فتصدر من قبل دائرة العملة العراقية (القيسي، ٢٠٠٢، صفحة ٤٨٠).

ورغم المطالبة من الرأي العام لاصدار عملة وطنية جديدة، الا ان هذا الاصدار تأخر بعض الوقت لأسباب عدة، كان في مقدمتها التقرير الذي قدمته اللجنة المالية التي انتدبتها وزارة المستعمرات البريطانية في العراق، لتبحث المركز المالي للعراق عام ١٩٢٧، إذ رأت هذه اللجنة عدم استبدال نظام النقد المتداول في العراق لأنه حسب رأيها يتماشى مع حاجة البلاد ووضعها الاقتصادي، وان أي تغير في نظام النقد الهندي القائم سوف يكبد الاقتصاد العراقي خسائر كبيرة ويولد اضراراً للبلاد (السامرائي، د.ت، صفحة ١٧٨).

مع مرور الوقت تزايدت المطالبة بإصدارعملة وطنية، لاسيما بعد أن هبط سعر الروبية الهندية المتداولة في العراق في بداية الأزمة الاقتصادية العالمية وظهرت في الاسواق عملة هندية مزيفة من فئة عشر روبيات، فضلاً على ان الخزانة العراقية تتحمل سنوياً مبالغ طائلة لتبديل الاوراق النقدية المستهلكة وتتحمل مسؤولية سحبها من التداول ودفع بدلها، وهو امر يمكن الاستغناء عنة في حالة لو كان للبلاد عملة وطنية، اضافة الى واجب الحكومة جلب واعادة المسكوكات من والى الهند، الامر الذي يحمل الخزانة سنوياً تكالف الشحن والتأمين (السامرائي، اقتصاديات العراق، ١٩٧٠، صفحة ٣٤).

وامام ذلك بدأت الحكومة تهتم بصورة جدية بموضوع اصدار العملة، لذلك قامت بتكليف الخبيرالبريطاني هلتون يونغ (Hilton young) الذي وصل الى العراق في ١٧ مايس ١٩٣٠ لتقديم المشورة الى الحكومة العراقية، والعمل من اجل اصدار عملة وطنية وبالسرعة الممكنة، وقد قدم يونغ تقريره في ٦ حزيران ١٩٣٠ الى رئيس الوزراء نوري السعيد حول موضوع اللائحة الجديدة للعملة العراقية، بعد ان اقام دراسة تمهيدية فاتصل بالكثير من الشخصيات ذات العلاقة، وعلى اساس هذا التقرير وضع مشروع قانون العملة العراقية وانتدبت الحكومة يونغ رئيسا للجنة العملة في لندن، وكانت النقطة المهمة في تقرير يونغ تدور حول امكانية قبول العراقيين للعملة الجديد (حسن، ١٩٩٨، الصفحات ٧٩–٨٠).

ما أن انتهت اللجنة من عملها حتى صدر قانون العملة في نيسان ١٩٣١، وقد حددت المادة الأولى منه في الاول من تموز ١٩٣١ موعدا لانزال العملة للتداول (الجليلي، محاضرات في اقتصاديات العراق، ١٩٥٥، صفحة ١٠٨)، الا ان القانون لم يطبق لعدم اكمال التحضيرات لتطبيقه، اضافة الى التأخير الحاصل في تشكيل لجنة العملة، وجاء

التأجيل الثاني لعدم اكتمال الاجراءات المواجهة لاصدارالعملة العراقية، مما ادى الى تأجيل القانون ثلاثة اشهر حتى اوائل كانون الثاني ١٩٣٢ (حسن، ١٩٩٨، صفحة ١١٨)، الا أن خروج بريطانيا عن قاعدة الذهب واضطراب الاسواق المالية، وتغير سعر الصرف بين الجنيه الانكليزي والعملات الأخرى قد اوجد صعوبة حالت دون اصدار العملة وبناء على ذلك طلبت لجنة العملة في مقترح لها تأجيل ثالث، تأجل اصدار العملة لغاية الاول من اذار ١٩٣٢ بعد ان عدل القانون بشكل يتماشى مع الاساس الجديد للعملة الانكليزية الورقية (جميل، ١٩٤٩، صفحة ٣٥٦).

صدرت اول مجموعة من الأوراق النقدية في الأول من آذار ١٩٣٢ وهي تحمل اسم الحكومة العراقية، وحسب قانون العملة فقد اعتمد الدينار كوحدة قياسية للنقد العراقي، أما فئات العملة فكانت كالاتي (ربع دينار، نصف دينار، دينار واحد، خمسة دنانير، عشرة دنانير، مئة دينار) أما المسكوكات المعدنية فكانت (درهم، خمسين فلس، عشرين فلس، عشرة فلوس، خمسة فلوس، اربعة فلوس، فلسين، فلس واحد) (جريدة الوقائع العراقية، ١٩٣٣).

ثالثـاً:العملة في مجلس النواب

استمرت مطالبة النواب بضرورة سك عملة وطنية عراقية من منطلق ان اصدارها يخدم الاستقلال الاقتصادي، كما انتقد النواب اكثر من مرة عدم ايفاء الحكومة بوعودها بأصدار لائحة قانونية لسك العملة الوطنية، وطالبو ببيان اسباب التأخير في هذه المسألة، واستمرت هذه المساعي لنحقيق اصدار العملة الوطنية، لكن ذلك لم يؤد الى نتيجة ملموسة الى حين مجيء حكومة نوري السعيد الثانية، التي قدمت الى مجلس النواب بلائحة لسن قانون العملة العراقية (النوينيى، ٢٠٠٢، صفحة ٢٣).

نافش مجلس النواب في اذار ١٩٣١ لائحة قانون العملة العراقية في ضوء تقرير اللجنة المشتركة (المالية والاقتصادية)، وبعد موافقة مجلس الاعيان والنواب على اللائحة ومصادقة الملك فيصل عليها، شرعت اللائحة بأسم (قانون العملة العراقية رقم ٤٤ لسنة ١٩٣١) بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٣١، وبعد اجراء تأجيلات وتغييرات على القانون لظروف سياسية واقتصادية، طرحت مسودة لائحة قانون تعديل قانون العملة التي اعدتها وزارة المالية

على مجلس النواب في الجلسة التاسعة من المنهاج المقرر، في يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣١، برئاسة رئيس مجلس النواب جعفر العسكري، وتليت المادة التاسعة من المنهاج المقرر، والتي اشارت ان التعديل اجري نتيجة التطورات المالية التي وقعت وكان من تأثيرها ان الليرة الانكليزية فقدت قسماً من قيمتها الذهبية، وصرح النائب صالح جبر " بأن العملة لايمكن ان تكون قوية وذات اعتبار مالي معين ما لم تكن مصدرة من بنك مالي معروف، ومرتكزة على ذهب احتياطي" (حسن، ١٩٩٨، صفحة ١٢٠).

وبتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٣١، عقد مجلس النواب جلستة الثالثة عشرة لمناقشة تقرير اللجنة المشتركة بخصوص لائحة التعديل، وبعد الاطلاع عليها وافق مجلس النواب، وبعد ان حصلت الموافقة على اللائحة من قبل مجلسي النواب والاعيان النواب والاعيان ومجلس الوزراء، تم تشريع اللائحة بأسم (قانون تعديل قانون العملة العراقية رقم ٤١ لسنة ١٩٣١ – رقم ١٠١ لسنة ١٩٣١) (حسن، ١٩٩٨، صفحة ١٢٢).

رابعاً:العملة في الصحافة

ادت الصحافة العراقية دوراً متميزياً في توضح اثار ازدياد العملة في العراق كتبت جريدة صوت الاهالي في مقال لها بعنون " اسباب زيادة العملة " الى ان زيادة نفقات القوات البريطانية قي العراق يعد من العوامل الرئيسية التي ادت الى زيادة العملة واكدت انه من المحتم ان تسبب زيادة هذه النفقات الكبيرة المستمرة الى زيادة مهمة في مقدار العملة المتداولة مادام لا يوجد مجال لشراء البضائع من الخارج، وعن تأثير القوات البريطانية في العراق واثرها في زيادة التضخم النقدي كتبت جريدة الزمان مقالاً افتتاحياً بعنوان قضية تضخم النقد في العراق " انتقدت فيه اراء القائلين بأن الازدياد في النقد المتداول يحتاج يحتاج الى تقليل أو تجميد او حبس واشارات الى ان هذه المقترحات لاتؤدي الى معالجة صحيحة، واكدت ان زيادة النقد المتداول سائرة بأطراد مادامت الحرب واقعة، وما دامت هذه الحرب تتطلب ارسال الجيوش الى العراق والاتفاق عليها (الدليمي، ١٩٨٨، صفحة ١٤٨).

كتب جريدة السياسة " بأنها تدعو الى سك عملة ذهبية الى جانب الورق النقدي وترفض تواجد لجنة العملة في بلد اجنبي " وترفض ايضا ضمان العملة في بنك انكلترا وذلك لأنه حسب رائيها يمكنها من تهديد المصالح الوطنية والاستقلالية للبلاد، ولكن رغم كل تلك

الاعتراضات الا انها كانت تؤكد على ضرورة اصدار عملة وطنية " (الجليلي، النظام النقدي في العراق، د.ت، صفحة ١١٣). كما اشارت جريدة الزمان الى دور القوات البريطانية في تضخم النفد المتداول قائلة " اذا جمدنا اربعة ملايين دينار وسحبناها من التداول بأية وسيلة كانت فأن هذا المبلغ سيظهر في التداول بعد مرور اربعة اشهر من تجميدة، من خلال مايتسرب الى العراق من النقود بواسطة الجيوش الحليفة (الدليمي، ١٩٨٨، صفحة ١٤٩).

خامساً:الآراء المعارضة لأصدار العملة

انقسم المجتمع العراقي بين مؤيد ومعارض بعد صدور قرار تأسيس العملة وتعين تاريخ للتداول بها (السامرائي، اقتصاديات العراق، ١٩٧٠، صفحة ٤١)، فقد رحب المتعلمون والمثقفون بصدور العملة الجديدة وعدوها مظهراً من مظاهر الزهو الوطني في حين تنكر لها سكان الاقضية والعشائر الرحل واستمر بعضهم على التعامل بالعملة الهندية، اما سكان المدن والقصبات من غير المتعلمين فلم يستسيغوا لأول وهلة التعامل بالعملة الوطنية، وعلى الرغم من انهاء التعامل بالروبية ومداولاتها الا أن الكثير من المتعاملين في السوق ظلوا يتخذون قيمتها اساساً عند احتساب الاسعار في تعاملاتهم اليومية، في حين كان كبار التجار يضعون التسعيرة بالدينار وأجزائهن وطلب بعضهم زيادة طرح المسكوكات المعدنية ذات الفئات الصغيرة وتسهيل عمليات التبادل التجاري، والسبب في ذلك هو القيمة الكبيرة للدينار العراقي واجزائه (النصف والربع دينار) (عباس، ٢٠١٢، صفحة ٨).

لذا هيأت الحكومة الجو لأصدارالعملة، ولجأت الى الطرق الهادئة والمرنة ومنعت الموظفين الاداريين من اللجوء الى الشدة في اجبار الجمهور على قبول العملة، وتركت لهم حرية الاحتفاظ بالعملة الهندية، وحرصت الحكومة بأن تشرح للمتصرفين فوائد اصدار العملة والاسباب الدستورية والمالية لأصدارها، وطلبت اليهم ان يقوموا بشرح ذلك في الويتهم ليخلقوا جواً من الثقة بالعملة الجديدة (السامرائي، اقتصاديات العراق، ١٩٧٠، صفحة ٤١).

عارضت الأحزاب المعارضة الأساس الذي ستقوم عليه العملة والذي تبنته الحكومة، كما عارضت الغرف التجارية العراقية، فبعد اعداد لائحة العملة من قبل الحكومة ارسلت غرفة تجارة الموصل كتاباً الى وزارة المالية أوضحت فيه ترحيبها بإصدار عملة وطنية والتخلص من العملة الهندية لكون بقائها في التداول فيه ضرر على الخزينة واقتصاد البلاد،

ولكنها حذرت من اصدار العملة والازمة الاقتصادية على اشدها لان ذلك حسب رأيها سيزيد من الارتباك في الأوضاع الاقتصادية، وطالبت بتأجيل الإصدار الى حين زوال الازمة واستقرار اسعار العملات، كما رأت الغرفة ان العملة يجب ان تكون على اساس الذهب، وان تسك الحكومة (٤٠%) من هذا الاحتياطي دنانير ذهبية تكون تحت الطلب لمن يريد ان يستبدل بالدينار الورقي دينارا ذهبيا، كما طالبت غرفة تجارة بغداد بنفس المطالب، بأنه على الرغم من الخسائر المادية الناشئة للحكومة عن التعامل بالروبية نرى خيراً للعراق أن يبقى الروبية مداراً للتعامل حتى يتم وضع العملة العراقية على اساس ثابت (عباس، ٢٠١٢، صفحة ٨).

ناقشت وزارة المالية اقتراحات الغرف التجارية ورات ان اتخاذ الذهب اساسا للعملة يثير الكثير من الصعوبات، منها ان العراق في ذلك الوقت لم يكن يمتلك رصيداً ذهبياً، كما أن كميات الذهب الموجودة لدى الناس كانت قليلة ومن الصعب الحصول عليها، فضلا عن تسرب كميات كبيرة من الذهب الى الخارج وعدم وجود قانون يمنع ذلك (عباس، ٢٠١٢، صفحة ١٠).

الخاتمة:

١- تعكس المراحل التي مر بها النظام النقدي في العراق الظروف السياسية التي تعاقبت على العراق، وروابط التبعية السياسية والاقتصادية التي حاول العراق جاهداً التخلص منها كانت اثارها ونتائجها التخلف الاقتصادي، لاسيما فرض العملة الأجنبية عليه.

٢- حاول الاستعمار ان يبقي العراق مصدراً لمواده الأولية وسوقاً لمنتجاته الصناعية وبالتالي عرقلة نمو قواه الإنتاجية، وقد لعبت الأنظمة النقدية المختلفة التي تعاقبت عليه دورها في تحقيق ذلك الهدف.

٣- بعد استقرار الامر في العراق بتتويج الملك فيصل الأول في ٢٣ أب ١٩٢١ بدأ التفكير في أسس الاستقلال لذا وجب التفكير بنظام نقدي للدولة الجديدة، يبعد عنهم صفة التبعية للأجنبي، اذ تعد مسالة النقود هي جزء أساسياً في مقومات الدولة المنتقلة.

٤- كانت الازمة الاقتصادية سبباً في تأخر اصدار النقود في العراق لما خلفته من تدهور في عملات كثير من الدول ومنها الباون الإسترليني.

٥- ان وجود عملة غربية في البلاد لا يتفق مع المصلحة المالية والاقتصادية للبلاد، لذا فمن الضروري اصدار عملة جديدة على أسس وقواعد مستمده من التطورات التي حدثت في أنظمة العملة الدولية.

قائمة المصادر

اسماعيل نوري ميسر الربيعي. (١٩٨٩). تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ – ١٩٣٢. جامعة بغداد: رسالة ماجستير، كلية التربية – ابن رشد.

ايناس سعدي عبدالله. (٢٠١٤). اريح العراق الحديث ١٢٥٨ – ٢٠١٤، مكتبة عدنان. بغداد – العراق.

باسم وحيد جوني الربيعي. (٢٠٠٥). بيانات وإعلانات الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ دراسة تاريخية تحليلية. الجامعة المستنصرية: رسالة ماجستير غير منشورة، مجلس المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية.

جريدة السياسة. (١٩٣١). العدد ٣٨١.

جريدة الوقائع العراقية. (١٩٣٣). جريدة الوقائع العراقية، العدد٢٧٤.

حسين علي فليح الخزرجي. (٢٠١٦). بريطانيا والعراق اوضاع العراق الاقتصادية في عهد الادارة البريطانية ١٩١٤ – ١٩٢١ (دراسة وثائقية). بغداد – العراق: مؤسسة ثائر العصامي.

سعد كاظم حسن. (١٩٩٨). ، تاريخ النفود العراقية ١٩٢١ – ١٩٥٨ دراسة تاريخية، جامعة بغداد: اطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد).

سعد كاظم حسن. (١٩٩٨). تاريخ النفود العراقية ١٩٢١ – ١٩٥٨ دراسة تاريخية. جامعة بغداد: طروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد).

سعد كاظم حسن. (١٩٩٨). تاريخ النفود العراقية ١٩٢١ – ١٩٥٨ دراسة تاريخية. جامعة بغداد: اطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد).

سعيد حمادة. (١٩٣٨). النظام الاقتصادي في العراق. بيروت – لبنان.

سعيد عبود السامرائي. (١٩٧٠). اقتصاديات العراق. بغداد–العراق: مطبعة الارشاد.

سعيد عبود السامرائي. (د.ت). النظام المالي ١٩١٤ – ١٩٥٨. بغداد–العراق.

سهيل صبحي سلمان. (٢٠٠٦). التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٩٤٥ – ١٩٥٨، (د– ن). بغداد–العراق.

صلاح عريبي عباس. (٢٠١٢). الاوراق النقدية ظهورها وتطورها واستخدامها في العراق حتى نهاية العهد الملكي. مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد ٧، العدد ٣.

عباس العزاوي. (١٩٥٨). تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية. بغداد – العراق.

عبد الرحمن الجليلي. (١٩٤٦). النظام النقدي في العراق. القاهر– مصر: مطبعة النهضة.

عبد الرحمن الجليلي. (١٩٥٥). محاضرات في اقتصاديات العراق. جامعة الدول العربية: معهد الدراسات العربية العالمية.

عبد الرحمن الجليلي. (د.ت). النظام النقدي في العراق. بغداد–العرق.

عبد الرزاق خلف الزيدي. (د.ت). النقد الوطني في العراق وتطورات اصداره في عهد الانتداب، المفصل في تاريخ العراق الحديث.

عبد المنعم السيد علي. (١٩٨٣). التطور التاريخي للأنظمة النقدية في الاقطار العربية. بيروت – لبنان.

عمر ابراهيم محمد الشلال. (د.ت). التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العراق ١٨٦٩ – ١٩١٤. جامعة بغداد: اطروحة دكتوراه، غير منشورة/ كلية الآداب.

محمد عبد الهادي عبود النوينيى. (٢٠٠٢). موقف السلطة التشريعية في العراق من القضايا الاقتصادية والاجتماعية (١٩٣٢ – ١٩٤٦). جامعة الكوفة: رسالة ماجستير، كلية الاداب.

محمد محسن عويد الدليمي. (١٩٨٨). التطورات الاقتصادية في الغراق ١٩٣٩ – ١٩٤٥. جامعة بغداد: رسالة ماجستير، كلية الاداب.

مظفر حسين جميل. (١٩٤٩). سياسة العراق التجارية. القاهرة – مصر: مطبعة نهضة مصر.

ناهض عبد الرزاق القيسي. (٢٠٠٢). النقود في العراقر. بغداد – العراق

Bibliography

Ismail Nouri Maysar Al-Rubaie (1989). The Economic History of Iraq during the British Mandate Era 1921-1932. University of Baghdad: Master's Thesis, College of Education - Ibn Rushd.

Inas Saadi Abdullah (2014). The Modern Escapes of Iraq 1258-2014, Adnan Library, Baghdad, Iraq.

Basem Wahid Juni Al-Rubaie (2005). Statements and Announcements of the British Administration in Iraq 1914-1921: A Historical and Analytical Study. Al-Mustansiriya University: Unpublished Master's Thesis, Council of the Higher Institute for Political and International Studies.

Al-Siyasa Newspaper (1931). Issue 381.

Al-Waqa'i' Al-Iraqiya Newspaper (1933). Al-Waqa'i' Al-Iraqiya Newspaper, Issue 274.

Hussein Ali Falih Al-Khazraji (2016). Britain and Iraq: The Economic Conditions of Iraq During the British Administration 1914-1921 (A Documentary Study). Baghdad, Iraq: Thaer Al-Asami Foundation.

Saad Kazim Hassan. (1998). History of Iraqi Powers 1921–1958: A Historical Study. University of Baghdad: PhD Thesis, College of Education (Ibn Rushd).

Saad Kazim Hassan. (1998). History of Iraqi Powers 1921–1958: A Historical Study. University of Baghdad: PhD Thesis, College of Education (Ibn Rushd).

Saad Kazim Hassan. (1998). History of Iraqi Powers 1921–1958: A Historical Study. University of Baghdad: PhD Thesis, College of Education (Ibn Rushd).

Saeed Hamada. (1938). The Economic System in Iraq. Beirut, Lebanon.

Saeed Abboud Al-Samarrai. (1970). The Economics of Iraq. Baghdad, Iraq: Al-Irshad Press.

Saeed Abboud Al-Samarrai. (n.d.). The Financial System 1914–1958. Baghdad, Iraq.

Suhail Subhi Salman (2006). Economic and Social Developments in Iraq 1945-1958, (n.d.). Baghdad, Iraq.

Salah Arabi Abbas (2012). Banknotes: Their Emergence, Development, and Use in Iraq until the End of the Monarchy. Kirkuk University Journal of Humanities, Vol. 7, No. 3.

Abbas Al-Azzawi (1958). History of Iraqi Currency After the Abbasid Era. Baghdad, Iraq.

Abdul Rahman Al-Jalili (1946). The Monetary System in Iraq. Cairo, Egypt: Al-Nahda Press.

Abdul Rahman Al-Jalili (1955). Lectures on the Economics of Iraq. League of Arab States: Institute of World Arab Studies.

Abdul Rahman Al-Jalili (n.d.). The Monetary System in Iraq. Baghdad, Iraq.

Abdul Razzaq Khalaf Al-Zaidi (n.d.). The National Currency in Iraq and Developments in its Issuance during the Mandate Era, detailed in the Modern History of Iraq.

Abdul Munim Al-Sayyid Ali. (1983). The Historical Development of Monetary Systems in Arab Countries. Beirut, Lebanon.

Omar Ibrahim Muhammad al-Shalal (n.d.). Economic and Social Developments in Iraq 1869–1914. University of Baghdad: Unpublished PhD Thesis, College of Arts.

Muhammad Abdul Hadi Abbud al-Nuwaini (2002). The Position of the Legislative Authority in Iraq on Economic and Social Issues (1932–1946). University of Kufa: Master's Thesis, College of Arts.

Muhammad Muhsin Uwaid al-Dulaimi (1988). Economic Developments in Iraq 1939–1945. University of Baghdad: Master's Thesis, College of Arts.

Muzaffar Husayn Jamil (1949). Iraq's Trade Policy. Cairo, Egypt: Nahdet Misr Press.

Nahedh Abdul Razzaq al-Qaisi (2002). Currency in Iraq. Baghdad, Iraq..

دور جيمس كالاهان في السياسة البريطانية

١٩٥٠-١٩٦٤

James Callaghan's role in British politics 1950-1964

محمد علي عبود عواد

جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الانسانية

moh23h6008@uoanbar.edu.iq

07814719191

أ.د. حسين حماد عبد

جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الانسانية

ed.hussein.hammad@uoanbar.edu.iq

07906670982

Researcher: Mohammed Ali Aboud Awad
University of Anbar – College of Education for Humanities
Department of History
Prof. Dr. Hussein Hammad Abd
University of Anbar – College of Education for Humanities
Department of History

دور جيمس كالاهان في السياسة البريطانية ١٩٥٠-١٩٦٤

محمد علي عبود عواد
أ.د. حسين حماد عبد

الملخص

تعُد المدة التي خدم بها جيمس كالاهان سكرتيرًا برلمانيًا وماليًا للأميرالية (١٩٥٠-١٩٥١)، ثم نشاطه البرلماني خلال حكومة الظل (١٩٥١-١٩٦٤) حاسمة في بناء مسيرته السياسية، فبصفته سكرتيراً برلمانياً ومالياً للأميرالية، كان مسؤولاً عن الجوانب الإدارية والمالية للبحرية الملكية البريطانية، وقد تضمن عمله الإشراف على الميزانيات والنفقات المتعلقة بالبحرية، فاكسبه عمله في اللأميرالية خبرة حكومية قيمة في مستويات عليا قبل أن ينتقل إلى أدوار قيادية أكبر، وبعد خسارة حزب العمال في انتخابات عام ١٩٥١، قضى كالاهان ثلاثة عشر عاماً متحدثًا باسم المعارضة للعديد من الوزارات الهامة منها النقل (١٩٥١-١٩٥٣) والوقود والطاقة (١٩٥٣-١٩٥٥)، وشؤون المستعمرات (١٩٥٦-١٩٦١)، ومستشار الظل للخزانة(١٩٦١-١٩٦٤)، وبذلك يكون كالاهان قد تنقل من المناصب الحكومية المبتدئة إلى الأدوار القيادية العليا في المعارضة، الامر الذي اكسبه شعبية كبيرة مهدت له الطريق نهاية المطاف ليتولى رئاسة الوزراء.

الكلمات المفتاحية : كالاهان، بريطانيا، الأميرالية، حكومة الظل:

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل شامل ومفصل لدور كالاهان في الفترة المحددة، مع التركيز على الروابط بين هذه الخبرات ومسيرته اللاحقة. تشمل الأهداف ما يلي:

١. توثيق وتقييم الأداء الإداري والمالي لجيمس كالاهان بصفته سكرتيراً برلمانياً ومالياً للأميرالية، وفهم التحديات التي واجهها في هذا المنصب.

٢. تحليل تطوره السياسي داخل حزب العمال خلال فترة المعارضة (١٩٥١-١٩٦٤)، وكيف بنى قاعدة دعمه الشعبية داخل الحزب وبين النقابات العمالية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة دور جيمس كالاهان في السياسة البريطانية بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٤ في عدة جوانب تجعل هذه الفترة حاسمة لفهم مسيرته السياسية الفريدة والمشهد السياسي البريطاني في منتصف القرن العشرين.

محاور الدراسة:

تمت معالجة الدراسة ضمن المباحث التالية:

المبحث الاول: جيمس كالاهان سكرتيرًا برلمانيًا وماليًا للأميرالية ١٩٥٠-١٩٥١

المبحث الثاني: نشاط جيمس كالاهان البرلماني خلال حكومة الظل١٩٥١-١٩٦٤

منهجية الدراسة:

اعتمد المنهج الوصفي التحليلي من خلال الاستفادة من الكتب والسير الذاتية التي كتبها مؤرخون متخصصون في السياسة البريطانية وكالاهان نفسه، والمقالات الأكاديمية لتقديم تقييمات نقدية ومقارنات.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في أن الأدوار المبكرة لجيمس كالاهان كسكرتير برلماني ومالي للأميرالية ومن ثم كعضو بارز في حكومة الظل (١٩٥١-١٩٦٤)، غالباً ما يتم التغاضي عنها أو اعتبارها مجرد "خبرة تمهيدية" عند تحليل فترته كرئيس للوزراء (١٩٧٦-١٩٧٩). يميل التركيز التاريخي إلى الأحداث الدرامية التي واجهها كرئيس للوزراء (مثل "شتاء السخط" وأزمة صندوق النقد الدولي)

وانبثقت من المشكلة التساؤل التالي:

١. إلى أي مدى ساهمت تجارب كالاهان و مواقفه السياسية خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٤ في تشكيل فلسفته السياسية اللاحقة، لا سيما نهجه في الإدارة الاقتصادية، وعلاقاته مع النقابات العمالية، ومسألة السيادة البريطانية.

Abstract:

James Callaghan's tenure as Parliamentary and Financial Secretary to the Admiralty (1950–1951), coupled with his subsequent service in the Shadow Cabinet (1951–1964), verified essential in the development of his political profession. In his role at the Admiralty, he bore charge for the administrative

and financial administration of the Royal Navy, supervising its budgets and expenditure. This initial ministerial knowledge afforded him invaluable insight into senior government operations, setting a solid foundation for future leadership positions. Following Labour's electoral overthrow in 1951, Callaghan served for thirteen years as Opposition Spokesperson across a range of key portfolios, including Transport (1951–1953), Fuel and Energy (1953–1955), Colonial Affairs (1956–1961), and eventually as Shadow Chancellor of the Exchequer (1961–1964). Through this progression from junior office to senior opposition roles, Callaghan consolidated his reputation and public standing, a trajectory that ultimately facilitated his rise to the premiership.

Keywords: Callaghan, United Kingdom, Admiralty, Shadow Cabinet.

Aims of Study**:**

This study seeks to convey a inclusive and nuanced examination of Callaghan's role during the era under review, with particular attention to the ways in which these formative experiences informed and formed the trajectory of his future political career. The aims of the study are as follows:

1. To record and critically evaluate James Callaghan's administrative and financial performance as Parliamentary and Financial Secretary to the Admiralty, while investigative the principal challenges he encountered in the discharge of his duties.
2. To analyze his political evolution inside the Labour Party during its years in opposition (1951–1964), with specific care to the way in which he consolidated his support base both within the party and across the trade union movement.

The Significance of the Study:

The significance of study James Callaghan's role in British politics between 1950 and 1964 stems from some considerations that render this era vital for understanding both the distinct trajectory of his political career and the wider contours of British political life in the mid-twentieth century.

Study Themes:

The study is addressed throughout the following sections:

Section 1: James Callaghan, Parliamentary and Financial Secretary to the Admiralty, 1950-1951.

Section 2: James Callaghan's Parliamentary Activity in the Shadow Cabinet, 1951-1964.

Study Methodology:

The descriptive analytical methodology was adopted by using books and biographies written by historians specializing in British politics and Callaghan himself, and academic articles to offer critical assessments and comparisons.

The Problem of the Study

The central problem addressed by this study is rooted in the tendency to overlook James Callaghan's initial tenure as Parliamentary and Financial Secretary to the Admiralty, as his following service as a senior figure within the

Shadow Cabinet (1951–1964). These influential roles are frequently dismissed as merely "preliminary experience" when evaluating his future premiership (1976–1979). Scholarly attention has traditionally gravitated to the dramatic tasks of his time in office—most particularly the Winter of Discontent and the IMF crisis—thereby neglecting the foundational impact of his earlier political development.

The following question emerges from this problem:

To what level did Callaghan's experiences and political positions between 1950 and 1964 form his following political outlook, mainly with regard to economic management, his relations with the trade union movement, and questions of British sovereignty?

المبحث الاول

جيمس كالاهان[١]، سكرتيرًا برلمانيًا وماليًا للأميرالية ١٩٥٠-١٩٥١

خلال لسنوات الخمس التي انقضت منذ تولي حكومة حزب العمال بقيادة كليمنت أتلي السلطة تغير وجه بريطانيا نتيجة للإصلاحات التي قدمها الحزب، إلا انه ومع اقتراب موعد الانتخابات العامة، بدا أن حزب العمال يعاني من نجاحه، وبدأت الحكومة تفقد زخمها بعد اضطرارها لخفض قيمة الجنيه الاسترليني، نتيجة للضائقة المالية التي عانت منها بريطانيا، ولتقوية موقف الحزب طلب كليمنت اتلي من وزير الخزانة ستافورد كريبس(Stafford Cripps)[٢]، تقديم الميزانية قبل الانتخابات المقرر اجراءها في حزيران عام ١٩٥٠، لكن ستافورد رفض تقديم الميزانية قبل إجراء الانتخابات العامة، وبناءً على ذلك لم يكن امام أتلي سوى تقديم تاريخ الانتخابات إلى الثالث والعشرين من شباط عام١٩٥٠[٣].

سبق تحديد موعد الانتخابات اجراء تغييرات ادارية في إعادة توزيع الدوائر الانتخابية، فكارديف الجنوبية معقل مؤيدي كالاهان أُعيدت تسميتها إلى جنوب شرق كارديف(Cardiff South-East)[٤]، فغير ذلك الاجراء تركيبتها السكانية إلى حد ما، بإضافة منطقة روث السكنية، ومنطقة سبلوت وآدامزداون، التي تقطنها الطبقة العاملة، ومنطقة أحواض بوت تاون، ومنطقة بينارث الحضرية، ومع ذلك، بدت تلك المنطقة أفضل لحزب العمال من دائرة كارديف جنوب القديمة بانضمام المناطق التي تمثل الطبقة العاملة، ولذلك سارع كالاهان إلى المطالبة بها على حساب زميله هيلاري ماركواند(Hilary Marquand)، الذي ترشح في دائرة ميدلسبره الشرقية[٥].

تبنى حزب العمال خلال الحملة الانتخابية شعار (دعونا ننتصر معًا) واشار إلى ان شعار (لنواجه المستقبل) في الانتخابات السابقة كان أكثر من مجرد شعار لبيان انتخابي، بل كان برنامج عمل قائم على العمل الجاد، والحس السليم، الامر الذي اسهم في وضع أسس مستقبل قائم على الديمقراطية الاجتماعية الحرة، وساعد البرلمان والحكومة على تنفيذ جميع المقترحات الرئيسية الواردة في ذلك البيان، لاسيما فيما يتعلق بالتوظيف الكامل، وتأميم الصناعات الكبرى، وتفعيل جميع مفاصل الضمان الاجتماعي[٦]، اما حزب المحافظين فقد اشار في شعار حملته الانتخابية (الطريق الصحيح لبريطانيا) إلى ضرورة إعادة الاستقلال الاقتصادي لبريطانيا عن طريق الاعتماد على قدراتها الذاتية في الجانب المالي، وعدم ربطه بالمساعدات الخارجية، واتهم المحافظون قادة حزب العمال بتضليل الشعب البريطاني بالإنجازات التي وصفوها بانها مجرد ادعاءات، ما كانت لتتحقق لولا المعونة الامريكية، كما هاجم المحافظين قيام وزارة حزب العمال بتخفيض قيمة الجنيه الاسترليني معتبريه اسوء قرار اقدمت عليه الحكومة[٧].

انخرط جيمس كالاهان في دائرته الانتخابية بالجدل الذي صاحب الحملة الانتخابية بين الحزبين الكبيرين، المحافظين والعمال لاسيما بعد هجوم تشرشل في الصحافة على حزب العمال وتحديه في ثلاث قضايا حيوية والمتمثلة بالبنزين، والطعام، والسلع الاساسية، إذ اوضح بان بريطانيا قادرة على انهاء التقنين والحصول على المزيد منها وبسرعة كبيرة، وهنا كان الحاح تشرشل على رفع تقنين حصص الطعام والبنزين عن طريق رفع سقف استيرادها من الولايات المتحدة الامريكية، فكان رد كالاهان على تلك التصريحات في الحادي عشر من شباط عام ١٩٥٠، بأن الغاء الحصص التموينية للمواد المذكورة انفًا سيسهم في فقدان الالاف لوظائفهم، وتساءل كالاهان عن نية تشرشل بالقول :" **هل تريد المزيد من البنزين، ام تريد انفاق الدولارات على الطعام والسلع الاساسية لتحقيق التوظيف الكامل؟**"[٨]، هنا اراد كالاهان الايضاح لناخبيه بأن الغاء الحصص التموينية للسلع الاساسية في ضل الفجوة الكبيرة بين الجنيه الاسترليني، والدولار سيسهم في زيادة الضرائب المفروضة على تلك السلع، ناهيك عن خسارة الكثيرين لوظائفهم في حال اقدمت الحكومة على الغاء تقنين تلك السلع[٩].

بعد مهاجمته لتشرشل وحزب المحافظين لعزمهم خفض دعم المواد الاساسية، أشاد كالاهان خلال حملته الانتخابية بسياسات حزب العمال في بناء المنازل، والتي تجسدت في المجمع السكني الجديد (رومنر) وعلى طول شارع ويسترن، والذي أدى إلى توفير مساكن لما يقرب من(٣٠٠٠) ، شخص، كما أكد على دوره ابان سكرتاريته البرلمانية لوزارة النقل في توفير فرص عمل لعمال الموانئ في كارديف، وأنهى كلامه كما فعل العديد من مرشحي حزب العمال في انتخابات عام ١٩٥٠، بالإشارة إلى دور تشرشل في قمع عمال المناجم المضربين في تونيباندي[١٠]، ساخرًا من ادعاء تشرشل (غير الدقيق تاريخيًا) بأن القوات لم تُرسل إلى هناك على الإطلاق[١١].

اجريت الانتخابات العامة في الثالث والعشرين من شباط عام ١٩٥٠، بمشاركة (٨٤%) من الناخبين المؤهلين[١٢]، وكان من نتائجها فوز حزب العمال بأغلبية ضئيلة بلغت خمسة مقاعد فقط[١٣]، بعد حصول حزب العمال على (٤٦,١٪) من الأصوات المدلى بها مقارنة بـ (٤٣,٤٪) للمحافظين، وعلى الرغم من انخفاض أغلبية حزب العمال إلى خمسة مقاعد فقط، فقد احتفظ الحزب بمستوى قوي من الدعم في دوائر الطبقة العاملة من أنصار حزب العمال التقليديين الذين لمسوا اصلاحات حكومة العمال في التوظيف الكامل، وإدخال إصلاحات جديدة للرعاية الاجتماعية، ولا سيما الخدمات الصحية[١٤]، إلا أن عددًا كبيرًا من الناخبين في معاقل حزب العمال قد اتخذ موقفًا مغايرًا، ففي دائرة جنوب شرق كارديف يبدوا كالاهان قد أغضب قسم من ناخبيه من الطبقة العاملة بسبب فشله في دعم التمويل العام للمدارس الكاثوليكية، ومع ذلك فاز كالاهان بالمقعد بأغلبية (٥٨٩٥)، صوتًا، إلا ان نسبة التصويت لم تكن متناسبة مع ما حققه الانتخابات السابقة[١٥]، وكما موضح في الجدول ادناه:

الجدول رقم (١) يبين نتائج الانتخابات العامة لدائرة جنوب شرق كارديف عام ١٩٥٠[١٦]

المرشح	الحزب	عدد الاصوات	النسبة المئوية
جيمس كالاهان	حزب العمال	٢٦,٢٥٤	٥١,٨
جون هايوارد	حزب المحافظين	٢٠,٣٥٩	٤٠,٢
باتريك فورنيل	الحزب الليبرالي	٤,٠٨٠	٨,٠

عُيّن كالاهان سكرتيرًا برلمانيًا وماليًا للأميرالية[١٧]، تحت قيادة جورج هنري هول[١٨]، (George Henry Hall)، المعروف باسم الفيكونت هول، مما يعني أن كالاهان بمنصبه الجديد كان مسؤولاً عن التحدث في الشؤون البحرية في مجلس العموم[١٩].

كان لدى البحرية البريطانية بحلول عام ١٩٥٠، خمس بوارج حربية، وثماني حاملات طائرات، وثلاث عشرة سفينة خفيفة، وتسعة وعشرون طرادًا، في الخدمة الفعلية لكن اغلبها تعرضت للاستنزاف، وتحولت اغلبها إلى خردة الامر الذي اضطر الحكومة البريطانية إلى سحب العديد من القطع البحرية الاحتياط وادخالها في الخدمة، وبناء على ذلك كانت المهام الرئيسية تُعتبر حماية الأسطول التجاري البريطاني في جميع أنحاء العالم[٢٠]، والدفاع ضد أسطول الغواصات السوفيتي المتنامي حينذاك[٢١].

خلال جلسة مجلس العموم في الثاني والعشرين من آذار عام ١٩٥٠، قدم جيمس كالاهان احاطة عن تقديرات البحرية البريطانية للأعوام (١٩٥٠-١٩٥١)، وفيها حدد بأن سياسة الاميرالية موجهة بشكل اساس لمواجهة خطر الغواصات، فبحسب كالاهان فأن امتلاك اي بلد لقوة كبيرة من الغواصات يشكل تهديدًا دائمًا لخطوط الاتصال البريطانية[٢٢]، وعليه صرّح جيمس كالاهان عن وجود ست حاملات طائرات قيد الإنشاء، واشار إلى أن حاملتي الطائرات إيجل(Eagle)، وآرك رويال(Ark Royal)، ستكونان أكبر حاملتي طائرات تمتلكهما بريطانيا على الإطلاق، كما صرح بأن الاميرالية أعطيت أولوية قصوى للأسلحة المضادة للغواصات لاستخدامها من قِبل السفن والطائرات، وتطوير انواع جديدة من الطوربيدات، ولم يهمل كالاهان دور سلاح الجو داعيًا إلى تعاون فعال وعلى اعلى المستويات بين لجنة الحرب البحرية والجوية المشتركة، وهنا دعا إلى ضرورة تسليح الاسطول البحري بطائرات هجومية نفاثة[٢٣]، وفضل كالاهان خلال احاطته استخدام طائرة بلاكبيرن(Blackburn)، وجنرال إيركرافت (General Aircraft Y.A.5) المزودة بمحرك رولز رويس غريفون[٢٤].

تابع كالاهان استعدادات الاميرالية في مسألة الغواصات التي بحوزتها ونوه إلى قيام الاميرالية بتحويل بعض الغواصات إلى غواصات سريعة الدفع لأغراض تدريبية، وتشغيلية على حد سواء، والعمل على بناء غواصتين جديدتين وضعهما قيد الخدمة بشكل سريع،

فضلاً عن ادخال انواع جديدة من كاسحات الالغام مُخصصة بشكل رئيس للتعامل مع الألغام التي لا تستجيب للطرق التقليدية في التعامل معها[٢٥].

ساهمت أنشطته كالاهان المبكرة في منصبه الجديد في ترسيخ سمعته كسكرتير برلمانيًا فعال، لاسيما تعامله مع تقديراته البحرية الأولى بثقة كبيرة في مجلس العموم في الثاني والعشرين من آذار عام ١٩٥٠، فقد لاقى خطابه استحسانًا من منافسه المحافظ، جيمس توماس (James Thomas)، الذي أشاد بقدرة كالاهان الاستثنائية في عرض القدرات البحرية وطرق تنميتها، كما لاقى كالاهان، إشادة من مايكل فوت(Michael Foot)، لجمعه بين رؤية شبه سلمية للسياسة الدفاعية، واهتمام حكيم باحتياجات بريطانيا الامنية[٢٦].

خلال مدة خدمته في الأميرالية، دعمت بريطانيا الولايات المتحدة الأمريكية عندما اندلعت الحرب الكورية في الخامس والعشرين من حزيران عام ١٩٥٠، ففي اعقاب غزو القوات الكورية الشمالية لكوريا الجنوبية، دعا مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة كوريا الشمالية إلى سحب قواتها إلى خط العرض (٣٨)، وأعقب ذلك قرار آخر يدعو الدول الأعضاء إلى تقديم ما في وسعها من مساعدة لكوريا الجنوبية[٢٧]. وافقت حكومة أتلي على إرسال قوات إلى مسرح الحرب، وشاركت السفن الحربية البريطانية إلى جانب سفن من الأسطول السابع الأمريكي في عمليات الإنزال في إنشون، فأدى الصراع الكوري إلى اضطرار بريطانيا إلى إعادة تسليح نفسها، وعلى الرغم من المشاكل الاقتصادية التي كانت تواجه البلاد، التزمت الحكومة ببرنامج إعادة تسليح بقيمة(٣,٤) مليار جنيه إسترليني على مدى ثلاث سنوات، خصص منها (٢٧٨) مليون جنيه إسترليني للبحرية وأشرف كالاهان على آلية إنفاق تلك الأموال[٢٨].

ادت مشاركة بريطانيا في الحرب الكورية إلى انقسام كبير في صفوف حزب العمال نتيجة لما ترتب عليها من مساهمات مالية، ومحاولة الحكومة إيجاد تغطية للأموال التي أنفقتها على الأسلحة من أجزاء أخرى من الميزانية ، فاقترحت الحكومة فرض رسوم على أطقم الأسنان والنظارات في الخدمة الصحية الوطنية في ميزانية عام ١٩٥١، الامر الذي ادى إلى معارضة شديدة من قبل وزير العمل والخدمة الوطنية أنورين بيفان[٢٩] (Aneurin Bevan) ، وتشكيل مجموعة من النواب حوله، بينما قدمت مجموعة أخرى دعمها لوزير

الخزانة هيو جايتسكيل[٣٠]،(Hugh Gaitskell)[٣١]، وهنا أظهر كالاهان مرة أخرى تردده في الانضمام إلى اي من المجموعتين، وعلى الرغم من تعاطفه أكثر مع جايتسكيل، إلا أنه لم ينضم إلى أي منها، وفي الواقع، حاول كالاهان إقناع أنورين بيفان بعدم الاستقالة مباشرة قبل بيان الميزانية في مجلس العموم، ولكن بعد اقرار الميزانية وتنفيذ الحكومة للاقتراحات استقال أنورين بيفان من مجلس الوزراء[٣٢].

في خضم تلك الظروف كان كالاهان يأمل في الترقية إلى مناصب اعلى يدعمه في ذلك هيو دالتون الذي كان مهتمًا بشكل كبير بترقيته، ففي العشرين من شباط عام ١٩٥١، اقترح على اتلي ترشيح كالاهان بمنصب وزير المستعمرات في حال حلّ جيم غريفيث محل بيفن في وزارة الخارجية، وعدها دالتون فرصة ليحل شباب الحزب محل من هم اكبر سنًا في تلك المناصب، إلا أن اتلي عبر لدالتون عن اعتقاده بأن كالاهان لم يكن متوازنًا بما فيه الكفاية بعد، ولم يوضح اتلي لدالتون ما عناه من كلامه[٣٣].

لم يقتصر استبعاد كالاهان من المناصب الوزارية خلال حكومة اتلي، بل تم استبعاده ايضًا من اكثر الوظائف التي كان مؤهلاً لشغلها، ففي الرابع والعشرين من ايار عام ١٩٥١، قدم الفيكونت هول استقالته من منصبه اللورد الاول للاميرالية لرئيس الوزراء اتلي، وجاء في رسالة الاستقالة أنه لم يكن على خلاف مع سياسة الحكومة بل ان استقالته جاءت لأسباب عدة ابرزها إفساح المجال لمن هم اصغر سنًا، والاعتلال صحته على مدى شهورًا عدة التي يتعذر معها القيام بالمهام الموكلة له[٣٤]، عندئذ شعر كالاهان بانه المرشح الابرز لخلافة هول، إلا ان اتلي اقدم على تعيين اللورد باكينهايم في الخامس والعشرين من ايار عام ١٩٥١[٣٥]، وازاء ذلك كتب كالاهان إلى أتلي مُعربًا عن خيبة أمله الشديدة لعدم ترقيته لمنصب اللورد الأول للأميرالية، إلا ان رئيس الوزراء لم يُعجبه ما جاء في رسالة كالاهان، ومع ذلك، جاء رده على الرسالة ايجابيًا فقد أكّد أتلي لكالاهان بانه ترك انطباع الممتاز خلال عمله في وزارتين مُختلفتين، ونصحه بالصبر. ظلّ كالاهان مُستاءً بعض الشيء، ومرد استيائه يعود إلى أن كالاهان كان يرى أن باكينهام الذي كانت تربطه به علاقة شخصية جيدة، قد اختير جزئيًا لأسباب طبقية، كونه احد خريجي المدارس العامة، وأن أتلي وفقًا لما تمليه التقاليد كان لديه مكانة خاصة لطلاب المدارس العامة من الطبقة العليا[٣٦].

شارك العديد من اعضاء وقيادات حزب العمال جيمس كالاهان باستيائه من اتلي بمن فيهم دالتون، إذ اشاروا في الخامس عشر من حزيران عام ١٩٥١، ان جيمس كالاهان قد تم تجاهله دون استحقاق، وانه من السيء وضعه تحت قيادة باكينهام، لان الاخير كان بمثل سنه، وان وجود كالاهان تحت قيادة هول كان غير ذي اهمية كما هو عليه الحال بعد تعيين باكينهام، وتوصلوا إلى استنتاج مفاده بأن اتلي لم يكن مكروهًا من مناوئيه فقط بل على نطاق واسع في الحزب بسبب تعيينه لباكينهام[٣٧].

المبحث الثاني

نشاط جيمس كالاهان البرلماني خلال حكومة الظل[٣٨] ١٩٥١-١٩٦٤

بحلول عام ١٩٥١، كانت حكومة اتلي تبدو منهكة بفعل عوامل متعددة ابرزها الازمة المالية التي شهدتها بريطانيا بسبب مساهمتها بالحرب الكورية، وما ترتب عليها من تقديم ميزانية تقشفية، والاستقالات التي تبعتها في صفوف حزب العمال[٣٩]، كما عجزت الحكومة عن التعامل مع أزمة ميزان المدفوعات في صيف عام ١٩٥١، مما أدى إلى مضاربات على الجنيه الإسترليني، ومع تزايد عدم استقرار الحكومة، حلّ أتلي البرلمان في بداية ايلول، ودعا إلى إجراء انتخابات في الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٥١[٤٠].

اجريت الانتخابات العامة في الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٥١[٤١]، وهنا كان على كالاهان مرة اخرى أن يبذل جهدًا شاقًا للحفاظ على مقعده في جنوب شرق كارديف، فقد خاض معركة انتخابية مباشرة ضد هاري ويست (Harry West)، استعاد كالاهان خلالها المقعد بأغلبية مريحة نسبيًا بلغت(٤,٤٩٩) صوتًا، بهامش (٨,٦%)على منافسه[٤٢]، وكما هو موضح في الجدول ادناه:

الجدول رقم (٢) يوضح نتائج الانتخابات العامة لدائرة جنوب شرق كارديف عام ١٩٥١[٤٣].

المرشح	الحزب	عدد الاصوات	النسبة المئوية
جيمس كالاهان	حزب العمال	٢٨,١١٢	٥٤,٣
هاري ويست	حزب المحافظين	٢٣,٦١٣	٤٥,٧

على الرغم من فوز حزب العمال بأغلبية الاصوات، وحصوله على (٤٨,٨%) مقابل حصول المحافظين على (٤٨,٠%) خسر الحزب رئاسة الوزراء لصالح المحافظين بعد تحالفهم مع الليبراليين، وبالتالي تشكيل ونستون تشرشل للحكومة[٤٤]، إلا أن خسارة حزب العمال لرئاسة الوزراء اسهم في تعزيز رصيد كالاهان لسياسي، فقد أدى فقدان السلطة إلى ظهور وجوه جديدة على مقاعد حزب العمال الأمامية، من بينها كالاهان الذي انتخب في مجلس وزراء الظل، بحصوله على المرتبة السابعة من بين (١٧) منتخبًا في تشرين الثاني عام ١٩٥١، الامر الذي كان بمثابة بداية جديدة لمسيرة كالاهان السياسية[٤٥].

تولى كالاهان بعد انتخابه في حكومة الظل منصب المتحدث باسم المعارضة لوزارة النقل عام ١٩٥١[٤٦]، تصدى خلالها لمطالب حزب المحافظين القاضية بإعادة تنظيم النقل البري، والسكك الحديدية المملوكة للقطاع العام، وإعادة النقل البري للمسافات الطويلة إلى شركات النقل الخاصة، اي الغاء تأميم النقل البري[٤٧]، فقد اتخذ كالاهان موقفًا هجوميًا خلال جلسة مجلس العموم في الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٥١، أنكر فيه ادعاء المحافظين بأن لجنة النقل البريطانية تحتوي على عنصر احتكار، وجادل بشدة بأن إلغاء تأميم الطرق (حقير جدًا) وانه لم يطرح في اروقة مجلس العموم إلا بسبب مساهمات شركات النقل البري في صناديق حزب المحافظين[٤٨]، وعلى الرغم من الاعتراضات نجح المحافظين بدعم من الليبراليين في إدراج إلغاء تأميم الطرق في سجل التشريعات في الثامن من تموز عام ١٩٥٢[٤٩].

انتقل كالاهان من منصب المتحدث باسم المعارضة لوزارة النقل إلى منصب المتحدث باسم المعارضة لشؤون الوقود والطاقة للمدة(١٩٥٣-١٩٥٥)[٥٠]، وخلال خدمته في المنصبين انفي الذكر اكتسب كالاهان شهرة متنامية إلى ما هو أبعد من البرلمان، فقد كان متحدثًا شعبيًا في اجتماعات الحزب في جميع أنحاء البلاد، واستمر في بناء علاقة مميزة مع الطلاب، فقد وجدت جماعات مثل نادي العمال بجامعة أكسفورد في كالاهان سياسيًا ودودًا وهادئًا، كما دأب كالاهان على احتساء القهوة في المقاهي المحلية بعد انتهاء الاجتماعات الرسمية، في خطوة منه للتقرب إلى المجتمع بشكل اكبر، كما ان بروزه المتزايد كان يكمن في مجالات أخرى ففي الخمسينيات أصبحت السياسة البريطانية مهيمنة على وسائل

الإعلام، وكان كالاهان مستفيدًا منها بصورة كبيرة، وذلك بضهوره المتكرر في الفعاليات الاعلامية التي ضبط ايقاعها بلغته الهادئة، وأسلوبه المباشر[٥١].

خلال خدمة كالاهان بمنصب المتحدث باسم المعارضة لشؤون الوقود والطاقة حدثت تغيرات سياسية هامة في بريطانيا فقد استقال ونستون تشرشل من الحكومة وخلفه أنتوني إيدن في السادس من نيسان عام ١٩٥٥، ولم يلبث إيدن أن دعا إلى اجراء انتخابات مبكرة في السادس والعشرين من ايار عام ١٩٥٥[٥٢]، وكان من نتائجها ان زاد المحافظون من أغلبيتهم على حزب العمال ، إذ تمكنوا من الفوز بـ (٣٤٥) مقعدًا[٥٣]، مقابل(٢٧٧)، لحزب العمال[٥٤].

تمكن كالاهان خلال انتخابات عام ١٩٥٥، من الاحتفاظ بمقعده في دائرة جنوب شرق كارديف، بعد خوضه معركة انتخابية حامية الوطيس في كارديف كعادته، ضد مايكل روبرتس، وجاءت نتائج الانتخابات بفوز كالاهان بأغلبية (٣٢٤٠)، محققًا بذلك نسبة (٥٣,٤%) من الأصوات، مقابل (٤٦,٦%) لروبرتس[٥٥]، وكما موضح في الجدول ادناه:

الجدول رقم (٣) يوضح نتائج الانتخابات العامة لدائرة جنوب شرق كارديف عام ١٩٥٥[٥٦]

المرشح	الحزب	عدد الاصوات	النسبة المئوية
جيمس كالاهان	حزب العمال	٢٥,٧٢٢	٥٣,٤
مايكل روبرتس	حزب المحافظين	٢٢,٤٨٢	٤٦,٦

اشتد الخلاف الحزبي داخل حزب العمال بعد هزيمته في انتخابات عام ١٩٥٥، فاستقال كليمنت اتلي من منصب رئاسة الحزب ليحل محله هيو جيتسكيل[٥٧]، في الرابع عشر من كانون الاول عام ١٩٥٥، بعد فوزه بـ(١٥٧) صوتًا مقابل (٧٠) لبيفان و(٤٠) لموريسون[٥٨]، وخلال التصويت انحاز كالاهان لصالح هيو جيتسكيل على حساب منافسيه، وفي التعديل الوزاري الذي أعقب فوز هيو جيتسكيل احتفظ كالاهان بمنصب المتحدث باسم حكومة الظل للوقود والطاقة، وفي صيف عام ١٩٥٦، انتقل لمنصب المتحدث باسم المعارضة لشؤون التعليم والعلوم[٥٩]، وخلال المدة القصيرة التي قضاها كالاهان في ذلك

المنصب كان تسهيل الانتقال للتعليم الثانوي موضوعًا شغل كالاهان، بخلفيته التعليمية غير المكتملة التي كان يُدركها تمامًا، فقد اقر بتأخر بريطانيا في ذلك المجال، لا سيما مع نظام الاختيار الاجتماعي الصارم المفروض على أطفال المدارس في القطاع الحكومي من خلال امتحان الأحد عشر بلص(Eleven-plus)، كما ابدى كالاهان اهتمامًا بتطوير التعليم العلمي والتكنولوجي، والعلاقة بين التعليم التقليدي والتدريب المهني، والحاجة إلى بناء وتنويع التعليم العالي[٦٠].

بعد اقل من عام قضاها بمنصب المتحدث باسم المعارضة لشؤون التعليم والعلوم، حل كالاهان محل أنورين بيفان كمتحدث باسم حكومة الظل للسياسة الاستعمارية[٦١]، بعد تعيين الاخير متحدثًا باسم حكومة الظل للشؤون الخارجية في تشرين الثاني عام ١٩٥٦[٦٢]، وبدوره متحدثًا للسياسة الاستعمارية كان كالاهان مناصرًا لاستقلال الشعوب التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطورية البريطانية، لاسيما الافريقية منها، وتحويل شعوبها إلى شركاء متساوين مع بريطانيا، واضعًا نصب عينيه تشجيع الدول الافريقية على زيادة إنتاجها الغذائي لتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتعزيز التعليم، والتنمية الصناعية، وتشجيع التقدم السياسي حتى تتمكن بريطانيا في الوقت المناسب من نقل السلطة إلى شكل من أشكال الحكم الديمقراطي في كل بلد من البلدان الافريقية الخاضعة لها[٦٣].

كانت مشكلة اتحاد وسط افريقيا[٦٤]، أحد أهم المشاكل التي اولاها كالاهان اهمية قصوى خلال عمله متحدثًا باسم حكومة الظل للشؤون الاستعمارية، لاسيما بعد تحركات الاتحاد للحصول على استقلال من بريطانيا مع دستور يضمن استمرار الحكم الأبيض في جميع أنحاء الاتحاد، فقد قاد كالاهان المعارضة في مجلس العموم في معركة حاسمة ضد التحركات الرامية إلى منح الاستقلال للاتحاد ضد رغبات الأغلبية الأفريقية، وأيضًا بموجب دستور يميز بشكل صارخ ضد الأفارقة السود[٦٥].

على الرغم من ترحيب حزب العمال في البداية باتحاد أفريقيا الوسطى كمشروع من شأنه أن يرفع اقتصادات الأقاليم الثلاثة المعنية، لكن الحقيقة التي كان يدركها كالاهان أن المحافظين البريطانيين هم من فرضوا الاتحاد ضد رغبات الأغلبية الأفريقية السوداء، واعتبر

أن ربع مليون أبيض يرسخون تفوقهم على ستة ملايين أفريقي أسود، الامر الذي سيؤدي إلى تأثيرات كارثية على مكانة بريطانيا في أفريقيا ككل كارثيًا[٦٦].

دعي كالاهان في ايلول عام ١٩٥٦، من قبل جمعية برلمانيي الكومنولث لزيارة الاتحاد برفقة وفد برلماني[٦٧]، وخلال زيارته لروديسيا الجنوبية في أيلول والتي استمرت إلى تشرين الاول اشار كالاهان على أن الاتحاد غير قابل للاستدامة، بسبب تحديه للرأي العام الأفريقي الأسود، وأكد على عداء الأفارقة لأي تعديل دستوري من شأنه تعزيز مكانة روديسيا الجنوبية، بما تضمه من عدد كبير نسبيًا من المستوطنين البيض، كما اتاحت الزيارة التي قام بها الوفد البرلماني إلى أراضي الاتحاد لكالاهان فرصة نادرة للاطلاع على تدني مستويات المعيشة وظروف العمل في مناجم حزام النحاس الروديسي، والتمييز العنصري، لا سيما في سالزبوري، ونقص التقدم التعليمي والمهني للسود، ونتيجة لذلك حث كالاهان خلال جلسات مجلس العموم بين عامي (١٩٥٨ -١٩٥٩)، على ضرورة التحرك السريع نحو أغلبية أفريقية سوداء في الهيئات التشريعية الإقليمية لنياسالاند، وروديسيا الشمالية، بدلًا من الاندفاع المتهور نحو اتحاد متكامل مما قد يؤدي إلى حمام دم[٦٨].

نتيجة لضغوط المعارضة عينت الحكومة البريطانية في شباط عام ١٩٥٩، لجنة برئاسة اللورد والتر مونكتون[٦٩]،(Walter Monckton) للنظر في الآفاق المستقبلية للاتحاد استبعد ماكميلان من عضويتها كل من جيمس كالاهان وباربرا كاسل، اللذين طُرحا كعضوين للجنة المشكلة، بحجة واهية مفادها أن أياً منهما لم تكن عضوًا في مجلس الملكة الخاص(Privy Council of the United Kingdom)[٧٠].

بدأت المعارضة العنيفة لسيادة الاتحاد البيضاء في الظهور في الولايات الأعضاء الثلاث في الاتحاد لاسيما في نياسالاند في الثالث من آذار عام ١٩٥٩، فأعلن الحاكم، السير روبرت أرميتاج(Robert Armitage)، حالة الطوارئ، وأُلقي القبض على ثلاثمائة عضو بارز في حزب المؤتمر في عملية فجرية أُطلق عليها اسم (عملية شروق الشمس) اقتيد خلالها هاستينغز كاموزو باندا(Hastings Kamuzu Banda)، وكبار قادة الحزب إلى سجون في غويرو وخامي في جنوب روديسيا، ناهيك عن احتجاز أكثر من ألف شخص[٧١].

اثار اعلان حالة الطوارئ غضب كالاهان خلال جلسة مجلس العموم في الثالث من آذار عام ١٩٥٩، فقد هاجم كالاهان وزير المستعمرات لينوكس بويد(Lennox-Boyd)، متهمًا اياه بإخفاء الموقف الحقيقي في نياسالاند، وتقاضيه عن تصرفات الاقلية البيضاء المهينة بحق الافارقة[٧٢]، وتحت ضغط من حزب العمال لاسيما كالاهان، عيّن لينوكس بويد لجنة تحقيق برئاسة القاضي باتريك ديفلين(Patrick Devlin)، وخلص ديفلين إلى أن نياسالاند كانت (دولة بوليسية)، وأن هاستينغز باندا كان محتجزًا ظلماً، وأن مزاعم مؤامرة لقتل الحاكم كانت سخيفة بحسب وصفه[٧٣]، وازاء ذلك دعا كالاهان إلى قبول تقرير ديفلين، وإطلاق سراح من اعتقل من المعارضة[٧٤]. إلا أن وزير المستعمرات وعلى الرغم من شهرة تقرير ديفلين وشمولية استجوابه لأكثر من (١٧٠٠) شاهد، لم يقبل ما ورد فيه الامر الذي قوض مصداقية حزب المحافظين في إفريقيا[٧٥].

اخذت قضية الاتحاد منحى مختلف بعد الانتخابات البريطانية العامة التي اجريت في الثامن من تشرين الاول عام ١٩٥٩، التي فاز بها المحافظين بأغلبية ساحقة بلغت(٤٩,٤%)، من إجمالي الأصوات المُدلى بها، وحصوله على أغلبية في مجلس العموم على حزب العمال والليبراليين بـ ١٠٠ مقعد [٧٦]، وذلك بسبب أن الشعور السائد بالثراء والرفاهية في ظل حكومة المحافظين قد عزز فرص بقاء حكومة ماكميلان في السلطة، وبالرغم من خسارة حزب العمال تمكن جيمس كالاهان من الاحتفاظ بمقعده بمواجهة مرشح حزب المحافظين مايكل روبرتس[٧٧]، وكما هو موضح في الجدول ادناه:

الجدول رقم (٤) يوضح نتائج الانتخابات العامة لدائرة جنوب شرق كارديف عام ١٩٥٩[٧٨].

المرشح	الحزب	عدد الاصوات	النسبة المئوية
جيمس كالاهان	حزب العمال	٢٦,٩١٥	٥٠,٨
مايكل روبرتس	حزب المحافظين	٢٦,٠٤٧	٤٩,٢

ترتب على اجراء الانتخابات العامة تغييرًا مفاجئًا في سياسة حزب المحافظين، لاسيما بعد اعلان نتائج لجنة مونكتون في تشرين الاول عام ١٩٦٠، والتي كانت نتائجها مماثلة

بشكل ملحوظ لتلك التي طرحها حزب العمال في نقاشات متتالية، اهمها معارضة السود الساحقة للاتحاد، ووجوب أن تكون هناك أغلبية أفريقية في كل من المجلسين التشريعيين لنياسالاند وشمال روديسيا، وإطلاق سراح السجناء السياسيين، وإعادة بعض الصلاحيات من الاتحاد إلى السلطات الإقليمية، وعلى الرغم من أن تقرير مونكتون كان يُعرب عن تعاطف عام مع الفوائد طويلة الأمد للاتحاد، إلا أن النتيجة كانت جعل موقف الحكومة الفيدرالية غير واقعي بشكل متزايد(٧٩).

اشاد كالاهان بعمل اللجنة وشجع على إجراء تغييرات جوهرية في الاتحاد بما في ذلك إصلاح قوائم التصويت مما يضمن أغلبية أفريقية في الجمعية الفيدرالية، وحق نياسالاند وروديسيا الشمالية في الانفصال، وازاء ذلك لم يعد لدى ماكميلان السلطة أو الإرادة لدحض انتقادات حزب العمال المبررة(٨٠).

جاءت خاتمة اتحاد أفريقيا الوسطى بعد التغييرات الوزارية التي قادها ماكميلان، والتي شهدت إقالة ثلث حكومته(٨١)، وفي خضم موجة الانسحاب التي تلت ذلك، سارعت نياسالاند وروديسيا الشمالية نحو الاستقلال التام في آذار عام ١٩٦٣(٨٢)، بعد أطلاق سراح هاستينغز باندا، وكينيث كاوندا، وفي أقل من عامين نالت كل من نياسالاند وروديسيا الشمالية استقلالهما، وفي كانون الثاني عام ١٩٦٤، انتهى اتحاد أفريقيا الوسطى(٨٣).

يتبين مما تقدم اعلاه دورًا بارزًا لجيمس كالاهان في معارضة دعم حزب المحافظين للأقلية البيضاء في افريقيا، فبدوره متحدثًا للسياسة الاستعمارية للمدة (١٩٥٦-١٩٦١)، بذل جهودًا عظيمة لمناصرة الشعوب الافريقية لاستحصال حقوقها خلال مداخلاته داخل مجلس العموم البريطاني، الامر الذي يشير بما لا يقبل الشك إلى دوره البارز والعملي كمتحدث باسم حكومة الظل للسياسة الاستعمارية ذلك المنصب الذي طغى على جميع المناصب التي تولاها في وقت سابق.

الاستنتاجات:

من خلال الخوض في تفاصيل الدراسة الموسومة بـ: دور جيمس كالاهان في السياسة البريطانية ١٩٥٠-١٩٦٤، تبين للباحث جملة من الاستنتاجات وهي كما يلي:

١. اسهم كالاهان خلال عمله سكرتيرًا برلمانيًا وماليًا للأميرالية ١٩٥٠-١٩٥١، في عملية تصحيح للقوة البحرية الملكية من خلال حثه على تجديد ما تقادم من معداتها والياتها ورفدها بالعديد من الغواصات والطوربيدات والطائرات في أطار سياسة تسليح شبه سلمية تخدم احتياجات المملكة المتحدة الامنية.

٢. بالرغم من الازمة الاقتصادية التي كانت تمر بها المملكة المتحدة نجح كالاهان خلال الحرب الكورية في الاشراف على برنامج اعادة التسليح البحري بقيمة (٣,٤) مليار جنيه استرليني مكن بريطانيا من المشاركة الفاعلة الى جانب الولايات المتحدة الامريكية.

٣. نشط كالاهان خلال عمله متحدثًا باسم المعارضة في حكومة الظل للعديد من الوزارات مثل النقل والطاقة والتعليم، إلا أن نشاطه الابرز تمثل في مناصرته لحقوق الشعوب التي كانت خاضعة لبريطانيا في تقرير مصيرها لاسيما في افريقيا فخلال عمله متحدثًا باسم المعارضة لشؤون المستعمرات (١٩٥٦-١٩٦١)، وقف بثبات الى جاني الشعوب الافريقية داعيا إلى مساندة تلك الشعوب من خلال دعم حق حكم الاغلبية فيها بوجه الاقلية البيضاء، وازاء ذلك ناصب اتحاد وسط افريقيا العداء وسهم مساهمة فاعلة في اجهاضه ونيل كل من نياسالاند وروديسيا الشمالية استقلالهما.

الهوامش:

(١) جيمس كالاهان : سياسي بريطاني ولد عام ١٩١٢ في بورتسموث، نائب عن حزب العمال في جنوب كارديف (١٩٤٥-١٩٥٠)، وجنوب شرق كارديف (١٩٥٠-١٩٨٣)، شغل العديد من المناصب الوزارية منها وزير الخزانة (١٩٦٤-١٩٦٧)، ووزير الداخلية (١٩٦٧-١٩٧٠)، ووزير الخارجية(١٩٧٤-١٩٧٦) فضلاً عن رئاسته للعديد من اللجنان البرلمانية، ومتحدثًا باسم حكومة الظل للعديد من الوزارات، تولى رئاسة الوزراء للمدة (١٩٧٦-١٩٧٩)، وزعامة حزب العمال (١٩٧٦-١٩٨٠). لمزيد من التفاصيل ينظر:

Keith Layborn, Fifty Key Figures in Twentieth Century British Politics, Taylor & Francis, London and New York, 2002, p.p.54-58.

(٢) ستافورد كريبس (١٨٨٩-١٩٥٢) سياسي ورجل دولة بريطاني، ولد في لندن عام ١٨٨٩، خدم مع الصليب الأحمر على الجبهة الغربية في الحرب العالمية الأولى، بعد الحرب امتهن المحاماة ثم انضم إلى حزب العمال، فاز بمقعد في انتخابات فرعية عام ١٩٣١، تولى العديد من المناصب اهمها وزيرًا للتجارة عام ١٩٤٥، ثم وزير الخزانة عام ١٩٤٧، بعد استقالة هيو دالتون، ارتبط اسمه شعبيًا بالتقشف، حيث أبقى الضرائب والإنفاق مرتفعين، وجمد الأجور في محاولة للسيطرة على التضخم، ودفع عجلة الصادرات، استقال بسبب اعتلال صحته عام ١٩٥٠ وتوفي عام ١٩٥٢. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Ian J. Cawood, Britain in the Twentieth Century, Taylor & Francis, London and New York, 2004, p.432.

(3) Glen Segell, Electronic Democracy and the 1997 UK General Election, United Kingdom, 1997, p.72.

(4) David Collins, The little book of Cardiff, The History Press, Stroud, 2015, p.175.

(5) Kenneth O.Morgan, Kenneth O.Morgan, Callaghan A Life, Oxford University Press, 1997, p.90.

(6) Iain Dale and Dennis Kavanagh, Labour Party General Election Manifestos 1900-1997, Volume Two,Taylor & Francis, New York, 2000, p.p.63-64.

(7) Frederick Walter Scott Craig, British General Election Manifestos, 1900-74,Palgrave Macmillan, London, 1975, p.139-140.

(8) Herbert George Nicholas, The British general election of 1950, Macmillan, London, 1951, p.p.192-193.

(9) Donald Thomas, The Enemy Within: Hucksters, Racketeers, Deserters, and Civilians During the Second World War, New York University Press, New York, 2003, p.13.

(١٠) وهو إضراب عمال المناجم عام١٩١٠، نتيجة نزاع طويل الأمد حول الأجور وظروف العمل، لتتحول بعد ذلك الاعمال شغب الامر الذي دفع تشرشل الذي كان حينذاك وزيرًا للداخلية لإرسال قوات عسكرية إلى تونيبانديي، وبعد صدامات بين الشرطة والمضربين نجحت الشرطة في قمع المضربين في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١٠. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Peter Barberis and Other, Encyclopedia of British and Irish Political Organizations Parties, Groups and Movements of the 20th Century, Bloomsbury Publishing Plc, London and New York, 2000, p.445.

(11) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.91.

(12) Harold D. Clarke, Performance Politics and the British Voter, Cambridge University Press, 2009, p.231.

(13) Klaus Larres, Churchill's Cold War: The Politics of Personal Diplomacy, Yale University Press, New Haven and London, 2002, p.134.

(14) Robert M. Page, Revisiting the Welfare State, Mc Graw-Hill , Open University Press, New York, 2007, p.43.

(15) Harry Conroy, Callaghan, Haus Publishing Limited, London, 2006, p.22.

(16) Fred W. S. Craig, British parliamentary election results, 1950-1973, West Sussex : Parliamentary Research Services, Chichester, 1983, p.555.

(17) Barry Jones, Dictionary of World Biography, The Australian National University Press, 2020, p.145.

(١٨) جورج هنري هول (١٨٨١-١٩٦٥) سياسي بريطاني ولد في غلامورغانشاير عام ١٨٨١ ، أصبح عامل منجم في سن الثانية عشرة، وأصبح عضوًا في البرلمان عام ١٩٢٢، شغل مناصب وزارية ثانوية مختلفة، منها وكيل وزارة الدولة لشؤون المستعمرات للمدة (١٩٤٠ -١٩٤٢)، ووكيل وزارة الخارجية للمدة (١٩٤٣ – ١٩٤٥)، ووزير دولة لشؤون المستعمرات للمدة(١٩٤٥ – ١٩٤٦)، رُقي إلى طبقة النبلاء عام ١٩٤٦، وخدم في حكومة حزب العمال حتى عام ١٩٥١، وتوفي عام ١٩٦٥. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Gavin Ure, Governors, Politics, and the Colonial Office: Public Policy in Hong Kong, 1918-58, Hong Kong University Press, 2012, p.235.

(19) Harry Conroy, Op. Cit., p.22.

(20) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.91.

(21) James C. Bradford, International Encyclopedia of Military History, Taylor & Francis, New York and London, 2006, p.551.

(22) The Indian Express, Vol. XVIII, Friday, March, 24, 1950, p.5.

(23) The Aeroplane, Volume LXXVIII, January to June1950, Bowling Green Lane, London, April 7, 1950, p.404.

(24) Flight: The Aircraft Engineer, First Aeronautical Weekly in the World, Vol. LVII, January to June , 1950, Iliffe & Sons , Dorset House in Stamford , London, 1950, p.395.

(25) Parliamentary Debates (Hansard), House of Commons official report, vol. 472, H.M. Stationery Office, London, 1950, p.p.2065-2066.

(26) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.92.

(27) United States, Congress House, Committee on Foreign Affairs, U.S. Policy in the Far East: U.S. policy and Japan, The Korean War and peace negotiations, South Asian and related problems, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C., 1980, p.111

(28) Harry Conroy, Op. Cit., p.24.

(٢٩) أنورين بيفان(١٨٩٧-١٩٦٠) سياسي بريطاني ولد في تريديجار، مونماوثشاير، إنكلترا عام ١٨٩٧، انخرط في معترك السياسة في حزب العمال، وانتُخب لعضوية مجلس العموم عام ١٩٢٩،

تغلب على إعاقة في النطق ليصبح خطيبًا فصيحًا، بصفته وزيرًا للصحة في حكومة كليمنت أتلي (١٩٤٥-١٩٥١)، أسس "ناي" بيفان هيئة الخدمات الصحية الوطنية، شغل منصب وزيرًا للعمل (١٩٥١)، لكنه استقال احتجاجًا على نفقات إعادة التسليح التي قللت الإنفاق على البرامج الاجتماعية. كان شخصية مثيرة للجدل في حزب العمال، وترأس جناحه اليساري (البيفاني) وظل زعيمًا للحزب حتى عام ١٩٥٥. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Britannica Concise Encyclopedia, Encyclopædia Britannica, Inc, London, 2006, p.211.

(٣٠) هيو جايتسكيل (١٩٠٦-١٩٦٣) سياسي بريطاني ولد في لندن في التاسع من نيسان عام ١٩٠٦، درّس الاقتصاد السياسي في جامعة لندن، وخلال الحرب العالمية الثانية خدم في وزارة الحرب الاقتصادية، دخل مجلس العموم عام ١٩٤٥، وأصبح وزيرًا للوقود والطاقة للمدة (١٩٤٧-١٩٥٠)، ومستشارًا للخزانة للمدة (١٩٥٠-١٩٥١)، اختير لخلافة كليمنت أتلي في زعامة حزب العمال عام ١٩٥٥، إذ أعاد توحيد الحزب ونظّم سياساته قبل وفاته المفاجئة عام ١٩٦٣. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Britannica Concise Encyclopedia, p.726.

(31) Raymond Plant and Other, The Struggle for Labour's Soul: Understanding Labour's Political Thought Since 1945, Routledge, London and New York, 2004, p.14.

(32) Harry Conroy, Op. Cit., p.24.

(33) Hugh Dalton Baron, The political diary of Hugh Dalton : 1918-40, 1945-60, Cape, in Association with the London School of Economics and Political Science, London, 1986, p.507.

(34) The Montreal Gazette, Friday, May 25, 1951, p.11.

(35) The Pittsburgh Press, VOL. 67, No. 286, Friday, May 25, 1951, p.33.

(36) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.100.

(37) Hugh Dalton Baron, Op. Cit., p.549.

(٣٨) حكومة الظل : تُعدّ حكومة الظل سمةً من سمات أنظمة وستمنستر الحكومية ، وهي مجموعة من أعضاء أكبر حزب معارض، إذ تُشكل مجموعة الحزب البرلمانية المعارضة الرسمية، ومنها تنبثق حكومة الظل التي تتكون من كبار قادة الحزب، وتُمثّل تلك الحكومة في الواقع صورةً طبق الأصل عن الحكومة الفعلية، حيث يكون كل متحدث باسم المعارضة في حكومة الظل مسؤولًا عن مجال سياسي ووزارة مُحدّدين. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Ram Ayodhya Singh, Political Parties, Pressure Groups and Social Movements, K.K. Publications, New Delhi, 2021, p.2.

(39) Anthony Owen, So Many False Dawns in British Politics, AJ Books, Duchess Road, Monmouth, 2010, p.10.

(40) Glen Segell, Electronic Democracy and the 1997 UK General Election, Copyright Glen Segell, UK General Elections, 1997, p.74.
(41) Christopher Booker and Richard North, Great Deception: The Secret History of the European Union, Bloomsbury Academic, London and New York, 2003, p.61.
(42) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.101.
(43) Fred W. S. Craig, British parliamentary election results, 1950-1973, p.555.
(44) Chris Cook and John Stevenson, A History of British Elections Since 1689, Taylor & Francis, London and New York, 2014, p.164.
(45) Harry Conroy, Op. Cit., p.25; Stephen Haseler, The Gaitskellites: Revisionism in the British Labour Party 1951–64, Palgrave Macmillan, London, 1969, p.37.
(46) Simon C. Smith, Britain and the Arab Gulf After Empire: Kuwait, Bahrain, Qatar, and the United Arab Emirates, 1971-1981, Taylor & Francis, London and New York, 2019, p.184.
(47) Labor and Industry in Britain, Vol. XI, No. 1,British Information Services,1953
(48) Parliamentary Debates (Hansard),House of Commons official report, Great Britain, Parliament, House of Commons, vol. 493, 12 November 1951, p.736.
(49) Philip S. Bagwell, The Railwaymen, The History of the National Union of Railwaymen, Volume 1, Taylor & Francis, London and New York, 2023, p.637.
(50) Simon C. Smith, Op. Cit., p.184.
(51) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.108.
(52) Alfred F. Havighurst, Britain in Transition: The Twentieth Century, University of Chicago Press, 1985, p.445.
(53) W.J.M. Mackenzie, Free Elections: An Elementary Textbook, Taylor & Francis, London and New York, 2024, p.52.
(54) Harry Conroy, Op. Cit., p.26.
(55) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.117.
(56)Fred W. S. Craig, British parliamentary election results, 1950-1973, p.555.
(57) Peter Joyce, Realignment of the Left? A History of the Relationship Between the Liberal Democrat and Labour Parties, Palgrave Macmillan, London, 1999, p.121.
(58) Nick Thomas-Symonds, NYE: The Political Life of Aneurin Bevan, Bloomsbury Publishing, New York, 2015, p.222.
(59) Harry Conroy, Op. Cit., p.27.
(60) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.118.
(61) James Callaghan, Time and chance, p.118; Harry Conroy, Op. Cit., p.28.

(62) Daniel Gorman, Uniting Nations: Britons and Internationalism, 1945-1970, Cambridge University Press, 2022, p.167.

(63) James Callaghan, Time and chance, Collins : Fontana, London, 1987, p.p.119-120.

(٦٤) اتحاد وسط افريقيا: يعرف ايضًا باتحاد روديسيا ونياسالاند، أسس عام ١٩٥٣، يجمع بين نياسالاند (التي عُرفت لاحقًا بملاوي)، وزامبيا (روديسيا الشمالية)، وزيمبابوي (روديسيا الجنوبية) تحت حكومة اتحادية. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Gwyneth Williams and Brian Hackland, The Dictionary of Contemporary Politics of Southern Africa, Taylor & Francis, New York, 1988, p.90.

(65) Harry Conroy, Op. Cit., p.30.

(66) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, The Statecraft of British Imperialism: Essays in Honour of Wm. Roger Louis, Frank Cass, London, 1999, p.246.

(67) Andrew Cohen, The Politics and Economics of Decolonization in Africa:The Failed Experiment of the Central African Federation, Bloomsbury Publishing, London and New York, 2020, p,75.

(68) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, Op. Cit., p.p.246-247.

(٦٩) والتر مونكتون (١٨٩١-١٩٦٥) محامٍ وسياسي بريطاني ولد في بلاكستول في السابع عشر من كانون الثاني عام ١٨٩١، خدم خلال الحرب العالمية الاولى في فوج الملكة ويست كينت في فرنسا، ونال وسام القديس ميخائيل عام ١٩١٩، تُخب نائبًا عن حزب المحافظين عن دائرة بريستول الغربية عام ١٩٥١، وعُيّن وزيرًا للعمل، تولى مونكتون عام ١٩٥٩، رئاسة لجنة المعنية بتأسيس اتحاد روديسيا ونياسالاند، لكن التقرير الذي تلا ذلك لم يلق استحسانًا، ونتيجةً لإرهاقه من ضغط هذا العمل، تدهورت صحة مونكتون، واضطر إلى التقاعد. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Harold Oxbury, Great Britons :Twentieth Century Lives, PRC - Oxford University Press, 1985, p.p.245-246.

(70) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, Op. Cit., p.247.

(71) Kenneth R. Ross and Klaus Fiedler, A Malawi Church History 1860 – 2020, Mzuni Press, Malawi, 2025, p.230.

(72) Parliamentary Debates (Hansard),House of Commons official report, vol. 601, 3 March 1959, p.217.

(73) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, Op. Cit., p.248.

(74) Harry Conroy, Op. Cit., p.31.

(75) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, Op. Cit., p.248.

(76) Robert Rhodes James, Ambitions and realities; British politics 1964-70, Weidenfeld & Nicolson, London,1972, p.7.

(77) Kenneth O.Morgan, Op. Cit., p.161.

(78) Fred W. S. Craig, British parliamentary election results, 1950-1973, p.555.

(79) Richard Aldous and Sabine Lee, Harold Macmillan and Britain's World Role, Palgrave Macmillan, London, 1996, p.107.
(80) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, Op. Cit., p.248.
(81) Ibid., p.248.
(82) V.D. Mahajan, A History Of Modern Europe Since-1789, S. Chand Limited, New Delhi, 2007, p.861.
(83) Robert Desmond King and Robin W. Kilson, Op. Cit., p.248.

المصادر والمراجع:

اولاً: الوثائق:

1. United States, Congress House, Committee on Foreign Affairs, U.S. Policy in the Far East: U.S. policy and Japan, The Korean War and peace negotiations, South Asian and related problems, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C., 1980.

ثانيًا: محاضر مجلس العموم البريطاني:

1. Parliamentary Debates (Hansard), House of Commons official report, vol. 472, H.M. Stationery Office, London, 1950.
2. Parliamentary Debates (Hansard),House of Commons official report, Great Britain, Parliament, House of Commons, vol. 493, 12 November, 1951.
3. Parliamentary Debates (Hansard),House of Commons official report, vol. 601, 3 March 1959.

رابعًا: النشرات الحكومية:

1. Flight: The Aircraft Engineer, First Aeronautical Weekly in the World, Vol. LVII, January to June , 1950, Iliffe & Sons , Dorset House in Stamford , London, 1950.
2. Labor and Industry in Britain, Vol. XI, No. 1,British Information Services,1953.

خامسًا: كتب المذكرات:

1. James Callaghan, Time and chance, Collins : Fontana, London, 1987.

سادسًا: الكتب باللغة الانكليزية:

1. Alfred F. Havighurst, Britain in Transition: The Twentieth Century, University of Chicago Press, 1985.
2. Andrew Cohen, The Politics and Economics of Decolonization in Africa:The Failed Experiment of the Central African Federation, Bloomsbury Publishing, London and New York, 2020.
3. Anthony Owen, So Many False Dawns in British Politics, AJ Books, Duchess Road, Monmouth, 2010.
4. Chris Cook and John Stevenson, A History of British Elections Since 1689, Taylor & Francis, London and New York, 2014.
5. Christopher Booker and Richard North, Great Deception: The Secret History of the European Union, Bloomsbury Academic, London and New York, 2003.
6. Daniel Gorman, Uniting Nations: Britons and Internationalism, 1945-1970, Cambridge University Press, 2022.
7. David Collins, The little book of Cardiff, The History Press, Stroud, 2015.
8. Donald Thomas, The Enemy Within: Hucksters, Racketeers, Deserters, and Civilians During the Second World War, New York University Press, New York, 2003.
9. Fred W. S. Craig, British parliamentary election results, 1950-1973, West Sussex : Parliamentary Research Services, Chichester, 1983.
10. Frederick Walter Scott Craig, British General Election Manifestos, 1900-74,Palgrave Macmillan, London, 1975.
11. Gavin Ure, Governors, Politics, and the Colonial Office: Public Policy in Hong Kong, 1918-58, Hong Kong University Press, 2012.
12. Glen Segell, Electronic Democracy and the 1997 UK General Election, United Kingdom, 1997.
13. Glen Segell, Electronic Democracy and the 1997 UK General Election, Copyright Glen Segell, UK General Elections, 1997.
14. Gwyneth Williams and Brian Hackland, The Dictionary of Contemporary Politics of Southern Africa, Taylor & Francis, New York, 1988.
15. Harold D. Clarke, Performance Politics and the British Voter, Cambridge University Press, 2009.
16. Harold Oxbury, Great Britons :Twentieth Century Lives, PRC - Oxford University Press, 1985.
17. Harry Conroy, Callaghan, Haus Publishing Limited, London, 2006.

18. Herbert George Nicholas, The British general election of 1950, Macmillan, London, 1951.
19. Hugh Dalton Baron, The political diary of Hugh Dalton : 1918-40, 1945-60, Cape, in Association with the London School of Economics and Political Science, London, 1986.
20. Iain Dale and Dennis Kavanagh, Labour Party General Election Manifestos 1900-1997, Volume Two,Taylor & Francis, New York, 2000.
21. Ian J. Cawood, Britain in the Twentieth Century, Taylor & Francis, London and New York, 2004.
22. Keith Layborn, Fifty Key Figures in Twentieth Century British Politics, Taylor & Francis, London and New York, 2002.
23. Kenneth O.Morgan, Kenneth O.Morgan, Callaghan A Life, Oxford University Press, 1997.
24. Kenneth R. Ross and Klaus Fiedler, A Malawi Church History 1860 – 2020, Mzuni Press, Malawi, 2025.
25. Klaus Larres, Churchill's Cold War: The Politics of Personal Diplomacy, Yale University Press, New Haven and London, 2002.
26. Nick Thomas-Symonds, NYE: The Political Life of Aneurin Bevan, Bloomsbury Publishing, New York, 2015.
27. Peter Barberis and Other, Encyclopedia of British and Irish Political Organizations Parties, Groups and Movements of the 20th Century, Bloomsbury Publishing Plc, London and New York, 2000.
28. Peter Joyce, Realignment of the Left? A History of the Relationship Between the Liberal Democrat and Labour Parties, Palgrave Macmillan, London, 1999.
29. Philip S. Bagwell, The Railwaymen, The History of the National Union of Railwaymen, Volume 1, Taylor & Francis, London and New York, 2023.
30. Ram Ayodhya Singh, Political Parties, Pressure Groups and Social Movements, K.K. Publications, New Delhi, 2021.
31. Raymond Plant and Other, The Struggle for Labour's Soul: Understanding Labour's Political Thought Since 1945, Routledge, London and New York, 2004.
32. Richard Aldous and Sabine Lee, Harold Macmillan and Britain’s World Role, Palgrave Macmillan, London, 1996.

33. Robert Desmond King and Robin W. Kilson, The Statecraft of British Imperialism: Essays in Honour of Wm. Roger Louis, Frank Cass, London, 1999.
34. Robert M. Page, Revisiting the Welfare State, Mc Graw-Hill , Open University Press, New York, 2007.
35. Robert Rhodes James, Ambitions and realities; British politics 1964-70, Weidenfeld & Nicolson, London,1972.
36. Simon C. Smith, Britain and the Arab Gulf After Empire: Kuwait, Bahrain, Qatar, and the United Arab Emirates, 1971-1981, Taylor & Francis, London and New York, 2019.
37. Stephen Haseler, The Gaitskellites: Revisionism in the British Labour Party 1951–64, Palgrave Macmillan, London, 1969.
38. V.D. Mahajan, A History Of Modern Europe Since-1789, S. Chand Limited, New Delhi, 2007.
39. W.J.M. Mackenzie, Free Elections: An Elementary Textbook, Taylor & Francis, London and New York, 2024.

سابعًا: الصحف:

1. The Indian Express, Vol. XVIII, Friday, March, 24, 1950.
2. The Aeroplane, Volume LXXVIII, January to June1950, Bowling Green Lane, London, April 7, 1950.
3. The Pittsburgh Press, VOL. 67, No. 286, Friday, May 25, 1951.
4. The Montreal Gazette, Friday, May 25, 1951.

ثامنًا: الموسوعات والقواميس:

1. Barry Jones, Dictionary of World Biography, The Australian National University Press, 2020.
2. Britannica Concise Encyclopedia, Encyclopædia Britannica, Inc, London, 2006.
3. James C. Bradford, International Encyclopedia of Military History, Taylor & Francis, New York and London, 2006, p.551.

الموقف الإيراني تجاه الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨

م.م. هاريوان يوسف إبراهيم

الايميل: hariwankuchar@gmail.com

أ.م.د. نيبار بديع عبد العزيز

أستاذ في جامعة دهوك

كلية الدراسات الإنسانية/ قسم التاريخ

الايميل: nibar.abdulaziz@uod.ac

الموقف الإيراني تجاه الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨

م.م. هاريوان يوسف إبراهيم
أ.م.د. نيبار بديع عبد العزيز

الملخص:

يتناول هذا البحث موقف إيران من الاتحاد العربي الهاشمي لعام ١٩٥٨، وهو الحدث الذي مثل محاولة فريدة في التاريخ العربي المعاصر لتوحيد القوى الملكية بين العراق والأردن في إطار سياسي مشترك، بهدف مواجهة المد القومي العربي بقيادة الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر.

تسعى الدراسة إلى تحليل الموقف الإيراني الرسمي وغير الرسمي من هذا الاتحاد، من خلال تتبع ردود الأفعال السياسية والدبلوماسية الإيرانية إزاء هذه الوحدة. وتظهر النتائج أن الموقف الإيراني اتسم بالحذر والترقب، انطلاقاً من إدراك طهران لحساسية موقعها الإقليمي وعلاقاتها المعقدة مع العراق، إذ رأت في أي تغيير في سياسة بغداد الداخلية أو الخارجية احتمالاً لتهديد توازن مصالحها في منطقة الخليج العربي.

وبذلك، فإن الموقف الإيراني من الاتحاد لم يكن رفضاً صريحاً ولا تأييداً واضحاً، بل موقفاً وسطاً متوجساً يعكس طبيعة السياسة الإيرانية آنذاك القائمة على التحفظ والحذر في التعاطي مع التحالفات العربية.

الكلمات الدالة: الاتحاد العربي الهاشمي، إيران، العراق، الأردن، الجمهورية العربية المتحدة، السياسة الخارجية الإيرانية.

المقدمة:

تعد حقبة الخمسينيات من القرن العشرين من أكثر المراحل حساسية في تاريخ الشرق الأوسط، إذ تميزت بتصاعد التنافس الإقليمي والدولي، وبروز مشاريع الوحدة العربية التي كانت تعكس طموحات سياسية مرتبطة بالسياقات الداخلية والإقليمية. ويأتي الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨، الذي جمع بين العراق والأردن، بوصفه أحد أهم هذه المشاريع، حيث

ارتبط ظهوره بالتحولات السياسية المتسارعة بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا في إطار الجمهورية العربية المتحدة. وقد مثل هذا الاتحاد محاولة من النظامين الهاشميين في بغداد وعمّان لتشكيل توازن استراتيجي في مواجهة المد القومي العربي بزعامة جمال عبد الناصر، وكذلك لمواجهة التحديات الأمنية والسياسية الداخلية.

لقد أثار هذا التطور ردود فعل واسعة على المستويين الإقليمي والدولي، وكانت إيران من أبرز القوى التي اهتمت بالاتحاد، نظراً لموقعها الجغرافي وصلتها المباشرة بالعراق، فضلاً عن ارتباطها بالتحالفات الغربية في إطار الحرب الباردة. ومن هنا برزت إشكالية الموقف الإيراني من هذا الاتحاد، حيث تداخلت فيه اعتبارات الأمن القومي الإيراني مع الحسابات الاستراتيجية المرتبطة بالعلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا، إضافة إلى المخاوف من أن يؤدي صعود العراق ضمن الاتحاد إلى تغيير موازين القوى على الحدود المشتركة.

مشكلة البحث

تنطلق مشكلة هذا البحث من التساؤل المركزي: كيف كان موقف إيران من الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨، وما العوامل التي أسهمت في تشكيل هذا الموقف؟

فرضية البحث

يفترض البحث أن الموقف الإيراني من الاتحاد العربي لم يكن رفضاً مباشراً لمبدأ الوحدة العربية، بل كان نتاجاً لعوامل متعددة، أهمها: خشية إيران من تعاظم الدور العراقي في المنطقة، وحرصها على حماية توازن القوى الإقليمي، وتأثرها الواضح بالتحالفات الغربية التي كانت جزءاً منها في تلك المرحلة.

منهجية البحث

للوصول إلى إجابة علمية، سيعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي من خلال دراسة التطورات السياسية التي سبقت وأعقبت تأسيس الاتحاد، وتحليل المواقف الإيرانية بالاستناد إلى الوثائق والمصادر التاريخية. كما سيتبنى المنهج الوصفي التحليلي في تفسير السياسات الإيرانية وربطها بالسياق الدولي والإقليمي. ويضاف إلى ذلك المنهج المقارن عند مناقشة الموقف الإيراني في ضوء مواقف قوى إقليمية أخرى من الاتحاد.

تساؤلات البحث

لتحقيق أهداف الدراسة تُطرح الأسئلة الآتية:

ما السياقات السياسية الإقليمية التي أحاطت بإعلان الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨؟

ما العوامل التي دفعت إيران إلى اتخاذ موقف محدد من هذا الاتحاد؟

كيف تجلى الموقف الإيراني على مستوى الخطاب السياسي والإجراءات العملية؟

ما مدى ثبات أو تغير هذا الموقف مع تطور الأحداث في العراق والمنطقة؟

إلى أي حد كان لموقف إيران أثر في مسار الاتحاد العربي وعلاقاته الإقليمية؟

هيكلية البحث

جاءت هيكلية البحث بما يتماشى مع منهج البحث التاريخي بالعناوين الاتية:

أولاً: الظروف السياسية والإقليمية المؤثرة في تأسيس الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨.

ثانياً: موقف الإيراني الرسمي اتجاه الاتحاد العربي الهاشمي.

ثالثاً: موقف الإيراني غير الرسمية تجاه الاتحاد العربي الهاشمي.

الأول: الظروف السياسية والإقليمية المؤثرة في تأسيس الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨

شهدت العقود الوسطى من القرن العشرين بروز التيار القومي العربي، بوصفه أحد أبرز مظاهر التفاعل السياسي والفكري في المشرق العربي، حيث مثل هذا الفكر في استجابة مباشرة لسياسات الاستعمار الغربي والقوى الامبريالية التي أحكمت سيطرتها على مقدرات المنطقة عبر التحالف مع أنظمة ملكية مرتبطة بالغرب. وقد أسهمت الثورة المصرية في ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ بقيادة تنظيم "الضباط الاحرار"، وما ترتب عليها من اسقاط النظام الملكي في مصر[١]، في احداث تحول جذري في ميزان القوى الإقليمي، إذ اعتبرت لحظة فاصلة دشنت بداية فعلية لظهور الفكر القومي الثوري في الوطن العربي، وأبرزت تناقضه مع الأنظمة الملكية التي غالبا ما اتخذت موقفا عدائيا لهذا التوجه في باقي الدول العربية[٢].

ومع وصول جمال عبد الناصر (١٩٥٦-١٩٧٠) الى سدة الحكم عام ١٩٥٦، وتحديدا بعد تأميم قناة السويس في عام ذاته[٣]، أنتقل المشروع القومي العربي من نطاق

الوطني المصري الى افاق إقليمية أوسع، إذ بات عبد الناصر يسعى الى تصدير الفكر القومي العربي الى مختلف الأقطار العربية، ولاسيما تلك التي كانت خاضعة للأنظمة الملكية مثل العراق و الأردن والسعودية واليمن(٤)، وقد قدم مشروعه الوحدوي باعتباره السبيل الأمثل لمواجهة الاستعمار وتحرير الإرادة العربية، وهذا ما لاقى صدى واسعا لدى الشعوب التي رأت في شخصه رمزا للتحرر وزعامة قادرة على قيادة الامة(٥).

امام هذا المد القومي الناصري، وجدت الأنظمة الملكية العربية نفسها امام تحد مباشر يهدد شرعيتها السياسية واستقرارها الداخلي، فقد رأت في الفكر القومي عاملاً مهدداً لأنظمتها لاسيما في العراق، والأردن، والسعودية، واليمن، وسعت الى التصدي له عبر سلسلة من الإجراءات الإعلامية والسياسية والأمنية الرامية الى منع تسب هذا الفكر الى شعوبها(٦).

وعلى الصعيد الإقليمي الاوسع، اتسم الموقف الإيراني في عهد الشاه محمد رضا بهلوي بالحذر الشديد إزاء التحركات السياسية لجمال عبد الناصر، ويعود هذا الحذر الى عاملين رئيسيين:

الأول: التخوف من انتشار الفكر الشيوعي داخل ايران من خلال نشاط حزب "تودا"، المرتبط أيديولوجيا بالاتحاد السوفيتي، وهذا ما اعتبرته طهران تهديداً مباشراً لأمنها الداخلي، لاسيما في ظل العلاقات الوطيدة بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتي(٧).

الثاني: القلق من تنامي النفوذ القومي العربي في الخليج العربي والعراق، إذ كانت إيران ترى في انتشار الفكر القومي العربي تهديداً لنفوذها الإقليمي ومكانتها الجيوسياسية في تلك المناطق، خاصة في ظل النزاع على السيادة في الخليج العربي(٨).

هذا الانتشار السريع للفكر القومي العربي الناصري انعكس بصورة مباشرة على مشاريع الوحدة العربية التي بدأت تتبلور منذ منتصف الخمسينات، إذ وفر الغطاء الأيديولوجي والدافع الشعبي لتجارب وحدوية كبرى، مثل إقامة الاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن عام ١٩٥٨.

وجدت الحكومة العراقية نفسها، قبيل قيام الاتحاد العربي الهاشمي، مضطرة للتقارب مع الأردن، خاصة بعد ان تعرضت في عام ١٩٥٧ الى حملة انتقادات لاذعة وهجوم

اعلامي مكثف من قبل الحكومة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر، وقد تمحور هذا الانتقادات حول سياسة العراق الخارجية، ولاسيما انضمامه الى حلف بغداد عام ١٩٥٥، الذي عد في خطاب الناصري أداة امبريالية بريطانية وامريكية للهيمنة على المنطقة واجهاض مشاريع الوحدة العربية[٩]. كما اتهمت القاهرة الحكومة العراقية بالابتعاد عن التوجهات القومية العربية، والانحياز الى المعسكر الغربي على حساب استقلال القرار العربي، الامر الذي انعكس بشكل واضح في الحملات الإعلامية التي شنتها إذاعة "صوت العرب" والصحف المصرية، حيث صور النظام الملكي العراقي بوصفه عائقا امام نهضة الامة العربية ووحدتها. هذا التصعيد الإعلامي–السياسي المصرية دفع بغداد الى البحث عن دعم سياسي وإقليمي موازن، فوجدت في الأردن الهاشمي حليفا طبيعيا يشاركها المخاوف ذاتها من المشروع الناصري[١٠].

اما الأردن، فقد اتجه نحو التقارب مع العراق تمهيداً لإقامة اتحاد هاشمي بين البلدين نتيجة تضافر عدة عوامل سياسية وامنية واقتصادية. سياسيا، شكل تصاعد التيارات القومية والتحررية العربية بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ تهديداً للاستقرار الملكي، إذ بدأ جزء من المجتمع الأردني يتأثر بالخطاب الناصري، مما دفع الحكومة للبحث عن تحالفات تحمي السلطة الهاشمية. اقتصادياً، انعكس هذا الوضع على الدعم الخارجي والمساعدات الغربية، مما زاد من هشاشة الوضع المالي في البلاد[١١]. إقليمياً، جاء التقارب في سياق التوترات المتصاعدة بعد اعلان الوحدة المصرية–السورية في شباط ١٩٥٨، حيث أراد الأردن، بالتنسيق مع حلف بغداد، مواجهة نفوذ محور القاهرة–دمشق المتنامي، وتعزيز موقفه السياسي والاقتصادي. وقد توافقت هذه الخطوة مع رغبة ممثلي الأردن و العراق في السعي نحو الوحدة العربية وإقامة اتحاد فدرالي، بما يرسخ النظام الهاشمي ويخلق توازناً إقليمياً في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية[١٢].

باختصار، كان التقارب الأردني–العراقي خطوة استراتيجية متعددة الأبعاد، تجمع بين حماية النظام الملكي من انتشار الفكر القومي الناصري، تعزيز الامن الداخلي، دعم الاقتصاد الوطني، ومواجهة النفوذ الإقليمي المتنامي لمصر وسوريا.

وعلى هذا الأساس، شرعت كل من العراق والأردن في سلسة من المباحثات الرسمية وغير الرسمية تمهيداً لإقامة اتحاد هاشمي فدرالي. ففي أواخر عام ١٩٥٧ بدأت الاتصالات غير الرسمية، بين المسؤولين الأردنيين والعراقيين عبر وسطاء سياسيين وعشائريين لتنسيق الرؤية حول طبيعة الاتحاد واليات التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري(١٣). وفي ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٨، اوفدت الأردن وفدين رسميين لبدء المفاوضات: الأول الى بغداد برئاسة سليمان طوقان، وزير البلاط الملكي، والثاني الى رياض برئاسة سمير الرفاعي، وزير الخارجية، وقد حمل الوفدان رسائل رسمية الى عاهلي البلدين، تدعوهم الى مشاركة في المفاوضات من اجل إقامة اتحاد فدرالي بين الأردن والعراق. وكان الرد السعودي غير مشجع، إذ عبر الملك سعود عن تذمره من رغبة العراق في توسيع دوره داخل حلف بغداد، معتبراً ان مثل هذا الاتحاد قد يغير موازين القوى الإقليمية بطريقة غير مرغوبة بالنسبة للسعودية(١٤).

رغم انسحاب المملكة العربية السعودية من مشروع الاتحاد الهاشمي ورفضها الانضمام اليه، واصل العراق والأردن مفاوضاتهما الثنائية وصولاً الى اعلان الاتحاد في شباط ١٩٥٨. ويعود إصرار الاردان على الاستمرار في تلك المفاوضات الى جملة من الاعتبارات، في مقدمتها حاجته الاقتصادية الملحة، إذ كان يعاني من ضعف في موارده المالية واعتماده الكبير على المساعدات الخارجية، فرأى في الارتباط بالعراق الغني بالنفط فرصة لتأمين الدعم والاستقرار(١٥). كما مثل البعد الأمني عاملاً حاسماً، إذ وجدت الأردن نفسه امام تهديد مباشر من المد القومي الناصري وتجربة الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا)، مما جعله يعتبر الاتحاد مع العراق وسيلة لتشكيل توازن سياسي وعسكري يحمي نظامه الملكي. والى جانب ذلك، كان الانتماء الهاشمي المشترك بين العائلتين الحاكمين في بغداد وعمان دافعاً طبيعياً للتقارب، فضلاً عن التعامل الجغرافي، حيث ان المملكتين متحاورتان ولا يفصل بينهما سوى بادية صحراوية ترتبط عبر طرق مواصلات مشتركة، كما ترتبط عملة المملكتين بالكتلة الإسترليني، وهو ما عزز فرص التواصل والاندماج بينهما(١٦). كما لعبت بريطانيا دوراً مشجعاً في دفع الأردن للاستمرار بالاتحاد، لكونه يشكل أداة لاحتواء

النفوذ المصري والسوفيتي، وهذا ما انسجم مع مصالح الأردن الذي ظل يعتمد على لندن في دعمه السياسي و الاقتصادي[١٧].

بدأت المفاوضات التمهيدية بين العراق والأردن في بغداد بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٨، اعقبها انتقال الملك فيصل الثاني (١٩٣٩-١٩٥٨) الى عمان في ١١ شباط من العام نفسه، حيث كان برفقته وفد رسمي ضم كلاً من: توفيق السويدي، رئيس الوزراء الأسبق (الذي تولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات ١٩٢٩، ١٩٤٦، ١٩٥٠)، وبرهان الدين ال باش اعيان، وزير الخارجية (١٩٥٧-١٩٥٨)، ونديم الباججي، وزير المالية، وعبد الرسول الخالصي، وزير العدلية، ثم لحق بهم الأمير عبد الاله الذي شغل منصب الوصي على العرش بين (١٩٣٣و١٩٥٣)[١٨]. وفي المقابل، ترأس الوفد الأردني المفاوض إبراهيم هاشم، الوزراء (١٩٥٧-١٩٥٨)، الى جانب نائبه سمير الرفاعي، وخلوصي خيري، وزير الاقتصاد الوطني، واحمد الطروانة، وزير التربية والتعليم، وعاكف فايز، وزير الدفاع، وسليمان طوقان، وزير البلاط، وبهجت التلهوني، رئيس الديوان الملكي، وحابس المجالي، رئيس هيئة اركان الجيش وأخرون[١٩].

عقد الاجتماع الأول بين الملك حسين والملك فيصل في ٣ شباط ١٩٥٨، وانضم اليهما لاحقاً كل من الوصي عبد الاله ورئيس الوزراء الأسبق نوري سعيد ضمن الوفد العراقي، وقد تمحورت المباحثات حول ضرورة إعادة النظر في موقف العراق من حلف بغداد باعتبارها الخطوة الأولى نحوى تحقيق الاتحاد بين البلدين[٢٠]، وقد سعى الجانبان الأردني الى ممارسة الضغط على الحكومة العراقية لدفعها نحو الانسحاب من الحلف، غير ان بغداد رفضت ذلك، واكتفت بالتأكيد ان اقصى ما يمكن ان تقدم عليه هو دراسة وضعها داخل الحلف، اخذة بعين الاعتبار الأوضاع الدولية ومصالحها الوطنية[٢١].

اثارت عضوية العراق في حلف بغداد توتراً خلال مفاوضات الاتحاد العربي الهاشمي، إذ اصر الملك حسين على ضرورة انسحاب العراق من الحلف، وقد فسر بعض المرتقبين هذا الإصرار الأردني في البداية باعتبارين رئيسيين: الأول: ممارسة ضغط على العراق للحصول على اكبر قدر ممكن من المساعدات الاقتصادية للأردن، وثانياً: محاولة نفي الطابع الاستعمارية عن الاتحاد، نظراً لان حلف بغداد أنشئ بجهود الولايات المتحدة

الامريكية، غير ان وزير خارجية العراقي أوضح للجانب الأردني، ان العراق لن يفرض على الأردن الانضمام الى الحلف في حالة قيام الاتحاد، وان لكل مملكة الحق في الاحتفاظ بشخصيتها السياسية المستقلة[٢٢].

ومع ذلك، ورغم ان الاتفاق العراقي–الأردني نص على ان "المعاهدات والمواثيق الدولية التي سبق ان ارتبطت بها كل من الدولتين قبل قيام الاتحاد، ستظل مرعية بالنسبة للدولة التي عقدتها وغير ملزمة بالنسبة للدولة الأخرى"، الا ا اهداف وغايات حلف بغداد كانت ستفرض قيوداً على الأردن عبر توحيد السياسة الخارجية والجيش بين دولتي الاتحاد، خاصة وان رئاسة الاتحاد ورئاسة الحكومة كانت من نصيب العراق، فإذا التزم الجيش العراقي باي من التزامات حلف بغداد، فان الجيش الأردني سيكون ملزماً بدعمه ضمن اطار التوحيد العسكري و السياسي[٢٣]، مما يعني ان الأردن قد انضم الى الحلف بصورة غير مباشرة.

ورغم قيود المحتملة التي فرضتها اهداف حلف بغداد على الأردن، قررت المملكة المضي قدماً في اعلان الاتحاد الهاشمي، سعياً لتعزيز امنها واستقرارها الإقليمي، بالإضافة الى ضمان الدعم الاقتصادي والعسكري من العراق[٢٤]. وفي ١٤ شباط ١٩٥٨، تم الإعلان رسمياً عن الاتحاد العربي الهاشمي، حيث جرى توقيع ميثاق الاتحاد في عمان، الذي تضمن اثنتي عشرة مادة تحدد اطر التعاون بين الدولتين في مختلف المجالات، تشمل:

المادة الأولى: ينشأ اتحاد عربي بين المملكتين الأردنية والعراقية باسم الاتحاد العربي، ويكون مفتوحا للدول العربية الأخرى، التي ترغب في الانضمام اليه.

المادة الثانية: تحتفظ كل مملكة بشخصيتها الدولية المستقلة، وبسيادتها على أراضيها، بنظام الحكم فيه.

المادة الثالثة: تظل المعاهدات والمواثيق والاتفاقيات التي ابرمتها كل دولة قبل قيام الاتحاد سارية وملزمة للدولة التي عقدتها فقط، وغير ملزمة للدولة الأخرى، بينما تصبح المعاهدات والاتفاقيات التي ستبرم بعد قيام الاتحاد من اختصاص حكومة الاتحاد وحدها[٢٥].

المادة الرابعة: اعتبار تاريخ الإعلان الرسمي لقيام الاتحاد، تنفذ إجراءات الوحدة الكاملة بين المملكتين، من وحدة في السياسة الخارجية والجيش، وإزالة الحواجز الجمركية، وتوحيد مناهج التعليم ....الخ.

المادة الخامسة: تتولى شؤن الاتحاد حكومة اتحادية، مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية، يكون أعضائهما من مجلس الامة العراقي والأردني بالتساوي، لضمان تمثيل عادل للدولتين في إدارة شؤون الاتحاد المشتركة.

المادة السادسة: يكون علم الثورة العربية الكبرى علم دولة الاتحاد[٢٦].

المادة السابعة: تقوم حكومة الاتحاد بوضع دستور الاتحاد، ويجري تعديل دساتير كل من الدولتين بما يتوفق مع احكام دستور الاتحاد، كما تتخذ الحكومة جميع الاجراءات اللازمة لإقامة حكومة الاتحاد وتفعيل الدستور خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ اعلان الرسمي.

المادة الثامنة: تتولى شؤون الاتحاد حكومة اتحادية، مؤلفة من مجلس تشريعي منتخب من كلا البلدين بعدد متساو، وسلطة تنفيذية تتولى السلطة وفق احكام الدستور[٢٧].

المادة التاسعة: عندما تقتضي الضرورة أو مصلحة الاتحاد توحيد أي شأن لم يذكر سبقاً، تتخذ الإجراءات اللازمة وفق احكام دستور الاتحاد لإدماج هذا الشأن ضمن صلاحيات الاتحاد.

المادة العاشرة: يكون ملك العراق رئيسا لحكومة الاتحاد، وفي حالة غيابه يتولى ملك الأردن رئاسة للحكومة، مع احتفاظ كل من الملكين بكامل سلطاته الدستورية داخل المملكة.

المادة الحادي عشر: يعقد مقر حكومة الاتحاد بشكل دورية، حيث تقيم الحكومة في بغداد لمدة ستة أشهر، وفي عمان لستة أشهر أخرى.

المادة الثانية عشر: يبرم هذا الاتفاق وفق الأصول الدستورية المعمول بعا في كل من الدولتين[٢٨].

عقب اعلان عن الميثاق الاتحاد، القى الملك فيصل الثاني والملك حسين خطاباً مشتركاً وجها فيه كلماتهما الى الشعبين العراقي والأردني، استحضرا خلاله مأثر جدهما الشريف حسين بن علي وتضحياته في سبيل العرب والعروبة، قبل ان يزفا نبأ الاتحاد الى

شعبهما متمنيين لهما حياة يسودها الاستقرار، وان يكون هذا الاتحاد فاتحة خير ورخاء[٢٩]. وفي سياق ذاته، صادق مجلس الاعيان والنواب في العراق في ١٧ شباط ١٩٥٨على اتفاقية الاتحاد، وجرى العمل بقانون التصديق ابتداءً من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية، وكلف نوري سعيد بتأليف الوزارة الجديدة، وفاءً وتقديراً لخدماته[٣٠].

وضع دستور خاص بالاتحاد تألف من ثماني مواد موزعة على ثماني فصول[٣١]، وقد أقر رسمياً بعد تصديق المجلس النيابي الأردني عليه في ١٨ شباط ١٩٥٨[٣٢]، وتضمنت الدستور الأسس العامة لتشكيل الاتحاد، وحدد مهام السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، الى جانب اختصاصات أخرى شملت مصادر تمويل الاتحاد، وتنظيم الجيش، والتعليم وغيرها من الشؤون، وقد شهدت العاصمة عمان احتفالات ومهرجانات بهذه المناسبة، شاركت فيها مجموعة من الطلبة والشباب الذين خرجوا في التظاهرات مرددين الهتافات المؤيدة للاتحاد[٣٣].

عقب تشكيل حكومة الاتحاد، أعلن نوري سعيد ان السياسة الاتحادية ستقوم داخلياً على تعزيز الاستقرار وتوحيد الجهود بين العراق والأردن بما يضمن تنسيق التشريعات وتطوير المؤسسات المشتركة، والعمل على رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لشعبي الاتحاد. أما خارجياً، فقد شدد على ان الاتحاد سيتبنى نهج التعاون مع الدول العربية والإسلامية والدول الصديقة، واضعاً في مقدمة أولوياته إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، ومؤكداً ان الاتحاد يمثل خطوة أولى في مسار تحقيق الوحدة العربية الشاملة وتعزيز مكانة العرب إقليمياً ودولياً[٣٤].

تباين الموقف السياسي والشعبي من الاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن، فعلى الرغم من انه مثل مشروعاً هاشمياً مشتركاً، الا ان صداه في الشارعين كان مختلفاً. ففي الأردن قوبل الاتحاد برفض قاطع من معظم الأحزاب السياسية، التي اعتبرته امتداداً لمشروع استعماري جديد ارتبط بحلف بغداد، ورأت فيه أداة بريطانية–أمريكية لتكريس الغربي، مؤكدةً ان قيامه لم يكن تعبيراً عن إرادة شعبية بل نتيجة مباشرة للتدخل الخارجي[٣٥]. اما في العراق، فقد انقسم الرأي العام الى مؤيدين نظروا الى الاتحاد باعتبار خطوة نحو توحيد الجيش والسياسة الخارجية وتجسيداً للوحدة القومية من خلال اعتماد علم

الثورة العربية، والمعارضين عدوه أداة غربية لمواجهة الوحدة المصرية–السورية، وهي الوحدة التي لاقت صدى واسعاً لدى الجماهير العربية آنذاك[٣٦]. ويرجح ان شدة المعارضة العراقية ارتبطت أيضاً بعوامل اقتصادية، إذ شاع شعور بعدم التكافؤ بين القطرين، مما دفع حكومة الاتحاد الى محاولة ضم الكويت لتقوية قاعدته الاقتصادية[٣٧]. وعليه يمكن القول ان الموقف الأردني اتسم بتركيز على البعد السياسي–الأيديولوجي في رفض لاتحاد، بينما الموفق العراقي اتسم بمزيج من الاعتبارات القومية والاقتصادية. كما ان تزامن اعلان الاتحاد مع قيام الجمهورية العربية المتحدة أظهر الاتحاد الهاشمي وكأنه مشروع مواز، بل موجه لإضعاف الوحدة المصرية–السورية، وهذا ما أفقده الشرعية القومية على مستوى الشارع العربي. وبذلك مثل الاتحاد العربي الهاشمي محاولة ملكية–غربية لاحتواء المد القومي، لكنه أصطدم بواقع شعبي والسياسي جعل استمراره هشاً وقصيرة الأمد.

سعت الحكومة العراقية، قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، الى ضم الكويت الى الاتحاد في إطار مساعي لتعزيز مكانتها الاقتصادية والسياسية في المنطقة[٣٨]. وقد تجسدت أولى هذه المحاولات في اذار عام ١٩٥٨، حين اجتمع الملك فيصل الثاني برفقة نوري سعيد رئيس الوزراء وتوفيق السويدي وزير الخارجية وفاضل الجمالي عضو مجلس الاعيان مع (S.Lioyd– سلوين لويد) وزير الخارجية البريطاني في بغداد، حيث طرح الجمالي مقترحاً يقضي بإعلان استقلال الكويت ورفع اميرها الى مرتبة الملك، الا أن لويد أوضح ان المسالة تتطلب قراراً على مستوى مجلس الوزراء البريطاني[٣٩]. وفي نيسان من العام نفسه، أرسلت الحكومة العراقية توفيق السويدي الى لبنان للقاء امير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح الذي كان يقيم هناك، وأجريت مباحثات سرية بين الجانبين بشأن انضمام الكويت الى الاتحاد، غير أنها انتهت دون نتيجة، بسبب تخوف القيادة الكويتية من فقدان امتيازاتها التقليدية، فضلاً عن خشيتها من النظرة العراقية التي اعتبرت الكويت امتداداً طبيعياً وجغرافياً لأراضيها. وتوصلت المساعي العراقية من خلال دعوة رسمية وجهت الى الأمير لزيارة بغداد، فلبى الدعوة في ١٠ أيار ١٩٥٨، حيث التقى نوري السعيد الذي عرض عليه ترسيم الحدود وتزويد الكويت بالمياه مقابل الانضمام الى الاتحاد، الا ان الأمير لم يبد تجاوباً مع العرض[٤٠]. اما المحاولة الأخيرة فتمثلت في زيارة نوري سعيد الى لندن في أواخر حزيران

١٩٥٨، حيث التقى مجدداً بوزير الخارجية البريطاني سلوين لويد، وطالبه بضرورة التعامل مع موضوع الكويت بجدية اكبر، ليقترح الأخير عقد اجتماع عراقي–بريطاني في ٢ تموز ١٩٥٨ لبحث القضايا العالقة، وفي مقدمتها قضية الكويت(٤١).

غير ان هذه الجهود توقفت تماماً مع اندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وما نتج عنها اسقاط النظام الملكي في العراق(٤٢)، إذ اعلن رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة عبدالكريم قاسم (١٩٥٨–١٩٦٣) في بيان رسمي بتاريخ ١٦تموز ١٩٥٨، انسحاب العراق من الاتحاد العربي الهاشمي مع الأردن، مبيناً ان الاتحاد بين العراق والأردن لم يكن اتحاداً حقيقياً يستند الى إرادة الشعب ومصلحته، بل كان يهدف اساساً الى دعم النظام الملكي الفاسد وخدمة مصالح فئة محدودة من الحكام، دون مراعاة تطلعات الشعب العربي في الحرية والوحدة، موكداً: "ان الاتحاد الهاشمي يفتقر الى الأسس المشروعة والقانونية، وان جميع الإجراءات والتشريعات التي أسست له تعد باطلة وملغاة"، موضحاً "ان الحكومة العراقية اعتبرت نفسها غير معنية باي التزامات مالية او عسكرية او سياسية ترتبت على قيام الاتحاد، باعتبارها التزامات فرضت على العراق في غياب الإرادة الشعبية"(٤٣).

وعليه، فقد انتهى الاتحاد العربي الهاشمي سريعاً مع سقوط النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨، بعد ان عجز عن تحقيق أهدافه المعلنة او تثبيت اسسه السياسية والاقتصادية، ليظل تجربة قصيرة الأمد لم تستطيع الصمود امام التحديات الداخلية والإقليمية والدولية. وقد شكل انهياره نقطة تحول بارزة في توازنات الشرق الأوسط، إذ أفرز تداعيات متباينة لدى الدول المحيطة، التي وجدت في ذلك حدثاً يعيد رسم خريطة النفوذ في المنطقة. ومن بين هذه المواقف الإقليمية، يبرز موقف الإيراني، الذي اكتسب أهمية خاصة، بالنظر الى موقع إيران الاستراتيجي وصلتها الوثيق بالسياسات الغربية، وهذا ما يجعل من دراسة موقفها من الاتحاد العربي الهاشمي مدخلاً ضرورياً لفهم طبيعة التفاعلات الإقليمية في المرحلة اللاحقة.

ثانياً: موقف الإيراني الرسمي اتجاه الاتحاد العربي الهاشمي.

تعد إيران إحدى القوى الإقليمية المحورية في شرق الأوسط، إذ ارتبطت سياستها الخارجية بمحددات القوة العسكرية والطموحات التوسعية التي سعت الى ترسيخها، ولاسيما

في الخليج العربي بوصفه المجال الحيوي لنفوذها الاستراتيجي. وقد شكل العراق، بحكم الجوار الجغرافي والحدود المشتركة، ساحة رئيسية للتوتر المستمر بين البلدين، تجسد في صورة تنافس إقليمي متعدد الابعاد. وفي هذا السياق، تعاملت طهران مع أي تحول سياسي في العراق او الخليج العربي على انه تهديد مباشر او غير مباشر لمصالحها الجوهرية، لاسيما ما يتعلق بالملفات السيادة والنفوذ في القضايا الخلافية، مثل البحرين والجزر الإماراتية الثلاث. كما ارتبطت هذه المخاوف بالبعد الداخلي، حيث خشيت القيادة الإيرانية من تداعيات تلك التحولات على استقرار نظامها السياسي، ولاسيما في ضل تنامي المد القومي والثوري العربي خلال خمسينات من القرن العشرين، هذا ما جعل إيران تنظر الى البيئة الإقليمية باعتبارها عامل ضغط مستمر يهدد توازنها الداخلي والإقليمي معاً.

اتسم موقف الرسمي الإيراني تجاه الاتحاد العربي الهاشمي بالحذر واليقظة الاستراتيجية، نتيجة تداخل عدة عوامل داخلية وإقليمية ودولية. فقد كان الشاه محمد رضا بهلوي مهتماً بالحفاظ على التوازن السياسي في المنطقة، خصوصاً مع تزايد النفوذ القومي العربي بقيادة جمال عبد الناصر، وارتفاع قوة التيارات اليسارية والقومية داخل بعض الدول العربية، وهذا ما قد يهدد استقرار ايران الداخلي، لاسيما في منطقة الاهواز ذات الأقلية العربية الكبيرة(٤٤).

منذ بدء المفاوضات التمهيدية بين العراق و الأردن في ٣ شباط ١٩٥٨، والتي مثلت خطوة أساسية نحو بلورة مشروع وحدوي مشترك، وحتى اعلان الرسمي عن قيام الاتحاد العربي الهاشمي في ١٤ شباط من العام نفسه، تبنت إيران سلسلة من المواقف الرسمية اتسمت بالحذر والتحفظ إزاء هذا المشروع وانعكاساته المحتملة على التوازنات الإقليمية. ففي ١٠ شباط١٩٥٨، القى الشاه محمد رضا بهلوي خطاباً امام مجلس وزراء الإيراني، قدم قراءة أولية لمشروع الاتحاد، مؤكداً على ضرورة الحفاظ على السيادة الوطنية وامن الحدود الغربية، مع الدعوة الى اتباع سياسة تحفظية تتجنب الانخراط في المواجهة مباشرة قد تضر بمصالح الإيرانية(٤٥). وقد أعاد الشاه التأكيد على هذا الموقف في رسالته المؤرخة في ١٤ شباط ١٩٥٨ والموجهة الى الملك فيصل الثاني، حيث تضمنت تهنئة شكلية بمناسبة اقتراب الإعلان النهائي عن الاتحاد، لكنها في الوقت نفسه أبرزت قلق طهران من أي تحركات قد

تمس الاحواز او تؤثر على أمن الحدود الغربية، داعيةً الى اعتماد التعاون الإقليمي وتفادي أي تصعيد سياسي او عسكري[٤٦].

وعند الإعلان الرسمي عن الاتحاد العربي الهاشمي في ١٤ شباط ١٩٥٨، سارعت إيران، أسوة ببقية الدول الأعضاء في حلف بغداد، الى ابداء تأييدها ودعمها للمشروع الوحدوي، وهذا الموقف جاء منسجماً مع السياسة المعادية التي انتهجها الشاه محمد رضا بهلوي تجاه جمال عبد الناصر، واعتبر رداً غي مباشر على قيام الجمهورية العربية المتحدة. ولكن مع ذلك، لم يغفل الشاه التأكيد على هواجسه الأمنية، إذ بعث في ١٥ شباط برسالة الى الملك حسين، شدد فيها على ضرورة الاستقرار الإقليمي والحوار مع الدول المجاورة، محذراً من أي خطوات قد تؤثر سلباً على الأمن الحدودي الإيراني، وداعياً كل من العراق والأردن الى التشاور المستمر مع طهران بشأن التطورات الجارية في بغداد وعمان[٤٧]. وبموازاة تلك الرسائل والخطابات العلنية، اصدر الشاه في ١٨ شباط ١٩٥٨ تعليماته الى إدارة السياسة الخارجية الإيرانية إزاء التطورات الإقليمية، بمتابعة المستجدات عبر السفارات والوسطاء المحليين، وهذا ما يعكس السياسة الرسمية والتحركات الاستخباراتي غير المباشر[٤٨].

كما تبنت وزارة الخارجية الإيرانية منذ اعلان الاتحاد العربي الهاشمي في ١٤ شباط ١٩٥٨، موقفاً يتسم بالتحفظ والحذر، إذ عد وزير الخارجية (منوجهر اقبال) (١٩٥٧-١٩٦٠) الاتحاد شأناً داخلياً يخص العراق والأردن، مؤكداً ان إيران ستقتصر على متابعة مجريات الاحداث ورصد تطوراتها، دون الانخراط المباشر فيها او تقديم أي دعم رسمي[٤٩]. وفي يوم التالي، ١٥ شباط، وجه اقبال تعليماته الى السفارتين الإيرانيتين في بغداد وعمان بضرورة التزام الحياد وعدم الادلاء بأي تصريحات مؤيد او معارضة للاتحاد مع التأكيد في الوقت نفسه على ضرورة حماية المصالح الاقتصادية والسياسية لإيران في المنطقة، وضمان حماية افراد الجالية الإيرانية المقيمين هناك. غير ان موقف من الاتحاد لم يكن خالياً من الاعتبارات الاستراتيجية، إذ رأت وزارة الخارجية ان هذه التجربة الاتحادية اعتمدت بدرجة أساسية على الإرادة البريطانية والدعم الخارجي، أكثر من اعتمادها على الإرادة الشعبية في العراق و الأردن[٥٠]. زمن هذا المنطق، أولت طهران أهمية خاصة للتقارير الدبلوماسية

الواردة من سفارتيها، التي ركزت على رصد توجهات النخب السياسية والعسكرية ومواقف الرأي العام، فضلاً عن متابعة المخاطر الإقليمية المتنامية، ولاسيما مع تصاعد النفوذ المصري في المشرق، وما يحمله ذلك من تهديد محتمل للتوازنات الإقليمية ومصالح إيران مباشرةً.

ومنذ ١٢ شباط ١٩٥٨ أولت السفارة الإيرانية في بغداد اهتماماً خاصاً بالمفاوضات العراقية–الأردنية التي أفضت الى اعلان الاتحاد العربي الهاشمي في ١٤ شباط من العام نفسه. وقد نقل (أمان الله اردلان)، السفير الإيراني في بغداد (١٩٥٣–١٩٦٠)، تفاصيل اجتماعات نوري السعيد والملك فيصل الثاني الى طهران، مبيناً حجم التحفظات التي أبدتها بعض الأوساط السياسية العراقية إزاء الاتحاد[٥١]. كما رصد أردلان في تقريره خلال شهري (١٠ اذار الى ٣٠ نيسان ١٩٥٨) تزايد موجة المعارضة الشعبية، ولاسيما في صفوف الطلبة وبعض دوائر الجيش، الى جانب بوادر التململ داخل الجيش من سياسات الحكم، الامر الذي دفعه الى التحذير من احتمال وقوع انقلاب عسكري على غرار التجربة المصرية في عام ١٩٥٢[٥٢].

وفي ٥ أيار ١٩٥٨، لاحظت السفارة تصاعد المد القومي المؤيد لعبد الناصر وانتشار الشائعات بشان اتصالات سرية بين ضباط عراقيين وسفارة الجمهورية العربية المتحدة، معتبرة ان استمرار الاتحاد الهاشمي اصبح مرهوناً بالدعم البريطاني، وان الشارع العراقي بدأ يميل نحو معاداة النظام الملكي[٥٣]. ثم أفادت برقيات الصادرة في ٧ حزيران ١٩٥٨، بانعكاس احداث لبنان على الوضع الداخلي العراقي، حيث ازدادت نقمة الشارع على الحكومة بسبب ارتباطها بالاتحاد وبالغرب. وفي تقرير اخر بتاريخ ٢٨ حزيران، حذرت السفارة من المعلومات تتعلق باستعداد بعض الضباط في بغداد لتنفيذ انقلاب عسكري، واوصت طهران بمتابعة الوضع الأمني وحماية المصالح الإيرانية[٥٤].

وتوجت هذه التقارير بسلسلة برقيات عاجلة في صباح ١٤ تموز ١٩٥٨، والتي أظهرت تحركات الوحدة العسكرية بتجاه بغداد، وما أعقبها من سقوط النظام الملكي ومقتل افراد عائلة المالكة ورئيس الوزراء نوري السعيد، وأكد التقارير ان الانقلاب لم يكن مفاجئاً في جوهره بقدر ما كان متعلقاً بتوقيته، ومشددة على ضرورة عدم تسرع في الاعتراف بالنظام

الجديد ومصير الاتحاد العربي الهاشمي الى حين اتضاح توجهاته تجاه ايران، مع تركيز على حماية البعثة الدبلوماسية والرعايا الإيرانيين داخل العراق(٥٥).

وفي السياق ذاته، انشغلت السفارة الإيرانية في عمان بمتابعة تطورات الموقف الأردني من مشروع الاتحاد الهاشمي، ورفعت الى طهران سلسلة من التقارير التي عكست تردد القيادة الأردنية إزاء الاندماج مع العراق. فقد اشارت برقياتها المؤرخة (١٦و٢٥ شباط ١٩٥٨) الى ان الملك حسين ودوائر البلاط الملكي تعاملوا مع المشروع بقدر كبير من الحذر، خشية ان يؤدي الاتحاد الى تراجع وتقليص الدور السياسي للأردن لصالح بغداد. وبناءً على ذلك، اوصت السفارة بضرورة الحفاظ على قنوات اتصال دبلوماسية فعالة مع عمان، تضمن حماية المصالح الإيرانية الإقليمية، وتمنع في الوقت ذاته أي تداعيات قد تمس حدود ايران الغربية(٥٦).

وقد عكست برقية أخرى بتاريخ ٢٠ اذار ١٩٥٨، ادراك السفارة لمدى هشاشة الوضع الأردني، إذ بينت ان استقرار المملكة ظل قائماً على المساعدات المالية و العسكرية البريطانية، وان الاتحاد لم يغير جوهرياً في المعادلة الاعتماد البنيوي(٥٧). اما تقريرها الصادر في ١٢ أيار ١٩٥٨، فقد رصد ضعف التأييد الشعبي الأردني للاتحاد، على الرغم من تبني الخطاب الرسمي لشعارات قومية مؤيد لعبد الناصر، الأمر الذي دفع الحكومة الأردنية الى اتخاذ إجراءات وقائية، شملت نشر وحدات عسكرية في بعض المناطق، وحشد وسائل الاعلام الرسمية للترويج للاتحاد والحد من احتمالات وقوع مظاهرات(٥٨). كما أبرزت تقارير أخرى في ٧ حزيران من العام نفسه، ان التوترات المتصاعدة في لبنان ساهمت في تعميق هواجس البلاط الأردني، وهذا ما دفع الملك حسين الى البحث عن تعزيز موقعه السياسي عبر الاتحاد، مستنداً بصورة شبه كاملة الى الدعم البريطاني المباشر. غير ان السفارة الإيرانية رأت في هذا التوجه مؤشراً على ضعف البنية السياسية والاقتصادية للأردن وعدم قدرته على مجابهة الضغوط الإقليمية، خصوصاً في ظل اعلان الجمهورية العربية المتحدة واقتراب المد القومي في العراق(٥٩).

ويظهر هذا التبيان ان التقارير الصادرة عن السفارتين الإيرانيتين في بغداد وعمان عكست بوضوح إدراك طهران لوجود مسارين متوازيين ومتشابكين في آن واحد: أولهما

المسار الداخلي في العراق، الذي كان يتجه تدريجياً نحو الانفجار العسكري في ضل تصاعد التوترات السياسية والاجتماعية، وثانيهما المسار الخارجي في الأردن، الذي بدأ أكثر هشاشة، لارتباط استقراره بالاعتماد المستمر على المساندة المالية والعسكرية البريطانية. وقد ساهم هذا الادراك المزدوج في بلورة موقف إيران أتسم بالتحفظ والحذر تجاه مشروع الاتحاد العربي الهاشمي، حيث رأت طهران انه يفتقر الى مقومات الصمود الذاتية، ويعتمد بصورة شبه كاملة على المعطيات ظرفية وخارجية، الأمر الذي جعله مشروعاً قصير المدى في حساباتها الاستراتيجية.

الى جانب الخطاب الرسمي وتعليمات وزارة الخارجية، لعبت المتابعة الأمنية والاستخباراتية دوراً محورياً في بلورة الموقف الإيراني من الاتحاد العربي الهاشمي. فقد تولت أجهزة متعددة أبرزها السافاك[٦٠]، مهام مراقبة المفاوضات التمهيدية بين العراق والأردن منذ بداية شباط ١٩٥٨، وتحليل احتمالات دعم الاتحاد من القوى الغربية، لاسيما بريطانيا، الى جانب تقييم انعكاسات المشروع على التوازن الإقليمي وعلى الاستقرار في المناطق الحدودية ذات الكثافة العربية مثل الاحواز.

في هذا السياق، كثف السافاك دوريات المراقبة على طول حدود مع العراق بهدف رصد أي تحركات قومية عربية او مجموعات مسلحة قد تسعى للتسلل الى الاراضي الإيرانية. كما شملت المتابعة الأنشطة الثقافية والاجتماعية، بما في ذلك الجلسات الثقافية والمناقشات بين المثقفين العرب، التي قد تروج لأفكار القومية العربية او تظهر تأييداً للاتحاد، بالإضافة الى مراقبة الصحف و المطبوعات القادمة من العراق والأردن والتي كانت تنقل اخبار الاتحاد وردود الفعل الرسمية والشعبية[٦١].

واعتمد السافاك ايضاً على شبكات محلية من المخبرين تضم عرب الاحواز وسكان المناطق الحدودية، لتقديم معلومات دقيقة عن أي تجمعات سياسية او اجتماعية سرية مرتبطة بالقومية العربية، وهذا ما مكن السلطات الأمنية من تقيم التهديدات المحتملة واتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة، بما يعكس التنسيق الوثيق بين الأجهزة الأمنية والسياسية للحفاظ على الاستقرار الداخلي ومنع أي تأثير لمشروع الاتحاد على أراضي إيران[٦٢].

كما أولت وزارة الداخلية، بالتنسيق مع دوائر الأمن المحلية، اهتماماً خاصاً بمتابعة النشاط القومي العربي داخل ايران، بصورة أدق في منطقة الاحواز، التي عدت البؤرة الأكثر عرضة للتأثير بالدعوات الوحدوية، ورغم ان تفاعل عرب الاحواز مع مشروع الاتحاد بقي محدوداً، واقتصر في معظمه على متابعة الاخبار والبرقيات الصحفية الواردة من العراق والأردن، او على نقاشات فكرية سرية بين بعض المثقفين في المدن الرئيسية مثل الاحواز العاصمة، المحمرة، وعبادان حول فكرة الوحدة العربية، إلا ان هذه الأنشطة لم تتجاوز حدود الجلسات الفكرية والنظرية(٦٣).

وفي هذه السياق، برزت بعض شخصيات المحلية التي عبرت عن ميولها الفكرية والقومية عبر أنشطة ثقافية وادبية متواضعة، مثل الشاعر والمثقف حسن الطيار، والأديب يوسف الحاجي الذي كانت له علاقات مع الأوساط الثقافية في العراق، وكذلك شخصيات اجتماعية من وجهاء المحمرة وعبادان، مثل ناصر الخزعلي وجاسم آل صياح وعبدالله البطاط، فضلاً عن عبد المحسن النسيي وعبد الأمير الركابي وغيرهم ممن عبروا عن تعاطف رمزي مع الاتحاد، وقد جاء هذا التعاطف غالباً عبر رسائل فردية او تعليقات محدودة في بعض الصحف الإقليمية، دون ان يتخذ طابعاً تنظيمياً او علنياً(٦٤). غير ان السلطات الإيرانية تعاملت مع هذه المظاهر بوصفها مؤشرات حساسة، فأخضعتها لرقابة صارمة ومتابعة دقيقة، في اطار استراتيجية أمنية وسياسية هدفت الى الاحتواء أي تأثير وحدوي محتمل داخل حدوده(٦٥). وذلك سعت طهران الى البقاء على النشاط القومي العربي في نطاقه الفكري المحدود، وضمان ألا يتحول الى قوة فعلية قد تهدد استقرارها الداخلي.

وهذا ما أكدته الوثائق البريطانية السرية المتعلقة بالموقف الرسمي الإيراني من الاتحاد الهاشمي، إذ تكشف بوضوح ان طهران اعتمدت نهجاً حذراً ومدروساً، يستند الى حسابات ان الحكومة الإيرانية استراتيجية دقيقة في تعاملها مع هذا التطور الإقليمي. فقد أظهرت الوثيقة رقم (FO٣٧١/١٢٣٤٦٠) ان طهران أبدت قلقها من تعزيز النفوذ العراقي والأردني، معتبرة ان الاتحاد قد يغير التوازنات الإقليمية، وطلبت توضيحات من بغداد وعمان بشأن أهداف الاتحاد والتزاماتهم العسكرية والسياسية، كما أكدت على ضرورة التنسيق مع الكبرى لضمان حماية مصالح إيران(٦٦). وفي الوثيقة رقم (FO٣٧١/١٢٣٤٦١) أوضح

السلك الدبلوماسي البريطاني في طهران ان إيران عززت مراقبتها على الصحافة الداخلية والخارجية والحدود، وأعدت تقارير دورية للشاه ووزارة الخارجية لتقييم كل التطورات السياسية والعسكرية للاتحاد، مع التأكيد على التحفظ الرسمي وعدم التصعيد[٦٧]. اما الوثيقة رقم (FO٣٧١/١٢٣٤٦٢)، فقد أضافت ان إيران اعتبرت الاتحاد تحدياً محدوداً للأمن الحدودي الإيراني لكنه لم يشكل تهديداً مباشراً للنظام الملكي، مع استمرار التنسيق مع القوى الكبرى لمتابعة أي تحركات عراقية او اردنية قد تؤثر على الاحواز[٦٨]. تؤكد هذه الوثائق ان إيران اتبعت موقفاً متزناً يجمع الحذر الاستراتيجي وحماية الحدود أقلية الاحواز، مع تنسيق دولي وإجراءات دبلوماسية وحدودية وإعلامية، مما يعكس نضج سياستها الخارجية في مواجهة التحديات الإقليمية.

بناءً على ما سبق، يمكن الاستنتاج ان الموقف الرسمي الإيراني تجاه الاتحاد العربي الهاشمي تميز بالتحفظ والانتظار الحذر، متجنباً الانخراط المباشر سواء في تأييد المشروع او معارضة الصريحة. وسعت طهران من خلال هذا الموقف الى تحقيق توازن دقيق بين مصالحها الاستراتيجية في العراق والخليج من الجهة، والحفاظ على قنوات الاتصال الدبلوماسي مع كل من بغداد وعمان من جهة أخرى. غير ان هذا الموقف الرسمي لم يكن سوى جانب واحد من الصورة الكاملة، إذ برز في المقابل موقف اخر عكس تصورات النخب الفكرية والإعلامية والحزبية في إيران، وهذا ما يشكل موضوع المحور التالي حول الموقف الإيراني غير رسمي من الاتحاد العربي الهاشمي.

ثالثاً: الموقف الإيراني غير الرسمي تجاه الاتحاد العربي الهاشمي.

وعلى الرغم من الحياد الرسمي الذي تبنته إران اتجاه الاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن كشفت ردود الفعل غير الرسمية عن سياسة دقيقة تجمع بين الحذر والمراقبة المستمرة. فقد أظهرت الصحافة الإيرانية، والاوساط الفكرية والسياسية، اهتماماً كبيراً بتحليل المشروع، مع تقيم مستمر لإمكانية تأثيره على الامن الحدودي والمصالح الاقتصادية لإيران، لاسيما في المناطق ذات التركيبة العربية مثل الاحواز. ومن خلال هذا الموقف غير الرسمي، برزة طهران كمراقب واعِ لتداعيات الاتحاد على سياساتها الإقليمية، محافظة على

مسافة تتيح لها الموازنة بين الحذر السياسي والاستعداد لاي تحولات محتملة، دون الانخراط في مواجهة مباشرة قد تضر بمصالحها.

لعبت الصحافة الإيرانية دوراً بارزاً في عكس الموقف غير الرسمي لإيران اتجاه الاتحاد العربي الهاشمي، حيث أظهرت مقالاتها وتقاريرها تحفظاً وضحاً، مع حرص على توخي الحياد في الشكل العام. حيث أشارت صحيفة الاطلاعات الإيرانية في ١٤ شباط ١٩٥٨ الى ان "وحدة عربية أخرى تشكلت بوجه الجمهورية العربية المتحدة، فقد ابرم العراق والأردن اتحاداً، وان كان اقل تماسكاً في الوقت الراهن مقارنة بالاتحاد المصري–السوري، الا ان الطريق أصبح ممهداً بصورة أفضل لتشكيل حكومة موحدة، نظراً لحدود المشتركة بين العراق والأردن ولارتباطهما المتين من الناحيتين الاسرية والاقتصادية، مما يجعل الاتحاد مرتكزاً على العراق من جميع النواحي"[٦٩]. وفي العدد التالي في الصحيفة بتاريخ ١٥ شباط، ذكر ان "الاتحاد المصري–السوري لا يمتلك من المزايا سوء مكانته في العالم العربي وجذبيه بين الأوساط الشعبية العربية، فضلاً عن قدره العسكرية والسياسية والاقتصادية الأعلى، الا ان العوال الجغرافية والاقتصادية التي يتميز بها الاتحاد العربي الهاشمي تعزز من إمكانية تحقيق امتزاج واختلاط بين الشعبين العراقي والأردني خلال فترة زمنية قصيرة، ومن الطبيعي ان يظل العنصر العراقي هو المسيطر في هذا الاتحاد نظراً لقوته النسبية والمركزة الأكثر ثباتاً مقارنة بالأردن"[٧٠].

ووفقاً لما وردة صحيفة كيهان الإيرانية بتاريخ ١٦ شباط ١٩٥٨، فان تشكيل الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي الهاشمي لن يغير جوهر التنافس بين الوحدتين في منطقة الشرق الأوسط، بل من المرجح ان يؤدي وجود هذين الاتحادين الى مواجهة احداهما للآخر، مما يقضي في نهاية المطاف الى نشؤ جبهتين مقابلتين. وتشير الصحيفة الى ان الاتحاد العربي الهاشمي يعد نتيجة منطقية لتشكيل الجمهورية العربية المتحدة، وان قادة العراق والأردن، رغبةً في حماية بلدهما من التأثير بالتيارات القوية القادمة من شواطئ النيل، بادروا سريعاً الى إقامة حكومة متحدة، وذلك ضمن رؤية استراتيجية مشتركة تهدف الى صون كيان الدولتين واحباط دعايات إذاعة القاهرة او "صوت العرب". وعلاوة على ذلك،

ترى الصحيفة ان تشكيل الاتحاد بين العراق والأردن كان خطوة طبيعية و منطقية بحد ذاتها، وكان ينبغي تحقيقها قبل فترة طويل من اعلان الجمهورية العربية المتحدة(٧١).

في السياق نفسه، سلطت كيهان الضوء على الوضع الداخلي في الأردن، حيث تواجه المملكة معارضة من العرب الفلسطينيين، اللذين يشكلون اغلبية السكان في المناطق الحدودية مع فلسطين، ويتأثرون بالدعاية المصرية نتيجة هزيمتهم السياسية السابقة. وتشير الصحيفة الى ان هذه الفيئة الفلسطينية تنتظر اللحظة التي يزداد فيها العرب قوة لمواجهة إسرائيل واستعادة أراضيهم المحتلة، معتبرين جمال عبد الناصر الزعيم الوحيد القادر على تحقيق طموحاتهم. وبذلك يعكس التحليل الإيراني التقديري ان القلق لم يكن محصوراً في المنافسة بين الاتحادين العربيين فقط. وبذلك يعكس التحليل الإيراني التقديري أن القلق لم يكن محصوراً في المنافسة بين الاتحادين العربين فقط، بل شمل ايضاً الأبعاد الداخلية في الأردن وتأثير الديناميات الإقليمية على استقرار المملكة، بما جعل قراءة إيران للوضع أكثر دقة وارتباطاً بالمشهد الإقليمي الشامل(٧٢).

كما تناولت صحيفة صدا مردوم في افتتاحية لها بتاريخ ١٦ شباط ١٩٥٨ موضوع "الاتحاد العراقي–الأردني"، مشيرة الى البيان الذي اذاعته محطتا إذاعة بغداد وعمان بشأن حكومة الاتحاد العربي الهاشمي، معتبرةً "ان هذا الاتحاد، القابل لانضمام باقي الاقطار العربية اليه، يمثل خطوة مهمة لترسيخ الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط"(٧٣). "كما أشارت الصحيفة" الى ان الأردن كانت دولة مستقلة بعد الحرب العالمية الثانية، يحكمها الملك بن حسين بمساندة بريطانية، وان الأحداث التي أعقبت الحرب الفلسطينية (١٩٤٨–١٩٤٩)، والتي أدت الى ضم جزء من فلسطين للمملكة الأردنية، أسهمت في إعلان استقلال المملكة الاردنية الهاشمية، وأوضحت "أن التركيبة السكانية في الأردن، التي تشمل نحو (٧٠٠) ألف فلسطيني، شكلت تحديات كبيرة للحكومة الأردنية، إذ كان مستوى معيشتهم وثقافتهم أعلى من العرب البدو المحليين، وكانوا يعبرون عن رفضهم لفشل الدول العربية في الحرب الفلسطينية، ويشككون في قدرة حكومة عمان عن الدفاع عن حقوق العرب بالشكل المطلوب، مما أدى النشاط الدعائي لبعض هؤلاء الفلسطينيين الى اغتيال الملك عبدالله في القدس في تموز ١٩٥١. "وأضافت الصحيفة" ان الدعاية التي بثتها القاهرة ودمشق، وخصوصاً بعد

صعود جمال عبد الناصر الى الحكم وكفاحه ضد الاستعمار، زادت الضغوط على الحكومة الأردنية(٧٤). وبحسب الصحيفة "أظهرت التطورات انه بعد اعلان الجمهورية العربية المتحدة، لم تعد حكومة عمان قادرة على مواجهة هذه التحديات داخلياً بسهولة والحفاظ على كيانها السياسي، مما دفع ملكي العراق والأردن الى التحرك سريعاً لتشكيل حكومة الاتحاد العربي الهاشمي بعد محادثات استمر ثلاث ايام. وأوضحت الصحيفة "ان حصة العراق البارزة في الحكومة الجديدة، وتوحيد الجيش العراقي الأردني، يجعل الاتحاد قوة محتملة"، كما نه سيخفف الضغوط الداخلية على حكومة عمان، وان تهنئة جمال عبد الناصر لكل من الملك فيصل الثاني والملك حسين دليل واضح على ترحيب القاهرة بتشكيل الاتحاد، رغم وجود بعض العداء الإقليمي. واختتمت الصحيفة افتتاحيتها بالإشارة الى ان "الاتحاد العربي الهاشمي، على غرار الجمهورية العربية المتحدة التي ساعدت في تثبيت الوضع في سوريا والحد من نفوذ الشيوعيين المدعومين من الاتحاد السوفيتي، من المتوقع ان يسهم في تعزيز استقرار الأردن داخلياً، ويقلل التوترات السياسية في الأقطار العربية، ويحد من انتشار الفكر الشيوعي الذي يهدد الأمن والاستقرار السياسي لإيران"(٧٥).

يعكس هذا النص الصحفي رؤية إيرانية متحفظة، إذ اعتبرت طهران ان الاتحاد الهاشمي يمثل أداة لتعزيز دفاع النظم الملكية أكثر من كونه مشروعاً وحدوياً حقيقياً، كما يظهر ادراكاً مبكراً لدى صانعي القرار الإيرانيين للمخاطر المحتملة الناجمة عن المد الناصري والتأثير السوفيتي على توازنات المنطقة، وربطاً واضحاً بين استقرار المشرق العربي واستقرار الوضع السياسي الداخلي في إيران.

اكدت الحكومة العراقية ان انخراطها في الاتحاد الهاشمي مع الأردن لا يعارض مع التزاماتها في إطار حلف بغداد، مشددةً على ان هذا التحالف يشكل أداة لتعزيز الاستقرار الإقليمي واحتواء المخاطر الأيدلوجية القادمة من الخارج. يعكس هذا الموقف ادراكاً استراتيجياً دقيقاً من قبل بغداد لطبيعة التحديات التي تواجه الشرق الأوسط، لاسيما في ظل تصاعد النفوذ السوفيتي وانتشار الفكر القومي والشيوعي. وقد انسجم هذا التوجه مع ما نشرته صحيفة فرمان بتاريخ ١٧ شباط ١٩٥٨، التي رأت ان مشروع الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا لم يكن إلا انعكاساً مباشراً للنفوذ السوفيتي في المنطقة، ويهدف

بشكل أساسي الى تمهيد الطريق أمام انتشار الفكر الشيوعي، مما يهدد التوازن الإقليمي التقليدي. وفي المقابل، اعتبرت الصحيفة ان "الاتحاد العراقي–الأردني خطوة استباقية نهدف الى احتواء هذه المخاطر، تمثل اطاراً سياسياً وأمنياً يمكن من خلاله حماية مصالح النظامين الملكيين والحفاظ على استقرار الحدود"(٧٦).

في هذا السياق، اشارت صحيفة الفردوس في ١٨ شباط ١٩٥٨ الى ان العراق والأردن، اللذين لهما علاقات وثيقة مع بريطانيا ويوجهان تحديات سياسية مع مصر، قاما بالتحرك سريعاً لمواجهة انعكاسات تشكيل حكومة الجمهورية العربية المتحدة، فقد سارع نوري السعيد الى لندن لإجراء محادثات عاجلة مع المسؤولين البريطانيين، في حين توجه معاونه نحو عمان لتهيئة الأرضية لتنسيق مباشر مع الأردن. وأسفرت هذه الجهود عن عقد محادثات مستعجلة بين العاهلين العراقي والأردني، انتهت بالإعلان الرسمي عن تأسيس الاتحاد العربي الهاشمي. وهذا ما يعكس حرص الطرفين على انشاء تحالف عملي قادر على مواجهة الضغوط الإقليمية، وضمان اطار للتعاون السياسي والأمني بين الدولتين في مواجهة التدخلات الخارجية ومحاولات النفوذ الأيديولوجي(٧٧). وفي مقالة أخرى نشرت في نفس اليوم، ١٨ شباط ١٩٥٨، اشارت صحيفة الفردوس الى الفوارق الجوهرية بين الاتحاد العربي الهاشمي وجمهورية العربية المتحدة، مشيرةً الى ان حكومة الاتحاد العربي الهاشمي لم تحظ باهتمام كبير من قبل الرأي العام في الدول العربية، على عكس حكومة الجمهورية العربية المتحدة التي أصبحت محور متابعة العرب من سواحل الخليج الفارسي الى سواحل المحيط الأطلسي. ورغم هذا التفاوت في الاهتمام الشعبي، فقد دعمت بريطانيا حكومة الاتحاد العربي الهاشمي بكل قوتها. واضحت الصحيفة ان الأردن كان أكثر حرصاً من العراق على تشكيل هذا الاتحاد، نظراً للوضع الحساس للاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يميلون الى دعم جمال عبد الناصر، مما جعل الأردن يشعر بخطر محتمل على استقراره الداخلي، وكان الانضمام الى العراق خطوة ضرورية الاحتواء الاضطرابات والقلاقل المحتمل(٧٨).

وفي سياق مراقبة إيران لتطورات الوحدة العربية خلال النصف الثاني من خمسينات القرن العشرين، اتخذت طهران موقفاً يقوم على حذر الاستراتيجي والتوازن الدقيق بين القوى

العربية الصاعدة. فقد اعتبرت إيران الاتحاد العربي الهاشمي منافساً محتملاً ل (الجمهورية العربية المتحدة)، وعليه كان على الاتحاد العربي الهاشمي منذ تأسيسها ان تعمل كقوة موازنة لمشروع الوحدة الناصرية. وأشارت صحيفة الاطلاعات في عددها الصادر بتاريخ ١ اذار ١٩٥٨ الى ان "مشروع انشاء الاتحاد العربي الهاشمي لم يكن مشروعاً مضافاً الى الجمهورية العربية المتحدة، بل جاء نتيجة لحماية الأردن ومنع انضمامها الى أحضان الجمهورية العربية المتحدة"(٧٩). وقد ابرزت هذه المقالة عاملين أساسيين في قراءة الموقف الإيراني: أولا، شعبية جمال عبد الناصر بين الأوساط الأردنية والأحزاب السياسية المؤيد له، والتي كانت تشكل عامل جذب قوى للانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة، مما اعتبرته طهران تهديداً محتملاً لتوازن القوى الإقليمي. ثانياً، كان الهدف من تشكيل الاتحاد العربي الهاشمي يمثل في إقامة حكومة منافسة وفاعلة سياسياً تستطيع مواجهة نفوذ الجمهورية العربية المتحدة في بقية الأقطار العربية، وهذا ما انعكس في متابعة طهران الدقيقة للأحداث الأردنية والاهتمام بقراءة نوايا الحكومة الأردنية تجاه المشروع الناصري(٨٠). وعليه، يمكن القول ان الموقف الإيراني تجاه الاتحاد العربي الهاشمي لم يقتصر على الرصد السياسي، بل شملت ايضاً بعداً استراتيجياً يتعلق بضمان استقرار الأردن كحاجز امام التمدد الناصري، بما يحفظ مصالح إيران في المنطقة ويمنع الهيمنة المصرية–السورية على المحيط العربي الإيراني.

أظهرت الصحيفة الاطلاعات الإيرانية، عقب اعلان الاتحاد الهاشمي، اهتماماً متواصلاً بمتابعة تطوراته، ولاسيما خلال أشهر نيسان وايار وحزيران من عام ١٩٥٨، حيث حرصت على الربط بين الازمات الداخلية في العراق والتفاعلات الإقليمية والدولية المحيطة بالاتحاد. ففي عددها الصادر بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٥٨، أولت الصحيفة عناية خاصة بالاحتجاجات العنيفة ضد حلف بغداد، مشيرة الى امتناع وحدات الجيش والشرطة عن قمع المتظاهرين بالقوة، وهذا ما اعتبرته دلالة على تأكل سلطة النظام الملكي وتعمق أزمته البنيوية. كما نقلت عن إذاعة دمشق تقارير تفيد بصدور بيانات من قادة عراقيين تطالب بالانسحاب من الحلف، في وقت شهدت فيه البلاد تكثف الاجتماعات والبيانات الشعبية

المناهضة لحكومة نوري سعيد[٨١]. وهذا ما عكس، في قراءة الصحيفة، بداية بيئة سياسية واجتماعية مناهضة للاتحاد العربي الهاشمي.

وفي موازرة ذلك، تناولت الصحيفة في ٢٤ أيار ١٩٥٨ الإجراءات الرمزية الهادفة الى ترسيخ الاتحاد، مثل رفع علم موحد على السفارة العراقية والأردنية في بعض العواصم، ومنها طهران وخرمشهر، غير انها لفتت الى ان البعثتين واصلتا عملهما بشكل منفصل بانتظار أوامر جديدة، هذا ما فسرته على انه مؤشر على هشاشة البنية المؤسسية للاتحاد وعجزه عن التحول مع الطابع الشكلي الى مؤسسي فعال[٨٢]. اما في ٨ حزيران ١٩٥٨، فقد ركزت صحيفة الاطلاعات على الازمة اللبنانية[٨٣]، معتبرة إياها اختباراً مباشراً لقدرة الاتحاد العربي الهاشمي على التفاعل مع القضايا الإقليمية. وأبرزت لجوء رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون (١٩٥٢–١٩٥٨) الى الاتحاد العربي الهاشمي طالباً للدعم، وتحذيرات بغداد من تدخل عسكري محتمل إذا واصل الثوار اللبنانيون عملياتهم المسلة بدعم من القاهرة ودمشق. كما اشارت الصحيفة الى حجم الخسائر البشرية الكبيرة في طرابلس وبعلبك واعداد الأسرى المرتفعة، الى جانب دور الشخصيات الدينية والسياسية في تصعيد المواجهة، وهذا ما عكس تعقيد المشهد المشرقي وتقييد قدرة الاتحاد على تقديم حلول ناجمة[٨٤]. وعلى الصعيد الدولي، رصدت صحيفة الاطلاعات في ٢٩ حزيران ١٩٥٨ الموقف البريطاني المرحب بفكرة انضمام الكويت الى الاتحاد العربي الهاشمي، مستندة الى محادثات نوري سعيد في لندن، التي ابدى خلالها اهتماماً بضم المشيخة الخليجية[٨٥]. ومع ذلك، أوضحت الصحيفة ان بريطانيا ترك القرار للكويتيين أنفسهم، بما يعكس حدود نفوذ الاتحاد العربي الهاشمي واعتماده على الموقف الغربي.

من خلال هذه التغطيات، رسمت صحيفة الاطلاعات صورة تحليلية ناقدة للاتحاد العربي الهاشمي، واعتبرته مشروعاً يفتقر منذ تأسيسه الى مقومات الصمود، إذ تحيط به أزمات سياسية واجتماعية خانقة داخل العراق، وأحداث إقليمية متفجرة في لبنان، وضغوط دولية مرتبطة بالمحور الغربي، وبهذا، ساهم خطاب الصحيفة في بلورة تصور مبكر يرى في الاتحاد تجربة شكلية محدودة، محكومة بالفشل نتيجة غياب الركائز المؤسسية والدعم الشعبي.

فيما يتعلق بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، تظهر تغطية صحيفة اطلاعات ان الحدث شكل محطة فارقة في اهتمامات الرأي العام الإيراني وصانعي القرار في طهران. ففي عددها الصادر بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨، نقلت الصحيفة اعلان إذاعة بغداد عن نجاح مجموعة من الضباط العراقيين في الإطاحة بالنظام الملكي وتأسيس حكومة جديدة برئاسة عبد الكريم قاسم، مع اتخاذ إجراءات فورية أبرزها اغلاق الحدود والمطارات وقطع الاتصالات مع الخارج. وقد عكست الصحيفة في متابعتها اللاحقة طبيعة الموقف الإيراني الرسمي، حيث بينت ان طهران أثارت الصمت إزاء التطورات، مكتفية بتلقي البرقيات المشفرة من بغداد ومناقشتها على مستوى مجلس الوزراء ووزارة الخارجية، مبررةً ذلك بغياب إمكانية التحقق من دقة المعلومات في ظل اغلاق الحدود. ويكشف هذا الموقف عن حذر متعمد، إذ تجنبت إيران ابداء موقف رسمي واضح قبل اتضاح معالم السلطة الجديدة في بغداد[٨٦]. اما في عددها الصادر بتاريخ ١٥ تموز ١٩٥٨، فقد انتقلت صحيفة اطلاعات الى تناول التداعيات الإنسانية والاجتماعية للانقلاب، مشيرةً الى احتجاز الحجاج الإيرانيين في العراق، ومنع العراقيين المقيمين في ايران من العودة الى وطنهم[٨٧]. كما أثيرت تساؤلات في الصحافة حول مصير صادرات النفط العراقية واحتمال تأثير امداداته، بما يكشف عن قلق اقتصادي مواز للهواجس السياسية. وفي السياق ذاته، نقلت الصحيفة بياناً صادراً عن السفارة العراقية في طهران أكدت فيه الحكومة العراقية الجديدة استعدادها لمواصلة المفاوضات مع إيران بشان القضايا العالقة، وخاصة ملف شط العرب[٨٨]، وهذا ما يشير الى سعي بغداد الى طمأنة طهران مبكراً بشأن القضايا الخلافية.

وفي عددها الصادر بتاريخ ١٦ تموز ١٩٥٨، وسعت الصحيفة من دائرة اهتمامها لتشمل التفاعلات الإقليمية والدولية المترتبة على الانقلاب. إذ أشارت الى اعلان العراق عزمه الانسحاب من الاتحاد العربي الهاشمي، وهذا ما مثل مؤشراً مبكراً على تفكك هذا المشروع، كما رصدت الصحيفة المواقف المتباينة للقوى الكبرى، حيث تحركت القوات الامريكية والبريطانية في لبنان والأردن والخليج لمواجهة التداعيات الإقليمية، في حين سارعت الجمهورية العربية المتحدة الى الاعتراف بالنظام الجديد، في خطوة عكست البعد القومي العربي للانقلاب[٨٩]. وبينت الصحيفة كذلك ان إذاعة بغداد، التي كانت تحت سيطرة

قادة الانقلاب، حاولت طمأنة الرأي العام المحلي والدولي عبر تأكيد على التزام العراق بالمعاهدات والالتزامات الدولية[٩٠]. وعليه، يمكن القول ان اهتمام إيران لم يكن منصباً على طبيعة النظام السياسي الجديد بقدر ما كان منصباً على انعكاسات التحول العراقي على مصالحها الحيوية، سواء ما يتعلق بأمن الحدود او بأوضاع رعاياها، او بمكنتها الإقليمية ضمن توازنات الحرب الباردة، ومن ثم فان تغطية صحيفة اطلاعات لا تعكس مجرد متابعة إعلامية، بل تمثل مرآة دقيقة لأولويات السياسة الإيرانية في تلك المرحلة.

وإذا كانت الصحافة الإيرانية قد مثلت الإطار الاوسع لرصد تطورات الاتحاد العربي الهاشمي والتعبير عن المواقف الشعبية والنخبوية أي اَن واحد، فان الاهتمام لم يقف عند حدود التغطية الإعلامية، بل تجاوزه ليشمل ما دونه بعض المفكرين والناشطين والسياسيين في كتاباتهم، الامر الذي اضفى على خطاب غير الرسمي بعداً تحليلياً أكثر عمقاً وتركيباً. فعلى صعيد النخب الفكرية، يبرز أسم صادق قطب زاده (١٩٣٦-١٩٨٢) الناشط في الفرع الطلابي للجبهة الوطنية الإيرانية حتى بعد سقوط حكومة مصدق في انقلاب ١٩٥٣، فقد عبر قطب زاده عن قناعة مفادها ان الاتحاد العراقي-الأردني يفتقر الى قاعدة اجتماعية وسياسية متينة، ورأى ان استمراره مرهون بإرادة ودعم القوى الدولية، لا بقدرة داخلية نابعة من توازنات العراق والأردن[٩١]. هذا الموقف يكشف عن إدراك مبكر لمحدودية الاتحاد العربي الهاشمي، واعتباره أقرب الى كيان ظرفي مؤقت أكثر منه مشروعاً وحدوياً طويل الأجل.

اما على المستوى الصحفي والإعلامي، فقد انشغل رواد الصحافة الإيرانية بدراسة الأوضاع الداخلية للعراق والأردن وتداعياتها على الاتحاد بنهما. وهنا برزت مواقف الشخصيات مثل عباس مسعودي (١٨٩٥-١٩٧٤) سياسي ومؤسس صحيفة اطلاعات الإيرانية ١٩٢٦، ومصطفى مصباح زاده (١٩٠٨-٢٠٠٦) حقوقي ومؤسس صحيفة كيهان الإيرانية، فقد أظهرت كتاباتهم ومتابعتهم اليومية اهتماماً بتفكيك العوامل البنيوية في كلا البلدين، مشيرين الى الانقسامات الاجتماعية و السياسية الداخلية قد تعرقل قدرة الاتحاد على الصمود[٩٢]. وفي السياق نفسه، قدم قادة حزب تود، ذي التوجه اليساري، رؤية أكثر وضوحاً وصرامة في نقد الاتحاد. فقد اعتبر كل من رضا رادمنش (١٩٠٥-١٩٨٤)، الأمين الأول

للحزب (١٩٤٨-١٩٦٠)، ورضا روستا (١٩١٨-١٩٦٦)، الأمين العام لاتحاد نقابات العمال الإيرانية (١٩٤٩-١٩٦٦)، ان الاتحاد العراقي-الأردني اقل تماسكاً بكثير من الاتحاد المصري-السوري، محذرين من انه يفتقر الى القاعدة الشعبية الحقيقية، كما دعوا الى مراقبة ردود الأفعال الشعبية العربية، ولاسيما في العراق والأردن، لتقييم المخاطر التي قد تنعكس ليس فقط على استقرار المنطقة، وانما ايضاً على الوضع الداخلي في إيران، خصوصاً فيما يتعلق بالأقليات العربية في إقليم الاحواز[٩٣]. يتضح من خلال هذه المواقف ان التصور الإيراني غير الرسمي تجاه الاتحاد تشكل في بيئة فكرية وإعلامية يغلب عليها الحذر والريبة، حيث اجمع المفكرون والصحفيون وقادة الأحزاب المعارضة على ان الاتحاد يفتقر الى قاعدة داخلية متماسكة، وان استمراره مرتبط أكثر بالدعم الخارجي المؤقت منه بمقومات ذاتيه قادرة على ضمان بقائه.

الى جانب ذلك، برزت في الخطاب الشعبي الإيراني إشارات متكررة الى ان الاتحاد العربي الهاشمي قد يفتح المجال امام العراق لتعزيز علاقاته مع بعض امارات الخليج العربي، الامر الذي اثار جملة من المخاوف لدى الإيرانيين تتعلق بإمكانية توسع النفوذ العربي في منطقة طالما اعتبرتها طهران جزءاً من مجالها الحيوي التقليدي. فقد أدركت الأوساط الشعبية الإيرانية ان الاتحاد العربي الهاشمي، إذا ما تمكن من تثبيت اقدامه، قد يشكل قاعدة انطلاق باتجاه الخليج، بما يحمله ذلك من تهديد مباشر لمكانة إيران التاريخية والسياسية في المنطقة. وتجسدت هذه المخاوف من خلال عدة امثلة عملية؛ فعلى الصعيد السياسي، كان ينظر الى الاتحاد بين العراق والأردن منصة محتملة للعراق لتعزيز نفوذه في الخليج العربي، بما يشمل إقامة تحالفات سياسية اقوى مع الامارات والكويت، ثم احتمال اقناع انضمام البحرين الى الاتحاد العربي الهاشمي، الذي اعتبرت في الوعي الشعبي والسياسي الإيراني جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الإيرانية، وهذا ما كان يعتبره تهديداً لتوازن القوى الإقليمية بالنسبة لإيران[٩٤]. ومن الناحية الاقتصادية، كان هذا الاتحاد قد يتيح للعراق فتح طرق تجارية جديدة عبر الخليج العربي، تشمل تصدير النفط والسلع الزراعية، الامر الذي قد قلل من فرص إيران التقليدية في السيطرة على الحركة التجارية الإقليمية. وعلى المستوى الاستراتيجي والأمني، كان من المتوقع ان يؤدي توطيد العلاقات بين العراق ودول

الخليج الى زيادة النفوذ العراقي في المنطقة، مما يثير القلق الإيراني بشأن السيطرة على مناطق حساسة مثل الاحواز وامتداد تأثيرها التقليدي(٩٥). وبذلك، تعكس هذه الأمثلة قراءة شعبية حذرة في إيران لمستقبل المنطقة، وتبرز ادراكاً للمخاطر المرتبطة بمحاولات توسع النفوذ العربي على حساب مصالحها.

يتضح من خلال مراجعة وتحليل المواقف الإيرانية تجاه مشروع الاتحاد العربي الهاشمي ان السياسة الرسمية لم تكن ثابتة، بل اتسمت بتأرجح دقيق بين الحذر والدعم المشروط، تبعاً لمقتضيات المصلحة القومية ومتغيرات البيئة الإقليمية والدولية. فقد نظرت إيران الى الاتحاد باعتبارها تهديداً محتملاً لنفوذها في الخليج العربي، خصوصاً مع تعزيز مكانة العراق، الدولة الجارة التي تجمعها بإيران خلافات حدودية ومائية مستمرة، أبرزها قضية شط العرب، فضلاً عن ذلك، أن الموقف الرسمية العراقية المناهضة للمطامع الإيرانية في البحرين ساهمت في تصعيد التوتر الثنائي. وفي هذا السياق، اتسم الموقف الإيراني الرسمي بالتحفظ والدقة في مراقبة تطورات الاتحاد العربي الهاشمي، مع محاولة الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية في مواجهة أي توسع عربي قد يضر بنفوذها في المنطقة.

اما على صعيد غير رسمي، تجلى موقف الرأي العام الإيراني والصحافة المحلية في قراءة الاتحاد من منظور أوسع يوازن بين المخاطر والفرص الإقليمية. فقد أدركت طهران ان بروز الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا في شباط ١٩٥٨، وصعود الفكر القومي الناصري المعارض للأنظمة الملكية الموالية للغرب مثل تحدياً مباشراً للنظام الملكي الإيرانية، لاسيما في ضل تنامي النشاط الشيوعي المدعوم من الاتحاد السوفيتي ودور حزب "توده" داخل البلاد. ومن هنا، أعادت إيران صياغة موقفها الاستراتيجي تجاه الاتحاد، معتبرة إياه أداة موازنة لتقيد المد الناصري والتمدد الايديولوجي في المنطقة، وكذلك وسيلة لتعزيز علاقاتها مع القوى الغربية، لاسيما بريطانية والولايات المتحدة الامريكية، بما يحقق لها حماية مصالحها الحيوة في الخليج والمشرق العربي. بناء على ذلك، يمكن القول ان الموقف الإيراني من الاتحاد العربي الهاشمي لم يكن مجرد انعكاس لعلاقات ثنائية مع العراق والأردن، بل تجسيداً لمعادلة معقدة من التوازنات الإقليمية والتفاعلات الدولية خلال أواخر

خمسينات القرن العشرين، مما يجعل الاتحاد محطة مفصلية في إعادة رسم السياسة الإيرانية في المشرق العربي، في سياق الصراعات الايديولوجية والتنافسات الإقليمية والدولية.

الخاتمة:

من خلال دراسة موقف إيران من الاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨، يمكن التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تسلط الضوء على طبيعة هذا الموقف وسياقاته الإقليمية والدولية. فقد كان الهدف الأساس من تأسيس الاتحاد العربي الهاشمي هو توحيد القوى الملكية في العراق والأردن لمواجهة المد القومي العربي بقيادة جمال عبد الناصر، الذي مثل تهديداً مباشراً للأنظمة الملكية العربية، سواء على مستوى شرعيتها السياسية أو استقرارها الداخلي. وفي هذا الإطار، سعى النظامان الملكيان في بغداد وعمّان إلى تعزيز سلطتهما عبر الاتحاد لمواجهة المد الناصري، والحد من تأثيراته على الشارع العربي، الذي كان ينظر إلى عبد الناصر بوصفه رمزاً للتحرر الوطني ومناهضة الاستعمار.

أما إيران، فقد تعاملت مع الاتحاد العربي الهاشمي بحذر شديد، إدراكاً منها أن أي تغيير سياسي في المنطقة العربية، وخاصة في العراق، يمكن أن ينعكس سلباً على أوضاعها الداخلية ومصالحها الاستراتيجية في منطقة الخليج العربي. ورغم تذبذب الموقف الإيراني من الاتحاد، إلا أن طهران رأت فيه سداً منيعاً أمام التوجهات القومية التوسعية لعبد الناصر، التي وجدت صدى واسعاً لدى الجماهير العربية، واعتُبرت تهديداً مباشراً لمصالح الأنظمة الموالية للغرب.

كما سعت إيران من خلال مراقبة هذا الاتحاد إلى الحد من انتشار الفكر الشيوعي، المدعوم من الاتحاد السوفيتي، والذي كان يشكل خطراً على استقرارها الداخلي، خاصة عبر نشاط حزب "توده" الإيراني. ومن ثمّ، فإن موقف إيران لم يكن نابعاً من قناعة بفكرة الاتحاد بقدر ما كان انعكاساً لمعادلة سياسية معقدة، جمعت بين حسابات الأمن القومي والخشية من صعود التيارات القومية والشيوعية في آن واحد.

وبذلك يمكن القول إن موقف إيران من الاتحاد العربي الهاشمي كان موقفاً براغماتي أكثر منه مبدئياً؛ فهي لم تؤيده كخيار استراتيجي دائم، ولم تعارضه بشكل مباشر، بل تعاملت معه بقدر من التوجس والانتظار، مستفيدة من وجوده كأداة لموازنة النفوذ الناصري

والحد من التغلغل الشيوعي. وهو ما يعكس الطابع المركّب للسياسة الخارجية الإيرانية في تلك المرحلة، التي كانت تتأرجح بين التحالف مع الغرب ومواجهة التهديدات الإقليمية، في محاولة للحفاظ على استقرار نظامها الملكي ومصالحها في المنطقة.

الهوامش:

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حسنين هيكل، وثائق ثورة يوليو، مركز الاهرام، (القاهرة: ١٩٨٢)، ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) هشام شرابي، النهضة العربية والوعي القومي، (بيروت: ١٩٧٨)، ص ٢١٤.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: عصام عبد الفتاح، الزعيم، من أيام الانتصار الى سنوات الانكسار، (القاهرة: ٢٠٠٩)، ص ٤٠ وما بعدها.

(٤) عبد العظيم رمضان، الثورة العربية الكبرى والفكر القومي العربي، (القاهرة: ١٩٨٤)، ص ٤٥.

(٥) فوزي طرابلسي، تاريخ لبنان الحديث، (بيروت:٢٠٠٨)، ص ١٨٧.

(٦) عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، (الدار البيضاء: ١٩٩٥)، ص ١٦٤.

(٧) منصور فرهنك، السياسة الخارجية الإيرانية في عهد الشاه، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد ١٢، ١٩٨١، ص ٩٢.

(٨) احمد الخطيب، الخليج العربي والصراع الإقليمي في الخمسينيات والستينات، (بيروت: ١٩٩٠)، ص ١٤٥.

(٩) د. عبد المجيد عبد الجليل احمد شلبي، العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١-١٩٦٣)، (القاهرة: ٢٠٠٠)، ص ٣٧١.

(١٠) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، العراق والثورة العربية الكبرى والوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: ١٩٩٠)، ص ٣١٨-٣٢٠.

(١١) فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في منطقة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ٤٦٧.

(١٢) أ.م.د. سرمد عكيدي فتحي العاني و أ.د. ستار محمد علاوي الحياني، موقف الأردن من المشاريع الغربية والمشاريع الوحدة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨ دراسة تاريخية، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد ٩٢، ٢٠٢٢، ص ٣٨٨.

(١٣) عبد الكريم غرايبة، تاريخ الأردن في قرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩، (عمان: ١٩٩١)، ص ٣٥٨.

(١٤) أرشد فالح عيسى العبد اللات، العلاقات الأردنية-العراقية ١٩٤٦-١٩٥٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٣، ص ١٢٨.

(١٥) غانم محمد صالح عبد الله، العراق والوحدة العربية بين (١٩٣٩-١٩٥٨) دراسة في الفكر و الممارسة، (بغداد: ١٩٨٦)، ص ٢٩١-٢٩٢.

(١٦) أ.م.د. أنور ناصر حسن، صفحات من تاريخ الوحدة العربية الاتحاد العربي الهاشمي نموذجاً، مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية، المجلد ٩، العدد ٣٩، اب ٢٠٢٢، ص ٢٥٥.

(١٧) مؤيد الونداوي، الاتحاد العربي الهاشمي في الوثائق البريطانية، المجموعة الوثائقية البريطانية الرسمية للاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن لعام ١٩٥٨، تقديم: سيار كوكب جميل، (بيروت: ٢٠١٣)، ص ١٢٠.

(١٨) أ.د. أديب صالح عبد منصور، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد العربي الهاشمي ١٩٥٨، الموقف والدعم، مجلة كلية التراث الجامعة، العدد ٣٣، كركوك، ٢٠١١، ص١٩٧.

(١٩) جهاد مجيد محي الدين، العراق والسياسة العربية ١٩٤١-١٩٥٨، (البصرة: ١٩٨٠)، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٢٠) أ.م.د. سرمد عكيد فتحي العاني وأ.م.د. ستار محمد علاوي الحياني، المصدر السابق، ص٣٨٩

(٢١) ليلى ياسين حسين الأمير، نوري سعيد ودوره في حلف بغداد وأثره في العلاقات العربية حتى عام ١٩٥٨، (بغداد: ٢٠٠٢)، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢٢) أ.د. اديب صالح عبد منصور، المصدر السابق، ص١٩٩؛ د. عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٣٧٩.

(٢٣) عبد الكريم غرايبة، المصدر السابق، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٢٤) مؤيد الونداوي، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٢٥) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٣، لسنة ١٩٥٨، قوانين الاتحاد الهاشمي، ص ١-٣.

(٢٦) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٣، لسنة ١٩٥٨، قوانين الاتحاد الهاشمي، ص ٣-٥.

(٢٧) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٣، لسنة ١٩٥٨، قوانين الاتحاد الهاشمي، ص ٥-٧.

(٢٨) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٣، لسنة ١٩٥٨، قوانين الاتحاد الهاشمي، ص ٨-١٢.

(٢٩) د.ك.و، البلاط الملكي، ديوان مجلس الوزراء، الملف ٣١١/٥١٣٢، لسنة ١٩٥٨.

(٣٠) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥٨٧٠، تقرير السفارة العراقية في عمان، الاتحاد العربي الهاشمي، و١٧، ص ٣٩.

(٣١) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥٨٧٠، تقرير السفارة العراقية في عمان، الاتحاد العربي الهاشمي، و١٠، ص ١٧.

(٣٢) منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، (عمان: ١٩٥٩)، ص ٦٨٩.

(٣٣) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٤٧٩١١، تقرير السفارة العراقية في عمان، أعضاء مجلس الاتحاد العربي الهاشمي، و٥، ص ٤٦.

)34(Robern Fernea (Other), The Iraqi Revolution of 1958 "The Old Social Classes Revisited", I.B. Tauris & Co. Ltd., Publishers, (London, 1st: 1991), p. 48.

(٣٥) د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٢، تقرير السفارة العراقية في عمان، صدى الاتحاد بين العراق والأردن، و٢٣، ص ٥٥.

)36(Waldemar J. Gallman, Iraq Under General Nuri: My Recollections of Nuri al-said 1954-1958, The John Hopkins, (Baltimore:1964), p 142.

(٣٧) مؤيد الونداوي، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٣٨) شكلت المشاكل الاقتصادية التي واجهت الاتحاد العرابي الهاشمي أحد عوامل الرئيسية التي دفعت العراق للسعي نحو ضم الكويت الى الاتحاد. فقد واجه الاتحاد في بدايته عدة تحديات، أبرزها مسالة تمويل ميزانية الاتحاد، حيث تنص المادة الرابعة والستون من الدستور الاتحادي على أن تتحمل العراق ٨٠% من ميزانية السنة الأولى لحكومة الاتحاد، بينما تتحمل الحكومة الأردنية ٢٠% فقط. وفي ضوء هذه المعطيات، سعت الحكومة العراقية الى معالجة هذه الإشكالية عبر محاولة ضم الكويت، والتي كان من المتوقع ان تسهم بمبلغ يقارب عشرة ملاين دولار لدعم الاقتصاد الأردني وتعزيز استقرار ميزانية الاتحاد. للمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر: ممدوح الروسان، العراق وقضايا المشرق العربي القومي ١٩٤١-١٩٥٨، (بيروت: ١٩٧٩)، ص ٤٠٧.

(٣٩) الدكتور محمد فاضل الجمالي، ذكريات وعبر من العدوان الصهيوني وأثرها في الواقع العربي، (بيروت: ١٩٦٤)، ص ٢٥٨.

(٤٠) محمد على حلة، الكويت بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي الهاشمي ١٩٥٨ دراسة الوثائقية، (الكويت: ١٩٨٢)، ص ٤٣-٤٥.

(٤١) أ.م.د. أنور ناصر حسن، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٤٢) للمزيد من التفاصيل حول ثورة ١٤ تموز، ينظر: صبحي عبد الحميد، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، (بيروت: ١٩٩٤)؛ د. فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق، (بغداد: ١٩٨٦).

(٤٣) عبد الأمير السلامي، الثورة العراقية ١٤ تموز ١٩٥٨، دراسة سياسية وتحليلية، (بغداد: ١٩٧٠)، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤٤) اسناد ديبلوماتيك وزارت أمور خارجه ايران، سند شماره ٤٥٢، تهران، خرداد ١٣٧٧ هـ.ش، ص ٥-٦.

(٤٥) اسناد ديبلوماتيك وزارت أمور خارجه ايران، سند شماره ٤٥٢، تهران، خرداد ١٣٧٧ هـ.ش، ص ٦-٧.

(٤٦) يحيى ژكاو، ايران وسياست عربى در دوران پهلوى دوم، (تهران: ١٣٨٥)، ص ٢٠-٢١.

(47) Mark J. Gasiorowski, U. S Foreign Policy and the Shah: Building a Clint State in Iran, I theca, NY, Cornell University Press,1991, p. 110-111.

(48) Ibid, P. 112.

(٤٩) منصور ابراهيمي، سياست خارجى ايران در دوران بهلوي دوم (١٣٣٢-١٣٥٧)، (تهران: ١٣٧٩)، ص ١١٢-١١٣.

(50) Touraj Atabaki, Iran and the Arab Word: Diplomatic Encounter 1945-1963, I.B.Tauris, (London: 2006), P.312-313.

(٥١) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٢٤/٥٨، ٢٣-٢٥ بهمن ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٢) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٥٨/٥٨، ١٧٦/٥٨، ١٩ اسفند، و١٠ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٣) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٨١/٥٨، ١٥ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٤) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩٠/٥٨، ١٩٤/٥٨، ٧-١٧ خردار ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٥) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩٩/٥٨، ٢٣ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٦) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٤٢/٥٨، ٢٧ بهمن-٦ اسفند ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٧) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٦٠/٥٨، ٢٩ اسفند ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٨) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٨٣/٥٨، ٢٢ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

(٥٩) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩١/٥٨، ١٧ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.

(٦٠) السافاك (SAVAK): وهو اختصار لكلمة "سازمان اطلاعات وامنيت كشور" باللغة الفارسية، وباللغة العربية تعني (منظمة الاستخبارات والأمن القومي الإيراني)، تأسس عام ١٩٥٧ في عهد الشاه محمد رضا بهلوي بدعم من CIA والموساد الاسرائيلية، وكان الجهاز الأمني الرئيس للنظام حتى الثورة الإسلامية ١٩٧٩، واشتهر هذا الجهاز بمراقبة المعارضين السياسيين، ومراقبة الصحافة والأحزاب والنقابات، والتجسس الداخلي والخارجي، وقمع أي نشاط معارض للنظام الملكي. واشتهر باستخدام أساليب القمع والتعذيب، حتى أصبح رمزاً للاستبداد في عهد الشاه. للمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر: تقي نجار راد، السافاك، منظمة السافاك ودورها في التطور الأوضاع الداخلية لإيران في عهد الشاه، ترجمة: محمود سلامة علاوي، (القاهرة: ٢٠٠٣).

(٦١) تقي نجار راد، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢

(٦٣) يحيى ذكاء، منبع قبلي

(٦٤) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٧٦/٥٨، ١٧ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.

(٦٥) ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩٩/٥٨، تير ١٣٣٧ هـ.ش.

)66(FO 371/123460, Political Department, General Correspondence, The National Archives, London, February 1958, P. 12-13.

)67(FO 371/123461, Political Department, General Correspondence, The National Archives, London, May 1958, P. 5-9.

)68(FO 371/123462, Political Department, General Correspondence, The National Archives, London, June 1958, P. 10-12.

(٦٩) روزنامى اطلاعات، ٢٥ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٠) روزنامى اطلاعات، ٢٦ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧١) روزنامى كيهان، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٢) روزنامى كيهان، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٣) روزنامى صدا مردوم، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٤) روزنامى صدا مردوم، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٥) روزنامى صدا مردوم، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٦) روزنامى فرمان، ٢٨ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٧) روزنامى فردوس، ٢٩ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٨) روزنامى فردوس، ٢٩ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

(٧٩) روزنامى اطلاعات، ١٠ اسفند ١٣٣٦ هـ.ش.

(٨٠) محمد محجوب، الوحدة العربية وموقفها القوى الإقليمية والدولية منها (١٩٤٥-١٩٦٧)، (القاهرة: ١٩٩٠)، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٨١) روزنامى اطلاعات، ١٠ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٢) روزنامى اطلاعات، ٣ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٣) للتفاصيل عن احداث ازمة لبنان انظر: د. عباس أبو صالح، الازمة اللبنانية عام ١٩٥٨في ضوء وثائق يكش عنها لأول مرة، (بيروت: ١٩٩٨).

(٨٤) روزنامى اطلاعات، ١٨ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٥) روزنامى اطلاعات، ٨ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٦) روزنامى اطلاعات، ٢٣ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٧) روزنامى اطلاعات، ٢٤ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٨) روزنامى اطلاعات، ٢٥ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٨٩) روزنامى اطلاعات، ٢٥ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٩٠) روزنامى اطلاعات، ٢٥ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

(٩١) اروند ابراهيميان، ايران ميان دو انقلاب، (تهران: ١٣٦٢)، ص٢٢٣-٢٢٤.

)92(Abbas Milani, The Making of Iran' s Press, (New Yurok: 2000) P.188-190.

)93(D. N. Wilber, Contemporary Iran, (London: 1969), P.145.

(٩٤) د.ك.و، بلاط الملكي، وزارة الخارجية، رقم الملف ٣١١/٥١٣٢، تقرير سفارة العراق في طهران، المرقم س ٦٨/١، بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٨.

(٩٥) د.ك.و، بلاط الملكي، وزارة الخارجية، رقم الملف ٣١١/٥١٣٢، تقرير سفارة العراق في طهران، المرقم س ٦٨/١، بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٨.

قائمة المصادر:

الوثائق غير المنشورة:

اولاً: الوثائق دار الكتب و الوثائق العراقية:

١. د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٤٧٩١١، تقرير السفارة العراقية في عمان، أعضاء مجلس الاتحاد العربي الهاشمي، و٥.

٢. د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٢، تقرير السفارة العراقية في عمان، صدى الاتحاد بين العراق والأردن، و٢٣.

٣. د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥١٣٣، لسنة ١٩٥٨، قوانين الاتحاد الهاشمي.

٤. د.ك.و، البلاط الملكي، الملف ٣١١/٥٨٧٠، تقرير السفارة العراقية في عمان، الاتحاد العربي الهاشمي.

٥. د.ك.و، البلاط الملكي، ديوان مجلس الوزراء، الملف ٣١١/٥١٣٢، لسنة ١٩٥٨.

٦. د.ك.و، بلاط الملكي، وزارة الخارجية، رقم الملف ٣١١/٥١٣٢، تقرير سفارة العراق في طهران، المرقم س ٦٨/١، بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٨.

ثانياً: وثائق أرشيف الوزارة الخارجية الإيرانية:

١. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٢٤/٥٨، ٢٣-٢٥ بهمن ١٣٣٧ هـ.ش.

٢. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٥٨/٥٨، ١٧٦/٥٨، ١٩ اسفند، و١٠ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

٣. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٨١/٥٨، ١٥ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

٤. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩٠/٥٨، ١٩٤/٥٨، ٧-١٧ خردار ١٣٣٧ هـ.ش.

٥. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش هاى سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩٩/٥٨، ٢٣ تير ١٣٣٧ هـ.ش.

٦. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش های سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٤٢/٥٨، ٢٧ بهمن-٦ اسفند ١٣٣٧ هـ.ش.
٧. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش های سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٦٠/٥٨، ٢٩ اسفند ١٣٣٧ هـ.ش.
٨. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش های سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٨٣/٥٨، ٢٢ ارديبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.
٩. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش های سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩١/٥٨، ١٧ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.
١٠. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش های سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٧٦/٥٨، ١٧ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.
١١. ارشيو وزارت أمور خارجه ايران، بخش مكاتبات عيراق، گزارش های سفارت ايران در بغداد، سند شماره ١٩٩/٥٨، تير ١٣٣٧ هـ.ش.
١٢. اسناد ديبلوماتيك وزارت أمور خارجه ايران، سند شماره ٤٥٢، تهران، خرداد ١٣٧٧ هـ.ش.

ثالثاً: الوثائق البريطانية:

1. FO 371/123460, Political Department, General Correspondence, The National Archives, London, February 1958.
2. FO 371/123461, Political Department, General Correspondence, The National Archives, London, May 1958.
3. FO 371/123462, Political Department, General Correspondence, The National Archives, London, June 1958.

الرسائل و الاطاريح الجامعية:

١. أرشد فالح عيسى العبد اللات، العلاقات الأردنية-العراقية ١٩٤٦-١٩٥٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٣، ص ١٢٨.

الكتب العربية والمعربة:

٢. احمد الخطيب، الخليج العربي والصراع الإقليمي في الخمسينيات والستينات، (بيروت: ١٩٩٠).

٣. تقي نجار راد، السافاك، منظمة السافاك ودورها في التطور الأوضاع الداخلية لإيران في عهد الشاه، ترجمة: محمود سلامة علاوي، (القاهرة: ٢٠٠٣).

٤. جهاد مجيد محي الدين، العراق والسياسة العربية ١٩٤١-١٩٥٨، (البصرة: ١٩٨٠).

٥. د. عباس أبو صالح، الازمة اللبنانية عام ١٩٥٨في ضوء وثائق يكش عنها لأول مرة، (بيروت: ١٩٩٨).

٦. د. عبد المجيد عبد الجليل احمد شلبي، العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١-١٩٦٣)، (القاهرة: ٢٠٠٠).

٧. الدكتور محمد فاضل الجمالي، ذكريات وعبر من العدوان الصهيوني وأثرها في الواقع العربي، (بيروت: ١٩٦٤).

٨. صبحي عبد الحميد، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، (بيروت: ١٩٩٤)؛ د. فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق، (بغداد: ١٩٨٦).

٩. عبد الأمير السلامي، الثورة العراقية ١٤ تموز ١٩٥٨، دراسة سياسية وتحليلية، (بغداد: ١٩٧٠).

١٠. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، العراق والثورة العربية الكبرى والوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: ١٩٩٠).

١١. عبد العظيم رمضان، الثورة العربية الكبرى والفكر القومي العربي، (القاهرة: ١٩٨٤).

١٢. عبد الكريم غرايبة، تاريخ الأردن في قرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩، (عمان: ١٩٩١).

١٣. عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، (الدار البيضاء: ١٩٩٥).

١٤. عصام عبد الفتاح، الزعيم، من أيام الانتصار الى سنوات الانكسار، (القاهرة: ٢٠٠٩).

١٥. غانم محمد صالح عبد الله، العراق والوحدة العربية بين (١٩٣٩-١٩٥٨) دراسة في الفكر و الممارسة، (بغداد: ١٩٨٦).
١٦. فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في منطقة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨، (بغداد: ١٩٧٨).
١٧. فوزي طرابلسي، تاريخ لبنان الحديث، (بيروت:٢٠٠٨).
١٨. ليلى ياسين حسين الأمير، نوري سعيد ودوره في حلف بغداد وأثره في العلاقات العربية حتى عام ١٩٥٨، (بغداد: ٢٠٠٢).
١٩. محمد حسنين هيكل، وثائق ثورة يوليو، مركز الاهرام، (القاهرة: ١٩٨٢).
٢٠. محمد على حلة، الكويت بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي الهاشمي ١٩٥٨ دراسة الوثائقية، (الكويت: ١٩٨٢).
٢١. محمد محجوب، الوحدة العربية وموقفها القوى الإقليمية والدولية منها (١٩٤٥-١٩٦٧)، (القاهرة: ١٩٩٠).
٢٢. ممدوح الروسان، العراق وقضايا المشرق العربي القومي ١٩٤١-١٩٥٨، (بيروت: ١٩٧٩).
٢٣. منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، (عمان: ١٩٥٩).
٢٤. مؤيد الونداوي، الاتحاد العربي الهاشمي في الوثائق البريطانية، المجموعة الوثائقية البريطانية الرسمية للاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن لعام ١٩٥٨، تقديم: سيار كوكب جميل، (بيروت: ٢٠١٣).
٢٥. هشام شرابي، النهضة العربية والوعي القومي، (بيروت: ١٩٧٨).

الكتب الفارسية:

١. اروند ابراهيميان، ايران ميان دو انقلاب، (تهران: ١٣٦٢).
٢. منصور ابراهيمي، سياست خارجى ايران در دوران بهلوي دوم (١٣٣٢-١٣٥٧)، (تهران: ١٣٧٩).
٣. يحيى ژكاو، ايران وسياست عربى در دوران پهلوى دوم، (تهران: ١٣٨٥).

الكتب الإنكليزية:

1. Abbas Milani, The Making of Iran' s Press, (New Yurok: 2000).
2. D. N. Wilber, Contemporary Iran, (London: 1969).
3. Mark J. Gasiorowski, U. S Foreign Policy and the Shah: Building a Clint State in Iran, I theca, NY, Cornell University Press,1991.
4. Robern Fernea (Other), The Iraqi Revolution of 1958 "The Old Social Classes Revisited", I.B. Tauris & Co. Ltd., Publishers, (London, 1st: 1991).
5. Touraj Atabaki, Iran and the Arab Word: Diplomatic Encounter 1945-1963, I.B.Tauris, (London: 2006).
6. Waldemar J. Gallman, Iraq Under General Nuri: My Recollections of Nuri al-said 1954-1958, The John Hopkins, (Baltimore:1964).

البحوث المنشورة:

١. أ.د. أديب صالح عبد منصور، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد العربي الهاشمي ١٩٥٨، الموقف والدعم، مجلة كلية التراث الجامعة، العدد ٣٣، كركوك، ٢٠١١.

٢. أ.م.د. أنور ناصر حسن، صفحات من تاريخ الوحدة العربية الاتحاد العربي الهاشمي نموذجاً، مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية، المجلد ٩، العدد ٣٩، اب ٢٠٢٢.

٣. أ.م.د. سرمد عكيدي فتحي العاني و أ.د. ستار محمد علاوي الحياني، موقف الأردن من المشاريع الغربية والمشاريع الوحدة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨ دراسة تاريخية، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد ٩٢، ٢٠٢٢.

٤. منصور فرهنك، السياسة الخارجية الإيرانية في عهد الشاه، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد ١٢، ١٩٨١.

الصحف الايرانية:

١. روزنامى اطلاعات، ١٠ اردیبهشت ١٣٣٧ هـ.ش.

٢. روزنامى اطلاعات، ١٠ اسفند ١٣٣٦ هـ.ش.

٣. روزنامى اطلاعات، ١٨ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.
٤. روزنامى اطلاعات، ٢٣ تير ١٣٣٧ هـ.ش.
٥. روزنامى اطلاعات، ٢٤ تير ١٣٣٧ هـ.ش.
٦. روزنامى اطلاعات، ٢٥ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.
٧. روزنامى اطلاعات، ٢٥ تير ١٣٣٧ هـ.ش.
٨. روزنامى اطلاعات، ٢٦ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.
٩. روزنامى اطلاعات، ٣ خرداد ١٣٣٧ هـ.ش.
١٠. روزنامى اطلاعات، ٨ تير ١٣٣٧ هـ.ش.
١١. روزنامى صدا مردوم، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.
١٢. روزنامى فردوس، ٢٩ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.
١٣. روزنامى فرمان، ٢٨ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.
١٤.روزنامى كيهان، ٢٧ بهمن ١٣٣٦ هـ.ش.

تبصرة ذوي الألباب في تحقيق مقدار النصاب

تصنيف القاضي عبد الله بن محسن الصنعاني (ت١٢٤٠هـ)

لأول مرة تحقق على أربع نسخ القسم الأول حققها وعلق عليها

أ.م.د. عمر سعدون حمود

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثالثة

أ.د. مقتدر حمدان عبد المجيد

أستاذ الاقتصاد الإسلامي

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

Dr.Assist. Prof.Omar Saadoun Hamoud

Ministry of Education / Directorate of Education of Rusafa III

rusafuamanger@gmail.com

07705333380

Prof. Dr. Muqtader Hamdan Abdul Majeed

University of Baghdad

Ibn Rushd College of Education

Professor of Islamic Economics

Muqtadir.hamdan@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

07801128080

تبصرة ذوي الألباب في تحقيق مقدار النصاب تصنيف القاضي عبد الله بن محسن الصنعاني (ت١٢٤٠هـ) لأول مرة تحقق على أربع نسخ القسم الأول حققها وعلق عليها

أ.م.د. عمر سعدون حمود

أ.د.مقتدر حمدان عبد المجيد

ملخص :

تنوعت اهتمامات المسلمون عبر العصور وبخاصة فيما يتعلق بالأمور الشرعية ومنها معرفة النصاب الذي يشكل عنصر أساس في تسديد الديات وما يتعلق بها . فهو والحال هذه مهم في عقود الزواج ، والزكاة ، والأروش . وهنا كان اهتمام القاضي الحيمي بهذا الموضوع وخصص له رسالته لبيان ما يتعلق به من أحكام ومقادير .

Summary:

The interests of Muslims have varied throughout the ages, especially with regard to Shari'ah matters, including the knowledge of the nisab, which is a basic element in the payment of blood money and what is related to it. This is important in the case of marriage contracts, zakaah and al-arsh. Here was the attention of Al-Qadi al-Haymi to this subject and devoted his letter to him to explain the rulings and amounts related to it.

التعريف بالمؤلف :

السيد القاضي العلامة فخر الإسلام عبد الله بن محسن [١] الحيمي [٢] ثم الصنعاني [٣] ، هو من بيت السادة الحيمي أولاد السيد علي بن عبد الله الحيمي المعاصر لدولة الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم [٤] في القرن الحادي عشر الهجري [٥] ، قال الإمام الشوكاني عن جدهم : (القاضي العلامة الكامل الأكمل والفاضل الفهامة الأجل) [٦] . ولد سنة ١١٧٠هـ [٧] ، بصنعاء ، ونشأ بها [٨] ، وتلا بعض القراءات على بعض شيوخ [٩] ، ثم قرأ الفقه على الشيخ احمد بن عامر الحدائي [١٠] ، ورافق الإمام

الشوكاني في قراءة النحو على الشيخ عبد الله بـــن إسماعيل النهمي [١١] ، وقرأ على الإمام الشوكاني شرح غاية السؤل فـــــي أصول الفقه [١٢] ، كما سمع من الشوكاني تيسير الوصول [١٣] . واستفاد في فنون عدة ودرس في كثير منها ونقل كثيراً من رسائل الإمام الشوكاني [١٤] . وما زال ملازماً للإمام للشوكاني في كثير من الأوقات ، وبينهما صداقة خالصة وصحبة صحيحة ، لم يسلم رحمه الله من التعصب من الجهال كما وصفه شيخه وصاحبه الإمام الشوكاني [١٥] ، وجرت له بسبب ذلك محن وهو صابر محتسب . توفي سنة ١٢٤٠هـ [١٦] . له مؤلفات منها : تبصرة ذوي الألباب فـــي تحقيق النصاب ، ومسائل الشفعة [١٧] .

النسخ المعتمدة في التحقيق :

بحمد الله وتوفيقه تمكن من الحصول على أربع نسخة كلها تامة :

١. الأولى : نسخة جامعة برنستون ، نسخة تامة متقنة ، تحمل الرقم ١٥٨٨ . وهي التي جعلتها الأصل ، كتبت بعض كلماتها باللون الأحمر ، عدد صفحاتها ١٣ صفحة ، في كل صفحة (٣٢) سطر ، وفي كل سطر (١٤) الى (١٧) كلمة . ولكن لم يكتب اسم الناسخ أو تاريخ النسخ . رمزت لها بالحرف (ب) .
٢. الثانية : نسخة الجامع الكبير في صنعاء ، بخط محمد حسن سالم ، عبارات الثناء والمديح واضحة للمؤلف ، نسخت سنة ١٣١٣هـ . تمت مقابلتها على نسخة المؤلف . تتكون من (٢٤) صفحة ، في كل صفحة (٣٤) سطر ، في كل سطر ١٠ _ ١٢ كلمة ، وخطها نسخ جيد ، ، بعض كلماتها من غير تنقيط ، وبعضها الأخر كُتبت باللون الأحمر . رمزت لها بالحرف (ص) .
٣. الثالثة : نسخة مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عدد صفحاتها (٢٤) صفحة ، في كل صفحة ١٢ سطراً ، وفي كل سطر ١٤ كلمة ، وخطها جيد واضح . الناسخ حسن بن المهدي بن محمد بن القاسم ، تم الفراغ من النسخ وقت الصبح من الساعة الثانية يوم الخميس سنة ١٣٢١هـ . ورمزت لها بالحرف (ز) .

٤. الرابعة : نسخة جامعة الملك سعود ، تحمل الرقم (٢٣٥) ، عدد صفحاتها (٢٦) صفحة في كل صفحة (٢٥) سطر ، وفي كل سطر ١٥ كلمة ، تاريخ النسخ ١٢٩٣هـ ، خطها جيد . ولم يذكر اسم الناسخ . ورمزت لها بالحرف (س) .

منهج التحقيق :

رأينا أن يكون التحقيق على وفق الخطوات الآتية :

١. تم نسخ المخطوطة باليد .

٢. قابلنا باقي النسخ على نسخة الأصل ، وقد ذكرنا الفروق ومواضع الخلاف ، حيث أشرنا إلى الكلمات التي وقع فيها الخلاف في المتن وذكرت الكلمة المقابلة لها في الهامش. وقد اخترنا الكلمة المناسبة وما يقتضيه النص وجعلتها في المتن، وقلنا ما أثبتنا هو الصحيح .

٣. تضمنت الرسالة آيات قرآنية ، قمنا بذكر السورة ورقم الآية .

٤. تخريج الأحاديث النبوية والأثار من كتب الحديث .

٥. وتضمنت الرسالة إحالات ونقول من مصادر أخرى من الفقه الزيدي رجعت اليها وحسب توافرها فبعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوط ، وبعضها لم نعثر عليه .

٦. قمنا بكتابة الأحرف على وفق القواعد الإملائية الحديثة .

٧. ترجمنا للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة .

٨. تم التعريف بجميع الأماكن والمواضع التي وردت في الرسالة .

٩. أعطينا تعريفات للمصطلحات الفقهية والاقتصادية التي وردت في الرسالة .

١٠. في بعض المواضع وجدنا من المناسب التعليق للإيضاح والفائدة في أمر ما أو إزالة إشكال .

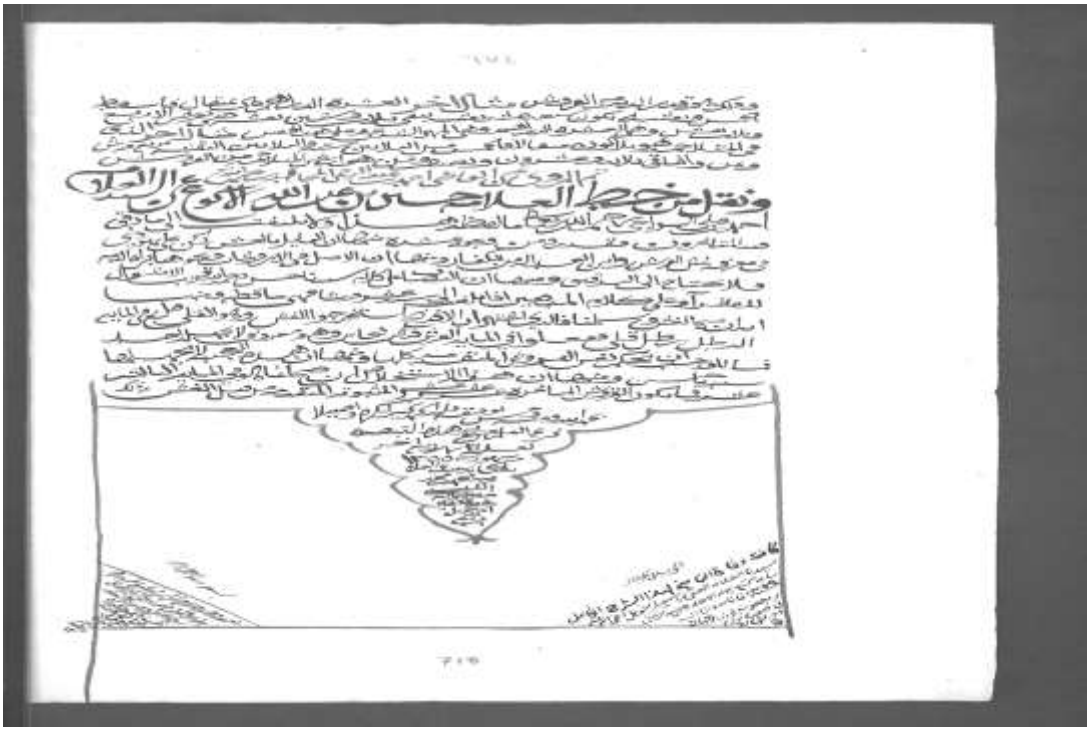
١١. عزونا الأقوال والنصوص التي استقاها المؤلف إلى أصحابها ومن مصنفاتهم ، بقدر توفر تلك الكتب بين أيدينا .

١٢. وختمنا عملنا هذا بقائمة مصادر ومراجع التحقيق .

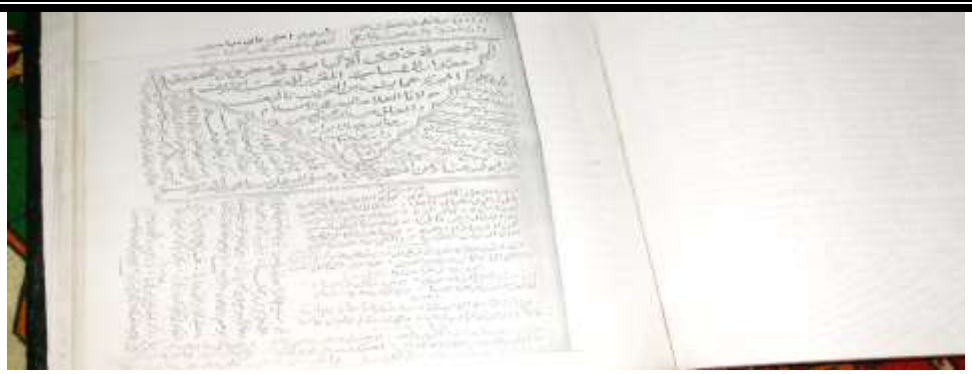
صور المخطوط :



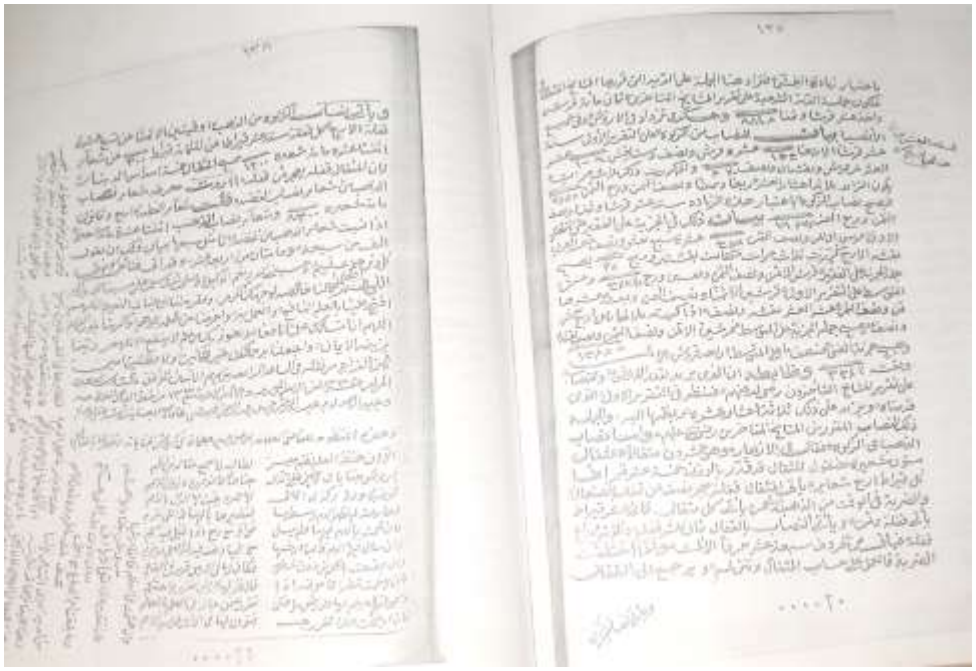
صفحة العنوان من النسخة ب



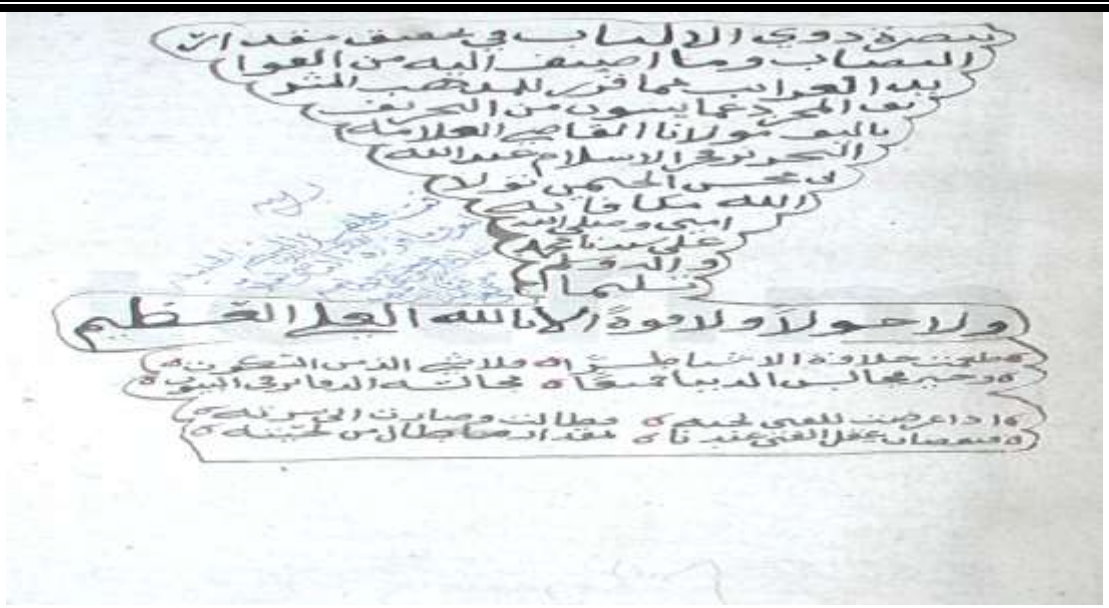
الأخيرة من النسخة ب



الأولى من النسخة ص



الأخيرة من النسخة ص



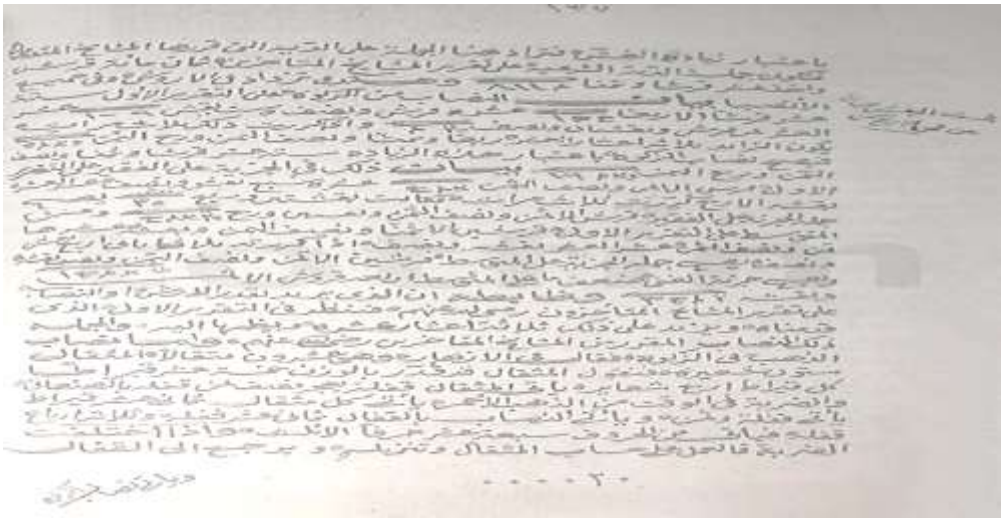
الأولى من النسخة ز



الأخيرة من النسخة ز



الأولى من النسخة س



الأخيرة من النسخة س

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين ونتوكل ونبتدي ونختم] [١٨]

أحمدك ولست أحصى الثناء عليك دائما أبدا ، والشكر لك يا من رادف علينا النعم سرمداً ، والصلاة والسلام النبي الأواه وعلى أهل بيته سفينة النجاة ، اللهم ثبت أقدامنا من الرحل ، واغسل قلوبنا من الشك والخطأ والزلل، ونرجو ان نكون من الذين تمسكوا بالقران كتابك ، وبما جاء به الرسول محمد الأمين .

وبعد :

فان العلماء مشايخ المذهب الزيدي في مدينة صنعاء [١٩] ، ومدينة ذمار [٢٠] المتقدمين أرضاهم الله تعالى برحمته وغفرانه . أجمعوا على تقدير الدية [٢١] بالقروش [٢٢] المنتشرة في عصرنا ، وذلك بعد استبعاد ما فيها من الغش ، والغش هو ذلك النحاس المخلوط مع الفضة، إذ بالغوا في ذلك حتى تمكنوا من معرفة كمية الفضة ، وعلى أساسه توصلوا إلى مقدار الدية ، ومن بعد ذلك عرفوا نصاب الزكاة [٢٣] ، وبالتالي تمكنوا من تقدير نصاب السرقة ، وكذلك الجزية [٢٤] الواجب دفعها من أهل الذمة . وترتب على ذلك معرفة مقدار أرش الجنايات [٢٥] ، المنصوص عليها وغيرها .

ثم تعقبهم المشايخ المتأخرون في المدينتين المشهورتين بالعلم في اليمن [٢٦] ؛ وذكروا بأنه وقع منهم الاختبار للقرش كم فيه من الفضة وكم فيه من غش النحاس ، وذكروا بأنهم وجدوا في القرش الفرانص [٢٧] ، غشاً زائداً على ما وجده المشايخ المتقدمون [٢٨] . وانه وقع منهم الاختبار للغش، ولما وجدوا ذلك وقعت الزيادة في نصاب الدية ، والزكاة ، والجزية ، والأروش وغيرها ، في كل نصاب كل واحد من هذه الأنواع بقدر ما قابل من زيادة الغش ، وأسقطوا زيادة الغش من قفال [٢٩] الفضة والقروش . وسأذكر ان شاء الله تعالى التقرير الأول وتفصيله ، والتقرير الأخير وبيانه ، وابين ما يجب على الجاني ، وأوضح ما له الخيار فيه، وما يختاره عليه ان يسلمه إلا ان اختار ان تكون الدية من النقدين فلا خيار له. ولم يوجب ذلك إلا انه ربما يسأل الجاني ما يلزم في أرش جنايته له فيقول المسؤول ويجيب بأنه يلزم كذا في الجناية ، فيعتقد السائل ان ذلك يلزمه لا غيره وان ليس له الخيار . وان

من يريد معرفة أرش الجائفة [٣٠] ، فيقال له عليك كذا ما القروش وهو ثلث الدية . أو يطلب معرفة ما عليه من جناية ثانية فالجواب : عليك كذا من القروش ، وكذا ما يقابلها بالمثاقيل . ويغفل المسؤول في جوابه أن يقول : يلزمك كذا من الدراهم ، وكذا من الإبل ، وكذا من البقر ، وكذا من الغنم ، وكذا من الفضة ، أو يسأله عن جناية أخرى والخيار له في ذلك ، ما اختار تسليمه له ذلك ويجاب وكذلك ما يلزمه فيما جناه صح أصل فيقول له : عليك من القروش وما يقابلها بالمثاقيل ، ولم يخبره المسؤول أن عليه : كذا من الدراهم [٣١]، أو كذا من الدنانير ، أو من الإبل كذا ، أو من البقر كذا ، أو من الغنم كذا ، لأجل يختار ما يناسبه .

قال شيخنا العلامة النحرير فخر الدين شيخ المحققين المجتهد عبد الله بن محسن الحيمي أعاد الله من بركاته وأفاد بعلومه المسلمين وابقاه . فأقول وبالله التوفيق في أمر : ان الدية التي نُص عليها في السنة هي مئة من الإبل ، مائتان من البقر ، ألفان من الغنم ، ألف مثقال بالذهب [٣٢]، ومن الفضة عشرة الاف درهم .

أما الإبل : الواجـــب فيها يكون أرباعا منوعة وفق ما قاله الإمام عليه السلام [٣٣] : ربع [٣٤] جذع [٣٥] ذات أربعة أعوام ، وربع حقة ذات ثلاثة أعوام [٣٦] ، وربع بنت لبون ذات حولين [٣٧] ، وربع بنت مخاض ذات حول [٣٨] . مستدلا على ذلك بما رواه أبو داود [٣٩] عن عاصم بن ضمرة [٤٠] قال الامام علي عليه السلام [٤١] : الخطاء أرباعاً [٤٢] ، حقة خمس وعشرون ، ومثلها جذعة ، ومثلها بنت مخاض ، ومثلها بنت لبون انتهى [٤٣] .

وكذلك أخرجه الإمام زيد بن عليه عليه السلام [٤٤] عن أبيه عن جده ، إلى ان قال : ومن الإبل مائة ربع جذاع ، وربع حقاق ، وربع بنات مخاض ، وربع بنات لبون [٤٥] . وهذا دليله وإن كانت هناك روايات أخرى لم تصح له إلا ما ذكر في تنويع الإبل .

وأما البقر : فمئتان، وسنها يكون على وفق ما مذكور في الزكاة، تبيع أو مسنة هنـ ، كما ورد في البيان [٤٦] . ويجزأ الذكر هنـ عن الأنثى ، كما قرره [٤٧] سيدنا حسن بن احمد الشبيبي [٤٨] رحمه الله تعالى .

ومن الضأن الجذع والثني ، ومن المقرف هنـ ، الدليل عليه ما رواه أبو داود بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه قضى في الدية : (على أهل الإبل مائة ، وعلى أهل البقر مائتين، وعلى أهل الغنم الفين) [٤٩] .

وأما الشاء : فالفان ؛ ويجزيء الجذع هنـ من الضأن ، والثني [٥٠] من المقرف [٥١] ، ويكون الذكر مجزي عن الانثى على وفق ما قاله في شرح الازهار [٥٢] .

ودليل عليه ما جاء في أخر حديث أبو داود [٥٣] عن عطاء بن أبي رباح ، الذي قال فيه صلى الله عليه واله وسلم على أهل الشاة : (الفي شاة) [٥٤] . إذ صح هذا الدليل عند الامام [٥٥] . نعم [٥٦] ؛ وهذه الأصناف الثلاثة يجب ان تكون خالية من أي عيب يؤدي إلى انقاص القيمة .

والذهب فإن الواجب يكون ألف مثقال والوحد منه يساوي ستون شعيرة [٥٧] . واستدل بما أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام ان الدية بالذهب : (ألف مثقال ، المثقال ستون شعيرة) [٥٨] . ومن الواجب على من وجب عليه ان يدفع الدية ذهبا ان يكون خالي من أي غش .

وأما الفضة : الواجب فيها ان تكون خالصة عشر آلاف درهم، الواحد منها اثنين واربعون شعيرة . واستدل بما أخرجه الامام زيد عليه السلام في قتل النفس بالخطأ : (من الوَرِق [٥٩] عشرة آلاف درهم) [٦٠] . فهذا دليل الإمام عليه السلام . ولم يصح عند الامام عليه السلام [٦١]، غير ذلك لاختلاف الروايات .

قال الشيخ الحيمي : ان المشايخ المتقدمون قرروا ان الدية أو ما يقابلها سبعمائة وسبعة وثمانون قرش ونصف ، والجاني يكون له الحق في الاختيار من أيها شاء يدفع الدية [٦٢] .

وان ما يختاره عليه ان يسلمه إلى من يرث المقتول ان رادوا قبول الدية . وعلى الجاني ان تكون الدية من النوع الذي يختاره ، ولا يحق له الرجوع فيما اختاره إلى نوع آخر ، لأن هذه حقوق .

قال في الأزهار [٦٣] : (ويخير الجاني فيما بينها) [٦٤] . أي على هذه الأصناف . وكذلك عاقلة الجاني [٦٥] يكون لهم الخيار .

نعم ؛ فالجنايات التي ورد الشرع بتقدير أرشها عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ما ورد في كتاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إلى أهل اليمن [٦٦] ، وهو الذي كتب فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : (من اغتبط مؤمناً قتلاً ...) [٦٧] إلى تمام الحديث .

في الأنف : كامل الدية إذا أوعب جدعه [٦٨] . واستدل بقول النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الدية تجب في الانف إذا أوعب ، وفي اللسان ، وفي الذكر [٦٩] . مئة من الإبل، مائتان من البقر، ألفان من الغنم، ألف مثقال ذهب، عشرة آلاف درهم فضة .

قال الإمام عليه السلام : وكذلك تجب الدية في انقطاع الولد، والقول [٧٠] ، والعقل ، والغائط ، وسلس البول . أما العقل : فدليله الحديث الذي رواه معاذ [٧١] أخرجه البيهقي [٧٢]. وأما سلس البول : الدليل عليه ما رواه الامام جعفر بن محمد [٧٣] عن أبيه [٧٤] عن علي عليهم السلام ان الدية تجب لمن ضرب حتى سلس البول عنده [٧٥] . وأما سلس الغائط : فدليله القياس على سلس البول . وأما الذكر من الأصل : فإن الدليل عليه كتاب النبي إلى أهل اليمن المار ذكره . وأما القول : فالدليل عليه قياسه على السمع .

قوله في الأزهار : (وفي انقطاع الولد) [٧٦] . الدليل عليه ما أخرجه أحمد [٧٧] ، وابن أبـــي شيبة [٧٨] ، عن أبو خالد [٧٩] عن عوف [٨٠] قال سمعت أبو المهلب [٨١] عم أبي قلابة [٨٢] ، قال : (رُمي رجل في زمن عمر بالحجر في رأسه حتى ذهب سمعه ، وبصره ، وعقله ، ونكاحـــه ، فقضى فيه بأربع ديات ، وهو حي ، ولم يخالف عمر واحد من الصحابة) [٨٣] .

واللسان [٨٤] . استدل عليه بما جاء في كتاب رسول الله إلى أهل اليمن، ويعضده ما رواه الحاكم [٨٥] من حديث الامام الباقر [٨٦] عليه السلام إن النبي صلى الله عليه واله وسلم سُئل عن الجمال [٨٧] ، وقد ضحك لما رأى جمال عمه العباس [٨٨] رضي الله عنه سروراً به فقال : (هـــو اللسان) [٨٩] . وقد أخرج العسكري [٩٠] في الأمثال [٩١] من حديث ابن عائشة [٩٢] عن أبيه [٩٣] . ورواه الخطيب [٩٤] ، وأبو طاهر [٩٥] من حديث جابر بلفظ : (جمال الرجل لسانه) [٩٦] .

قوله وكذلك الدية تجب في أي حاسة كاملة [٩٧] . مستدلا بما قاله ابن حجر العسقلاني من ان الحديث الذي رواه معاذ أخرجه البيهقي [٩٨] عن قتادة [٩٩] عن سعيد بن المسيب [١٠٠] عن الامام علي عليه السلام[١٠١] .

فهذا دليل الإمام [١٠٢] عليه السلام ، في سائر الحواس شم ، وسمع ، ، وبصر ، وطعم، ولمس ، والجامع بينهم ذهاب المنفعة . ويؤيد ذلك ما قضى به عمر للرجل الذي فقد عقله ، وبصره ، وسمعه ونكاحه ، إذ قضى له بأربع ديات وهم حي لم يمت ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة .

قولـــه عليه السلام : (وكذا كل زوج في البدن بطل نفعه بالكلية كالانثيين ، والبيضتين) [١٠٣] . دليل الإمام عليه السلام ما في كتاب الرسول صلى الله عليه واله وسلم إلى أهل اليمن بأن الدية تلزم في الشفتين ، والبيضتين ، والعينين [١٠٤] . هذه الأزواج الثلاثة منصوص على لزوم الدية في كل واحد ، وسائر كل زوج في البدن قياساً على ذلك أيضاً .

وفي الرجل تكون نصف الدية ، وكذلك في اليد الواحدة ، وقد ورد في الرجل الواحدة نصف الدية ، مستدلا بما أخرجه مالك بلفظ : (في اليد خمسون ، وفي الرجل خمسون يعني من الإبل) [١٠٥] . وأخرج أبو داود[١٠٦]، واحمد[١٠٧] ، وابن ماجة [١٠٨]، والنسائي [١٠٩]، من حديث عمرو بن شعيب [١١٠] بلفظ : (وفي اليد إذا قطعت نصف العقل ، وفي الرجل نصف العقل ، وفي العين نصف العقل) [١١١] .

قوله عليه السلام : (وفي كل سن نصف عُشر الدية) [١١٢] . دليله ما في كتاب عمرو بن حزم الملتقى بالقبول بلفظ : (وفي السن خمس من الإبل) [١١٣] . أخرجه أبو داود[١١٤] ، واحمد[١١٥]، وابن ماجة[١١٦]، والنسائي [١١٧] ، من رواية عمرو بن شعيب ولا فرق بين الإسناد كما يدل عليه ما أخرجه ابن حبان [١١٨] ، وأبو داود [١١٩] ، وابن ماجة [١٢٠] ، والبزار [١٢١] بإسناد رجال ثقات بلفظ الأسنان الثنية والضرس سواء ، فلم يبق وجه لقول من يفضل بعضها على بعض .

قوله عليه السلام : (وفي كل أصبع عُشر الدية) [١٢٢] . دليله ما أخرجه النسائي[١٢٣]، ومالك [١٢٤] ، من حديث عمرو بن شعيب بلفظ : (الأسنان والأصابع سواء عشراً عشراً من الإبل) [١٢٥] . وفي رواية : (في كل إصبع) [١٢٦] ، أخرجه ابن حبان[١٢٧]، والترمذي[١٢٨]، وابن ماجة[١٢٩]، وأبو داود[١٣٠]، عن أبي موسى [١٣١] أن النبي صلى الله عليه واله وسلم : (قضى في الأصابع بعشر ، عشر من الإبل) [١٣٢] ، ولم يرد في الحديث تفضيل اصبع على [١٣٣] . وهو ما أخرجه البخاري[١٣٤]، واحمد [١٣٥] ، وأهل السنن عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه قـــال : (هذه وهذه سواء) [١٣٦] ، يعني الابهام والخنصر [١٣٧] .

قوله عليه السلام :(وفي الآمة [١٣٨] والجائفة) [١٣٩] ، مستدلا بكتاب عمرو بن حزم الملتقى بالقبول بلفظ: (وفي الجائفة ثلث الدية) [١٤٠]،(وفي المأمومة [١٤١] ثلث الدية) [١٤٢]. هذه رواية النسائي . وفيها حديث عمرو بن شعيب في الجائفة والمأمومة ثلث الدية . وفي حديث عبد البر [١٤٣] انه مرفوعاً. وإن كانت بعض الروايات فيها مقال للمحدثين لكن يعضدها كتاب عمرو بن حزم الملتقى بالقبول عندهم وعند غيرهم .

قوله عليه السلام : (وفي المنقلة [١٤٤] خمس عشرة من الإبل [١٤٥]). دليله ما في كتاب عمرو بن حزم المذكور الذي أخرجه البزار بلفظ: (وفي المنقلة خمسة عشر من الإبل) [١٤٦]. وفي حديث عمرو بن شعيب . (وي المنقلة خمش عشر من الإبل) . أخرجه البزار [١٤٧] بلفظ : (وفي المنقلة خمس عشر ناقة) [١٤٨] .

قوله : (وفي الهاشمة [١٤٩] عشراً) [١٥٠] . مستدلا بما رواه زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه واله وسلم ، أوجب عشرا من الابل في الهاشمة ، وأخرجه الدارقطني[١٥١] ، والبزار[١٥٢]، والبيهقي [١٥٣]. وقال ابن حجر : الحديث لا يصح مرفوعاً [١٥٤] .

قوله : (الموضحة فيها خمس) [١٥٥] . دليله عليه السلام ما مر في كتاب عمرو بن حزم ، وكذلك ما أخرجه الترمذي[١٥٦]، وعبد الرزاق[١٥٧]، واحمد [١٥٨]، بلفظ : (والمواضح خمس، خمس) [١٥٩] .

قوله عليه السلام : (السمحاق فيه أربع من الإبل) [١٦٠] . وهذا مختلف فيه بين أهل البيت عليهم السلام وغيرهم ، فمنهم من قال ان التقدير يكون للقاضي الفقيه ؛ ومن قال بذلك المؤيد بالله عليه السلام [١٦١] . وأما المنصور بالله عليه السلام [١٦٢]، فقال انها تكون على قدر ما جاء في الأثر في تقدير الأرش . وهو ما اختاره أئمة المذهب مستدلين بقضاء الامام علي عليه السلام حيث قال : (في السمحاق أربع من الإبل) [١٦٣].

هذه هي الجنايات التي ورد تقدير أرشها، فمن كان عليه أرش أي من هذه الأنواع المتقدة ، واختار الجاني تسليم الدية من الابل فعليه ان تكون أرباعاً . أي من وجب عليه أرش موضحة واختار خمس من الابل ، فإن عليه ربع حقة، وربع بنت مخاض، وربع جذعة، وربع بنت لبون، والخامسة تكون مشاعا من الجميع ، كما قرره في البيان .

الهوامش :

(١) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج١ ، ص ٣٩٥ . القنوجي ، التاج المكلل ، ص ٣٧٥ . كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٦ ، ص ١٠٦ . الوجيه ، اعلام الزيدية ، ج١ ، ص ٥٩٠ . زبارة ، نيل الوطر ، ج٢ ، ص ٩٥ . زبارة ، نيل الحسنيين ، ص ١٤٧ .

(٢) زبارة ، نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ٩٥ . الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ . الحيمي : نسبة إلى بلدة حيمة تبعد عن صنعاء مرحلة . ينظر زبارة ، نشر العرف ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٣) زبارة ، نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ٩٥ . الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(٤) الإمام المهدي لدين الله احمد بن الحسن بن القاسم ،من أئمة الزيدية في اليمن ، ولد سنة ١٠٢٩هـ ، بويع له بالإمامة بعد وفاة عمه إسماعيل بن القاسم سنة ١٠٨٧هـ ، واستمر حتى وفاته سنة ١٠٩٢هـ . كان غزير العلم له مؤلفات . ينظر : الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٥) زبارة ، نيل الحسنيين ، ص ١٤٧ . المقحفي ، موسوعة الألقاب اليمنية ، ج ٧ ، ص ١١٨٦ . الطيب ، موسوعة القبائل ، ج ١١ ، ص ٤٣١ .

(٦) السجني ، التقصار ، ص ٣٨٠ .

(٧) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٣٩٥ . القنوجي ، التاج المكلل ، ص ٣٧٥

(٨) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٦ ، ص ١٠٦ . زبارة ، نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٩) زبارة ، نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ٩٥ .الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(١٠) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٣٩٥ . الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(١١) القنوجي ، التاج المكلل، ص ٣٧٥ . زبارة ، نيل الوطر، ج ٢ ، ص ٩٥ . الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(١٢) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٦ ، ص ١٠٦ . زبارة ، نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(١٣) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٣٩٥ . الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(١٤) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٦ ، ص ١٠٦ . زبارة ، نيل الوطر ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(١٥) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٣٩٥ . الحسيني ، مؤلفات الزيدية ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(١٦) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٣٩٥ . الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(١٧) الوجيه ، أعلام الزيدية ، ج ١ ، ص ٥٩٠ . الحسيني ، مؤلفات الزيدية ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(١٨) ما بين معقوفتين من : ص .

(١٩) صنعاء : من أكبر مدن اليمن بينها وبين عدن ٦٨ ميل . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٢٦ .

(٢٠) ذمار : قرية تبعد مرحلتين عن صنعاء . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧ .

(٢١) الدية : الضمان المالي الذي يجب بالجناية على الآدمي ، أو على جزء من أجزاء جسمه . ينظر : الطوري ، تكملة فتح القدير ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ .

(٢٢) القرش : هو الريال المعروف في اليمن .

(٢٣) النصاب : الحد الأدنى من كل ما تجب فيه الزكاة . ينظر : الكبيسي ، الآراء المالية ، ص ٤٥ .

(٢٤) الجزية : وهي ما يؤخذ من أهل الذمة . ينظر : البعلي ، المطلع ، ص ١٤٠ .

(٢٥) الأرش : هو المال الواجب في الجناية على ما دون النفس . ينظر : ابن الهمام ، فتح القدير ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ .

(٢٦) أي صنعاء وذمار . في القرن الثاني عشر الهجر برز محققا ومذهبا المذهب ومقرراه القاضي العلامة المحقق زيد بن عبد الله الأكوع (ت١١٦٦هـ) وتلميذه القاضي العلامة حسن بن احمد الشبيبي (ت١١٦٩هـ) . ينظر : الساغي ، أصول المذهب الزيدي ، ص ٢٠ _ ٢١ .

(٢٧) القرش أو القرش الفرانص : هو الريال المعروف في اليمن .

(٢٨) يقصد بهم علماء الزيدية بدأً من القرن الثالث الهجري وحتى عصره . ينظر: السياغي، أصول المذهب الزيدي ، ص١٣ .

([٢٩]) قفال : جمع مفرها قفلة : الدرهم المعروف في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ويُسمى قفلة . يساوي ١٦ خرنوبة ، كل خرنوبة أربع شعيرات . ينظر : ابن عابدين ، رد المحتار ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

([٣٠]) الجائفة : هي ما وصل إلى جوف العضو من ظهر أو صدر أو ورك أو عنق أو ساق أو عضد ، مما له جوف . المرتضى ، البحر الزخار ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

([٣١]) الدرهم : الدراهم الإسلامي يساوي ١٤ قيراطاً . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الوزن الإسلامية ، ص ٨ .

([٣٢]) المثاقيل : جمع مفردها مثقال الدينار الإسلامي وزنه مثقال . ينظر : الكبيسي ، آراء العزفي في وحدات الوزن ، ص١١.

([٣٣]) يقصد بها الإمام المهدي لدين الله . المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني ، من سلالة الهادي إلى الحق ، من أعلام فقهاء الزيدية في اليمن ، ولد سنة ٧٧٥هـ في ذمار . بويع بالإمامة بعد موت الناصر سنة ٧٩٣ هـ في صنعاء ، ولقب بالمهدي لدين الله ، سجنه في صنعاء للسنوات ٧٩٤– ٨٠١هـ ، عكف على التصنيف إلى أن توفي في جبل حجة غربي صنعاء . له مؤلفات كثيرة منها : الأزهار في فقه الأئمة الأطهار ، الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار ، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، وغيرها كثير . توفي سنة ٨٤٠هـ . ينظر : الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

([٣٤]) أي ربع الدية .

([٣٥]) جذع : له أربعة أعوام . ينظر : ابن عابدين ، رد المحتار ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .

([٣٦]) حقة : ذات ثلاثة أعوام . ينظر : النووي ، روضة الطالبين ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

([٣٧]) بنت لبون : التي أتمت حولين . ينظر : ابن قدامة ، المغني ، ج ٨ ، ص ٦٢٣ .

([٣٨]) بنت مخاض : أتمت حول . ينظر : ابن جزي ، القوانين الفقهية ، ص ١٩٣ .

([٣٩]) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٠١ .

([٤٠]) عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي ، تابعي ، ثقة من الطبقة الثالثة ، توفي سنة ٧٤هـ . ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج ١٣ ، ص ٤٩٦ .

([٤١]) الإمام علي بن أبي طالب أبو الحسن عليهما السلام ، أمير المؤمنين ، من المبشرين بالجنة ، وصهر النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل سنة ٤٩هـ . ينظر : ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٤٢) أي أن الدية تؤخذ على شكل أرباع كل ربع يكون من فئة عمرية مختلفة عن الأرباع الأخرى والخُمس الأخير يكون متنوع من كل الفئات .

(٤٣) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦١٢ .

(٤٤) الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي . ويعرف بزيد الشهيد ، ولد سنة ٧٩هـ ، كانت إقامته بالكوفة . وأشخصه الخليفة هشام بن عبد الملك إلى الشام وضيق عليه . عاد إلى الكوفة وفي سنة ١٢٠ هـ بايعه بعض أهلها على الدعوة إلى الكتاب والسنة . وكان العامل على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، ونشبت بينهما معارك انتهت بمقتل زيد سنة ١٢٢هـ ، في الكوفة . له مؤلفات في الحديث ، والفقه ، والتفسير ، والعقائد . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٤٥) الهاشمي ، مسند زيد بن علي ، ص ٢٧٨ .

(٤٦) المظفر ، البيان ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ . في الفقه الزيدي يوجد أكثر من كتاب عنوانه البيان ، منها البيان لابن معرِف وهو المقصود أينما أطلق في كتب الفقه ، والبيان الشافي للمظفر ، وهو المراد إذا أطلق في الحواشي ، وهو الذي قصده العلامة الحيمي ، والبيان الحسامي . المنتزع المختار ، مقدمة التحقيق ، ج ١ ، ص ٨٥ . المؤلف : القاضي العلامة عماد الدين يحيى بن أحمد بن علي بن المظفر من علماء الزيدية المبرزين ، عالم مجتهد ، توفي في رجب سنة ٨٧٥هـ ، له مؤلفات كثيرة ومعتمدة . ينظر : الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ . الحبشي ، مصادر الفكر ، ص ٢٢٥ .

(٤٧) علامة (هـ) هذه العلامة في الفقه الزيدي تُسمى تذهيب ، وضعها العلامة القاضي حسن بن أحمد الشبيبي ، وتعني هذا ما قرره علماء الزيدية الهادوية في المسائل الشرعية . فقرر المذهب وتحرى في تذهيبه ووضع على مسألة مختارة (هـ) أو (قرر) . ينظر : الساغي ، أصول المذهب الزيدي ، ص ٢٠ _ ٢١ .

(٤٨) القاضي العلامة الفقيه حسن بن احمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن معوضة الشبيبي الآنسي الذماري . فقيه ، محقق مشهور في فروع الفقه الزيدي . ولد في قرية ذي حود إحدى قرى قضاء آنس سنة ١١٠٧هـ، وانتقل إلى ظفير حجة ، وكحلان ، وصنعاء . أخذ الفقه عن مشاهير علماء عصره الذين أجازوه ، عكف على التدريس ونشر العلم بمدينة ذمار ، وتخرج عليه مشاهير العلماء ، عم فضله وذاع صيته في البلاد ، له حواشي دقيقة ومفيدة على شرح الأزهار ، في غاية التحقيق للمذهب المختار ، واعتنى بتذهيب نسخة شرحه فصارت المعتمد والمرجع للعلماء

والطلبة بالبلاد اليمنية ، تولى القضاء أياما بمدينة تعز ثم تركه ولم يتولى شيئاً من الوظائف حتى وفاته في ربيع الأول سنة ١١٦٩هـ . ينظر : القاسمي ، مطلع الأقمار ، ج ١ ، ص ١٨٨ . الروض الاغن ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٤٩) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٠٣ .

(٥٠) الثني : من الضأن والمعز ما أكمل السنة ودخل في الثانية . ينظر : قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص ١٥٥ .

(٥١) المقرف : هو الهجين من الدواب ما كانت أمه عربية وأبوه غير ذلك . ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

(٥٢) في ص : رمز بالحرف ح لكلمة شرح ، وبالحرف ز لكتاب الأزهار . ابن مفتاح ، ج ٩ ، ص ٣١٣ . شرح الأزهار او شرح ابن مفتاح يعد موسوعة فقهية تحتوي مذهب أهل البيت عليهم السلام وأقوال أئمتهم فضلاً عن أقوال أئمة المذاهب الإسلامية الأخرى ، والكتاب تأليف عبد الله بن أبي القاسم بن مفتاح المتوفى يوم السبت في شهر ربيع الأخر سنة ٨٧٧هـ ، والكتاب عمدة فقه الزيدية في اليمن وعليه اعتمادهم . ينظر : ابن أبي الرجال ، مطلع البدور ، ج ٣ ، ص ١١٨ .

(٥٣) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٠٣ .

(٥٤) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٠١ .

(٥٥) يقصد الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت٨٤٠هـ) .

(٥٦) القول هنا للعلامة الحيمي .

(٥٧) حبة الشعير : وحدة وزن ، وهي جزء من أجزاء الدرهم والدينار . ينظر : التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٣ ، ص ٢٨٥ .

(٥٨) الشوكاني ، السيل الجرار ، ص ٢٣٢ .

(٥٩) الوَرِق : الدراهم الفضية . ينظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

(٦٠) زيد ، مسند ، ص ٢٧٨ .

(٦١) في ص : له ، والتصويب من : ب .

(٦٢) يقصد الإمام المهدي احمد بن مرتضى .

(٦٣) في ص : رمز له بالحرف ز .

(٦٤) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

(٦٥) العاقِلة : هم من يتحملون دية الخطأ مع الجاني . ينظر : قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص ٣٠١ .

([٦٦]) اليمن : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .

([٦٧]) النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ . الحاكم ، المستدرك ، ج ١ ، ص ٥٥٢ . البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٨ ، ص ٣٣ .

([٦٨]) أي قطعه جميعه . ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

([٦٩]) أي ١٠٠ من الإبل، أو ٢٠٠ من البقر، أو ١٠٠٠ من الغنم، أو ألف مثقال من الذهب، أو ١٠٠٠٠ درهم من الفضة .

([٧٠]) القول : أي القدرة على الكلام ونطق الحروف بشكل سليم .

([٧١]) الصحابي معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن . عالما بالحلال والحرام . أسلم وهو فتى ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب . شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك ، قاضيا ومرشدا لأهل اليمن . توفي سنة ١٨هـ . ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٣٧٦ .

([٧٢]) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ١٦ ، ص ٣٤١ _ ٣٤٣ .

([٧٣]) الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي أبو عبد الله . ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة المنورة ، وله منزلة رفيعة في العلم . أخذ عنه جماعة . له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئا عليهم صداعا بالحق . توفي سنة ١٤٨هـ . ينظر : ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

([٧٤]) الباقر : الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين الطالبي الهاشمي القرشي أبو جعفر . ولد سنة ٥٧هـ بالمدينة المنورة ، كان ناسكا عابداً ، وتوفي بالحميمة سنة ١١٤هـ ودفن بالمدينة . ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص١١٧ .

([٧٥]) زيد ، مسند ، ص ٢٧٨ .

([٧٦]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

([٧٧]) عبد الله ، مسائل الإمام احمد برواية ابنه عبد الله ، ص ٤١٧ . الكوسج ، مسائل الإمام احمد ، ج ٧ ، ص ٣٢٩٦ .

([٧٨]) المصنف ، ج ٥ ، ص ٣٥٩ .

([٧٩]) سليمان بن حيان الأزدي أبو خالد الأحمر الكوفي . ولد بجرجان . صدوق ، توفي بالكوفة في شوال سنة ١٨٩هـ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج ٦ ، ص ٣٦٣ .

(٨٠) عوف بن أبي جميلة رزينة العبدي الهجري أبو سهل البصري المعروف بالأعرابي ، ولم يكن أعرابياً . ثقة ثبت ، توفي سنة ١٤٦هـ . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، ج ٧ ، ص ٥٨ .

(٨١) معاوية بن عمرو أبو المهلب البصري الجرمي . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، ج ٩ ، ص ١٠١ .

(٨٢) عبد الله بن زيد بن عمرو أبو قلابة الجرمي ، ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ١٥٤هـ . ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج ١٤ ، ص ٥٤٢ .

(٨٣) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ١٦ ، ص ٣٤٢ . الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج ٦ ، ص ١٢٥ .

(٨٤) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

(٨٥) ج ٦ ، ص ٤٤٠ . الحديث سكت عنه الحاكم . وأعله الذهبي بقوله مرسل ، ج ٣ ، ص ٣٧٣ .

(٨٦) الإمام محمد الباقر : محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي أبو جعفر . ولد سنة ٥٧هـ بالمدينة ، كان ناسكاً عابداً ، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال . وتوفي بالحميمة سنة ١١٤هـ ، ودفن بالمدينة . ينظر : ابن الجوزي ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٨٧) في ب : الجماع ، والتصويب من : س ، ص ، ز .

(٨٨) في : ب حمزة ، والتصويب من : ز ، ص .

(٨٩) الحاكم ، المستدرك ، ج ٦ ، ص ٤٤٠ .

(٩٠) العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري أبو هلال . عالم بالأدب ، له شعر . نسبته الى عسكر مكرم من كور الأهواز . له مؤلفات منها : التلخيص ، وجمهرة الأمثال ، والحث على طلب العلم وغيرها ، توفي سنة ٣٩٥هـ . ينظر : ياقوت ، إرشاد الأريب ، ج ٢ ، ص ٩١١ .

(٩١) جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ١٨١ .

(٩٢) عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي أبو عبد الرحمن البصري المعروف بالعيشي، قدم بغداد. صدوق ثقة ، توفي سنة ٢٢٨هـ . ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج ١٩ ، ص ١٤٧ .

(٩٣) محمد بن حفص بن عائشة القرشي التيمي البصري . ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

(٩٤) تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٩٥) أبو طاهر السلفي ، أخبار وحكايات ، ص ٤٦ .

(٩٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ . أبو طاهر السلفي ، أخبار وحكايات ، ص ٤٦ .

([٩٧]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

([٩٨]) السنن الكبرى ، ج ١٦ ، ص ٣٤٢ .

([٩٩]) قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري . ولد سنة ٦٠هـ ، محدث ، فقه ، مفسر . كان أحفظ أهل البصرة . ورأسا في العربية وأيام العرب والنسب . توفي بواسط سنة ١١٧هـ . ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج ٢٣ ، ص ٤٩٨ .

([١٠٠]) سعيد بن المسيب المخزومي القرشي أبو محمد . من كبار التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . ولد سنة ١٣هـ ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت . توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٨٨ .

([١٠١]) ابن حجر ، تلخيص الحبير ، ج ٥ ، ص ٢٦٥٢ .

([١٠٢]) يقصد الإمام المهدي احمد بن يحيى المرتضى مؤلف كتاب الأزهار .

([١٠٣]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

([١٠٤]) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٨ ، ص ٣٣ _ ٣٤ .

([١٠٥]) مالك ، الموطأ ، ج ٢ ، ص ٨٤٩ .

([١٠٦]) سنن ، ج ٦ ، ص ٦٢١ .

([١٠٧]) المسند ، ج ١١ ، ص ٦٦٢ .

([١٠٨]) ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص ٨٨٦ .

([١٠٩]) السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٦٩ .

([١١٠]) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي أبو إبراهيم . ثقة ، سكن مكة ، وكان يخرج إلى الطائف إلى ضيعة له توفي فيها سنة ١١٨هـ . ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج ٢٢ ، ص ٦٤ .

([١١١]) احمد ، المسند، ج ١١ ، ص ٦٦٢ . أبو داود، سنن ، ج٦ ، ص ٦٢١ . النسائي، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص٣٦٩ .

([١١٢]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

([١١٣]) مالك ، الموطأ ، ج ٢ ، ص ٨٤٩ .

([١١٤]) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٢١ .

([١١٥]) احمد ، المسند ، ج ١١ ، ص ٣١٨ .

([١١٦]) ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص ٨٨٦ .

([١١٧]) ما بين معقوفتين من : ب ، ز . النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٦٩ .

([١١٨]) ابن حبان ، صحيح ، ج ٧ ، ص ٦٦٧ .

([١١٩]) أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٢١ .

([١٢٠]) ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص ٨٨٦ .

([١٢١]) البزار ، البحر الزخار ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

([١٢٢]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

([١٢٣]) النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ .

([١٢٤]) مالك ، الموطأ ج ٥ ، ١٢٤٣ .

([١٢٥]) النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧١ .

([١٢٦]) مالك ، الموطأ ، ج ٥ ، ص ١٢٦٢ . أبو داود ، سنن ، ج ٦ ، ص ٦٢١ .

([١٢٧]) صحيح ، ج ٥ ، ص ٩٠ .

([١٢٨]) سنن ، ج ٤ ، ص ١٣ .

([١٢٩]) سنن ، ج ٣ ، ص ٦٦٧ .

([١٣٠]) سنن ، ج ٦ ، ص ٦١٧ .

([١٣١]) أبو موسى : الصحابي عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري . من الشجعان الولاة الفاتحين ، ولد في زبيد باليمن وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة . ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، توفي بالكوفة سنة ٤٤هـ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

([١٣٢]) احمد ، المسند ، ج ٣٢ ، ص ٣٨٧ . البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ١٦ ، ص ٣٦١ .

([١٣٣]) في ص ، ز : الأثر ، والتصويب من : ب ، س .

([١٣٤]) البخاري ، صحيح ، ج ٩ ، ص ٢٣ .

([١٣٥]) احمد ، المسند ، ج ١١ ، ص ٦٦٢ .

([١٣٦]) البخاري ، صحيح ، ج ٩ ، ص ٢٣ .

([١٣٧]) احمد ، المسند ، ج ٣ ، ، ص ٤٥٣ . ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ .

([١٣٨]) الآمة : شجة تبلغ أم الرأس ، وهي جلدة تجمع الدماغ . وشجة آمة ومأمومة ، بمعنى واحد . ينظر : الخرشي ، شرح الخرشي ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ .

([١٣٩]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٦ .

([١٤٠]) الحاكم ، المستدرك ، ج ١ ، ص ٥٥٢ .

([١٤١]) المأمومة : هي الشجة التي تبلغ أم الرأس ، وهي الجلدة التي تجمع الدماغ . ينظر : الزيلعي ، تبيين الحقائق ، ج ٦ ، ص ١٣٢ .

([١٤٢]) النسائي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٧٥ .

([١٤٣]) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج ١١ ، ص ١٧٧ .

([١٤٤]) المنقلة : وهي ما نقل عظماً من الرأس . المرتضى ، البحر الزخار ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

([١٤٥]) في ص ، ز : ناقة ، والتصويب من : ب ، س .

([١٤٦]) البزار ، البحر الزخار ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

([١٤٧]) البحر الزخار ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

([١٤٨]) البحر الزخار ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

([١٤٩]) الهاشمة : وهي ما تهشم العظم . المرتضى ، البحر الزخار ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

([١٥٠]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٧ .

([١٥١]) السنن ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

([١٥٢]) الموقوف : ما يروي عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ينظر : العراقي ، التقييد والإيضاح ، ص ٦٦ .

([١٥٣]) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ١٦ ، ص ٣٣٠ .

([١٥٤]) ابن حجر ، تلخيص الحبير ، ج ٥ ، ص ٢٦٤٢ .

([١٥٥]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٧ .

([١٥٦]) الترمذي ، سنن ، ج ٣ ، ص ٦٧ .

([١٥٧]) الصنعاني ، المصنف ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .

([١٥٨]) مسند ، ج ١١ ، ص ٣١٨ .

([١٥٩]) الترمذي ، سنن ، ج ٣ ، ص ٦٦ .

([١٦٠]) المرتضى ، الأزهار ، ص ٢٧٧ .

([١٦١]) المؤيد بالله : يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي الطالبي أبو إدريس . من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن . ولد في صنعاء سنة ٦٦٩هـ ، وأظهر الدعوة بعد وفاة محمد المهدي بن المطهر سنة ٧٢٩هـ ، وتلقب بالمؤيد برب العزة . مؤلفاته كثيرة جدا بين كتاب ورسالة . واستمر إلى

أن توفي في حصن هران قبلي ذمار سنة ٧٤٥هـ . من تصانيفه : الشامل ، ونهاية الوصول ، والانتصار ، والاختيارات المؤيدية وغيرها . ينظر : الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

(١٦٢) المنصور بالله ، المهذب ، ص ٤٢٣ . الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان ، أحد أئمة الزيدية في اليمن ومن أبرز علمائهم . ولد سنة ٥٦١هـ ، بويع له سنة ٥٩٣هـ واستولى على صنعاء وذمار . توفي في كوكبان سنة ٦١٤هـ ونقل إلى ظفار . له مصنفات منها : حديقة الحكمة النبوية ، والشافي ، والعقد الثمين وغيرها . ينظر : العرشي ، بلوغ المرام ، ص٤٣.

(١٦٣) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ١٦ ، ص ٣٣٦ .

ثورة بلجيكا ١٨٣٠- ١٨٣١

م.م. وداد عبدالزهرة كاطع ضمد

الجامعة المستنصرية

كلية الاداب/ قسم التاريخ

رقم الهاتف: ٠٧٧١٩٣٧٨٦١٢

wedad993@uomustansiriyah.edu.iq

ثورة بلجيكا ١٨٣٠- ١٨٣١

م.م. وداد عبدالزهرة كاطع ضمد

الملخص العربي:

شهدت أوروبا في الفترة في التي تلتْ مؤتمر فينا ١٨١٥، وقراراته التي أخضعت العديد من البلدان للحكم الأجنبي، من دون الاهتمام لرغبات سكانها ولواقعهم القومي، انتشارًا كثيرًا كثيفًا للأفكار التحررية التي عَّمتْ أرجاء القارة، لاسيما تلك الدول الصغيرة التي طالما أحسَّتْ أن حقوقها قد استلبت بموجب مؤتمر فينا وقراراته، الأمر الذي أثار شعوب هذه الدول، فثارت الواحدة تلو الأخرى، ومن هذه الثورات، ثورة بلجيكا ١٨٣٠.

كلمات المفتاحية: الثورة البلجيكية، مؤتمر فيينا، مملكة الاراضي المنخفضة، هولندا، بلجيكا، الشعوب الاوربية، استقلال بلجيكا.

Abstract:

Europe witnessed, during the period following the Congress of Vienna in 1815 and its decisions, the subjugation of many countries to foreign rule, without regard for the wishes of their populations or their national aspirations. Consequently, liberal ideas spread widely across the continent, particularly in the small states that had long felt that their rights were usurped as a result of the Congress of Vienna and its decisions. This situation stirred the peoples of these states, leading them to rise up one after another. Among these revolutions was the Belgian Revolution of 1830

المقدمة

شهدت أوروبا في الفترة في التي تلتْ مؤتمر فينا ١٨١٥، وقراراته التي أخضعت العديد من البلدان للحكم الأجنبي، من دون الاهتمام لرغبات سكانها ولواقعهم القومي، انتشارًا كثيرًا كثيفًا للأفكار التحررية التي عَّمتْ أرجاء القارة، لاسيما تلك الدول الصغيرة التي طالما أحسَّتْ أن حقوقها قد استلبت بموجب مؤتمر فينا وقراراته، الأمر الذي أثار شعوب هذه الدول، فثارت الواحدة تلو الأخرى .

ومن هذه الثورات، ثورة بلجيكا ١٨٣٠، التي ترى الباحثة أن لها من الأهمية والحساسية الشيء الكثير، الأمر الذي دفعها للخوض في تفاصيلها والتطرق إلى أسبابها ونتائجها، لاسيما أن الكثير من الدراسات الأكاديمية لم تسلط عليها الضوء الكافي، ولم تلم بجميع جوانبها، لذا وجدت الباحثة أن عليها البحث في هذا الموضوع .

وقد استدعت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث وخاتمة، تطرق المبحث الأول إلى احتلال فرنسا لبلجيكا وتسويات مؤتمر فينا فيما يخص بلجيكا، أما المبحث الثاني فقد ارتأت الباحثة أن تبين فيه ماهية الثورة البلجيكية، وخلال هذا الفصل تم عرض تناقضات الاتحاد ما بين هولندا وبلجيكا وأسباب الثورة البلجيكية ومقدمات وقيام الثورة، اما المبحث فتناول نتائج الثورة البلجيكية.

وفيما يخص المصادر التي استعانت بها الباحثة لتدعيم بحثها، فكانت عديدة ومتنوعة ما بين الكتب العربية والمعربة والأجنبية بالإضافة إلى الرسائل العلمية، كان لكتاب الدكتورة زينب عصمت راشد (تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر) أثر كبير في رفد البحث بمعلومات جيدة، فضلا عن كتاب أ.ج. جرانت وهارولد تمربرلي (أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩- ١٩٥٠، الذي أسعف الباحث بمعلومات إضافية وجديدة في بحثه هذا، وكانت لرسالة زيدان حسان شاوي الشويلي (مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥) دور كبير في رفد الباحثة وإسناده بالمعلومات القيمة، وهنالك العديد من المصادر لا يتسع المجال لذكرها .

المبحث الأول

احتلال فرنسا لـ (بلجيكا) وتسويات مؤتمر فينا ١٨١٥

أولا: احتلال فرنسا لـ (بلجيكا)

لم تعرف بلجيكا شيئا من الاستقرار السياسي، فهي لا تكاد تفلت من يد دولة حتى تقع في يد أخرى، إذ آلت إلى اسبانيا بمقتضى معاهدة وستفاليا في عام ١٦٤٨، وأصبحت في عام ١٧١٣ تابعة للنمسا بمقتضى معاهدة بوتوخرت، وقد أريد من ذلك أن تكون حاجزا بين فرنسا وهولندا[١].

كانت بلجيكا في القرن الثامن عشر ضمن الأراضي النمساوية[٢]، وقابعة تحت حكم إمبراطور النمسا ليوبولد الثاني (Leopold II)[٣]، وفي تلك الفترة شهدت أوروبا في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر أبرز حدث في العالم وهو الثورة الفرنسية، والتي رفعت عدة شعارات أهمها الحقوق القومية لكل شعب، ونتيجة لذلك شعرت الإمبراطوريات القائمة آنذاك خطرا على عروشها، لاسيما وان إمبراطورياتهم مكونة من عدة شعوب[٤] .

أخذت فرنسا تسعى إلى إشعال نار التمرد في بلجيكا، فأعلن الإمبراطور بولد إعلانا شهيرا عرف بإعلان بلنتز (pllnits) في ٢٧ آب ١٧٩١[٥]، وبالتعاون مع بروسيا أعلن فيه عن رغبتها بإعادة النظام إلى فرنسا باعتبارها قضية تهم الدول الأوروبية .

وفي خضم تلك التطورات السياسية أعلنت فرنسا الحرب على النمسا في ٢٠ نيسان ١٧٩٢، ودخلت جيوشها بلجيكا، إلا أن الهجوم فشل وحاولت الجيوش النمساوية التوجه نحو العاصمة الفرنسية بعد تقهقر الجيش الفرنسي، إلا أن الشعب انتفض والتحق بالجيش وواجه الجيوش النمساوية والبروسية في معركة (فالمي) في ٢٠ أيلول ١٧٩٢[٦]، وعلى أثر تراجع الجيش البروسي الذي كان يعتقد انه أفضل جيوش أوربا، وبذلك أصبحت بلجيكا تحت حكم فرنسا، ومنذ ذلك الحين أعلنت فرنسا تبنيها نظرية الحدود الطبيعية، والتي مفادها أن الراين هو الحد الطبيعي والجغرافي لفرنسا وبضمنها بلجيكا[٧].

بعد مجيء نابليون بونابرت[٨] (Napoleon Bonaparte) للسلطة في فرنسا أراد تثبيت الحدود الطبيعية لفرنسا من خلال التوسع العسكري في أوربا، الأمر الذي جعل الكثير من الدول الأوربية، لاسيما الكبيرة منها تعترف بتلك الحدود فكانت النمسا أولى هذه الدول بعد أن اعترفت بموجب معاهدة كمبوفوميو في تشرين الأول ١٧٩٧ بانضمام بلجيكا وحدود الراين إلى فرنسا[٩] ، وجاء صلح لينفيل (luneville) في ٩ شباط ١٨٠١ ليحقق من خلاله نابليون الحلم القومي لفرنسا في تكوين دولتها ذات الحدود الطبيعية التي تضم بلجيكا لم تبق سوى بريطانيا فبعد أن فرض عليها نابليون الحصار القاري وعلى الرغم من فشله في تحقيق أهدافه دخلت بريطانيا في مفاوضات مع نابليون تمخضت عنها توقيع صلح أميان (Amiens) في آذار ١٨٠٢ اعترفت بموجبه بريطانيا بحدود فرنسا الطبيعية أي بضم بلجيكا وقسم من هولندا وأراضي الضفة اليسرى لنهر الراين وقد اعتبر هذا الصلح نصرا كبيرا

لنابليون إذ اعترفت بريطانيا بضم بلجيكا ذات الشواطئ المقابلة للساحل البريطاني للنفوذ الفرنسي وهذا ما كانت ترفضه بإصرار منذ قيام الثورة الفرنسية[١٠] .

كان نابليون يعلم علم اليقين أن سكان البلدان التي ألحقها بفرنسا وفق نظرية الحدود الطبيعية غالبيتهم كاثوليك لاسيما سكان بلجيكا المتدينين لذلك سارع إلى عقد صلح مع البابا بيوس السابع في ١٦ تموز ١٨٠١ لأنه كان يدرك تماما أن اتفاقه مع البابا سيؤثر تأثيرا ايجابيا على مكانته بين سكان هذه المنطقة غير أن نابليون تمادى كثيرا في تطلعاته الساعية إلى السيطرة على جميع بلدان أوربا وبالتالي حفز ذلك الدول الأوربية على القيام بتحالف للقضاء على نفوذ نابليون، فشكلت تحالف رباعي ضم روسيا وبروسيا والنمسا وبريطانيا، وكانت أهم نتائج هذا التحالف هزيمة نابليون في معركة الأمم (Leipzig) في السادس عشر من تشرين الأول ١٨١٣، وعلى أثرها تراجع إلى حدود فرنسا القديمة ومن ثم نفيه إلى جزيرة ألبا (Elba) .

عقدت الدول المنتصرة مع فرنسا معاهدة باريس الأولى في ٣٠ آيار ١٨١٤، التي كانت رحيمة بالشعب الفرنسي[١١] .

استطاع نابليون الهروب من منفاه ونزل في الأراضي الفرنسية وقاد جيش قوامه نصف مليون جندي ليدخل بلجيكا، إلا انه خسر في معركة والترلو (Waterloo) في ١٨ حزيران ١٨١٥، أمام الجيش البريطاني والبروسي وتم تحرير بلجيكا من السيطرة الفرنسية ونفي بعدها نابليون إلى جزيرة سانت هيلانة (St Helena) وبقي سجينا بها حتى مات يوم ١٥ ايار ١٨٢١، وهو في الثانية والخمسين من عمره وفرضت على فرنسا معاهدة باريس الثانية في ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٥ وجاءت شروطها اشد وأقوى من معاهدة باريس الأولى ؟؟؟؟ إنقاص رقعة فرنسا في أوربا فأعيدت حدودها إلى سنة ١٧٩٠[١٢] .

ثانيا: التسوية الأوربية للمسالة البلجيكية .

عندما عقدت حكومة فرنسا المؤقتة برئاسة تاليران[١٣](Talleyrand) معاهدة باريس الأولى مع الحلفاء، نصت مادتها الثانية والثلاثون على عقد مؤتمر أوربي في غضون شهرين لتنظيم الترتيبات والتسويات لممتلكات فرنسا في أوربا[١٤] .

لم تكن فكرة التوصل إلى تسوية إقليمية وإرساء قواعد نظام دولي، واجتماع المؤتمرين في فينا خريف ١٨١٤ وليد انهيار نابليون ويبدو أن الحاجة إلى تحالفات للقضاء على نابليون قد بررت إيجاد ما ستؤول إليه الحال بعد الانتصار عليه إذ عقدت عدة اتفاقيات للتسوية الأوربية منها اتفاقية تويلتز (touletez) في ٩ ايلول ١٨١٣ التي ضمنت استقلال بلجيكا وهولندا، ومعاهدة شومون (choumont) ١٨١٤ التي ضمت بنود سرية منها توسيع هولندا بضم بلجيكا إليها وحكمها من قبل آل اورنج، فضلا عن معاهدة باريس ١٨١٤ التي تضمنت في بندها السادس بصورة غير صريحة على إعادة رسم خارطة أوربا السياسية[١٥] .

ويمكن القول إن هذه الاتفاقية هي الاتفاقية الأساس التي تضمنها مؤتمر فينا ١٨١٥، وبدأ الملوك والأمراء وساسة أوربا بالتوافد على فينا في ايلول ١٨١٤، وقد بلغ عدد الوفود مائة وأربعون وفدا، وقد عملت بريطانيا على التوفيق بين الحلفاء وعدم تقوية فرنسا بعودتها قوية إلى حدودها الأصلية، ومنعها من الشواطئ البلجيكية المواجهة لمصب التميز والسواحل البريطانية التي تجعل فرنسا مصدر خطر على ملاحة بريطانيا لذا فقد فكر كاسلريه[١٦] (castleragu) وزير الخارجية البريطاني في بعض الضمانات لتحقيق ذلك، أهمها تقوية الأراضي المنخفضة بتقوية هولندا من خلال ضم بلجيكا لها وتأسيس مملكة قوية في شمال فرنسا لتحول دون وقوع هذه السواحل بيد فرنسا[١٧] .

كانت بريطانيا تهدف من وراء هذا المؤتمر الحفاظ على أمنها الإقليمي وبما أنها ضمنت قبل دخولها مؤتمر فينا استثناء بلجيكا من السيطرة الفرنسية واعتراف فرنسا بذلك كانت بريطانيا حرة في مفاوضاتها مع الحلفاء .

تضمن مؤتمر فينا عدة مبادئ كان أهمها مبدأ توازن القوى وكانت بريطانيا تأمل من ورائه الرجوع إلى حالة السلام والاستقرار التي عاشتها أوربا قبل اندلاع الثورة الفرنسية بحيث تستطيع مواصلة أنشطتها التجارية فضلا عن امن الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا) لأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لبريطانيا[١٨].

طرحت عدة مقترحات لتسوية المسالة البلجيكية في مؤتمر فينا فكانت أمام المؤتمر عدة حلول منها إبقاء السواحل البلجيكية بيد فرنسا لكن بريطانيا كانت ترفض هذا الأمر رفضا قاطعا لأنها ومنذ عهد لويس الرابع عشر (louis xlv)[١٩] وهي لا تقر بذلك إذ إنها

أراضي مواجهة لمصب التيمز وهذا يعني وجود خطر دائم يهدد مصالح بريطانيا وكان رأي أخر قد طرح في المؤتمر ذهب إلى ضم بلجيكا للنمسا غير أن ذلك لم يكن واردا بسبب اتجاه النمسا إلى الشرق والجنوب على حساب الغرب وطرحت كذلك فكرة استقلال البلجيك لكنها جوبهت بالرفض لان المجتمعين في فينا ١٨١٥ لم يدركوا إمكان وجود امة بلجيكية تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها .

مهما يكن من أمر فقد تحيز المؤتمر لفكرة كاسلريه التي ظهرت أثناء الحرب ضد نابليون بضم الأراضي المنخفضة التي كانت اسبانية ثم نمساوية قبل أن تستولي عليها فرنسا أثناء الثورة فتصبح هولندا وبلجيكا تحت حكم آل اورنج الهولندية يرجح سبب رجحان هذه الفكرة للاعتقاد بان هذه المملكة الموحدة ستقف بوجه التقدم الفرنسي في المستقبل[٢٠].

أوحت فكرة توازن القوى بتأسيس دول وسط على حدود الدول الكبرى أو فيما بينها لتكون على درجة من القوة تمكنها من الوقوف كدولة وتؤهلها في الوقت نفسه لمناهضة مطامع الدول الكبرى وعرفت هذه الفكرة باسم (الدول الفاصلة) لذلك جاءت فكرة إنشاء الأراضي المنخفضة .

سبب الخوف من عودة فرنسا إلى التوسع على حساب القارة الأوربية في المستقبل إلى اتخاذ عدة إجراءات لتامين منع ذلك منها عودة حدود فرنسا إلى ما قبل الثورة الفرنسية ١٧٨٩وتقرر إيجاد حواجز (الدول الفاصلة) على الحدود الفرنسية ومنها توحيد هولندا وبلجيكا في دولة واحدة تحت حكم وليم أورنج[٢١](William Aorong) بعد أن أعطي دوقية لوكسمبرج أيضا، ولتدعم قدرة هذه الدولة الفتية على الوقوف بوجه فرنسا أعادت إليها بريطانيا مستعمرة جاوة الهولندية ذات الثروات الهائلة وأقرضتها مليوني جنيه إسترليني لتحصين حدودها مع فرنسا[٢٢] .

وهكذا قرر مؤتمر فينا ضم بلجيكا إلى هولندا في دولة واحدة لتستطيع أن تقف بوجه أي محاولات فرنسية للتوسع مستقبلا وسميت بالأراضي المنخفضة (netgwr lands) ووضع تاجها في أسرة اورنج الهولندية[٢٣] .

ويمكن القول إن مؤتمر فينا قد اخطأ خطأً كبيرا حينما دمج أمتين مختلفتين في العرق الحضاري وفي الدين واللغة والتاريخ في دولة واحدة ولم يراع شعورها القومي[٢٤]،

دفعت مقررات فينا الدول الصغيرة إلى تقوية الروح القومية الأوربية التي كانت موجودة أصلا بفعل الثورة الفرنسية هذه الروح التي أدت إلى حدوث ثورات قوية للانفصال والاستقلال .

المبحث الثاني

الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠

أولا: تناقضات الاتحاد الهولندي البلجيكي .

عندما قرر المؤتمرون في فينا ١٨١٥ بضم بلجيكا إلى هولندا، لم يرجعوا إلى الشعب البلجيكي، مع أن الأمر يمسّ حياته في الصميم، بل أنهم رجحوا مصالحهم على المصالح القومية للشعوب، لاسيما الصغيرة منها، إذ أهملت مطالب الدول الصغرى، وضُحّي بحقوقها في سبيل مصالح الدول العظمى، فكانت مقررات مؤتمر فينا حربًا على الأفكار الحرة والمبادئ الديمقراطية التي كانت قد انتشرت توًّا بفضل الثورة الفرنسية(٢٥).

تميز الاتحاد الهولندي البلجيكي بعدد من التناقضات، وبمجرد أن نتعرف على طبيعة هذين البلدين نشخص وبسهولة تلك التناقضات، فالتفاوت في عدد السكان بين البلدين كان أول هذه التناقضات، إذ يبلغ عدد نفوس بلجيكا وقت انعقاد مؤتمر فينا ١٨١٥ ثلاث ملايين نسمة ونصف المليون، فكيف لها أن تصبح تحت حكم هولندا التي يبلغ عدد سكانها حوالي المليوني نسمة؟، كانت هولندا قد عرفت الاستقلال قبل فكرة الاتحاد على العكس من بلجيكا التي لم تعرف شيئًا عن الاستقلال السياسي وهذا ما عرَّضها للحرمان من الاشتراك الفعلي في الإدارة(٢٦).

كان الاختلاف فيما يخص الجنس واللغة واضحًا بين الشعبين، فالبلجيكيون ينتمون إلى جنسين مختلفين هما الوالوني (wallon)، والفلمنكي (Flemish)، في حين كان الهولنديون ينتمون إلى الجنس التيوتوني . أما اللغة فالشعب البلجيكي يتكلم لغة قريبة من الفرنسية والشعب الهولندي يتكلم لغة أقرب إلى الألمانية .

كان الاختلاف في العقيدة الدينية شاهدًا آخر على التناقض في الاتحاد الهولندي فكانت عقيدته البروتستانتية، الأمر الذي أدى إلى احتفاظ رجال الكنيسة في بلجيكا بنفوذهم الكبير، وعليه فإن من الصعب الجمع بين هذين الشعبين المختلفين في العقيدة الدينية، فضلاً عن أن التباين في الموارد الاقتصادية واضحًا بين هولندا وبلجيكا، فالأولى كانت

بفضل موقعها على البحر كان الكسب المالي يدرُّ عليها عن طريق التجارة على عكس بلجيكا التي منحتها الطبيعة خصب الأرض والغنى بالمعادن وقد كفل لها ذلك حياة تقوم على الزراعة والصناعة(٢٧).

ثانيا: أسباب الثورة البلجيكية .

١- الأسباب الداخلية:

على الرغم من امتثال الشعب البلجيكي لقرارات مؤتمر فينا ١٨١٥ لمدة خمسة وعشرين عامًا تحت الحكم الهولندي، إلا أنه لم يستسلم لهذه القرارات وبقي يفكر بالانفصال والاستقلال بشخصيته ولعدة أسباب داخل بلجيكا أهمها: التمييز والتفرقة السياسية، إذ سيطر الهولنديون على المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المملكة(٢٨) .

كان التمييز السياسي واضحًا جدًا فيما بين الشعبين، فعلى الرغم من تفوق البلجيكيين بعدد النفوس على الهولنديين، إلا أن عدد النواب كان متساويًا بينهما. كان من المقرر في دستور عام ١٨١٤ أن يجتمع مجلس طبقات الأمة مرة في هولندا وأخرى في بلجيكا، غير أن ذلك لم ينفذ عمليًا بل بقيت الاجتماعات والوزارات في لاهاي (the hague) وظلت فيها المنشآت الرئيسة، وفي عام ١٨١٦ لم يكن من بين الوزراء السبعة الذين يديرون شؤون الدولة المتعددة سوى وزير بلجيكي واحد، وفي عام ١٨٣٠ كانت مناصب وزارة المالية أربعة وستون منصبًا لم يكن نصيب البلجيكيين منها سوى خمسة مناصب فقط .

من خلال هذا التوزيع تتضح مدى التفرقة السياسية المتبعة في المملكة المتعددة لذلك لم يكن البلجيكيون يحتملون استئثار الهولنديين بالوظائف، فضلاً عن الخلافات الدينية(٢٩).

تعد التفرقة الدينية بين البلدين من الأسباب المهمة في هذه الثورة، فعلى الرغم من أن مواد الدستور نصَّتْ على إطلاق الحياة الدينية والمساواة للجميع أمام القانون بغضِّ النظر عن المذهب للإفراد، بَيْدَ أن هذا الأمر لم ينفذ، لاسيما بوجود البروتستانت في هولندا والكاثوليك في بلجيكا فإن الأخيرين كانوا يطالبون دوما بعدم الاستمرار في الحياة السياسية تحت راية هذا الاتحاد وخوفًا من ضياع ما لهم من امتيازات ونفوذ سياسي، فضلاً عما نصَّ عليه الدستور على حقِّ الأفراد في شغل مناصب الدولة من دون النظر إلى مذاهبهم، لكن أي شيء من هذا القبيل لم يحدث(٣٠).

وفيما يخص عامل اللغة وتداولها فكان أحد العوامل التي أجَّجتْ الشعب البلجيكي على الهولنديين، إذ استخدم الملك وليم عام ١٨١٤ اللغتين الهولندية والفرنسية، غير أنه في عام ١٨١٩ أصبحت إجادة اللغة الهولندية إجبارية لكل فرد يريد أن يشغل منصبًا حكوميًا، ليس هذا فحسب، بل أن عددا من الموظفين البلجيكيين فُصلوا من وظائفهم؛ لأنهم لا يتكلمون الهولندية وعُيِّن بدلاً عنهم موظفون هولنديون، وفي عام ١٨٢٣ أصبحت اللغة الهولندية اللغة القومية إلى جانب كونها اللغة الرسمية، ومما لاشك فيه أن مثل هذه الإجراءات الاستفزازية كان لها أثر كبير في نفوس الشعب البلجيكي[٣١].

كانت هولندا قد استدانت أموالا طائلة لسوء أحوالهم المالية إبان السيطرة الفرنسية، ومن ثم فرض الاتحاد على الشعب البلجيكي تسديد نصف هذه الديون، على الرغم من أن نصيبهم من هذه الديون كان قليلا جدا، فضلا عن أن الملك وليم فرض ضرائب على القمح واللحوم فاشتد أنين الفقراء البلجيكيين من عبء الضرائب على القمح[٣٢] .

٢- الأسباب الخارجية:

تعد ثورة بلجيكا نتيجة طبيعية للتطورات السياسية والفكرية والقومية التي شهدتها أوربا خلال الفترة التي أعقبت مؤتمر فينا وقراراته التي أخضعت البلدان للحكم الأجنبي، لذا كان هدف ثورة بلجيكا إقامة حكم يضمن الحقوق القومية والحرية والمساواة وحقق تقرير المصير .

ويمكن القول إن الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠ هي امتداد لثورة تموز من نفس العام في فرنسا، إذ لم يفصل بين الثورتين سوى بضعة أيام فقد انتشرت شرارة الثروة في باريس إلى خارجها، فخرج البلجيكيون بعد أن تلقوا أخبار الثورة[٣٣]، فلما وصلت أنباء الثورة في باريس اندلعت على الفور ثورة البلجيك مطالبة بالانفصال عن هولندا، إذ إنهم ولشدة تأثرهم بثورة الفرنسيين عرضوا على أحد أبناء لويس فيليب تاج بلجيكا لكنه رفض؛ لأن ذلك سيعني بمثابة الحرب بين فرنسا وبريطانيا[٣٤] كما سنرى.

ثالثا- مقدمات الثورة:

عاشت بلجيكا خلال خمسة عشر عاما حالة من التذمر وبشكل تراكمي نتيجة للسياسة الهولندية في حكمهم، إذ امتازت بالتمييز الواضح للهولنديين على حساب الشعب البلجيكي وقد ساعد الهولنديين على تطبيق هذه السياسة هو انقسام البلجيكيين أنفسهم إلى

حزبين سياسيين هما: الحزب الكاثوليكي الذي نادى بحرية التعليم ورفض علمانية الدولة، وحزب الأحرار الشديد التمسك بالعلمانية وبضرورة سيطرة الدولة على التعليم(٣٥).

عندما أحدقت الأخطار بوطنهم نسوا البلجيكيون خلافاتهم الدينية والسياسية، إذ قام اتحاد بين الأحرار والكاثوليك لإنصاف المظلومين والدفاع عن الحريات الدينية والمدنية بعد أن كان الشعب البلجيكي منقسما على نفسه خلال عهد الاتحاد مع هولندا، وكان هناك الكاثوليك المتطرفين من رجال الدين وحزب الأحرار الذي تأثر أعضاؤه بدرجات متفاوتة بمبادئ الثورة الفرنسية، وعلى الرغم من أنهما كلاهما لا يحب الآخر، إلا أنهم وحدوا كلمتهم خلال جلسات مجلس طبقات الأمة ليقاوموا الاستغلال الهولندي البشع بحق البلجيك، وحاول الملك وليم أن يقرب فريق الأحرار إلى جانبه ليهد بذلك تيار المتطرفين الكاثوليك ولكنه لم يفلح بذلك ففي عام ١٨٢٨ شهد الإعلان عن اتحاد الحزبين بشكل رسمي وتوحيد منهاجهما المنظم والمتضمن الدفاع عن حرية المذهب والتعلم وحرية الصحافة . كانت أول ثمرة لهذا الاتحاد هي تقدم الأهالي نهاية عام ١٨٢٨ بالمطالبة بإلغاء ضريبتي الخبز واللحم، وكان أهم ما يميز هذه المطالبة هي الروح القومية المفعمة، إذ اشتركت فيها جميع طبقات الشعب البلجيكي ابتداءً من طبقة النبلاء مرورا برجال الدين وانتهاء بسكان الريف، غير أن الحكومة لم تستجب لتلك المطالب .

على ضوء ذلك تحرك النواب البلجيك ضد سياسة الحكومة المتبعة تجاه الصحافة لتقييدها فتقدموا بطلب في ٣ كانون الأول ١٨٢٩ باقتراح لإلغاء مرسوم عام ١٨١٥ القاضي برفع الرقابة الصارمة على الصحف، غير أن هذا الاقتراح رُفض بإجماع الهولنديين وسبعة من النواب البلجيك، لم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، إذ وصلت رسالة ملكية في ١١ كانون الأول ١٨٢٩ إلى مجلس طبقات الأمة كان في مضمونها بيان وصف موقف النواب البلجيك هو من صنع (محترفي السياسة ومثيري الفتن) فاصدر الملك قانونا جديدا يضاعف فيه القيود على الصحافة(٣٦) .

نشطت حركة النواب البلجيك داخل المجلس ففي نهاية عام ١٨٢٩ قُرأت الميزانية العامة وعند قراءتها احتج عليها النواب البلجيكيون لما تضمنته من إجحاف بحق الشعب البلجيكي، فسبَّبَ ذلك هياج الملك وسياسته التعسفية، إذ كان الشعب البلجيكي وبالرغم من

سياسة الملك القاسية يرغب فقط بالحصول على استقلال ذاتي ولم يعارض بقاءه مع هولندا ضمن تاج واحد، ويبدو أن ذلك يعود إلى بعض الاهتمام الذي أبداه الملك وليم بمصالح بلجيكا التجارية والصناعية ورعايته لها لذا فقد تقدموا إلى الملك في لاهاي يعرضون عليه مظالمهم ويطلبون الاستقلال الذاتي على أن يكون أمير أورنج نائبا للملك عليهم(٣٧).

حاول الملك وليم أن يمتصَّ السخط الشعبي البلجيكي فأقدم في ربيع عام ١٨٣٠ على إصدار بعض المراسيم التي خففت من حدة الاستياء ومنها مراسيم ٢٧ آيار و ٤ حزيران ١٨٣٠ وقد نصَّتْ على تعديل بعض القوانين منها التعليم العام واستخدام اللغة الهولندية(٣٨)، إلا أن هذه الإصلاحات البسيطة قد أجهضت تماما عند صدور مرسوم ملكي في ٢١ حزيران ١٨٣٠ يقضي بأن يكون مقر محكمة الاستئناف العليا في لاهاي(٣٩).

رابعا: قيام الثورة .

بلغ الاستياء الشعبي في بلجيكا أشده، فكانت الجماهير تنتظر شيئا ما ليفجر الموقف، إلى أن جاءت ثورة باريس في تموز ١٨٣٠، كانت بلجيكا في ذلك الوقت تحتفل بمعرض الصناعات القومية فاتجهت النية لإنهاء هذه الاحتفالات بالاحتفال بعيد الميلاد التاسع والخمسين للملك وليم يوم ٢٤ آب ١٨٣٠، وبالفعل جرت الاحتفالات وصادف أن عرض خلال الاحتفالات على مسرح الأوبرا تناولت موضوعات ثورية للغاية، إذ جسدت مفاهيم ثورة نابليون ضد الحكم الاسباني فكانت هذه المسرحية بمثابة الشرارة التي أوقدت ثورة البلجيكيين، فقد أثرت المسرحية في نفوس الحاضرين أكبر الأثر بعدما عبرت عما كان يدور في صدور وعقول البلجيك عن الثورة فارتفعت هتافات الحاضرين ضد هولندا وأحدثت هذه الهتافات ضجة في دار الأوبرا وتجاوزت هذه الهتافات دار الأوبرا إلى شوارع بروكسل وتطور الأمر وتصاعد بشكل كبير كما لو أنها ثورة(٤٠).

عندما قامت ثورة ٢٧ تموز ١٨٣٠ في فرنسا كان لا مفرَّ من أن تصل أخبارها إلى بلجيكا، نظرا لقرب المسافة الجغرافية ومع ذلك فان ثورة ١٨٣٠ في فرنسا كانت بالنسبة للبلجيكيين فرصة ولم تكن مسؤولة عنها فالثورة في بلجيكا كانت من نتاج البلجيكيين أنفسهم(٤١).

كان البلجيكيون متململين ومتذمرين منذ وقت بعيد من حكم أسيادهم الهولنديين الصارم وكانوا يمقتون الدين البروتستانتي، وروح التسامح الديني الهولندي واستئثار الهولنديين بمقاليد بلادهم، ورأوا أنفسهم أكثر منهم عددا، وأفصح لسانا، واعتقدوا أنهم أعلى ثقافة وألطف معشرا فعقدوا العزم على خلع الحكم الأجنبي عن حكم بلادهم(٤٢).

مهما يكن من أمر، استمرت الهتافات المعادية لهولندا فتدخل النواب البلجيك الوطنيون لإخمادها وتقدم وفد بلجيكي بالشكوى إلى الملك وليم لكنه لم يصغِ إلى مطالب الشعب ولم يكن حكيما في تصرفه، وإزاء ذلك تأزمت الأوضاع كثيرا وازداد خطرها، الأمر الذي اضطر الملك أن يبدي سياسة لينة تجاه الشعب البلجيكي بعد أن استجاب لبعض مطالبه، إذ عزل وزيرًا للعدل ودعا مجلس طبقات الأمة إلى الاجتماع في جلسة غير عادية عرض فيها مطالب البلجيك بطريقة جعلت المجلس يرفضها ومع ذلك وعد الملك البلجيكيين بمعاونتهم على تحقيق مطالبهم بالانفصال عن هولندا إداريا، غير أن ذلك جاء متأخرا، فقد قام الثوار بتشكيل فرقة مكونة من أربعمائة مقاتل وهجموا على دار البلدية واستولوا عليها في ٢٠ أيلول ١٨٣٠(٤٣).

وإزاء ذلك أصدر الملك وليم الأوامر للقوات الملكية بالتدخل وفي صباح ٢٣ أيلول ١٨٣٠ دخلت تلك القوات بروكسل من ثلاثة محاور واستمر القتال لمدة ثلاثة أيام تقريبا من دون توقف، وفي مساء ٢٦ من الشهر نفسه صدرت الأوامر للجيش الهولندي بالانسحاب بسبب اشتداد الانتفاضة في الشارع البلجيكي التي تحولت إلى ثورة وطنية شملت أغلب فئات الشعب الهولندي(٤٤).

المبحث الثالث: نتائج الثورة البلجيكية

قسمت نتائج الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠- ١٨٣١ الى العديد من الأقسام، منها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

اولاً:- النتائج السياسية:

١- قيام دولة مستقلة جديدة: اذ انهت الثورة مشروع المملكة المتحدة لهولندا الذي اقر بمؤتمر فيينا عام ١٨١٥، واعلن استقلال بلجيكا في الرابع من تشرين الأول عام ١٨٣٠، واقر الدستور عام ١٨٣١ لتظهر مملكة بلجيكا ككيان سياسي مستقل.

٢- قيام النظام الملكي الدستوري: تم اختيار ليبولد الأول كأول ملك على بلجيكا في تموز عام ١٨٣١، وقد قامت المملكة البلجيكية على أساس دستور يقيد صلاحيات الملك ويمنح السلطة الأساسية للبرلمان(٤٥).

٣- تميزت الثورة البلجيكية بطابعها القومي الذي طغى عليها بشكل كبير، إذ اندفع الثوار في كل مكان ولم يكن بمقدور الهولنديين السيطرة عليها وللتعبير عن رمزية الثورة تم نصب تمثال تذكاري في ميدان بروكسل للتعبير عن الذين لقوا مصرعهم من البلجيكيين في المعارك التي دارت بينهم وبين الجيش الهولندي في أيلول ١٨٣٠(٤٦).

٤- نجح من تبقى من الثوار في تشكيل حكومة وطنية مؤقتة وفي الرابع من تشرين الأول ١٨٣٠ أعلن عن استقلال البلاد بعد أن دعي إلى عقد المؤتمر الوطني وفي ٢٢ تشرين الثاني من العام نفسه قرر المجلس التأسيسي أن الدولة الجديدة ستكون ملكية دستورية(٤٧).

ثانياً:- النتائج العسكرية:

١- المقاومة الهولندية: رفض الملك ويليام الأول الاستسلام بسهولة وحاول استعادة بلجيكا بالقوة وكون ما يعرف ب(حملة الأيام العشرة) عام ١٨٣١، لكن التدحل الفرنسي لصالح بلجيكا احبط خطط هولندا.

٢- حياد بلجيكا: اذ أجبرت معاهدة لندن عام ١٨٣٩ بلجيكا ان تكون دولة محايدة عسكرياً، وهو ما سيؤثر عليها لاحقاً خصوصاً بعد اندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية عندما انتهكت المانيا هذا الحياد(٤٨).

ثالثاً:- النتائج الاقتصادية:

١- بفضل مناجم الفحم وصناعة الحديد والنسيج أصبحت بلجيكا خلال العقود التي تلت الاستقلال واحدة من اكثر الدول الاوربية تقدماً اقتصادياً، ويمكن عدها في مصاف لدول المتقدمة عالمياً.

٢- تعزيز الطبقة الوسطى: مع قيام دولة ليبرالية ودستور يضمن الحقوق تعزز دور البرجوازية الصناعية والتجارية بأعتبارها الطبقة القائدة في المجتمع البلجيكي، وان

الصناعيون والطبقة البرجوازية البلجيكية رأوا ان الاستقلال سيمنحهم حرية اكبر في إدارة اقتصادهم[٤٩].

رابعاً: النتائج الاجتماعية:

١- تأكيد الهوية البلجيكية، اذ عززت الثورة الشعور القومي لدى سكان الجنوب الذين كانوا يعانون من فرض اللغة الهولندية وهيمنة البروتستانت، واضحت اللغة الفرنسية لغة النخبة السياسية والإدارية، بينما ظلت الهولندية (الفلامانية) مهمشة وهو ما ولد فيما بعد صراعاً لغوياً داخلياً استمر حتى القرن العشرين.

٢- المصالحة بين الكاثوليك والليبراليين: رغم اختلاف توجهات الطرفين، الكاثوليك كانوا يدافعون عن الدين والليبراليين كانوا يدافعون عن الحريات، الا انهم اتحدوا فيما بينهم من اجل نجاح الثورة مما جعل النظام الجديد يقوم على نوع من التوازن بين التيارين[٥٠].

خامساً:- تأثير الثورة على الصعيد الدولي:

١- الثورة البلجيكية أعطت دفعة معنوية لحركات التحرر القومي الليبرالي في اوربا، خصوصاً في إيطاليا وبولندا.

٢- أظهرت الثورة ان قررات مؤتمر فيينا ليست ابدية وان الشعوب قادرة على كسرها.

٣- توازن القوى الاوربية: اذ دعمت بريطانيا وفرنسا استقلال بلجيكا لاسباب استيراتيجية (من اجل منع هولندا من السيطرة على الموانئ البلجيكية، النتيجة كانت خلق دولة عازلة بين فرنسا وألمانيا، وهو ما استمر كعامل مهم في الجغرافية السياسية الاوربية حتى القرن العشرين) [٥١]

الخاتمة:

توصل البحث الى العديد من الاستنتاجات كان من أهمها:-

١- كانت بلجيكا محط انظار الدول الاوربية، ومنها اسبانيا والنمسا وفرنسا وهولندا، وذلك بسبب موقعها الجغرافي والاستيراتيجي بين هذه الدول، إضافة الى كثرة المعادن الطبيعية الموجودة فيها وشواطئها.

٢- طرحت المسألة البلجيكية في مؤتمر فيينا، وبعد عرض العديد من وجهات النظر، رجحت كفة واحدة وهي ان تكون بلجيكا تحت حكم آل اورنج الهولندية، وكان هذا

بسبب رفض بريطانيا المستمر ان تضم بلجيكا الى فرنسا وذلك خوفاً على مصالحها في المنطقة بعد التوسع الفرنسي، وبهذا ضمت بلجيكا الى هولندا رسمياً وسميت ب(الأراضي المنخفضة) ويمكن القول ان هذا خطأ كبير اذ دمجت امتين مختلفتين في الدين واللغة والتاريخ، ولم يراع الشعور القومي لتلك الشعوب.

٣- يمكن القول ان مقررات مؤتمر فيينا كانت حرباً على الأفكار الحرة والمبادئ الديمقراطية، لأنها فضلت مصالح الدول الكبرى على مصالح الدول الصغيرة منها، اذ رجحوا مصالحهم على المصالح القومية للشعوب.

٤- سيطرة الهولنديون على المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة، فكان التمييز السياسي والاجتماعي والديني واللغوي واضحاً على الرغم من تفوق نفوس البلجيكيين على الهولنديين، وهذا ولد فكرة الانفصال والاستقلال لدى الشعب البلجيكي.

٥- بقيت بلجيكا تحت سيطرة الهولنديين مدة خمسة وعشرون عاماً لكن هذا لم يمنع الشعب البلجيكي من التفكير بالثورة والاستقلال ولم يطفأ الشعور القومي لديهم، لذلك قام البلجيكيون بثورة ناجحة نالوا فيها استقلالهم، واعلن استقلال بلجيكا رسمياً في الرابع من تشرين الأول عام ١٨٣٠، واقر الدستور عام ١٨٣١، وقيام نظام ملكي دستوري وتطورت بلجيكا بعد الثورة على مختلف الأصعدة وكان الصعيد الاقتصادي أهمها.

الهوامش:

(١) زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٢٧٩ .

(٢) علي حيدر سلمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، الطبعة الأولى، دار واسط، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٣٢ .

(٣) ليوبولد الثاني (١٧٦٥ – ١٧٩٢) حكم (١٧٩٠ – ١٧٩٢) أحد أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة من آل حاسبورغ واحد اقدر حكام القرن الثامن عشر . ينظر: نعيم كريم عجيمي الشويلي، مترنيخ ودوره السياسي في أوروبا ١٨٠٩- ١٨٢٣ أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة بغداد ٢٠٠٦، ص٥ .

(٤) محمد مظفر الادهمي، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٩٨٨، ص٨ .

(٥) بلنتر: إعلان سياسي وقعه الإمبراطور ليوبولد الثاني مع الملك فردريك في مدينة بلنتز الألمانية وأعلنا فيه عزمهما على إنقاذ وإعادة الملكية في فرنسا التي كانت الثورة الفرنسية قد= =أطاحت بها . ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ٢٠٠٩، ص٦٥٦ .

(٦) هـ . أ . ل . فيشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) تعريب: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، الطبعة التاسعة ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ص٣١ .

(٧) محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص١٠ .

(٨) نابليون بونابرت: ولد في مدينة اجاكسيو في جزيرة كورسيكا الايطالية من عائلة ذات نسب ارستقراطي متواضع درس في فرنسا ثم دخل الكلية الحربية صنف المدفعية فتخرج منها ضابطا، ولمزيد من التفاصيل، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، الجزء السادس، ص٥٣٨.

(٩) مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٩، ص٦٧٦ .

(١٠) محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص٢٤-٢٥ .

(١١) زيدان حسان حاوي الشويلي، مؤتمر فينا ١٨١٤- ١٨١٥، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٥٠ .

(١٢) زين العابدين بن شمس الدين نجم، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الطبعة الاولى، دار الميرة، عمان، ٢٠١٢، ص٣٤٠ .

(١٣) تاليران: سياسي ورجل دولة فرنسا انتخب سنة ١٧٩٠ رئيسا للجمعية التاسيسية، وفي عام ١٧٩٧ وزير العلاقات الخارجية، قربه نابليون منه لكنه كان يتآمر عليه ساعد لويس الثامن عشر على تولي العرش، ولمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٦٧١ .

(١٤) زيدان حسان حاوي الشويلي، المصدر السابق، ص٤٨ .

(١٥) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٧٦ .

(١٦) كاسلريه: (١٧٦٩-١٨٢٢) انظم إلى حزب المحافظين عندما دخل إلى مجلس العموم البريطاني عام ١٧٩٥، خدم وزيرا لشؤون الحرب والمستعمرات في اغلب الفترات كما ساهم في التخطيط للحملات البريطانية في الحرب ضد نابليون شغل منصب وزير الخارجية عام ١٨١٢، ولغاية وفاته، انظر: زيدان حسان حاوي الشويلي، المصدر السابق، ص٥٨ .

(١٧) زين العابدين شمس الدين نجم، المصدر السابق، ص٣٤٤ .

(١٨) زيدان حسان حاوي الشويلي، المصدر السابق، ص٦٤- ٦٩ .

(١٩) لويس الرابع عشر: ملك فرنسا من عام ١٦٦١ حتى عام ١٧١٥ من الشخصيات التي شغلت المؤرخين كثيرا من دون أن يتوصلوا إلى إعطاء صورة أكيدة ونهائية عنه، ولمزيد من التفاصيل، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص٥٣٢ .

(٢٠) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا في النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٦٦-١٦٧ .

(٢١) وليم اورنج: هو ابن الأمير وليم الخامس الاورنجي وآخر حاكم للأراضي المنخفضة حارب فرنسا في حروب الثورة الفرنسية وحينما احتلت بلاده التحق بالجيش النمساوي منحه مؤتمر فينا ١٨١٥ لقب ملك الأراضي المنخفضة . لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، الجزء السادس، ص٤٣٢ .

(٢٢) محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص٥٩-٦٣ .

(٢٣) مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص٦٩٧ .

(٢٤) كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث، ١٧٨٩-١٩١٤، ترجمة: فاضل حسين، بغداد، ١٩٨٨، ص١١٩ .

(٢٥) محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص٦٨ .

(٢٦) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٧٨ .

(٢٧) زينب عصمت راشد، المصدر نفسه، ص٢٨٠ .

(٢٨) http//en.wikipedia-org/w/index-php

(٢٩) عبد العزيز سليمان نور ومحمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠، ص٣٢٦ .

(٣٠) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٨٢ .

(٣١)E.H.kossmann,De larg landen 1780/1980amsterdam,1986.128

(٣٢) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٨٣ .

(٣٣) مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص٧٠٦ .

(٣٤) عبد العزيز سليمان نور وحمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص٣٢٦ .

(٣٥) محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص١٧٥ .

(٣٦) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٣ .

(٣٧) بير رونوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤، ترجمة، جلال يحيى، الإسكندرية ١٩٦٨، ص٦٨ .

(٣٨) Jacques logio de la, lindependance aregional isaton, 1830, duculot, paris- gembloux, 1980,p.21

(٣٩)زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٤٠) http//en.wikipedia-org/w/indiex-php .

(٤١) ميلاد . أ . المقرحي، موجز تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى، جامعة قاريونسي، بنغازي، ١٩٩٨، ص١١١ .

(٤٢) هـ . أ . ن . ل فشر، المصدر السابق، ص١٤٣ .

(٤٣) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص٢٨٦ .

(٤٤) بير رونوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤، ترجمة، جلال يحيى، الإسكندرية ١٩٦٨، ص٦٨ .

(٤٥) هـ . أ . ن . ل فشر، المصدر السابق، ص145 .

(٤٦) George Edmundson the History of Holland cambridge at the university, 1922,p . 389 .

(٤٧) بير رونوفان، المصدر السابق، ص٨٠ .

(٤٨) زينب عصمت راشد، المصدر السابق، ص١٨٩ .

(٤٩) مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص٧١٠ .

(٥٠) محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص١٧٩ .

(٥١) كارلتون هيز، المصدر السابق، ص١٤٥.

قائمة المصادر:-

اولاً:- المصادر العربية والمعربة:

١- بير رونوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤، ترجمة، جلال يحيى، الإسكندرية ١٩٦٨.

٢- زين العابدين بن شمس الدين نجم، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الطبعة الاولى، دار الميرة، عمان، ٢٠١٢.

٣- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا في النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري، القاهرة، ٢٠٠٠.
٥- عبد العزيز سليمان نور ومحمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠.
٦- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ٢٠٠٩.
٧- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء السادس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩.
٨- علي حيدر سلمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، الطبعة الأولى، دار واسط، بغداد، ١٩٩٠.
٩ - كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث، ١٧٨٩-١٩١٤، ترجمة: فاضل حسين، بغداد، ١٩٨٨.
١٠- محمد مظفر الادهمي، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٩٨٨.
١١- مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٩
١٢- ميلاد . أ . المقرحي، موجز تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى، جامعة قاريونسي، بنغازي، ١٩٩٨.
١٣- هـ . أ . ل . فيشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) تعريب: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، الطبعة التاسعة ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣.

ثانياً:- الرسائل والاطاريح:

١- زيدان حسان حاوي الشويلي، مؤتمر فينا ١٨١٤- ١٨١٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

٢- نعيم كريم عجيمي الشويلي، مترنيخ ودوره السياسي في أوروبا ١٨٠٩- ١٨٢٣ أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة بغداد ٢٠٠٦.

ثالثا:- المصادر الأجنبية:

1- E.H.kossmann,De larg landen 1780/1980amsterdam,1986.

2- Jacques logio de la, lindependance aregional isaton, 1830, duculot, paris- gembloux, 1980.

3- George Edmundson the History of Holland cambridge at the university, 1922.

http//en.wikipedia-org/w/index-php

الحركة النسوية الروسية ونشاطها التعليمي

١٨٥٥-١٧٦٤

The Russian feminist movement and its educational activity 1764-1855

م. طالب هاشم عاتي

Talib Hashim Ati

المديرية العامة لتربية ميسان

General Directorate of Education Maisan

talib.alnoori@gmail.com

رقم الهاتف ٠٧٧١١٦٢٧١٣٥

الحركة النسوية الروسية ونشاطها التعليمي ١٧٦٤-١٨٥٥

م. طالب هاشم عاتي

الملخص

اخذت العديد من النسوة اللاتي يمثلن الطبقة الحاكمة، بزمام المبادرة، للنهوض بالتعليم النسوي داخل الامبراطورية الروسية، عبر توظيفهن الجهود الإصلاحية، التي تبنّاها القيصر بطرس الأكبر، في منح المرأة حقوقها في مجال التعليم، وقد ظهرت تلك النشاطات بصورة تدريجية، منذ منتصف القرن الثامن عشر، إذ سعت النسوة، من العوائل النبيلة، لإيجاد مؤسسات تعليمية، تجعلهُنَّ قادرات على رسم صورة جديدة للمرأة الروسية، في ظل التحولات الجديدة، وكان في مقدمتهن الإمبراطورة كاثرين الثانية، التي نجحت بإنشاء أوّل مؤسسة تعليمية نسوية عام ١٧٦٤، كما أنها تقدمت خطوة أخرى بمشروعها الإصلاحي، في ضوء إنشائها المعاهد الثانوية المختلطة عام ١٧٨٤، وجاءت بعدها الإمبراطورة ماريا فيدورنفا، التي سعت الى إبراز المحور التعليمي النسوي، بإنشائها مؤسسات أخرى، اتصفت بالطابع الخيري، منها معهد مارينسكي عام١٧٩٧، ومدرسة كاثرين عام١٧٩٨، ومعهد بافلوسكي عام١٨٠٧، ولم تتوقف الحركة التعليمة النسوية عند ذلك الحد، فقد عملت الإمبراطورة ألكسندرا فيودوروفنا منذ عام ١٨٢٨ بمساعدة زوجها، القيصر الروسي نيكولاس الأول، في دعم المؤسسات التي تم انشاؤها، إذ إنهما استحدثا عدداً آخراً من المعاهد، التي امتد تأثيرها الى مختلف أنحاء روسيا القيصرية، واستمرا في دعم الحركة التعليمية النسوية حتى عام ١٨٥٥.

الكلمات المفتاحية: القيصر بطرس الأكبر، الحركة التعليمية النسوية، الامبراطورة كاثرين الثانية، الامبراطورة ماريا فيدورنفا، الإمبراطورة ألكسندرا فيودوروفنا

Abstract

Many women of the ruling class took the initiative to promote feminist education within the Russian Empire by employing the reform efforts adopted by Tsar Peter the Great to grant women their

rights in the field of education. These activities appeared gradually since the middle of the eighteenth century, as women from noble families sought to find institutions Educational institutions that make them able to draw a new image of Russian women in light of the new transformations. Foremost among them was Empress Catherine II, who succeeded in establishing the first specialized educational institution for women, represented by the Imperial Educational Society for Daughters of Nobles in 1764. She also took another step forward with her reform project in light of her establishment of mixed secondary institutes. In 1784, Empress Maria Fedorenva came after her, who sought to highlight the feminist educational axis by establishing other institutions characterized by a charitable nature, including the Mariinsky Institute in 1797, the Catherine School in 1798, and the Pavlosky Institute in 1807. The educational movement did not stop there, as the Russian Tsar Nicholas I worked there after the death of his mother. He supported the institutions that had been established since 1828, and created a number of other institutes whose influence extended to various parts of Tsarist Russia. He continued to support the feminist educational movement with his wife, Empress Alexandra Feodorovna, until 1855.

Keywords: Peter the Great, Feminist Educational Movement, Empress Catherine II, Empress Maria Fedorenva, Empress Alexandra Feodorovna

المُقدِّمة

كان للحركة النسوية الروسية دوراً واضحاً في إرساء معالم المؤسسات التعليمية النسوية الروسية، لكن تلك الجهود التي لم تُسَّلط عليها الأضواء بشكل كافٍ، إذ إنَّ العديد من الدراسات الأكاديمية قد أشارت بشكل بسيط ، إلى الجهد الذي بذلته النسوة، من اجل إنشاء تلك المؤسسات، ولم توضَّح أبرز المُعطيات التي تمخضت عنها من قرارات سياسية اتخذها النظام القيصري من اجل بلورة الاسس الخاصة بالنظام التعليمي النسوي ومن هذا المنطلق حاولنا توضيح الملامح العامة للتعليم النسوي في المدة ١٧٦٤-١٨٥٥، لما شهدتهُ من أحداث مهمة غيُبت فيها الحركة التعليمية النسوية بشكل كبير، وقد قُسَّم البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور، بينت المقدمة اهمية الموضوع واسباب اختياره وابرز مفاصله ، وتطرق

المحور الأول فيها الى الجذور التاريخية لنشوء التعليم النسوي ابان حكم بطرس الاكبر والجهود الجبارة التي بذلتها الامبراطورة كاثرين الثانية التي احتفظت بإصلاحاته لبلورة التعليم النسوي في المدة ١٧٦٢-١٧٩٦، أما المحور الثاني فقد سلَّط الأضواء على أبرز ما بذلته الإمبراطورة ماريا فيدوروفنا في المدة١٧٩٧- ١٨٢٨ من اجل دعم المؤسسات التعليمية النسوية ، وبين المحور الثالث التطورات التي عاشتها الحركة التعليمية النسوية ابان عهد الامبراطورة الكسندرا فيدورنفا وابرز الجهود التي بذلتها رفقة زوجها القيصر نيكولاس الاول في المدة ١٨٢٩-١٨٥٥ من اجل الحفاظ على المكاسب المتحققة للتعليم النسوي في العهود السابقة.

اولاً: بوادر نشوء التعليم النسوي ودور الامبراطورة كاثرين الثانية١٧٢٤-١٧٩٦

تعود الجذور الأولى لنشوء التعليم النسوي في الامبراطورية الروسية إلى عهد امير كييف روس فلاديمير الاول Vladimir1 [١] الذي انشأ اول مدرسة للفتيات في احد الاديرة عُرفت بمدرسة كييف النسوية عام١٠٠١م، وقد اقتصر التعليم فيها على القراءة والكتابة والقدرة على تفسير الكتاب المقدس في ظل التحول المبكر للديانة المسيحية (**Зинченко, 1901, pp. 8-9**)، وانشأت القديسة آنا يانكا Anna Yanka (١٠٥٥-١١١٢)[٢] في كييف مدرسة اخرى للبنات عام ١٠٨٦م في دير القديس أندروAndrew ، وقد عملت الاميرة على جمع ثلاثمائة فتاة لتعليمهن على نفقتها الخاصة وتمثل المنهج الدراسي بتعليم الفتيات العقيدة الدينية والقراءة والكتابة والحرف اليدوية كالغزل والنسيج وخياطة الملابس والتطريز، الامر الذي اكد بساطة النظام التعليمي (**март, 1845, p. 196; Сборник, 2022, p. 314**) .

عمدت القديسة يوفروسين Euphorosin (١٢٠٧-١٢٥٠)[٣] على انشاء مدرسة للراهبات في سوزدال احدى امارات كييف روس لتعليم الفتيات القراءة والكتابة ومما تقدم نرى ان عمل المدارس النسوية التي ظهرت منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر قد ارتبط بالكنائس والاديرة التي اخذت على عاتقها تعليم الراهبات والأميرات وبنات الطبقة العليا البويار في المجتمع الروسي (**ЕЛОНОВА, 2011, p. 12**) وقد اوقف العمل في تلك

المدراس في عام ١٢٣٧ نتيجة الغزو المغولي وتبلور الثقافة الابوية في المجتمع الروسي، التي صورت المرأة بمثابة التابعة لزوجها واختزلت دورها في رعاية الاسرة وانجاب الاطفال ففقدت النسوة من بنات النبلاء والتجار لنفوذهن، وقد استمر ذلك حتى اواخر القرن السابع عشر الذي شهد تحولاً تدرجياً في التعليم النسوي (Mustafa, 2009, p. 35; Зинченко, pp. 10-14).

كان عدد المؤسسات التعليمية النسوية محدوداً عند اعتلاء بطرس الاكبر Peter the Great [٤] العرش الروسي، إذ إنها كانت فردية واقتصرت على المراكز الدينية ولاسيما في الكنائس والاديرة ، اذ بدأت الكنيسة اللوثرية في الحي الالماني بموسكو التعليم الخاص بالبنات عام١٦٩٤، بينما اضحت الكنيسة الانجيلية للقديس بطرس في مدينة سانت بطرسبرغ مسؤولة على تعليم البنات منذ عام ١٧٠٣ الا ان تلك المدراس كانت قد أُنشئت للأطفال الاجانب والتي كان معظمهم من الفرنسيين والفرنسيات (Учебное, 2009, p. 14).

وقد تبلورت فكرة إنشاء أول مؤسسة تعليمية نسوية في روسيا أثناء وجود بطرس الاكبر في فرنسا فبعد زيارته لمؤسسة تعليمية نسوية في سان سير Saint-Cyr عام ١٧١٧ ، اراد انشاء مدرسة نسوية تحمل اسم زوجته وتكون تلك المؤسسة التعليمية تحت رعايته ، لكنه لم يتمكن من تحقيق امنيته ، الا ان ذلك لم يؤثر على توجهاته في ايجاد الركائز الاساسية لتعليم المرأة ، فقد اصدر في الرابع والعشرون من كانون الاول عام ١٧٢٤ مرسوماً أمر فيه الراهبات بتربية الأيتام من كلا الجنسين وتعليمهم القراءة والكتابة وتعليم البنات الغزل والحياكة، فضلاً عن مهارات أخرى وعكس ذلك المرسوم في جوهره النية الحقيقية التي حملها المصلح الروسي في منح النسوة الروسيات قدراً مقبولاً من الحقوق التي حُرمن منها في الحقب الماضية مما يعني تحول كبير في مسار الحركة النسوية الروسية في المجال التعليمي (Учебное, p. 14).

ظهر على وفق تلك التحولات جيل جديد من النسوة اللاتي عبرن عن استعدادهن للمشاركة في الحياة العامة وفي استنهاض الدور الذي يمكن ان تؤديه المرأة الروسية في

خلق اجيال قادرة على النهوض بالأمة الروسية ، وقد تعززت تلك الرؤى باعتلاء كاثرين الثانيةCatherine II [٥] العرش الروسي في السنوات (١٧٦٢-١٧٩٦) والتي اتخذت خطوات جادة في المسار التعليمي ، اذ انها اكدت على ضرورة تعليم المرأة بشكل واسع وجعلها عنصر فاعل في المجتمع وقد تبنت الامبراطورة تلك المفاهيم نتيجة تأثرها بالأفكار التنويرية التي بدأت معالمها بالوضوح في المانيا وفرنسا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (Elizabeth, 2009, p. 3).

أفصحت الامبراطورة الروسية عن اهتمامها الشديد بأساس التعليم وشموليته، فكان التعبير عن العقيدة التعليمية الجديدة في المدة الأولى من إصلاحات كاترين التعليمية قائم على ايجاد "**المؤسسة العامة للتعليم المختلط**" ، وقد اصدرت الإمبراطورة في الثاني عشر من اذار ١٧٦٤ مرسوماً اكدت فيه على ذلك، وكان أول تطبيق ملموس لتلك المبادئ في موسكو عام ١٧٦٤ ، وفي سانت بطرسبرغ عام ١٧٧٠ (**Страницы, 1899, p. 9**).

تمثلت ابرز معالم النهضة النسوية في المجال التعليمي ابان عهد الامبراطورة كاترين الثانية بافتتاح الجمعية التعليمية الإمبراطورية لبنات النبلاء فقد اصدرت كاثرين الثانية مرسوماً في الرابع والعشرون من نيسان ١٧٦٤اعلنت فيه عن تأسيس الجمعية التعليمية الإمبراطورية والتي اخذت على عاتقها بناء مجتمع نسوي متعلم قادر على تنمية الأسرة في المجتمع الروسي ، وقد اشترطت على البنات دخول المؤسسة بعمر ست سنوات والبقاء هناك لمدة اثني عشر عامًا ، وتم أخذ تعهدات من الوالدين بعدم المطالبة بإعادتهن تحت أي ذريعة حتى انتهاء مدة الدراسة ، كانت الإمبراطورة تأمل من ذلك ابعادهن لفترة طويلة من بيئة جاهلة وإعادتهن وهن يحملن التطور العلمي من اجل بناء المجتمع ، وقد أمر مجلس الشيوخ[٦] بطباعة وإرسال ميثاق تلك المؤسسة إلى جميع المدن حتى يتمكن كل النبلاء من تنفيذ ذلك التعليم المؤسسي ونص المرسوم على تعليم مائتي فتاة من بنات النبلاء في دير نوفوديفيتشي الذي اصبح أول مؤسسة تعليمية عامة واتخذت المؤسسة التعليمية تسمية معهد سمولني والتي باتت من اولى المؤسسات التعليمية النسوية (**Мордвинова, 2007, pp.** 259-260; **Поздняков**, 2014, **pp. 105-106**).

أمرت الامبراطورة كاثرين الثانية بعد سبعة أشهر من افتتاح المؤسسة التعليمية النبلاء بإنشاء ما يسمى بقسم تعليم البنات للطبقة الوسطى وتم تصميم ذلك القسم لـ مئتان واربعون طفلاً درست فيه بنات المسؤولين، والجنود ، وبنات الضباط في الحرس الامبراطوري ، وموظفي البلاط ، والتجار الصغار، وكان مسار الدراسة في القسم الجديد أبسط وأكثر واقعية بتعليم البنات القدرة على القراءة والكتابة، والفنون الحسابية، وتدريسهن الفنون والرسم والرقص والموسيقى، فضلاً عن اهتمام خاص بأعمال التدبير المنزلي وبذلك تلقت الفتيات الاصول الاولى لتعليمهن في ضوء ما تم اقراره من مناهج (**Учебное , соч., стр.ср ,с29-30 ؛ удк 2010,с264).**

أصدرت الامبراطورة كاثرين الثانية عام ١٧٨٦كذلك ميثاقاً اكدت في رؤاه على ضرورة إنشاء المدارس المختلطة في روسيا وفقا للنموذج النمساوي، الا ان تلك المدارس تركزت في المدن على العكس من نظيرتها النمساوية التي امتدت الى المناطق الريفية ، ومع ذلك فقد كان عدد الطلاب في تلك المدارس صغيرا للغاية وذلك للصعوبات التي واجهتها البنات في المدارس المختلطة، **(Учебное,соч,стр.с,36)**،وافتتحت الامبراطورة في عام ١٧٨٩معهد بافلوفسكي في موسكو باعتباره قسم الأطفال في دار الأيتام العسكرية لإيواء وتربية وتعليم أطفال الضباط والجنود اللذين اصيبوا او فقدوا حياتهم اثناء العمليات الحربية المحتدمة بين الروس والعثمانيين وقد اخذ المعهد على عاتقه تعليم البنات اليتيمات من اللاتي فقدن ابائهن في الصراعات العسكرية **(Пономарева, 2021, с14).**

ذكرت السجلات الرسمية في عام ١٧٩٦ ان عملية النهوض بالتعليم النسوي طوال تلك المدة قد لاقت صعوبات كثيرة ، إذ إن الاحصائيات المتعلقة بعدد البنات اللاتي قد تلقين التعليم في مدينة موسكو حتى عام ١٧٩٤ قد اكدت عدم وجود فتاة واحدة تدرس في المدارس العامة وحتى في المدارس الداخلية والمدارس الخاصة، لكن ذلك الامر تغير في السنوات التالية بشكل محدود فمن بين (٣٠٦١) طالبًا ، كان هناك (١١٣) فتاة فقط في المقاطعة بأكملها، ومن أصل (١١٢١) طالبة في تلك المدارس درس(٧٥٩) طالبة في سانت بطرسبرغ ، و(٣٦٢) طالبة في بقية روسيا، ووفقًا للمعلومات التي قدمها المؤرخ ب.

ب. ميليوكوف P.P. Milyukov في كتابه "مقالات عن تاريخ الثقافة الروسية"، حول التعليم النسوي فان المدة (١٧٨٢-١٨٠٠) قد شهدت دخول(١٧٦,٧٣٠)الف شخص للتعلم في المدارس العامة في روسيا ، الا انه لم يكن هناك سوى (12,595) الف فتاة فقط أي ما يزيد قليلاً عن(٧٪) وكان معظمهم في العاصمة ؛ وقد اكدت تلك الأرقام حالة التخلف الشديد في تعليم المرأة في روسيا بحلول نهاية القرن الثامن عشر (Учебное ,. соч., стр. , с36 ؛ Милюков,1994,с275)

ثانياً : تنامي التعليم النسوي وتبلور نشاطاته ١٧٩٧ - ١٨٢٨

أصبحت المؤسسات التعليمية النسائية الحكومية ، ومعاهد الصم والمكفوفين ، والمنازل التعليمية بعد وفاة الإمبراطورة كاترين الثانية عام ١٧٩٦، تحت رعاية الإمبراطورة ماريا فيدوروفنا Maria Feodorovna ١٧٥٩-١٨٢٨[٧] ، زوجة القيصر بول الأول Emperor Paul I ١٧٩٦-١٨٠١ [٨] بعد اصدار المرسوم الامبراطوري عام ١٧٩٧، والتي أضحت في ضوئها إدارة تلك المرافق التعليمية تحت اشراف الإمبراطورة الجديدة التي باتت مسؤولة عن العديد من المؤسسات الخيرية بما في ذلك المدارس الداخلية ودور الأيتام ومدارس الفتيات ، ومنذ ذلك الوقت بدأ الفصل التدريجي لتربية وتعليم المرأة الروسية في جزء منفصل من الحكومة له أهداف خاصة تختلف عن نظام التعليم العام..(Dmitri,2000,P56).

تمثلت المهمة الرئيسية لزوجة القيصر الروسي ماريا فيدوروفنا بإيجاد المحيط التعليم الملائم للعائلة الروسية ، فقد ركزت على امتلاك الاسرة قدراً مناسباً من التعليم لتنهض بالمجتمع الروسي فالحاجة إلى تثقيفها اضحى من الأهداف الأساسية في المنهج التعليمي لدى الامبراطورة ، وعلى الرغم من قلة النساء المتعلمات ، الا ان حقيقة مساواتهن مع الرجال باتت حقيقة واضحة في ظل التوجهات الجديدة.(Dmitri, opcit ,P57 ؛ Сабанеева,1996, с 363).

رأت الإمبراطورة أن هدف المؤسسات التعليمية للمرأة ليس في خلق سلالة خاصة من النبلاء تحمل افكاراً خلاقة تقتصر على قدرتهم في بناء انفسهم لإدارة الدولة فقط ، ولكن

في تعليم الزوجات والأمهات وربات البيوت الصالحات القادرات على بناء اسرتهن لإيجاد بنية رصينة مثقفة تستند عليها الدولة في تنمية قدراتها ، لذا اكدت في المناهج التي وضعتها على العقائد، والأدب الفرنسي بشكل أساسي ، واللغات الأجنبية ، والتطريز ، والموسيقى ، والرقص. وامتدت تلك المبادئ إلى المعاهد التي قامت بإنشائها. **(О. Б. 2013, с 62).**

أسست الإمبراطورة ماريا فيودوروفنا في عام ١٧٩٧ أول معهد نسائي لها في سانت بطرسبرغ باسم معهد مارينسكي للأيتام ، وقد أعلنت تلك المؤسسة التعليمية توجهها الاجتماعي، اذ انها لم تكن مخصصة لفتيات طبقة البويار، بل لبنات التجار الحرفيون ، والكهنة ، ورجال الدين ، وموظفو البلاط الملكي ، أي انها وجهت نشاطه الى الطبقة المتوسطة في الهيكل الحكومي . **(Модзалевский ,2012, с18-19).**

عمدت الامبراطورة بعد انشاء معهد فتيات الطبقة الاجتماعية المتوسطة في سانت بطرسبرج الى افتتاح مدرسة كاثرين في سانت بطرسبرغ سنة ١٧٩٨ لبنات الطبقة العليا، وتم قبول البنات فيها من النبلاء وقد نص المنهج التدريسي على ضرورة توافق الأنشطة التي تقوم بها الفتيات في داخل ذلك المعهد مع متطلبات الحياة ، أي اعدادهن ليكونن قادرات على مواجهتها لأن معظمهن مع عدم وجود الآباء كان يتعين عليهن إيجاد وسائل العيش بأنفسهن، ليساعدن اسرهن للنهوض بالأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقهم ، وقد استقبلت المدرسة في البداية ستون تلميذاً تتراوح أعمارهم بين عشرة و اثنا عشرة عامًا "من بنات النبلاء الفقيرات والضعيفات" ، وبلغت ساعات التدريس ثلاثون ساعة في الاسبوع ، وقد تضمن منهج الدراسة الدين ، والجغرافية ، والتاريخ ، والخط ، والحساب وكانت تلك المدرسة الأكثر تميزا بين المؤسسات التعليمية الأخرى المماثلة. **(Камер,1905,с.432–433 ؛ ٧ Карцов ,1898,с 6-) .**

نجحت الامبراطورة في الحصول على موافقة القيصر الروسي في اصدار لوائح دار الأيتام العسكرية الإمبراطورية" بافلسكي ، في الثالث والعشرون من كانون الاول ١٧٩٨، والذي يعد الأساس القانوني للمؤسسة التعليمية ، وتم تقسيم المنزل إلى قسمين ، كان قسم البنات المكون من خمسين تلميذة من العرق النبيل وخمسين من بنات الجنود يقع في مبنى

منفصل بقصر فورونتسوف Vorontsov Palace ، كان محتواهما يتسم بالبساطة الا ان الأفضلية في قواعد القبول كانت قد منحت لصالح بنات الجنود ، وكان من شروط القبول عدم تجاوز عمر البنت أحد عشر عامًا ، وقد درس تلاميذ النبلاء العقائد الدينية الروسية والألمانية ، والحساب ، والرسم ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والحرف اليدوية. وكان تعليم بنات الجنود أكثر تواضعا اذ أعطيت الأفضلية للحرف اليدوية. **Исторический ,1898, c .45) ؛ 1-2 c ,1999 г).**

اسّست الامبراطورة ماريا فيدوروفنا بعد مقتل زوجها معهد سانت كاثرين في موسكو عام ١٨٠٣، كفرع اخر من المعهد الاساسي الذي تم انشاؤه في سانت بطرسبورغ ، وخصصت سبعة عشر ألف روبل من أموالها الخاصة من اجل انشاؤه وتلقت ثلاثون ألف روبل لبناء المنزل نفسه من القيصر الروسي ألكسندر الأول Alexander I [٩] ،وفي اوائل عام ١٨٠٤ قدمت ماريا فيدوروفنا مشروعها لتنظيم خمس مدارس نسائية على نموذج معهد كاثرين للموافقة عليه من قبل الإمبراطور وقد وافق القيصر الروسي على ذلك المشروع في الثامن عشر كانون الاول١٨٠٤ وقد بدأ بناء اول منزل منهن في موسكو في الثاني والعشرون من الشهر نفسه **(с. И., 2002,с6)**

افتتحت الامبراطورة ماريا فيدوروفنا فرع اخر من معهد ماريانسكي عام ١٨٠٥ في موسكو وقد سمي بمعهد الكسندر حيث درست فيه بنات كبار الضباط والجنود، وتم قبول الأطفال من مختلف الطبقات المتوسطة ، وفي الأصل كانت تسمى مدرسة الفتيات من الطبقة المتوسطة ، وقد شهدت تلك المؤسسة التعليمية انضمام العديد من ابناء المجتمع الروسي ولاسيما البنات من رجال الدين ، والتجار ، وبنات المسؤولون ، والمعلمون ، والفنانون الذين ليس لديهم صفوف دراسية .**(Пономарева. соч., стр. с114-115).**

تولت الامبراطورة ماريا فيودوروفنا عام ١٨٠٧ ادارة مدرسة العذراء بعد فصلها عن دار الأيتام العسكري بعد صدور الاوامر من قبل القيصر الروسي الإسكندر الأول، واطلق عليها منذ ذلك الوقت معهد بافلوفسك النسائي للعذارى النبلاء وقد بدأت الاخيرة بوضع خطط كبيرة للنهوض بتلك المؤسسة التعليمية فقد طالبت ماريا فيدوروفنا بضرورة مراعاة التلاميذ في كل

شيء ، وفي الوقت نفسه راقبت بعناية رعاية الفتيات ولم تتسامح أي اجراءات تعرقل عملية تعليمهن.(**Микиртичан,2013,c120).**

عمدت الامبراطورة في عام ١٨١٢على افتتاح معهد اخر لتعليم بنات الضباط والجنود اللذين قتلوا اثناء الحرب الروسية الفرنسية التي اندلعت في العام نفسه، وسميت بـ "مدرسة الأيتام" وقد عرفت تلك المدرسة فيما بعد باسم معهد المجتمع الوطني ، او المعهد الوطني ، وقد كان المعهد امتداد للمعهد الذي انشأ في السنوات الماضية ، وحمل على عاتقه النهوض بتعليم بنات الضباط والجنود في المؤسسة العسكرية وتحمل أعباء تعلمهن وتعويضهن ما فقدنه واعدادهن ليكونن جزء من المجتمع الروسي. **(Бардовский ,1913,C.7).**

عملت الامبراطورة على افتتاح اول معهد في خاركوف عام ١٨١٢ وفي بولتوفا ١٨١٦، وبذلك فان التعليم النسوي في المرحلة الثانوية لم يقتصر على سان بطرسبورغ وموسكو ، وانما امتد الى المقاطعات والاقاليم الاخرى من البلاد وعملت الامبراطورة في السنوات ١٨٢٠و ١٨٢٣ على تنظيم مدرستين لبنات الجنود من أفواج الحرس الامبراطوري ، كما انها انشات مدارس للأطفال من الرتب الدنيا من القسم البحري في سيفاستوبول ونيكولاييف عام ١٨٢٦، وكانت ابرز المشاكل التي واجهتها قد تمثلت بنقص المعلمين في ادارة تلك المؤسسات، الا انها حاولت تلافي تلك المعوقات عبر نشاطها المتواصل الذي نجحت في ضوئه على حمل راية التعليم النسوي فاضحت امتداد للنشاط الذي قامت به كاترين الثانية التي وضعت الحجر الأساس لتعليم المرأة في روسيا، اذ ان الامبراطورة ماريا فيدوروفنا كانت قد اسهمت في انتشار تعليم المرأة، وأنشأت نظامًا للمؤسسات التعليمية المصممة لممثلي الطبقات المختلفة**(Муханова ,1878,c299-329).**

اضحت المؤسسات التعليمية التي أنشأتها ماريا فيدوروفنا نهاية عام ١٨٢٨ تتكون من معهد ماريينسكي (١٧٩٧) ومعهد كاترين في سانت بطرسبرغ (١٧٩٨) ومعهد بافلوفسك في سانت بطرسبرغ (١٨٠١) ومعهد كاثرين في موسكو (١٨٠٢) ومعهد الإسكندر في موسكو (١٨٠٥) ومعهد بافلوفسك للبنات في سانت بطرسبورغ(١٨٠٧) ومعهد خاركوف للبنات (١٨١٤) وثلاث مدارس لبنات الجنود من أفواج حرس الامبراطور في سانت بطرسبرغ

(١٨٢٠) ومعهدين اخرين في موسكو (١٨٢٧) وسيفاستوبول (١٨٢٧) وقد نجحت بإدامة عمل تلك المؤسسات من خلال الدعم الحكومي، فضلاً عن التبرعات والهبات التي كانت تحصل عليها من العوائل النبيلة وبذلك كان لها ابلغ الاثر بإنشاء اولى مرتكزات التعليم النسوي الروسي **(С.И.,соч.,стр.c14)**.

ثالثاً: التعليم النسوي وانعكاس التوجهات الحكومية عليه ١٨٢٩-١٨٥٥

انتقلت رعاية المؤسسات التعليمية التي انشأتها الإمبراطورة ماريا فيودوروفنا بعد وفاتها عام ١٨٢٨الى الإمبراطورة ألكسندرا فيودوروفنا **Alexandra Fyodorovna** [١٠] بعد ان اصدر زوجها الإمبراطور نيكولاس الأول **Emperor Nicholas I** ١٨٢٨-١٨٥٥ [١١] ، مرسوماً بوضعها تحت رعايتها ، الا انه الزمها بالرجوع اليه لاتخاذ القرارات الخاصة بها, وفي ظل الظروف الجديدة تغيرت أهداف التعليم فبعد كانت المهمة في عهد الإمبراطورة الراحلة تتلخص بتربية زوجات صالحات ، ورعاية الأيتام من بنات الضباط والجنود ، وإعداد بنات من الأسر التي فقدت ذويها للحياة المستقبلية، باتت الرؤى الجديدة للتعليم النسوي مختلفة فقد تعاملت العائلة الحاكمة مع تعليم المرأة على أنه مسألة اساسية لكيان الدولة فقرر الامبراطور فتح معاهد جديدة وأماكن مدفوعة الأجر ومجانية وفصول تعليمية جديدة**(Монографии, 2013, c161)**.

حقق التعليم النسوي تقدماً سريعاً في ضوء إنشاء لجنة لترتيب المؤسسات التعليمية النسوية ، وقد ضم المجلس الرئيسي للمؤسسات التعليمية للمرأة وزير التربية والتعليم الأمير س . يوفاروف ، والكونت ستروجانوف الذي اصبح وصياً على منطقة موسكو التعليمية وآخرون من الحكومات المحلية والنبلاء في المؤسسات التعليمية التي تمثل المقاطعات ، وقد رافق ذلك نمواً ملحوظاً في النظام التعليمي فقد تم إصلاح أكاديمية العلوم ، وتطوير مدرسة الهندسة الروسية ، وتم توسيع شبكة المؤسسات التعليمية الثانوية والخاصة ، وتم تعزيز الأداء للمؤسسات العلمية والتعليمية من خلال تطوير أسسها القانونية، اذ تم اعتماد مواثيق جديدة للنظام المدرسي عام (١٨٢٨) [١٢] ، وقد انعكست اثار تطور النظام التعليمي على التعليم النسوي الذي شهد تنامياً واضحاً **(Калинина,2014, С. 239)**.

فقد عمدت الامبراطورة ألكسندرا فيودوروفنا على استحداث عدد من المؤسسات والمعاهد النسوية ، اذ انها عملت على انشاء اول معهد نسوي في أوديسا عام ١٨٢٩ والذي كان مشابها لمعهد عذارى النبلاء ، وقد خصص لبنات النبلاء والضباط والتجار، كذلك قامت بتشيد معهد موسكو الكسندرينسكي للأيتام عام ١٨٣١ ، والذي كان يضم أقسامًا للذكور والإناث، وقد سمي باسم "مؤسسة الكوليرا" ، حيث تم افتتاحه بعد وباء الكوليرا في موسكو في ١٨٢٩-١٨٣١ ، وتم اصطحاب أطفال النبلاء ، وكبار الضباط ، والأطباء ، والكهنة ، والفنانين اليه لغرض التعلم، وافتتحت في مدينة أورينبورغ مدرسة للبنات عام 1832 ، كما انها انشأت معهد كيرتش كوشنكوف عام 1836 لبنات النبلاء بالوراثة ، وقد استهدف المعهد تعليم بنات النبلاء ورجال الدين، والتجار، وافتتحت في مدينة سانت بطرسبورغ ١٨٣٧ معهد اخر لأيتام بنات كبار الضباط والمسؤولين المدنيين وتم قبول البنات من جميع أنحاء الإمبراطورية، وشهد العام نفسه افتتاحها لمعهد أستراخان لتعليم بنات النبلاء ورجال الدين والمواطنين الفخريين والتجار ، وفي العام ١٨٣٨ اسست مؤسسة تعليمية جديدة هي معهد كييف لعذارى النبلاء.**(Пономарева, соч., стр. ,с119-120).**

كان معهد كييف على غرار المؤسسات النسوية الموجودة بالفعل والمغلقة التابعة لإدارة مؤسسات الإمبراطورة ماري ، كما جاء في ميثاق معهد كييف ، كان هدفه "تقديم تعليم مجاني لأبناء نبلاء الدولة الفقيرة في مقاطعات كييف وفولين وبودولسك مقابل رسوم معتدلة لتعليم بنات النبلاء ومنحت إدارة معهد كييف إلى الحكام المحليين وترأس القسم التربوي وصي منطقة كييف التعليمية. وتم توفير نصف الأماكن البالغ عددها مئة وعشرون للتلاميذ "المملوكة للدولة"، بعد الافتتاح التدريجي للمؤسسات التعليمية المتوسطة والدنيا للذكور في مقاطعات فيلنا وغرودنو ومينسك وفيتيبسك وموجيليف وبياليستوك ، تم التخطيط لإنشاء معاهد نسائية. جدير بالذكر فان هذه الخطط الشاملة لا يمكن تنفيذها بشكل كامل ، لأن صيانة مثل هذه المؤسسات التعليمية تتطلب تكاليف مادية كبيرة ، فضلا عن توافر المعلمين والمعلمين المدربين. الا ان ذلك لم يمنع القيصر الروسي من افتتاح معاهد نسائية أخرى في مملكة بولندا وفي مقاطعة فيلنا .**(Пономарева, 2019,с68-69).**

اسـهمت الامبراطـورة كـذلك فـي افتتـاح معهـد البنـات فـي القوقـاز ١٨٤٠، ومعهـد الكسندرينسكي لتعليم البنات في بولندا عام١٨٤٠(**Пономарева, стр.,с120)** ،جدير بالذكر فقد تم تحويل مدرسة وارشو لتدريب المربيات إلى معهد ألكسندرينسكي النسائي وقد بلغ عدد تلاميذه مائتي، تم تخصيص نصفهم لبنات المسؤولين الذين خدموا في مملكة بولندا ، ولـم يـتم تضـمين المنهـاج التعليمـي للمعهـد اللغـة الروسـية والتـاريخ الروسـي فـي برنـامج المؤسسة التعليمية الحكومية الواقعة على أراضي الإمبراطورية الروسية وترأس مجلس المعهد حاكم مملكة بولندا ، وترأس القسم التعليمي أمين منطقة وارسو التعليمية. وبعد مرور عام افتتح معهد بياليستوك للفتيات من نبلاء مقاطعات فيلنا وغرودنو ومينسك و بياليستوك وتم تحديد مجموعة تلاميذ معهد بياليستوك بـ مائة شخص ، لكن المجموعة الأولية كانت اربع وعشـرون تلميـذاً. وقـد أدار المعهـد ، كمـا جـرت العـادة فـي معاهـد كييـف ووارسـو ،أمينًـا للمقاطعـة التعليميـة البيلاروسـية. وهكـذا كـان إنشـاء الشـؤون التعليميـة فـي جميـع المعاهـد النسائية الثلاثة الجديدة من خلال أمناء المناطق التعليمية خاضعًا لسيطرة وزارة التعليم العام. **.(Пономарева, соч., стр, с69)**

عملت الامبراطورة على افتتاح معهد قازان ١٨٤١، لتعليم بنات النبلاء ورجال الدين والتجار وشهد العام نفسه افتتاحها لمعهد بيلوستوك لتعليم بنات للنبلاء ، وافتتحت في عام ١٨٤٣ معهد تامبوف الكسندرنسكي للعذارى النبلاء لتعليم بنات الطبقة الحاكمة واستمرت الامبراطورة بافتتاح المعاهد النسائية في ارجاء الامبراطورية ، فقد شهد عام ١٨٤٥ افتتاح معهدي فتيات شرق سيبيريا لتعليم بنات المسؤولين، والتجار ورؤساء العمال من الشعوب المنغولية المحلية ومعهد دونسكوي ماريينسكي لعذارى النبلاء ، وبنات الضباط ، وكذلك المسؤولين الذين يخدمون في الجيش ، وافتتحت ايضاً عام ١٨٥٢معهد نيجني نوفغورود ماريينسكي للعذارى وبنات أفراد المنظمة العسكرية، وعملت في عام ١٨٥٤على افتتاح معهد ساراتوف ماريينسكي لتعليم بنات النبلاء وضباط الجيش **(.-Пономарева,стр,с120 .121)**

يتضح مما تقدم حجم الجهود التي بذلتها الامبراطورة الكسندرا فيدرونوفا بغية النهوض بالقطاع التعليمي النسوي الا انه كان مقتصراً على فئات محدودة ولم يكن شاملاً الامر الذي

اكد ان المحاولات التعليمية كانت مقتصرة على النخب ولم توجه بشكل شامل لمختلف الطبقات الاجتماعية

الخاتمة

- ان المحاولات التي قام بها بطرس الأكبر في مجال تعليم المرأة كانت بسيطة ولم ترقى الى الأفكار التي نادى بها ، اذ ان البنى التحتية للمؤسسات النسوية لم تكن واضحة المعالم.
- كانت كاثرين الثانية قد وضعت اللبنات الأولى لمشروع المؤسسات التعليمية النسائية في ضوء انشائها أولى المعاهد النسوية التي اختصت بتعليمها على التعليم الثانوي .
- اختزلت كاثرين الثانية مؤسساتها التعليمية على العاصمة سان بطرسبورغ وموسكو حيث انها لم تكن قادرة على افتتاح مؤسسات في المقاطعات المختلفة من البلاد.
- أكملت الامبراطورة ماريا فيردونفا ما ابتدئه الامبراطورة الراحلة في ضوء تبنيها المؤسسة التعليمية التي باتت بحاجة الى من يرسخ وجودها في ظل التوجهات التي حملتها العائلة المالكة التي رأت ضرورة النهوض بذلك المرتكز .
- شهدت الحركة التعليمية بصورة عامة والمعاهد النسائية انتقاله نوعية في عهد الامبراطورة ألكسندرا فيودوروفنا وسط التوجهات التي حملها زوجها نيكولاس الأول الذي

احدث تغيرات مفصلية بالمؤسسة التعليمية .

- نجحت المساعي التي بذلتها الامبراطورة للنهوض بالقطاع التعليمي النسوي نتيجة القرارات الصادرة من الامبراطور والتي تركت ابلغ الاثر على المؤسسة التعليمية من خلال تبنيه رؤية واضحة المعالم بضرورة النهوض بالتعليم من اجل السير بالبلاد في طريق التقدم والازدهار اذ ان التقسيم الذي اوجده الامبراطور نيكولاس الاول للمراحل التعليمية كان بمثابة البدايات الاولى لتكامل النظام التعليمي
- اوجدت الامبراطورة عدد كبير من المعاهد النسائية في البلاد ولم تقتصر تلك المراكز التعليمية على العاصمة بطرسبورغ بل امتدت الى انحاء الامبراطورية المختلفة في محاولة منه نشر التعليم في اماكن مختلفة من البلاد .

- ان النهج المتبع من قبل النسوة للنهوض بالقطاع التعليمي النسوي اتصف بالنخبوية أي انه خصص لفئات معينة تابعة للجهاز الحكومي .

الهوامش التعريفية

(١) فلاديمير (٩٤٢-١٠١٥) وُلِد في كييف وينتسب للسلالة الاولى روريك التي حكمت كييف روس نشأ تحت إشراف جدته الأميرة أولغا ، كان لديه شقيقان ، ياروبولك وأوليج، تولى حكم نوفغورد عام ٩٦٩-٩٧٩ وكان مدينًا بذلك لخاله دوبرينيا ، واصبح أميراً لكييف (٩٨٠-١٠١٥) في السنة الثانية من حكمه (٩٨١)، حارب الملك البولندي ميشيسلاف، واستولى على تشيرفين بالقرب من تشيلم، وبرزيميسل، وتوروف، قام بحملة ضد البلغار عام ٩٨٥ في منطقة الفولجا وهزمهم، اعتنق المسيحية عام ٩٨٨م عمد على نشر المسيحية في الاراضي الروسية استمر في حملاته العسكرية ونشاطه التبشيري حتى وفاته. (Семенкова Т.Г,2014,с18-26).

(٢) انا يانكا (١٠٥٥-١١١٢) ولدت في كييف وتنتسب الى عائلة دوق كييف الأكبر فسيفولود ياروسلافيتش ، كانت أخت الدوق الأكبر فلاديمير مونوماخ، أظهرت منذ الطفولة رغبتها في الحياة الرهبانية، ورفضت الزواج وأصبحت راهبة ، أصبحت رئيسة دير القديس أندرو في كييف منذ عام ١٠٨٦ ، الذي أسسه والدها، والذي بدأ يُطلق عليه اسم دير "يانكا" نسبة إلى اسم الرئيسة. قضت الراهبة آنا ٢٦ عامًا في التأمل والصوم والصلاة. تم إنشاء مدرسة في الدير، وقد قامت القديسة بنفسها بتعليم الفتيات العلوم واللاهوت. وبعد أن قامت بالحج إلى القسطنطينية توفيت في عام ١١١٢م.

http://semyarossii.ru/docheri-rossii/1464-pravednaya-knyazhna-anna-yanka

(٣) يوفروسين ميخائيل فسيفولودوفيتش (١٢٠٧-١٢٥٥) ولدت في كييف بعد حج والديها إلى دير كييف-بيشيرسك، وأطلق عليها اسم فيودوليا عند تم تعميدها قرر والديها تزويجها في عام ١٢٢٧ من مينا، سليل شمعون الفارانجي، الا ان وفاته حالت دون اتمام ذلك الامر ، ذهبت إلى دير سوزدال ريزوبولوجينسكي. أثناء غزو باتو، لم يتعرض هذا الدير لأضرار بفضل صلوات القديسة إيفروسينيا تنبأت باستشهاد أبيها.

https://www.icon-art.info/masterpiece.php

(٤) بطرس الاكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) ولد في موسكو اعتلى عرش روسيا رسمياً عام ١٦٩٦اضحت روسيا في عهده دولة أوربية ذات شأن كبير فقد ادخل العديد من الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال زيارته الى العديد من البلدان الاوربية (١٦٩٧-١٦٩٨) حيث نقل العاصمة

إلى مدينة سانت بطرسبرغ الجديدة (١٧٠٣)، كما زاد من قوة النظام الملكي على حساب النبلاء والكنيسة الأرثوذكسية اتبع سياسة خارجية توسعية خاض حربًا مع الإمبراطورية العثمانية (١٦٩٥-١٦٩٦) ومع السويد (١٧٠٠-١٧٢١) أمنت حملته ضد بلاد فارس (١٧٢٢-١٧٢٣) الشواطئ الجنوبية والغربية لبحر قزوين لروسيا أعلن نفسه إمبراطورًا في عام ١٧٢١ واستمر بنهجه حتى وفاته عده الكثير من المؤرخين مؤسس روسيا الحديثة.(S.V. utechin, 1961, P.416 -417.)

(٥) كاثرين الثانية (١٧٢٩- ١٧٩٦) ولدت في بوميرانيا في بولندا وهي من اصل بروسي حكمت روسيا خلال المدة (١٧٦٢-١٧٩٦) بعد استيلائها على العرش من زوجها بطرس الثالث كانت محل إعجاب المؤرخين بسبب أفكارها الليبرالية، وأشيد بها باعتبارها مستبدة مستنيرة وخليفة جديرة لبطرس الأكبر حيث عملت على استكمال اصلاحاته والاخذ بها لتأثرها بالأفكار التنويرية التي تربت عليها واستمرت بذلك حتى وفاتها .

(Энциклопедический Словарь,Том ١, Москва, ١٩٥٣—١٩٥٥, С .٥٩٨)

(٦) مجلس الشيوخ : وهو المجلس الذي قام باستحداثه بطرس الاكبر عام ١٧١١ م ليحل محل طبقة البويار، وقد اخذ ذلك المجلس على عاتقه ادارة البلاد في حال غياب الامبراطور الروسي في سنواته الأولى، أشرف مجلس الشيوخ على إيرادات الدولة ونفقاتها، وراقب حضور النبلاء للخدمة، وعمل كهيئة رقابية على الجهاز البيروقراطي الواسع. بعد وفاة بطرس الأكبر، تغيّر وضع مجلس الشيوخ ودوره ووظائفه في نظام إدارة الدولة تدريجيًا. وأصبح مجلس الشيوخ يُعرف باسم مجلس الشيوخ الأعلى، بدلًا من مجلس الشيوخ الحاكم. في عام ١٧٤١، أصدرت الإمبراطورة إليزابيث بتروفنا مرسومًا بعنوان "استعادة سلطة مجلس الشيوخ في إدارة الشؤون الداخلية للدولة"، إلا أن دور المجلس الفعلي في الشؤون الداخلية ظل محدودًا. بعد إنشاء الوزارات عام ١٨٠٢، احتفظ مجلس الشيوخ بوظائفه كأعلى هيئة قضائية ورقابية. في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧، أصدر مجلس مفوضي الشعب مرسومًا بعنوان "بشأن المحكمة" ينص على "إلغاء المؤسسات القضائية العامة القائمة آنذاك، كالمحاكم الجزئية، والدوائر القضائية، ومجلس الشيوخ الحاكم بجميع أقسامه.

О. А. Тарасова; Д. И. Раскин (19 – нач. 20 вв) , Сена́т, Большая российская энциклопедия Большая российская энциклопедия https://old.bigenc.ru

(٧) ماريا فيدوروفنا (١٧٥٩-١٨٢٨) ولدت في بوميرانيا البروسية كانت الطفل الرابع في العائلة وقد أولى والداها اهتمامًا كبيرًا بتربيتها وتعليمها ، وصلت إلى روسيا في اب من عام ١٧٧٦ ، واعتنقت الأرثوذكسية، وفي ٢٦ ايلول من العام نفسه ، تزوجت بافيل بتروفيتش عرفت باهتمامها بالأعمال الخيرية كما انها وجهت رعايتها لمؤسسات التعليم النسوية وقد واصلت ذلك حتى وفاتها .

Дубровин Н.Ф. Императрица Мария Федоровна (1759-1828). Ее биография. Т. 1. - СПб., 1892.

([٨]) **الامبراطور بول الأول (١٧٥٤-١٨٠١)** ولد في سانت بطرسبورغ اعتلى العرش الروسي في عام ١٧٩٧ ، انضم إلى التحالف المناهض للفرنسيين في عام ١٧٩٨ ، اصدر قانون خلافة العرش ، رعى منظمة فرسان مالطا، التي رأى فيها أداة قوية لمكافحة تطور الثورة في أوروبا، وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٧٩٨ اصبح رئيسها الاعلى اعاد النظر في سياسته الخارجية. وأقام علاقات مع القنصل الأول لفرنسا، ن. بونابرت، و تحالف معه لغزو أكبر مستعمرة بريطانية – الهند الا ان اغتياله حال دون اتمام الامر.

(Кобеко, 1887.,c9-25.)

([٩]) **الامبراطور الكسندر الاول(١٧٧٧-١٨٢٨)** ولد في سانت بطرسبورغ تلقى تعليمه تحت إشراف جدته الإمبراطورة كاترين الثانية منذ عام ١٧٩٣ تزوج من الإمبراطورة إليزابيث أليكسييفنا ، اعتلى العرش بعد اغتيال والده عام ١٨٠١ عمل على الوقوف بوجه التوسع الفرنسي عام ١٨١٢ واستطاع الانتصار عليهم ونجح في انهاء الخطر الفرنسي عام ١٨١٥ حظر عدد من المؤتمرات الخاصة بمكافحة الحركة الثورية في اوربا في آخن (١٨١٨)، وتروبو ولايباخ (١٨٢٠-١٨٢١)، وفي فيرونا (١٨٢٢).

(Проф. С. Ѳ. Платоновъ., 1915. — С. 331—342)

([١٠]) الإمبراطورة ألكسندرا فيودوروفنا(١٧٩٨-١٨٦٠) ولدت في بوتسدام (بروسيا) من سلالة هوهنزولرن تلقت تعليمها في المنزل ، واكتسبت من معلميها ميلاً إلى التاريخ والأدب والفن تزوجت من الدوق الأكبر نيكولاس عام ١٨١٧، عرفت بنشاطها الخيري توجت امبراطورة لروسيا في عام ١٨٢٥ تدهورت صحتها بسبب وفاة زوجها بشكل غير متوقع في شباط ١٨٥٥. وبإلحاح الأطباء، قضت الإمبراطورة شتاء عام ١٨٥٧ في نيس وروما، وفي عام ١٨٥٩ قضت شهرين في سويسرا. وبعد عودتها من رحلة ثانية إلى نيس توفيت قبل الوصول الى العاصمة (Т. Г. Фруменкова,2013,c160-164).

([١١]) **الامبراطور نيكولاس الأول (١٧٩٦-١٨٥٥)** ولد في تسارسكوي سيلو تلقى تعليمًا شاملاً منذ طفولته، لكن اهتمامه الرئيسي كان في مجال الشؤون العسكرية. تم تتويجه امبراطوراً على روسيا في كاتدرائية الصعود في الكرملين بموسكو في ٤ ايلول ١٨٢٦. اهتم بتطوير الصناعة والتجارة. أدى الإصلاح المالي إلى جعل وضع الروبل الروسي محصنًا حتى ثورة ١٩١٧. في عام ١٨٣٦، أسس القيصر أول خط للسكك الحديدية، وفي عهده تم بناء ١٠ آلاف ميل من الطرق السريعة و١٠٠٠ ميل من السكك الحديدية. أسس وحول العديد من المؤسسات التعليمية، بما في ذلك جامعة كييف، ومعهد سانت بطرسبرغ التكنولوجي، والمدرسة التقنية الإمبراطورية المستقبلية، ومعهد

كونستانتينوفسكي لمسح الأراضي في موسكو، والأكاديميات العسكرية والبحرية و١١ فيلقًا جديدًا من المتدربين .
(Энциклопедический Словарь. Том 1. — Москва, 1953—1955. — Стр. 49)

([١٢]) كان من بين ابرز القرارات التي اتخذها القيصر الروسي نيكولاس الأول في عام ١٨٢٨ في مجال تطوير التعليم قد تمثل بميثاق الصالات الرياضية ومدارس المقاطعات الامر الذي جسد مبدأ ممتلكات التعليم العام(2017, c245-253, декабря 1828 г ٣٠. ٨ №). وعلى وفق ذلك الميثاق الذي تمت الموافقة عليه في كانون الأول ١٨٢٨ تم تقسيم التعليم الابتدائي والثانوي إلى الفئات الثلاث التالية، بالنسبة لأطفال الطبقات الفقيرة كانت مدارس الأبرشية ذات الفصل الواحد مخصصة للبرنامج الأساسي: العقيدة ، القراءة ، الكتابة ، القواعد الحسابية الأربعة)، اما اطفال التجار وسكان المدن فقد تم تصميم مدارس خاصة بهم مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات مع برنامج أوسع للتعليم الابتدائي، فضلاً عن تقديم أساسيات الهندسة والجغرافيا والتاريخ ، في حين تم إنشاء مدرسة لأبناء النبلاء والمسؤولين تكون مدة الدراسة فيها سبع سنوات والتي تعد الطلاب لدخول الجامعات، وقد ألغى الميثاق الشامل الذي قسم التعليم بين تلك المؤسسات التعليمية المختلفة، اذ ان القائمون على ذلك البرنامج وجدوا صعوبة في تنفيذه(2013, c139-140,учебное.)

قائمة المصادر

أولا :القوانين الحكومية الروسية

1. № 30. 8 декабря 1828 г. Об Уставѣ Гимназій и училищуѣздных и приходских, состоящих в вѣдомствѣуниверситетов: С. Петербургскаго,
Московскаго, Казанскаго и Харьковскаго ,2017.

ثانياً : الكتب الروسية

1. Дмитрия Кобеко Д. В. Цесаревич Павел Петрович. 3-е изд. Спб., 1887.
2. март, Журнал Министерства Народнаго Просвещения: Часть XLV., 1845
3. Сборник, Из истории русской культуры. Том V. XIX век,2022.
4. Зинченко Н.Е.,Женское образование в России : Ист. очерк
a. Санкт-Петербург : Коммерч. скоропеч., ценз. 1901

5. бардовский а.ф. патриотический институт. исторический очерк за ١٠٠ лет. ١٨١٣– ١٩١٣гг. спб., ١٩١٣.
6. Проф. С. Ѳ. Платоновъ. Сокращенный курсъ русской исторіи для средней школы. Складъ изданія у Я. Башмакова и К°., въ Петроградѣ, 1915.
7. муханова м. с. из записок марии сергеевны мухановой. русский архив. ١٨٧٨; ١(вып. ٣)
8. монографии учреждений ведомства императрицы марии.спб., 1880.
9. страницы из ихачева атериалы для истории образования в россии ١٨٩٩ ١٨٥٦ ١٠٨٦, ١٨٩٩.
10. П.П.Милюков ,Очерки По Истории Русской Культуры Том 2,
11. Москва ,Издательская группа «Прогресс» «Культура.Редакция газеты«ТРУД ,١٩٩٤.
12. учебное пособие, среднее женское образование в россии , москва ,2009.
13. мордвинова, смольный институт в эпоху императрицы екатерины ii (1764—1796) , журнал вопросы образования , 2007,
14. поздняков александр николаевич, институты благородных девиц в системе образования россии второй половины xviii начала xix века, журнал известия саратовского университета. новая серия. серия философия. психология. педагогика ,2014.
15. учебное пособие, среднее женское образование в россии , москва ,2009.
16. мордвинова, смольный институт в эпоху императрицы екатерины ii (1764—1796) , журнал вопросы образования , 2007 .
17. поздняков александр николаевич, институты благородных девиц в системе образования россии второй половины xviii начала xix века,

журнал известия саратовского университета. новая серия. серия философия. психология. педагогика ,2014.

18. учебное пособие, история россии (1796–1881 гг.), министерство образования и науки российской федерации нижегородский государственный университет им. Н.и. Лобачевского Национальный исследовательский университет арзамасский филиал ,2013 .

ثالثاً : البحوث الروسية

1. удк , женское образование в россии в середине xix–xx в.: процесс становления и развития. типы женских учебных заведений , ISSN 1810-0201. Вестник ТГУ, выпуск 6 (86), 2010.
2. Пономарева Варвара Витальевна , Женские институты Российской империи в формулировках нормативных документов (١٧٦٤— начало XX в.): термины, типология, даты , Исторический журнал: научные исследования.٢٠٢١, № ٣.
3. Сабанеева Е.А. Воспоминания о былом // История жизни благородной женщины. М., 1996.
4. Л.Н. , Императрица Мария Федоровна и ее первый женский институт , ЖУРНАЛ Историко-педагогический журнал ,2012.
5. Камер-фурьерский церемониальный журнал. Январь–июнь 180б г.СПб., 1905.
6. Карцов Н.С. Несколько фактов из жизни С.-Петербургского училища ордена св. Екатерины. СПб., 1898.
7. Исторический очерк Павловского военного училища Павловского кадетского корпу-са и имп. Военно-Сиротского дома. ١٧٩٨– ١٨٩٨гг. СПб., ١٨٩٨.
8. г. н. разумова , павловский институт благородных девиц , ежегодная конференция по проблемам петербурговедения. 9– 10 января 1999 года .

9. с. И. Гаврюшин императрица мария федоровна и её деятельность по созданию системы благотворительных учреждений в россии, ЖУРНАЛ Женщина в российском обществе ,2002.
10. Микиртичан Галина Львовна , Вклад императрицы Марии Федоровны в организацию помощи детям , ЖУРНАЛ Вопросы современной педиатрии,2013.
11. Т. Г. Фруменкова , Императрица Александра Федоровна (1798–1860) как покровительница благотворительных и воспитательных учреждений , ЖУРНАЛ, Universum: Вестник Герценовского университета , 2013.
12. Калинина Е.А. Реформа среднего и начального образования в России при Николае I // Вопросы образования. 2014. № 4.
13. Пономарева Варвара Витальевна , Министр народного просвещения С. С. Уваров и закрытые женские институты Российской империи ЖУРНАЛ Исторический журнал: научныеисследования ,2019
14. Ю.С. ЕЛОНОВА, История Женского Образования В России, Как Отражение Культуры Общества, № 8 / 2011 Вестник Московского университета МВД России.
15. Семенкова Т.Г., Роль Великого Княжения Владимира (980–1015 Годы) В Становлении Династии Рюриковичей,2014.
16. Т. Г. Фруменкова // Universum: Вестник Герценовского университета. – 2013. – № 1.

رابعاً : البحوث الانكليزية

1. Elizabeth AWood ,The Woman Question in Russia:Contradictions and Ambivalence 20March 2009 .
2. Mustafa Ergün, “Rus Eğitiminde Batılılaşma Çabaları ve Reformlar”, Kuramsal Eğitimbilim 2 (1) (2009).

خامساً : البحوث الفرنسية

1. Dmitri Gouzévitch Et Irina Gouzévitch , La Voie Russe D'accès Des Femmes Aux Professions Intellectuelles Scientifiques Et Techniques(1850-1920), La Découverte ,2000.

سادساً: الموسوعات الروسية

1. Энциклопедический Словарь,Том ١, Москва, ١٩٥٣—١٩٥٥.
2. О. А. Тарасова; Д. И. Раскин (19 – нач. 20 вв) , Сена́т, Большая российская энциклопедия Большая российская энциклопедия https://old.bigenc.ru

سابعاً: المذكرات الروسية

1. Дубровин Н.Ф. Императрица Мария Федоровна (1759-1828). Ее биография. Т. 1. - СПб., 1892.

ثامناً : مواقع الانترنت

1. http://semyarossii.ru/docheri-rossii/1464-pravednaya-knyazhna-anna-yanka
2. https://www.icon-art.info/masterpiece.php

الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)
سيرته ومؤلفاته

أ.د. زكية حسن إبراهيم

كلية الاداب/ جامعة بغداد

zakiahassn@coart.uobaghdad.edu.iq

الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) سيرته ومؤلفاته

أ.د. زكية حسن إبراهيم

ملخص البحث

حظيت مدينة بغداد منذ تاسيسها في أيام الخليفة (أبو جعفر المنصور) وكان لمحدثي بغداد وفقاؤها نصيبا كبيرا في هذه الدراسات للدور الكبير الذي اضطلعوا به في نشر تعاليم الإسلام وقيمه ، وازدادت اهميتهم خلال القرون الثلاثة الأخيرة من الخلافة العباسية بسبب تردي الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وبناء على ذلك كان موضوع البحث الموسوم ب (الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٥٩م) سيرته ومؤلفاته) جاء ليسلط الضوء على حياة احد علماء بغداد وهو أبو الحسن الدارقطني الذي وصفته المصادر التاريخية بالامام والحافظ الكبير وشيخ الإسلام ، ولتبيين مكانته العلمية والشيوخ والعلماء الذين تتلمذ على أيديهم .

وبيان اهم مؤلفاته التي تركها لنا والتي كان عددها (٦٩) كتابا ، وعليه تضمنت هذه الدراسة حياة الدارقطني من اسمه ونسبه وكنيته وولادته وشيوخه وتلاميذه وآراء العلماء في مكانته العلمية واهم مؤلفاته ووفاته في بغداد .

الكلمات المفتاحية : الدارقطني ، سيرته ، مكانته العلمية ، مؤلفاته .

Abstract :

From its founding during the time of Caliph Abu Ja'far al-Mansur, the city of Baghdad has enjoyed a rich scholarly tradition. The hadith scholars and jurists of Baghdad played a significant role in these studies due to their major contribution to spreading the teachings and values of Islam. Their importance increased during the last three centuries of the Abbasid Caliphate due to the deterioration of the political, social, and economic conditions. Accordingly, the research topic entitled "(Al-Daraqutni (d. 385 AH/959 AD): His Biography and Works)" came to shed light on the life of one of Baghdad's scholars, Abu al-Hasan al-Daraqutni, whom historical sources described as the Imam, the great Hafiz (memorizer of hadith), and the Sheikh of Islam, and to clarify his scholarly status, the sheikhs and scholars from whom he studied. It also aims to clarify the most important works that he left

for us, which numbered 69 books. Accordingly, this study included al-Daraqutni's life, from his name, lineage, epithet, birth, sheikhs, students, the views of scholars on his scholarly status, his most important works, and his death in Baghdad.
Keywords: Al-Daraqutni, biography, scholarly status, works.

المقدمة :

حظيت مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية باهتمام العديد من العلماء والباحثين والدارسين منذ تاسيسها في أيام الخليفة العباسي الثاني (أبو جعفر المنصور) الى نهاية الخلافة العباسية على يد المغول (عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ولقي علماؤها نفس الاهتمام فقد تناولتهم بالدراسة كتب التراجم والسير والطبقات على مختلف صنوفهم ومراتبهم واسهبت هذه الدراسات في تقصي اخبار العلماء والمحدثين والمفسرين والقراء والحفاظ وغيرهم .

وكان لمحدثي بغداد وفقاؤها نصيبا كبيرا في هذه الدراسات للدور الكبير الذي اضطلعوا به في نشر تعاليم الإسلام وقيمه ، وازدادت اهميتهم خلال القرون الثلاثة الأخيرة من الخلافة العباسية بسبب تردي الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فانتشروا في المساجد والجوامع والمدارس وأماكن الوعظ وغيرها ليعظون الناس ويحثوهم على التمسك بمباديء دينهم وقيمه السامية فاقبل الناس على مجالسهم ينهلون العلم والمعرفة ، وبناء على ذلك كان موضوع البحث الموسوم ب (الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٥٩م) سيرته ومؤلفاته) جاء ليسلط الضوء على حياة احد علماء بغداد وهو أبو الحسن الدارقطني الذي وصفته المصادر التاريخية بالامام والحافظ الكبير وشيخ الإسلام ، ولتبيين مكانته العلمية والشيوخ والعلماء الذين تتلمذ على أيديهم واثر ذلك في اتجاهاته الفكرية .

وقامت الدراسة أيضا على بيان اهم المؤلفات التي انتجها هذا العالم الجليل والتي كان عددها (٦٩) كتابا والتي جاء اغلبها في علم الحديث ورجالاته وعلم الفقه ، وعليه تضمنت هذه الدراسة حياة الدارقطني من اسمه ونسبه وكنيته وولادته وشيوخه وتلاميذه وآراء العلماء في مكانته العلمية واهم مؤلفاته ووفاته في بغداد .

سيرة الإمام أبي الحسن الدارقطني ومؤلفاته

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبدالله الدارقطني البغدادي [١].

ثانياً: مولده: مكانـــه، وتــاريخـه:

ولد الإمام الحافظ شيخ الاسلام أبو الحسن الدار قطني سنة ست وثلاثمائة في محلة دار القطن ببغداد [٢] .

ثالثاً: نشأتــه وأسرته:

لم تذكر لنا مصادرنا التاريخية معلومات وافية عن نشأة وأسرة الامام أبي الحسن الدار قطني سوى والده رجل من اهل العلم، ويعتبر من شيوخ الدار قطني في القراءات. ثم بدأ بطلب العلم وهو مازال فتى صغيرا، فقد كان بدأ كتابته في الحديث قال الدارقطني (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) " كتبت في أول سنة خمس عشرة وثلاثمائة"[٣].

وذكر الخطيب البغدادي انه حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصفار[٤]. وقال الذهبي " وسمع وهو صبي من أبي القاسم البغوي ويحيى بن صاعد وأبي بكر بن داود..."[٥] وقال هو عن نفسه في اهتمامه ورغبته الكبيرة في طلب الحديث منذ نعومة أظفاره وقال ابن الجوزي " كنت انا والكتاني نسمع الحديث فكانوا يقولون يخرج الكتاني محدث البلد ويخرج الدارقطني مقريء فخرجت انا محدثا والكتاني مقرئا" [٦] وقال الذهبي أيضا "انه لم يخلف على أديم الأرض مثله في معرفة حديث رسول الله (ﷺ) وكذلك الصحابة والتابعين واتباعهم"[٧] ومنذ صباه بدأ في طلب العلم من كبار العلماء في عصره[٨]. وذكر ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) كان" من صغره موصوفا بالحفظ الباهر"[٩] وهكذا نشأ الدارقطني نشأه علمية طيبة، أهلته ان يكون من شيوخ الاسلام وقد ألف في القراءات كتابا مختصرا موجزا جمع الاصول في ابواب عقدها اول الكتاب، وسمعت بعض من يعتني بعلوم القرآن يقول " لم يسبق ابو الحسن الى طريقته التي سلكها في عقد الابواب المقدمة في اول القراءات، وصار القراء بعده يسلكون طريقته في تصانيفهم ويحذون حذوه "[١٠].

ولم يكن للدارقطني محدثا ومقرئا فحسب، بل كان فقيها ايضا، يقول الخطيب البغدادي "فان كتاب "السنن" الذي صنعه يدل على انه كان ممن اعتنى بالفقه، لأنه لا يقدر على جمع متضمن ذلك الكتاب الا من تقدمت معرفته بالاختلاف في الاحكام وبلغني انه درس فقه الشافعي على ابي سعيد الاصطخري، وقيل بل درس الفقه على صاحب لابي سعيد، وكتب الحديث عن ابي سعيد نفسه"[١١] .

وبدأ الدارقطني في اخذ العلم اولا من اهل بلده، جريا على سنة السلف في ذلك، ثم بعد ذلك رحل الى بعض الأقطار العربية الاسلامية للقاء الشيوخ والعلماء. وقد أثني عدد من العلماء والمؤرخين الذين ترجموا لسيرته الذاتية على رحلاته حيث ذكره الخطيب البغدادي عندما رحل الى الكوفة للسماع من الحافظ ابي عبد الله السوداني " كتبت ببغداد من أحاديث السوداني أحاديث يتفرد بها، ثم مضيت الى الكوفة لأسمع منه "[١٢].

ذكره ابن عساكر (ت٥٧١هـ /١١٧٥م) " دخل الدارقطني الشام ومصر على كبر السن، وحج واستفاد وافاد ..."[١٣]. وذكره الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)"رحل الى الشام والبصرة وفارس"[١٤] وذكر الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٢٦٣م) وقد رحل الى الديار المصرية فاكرمه الوزير ابي الفضل جعفر بن الفضل ابن حنزابه وزير كافور الاخشيدي، وساعده هو والحافظ عبد الغني على اكمال ((مسنده)) ..."[١٥].

وهكذا كان الامام ابو الحسن الدارقطني قد عبر عن دأبه وحرصه وجهده المتواصل في التحصيل العلمي وحبه للحديث الذي شكل دافعا قويا لمواصلة التردد على الشيوخ والعلماء في مشارق الأرض ومغاربها من أجل سماع الحديث وقراءة القراءات .

رابعاً: آراء العلماء في مكانته العلمية:

ان المنزلة الرفيعة التي تمتع بها الامام ابو الحسن الدارقطني رحمه الله تعالى تجلت في اقوال العلماء وثناؤهم عليه واحترامهم وتقديرهم لعلمه وخلقه وثقافته الرائعة وسعة حفظة فقد مدحه الخطيب البغدادي " كان فريد عصره وقريع دهره ، ونسيج وحده ، وامام وقته ، انتهى اليه علم الاثر والمعرفة بعلل الحديث واسماء الرجال ، مع الصدق والامانة، والفقه والعدالة، وقبول الشهادة ، وصحة الاعتقاد ، وسلامة المذهب ، والاضطلاع بعلوم سوى علم

الحديث ، منها القراءات فان له فيها كتابا مختصرا موجزا جمع الاصول في ابواب عقدها اول الكتاب"[١٦] .

وقال المقدسي (ت٥٠٧هـ/١١١٣م)" وكان رحمه الله في زمانه بمنزلة يحيى بن معين في زمانه، اخذ عنه حفاظ عصره معرفة الحديث، وسألوه عن الرجال، ودونوا ذلك، فلا نعلم احدا اخذ هذا العلم الا عنه "[١٧] وقال السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) " كان أحد الحفاظ المتقنين المكثرين، وكان يضرب به المثل في الحفظ "[١٨]. وقال ابن عساكر "صار واحد عصره في الحفظ والفهم والورع واماما في القراء والنحويين اول ما دخلت بغداد كان يحضر المجالس وسنة دون الناس"[١٩] وقال ياقوت (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م) " كان اديبا يحفظ عدة من الدواوين" [٢٠]. وقال ابن الاثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) " كان عالما بالفقه واختلاف الفقهاء ..."[٢١]. وقال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ /١٢٨٢ م) " الحافظ المشهور، كان عالما حافظا فقيها على مذهب الامام الشافعي"[٢٢]. وقال السبكي (ت ٧٧١هـ /١٣٦٩ م) " الحافظ المشهور الاسم ، صاحب المصنفات ، امام زمانه وسيد اهل عصره ، وشيخ اهل الحديث "[٢٣] . وقال الاسنوي (ت ٧٧٢هـ/٣٧٠ م) " كان يحفظ دواوين جماعة من الشعراء "[٢٤]. وقال السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) " الحافظ الشهير صاحب السنن والعلل وغير ذلك "[٢٥].

خامساً: شيـــوخه:

١. عرف عن الامام ابي الحسن الدارقطني كثرة اسفاره ورحلاته في المدن والامصار وفي كل رحله الى مدينة يقف حتى يأخذ من محدثيها وفقهائها وعلمائها فنتج عن ذلك كثرة شيوخه الذين أخذ منهم علومه وبلغ عددهم كثير. ممن التقى بهم واخذ عنهم مختلف فنون العلم والمعرفة حتى أصبح أكثر أهل عصره سماعا واوسعهم رواية. وسار على نهج العلماء الاعلام الذين يرحلون في طلب العلم الى حواضر الاشعاع وموطن اهل العلم، إذ اخذ يجوب العالم العربي الإسلامي بغداد والكوفة وواسط والبصرة ومصر والشام وبلاد فارس يرتوي من ينابيع المعرفة ويتتلمذ على جهابذة العلماء فتعدد شيوخه وكثروا وسأذكر أهم وأبرز شيوخه الذين شاركوا في

تكوين شخصية أبو الحسن الدارقطني العلمية ونشاطه الفكري مرتبة اياهم حسب سني وفياتهم:

١. – ابو بكر عبد الله بن سليمان بن الاشعث السجستاني (ت ٣١٦هـ /٩٢٨م) [٢٦].
٢. أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت ٣١٧هـ /٩٢٩م) [٢٧].
٣. ابو جعفر احمد بن اسحاق بن بهلول بن حسان التنوخي(ت٣١٨هـ/٩٣٠م) [٢٨] .
٤. ابو احمد عبد الواحد بن محمد بن المهتدي بالله بن هارون الواثق بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد الهاشمي (ت ٣١٨هـ /٩٣٠م) [٢٩] .
٥. ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الهاشمي مولى ابو جعفر المنصور (ت٣١٨هـ/٩٣٠م) [٣٠] .
٦. ابو القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن ابي حية وراق الجاحظ (ت٣١٩هـ/٩٣١م) [٣١]
٧. ابو بكر محمد بن ابراهيم بن تيروز الأنماطي (ت ٣١٩هـ /٩٣١م) [٣٢] .
٨. ابو الحسن محمد بن نوح بن الجنديسابوري الفارسي (ت ٣٢١هـ /٩٣٣م) [٣٣].
٩. ابو علي اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن صالح البغدادي الصفار (ت٣٤١هـ/٩٥٢م) [٣٤].
١٠. ابو عمرو عثمان بن احمد بن عبد الله بن الدقاق المعروف بابن السماك (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م) [٣٥]
١١. ابو بكر احمد بن اسحاق بن وهب بن الهيثم بن جداش البندار (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) [٣٦] .
١٢. ابو بكر محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن يزيد بن مهران الصفار (ت٣٧١هـ /٩٨١م) [٣٧] .

سادساً: تلامذته والآخذون عنه:

بعد ان ذاع صيته وصار من العلماء والاعلام البارزين في اقاليم الدولة العربية الإسلامية. وبفضل المرتبة العلمية التي وصل اليها نجد ان طلاب العلم بل وكثير من

العلماء يقصدونه لسماع تصانيفه والاستفادة من علميته ويحفظوا مما يحفظ من الحديث النبوي الشريف ، كما قال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) "ابو الحسن الدارقطني كان فريد عصره ، وقريع دهره ، ونسيج وحده ، وامام وقته ، انتهى اليه علم الاثر والمعرفة بعلل الحديث ، واسماء الرجال واحوال الرواة ٠ "[٣٨] ونظرا لكثرة تلامذته التي عادة تتبع من شهرة الشيخ او العالم كما قال ابن خلكان(ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) "وكان عالما حافظا فقيها على مذهب الامام الشافعي"[٣٩] . سوف أذكر أبرز تلاميذه مرتبة أياهم حسب سني وفياتهم:

١- ابو حامد احمد بن ابي طاهر محمد بن احمد الاسفراييني (ت ٤٠٦ هـ /١٠١٥م) [٤٠].

٢- ابو محمد عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الازدي المصري (ت ٤٠٩هـ /١٠١٨م) [٤١].

٣- ابو الفتح محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن فارس المعروف بابن الفوارس (ت٤١٢هـ/١٠٢١م) [٤٢] ٠

٤- ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي (ت ٤١٢هـ/١٠٢١م)[٤٣].

٥- ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي البرقاني (ت ٤٢٥هـ /١٠٣٣م).[٤٤] ٠

٦- ابو القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن محمد القرشي السهمي (ت ٤٢٨هـ /١٠٣٦م). [٤٥].

٧- ابو الحسن علي بن موسى بن الحسين ابن السمسار الدمشقي (ت ٤٣٣هـ /١٠٤١م)[٤٦].

٨- ابو طاهر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحيم الاصبهاني (ت٤٤٥هـ/١٠٥٣م)[٤٧].

٩- ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري (ت٤٥٠ هـ /١٠٥٨م) [٤٨].

١٠- ابو طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي العشاري (ت٤٥١هـ /١٠٥٩م)[٤٩].

سابعا: مـــــؤلفاته:

حصل الامام ابو الحسن الدارقطني على شهرة واسعة ويعد واحداً من المصنفين الذين عرفوا بغزارة انتاجهم العلمي وقد اتسمت مؤلفاته بطبعة خاصة حملت بصمات ثقافته فهي وان عالجت موضوعات عدة الا أن غالبيتها في علم الحديث والفقه نالت رضا واستحسان المحدثين والفقهاء والمؤرخين قديما وحديثا . قال ابن كثير " ومن مؤلفاته كتاب السنن الكبير المشهور من احسن المصنفات في بابه ، لم يسبق الى مثله ، ولا يلحق في شكله ، الا من استمد من بحره ، وعمل كعمله "[٥٠] وقال ايضا " ذكر عنه انه صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفا ، من ذلك "التفسير" في الف جزء و" المسند " في الف وخمسمائة جزء ،" والتاريخ " في مائة وخمسين جزءا ، و" الزهد" في مائة جزء[٥١] . وقال ابن تغري بردي " الحافظ المشهور صاحب التصانيف"[٥٢]. وذكره الزركلي" اول من صنف القراآت وعقد لها ابوابا"[٥٣].

ومما لا شك فيه أن مثل هذه المؤلفات بحاجة الى كم هائل من المعارف. استطاع الامام ابو الحسن الدارقطني تحصيلها من مختلف المصادر وأهمها تفانيه في طلب العلم والمعرفة على يد علماء وشيوخ عصره ثم عنايته بالقراءة والمتابعة ثم العناية الفائقة بالتصنيف فوصل الى مرتبة جليلة في التأليف. وسوف اذكر من مؤلفاته (٦٩) كتابا مرتبة حسب حروف المعجم وعلى النحو الاتي :

١- كتاب الاستخياء والأجواء[٥٤].

٢- الأحاديث التي خولف فيها وفي تضاعيفها أحاديث حدث بها مالك في الموطأ على وجه وحدث بها في غير الموطأ على وجه اخر [٥٥].

٣- أحاديث الموطأ، واتفاق الرواة، عن مالك، واختلافهم فيه، وزيادتهم ونقصانهم [٥٦].

٤- أحاديث الوضوء مِن مَسّ الذَّكَرِ [٥٧].

٥- أخبار عمرو بن عُبَيْد بن باب البصري المتزلي، وكلامه في القرآن وإظهار بدعته[٥٨].

٦- اختلاف الموطآت (أحاديث الموطأ) [٥٩] .

٧- كتاب الإخْوَة، والأخَوات في السيرة [٦٠] .

٨- كتاب أربعون في الحديث [٦١].
٩- الافراد [٦٢] .
١٠- الالزامات على صحيحي البخاري ومُسْلم [٦٣] .
١١- أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عند البخاري ومسلم [٦٤] .
١٢- أسماء التابعين، ومن بعدهم ممن صحت روايته عند مسلم [٦٥] .
١٣- أسماء الصحابة التي اتفق فيها البخاري ومسلم، وما انفرد به كل منهما [٦٦].
١٤- أسماء المدلسين [٦٧] .
١٥- كتاب في بيان نزول الجبار كل ليلة من رمضان وليلة النصف من شعبان ويوم عرفات الى سماء الدنيا [٦٨] .
١٦- كتاب التَّتبع وهو ما أُخْرِج على الصَّحيحين وله عِلَّة [٦٩].
١٧- ترتيب مسند بريد بن عبد الله بن ابي بردة – في أحاديث الاربعين [٧٠] .
١٨- تسمية مَنْ روي عنه مِن أولاد العشرة [٧١] .
١٩- كتاب التصحيف في الحديث [٧٢] .
٢٠- تعليق واستدراكات للدارقطني على كتاب المجروحين لابن حبان [٧٣] .
٢١- الجرح والتعديل [٧٤].
٢٢- جزء الثالث والعشرون من حديث ابي طاهر محمد بن احمد بن عبد الله الذهلي القاضي[٧٥].
٢٣- جزء فيه علل أحاديث اودعها البخاري في صحيحة [٧٦].
٢٤- جزء فيه مَن حَدَّث ونسى [٧٧].
٢٥- حديث ابي بحر محمد الحسن بن كوثر [٧٨] .
٢٦- حديث ابي علي محمد بن احمد الصواف [٧٩].
٢٧- كتاب خماسيات السنن لابي الحسن علي بن عمر الدارقطني [٨٠]
٢٨- ذكر اسماء التابعين من بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عند محمد بن اسماعيل البخاري [٨١]

٢٩- ذكر قوم أخرج لهم البخاري ومُسْلم في صحيحهما وضَعَّفهم النَّسائي في كتاب الضعفاء [٨٢]

٣٠- الرباعيات – في الحديث [٨٣].

٣١- رباعيات الامام محمد بن ادريس الشافعي [٨٤]

٣٢- رسالة في بيان ما أنفق عليه البخاري ومسلم وما انفرد به أحدهما عن الاخر [٨٥].

٣٣- رسالة في ذِكر روايات الصحيحين [٨٦] .

٣٤- رجال البخاري ومسلم – في الحديث [٨٧].

٣٥- كتاب رؤية الله تعالى [٨٨].

٣٦- كتاب السنن [٨٩].

٣٧- جزء من سؤالات ابو بكر البَرْقَاني للدارقطني في الحديث [٩٠].

٣٨- سؤالات بكير للدارقطني [٩١] .

٣٩- السؤالات عن الحافظ الدارقطني لحمزة السهمي [٩٢].

٤٠- سؤالات الحاكم أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله النَّيْسابوري للدارقطني واجوبته في اسامي مشايخة من اهل العراق [٩٣].

٤١- السؤالات مما جمعه ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السُّلّمي من الفاظ للدَّارقطني [٩٤].

٤٢- من سؤالات حمزة السهمي له [٩٥].

٤٣- كتاب الصفات او أحاديث الصفات [٩٦].

٤٤- كتاب الضَّعفاء والمتروكون [٩٧].

٤٥- كتاب العِلَل [٩٨].

٤٦- غريب الحديث [٩٩].

٤٧- غريب اللغة [١٠٠].

٤٨- الغيلانيات[١٠١].

٤٩- فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض [١٠٢].

٥٠- فضل الاسخياء [١٠٣]

٥١- الفوائد والافراد-في الحديث [١٠٤]

٥٢- فوائد ابي سعد اسماعيل بن احمد الاسماعيلي [١٠٥]

٥٣- الفوائد المنتخبة من حديث أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن الصواف المتوفى سنة (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)، اختيار أبي الحسن الدارقطني [١٠٦].

٥٤- الفوائد المنتخبة من حديث أبي بحر محمد بن الحسن بن كوثر البَرْبَهاري المتوفى سنة (٣٦٢هـ)، انتخاب أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني [١٠٧].

٥٥- الفوائد المنتخبة من حديث أبي عمر محمد بن العباس بن زكريا المعروف بابن حَيُّوية المتوفى سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) بتخريج الدارقطني [١٠٨].

٥٦- الفوائد المنتقاة الحسان لابن معروف [١٠٩].

٥٧- الفوائد المنتخبة العوالي من الشيوخ الثقات [١١٠].

٥٨- الفوائد المنتخبة المنتقاة الغرائب العوالي [١١١].

٥٩- الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان – في الحديث [١١٢].

٦٠- كتاب القراءات [١١٣].

٦١- المجتبى في سنن المصطفى [١١٤].

٦٢- المنتقى من السنن [١١٥].

٦٣- كتاب المساجد [١١٦].

٦٤- المُسْتَجار في الحديث [١١٧].

٦٥- مسند أبي الفضل جعفر بن محمد المعروف بابن حنزابه بتخريج الحَافظ أبي الحسن الدارقطني [١١٨].

٦٦- الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن انس [١١٩]

٦٧- كتاب معرفة مذاهب الفقهاء [١٢٠].

٦٨- المُخْتَلِف والْمُؤْتَلِف في اسماء الرجال [١٢١].

٦٩- أحاديث النزول-في الكلام [١٢٢].

ثامناً: وفاتـــــــه:

بعـد الحـل والترحـال، والكـد والابـتلاء وزروع أتـت أكلهـا حـان وقـت الرحيـل، فقـد اشـارت المصـادر الـى ان سـنة وفـاة الـدارقطني فـي شـهر ذي القعـدة سـنة خمـس وثمـانين وثلاثمائـة [١٢٣]. وقيـل انـه مـات فـي ذي الحجـة [١٢٤] ٠ ودفـن ابـو الحسـن فـي مقبـرة بـاب الـدير قريبـا مـن قبـر معـروف الكرخـي[١٢٥] ٠ وبموتـه طويـت صـفحة مشـرقة لعالم من علماء المسلمين الذين كان لهم أثر بالغ في الفكر الإسلامي.

خلاصة القول

ان الامام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني بغدادي المولد والنشأة والوفاة ، ولد في بغداد في بيت علم وأدب ، سنحت له الفرصة وهو صغير السن لايتجاوز عمره (٩) سنوات في طلب العلم من كبار علماء عصره ، كالبغوي وإسماعيل الصفار وأبن السماك وغيرهم .

ونتيجة لشهرته العلمية الواسعة فقد تتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم الذين كانت لهم مكانتهم العلمية فيما بعد في علوم الحديث والفقه واللغة والادب ، فقد روى عنه كل من أبو حامد الاسفراييني وأبو طاهر الاصبهاني وأبو الطيب الطبري وغيرهم كثير .

ترك لنا الدارقطني (٦٩) كتابا في علمي الحديث والفقه ، نالت رضا واستحسان العلماء في عصره ومن جاء بعده .

وبموته سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م طويت صفحة مشرقة لعالم عراقي بغدادي كان له اثر بالغ في الفكر الإسلامي .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأولية :

❖ ابـن الاثيـر: عـز الـدين ابـو الحسـن علـي بـن ابـي الكـرم محمـد بـن محمـد بـن عبـد الكريم الجزري (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

١. اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر، بيروت، لبنان ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

❖ الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)

٢. طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

❖ البغدادي: إسماعيل محمد امين بن مير سليم الباباني (ت١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)

٣. هدية العارفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، ١٩٥١م، واعادت طبعه بالاوفسيت، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا ت.

❖ ابن تغري بردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ /١٤٦٩م)

٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

❖ ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)

٥. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

❖ ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٦. تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ط١، تحقيق عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن،١٤٠٤هـ.

❖ الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

٧. تاريخ مدينة السلام(بغداد)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، بلا م ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

❖ ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)

٨. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا ت.

❖ الدارقطني: الامام الحافظ علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥ م).

٩. سنن الدارقطني، علق عليه وشرح أحاديثه مجدي بن منصور بن سيد الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

❖ الذهبي: الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)

١٠. دول الاسلام: ط١، حققه وعلق عليه حسن اسماعيل مروه، قرأه وقدم له محمود الارناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

١١. سير اعلام النبلاء، خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له واعتنى به محمد ايمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٢. العبر في خبر من غبر، حققها وضبطها على مخطوطتين ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

❖ الروداني: محمد بن سليمان (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م)

١٣. صلة الخلف بموصول السلف، ط١، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م

❖ السبكي: تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

١٤. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٣١هـ/١٩١٨م، ج٣، ص٤٦٤.

❖ السلمي: ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الازدي (ت٤١٢هـ/١٠٢١م).

١٥. سؤالات السلمي للدارقطني، تحقيق فريق من الباحثين، باشراف وعناية د سعد بن عبد الله الحميد، د خالد بن عبد الرحمن الجريسي، بلام، بلات.

❖ السمعاني: ابو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)

١٦. الانساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والابحاث الثقافية، ط١، دار الجنان، بيروت –لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

❖ السيوطي: ابي بكر بن عبد الرحمن بن جلال الدين (ت٩١١هـ/)

١٧. طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

❖ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٢٦٣م)

١٨. الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارنأووط، وتركي مصطفى، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

❖ ابن عساكر: ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧١هـ /١١٧٤م)

١٩. تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العموري، دار الفكر، بلام،١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

❖ ابن قاضي شهبة: ابو بكر بن احمد بن محمد بن عمر الاسدي الشهبي الدمشقي تقي الدين (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م).

٢٠. طبقات الشافعية، تحقيق د الحافظ عبد العليم خان، ط١، دار النشر، عالم الكتب، بيروت ،١٤٠٧هـ.

❖ ابن كثير: عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٢١. البداية والنهاية، ط١، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، بلا م ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

❖ ابن ماجه: ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)

٢٢. سنن ابن ماجة، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

❖ المقدسي: ابي الفضل محمد بن طاهر بن علي(ت٥٠٧هـ/١١١٣م)

٢٣. أطراف الغرائب والافراد للدارقطني، ط ١، نسخه وصححه جابر بن عبد الله السريع، ١٤٢٨هـ.

❖ الميرغناني: علي بن ابي بكر بن عبد الجليل (ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م)

٢٤. الهداية شرح بداية، المبتدئ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بلا.ت.

❖ اليافعي: ابو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

٢٥. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

❖ ياقوت الحموي: ابو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

٢٦. معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ثانياً: المراجع الحديثة:

❖ الزركلي: خير الدين (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)

٢٧. الاعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

❖ سزكين: فؤاد

٢٨. تاريخ التراث العربي، نقله الى العربية د محمود فهمي حجازي، وراجعه د عرفة مصطفى، ود سعيد عبد الرحيم، المملكة العربية السعودية، بلات.

❖ الماتريدي: علي رضا قره بلوط بن الحاج عبد الله القيصري الحنفي (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)

٢٩. معجم التاريخ الاسلامي، ط١، انقره، ١٩٨٥م.

الهوامش:

(١) الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٦٧م) تاريخ مدينة السلام(بغداد)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، بلا م ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١٣، ص٤٨٧.

(٢) المصدر نفسه ، ج١٣ ، ص٤٩٣ ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر

عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج١٤، ص٣٧٩ ٠

(٣) الدارقطني: الامام الحافظ علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥ م) سنن الدارقطني، علق عليه وشرح أحاديثه مجدي بن منصور بن سيد الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٥ ٠

(٤) تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٤٨٩ وص٤٩٠ ٠ السبكي: تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، ت:محمود محمد الطناحي ، عبدالفتاح محمد الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٣١هـ/١٩١٨م ،ج ٣، ص٤٦٤ ٠

(٥) الذهبي : الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٧٤م) سير اعلام النبلاء ، خرج احاديثه وعلق عليه وقدم له واعتنى به محمد ايمن الشبراوي ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ج١٢ ، ص٤١٤ ٠

(٦) المنتظم ، ج١٤ ، ص٣٨٠ .

(٧) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٤١٨ ٠

(٨) الدارقطني: سنن الدارقطني، ج١، ص٥ ٠

(٩) عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية ، ط١، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، بلا م ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م،ج١٥، ص٤٥٩ .

(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج١٣، ص٤٨٨ ٠

(١١) المصدر نفسه، ج١٣، ص٤٨٨ ٠

(١٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام ، ج١٣، ص٤٩٠ ٠

(١٣) القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ /١١٧٤م) تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العموري ، دار الفكر، بلا م ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م ، ج٤٣ ،ص٩٣ ٠ ، ٩٦ ٠ وينظر الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤١٨ ٠ ٠السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٤٦٣ .

(١٤) العبر في خبر من غبر، حققها وضبطها على مخطوطتين ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص١٦٧ ٠

(١٥) الصفدي : صلاح الدين خليل بن آيبك (ت٧٦٤هـ/١٢٦٣م) الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ج٢١، ص ٢٣٢ ٠

(١٦) تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص٤٨٧ – ص ٤٨٨ ٠

(١٧) ابي الفضل محمد بن طاهر بن علي، أطراف الغرائب والافراد للدارقطني، ط ١، نسخه وصححه جابر بن عبد الله السريع، بلا م، ١٤٢٨هـ، ج ١، ص ١٨ ٠

(١٨) ابو سعد بن عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي(ت٥٦٢ هـ/١١٦٦م) الانساب ' تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي ، مركز الخدمات والابحاث الثقافية ، ط١ ، دار الجنان ، بيروت ، لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ج٢ ، ص٤٣٨ ٠

(١٩) تاريخ دمشق، ج٤٣، ص٩٦ ٠

(٢٠) ابو عبدالله شهاب الدين بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج٢، ص٤٢٢ ٠

(٢١) ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ، بيروت ، بلا ت ،ج١ ، ٤٨٣.

(٢٢) أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بلا ت ،ج ٣، ص ٢٩٧ ٠

(٢٣) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣، ص ٤٦٢ ٠

(٢٤) الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) طبقات الشافعية، كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج١، ص٢٤٦.

(٢٥) ابـو بكـر بـن عبـدالرحمن بـن جـلال الـدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) طبقـات الحفـاظ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ج١، ص ٣٩٤ ٠

(٢٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج ١٠، ص٣٤٣ – ص٣٥١ ٠

(٢٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام، ج١١، ص٣٢٥ – ص٣٣٢ ٠

(٢٨) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج ١١، ص ٣٠٤ – ص٣٠٥ ٠

(٢٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام، ج١٢، ص٢٥٢ – ص٢٥٣ ٠

(٣٠) المصدر نفسه: ج١٦، ص٣٤١ – ص٣٤٤ ٠

(٣١) المصدر نفسه ، ج ١٢، ص٢٨٧ ٠

(٣٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٣٠٣ ٠

(٣٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص٣٦٥ ٠

(٣٤) المصدر نفسه: ج١٢، ص٤٦ – ص٤٧ ٠

(٣٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام: ج١٣، ص١٩٠ – ص١٩٢ ٠

(٣٦) المصدر نفسه ، ج٥، ص٦٠ – ص٦١ ٠

(٣٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام ، ج٢، ص٧٤–ص٧٥ ٠

(٣٨) الخطيب البغدادي: ج١٣، ص٤٨٧ – ص٤٨٨ ٠

(٣٩) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه ، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٩٧ ٠

(٤٠) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص ١٣ – ص١٥ ٠

(٤١) المصدر نفسه: ج١٣، ص٥٥ – ص٥٨ ٠

(٤٢) المصدر نفسه: ج١٣، ص٣٠ ٠

(٤٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام، ج٣، ص٤٣ – ص٤٨ ٠

(٤٤) المصدر نفسه: ج١٣، ص ١٦٠ – ص ١٦٢ ٠

(٤٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص١٦٣ – ص١٦٤ ٠

(٤٦) المصدر نفسه ، سير اعلام النبلاء، ج١٣، ص ١٨٥ ٠

(٤٧) المصدر نفسه ، ج١٣، ص٢٦١ – ص٢٦٢ ٠

(٤٨) المصدر نفسه ، ج١٣، ص٢٧٩ – ص٢٨١ ٠

(٤٩) المصدر نفسه: ج١٣، ص٣٠٣ – ص٣٠٤ ٠

(٥٠) ابن كثير : ، البداية والنهاية ، ط١ ، ج١٥، ص٤٥٩ .

(٥١) المصدر نفسه ، ج١٥، ٤٥٩.

(٥٢) ابن تغري بردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج٤، ص١٧٣ ٠

(٥٣) خير الدين (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، الاعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢ ، ج٤ ، ص٣١٤.

(٥٤) طبع الكتاب بعناية وجاهه حسين ، كلكتا ١٩٣٤م .

(٥٥) الماتريدي: علي رضا قره بلوط بن الحاج عبد الله القيصري الحنفي (١٩٤٠م) معجم التاريخ الاسلامي، ط١، انقره، ١٩٨٥م، ج٣، ص٢١٠٣ ٠

(٥٦) طبع الكتاب بتحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثري، القاهرة، عزت العطار الحسيني، ١٩٤٦م، ٤اجزاء، في ٢ مجلد ٠

(٥٧) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام ، ج١٣، ص ٤٩٢ ٠

(٥٨) طبع الكتاب بتحقيق وترجمة يوسف فان اس، منشورات المعهد الالماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٦٧م، ١٦ صفحة + ٧٤ صفحة ٠

(٥٩) (٥٩) السلمي ، أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الازدي (ت٤١٢هـ/١٠٢١م) ، سؤالات السلمي للدارقطني، تحقيق : فريق من الباحثين ، باشراف وعناية د. سعد بن عبدالله الحميد ، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي ، بلا م ، بلا ت ، ص٢٩ ٠

(٦٠) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ط١، انقره، ١٩٨٥م، ج٣، ص٢١٠٣ ٠

(٦١) البغدادي: اسماعيل بن محمد امين بن مير سليم الباباني (ت ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م) هدية العارفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، ١٩٥١م، ج١، ص ٦٨٣ ٠ الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٣

(٦٢) المصدر نفسه ، ج١، ٦٨٤ ٠

(٦٣) المصدر نفسه: ج١، ص ٦٨٣ ٠

(٦٤) طبع الكتاب بتحقيق الاستاذ عدنان عبد الرحمن الدوري، ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ربيع الاول، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، الجزءان الاول والثاني في المجلد الثاني والثلاثين ٠

(٦٥) سزكين: فؤاد ، تاريخ التراث العربي، نقله الى العربية د محمود فهمي حجازي ، وراجعه د عرفة مصطفى ، و د سعيد عبد الرحيم ، المملكة العربية السعودية ،بلا ت ، م١ ، ج١ ، ص٤٢٢ ٠

(٦٦) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٣ ٠

(٦٧) ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ط١، تحقيق عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن،١٤٠٤هـ، ص١٨

(٦٨) سزكين: فؤاد، تاريخ التراث العربي، ج١، ص٤٢٤ ٠

(٦٩) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٦٨٤ ٠الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص٢١٠٥.

(٧٠) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٣ ٠

(٧١) الروداني: محمد بن سليمان (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م) صلة الخلف بموصول السلف، ط١، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ص٢٤٣.

(٧٢) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٦٨٤ ٠

(٧٣) السلمي ، ، سؤالات السلمي للدارقطني، ص٣٠ ٠

(٧٤) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٦٨٤ ٠

(٧٥) السلمي: سؤالات السلمي للدارقطني، ص٣٠ ٠

(٧٦) المصدر نفسه: ص٣٠ ٠

(٧٧) الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٢١٢ ٠

(٧٨) المصدر نفسه: ٢٢٦ ٠

(٧٩) الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٢٢٥ ٠

(٨٠) المصدر نفسه: ص٢٣٠ ٠

(٨١) سزكين: فؤاد، ج١، ص٤٢١ ٠

(٨٢) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

(٨٣) المرجع نفسه: ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

(٨٤) الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٢٥٣ ٠

(٨٥) سزكين: د فؤاد، ج١، ص٤٢٣ ٠

(٨٦) المرجع نفسه: ج١، ص٤٢١ ٠

(٨٧) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج ٣، ص ٢١٠٤ ٠

(٨٨) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٦٨٤ ٠

(٨٩) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص ٤٨٨ , اليافعي: ابو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج ٢، ص٣٢٠ .

(٩٠) طبع بتحقيق الدكتور عبد الرحيم بن محمد بن احمد القشعري، ط١، سنة ١٤٠٤هـ، لاهور، باكستان

(٩١) طبع الكتاب بتحقيق علي حسن عبد الحميد، ط١، سنة ١٤٠٨هـ، دار عمار، الاردن ٠

(٩٢) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

(٩٣) طبع بتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، سنة ١٤٠٤هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

(٩٤) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٥.

(٩٥) الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي،: ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

(٩٦) المرجع نفسه: ج٣، ص ٢١٠٣ ٠

(٩٧) سزكين: فؤاد، ج١، ص٤٢٠ ٠

[٩٨] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٥، ص ٤٥٩ ٠ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن احمد بن محمد بن كعمر الاسدي الشهبي الدمشقي تقي الدين (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) ، طبقات الشافعية، تحقيق د . الحافظ عبدالعليم خان ، ط١ ، دار النشر عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .ج١، ص١٦١ ٠ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٦٨٤ ٠

[٩٩] الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

[١٠٠] البغدادي: هدية العارفين، ج١، ٦٨٤ ٠

[١٠١] الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٣١١ ٠

[١٠٢] الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٤

[١٠٣] الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٣٣٢ ٠

[١٠٤] الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص٢١٠٤ ٠

[١٠٥] الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٣٣٠ ٠

[١٠٦] المصدر نفسه: ص٢٢٥.

[١٠] سزكين: فؤاد، تاريخ التراث العربي، ج١، ص ٤٢٢ ٠

[١٠٨] سزكين: فؤاد، تاريخ التراث العربي ، ص٤١٧ – ص٤١٨ ٠

[١٠٩] الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

[١١٠] المرجع نفسه: ج٣، ص ٢١٠٥ ٠

[١١١] سزكين: فؤاد، ج١، ص ٤٢٢ ٠

[١١٢] الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٤ ٠

[١١٣] الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج١٣، ص٤٨٨ ٠ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص٢٣٢. البغدادي: هدية العارفين، ج١، ٦٨٤ ٠

[١١٤] الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٥ ٠

[١١٥] الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص ٤٠٦ ٠

[١١٦] البغدادي: هدية العارفين، ج١، ٦٨٤ ٠

[١١٧] المصدر نفسه: ج١، ص٦٨٤ ٠

[١١٨] الزركلي: الاعلام، ج٤، ص٣١٤ ٠

(١١٩) الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، ص٣٣ ٠

(١٢٠) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص٤٨٨ ٠البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٨٤ ٠

(١٢١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٢٣٢ ٠ اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٣٢٠ ٠ البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص٦٨٤ ٠ الزركلي: الاعلام، ج٤، ص٣١٤ ٠ الماتريدي: معجم التاريخ الاسلامي، ج٣، ص ٢١٠٥ ٠

(١٢٢) الماتريدي: المرجع نفسه، ج٣، ص ٢١٠٣ ٠

(١٢٣) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص٤٩٤ ٠ السمعاني: الانساب، ج٢، ص٤٣٩ ٠ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص ٣٨٠ ٠ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢٢ ٠ ابن الاثير: اللباب في تهذيب الانساب، ج١، ص٤٨٣. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٩٨. الذهبي : دول الاسلام : ط١ ، حققه وعلق عليه حسن اسماعيل مروه ، قرأه وقدم له محمود الارناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م ، ج١ ، ص٣٤٥ ٠ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص ٤٥٧ ٠ الاسنوي : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص٢٤٦ ٠ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٥ ، ص ٤٦٠ ٠السيوطي : طبقات الحفاظ ، ج١ ، ص٣٩٥ ٠

(١٢٤) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٩٨ ٠

(١٢٥) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج ١٣، ص٤٩٤ ٠السمعاني: الانساب، ج٢، ص٤٣٩ ٠ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص ٣٨٠ ٠ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢٢ .

أثر مؤتمر داكار في تعزيز التعاون العربي – الافريقي
١٩-٢٢ نيسان ١٩٧٦

أ.م.د. لمياء صفاء حسن

ثانوية التفوق للمتفوقين

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الثانية

laymasafaa@gmail.com

٠٧٧٣١٨٤١٠٧٧

أثر مؤتمر داكار في تعزيز التعاون العربي – الافريقي ١٩-٢٢ نيسان ١٩٧٦

أ.م.د. لمياء صفاء حسن

الملخص:

افتتح في داكار عاصمة السنغال مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية والافريقية بتاريخ ١٩-٢٢ نيسان ١٩٧٦, الذي مهد لعقد اول مؤتمر قمة عربي افريقي مشترك في التاريخ، ولا شك ان اللقاء العربي الافريقي الجديد يأتي في مرحلة متميزة من مراحل النضال العربي الافريقي، من اجل البناء والتقدم، إذ سقط النفوذ الاسرائيلي في القارة الأفريقية، بفضل التطور الذي طرأ على العلاقات العربية الافريقية، والدعم الافريقي المساند للعرب بعد انكشاف النوايا الحقيقية التي يغمرها الكيان الصهيوني لوحدة افريقيا وامن شعبها، وبذلك توجتْ قرارات مؤتمر داكار في تعزيز عمل المؤسسات الاقتصادية العربية الافريقية المشتركة، وتطور الدعم المادي والمعنوي والسياسي الذي تقدمه الدول العربية لقارة افريقيا.

في ضوء ذلك، قُسم البحث الى ثلاثة محاور رئيسة، تطرق المحور الاول، الحوار العربي-الافريقي بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية والذ كان الغرض منه مواجهة التغلغل الصهيوني في افريقيا، بينما تناول المحور الثاني، المؤتمر الوزاري العربي الافريقي الاول في داكار ١٩-٢٢ نيسان ١٩٧٦، وتتبع المحور الثالث اهم قرارات المؤتمر الوزاري الاول العربي الافريقي وتضمنت الخاتمة اهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها عن طريق عرض تفاصيل مؤتمر داكار.

الكلمات المفتاحية: الجامعة العربية، منظمة الوحدة الافريقية، مؤتمر داكار.

The Impact of the Dakar Conference on Strengthening Arab-African Cooperation

April 19–22, 1976

Asst. Prof. Dr. Lamia Safaa Hassan
Ministry of Education / General Directorate of Education, Baghdad / Al-Karkh Second
laymasafaa@gmail.com

Abstract:

The Conference of Foreign Ministers of Arab and African States was inaugurated in Dakar, the capital of Senegal, from April 19 to 22, 1976. This conference paved the way for the first-ever joint Arab-African summit in history. Undoubtedly, this new Arab-African meeting came at a critical stage in the Arab-African struggle for progress and development. During this period, Israeli influence in Africa declined due to the evolution of Arab-African relations and the African support for Arab causes, following the exposure of the

true intentions of the Zionist entity regarding Africa's unity and the security of its people. The resolutions of the Dakar Conference crowned these efforts by strengthening the work of joint Arab-African economic institutions and advancing the material, moral, and political support provided by Arab states to the African continent.

In light of this, the study is divided into three main sections. The first section addresses the Arab-African dialogue between the League of Arab States and the Organization of African Unity, which aimed to confront Zionist infiltration in Africa. The second section examines the first Arab-African Ministerial Conference in Dakar (April 19–22, 1976). The third section reviews the most important resolutions of the first Arab-African ministerial conference. The conclusion summarizes the key findings derived from the detailed presentation of the Dakar Conference.

Keywords: Arab League, Organization of African Unity, Dakar Conference.

اولاً: الحوار العربي الافريقي:

أطلق على ذلك العهد الجديد للعلاقات العربية– الافريقية مصطلح (الحوار العربي الافريقي)، الذي شاع في الاوساط الفكرية العربية، وهو حوار متبادل في مدة زمنية ارتبطت بخصائص واوضاع معينة، طرفاه (جامعة الدول العربية)[١] (ومنظمة الوحدة الافريقية)[٢] ، جاء ذلك الحوار كمحصلة لعدد من التطورات التي قادت في النهاية الى بدئهِ.

بناءً على ذلك، سعت الدول العربية لإيقاف النشاط الصهيوني بعد تغلغله في كافة ارجاء القارة الافريقية، وفي شتى الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، اذ سارعت لوقوف بوجه ذلك التغلغل لغرض استمرار فرض العزلة السياسية والاقتصادية على (اسرائيل) في المجال الدولي[٣].

وفي جانب اخر، ثمة عوامل أخرى لها دوراً بارزاً في اسناد تلك المجابهة من ضد التغلغل (الاسرائيلي) في افريقيا، منها الازمة الاقتصادية التي عانى منها الكيان الصهيوني عقب حرب عام ١٩٦٧، نتيجة للأعباء التي تحملها لارتفاع تخصيصاته في الميزانية العسكرية، فضلاً عن ذلك تمويل (اسرائيل) للمشروعات التي مهدت لتغلغلها في افريقيا، اذ اعتمدتْ في ذلك على البنوك الاجنبية والاسرائيلية التي تمدها بالمنح والقروض التي تقدمها الاخيرة الى الدول الافريقية، مما سبب في اعاقة مخططاتها لتغلغل بشكل جدي في حالات متعددة [٤].

فضلاً عن ذلك، اكتشفتْ الحكومات الأفريقية ان المشروعات الاسرائيلية في افريقيا قد مارستْ اساليب غير مشروعة وشكلتْ خطراً على اقتصاد الدول الافريقية، وذلك الشيء طبيعي باعتبار ان مطمع (اسرائيل) جزء لا يتجزأ من مطامع الاستعمار الجديد في افريقيا(٥).

في ضوء المُعطيات السابقة، يمكن القول ان الدول الافريقية خاضتْ صراعاً ثلاثي الابعاد ضد التخلف من ناحية وضد التبعية من ناحية ثانية، وضد الاستعمار التقليدي والحديث من ناحية ثالثة، وفي جميع تلك الميادين كانت لإسرائيل وجود واضح، أكد حقيقة ارتباطها بالمعسكر الاستعماري المعادي لحركة التحرر الوطني الافريقي، ومن ناحية اخرى، ادركتْ الدول الافريقية حدود المعونة التي تتلقاها من اسرائيل ومدى قلتها ونسبتها، اذا ما قورنت بحجم مشكلات التخلف المعقدة التي تتفاقم مع الوقت في غالبية تلك الدول الافريقية، اذ بات من الواضح ان اسرائيل تمثل وسيطاً استعمارياً ملائماً من اجل استمرار ظاهرة التبعية وثبيت روابط السيطرة والاستغلال (٦).

ومن ابرز التطورات التي قادت الى بدء الحوار العربي– الافريقي، هو الموقف التي اتخذتها الدول الافريقية بقطع اكثر من عشرين دولة منها علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع (اسرائيل) منذ عدوان الخامس من حزيران الى تشرين الاول ١٩٧٣(٧)، وهنا تبلور الموقف الافريقي واتساع ابعاده، لاسّيما بعد ان استخدمت الدول العربية النفط سلاح في معركتها ضد (اسرائيل) مما فرض عليها اتخاذ قرارات تتعلق بالإنتاج والتسويق، فضلاً عن اتخاذ دول أعضاء (منظمة الدول العربية المصدرة للنفط– آوابك Organization of Arab Petroleum Exporting Countries-OAPEC)(٨)، قرارات برفع الاسعار فظهر عاملان يمثلان نقطة البدء في الحوار العربي الافريقي **اولهما:** قرار اتخذته الدول المنتجة للنفط في تشرين الاول ١٩٧٣ " **ان الدول التي تساند العرب مساندة فعالة او تتخذ اجراءات مهمة ضد اسرائيل لحملها على الانسحاب، فأنها لن تضار من تخفيض انتاج النفط وسوف يستمر تزويدها به كما كان من قبل التخفيض**"، **ثانيهما:** قرار اصدره مجلس وزراء منظمة الافريقية في تشرين الثاني ١٩٧٣ بأجراء الاتصالات مع الدول العربية عن

طريق الجامعة العربية، وامكانيات تخفيض تلك الاثار، وتشكيل لجنة من (سبع دول)[٩] لأجراء تلك الاتصالات[١٠].

عجلت تلك الاصداء الى الاستجابة السريعة من الجانب العربي، اذ قام بتوجيه الشكر للدول الافريقية التي قطعت علاقاتها مع (اسرائيل)، كما وضع مؤتمر الجزائر المنعقد في الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٣ الاسس الجديدة لتضامن والتعاون العربي الافريقي، والسعي لأنشاء المصرف العربي للتنمية في افريقيا بهدف دعم الدول الافريقية في مجالات التنمية وتعزيز نضالها ضد الصهيونية والعنصرية والاستغلال الذي مارسته الاحتكارات متعددة الجنسية لثرواتها، اذ جاء تأسيس المصرف العربي للتنمية في افريقيا تقديرا للموقف الذي اتخذته غالبية الاقطار الافريقية في نصره الحق العربي في فلسطين وقطع العلاقات الدبلوماسية مع (إسرائيل) اذ بلغ راس المال للمصرف في البداية حوالي (٢٣١) مليون دولار ، اذ نجد ان عدد غير قليل من الدول الافريقية قد تمتع بقروض المصرف العربي للتنمية الافريقية وبفوائد زهيدة ولأجل طويلة ،اذ ساعدت تلك القروض الدول الافريقية المشمولة بها على التغلب على العديد من الصعوبات الاقتصادية وساعدت على تنفيذ المشروعات الصناعية والزراعية والخدمية ، فضلا عن اقامة المؤسسات الثقافية وغير ذلك من مظاهر التقدم الاقتصادي والاجتماعي[١١]، ذلك المصرف كان الرد الوحيد على مشكلتين كبيرتين، واجهتها الجامعة العربية هو الاسراع في ايصال المعونة العربية لأفريقيا ومسألة مراجعة النظام الدولي لتسعير النفط [١٢].

في ضوء ذلك، وافق مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد في الرباط ٢٦-٢٩ تشرين الاول ١٩٧٤، على عقد مؤتمر قمة للدول العربية والافريقية على ان يحوي المشاورات المتعلقة بين الامناء العامين لجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية، ونظراً بذلك تمخضت عدة اجتماعات لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية اثناء دورته التي عقدت في اديس ابابا عام ١٩٧٥، اذ اتخذت قرارها بتشكيل (لجنة١٢) الافريقية، وضمتْ كلًا من (مصر – السودان – الجزائر – زائير – السنغال – سيراليون – تنزانيا – بوتسوانا – غانا – بوروندي – الكاميرون – مالي)، لتعزيز اتصالها بجامعة الدول العربية بدلاً من اللجنة السابقة التي كانت تعرف باسم لجنة السبعة، وعليه قامت الجامعة العربية اثناء اجتماعها في

تموز عام ١٩٧٥ في القاهرة بتشكيل (لجنة الاثني عشر العربية)[١٣]، إذ تم اقتراح الصيغة الموحدة لمشروع الاعلان وبرنامج العمل للتعاون العربي الافريقي، لعرضه امام المؤتمر الوزاري المشترك[١٤].

توالت عملية التنسيق الثنائي في نطاق الحوار، من اجل تعزيز مسيرة التعاون العربي الافريقي للوصول للأهداف المشتركة، اذ التقت نخبة واسعة من الشخصيات العربية والافريقية في ندوة الخرطوم في السودان في شهر كانون الثاني ١٩٧٦، لدراسة صيغ التعاون الفعال في الميادين المختلفة، كان ذلك مؤشراً لوثوق الارتباط وسبباً في النجاح في معالجتها للعقبات التي تعترض طريق التعاون العربي الافريقي والذي رسم مستقبل علاقاتهم [١٥].

ثانياً: المؤتمر الوزاري العربي الافريقي الاول في داكار (١٩-٢٢ نيسان ١٩٧٦)

عقب انتهاء المشاورات بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية واجتماعات الاجهزة سواء بشكل مستقل او بشكل مشترك، أتخذ قرار بعقد اول مؤتمر مشترك لجميع وزراء الدول العربية والافريقية في داكار عاصمة السنغال ابتداء من التاسع عشر- الثاني والعشرين من نيسان ١٩٧٦، يحتوي جدول اعمال المؤتمر على موضوعين الاول اقرار وثيقة (اعلان برنامج عمل بشأن التعاون العربي الافريقي) والثاني يشمل تحديد موعد اجتماع مؤتمر القمة العربي الافريقي [١٦].

حضر الاجتماع كأعضاء اصلين مثلو (٥٤) دولة عربية وافريقية وممثلو جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الفلسطينية على النحو التالي (١٩) عضو في جامعة الدول العربية [١٧]، (٣٥) عضو في منظمة الوحدة الافريقية[١٨]، فضلاً عن ممثلي حركات التحرر الافريقية والمصرف العربي للتنمية والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا بصفة مراقبين[١٩].

يمكن القول ان جميع الدول العربية حضرت الى المؤتمر عدا جمهورية اليمن الشمالية، اما عن الجانب الافريقي تغيب عن الحضور اربع دول هي انغولا، ملاوي، غينيا، وغينيا الاستوائية، امتنعت انغولا عن الحضور بسبب عدم اعتراف السنغال بالحركة الشعبية

لتحرير انغولا، اما غينيا فكانت بسبب تردي علاقاتها مع السنغال، اما بالنسبة لملاوي فأن مواقعها ترتبط بالقوى الاستعمارية والصهيونية والعنصرية كانت الحائل امام حضورها، في حين لم تبرر غينيا الاستوائية سبب عدم حضورها للمؤتمر[٢٠].

نستدل من ذلك الاجتماع ان اللقاء العربي الافريقي الذي انعقد في تلك المرحلة المهمة التي تمر بها كل من الامة العربية والقارة الافريقية، انه قادر على تكوين التلاحم العربي الافريقي العريق وترجمته بصورة اوضح الى واقع ملموس وعطاء متزايد في مرحلة النضال العربي الافريقي.

وبهذا الصدد، تجلَّتْ اهمية العلاقات التي تربط العرب والإفاقة عن طريق الكلمة التي القاها الرئيس السنغالي (ليوبولد سنغور (leopld senghor ١٩٠٦- ٢٠١٩)، عند افتتاحه للمؤتمر، إذ اعلن ان للتعاون العربي الافريقي قيمة تاريخية واستراتيجية يجب ان تعمق وتستمر، وذكر ان المؤتمر الحالي يعد ظاهرة تاريخية للكفاح العربي الافريقي المشترك حيال التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي[٢١].

كما دعا الى وجوب تحقيق تكامل هرمي عن طريق التقارب بين ثلاث اطراف، اذ يتوفر التقدم والتكنولوجيا لدى اوروبا والاموال لدى العرب، والمواد الخام لدى افريقيا، واقترح ان يكون للمؤتمر جهاز دائم مؤلف من ثلاث لجان في المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية وتصبح تلك اللجان دائمة تعقد اجتماعاتها بصفة دورية، من اجل الاعداد لمؤتمر الوزراء المشترك[٢٢]، كما اوصى بان يعقد مؤتمر الوزراء المشترك مرة كل عام، واجتماع لرؤساء الدول العربية والافريقية مرة كل عامين، كما اوصى بإقامه محكمة عربية افريقية للمصالحة والتحكيم تكون مسؤولة عن تسوية اي خلاف يحتمل ان يحدث بين دول الاعضاء في المؤتمر العربي الافريقي[٢٣].

في السياق نفسه، تطرق الشيخ (محمد بن مبارك ال خليفة) وزير خارجية البحرين ، ممثلاً عن الجانب العربي في المؤتمر، إلى ان التعاون العربي الافريقي لا يمثل حدثاً طارئاً؛ بل يستند إلى ضرورة ثقافية وحضارية ومواجهتهم لمخاطر مشتركة تعرضوا ولا يزالوا يتعرضون لها، واكد ان القوى العنصرية الاسرائيلية تحاول افشال التعاون العربي الافريقي[٢٤]

كما وردت نفس الاشارات السابقة في كلمة (محمود رياض) الامين العام للجامعة العربية ذكر ان العالم العربي والافريقي تربطهما قضايا كفاح مشتركة ترتكز على اساسين هما تحرير الارض المحتلة سواء في العالم العربي او في افريقيا والكفاح ضد العنصرية في جنوب افريقيا واسرائيل، كما حذر الامين العام للجامعة العربية من زيارة (جون فورستر John Vorster) [٢٥]، رئيس وزراء جنوب افريقيا (لإسرائيل) وقال انها تنبئ عن ابعاد جديدة وخطيرة يجب ان ينتبه اليها العرب والإفاقة او ان قوى خارجية اجنبية تحاول التشكيك في حقيقة التقارب العربي الافريقي المشترك[٢٦].

اما كلمة المجموعة الافريقية، القاها وزير خارجية ليبيريا (سيسيل دينيس Cecil Dennis ١٩٣١- ١٩٨٠) رئيس دورة المنظمة حينذاك، اذ اشار فيها لما ذهب اليه الامين العام للجامعة العربية في كلمته من ارتباط من اجل تحرير افريقيا والدول العربية من السيطرة الاستعمارية، ولتأكيد على الارتباط العربي- الافريقي ووجوب احباط المخططات الاستعمارية والصهيونية والعنصرية كافة ، كما اشاد بالدور الذي تمارسه الجامعة العربية التابعة لها، عن طريق تقديمها للعون الاقتصادي والسياسي الفعال للدول الافريقية[٢٧].

على الرغم من الاتفاق العام على مبدأ التعاون العربي- الافريقي في صورته النهائية، الا انه يتضح جلياً من خلال سير جلسات المؤتمر ان ثمة بعض التلكؤ الواضح من جانب بعض الدول الافريقية يفهم منه عدم رغبتها في السير بالتعاون العربي- الافريقي الى غاياته النهائية الذي يقرره فيه (اعلان برنامج عمل التعاون العربي- الافريقي)، نستدل من ذلك ان بعض تلك الدول الافريقية لا تستطيع ان تقول صراحة انها لا ترغب في الالتزام بالاجتماع العربي الافريقي، وفي الوقت نفسه تريد مجاملة بعض الاتجاهات المعادية لذلك التعاون، ومن دون ريب انها تسعى الى وضع عدة معوقات لعرقلة او تعطيل خطوات السير المقررة.

وفي السياق نفسه، اثيرت بعض القضايا في كلمات وخطب بعض الدول الافريقية، موضوعات تتعلق بالعروبة ودور وأهداف العرب في افريقيا، وعلاقة العروبة والاسلام بالتعاون العربي الافريقي، إذ سبق استغلال تلك الافكار ولاسيما في اثناء الدعم العربي لحركات التحرير الافريقية، وذكرت الدوائر الاستعمارية والصهيونية ان العرب يمثلون

استعماراً جديداً، وان الهدف من ذلك هو نشر الاسلام ومحاربة الاديان الاخرى في افريقيا، سبق ان انبرى العرب لتفسير وتوضيح اهدافهم القومية والسياسية وابطال تلك الدعايات الهادفة لإفساد التعاون العربي الافريقي [٢٧].

من جانب آخر، أثيرت قضية المعونات الاقتصادية العربية وقيمتها واثارها في اوضاع افريقيا، إذ اشارت حكومة السنغال إلى عدم كفاية الاعانات التي تقدمها الدول المنتجة للنفط الى الدول الافريقية، نتيجة ارتفاع اسعارها النفط ، الا ان الجهود التي بذلتها الدول العربية عن طريق المؤسسات الاقتصادية والمالية كالمصرف العربي للتنمية وصناديق التعاون التي اقامتها جامعة الدول العربية والمبالغ التي قدمتها كان دليلاً كافياً وباعتراف بعض الوفود الافريقية وسكرتيرة منظمة الوحدة لدحض تلك الادعاءات[٢٨].

بيد أنَّ بعض الدول الافريقية رأت الفرصة سانحة لتصفية حسابات، او لفتح باب يؤدي لشرخ العلاقات العربية –الأفريقية داخل المؤتمر، ومن تلك القضايا هو البيان الذي ألقاه وزير خارجية اثيوبيا حول الموقف الخاص في ارتيريا والمساعدات المقدمة من الدول العربية لجبهة التحرير الارتيرية، ومحاولة عد تلك السياسة مقررة لتقسيم القارة الافريقية والاعتداء على سيادتها واستقلالها[٢٩].

من جانبها، اوضحتْ الجامعة العربية موقفها كمنظمة اقليمية تتمتع بعضويتها كل الدول العربية المستقلة، اذ اعلنت في قراراتها التي اتخذتها منذ اللحظات الاولى لقيامها عام ١٩٤٥، على اهمية تحرير الدول من السيطرة الاستعمارية والعمل على التشجيع ذلك بكل الامكانات[٣٠].

وثمة محددات اخرى، دفعتْ الدول العربية لتقديم المساعدة والدعم لجبهة التحرير الارتيرية، منها النشاط الاسرائيلي حول الساحل الارتيري، الذي اثار قلقاً عربياً حيال امن البحر الاحمر، والذي يعد جزءً من حفظ الامن الدولي[٣١].

من جانب اخر، تقدمت ساحل العاج وغانا، بطلب حذف كلمة (الصهيونية) من البيان الختامي لأنها تمثل العنصرية بأشكاله كافة ، إذ رفضت كل الدول الافريقية ذلك التعديل عدا (زائير) التي ايدته مؤقتاً ثم سحبت تأييدها في اخر لحظة، بيد أن ساحل العاج وغانا اصرتا على تثبيت تحفظهما في المحاضر اثناء جلسة الختام[٣٢].

يظهر ان مواقف الجامعة العربية بدأت واضحة في مؤتمراتها المحلية والدولية المناهضة للسياسة العنصرية التي تتبعها النظم العنصرية في جنوب افريقيا ضد الوطنين الإفاقة.

كما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراها المرقم (٣٣٧٩) في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٥، ان الصهيونية تمثل شكل من اشكال العنصرية، كما ايدتها الدول الافريقية التي أدانت الصهيونية باعتبارها شكلاً من اشكال التميز العنصري[٣٣].

وفي الصدد نفسه، قدمت تنزانيا بتعديل، اكد على وجوب حذف الاشارة الى (مؤتمر لاهور الاسلامي) [٣٤]، على اساس الاشارة في الاعلان هو للأحكام الاقتصادية وتصفية الاستعمار في مؤتمر لاهور وليس هناك معنى ديني، ومع ذلك عدل الوفد التنزاني عن التمسك بالتعديل[٣٥].

استناداً الى ما سبق ان رأي دولة تنزانيا فيه نوع من الصحة، لان مؤتمر لاهور الاسلامي، وما ترتب عليه من نتائج وتوصيات كانت ابرزها المساندة الكاملة والفعالة لمصر، سوريا، الاردن، والشعب الفلسطيني لاسترداد جميع اراضيه، وعد منظمة التحرير الفلسطينية المُمثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، كما ادانه المؤتمر الدول التي تقدم الدعم العسكري والاقتصادي للكيان الصهيوني.

وفي خضم تلك التطورات، نجح المؤتمر في تطويق تلك المناقشات، اذ تعاونت الاغلبية العربية الافريقية على وضع المؤتمر ومناقشاته في الطريق الصحيح للتعاون وتم مناقشة المعونات الاقتصادية العربية وقيمتها واثارها في أوضاع أفريقيا، واكد اعضاء الجامعة العربية بزيادة رأس المال في كل من المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا والصندوق العربي للقروض والصندوق العربي للمعونة الفنية التابعة لجامعة الدول العربية، وفي ختام المؤتمر انتهى بقبول اصدار وثيقة التي عرفت باسم (وثيقة داكار) أو (**الاعلان وبرنامج العمل بشأن التعاون العربي الأفريقي**) بعد الموافقة عليها وبعد اجراء بعض التعديلات وتم اقرارها في اول مؤتمر عربي أفريقي بالقاهرة [٣٦].

كما اصدر المؤتمر قرار بأن يجري سكرتير منظمة الوحدة الافريقية والامين العام لجامعة الدول العربية، الاتصالات اللازمة لوضع الدراسات الضرورية لتنفيذ مشروع الاعلان

وبرنامج العمل على ان تعرض نتائج تلك الدراسات على لجنة الاربعة والعشرين [٣٧]، وذلك لتقديمها الى مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية والافريقية الذي سيسبق مؤتمر القمة الافريقي[٣٨].

ثالثاً: قرارات المؤتمر الوزاري الاول العربي الافريقي في داكار ١٩-٢٢ نيسان ١٩٧٦

حدد مؤتمر داكار اطار العمل الجماعي والفردي للدول العربية والافريقية في ميدان التعاون العربي الافريقي، اذ اورد المشروع مبادئ التعاون السياسي والاقتصادي، اذ تضمن النقاط الآتية:[٣٩].

١. احترام سيادة جميع الدول العربية والأفريقية وسلامتها ووحدة اراضيها واستقلالها السياسي.
٢. المساواة بين الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.
٣. تسوية الخلافات وحل النزاعات بالطرق السلمية.
٤. الكفاح المشترك ضد السيطرة والاستغلال في جميع صورها من اجل السلام والامن الدوليين.
٥. نبذ العدوان وعدم شرعية ضم الاراضي بالقوة.
٦. الحفاظ على المصالح المتبادلة على اساس المعاملة بالمثل والمساواة.

اما برنامج العمل المقترح، فقد تحدد في ميادين اربعة رئيسة تتعهد الدول العربية والافريقية بتنمية علاقاتها فيها على المستويين الثنائي ومتعدد الاطراف، على اسس من التعاون الشامل طويل الاجل[٤٠]. من تلك الميادين :

أ- **ميدان التعاون السياسي والدبلوماسي:** إذ اشار برنامج العمل الى خمس نقاط مهمة في هذا الصدد، وهي الالتزام بسياسة عدم الانحياز، وإدانة الاستعمار والتفرقة العنصرية والصهيونية وسائر اشكال التمييز العنصري والديني، ولاسيما في افريقيا وفلسطين والاراضي العربية المحتلة، فضلاً عن مساندة القضايا القومية الافريقية والعربية وتنسيق العمل العربي الافريقي في المجال الدولي ومواصلة تقديم المساندة لحركات التحرير العربية الافريقية[٤١].

ب- **ميدان التعاون الاقتصادي:** استهدف البرنامج تحقيق التكامل الاقتصادي على اوسع نطاق بين الدول العربية والدول الافريقية، وعن طريق توسيع وتكثيف التعاون وتقويته في مجال التجارة، التعدين، الصناعة، الزراعة، الطاقة، الموارد المائية، النقل والمواصلات، ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية واخيراً التعاون المالي(٤٢).

ومن اوجه التعاون الاقتصادي العربي الافريقي في نطاق جامعة الدول العربية هو (المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا)، إذ كان للصندوق قَصبُ السَّبق في تمويل التنمية الاقتصادية للدول الافريقية وتشجيع مشاركة رؤوس الاموال العربية للدول المنتجة للنفط في التنمية وذلك لتحسين تكتيك الانتاج ومسايرة العلوم الحديثة، كما ساهم المصرف في تمويل العديد من المشروعات التالية(٤٣).

١. قطاع الهياكل الاساسية: اذ تقدم المصرف ما يعادل ٥٦,٥% من مجموع عملياته.
٢. قطاع الطاقة الكهربائية والمائية: قدم المصرف بشأنه ١٠,٥% من مجموع العمليات.
٣. قطاع الزراعة: قدم المصرف ما يعادل ٢٠,٥% من مجموع عملياته.
٤. قطاع الصناعة: قدم المصرف في هذا الصدد ١٢,٥% من مجموع العمليات.

وفي ضوء ذلك، يتضح ارتفاع قيمة العمليات التي نفذها المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا، اي ما يعادل (١٤٣,٥) مليون دولار، اي ما يعادل نحو (٦٠%) من رأس ماله المكتتب به، اذ ساهم المصرف بـ(٢٠) مشروعاً بهبة مقدارها (١٠٠,٠٠٠) دولار وذلك يعني ان عدد الدول الإفريقية المستفيدة من مساعدات المصرف بلغ عشرين دولة(٤٤).

وفي اطار العلاقات العربية الافريقية، دعت جامعة الدول العربية منظمة الوحدة الافريقية الى التعاون مع (المصرف الافريقي للتنمية) (٤٥)، والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا وغيرها من المؤسسات المتخصصة للبحث عن الصيغة الملائمة لتعاون اقتصادي ومالي وفني أوثق، ولاسيما عن طريق انشاء مؤسسات مالية أفريقية عربية ووضع اتفاقية عربية أفريقية تتضمن قواعد معاملة الاستثمارات(٤٦)

ت- **ميدان التعاون الثقافي والاجتماعي:** اوضح سجل البرنامج رغبة الطرفين في تحقيق تفاهم أفضل بين الشعوب العربية والافريقية، ذلك عن طريق تعزيز العلاقات الثقافية والاجتماعية وتوثيق اتفاقيات لتنظيم البعثات الثقافية، المهرجانات، المنح

الدراسية، وبرامج التدريب والرياضة، والتعاون في ميدان الوسائل الاعلامية كالصحافة ووكالات الانباء والاقمار الصناعية المستخدمة في الاتصالات والراديو والتلفزيون، وتبادل المعلومات والخبرات، وحل المشاكل الاجتماعية مثل توطين البدو(٤٧).

ث- **ميدان التعاون العلمي والفني:** ركز مشروع البرنامج على تعزيز وتنسيق الابحاث، عن طريق تبادل المعلومات العلمية والفنية والدراسات، وتعزيز التعاون الفني المشترك في ميادين المنح والتدريبة والجامعية، ودعم الخبراء واعطاء الاولية للخبراء العرب والإفاقة على غيرهم في حالة تساوي المؤهلات والخبرات(٤٨)

فضلاً عن تلك الميادين الاربعة للتعاون العربي- الافريقي ورد في برنامج عدة توصيات لتعزيز التعاون الجماعي بصورة اوثق منها(٤٩).

أ- انشاء لجنة مشتركة دائمة على المستوى الوزاري لتقوم دورياً بمتابعة احكام ذلك الاعلان وضمان تنفيذها ولاستكشاف اية مجالات أخرى للتعاون.

ب- أن يمنح كل طرف صيغة المراقب الى الطرف الاخر في اجتماعات كل منظمة عند مناقشة موضوعات ذات اهمية مشتركة.

ج- أن تنشئ كل من منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية في اسرع وقت ممكن تمثيلاً لدى السكرتارية الاخرى بهدف المحافظة على علاقات العمل بطريقة وثيقة دائمة في تطبيق التعاون العربي الافريقي.

د- دعوة المؤسسات العربية والافريقية المتشابهة في جميع المجالات لاتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لأقامه علاقات عمل وثيقة من شأنها تسهيل التعاون وتنسيق أوجه نشاطها.

الخاتمة

لا ريب ان اقرار وثيقة اعلان وبرنامج العمل بشأن التعاون العربي الافريقي، من حيث الوزن السياسي، عد من اهم الوثائق العربية الافريقية، باعتباره اول لقاء مشترك على المستوى الوزاري، اذ ادى الى تقارب وجهات النظر بشأن التعاون بينهم، كما تجسد بوضع الصيغ الكاملة للتعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما انه ضم نحو (٥٤) دولة عربية وافريقيا تشكل نحو (٤٠%) من مجموع اعضاء الامم المتحدة، يمكن القول انها في الحقيقة اول مجموعة اقليمية متجانسة في المنظمة الدولية، فلم يسبق لمنظمتين اقليميتين توقيع مثل تلك الوثيقة من حيث الشكل والمضمون.

أمّا من الناحية السياسية , فقد عززت المساعدات العربية للدول الافريقية روابط الكفاح المشترك العربي الافريقي ضد الصهيونية والتفرقة العنصرية ، اذ تجلى النضال العربي الافريقي المشترك على الصعيد الدولي في المواقف الموحدة التي اتخذتها معظم الاقطار العربية والافريقية ضد المشروعات الصهيونية ، ودعم المطاليب والحقوق العادلة للبلدان النامية ، ولاسيما في اقامة نظام جديد للعلاقات الاقتصادية العربية – الافريقية .

ثمة مآخذ التي يمكن رصدها حول برنامج التعاون العربي –الافريقي، هو تلك الصياغة الضعيفة للمبادئ التي جاء بها البرنامج حول التعاون السياسي والاقتصادي التي حددت في بداية البرنامج، حيث تلك المبادئ لا تنسجم تماماً مع طبيعة العلاقات العربية والافريقية، باستثناء المبدأ الخاص بـ(الكفاح المشترك)، اما بقية المبادئ فهي لا ترتفع الى مستوى علاقات الصداقة والاخاء العربي الافريقي، بل بالعكس كأنها جاءت بعض تلك المبادئ بين كفتين عدوتين ومتنازعتين ارادا الاتفاق حول عدم اعتداء بعضهما على البعض الاخر، فليس ثمة تهديد قائم او منتظر من اي من الجانبين العربي او الافريقي، سيادة اراضي او موارد الجانب

ومن جانب اخر، ان الاعلان وبرنامج العمل اكد على التعاون الاقتصادي اكثر من تأكيده على مجالات التعاون السياسية والدبلوماسية، مع ان التعاون في المجالات الاقتصادية والزراعية يعد تتويجاً للتعاون السياسي والدبلوماسي، الا ان توثيق التعاون السياسي والدبلوماسي يعد امراً حيوياً في حالة تعثر التعاون الاقتصادي

ويمكن القول كذلك ان برنامج العمل في مجمله ليس برنامجاً تنفيذياً، وانما يمكن اعتباره خطة تحمل افكاراً عامة للتعاون في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث ان من الصعب الاعتماد على ذلك البرنامج وحده لتوثيق العلاقات العربية الافريقية، فالأمر يقتضي تحديداً ادق واشمل للخطوات التنفيذية التي تكفل تحقيق تلك الافكار، ولاسيما ان البرنامج قد وضع في غياب الدراسات العلمية والميدانية لواقع العلاقات العربية الافريقية، كما لجأ الى استخدام المصطلحات بدون ان يضع لها تعريفات محددة مثل تعابير (تعاون، تنسيق، توثيق، مساندة، تضامن ومصالح مشتركة، تقدم شامل، تعاون انمائي)، مما يؤدي لحدوث خلافات حول معناها الحقيقي في المستقبل

ومع ذلك لا يمكن تجاهل ما جاء به الاعلان وبرنامج العمل من مبادئ عامة متفق عليها، مثل الكفاح العربي الافريقي المشترك ضد الاستعمار والعنصرية والصهيونية، ومبدأ الحفاظ على مصالح الاطراف المتبادلة على اساس المعاملة بالمثل، كما انه مثل ثمرة الجهود التي بذلت منذ عام ١٩٧٣ لأقامه تعاون عربي افريقي، إذ اتخذ ذلك التعاون شكلاً جماعياً، فضلاً عن ذلك فأن المؤتمر عقد في وقت حاسم يحاول فيه الكيان الصهيوني العودة الى مواقعه التي فقدها في افريقيا، كما أن المؤتمر جسد انطلاقة ايجابية أخرى في مواقف الدول الافريقية تجاه القضية الفلسطينية بدعوته لمنظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر كعضو اصلي، هكذا اصبح التعاون العربي الافريقي بعداً من ابعاد سياسة جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية، وهي مهمة مشتركة تنتظر الدول العربية والافريقية سوية بعد ان ادركوا فائدة ذلك التعاون.

هوامش البحث:

(١) **جامعة الدول العربية** : هيئة عربية دولية تاست في الثاني والعشرين من اذار ١٩٤٥ ، عقب انتهاء العالمية الثانية ، عملت الجامعة على توثيق الصلات بين الدول الاعضاء وتنسيق خططها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والامنية ، من اجل تحقيق التعاون الجماعي وحماية الامن القومي ، تميزت الجامعة العربية عن غيرها من المنظمات بانها تجمع دول تقع ضمن رقعة جغرافية واحدة ذات تاريخ وتراث واحد ولغة وحضارة واحدة . للمزيد ينظر : جميل مطر وعلي الدين هلال ، النظام الاقليمي العربي ، دراسة في العلاقات السياسية العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص ١٦٦.

(٢)**منظمة الوحدة الافريقية** : أسست في الخامس والعشرون من ايار ١٩٦٥ ، في اديس ابابا في اثيوبيا بمشاركة (٣٢) دولة افريقيا مستقلة آنذاك ، اسفر المؤتمر عن اعلان ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ،هدفت المنظمة الى تعزيز التعاون الاقتصادي والسياسي بين دول الاعضاء . للمزيد: ينظر: عبد الرحمن اسماعيل الصالحي ، مصر ومنظمة الافريقية , القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٩-٢٩.

(٣)محمود متولي، رأفت غنيني الشيخ، افريقيا في العلاقات الدولية، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٩٧٧، ص٣٣٣.

(٤)عصام محسن الجبوري، العلاقات العربية الافريقية ١٩٦١-١٩٧٧، بغداد، دار الحرية للنشر، ١٩٨١، ٢٨١.

(٥)محبات امام الشرابي، الوجود الاسرائيلي والعربي في افريقيا، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٢، ص٢٠٥.

(٦) نبيه الاصفهاني، التضامن العربي-الافريقي، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٧٧، ص١٣-٢٠.

(٧)جريدة الجمهورية، (بغداد) العدد (٢٦٢٢)، ٩ نيسان ١٩٧٦.

(٨)تأسستْ في ٩ كانون الثاني ١٩٦٨، ووضعتْ كل من ليبيا والكويت والمملكة العربية السعودية لبناتها الأساسية، ثم أنضمتْ إليها كل من الجزائر وأبو ظبي وقطر والبحرين في ٢٤ آب ١٩٧٠، وفي ٩ كانون الأول ١٩٧١ عدل مجلس وزراء المنظمة المادة السابعة من الاتفاقية المتعلقة بشروط الإنضمام للمنظمة، وفي إثر ذلك انضمتْ كل من العراق وسورية ومصر إليها. يُنظر :طارق شكر محمود، اقتصاديات الأقطار المصدرة للنفط " أوبك "، بغداد، مطبعة دار الحرية، ١٩٧٩، ص ١٥-٢٢؛ حربي محمد، الستراتيجية النفطية الغربية في الخليج العربي، بغداد، منشورات دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤، ص ١٧١-١٨٠.

(٩)شكل مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية في تشرين الثاني ١٩٧٣ لجنة تتألف من سبع اعضاء ضمت كل من تنزانيا، غانا، الكاميرون، مالي، بتسوانا، زائير، السودان، تتولى العمل على تعزيز الاتصال بين المنظمتين الإقليميتين وتمتين تعاونها الاقتصادي، وانتخب السيد منصور خالد وزير خارجية السودان رئيساً لها. للمزيد ينظر: عصام محسن الجبوري، المصدر السابق، ص٣٤٧.

(١٠) عبد الغفار رشاد، المصدر السابق، ص١٠٣.

(١١) انشاء المصرف العربي للتنمية الاقتصادية بناءً على قرارات مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر عام ١٩٧٣، والذي اصبح مقره في الخرطوم عام ١٩٧٥، يهدف الى دعم التعاون الاقتصادي والمادي والفني بين الدول العربية والافريقية على شكل قروض انمائية بشروط ملائمة لمقتضيات الانماء الاقتصادي، فهو يشجع الدول العربية المنتجة للنفط، اذ عدَ مصدراً مهماً من مصادر تمويل مشاريع التنمية بهدف مضاعفة التعاون الاقتصادي والمالي بين الدول العربية والافريقية. ينظر : د.ك.و، البنك العربي الافريقي الدولي ، ملف(٢/٨٣٩) ، تسلسل (١/١٨٢٠٤) ،ص١

(١٢) علي ابو سن، انطلاقة التعاون العربي الافريقي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الاهرام، العدد (٤٤)، ابريل ١٩٧٦، ص ٤٧-٤٨.

(١٣) تكونتْ اللجنة العربية الاثني عشر كلاً من (العراق – السعودية – سوريا – لبنان – الكويت – الامارات – تونس – ليبيا – المغرب – فلسطين– الصومال– موريتانيا).

(١٤) عصام محسن الجبوري، المصدر السابق، ص٣٤٨-٣٤٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص٣٥١.

(١٦) عبد الملك عودة، مؤتمر داكار والحوار العربي الافريقي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الاهرام، العدد (٤٥)، تموز ١٩٧٦، ص ٥٥.

(١٧) الدول العربية التي حضرت المؤتمر هي كل من: المغرب، موريتانيا، الجزائر، تونس، ليبيا، السودان، الصومال، مصر، سوريا، لبنان، الاردن، العراق، الكويت، البحرين، قطر، الامارات العربية المتحدة، عُمان، اليمن الديمقراطية، السعودية.

(١٨) الدول الافريقية التي حضرت المؤتمر كل من: الكاميرون، بوروندي، بنين (داهومي سابقاً)، كاب فيردي، جمهورية افريقيا الوسطى، جزر القمر، الكونغو الشعبية، ساحل العاج، اثيوبيا، الغابون، غامبيا، غانا، اوغندا، فولتا العليا، كينيا، ليسوتو، غينيا بيساو، ليبريا، جمهورية مدغشقر الديمقراطية، مالي، موريشيوس، موزمبيق، النيجر، نيجيريا، راوندا، ساوتومي، السنغال، سيراليون، سوازيلاند، تنزانيا، تشاد، زائير، توغر.

(١٩) وكالة الانباء العراقية، قسم البحوث والتقارير، انعقاد مؤتمر القمة الافريقي (الحوار العربي الافريقي...الى اين)،١٤\٣\١٩٧٧ ، ص١٧-١٨.

(٢٠) عصام محسن الجبوري، المصدر السابق، ص٣٥٢.

(٢١) جريدة الجمهورية، العدد (٢٦٢٢)، ١٩ نيسان ١٩٧٦،

(٢٢) محمد علي العويني، الجامعة العربية والتعاون العربي الافريقي، مصر، مكتبة الانجلو المصرية للنشر، ١٩٧٨، ص٧٤.

(٢٣) جريدة الجمهورية، العدد (٢٦٢٣)، ٢٠ نيسان ١٩٧٦.

(٢٤) مجلة رسالة افريقيا، المؤتمر الوزاري صفحة جديدة في التعاون العربي الافريقي، العدد (٥)، ١٩٧٦، ص٣.

(٢٥) ولد في ١٣ كانون الأول ١٩١٥، شغل العديد من المناصب المهمة، عرف بالتزامه الصارم بالتميز العنصري، تولى وزارة العدل وأشرف على محكمة ريفونيا التي حكمت فيها على نيلسون مانديلا بالسجن مدى الحياة. تسنم منصب رئاسة وزراء جنوب إفريقيا للمدة ١٩٦٦-١٩٧٨، توفى في ١٠ أيلول ١٩٨٣.

Crapanzano Vincen, Waiting: the Whites of South Africa. New York, Random Hous, 1985, p. 105.

(٢٦) يحيى حلمي رجب، الرابطة بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦، ص٤٨٥.

(٢٧) جريدة القبس الكويتية، العدد (١٤٠٨)، ٢٠ نيسان ١٩٧٦.

(٢٨) مجلة رسالة افريقيا، العرب وافريقيا خواطر حول مؤتمر داكار، العدد (٧)، ١٩٧٦، ص٢٩.

(٢٩) عبد الملك عودة، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣٠) عصام محسن الجبوري، المصدر السابق، ص٣٥٧.

(٣١) محمد علي العويني، المصدر السابق، ص٧٩، عبد الملك عودة، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣٢) مجلة رسالة افريقيا، وثائق قرارات مجلس الجامعة العربية حول القضايا الافريقية، القاهرة، العدد (٤)، ١٩٧٦، ص٣٠.

(٣٣) غسان العطية، مواقف الدول الاعضاء في الامم المتحدة من القضية الفلسطينية، جامعة بغداد، سلسلة دراسات فلسطينية، بغداد، ١٩٧٧، ص٩٤؛ عبد الله المحسن السلطان، البحر الاحمر والصراع العربي- الاسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤، ص١٨٧.

(٣٤) عقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني في مدينة لاهور في باكستان (٢٢-٢٤ شباط ١٩٧٤)، حضر ممثلو (٣٧) دولة اسلامية بحث المؤتمر في الموقف الراهن في الشرق الاوسط، دعا المؤتمر الى اقامة سلام دائم قائم على العدل واعلنوا أن الدول الاسلامية لا يمكن أن تقبل اي اتفاق او تفاهم يقضي باستمرار الاحتلال الاسرائيلي لمدينة القدس ووضعها تحت سيادة غير عربية. للمزيد ينظر:

احمد الرشدين منظمة المؤتمر الاسلامي، دراسة قانونية في ضوء قانون المنظمات الدولية، مصر، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧.

(٣٥) جورج صيبور، العنصرية والمجتمع الدولي، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد (٥)، العدد (١٨)، ١٩٩٤، ص٢٤٧.

(٣٦) سجى أكرم خليل، موقف الجامعة العربية من القضايا الافريقية (١٩٦٣- ١٩٧٨)، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الانبار، ٢٠١٩، ص١٥٥.

(٣٧) لجنة الاربعة والعشرين، وهي مجموع لجنة الاثنى عشر العربية والاثنى عشر الافريقية والتي سبق ان ذكرت.

(٣٨) جريدة الاهرام، العدد (٣٢٦٤٠)، ٢٢ نيسان ١٩٧٦.

(٣٩) جريدة القبس، العدد (١٤١٠)، ٢٢ نيسان ١٩٧٦، جريدة الاهرام، العدد (٣٢٦٤١)، ٢٣ نيسان ١٩٧٦.

(٤٠) وكالة الانباء العراقية، المصدر السابق، ص٢١.

(٤١) جريدة الجمهورية، العدد (٢٦٢٦)، ٢٣ نيسان ١٩٧٦.

(٤٢) وكالة الانباء العراقية، المصدر السابق، ص٢٢.

(٤٣) محبات امام الشرابي، الوجود الاسرائيلي العربي في أفريقيا، القاهرة، دار المعارف للنشر، ١٩٨٢، ص٢٥.

(٤٤) أول بنك ينشأ على مستوى القارة الافريقية عام ١٩٦٤ ومركزه الرئيسي في (ابيدجان) عاصمة ساحل العاج، تشترك في عضويتة (٣١) دولة أفريقية من بينها خمسة دول عربية وهي مصر، السودان، الجزائر، المغرب، تونس، يبلغ رأسماله (٢٥٠) مليون دولار، وتساهم الدول العربية الافريقية بـ٤٧% من رأسماله، هدف البنك المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن توفير المساعدة الفنية للدول الاعضاء. ينظر: د.ك.و. البنك العربي والافريقي الدولي، ملف (٢١٨٣٩) تسلسل (١٨٢٠٤١١) ص٤٧.

(٤٥) جريدة الاهرام، العدد (٣٢٦٣٩)، ٢١ نيسان ١٩٧٦.

(٤٦) عبد الملك عودة، المصدر السابق، ص٧٢.

(٤٧) وكالة الانباء العراقية، المصدر السابق، ص٢٢.

(٤٨) عبد الملك عودة، المصدر السابق، ص٧٣.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٧٤.

درهم فضة نادرضرب مدينة سنجار في عهد الخليفة القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م): دراسة تحليلية فنية

حسين رفيق حسن

Hussein.hasan@su.edu.krd

07507913183

أ.م.د. جوان احمد اسماعيل

jwan.ismael@su.edu.krd

07504521305

أ.م.د. أراس أسماعيل خضر

aras.khider@su.edu.krd

07504638799

قسم الآثار/ كلية الآداب

جامعة صلاح الدين – أربيل

إقليم كوردستان/العراق

درهم فضة نادرضرب مدينة سنجار في عهد الخليفة القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م): دراسة تحليلية فنية

حسين رفيق حسن
أ.م.د. جوان احمد اسماعيل
أ.م.د. أراس أسماعيل خضر

الملخص

تعد مدينة سنجار إحدى الحواضر المهمة في إقليم الجزيرة الفراتية، وقد احتلت مكانة اقتصادية وإدارية بارزة بين مدن الإقليم خلال العصر العباسي، إلى جانب مدن كبرى مثل الموصل وأربل. وقد تجسدت هذه المكانة بوضوح في اعتمادها داراً لسك النقود في بعض الفترات، وهو ما يعكس أهميتها الاستراتيجية في إطار الدولة العباسية.

ويرتبط هذا الدور بأهمية موقع سنجار الجغرافي، إذ تتوسط الطرق الرابطة بين العراق وبلاد الشام والأناضول، وتقع على مفترق طرق تجارية وعسكرية رئيسة، الأمر الذي أسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية وربط أقاليم الدولة العباسية بعضها ببعض. ويعد وجود دارٍ للسك في المدينة مؤشراً مباشراً على اندماجها في النظام المالي العباسي، ولا سيما من خلال سك الدراهم الفضية التي شكلت العمود الفقري للتعاملات النقدية في تلك الحقبة.

ويؤكد ضرب درهم فضي نادر في مدينة سنجار خلال عهد الخليفة العباسي القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م) الدور الأقتصادي الذي أدته المدينة، فضلاً عن ارتباطها الإداري والسياسي المباشر بمركز الخلافة في مدينة السلام (بغداد)، ولا سيما خلال القرن الرابع الهجري. وتحمل هذه الدراهم الصيغ الرسمية المعتمدة، من ذكر اسم الخليفة وألقابه، بما يعكس حضور السلطة المركزية وحرصها على ترسيخ نفوذها السياسي والاقتصادي في المدن الخاضعة لسلطتها.

ويمثل هذا الدرهم المضروب في سنجار خلال عهد القاهر بالله مصدراً تاريخياً ومادياً بالغ الأهمية، إذ تتيح دراسته فهماً أعمق للتطورات السياسية والاقتصادية في إقليم الجزيرة، كما يوفر معطيات واضحة حول التنظيم الإداري، ونظام النقد بوصفه مؤسسة اقتصادية،

ومستوى الاستقرار المالي في تلك المرحلة. وتبرز الخصائص الفنية والخطية والزخرفية لهذا الدرهم مدى التزام دار سك سنجار بالمعايير الفنية المعتمدة في دور السك العباسية، مع ما قد تحمله من سمات محلية مميزة نفذت بقوالب خاصة.

وبناءً على ذلك، تؤكد دراسة درهم سنجار، ولا سيما تلك المضروبة في عهد الخليفة القاهر بالله، أن المدينة لم تكن مجرد مركز حضري ثانوي، بل كانت عنصراً فاعلاً في البنية الاقتصادية والنقدية للدولة العباسية، وأسهمت بدور ملموس في دعم التداول النقدي وتيسير المبادلات التجارية داخل إقليم الجزيرة وخارجه مع المدن المجاورة.

الكلمات المفتاحية: سنجار، دارالسك، القاهر بالله، الجزيرة، الدرهم فضة.

A Rare Silver Dirham Minted in the City of Sinjar during the Reign of Caliph al-Qāhir bi-llāh (320–322 AH / 932–934 CE): An Analytical and Artistic Study

Abstract

The city of Sinjar was one of the important urban centers in the Jazira of the Euphrates region, and it occupied a prominent economic and administrative position among the cities of the region during the Abbasid period, alongside major cities such as Mosul and Arbil. This status was clearly manifested in its function as a mint during certain periods, reflecting its strategic importance within the framework of the Abbasid state.

This role was closely linked to Sinjar's geographical location, as it lay at the crossroads of routes connecting Iraq with Greater Syria and Anatolia, and at the intersection of major commercial and military roads. This position contributed to the stimulation of economic activity and facilitated the integration of various regions of the Abbasid state. The presence of a mint in the city represents a direct indicator of its integration into the Abbasid financial system, particularly through the minting of silver dirhams, which constituted the backbone of monetary transactions during that era.

The striking of a rare silver dirham in the city of Sinjar during the reign of the Abbasid caliph al-Qāhir bi-llāh (320–322 AH / 932–934

CE) confirms the monetary role played by the city, as well as its direct administrative and political connection to the center of the caliphate in Madīnat al-Salām (Baghdad), especially during the fourth century AH. These dirhams bear the officially sanctioned formulas, including the name and titles of the caliph, reflecting the presence of central authority and its commitment to consolidating its political and economic influence over the cities under its control.

The dirham minted in Sinjar during the reign of al-Qāhir bi-llāh represents a highly significant historical and material source. Its study allows for a deeper understanding of the political and economic developments in the Jazira region and provides clear data on administrative organization, the monetary system as an economic institution, and the level of financial stability during that period. The artistic, calligraphic, and decorative features of this dirham highlight the extent to which the Sinjar mint adhered to the technical standards adopted by Abbasid mints, while also exhibiting certain distinctive local characteristics executed through specific dies.

Accordingly, the study of Sinjar's dirhams—particularly those minted during the reign of Caliph al-Qāhir bi-llāh—demonstrates that the city was not merely a secondary urban center, but rather an active component of the Abbasid state's economic and monetary structure. It played a tangible role in supporting monetary circulation and facilitating commercial exchange within the Jazira region and beyond, with neighboring cities.

Keywords: Sinjar, Mint House, al-Qāhir bi-llāh, Jazira, silver dirham.

المقدمة

يعد ضرب المسكوكات في عهد الخليفة العباسي القاهر بالله هو(أبو منصور محمد بن أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد علي بن عبد الله بن العباس) (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م)، خلال القرن الرابع الهجري، في مدينة سنجار، أحد أبرز المظاهر الحضارية التي ارتبطت بتطور المدينة وتنظيم شؤونها السياسية والاقتصادية والإدارية. وعلى الرغم من قِصر مدة حكم القاهر بالله مقارنة بحكم أخيه الخليفة

المقتدر بالله، فإنه تمكن من بسط سلطته على جميع المدن والأقاليم الموروثة، وأصدر أوامره بسك النقود فيها بصورة رسمية، وفق أوزان شرعية وأقطار محددة ومعروفة، وبما يتوافق مع الضوابط والقوانين المعتمدة في دور السك العباسية.

ويبين هذا البحث أن النقود المضروبة في مدينة سنجار شكلت، منذ الأيام الأولى لحكم الخليفة القاهر بالله، أداة أساسية لتنظيم المبادلات التجارية وضبط المعاملات المالية، فضلاً عن تسهيل حركة الأسواق داخل المدن وفيما بينها وبين الأقاليم المختلفة. ولم يقتصر دور هذه المسكوكات على كونها وسيلة للتبادل النقدي فحسب، بل تجاوز ذلك لتغدو وثيقة تاريخية رسمية تعكس طبيعة السلطة الحاكمة، ومدى استقرارها، ونطاق نفوذها السياسي والاقتصادي في الأقاليم التابعة للخلافة العباسية.

وتكتسب دراسة هذا الدرهم الفضي النادر المضروب في سنجار أهمية خاصة، إذ تسهم في الكشف عن الدور الحضاري والاقتصادي للمدينة، وعن مكانتها ضمن شبكة المراكز الحضرية المرتبطة مباشرة بمركز الخلافة. كما تتيح هذه الدراسة تسليط الضوء على الخصائص الجغرافية الاستراتيجية لمدينة سنجار، وما شهدته من أحداث تاريخية مؤثرة، وذلك على الرغم من قصر مدة حكم الخليفة القاهر بالله، من خلال ما تحمله هذه المسكوكة من دلالات سياسية واقتصادية وإدارية.

وقد حظيت هذه الدرهم بأهمية بالغة في تاريخ مدينة سنجار بوصفها داراً لسك النقود، إلى جانب مدن أخرى تابعة لمركز الخلافة، ولا سيما خلال العصر العباسي. إذ ارتبط سك النقود في عهد القاهر بالله ارتباطاً وثيقاً بشرعية الحكم، حيث حملت هذه المسكوكات اسم الخليفة وألقابه، وأحياناً لقب ولي العهد، فضلاً عن العبارات الدينية وغير الدينية والآيات القرآنية المنقوشة على وجهي الدرهم، مما جعلها أداة فاعلة لإعلان السيادة وترسيخ السلطة المركزية في مختلف الأقاليم الخاضعة للخلافة العباسية.

اولاً : الموقع الجغرافي :

أهمية مدينة سنجار وموقعها في أقليم الجزيرة:

تقع مدينة سنجار في شمال غرب جمهورية العراق، وقد حددت المصادر الجغرافية الحديثة موقعها عند تقاطع دائرة العرض ٣٦,٣° شمالاً مع خط الطول ٤١° شرقاً(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٨)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٦)، وتورد بعض المصادر الأخرى قياسات مختلفة، إذ تشير إلى أن خط طول سنجار يبلغ ٣٠ درجة شرقاً، بينما يقع خط عرضها عند ٣٥ درجة ونصف وثلث درجة شمالاً(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢)(الدملوجي، ١٩٤٩، ص٤٧٢)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٨)، وعن أبي الفداء قوله إن سنجار تقع، وفق القياسات الفلكية، عند خط طول ٦٦ درجة، وعند خط عرض ٣٦ درجة و٢٠ دقيقة (أبي الفداء، ١٨٤٠م، ص٥٧٥)، وهو ما يعكس اختلاف أنظمة القياس الجغرافي بين العصور(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٨)، ويقع جبل سنجار في وسط إقليم جزيرة ما بين النهرين، ويمتد بين خطوط عرض تقارب ٣٥ درجة شمالاً(الدملوجي، ١٩٤٩، ص٤٧٢)، بالقرب من الحدود العراقية–السورية الحالية من الجهة العراقية. ويتكون الجبل من سلسلة جبلية يبلغ طولها نحو ١٠٠ كيلومتر، ويصل ارتفاعها إلى قرابة ١٤٩٨ متراً فوق مستوى سطح البحر، وتشرف هذه السلسلة على منطقة الجزيرة، وتقابل جبل بشري من الجهة الغربية(عبودي،١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٤٩٥)(الزيود، ٢٠٠٠، ص٦٢). وتبلغ مساحة مركز قضاء سنجار نحو ٢٩٢٨ كم^2(مركز نون للدراسات الاسترتيجية، ٢٦ اذار – ٢٠١٧، ص٣)، وتقع مدينة سنجار إدارياً في الجهة الغربية من محافظة الموصل (نينوى حالياً)(بابان، ١٩٨٦، ج١، ص١٦٣)(الحسيني، ص٢٦٣) (عبودي،١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٤٩٥)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٦)(مركز نون للدراسات الاسترتيجية، ٢٦ اذار – ٢٠١٧، ص٣)(الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٦)، وتعد أحد الأقضية الإدارية التابعة لها(ألمنشي البغدادي، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م، ص٧٩)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٦)، وتتبع له ناحية الشمال وناحية القيروان. وتعد سنجار واحدة من تسعة أقضية رئيسة تشكل محافظة الموصل(مركز نون للدراسات الاسترتيجية، ٢٦ اذار – ٢٠١٧، ص٣)، وتبعد مدينة سنجار

عن مركز محافظة الموصل مسافة تتراوح، بحسب المصادر، بين ١٢٠ كم(الحسيني، ص٢٦٣)(مركز نون للدراسات الاسترتيجية، ٢٦ اذار – ٢٠١٧، ص٣)، أو١٢٤كم(بابان، ١٩٨٦، ج١، ص١٦٣)(يوسف، ٢٠٠٥، ص١٩٤)، أو ١٢٥كم، ويعزى هذا التفاوت إلى اختلاف طرق القياس والمسارات المعتمدة(برادۆستى وإحسان، ٢٠١٧، ل٨)(الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٦).

تعد سنجار المدن المعروفة تاريخياً وتقع تقع ضمن إقليم الجزيرة، وقد ورد ذكرها في عدد كبير من المصادر الجغرافية والتاريخية العربية والإسلامية، منها مؤلفات الأندلسي، والبغدادي، والجزري، والقزويني، والحميري، والحسيني، وغيرهم، فضلاً عن دراسات حديثة عربية وأجنبية(الأندلسي، ج١، ص٧٦٠) (ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢)(أبن الأثير، ج٢، ص١٤٥)(القزويني، ص٣٩٣)(أبن عبدالحق البغدادي، ١٩٩٢م، مج٢، ص٧٤٣)(الحميري، ١٩٨٤، ص٣٢٦)(الحسيني، ١٩٣٣، ص٦٤)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٣)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٥)(عبدالواحد، ٢٠٠٧، ص٣٢)(Yürekl, 2009, s.148) (برادۆستى وإحسان، ٢٠١٧، ل٨)(الحسيني، ص٢٦٣)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٣)(روكان وطليبي، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، ج١، مج٦، ص٩٤)والمقصود بإقليم الجزيرة هو الرقعة الجغرافية الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وقد كان هذا الإقليم، في التصور الجغرافي الإسلامي الوسيط، يشمل عدداً من البلدان الواقعة على الضفة الأخرى لنهر الفرات، الممتدة من بر الشام إلى داخل الجزيرة، نظراً لقربها الجغرافي من المناطق الجزرية، مثل الرحبة( ) وغيرها. أما حدود الجزيرة، فقد حددها الجغرافيون المسلمون على النحو الآتي: يبدأ الحد الغربي الجنوبي من بلاد الروم، ويمتد بمحاذاة نهر الفرات ليشمل مدنًا ومناطق مثل ملطية( )، سميساط( )، قلعة الروم( )، البيرة( )، قبالة منبج( )، بالس( )، الرقة( )، قرقيسيا( )، ثم يعطف الحد من الأنبار( ) باتجاه تكريت( )، الواقعة على ضفاف نهر دجلة. ويشمل هذا النطاق أيضاً مدناً مثل سنجار، الحديثة( )، الموصل، جزيرة ابن عمر، وآمد. بعد ذلك، يمتد الحد الغربي شمالاً ليصل إلى تخوم أرمينيا ( )،وينتهي عند حدود بلاد الروم على نهر الفرات قرب ملطية. وبناءً على هذا

التقسيم، يقع جزء من أرمينيا وبعض مناطق بلاد الروم إلى الغرب من الجزيرة، بينما تحدها الشام والبادية من الجنوب، والعراق من الشرق، في حين يجاور شمالها جزء من أرمينيا، وفق ما أورده عدد من الجغرافيين مثل ابن حوقل، وأبي الفداء، والإصطخري، وغيرهم(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٨٩)(أبي الفداء، ١٨٤٠، ص٢٩٥)(الصطخري، ١٩٣٧، ص٧١-٧٢)(واصف بك، ١٩١٦م، ص٤٣)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٣)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٥)(عدو، ٢٠١١م، ص٣٠)(توفيق، ٢٠١٢، ص٣٥-٣٦)(السامرائي، ٢٠١٦م-١٤٣٧هـ، ص٢٩١)(برادوّستى وإحسان، ٢٠١٧، ل٨)، ومع ذلك، فقد نسب بعض المؤرخين والجغرافيين عدداً من المدن والقرى إلى إقليم الجزيرة، على الرغم من ابتعادها النسبي عن ضفتي نهري دجلة والفرات، مثل العمادية( ) وإربل( ) ومعلثايا( ) والبوازيج( ) وغيرها (أبن حوقل، صورة الأرض/المسالك والممالك، ص٢١٠)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٨)، ويذكر المقدسي أنه قام بتقسيم إقليم الجزيرة اعتماداً على بطون العرب، بقصد تحديد ديارهم وتمييزها، فجعلها ثلاث كور رئيسة، هي: ديار ربيعة، وديار مضر، وديار بكر، وقد قسمت الأخيرة إلى أربع نواحٍ. وكانت ديار ربيعة تبدأ من جهة العراق، وقصبتها الموصل، ومن مدنها الحديثة: معلثايا، الحسنية، تلعفر، سنجار الجبال، بلد أذرمة برقعيد، نصيبين( )، دارا( )، كفرتوثا( )، رأس عين، ثمانين( )، وسعرت. أما ناحيتها فكانت جزيرة ابن عمر، ومن مدنها: فيشابور( )، باعيناثا( )، المغيثة، والزوزان(المقدسي، ١٩٩١م، ص١٣٧)(الهمداني، ١٩٩٠م، ص٢٤٦) (شميساني، ١٩٨٣م، ص١٤-١٥)(الخليل، ٢٠١٣، ص١٢٥)، أما ذكر ابن خرداذبة وابن الفقيه الهمذاني في كتابيهما أن كور ديار ربيعة تتضمن: نصيبين، أرزن، آمد، رأس عين، ميافارقين( )، ماردين( )، باعربايا( )، بلد( )، سنجار، باقردي، بازبدي( )، وطورعبدين(أبن خرداذبة، ١٨٨٩، ص٩٥)(الهمداني، ١٣٠٢، ص١٣٣)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٤-١٥)، وتقع سنجار ضمن نطاق طور عبدين بحسب ما ورد لدى عدد من الجغرافيين والمؤرخين، كما تعد من مدن ديار ربيعة، وتحديداً في قسمها الرابع (البروسوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٧)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٥)(حمودي، ٢٠٠٨،

ص٧٥)، في سفح جبل مرتفع(القزويني، ص٣٩٣)(أبي الفداء، ج٢، ص٢٨٣) (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٦)(القرماني، ١٩٩٢، مج٢، ص٣٨٣)(أبن عبدالحق البغدادي، ١٩٩٢م، مج٢، ص٧٤٣)(الصطخري، ١٩٣٧، ص٧٣)(الگورانى، ٢٠١٢، ص١٩٣)(السامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩) (شميساني، ١٩٨٣م، ص١٧)(عبدالواحد، ٢٠٠٧، ص٣٢)(حمودي، ٢٠٠٨، ص٧٥)(برادۆستى وإحسان، ٢٠١٧، ل٨) (الحسيني، ص٢٦٣)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٣)، ينظر: (خريطة رقم – ١(.

وفق ما ذكرته مصادر متعددة من التراث الجغرافي العربي والإسلامي. وقد أجمعت هذه المصادر على أن سنجار تقوم عند سفح جبل مرتفع، وهو جبل يتميز بخصوبة تربته وغناه الطبيعي، الأمر الذي أسهم في ازدهار المدينة واستقرار سكانها(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩) (الأندلسي، ج١، ص٧٦٠)(أبي الفداء، ج٢، ص٢٨٣)(ابن بطوطة، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٦)(الدمشقي، ١٨٦٥، ص١٩١)(الصطخري، ١٩٣٧، ص٧٣)(البروسوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)(لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨)(حمودي، ٢٠٠٨، ص٧٥)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٣)(طورش وسعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧). في وسط الصحراء(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(أبي الفداء، ج٢، ص٢٨٣) (البروسوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)(الدملوجي، ١٩٤٩، ص٤٧٢)(السامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩)(الحسيني، ص٢٦٣)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢) (بابان، ١٩٨٦، ج١، ص١٦٣)(شامي، ١٩٩٣، ص٧٧)(العلياوي، ٢٠٠٤، ص١٣٥)(حمودي، ٢٠٠٨، ص٧٥) (طورش وسعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧)(الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٦). وقد وصف عدد من الجغرافيين موقع سنجار بأنها تقع في وسط الصحراء، غير أن وجود الجبل المجاور ذي الأرض الخصبة منحها طابعاً زراعياً مميزاً، وجعلها واحة عامرة وسط بيئة شبه جافة. كما تشير المصادر إلى أن المدينة كانت ذات كثافة سكانية مرتفعة جدًا، الأمر الذي انعكس على عمرانها ونشاطها الاقتصادي(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج١، ص٢٦٢)، ويذكر بعض الرحالة والجغرافيين أن سنجار كانت محاطة بسور مبني من الحجر، وقد حال هذا السور دون توسعها في فترات معينة، كما أصابها ما يشبه النكبات

وتقلبات الزمان، التي أثرت في عمرانها واستقرارها السكاني عبر العصور(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(السامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩)(لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨)(طورش وسعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧)، وتجري في أراضي سنجار مياه نهرٍ يصب في بحيرة الثرثار، مما ساعد على ري الأراضي الزراعية المحيطة بها. أما في منطقتي غوربة ونصيبين، فيمر نهر يعرف باسم الهرماس، ينبع من طور عبدين، ويتجه جنوباً ليصب في نهر الخابور( ) ، ثم يواصل مجراه حتى يصب(الأندلسي، ج١، ص٧٦٠) (الدمشقي، ١٨٦٥، ص١٩١)(چلبى، ٢٠٠٨، ص٨٦)(سكاي، ١٩٥٢م-١٣٧١هـ، ص١١١)، في نهر الفرات، بحسب ما ذكرته المصادر الجغرافية القديمة (الحميري، ١٩٨٤، ص٣٢٦). وتعد مدينة الحضر من المدن المرتبطة جغرافياً بمنطقة الجزيرة ، وقد ألحقت إدارياً بهذا الإقليم في عدد من المصادر(الأندلسي، ج١، ص٧٦٠)(الحميري، ١٩٨٤، ص٣٢٦)، ويذكر ابن بطوطة في رحلته أنه زار مدينة سنجار، واصفًا إياها بأنها مدينة كبيرة تشتهر بوفرة الفواكه وجودتها(ابن بطوطة، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٦)(چلبى، ٢٠٠٨، ص٨٦)(الحسيني، ص٢٦٣) وتشمل الفواكه الصيفية في سنجار بعض الفواكه الشتوية، مثل الرمان الكبير المجفف، فضلاً عن الترنج والنارنج(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(القزويني، ص٣٩٣)(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢) (لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨-١٢٩)، كما تنمو في المنطقة أشجار متعددة، من أبرزها: السماق، والجوز، واللوز، والزيتون، والسمسم(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨-١٢٩)(الحسيني، ص٢٦٣)(حمودي، ٢٠٠٨، ص٧٥)، وتتميز هضاب سنجار بإنتاج التين عالي الجودة، حيث يقوم السكان بتجفيفه وتسويقه في أسواق ماردين والموصل وبغداد. كذلك يعرف محصول الإجاص في سنجار بوفرة إنتاجه وكبر حجمه وجودة مذاقه، حتى عده بعض الرحالة من أجود الأنواع التي لا يكاد يضاهيه غيره (أبي طالب خان، ٢٠٠٧، ص٢٤٩)، وإلى جانب ذلك، تنتشر البساتين الخصبة حول المدينة، الأمر الذي يعكس غنى التربة ووفرة الموارد الطبيعية، ويؤكد المكانة الزراعية المتميزة التي حظيت بها سنجار عبر العصور (القزويني، ص٣٩٣)(أبي الفداء، ج٢،

ص٢٨٣)(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢)(القرماني، ١٩٩٢، مج٢، ص٣٨٣)(چلبـــــى، ٢٠٠٨، ص٨٦)(الحســـــيني، ص٢٦٣)(حمـــــودي، ٢٠٠٨، ص٧٥)(برادۆستى وإحسان، ٢٠١٧، ل٨)،

لا توجد في إقليم الجزيرة مدينة اشتهرت بزراعة النخيل كما اشتهرت بها سنجار، إذ تكاد تكون المدينة الوحيدة في هذا الإقليم التي عرفت بكثرة نخيلها، ولا تزال حتى وقتنا الحاضر من أبرز المناطق المشهورة بهذه الزراعة(أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(أبي الفداء، ج٢، ص٢٨٣)(يـاقوت الحمـوي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مـج٣، ص٢٦٢)(الصـطخري، ١٩٣٧، ص٧٣)(المقدسـي، ١٩٩١م، ص١٤٠)(حمـادي، ١٩٧٧، ص١٤٣) (السـامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩)(لســـترنج، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٢٨)(حمـــودي، ٢٠٠٨، ص٧٥)، ويستثنى من ذلك بعض المواضع الواقعة على ضفاف نهر الفرات أو في نواحي هيت( ) و الأنبار و تل أعفر، حيث تظهر زراعة النخيل على نطاق محدود (أبن حوقل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(الصـطخري، ١٩٣٧، ص٧٣)(حمـادي، ١٩٧٧، ص١٤٣)، وتتميـز سنجار بوفرة مواردها المائية، إذ تضم أنهاراً جارية، وعيوناً متدفقة، إضافة إلى الآبار وقنوات الـري، وهـو مـا أسـهم فـي ازدهارهـا الزراعـي واسـتقرار سـكانها (أبـن حوقـل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(القزوينـي، ص٣٩٣)(أبـي الفـداء، ج٢، ص٢٨٣)(ابـن بطوطـة، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٦) (القرمـاني، ١٩٩٢، مـج٢، ص٣٨٣)(البروسـوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)(چلبـى، ٢٠٠٨، ص٨٦)(السـامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩)(الحسـيني، ص٢٦٣)(الهسـنياني، ٢٠٠٥، ص٢٦)(طـورش وسـعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧)(برادۆسـتى وإحسـان، ٢٠١٧، ل٨)، ويقع بالقرب من سنجار، من جهتي الشمال والغرب، وادي الحيال، وهو أحد أودية ديار ربيعة، ويعد من المناطق الخصبة التي تنتشر فيها البساتين والمزارع والكروم، ويشتهر بغـزارة مياهـه وخصـوبة أراضـيه(أبن حوقـل، ١٩٩٢، ص١٩٩)(السـامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩) (شميسـاني، ١٩٨٣م، ص١٩)(حمـودي، ٢٠٠٨، ص٧٥)(طـورش وسـعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧)، ويذكر القزويني أنه لم ير في أسفاره حمامات تضاهي حمّامات سـنجار جمـالاً وإتقانـاً، كمـا وصـف بيوتهـا بأنهـا واسـعة، ذات فـرش فـاخر (القزوينـي،

ص٣٩٣)(لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨)، وتمتاز مباني المدينة بسقوفها وأبوابها المحكمة، وقد شيدت على تل مرتفع. وتضم المدينة ستين برجاً كبيراً، يفصل بين كل برج وآخر تسعة أبراج صغيرة، ويعلو كل برج قصر (الهمداني، ١٣٠٢، ص١٣٩)(لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨)، وتحت كل أنبوب مائي يوجد حوض حجري مثمن الشكل بالغ الجمال، كما تنتشر في الأسقف نوافذ زجاجية ملوّنة بالأحمر والأصفر والأخضر والأبيض، مزخرفة بزخارف فنية دقيقة، مما يمنح الزائر إحساساً بانه في قصر فخم (القزويني، ص٣٩٣)، وقد بنيت المدينة باستخدام الجص والحجر الأبيض، وتميزت بوفرة مواردها الطبيعية (الهمداني، ١٣٠٢، ص١٣٩)(الصطخري، ١٩٣٧، ص٧٣)(لسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨) حتى شبّهها بعض الرحالة بأنها نموذج مصغر لمدينة دمشق من حيث جمال العمران وتناسق البناء(القزويني، ص٣٩٣)(ابن بطوطة، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٦)(الحسيني، ص٢٦٣) (يوسف، ٢٠٠٥، ص١٩٤)(حمودي، ٢٠٠٨، ص٧٥).

واشتهرت سنجار عبر التاريخ بكونها محطة محورية للطرق التجارية والقوافل منذ العصور القديمة: إذ كانت تسيطر على الطريق الرئيس الرابط بين العراق وبلاد الشام (موسيل، ١٩١٢م، ص١١٧)(باقر وسفر، ١٩٦٦، ص٦٣)(بابان، ١٩٨٦، ج١، ص١٦٣)(رؤوف، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، ص١٩)(شميساني، ١٩٨٣م، ص١٩)(طقوش، ٢٠١٠م، ص١٠٢)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٣)(الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٦)، وكان من أهم طرق البريد التاريخية ذلك الطريق الذي يبدأ من بغداد، مروراً بالموصل ومدينة بلد على نهر دجلة، ثم يعبر أرض الجزيرة ليصل إلى سنجار، ومنها إلى نصيبين ورأس العين والرقة ومنبج وحلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق و وطبرية ( ) والرملة واللجون وغفار، ثم يتجه جنوبًا إلى القاهرة والإسكندرية، ومنها إلى قيرين وبرقة(سرور، ١٩٦٥م، ص١٠٣-١٠٤)(متز، مج٢، ص٤١٢)(محمد، ١٩٦٥م، ٢٠١١، ص٢٠)، المسافات الجغرافية بين مدينة سنجار ومدن الأخرة: وتقع مدينة سنجار بالقرب من الموصل ونصيبين(القزويني، ص٣٩٣)(أبن جبير، ص٢١٥)(القلقشندي، ١٩٨٢م، ص١٣٢)(أبي الفداء، ج٢،

ص٢٨٣)(القرماني، ١٩٩٢، مج٢، ص٣٨٣)(البروسوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢) (شميساني، ١٩٨٣م، ص١٩)، حيث تقع سنجار إلى الجهة الغربية، في حين تقع الموصل إلى الجهة الشرقية(أبي الفداء، ج٢، ص٢٨٣)(البروسوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢)، وتقدر المسافة بين سنجار والموصل بنحو ثلاثة أيام سفر(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢) (ياقوت الحموي، ١٩٩٢م، مج٢، ص٧٤٣)(الزمخشري، ص١٢٥)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٦)(عبدالواحد، ٢٠٠٧، ص٣٣)(طورش وسعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧)، أو ما يعادل ثلاث مراحل (أبي الفداء، ج٢، ص٢٨٣)(البروسوي، ٢٠٠٦م، ص٣٩٨)، بينما تتراوح المسافة بين بلد وسنجار بين سبعة وتسعة فراسخ(أبن خرداذبة، ١٨٨٩، ص٩٦)(السامر، ١٩٧٠، ج١، ص١٤٩)(طورش وسعايدية، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٧) فراسخ ( )، كما تفصل مسافة تقدر بثلاثة أيام سفر بين سنجار ونصيبين(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢)، وثلاثة أيام أخرى بين ماكسين وسنجار(الصطخري، ١٩٣٧، ص٧٣)، أما المسافات الجزئية، فتبلغ المسافة بين تل أعفر وسنجار خمسة فراسخ، وكذلك المسافة من سنجار إلى عين الجبال، في حين تبلغ المسافة إلى سكير العباس بن محمد، الواقعة على نهر الخابور، نحو تسعة فراسخ(جعفر، ١٩٨١، ص١١٤)، كما تبلغ المسافة بين سنجار ونهر دجلة خمسة عشر فرسخاً، وهي المسافة نفسها التي تفصلها عن نهر الفرات (الهمداني، ١٣٠٢، ص١٤٣).

ثانياً : أصل تسمية سنجار عبر التاريخ.

ورد اسم مدينة سنجار في العديد من المصادر والكتابات التاريخية عبر مختلف الحضارات والعصور، مع اختلاف طفيف في طريقة كتابته أو نطق بعض حروفه، إلا أن هذه الاختلافات لم تؤثر في دلالة الاسم أو معناه. ويعد أقدم ذكر لاسم سنجار مرتبطاً بزمن النبي نوح (عليه السلام)، إذ تذكر بعض الروايات العبارة: (هذا سن جبلٍ جار علينا)، والتي يرجح أن الاسم اشتق منها، ليطلق لاحقاً على المنطقة اسم سنجار(الهروي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٦٠)(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢)(چلبي،

٢٠٠٨، ص٨٣)(ليسترنج، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٢٨)(الربيعي، ٢٠٢٣م، ص١٠٨)، وتشير الروايات إلى أن السفينة رست على جبل سنجار بعد ستة أشهر وثمانية أيام، الأمر الذي بعث الطمأنينة في نفس النبي نوح (عليه السلام)، إذ دل ذلك على بدء انحسار المياه، فدعا بأن يكون هذا الجبل مباركاً(القزويني، ص٣٩٣)، ذهب بعض المؤرخين إلى أن مدينة سنجار سميت بهذا الاسم لأنها (جار عليها) الجبل، غير أن الرأي الأصح يرجع تسميتها إلى سنجار بن مالك بن الذعر، الذي ينسب إليه تأسيس المدينة (الهروي، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص٦٠)(شميساني، ١٩٨٣م، ص٢٤)(حمادي، ١٩٧٧، ص١٤٢)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٤) (الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٨)، سنجار بن مالك بن الذعر بن يويب بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام)، فنسبت المدينة إليه(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٤)(عبدالواحد، ٢٠٠٧، ص٣٢)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٤). وهو أخو آمد، التي ينسب تأسيس مدينة آمد إليه(السمعاني، ١٩٨٨م، ص٣١٤)(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢). ورد اسم مدينة سنجار في النصوص المسمارية خلال العصر السومري (٣٥٠٠-٢٣٠٠ ق.م) بصيغة (Sallaberger,2020, p. 834–) (saĝ–ĝar 835) . ورد اسم سنجار في النصوص الأكدية(٢٣٣٤-٢١٥٤ ق.م) بصيغة (Singar/سنجر)، وهي تسمية تحمل دلالات طبيعية وجغرافية واضحة تعكس الخصائص الطوبوغرافية للمنطقة. ويتألف الاسم من مقطعين لغويين؛ المقطع الأول (sin)، وهو لفظ يحتمل أن يدل على (العاج) أو (سن الفيل)، في توصيف مجازي لجبلٍ يتسم بالصلابة والانتظام الشكلي، بما يشبه صف الأسنان، وهو نمط مألوف في التسميات الجغرافية في لغات بلاد الرافدين القديمة (Streck, 2011, p. 412) (Jacobsen, 1987, p. 132) كما يحتمل أن يكون هذا المقطع مشتقاً من الحرف (š) المرتبط بالفعل الأكدي (šanānu)، الذي يعني (متساوياً في الارتفاع)، في إشارة إلى انتظام قمم الجبل وتقارب مستوياتها، وهو معنى يقابله في اللغة السومرية الرمز (ZU_2) الدال على التماثل والاستواء (Green Civil, 1994, p. 58) (Black1992, p. 187)، أما المقطع الثاني (gar) فهو عنصر لغوي أكدي يقابله في اللغة السومرية الرمز (LAGAB)، ويعني (الدحرجة) أو (الانحدار) في

توصيف لطبيعة الجبل الذي يبدو وكأنه يتكون من كتل صخرية متراكمة أو متدحرجة، أو يتعرض لعمليات التعرية والانجراف بفعل العوامل الطبيعية، ولا سيما الأمطار، نتيجة ارتفاعه وبنيته الجيولوجية (George, 1997, p. 73) (Edzard, 2003, p. 91)). وتتوافق هذه الدلالة مع الواقع الجغرافي لمدينة سنجار، إذ تقع عند سلسلة جبلية معزولة نسبياً، تتقارب قممها وتتشابه في ارتفاعها النسبي، مما يمنحها مظهراً يشبه صف الأسنان، وهو ما يعزز التفسير اللغوي والوصفي للاسم في المصادر الأكدية (Oates, 1968, p. 45) Wilkinson, 2003, p. 214)).

كما تشير الصيغة السومرية (ḪAR) إلى معنى)الحلقة(أو)الطوق(في اللغة السومرية، وهو مفهوم يقابله في اللغة الأكدية اللفظ (semēr)، المشتق من الجذر (samāru)، الذي يدل على الإحاطة أو التحديد الدائري. وقد استخدمت هذه الصيغة في سياقات دلالية متقاربة في كلتا اللغتين السومرية والأكدية، ولا سيما في تسمية المواضع الجغرافية ذات السمات الطبيعية المحددة أو المغلقة نسبيا، مما يعكس استمرارية المفهوم الدلالي وانتقاله عبر المراحل اللغوية المختلفة في بلاد الرافدين ((Gelb, 1957, p. 63 Huehnergard, 2011, p. 29)).

تعود أقدم إشارة إلى مدينة سنجار ((singar في النصوص المسمارية إلى العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م)، حيث ورد اسمها بصيغة ḪAR)) (الربيعي، ٢٠٢٣م، ص١٠٧-١٠٨).

وقد ذكرت بعض المصادر أن مدينة سنجار عرفت في ذلك العصر باسم خار، ويعزز هذا الرأي دليل لغوي مهم يتمثل في أن اسم (KHAR (D في العصر البابلي القديم أصبح ينطق في العصر البابلي المتأخر بصيغة سگار (Saggar). وهو ما يشير بوضوح إلى أن خار كان الاسم القديم لجبل سنجار. وتبدو هذه المطابقة قوية ودقيقة، ولا يوجد ما ينقضها في ضوء المعطيات المتاحة(حنون، ٢٠٠٩، ص٩٣).

وفي نصوص العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ ق.م)، ورد اسم المنطقة بصيغة (sangariti) (الربيعي، ٢٠٢٣م، ص١٠٧-١٠٨).

كما يظهر اسم جغرافي آخر مكتوب بالعلامات المسمارية (KUR) KHAR (KI) في نص ملكي آشوري منقوش على المسلة المكسورة العائدة إلى عهد الملك آشور-بيل-كالا (١٠٧٣-١٠٥٦ ق.م). ويذكر النص أن الملك استولى على أراضٍ تمتد من نهر الخابور و (كور خار كي) وصولاً إلى مدينة كركميش التابعة لبلاد خاتي (Khatti)، مما يدل على أن المقصود هو المنطقة الواقعة بين نهر الخابور ومقاطعة أو جبل خار في الشرق حتى كركميش في الغرب(حنون، ٢٠٠٩، ص٩٣). في أما في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، فقد اختزل الاسم ليظهر بصيغة (singar)(الناصري، ٢٠٢٠، ص١٠٥) (الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٧-١٠٨). في حين ورد في عدد من النصوص البابلية والآشورية بصيغة (سنكارا)(الدملوجي، ١٩٤٩، ص٤٧٢) (باقر وسفر، ١٩٦٦، ص٦٤) (بابان، ١٩٨٦، ١٦٣).

وقد عرفت مدينة سنجار لدى المصريين القدماء باسم (سنكار)، ولدى الآشوريين باسم (سنخار)، بينما أطلق عليها اليونان والرومان اسم (سنكارا). إلا أن الإمبراطور الروماني أورليوس أعاد بناء المدينة نحو سنة ١٩٩م، وأطلق عليها حينذاك اسمي (أورليا) و(سبتميا)(شميساني، ١٩٨٣م، ص٢٧) (الزيود، ٢٠٠٠، ص٦٢).

وعرفت سنجار عند الكلدان والمسيحيين باسم (شيغار) (شير، ٢٠٠٧، مج١، ص٢٢). ويذهب بعض الباحثين إلى أن الاسم الأصلي للمدينة كان(سنغارة)، ثم تعرض للتحريف عبر الزمن ليصبح سنجار. في حين تشير روايات أخرى إلى أن التسمية ذات أصل فارسي، مأخوذة من كلمة (سنجر) في الفارسية(الدملوجي، ١٩٤٩، ص٤٧٢) (الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٢٨).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن هذه المدينة الواقعة في منطقة الجزيرة كانت تلفظ (الحازمي، ١٤١٥هـ، ج١، ص٥٦١)(السمعاني، ١٩٨٨م، ص٣١٣-٣١٤)(ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢). سنجار (بكسر السين، وسكون النون، وفتح الجيم، والراء)ء(الحازمي، ١٤١٥هـ، ج١، ص٥٦١) (السمعاني، ١٩٨٨م، ص٣١٣-٣١٤) (ياقوت الحموي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مج٣، ص٢٦٢). وقد ولد السلطان سنجر بن

ملكشاه في هذه البلدة أثناء توجه والده لغزو الروم، وقيل إن السلطان سمي على اسم المدينة، اتباعاً لعادة الأتراك في تسمية أبنائهم بأسماء الأماكن. وتورد روايات أخرى أن جارية السلطان ملكشاه وضعت مولودها في أرض سنجار بعد أن تنبأ المنجمون بأن الطفل سيكون ملكاً عظيماً إذا ولد في هذا الموضع، ولذلك سميت المدينة باسمه، وقد تحقق له ما تنبأوا به لاحقاً(الحسيني، ١٩٦٧م، ص١٩٢).

وفي العهد الأتابكي، ورد اسم المدينة بصيغة(سنجاره)، كما يظهر ذلك في بعض المسكوكات الأتابكية التي ضربت في سنجار(الحسيني، ١٩٦٧م، ص١٩٢).

أما الرحالة جيمس بكنغهام، ففي كتابه رحلتي إلى العراق، فقد ذكر اسم المدينة بصيغتي سنجار أو سنغارا، مشيراً إلى احتمال أن تكون المدينة قد أعطت اسمها للجبل، أو أنها أخذت اسمها منه (بكنغهام، ١٩٦٨، ج١، ص١٤).

أما سكان المنطقة المحليون، فينطقون اسم بلدتهم بصيغة (شنكال – سەنگال او شەنگار)(بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣) (الربيعي، ٢٠٢٣، ص١٠٨) ويفسر هذا الاسم لغوياً في اللهجات المحلية بأن (شنک – شەنک أو قەشەنگ) تعني جميل، أو(آل) تدل على (الأحمر) أو (الجهة والطرف)(چلبى، ٢٠٠٨، ص٨٦) (بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤)، أو (الراية)، و(ار) أو (آگر)(النار). وبناءً على ذلك، فإن معنى(شنكال) يفهم على أنه (الجهة الجميلة، أو الطرف الجميل أو الراية الجميلة). في حين يدل اسم(شنگار) على معنى(النار الجميلة)(بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٣٠).

يرى بعض الباحثين أن أصل اسم سنجار يعود إلى الصيغة (ژەنگار)، نسبة إلى الجبل القريب من المدينة، الذي يبدو متلألئاً عند سقوط أشعة الشمس عليه، وذلك بسبب غناه بالمعادن، ولا سيما الحديد. إذ تعني كلمة (ژەنگ) في اللغة الكردية الصدأ أو الزنجار، بينما يدل لفظ (ژەنگار) على الشيء المزنجر أو الذي أصابه الصدأ (بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٣٠).

ويذهب رأي آخر إلى احتمال أن يكون الاسم في أصله مركباً من(سنگ – جار)، أي موضع الحجر، استناداً إلى طبيعة الجبل المجاور الذي يحتوي في بنيته على كميات من

الحديد. ويعزز هذا الرأي ورود أسماء مواضع كردية أخرى جاءت على هذا النمط، مثل (نێرگسه جار) أي المكان الذي تنمو فيه زهرة النرجس(بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٣٠).

كما يطرح رأي ثالث لا يستبعد أن يكون أصل التسمية(آسنجار – ئاسنەجار)، بمعنى المكان الذي يتوافر فيه الحديد، وذلك ارتباطاً بوجود الجبل القريب من البلدة، المعروف بغناه بالحديد في تكوينه الجيولوجي(بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٣٠).

ايدبابان لقول شاكر فتاح أن لفظ (شنگال) هو الصيغة المتداولة لدى الإيزيديين في قضاء الشيخان للدلالة على اسم المنطقة، مستنداً في ذلك إلى المعطيات اللفظية والثقافية المحلية. ويرجح الباحث أن مقطع (ار) في الاسم يدل على معنى (الأرض)، ومن ثم يقف على أن الدلالة المركبة لـ (شنگار) تكون (الأرض الجميلة)، وهو تفسير يستند إلى التقارب الصوتي بين ألفاظ مشابهة مثل (عەرد – هەرد – ئەرز)، التي تقارب لفظ (ار) في الدلالة الصوتية والمعنى. (بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤)(الهسنياني، ٢٠٠٥، ص٣٠)، ويذكر في كتاب (اليزيدية) أن سكان جبل سنجار من اليزيديين الأكراد ما زالوا يطلقون على المنطقة اسم (شنكاري) مع إمالة اللام(الدملوجي، ١٩٤٩، ص٤٧٢).

يرى جمال بابان أن أقرب الآراء في تفسير تسمية سنجار يتمثل في ارتباطها بجمال طبيعة المنطقة، ولا سيما جبل سنجار، الذي يعود تميّزه إلى دخوله في تركيبته الجيولوجية عدد من المعادن، وفي مقدمتها الحديد، الأمر الذي يجعله يعكس ألواناً متنوعة زاهية عند تعرضه لأشعة الشمس، وهو ما أكسب المنطقة طابعاً جمالياً لافتاً(بابان، ١٩٨٦، ص١٦٣-١٦٤).

ونستنتج من خلال بحثنا على اصل التسمية لكلمة سنجار لغويا واصطلاحا كتالي : بان كلمة (سنجار) لم ترد في أي من المعاجم الأربعة، سواء لغوياً أو اصطلاحياً، لأنها اسم جغرافي من أصل غير عربي (كردي).

التحليل اللغوي والاصطلاحي:

١.لغوياً:

- المعاجم العربية تصنف الكلمات حسب الجذور الثلاثية أو الرباعية العربية.
- (سنجار) لا يُشتق من أي جذر عربي معروف (س-ن-ج أو س-ن-ج-ر) وفق المعاجم.
- لذلك الكلمة ليست عربية أصلية، ولا يمكن استخراج معنى عربي لغوي أو صيغ صرفية لها.

٢. اصطلاحياً (اسم مكان):

- (سنجار) اسم جغرافي محدد في شمال العراق.
- الدراسات الحديثة توضح أن الاسم غالبًا أصله كردي (شنگال) بمعنى الجهة الجميلة، أو سرياني قديم.
- لا يوجد في التراث العربي الكلاسيكي تفسير اصطلاحي للكلمة لأنها ليست من مفردات اللغة العربية التقليدية.

وكلمة (سنجار) لم تذكر في المعاجم العربية الكلاسيكية الأربعة:

- لسان العرب لابن منظور
- تاج العروس للزبيدي
- مختار الصحاح للرازي
- القاموس المحيط للفيروزآبادي

وهي ليست كلمة عربية أصلية، وبالتالي لا يمكن استخراج تعريف لغوي أو اصطلاحي لها ضمن العربية. أصلها غير عربي، يرجح أن يكون كردي(الباحث) .

نبذة تاريخية عن سيرة الخليفة القاهر بأمرالله(٣٢٠-٣٢٢هـ /٩٣٢-٩٣٤م) :

هو أبو منصور محمد بن أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد علي بن عبد الله بن العباس. كنيته أبو منصور، ولقبه القاهر بالله (الطبري،

ج١١، ص١٥٢)(الذهبي، ١٩٨٣، ج١٥، ص٩٨؛ شاكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤١٣). وكانت أمه أم ولد بربرية تدعى فتنة، وقيل: قتول (السيوطي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٠٦؛ الخضري بك، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤٠٠). ولد في شهر جمادى الأولى سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م (الذهبي، ١٩٨٣، ج١٥، ص٩٩؛ شاكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤١٦).

عقب مقتل الخليفة المقتدر بالله، أحضر كل من محمد بن المكتفي وابن المقتدر، وطلب من محمد بن المكتفي تولي الخلافة، غير أنه اعتذر عنها قائلاً: لا حاجة لي في ذلك، فعمي أحق بها (السيوطي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٠٦)(شاكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤١٦)(عبد الله، ٢٠٠٥م، ص٤-٥). وعلى إثر ذلك، تولى القاهر بالله الخلافة بعد مقتل أخيه، وبويع له يوم الخميس ٢٨ شوال سنة ٣٢٠هـ الموافق ١ تشرين الثاني/نوفمبر ٩٣٢م (الطبري، ج١١، ص١٥٤)(أبو الفداء، ج٢، ص٧٧)(ابن الطقطقي، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م، ص٢٠٤)، وكان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة (الطبري، ج١١، ص١٥٤).

وقد لقب بـ القاهر بالله، وهو اللقب الذي أطلق عليه سنة ٣١٧هـ حين بويع له بالخلافة للمرة الأولى عندما خلع المقتدر بالله من قبل الأتراك لمدة يومين فقط (السيوطي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٠٦)(خليفة، ١٩٣١م، ص١٩٨)(شاكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤١٦). ويعد القاهر بالله الخليفة التاسع عشر من خلفاء بني العباس (حمود، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ، ص١٦٣).

استمر في منصب الخلافة حتى خلع في ٥ جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ الموافق ٢٣ نيسان/أبريل ٩٣٤م، لتكون مدة خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام (الطبري، ج١١، ص٢٧٣)(أبو الفداء، ج٢، ص٨٠).

الأحداث السياسية في عهد الخليفة القاهر بالله:

في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وبعد مبايعة الخليفة القاهر بالله بالخلافة، بادر إلى مصادرة أموال آل المقتدر، وأمر بتعذيب عدد منهم، كما أسيئت معاملة أم المقتدر إساءة بالغة أدت إلى وفاتها متأثرة بما لحقها من أذى (الطبري، ج١١، ص١٥٦)(الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م،

ج٥، ص٣٣٠)(أبو الفداء، ج٢، ص٧٧)(ابن الطقطقي، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م، ص٢٠٥)(العاصمي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص٤٩٠)(الإربلي، ١٨٨٥م، ص١٧٧).

وفي شهر ذي القعدة من سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، بلغ مصر نبأ مقتل الخليفة المقتدر بالله، فاضطربت الأوضاع، وثار الجند، وطالبوا التجار بالأموال، كما تمرد الجند على القائد تكين، وطالبوه بمال البيعة، فاضطر إلى جمع تجار مصر والاستدانة منهم لتأمين نفقات البيعة، متعهداً بالمطالبة بدم المقتدر (الطبري، ج١١، ص١٥٦-١٥٧).

أما في سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، فقد شهدت هذه السنة تمرداً جديداً للجند على الخليفة القاهر بالله، إذ اتفق كل من مؤنس، وابن مقلة، وأبي الحسن بن هارون على عزله، وبايعوا محمد بن المكتفي بالخلافة. غير أن القاهر تمكن من إفشال هذا التدبير؛ فقبض على المتآمرين وقتلهم، ودفن ابن المكتفي حيا بين حائطين، في حين تمكن ابن مقلة من الاختفاء، فأحرقت داره، ونهبت منازل المعارضين. وبعد ذلك، أمر القاهر بإطلاق أرزاق الجند، فهدأت الاضطرابات واستقرت له الأمور، وتعاظم نفوذه، وأضاف إلى ألقابه لقب (المنتقم من أعداء دين الله)، ونقش هذا اللقب على النقود المتداولة آنذاك (الطبري، ج١١، ص٢٧٨-٢٨٠)(الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ج٥، ص٣٥٠-٣٥٤)(أبو الفداء، ج٢، ص٧٧-٧٨)(ابن خلدون، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، مج٣، ق١، ص٨٢١-٨٢٣).

وفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، برز الدور السياسي للديلم بوضوح، إذ دخل أصحاب مرداويج بن زيار( ) مدينة أصفهان، وكان من أبرز قواده علي بن بويه، الذي استولى على أموال كثيرة، ثم انفصل عن قائده. وقد التقى علي بن بويه بن محمد بن ياقوت، نائب الخليفة، فهزمه واستولى على إقليم فارس. ومع تطور الأحداث، أصبح علي بن بويه من كبار قادة مرداويج، الذي أرسله لاستخراج الأموال من الكرج، فجمع نحو خمسمائة ألف درهم. ثم توجه إلى همذان( )، فقاتله أهلها عند الأبواب، غير أنه تغلب عليهم ودخلها عنوة، ثم واصل تقدمه نحو شيراز (الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ج٥، ص٣٦٨-٣٧٠)(ابن الجوزي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٣، ص٣٣٤)(أبو الفداء، ج٢، ص٧٨-٧٩)(أبن الأثير، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٧، ص٩٠-٩١).

وفي هذه السنة أيضاً، أمر الخليفة القاهر بالله بقتل إسحاق بن إسماعيل النوبختي، وهو ممن أشاروا بتوليه الخلافة، حيث ألقي في بئر وقتل فيها (الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ج٥، ص٣٧٥)(الذهبي، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٩١)(الذهبي، ١٩٨٤م، ج٢، ص١٩٥).

كما تجدد تمرد الجند على القاهر بالله، إذ كان ابن مقلة أثناء اختفائه يحرضهم عليه، وينشر بينهم إشاعات، منها أن الخليفة بنى لهم مطامير لسجنهم. فاجتمع الجند على الفتك به، واقتحموا عليه بالسلاح، ففر منهم، غير أنهم أدركوه وقبضوا عليه في السادس من جمادى الآخرة، ثم بايعوا أبا العباس محمد بن المقتدر، ولقبوه بـ الراضي بالله (الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ج٥، ص٣٧٦-٣٧٨)(ابن الجوزي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٣، ص٣٣٤-٣٣٥)(أبو الفداء، ج٢، ص٨٠)(أبن الأثير، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٧، ص٩٦-٩٧)(الذهبي، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٩١)(الذهبي، ١٩٨٤م، ج٢، ص١٩٥).

وأرسل الجند إلى القاهر بالله الوزير والقضاة، وهم: أبو الحسين بن القاضي أبي عمر، والحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، وأبو طالب بن البهلول. فلمّا مثل بين أيديهم قال: (أنا أبو منصور محمد بن المعتضد، في أعناقكم بيعة لي وفي أعناق الناس، ولست أبرئكم منها ولا أحلكم). ثم دخلوا على الخليفة الراضي بالله وأخبروه بما جرى، وأعلموه أنهم يرون إمامته فرضاً. فأمرهم بالانصراف، غير أن سيماء، مقدم الحجرية، أشار بضرورة سمل عيني القاهر، ففعل ذلك، وبذلك انتهى عهد القاهر بالله فعلياً (الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ج٥، ص٣٨٢)(السيوطي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٠٧).

النظام الأقتصادي في عهد الخليفة القاهر بالله:

اتسم عهد الخليفة القاهر بالله بتركيز واضح على تعظيم موارد بيت المال وجمع الأموال. فبعد مبايعته بالخلافة، بادر إلى مصادرة أموال الخليفة المقتدر بالله، إلى جانب أموال خاصته وحاشيته وأعوانه، وألزمهم بدفع مبالغ مالية كبيرة، ما دفعهم إلى بذل جهدٍ كبير في جمع تلك الأموال وتسديدها. كما استخرج من صناديق أم المقتدر مبلغاًقدر بنحو مائة وثلاثين ألف دينار (الطبري، ج١١، ص١٥٦)(الرازي، ١٣٧٩ش/٢٠٠١م، ج٥،

ص٣٣٠)(أبو الفداء، ج٢، ص٧٧)(أبن الأثير، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٧، ص٧٥-٧٦)(ابن خلدون، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، مج٣، ق١، ص٨١٩).

وفي حدود سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، استفتى القاهر بالله أبا سعيد الأصخري في شأن الصابئة المقيمين في بغداد، فأفتى بقتلهم بعد أن رأى أنهم يخالفون اليهود والنصارى ويعبدون الكواكب. وقد عزم الخليفة على تنفيذ هذه الفتوى، غير أنه عدل عنها لاحقاً، واكتفى بفرض مبالغ مالية كبيرة عليهم، فجمع منهم أموالاً طائلة، وكف عنهم (متز، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، مج١، ص٨٥).

وتعد الضرائب المفروضة على الطواحين من الموارد الاقتصادية المهمة في العصر العباسي؛ ففي بغداد كانت الرحى المعروفة باسم (رحا البطريق) تدر نحو مائة ألف درهم سنوياً. أما في إقليم الجزيرة، فقد استولى الحمدانيون على معظم الطواحين، وكان دخل طواحين مدينة حديثة وحدها يبلغ نحو خمسة آلاف دينار سنوياً، في حين شكلت واردات طواحين بازبدي جزءاً مهماً من إجمالي إيرادات الإقليم (السامرائي، ١٤٠٣هـ، ص٢٢٧).

وفي سنتي ٣٢١-٣٢٢هـ / ٩٣٣-٩٣٤م، تقدم زراع الكوفة بشكوى إلى علي بن عيسى، الذي كانت تحت إشرافه منطقة واسط ومنطقة سقي الفرات، احتجاجاً على ظلم العامل الذي كان يقدر أثمان الفواكه بأكثر من أسعارها الحقيقية في السوق، ثم يجبي الخراج نقداً على أساس هذا التقدير. وعلى إثر ذلك، أصدر علي بن عيسى تعليماته إلى العمال بضرورة استيفاء الخراج وفق نظام المقاسمة، أي أخذه بنسبة من المحصول الفعلي، بدلاً من التقدير النقدي المجحف (الصابئ، ١٩٠٤م، ص٣٥٩)(الدوري، ١٩٩٥م، ص٢١٣).

كما أولى علي بن عيسى عناية خاصة بحماية دافعي الضرائب بوجه عام، فكتب إلى العمال بضرورة النظر في شكاوى المزارعين الذين أتلفت الآفات الطبيعية بعض محاصيلهم، فإذا ثبت حصول الضرر وجب تخفيف الضريبة بما يتناسب مع حجم الخسارة. وأكد في تعليماته ضرورة استيفاء الخراج من غير محاباة للأقوياء ولا ظلم للضعفاء، داعياً إلى تحقيق العدل والإنصاف بين مختلف فئات الرعية (الدوري، ١٩٩٥م، ص٢١٣).

ومع ذلك، يلاحظ شح المصادر التاريخية الموثوقة لمدينة سنجار التي تتناول رواتب الجند والموظفين، أو سائر الجوانب الاقتصادية الأخرى، مثل الجزية والضرائب والخراج في عهد الخليفة القاهر بالله، وهو ما يحد من إمكانية تقديم صورة متكاملة عن النظام الاقتصادي في تلك المرحلة (الباحث)

يعد البحث في المسكوكة نموذج (١) العائدة إلى هذه الفترة، والمحفوظة ضمن مقتنيات متحف أشموليان العالمي، ذا أهمية علمية خاصة. ولم يعثر، بحسب ما أظهرته المراجعة الشاملة لمجموعات المتحف العراقي وسائر المتاحف العالمية، فضلاً عن الكتالوجات المتخصصة والمواقع الإلكترونية المعنية بعلم المسكوكات، على أي نموذج آخر لضرب مدينة سنجار يعود إلى عهد الخليفة العباسي القاهر بالله، باستثناء هذا النموذج الوحيد من الدرهم الفضي.

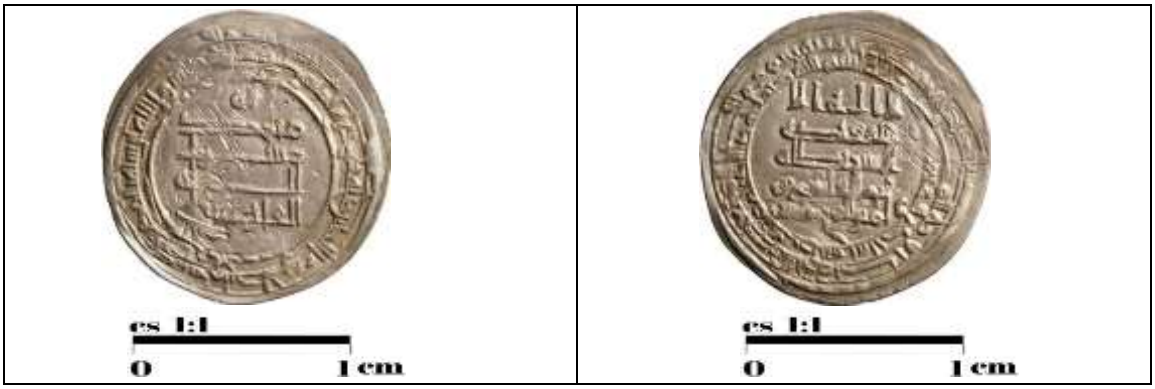
كما بينت دراسة هذه المسكوكة عدم وجود شواهد على سك نقود عباسية في مدينة سنجار بعد انتهاء حكم الخليفة المذكور وحتى فترة حكم الحمدانيين، الأمر الذي يعكس محدودية النشاط النقدي في دار السك بسنجار خلال تلك المرحلة التاريخية، وبناءً على ذلك، يُقدَّم فيما يأتي التحليل التفصيلي لـ نموذج (١)(الباحث).

دراسة تحليلية للنقود (الدرهم الفضي) المضروب في دار السك بمدينة سنجار في عهد الخليفة العباسي القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م)

النموذج : ١ المتحف /رقم القطعة: أشموليان( )/ HCR١١٤٢٤

الوزن بالغرام : ٣,٠٥ القطر بالمليمتر : ٢٨,٠٣

سنة ضرب : ٣٢١هـ نوع قيمة المعدن : درهم – الفضه



الوجه	الظهر
مركز الوجه : لا اله الا الله وحده لاشريك له ابو القاسم بن أميرالمؤمنين الطوق الأول : بسم الله ضرب هذا الدرهم بسنجار سنة احدى و عشرين (و ثلث)ماية الطوق الثاني : لله الامر (من قبل و من بعد ويومئذن) يفرح المؤمنون بنصرالله زخارف الطوق: تحيط بكتابة المركز و الطوق دائرتين مزدوجة وخالى من الزخارف. ينظر جدول (١،٢) .ينظر: عمل وتحليل الباحث.	مركزالظهر : لله محمد رسول الله القاهربالله الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهداو دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون زخارف الطوق: تحيط بكتابة المركز دائرة منفردة، و تزين الطوق الخارجي دائرة منفردة خالي من الزخارف.

تحليل أسباب ضرب النموذج (١):

يعد النموذج (١) إحدى النقود العباسية التي ضربت في مدينة سنجار سنة ٣٢١هـ خلال عهد خلافة القاهر بالله. وتكمن أهمية هذا الإصدار في كونه سك في فترة كانت فيها المنطقة خاضعة اسمياً لنفوذ الحمدانيين، غير أنهم لم يكونوا يمتلكون في تلك المرحلة سلطة فعلية أو قانونية على ضرب النقود، إذ ظل حق السك أحد أبرز مظاهر السيادة المرتبطة بالخلافة العباسية المركزية (الباحث).

وفي تلك السنة، شهدت المنطقة اضطرابات قبلية واسعة، تمثلت في اندلاع فتنة بين بني ثعلبة وبني أسد ومعهم طيبة من جهة، وبني مالك ومن تحالف معهم من تغلب من جهة أخرى. وقد خرج الحسين بن عبد الله برفقة أبي الأغر بن سعيد بن حمدان في محاولة للإصلاح بين الفريقين، غير أن الخلافات استمرت، وانتهت بمقتل أبي الأغر على يد رجل من بني ثعلبة. وعلى إثر ذلك، شن الحسين بن عبد الله هجوماً على خصومه وطاردهم حتى مدينة الحديثة، حيث التقى بـ يانس غلام مؤنس، والي الموصل، فانضم إليه بنو ثعلبة وبنو

أسد، ثم عادوا مجتمعين إلى ديار ربيعة (ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج٨، ص٤٥٩-٤٦٢)(عدوان، ١٩٨١م، ص١٤١).

وفي تلك المرحلة، كانت الموصل خاضعة للسلطة العباسية المباشرة في ظل نفوذ الوزير مؤنس الخادم. وقد استغل الخلفاء العباسيون ضعف الحمدانيين وحاجتهم إلى الدعم السياسي والعسكري، فعملوا في البداية على ضمان ولائهم مقابل المال، ثم انفردوا بإدارة شؤون المنطقة، قبل أن يحققوا نوعاً من الاستقلال السياسي والاقتصادي عنها، ولا سيما بعد خلع الخليفة القاهر بالله وتولي الراضي بالله الخلافة (الموصلي، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ج١، ص١٠٣-١٠٤)(شميساني، ١٩٨٣م، ص٧٦).

غير أن الأوضاع تغيّرت بعد إعدام مؤنس الخادم سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، إذ أسند الحكم إلى الفضل بن جعفر بن الفرات في عدد من المناطق، من بينها قردى، وبازبدا، وماردين، وتور عبدين، وديار الجزيرة، وديار بكر، والثغور الجزرية وغيرها، وهو ما يعكس استمرار النفوذ العباسي المباشر في تلك الأقاليم خلال هذه المرحلة الانتقالية (زامباور، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٨).

ويستدل من ذلك على أن الحمدانيين، خلال عهد الخليفة القاهر بالله، لم يكونوا يمتلكون سيطرة مطلقة على الموصل وديار ربيعة، بما في ذلك مدينة سنجار، إذ كانت هيمنتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية محدودة وضعيفة نسبياً. وقد سعى الخلفاء العباسيون إلى استثمار هذا الضعف من أجل تعزيز نفوذهم المباشر في المنطقة، نظراً لما تتمتع به من أهمية استراتيجية وموارد اقتصادية. غير أنه، وبعد خلع القاهر بالله، تمكن الحمدانيون من استعادة قوتهم العسكرية والاقتصادية، واستقلوا تدريجياً بحكم المنطقة، وأحكموا سيطرتهم عليها(الباحث).

أنواع الخط العربي على الدرهم الفضي ضرب سنجار لسنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) لعهد القاهر بالله:

خط الكوفي البسيط:

يعد الخط الكوفي البسيط من أقدم أنماط الخط العربي، إذ ظهر منذ القرن الأول الهجري، وتميز ببساطته وخلوه من مظاهر التوريق أو التزهير أو أي عناصر زخرفية. واستمر استعماله على نطاق واسع حتى القرن الثاني الهجري تقريباً، وإن لم ينقطع استخدامه تماماً في العصور اللاحقة (العزاوي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٧٤) (العزاوي وأخرون، ٢٠١٩، ص٤٦٠) (أسماعيل، ٢٠٢٢، ص٣٤١) (فاضل، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م، ص١٠٤)، وقد حملت النقود العربية الإسلامية المبكرة، ولا سيما تلك المضروبة على الطراز الساساني منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عبارات دينية مثل: (الحمد لله)، و(محمد رسول الله)، و(لا إله إلا الله)، والتي نقشت على الدراهم الساسانية باستخدام هذا النوع من الخط (العزاوي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٧٤) (العزاوي وأخرون، ٢٠١٩، ص٤٦٠) (أسماعيل، ٢٠٢٢، ص٣٤١)، وانتشر الخط الكوفي البسيط في مختلف أرجاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً(حمودة، ص٨٣)، وتميزت حروفه بالبساطة والوضوح، وخلوها من التوريق والتظفير والتزهير، مع غلبة الزوايا القائمة، وسمك الحروف وقِصر امتداداته (الدرايسة وعبدالهادي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص١٧٠) (العبادي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص١١٣) (أسماعيل، ٢٠٢٢، ص٣٤١) وقد شاع استخدام هذا الخط في المسكوكات بوجه خاص، إضافة إلى شواهد القبور، والنصوص التذكارية، كما استخدم في النقوش المنفذة على الأخشاب والمعادن وغيرها من المواد(العبادي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص١١٣).

وأظهرت دراسة وتحليل الزخارف الخطية لنموذج الدرهم الفضي مضروب بمدينة سنجارتنوعاً ملحوظاً في أنماط الخط العربي المستخدم عليها. وقد جرى تصنيف هذه الأنماط ضمن جدول كتالوج تخطيطي يوضح الزخارف الخطية بدقة، مع إبراز حروف وكلمات مختارة (ينظر: الشكل التخطيطي-جدول رقم (١)).

الخط الكوفي المرووس(ذو الهامات المثلثة و المتطورة):

اكتسب هذا الخط اسمه من زخرفة نهايات حروفه برؤوس مثلثة. ويرجح بعض المؤرخين أن أصل هذه الزخرفة يعود إلى الأنباط أو إلى خطوط مكة والمدينة. ومع ذلك، لم تعثر نصوص الأنباط أو مكة والمدينة أو البصرة في صدر الإسلام على نماذج مزينة بالرؤوس المثلثة، إلا أنها ظهرت في الكتابات العباسية الأولى بعد تطور الخط وازدهاره في الكوفة(أحمد، تشرين الأول -٢٠١٠، ص١٤٦-١٤٧).

عرف هذا الخط بعدة أسماء وأوصاف، منها الكوفي ذو المثلثات المتطورة أو المزخرفة، والخشن أو الثقيل، والكوفي المتقن، وهو يمثل مرحلة انتقال الخط الكوفي من البسيط إلى المورق(العزاوي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٧٥) (العزاوي وأخرون، ٢٠١٩، ص٣٦١) (أسماعيل، ٢٠٢٢، ص٣٤١).

نال هذا الخط حظاً وافراً في الآثار الإسلامية، والتحف الفنية، والمخطوطات، والعمائر، والمسكوكات(أسماعيل، ٢٠٢٢، ص٣٤٢) بالأخص مسكوكات الفترة العقيلية والأتابكية و الأيوبية والإيلخانية المضروبة في مدينة سنجار ونبين هذه النوعية في أحرف الكلمات وهي كالتالي: (ينظر: جدول رقم (١)).

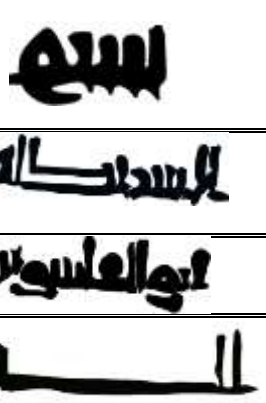
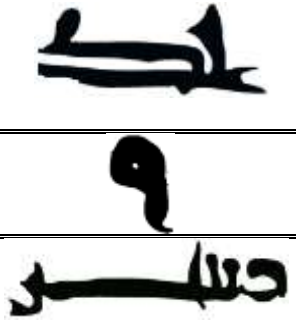
الخط الكوفي ذات الهامات المثلثة والكوفي المورق (بدايات التوريق):

يمثل الخط الكوفي المورق المرحلة الفنية الثانية في تطور الخط الكوفي، إذ جاء بعد الخط الكوفي ذي الهامات المتطورة، وتفرع عنه تدريجياً(احمد، ٢٠١٠، ص١٤٧)، وقد ظهر هذا النمط من الخط في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، واستمر استعماله حتى نهاية القرن الثالث الهجري تقريباً(العبادي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص١١٣).

تظهر دراسة نموذج الدرهم المضروب في دار سك سنجار في عهد الخليفة القاهر بالله لسنة ٣٢١هـ/٩٣٣م أن الخط الكوفي المورق في مراحل نشأته تجلى في عدد من الحروف، مثل: الدال، واللام، والهاء، وغيرها. وقد أضيفت إلى أطراف هذه الحروف عناصر نباتية بسيطة تمثلت في ورقة واحدة أو ورقتين، في إطار بدايات التوريق الزخرفي على النقود.

ويتضح ذلك بشكل جلي من خلال جدول (١) الذي يقدم تمثيلاً تخطيطياً يوضح خصائص الزخارف الخطية على هذه المسكوكة(ينظر: جدول رقم (١)).

جدول رقم-١-أنواع الزخارف الخطيةعلى الدرهم الفضي لعهد الخليفة القاهر بالله ضرب مدينة سنجار من سنة (٣٢٠ – ٣٢٢ هـ/ ٩٣٢-٩٣٤).

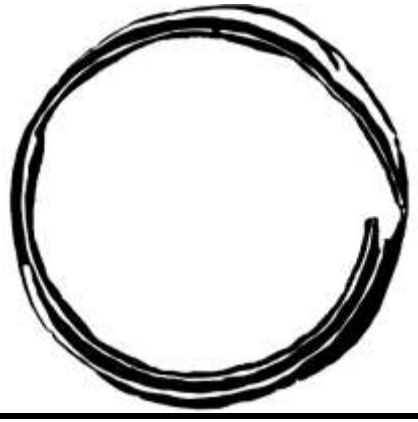
التسلسل نموذج	الكوفي البسيط فقرة(أ)	الكوفي ذوروس المثلثه فقرة (ب)	أنواع الخط الكوفي المورق بدايات التوريق فقرة (ج)	تخطيط الوجه و الظهر(عمل الباحث)
١				الوجه :  الظهر : 

الزخارف الهندسية .

ظهرت دراسة الزخارف المنقوشة على الدرهم الفضي لمدينة سنجار استخدام مجموعة من الأشكال الهندسية، ولا سيما الدوائر المفردة والمزدوجة، التي كانت توظف غالبًا لإحاطة كتابات مركز الوجه والظهر، في حين بقيت المساحات الأخرى خالية من أي عناصر زخرفية. ويعكس هذا الأسلوب نزعة واضحة نحو البساطة والوظيفة في التصميم المسكوكي، مع التركيز على إبراز النص الكتابي بوصفه العنصر الرئيس.

ويمكن تتبع هذه الأنماط الهندسية بوضوح من خلال جدول رقم (٢) والشكل التخطيطي للزخارف الهندسية، اللذين يقدمان عرضاً تحليلياً لتوزيع الأشكال الهندسية وخصائصها على نموذج الدرهم المدروس(الباحث).

جدول رقم-٢- الزخارف الهندسية على الدرهم الفضي لعهد الخليفة القاهر بالله ضرب مدينة سنجار من سنة (٣٢٠ – ٣٢٢ هـ/ ٩٣٢ – ٩٣٤).

التسلسل النموذج	المتحف	رقم القطعة	سنة ضرب	الشكل التخطيطي للزخارف الهندسية(عمل الباحث)
١	اشموليان	HCR١١٤٢٤	٣٢١هـ	الوجه : أ ب ج  الظهر : أ ب ج 

الاستنتاجات:

تمثل المسكوكات سجلًا حضارياً مصغراً يجمع بين الأبعاد السياسية والاقتصادية والفنية، وتسهم إسهاماً فاعلاً في إعادة بناء صورة تاريخية دقيقة لمراحل متعددة من تاريخ الحضارة الإسلامية، ولا سيما في الفترات التي تعاني فيها المصادر النصية من النقص أو الغموض.

عكست النقود المضروبة في عهد الخليفة العباسي القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ / ٩٣٢-٩٣٤م)، ولا سيما تلك الصادرة عن دار سك مدينة سنجار، أهمية هذه المدينة بوصفها أحد المراكز المعتمدة لسك النقود ضمن النظام النقدي العباسي، فضلاً عن كونها تكشف ثغرة تاريخية مهمة لم تعالج بصورة كافية في الدراسات السابقة. كما تبرز هذه المسكوكات مستوى التنظيم الإداري والمالي للدولة العباسية، ومدى التزام دور السك في المدن الإقليمية بالأنظمة والمعايير المعتمدة في دار الخلافة بمدينة السلام (بغداد).

تعد المسكوكات مصدراً تاريخياً ومادياً بالغ الأهمية لدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لما توفره من معلومات دقيقة يصعب استخلاصها من المصادر النصية وحدها، مثل تاريخ الضرب، واسم دار السك، ونوع المعدن، والوزن، والقطر، والأسلوبين الفني والخطي.

ومن خلال تحليل هذه العناصر مجتمعة، يمكن تتبع التحولات السياسية، ورصد فترات الازدهار أو الانكماش الاقتصادي، فضلًا عن فهم آليات الإدارة المالية والتنظيم النقدي في الدولة الإسلامية خلال العصر العباسي.

كما تظهر دراسة الدرهم الفضي المضروب في مدينة سنجار التزام دار السك بالأوزان الشرعية والأقطار المحددة، وامتثالها للقوانين والضوابط المعتمدة في دور السك العباسية، بما يعكس درجة عالية من الانضباط المؤسسي في عملية سك النقود.

وتكشف الخصائص الفنية والخطية لهذا الدرهم عن مدى تطور مهارات الفنانين المسلمين العاملين في دور السك، ولا سيما اهتمامهم بفن الخط والنصوص الكتابية ذات الطابع الديني والرسمي، إلى جانب العناصر الزخرفية والهندسية، وهو ما جرى توضيحه وتحليله في الجداول (١-٢).

وقد تبين من خلال دراسة هذا الدرهم النادر أن النقود المضروبة في مدينة سنجار، في الغالب، التزمت بالسمات الكتابية ذات الطابع الديني والرسمي المعتمد في العصر العباسي، الأمر الذي منحها قيمة فنية مضافة إلى قيمتها التاريخية والاقتصادية، ولا سيما في الفترات اللاحقة لحكم الخليفة القاهر بالله.

كما اتصفت نقود الخليفة القاهر بالله بالندرة الشديدة، سواء في المتحف العراقي أو في متاحف إقليم كردستان، وكذلك في الكتالوغات العالمية والمحلية. ويعد هذا البحث دليلاً على تلك الندرة، إذ أشار الدكتور علي كاظم الشيخ في دراسته الموسومة (مسكوكات الخليفة القاهر بالله) إلى تحليل ثلاثة دنانير ودرهمين محفوظة في المتحف العراقي، مضروبة في مدن مختلفة هي: مدينة السلام، وسوق الأهواز، والبصرة، دون أن يذكر أي مسكوكة مضروبة في مدينة سنجار. ولم تعثر الدراسة الحالية، وفقاً للمصادر المتاحة، على درهم آخر للقاهر بالله مضروب في سنجار سوى هذا النموذج النادر، وهو ما يفتح المجال أمام الباحثين مستقبلاً لاكتشاف نماذج إضافية تسهم في استكمال دراسة هذا الجانب المهم من تاريخ النقد العباسي.

المصادر:

١. أبن الجوزي، ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت ٥٩٧هـ). (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج١٣، ط١، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. أبن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م). (١٣٤٥هـ-١٩٢٧م)، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، المطبعة الرحمانية، مصر.

٣. ابن الكازروني، الشيخ ظهيرالدين علي بن محمد البغدادي(ت ٦١١-٦٩٧هـ). (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م)، مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة العباس، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد.

٤. ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف. (١٩٨٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، ج١، ط١، تحقيق: محمد عبدالمنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت.
٥. أبن جبير(ت ٥٣٩-٦١٤هـ/١١٤٤-١٢١٧م)، رحلة أبن جبير، دار صادر، بيروت.
٦. أبن حوقل، أبي القاسم. (١٩٩٢م)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت.
٧. أبن خرداذبة، أبي القاسم عبيدالله بن عبدالله. (١٨٨٩)، المسالك و الممالك، مطبعة بريل، ليدن.
٨. أبي الفداء، عمادالدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ط١، المطبعة الحسينية، المصر.
٩. أبي الفداء، عمادالدين اسماعيل بن محمد بن عمر(ت ٧٣٢هـ). (١٨٤٠)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس.
١٠. أبي طالب خان. (٢٠٠٧)، رحلة أبي طالب خان الى العراق و أوروبة، ط١، ترجمة: مصطفى جواد، دار الوراق للنشر، بغداد.
١١. الأندلسي، عبدالله بن عبدالعزيز البكري(ت ٤٨٧هـ)، معجم ماستعجم من اسماء البلاد و المواضع، ج١، عالم الكتب، بيروت.
١٢. البروسوي، محمد بن علي(ت ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩م). (٢٠٠٦م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان و الممالك، ط١، تحقيق: المهدي عبد الرواضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١٣. أبن عبدالحق البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن (ت ٧٣٩هـ)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاء، مج٢.
١٤. ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي.(١٣٩٧هـ-١٩٧٧م(، معجم البلدان، مج١-٢-٣- ٤-٥-، دار صادر، بيروت.

١٥. ألمنشي البغدادي، محمد أبن السيد أحمد الحسيني (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م). (١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م) رحلة ألمنشى البغدادي، ترجمة: عباس العزاوي، طبع شركة التجارة و الطباعة المحدودة، بغداد.

١٦. ابن عبدالحق البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن (ت ٧٣٩هـ).(١٩٩٢م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاء، مج٢، ط١، دار الجيل، بيروت.

١٧. ابن الأثير، عزالدين بن الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، مكتبة المثنى، بغداد.

١٨. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم بن عبدالواح الشيباني الجزري(٦٣٠هـ). (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، الكامل في التاريخ،ج٦، ج٧، ج٨، ط١، راجعه: يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩. قدامة بن جعفر.(١٩٨١)، الخراج و صناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، العراق.

٢٠. چلبى، أوليا. (٢٠٠٨)، رحلة أوليا چلبى في كوردستان(١٠٦٥هـ – ١٦٥٥م)، ط١، ترجمة: رشيد فندي، مطبعة خانى، دهوك.

٢١. الحميري، محمد بن عبدالمنعم.(١٩٨٤)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.

٢٢. الدمشقي، شمس الدين أبي عبدالله محمد طالب الأنصارى الصوفي. (١٨٦٥)، نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، مطبعة الاكادمية الامبراطورية، بطربورغ.

٢٣. الذهبي، حافظ(٧٤٨هـ). (١٩٨٤)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيد، ج٢، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

٢٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(٦٧٣-٧٤٨هـ). (١٩٩٩)، دول الأسلام، تحقيق: حسن أسماعيل مروة و محمود الأرنؤوط ، ج١، ط١، دار صادر، بيروت.

٢٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ).(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، سيرة أعلام النبلاء، ج١، ج٢، ج١٥، ط١ تحقيق: شعيب الأرنؤوط و إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٦. الزمخشري، محمود بن عمر، الامكنة و المياه و الجبال، تحقيق: الدكتور ابراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، بغداد.
٢٧. السمعاني، ابي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت. ٥٦٢هـ). (١٩٨٨م)، الأنساب، ج٣، ط١، دار الجنان، بيروت، لبنان.
٢٨, السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن(ت ٩١١هـ). (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، تاريخ الخلفاء، ط١، دار أبن حزم، بيروت.
٢٩. الصطخري، أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي. (١٩٣٧)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن.
٣٠. الصابئ، ابي الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم. (١٩٠٤)، تحفة الأمراء في التاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
٣١. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير(ت ٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الأمم و الملوك، ج١١، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.
٣٢. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت ٨١٧هـ). (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، ط٢، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٣. القرماني، أحمد بن يوسف(١٠١٩ هـ - ١٦١٠م). (١٩٩٢م)، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ، مج٣، ط١، تحقيق: أحمد حطيط و فهمى سعد، علم الكتب.
٣٤. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد و أخبار العباد، ط٣، دار صادر، بيروت.

٣٥. القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ). (١٩٨٢م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط٢، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٣٦. الگورانى، على سيدو ا. (٢٠١٢)، من عمان الى العماديه أو جولة في كردستان الجنوبية، ط٢، دار آراس، أربيل، أقليم كردستان العراق.
٣٧. لسترنج، كى. (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، بلدان الخلافة الشرقية، ط٢، ترجمة: بشير فرنسيس و كركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٨, متز، آدم، الحضارة الأسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، مج٢، ط٥، ترجمة: محمد عبدالهادي ابوريده، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٩. المقدسي. (١٩٩١م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٤٠. موسيل، الوا. (١٩١٢م)، الفرات الأوسط رحلة وصفية و دراسات تاريخية، ترجمة: صدقي حمدي و عبدالمطلب عبدالرحمن داود، مطبوعات المجمع العلمي العراقين، العراق.
٤١. الهروي، أبي الحسن علي بن أبي بكر(ت ٦١١هـ). (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م)، إلاشارات إلى معرفة الزيارات، ط١، تحقيق: على عمر، المكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٤٢. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. (١٩٩٠م)، صفة جزيرة العرب، ط١، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
٤٣. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ). (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، البلدان، ط١، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع:

١. سوسه، أحمد. (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، العراق في الخوارط القديمة، مطبعة المعارف، بغداد.

٢. أحمد، إسماعيل محمود. (تشرين الأول- ٢٠١٠)، الخط العربي عنصرا كتابيا وزخرفيا، مجلة سر من رئ، المجلد ٦، عدد ٢٢، سامراء، ص١٤٧.
٣. إسماعيل، جوان أحمد. (٢٠٢٢)، إربل مركز و دار لسك النقود الإسلامية من (٥٦٦-٨٧٤هـ/١١٧١-١٤٦٩م)، نماذج مختارة غير منشورة و منشورة من المتحف الوطني العراقي في بغداد دراسة تحليلية فنية، أطروحة الدكتوراه، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، ص٣٤١.
٤. بابان، جمال. (١٩٨٦)، اصول أسماء المدن و المواقع العراقية، ج١، ط٢، بغداد.
٥. باقر، طه، سفر، فؤاد. (١٩٦٦)، المرشد الى موطن الآثار و الحضاراة، الرحلة الثالثة بغداد – الموصل، دار الجمهورية، بغداد.
٦. برادۆستی، زیدان، احسان، کۆفان. (٢٠١٧)، شنگار شینواریت فەقەتیایی و دیرۆکا هەشفتی، چاپخانەی زانکۆی سەلاحەدین، هەولیر.
٧. الخضري بك. محمد. (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية(الدولة العباسية)، ط١، تحقيق: الشيخ محمد العثماني، دار القلم، بيروت.
٨. واصف بك، امين. (١٩١٦م)، الفهرست معجم الخريطة التاريخية للمالك الاسلامية، تحقيق: احمد زكى باشا، مطبعة المعارف، مصر.
٩. بكنغهام، جمس، رحلتى الى العراق سنة – ١٨١٦، ج١، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة أسعد، بغداد.
١٠. توفیق، زرار صدیق. (٢٠١٢)، کورد و کوردستان له رۆژگاری خیلافەی ئیسلامیدا(١٦-٦٥٦ک / ٦٣٧-١٢٥٨ز)، چ٢، چاپخانەی رۆژهەلات، هەولیر.
١١. الحسيني، السيد عبدالرزاق، العراق قديماً و حديثاً، ط١، الرافدين للطباعة و النشر، بيروت.
١٢. الحسيني، صدرالدين أبي الحسن على بن السيد ألامام الشهيد أبي الفوارس ناصر بن علي.(١٩٣٣)، اخبار الدولة السلجوقية، نشريات كلية فنجان، لاهور.

١٣. الحسيني، محمد باقر. (١٩٦٧م)، دراسة تحليلية ثلاث المسكوكات ذهب اتابكية نادرة محفوظة في المتحف العراقي، مجلة السومر، عدد ٢٣، الجزء الأول و الثاني، مديرية الآثار العامة، بغداد، ص١٩٢.

١٤. حمادي، محمد جاسم. (١٩٧٧م)، الجزيرة الفراتية و الموصل دراسة في التاريخ السياسي و الأداري ١٣٧ – ٢١٨ هـ /٧٤٤ – ٨٣٣م، دار الرسالة للطباعة، بغداد.

١٥. حمود، سوزي. (٢٠١٥م/١٤٣٦هـ)، الدولة العباسية مراحل تاريخها و حضارتها، ط١، دار النهضة العربية، بيروت.

١٦. حمودة، محمود عباس، دراسات في علم الكتابة العربية، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة.

١٧. حمودي، شيرين سليم. (٢٠٠٨م)، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون ١٣٢-٢١٨هـ / ٧٥٠-٨٣٣م، ماجستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، ص٧٥.

١٨. حنون، نائل. (٢٠٠٩)، مدن قديمة و مواقع أثرية دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، الطبعة الأولى، دار الزمان للطباعة و النشر، دمشق.

١٩. خليفه، حسن. (١٩٣١)، الدولة العباسية قيامها و سقوطها، ط١، المطبعة الحديثة، لقاهرة.

٢٠. الخليل، أحمد محمود. (٢٠١٣)، تاريخ الكرد في العهود الإسلامية، ط١، دار آراس، أربيل، اقليم كردستان العراق.

٢١. الدرايسة، محمد عبدالله، عبدالهادي، عدلي محمد. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، الزخرفة الإسلامية، مكتبة العربي للنشر والتوزيع، عمان.

٢٢. الدملوجي، صديق. (١٩٤٩)، اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل.

٢٣. الربيعي، آسيا عبدالجبار علي. (٢٠٢٣م)، أصول أسماء المدن الآشورية و دلالاتها، ماجستير، الآثار، جامعة الموصل، الموصل، ص١٠٦.

٢٤. روكان، محمد كامل، الطلبي، جمعة حريز.(١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م)، التنقيبات الروسية في منطقة سنجار شمال العراق، مجلة اثار الرافدين، ج١، مج٦، ص٩٤.
٢٥. رؤوف، عماد عبدالسلام. (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م)، الموصل في العهد العثماني، مطبعة الاداب، النجف.
٢٦. الزيود، حسن عابد خلف. (٢٠٠٠)، النقود النحاسية المصورة للزنكيين، الماجستير، التاريخ، الجامعة الأردنية، الأردن، ص٦٢.
٢٧. السامر، فيصل. (١٩٧٠)، الدولة الحمدانية في الموصل و حلب، ج١، ط١، مطبعة ألايمان، بغداد.
٢٨. السامرائي، د.عبدالجبار محسن. (٢٠١٦م-١٤٣٧هـ)، الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)دراسة في إصلاحاتها المالية و تنظيماتها الإدارية، ط١، دار دجلة، الأردن.
٢٩. سرور، محمد جمال. (١٩٦٥م)، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٠. سكاي، درونـي. (١٩٥٢م-١٣٧١هـ)، مدن العراق القديمة، ط٢، ترجمة: يوسف يعقوب مسكونى، مطبعة شفيق، بغداد.
٣١. شامي، يحيى. (١٩٩٣)، موسوعة المدن العربية و الإسلامية، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
٣٢. شميساني، حسن. (١٩٨٣م)، مدينة سنجار من الفتح العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني، ط١، دار الافاق الجديدة، بيروت.
٣٣. شير، أدي. (٢٠٠٧)، تاريخ كلد و آثور، مج ١.
٣٤. طقوش، محمد سهيل. (٢٠١٠م)، تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ٥٢١-٦٣٠هـ / ١١٢٧-١٢٣٣م، ط٢، دار النفائس، بيروت.
٣٥. طورش، أسماء، سعايدية، أميرة. (٢٠٢٠/٢٠٢١)، النشاط الاقتصادي في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م، ماجستير، جامعة٨ماى١٩٤٥قالمة، الجزائير، ص٧.

٣٦. العبادي، ضحى منذر رحيم. (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، دراسة نقود سنة(٣٣٤-٥١٢هـ/٩٤٥-١١١٨م) المحفوظة في المتحف العراقي(دراسة تحليلية – آثاريه)، ماجستير، جامعة بغداد، كلية الأثار، قسم الأثار، بغداد، ص١١٣.

٣٧. عبدالواحد، كلثوم جميل. (٢٠٠٧)، كردستان في عهد الساسانيين ٢٢٤-٦٣٠م، ط١، مطبعة وزارة التربية، أربيل.

٣٨. عبودي، هنري س. (١٤١١هـ – ١٩٩١م)، معجم الحضارات السامية، ط٢، جرس برس، طرابلس، لبنان.

٣٩. عدو، بناز اسماعيل. (٢٠١١)، أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي(١٣٢-٤٤٧هـ/٧٤٩-١٠٥٥م) دراسة تاريخية تحليلية، ط١، مطبعة رۆژهەلات، أربيل.

٤٠. العزاوي، أيمان عدنان جاسم. (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، النقود الايلخانية من سنة (٦٥٦-٧٣٦هـ / ١٢٥٨-١٣٣٥م) المحفوظة في المتحف العراقي، أطروحة دكتوراه، قسم الأثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص٢٧٤.

٤١. العزاوي، إيمان وأخرون. (٢٠١٩)، دينار نادر للخليفة الظاهر بأمر الله ضرب دقوقا(داقوق) محفوظة في المتحف العراقي – دراسة تحليلية، بحث المؤتمر الدولي الثالث- الأثار وتراث كوردستان ٢٩-٣٠نيسان٢٠١٩، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين-أربيل،مطبعة كاروان، أربيل.

٤٢. العلياوي، عبدالله. (٢٠٠٤)، كوردستان في عهد المغول ١٢٢٠ – ١٣٣٥ميلادي، اربيل.

٤٣. فاضل، فاضل صالح. (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، المسكوكات الإسلامية في مدينة بلد(أسكي موصل) في ضوء التنقيبات الآثرية – نماذج منتخبة، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآثار، الموصل، ص١٠٤.

٤٤. محمد، اكو برهان. (٢٠١١)، كردستان خلال العصور القديمة(دراسة في الاحوال التجارية و المالية)، ط١، مطبعة رۆژهەلات، أربيل.

٤٥. مركز نون للدراسات الاسترتيجية. (٢٦ اذار – ٢٠١٧)، قضاء سنجار بين الماضي و الحاضر و افاق المستقبل.

٤٦. مؤنس، حسين. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، أطلس تاريخ الإسلام، ط١، الزهراء الإعلام العربي، القاهرة.

٤٧. الناصري، ابراهيم فاضل. (٢٠٢٠)، المدن التاريخية و المواقع الحضارية في أعلى وادي دجلة و شرقي الجزيرة الفراتية، ط١، ألفا للوثائق، عمان.

٤٨. الهسنياني، د.موسى مصطفى. (٢٠٠٥)، سنجار دراسة في تاريخها السياسي و الحضاري من(٥٢١-٦٠٠هـ/١١٢٧-١٢٦١م)، ط١، دار سبيريز، دهوك.

٤٩. يوسف، عبدالرقيب. (٢٠٠٥)، حدود كردستان الجنوبية تاريخياً و جغرافياً خلال خمسة الاف عام، ط٢، مطبعة شفان، السليمانية.

المصادر والمراجع الأجنبية:

١. Sallaberger, Walther.(2020), MUNCHER Sumerischir Zetttelkasten, fassung.
٢. Black, J. and Green, A,(1992). Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, British Museum Press, London.
٣. ivil, M.(1994), Sumerian Lexicography, Journal of Cuneiform Studies, Vol. 46.
٤. Edzard, D. O.(2003), Sumerian Grammar, Brill, Leiden.
٥. Gelb, I. J.(1957). A Study of Writing, University of Chicago Press, Chicago.
٦. George, A. R.(1997), House Most High: The Temples of Ancient Mesopotamia, Eisenbrauns, Winona Lake.
٧. Huehnergard, J. (2011), A Grammar of Akkadian, 3rd ed, Eisenbrauns, Winona Lake.
٨. Jacobsen, T. (1987), The Harps that Once… Sumerian Poetry in Translation, Yale University Press, New Haven.
٩. Oates, J.(1968), Studies in the Ancient History of Northern Iraq, Oxford University Press, London.
١٠. Streck, M. P.(2011), Reallexikon der Assyriologie, Bd. 12, Berlin.
١١. Wilkinson, T. J.(2003), Archaeological Landscapes of the Near East, University of Arizona Press, Tucson.

المصادر الكترونية

١. https://hcr.ashmus.ox.ac.uk/coin/hcr11424متحف أشموليان، ٢٣/١١/٢٠٢٤،

الدلالات الرمزية للكشكول (وعاء الصدقات)

The symbolic meanings of the kashkul (alms (bowl

ختام مهدي عبد الامير الربيعي

أ.د حيدر فرحان الصبيحاوي

Khitam Mahdi Eabd alamir Alrabiee

khitam.alrubaiee@uobabylon.edu.iq

رقم الهاتف ٠٧٨١٨٢٥٦٦٨٨

الدلالات الرمزية للكشكول (وعاء الصدقات)

ختام مهدي عبد الامير الربيعي
أ.د حيدر فرحان الصبيحاوي

المستخلص

ادى الكشكول دوراً مهما في حياة المتصوفة عامة ومتصوفة إيران خاصة، فشكله الذى يشبه (القارب او السفينة) له رمزية مؤكدة لدى الصوفية الزهاد، فالسفينة هي قارب النجاة التي يعبر بها المتصوف إلى عالم الوجود اللامتناهي، والكأس عندهم رمز العشق والمعرفة بالذات الإلهية .

لقد أستعمل المتصوف الكشكول في حفظ ما يجود به المحسنون عليه من طعام او نقود او لحفظ الطعام والشراب،فضلا عن أن كثيراً من الكشاكيل مكفت بالذهب والفضة مما يتعارض مع زهد المتصوفة، لذلك استعمل احيانا لحفظ النقود من قطاع الطرق لكثرة ترحال المتصوفة، وغيابهم عن ما يدور حولهم اثناء التأمل والتعبد، فضلاً عن أنه ليس كل المتصوفة الزهاد من الدراويش الفقراء بل كان بعضهم من السلاطين والأمراء والأثرياء، فالراجح في الدراسات الحديثة أن الكشكول صنع ليستعمله المتصوف في حفظ الأشياء الثمينة لديه طيلة حياته في حله وترحاله، وعند زيارته للعتبات المقدسة في العراق وإيران، يتبرع بكشكوله لها، ففيه أغلى ما يملك من الدنيا وحطامها، بل إذا ما أدركه الموت قبل زيارة هذه العتبات يوصى بالتبرع بكشكوله، وما حوى لتلك العتبات المقدسة، وفى ذلك تفسير لوصول المئات من الكشاكيل إلينا مما كان محفوظاَ بعتبات الأئمة الاطهار في العراق وإيران .

الكلمات المفتاحية : الكشكول ، وعاء الصدقات ،تصوف ، رمزية

Abstract

The kashkul played an important role in the lives of Sufis in general and Iranian Sufis in particular. Its shape, which is made in the form of a boat or ship, has a definite symbolism for Sufi ascetics. The ship is the lifeboat with which the Sufi crosses into the world of

infinite existence, and the cup is a symbol of love and knowledge of the Divine Self for them The Sufi Sufi used the kashkul to preserve the food or money that benefactors gave him, or to preserve food and drink. In addition, many of the kashkul were filled with gold and silver, which contradicts the asceticism of the Sufis. Therefore, it was sometimes used to preserve money from bandits due to the frequent travel of the Sufis, and their absence from what is going on around them during meditation and worshipIn addition, not all ascetic Sufis are poor dervishes, but some of them were sultans, princes, and wealthy people. What is most likely in recent studies is that the kashkul was made for the Sufis to use in preserving his valuables throughout his life during his journey and travel, and when he visits the holy shrines in Iraq and Iran, he donates his kashkul to them It contains the most precious possessions of the world and its ruins. Indeed, if death overtakes him before visiting these shrines, he is advised to donate his kashkil and what it contains to those holy shrines. This is an explanation for the arrival to us of hundreds of kashkil that were kept in the shrines of the pure Imams in Iraq and Iran.

Keywords: kashkul, alms bowl, Sufi, symbolism

المقدمة

كان للمتصوفة والدراويش دوراً كبيراً في المجتمع الإيراني، فقد كان لهم مكانة خاصة في قلوب الناس، وتأثير روحي كبير، حتى ان السلاطين والامراء يقدرونهم ويظهرون لهم المحبة والاحترام، فقد حاول الكثير من الامراء والسلاطين التقرب منهم قبل ان يظفروا بالسلطة والهيمنة على الحكم، لما يمتلكه المتصوفة من تأثير على عامة الشعب، فاصبح السلاطين والامراء مريدين عند كبار شيوخ التصوف، اذ توجه السلاطين والامراء الى مشايخ المتصوفة للتتلمذ على ايديهم، مما جعل هؤلاء المتصوفة يتبوؤون مكانة عالية في المجتمع، واصبحت لهم سلطة واسعة في حكم الدولة ، الأمر الذي انعكس على ان يصبح بعض مؤسسي الدولة من المتصوفة، ومنهم (الشيخ صفي الدين الاردبيلي) صاحب الطريقة الصوفية المعروفة (بالطريقة الصفوية) وهومؤسس الدولة الصفوية في إيران، فقد كان لهؤلاء المتصوفة عادات وتقاليد مارسوها في طرائقهم المختلفة ، استعملوا فيها ادوات ومقتنيات

صنفت بين ادوات حياتية يستعملوها في حياتهم اليومية وادوات تعبدية– وادوات احتفالات دينية)، كان الكشكول(وعاء الصدقات) احدهذه الادوات التي كانت بحوزتهم، والتي تعد من اهم مقتنيات المتصوف الحياتية والتعبدية على حد سواء ،اذ قامت الدراسة على توضيح مدلول هذه الاداة طبقا لتعاليم المتصوفة، وتتبع اثر البيئة على هذه الاداة، وبيان دلالاتها الرمزية وفق الفكر الصوفي .

تسمية الكشكول

الكشكول وعاء يجمع فيه المتسول[١] رزقه، جمعه : كشاكيل وهو قدح (الشحاذ) يجمع فيه رزقه، وهى كلمة فارسية الأصل من "كش " بمعنى جر وكول بمعنى كتف ومن المحتمل أن تكون آرامية الأصل[٢]

ويطلق عليه أيضاً كيس الحياة الذى يجمع فيه حاجاتهم، كما انه مخلاة الشحاذ الذى يجمع فيها صدقاته، وهو عبارة عن تحفة رقيقة عبرت بالشكل والزخرفة عن رموز ودلالات عديدة فضلاً عن أنها تحفة فريدة إذ تنفرد بشكل خاص ووظيفة معينة خاصة بالمتصوفة[٣] من المسلمين [٤] وفي اللغةِ الفارسية يُقال: (كَشْكول) وَ(كجكول)، وهو جراب الدراويش [٥]يجمعون فيهِ حاجاتهم، اويصبون فيهِ ما يشربون، وقد جرت العادة أن يُكتب على ظهر الجراب عبارات خاصة بالمتصوفة وأشعارهم[٦].

الكشكول أحياناً يأخذ شكل بيضوي وأحياناً اخرى يأخذ شكل القارب البحري (السفينة)مصنوع من ثمرة جوز الهند (شكل١) وذكر الكثير من الباحثين أنه علبة بيضوية الشكل تصنع من المعادن المختلفة (شكل٢) وعليه نقوش وزخارف محفورة [٧] وقد ارتبط الكشكول بالصوفية والدراويش على مر العصور الإسلامية، وعرف مصطلحات أجنبية عدة، منها : beggars bowls، وهو يعني (اواني التسول الرمزية) أي أن الكشكول كان رمزا للتسول، وكذلك عرف بمصطلح (Dervish bowl) أي اواني الدراويش، وغيرها من المصطلحات التي تؤدي المعنى نفسه[٨]

الدلالات الرمزية للكشكول (وعاء الصدقات)

يحمل الكشكول دلالات رمزية متعددة فهو يرمز لسفينة النجاة عند الصوفي، التي تنقله من عالم الدنيا الى العالم الآخر في أمان. من خلال شكله الذي يشبه شكل القارب البحري

(السفينة) فقد عبر الكشكول عن رموز ودلالات متنوعة من خلال الشكل والزخرفة، إذ ينفرد إلى حد كبير بشكل خاص يتمثل كما ذكرنا في نوع من المراكب السائدة في ذلك الوقت، وليس ذلك بغريب اذ أن السفينة عند الصوفية تعبيرا عن النجاة من الآثام والوصول إلى شاطئ الأمان، فهو سفينته في رحلة الحياة، يحمله في محاولة للخروج من الحياة الدنيا إلى عالم الأسرار اذ الحقيقة التي يبحث عنها [٩] او ان شكله مشتق من شكل الغلاف الخارجي لثمرة جوز الهند، وارتبط بشكل عام بطائفة معينة اذ كان ملازماً لهم خلال رحلة البحث عن الحياة والمعرفة في عالم الروح[١٠] ولقد ارتبط الكشكول بالمتصوفة بصفة عامة، وبمتصوفة إيران خاصة، وعثر على المئات من هذه الكشاكيل بعتبات الأئمة الاطهار في العراق وإيران، إذ كانت عدة الصوفي الكشكول والعكاز يتوكأ عليه في سيره، واعتاد متصوفة إيران حمل الكشكول في طريقهم إلى مرقد الأمام الرضا(عليه السلام)[١١] مدينة مشهد[١٢] اذ كان المسلمين في إيران يترددون الى زيارته ، ويترددون الى مراقد الأئمة الاطهار في العراق، فضلا عن الحج إلى مكة اذ يمثل الحج إليها رمزا البعد عن المعاصي[١٣] كما اعتاد المتصوفة حمل الكشكول في ترحالهم طلباً للعلم والمعرفة، اذ اهتموا بالترحال طلبا للحقيقة حيثما كانت، او نشرا لعلومهم، فالترحال عند الصوفية ركن من اركانهم وعمد من عمد الطريق لا يتم الطريق عند بعضهم إلا بحمل الكشكول [١٤] (شكل٣)

يحمل الكشكول دلالة رمزية اخرى من خلال شكله المستوحى من السفينة التي ربما تشير او ترمز الى سفينة النجاة عند المسلمين المتمثلة بأهل بيت النبوة (عليهم السلام) فهم سفن نجاة الامة كما جاء في الحديث المروي عن الرسول الكريم (صل الله عليه واله وسلم) (انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق) [١٥]ومما يشهد على ذلك وجود اسماء والقاب الائمة الاثني عشر(عليهم السلام) على أغلب الكشاكيل. فضلا عن دلالتها التي ترمز ربما الى سفينة النجاة المتمثلة بالأمام الحسين (عليه السلام) كما ورد عن جده رسول الله في الحديث الشريف الذي وجده مكتوب على يمين العرش في معراجه الى السماء(ان الحسين مصباح هدىً وسفينة نجاة).[١٦]

قد شكك الكثير من الباحثين في هل أن الكشكول كان يستعمل في الطعام والشراب وفي جمع الصدقات؟ وكان شكهم يستند إلى أمرين، الامر الاول: أن أغلب هذه الكشاكيل قد

صنعت من مواد خام باهظة الثمن مثل الذهب والفضة والنحاس، وايضا تحتوى على زخارف متنوعة، كان أغلبها مكفته بالفضة والذهب والأحجار الكريمة، والامر الثاني: أن التصوف يدعو إلى التقشف والزهد وقلة الطعام [١٧]، فكان تساؤلهم كيف يتم التسول او طلب الصدقات بتجولهم وجمع ما يجود عليهم المحسنين من الصدقات بهذه الانية المصنوعة من الذهب والفضة. ولعل الجواب الامثل عن تلك التساؤلات هو ان الصوفية والدراويش استعملوا هذه الكشاكيل في جمع الأموال والصدقات، ووضع الطعام والشراب فيها، كان ذلك في بادئ الأمر عندما كانت تصنع من مواد رخيصة الثمن، ثم أصبح الكشكول بعد ذلك مجرد أداة رمزية، ترمز للتصوف فقط يحملها الصوفية في ترحالهم [١٨]،ويستند الباحثون في ذلك الى عدة ادلة لدعم آرائهم من ابرزها :

– العثور على تصاوير عدة صور فيها المتصوف وهو ممسك بكشكول في يده ويقوم بجمع الزكاة من المسلمين في المناسبات الدينية ولا سيما شهر رمضان[١٩] اذ تعد الزكاة احد أركان الإسلام والتي أطلق عليها ضرائب الفقراء[٢٠].(شكل ٤)

– وجود آيات قرآنية على ابدان الكشاكيل قد ذكر بها كلمة الماء وكذلك كلمة الشراب، وتدعو للتصدق والزكاة [٢١]،(شكل ٥) ومنها، قوله تعالى﴿ وَيُطعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسكِينا وَيَتِيما وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطعِمُكُم لِوَجهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُم جَزَآءا وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ [٢٢].

– أغلب الكشاكيل تشبه اواني الطعام ولها بدن بيضوي ومزودة بماسورة (فوهة لسكب الماء) تستعمل للشرب عن طريقها. (شكل ٦)

– صنع اغلب الكشاكيل من مواد متنوعة، أغلبها من المعادن وفخار او الخزف وبعضها صنع من الأخشاب وثمر جوز الهند الرخيص الثمن، و خشب الساج الهندي[٢٣].

– كثرة التجوال والسياحة للصوفية والدراويش وخاصة أماكن العزلة في الجبال والصحراء التي كانت تتطلب وجود ماء للشراب وكذلك الوضوء، فاذا انطلق الفقراء في الطرقات نشروا راياتهم، وضربوا على كؤوسهم، ودقوا طبولهم، وكان لمواكبهم ضجة عظيمة، وكانوا يتخذون أباريق يملؤونها بالماء ويحملونها اينما ساروا، ليتطهروا بها بين الحين والحين وسبحا كبيرة من العظم او الخشب [٢٤] والمقصود بكلمة الفقراء هم الدراويش– الصوفية، والمقصود بالأباريق التي يحملوها في ايديهم هي الكشاكيل [٢٥] .

– كان المتصوفة الدراويش يتوارثون تلك الكشاكيل، اذ يتوارثه متصوف عن آخر إذا لم يكن قد أمتلأ بالمال [٢٦]، لذلك نجد على اغلب الكشاكيل تواريخ عدة[٢٧].

– وجود الكثير من أبيات الشعر التي ذكر بها الشراب نقشت على هذه الكشاكيل منها هذا البيت :

(هركه خواهد جشمه خضر وحيات سرمدى

ياكه جام جم طلبكار ازكف سكندري)[٢٨]

ترجمته : (كل من يريد أن يشرب من نبع الخضر ويحظى بالحياة السرمدية اومن يطلب كأس جمشيد من كف الأسكندر)[٢٩] .وغيرها من الكتابات التي تدل على استعمال تلك الكشاكيل للشراب، او استعمالها لجلب الماء المبارك من العتبات المقدسة والتبرك بها وشفاء المرضى كالماء الموجود اسفل ضريح الامام العباس (عليه السلام) المعروف بنهر العلقمي، وغيرها من العتبات المقدسة.

أما بالنسبة لكون بعض الكشاكيل قد صنعت من مواد باهضة الثمن، فذلك يدل على مدى تقدم الصناعة في تلك المدة، ومدى الازدهار الاقتصادي الذي صاحب هذه المدة مما أدى الى الازدهار الفني في صناعة التحف المعدنية، ولا سيما في العصر الصفوي[٣٠]، ولذلك أبدع الصناع في صناعة تلك التحف وزخرفتها، فقد كان يعاد صهر التحف القديمة وإعادة تشكيلها وهذا كان يقلل من اسعار تلك التحف القيمة[٣١].

يذكر البدليسي تأكيدا على انتشار هذه التحفة في العصر الصفوي في مؤلفه شرف نامه (أن شيباني الاوزبك أرسل إلى الشاه الصفوي كشكول وعكاز الدرويش، ورسالة نصها (خذ هذه الهدية فهي تذكرك بما كانت عليه أسرتك، أما أنا فقد ورثت السيف والملك عن جدي جنگيز خان المشهور، فإن لم تقنع بعكاز الدرويش فعليك إثم ما تفعل)[٣٢].

نستخلص من ذلك ان الكشكول لم يكن أداة وظيفية يستعملها الصوفي بقدر ما كانت لها رمزية خاصة في حياته, فلم يكن وعاء يدور به المتصوفة للتسول او لجمع المال كما ذهب البعض, خاصة وان من المتصوفة من كان من الأثرياء ورجالات دولة وقادة وحكام وشاهات وسلاطين وأغلبهم ممن كان اعف وازهد من ان يسأل المعونة او ان يقبل الهبة، لان الفقر عند الصوفي من علامات التصوف بعد الزهد، ويمر بثلاث مراحل ،المرحلة

الاولى ان يعتاد الفقر وعدم التألم بفقد المال، والمرحلة الثانية ان يقنع بالأموال القليلة التي لديه ولا يسعى الى زيادتها، والمرحلة الثالثة أن يذل الصوفي نفسه أمام عامة الناس، لذا نجدهم يلجؤون الى التسول والاستجداء، وان يرى شعور تحقير المال في فطرته وداخله [٣٣] وانهم يجمعون الاموال لأغراض محددة منها الانفاق على انفسهم، والاستعانة بها على عبادة كالحج او الجهاد، وما بقي في حوزتهم من الاموال كانت للتصدق والمروءة الى الآخرين المعدمين، والهبات الى عتبات الأئمة المقدسة [٣٤] فضلا عن ما ذكرناه بانه صُنع من مواد نفيسة مثل الفضة وذلك لا ينطبق مع مبدأ التقشف والبساطة اذ يمثل قارب او سفينة الصوفي في رحلة حياته ،ويظهر ذلك جليا من خلال نقش الآية الكريمة على أغلب الكشاكيل ﴿ أما ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَت لِمَسَٰكِينَ يَعمَلُونَ فِي ٱلبَحرِ فَأَرَدتُّ أَن أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِك يَأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصبا﴾ [٣٥] وعبارات الدعاء والتوسل وهي رمز للزهد في الحياة .

وصفوة القول أصبح الكشكول جزءاً لا يتجزأ من شخصية الصوفي (الدرويش)، وقد أستمر استعماله حتى عصرنا هذا، فلا يزال الكثير من الصوفية في إيران يحملون الكشاكيل، كما يحملون السبحة والعكاز كدلالة ورمز صوفي فقط .

الاستنتاجات

١-تميز الكشكول (وعاء الصدقات) بتفرده وشخصيته المميزة، اذ قام الحكام والسلاطين بإهدائه وقبوله كهدايا, كما انه نقلت مذاهب بعض الدول والحكام وانتماءاتهم الدينية من خلال المشاهد والنصوص والكتابات الدينية على تلك الكشاكيل.

٢- بينت الدراسة أنه على الرغم من اختلاف علماء الآثار والفنون الإسلامية على وظيفة الكشكول، إلا إنهم اتفقوا في نهاية المطاف على أنه مرتبط بالمتصوفة بشكل عام، ومتصوفة إيران بشكل خاص.

٣- أكدت الدراسة على ارتباط المتصوفة بالحكام في إيران ولاسيما خلال العصرين الصفوي والقاجاري، فقد أصبحت مشاهد المتصوفة والدراويش وتصوير مجالسهم من الموضوعات التي شكلت ملمحا مهما من ملامح التصوير الايراني.

٤- أظهرت الدراسة أن الكشكول (وعاء الصدقات) لم يكن أداة وظيفية للمتصوفة بقدر ما كان له من دلالة رمزيه فهو وسيلة الصوفي المتأمل العارف للإبحار في بحر الحياة طلباً للنجاة من أهوالها وأهوائها.

٥- أن الكشكول قد أشتق شكله في اول الأمر من شكل الغلاف الخارجي لثمرة جوز الهند، والذي أتخذه متصوفة إيران كوعاء للتسول، من ثم وجد المتصوفة أن هذا الشكل يتفق مع شكل السفينة او القارب البحري، لما له من رموز صوفية، فاتخذوه وصنعوا كشاكيلهم على نمط شكل القارب او السفينة للأبحار والوصول الى بر الأمان.

٦- أن الكشكول لم يحمله الصوفي للتسول او الاستجداء، كما يعتقد الكثيرون، بل كان تعبيرا عن أحد مقامات التصوف، ألا وهو الفقر واذلال النفس، ولذلك حمله المتصوفة جميعا فقراء وأثرياء.

٧- يحمل الكشكول دلالة رمزية اخرى من خلال شكله المستوحى من السفينة التي ربما تشير او ترمز الى سفينة النجاة عند المسلمين المتمثلة بأهل بيت النبوة(عليهم السلام) فهم سفن نجاة الامة كما جاء في الحديث المروي عن الرسول الكريم (صل الله عليه واله وسلم) (انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق) مما يشهد على ذلك وجود اسماء والقاب الائمة الاثني عشر(عليهم السلام) على أغلب الكشاكيل.

٨-يحمل الكشكول عن دلالة ترمز ربما الى سفينة النجاة المتمثلة بالأمام الحسين (عليه السلام) كما ورد عن جده رسول الله في الحديث الشريف الذي وجده مكتوب على يمين العرش في معراجه الى السماء(ان الحسين مصباح هدىَ وسفينة نجاة).

الاشكال



(شكل ١) كشكول خشبي محفوظ في متحف الكفيل للنفائس والمخطوطات (تصوير الباحث)



(شكل ٢) كشكول معدني من الفضة محفوظ في متحف الكفيل(تصوير الباحثة)



(شكل ٣) صورة فوتوغرافية تمثل اثنان من المتصوفة يحملون كشاكيل تعود الى القرن التاسع عشر https://www.thenelsoncollection.co.uk/artists/26-antoin-sevruguin/works/9777

.



(شكل ٤) صورة فوتوغرافية تمثل متصوف يحمل كشكول تعود الى القرن التاسع عشر الميلادي https://www.thenelsoncollection.co.uk/artists/26-antoin-sevruguin/works/9624



(شكل ٥) كشكول خشبي محفوظ في متحف الكفيل للنفائس والمخطوطات (تصوير الباحثة)



(شكل ٦) كشكول خشبي محفوظ في متحف الكفيل للنفائس والمخطوطات(تصوير الباحثة)

قائمة الهوامش:

[١]الْتَسَوّل في اللغة، جاء في لسان العرب في السؤال أي سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه، وقال عز وجل ﴿وَلاَ يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾،ابن منظور ،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد الانصاري الافريقي (ت٧٧ ١هـ): لسان العرب، تحقيق أبي القاسم محمد ،دار صادر، بيروت،٢٠٠٦،ج ١٣،ص ٣٣، وذكر في تاج العروس أن التسول من (التسويل: تفعيل من السول، وهو أمنية الإنسان يتمناها، فتزين لطالبها، وغيره من غرور الدنيا)، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الكويت، ١٩٨٦،مادة سؤل، وهو استدعاء معرفة، او ما يؤدي إلى المعرفة، او ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له، عبيد ، نهاد عبد الحليم: البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٧، مج ١٢،ع ٣ ١ ص٨٣، والتسول هو طلب الحاجة المادية مع تكرار والحاح، والاعتماد على الاخرين في تلبية الحاجات دون بذل جهد ،الزيات ،احمد ،واخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط ١،القاهرة ،٢٠٠٣م.

[٢]شير، السيد أدى: الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب البستاني، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٣٥.

[٣]وهم متبعي طرق التصوف، والتصوف : في اللغة يرجع لكلمة (صُوف) تحت مادة (ص و ف) ولها عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، اما في الاصطلاح: الصوفية، حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي تدعو للزهد وشدة العبادة، ومجاهدة النفس، ثم تطورت حتى صارت طرقاً، وقد تعددت دلالة كلمة الصوفي عند الصوفية، بانها موجهة نحو وصفه بأنه تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع ، ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ١٩٩؛ ج ١ ١ ص ١٠٣ مادة صوف؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ،(ت٨٧ ١هـ) القاموس المحيط ، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة ،الكويت ،٢٠٠٥ج٢،ص ١٦٩؛ يلق،عفاف مصباح، التصوف الاسلامي مفهومه، نشأته وتطوره، مصادره، مجلة كلية التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، ١٩٩٦،ع٤،ص٢٠٠، ١٩٠.

[٤]عبد الله، سهام عبد الله جاد ،التحف المعدنية الصفوية في ضوء التحف التطبيقية وصور المخطوطات، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م، المجلد الاول، ص ١٥.

(٥) مفردها درويش وهو الفقير المعدم، محتاج و خال اليد وترد ايضا دريوش، وهو لفظ فارس؛ الباشا، حسن، الفنون الاسلامية و الوظائف على الاثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص ٥١٤.

(٦)حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، (ت ١٠٦٧ هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ويليه إيضاح المكنون، مؤسسة التاريخ العربي – دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١م ، ص٧٠؛ الطهراني، أقا بزرك، الذريعة الى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، إيران, ١٩٨٣م، مج ١٩،ج ١، ص٣٠٣.

(٧) المراكبي، رامي محسن يوسف ، تصاوير المتصوفين والزهاد والنساك والدراويش ، منذ بداية العصر المغولي وحتى نهاية العصر الصفوي ،رسالة ماجستير غير منشورة ن كلية الاثار ،جامعة الفيوم مصر ، ٢٠١٠،ص ٢٥٠.

(8)Pope (A.U) : A survey of persian art ,oxford.1938. vol "3", p, 2515.

(٩)عيسى ، ميرفت محمود، الكشكول بين فريد الشكل ورمزية الزخارف ، المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ١٢٩.

(١٠)عيسى ، الكشكول ص١٢٤.

(١١) الامام الرضا : هو الامام ابو الحسن علي بن موسي ابن جعفر(الكاظم)، ولد في المدينة المنورة في(١١ ذي القعدة ١٤٨ هـ)استشهد في طوس هو ثامن الأئمة الاثنا عشر لقب بغريب الغرباء ، كونه دفن في بلاد فارس بعيد عن ارض ابائه العرب دفن في خرسان. . االيعقوبي (احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب ت٢٩٢هـ)،تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري ،النجف ١٣٥٨هـ،ج٣، ص١٨١؛ الحسيني (ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) ، الخلافة ، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة ، د. ت، ص ١٧.

(١٢)عرفت بمشهد الإمام من أقدس المدن، وهي أكبر مدن اقليم خراسان تقع في بالجانب الشرقي من نيسابور يفصلهما سلسلة الجبال، تتميز بكثرة وتعدد المزارات ومنها مقام الإمام علي بن موسى الرضا ومشهده، ولذلك سميت مشهد، وكانت تعرف بطوس ،للمزيد انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٩-٤٣٠.

(١٣)عيسى ، ميرفت محمود الكشكول ، ص ١٢٧-١٢٨؛ الصعيدي، رحاب إبراهيم أحمد ، التحف الإيرانية المزخرفة باللاكيه في ضوء مجموعة جديدة في متحف رضا عباسي بطهران دراسة فنية مقارنة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٦، ٢١٥.

(١٤)عيسى ، ميرفت ، الكشكول ، ص ١٢٦

(١٥) المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ،بيروت ،٢٠١٧،ج٢٣،ص ١٢٤.

(١٦) البحراني، السيد هاشم ،مدينة المعاجز او معاجز آل البيت ، مؤسسة الأعلمي ،٢٠١٣، ج٤،ص٥٢.

(١٧)عيسى ،الكشكول ، ص ١٢٨.

(١٨)) عيسى ، الكشكول ، ص ١٢٩.

(19)Hattestein (M) et Delius (P) : Arts et Civilisation de l,islam , Koneman, paris, 2000, p, 24

(٢٠)صبحي، أحمد محمود، التصوف إيجابيات وسلبياته، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢, ص٥-٧.

(٢١)عبيد ،الكتابات الأثرية على المعادن في العصرين التيموري، دار القاهرة للطباعة والنشر ، القاهرة، ٢٠٠٢م ص ١٢٦.

(٢٢)سورة الانسان ،اية (٩،٨)

(٢٣)خشب الساج الهندي هو خشب يتحمل درجات الحرارة والرطوبة لمراحل كبيرة ويمتاز هذا الخشب بوجود مادة دهنية او زيتية تجعله يعيش فترة طويلة دون التأثر بالجو او الحشرات وهو يميل إلى اللون البنى المائل للاحمرار وهو صلب جدا ويحتاج لمهارة فنية عالية من الصناع، أبو بكر، نعمات ،كتاب الفن العربي الإسلامي ، فنون ، فن النجارة والخشب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٩٧ م ، ج٣ ، ص ٣٢٠.

(٢٤)محمد، بدر عبد العزيز، نصوص البردة على العمائر العثمانية في مصر، رسالة ماجستير، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ،مصر، ٢٠٠٢ م ، ص ٥٠.

(٢٥)عيسى ، ميرفت محمود ،الكشكول ، ص ١٢٨-١٢٩.

(٢٦) درويش، هدى ،دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ط١، مصر، ٢٠٠٤م، ص١٢٠.

(٢٧)ماهر ، سعاد ، الفنون الإسلامية ، القاهرة ، القاهرة ،١٩٨٦،ص ١٤٣.

(٢٨)عبيد ، الكتابات الأثرية ، ص ١٤٢.

(٢٩) عبيد، الكتابات الأثرية ، ص ١٤٣.

(٣٠) عيسى ، الكشكول ،ص١٢٨.

(31)Hillenbrand (R) : Islamic art and architecture , London , 1999 , p, 254.

[٣٢]رد عليه الشاه إسماعيل (إذا كان الملك لا ينتقل إلا بالوراثة فكيف صار إذاً من البيشداديين، إلى الكيانيين ، وكيف صار كذلك إلى جنگيز خان، بل وكيف صار إليك أنت) البدليسي، شرف خان، شرف نامه ، ترجمة : محمد على عوني، د.م، دار إحياء الكتب العربية،١٩٦٢، ج٢،ص هـ.

[٣٣]عيسى ،الكشكول ،ص١٢٨.

[٣٤]عيسى ،الكشكول ،ص١٢٧-ص١٢٨.

[٣٥]سورة الكهف الآية (٧٩)

قائمة المصادروالمراجع

القران الكريم

١-ابن منظور, جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد الانصاري الافريقي (ت٧٧ ١هـ): لسان العرب، تحقيق أبي القاسم محمد ، دار صادر، بيروت،٢٠٠٦.

٢-أبو بكر، نعمات ،كتاب الفن العربي الإسلامي ، فنون ، فن النجارة والخشب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٩٧ م.

٣-الباشا، حسن، الفنون الاسلامية و الوظائف على الاثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤-البحراني، السيد هاشم ،مدينة المعاجز او معاجز آل البيت ، مؤسسة الأعلمي .

٥-البدليسي، شرف خان، شرف نامه ، ترجمة : محمد على عوني، د.م، دار إحياء الكتب العربية،١٩٦

٦-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، (ت ١٠٦٧ هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ويليه إيضاح المكنون، مؤسسة التاريخ العربي – دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١م.

٧-درويش، هدى ،دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ط١، مصر، ٢٠٠٤م.

٨-الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الكويت، ١٩٨٦.

٩-الزيات ،احمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط ١،القاهرة ،٢٠٠٣م

١٠-شير، السيد أدى: الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب البستاني، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٣٥.

١١-صبحي، أحمد محمود، التصوف إيجابيات وسلبياته، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.

١٢-الصعيدي، رحاب إبراهيم أحمد ، التحف الإيرانية المزخرفة باللاكيه في ضوء مجموعة جديدة في متحف رضا عباسي بطهران دراسة فنية مقارنة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م.

١٣-الطهراني، أقا بزرك، الذريعة الى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، إيران, ١٩٨٣م.

١٤-عبد الله، سهام عبد الله جاد ،التحف المعدنية الصفوية في ضوء التحف التطبيقية وصور المخطوطات، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

١٥-عبيد ، نهاد عبد الحليم: البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٧.

١٦-عبيد، شبل إبراهيم ،الكتابات الأثرية على المعادن في العصرين التيموري والصفوي، دار القاهرة للطباعة والنشر ، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٧-عيسى، ميرفت محمود، الكشكول بين فريد الشكل ورمزية الزخارف ، المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

١٨-الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ،(ت٨٧ ١هـ) القاموس المحيط ، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة ،الكويت ،٢٠٠٥.

١٩- ماهر، سعاد ، الفنون الإسلامية ،القاهرة ، ١٩٨٦.

٢٠-المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ،بيروت ،٢٠١٧.

٢١-محمد، بدر عبد العزيز، نصوص البردة على العمائر العثمانية في مصر، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ،مصر، ٢٠٠٢

٢٢-المراكبي، رامي محسن يوسف ، تصاوير المتصوفين والزهاد والنساك والدراويش ، منذ بداية العصر المغولي وحتى نهاية العصر الصفوي ،رسالة ماجستير غير منشورة ن كلية الاثار ،جامعة الفيوم مصر ، ٢٠١٠.

٢٣-اليعقوبي (احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب ت٢٩٢هـ)،تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري ،النجف ١٣٥٨هـ،ج٣، ص١٨١؛ الحسيني (ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) ، الخلافة ، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة ، د. ت

٢٤-يلق،عفاف مصباح، التصوف الاسلامي مفهومه، نشأته وتطوره، مصادره، مجلة كلية التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، ١٩٩٦.

المصادر الاجنبية :

1- Hillenbrand (R) : Islamic art and architecture , London , 1999 .

2- Pope (A.U) : A survey of persian art ,oxford.1938. vol "3"

3- Hattestein (M) et Delius (P) : Arts et Civilisation de l,islam , Koneman, paris , 2000.

المواقع الالكترونية :

1- https://www.thenelsoncollection.co.uk/artists/26-antoin-sevruguin/works/9624

2- https://www.thenelsoncollection.co.uk/artists/26-antoin-sevruguin/works/9777

دور الجند الاتراك في سياسة العباسيين الداخلية من(٢١٨ هـ- ٦٥٦هـ)

"The Role of the Turkish Soldiers in the Internal Politics of the Abbasid Caliphate from 218 AH to 656 AH"

أ.م.د. اميمة قاسم يحيى

Omaima Qasim Yahya

جامعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

الكلية المعلوماتية الطبية الحيوية

Dr.omaima.qasim@uoitc.edu.iq

دور الجند الاتراك في سياسة العباسيين الداخلية من (٢١٨ هـ- ٦٥٦ هـ)

أ.م.د. اميمة قاسم يحيى

المستخلص:

شهدت الدولة العباسية، منذ مطلع القرن الثالث الهجري، تحوّلًا كبيرًا في بنيتها العسكرية والسياسية، تمثّل في تصاعد دور الجند الأتراك ضمن مؤسسات الدولة، ولا سيما بعد تولّي الخليفة المعتصم بالله (٢١٨هـ – ٢٢٧هـ)، الذي كان أول من اعتمد على الأتراك بشكل منظّم وأسّس لهم معسكراتهم الخاصة، لا سيما في مدينة سامراء. وقد تطوّر هذا الدور تدريجيًا ليصبح الجند الأتراك فاعلين رئيسيين في صنع القرار السياسي، بل ومصدرًا مباشرًا للسلطة أحيانًا، مما أفضى إلى تحوّلات جذرية في النظام السياسي العباسي الداخلي.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الدور الذي لعبه الجند الأتراك في السياسة الداخلية للدولة العباسية خلال الفترة الممتدة من سنة ٢١٨هـ، وهي سنة بداية حكم المعتصم بالله، إلى سنة ٦٥٦هـ، وهي سنة سقوط بغداد على يد المغول، وهو الحدث الذي أنهى فعليًا الدولة العباسية في بغداد. وقد قُسّم البحث إلى عدة محاور، تناولت أولًا خلفيات استقدام العنصر التركي إلى الجيش العباسي، ثم تطور علاقتهم بالخلافة، وأثرهم في تقوية أو إضعاف الخلفاء، وكذلك دورهم في تعيين وعزل الخلفاء، كما تناول البحث التبعات الإدارية والعسكرية والسياسية المترتبة على تدخلهم في شؤون الدولة.

واعتمدت الدراسة على منهج التحليل التاريخي النقدي من خلال استقراء الروايات التاريخية الواردة في المصادر الأصلية مثل تاريخ الطبري، الكامل في التاريخ لابن الأثير، وغيرها من المصادر والمراجع الحديثة، كما سعت إلى تتبّع العلاقة المعقدة بين الجند الأتراك والخلفاء، وما نتج عنها من اضطرابات داخلية، وانقلابات سياسية، وصراعات طاحنة أثّرت في استقرار الدولة. وتوصل البحث إلى أن الجند الأتراك أسهموا إسهامًا مزدوجًا؛ فمن جهة كانوا قوة عسكرية منظمة وفعّالة ساهمت في ردع الخصوم وحماية الدولة في فترات ضعفها، ومن جهة أخرى أصبحوا، مع مرور الوقت، مركز قوة مستقلًا يتدخل في شؤون الحكم، مما

أدى إلى إضعاف سلطة الخليفة، وتكرار حوادث العزل والقتل في صفوف الخلفاء، وتدهور هيبة الخلافة، وصولًا إلى الانقسام السياسي وظهور الدويلات المستقلة.

الكلمات المفتاحية: الجند الأتراك، الدولة العباسية، سامراء، المعتصم بالله، السياسة الداخلية، الخلفاء العباسيون، الانقلابات العسكرية.

Abstract

Since the beginning of the third century AH, the Abbasid Caliphate witnessed a significant transformation in its military and political structure, marked by the rising influence of Turkish soldiers within the state's institutions. This shift became particularly evident during the reign of Caliph al-Mu'tasim bi'llah (218–227 AH), who was the first to systematically rely on Turkish military elements and established special military camps for them, most notably in the city of Samarra. Over time, the Turks evolved into key players in political decision-making and even became a direct source of power, which led to profound changes in the internal political system of the Abbasid state.

This study aims to explore the role played by Turkish soldiers in the internal politics of the Abbasid Caliphate during the period from 218 AH—the beginning of al-Mu'tasim's rule—until 656 AH, the year Baghdad fell to the Mongols, marking the actual end of the Abbasid Caliphate in Baghdad. The research is divided into several thematic sections, beginning with the historical background of the Turkish military presence, followed by the development of their relationship with the caliphate, their influence in strengthening or weakening caliphs, and their involvement in appointing or deposing them. The study also examines the administrative, military, and political consequences of their increasing interference in state affairs.

The research adopts a critical historical analytical approach by examining primary historical sources such as al-Tabari's History, Ibn al-Athir's Al-Kamil fi al-Tarikh, and other classical and modern references. It traces the complex dynamics between the Turkish soldiers and the caliphs, and how these dynamics led to internal unrest, political coups, and severe power struggles that undermined the state's stability.

The study concludes that the Turkish military played a dual role: on one hand, they were an organized and effective force that helped protect the state during periods of weakness; on the other hand, they gradually became an independent power center, interfering in governance, weakening the authority of the caliphs, and frequently engaging in palace coups, assassinations, and political manipulation. This, in turn, led to the gradual erosion of the caliphate's prestige and unity, and the emergence of semi-independent dynasties across the Islamic world.

Keywords: Turkish soldiers, Abbasid Caliphate, Samarra, al-Mu'tasim bi'llah, internal politics, Abbasid caliphs, military coups.

المقدمة

يُعد العصر العباسي من أهم الفترات في التاريخ الإسلامي، نظرًا لما شهده من تحولات سياسية وعسكرية واجتماعية عميقة، أسهمت في تشكيل ملامح الدولة الإسلامية في العصور الوسطى. ومن أبرز ملامح هذه الفترة، بروز الجند الأتراك كقوة عسكرية ذات تأثير مباشر في السياسة الداخلية للدولة، ابتداءً من عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨هـ)، الذي يُعد نقطة التحول الكبرى في مسار العلاقة بين المؤسسة العسكرية والسلطة السياسية في الدولة العباسية.

لقد جاء اعتماد الخلفاء العباسيين على الجند الأتراك استجابة لحاجة ملحّة إلى جيش محترف وموالٍ، بعد أن بدأت القبائل العربية تفقد فعاليتها العسكرية، وتكررت حالات التمرد والانقسام. غير أن هذا الخيار، الذي بدا في بدايته ضرورة استراتيجية، تطور لاحقًا إلى ظاهرة سياسية معقدة، تجاوز فيها الجند الأتراك أدوارهم العسكرية التقليدية، ليصبحوا أحد أبرز الفاعلين في الحياة السياسية، وأحيانًا صانعي القرار الحقيقيين داخل الدولة، وهو ما كان له أثر بالغ في تراجع هيبة الخلافة، وتدهور وحدة الدولة العباسية.

تسعى هذه الدراسة إلى تتبّع نشأة الدور التركي العسكري داخل المؤسسة العباسية، ورصد تطوره من مجرد أداة في يد الخليفة إلى سلطة نافذة بيدها القدرة على تعيين وعزل الخلفاء، بل وقتلهم أحيانًا. كما تهدف إلى تحليل آثار هذا التدخل العسكري في السياسة الداخلية، وانعكاساته على الاستقرار السياسي، وعلى طبيعة الحكم العباسي، وصولًا إلى

اللحظة المفصلية في عام ٦٥٦هـ، حين سقطت بغداد، وانتهى فعليًا عصر الخلافة العباسية في مركزها التاريخي.

تعتمد هذه الدراسة على قراءة تحليلية ونقدية لمصادر تاريخية معاصرة للأحداث، إلى جانب الاستفادة من الدراسات الحديثة في هذا المجال، بغرض تقديم رؤية شاملة ومتوازنة لطبيعة الدور الذي لعبه الجند الأتراك في مسار السياسة الداخلية العباسية، مع مراعاة السياق التاريخي، والبعد الاجتماعي والاقتصادي لهذا التحوّل.

أولاً: أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يتناول موضوعًا حيويًا من موضوعات التاريخ الإسلامي الوسيط، يتمثل في دراسة التحول الكبير في طبيعة السلطة داخل الدولة العباسية من خلال تدخل الجند الأتراك في شؤون الحكم. فهذا الدور لم يقتصر على الجانب العسكري، بل تجاوز ذلك إلى التأثير المباشر في صنع القرار السياسي، الأمر الذي أسهم في تغيير معالم نظام الخلافة العباسي، وأثر على مسار الدولة الإسلامية برمّتها.

كما أن فهم أبعاد هذا التدخل يُسهم في توضيح أسباب الاضطرابات الداخلية، وتفكك وحدة الدولة، ويمكّن الباحثين من إدراك الآثار البعيدة المدى لاعتماد الخلفاء على عناصر عسكرية غير عربية، لها ولاءاتها ومصالحها الخاصة، مما يجعل هذه الدراسة مرجعًا مفيدًا لكل من يدرس تاريخ الدولة العباسية، أو تاريخ النظم السياسية في الإسلام.

ثانيًا: أهداف البحث : يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:

١. تحليل الظروف التي دفعت الخلفاء العباسيين إلى الاستعانة بالجند الأتراك.
٢. رصد تطور دور الجند الأتراك من مجرد قوة عسكرية إلى قوة سياسية مستقلة التأثير.
٣. تسليط الضوء على أبرز مظاهر تدخل الأتراك في السياسة الداخلية للدولة العباسية (تعيين وعزل الخلفاء، التدخل في شؤون الإدارة، إلخ).
٤. تقييم أثر هذا التدخل في استقرار الدولة العباسية، وتبيان العلاقة بين نفوذ الأتراك وتراجع سلطة الخلافة.
٥. دراسة الانعكاسات السياسية والاجتماعية لهذا الدور على المدى الطويل حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

ثالثًا: مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث الرئيسية في التساؤل التالي:

"كيف أسهم تدخل الجند الأتراك في السياسة الداخلية للدولة العباسية في إضعاف السلطة المركزية، وما هي نتائج هذا التدخل على وحدة واستقرار الدولة؟"

ويتفرّع من هذا السؤال الرئيسي عدد من التساؤلات الفرعية، منها:

١. ما الأسباب التي دفعت بالخلفاء إلى إدخال العنصر التركي في الجيش؟
٢. كيف تطورت العلاقة بين الخلفاء والجند الأتراك عبر العقود؟
٣. ما أبرز صور نفوذهم وتأثيرهم على الحكم؟
٤. هل كان لهذا الدور جانب إيجابي أم سلبي في مسار الدولة؟

رابعًا: سبب اختيار الموضوع

يعود سبب اختيار هذا الموضوع إلى عدة دوافع علمية وشخصية، من أبرزها:

١. قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت الدور السياسي للجند الأتراك في الدولة العباسية بشكل تحليلي عميق، حيث غالبًا ما يُذكر دورهم ضمنيًا في سياق السرد التاريخي العام.
٢. أهمية هذه الفترة في تحديد ملامح الدولة العباسية، خصوصًا في القرون الثلاثة التي سبقت سقوط بغداد.
٣. الرغبة في فهم آليات انتقال السلطة داخل الدولة الإسلامية، وعلاقة ذلك بالعناصر العسكرية الأجنبية.
٤. الإسهام في سد فجوة معرفية، وإثراء المكتبة التاريخية بدراسة تركز على التفاعل بين المؤسسة العسكرية والسياسية في الإسلام الوسيط.

خامسًا: منهجية البحث

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على تتبّع الأحداث وتحليلها وربطها بسياقاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع قراءة نقدية للمصادر والروايات.

سادسا: الدراسات السابقة

١-العصر العباسي الثاني بين سلطة النفوذ التركي و الزحف الزنجي (٢٣٢هـ/ ٣٣٤هـ) (٨٤٧م-٩٤٦م)، محمد عيساوي.

هذه الدراسة تجمع بين تحليل السلطة التركية وتدخلاتها، وبين الأحداث الكبرى التي واجهتها الدولة العباسية مثل ثورة الزنج. تبحث كيف أن النفوذ التركي كان جزءًا من تراكمات أدّت إلى اضطرابات، وتعرّضت الخلافة فيها لأزمات داخلية متكرّرة. كما تفصّل كيف تعامل الخلفاء مع هذا النفوذ، وما الإجراءات التي لجأوا إليها، سواء بالقوة أو بالمساومات .

٢-٢٣٢-٢٥٦ / ٨٤٧-٨٧٠ A Political Study The Caliphate and the : Turks,

هذه الدراسة تناقش الفترة التي تبدأ من عهد المعتز (حوالي ٢٣٢ هـ) حتى نحو ٢٥٦ هـ، وتركّز على كيف بدأ استخدام الأتراك في الجيش والحرس الخاص للخلفاء، وكيف تطورت علاقتهم بالسلطة المركزية. تشير إلى أن الخليفة المعتصم زاد من اعتماد الدولة عليهم بسبب حاجاته العسكرية والسياسية، وأنهم بعد ذلك أصبح لهم أثر واضح في صنع القرار والتحكم في مؤسسات الدولة. الدراسة أيضاً تستعرض مظاهر النزاع والتوتر الناتجة عن هذا التداخل بين العسكري والسياسي.

٣- The Political and Military Influence of the Turks in the Second Abbasid Era (232–334 AH / 848–946 AD)

تركز هذه الدراسة على العصر العباسي الثاني (من ٢٣٢ إلى ٣٣٤ هـ) وتبحث كيف نما النفوذ التركي سياسيًا وعسكريًا خلال هذه الحقبة. تتناول كيف أضحى الأتراك يشغلون مناصب هامة، وكيف أثر ذلك على توازن القوى داخل الدولة، على الخلفاء وعلى الوزراء، وما الحقبات التي شهدت التمردات أو الاحتجاجات ضد النفوذ التركي. كذلك تستعرض الأثر الاجتماعي والاقتصادي لهذا النفوذ.

المبحث الأول

نشأة الجند الأتراك وتطور دورهم في الدولة العباسية

شهدت الدولة العباسية منذ تأسيسها تطورات سياسية وعسكرية واجتماعية متلاحقة، كان لها أثر كبير في تشكيل معالم الحكم الإسلامي في العصور الوسطى. ومن بين أبرز هذه التطورات، يبرز الدور الذي لعبه الجند الأتراك، خاصة بعد منتصف القرن الثالث الهجري، كعنصر فاعل في الحياة السياسية والعسكرية للدولة العباسية. فمنذ عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨هـ/٨٣٣م)، بدأ الاعتماد على العنصر التركي في تكوين الجيش العباسي، نظرًا لكفاءتهم القتالية وولائهم للسلطة المركزية. ومع مرور الوقت، لم يقتصر وجود الأتراك على الجانب العسكري فقط، بل امتد نفوذهم إلى السياسة الداخلية، حتى أصبحوا القوة الحقيقية وراء عرش الخلافة.

وقد أدى هذا التغلغل إلى تغيّر موازين السلطة داخل الدولة، مما انعكس بشكل مباشر على استقرار الحكم، وشرعية الخلافة، ووحدة الدولة الإسلامية. كما ساهم في نشوء سلسلة من الأحداث مثل الانقلابات السياسية، والفتن العسكرية، وانفصال الأقاليم، وتدهور الوضع الاقتصادي والإداري، حتى انتهى المطاف بسقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهو الحدث الذي مثّل نهاية فعلية للعصر العباسي الأول.

وشكّل إدخال العنصر التركي إلى الجيش العباسي تحولًا مهمًا في بنية الدولة العسكرية والسياسية، خاصة خلال العصر العباسي الأوسط، بدءًا من عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨هـ). فقد شهدت هذه المرحلة بداية ظهور الجند الأتراك كقوة منظمة ومؤثرة، لم تقتصر على المهام العسكرية، بل امتد تأثيرها تدريجيًا إلى النواحي السياسية والإدارية، حتى أصبح لهم دور محوري في توجيه سياسات الدولة الداخلية.

جاء اعتماد الدولة العباسية على الأتراك في سياق ظروف سياسية معقدة تمثلت في تزايد الفتن الداخلية، وتراجع الولاء بين القبائل العربية والفارسية، فضلًا عن الحاجة إلى جيش محترف موالٍ للخليفة دون ارتباطات قبلية أو مذهبية. وقد ترتب على هذا التغيير بروز ظاهرة جديدة في إدارة الدولة الإسلامية، وهي تدخل العسكريين في صناعة القرار

السياسي، مما مهّد لتحول العلاقة بين الخليفة وجنده من علاقة ولاء إلى علاقة نفوذ وهيمنة.(١)

يتناول هذا المبحث جذور ظهور الأتراك في المؤسسة العباسية، والأسباب التي دفعت الخلفاء، وخاصة المعتصم بالله، إلى الاعتماد عليهم، مع تسليط الضوء على الكيفية التي تم بها تنظيمهم داخل الجيش، والمكانة التي وصلوا إليها إداريًا وسياسيًا في السنوات اللاحقة.

المطلب الأول: أسباب إدخال العنصر التركي في الجيش العباسي

شهدت الدولة العباسية خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) تحولات جوهرية في بنيتها العسكرية، من أبرزها إدخال العنصر التركي ضمن تشكيلات الجيش، وذلك استجابةً لجملة من التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت الدولة في تلك المرحلة. وقد مثّل هذا القرار لحظة مفصلية في تاريخ الدولة العباسية، لما ترتب عليه من آثار عميقة على طبيعة الحكم والسلطة. ويمكن إجمال الأسباب الرئيسة التي دفعت إلى الاستعانة بالأتراك في النقاط التالية:

أولًا: حاجة الدولة لقوة عسكرية موالية ومحترفة

مع اتساع رقعة الدولة العباسية، وتعدد التحديات الداخلية والخارجية، بات من الضروري وجود جيش يتمتع بقدر عالٍ من الانضباط والاحتراف، ويأتمر بأوامر الخليفة بشكل مباشر، دون أن تحكمه الانتماءات القبلية أو العصبيات المحلية. وقد واجه الخلفاء السابقون للمعتصم بالله مشكلات حقيقية في السيطرة على الجيوش التي يغلب عليها الطابع العربي أو الفارسي، حيث كانت هذه الجيوش تخضع في كثير من الأحيان لقادتها أكثر من خضوعها للسلطة المركزية.(٢)

ورأى المعتصم أن الأتراك، الذين لا ينتمون إلى المجتمع العربي أو الفارسي التقليدي، يمثلون قوة "مستوردة" يمكن إخضاعها بسهولة لسلطة الخليفة، خاصة أنهم كانوا يُجلبون في الغالب وهم صغار كجنود عبيد (غلمان)، ثم يُدرّبون على الولاء الشخصي للخليفة ويُربّون في كنف البلاط العباسي.(٣)

كما تميز الأتراك بمهارات قتالية فائقة في الفروسية والرماية والانضباط العسكري، وهو ما جعلهم خيارًا مناسبًا لتحديث الجيش العباسي وتدعيمه بقوة ضاربة يمكن الاعتماد عليها في التصدي للتمردات الداخلية والدفاع عن حدود الدولة.

ثانيًا: خلفية الخليفة المعتصم بالله ودوره في تعزيز مكانة الأتراك

كان للخليفة المعتصم بالله دور محوري في إدخال الأتراك إلى الجيش العباسي وتعزيز مكانتهم داخله. ويُعزى ذلك إلى عدة عوامل شخصية وسياسية. فقد كانت والدة المعتصم جارية تركية الأصل، وقد تأثر منذ صغره بالعناصر التركية التي كانت تحيط به في القصر، مما ولّد لديه ميلاً فطريًا وثقة خاصة بهم.(٤)

وبعد تولّيه الخلافة عام ٢١٨هـ، شرع المعتصم في تنظيم الجيش على أسس جديدة، مستعينًا بعدد كبير من الجنود الأتراك، حتى أصبحوا العمود الفقري للقوة العسكرية العباسية. كما قام بإنشاء مدينة سامراء لتكون مقرًا خاصًا لهم، بهدف إبعادهم عن عامة الناس في بغداد، بعد أن تكررت شكاوى الأهالي من تصرفاتهم، ولضمان ولائهم الكامل من خلال عزلهم عن أي تأثيرات اجتماعية أو سياسية أخرى. ويُعدّ هذا القرار بداية التغيير العميق في العلاقة بين السلطة السياسية والعسكرية في الدولة، إذ تحول الأتراك من مجرد أدوات عسكرية إلى عناصر قريبة من مركز القرار، لها امتيازات ومكانة خاصة داخل الدولة.(٥)

ثالثًا: تأثير ضعف العناصر العربية والفارسية في الجيش

بحلول القرن الثالث الهجري، بدأت القبائل العربية تفقد دورها العسكري الفاعل، نتيجة للانغماس في الحياة الحضرية، والانقسامات القبلية، وفقدان الحافز الديني أو السياسي الذي كان يحركها في صدر الإسلام. كما أن العناصر الفارسية، التي كانت تشكل جزءًا مهمًا من الجهاز الإداري والعسكري للدولة في بداية العصر العباسي، بدأت هي الأخرى تنحو نحو التركيز على المناصب الإدارية والبروتوكولية أكثر من مشاركتها العسكرية الفعلية.(٦)

أدى هذا الفراغ إلى ضرورة البحث عن قوة جديدة أكثر انضباطًا واحترافًا. وكان الأتراك، القادمون من مناطق ما وراء النهرين (التركستان، وسغد، وفرغانة وغيرها)، يمثلون هذا البديل العسكري الجديد، لا سيما وأنهم كانوا معتادين على الحروب والغزوات ضمن بيئتهم الأصلية، مما جعلهم مؤهلين لخدمة الأغراض القتالية التي تحتاجها الدولة.(٧)

إن إدخال العنصر التركي في الجيش لم يكن مجرد خيار عسكري، بل كان ضرورة استراتيجية فرضتها ظروف داخلية وخارجية، وقام الخليفة المعتصم باستثمارها بطريقة منهجية، أسفرت عن صعود الجند الأتراك كقوة حقيقية في الدولة العباسية، وهو ما سيمهد لاحقًا لتوسع نفوذهم السياسي وتدخلهم المباشر في شؤون الخلافة.

المطلب الثاني: تنظيم الجند الأتراك وتكوينهم العسكري والإداري

مع بداية إدماج العنصر التركي في الجيش العباسي، خصوصًا في عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨هـ–٢٢٧هـ)، لم يكن الأمر مجرد استقدام عناصر قتالية جديدة، بل شهد تطورًا واضحًا في التنظيم العسكري والإداري لهؤلاء الجنود، بما جعلهم جزءًا أساسيًا في بنيان الدولة. وقد تميّز هذا التنظيم بثلاثة ملامح رئيسية: تشكيل وحدات عسكرية تركية خاصة، تأسيس مدينة سامراء كمقر دائم لهم، ثم حصولهم على امتيازات سياسية وإدارية مكّنتهم من توسيع نفوذهم حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

أولًا: تشكيل وحدات عسكرية تركية خاصة

منذ عهد المعتصم بدأ الخليفة العباسي بتكوين نواة عسكرية من الأتراك أُطلق عليها أحيانًا الحرس التركي أو الجيش الخاص. كان هؤلاء الجنود يُجلبون غالبًا من مناطق آسيا الوسطى (فرغانة، بخارى، سمرقند، وغيرها)، في سن مبكرة، ويُربّون في بيئة البلاط العباسي ليكون ولاؤهم مطلقًا للخليفة.[٨]

وقد تم تنظيمهم في وحدات عسكرية مستقلة، تختلف عن باقي الفرق العباسية من حيث التكوين والانضباط والارتباط المباشر بالخليفة. وتولّى قيادتهم أمراء أتراك صعدوا سريعًا في هرم السلطة مثل: أشناس، وإيتاخ، وبغا الكبير. وكان هؤلاء القادة لا يخضعون في الغالب لوزارات الدولة، بل يأتمرون بأمر الخليفة مباشرة، مما زاد من نفوذهم، خاصة في فترات ضعف الخلفاء.مع مرور الوقت توسعت هذه الوحدات لتشكل ما يُشبه "جيشًا داخل الجيش"، له تنظيمه الخاص وقيادته وهيكل إداري خاص به، وسرعان ما أصبح القوة الضاربة التي تعتمد عليها الدولة في حروبها الداخلية والخارجية.[٩]

ثانيًا: إنشاء مدينة سامراء كمقر للجيش التركي

بسبب تزايد نفوذ الأتراك وشكاوى أهل بغداد من سلوكهم العنيف، قرر المعتصم بالله سنة ٢٢١هـ إنشاء مدينة جديدة شمال بغداد، هي مدينة سامراء، لتكون مقرًا دائمًا للجيش التركي وسكنًا لهم بعيدًا عن الاحتكاك بسكان العاصمة، ولم يكن اختيار سامراء مجرد حل أمني، بل كان مشروعًا سياسيًا وعسكريًا متكاملًا. فقد خُطّت المدينة بطريقة تخدم احتياجات الجيش، من ثكنات ومرافق وتوزيع جغرافي يضمن السيطرة، كما جُعل فيها مقر الخلافة ذاته، مما زاد من قرب الأتراك من السلطة المركزية، وجعلهم في قلب القرار السياسي. دامت إقامة الخلافة في سامراء قرابة نصف قرن (حتى نحو ٢٧٦هـ)، وامتد تأثير هذا التمركز إلى جعل المدينة مسرحًا لصراعات الخلفاء والجنود الأتراك، حيث برز مصطلح "عصر سيطرة الأتراك" على هذه الفترة، إذ سيطروا على مجريات الحكم، وأصبحوا هم من يفرضون أو يعزلون الخلفاء(١٠).

ثالثًا: الامتيازات التي حصلوا عليها وموقعهم داخل الدولة

لم يكن الجند الأتراك مجرد أداة عسكرية بيد الخلفاء، بل أصبحوا أصحاب امتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية داخل الدولة العباسية. وقد تجلّت هذه الامتيازات في عدد من المظاهر:(١١)

١. الترقي في المناصب العليا: تولّى عدد من القادة الأتراك مناصب كبيرة مثل قيادة الجيش، والحجابة، وأحيانًا الوزارة الفعلية. بل أصبح بعضهم حكامًا فعليين لمناطق واسعة، كما في حالة بغا وأيتاخ وأشناس.
٢. التحكم في تعيين وعزل الخلفاء: بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ على يد الجند الأتراك، دخلت الخلافة مرحلة "عصر سيطرة القواد الأتراك"، حيث أصبح الخليفة لا يُختار إلا بموافقتهم، وأحيانًا يُعزل أو يُقتل بقرار منهم.
٣. المخصصات المالية والعطايا: خُصصت لهم أراضٍ وإقطاعات، وسُمح لهم بجمع الأموال والضرائب من بعض المناطق، مما زاد من نفوذهم الاقتصادي، وفتح لهم باب الثراء الفاحش، الذي وظّفوه في تعزيز قوتهم.

٤. الاستقلال العسكري والإداري: لم يكونوا يخضعون لسلطة وزراء الدولة أو القضاة، بل كانوا يتصرفون باستقلالية تامة، وهذا ما أضعف سيطرة الخلافة المركزية، وأدى إلى ظهور "الدولة داخل الدولة."

استمر هذا النفوذ في التصاعد على الرغم من محاولات بعض الخلفاء كالمتوكل والمعتز للحد من سلطتهم، إلا أن ضعف المؤسسة السياسية وتراجع هيبة الخلافة فتح المجال أمام الجند الأتراك للتمدد، حتى أصبحوا أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في اضطراب الدولة وانقسامها، وتهيئة الطريق لسقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ.ولقد شكّل تنظيم الجند الأتراك، وتمركزهم في مدينة خاصة بهم، ومنحهم امتيازات إدارية وسياسية غير مسبوقة، نقطة تحوّل في بنية الدولة العباسية. فقد تحولوا من مجرد قوة عسكرية أجنبية إلى سلطة قائمة بذاتها، لها دور مباشر في تحديد مصير الخلافة، وهو ما ألقى بظلاله الثقيلة على استقرار الدولة ووحدتها، وصولًا إلى لحظة السقوط التاريخي في منتصف القرن السابع الهجري.(١٢)

المبحث الثاني

الجند الأتراك ونشأتهم وتحولهم إلى فاعل سياسي داخل الدولة العباسية

ارتبط ظهور الجند الأتراك في الدولة العباسية بتحولات عميقة شهدتها بنية الحكم منذ أواخر القرن الثاني الهجري، حيث بدأت الخلافة تفقد تدريجيًا قدرتها على ضبط التوازنات الاجتماعية والسياسية التي قامت عليها في مرحلتها الأولى. فبعد أن استندت الدولة في نشأتها إلى تحالف واضح بين الدعوة العباسية والعناصر العربية والفارسية، أخذ هذا التحالف يتآكل تحت وطأة الصراعات الداخلية، وتنافس مراكز النفوذ، وتضخم الجهاز الإداري والعسكري. في هذا السياق، برزت الحاجة إلى قوة عسكرية جديدة لا تنتمي إلى البنى الاجتماعية القائمة، ولا ترتبط بعصبيات محلية يمكن أن تنازع الخليفة سلطته. كان استقدام الأتراك في بدايته إجراءً ذا طابع أمني وعسكري بحت، هدفه تعزيز قدرة الدولة على مواجهة التمردات الداخلية والتهديدات الخارجية. غير أن هذا الخيار، الذي بدا في ظاهره حلًا عمليًا، انطوى في جوهره على إشكالية بنيوية عميقة، تمثلت في إدخال عنصر مسلح منظم يمتلك

قوة مستقلة داخل بنية السلطة، دون أن يُضبط ضمن إطار مؤسسي واضح يحد من تمدده السياسي. (١٣)

تشير المصادر العربية، ولا سيما روايات الطبري والمسعودي، إلى أن الخليفة المعتصم بالله كان أول من اعتمد سياسة منظمة في استقدام الجند الأتراك، إذ رأى فيهم عنصرًا عسكريًا يتميز بالطاعة والقدرة القتالية العالية. غير أن هذه الطاعة لم تكن نابعة من ولاء سياسي واعٍ للدولة، بقدر ما كانت مرتبطة بعلاقة مصلحة مباشرة بين الجندي وقائده، ثم بين القائد والخليفة. ومع مرور الزمن، تحولت هذه العلاقة من ولاء شخصي إلى نفوذ مؤسسي غير معلن. (١٤)

أدّى تركز الجند الأتراك في العاصمة الجديدة سامراء إلى خلق واقع سياسي جديد، إذ لم تعد بغداد مركز القرار الفعلي، بل أصبحت المدينة العسكرية هي المجال الحقيقي لصناعة السلطة. وقد أسهم هذا التحول المكاني في عزل الخليفة عن قاعدته الاجتماعية التقليدية، وربطه أكثر فأكثر بالقادة العسكريين الذين باتوا يتحكمون في حركته واتصالاته وقراراته. وهنا بدأ النفوذ العسكري يتحول إلى وصاية سياسية غير مصرح بها.تُظهر الروايات التاريخية أن القادة الأتراك لم يلبثوا أن تجاوزوا حدود الوظيفة العسكرية، فتدخلوا في شؤون التعيين والعزل داخل البلاط، وفرضوا مرشحين للخلافة، بل وشاركوا أحيانًا في إقصاء خلفاء بالقوة. هذا التحول لم يكن نتاج طموح فردي فحسب، بل نتيجة منطقية لغياب الضوابط المؤسسية التي تنظم العلاقة بين السلطة العسكرية والسلطة السياسية، وهو ما جعل السيف يتقدم على القلم، والقوة على الشرعية. (١٥)

ومع تعاظم دور الجند الأتراك، أخذت الخلافة العباسية تفقد تدريجيًا قدرتها على ممارسة الحكم المباشر، لتتحول إلى رمز ديني يمنح الشرعية لمن يملك القوة الفعلية. وقد وصف المسعودي هذا الوضع بدقة عندما أشار إلى أن «أمراء الجند صاروا يملكون الأمر دون اسم الخلافة، والخلفاء يملكون الاسم دون الأمر»، وهو توصيف يعكس جوهر التحول السياسي الذي أحدثه النفوذ التركي. إن خطورة هذا التحول لا تكمن فقط في هيمنة الجند على القرار، بل في إعادة تعريف مفهوم السلطة نفسه داخل الدولة العباسية، حيث لم تعد الشرعية الدينية

والسياسية كافية لممارسة الحكم ما لم تُدعَم بالقوة العسكرية. وهكذا، دخلت الدولة مرحلة جديدة أصبح فيها ميزان القوة هو المحدد الأساسي لمسار السياسة الداخلية. (١٦)

المطلب الأول: تدخل الجند الأتراك في تعيين وعزل الخلفاء

لم يكن تمدد نفوذ الجند الأتراك داخل الدولة العباسية حدثًا فجائيًا، بل جاء نتيجة تفاعل معقد بين ضعف البنية السياسية المركزية وتنامي القوة العسكرية المستقلة. فالدولة التي اعتمدت في بداياتها على مبدأ الفصل النسبي بين الوظائف السياسية والعسكرية، أخذت مع مرور الزمن تخلط بين المجالين، الأمر الذي أتاح للعسكر، وفي مقدمتهم الجند الأتراك، التغلغل في دوائر القرار. وقد ساعد على ذلك غياب رؤية مؤسسية واضحة لدى الخلفاء المتأخرين حول كيفية ضبط القوة المسلحة ومنع تحولها إلى أداة ضغط سياسي. (١٧)

لقد أدت الطبيعة الخاصة لتكوين الجند الأتراك إلى ترسيخ هذا المسار. فهؤلاء الجند، الذين جُلبوا صغارًا ودُرّبوا في بيئة عسكرية مغلقة، لم تتكوّن لديهم رابطة انتماء للدولة بوصفها كيانًا سياسيًا جامعًا، وإنما تشكّل ولاؤهم ضمن شبكة علاقات شخصية قائمة على القائد العسكري، لا على مؤسسة الخلافة. وهذا النمط من الولاء، الذي كان يُنظر إليه في البداية بوصفه ضمانًا لطاعة الجنود، انقلب لاحقًا إلى مصدر قوة للقادة الأتراك الذين أصبحوا يمتلكون جيوشًا تدين لهم بالولاء المباشر. (١٨)

تُبرز المصادر التاريخية العربية، ولا سيما روايات الطبري وابن الأثير، أن القادة الأتراك استثمروا هذا الولاء في فرض حضورهم داخل البلاط العباسي. فقد باتوا يتدخلون في تعيين الوزراء، ويؤثرون في السياسات المالية، ويضغطون على الخليفة لاتخاذ قرارات تخدم مصالحهم. ومع مرور الوقت، تحوّل هذا التدخل من حالة استثنائية إلى نمط حكم فعلي، أصبحت فيه السلطة السياسية أسيرة للميزان العسكري. (١٩)

ويُعدّ انتقال الخلافة إلى سامراء لحظة كاشفة عن عمق هذا التحول. فقد أُنشئت المدينة أساسًا لتكون فضاءً خاصًا للجند الأتراك، بعيدًا عن التوترات الاجتماعية في بغداد، إلا أن هذا العزل المكاني أسهم في تعزيز استقلالهم السياسي. فسامراء لم تكن مجرد ثكنة عسكرية، بل تحولت إلى عاصمة فعلية تُدار منها شؤون الدولة، بينما جرى تهميش النخب المدنية

والعلمية التي كانت تمثل عنصر توازن في النظام العباسي. وهكذا، فقدت الخلافة إحدى أدواتها الأساسية في ضبط السلطة، وهي التفاعل مع المجتمع وقواه الفكرية.

إن أخطر ما في هذا التحول يتمثل في أن الجند الأتراك لم يسعوا إلى إسقاط الخلافة أو إلغائها، بل إلى السيطرة عليها من الداخل. فقد أدركوا أن بقاء الخليفة يمنحهم غطاءً شرعيًا لا غنى عنه، ولذلك حرصوا على الإبقاء على المؤسسة العباسية بوصفها رمزًا دينيًا، مع تجريدها من سلطتها الفعلية. وهذا ما يفسر كثرة حوادث عزل الخلفاء وتوليتهم في القرن الثالث الهجري، حيث أصبح الخليفة يُختار بناءً على مدى قابليته للخضوع لإرادة القادة العسكريين.وقد انعكس هذا الواقع على طبيعة السياسة الداخلية للدولة، إذ غابت الرؤية الاستراتيجية بعيدة المدى، وحل محلها منطق إدارة الأزمات اللحظية. فكل قرار سياسي كان يُقاس بمدى رضى الجند، لا بمدى انسجامه مع مصلحة الدولة. وقد أدى ذلك إلى تفكك تدريجي في جهاز الحكم، وتراجع هيبة السلطة المركزية، وانتشار الفساد الإداري نتيجة غياب الرقابة الفعلية.كما أسهم نفوذ الجند الأتراك في إضعاف مؤسسة الوزارة، التي كانت تمثل تقليديًا العمود الفقري للإدارة العباسية. فمع تدخل القادة العسكريين في شؤون التعيين والعزل، فقد الوزير استقلاله، وأصبح مجرد وسيط بين الخليفة والعسكر، لا صانع سياسة. وقد أشار المسعودي إلى أن الوزراء في هذه المرحلة كانوا «يتقلبون مع تقلب أهواء الجند»، وهو تعبير يكشف عن مدى هشاشة الموقع الوزاري أمام سطوة القوة المسلحة. (٢٠)

ولا يمكن إغفال الأثر النفسي والسياسي الذي خلّفه هذا الوضع على الخلفاء أنفسهم. فقد عاش عدد منهم في حالة دائمة من الخوف والترقب، وهو ما انعكس على قراراتهم وسلوكهم السياسي. هذا المناخ المشحون جعل الخلافة عاجزة عن لعب دورها القيادي، وأفقدها القدرة على المبادرة، فباتت تكتفي بردود أفعال محدودة لا تتجاوز الإطار الذي يسمح به الجند الأتراك. (٢١)

إن تحليل هذه المرحلة يكشف أن التأثير السياسي للجند الأتراك لم يكن مجرد انحراف مؤقت في مسار الدولة العباسية، بل كان تحوّلًا بنيويًا أعاد تعريف العلاقة بين القوة والشرعية. فقد انتقلت الدولة من نموذج يقوم على مركزية الخلافة وتوازن المؤسسات، إلى نموذج تهيمن فيه القوة العسكرية على القرار، مع الاحتفاظ بالرمز الديني للخلافة كواجهة شرعية. وهذا التحول

سيترك آثارًا بعيدة المدى، ليس فقط على السياسة الداخلية، بل على مستقبل الدولة العباسية ككل. (٢٢)

لقد أسهمت طبيعة الحكم العباسي في هذه المرحلة في تعميق هذا الاختلال. فالصراعات المتكررة داخل البيت العباسي، وتعدد مراكز القرار، وغياب نظام واضح لانتقال السلطة، كلها عوامل جعلت الخليفة يعتمد بشكل متزايد على دعم الجند الأتراك لضمان بقائه في الحكم. ومع كل مرة يُستدعى فيها العسكر لحسم نزاع سياسي، كانت الخلافة تتنازل عن جزء جديد من سلطتها الفعلية، حتى أصبح هذا التنازل قاعدة لا استثناء.

وتكشف الروايات التاريخية أن القادة الأتراك لم يكتفوا بالتأثير غير المباشر، بل مارسوا دورًا مباشرًا في إعادة تشكيل السياسة الداخلية. فقد تدخلوا في إدارة الأقاليم، وفرضوا ولاة تابعين لهم، وأعادوا توزيع الموارد المالية بما يخدم مصالحهم. وقد أدى ذلك إلى إضعاف المركز المالي للدولة، إذ أصبحت الخزينة العباسية رهينة للإنفاق العسكري المتضخم، في ظل غياب رقابة مؤسسية فعالة. (٢٣)

كما أدى هذا الوضع إلى تآكل مبدأ العدالة السياسية، الذي كان يمثل أحد أسس الشرعية العباسية. فمع تغليب القوة على الكفاءة، أصبحت المناصب تُمنح على أساس الولاء العسكري لا على أساس الخبرة أو الاستحقاق. وقد أشار اليعقوبي إلى أن كثيرًا من أصحاب المناصب في هذه المرحلة «لم يكونوا من أهل السياسة ولا من أهل العلم، وإنما من أهل السيف»، وهو توصيف يعكس التحول العميق في معايير الحكم.

ومن النتائج الخطيرة لهذا التحول أن السياسة الداخلية للدولة العباسية فقدت بعدها الإصلاحي. فبدلًا من معالجة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المتراكمة، انشغلت السلطة بإدارة الصراعات داخل القصر وبين قادة الجند. وأدى هذا الانشغال إلى إهمال شؤون الرعية، وتراجع الثقة العامة في الدولة، وهو ما فتح المجال أمام بروز قوى اجتماعية وسياسية بديلة في الأطراف. (٢٤)

كما أسهم نفوذ الجند الأتراك في تفكيك وحدة القرار السياسي. فمع تعدد القادة وتنافسهم، لم يعد هناك مركز واحد للسلطة، بل شبكة معقدة من التحالفات العسكرية المتغيرة. هذا التفكك جعل السياسة الداخلية رهينة للتوازنات اللحظية، وأفقد الدولة القدرة على التخطيط بعيد

المدى. وقد عبّر ابن خلدون لاحقًا عن هذا النمط من الحكم بوصفه مرحلة تغلب العصبية العسكرية على العصبية السياسية، وهو ما يؤدي حتمًا إلى ضعف الدولة.

ولم يكن تأثير الجند الأتراك سلبيًا في كل جوانبه، إذ لا يمكن إنكار دورهم في حفظ قدر من الاستقرار المؤقت في بعض الفترات، ولا سيما في مواجهة التمردات المسلحة. غير أن هذا الاستقرار كان هشًا ومشروطًا باستمرار الولاء العسكري، ولم يستند إلى شرعية سياسية أو اجتماعية متينة. ولذلك، سرعان ما كان ينهار مع تغير موازين القوة داخل الجيش نفسه. (٢٥)

إن القراءة المتأنية لهذه المرحلة تكشف أن الجند الأتراك لم يكونوا سببًا منفردًا في ضعف الدولة العباسية، بل كانوا نتاجًا لأزمة أعمق في بنية الحكم. غير أن تحولهم إلى فاعل سياسي مهيمن أسهم في تعجيل هذا الضعف، من خلال إضعاف المؤسسات، وتهميش النخب المدنية، وتحويل الخلافة إلى رمز منزوع الفاعلية. وهذا ما يجعل دراسة نفوذهم ضرورة لفهم التحولات الكبرى التي شهدتها السياسة الداخلية العباسية.

لقد مهّد هذا الواقع في نهاية المطاف لظهور أنماط حكم جديدة داخل الإطار العباسي نفسه، حيث ستنتقل الهيمنة العسكرية لاحقًا إلى قوى أخرى، كالبويهيين والسلاجقة، في استمرار لنفس المنطق الذي تأسس في عصر الجند الأتراك. وهكذا، فإن التأثير السياسي للجند الأتراك لا يمكن حصره في فترة زمنية محددة، بل يجب النظر إليه بوصفه مرحلة مفصلية أعادت صياغة العلاقة بين القوة والسلطة في التاريخ الإسلامي الوسيط. (٢٦)

المطلب الثاني: التحول البنيوي لنفوذ الجند الأتراك وأثره في اختلال توازن السلطة داخل الدولة العباسية

أدّى تصاعد نفوذ الجند الأتراك في الدولة العباسية إلى إحداث تحولات عميقة في طبيعة السياسة الداخلية، لم تقتصر على مركز الخلافة فحسب، بل امتدت لتشمل بنية المؤسسات الإدارية والمالية والقضائية، فضلًا عن إعادة صياغة العلاقة بين السلطة والمجتمع. فقد دخلت الدولة العباسية، منذ منتصف القرن الثالث الهجري، مرحلة جديدة من تاريخها السياسي، اتسمت بتراجع الدور الفعلي للمؤسسات المدنية أمام صعود السلطة العسكرية بوصفها القوة الحاسمة في إدارة شؤون الحكم. (٢٧)

كان من أبرز مظاهر هذا التحول تآكل مفهوم الخلافة بوصفها سلطة سياسية تنفيذية. فبعد أن كان الخليفة يمثل رأس الدولة وصاحب القرار الأعلى، أصبح في ظل هيمنة الجند الأتراك محاطًا بقيود عسكرية صارمة، تحدّ من حركته وتوجه سياساته. وتشير المصادر التاريخية إلى أن عددًا من الخلفاء عاشوا في ظل رقابة مباشرة من قادة الجند، بل إن بعضهم مُنع من التواصل الحر مع الوزراء أو العلماء إلا بإذن عسكري. وقد أدى هذا الوضع إلى إفراغ الخلافة من مضمونها السياسي، مع الإبقاء عليها كرمز ديني يمنح الشرعية للسلطة القائمة(٢٨).

انعكس هذا التحول بصورة واضحة على مؤسسة الوزارة، التي كانت تمثل تاريخيًا محور الإدارة العباسية. فقد فقد الوزير مكانته بوصفه شريكًا في صنع القرار، وتحول إلى أداة تنفيذية تعمل ضمن هامش ضيق رسمه القادة العسكريون. وتذكر روايات المسعودي وابن الأثير أن الوزراء في هذه المرحلة كانوا يتعرضون للعزل السريع، بل والقتل أحيانًا، إذا تعارضت سياساتهم مع مصالح الجند الأتراك. وأدى هذا الوضع إلى زعزعة الاستقرار الإداري، وإضعاف قدرة الدولة على تبني سياسات طويلة الأمد. (٢٩)

كما تأثرت الدواوين العباسية تأثرًا بالغًا بهيمنة الجند الأتراك، إذ أصبحت الموارد المالية للدولة موجهة بدرجة كبيرة لتغطية نفقات الجيش ورواتب القادة، على حساب القطاعات الأخرى. وقد أدى تضخم الإنفاق العسكري إلى إنهاك الخزينة العامة، وإضعاف قدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها تجاه الرعية، الأمر الذي أسهم في زيادة السخط الاجتماعي وتراجع الثقة بالحكم المركزي. ويشير عبد العزيز الدوري إلى أن السياسة المالية في هذه المرحلة فقدت طابعها المؤسسي، وأصبحت خاضعة للضغوط العسكرية أكثر من خضوعها للاعتبارات الاقتصادية.ولم يكن القضاء بمنأى عن هذا التأثير، إذ تعرض لاستقطاب سياسي غير مسبوق. فقد سعت السلطة العسكرية إلى ضمان ولاء القضاة أو تحييدهم، خوفًا من أن يتحول القضاء إلى منبر لمعارضة شرعية تدخل العسكر في الحكم. وأدى ذلك إلى تراجع استقلال القضاء، وهو ما انعكس سلبًا على مفهوم العدالة، وزاد من شعور الرعية بانعدام المساواة أمام السلطة.

على الصعيد الاجتماعي، أسهم نفوذ الجند الأتراك في إعادة تشكيل التراتبية السياسية داخل المجتمع العباسي. فقد تراجعت مكانة النخب التقليدية من العلماء والفقهاء ووجهاء المدن، مقابل صعود طبقة عسكرية جديدة تمتلك النفوذ والمال والسلطة. وأدى هذا التحول إلى خلل في التوازن الاجتماعي، حيث لم تعد الكفاءة العلمية أو الإدارية معيارًا للتقدم السياسي، بل أصبح القرب من السلطة العسكرية هو العامل الحاسم.

كما كان لهيمنة الجند الأتراك أثر مباشر في تفكك وحدة القرار السياسي داخل الدولة. فمع تعدد القادة العسكريين وتنافسهم على النفوذ، أصبحت السياسة الداخلية ساحة لصراعات خفية وعلنية، تُحسم غالبًا بالقوة أو التهديد بها. وقد أدى هذا التنافس إلى اضطراب مستمر في إدارة شؤون الدولة، وإلى تكرار حالات العزل والانقلاب داخل البلاط العباسي، مما أضعف هيبة الدولة داخليًا وخارجيًا. (٣٠)

ومن النتائج بعيدة المدى لهذا الواقع أن الدولة العباسية فقدت قدرتها على السيطرة الفعلية على أطرافها. فقد استغل الولاة والأمراء الإقليميون ضعف المركز وتدخل الجند في شؤونه، ليعززوا استقلالهم الذاتي، سواء من خلال الامتناع عن إرسال الخراج، أو بتكوين جيوش محلية موالية لهم. وهكذا، أسهم النفوذ التركي، بشكل غير مباشر، في تسريع تفكك الدولة العباسية وتحولها إلى كيان سياسي محدود النفوذ.لا يمكن إنكار أن الجند الأتراك أسهموا في بعض الفترات في حفظ قدر من الاستقرار الأمني، خاصة في مواجهة الثورات والاضطرابات. غير أن هذا الدور ظل مؤقتًا ومشروطًا، ولم يستطع تعويض الخلل البنيوي الذي أحدثته هيمنتهم في بنية الحكم. فالاستقرار القائم على القوة العسكرية وحدها، دون سند مؤسسي أو اجتماعي، سرعان ما يتحول إلى عامل ضعف بدل أن يكون عنصر قوة. (٣١)

إن دراسة أثر نفوذ الجند الأتراك في السياسة الداخلية العباسية تكشف عن مفارقة تاريخية مهمة، تتمثل في أن الأداة التي استُخدمت لحماية الدولة أسهمت في إضعافها من الداخل. فقد أدى تغليب المنطق العسكري على المنطق السياسي إلى تقويض أسس الحكم الرشيد، وإلى إعادة تعريف السلطة على أساس القوة لا الشرعية، وهو ما ترك بصمته العميقة على مسار الدولة العباسية في مراحلها اللاحقة.

الخاتمة

يُعد دور الجند الأتراك في السياسة الداخلية للدولة العباسية من أبرز العوامل التي شكلت مسار التحولات السياسية والعسكرية في العصر العباسي الأوسط واللاحق. فقد بدأ الأتراك كقوة عسكرية محترفة ومستقلة عن الانقسامات القبلية التي عانى منها الجيش العباسي في بدايات القرن الثالث الهجري، ليصبحوا تدريجيًا عنصراً حاسماً في هيكل السلطة، لا يقتصر تأثيرهم على الميدان العسكري فحسب، بل امتد إلى التحكم في القرار السياسي وصناعة الخلافة.

و أن أسباب إدخال الجند الأتراك ارتبطت بحاجة الدولة إلى جيش محترف وموالي للخليفة، خاصة في ظل ضعف الجيوش العربية والفارسية التقليدية، وأن الخليفة المعتصم بالله كان له دور محوري في تعزيز مكانتهم وتنظيمهم عبر تأسيس وحدات عسكرية خاصة وإنشاء مدينة سامراء كمقر لهم. هذا التنظيم أتاح للأتراك اكتساب امتيازات سياسية واقتصادية كبيرة، مما جعلهم قوة نافذة في الدولة.

وقد أدى تصاعد نفوذ الجند الأتراك إلى تدخلهم المباشر في تعيين الخلفاء وعزلهم، وهو ما ضعف السلطة المركزية للخلافة وأدى إلى زيادة الفوضى الداخلية، وتصاعد الصراعات بين القوى العسكرية المختلفة. هذا الضعف الهيكلي مهد لتفكك الدولة العباسية وتحولها إلى كيان هش، سمح بظهور دويلات مستقلة، وانهيار السلطة السياسية في بغداد، وصولاً إلى سقوطها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ. وتوصلنا الى اهم النتائج وهي:

١-أدّى إدخال الجند الأتراك إلى بناء قوة عسكرية محترفة وموالية للخلافة، عوضًا عن ضعف الجيوش التقليدية العربية والفارسية.

٢-ساهم تنظيم الجند الأتراك وإنشاء مقر لهم في سامراء في تعزيز نفوذهم العسكري والإداري داخل الدولة العباسية.

٣-تحوّل الجند الأتراك من مجرد قوة عسكرية إلى فاعل سياسي مؤثر، حيث تدخلوا بشكل مباشر في تعيين الخلفاء وعزلهم.

٤-أدى هذا التدخل السياسي إلى إضعاف سلطة الخلفاء وفرض إرادة القادة الأتراك على مؤسسات الدولة، ما زاد من الفوضى السياسية.

٥-ساهم نفوذ الجند الأتراك في ظهور دويلات مستقلة داخل الدولة العباسية، وتهديم وحدة الدولة ومركزية حكمها.

٦-كان لتدخل الجند الأتراك دور رئيسي في تفكك الدولة العباسية وتمهيد سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

٤. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م.

٥. الأنساب، السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي ،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٨م.

٦. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي ،دار الفكر للتوزيع والنشر، ، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٨١م.

٧. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٥م ،مج١.

٨. تاريخ الطبري،محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار التراث، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٦٩م.

٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٧م.

١٠. تاريخ دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي الشافعي، دار الفكر، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٥م.

١١. الجامع الصحيح، الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي ،دار ابن كثير، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٠م.

١٢. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

١٣. خريسات، محمد عبد القادر، السلطة العسكرية في الدولة العباسية، دار المسيرة، عمّان، ٢٠١٠م.

١٤. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
١٥. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٧م.
١٦. الرافعي، عبد الرحمن، في أعقاب التاريخ العباسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
١٧. سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي التركماني الشافعي ، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٣م.
١٨. الصلابي، علي محمد، الدولة العباسية: عوامل الازدهار وأسباب الانهيار، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٩. ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول.،دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
٢٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢١. الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ،الناشر: دار صادر، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٩٠.
٢٢. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٣. عبد الجبار، فالح، الدولة والمجتمع في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٢٤. غرايبة، عبد الكريم، العرب والترك في التاريخ الإسلامي، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٨٦م.
٢٥. الفتوح، محمد بن عمر الواقدي، الناشر: دار صادر، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٧٠م.
٢٦. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، دار صادر، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٧٥م.
٢٧. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٢م.
٢٩. المنجد، صلاح الدين، الجندية والجيش في الدولة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٠. مؤنس، حسين، التاريخ الإسلامي: الدولة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.
٣١. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

الهوامش:

(١) تاريخ الطبري،محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار التراث، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٦٩م،ص٦٥.

(٢) الفتوح، محمد بن عمر الواقدي، الناشر: دار صادر، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٧٠م،ص٤٤.

(٣) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٥م ،مج١،ص٥٨.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٢م،ص١٨.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، دار صادر، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٧٥م،ص٤٤٢.

(٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٧م،ص٣١٩.

(٧) تاريخ دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي الشافعي، دار الفكر، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٥م،ص٢٢٣.

(٨) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي ،دار الفكر للتوزيع والنشر، ، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٨١م،ص١٧١.

(٩) الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ،الناشر: دار صادر، الطبعة الثانية، لبنان، ١٩٩٠م،ص١٢١.

(١٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي التركماني الشافعي ، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٣م،ص٢٩٩.

(١١) الأنساب، السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي ،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٨م،ص١٨١.

(١٢) الجامع الصحيح، الإمام البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي ،دار ابن كثير، الطبعة الأولى، سوريا، ١٩٩٠م،ص١٦٣.

(١٣) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م،ص١٠

(١٤) المنجد، صلاح الدين، الجندية والجيش في الدولة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م،ص١١٦

(١٥) غرايبة، عبد الكريم، العرب والترك في التاريخ الإسلامي، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٨٦م،ص٣١٧

(١٦) خريسات، محمد عبد القادر، السلطة العسكرية في الدولة العباسية، دار المسيرة، عمّان، ٢٠١٠م،ص٢٨٥

(١٧) الرافعي، عبد الرحمن، في أعقاب التاريخ العباسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م،ص٢٨

(١٨) عبد الجبار، فالح، الدولة والمجتمع في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م،ص١١٤

(١٩) الصلابي، علي محمد، الدولة العباسية: عوامل الازدهار وأسباب الانهيار، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م،ص٧٦

(٢٠) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول.،دار المعارف، القاهرة، **1966م**،ص٢٧٦

(٢١) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٣م،ص٣٣١

(٢٢) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٧م،ص٤٨٨

(٢٣) مؤنس، حسين، التاريخ الإسلامي: الدولة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م،ص٧٦

(٢٤) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م،ص١١٥

(٢٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م،ص٢٥٨

(٢٦) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م،ص٣٢

(٢٧) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م،ص١٧

(٢٨) ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م،ص٢٢١

(٢٩) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م،ص١١٨

(٣٠) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م،ص١١٢

(٣١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٩م،ص٧٦

روايات جوذر الصقلبي عن الإمام الإسماعيلي إسماعيل المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)

موسى أنور جابر شده

أ.د. غنية ياسر كباشي

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية/ جامعة بغداد

ghania.y@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

anwarmosa177@gmail.com

روايات جوذر الصقلبي عن الإمام الإسماعيلي إسماعيل المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)

موسى أنور جابر شده
أ.د. غنية ياسر كباشي

الملخص

يعد جوذر الصقلبي من الشخصيات البارزة المهمة التي كان لها دوراً إيجابياً في قيام الدعوة الإسماعيلية بالمغرب سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) والدولة الفاطمية، إذ شغل العديد من المناصب والوظائف في الدعوة واهمها مرتبة الحجة في الدعوة الإسماعيلية، وتضمن هذا البحث ((روايات جوذر الصقلبي عن الإمام الاسماعيلي إسماعيل المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م))) مقدمة تتناول نطاق الدراسة وتحليل مصادرها، ويتكون من مبحثين وخاتمة، المبحث الأول يتكلم عن روايات جوذر الصقلبي عن الإمام الإسماعيلي المنصور الفاطمي وعن نسبه وحياته ونشأته في كنف جده الامام عبدالله المهدي وكيف تولى الخلافة بعد وفاة والده الامام القائم و استخلافه للاستاذ جوذر الصقلبي على البلاد عند خروجه للقضاء على الخارجي أبو يزيد بن كيداد (٣٣٤-٣٣٦هـ) وانتصاره عليه في معركة الجمعة (٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أما المبحث الثاني فيتحدث عم مكانة الأستاذ جوذر الصقلبي بعد انتصار الامام المنصور الإسماعيلي على أبو يزيد الخارجي ، وعتق الامام المنصور للأستاذ جوذر الصقلبي وتلقيبه بمولى أمير المؤمنين وادراج اسمه على الطراز والبسط، وإكرام الامام لجوذر وايداع ذخائره عنده.

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية، جوذر الصقلبي، إسماعيل المنصور الفاطمي، الصقالبة

Jawdhar al-Ṣiqillī's Narratives about the Ismaili Imam Ismāʿīl al-Manṣūr al-Fāṭimī (334–341 AH / 945–952 CE)

Mūsā Anwar Jābir Shaddah Prof. Dr. Ghaniyya Yāsir Kabāshī
College of Education Ibn Rushd for Human Sciences / University of Baghdad
ghania.y@ircoedu.uobaghdad.edu.iq anwarmosa177@gmail.com

Abstract:

Jawdhar al-Ṣiqillī is considered one of the prominent and influential figures who played a positive role in the establishment of the Ismaili daʿwa in

the Maghrib in 267 AH / 880 CE and in the rise of the Fatimid state. He held several positions and offices within the daʿwa, the most important of which was the rank of **ḥujja** in the Ismaili mission.
This study, entitled *"Jawdhar al-Ṣiqillī's Narratives about the Ismaili Imam Ismāʿīl al-Manṣūr al-Fāṭimī (334–341 AH/ 945–952 CE),* includes an introduction that addresses the scope of the study and an analysis of its sources. The study consists of two sections and a conclusion.
The first section discusses Jawdhar al-Ṣiqillī's accounts of the Ismaili Imam al-Manṣūr al-Fāṭimī, focusing on his lineage, life, and upbringing under the care of his grandfather, Imam ʿAbd Allāh al-Mahdī. It also examines how he assumed the caliphate after the death of his father, Imam al-Qāʾim, and how he appointed al-Ustādh Jawdhar al-Ṣiqillī as governor over the lands when he set out to eliminate the Kharijite Abū Yazīd b. Kīdād (334–336 AH). This section further addresses his victory over Abū Yazīd at the Battle of Friday (335 AH / 946 CE).
The second section deals with the status of al-Ustādh Jawdhar al-Ṣiqillī after Imam al-Manṣūr's victory over the Kharijite Abū Yazīd, including Imam al-Manṣūr's manumission of Jawdhar, bestowing upon him the title *Mawlā Amīr al-Muʾminīn* (Client of the Commander of the Faithful), the inclusion of his name on tirāz textiles and carpets, the Imam's honoring of Jawdhar, and the entrusting of his treasuries to him.
Keywords: Fatimid State; Jawdhar al-Ṣiqillī; Ismāʿīl al-Manṣūr al-Fāṭimī; Ṣaqāliba.

المقدمة

تعد عملية البحث والدراسة في دور الشخصيات التاريخية المهمة التي تساهم بقيام حركات أو دول والحفاظ عليها، هي من المواضيع المهمة في مجال الدراسات التاريخية وتأتي هذه الأهمية من دقة المرحلة التي تمر بها الدعوة أو الدولة من تاريخ قيامها، وهذا ما ينطبق على دراستنا لشخصية جوذر الصقلبي وأهميته في تاريخ الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية.

وقد ارتكزت الدعوة الإسماعيلية منذ خروجها من دور الستر بعد إعلان قيام دولتها بالمغرب سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) على تنظيم الدعوة بشكل منظم وواسع لتحقيق حلم سياسي كبير لهم يشمل حكم المشرق والمغرب الإسلامي ، سيما بوجود المنافس القوي لهم الخلافة العباسية في بغداد ، لذا اقتضت الضرورة الارتكاز في دعوتها على دعاة ورجال لهم إيمان عميق بالدعوة الإسماعيلية واحقيتها بالخلافة الإسلامية ، وظهرت العديد من الشخصيات

التي كان لها دوراً بارزاً في الحفاظ على تلك الدولة الفتية في المغرب ، والمحاطة بقوى سياسية عديدة ، سيما اذ عرفنا بان بلاد المغرب كانت غير متزنة سياسياً لكثرة الدويلات الإسلامية التي ظهرت بها إبان قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب مثل المدراريين (١٤٠-٣٤٩هـ/٧٥٠-٩٥٩م) والإدارسة (١٧٢-٣٦٣هـ/٧٨٢-٩٧٣م) والرستميين (١٤٤-٢٩٦هـ/٧٥٤-٩٠٩م) والأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٧٩٤-٩٠٩م) وغيرهم، فضلاً عن حركات الخوارج وأبرزها حركة أبي يزيد سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) وغيرها من الحركات التي كانت تمولها الخلافة الأموية في الأندلس فضلاً عن الخصم القوي بالمشرق الخلاقة العباسية والقوى السياسية الأخرى بالمشرق مثل الخوارزمين (٥٦٨-٦٢٨هـ/١١٧٢-١٢٣٠م)، الغزنويين (٣٦٧-٥٨٢هـ/٩٧٧-١١٨٦م) وغيرهم، لذا فقد برزت العديد من الشخصيات التي كان لها دور واضح في إسناد الإمامة الإسماعيلية والدولة في المغرب .

وأبرز تلك الشخصيات هو جوذر الصقلبي (٣٦٢هـ/٩٧٢م) الذي شكل سنداً قوياً للأئمة الفاطميين في بداية دولتهم بالمغرب ، فكان ثالث اهم شخصية في الدولة والدعوة بعد الامام الأول عبد الله المهدي وولي عهده، تلك المكانة التي زادت من أهمية هذه الشخصية والتعرف على دورها التاريخي، فلقد كانت جهوده واضحة في إرساء قواعد الدعوة والدولة وهذا ما وجدناه في روايته .

من هنا برزت الحاجة لدراسة وتتبع دور هذا الرجل وكل ما قام به لإسناد الدولة والدعوة، ومن هنا تولدت لدينا الرغبة في الكشف عن دور جوذر الصقلبي من خلال الروايات التي حرص فيها على ذكر كل المخاطبات الرسمية بينه وبين الأئمة الإسماعيلية ، سيما أن الخلفاء الفاطميين كانوا حريصين على مناداتهم بالأئمة وليس بالخلفاء.

وعليه قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تحدثت في المبحث الأول عن (حياة الامام الاسماعيلي المنصور الفاطمي من خلال روايات جوذر الصقلبي) تحدثت فيه عن روايات جوذر الصقلبي عن الإمام إسماعيل المنصور وسيرته وكيفية توليه الخلافة ثم استخلاف جوذر على البلاد من قبل الامام المنصور لخروجه بنفسه للقضاء على ثورة الخارجي أبي يزيد ثم انتصار الامام المنصور على أبي يزيد والقضاء عليه.

اما المبحث الثاني فتحدثت عن (مكانة الأستاذ جوذر بعد انتصار الامام المنصور على أبي يزيد الخارجي (٣٣٦هـ/٩٤٧م)) تحدثت فيها عن قيام الامام المنصور بعتق جوذر الصقلبي و تسجيل اسمه على الطراز والبسط وأكرامه واستوداعه ذخائر المنصور وجعل جوذر مراقبا على الأوضاع في القصر والأسواق .

المبحث الأول

حياة الامام الاسماعيلي المنصور الفاطمي من خلال روايات جوذر الصقلبي

أولا: هو إسماعيل بن محمد القائم بن عبدالله المهدي بن الحسين الحبيب بن احمد الوفي بن عبدالله الرضي بن محمد المكتوم بن اسماعيل الامام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)[١]، ولد في مدينة رقادة[٢]، سنة (٣٠٢ هـ/٨٩٥ م)[٣]، اما أولاده فهم معد المعز[٤] والحسين[٥] وهاشم[٦].

تلقى الامام أسماعيل الرعاية والاهتمام من قبل جده الامام الاسماعيلي عبدالله المهدي، فقد أشار إلى ذلك القاضي النعمان[٧]، من خلال نقله لرواية مفادها: ((كان المنصور بنصر الله حملاً في أيام جده المهدي، وكان لدى المهدي حمل فولد المنصور وولد أبو الحسن[٨]، للمهدي وكانت امه قد قالت وهي حامل به للمهدي، أنى رأيت كأن القمر في حجري وأنا ارضعه، فلما ولد المنصور وجيء به للمهدي ليبارك علية دعا ام الحسن وقد ولدته، فدفع المنصور إليها وقال لها أرضعيه مع أبنك ففعلت مسرورة فرحه ...))[٩].

ثانياً: وفاة الامام المنصور الاسماعيلي واخر رسالة له إلى الاستاذ جوذر :

ومن مكاتبات المنصور بالله بخط يده لجوذر بعد التسمية :((صانك الله يا جوذر، وردت كتبك، فوقفت على ما فيها، وفهمت ما ذكرته من جميعها، وتأخر الجواب لشغل مرة وعلل مرة وضعف شامل للجسم كله، والحمد لله على كل الأحوال، وكل ما يكتب به إليك أبو تميم فما أشافهه به، استودعه الله، ثم اشتدت علته فاختار الله له مالديه، فنقله إليه، وذلك في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة، وأفضى الله بالإمامة والخلافة إلى مولانا المعز لدين الله))[١٠].

نتبين من هذا النص ان في شهر رمضان سنة (٣٤١هـ/٩٥٢م) خرج المنصور متنزها إلى مدينة جلولاء[١١] وأقام بها أياما ثم عاد إلى المنصورية فأصابه في الطريق ريح شديد وبرد و مطر أقام أياما وكثر الثلج حتى مات جماعة ممن معه و اعتل المنصور علة شديدة ووصل إلى المنصورية وأراد دخول الحمام فنهاه طبيبه اسحاق بن سليمان[١٢] فلم يقبل منه ودخل ففنيت الحرارة الغريزية منه على حسب تعليلهم ولازمه السهر فأخذ طبيبه يعالج المرض دون السهر فاشتد ألم السهاد على المنصور وقال لبعض خواصه : أما في القيروان طبيب غير اسحاق، فأحضر إليه شاب من الأطباء يقال له أبو جعفر أحمد بن ابراهيم الجزار[١٣] فشكا إليه المنصور ما يجده من السهر لجمع له أشياء منومة وجعلها في قنينة على النار وكلفه شمها فنام وخرج وهو مسرور بما فعله، وجاء إسحق ليدخل على المنصور فقيل له : إنه نائم، فقال إن كان صنع له شيء ينام منه فقد مات، فدخلوا عليه فإذا هو ميت[١٤].

ثالثاً: توليه الخلافة:

عاش إسماعيل خلال فترة حكم والده القائم في قصر الخلافة حياة تقشف وعزلة وشغل جهود حياته للعبادة والتعلم، واشتغل بالتجارة لسد حاجاته[١٥]، وأظهر إسماعيل في بداية عمره صفات عاطفية وذهنية منها الترفع والتفاني عن متاع وحطام الدنيا فكان ذلك كفيلاً في أن يكون مؤهلاً في نظر والده ليتحمل مسئوليات الخلافة[١٦].

ويروي الأستاذ جوذر الصقلبي[١٧] أن الامام القائم بأمر الله قد عين الامام اسماعيل وقلده ولاية العهد، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره فكان على من يعتلي الحكم أن يعين حجته قبل دفن الإمام الراحل وفي ظل من الكتمان ويختار في الوقت ذاته من سيحتفظ بذلك السر، وقد إختار الامام القائم بأمر الله لهذه المهمة ابنه ((إسماعيل المنصور بنصر الله)) وأعلم بذلك (جوذر الصقلبي)[١٨]، دون غيره قائلا له ((ولدي إسماعيل هو حجتي وولي عهدي فاعرف له حقه وأكتم أمره أعظم كتمان إلى حين أظهره بنفسي في اليوم الذي يشاء الله ذلك ويختاره))[١٩].

وذكر الأستاذ جوذر الصقلبي عن وضع اسماعيل في خلافة الامام القائم بأمر الله ((كان الناس في ذلك الوقت في غمرات يعمهون قد تعلق كل واحد منهم من غير سبب يثبت من اولاد مولانا وكان ذلك كله أيام القائم بأمر الله والمنصور مستور))[٢٠].

تتفق المصادر على أن الامام القائم بأمر الله ولى ابنه إسماعيل ولاية العهد يوم الاثنين السابع من شهر رمضان سنة(٣٣٤ هـ/٩٤٥م)[٢١]، وكان عمره اثنان وثلاثين سنة[٢٢]، ورتب موكب التولية وفوض إليه أمره فأدخل جماعة من شيوخ كتامة وزعمائها اليه فقال : ((هذا ولي عهدي وهو مولاكم من بعدي، وهو صاحب هذا الدجال أبي يزيد))[٢٣].

وبعد ما أقر الشيوخ الأمور التي فرضها الإمام القائم إلى الاستاذ جوذر بإعتباره المستودع واستمعوا مرة أخرى إلى صولات[٢٤]، وهو يقرأ عليهم نص العهد ثم بايعوا إسماعيل على الامامة والخلافة[٢٥]، ووافقوا على قرار التولية وأرسل بذلك إلى الأمصار والأقاليم واعتبر هذا تعيين رسمي بدء من ذلك التاريخ وكان على اسماعيل تولي أمور الخلافة باسم والده الذي لا يزال جالساً على كرسي الخلافة[٢٦].

رابعاً: استخلاف جوذر على سائر البلاد:

لقد عين الامام المنصور بالله جوذر على سائر بلاد الدولة الفاطمية، وقد نصه: ((ولما اعتزم المنصور بالله على الخروج في طلب اللعين الدجال مخلد بن كيداد، استخلف الأستاذ على دار الملك وسائر البلاد، وأعطاه مفاتيح خزائن بيت المال، وكانت مكاتبة المنصور بالله عليه السلام ترد إليه من مدينة القيروان، وعنوانات الكتب باسم القائم بأمر الله بجميع ما يجرى من أموره ووقائعه في جميع تلك الحروب المهولة بعد وفاة الامام القائم بأمر الله...))[٢٧].

قرر الامام إسماعيل التوجه بنفسه للقضاء على أبو يزيد الخارجي، وقام بتقليد الاستاذ جوذر الصقلبي الإشراف على القصر وعلى كامل البلاد وأمنه على بيت المال والحفاظ على سلامتها، فأصبح جوذر بهذا الشكل ثالث أهم شخصية في الدولة الفاطمية، بعد الامام الفاطمي وولي العهد[٢٨]، وخرج الامام اسماعيل من المهدية[٢٩] في شهر شوال سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) إلى مدينة سوسة[٣٠] وعندما وصلها أعطى أهلها الأمان، ووصلت اليه

مجموعة من أهل القيروان واخبروه بهزيمة أبي يزيد وطرده من المدينة، وطلبوا العفو منه عن أهل المدينة واقترحوا عليه بالمسير معهم إلى القيروان[٣١]، فأمر الامام اسماعيل قائده كبون بن تصولا[٣٢] ان يسبقه إلى القيروان ليخبرهم أنه قد عفى عنهم وأمنهم، ثم توجه إلى المدينة يوم الخميس الثالث والعشرين من شوال سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) فخرج إليه أعيانها فقربهم وآمنهم في أموالهم وأنفسهم[٣٣].

رحل أبو يزيد عن القيروان بعد هزيمته ثم رجع إليها واستمرت المعارك بين الطرفين ولكنها لم تكن حاسمة، عندها أدرك أبو يزيد بعد هزيمته في هذه المعارك عدم جدوى هجماته على القيروان فتخلى عن محاولة اقتحامها واخذ يشن الغارات على ضواحي سوسة والمهدية لقطع الامدادت عن الامام المنصور في القيروان وإثارة خوف الجنود الكتاميين عوائلهم في المهدية، حيث يروي الجوذري قائلا:((كان الأستاذ جوذر قد قبض يد نفسه عما بسطت فيه من قبل نفسه عمن استحق القتل واستوجب العقوبة))[٣٤].

فقد كان الأستاذ جوذر في غيبة الامام المنصور، هو المسؤول عن امن البلاد ومعاقبة المخالفين، فاضطربت الأوضاع وكثر المفسدون نتيجة ثورة ابي يزيد الخارجي(٣٣٦ هـ- ٩٤٧م)، وبلغ من تلك الأوضاع المتردية، أنه عندما بعث الاستاذ جوذر احمالا إلى الامام المنصور قام أبو يزيد باعتراضها في الطريق مابين موضع يعرف بتماجر[٣٥] بين المهدية والقيروان ونهب ما كان للامام المنصور، فاتصل الخبر بالامام فكتب الى جوذر يسئله، ويستفسره عن ذلك: فكتب إليه الأستاذ جوذر يعتذر ويقول: ((إن العمال بالنواحي لا يريدون من ينظر فيما تقلدوا أمره من الأعمال بالنواحي، ويجعلون ما أمروا به من ذلك سبباً لتأخر المال))، فلما وقف الإمام المنصور على ما كتب به إليه، كتب لجوذر قائلا:((يا جوذر، صانك الله وسلمك، وأحسن إليك، اعلم أني كنت حامداً لك في غيبتي أكثر من حمدي إياك اليوم، فمثلك عندي مثل وكيل أقامه سيده ودفع إليه بضعة قليلة وغاب، فتاجر الوكيل))، فاستقام عند هذه الأوامر للأستاذ بعد ذلك ما أحبه الإمام المنصور من أمور الناحية[٣٦]، فقد وجه الامام المنصور جيشاً كبيراً أعاد السيطرة على نواحيها[٣٧].

خامساً: معركة الجمعة (٣٣٥هـ/٩٤٦م):.

يروي الاستاذ جوذر قائلا: ((فما أقراني كتاب وصل باسم الامام القائم عليه السلام بشرح الخبر في وقعة يوم الجمعة بمدينة القيروان، وما كان من صعوبة تلك الوقعة وهو لها حتى أجرى الله على وليه على جميل عوايده عنده، وفتح له الفتح المبين على أعدائه المارقين الضالين أحزاب الشياطين))[٣٨].

دخل عام (٣٣٥هـ/٩٤٦م) والطرفان على حالهما، فقرر الامام المنصور خوض المعركة الحاسمة ضد أبي يزيد فقام بشن (معركة الجمعة) الشهيرة التي انطلقت يوم الجمعة السادس من صفر واستمرت طوال ليلة السبت على ضوء المشاعل لذا سميت أيضاً بـ(وقعة المشاعل)، واستمرت إلى يوم الخميس فشن الامام هجوماً قوياً بعد أن أخذ الاستعدادات اللازمة للقتال[٣٩]،ووقع بينهما قتال شديد فهجم أبو يزيد على الميمنة وهزمها ثم توجه الى القلب، فتصدى له الامام قائلاً: ((هذا يوم الفتح إنشاء الله تعالى))[٤٠]، وحمل هو ومن معه حملة رجل واحد، فانهزم أبو يزيد وقتل عدد كبير من أصحابه فهرب أبو يزيد هو واصحابه[٤١].

ونجت الدولة الفاطمية من الهلاك وقام الامام بعد ذلك النصر الكبير بالسجود وهو يكثر من حمد الله وشكره، على ما أولاه من فتحه ونصره[٤٢]، وقام الامام بتوجيه ثلاثة من عبيده الذين شهدوا المعركة الى المهدية يحملون إلى الاستاذ جوذر أخبار النصر ومعهم كتاب باسم الامام القائم يشرح فيه الامام إسماعيل خبر النصر حيث يروي جوذر قائلا :((فما أقراني كتاب وصل باسم الامام القائم عليه السلام بشرح الخبر في وقعة يوم الجمعة بمدينة القيروان، وما كان من صعوبة تلك الوقعة وهو لها حتى أجرى الله على وليه على جميل عوايده عنده، وفتح له الفتح المبين على أعدائه المارقين الضالين أحزاب الشياطين))[٤٣].

وقد كتب الامام المنصور كتابا لجوذر نصه: ((ياجوذر أحسن الله اليك، وأتم وأسبغ نعمه عليك . الذي يتصل بي عنك من الضبط والقيام والكفاية هو أحسن الظن بك والرجاء فيك وذكر لي إفراط في الوحشة والاغتمام لفراقنا، فلا يضعف قلبك لبعدنا عنك بشيء يسير،

فإنك معي ومني وإلى ما قمت بالمفترض عليك، وعملت لربك ورغبت في عهده، قال ابراهيم عليه السلام و فمن تبعني فإنه منى، نسأل الله عونك وتوفيقك لما يرضيه ويزلفه لديه))[٤٤].

ثم أمر بتوزيع العطاء على فقراء القيروان، وكلف جعفر الحاجب[٤٥] بإقامة صلاة الجمعة بجامع القيروان وإلقاء خطبة أعلن فيها النصر واسقط الجباية بالنسبة إلى عام (٣٣٥هـ/٩٤٦م)، حيث أعفى الامام جميع الناس مسلمهم وذميهم، وقد ادت هذه الإجراءات الى انتعاش الحياة الزراعية والتجارية التي توقفت بسبب الحرب، فاطمئن أهالي القيروان بعد ذلك[٤٦] .

وكان أبا يزيد قد لجا الى الجبال بعد كسره، اذ توجه اليه الامام المنصور بالله وحاصره فترة من الوقت حصلت فيها عدة مواجهات حربية شديدة بين الطرفين، وكانت هذه المواجهات حامية الوطيس[٤٧].

فقال الامام المنصور:((اضربوا الفسطاط، وليخرج كل قوم على مراتبهم، فوالله ما حان للناس أن يأخذوا أهبة الحرب حتى نظرت إلى واد قد أحدق بالعسكر من كل الجهات إلا الجهة التي قابلنا العدو منها، فوالله ما كنا على تواطؤ من ذلك، واشتد الحرب، وكان يوما صعبا، ثم فتح الله لوليه و ابن نبيه، وانهزم الفسقة الخوارج، وأمر المنصور بالله بقطع الرؤوس، فقطع منها ما يعجز الوصف ويخرج عن الحد والنعت))[٤٨].

وفي أواخر شهر ربيع الأول عام (٣٣٥هـ/٩٤٦م)، خرج الامام لتتبع أثر أبي يزيد، مارا بمدينة باغاية[٤٩] فدخلها الامام واستقبله أهلها بالترحاب وأقام بها ثلاث أيام وفرق الأموال على فقرائها[٥٠].

ودخل محمد بن خزر[٥١] امير مغراوة في طاعة الامام، فأمره الامام أن يرصد أبو يزيد وانه سيكافئه بعشرين حملاً من الذهب أن قبض عليه[٥٢].

ثم يروي جوذر كتاب الامام المنصور الذي ارسل اليه قائلا:((وأقول بعد الصبر والاحتساب : الحمد لله على جميع الأحوال، قد تعلم اللهم أنى طالما ناجيتك في ظلم الليالي مبتهلا متضرعا إليك أسألك ألا تشهدني فقده ولا تحييني بعده، فأبي قضاؤك الماضي

وحكمك النافذ، فصبرني على ما ابتليت، وأرضى بما قضيت، وصلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه على جسمه المطهر وروحه المقدس في الدنيا والآخرة))[٥٣].

استانف الامام المسير على رأس عشرة آلاف فارس حتى وصل الى قلعة كيانة[٥٤] التي كان يتحصن بها أبو يزيد ليشاهد الطرق المؤدية إليها ويدرس الموقع الذي ستجري فيه المعركة الحاسمة ثم بعدها صلى بالناس صلاة العيد وأشار في خطبته إلى توليه الخلافة بعد أبيه وكان قد أعلن قبل ذلك بقليل عن وفاة أبيه الامام القائم في رسالة وجهها إلى جوذر بالمهدية[٥٥] فقد كتب الامام المنصور بالله إلى الأستاذ جوذر الصقلبي، يفصل فيه الامام أحكامه الى جوذر وفيه تصريح منه بموت الامام القائم بأمر الله، إذ طلب الامام المنصور بإجراء الرسوم حسب ماكانت عليه[٥٦]، فعند ذلك علم الناس أن الامام القائم بأمر الله قد توفى[٥٧] .

ثم رحل الامام مع كافة رجاله في الثاني من شوال عام (٣٣٥هـ/٩٤٦م) ونزل في سفح قلعة كيانة وأمر بحفر خندق حول معسكره وقسمه على قبائل كتامة[٥٨] والزويليين[٥٩].

بالمقابل قام أبو يزيد بالسيطرة على قلعة شاكر[٦٠]، وشن هجوماً على خندق الامام المنصور فتوجه نحو باب الخندق وفيه الكتاميين والعبيد فتصدوا له وقتلوا جماعة من أصحابه وفشل هجومه[٦١].

فقام الامام المنصور بشن معركة حاسمة يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم عام (٣٣٦هـ/٩٤٧م)، بالاتفاق مع قيصر[٦٢]،وزيري بن مناد واشتد القتال واستمرت المعركة يوم الجمعة ثم استانفت يوم السبت، تعرض خلالها الجيش الفاطمي للرمي بالحجارة واضعفه الحر والعطش وأبدى الامام المنصور خلال هذا الهجوم شجاعة نادرة اذ تمكن بعد جولات شديدة الحرب من فتح القلعة والاستيلاء عليها وأرغم أبو يزيد ورجاله على التحصن في احد القصور المنيعة[٦٣]، فأحاصرت العساكر الفاطمية القصر من كل جانب، ثم أمر الامام بإشعال النار في الليل حول القصر والإحاطة به لكي لا يهرب منه احد، واستمر المتمردون في المقاومة ولم يقبلوا بالامان الذي أعطاه لهم الامام مقابل تسليم أبي يزيد، فلما كان آخر الليل حملوا حملة رجل واحد من ذلك القصر ومعهم أبا يزيد وصاحبه أبو عمار الأعمى

وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها أبو عمار وجماعة من وجوه أصحاب أبي يزيد في حين تمكن أبو يزيد من الهرب عبر مسالك الجبال الضيقة الوعرة[٦٤]، ثم سلم ابي يزيد للامام المنصور بعد ان تخلى عليه أصحابه[٦٥].

حيث حمل الى الامام بسبب الجراحات التي أصيب بها فلما رآه الامام المنصور سجد شكراً لله والناس يكبرون من حوله ثم أمر بمداواته وعلاجه إلى أن مات متأثراً بجراحه بعد عدة أيام[٦٦].

وعند نهاية المعركة وجه الامام إلى عامله على القيروان كتاب يعلمه خبر الانتصار، وفي يوم الثامن والعشرين من محرم عام (٣٣٦هـ/٩٤٧م) أعلن الامام عن توليه الخلافة رسمياً وتلقبه أمير المؤمنين، والمنصور بنصر الله انتصاره على ابي يزيد بن كيداد[٦٧]، وأمر كاتبه جوذر بالكتابة إلى الأمصار بذلك، وثبت ذلك في الطراز، كما ضرب السكة بأسمه[٦٨]، وقام الامام المنصور بتخليد ذكرى انتصاره فإذن ببناء مدينة في الموقع الذي انتصر فيه على أبي يزيد وسماها المنصورية[٦٩] تفاؤلاً بانتصاره على أبي يزيد[٧٠].

المبحث الثاني

مكانة الأستاذ جوذر بعد انتصار الأمام الاسماعيلي المنصور على أبو يزيد الخارجي (٣٣٦هـ/٩٤٧م)

اولاً: عتق جوذر وتلقيبه:

بعد الانتصار الذي حققه الامام المنصور على أبي يزيد الخارجي الذي ارعب الدولة الفاطمية بالمغرب، ويعد القضاء عليه انتصارا كبيرا على الخوارج فقد أمر الامام المنصور الفاطمي بإرسال السجلات إلى جميع الآفاق مبشرا بهذا الانتصار، وكتب الامام المنصور الفاطمي بذلك للأستاذ جوذر نصه:((يا جوذر، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بكفايته، إنا قد أوجبنا على أنفسنا من العتق والصدقات وفعل الخيرات شكر الله عز وجل على ما أنعم به علينا من هذا الفتح العظيم قدره الجليل خطره، ما قد نفذ أمرنا إلى كل عامل بما يعمل به في جهته حسب ما رسمنا له، وإليك صانك الله – بما تمتثله في إخراج ما رسمناه من الصدقة على الفقراء بالمهدية وما حولها، لكنا لم نجد في باب العتق عملا ولا أقرب قرباناً

عند الله عز وجل من عتق رقبة مؤمنة طاهرة زكية مثلك، فأنت حر لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم، قد أعتقت جسمك وروحك في الدنيا والآخرة، وسميناك تشريفاً بمولى أمير المؤمنين))، فاجعل مكاتبتك لمن كبر قدره وصغر من جميع الناس و من جوذر مولى أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ولا تكنى أحداً، ولا تقدم على اسمك اسماً إلا اسم مولاك أبي تميم، استرعاه الله وبارك في عمره))[٧١].

يتضح لنا من خلال النص عظيم فرحة الامام المنصور الفاطمي بذلك النصر، إذ أمر الأستاذ جوذر بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين في المهدية، وقد أعتق جوذر كذلك، وزاد من مكانته بعدم تقدم اي اسم قبل اسمه، سوى تميم الفاطمي– وبذلك جعله في أعلى مرتبة بعد ولي العهد وتسميته ((مولى أمير المؤمنين)) [٧٢].

ثانياً: اسم جوذر على الطرز والبسط :

وقد طلب الامام المنصور الفاطمي من جوذر بأن يثبت اسمه في الطراز من أعمال العبيد الرقامين بالذهب فيما يلبسه الأئمة، وكذلك أيضا مما يعمله العبيد الحصريون من عجيب أعمالهم ومعجز صنعتهم، وقد نص في ذلك قائلا:((...اكتب لهم يثبتوا في الطراز والبسط, مما عمل على يدى جوذر مولى أمير المؤمنين بالمهدية المرضية...))[٧٣].

وكل ذلك تشريفا له، وتعظيما لقدره، كما أمر الامام المنصور الفاطمي بنقش اسم جوذر على شرائط الطراز التي تزين الأقمشة والسجاد المصنوع في المهدية[٧٤]،فقد أهتم الفاطميون بالاعتناء بمظهرهم وتميزها، لذا فأنهم أعتنوا بملابسهم وأنفقوا في ذلك الأموال بسخاء ومن أجل ذلك شيدوا داراً للكسوة بالمهدية، وقد فصل في هذه الدار أنواع متعددة من الملابس، وغالباً ما تكون موشاة بالفضة أو الذهب أو الديباج[٧٥].

ثالثاً: الامام المنصور يكرم جوذر :

ولما عاد الإمام المنصور الفاطمي إلى دار ملكه في المهدية وذلك في شهر رمضان عام (٣٣٦هـ/٩٤٧م)[٧٦]، تلقاه الأستاذ جوذر بأحسن زي وأكمل عدة، بموضع الوادي المعروف بالمالح[٧٧]، ولما وقعت عينه عليه أعجب به و ملئ به سرورا وبرؤيته، خالجه قائلا:((ما أدرى أين أخبىء جوذر من الموت، ولو أن الشباب يشترى لبذلنا له فيه النفيس

مما نملكه)) ثم سلم عليه سلاما تاما، وأقبل عليه إقبالا حسنا، وكساه في الوقت خلعا كان أعدها له، وحمله على فرس أبلق من مراكبه يعرف بأبلق بن نيوط[٧٨]، وقود بين يديه مراكب أخرى بسروج ثقيلة، فلما وصل إلى قصره وحضر الطعام، أمره بالجلوس معه على المائدة، وكان ذلك أول جلوسه على المائدة بين يديه[٧٩] .

رابعاً: ذخائر الامام المنصور تودع عند جوذر :

وكان الامام الفاطمي المنصور يدخر عنده نفيس ما احتوى عليه ملكه، وأرفع ذخائره من كل فن ونوع، ولقد أخرج إليه يوما كتبا كثيرة تحتوى على علوم شتى من ظاهر وباطن، وكتب إليه معها رقعة نسختها :((بعثت إليك كتبي وكتب الأئمة آبائي الطاهرين، وقد ميزتها، فأقررها عندك مصونة من كل شيء، فقد وصل الماء إلى بعضها فغير فيه، وما من الذخائر شيء هو أنفس عندي منها، فأمره محمدا كاتبك[٨٠]، ينسخ لك منها ثلاثة كتب، فيها من العلوم والسير ما يسرك الله به، وهى كتاب الإيضاح[٨١]، وكتابان فيهما خطبتان إحداهما من تأليف الامام الفاطمي القائم بأمر، مما أمر المروزي[٨٢] أن يخطب بها في أيام الدجال مخلد بن كيداد، والثانية من تأليفنا نحن، وهى التي خطبنا الناس بها في سنة ست وثلاثين وثلثمائة بعد انصرافنا من المغرب، أعلنا فيها بموت الامام القائم وذكرنا فيها عظيم المصيبة به))[٨٣].

خامساً: الامام المنصور يهدي أموالا إلى جوذر:

عندما أمره الامام المنصور بضرب السكة المنصورية على اسمه، وحصل على أول الضرب إليه، بعث منها إلى الأستاذ جوذر ألف دينار إلى المهدية، وكتب معها رقعة بخطه، وهي: ((يا جوذر، صانك الله وسلمك، بعثنا إليك ألف دينار رباعية منصورية مما ضرب على اسمنا، فاقبضها لنفسك مباركا لك فيها، واحذر أن تردها إلى بيت المال، فإني أعرفك وشحك على أموالنا، وما من أموالنا شيء أزكى من مال وضعناه بأيدينا حيث نشاء ابتداء منا، ولا أعظم بركة على من وصل إليه بطيب أنفسنا، وإنك عندنا لأهل خير، وما نرضى أن نستكثر هذا البعض من تحت يديك فاعلم ذلك))[٨٤].

لقد قام المنصور بعد الانتهاء من فتنة أبي يزيد بضرب السكة، فإنه لم يغير السكة ولا البنود، لكي لا يعرف احد بوفاة الامام القائم، وأقام على ذلك حتى فرغ من أمر أبي يزيد سنة(٣٣٦ هـ . ٩٤٧م)، وقام بتخليد هذا الانتصار بتأسيس المنصورية سنة(٣٣٧هـ . ٩٤٨م) واتخاذها دار ملكه، وفيها ضربت السكة المنصورية[٨٥]، فقد استعمل الفاطميون الفضة في سك النقود وفي الحلي أيضاً، إضافة لتحلية اللجام والسروج، وقد ركبوا أهل كتامة بسروج الفضة في أول انتصار لأبي عبد الله الشيعي في سنة (٢٩٢هـ / ٩٠٤م)[٨٦] .

الخاتمة

نحمد الله تعالى على عليائه ومنعته، إذ مكننا من إكمال دراسة بحثنا (روايات جوذر الصقلبي عن الإمام الاسماعيلي إسماعيل المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)):

١-الإسماعيلية، فرقة ترجع إلى إسماعيل أبن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، التي دعت الى أن الإمام بعد جعفر الصادق (عليه السلام) هو أبنه إسماعيل وأن الامامة تنتقل في الاعقاب اي من الأب إلى الابن الأكبر ولا تنتقل من أخٍ إلى أخيه وعليه فالإمام بعد إسماعيل هو أبنه محمد بن إسماعيل.

٢- اظهر البحث قوة أبو يزيد الخارجي (صاحب الحمار) الذي كاد أن يهز كيان الدولة الفاطمية ويقضي عليها إلا أنه لم يحقق ذلك لأنه لم يكن رجل دولة ولم يكن له خطة واضحة الأهداف واستخدم أسلوب الشدة مع حلفائه ومع أهالي المناطق التي ينزل فيها مما أفقد ثقة الناس به.

٣- أظهر الامام المنصور بالله أبن القائم بأمر الله اهتماماً كبيراً في تنمية موارد الدولة وإعادة الأمن والهدوء إلى البلاد بعد تلك الفترة الطويلة التي حفلت بالفتن والاضطرابات لاسيما ثورة صاحب الحمار.

٤- على الرغم من الأوضاع الداخلية السيئة والمتمثلة بثورة صاحب الحمار، إلا أن الامام المنصور الفاطمي تمكن من تذليل مختلف الصعوبات وأعاد للدولة مكانتها وهيبتها لذا

فهو يعد المؤسس الثاني للدولة الفاطمية بعد الخليفة المهدي المؤسس الأول للدولة الفاطمية، كما وهيأ الظروف الملائمة لأبنه المعز لدين الله لقيادة الدولة.

٥- توصلنا إلى التعرف على الكثير من الخدمات التي قدمها الاستاذ جوذر الصقلبي في سبيل نصرة الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية، ولعلنا عرضنا جل هذه الخدمات منها كتمه للأسرار الائمة، وولاة العهد، وتواصله المباشر مع الائمة الفاطميين من خلال الرسائل والرقع الواردة بنصوص سيرة الأستاذ جوذر الصقلبي ووصوله لمرتبة الحجة في نظام الدعوة وهي من اعلى مراتب الدعوة الإسماعيلية .

الهوامش:

(١)القاضي النعمان، ابوحنيفة النعمان(ت:٣٦٣هـ/٩٧٣م)، رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)، تحقيق: وداد القاضي، ط١،(بيروت: دار الثقافة، مطابع دار الكتب،١٩٧٠م)، ص ١١٢.

(٢)رقادة: بلدة كانت بأفريقيا بينها وبين القيروان أربعة أيام، ويرجع بناءها إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وبنى فيها القصور وجامع وعمرت الأسواق والحمامات والفنادق وكانت دار ملك لبني الأغلب . ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص ٥٥ . ٥٦ .

(٣)القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت: ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبدالله محمد المصري، (السعودية: نشر جامعة أم القرى، ١٩٩٥م)، ص٥٦١؛ ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت ٦٢٦هـ/١٢٣٦م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: جلول أحمد البدوي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص١٥٩؛ ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٠م)، ج١، ص ٢٣٦.

(٤)معد المعز: ابو تميم هو المعز لدين الله الفاطمي، ومنى بذلك نسبة لابنه الأكبر الأمير تميم الشاعر المعروف، ونلاحظ من ذلك أن جوذر كان ثالث شخصية بعد الامام وولي العهد لقول المنصور إلى جوذر(والتقدم على اسمك اسما الا اسم مولاك ابي تميم). القاضي النعمان، ابوحنيفة النعمان (ت:٣٦٣هـ/٩٧٣م)، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وابراهيم مشبوح ومحمد اليعلاوي،

(تونس: المطبعة الرسمية، ١٩٧٨م)، ص٤٠٩-٤١٠؛ الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، (مصر: دار الفكر العربي، ١٩٥٤م)، ص ١٦٢.

(٥)الحسين: هو الحسين ابن الامام المنصور الفاطمي، مات بالمغرب بمدينة المنصورية. القضاعي، عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف، ٥٧٢.

(٦)هاشم: هو هاشم ابن الامام المنصور الفاطمي، مات بالمغرب بمدينة المنصورية. المصدر نفسه، ص٥٧٢.

(٧)القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٥٢٠ .

(٨)ابو الحسن: هو عيسى بن الامام عبدالله المهدي ولد مع الامام المنصور وهو عم المنصور، أصيب بالجدري فذهب بصره ومات سنة (٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م). القرشي، إدريس عماد الدين (ت:٨٧٢هـ/١٤٨٢م)، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، حققه مصطفى غالب، (بيروت: دار الأندلس،١٩٧٥م)، ج٥، ص ٢٥٧.

(٩)المجالس والمسايرات، ص ٥٤٣ .

(١٠)الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٧٢.

(١١)جلولاء: مدينة تبعد عن القيروان اربعة وعشرين ميلاً، تمتاز بكثرة المزارع والعيون المائية. ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم الشيباني(ت:٦٣٠هـ/١٢٤٠م)،الكامل في التاريخ، (بيروت : دار الفكر،١٩٧٨م) ، ج٦، ص٣٤١.

(١٢)اسحاق بن سليمان: هو أحد أبرز الأطباء والفلاسفة، ولد سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م) في مصر، عمل كطبيب للامام عبدالله المهدي، لاحظ الامام عليه الذكاء وسرعة البديهة، توفي سنة (٣٥١هـ/٩٤٢م). ابن جلجل، سليمان بن حسان (ت: ٣٨٣هـ/٩٩٤م)، عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: سيد فؤاد، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م)، ص١٨٣.

(١٣)احمد بن ابراهيم الجزار: هو الطبيب أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار القيرواني وهو أول طبيب مسلم يكتب في التخصصات الطبية المختلفة مثل طب الأطفال وطب المسنين، ولد في مدينة القيروان سنة(٢٨٥ هـ/٨٩٨ م) لأسرة اشتهر أفرادها بالطب وتوفي فيها عام (٣٦٩ هـ/٩٧٩ م). ابن جلجل، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ص٢١٠.

(١٤)المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م)،اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، اصدار محمد توفيق عويضة، (القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٦٧م) ، ج١، ص ١٣١ .

([١٥])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص١٧٢.

([١٦])القرشي، عيون الأخبار، جـ٥، ص٣٢٨؛ الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/ ٩٠٨-٩٧٥م)، ترجمة: حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م)، ص ٢٧٥ .

([١٧])جوذر الصقلبيّ: من رجال الدولة الفاطمية كان في صباه خادما للإمام عبد الله المهدي الذي أهداه إلى ولي عهده الامام القائم بأمر الله فاستخلفه على قصره ثم جعله صاحب بيت المال، استخلفه الامام المنصور على البلاد عندما توجه لمطاردة أبي يزيد، توفي عام (٣٦٢هـ / ٩٧٢م) في عهد الامام المعز وشغل مرتبة الحجة بالدعوة. أبو علي منصور العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، (مصر: دار الفكر العربي، ١٩٥٤م)، ص٣٤-٣٩ .

([١٨])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص ٣٤- ٣٩ .

([١٩])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٤٠؛ عماد الدين القرشي، زهرة المعاني، تقديم وتحقيق :مصطفى غالب، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١م)، ص ٢٢٢.

([٢٠])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٦٣ . ٦٤.

([٢١])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٦٢؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص ٢٧٥ .

([٢٢])ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ٢١٠؛ أبن عذاري، أبو عبد الله المراكشي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٥٧م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تاريخ أفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، د.ت)، ج ١، ص ٣١١؛ المقريزي، تقي الدين (ت :٨٤٥هـ/١٤٥٥م)، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، (بيروت : دار المغرب الإسلامي،١٩٩١م)، ج٢، ص ١٢٩ .

([٢٣])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص ٥٩؛ ابن الابار، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي، الحُلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م)، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب المغرب، ج١، ص ٣١١ ؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص ٢٧٧ .

([٢٤])صولات : وهو شيخ الشيوخ الذي سلم إليه قراءة نص التعيين الخاص بولاية العهد للمنصور بعد أن أمر القائم حاجبه الأستاذ جوذر بإحضار العهد الذي أخذه عند دفن عبدالله المهدي فسلمه الى الشيوخ

وتلاه عليهم صولات . القرشي، عيون الأخبار، جـ٥، ص٣٣٨؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص٢٧٧.

([٢٥])القرشي، عيون الأخبار، ج٥، ص٣٣٨؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص ٢٧٧ .

([٢٦])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص ١٥٩.

([٢٧])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٤٤ .

([٢٨])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٤٤.

([٢٩])المهدية: مدينة بناها عبدالله المهدي سنة(٣٠٣هـ/٩١٥م) وقيل(٣٠٠هـ/٩١٢م)، واتخذها عاصمة للدولة الفاطمية بدلاً من رقادة –عاصمة الأغالبة– وتبعد المهدية عن القيروان مرحلتان ، وموقعها من ساحل البحر كهيئة الكف من الزند. للمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٢٣٠ ؛ ناجي عبدالجبار، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، (البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦م) ، ص٢٣٥-٢٣٩.

([٣٠])سوسة: مدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة خصبة. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٤. ويذكر ياقوت الحموي بأن سوسة مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الحنطة يضرب إلى الصفرة. معجم البلدان، جـ٣، ص٢٨١.

([٣١])ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٩٧؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤١٨م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه: خليل شحاده، مراجعة: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ج٧، ص٢٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٢؛ الداعي إدريس، عماد الدين القرشي (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب وهو القسم الخاص من كتاب (عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار)، تحقيق: محمد اليعلاوي، (بيروت: دار المغرب، ١٩٨٥م)، ص٣٥٧.

([٣٢])كبون بن تصولا: احد القادة الفاطميين وعامل الخليفة القائم على مدينة طبنة. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٢٦٨.

([٣٣])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص٦٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٩٧؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين (ت:٧٣٢هـ/١٣٤٢م)، المختصر في أخبار البشر، (بيروت : دار الكتاب اللبناني، د.ت)، ج٢، ص٩٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٢؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٣٥٨.

([٣٤])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٦٩.

([٣٥])تماجر: وهي مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وفنادق وحمامات تقع على مرحلة من المهدية. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: ٩١١هـ/١٥٢١م)، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، (بيروت: مكتبة لبنان،١٩٨٤م)، ص١٣٦.

([٣٦])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٧٠.٦٩ .

([٣٧])ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٩٨؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص١٤٩.

([٣٨])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٤٤.

([٣٩])الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٣٧٥.

([٤٠])المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٤

([٤١])ابن الأثير، الكامل، ج٧،ص١٩٩.

([٤٢])الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٣٧٧.

([٤٣])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٤٤.

([٤٤])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص ٤٨ .

([٤٥])جعفر الحاجب : هو جعفر بن علي الحاجب أحد رجالات الدولة الفاطمية ودعاتها رافق الخليفة عبدالله المهدي الفاطمي خلال هجرته من سلمية إلى المغرب وكان له دور في حمايته خلال الهجرة وعاصر الخلفاء الفاطميين في المغرب وهم عبدالله المهدي ومحمد القائم و اسماعيل المنصور ومعد المعز، وهو الذي ألقى خطاب النصر في مدينة القيروان على الخارجي مخلد بن أبي كيداد سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م) . القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٤٩؛ المقريزي، المقفى، ص ١٥١-١٥٢؛ الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص ٣٧٩-٣٨٠ .

([٤٦])المقريزي، المقفى، ص١٥١-١٥٢؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٣٧٩-٣٨٠.

([٤٧])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر، ص٤٩.

([٤٨])الجوذري، سيرة الاستاذ جوذر ، ص٤٩ .٥٠ .

([٤٩])باغاية: مدينة كبيرة في أقصى أفريقية بين مجانة وقسطيلية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص٣٢٥.

([٥٠])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص٦٤؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٣٨٩ .

([٥١])محمد بن خزر: أحد رؤساء الزناتيين ملك وهران وتلمسان وتاهرت، وسائر بلاد زناته، بالدعوة للحكم الأموي في الأندلس. الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٢٣.

([٥٢])ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٩٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٢.

([٥٣])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٤٦-٤٧.

([٥٤])ذكر هذا الاسم بأشكال مختلفة فعند القاضي النعمان كتاية وعند ابن حماد كياتة وعند ابن الأثير وابن خلدون والمقريزي كتامة أما عند الداعي إدريس، كيانه وهو الأصح. للمزيد من التفاصيل ينظر: القاضي النعمان، الافتتاح، ص٢٠٢؛ أخبار ملوك بني عبيد، ص٧١؛ الكامل، ج٧، ص٢٠٠، العبر، ج٧، ص٢٢؛ اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٥؛ تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤١٥. أما عن موقعها فهي جبال شاهقة ضيقة المسالك بمقربة من مدينة المسيلة. الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٤.

([٥٥])الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤١٧.

([٥٦])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٤٦-٤٧.

([٥٧])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر ، ص ٤٦-٤٧ .

([٥٨])كتامة: قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينسبون إلى كتم بن برنس ويقيمون في ما يعرف ببلد كتامة، ومعقله الحصين جبل ايكجان، بالقرب من سطيف، ولكن عمارته تمتد من حدود جبل أوراس في الجنوب إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة، وفيه بلزمة وباغاية وتيجس وقسطيلية وميلة وجيجل وسطيف وغيرها من المدن. أبن حزم، أبو محمد علي بن أبي أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٦م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، (القاهرة، دار المعارف،١٩٦٢م)، ص٤٩٥؛ ويذكر أبن خلدون أن كتامة من أشد قبائل البربر بأساً وأطولها باعاً في الملك. للمزيد ينظر: العبر، جـ٤، ص ٣١-٣٢.

([٥٩])المقريزي، المقفى، ص١٥٩؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤١٧ .

([٦٠])قلعة شاكر: قلعة في جبل عقار متصلة بقلعة كيانة، الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤١١.

([٦١])المقريزي، المقفى، ص١٥٩؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤٢٦.

([٦٢])من الموالي الصقليين الذين خدموا الدولة الفاطمية في عهد الامام المنصور بالله والمعز لدين الله، الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص١٥٧؛ ابن خلدون التاريخ، ج٤، ص٦٠.

([٦٣])المقريزي، المقفى، ص١٦٣-١٦٤؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص٤٣٤.

([٦٤])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص٧٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٢٠ ؛ احمد التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، تحقيق: جورج مارصي و حسن حسني عبد الوهاب، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٥٨)، ص٣٢٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٥؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤٣٦.

([٦٥])ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠١.

([٦٦])القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص٢٠٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠١ .

([٦٧])ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج ٧، ص ٢١٠ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١٠، ص ٢٣٤؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م) ج١٠، ص ٢٦٩ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤٠، ص٥٥ .

([٦٨])ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص٧٧؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٨٦؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٤٥٩.

([٦٩])المنصورية: هي عاصمة الخلافة الفاطمية الجديدة التي بناها الامام المنصور بالله الفاطمي سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م)، جنوب غرب مدينة القيروان والتي تبعد عنها بنصف ميل، سميت بالمنصورية نسبة للامام المنصور. ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الأرض ، (لندن: مطبعة بريل، ١٩٣٨م)، ص٧٣-٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣١٢.

([٧٠])الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص٣٨٦.

([٧١])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص١٦٠.

([٧٢])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٥١-٥٢ .

([٧٣])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٥٢ .

([٧٤])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٥٢ .

([٧٥])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٣٩؛ أما الديباج، فهي الأقمشة الثمينة المشهورة في الشرق قبل الإسلام وغالباً ما تكون من الحرير . المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص٩٥ .

([٧٦])المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج ١، ص ١٢٥ .

(٧٧)الوادي المالح: هو وادي يقع بين تماجر ومدينة المهدية وتماجر مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وفنادق وحمامات تقع على مرحلة من المهدية. الحميري، الروض المعطار، ص١٣٦.

(٧٨)أبلق بن نيوط: هو من افضل الفروس عند الامام المنصور. الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٥٢.

(٧٩)الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص٥٢-٥٣ .

(٨٠)محمد الكاتب وهو أبو عبد الله محمد ابن عثمان الكاتب وكان أحد الكتاب الثلاثة الذين كتبوا لجوذر، وقد استمر محمد هذا في صحبة جوذر مدة طويلة إلى أن انتقل بعد ثورة أبي يزيد على ما يظهر إلى عمل آخر بدليل أنا نجد ذكره في القصر حين خرج المعز إلى بسكرة أيام فتح مصر على يد جوهر، ثم نجد ذكره على أنه أحد الذين حضروا الصلاة على جثمان جوذر مع القاضي النعمان بن محمد ومنصور الجوذري مؤلف هذه السيرة . الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ١٦٢.

(٨١)لدى اسماعيلية الشام الآن عدة نسخ من كتاب يعرف باسم كتاب الإيضاح، وهم ينسبونه إلى القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي .. والمعروف أن في الدعوة الإسماعيلية عدة كتب تحمل اسم كتاب الإيضاح وأول كتاب يحمل هذا الاسم هو الكتاب الذى ذكره ايفانوف في كتابه (المرشد إلى أدب الاسماعيلية) ونسبه إلى القاضي النعمان أيضا، كما ذكر كتبا أخرى تحمل اسم كتاب الإيضاح منسوبة إلى عصور مختلفة ولا ندرى بالضبط إذا كان الكتاب المذكور هنا في سيرة جوذر هو نفس الكتاب الذي ينسب إلى القاضي النعمان فإننا نعلم في تقاليد الاسماعيلية أن العلماء والدعاة كانوا يؤلفون الكتب باسم الأئمة، ودليلنا على ذلك ما تراه من كتب القاضي النعمان نفسه فإنه يقول إنه أخذها عن الأئمة ويقول أحيانا أخرى إن الإمام مهد له هذا الكتاب وقسم فصوله وقرأه قبل إذاعته بين الناس، القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، واذن نستطيع أن نرجح أن كتاب الإيضاح مثل غيره من كتب الاسماعيلية ليس من تأليف الأئمة مباشرة بل هو من تأليف الدعاة والعلماء باسم الأئمة واشرافهم. الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ١٦٣ .

(٨٢)المروزي : وهو حسين بن علي وسمي بالمروزي نسبة لمدينة في خراسان، وهو احد الدعاة للدعوة الفاطمية الإسماعيلية في المشرق، وأوكل امر الدعوة الى العالم النسفي، وهو يحتضر، واوصاه بعبور نهر جيحون، لنشر الدعوة في بخارى والمناطق الاخرى . نظام الملك الطوسي، أبو علي الحسن بن علي (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، سياست نامة (سير الملوك)، ترجمة : د . يوسف حسين بكار، (بيروت: دار القدس، د.ت)، ص٢٣٨.

(٨٣)الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٥٣ .

(٨٤)الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٦٠ .

([٨٥])أبو المحاسن الاتابكي (ت:٨٧٤هـ/١٢٨٤م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٢٩م)، ج ٣، ص ٢٩٨ .

([٨٦])الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص ٥٢ .

قائمة المصادر:

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م).
٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٤٠م)، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨م).
٣. ابن جلجل، سليمان بن حسان (ت: ٣٨٣هـ/٩٩٤م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: سيد فؤاد، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م).
٤. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، (لندن: مطبعة بريل، ١٩٣٨م).
٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤١٨م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م).
٦. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٠م).

٧. ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٣٦م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: جلول أحمد البدوي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م).
٨. ابن عذاري، أبو عبد الله المراكشي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٥٧م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، (بيروت: دار الثقافة، د.ت).
٩. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٢٩م).
١٠. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).
١١. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: كسروي حسن، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).
١٢. الجوذري، أبو علي منصور العزيزي (ت: ٣٩٠هـ/٩٩٩م)، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، (مصر: دار الفكر العربي، ١٩٥٤م).
١٣. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار السراج، ١٩٨٠م).
١٤. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق: وداد القاضي، ط١، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٠م).

١٥. القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت: ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، (تونس: المطبعة الرسمية، ١٩٧٨م).
١٦. القريشي، إدريس عماد الدين (ت: ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٥م).
١٧. القريشي، إدريس عماد الدين (ت: ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، زهر المعاني، تحقيق: مصطفى غالب، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، د.ت).
١٨. القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت: ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، (السعودية: جامعة أم القرى، ١٩٩٥م).
١٩. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، (بيروت: دار المغرب الإسلامي، ١٩٩١م.(
٢٠. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٧م.(
٢١. ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٣٦م)، معجم البلدان، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٩٦م).
٢٢. أحمد التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (ت: ٧٢١هـ/١٣٢١م)، رحلة التجاني، تحقيق: جورج مارصي وحسن حسني عبد الوهاب، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٥٨م).

المراجع

٢٣. الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٨-٩٧٥م)، ترجمة: حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م).
٢٤. الزركلي، خير الدين، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٣، (بيروت: ١٩٦٩م).

الصلات الحضارية بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق البحر الأحمر والقرن الافريقي

Connections and Civilized influences between the southern Arabian Peninsula and the Red Sea and Horn of Africa regions

معمر محمد عبدالواحد العامري

باحث دكتوراه، قسم الآثار والسياحة، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن

Muamer Mohammed Abdulwahed Al-Ameri

PhD Researcher, Archeology and Tourism Department, Faculty of Arts and Human Sciences, Sana'a University, Yemen

E-mail : muamer.alameri@gmail.com

Mobile: 777322844

الصلات الحضارية بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق البحر الأحمر والقرن الافريقي

معمر محمد عبدالواحد العامري

الملخص

يتناول البحث أهمية موقع اليمن القديم ودوره في طبيعة العلاقة والاتصالات بين مناطق البحر الأحمر والقرن الافريقي منذ بداية المراحل المبكرة من العصر الحجري والتي استمرت وتطورت حتى مراحل متأخرة من العصور التاريخية، وذلك من خلال الأدلة والشواهد الأثرية. ويركز البحث على كل من جغرافية البحر الأحمر وأثرها في تشكيل الصلات الحضارية بين شعوبه، بالإضافة إلى موقع جنوب الجزيرة العربية الذي ساعد على تعدد وتنوع الاتصالات والعلاقات الخارجية بينها وبين المناطق المجاورة المطلة على البحر الأحمر والقرن الإفريقي. فلم يكن بمقدور الإنسان في جنوب الجزيرة العربية (ليمن) أن يعيش في عزلة إبَّان عصور ما قبل التاريخ؛ ويرجع ذلك إلى موقعه الجغرافي المتميز، فكان على اتصالٍ وثيق بالمناطق المتاخمة له داخل وخارج شبه الجزيرة العربية، والتي بدأت تتبلور خلال الفترات المبكرة من العصر الحجري، وعلى وجه الخصوص مع مناطق القرن الافريقي منذ فترة العصر الحجري القديم بمرحلتيه الأولدوانية والآشولية بحسب ما أظهرته المعطيات الأثرية التي تم الكشف عنها في مواقع متعددة من اليمن والتي توافقت مع ما تم اكتشافه في مناطق القرن الافريقي، حيث عثر فيها على شواهد تدل على انتشار الجماعات البشرية المبكرة. بالإضافة إلى ما أظهرته الشواهد الأثرية التي مثلت إمتداداً لتلك الاتصالات مع بعض مناطق شمال افريقيا خلال الألف السابع ق.م، إذ نجد أنها قد أقامت صلات مبكرة مع الحضارة (المصرية) عن طريق البر عبر صحراء سيناء، إضافةً إلى طريق البحر. وهنا يتضح الدور الذي أدته منطقة جنوب الجزيرة العربية كمعبر لانتقال تلك الجماعات البشرية بين شرقي أفريقيا وآسيا.

الكلمات المفتاحية: البحر الأحمر، جنوب الجزيرة العربية، صلات وتأثيرات حضارية، القرن الافريقي.

Aabstract:

The research deals with the importance of the ancient location of Yemen and its role in the nature of the relationship and contacts between the Red Sea and the Horn of Africa since the beginning of the early stages of the Stone Age, which continued and developed until later stages of historical times, through the clues and the archaeological evidence.The research focuses on both the geography of the Red Sea and its impact in shaping civilizational links between

its peoples, in addition to the location of southern Arabia, which helped to widen and diversify contacts and external relations between it and neighboring areas bordering the Red Sea and the Horn of Africa. The ancient Yemeni man in southern Arabia was unable to live in isolation during prehistoric times; this is due to his distinguished geographical location, and he was in close contact with the areas adjacent to him inside and outside the Arabian Peninsula, which began to crystallize during the early periods of the Stone Age, and in particular with the regions of the Horn of Africa since the Paleolithic period in its two phases, the Oldwanian and the Acheulean. According to what was shown by the archaeological data that were revealed in various sites in Yemen, which coincided with what was discovered in the regions of the Horn of Africa, where evidence was found indicating the spread of early human groups. In addition what was shown by archaeological evidence, that represented an extension of those contacts with some areas of North Africa during the seventh millennium BC. M, as we find that it had established early links with the (Egyptian) civilization by land through the Sinai desert, in addition to the sea route. Here the role played by the southern Arabian Peninsula as a passageway for the movement of these human groups between East Africa and Asia becomes clear.

Keywords: Red Sea, Southern Arabia, cultural Connections and Influences, Horn of Africa.

مقدمة:

ركزت البحوث والدراسات الآثرية على موضوع الصلات الحضارية لمناطق البحر الأحمر، وقد اتخذت معظم تلك الدراسات المتعلقة بالصلات الحضارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق شمال وشمال شرق أفريقيا النصيب الأكبر. إلا أنه يبدو أن معظم تلك الدراسات كان الهدف منها هو إعادة النظر في تاريخ شمال شرق افريقيا خلال الألف الأول قبل الميلاد، وهي الفترة التي تم تعريفها بفترة ما قبل أكسوم، وتوضيح المراحل التي بدأت أن تؤسس لظهور مملكة أكسوم (Fattovich 1990 2004) وكانت معظم تلك الدراسات قد اتخذت في نقاشاتها فكرة عدم وجود نظام سياسي "في فترة ما قبل أكسوم" من منظور ثقافي أحادي (Munro-Hay et al 1993; Fattovich et al 2000; D. Phillipson 1996, 2000; Bard and Fattovich 2001; Curtis 2007). ومع ذلك، بالنظر إلى العناصر الداخلية والخارجية المتنوعة من جنوب الجزيرة العربية إلى مصر ووادي النيل، فإنها تؤكد على تعقيد التقاليد المختلفة والهويات، أو حتى النظم الاجتماعية

والسياسية التي لا يزال من الصعب تمييزها (سيد ٢٠٠٣: ٦٥٠). وهنا يمكن اعتبار العناصر الخارجية كأدلة مشتركة على الاتصال الوثيق، مع مراعاة الموقع الجغرافي لكل من جنوب الجزيرة العربية[١]ومناطق القرن الافريقي[٢] كمفترق طرق بين شمال شرق إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، وجنوب شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي. وعلى الرغم من ذلك، يلاحظ أن منطقة جنوب الجزيرة العربية – تبدو هي الأكثر أهمية في جوانب التأثير – حيث يرى البعض أن التأثيرات القادمة منها تمت بواسطة عمليات (عسكرية) نتج عنها عملية توطين في مناطق مستقلة. أنظر (Gerlach, 2013; Nebes, 2010; Robin & De Maigret, 1998; Wolf & Nowotnick, 2010). وفي الواقع يمكن التساؤل حول الوجود العربي الجنوبي منذ عصور ما قبل التاريخ، وحتى الألف الأول ق.م الذي يبدو أنه تم خلاله إنشاء نوعًا من النظام السياسي المحلي لما عُرف باسم مملكة دعمت (وفقًا لما ورد في نقوش المسند المؤرخة إلى النصف الأول من الألف الأول ق.م) التي اختفت قبل ظهور أكسوم (Robin & de Maigret 1998: 793–794))، فالنقوش تمثل دليلاً قوياً على الاتصال الوثيق، سواء من حيث شكل الخط، الكتابة، أو اللغة على الرغم من وجود بعض الاختلافات في الصوتيات والنحو والمفردات (Fattovich 1996: Nebes 2010: 230; 396). كذلك تشير أسماء المعبودات (المقه وعثتر و هوبس، إلى جانب أسماء معبودات أخرى من جنوب الجزيرة العربية) إلى وجود تأثيرات وبصمة ثقافية قوية، بالإضافة إلى وجود بعض المنشآت والمباني المعمارية سواء الدينية أو المدنية التي تم بناؤها بنفس النمط والأسلوب المعماري السبئي في كل من مناطق يحا وكاسكاسي (Curtis 2004: 59)، إلى جانب المنحوتات الخاصة بالأفاريز والرموز الدينية التي اتخذت في تكويناتها نفس الأشكال والرموز السبئية (الشيبة ١٩٩٨: ٣٢). ولعل من أهم ما لفت انتباهنا كباحثين هو وجود التأثيرات القادمة من جنوب الجزيرة العربية إلى مناطق شرق أفريقيا وتحديداً في بعض مناطقة القرن الأفريقي، والتي تظهر بشكل واضح على أنها تأثيرات اجتماعية ثقافية، (بمعنى أنها لم تتم وفقاً لأي تدخل غير مشروع)، سواء في فترة ما قبل أكسوم أو ما بعدها في أي منطقة من مناطق القرن الأفريقي على أقل تقدير منذ بداية العصر الحجري الحديث، وحتى بداية الألف الأول ق.م. الذي أنشأ خلاله نوعًا من النظام

السياسي المحلي لما عُرف باسم مملكة دعمت، ومن ثم في فترة لاحقة نظام مملكة أكسوم. هذا التوسع في علاقات جنوب غرب الجزيرة العربية مع مناطق القرن الافريقي إنما كان نتيجة توسعها الجغرافي التجاري. وعليه سنحاول من خلال هذا البحث الإجابة بقدر الإمكان وباعتماد ما وفرته الدراسات والأعمال الأثرية الحديثة من معلومات ونتائج حول تلك الصلات وتتبع المراحل الزمنية التي استغرقتها في عبور حدودها والدور الذي أدته في تكوين وتشكيل الأنظمة السياسية في تلك المناطق، إلى جانب إعادة تقييم ومناقشة طبيعة الاتصالات بين كل من مناطق شرق افريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية منذ العصر الحجري القديم بمرحلتيه الأولدوانية والآشولية وحتى الألف الأول الميلادي. ونظراً لما كان يشكله موضوع الصلات الحضارية لجنوب الجزيرة العربية على شعوب البحر الأحمر من صعوبة على الباحثين في المراحل السابقة بسبب عدم تنفيذ أعمال التنقيبات والأبحاث والدراسات الأثرية في المناطق المطلة على سواحل البحر الأحمر (فيما عدا مصر) فإن الباحث استعان على تذليل تلك العقبة من خلال:

١. الدراسات الحديثة التي أجريت منذ مطلع العام ٢٠١٠ وحتى ٢٠٢٢م من قبل البعثات الأثرية المختلفة (الفرنسية والألمانية والايطالية) في كل من مناطق مرتفعات تيغراي في (أثيوبيا وأريتيريا).
٢. ما قدمته النقوش السبئية والمنشآت المعمارية المكتشفة حديثا في منطقة رأس عسير على الساحل الشرقي للصومال من معلومات جديدة ومهمة.
٣. أوصاف الكتاب الكلاسيكيين للمظاهر الحضارية التي كانت موجودة في أيامهم في مختلف مناطق البحر الأحمر.
٤. الدراسات القديمة المرتبطة بأصول الشعوب الناطقة بـ(الإثيو– سامية) التي نالت اهتمام العلماء منذ

بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

وتتمثل إشكالية الدراسة حول الصلات الحضارية بين مناطق جنوب الجزيرة العربية ومناطق البحر الأحمر والقرن الافريقي إبتداءً من أقدم المراحل التي تم فيها التواصل وحتى ظهور

العلاقات بين ممالك اليمن القديم. وعليه سيكون تركيزنا في الإجابة عن تلك الإشكالية من خلال:

١. جغرافية البحر الأحمر وأثره في تشكيل الصلات الحضارية بين شعوبه.
٢. دور الممرات المائية الضيقة في عملية التواصل بين جنوب الجزيرة العربية مع مناطق القرن الافريقي (أريتيريا وجيبوتي وأثيوبيا والصومال).
٣. موقع شعب (بونتيو) وأرض (بونت).

جغرافية البحر الأحمر وأثرها في تشكيل الاتصالات الحضارية:

يعتبر البحر الأحمر بصفة عامة منطقة هامة نشأت حوله عدة ظروف لتجعل منه بيئة صالحة لنشأة الملاحة البحرية التجارية، من بين تلك الظروف نذكر العامل الجغرافي، حيث شغل البحر الأحمر مكانا استراتيجيا في العالم القديم، و على شواطئه نمت حضارات قديمة انتقلت من ساحل لآخر، فهو بحر متفرع من المحيط الهندي، ويتمتع بموقعه المتميز بين كل من قارة آسيا وأفريقيا ضمن وادٍ أخدودي يقع في القشرة القارية لكل من أفريقيا وشبه الجزيرة العربية (Tosi, 1986, 463). (صورة جوية ١).

جغرافيا: يمتد أخدود البحر الأحمر من مضيق باب المندب جنوبا إلى خليج السويس وخليج العقبة شمالاً بطول يقدر بحوالي ٢,١٠٠ كلم، ويتراوح عرضه بين ١٨٠كلم إلى ٣٦٠كلم وبمتوسط ٢٥٠كلم، أما عمقه فيتراوح في بعض أجزاءه، خصوصا الأجزاء الوسطى، ما بين ٢٠٠٠م و ٢,٩٢٠م تقريباً تحت مستوى سطح البحر، ويشغل حيزا مساحياً يقدر بحوالي ٤٣٨,٠٠٠كلم^{٢} (Khalidi 2006: 53). وموقعه الجغرافي كان وما يزال يشكل أهمية إستراتيجية، فهو يربط قارة أسيا بإفريقيا وأوروبا، وفي مضائقه وممراته وجزره أيضا أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية لشعوب البلدان المحيطة به كاليمن والسعودية والأردن وفلسطين ومصر والسودان وجيبوتي وإرتيريا والصومال وبلدان العالم الأخرى (خريطة رقم١)، وفي نهايته الشمالية يتفرع أخدود البحر الأحمر إلى فرعين رئيسيين: الأول يتجه شمال وشمال غرب ويسمى خليج السويس، والفرع الثاني يتجه شمال وشمال شرق ويسمى خليج العقبة (مضيق تيران)، وتقع جزيرة سيناء الصحراوية بين هذين الفرعين.

جيولوجيا: كانت شبه الجزيرة العربية تتصل بالقارة الإفريقية جغرافيا في كتلة واحدة حتى الزمن الجيولوجي الثالث، عندما انفصلت عنها بفعل تصدع القشرة الأرضية الذي شكل أخدود البحر الأحمر بين الجانبين (الخرباش والأنبعاوي ١٩٩٦: ٢٣)، وأخدود البحر الأحمر يعتبر من الظواهر الجيولوجية الهامة في منطقة شبه الجزيرة العربية والمميزة في بناء وتطور صخور الدرع العربي– النوبي وما يعلوها، بالإضافة لاحتواء بعض أغواره على رواسب الخامات الاقتصادية الهامة (Saada et al.2021: 2). ويفسر تكون أخدود البحر الأحمر على أساس حدوث حركات تكتونية مع دوران وفصل قاري كبير قبل حوالي أكثر من ٤٠ مليون سنة، تحركت بعدها الشقوق الناجمة عن حركة سطح الجزيرة العربية نحو الشمال والشرق فنتج عن حركتها انفصال شبه الجزيرة العربية عن القارة الإفريقية، وقبل حوالي ٢٥ مليون سنة قامت سلسلة من الشروخ في عمق المحيط الهندي جنوب عدن بفصل الجزء الجنوبي للجزيرة العربية عن القرن الإفريقي، وانتصبت الجبال على جانبي أخدود البحر الأحمر ، في ارتيريا وفي الجزيرة العربية، وحدث الفصل الفعلي للجزيرة العربية عن القارة الإفريقية قبل حوالي ١٠ مليون سنة، ابتداءً من الشرخ الكبير لخليج عدن (Eppelbaum and Y. Katz 2021: 202). وكان اكتمال تشكل البحر الأحمر قد حدث قبل حوالي خمسة ملايين سنة، وقد ظلت شبه الجزيرة العربية مرتبطة بالقارة الإفريقية من خلال ممر ضيق يسمى " مضيق باب المندب " ، ولم يكن هذا الممر عميقا في بداية عصر البلايستوسين ، أي قبل حوالي مليون وثمان مائة ألف سنة (خريطة رقم٢).

طبوغرافياً: تعد مناطق البحر الأحمر مناطق وعرة خصوصاً المناطق الواقعة بين خطي عرض ١٦ درجة و ٢٥ درجة شمالاً، وسواحل البحر الأحمر قليلة التعرجات والمرافئ التي تصلح لقيام الموانئ (العامري ٢٠٢١: ١٨)، ويوجد أمام هذه المناطق الوعرة الصخور البارزة والمخفية تحت سطح البحر، ويوجد أمامها أيضا الشعاب المرجانية التي تتسبب بوجود سكون حركة المياه، إضافة إلى كثرة الجزر الصغيرة، الرملية منها والصخرية، وجميعها تشكل مصدر خطر للسفن جعلت البحر الأحمر أخطر بحار العالم بالنسبة للملاحة الشراعية خصوصا في المناطق الواقعة جنوب خط الطول ١٦ درجة (خريطة رقم٣). ويذكر المؤرخون والجغرافيون القدماء في كتبهم أن السفن الشراعية لم تكن تسافر فيه إلا بالنهار؛

ولم يكن البحارة يستطيعون السفر فيه بالليل إلا لمن كان لديه خبرة طويلة في الملاحة فيه ومعرفة تامة بالمسالك الأمينة في مياه هذا البحر ، وبخاصة في المياه المجاورة للساحل العربي. كما يوجد أمام سواحل البحر الأحمر عدد من الجزر المرجانية ، بعضها غير آهلة بالسكان.

الموقع الجغرافي لجنوب الجزيرة العربية وأهميته

لم يكن في مقدور سكان جنوب الجزيرة العربية أن يعيشوا في عزلة إبَّان عصور ما قبل التاريخ؛ ويرجع ذلك إلى موقع موطنهم الجغرافي المتميز، إذ كانوا على اتصالٍ وثيقٍ بجيرانهم في الأرض المتاخمة لموطنهم داخل وخارج الجزيرة العربية، فهي تشغل من منظور الجغرافيا الحيوية والعمليات التطورية مكانة بارزة (Petraglia, 2003, 174)، وأن شبه الجزيرة العربية تعد بصفةٍ عامة جزءًا من أفريقيا، وأنها ذات معالم جيولوجية ومناخية مشتركة (Tosi, 1986, 463). فالشاطئ الشرقي لساحل البحر الأحمر يرتبط بتاريخ جيولوجي طويل مع شاطئ افريقيا، وذلك بدءًا من ترسب ما قبل الكمبري حيث الصخور الرسوبية والبركانية (Brown, 1970, 76). ومن ناحيةٍ أخرى فإن شبه الجزيرة العربية تقع في أقصى جنوب غربي آسيا، وقد كان لهذا الموقع أهميةً تاريخيةً، حيث أنها تتوسط قارات العالم القديم، فهي تتصل بالبر مع قارات العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوربَّا اتصالًا مباشرًا أو غير مباشر، فاتصالها بالشمال الأفريقي كان عن طريق شبه جزيرة سيناء، وهو ما عرف باسم المدخل الحضاري الشمالي الشرقي لمصر، وامتد هذا الاتصال إلى أقصى الغرب، ونحو الجنوب إلى وسط أفريقيا، كما اتصلت عن طريق باب المندب بالساحل الشرقي للقارة الأفريقية، وعن طريق البحر المتوسط بجنوب أوربَّا (بكير، ٢٠٠٠، ص٤٢٤- ٤٢٥). ولهذا كان لها ميزة الاتصال المكاني والحضاري في أطرافها الشمالية والجنوبية، بحيث كانت مداخل حضارية مفتوحة، تمامًا كما كانت مداخل مصر، الأمر الذي ساهم في بزوغ فكرة الاتصالات المكانية لشبه الجزيرة العربية، فجعلها مكان المرونة للاتصالات الحضارية، ولقد تجسد ذلك في موقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، حيث كان له بالغ الأثر في اتصال بعض مناطق الحضارات القديمة بسكانه، ومن المرجح أن وجود هؤلاء السكان أو تلك الجماعات البشرية عند مخرج البحر الأحمر جعلهم يغامرون بالخروج إلى البحر (عصفور

١٩٨٧، ١٤٥). حيث يمثل طريق جنوب شبه الجزيرة العربية – القرن الأفريقي، همزة وصل قديمة بين قارتي أفريقيا وآسيا (Yosef, 1994, 211). فلقد تمتع الممر المائي(باب المندب) بمكانةٍ مهمة جدًا منذ القِدم؛ حيث يربط بحرين، هما بحر العرب و البحر الأحمر، ويابسين هما شبه الجزيرة العربية عند رأس المنهال و شرق أفريقيا عند رأس سيان (Derricourt, 2005, 122).

أثر جغرافية البحر الأحمر وموقع اليمن في تشكل الصلات الحضارية

لقد اكتسب البحر الأحمر أهمية استراتيجية واقتصادية منذ الفترة المبكرة من العصر الحجري القديم وحتى فترة نشؤ ممالك جنوب الجزيرة العربية وتطورها وازدهارها حيث أن شعوب المناطق التي استوطنت حوله عرفوا فيه ميزة الربط بين الساحل الآسيوي عند باب المندب في جنوب شبه الجزيرة العربية والساحل الأفريقي عند مصر، و إلى شمال أفريقيا وعند السودان والصومال، ثم إلى قلب القارة الأفريقية، كما عرفوا من خلاله فيما بعد ميزة الربط بين المحيط الهندي جنوبا والبحر الأبيض المتوسط شمالا كأقصر طريق للملاحة، وبالتالي العبور والانتشار من خلاله إلى مناطق مختلفة من العالم. فمن الثابت أثرياً وتاريخيا أن هذه التنقلات بدأت بشكل أفراد وجماعات صغيرة ثم هجرات جماعية "أقوام" بدأت تتبلور خلال انتقال الجماعات البشرية الأولى قبل أكثر من مليون سنة (Bar-Yosef 2001: 19)، والتي تمت من شرق أفريقيا عبر مضيق باب المندب إلى جنوب الجزيرة العربية، ومنها إلى قارة أسيا (خريطة رقم٤)، كما عبرت الجماعات الأسيوية إلى القرن الأفريقي عبر سيناء ومنها انتشرت في أنحاء القارة الأفريقية (Whalen93-1994: 3-4). وكانت اليمن بدور المعبر البري في انتقال الإنسان الذي أطلق عليه اسم " منتصب القامة " إلى شرق قارة أسيا وقارة أوروبا، وكان " وصوله إلى اليمن قبل حوالي مليون سنة، وقد تم العثور على مجموعة من الأدوات الحجرية المصنوعة من الصوان في كل من منطقتي باب المندب ووادي "دوعن" في حضرموت تم إعادة تاريخها إلى فترة أولدفاي (خلال العصر الحجري القديم الأدنى) (إينيزان و رشاد ٢٠٠٧: ٢٠ – ٢١). كذلك أظهرت الشواهد الأثرية التي تم العثور عليها سواء في مناطق جنوب الجزيرة العربية أو في مناطق القرن الافريقي عن استمرار هذا التواصل خلال فترة العصر الحجري القديم الأوسط، يظهر ذلك من خلال

مستوطنة شعبة الضحي في سهل تهامة على الضفة اليسرى من وادي سردد (خريطة رقم٥) التي يعود تاريخها بحسب نتائج تحليل العينات بواسطة راديو كربون[14] إلى 55,000 سنة قبل الميلاد (Macchiarelli ,et all,2012,471-491). وتبرز أهمية هذا الموقع بما يحتويه من تنوع يبرز مظاهر الحياة لسكان هذه المستوطنة القديمة وما عثر عليه من مواد ومعثورات أثرية تشير إلى مجاميع بشرية شبه مستقرة تربطها علاقات التواصل الوطيدة مع مناطق شرق أفريقيا التي تم الاستدلال عليها بشكل مؤكد من خلال مجموعة العظام التي تخص نوعا من الجواميس الإفريقية الغير مستأنسة بالإضافة إلى مجموعة كبير من الأدوات التي استخدمها الإنسان القديم في الصيد البري للحيوانات والطيور، وهي من الأدوات التي تنتمي إلى الثقافة اللفلوازية (Crassard and Hilbert 2013: 2). كذلك أظهرت الشواهد الأثرية استمرار هذا التواصل خلال فترة العصر الحجري الحديث الممتدة من (٧٠٠٠ – ٥٠٠٠ق.م)، والتي تبينت بشكل جلي من خلال عملية التبادل التجاري بأحجار الزجاج البركاني (الأوبسيديان) الذي استخدم كسلعة مهمة في صناعة الأدوات من شفرات ونصال ورؤوس سهام، فقد دلت تلك الأدوات التي احتوتها معظم المواقع الأثرية في جنوب غرب الجزيرة العربية وشرق افريقيا، إلى وجود علاقات تجارية بعيدة المسافات، وقد تم إثبات تلك العلاقات من خلال التحاليل المعملية الجيوكيميائية التي أثبتت وجود أنواعا من هذه الأدوات تم استقدام خاماتها من مناجم شرق أفريقيا في أثيوبيا إلى مناطق جنوب غرب الجزيرة العربية، بالإضافة إلى التي تم استقدام خاماتها من مناجم جنوب غرب الجزيرة العربية الواقعة في كل من مناجم جبل يفع وجبل أسبيل وجبل اللسي غرب ذمار (Khalidi et al,2010). كذلك يشير كتاب "الطواف حول البحر الإرتيري" إلى السلع والمواد التي تمت التجارة بها وتصديرها عبر الموانئ، ومنها الأوبسيديان باعتباره من المواد المصدرة من أثيوبيا، والذي كان يستخرج من خليج (هواكيل) إلى الجنوب من ميناء عدوليس (Schoff 1912: 23). بالإضافة إلى مصادره في جنوب غرب الجزيرة العربية في كل من مرتفعات عسير إلى الغرب من الربع الخالي، كما تم العثور على مجموعات كبيرة من الأدوات المصنوعة من الزجاج البركاني في موقع (سيهي) على سهل تهامة، وهو من مواقع العصر الحجري الحديث، ومصدر تلك الأدوات هي أثيوبيا (زارينس وآخرون ١٩٨٥: ١٠٩ –

١١٠). أما في فترة العصر البرونزي فقد تأكدت تلك العلاقات والاتصالات على وجه الخصوص في الألف الثالث ق .م (الأمير ٢٠٢١: ٥٧ ؛ ونس ٢٠٢١: ٧٥) فقد أظهرت الشواهد الأثرية التي تم العثور عليها في شمال أفريقيا وتحديداً في بلاد مصر عن استمرار هذا التواصل خلال هذه الفترة، يظهر ذلك من خلال المصادر المصرية التي تذكر أن المصريين القدماء عرفوا الملاحة في البحر الأحمر منذ منتصف الألف الثالث والألف الثاني ق.م، والتي من أهمها ما جاء عن أولى الرحلات المصرية التي أرسلت إلى بلاد بونت في عهد الملك ساحورع من الأسرة الخامسة الذي حكم في الفترة من ٢٤٧٣ – ٢٤٨٧ق.م (الساحلي ٢٠١٨: ٣٢١). يليها نقوش الدير البحري التي تتحدث عن بعثة الملكة (حتشبسوت) إلى بلاد بونت طلباً للمنتوجات الجنوبية (البخور والمر) (بافقيه وآخرون ١٩٨٥: ١٤). وقد وصلت تلك الاتصالات إلى ذروة تطورها وازدهارها خلال العصر التاريخي المبكر فيما يعرف بفترة ممالك جنوب الجزيرة العربية، وهي الفترة التي أصبحت فيها الريادة في عملية الاتصال عبر البحر الأحمر ترجع لشعوب ممالك ودول اليمن القديم من (سبئيين وقتبانيين وحضارم ومعينيين ومن قبلهم الأوسانيين)، وللفراعنة من الحضارة المصرية في شمال افريقيا، والتي كانت أساطيلهم البحرية تصل حتى القرن الافريقي (أريتيريا وأثيوبيا والصومال)، لتتضح الصورة فيما بعد بأن فضل تحديد معالم الملاحة في البحر بشكل واضح يرجع لليمنيين القدماء خلال فترة العصور التاريخية، التي بينتها رحلاتهم البحرية لاستكشاف الشواطئ الأفريقية، ففي الوقت الذي أصبح فيه الوجود السبئي في شمال إثيوبيا واضحاً، خصوصاً بعد أن بدأ السبئيون بالاستقرار في المناطق الإريترية وعلى هضبة تيغراي الإثيوبية في القرن الثامن ق.م (Gerlach, 2013; Nebes, 2010; Robin & De Maigret, 1998; (Wolf & Nowotnick, 2010. وخصوصاً بعد أن تمكنوا من السيطرة السياسية على مناطق الساحل الغربي، بالإضافة إلى الخبرة الملاحية التي اكتسبوها من الإبحار عبر السواحل العربية والأفريقية مما أعطاهم دورًا محفزًا للاستكشاف البحري الطموح، الذي يتضح من خلال أسطول إبحار سبأ على طول الساحل الغربي لشرق أفريقيا والساحل الشمالي للصومال. وليس هناك من شك في أن الهدف الأساسي للوجود السبئي على الساحل الصومالي كان لغرض توفير البخور والطيوب. فكتاب (الطواف حول البحر

الارتيري) يصف طرق الملاحة التي عبرتها الأساطيل السبئية على طول الساحل الغربي لجنوب الجزيرة العربية من باب المندب إلى خليج تادجورا، ثم على طول الساحل الشمالي لأرض الصومال (الحالية) إلى كيب جاردافوي (راس نجران)، ثم تتجه جنوبًا إلى منطقة بارجال (خريطة رقم٦). وخلال جميع هذه المحاولات سواء "اليمنية القديمة أو الفرعونية" لتحديد مسارات الملاحة في البحر الأحمر، فقد كان الهدف الاقتصادي واضح ومحدد عند أولئك الذين قاموا بهذه الكشوفات لمد جسر التواصل الاستراتيجي بين الشواطئ الشرقية والجنوبية للقرن الافريقي، ذلك التواصل الذي ما زال قائما حتى عصرنا الحالي. تقع اليوم على امتداد البحر الأحمر ثمانية دول، فعلى السواحل الشرقية السعودية واليمن، بينما تقع على السواحل الغربية السودان ومصر وإريتريا، وعلى السواحل الشمالية مصر والأردن، بينما تقع جيبوتي وإريتريا والصومال على السواحل الجنوبية (أنظر خريطة رقم٢). والبحر الأحمر و إن كان عامل فصل بين سواحله الإفريقية وسواحله الآسيوية في جزئه الأوسط، فإنه عامل وصل بين هذه السواحل في أطرافه الشمالية وعند سيناء وخليج السويس، وفي أطرافه الجنوبية عبر مضيق باب المندب، وكان لذلك تأثيره في تحديد طرق انتقال التأثيرات الحضارية بين مناطقة الآسيوية والإفريقية، فبينما كان المسار العام لانتقال هذه التأثيرات عبر أطرافه الشمالية هو من الغرب إلى الشرق ؛ أي من المناطق الإفريقية (مصر) إلى المناطق الآسيوية (سيناء وشمال غرب الجزيرة العربية)؛ نجد أن هذا المسار في أطرافه الجنوبية يتجه من الشرق إلى الغرب عبر مضيق باب المندب، أي من المناطق الآسيوية (اليمن) إلى المناطق الإفريقية (إريتريا واثيوبيا والصومال)، ولعل السبب في هذه الظاهرة يرجع إلى التفوق الحضاري، ففي الشمال قامت في مصر، أي (في المنطقة الإفريقية) حضارة من أرقى الحضارات التي قامت في المناطق الأفريقية، بينما في الجنوب كانت حضارات المناطق الآسيوية و خاصة في اليمن أرقى من حضارات المناطق الإفريقية، و هذا يثبت التفوق الحضاري لكل من اليمن و مصر وتاريخهم العميق في الحضارة الإنسانية .لقد أثارت حركة الاتصالات والتواصل التي تمت بين سكان مناطق القرن الأفريقي وجنوب الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل التاريخ اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين، وبخاصة المهتمين بالدراسات الأثيوبية لفترة طويلة، كانت بدايتها منذ أوائل القرن السابع عشر

الميلادي، وقد افترض معظم الباحثين أن الانتقال البشري الذي حدث من جنوب غرب الجزيرة العربية قد تم على أساس العلاقة الوطيدة بين الشعوب الناطقة بالإثيو- سامية، (اللغات الأثيوبية مع لغة جنوب الجزيرة العربية) بحسب رأي لودولف (Ludolf 1682). التي انتقلت مع هجرة القبائل اليمنية إلى الساحل الأفريقي من البحر الأحمر، وقد تم التحقيق في هذه الفرضية بشكل رئيسي من قبل المؤرخين واللغويين (; Moscati1960 Rossini1928 ; Garbini1984 ; Glaser1895 ; Ullendorff1955 ; Ullendorff1973 ; Hetzron1972;) الذين أعادوا سبب تلك الانتقالات والهجرات خلال الألف الأول ق.م من جنوب شبه الجزيرة العربية نحو الساحل الأفريقي إلى الصراع الذي ساد ممالك جنوب الجزيرة العربية من جهة، ولتأمين الطريق التجاري البحري من جهة آخرى (الشيبة ٢٠٠٠: ١٧٠)، حيث اندمجت هذه الشعوب المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية مع السكان المحليين في شمال وشمال شرق أفريقيا وأكسبوهم مظاهر ثقافتهم الحضارية التي ظهرت بشكل جلي من خلال اللغة والنقوش المدونة بخط المسند السبئي، والفنون المعمارية وأسماء المعبودات والطقوس الدينية.

الممرات المائية ودورها في التواصل بين جنوب غرب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا:

من خلال المفهوم الجغرافي البيئي، اقتصرت عملية الاتصال بين القارات قديمًا على الممرات الضيقة، وأكد هذا الأمر؛ ذلك التشابه الثقافي بين العديد من المناطق، فعلى سبيل المثال تعد مناطق القرن الأفريقي ووادي النيل وشبه الجزيرة العربية من أبرز الأمثلة التطبيقية على ذلك (Beyin 2006: 9). فقد أظهرت البحوث الحيوية المرتبطة بالبقايا الحيوانية والنباتية في كل من منطقتي جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا وجود العلاقات التي تمت بين المنطقتين عن طريق الممر الرئيس من إثيوبيا غربًا إلى الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية شرقًا، وذلك أثناء الهجرات البشرية التي ارتبطت بالعلاقات بين شمال غرب أفريقيا وجنوب غرب أوربًا عن طريق الممر المائي (مضيق جبل طارق) (Yosef 1987: 31). وهناك توجه يذكر بأن أقدم اكتشاف لإنسان العصر الحجري القديم في شرق أفريقيا كان قبل مليوني سنة مضت، بحيث استطاع الإنسان الأول أن ينتقل منه إلى الجزيرة العربية عبر طريقين كان أحدهما بحريًا والآخر بريًا، الأول هو طريق باب

المندب (الحاج ٢٠٢١: ٢٤)، وقد أوضحت الدراسات الجيولوجية بأن هذا المضيق كان في وضع أقل اتساعاً من الوقت الحاضر، فقد كان قياس عرضه يقل عن ٨كم تقريبًا، وتمكن الإنسان حينها ومن خلال هذا العمق أن يجتاز هذا المضيق عبر وسيلة اتصال هي قارب خشبي بدائي عندما كانت الثلوج في الشمال، أما الطريق الآخر فهو صحراء مصر الواقعة شرقي نهر النيل الممتدة حتى شبه جزيرة سيناء، وقد تمكنت الجماعات البشرية خلال تلك المرحلة من صناعة أدوات الحرب والقتال من موادٍ مختلفةٍ كالصخور والعظام والخشب، كما قاموا بقطع المسافات الطويلة دون خوفٍ، وهذا ما يؤكد افتراضات ظهور مواقع كثيرة على هذا الطريق تعود في تأريخها إلى الحقبة الآشولية، كما يؤكد ذلك الافتراض هجرة الإنسان من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية عبر جزيرة سيناء. أما في اليمن فقد عثر على أدوات تعود إلى العصر الآشولي والذي يؤرخ بالفترة ٧٠٠,٠٠٠ سنة من الوقت الحالي على حافة وادي حضرموت، مما يؤكد أن إنسان تلك الحقبة وجماعاته البشرية قد انتقلوا من شرق أفريقيا إلى الجزيرة العربية واستوطنوا مناطق متفرقة منها، وتم ذلك من خلال مضيق باب المندب أقصى جنوب البحر (الدويش، ٢٠٠٨، ٩). حيث كانت نقطة العبور أضيق مما هي عليه الآن؛ وذلك بسبب حركة المياه التي كانت تجعل الممر سهل العبور بريًا، في فترات العصر الجليدي، وهبوط منسوب البحار العالمية آنذاك (Andrew, 2011, 387).

منافذ العبور:

والمتعارف عليه أن الخصائص الجغرافية والطبوغرافية التي تميزت بها بعض مناطق سواحل البحر الأحمر قلة التعرجات والمرافئ التي تصلح لقيام الموانئ، إلا أن هذه المناطق حظيت بوجود العديد من الممرات المائية الضيقة (منافذ الواحات) التي سهلت بلا شك تطور انتقال الإنسان، والتي يرجح أنها استخدمت كملاجئ بيئية خلال فترات الجفاف الشديدة، وشجعت الاستيطان البشري والتواصل بين الأقاليم (Khalidi et all 2018: 72). وسوف نركز هنا على اثنين من منافذ الواحات في سهول الأراضي المنخفضة على الجانبين العربي والإفريقي للبحر الأحمر، وهما:

- الواحات الساحلية لتهامة على ساحل البحر الأحمر اليمني.
- بحيرة أبهي في الحبشة، وهي بحيرة داخلية تقع بين إثيوبيا وجيبوتي عند مفترق طرق عفار[٣].

هذه المنافذ تعتمد بشكل أساسي على جريان المياه السطحي الدائم من المرتفعات عبر الأنهار التي تعبر مناطق السهول القاحلة، بدلاً من طبقات المياه الجوفية. ومع ذلك، هناك مناطق تتغذى أيضًا من الينابيع والغيول التي تتدفق خلالها كميات كبيرة من المياه إلى أحواض البحيرات ومصبات الأنهار الساحلية وتعمل على تزويد السكان بوسائل بديلة للوصول إلى المياه العذبة. ففي كلتا المنطقتين نجد سجلاً طويلاً للإستيطان المتأخر لما قبل التاريخ منذ أوائل الهولوسين إلى منتصفه جنبًا إلى جنب مع أدلة على التواصل البحري بين سكانها، تم تأكيده على الأقل في وقت مبكر من الألف الخامس ق.م. وقد سار هذا جنبًا إلى جنب مع مجموعة من الابتكارات الثقافية الأصلية التي حفزتها مرونة الأنواع المستوطنة في إدارة الموارد البشرية. وبينما لا تزال هناك مجموعة من الفجوات الأثرية، إلا أن ذلك يعتبر وضعاً استثنائياً في مناطق (الواحات الساحلية لتهامة على ساحل البحر الأحمر اليمني ، وبحيرة أبهي بين إثيوبيا وجيبوتي) التي يمكن التحقق من ظاهرة تم تجاهلها إلى حد كبير من قبل علماء الآثار، ولكنها كانت شائعة في أجزاء كثيرة من العالم، والتي تتمثل باستمرار أسلوب حياة الصيد وجمع الطعام إلى جانب الرعي (بعد استئناس الحيوانات) والوصول إلى حياة متعددة الاقتصاد، وقد سار هذا جنبًا إلى جنب مع مجموعة من التطورات والابتكارات الثقافية الأصلية التي حفزتها مرونة الأنواع المتوطنة في إدارة الموارد البشرية (Bleed, 2010: 357). وتعد دراسة هاتين المنطقتين حالة مثيرة للاهتمام لأنهما تشكلان منطقتين مختلفتين، ومع ذلك، نجد أن الوضع الطبوغرافي للواحات وممراتها في السهل الساحلي الجنوبي للبحر الأحمر التي تم دراستها[٤] مرتبطة مع بعضها البعض. أما في حالة منطقة بحيرة أبهي[٥]، فقد أكدت الدراسات الأثرية التي تم تنفيذها في مواقع مستوطنات ما قبل التاريخ المتأخرة وجود هذا التواصل والارتباط منذ منتصف الهولوسين بين كل من القرن الأفريقي والساحل الجنوبي للبحر الأحمر، كذلك كشفت نتائج تلك الدراسات عن العديد من المعلومات المتعلقة حول الفارق الزمني لمعرفة عملية استئناس وتدجين

الحيوانات في كل من مناطق الشرق الأدنى التي تمت في حوالي ١٢,٠٠٠ ق.م وساحل البحر الأحمر في جنوب الجزيرة العربية التي تمت في (حوالي ٨٠٠٠ ق.م) والصحراء الشرقية في مصر والسودان التي تمت في (حوالي ٩٠٠٠ – ٧٠٠٠ ق.م) ، ومنطقة عفار في القرن الأفريقي (حوالي ٤٨٠٠ ق.م) (Tosi, 1986 b ; Aurenche et all, 2001 ; Cauliez et all, 2018). ولتوضيح هذا الفارق الزمني تذكر معظم الدراسات أن السبب في ذلك يرجع إلى الاختلافات المناخية وتوفر المياه من منطقة إلى آخرى، وهي من أهم العوامل التي سهلت من عملية التدجين المبكر في مناطق معينة (Childe, 1936 ; Kuper, Kropelin, 2006 ; Parker et all, 2006 ; Preston et all, 2012). كما كانت تلك الظروف المناخية حافزا على تنقل السكان من الشمال إلى الجنوب (Drechsler, 2009 ; Uerpmann et all, 2009 ; Zeder, 2017)). سواء ما اذا كان يُنظر إلى تبني حركة الاقتصاد الرعوي والزراعي على أنها تمت نتيجة للانتشار أو تم اكتسابها كثقافة. ومع ذلك، كان هناك تركيز كبير على انتشار العصر الحجري الحديث على نطاق واسع من قلب الشرق الأدنى إلى شمال وشمال شرق إفريقيا، وجنوب شبه الجزيرة العربية، إلا أنه لم يتم التركيز على فهم السياقات البيئية واستمرار المجتمعات التي لا تزال تعتمد على الصيد وجمع الثمار في المناطق المجاورة لتلك المناطق التي تحولت إلى الاستئناس أو التدجين قبل ذلك بكثير، كذلك لم يتم التركيز على الابتكارات الثقافية الأصلية لسكان مناطق الواحات الساحلية لتهامة على ساحل البحر الأحمر اليمني وبحيرة أبهي بين إثيوبيا وجيبوتي الذين اختاروا مسارات مختلفة للاقتصاد المنتج عن نظرائهم في الشرق الأدنى.

وهنا، يرى الباحث أن من الأفضل أن يتم التركيز على تتبع المراحل الزمنية لمجموعة الأنشطة التي كان يقوم بها هؤلاء السكان في حياتهم اليومية، التي استطاعوا من خلالها اكتساب المعرفة كثقافة تراكمية والوصول إلى ما يعرف بالنشاط المهني المتخصص، وذلك بدلاً من محاولة إيجاد تفسيرات سببية للتأخر أو الفارق الزمني بين أحداث عملية الاستئناس أو التدجين في مناطق الشرق الأدنى القديم، وتلك التي حدثت في المناطق المجاورة أو التكامل الرعوي المتنقل لاقتصاد متعدد الموارد بين جنوب الجزيرة العربية

ومناطق القرن الافريقي التي تظهر من خلال العلاقة بين هؤلاء السكان ومناطق الواحات، سواء المطلة على بحيرات الساحل الشرقي الافريقي، أو على الساحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية التي سكنوها لإثبات أن التعايش الذي تحقق بين البشر والبيئة باختلافها وتنوعها بشكل كبير كان خيارًا مستثمرًا أدى إلى ابتكارات مستقلة وحلول متطورة. أحد هذه الحلول، هو التفاعل الجماعي، وبالتالي الأشكال الجديدة للتنقلات التي سارت جنبًا إلى جنب مع تداول الموارد مثل الزجاج البركاني (الأوبسيديان). وبناءً عليه هناك من يرى أن الزراعة لم تكن هي الحل الأساسي الوحيد لمواجهة الضغوط البيئية والبيولوجية والثقافية، مستدلين في رأيهم هذا على أن مجتمعات العصر الحجري الحديث في (بعض مناطق الواحات المطلة على بحيرات الساحل الشرقي الافريقي، و الساحل الغربي لجنوب غرب الجزيرة العربية) قد سعت إلى إيجاد وسائل بديلة تمثلت بحسب رأيهم من خلال اختيار منتجات اقتصادية مختلفة عن الزراعة (Huysecom et all, 2015 ; Marshall, Hildebrandt, 2002 ; Kuper, Kropelin, 2006 ; Sereno et all, 2008 ; Crassard, Khalidi, 2017 ; Khalidi, Lewis, 2018 ; Cauliez et all, 2018).

إلا أن هناك من يجد أن هذا الرأي يميل إلى التغاضي عن الأنشطة اليومية التي خلقت نوعاً من التفاعل الاجتماعي المبكر بين المجتمعات البشرية، وهي سمة تُنسب غالبًا بشكل خاطئ إلى مجتمعات العصر الحجري الحديث فضلاً عن السكان الذين دمجوا بين النشاط الرعوي والمقايضة في المنتجات الاقتصادية متعددة الموارد التي استمرت في الاعتماد على الصيد والجمع. وهنا لا بد من إلقاء نظرة على حالة جنوب الجزيرة العربية، موطن السكان الذين تبنوا الزراعة بعد نظرائهم في الشرق الأدنى. إذ تشير البيانات الجينية والأثرية الحديثة إلى وجود العديد من المجتمعات السكانية الثابتة والمستقرة في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل آلاف السنين من ظهور العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى (Černý et all, 2011 ; Al-Abri et all, 2012 ; Gandini et all, 2016 ; Fernandes et all, 2015 ; Hilbert et all, 2015). وعلى الرغم من ذلك تضع بعض النظريات حركة السكان في شبه الجزيرة العربية وأصول سكانها من العصر الحجري الحديث في موضع تساؤل، إذ يرى البعض أن مجتمعات العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية لم تكن من السكان

الأصليين، وقد زعموا أنهم من المهاجرين من سكان مناطق الشرق الأدنى الذين استقروا في منطقة جنوب الجزيرة العربية (Drechsler, 2009 ; Uerpmann et all, 2009). ضمنيًا تطرح هذه النظريات فكرة أن اعتماد الزراعة كان شكلًا متفوقًا من أشكال التكيف البشري، وأن سكان جنوب الجزيرة العربية كانوا متلقين لهذا الإرث الزراعي، وبصرف النظر عن هذه الآراء التي أهملت العلاقة الطويلة بين البشر والنباتات والحيوانات التي تطورت على مدى آلاف السنين، إلى جانب التغيرات البيئية التي أثرت في هذه العملية، كان هناك قدر كبير من الأدلة الأثرية الجديدة التي تتعارض مع تلك الآراء. فقد احتوت تلك الأدلة على بعض المعلومات التي يرجح أنها تشير الي وجود علاقات مع بلدان الشرق القديم خلال المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث والمرحلة المبكرة من العصر البرونزي في اليمن. بالإضافة إلى ذلك يمكن القول من خلال ما وفرته الأدلة الأثرية والجيمورفولوجية ان عملية التحول من جمع الطعام الي انتاجه في اليمن كانت قد تمت في وقت متأخر، قياسا بالتحولات المشابهة التي حدثت في مناطق الهلال الخصيب وفلسطين، ويرجح ان سلسلة التحولات هذه قد حدثت خلال الفترة ما بين الالف السادس والالف الرابع قبل الميلاد. وان الاوضاع البيئية وتغير المناخ، والكثافة السكانية والمستوى التكنولوجي المتقدم الذي حققته المجتمعات التي عاشت في اليمن خلال تلك الفترة كانت من بين الاسباب التي دفعت تلك المجتمعات الي تغيير استراتيجياتها التي تتعلق بحاجاتها الغذائية، وان محاولاتهم المتكررة لتأمين مصادر ثابتة للغذاء والتحرر من الاعتماد علي ما تقدمه لهم الطبيعة من طعام قد مهدت لعملية الاختيار الطبيعي لمصادر طعامهم والي التركيز علي بعض انواع النباتات الحبية الطبيعية الصالحة للزراعة، وعلي انواع من الحيوانات البرية كالحيوانات العاشبة القابلة للتدجين والتربية. وان هذه العملية قد دفعتهم الي مضاعفة جهودهم وتنظيم انشطتهم الاقتصادية في مواجهة التغيرات البيئية والكثافة السكانية المتزايدة واقامة نظم اجتماعية اكثر تلائم مع سلوكهم العام ومناسبة لطبيعة توجههم نحو ايجاد مصادر ثابتة للطعام واقامة حياة اجتماعية مستقرة, بحيث سهلت لهم استحداث وسائل متعددة للعيش مكنتهم من الاستقرار، فظهرت مجموعة من العلاقات الاجتماعية المميزة، وحدوث تلائم بين

العناصر البيئية والاقتصادية كل علي حدة، اسهمت في احداث مزيد من التحولات الاقتصادية.

مظاهر من التأثيرات الحضارية بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق القرن الافريقي

تأسيساً على ما سبق ذكره، يتضح أن معظم مجتمعات مناطق جنوب الجزيرة العربية قد شكلت منذ الألف السابع ق.م جسر تواصل وتبادل مع مجتمعات مناطق القرن الأفريقي، وقد كان لعامل المناخ الذي تميزت به بعض مناطق القرن الأفريقي (وخصوصاً في مناطق مرتفعات تيجراي التي تظم أجزاء من أرتيريا واثيوبيا) التي تميزت بمناخ جاذب لكونه معتدلا وتتوفر فيه كل أسباب الحياة من ماء ومرعى وزرع وذلك لارتفاع الارض عن سطح البحر وتأثره بالرياح الموسمية التي تتسبب في هطول الأمطار الغزيرة في فصل الصيف مما جعل منها مناطق جذب استقبلت موجات متعاقبة من المجتمعات القادمة من جنوب غرب الجزيرة العربية التي استقرت في تلك المناطق جالبين معهم ثقافتهم المتطورة ووسائلهم الحضارية التي تأثر بها السكان الأصليين في تلك المناطق وهم من قبائل البجا والدناكل الذين خضعوا في حقبة من تاريخهم لمملكة أوسان التي ازدهرت في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وخضع لحكمها الساحل الإرتيري والجيبوتي والصومالي وقد عرف بالساحل الأوساني كما ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإرتيري فكانت معظم تلك المناطق في تاريخها تخضع للمؤثرات الثقافية القادمة من جنوب الجزيرة العربية التي استمرت ووصلت إلى أوج ازدهارها في الألف الأول ق.م، وهي الفترة التي طغت فيها المكونات الثقافية والحضارية العربية الجنوبية اليمنية بشكل واضح في أغلب مناطق مرتفعات القرن الأفريقي، والتي تتضح من خلال التالي:

١. **الزراعة:** مثلت الزراعة إحدى مظاهر الاتصال الحضاري بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق القرن الأفريقي، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الأدلة الأثرية للمحاصيل الزراعية التي مثلت عاملاً للاتصال التجاري بين الإقليمين، وخاصةً اللبان والمر الذي كان يزرع في هذين الإقليمين كسلعة تجارية محلية استخدمتها معظم الحضارات القديمة (ونس ٢٠٢١: ٧٨). فقد تم نقلها حتى مناطق وسواحل البحر الأبيض المتوسط، أي أن تلك السلع وصلت عبر طريق البخور البري الذي يبدأ من اليمن لمسافة تزيد عن ٣٠٠٠

كيلومتر عبر شبه الجزيرة العربية إلى غزة ثم إلى دمشق في الشرق، وكانت المراكز التجارية الرئيسية على طول الطريق إبتداءً من صنعاء إلى صعدة وصولاً إلى يثرب ثم تيماء فالبتراء.

٢. **التجارة:** أيضاً مثلت التجارة بأحجار الزجاج البركاني (الأوبسيديان) مظهر آخر من مظاهر الاتصال الحضاري بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق القرن الأفريقي، فقد أظهرت الأدلة الأثرية أن تلك المادة كانت تُجلب من بعض مناطق جنوب الجزيرة العربية إلى بعض مناطق شرق أفريقيا (Khalidi et al,2010). كما أن انتشارها في كل من مناطق شرق السودان، حتى (أركويت) في جنوب تلال البحر الأحمر و(عقيق) والساحل الإريتري، و(بويلتون) بمنطقة دهلك كبير، وجزر البحر الأحمر وتهامة (Zarins 1988; Francaviglia 1990). حتى المناطق الساحلية للمحيط الهندي، وربما إلى الخليج الفارسي منذ بداية الألف السابع ق.م، وحتى بداية الألف الثاني ق.م. يشير إلى مهارة سكان جنوب الجزيرة العربية في عبور البحر الأحمر، والتواصل مع سكان مناطق القرن الافريقي منذ أوائل عصر الهولوسين الأوسط (Blanc 1955). كذلك أكدت معظم الدراسات الأثرية التي أجريت على إمتداد هضبة تهامة (زارينس و الزهراني ١٩٨٥؛ زارينس و البدر ١٩٨٦ ؛ Tosi 1986 b)، وفي شرق السودان إلى كسلا (Fattovich 1991)، أن الاتصالات والتبادلات بين شعوب القرن الافريقي (بما في ذلك مناطق الأراضي المنخفضة الإثيو- سودانية الشمالية)، وجنوب الجزيرة العربية كانت قد بدأت في الألف السابع ق.م. وتطورت بشكل كبير في الألف الثالث والثاني ق.م (Fattovich 1991). وخلال الألف الثالث ق.م تشير الرسوم والنصوص المصرية المدونة على جدران معبد الدير البحري إلى استيراد البخور من بلاد بونت (التي تعد اليمن الجزء المهم فيها) فقد ذكرت تلك النصوص قبائل رجح عبد العزيز صالح أن المقصود بها القبائل القتبانية التي كانت تعمل كوسيط تجاري لتصدير البخور من بلاد بونت إلى ملوك مصر.

٣. **الرسوم الصخرية:** تُظهِر مجموعة الرسوم الصخرية المكتشفة أدلة آخرى حول الاتصالات والتأثيرات الثقافية بين مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية وشمال شرق

إفريقيا، يتضح ذلك من خلال انتشار أسلوب تصوير الجواميس الافريقية التي تم اكتشافها في العديد من مناطق صعدة، وهي شبيهة بما تم العثور عليه في مواقع الرسوم الصخرية في شمال شرق افريقيا والتي تُظهر الجسم بشكل جانبي والرأس من الأمام، وهي من نوع الجواميس التي عرفت خلال عصر الهولوسين الأوسط حوالي ٥٠٠٠-١٠٠٠ ق.م (رشاد و إينزان ٢٠٠٧: ٣٣). كذلك يُعرف هذا النمط باسم "نمط جُبه" في شمال المملكة العربية السعودية (Zarins 1982) و "أسلوب الدهماني" في وسط الجزيرة العربية (Anati 1972). و "النمط الإثيوبي العربي" في القرن الافريقي (Cervicek 1971; 1979). وظهرت على الأرجح في شمال المملكة العربية السعودية في منتصف الألف الخامس ق.م. و في حوالي منتصف الألف الثالث ق. م، امتدت إلى جنوب الحجاز، و شمال هراري (هرر) في شرق إثيوبيا، وعلى طول الوادي المتصدع في جنوب إثيوبيا، وفي الألف الثاني / الأول قبل الميلاد، ظهر هذا الأسلوب في موقع جبل قره (وسط الجزيرة العربية) وفي شرق إثيوبيا وشمال الصومال وإريتريا، وانتشرت شمالاً إلى النوبة وجنوب صعيد مصر والصحراء، انظر (Cervicek 1971، Clark 1972؛ Anati 1972 ؛ Zarins 1982 ؛ Brandt, S. A. & R. Fattovich. 1990). وبالنسبة لتقنية رسم ونحت رؤوس الثيران الحجرية التي تم اكتشافها في بعض مناطق شرق افريقيا في كل من منطقة أونا وعلى امتداد مواقع الهضبة، حتى شرق تيغراي، وحتى موقع كهف (Daaro Caulos) بالقرب من أسمرة، التي تصور أشكال الثيران والأبقار المشابهة لتلك الموجودة في أونا يمكن إرجاعها إلى نفس التقاليد الموجودة في جنوب الجزيرة العربية، حيث يرجح العديد من العلماء أنها تعود في الأصل إلى تقليد ثقافي عربي أفريقي للفترة من الألف الثاني / الأول قبل الميلاد (Mordini 1947). بدليل انتشارها بشكل كبير في العديد من مواقع الرسوم الصخرية في معظم مناطق جنوب غرب الجزيرة العربية وفي وسطها (Cervicek 1979). إلى جانب ذلك تُظهِر مجموعة الرسوم الصخرية الأخرى التي تصور الأشكال البشرية (لأشخاص بأيادٍ كبيرة وشعر طويل)، وهي مشابهة تماماً مع الفن الصخري العربي في كل من جنوب غرب الجزيرة العربية ووسطها مما يشير بدوره إلى وجود تأثيرات ثقافية بين سكان هضبة

حماس (إريتريا) والسكان العرب في الوقت نفسه، وتُذَكِر هذه الأشكال ببعض الأشكال الزخرفية على الفخار المتأخر من عصور ما قبل التاريخ في منطقة عدوليس، مما يشير إلى وجود اتصالات مع شعوب الساحل ومن خلال ما أظهرته الرسوم الجدارية الموجودة على جدران إحدى مقابر طيبة التي تصور منظر لقارب من بونت يحمل أواني ذات عنق طويل شبيه بأواني أونا من المجموعة أ، على الأرجح يعود هذا المنظر إلى زمن أمينوفيس الثاني، حوالي ١٤٢٥ – ١٤٠١ ق.م، يعد هذا الجزء بمثابة تحديد للأقاليم ذات الاتصالات الحضارية بجنوب شبه الجزيرة العربية، فقد خضعت جنوب غرب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا إلى العديد من التغيرات الاقتصادية والمقومات الاجتماعية، فضلًا عن التقلبات البيئية خاصةً المناخية؛ ويرجع ذلك إلى الاتصال الطبيعي والبشري إبان العصور القديمة (Michael 2009: 187). فهناك من يصف حضارات شرق أفريقيا بأن أصحابها كانت لهم طقوس خاصة في حرفة الصيد بناءً على ما أظهرته الرسوم الصخرية، مثل ارتداء الأقنعة، إضافةً إلى العصي التي كانوا يحملونها، والخناجر التي كانوا يحفرونها؛ حتى يسهل عليهم أمر مطاردة الفريسة بهدف اقتناصها، فضلًا عن ملابسهم التي كانت عبارة عن مآزر من الجلد وأغطية تستر العورة (Baumann 1940: 131). إلا أن مثل تلك الطقوس الخاصة بحرفة الصيد لم تكن من الخصائص التي تميزت بها مجتمعات شرق أفريقيا فقط، إذ تشير الشواهد الأثرية الخاصة بمواقع الرسوم الصخرية التي تم الكشف عنها في مواقع متعددة في جنوب شبه الجزيرة العربية والتي تصور مشاهد الصيادين وهم يرتدون الأقنعة والدروع والملابس الجلدية كما في مواقع منطقة حوض صنعاء (الحاج ٢٠٢١: ١٤٩).

٤. **المنشآت الجنائزية:** من الأدلة التي تؤكد الاتصالات بين شعوب شرق إثيوبيا وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية في منتصف الألف الثالث ق.م، مجموعة النصب المغليثية المكتشفة بالقرب من هراري و دير داوا (شمال هراري) التي تعود إلى أواخر الألف الثالث ق.م. والتي يمكن مقارنتها بالنُصُب المغليثية المكتشفة في موقع المدمن على ساحل البحر الأحمر، على طول دلتا وادي زبيد (Khalidi 2006). والتي تشكل شواهد القبور الحجرية المنصوبة بشكل قائم يصل إرتفاعها ما بين ٢,٥ إلى ٧م، فقد كشفت أعمال

التنقيبات الأثرية المنفذة من قبل البعثة الأثرية التابعة لجامعة هارفرد في موقع المُدمن عن مجموعة من القبور المجاورة لهذه النُصُب والتي تم تأرختها إلى الألف الثالث ق.م (Keall 2004: 46).

٥. **المنشآت المعمارية والنقوش:** يُعد اكتشاف معبد الإله السبئي (المقه) واحد من الاكتشافات الأثرية الرئيسية والمهمة في مرتفعات تيجراي بأثيوبيا، التي تشير إلى وجود دلائل على الاستيطان السبئي القديم منذ الألف الأول ق.م والتي تعتبر المرحلة المتطورة من مراحل التنمية الاجتماعية الحاسمة في مرتفعات تيجراي في كل من أثيوبيا وأريتيريا التي أسست فيها العديد من المدن السبئية كمدينة يحا وحولتي وعدي أكواح، كما يظهر في العديد من الشواهد والمعالم من المعابد وموائد القرابين ونقوش المُسند والمباخر، وأنواع أخرى من المذابح، والتماثيل التي تؤرخ إلى مطلع الألف الأول ق.م. ومن هذه المعابد المعبد الكبير في يحا الذي تم بناؤه خلال القرنين الثامن والسابع ق.م، ووفقًا لـ أليساندرو ديمجريت، فإن المخطط الداخلي لهذا المعبد يشبه إلى حد كبير المخطط الموجود في مدينة براقش في الجوف (De Maigret & Robin 1998: 77–778). وهو المعبد الذي تم تكريسه للإله السبئي الرئيسي ألمقة، يبلغ ارتفاع جدرانه أكثر من ١٤م، وهو يمثل أعلى منشآه معمارية دينية سبئية معروفة على جانبي البحر الأحمر، تم بناء المعبد من الحجر الجيري التي كان يتم نقلها من المحاجر في مأرب إلى القارة الأفريقية لمسافة تزيد عن ١٥٠كم. حيث أنجز الحجارون السبئيون قلع وقص وتشذيب وتجهيزها بدقة شديدة، وكان من أهم المعالم التي تم الكشف عنها في هذا المعبد، مذبح من الحجر الرملي (صورة رقم:١) يتضح من خلال النقش المعيني (MG 3 =DAI ʿAddi ʾAkawəḥ 2008-1) (صورة رقم:٢) الموجود عليه أنه مكرس للمعبود المقه، والذي جاء فيه:

(وعرن/ملكن/صرعن/بن/ردأم/وشختم/عرك/هحدس/لإلمقه/يوم/تبع/بيت/إلمقه/بيحا/بذ خي/عثتر/وإلمقه/وذت/حميم/وذت/بعدن). بمعنى أن: (وعران الملك الظافر بن ردام وشيخة زوجته أقاما هذا المذبح لـ إلمقه يوم نفذ (تشييد وبناء معبد إلمقه) في يحا بأمر عثتر و إلمقه و ذات حميم و ذات بعدان (Gajda, Selassie and Berhe 2009: 37-39). كذلك يتضح من خلال النقش (HG Färäs May 2010) الذي عُثِرَ عليه إلى جانب

المذبح، وهو نقش مدون على إناء برونزي يحمل اسم علم سبئي هو (تبَّع كَرِب ذيسرن = تُبع كرب ذي يسرن) (صورة رقم:٣). كما يثبت في نقش المذبح الاسم القديم لـ(يحا) للمرة الأولى، ويوضح أهميتها كمركز ديني وسياسي وطني، تابعة للملكة الرئيسية سبأ، كذلك تكمن أهمية هذا المذبح من خلال استخدامه للعناصر الزخرفية الممزوجة بين التقاليد الثقافية والأيديولوجية السبئية الخاصة بملوك جنوب الجزيرة العربية ومنطقة أفريقيا معا، ومن خلال تحليل العينات العضوية بواسطة C^{14} المشع اتضح أن تاريخ هذا المذبح يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وهذا التاريخ يأتي متوافقا مع ما أظهره محتوى نقش المُسند الموجود على هذا المذبح، كما أشارت العديد من المعثورات من الأواني النذرية وخصوصا المصنوعة من الرخام والفخار أن هناك صلات ثقافية واقتصادية واجتماعية مباشرة ظلت مستمرة بين هذه المدينة وبين مملكة سبأ، وشمال تيغراي وإريتريا المتمثلة بثقافة أونا القديمة (Gerlach 2013: 263-264).

ومن جانب آخر فإن الاكتشاف الذي تم مؤخراً على الساحل الصومالي خلال العام ٢٠١٩م يُعد واحداً من الاكتشافات الأثرية الرئيسية والمهمة التي تشير إلى وجود دلائل واضحة على الاستيطان السبئي القديم في منطقة راس عسير (Cape Guardafui)[٦] فقد كشفت أعمال النبش العشوائية الذي تعرض له أحد المواقع الأثرية بالقرب من بئر (عبد كسان) على الساحل الشرقي للصومال، على بعد ٥٠ كم جنوب غرب رأس عسير، وعلى بعد ١١٠ كم شمال (خافون) المعروفة اليوم باسم رأس حافون (Prioletta it all 2021: 328). كشفت عن جزء من مبنى لمعبد قديم مُكرس لعبادة المعبود (أخاخاتان)، يظهر الصف الأول من جدار المبنى على شكل حجارة مهندمة بشكل جيد، بنفس النموذج والطريقة المتبعة في تخطيط المباني الدينية في جنوب شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى ذلك كشفت تلك الأعمال العشوائية بداخل المبنى عن سبعة نقوش سبئية تشهد على تأسيس موقع على الساحل الصومالي قبل أي استيطان ساحلي قديم معروف حتى الآن ؛ وتدل على الوجود السبئي في هذه المنطقة من القرن الأفريقي، بشكل واضح لأغراض تجارية، بناء على أوامر ملوك سبأ ؛ كما تقدم هذه النقوش دليلاً على عبادة إله محلي معروف تقريبًا في جنوب الجزيرة العربية، يعرف باسم (أخاخاتان)، وهو معبود محلي ورد ذكره حتى الآن في نقشين

إهدائيين سبئيين قصيرين: الأول هو النقش (1029 -20 -A)، والنقش الثاني هو(YM28823) من مدينة هرم بوادي الجوف. ومن المثير للاهتمام، أن هذه النقوش تعود أيضًا إلى المرحلة المبكرة من تاريخ سبأ، يتضح ذلك من خلال طريقة التدوين التي نفذت بأسلوب خط سير المحراث وشكل الحروف التي تؤرخ إلى ما قبل الربع الأول من القرن السابع قبل الميلاد.

في النقش YM 28823، تم تقديم اسم المعبود أخاخاتان على اسم المقه (المعبود الرسمي لشعب سبأ)، ويدع اسمهو (معبود شعب هرم) وعشتر ذي رجمت (الذي تم عبادته في واحة نجران). لذلك يمكن الافتراض أن المعبود أخاخاتان كان يعبد من قبل حلفاء مملكة هرم وليس من قبل شعب هرم. ومن المرجح أن يكون هذا المعبود هو الإله الحامي للتجار أو للبحارة. بالإضافة إلى ذلك تشير العديد من القرائن أن من قام بتدوين هذه النقوش هم من الأشخاص رفيعي المستوى في المجتمع السبئي، الذين شغلوا وظائف سياسية أو دينية، يتضح ذلك من خلال التالي:

١. تشير تلك النقوش إلى الملك السبئي (يثع أمر وتار)، بالإضافة إلى ذكر المعبود (المقه)، واستخدام خط المسند واللهجة السبئية.

٢. دائماً ما ترد أسماء كل من (يهيثع \ لحيعثت \ أب أمر) بشكل متكرر في النقوش السبئية، ومن ناحية أخرى، غالباً ما ترد ثلاثة أسماء أخرى هي (زودم \ ملكن \ نعم) ، بينما تظهر الأسماء المتبقية هنا لأول مرة، أما بالنسبة لأسماء النسب، فهناك اثنان غير معروفين هما (خنفرم \ ربم).

٣. الاسم (ذ حدقن) أسم معروف في جنوب الجزيرة العربية نفسها، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمنطقة حدقان (أي نسبته إلى منطقة حدقان "الحدقاني") التي تقع على بعد ٣٠كم شمال صنعاء، في إقليم مملكة سمعي، ومع ذلك ، يبدو أن هذا يتناقض مع النقش Bari 2021-4، والذي يبدو أنه يحدد هذا اللقب في العاصمة السبئية مارب.

ومهما يكن الأمر، فإن هذه النقوش تؤكد أن أسرة حدقان قد أدت دورًا رئيسيًا في الرحلات الاستكشافية السبئية لما وراء البحر الأحمر في أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد، مما أدى إلى تأسيس مستوطنات سبئية في شمال إثيوبيا ومن ثم على ساحل الصومال.

علاوة على ذلك، فإنه من المؤكد أن من قام بتدوين تلك النقوش سواء التي في الصومال أو تلك الموجودة في إريتريا وإثيوبيا، هم من مأرب عاصمة مملكة سبأ.

حقيقة أن هؤلاء الأشخاص قد قدموا من عاصمة مملكة سبأ، لم يكن مصادفة، حيث تشير الرحلات الاستكشافية التي قام بها السبئيون إلى شمال شرق أفريقيا، كان يتم تنظيمها من قبل مؤسسة مركزية، وبإدارة مباشرة من ملوك وحكام سبأ، ومع ذلك، في حين أن الوجود السبئي في شمال إثيوبيا كان واضحاً إلا أن النقوش (الإثيو سبئية) لم تقدم سوى أدلة غير مباشرة (Gerlach, 2013; Nebes, 2010)، إلا أن النقوش الصومالية قدمت لأول مرة دليلًا واضحًا على مثل هذا التواجد القوي للسبئيين الذي تم من خلال تمكنهم من إدارة الرحلات البحرية البعيدة.

وتأسيساً على ما سبق.. يمكن القول أن التاريخ المقترح لصياغة النقوش وبالتالي تأسيس هذا الموقع في جنوب كيب جاردافوي غير مؤكد، خصوصاً بعد أن بدأ السبئيون بالاستقرار في المناطق النائية الإريترية وعلى هضبة تيغراي الإثيوبية (Gerlach, 2013; Nebes, 2010; Robin & De Maigret, 1998; Wolf & Nowotnick, 2010).

في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، كان السبئيون، الذين انتقلوا من اليمن الداخلي، على اتصال بأهالي سهل تهامة الساحلي (بيستون ، ١٩٩٥ ؛ فيليبس ، ١٩٩٧ ، ٢٠٠٥ ؛ روبن ، ١٩٩٥) وتمكنوا من السيطرة السياسية على مناطق الساحل العربي، حيث يرد في النقش (DAI Ṣirwāḥ 2005-50) –المؤرخ إلى نهاية القرن الثامن ق.م– الحملات العسكرية السبئية ضد القبائل والممالك بين سبأ والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية: ينهجو ، ردمان ، رعين، يحير ، دهس ، عيان ، يهنطل، في المناطق القريبة لعدن، وفي أوائل القرن السابع ق.م، تم تأكيد سيطرة السبئيين على الساحل الجنوبي لليمن الحالي من خلال إخضاع قبائل: المعافر ، ذبحان ، شرجب في الجنوب الغربي، يهنطل، دهس ومنطقة دثينة في الجنوب الشرقي، بحسب ما جاء في النقش (RÉS 3945). وقد أدت كل من السيطرة السياسية والخبرة الملاحية في البحار الساحلية العربية والأفريقية دورًا محفزًا للاستكشاف البحري الطموح، والذي يتضح من خلال أسطول إبحار سبأ على طول الساحل الشمالي للصومال نيابة عن ملك سبأ يثع أمر وتار، وليس من شك في أن الهدف الأساسي للوجود

السبئي على الساحل الصومالي كان لغرض تجارة البخور والطيوب. وعلى الرغم من أن هذا الموقع الذي يرجح أنه يقع بالقرب من منطقة "عبد كسان" التي تتميز بمناخها الجاف وندرة الأمطار، إلا أنه يتميز بتوفر العديد من الينابيع وأشجار البخور.

كما يصف كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) طرق الملاحة التي عبرتها الأساطيل السبئية على طول الساحل الغربي لجنوب غرب الجزيرة العربية، من باب المندب إلى خليج تادجورا، ثم على طول الساحل الشمالي لأرض الصومال (الحالية) إلى كيب جاردافوي (راس عسير)، ثم تتجه جنوبًا إلى منطقة بارجال حيث يقع المعبد.

ومن الأدلة الكتابية الوحيدة التي تشهد على الملاحة الساحلية من قبل السبئيين، يوجد نقش سبئي قصير (شكل ٤) من أربعة أحرف تم العثور عليه في بلدة (Shuula) شولا الساحلية، أو (شالعاو – Shalʿaw)، على بعد ٢٥ كم جنوب غرب هيس، موندو القديمة في Periplus (الصورة ٢) (Mire, 2015: 126– 27). دُوِن النقش على كتلة حجرية، وهي جزء من شاهد قبر كومي. وعلى الرغم من أن تاريخ موندو القديمة يعود إلى بداية القرن الأول الميلادي (De Torres Rodriguez et al., 2019; Desanges et al., 1993)، إلا أن تاريخ هذا النقش يعود إلى فترة أقدم بكثير من تاريخ مدينة موندو، إذ يتضح من خلال أسلوب الخط وشكل الحروف أنه يعود إلى المرحلة (A) التي تعود إلى الفترة المبكرة من الألف الأول ق.م وفقاً لتقسيم جاكلين بيرين لمراحل كتابة النقوش، ومع ذلك، فإن الحُجَة ليست حاسمة بالنظر إلى المظهر العام للنقش.

ومجمل القول: أن جنوب الجزيرة العربية تمتع بصلة حضارية وثيقة مع الجانب الشرقي لقارة أفريقيا التي تقابلها، فالشبه الكبير بينها من حيث الظواهر الطبيعية والمناخية والإنسانية والاجتماعية وبين الصحراء الأفريقية يدفعنا إلى تسمية هذه المنطقة بـ (أفريقيا الآسيوية)، وحفرة البحر الأحمر الكبيرة التي تفصل القارة الأفريقية عن طرفها الآسيوي تقسم الصحراء إلى قسمين كما يفعل وادي النيل في مصر.

إن الآثار التي كشف عنها في مناطق متعددة في جنوب شبه الجزيرة العربية والتي تمثل حضارات عصور ما قبل التاريخ لا تخرج عن كونها(أدوات صوانية) تشبه ما وجد في شرق أفريقيا من العصر الحجري القديم. و من خلال عناصر التشابه الطبوغرافي والبيئي

بين جنوب الجزيرة العربية ومناطق القرن الأفريقي والهجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا والاستقرار فيها، أكدت أن المهاجرون كانوا يحملون معهم لغتهم وثقافتهم وديانتهم ونشاطهم التجاري، كل هذا أدى إلى الاستقرار هناك وإقامة تجمعات حضارية تحمل الصفات الحضارية لجنوب الجزيرة العربية.

قائمة المراجع العربية والأجنبية

الأمير، محمد طه محمد ٢٠٢١: "علاقة إقليم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بشرق أفريقيا حتى نهاية العصر الحجري الحديث "، مجلة بحوث، العدد٤، الجزء الأول، ص٥٧ – ٧٠.

بافقيه، محمد عبد القادر. و بيستون. وروبان. والغول ١٩٨٥: "تاريخ اليمن قبل الاسلام"، في كتاب: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ص١٤–٦٥.

بكير، محمد الفتحي ٢٠٠٠: الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، الاسكندرية – جمهورية مصر العربية، دار المعرفة الجامعية.

الحاج، خالد عبده محمد ٢٠٢١: مواقع صنعاء الأثرية قبل الإسلام الألف الرابع قبل الميلاد الألف الأول الميلادي، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق.

الخرباش، صلاح عبد الواسع، و الانبعاوي، محمد إبراهيم ١٩٩٦: جيولوجية اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر – صنعاء.

رشاد، مديحة ؛ إينزان، ماري لويز ٢٠٠٧ : فن الرسوم الصخرية والاستيطان في اليمن في فترة عصور ما قبل التاريخ، ترجمة: مديحة رشاد، عزيز علي الأقرع، مراجعة: جمال الدين إدريس، المركز الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء.

زارينس، يوريس ؛ الزهراني السبالي، عوض ١٩٨٥: "الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي – موقعي (عثر، سيهي)، مجلة أطلال، العدد٩، الرياض، ص٦٩–١١١.

زارينس، يوريس ؛ البدر، أحمد ١٩٨٦: التنقيبات الأثرية جنوب تهامة، مجلة أطلال، العدد١٠، الرياض، ص٤٣–٧٠.

الساحلي، سميرة الجعراني ٢٠١٨: "رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت ١٤٩٦ق.م"، مجلة القلعة، ع٩، ج١، كلية الآداب والعلوم بمسلاته، ليبيا، ص٣١١ – ٣٢٩.

سيد، عبدالمنعم عبد الحليم ٢٠٠٣: تطور الصلات بين اليمن والأحباش وأثرها في حضارة الأحباش، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، المجلد الأول، العدد١١، القاهرة.

الشيبة، عبدالله حسن:

- **١٩٨٩:** "إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور أكسوم"، مجلة الإكليل، العدد٤، السنة السابعة، ص٣١– ٤٤.
- **٢٠٠٠:** دراسات في تاريخ اليمن القديم، ط١، مكتبة الوعي الثوري، تعز.

العامري، معمر محمد عبدالواحد ٢٠٢١: موانئ حضرموت من القرن الثالث ق.م حتى بداية العصر الاسلامي– دراسة أثرية، نور حوران للدراسات والنشر والتراث.

عصفور، محمد أبو المحاسن ١٩٨٩: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت – لبنان، دار النهضة العربية.

المراجع الأجنبية:

Al-Abri A., Podgorná E., Rose J.I., Pereira L., Mulligan C.J., Silva N.M., Bayoumi R., Soares P., Černý V., 2012: Pleistocene-Holocene Boundary in Southern Arabia : From the Perspective of Human mtDNA Variation. ***American Journal of Physical Anthropology*** 2012 : 1-8.

Anati, E. 1972 : Rock Art in Central Arabia 3: Corpus of the Engravings. Louvain.

Aurenche O., Galet P., Regagnon-Caroline E., Evin J., 2001: Proto-Neolithic and Neolithic Cultures in the Middle East - the Birth of Agriculture, Livestock Raining, and Ceramics : a Calibrated 14C Chronology 12,500-5500 cal. BC. Radiocarbon 43(3) : 1191-1202.

Bleed P., Matsui A., 2010: Why Didn't Agriculture Develop in Japan ? A Consideration of Jomon Ecological Style, Niche Construction, and the Origins of Domestication. *Journal of Archaeological Method and Theory* 17(4) : 356-370.

Bar-Yosef, o. & Belfer - Cohen, a2001: «From Africa to Eurasia - Early Dispersals», Quaternary International 75, Issue 1, 19-28, doi: 10.1016/S1040-6182(00)00074-4 .

Bard, Kathryn A., and Rodolfo Fattovich 2001: "Some Remarks on the Processes of State Formation in Egypt and Ethiopia;' in Edwin M. Yamauchi, ed., Africa and Africans in Antiquity. East Lansing: *Michigan State University Press*, 276-290.

Beyin, A. 2006: The Bab al Mandab vs the Nile- Levant: An Appraisal of the Two Dispersal Routes for Early Modern Humans Out of Africa, Afro Archaeol Rev, New York.

Brandt, S. A. & R. Fattovich. 1990: Late Quatemary archaeological research in the Hom of Africa. In: P.

Brown, G. F., 1970: Eastern Margin of the Red Sea and the Coastal Structures in Saudi Arabia, PTRS, Vol. 267, No. 1181, A Discussion on the Structure and Evolution of the Red Sea and the Nature of the Red Sea, Gulf of Aden and Ethiopia Rift Junction, pp. 75- 87.

Cauliez J., Hérouin S., Gutherz X., Alarashi H., Bruxelles L., Coudert L., Diaz A., Khalidi L., Lesur J., Matu M., Thouvenot Y., Zazzo A., 2018: Monumentalisme funéraire et premières sociétés de production dans la Corne de l'Afrique. La plateforme circulaire d'Antakari 3 en République de Djibouti (région d'As Eyla, District de Dikhil)**.** ***In :*** M. Gandelin, V. Ard, E. Mens (eds.), ***Actes de la Table Ronde internationale de l'Adreuc. Mégalithismes et monumentalismes funéraires : passé, présent, futur (Carcassonne France, novembre 2016)***. Sidestone press.

Černý V., Mulligan C.J., Fernandes V., Silva M., Alshamali F., Non A., Harich N., Cherni L., El Gaaied B., Al-Meeri A., Pereira L., 2011: Internal diversification of mitochondrial haplogroup R0a reveals post-last glacial maximum demographic expansions in South Arabia. ***Molecular Biology and Evolution*** 28(1) : 71-78.

Cervicek, P. :
1971. Rock Paintings of Laga Oda (Ethiopia). Paideuma 17: 121-136.

1979 .Some African affinities of Arabian Rock Art. Rassegna di Studi Etiopici 27 (1978-1979): 612.

Childe G. V., 1936: ***Man makes himself***. Oxford : Oxford University Press.

CLARK, J. D. 1972 . The Prehistoric Cultures of the Hom of Africa. New York: Octagon Press.

Conti-Rossini C. 1928.: Storia d' Ethiopia. Bergamo: Istituto di Arti grafiche.

Crassard R., Khalidi L., 2017: Dispersals, Connectivity and Indigeneity in Arabian Prehistory. ***In*** : N. Boivin, R. Crassard, M. Petraglia (eds.), ***Human Dispersal and Species Movement : From Prehistory to the Present*** : 219-236. Cambridge : Cambridge University Press.

Crassard, Remy ; Hilbert YH 2013: "A Nubian Complex Site from Central Arabia: Implications for Levallois Taxonomy and Human Dispersals during the Upper Pleistocene", PLoS One journal, Volume 8, pone, Portugal, p.1-18.

Drechsler P., 2009: ***The dispersal of the Neolithic over the Arabian Peninsula. British Archaeological Reports International Series*** 1969. Oxford : Archaeopress.

Derricourt, R. 2005: Getting "Out of Africa": Sea Crossings, Land Crossings and Culture in the Hominin Migrations, JWP, Vol. 19, No. 2, pp. 119- 132.

Curtis, Matthew C.:
2007 "New Perspectives for Examining Change and Complexity in the Northern Horn of Africa During the First Millennium um. B.C. E. "in Peter R. Schmidt, Matthew C. Curtis, and Zelalem Teka, eds., The Archaeology of Ancient Eritrea. Trenton, NJ: The Red Sea Press Inc., 329-348.

2004: Ancient in teraction across the southern Red Sea : New suggestions for investigating cultural exchange and complex societies during the first millennium BC. P.59.

Drechsler P. 2009: The dispersal of the Neolithic over the Arabian Peninsula. British Archaeological Reports International Series 1969. Oxford ***: Archaeopress***.

Eppelbaum, L. and Y. Katz 2021: "Deep Tectono-Geodynamic Aspects of Development of the Nubian-Arabian Region and Its Relationship with Subsurface Structure", in The Arabian Seas: Biodiversity, Environmental Challenges and Conservation Measures, Editor: Laith A. Jawad, Springer Nature Switzerland, Pp: 199 – 237.

Fattovich, Rodolfo:

1990 "Remarks on the Pre-Aksumite Period in Northern Ethiopia;' *Journal of Ethiopian Studies* 23: 1-33.

1996 The Afro-Arabian Circuit: contacts between the Horn of Africa and Southern Arabia in the 3rd-2rd millennia BC. In : Krzyniak, and Kobasiewicz (eds) Interregional Contacts in later prehistory of Northeastern Africa, Poznan, p.396.

2004 'Pre-Aksumite State' in Northern Ethiopia and Eritrea Reconsidered;' in Paul Lunde and Alexandra Porter, eds., Trade and Travel in the Red Sea Region. BAR International Series 1269. Oxford: Archaeopress, 71-78. Garbini, G. 1984. Le lingue semitiche. Napoli: Istituto Universitario Orientale.

Fattovich, Kathryn A. Bard, Lorenzo Petrassi, and Vincenzo Pisano 2000: The Aksum Archaeological Area: A Preliminary Assessment. Naples: Istituto Universitario Orientale.

Fernandes V., Triska P., Pereira J.B., Alshamali F., Rito T., Machado A., Fajkosova Z., Cavadas B., Cerny V., Soares P., Richards M.B., Pereira L., **2015:** Genetic stratigraphy of key demographic events in Arabia. ***PLoS One*** 10(3) : e0118625.

Gajda, Iwona, Selassie, Yohannes Gebre and Berhe, Hiluf 2009: Pre-Aksumite Inscriptions from Mäqabər Ga'əwa (Tigrai, Ethiopia). *Annales d'Éthiopie*, 24: 33-48.

Gandini F., Achilli A., Pala M., Bodner M., Brandini S., Huber G., Egyed B., Ferretti L., Gómez-Carballa A., Salas A., Scozzari R., Cruciani F., Coppa A., Parson W., Semino O., Soares P., Torroni A., Richards M.B., Olivieri A., **2016:** Mapping human dispersals into the Horn of Africa from Arabian Ice Age refugia using mitogenomes. ***Scientific Reports*** 6 (25472).

Gerlach, I. 2013: Cultural contacts between South Arabia and Tigray (Ethiopia) during the Early 1st Millennium BC. Results of the Ethiopian- German Cooperation Project in Yeha. Zeitschrift für Orient- Archäologie, 6, 254– 277.

Glaser, E. 1895: Die Abessiner in Arabien und Afrika. Munich: H. Lukaschik**.**

Hilbert Y.H., Parton A., Morley M.W., Linnenlucke L.P., Jacobs Z., Clark-Balzan L., Roberts R.G., Galletti C.S., Schwenninger J.L., Rose J.I., **2015:** Terminal Pleistocene and Early Holocene archaeology and stratigraphy of the southern Nejd, Oman. ***Quaternary International*** 382 : 250-263.

Hetzron, R. 1972: Ethiopic Semitic. Manchester: Manchester University Press.

Huysecom E., Rasse M., Lespez L., Neumann K., Fahmy A., Ballouche A., Ozainne S., Maggetti M., Tribolo C., Soriano S., 2015: The emergence of pottery in Africa during the tenth millennium cal. BC : new evidence from Ounjougou (Mali). ***Antiquity*** 83(322) : 905-917.

Keall, E. J. 2004: "Possible connections in antiquity between the Red Sea coast of Yemen and the Horn of Africa," in ***Trade and Travel in the Red Sea Region, Society for Arabian Studies Monographs No.2 and BAR International Series 1269***. Edited by P. Lunde and A. Porter, pp. 43-55. Oxford: Archaeopress.

Khalidi, L. ; et all. 2018: Late prehistoric oasitic niches along the Southern Red Sea (Yemen and Horn of Africa), in: From refugia to oases Living in arid environments from prehistoric times to the present day, APDCA, Antibes, Pp: 71- 99.

Khalidi L., Lewis K., 2018.: Tracing prehistory in highland Yemen : contributions of the Dhamar Survey Project in light of new discoveries in Arabia. In : M. Altaweel, C. Hritz (eds.), From Sherds to Landscapes : Studies on the Ancient Near East in Honor of McGuire Gibson. Studies in Ancient Oriental Civilization. Chicago : The Oriental Institute of the University of Chicago Publications.

Khalidi, L. ; Oppenheimer, C. ; Gratuze, B. 2010 : "Obsidian sources in highland Yemen and their relevance to archaeological research in the Red Sea region", ***Journal of Archaeological Science*** 37, Pp. 2332 – 2345.

Khalidi, Lamya 2006: Settlement, Culture-Contact and Interaction Along the Red Sea Coastal Plain, Yemen: The Tihamah cultural landscape in the late prehistoric period, 3000-900 BC, PhD dissertation, University of Cambridge.

Kuper R., Kropelin S. 2006: Climate-controlled Holocene occupation in the Sahara: motor of Africa's evolution. Science 313 (5788) : 803-807.

Ludolf, J. 1682: A New History of Ethiopia. London: A. Godbid & J. Playford.

Macchiarelli, Roberto, et al, 2012: The Paleo environment and Lithic Taphonomy of Shi'Bat Dihya 1, a Middle Paleolithic Site in Wadi Surdud, Yemen, Fluvial Paleo environment and Lithic Taphonomy, Yemen, Geoarchaeology: An International Journal 27 (2012) 471–491 Copyright C _ 2012 Wiley Periodicals, Inc.

Marshall F., Hildebrand E., 2002: Cattle Before Crops : The Beginnings of Food Production in Africa. ***Journal of World Prehistory*** 16(2) : 99-143.

Mordini, A. 1947: Le incisioni rupestri di Gazien (Medri Senafe) nell'Enderta. Rivista di Scienze Preistoriche 2: 321-323.

Moscati, S. 1960: Lezioni di linguistica semitica. Roma: Centro Studi Semitici Universita di Roma.

Munro-Hay, Stuart, and G. Tringali 1993: The Ona Sites of Asmara and Hamasien;' Rassegna di Studi Etiopici 35: 135-170.

Nebes, N. 2010: Die Inschriften aus dem ʾAlmaqah- Tempel in ʿAddi ʾAkawəḥ (Tigray). Zeitschrift für Orient- Archäologie, 3, 214–237.

Parker A.G., Goudie A.S., Stokes S., White K., Hodson M.J., Manning M., Kennet D., 2006: A Record of Holocene Climate Change from Lake Geochemical Analyses in Southeastern Arabia. ***Quaternary Research*** 66(03) : 465-476.

Petraglia, M. D. 2003: Peninsula: Occupations, Adaptations, and Dispersals, The Lower Paleolithic of the Arabian JWP, Vol. 17, No. 2, pp. 141- 179.

Phillipson, David W:

1996 "The 1993-94 Excavations at Aksum, Ethiopia;' in Gilbert Pwiti and Robert Soper, eds., Aspects of African Archaeology. Harare: University of Zimbabwe Publications, 601-610.

2000 Archaeology at Aksum) Ethiopia) 1993-7. Vols. 1 and 2. London: British Institute in Eastern Mrica.

Preston G.W., Parker A.G., Walkington H., Leng M., Hodson M.J., 2012: From nomadic herder-hunters to sedentary farmers : The relationship between climate change and ancient subsistence strategies in south-eastern Arabia. ***Journal of Arid Environments*** 86 : 122-130.

Prioletta, Alessia ; Robin, Christian ; Schiettecatte, Jérémie ; Gajda, Iwona ; N uʿmān, Khaldūn. 2021:"Sabaeans on the Somali coast", Arab Archaeology and Epigraphy. Pp:328–339.

Robin, Ch. J., & De Maigret, A. 1998: Le grand temple de Yéha (Tigray, Éthiopie), après la première campagne de fouilles de la mission française (1998). Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions & Belles - Lettres, Jul.– Oct. 1998, 737– 98. https://doi.org/10.3406/crai.1998.15906.

Saada Ahmed Saadaa, Kevin Mickusb, Ahmed Mohammed Eldosoukya, Amin Ibrahim 2021: "Insights on the tectonic styles of the Red Sea rift using gravity and magnetic data", Article in Marine and Petroleum Geology · July 2021, Pp:1- 23.

Sereno P., Garcea E.A., Jousse H., Stojanowski C., Saliège J., Maga A., Ide A., Knudson J., Mercuri A., Stafford Jr. T., Kaye G., Giraudi C., N'siala I.M., Cocca E., Moots M., Dutheil B., Stivers J.P., 2008: Lakeside Cemeteries in the Sahara : 5000 Years of Holocene Population and Environmental Change. ***PLoS One*** 3(8) : 1-22.

Schoff, W.H 1912: The Preiplus of Erythraeon sea, New York .

Tosi, M. :

1986, a: The Emerging Picture of Prehistoric Arabia, ARA, Vil. 15, pp. 461- 490.

1986, b: Archaeological Activities in the Yemen Arab Republic, Survey and Excavations on the Coastal Plain (Tihamah). ***East and West*** 36 : 400-415.

Uerpmann H.-P., Potts D.T., Uerpmann M., 2009: Holocene (re-)occupation of eastern Arabia. ***In***: M.D. Petraglia, J.I. Rose (eds.), ***The Evolution of Human Populations in Arabia***: 205-210. Dordrecht : Springer.

Ullendorff, E.:

1955 The Semitic Languages of Ethiopia. London.

1973 The Ethiopians. London: Oxford University Press.

Whalen, N. m 93- 1994: Is the Early Man Found his way through Bab Al-Mandab strait from Africa to Yemen, Pp. 3- 4. في مجلة التاريخ والأثار، العددان٢و٣.

Wolf, P., & Nowotnick, U. 2010: The Almaqah temple of Meqaber Gaʿewa near Wuqro (Tigray, Ethiopia). Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 40, 367– 380. Retrieved July 5, 2021, from http//: www.jstor.org/stabl e/41224035.

Yosef, O. B.:

1994 The Lower Paleolithic of the Near East, JWP, Vol. 8, No.3, , pp. 211- 265.

1987 Pleistocene Connexions between Africa and Southwest, Asia: An Archaeological Perspective, AAR, Vol. 5, pp. 29- 38.

ZARINS, J. 1982: Early Rock Art of Saudi Arabia. Archaeology 35 (6): 20-27.

Zeder M., 2017: Out of the Fertile Crescent : the dispersal of domestic livestock through Europe and Africa. ***In*** : N. Boivin, R. Crassard, M. Petraglia (eds.), ***Human Dispersals and Species Movement : From Prehistory to the Present***: 261-303. Cambridge : Cambridge**.**

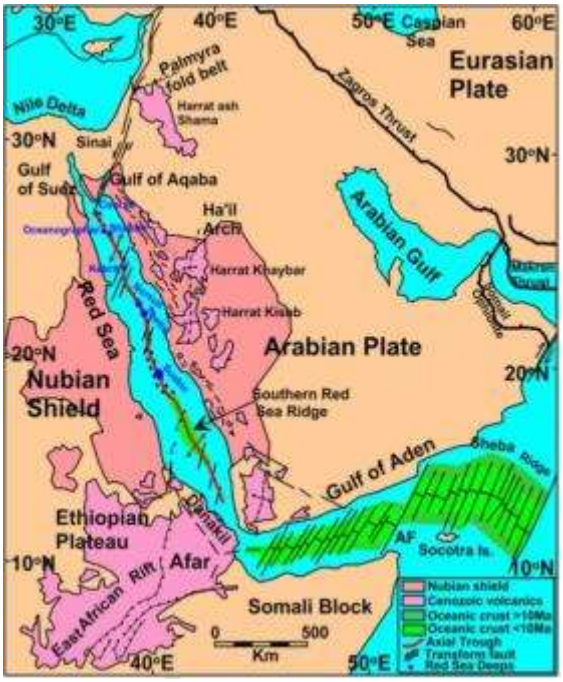
الخرائط والصور



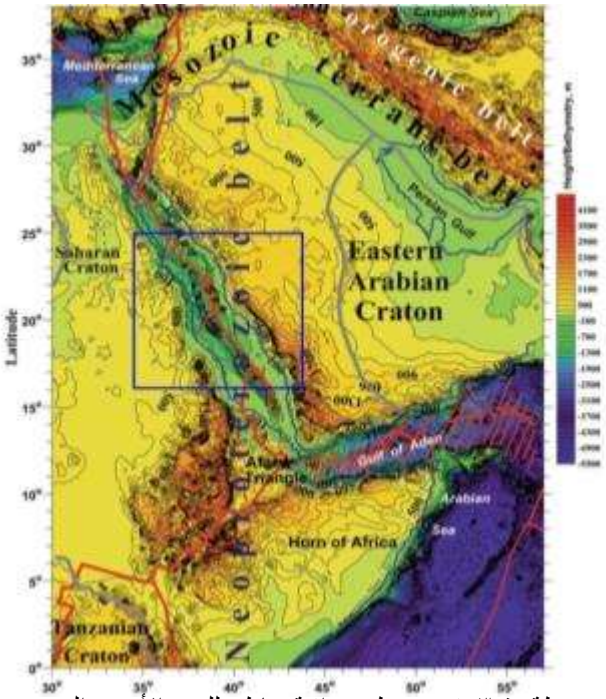
صورة جوية رقم١: توضح موقع البحر الأحمر المتميز بين كل من قارة آسيا وأفريقيا والمحيط الهندي



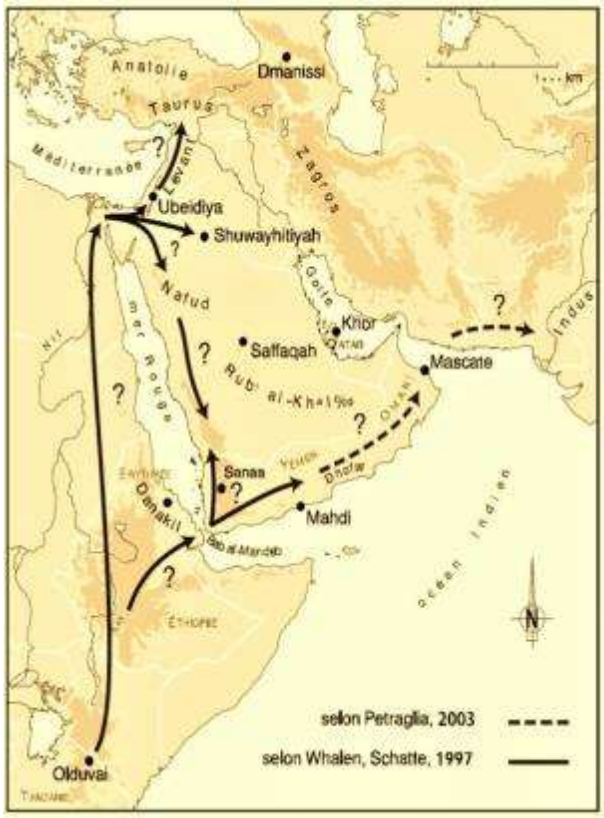
خريطة رقم١: توضح امتداد أخدود البحر. المصدر: مكتبة جامعة تكساس
https://maps.lib.utexas.edu/maps/middle_east_and_asia/middle_east_ref04.jpg



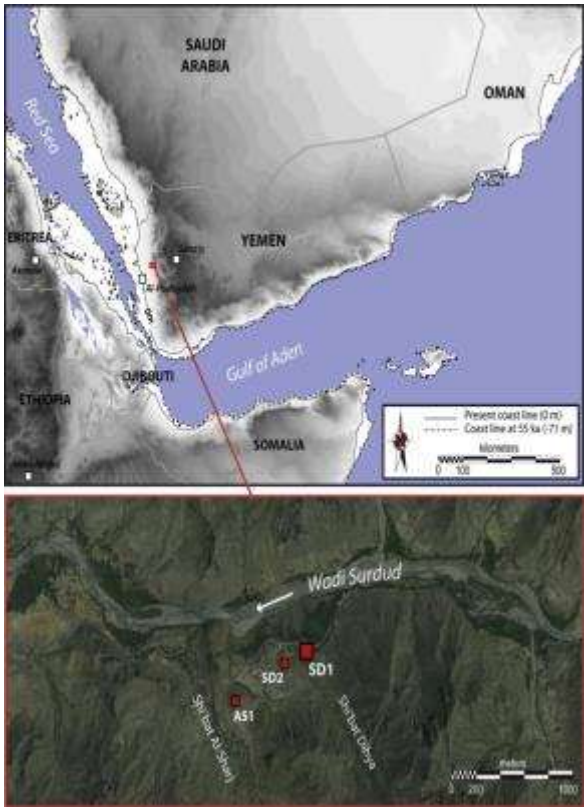
خريطة رقم٢: الخريطة التكتونية للبحر الأحمر والمنطقة المحيطة المصدر (*S.A. Saada et al. 2021*)



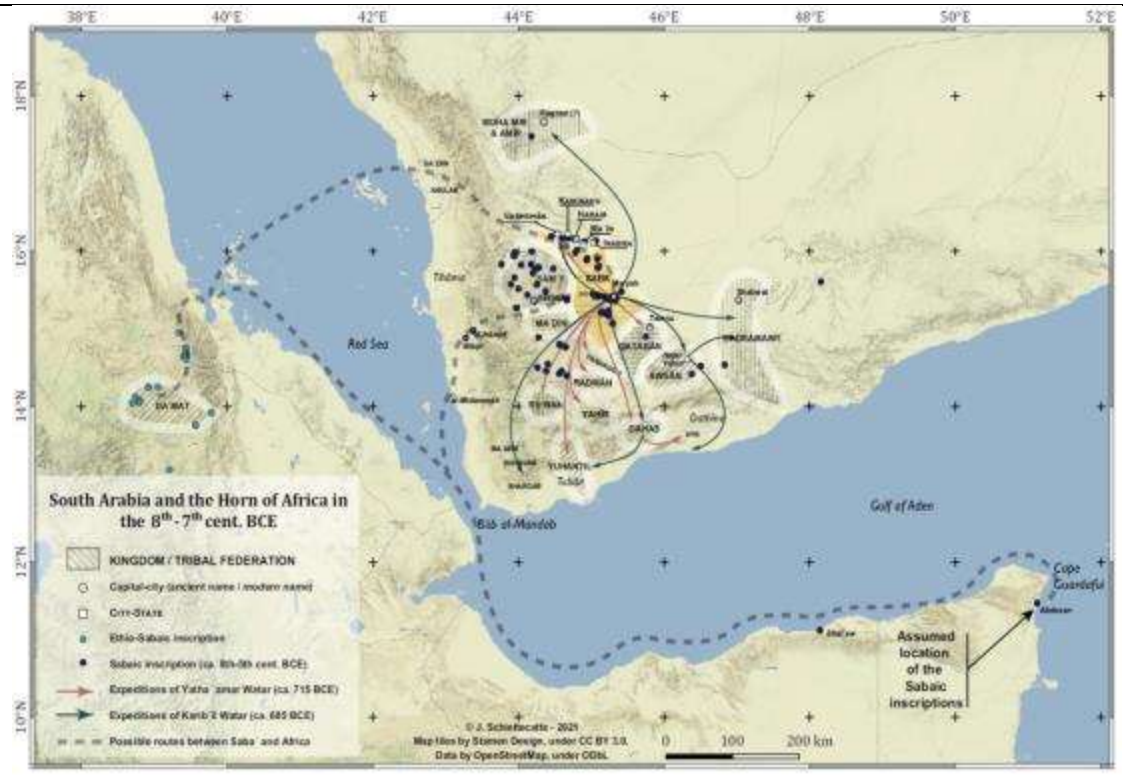
خريطة رقم٣: توضح طبوغرافية مناطق للبحر الأحمر. المصدر: (Eppelbaum and Katz 2021: P.203)



خريطة رقم٤: توضح خطوط تحرك الإنسان الأول من شرق أفريقيا عبر مضيق باب المندب، عن (إينيزان و رشاد ٢٠٠٧)



خريطة رقم٤: توضح موقع مستوطنة شعبة الضحي في سهل تهامة على الضفة اليسرى من وادي سردد



خريطة رقم٦: خريطة جنوب شبه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي في القرنين الثامن والسابع ق.م. المصدر (Alessia Prioletta it al 2021: 330



صورة رقم١: توضح المذبح الحجري في معبد يحا. المصدر (Gajda, Selassie and Berhe 2009)



صورة رقم٢: توضح النقش(MG 3 =DAI ʿAddi ʾAkawəḥ 1-2008) المدون على المذبح في معبد يحا. المصدر (Gajda, Selassie and Berhe 2009)



صورة رقم٣: النقش (HG Färäs May 2010) يظهر فيه اسم (تُبع كرب ذي يسرن). المصدر (Gerlach 2013: 263-264).

الهوامش:

١ **جنوب الجزيرة العربية:** أو العربية الجنوبية هو مصطلح استشراقي يشير إلى جنوب شبه الجزيرة العربية الذي يشمل اليوم اليمن وعمان . وكانت حدودها تشمل متحدثي اللغة اليمنية القديمة المدونة بخط المسند.

٢ **منطقة القرن الافريقي:** هي المنطقة الواقعة على رأس مضيق باب المندب من الساحل الأفريقي، وهي التي يحدها المحيط الهندي جنوبا، والبحر الأحمر شمالا، وتقوم عليه حاليا: أرتيريا، جيبوتي، الصومال، أثيوبيا.

٣. يعتبر مثلث عفار أحد أكثر السمات الجغرافية رعباً لمنطقة جنوب البحر الأحمر، فهو يشكل منخفض جيولوجي تحيط به اثنتان من التلال، وأخدود شرق إفريقيا العظيم. تقع المنطقة عند هذا المفترق الثلاثي، وتضم أدنى نقطة في إفريقيا وهي واحدة من أهم النقاط البركانية الساخنة وأشد المناطق حرارة في العالم. كما تحتوي على مزيج من المخاريط البركانية النشطة والصفائح التكتونية، ومدخلات الرياح الموسمية الأفريقية والهندية والارتفاعات العالية التي تحيط بها، بما في ذلك الهضبة الإثيوبية (٤٥٥٠ م) إلى الغرب، والهضبة الصومالية (٤٣٠٧ م) إلى الجنوب، وهضبة البحر الأحمر واليمن (٣٧٦٦ م) إلى الشرق، ما جعلها صالحة للسكن على الرغم من أنها واحدة من أكثر المناطق جفافاً على وجه الأرض.

٤ تم دراستها من خلال برنامج المسح الأثري من قبل (لمياء خالدي) الذي شمل سهل تهامة الساحلي (**L. Khalidi**)، وكذلك التنقيبات الأثرية التي نفذتها البعثة الأثرية التابعة لجامعة كامبردج (CAMROM) في موقع المدمن في تهامة بمحافظة الحديدة (**E. Keall**). التي بنيت على نتائج الدراسات الأثرية التي أجرتها البعثة الأثرية الإيطالية (IAM) في تهامة في الثمانينيات (M. Tosi) والبرنامج الذي أجراه ج. زارينس في تهامة بالمملكة العربية السعودية.

٥ تشمل البرامج الميدانية الأثرية الجارية: مشروع VAPOR Afar الواقع في شمال غرب حوض بحيرة أبهي في منطقة عفار الإثيوبية (dir. L. Khalidi، 2014 حتى الآن) ، ومشروع PSPCA الواقع في شرق حوض Abhe في جيبوتي (dir. J. Cauliez, 2014–present ; X. Gutherz 2001–2014).

٦ ثاني مدينة في قندالا، على الساحل الشمالي لولاية أرض بونت المتمتعة بالحكم الذاتي، وهي جزء من جمهورية الصومال الفيدرالية.

شار كالي شري سيرته وحياته

أ.م.د.وسن جاسم محمد

كلية الاداب / جامعة بغداد

شار كالي شري سيرته وحياته

أ.م.د.وسن جاسم محمد

(ملخص البحث)

يدور هذا البحث حول واحدة من الشخصيات الملكية التي كان لها تأثيرا مهما في تأريخ بلاد الرافدين القديمة ،وتتمثل هذه الشخصية بالملك شار-كالي-شري(٢٢٥٤-٢٢٣٠ق-م)، الذي تولى العرش بعد وفاة والده نرام- سين (٢٢٩١-٢٢٥٥ق-م)، فقد نال هذا الملك شهرة كبيرة في عصر الدولة الاكدية بشكل خاص، وبلاد الرافدين بشكل عام ، وذلك بما قام به من منجزات سياسية وعمرانية ، فقد اهتم بالجانب السياسي وقام بعدة حملات عسكرية ضد اعداء الدولة الاكدية وكان نتيجة تلك الحملات تحقيق النصر ، اما في الجانب العمراني فقد اهتم كثيرا بأعادة بناء وترميم المعابد فقد اهتم الملك بشكل خاص بمعبد الاله انليل .

Abstract:

This research revolves around onne of the royal figures who had significant influence on the history of ancient Mesopotamia, namely King Shar Kali- Sharri(2254-2230 BC), who assumed the throne after the death of his father, Tar-Sin (2291-2255 AD). This King gained great fame in the era of the Akkadian state in particular, and Mesopotamia in general, due to his political and urban achievements. he paid attention to the political aspect and later launched military campaigns against the enemies of the Akkadian-State, the result of which was victory. As for the urban aspect, he paid great attention to rebuilding and restoring temples.the king was particularly in the temple of the god Night.

المقدمة:

لقد حفل تاريخ بلاد الرافدين القديمة بكثير من الشخصيات السياسية المهمة التي ادت دورا كبيرا في تقوية البلاد واعلاء شأنها ونتيجة لذلك الدور فقد حظيت هذه الشخصية بمكانة مهمة في داخل البلاد وخارجها ومن تلك الشخصيات المهمة شار كالي شري (Sar–Kali– Sarri) ابن الملك نرام –سين(Naram–Sin)،موضوع البحث ، فكان هو اخر ملك اكدي تسنم العرش بعد والده وكان خير خليفة للعرش الاكدي فقد ذكرت الكتابات الاثرية تواضع الملك ،ولا سيما خلو كتاباته من القدسية الشرعية السماوية التي غالبا ما يضعها الملوك امام اسمائهم ، وكان من قوة هذا الملك بما يمتلكه من مهارات قيادية مكنته في ادارته للامبراطورية الاكدية في جميع مجالات الحياة الادارية والعسكرية والعمرانية ، فقد ترك لنا اثرا كبيرا في تاريخ بلاد الرافدين بشكل عام والعصر الاكدي بشكل خاص .

شار كالي شري سيرته وحياته:

الملك شار – كالي شري (Sar – Kali – Sarri) سيرته وعائلته والقابه(2254–2230 ق–م) هو ابن وخليفة الملك الاكدي نرام – سن (٢٢٩١ –٢٢٥٥ ق–م) محبوب سين، وهو اخر ملك اكدي يعتلي عرش الامبراطورية بشكل نظامي [١] ، ومن الجدير بالذكر كان شار – كالي شري بالغا عندما اعتلى العرش بعد وفاة والده (نرام – سين) فضلا عن ذلك كان كان شار – كالي شري يشغل منصبا رفيعا في عهد والده نرام – سين ، اذ كانت زوجته (توتا – شار – ليبشس) واخته كبيرة كاهنات معبد نانا (Nana) في مدينة اور التي اطلق عليها انتمنانا (Enmenana) التي شغلت هذا المنصب لمدة ثمانية وثلاثون عاما ، وقد تميزت فترة حكم الملك بالعثور على لوح طيني يذكر اسم شار – كالي شري ، مباشرة بعد اسم الملك دلالة على انه من ابناء نرام – سين وبحسب اثبات الملوك انه حكم حوالي خمسة وعشرون عاما [٢]، وقد كشفت لنا بعض المسوحات الاثرية عن كتابات تخلو من القدسية السماوية ولربما توجد في بعض الاحيان التصنيف الالهي الملحق بأسمه مثلا في اسماء سنوات مدة حكمه و لم نلاحظ هذا التصنيف اي لم يضع رمز الالوهية امام اسمه كبقية اسلافه الا في بعض النصوص التي تم اعادة ترتيبها من قبل بعض الباحثين في الكتابات الملكية ، وقد وجد هذا التصنيف في بعض التماثيل واشكال لا تتعدى الى احدى

عشر ختما وفي نسخ منها ايضا عاصرت عهده لا تتجاوز الاربع قطع [٣] ، ومن خلال االستقراء التاريخ تبين ان الملك شار – كالي شري قام عدة مرات بزيارة بلاد سومر ولا سيما قد تم العثور على لوح طيني اكتشف في مدينة اوما(تل جوخة) محفوظ حاليا في متحف ليفربول العالمي في المملكة المتحدة ،يذكر فيه ان الملك قام بزيارة عدة اماكن ، عدة مرات وكان من بين التوقفات زيارته لمدينة اوما لا سيما تم العثور على لوح طيني منقوش عليه الوليمة التي اعدت للملك شار– كالي – شري ، واسماء مفردات الطعام التني قدمت للملك التي تظمنت (الزيت ، السمن ، منتجات الحبوب ، التمور ، الزبيب ، الفاكهة ، والبهارات) فضلا عن ذلك فقد ذكر في الرقم الطيني عن المواشي ، والدواجن ، وطيور ،ومواد غذائية ، وبهارات) قدمت في الوليمة التي اعدت للملك عند قدومه الى بلاد سومر [٤] ، كما تم العثور على رقيم طيني اخر في زابالام ، ذكر فيه قائمة من (المعادن ، الحلي والثياب ، والحيوانات ومنتجات اخرى) قدمت الى الملك شار – كالي شري ، كهدايا اثناء هذه الزيارة الملكية [٥].

وبما ان هذه الزيارة كانت في غاية الاهمية فقد نقشت على الرقم الطينية اسماء ثلاث اسماء لسنوات ارتبطت بها كونها حملت مشروفي غاية الاهمية للتعرف على اسماء تلك السنوات ... كالاتي :

- السنة التي وضع فيها شار – كالي شري اسس معبد انليل في مدينة نفر . (السنة السادسة).
- السنة التالية عندما وضع فيها شار – كالي شري ، القائد بوزور – ايشتارفي منصب المسؤول عن بناء معبد انليل (السنة الخامسة).
- السنة التي اقام فيها شار – كالي شري نصبه الكبير ، وصب قالب من الذهب السائل لصنع بوابة معبد انليل في مدينة نفر[٦] . (السنة العاشرة).

هذا المشروع تمثل بأنطلاق اعمال بناء ، اي بناء على الجولة الملكية الكبرى التي اشتملت على مراكز مدن مهمة في سومر ، كان من بين ماذكر سابقا مدينة ايسن، اذ بعثت شتى المواد الغذائية والهدايا من المدن في كل انحاء سومر من اجل هذه المناسبة العظيمة . فمن الغايات الاخرى لهذه الزيارة لبلاد سومر سماع الملك لقسم الولاء من رعاياه ، وتأكيده

على اهتمامه بالناطق الجنوبية من خلال مشاريع الاعمار لأكثر المواقع الدينية اهمية .تلك المظاهر حملت نوعين من المشاعرالاول يمثل الهيبة من خلال مظاهر الاحتفال في كل انحاء البلاد . والثاني يمثل الرهبة من خلال اصطحابه خمسة من الشاجينا(٧)

ولم يكتفي الملك بزيارة بلاد سومر بل قام بزيارة مدينة (كيرسو) فقد زارها مرتين ، ضمن زيارات ملكية ، الاولى مع والديه الملك (نرام – سين) وزوجته الملكة اذ كان يتولى منصب المسؤول عن استلام الهدايا من الخراف حسب ماذكر في الرقم الطينية الادارية لهذه المدينة ، اما الزيارة الثانية فقد زارها ملكا مصطحبا معه ثلاثة من المسؤولين رفيعي المستوى من البلاط الاشوري وهم دادا (Dada) ، ناهشوم – شانات (Nahsum–Sanat) ، با لي – قاراد (qarrad – Bali) ، اولئك الثلاثة كانوا مسؤولين عن استلام (البصل ، الملفوف ، والكزبرة)(٨).

ادارة الملك شار– كالي شري (Sar–Kali –Sarri) السياسية والعسكرية لبلاد اكد سار الملك (شار –كالي شري) في ادارته للامبراطورية الاكدية على نهج والده (نرام – سين) واجداده ، اذ كانت الادارة السياسية في الامبراطورية مرتبطة كثيرا بالجانب العسكري المتمثل بشخص الحاكم للمدينة ومن الجدير بالذكر كان الملك شار –كالي شري شأنه شأن الملوك السابقيين الذين يؤكدون على مسألة تعينهم لحكام اكديين في كل ارجاء سومر ، غير ان السجلات الادارية اللاحقة والواردة من بلاد سومر(٩).

قد ذكرت بأن معظم اولئك الحكام كانوا محليين ويشغلون منصب مساعد حاكم لأحد النبلاء الاكديين وان هذا الاجراء يوضح لنا عملية التطور التقليدية لدي الحكام المحترفين ، الذين يستمرون لوقت طويل في مكان واحد كما هو حال الملك شار– كالي شري ابن نرام – سين الذي شغل منصب الحاكم قبل اعتلائه العرش بعد وفاة والده ، لكن ليس في سومر وانما في اكد (١٠). علما ان ارشيف اوما خلال عهد الملك شار– كالي شري والذي عد هو الاكثر تفصيلا فيما يتعلق بالمهام الادارية للحاكم ولاسيما التعاملات التجارية الرئيسية والمتعلقة بأدارة الاسرة المركزية للمدينة ، وكذلك بالنسبة لعملية توزيع الزيوت والعطور. من هنا يتضح ان مدينة اوما كانت تمتلك مقومات تختلف عن جارتها(كيرسو) وساغوب (Sagub) فا لافراد المنخرطين في العمل لدى العائلة الملكية والموظفين المحليين من ذوي

المناصب الرفيعة قد امتلكوا مساحات واسعة من الاراضي ، وقبل التطرق لشبكات المدينة او المدن الفردية والمستقلة في ظل الامبراطورية الاكدية التي سوف يتم التركيز فيها على الصلات، الداخلية والتعاملات وليس على العلاقات الخارجية ، فضلا عن ذكر الكثير من البيانات التي تقودنا الى شبكات شكلت من قبل افراد يحملون اللقابا معينة بحد ذاتها ، وليسوا افراد عاديين من اصحاب الحرف والمهن والكسبة من العمال . وقد عد هذا المفصل الخيط الذي يقودنا الى ديناميكية العمل والعلاقات والصلات في اطار الامبراطورية الاكدية [١١] . لاسيما الاختام التي تم العثور عليها في احد مصارف المياه القديمة البابلية في نيبور التي قد جسدت فيها ولي العهد والامير العامل اي (الموظف لشغل منصب معين) ، (شار – كالي – شري) في مشهد تصويري لمثوله امام أحد الالهة ، فضلا عن العثور على اختام اكدية في اطار حديث مثل فيها شخصيات مهمة فقد عثر على ختم يعود لزوجة شار كالي شري ،توتاشارليبش(Tutashar libbish) وفيه يظهر امرأة قد جلست في الهواء الطلق (خارج القصر) ، تقف ورائها انثى اصغر وأخرى امامها وقد يعود هذا الختم لمالكه المسمى دادا(Dada)، الذي شغل منصب القهرمان لديها وكما يبدو في نقش الختم، فأن دادا يحيي سيدته توتاشارليبش [١٢]

١–اللقى الاثرية في مدينة تيلو (Tello) اذ تم العثور على ختم منقوش عليه : شار– كالي–شري ، ملك اكادي ، ولوغال – اوشومغال ، حاكم مدينة لكش ، هو خادمكم (اشارة الى الملك شار– كالي –شري)، هذا الوصف يدلل على المشهد المجسد : هو ان الشخص العابد للاله يحمل جديا ، ورأسه متوجه نحو الامام ، وتقف ألهة الشفع تحمل عصى بيدها اليسرى عند الخصر ، وترفع يدها اليمنى ، ماثلين امام الاله شمش (Shamash)، الذي يبرز مابين جبلين ، واضعا احد قدميه على احد الجبلين ، وهناك شجرة على جزء من الجبل[١٣]. هذا المشهد يعبر عن وجود توازي أكبر في العلاقة مابين الاله والشخص العابد له فضلا عن نوع التحية التي يؤديها الاله تجاه ذلك الشخص العابد له من رعيته البشرية فهي نادرة في تلك الحقبة .

٢–وايضا في مدينة آداب (Adab)فقد تم العثور على لقية اثرية منقوش عليها : شار – كالي – شري ، الاله ، بطل اكادي ؛ ومعه لوغال – غيش(Lugal – gish) ، الكاتب

والحاكم لمدينة آداب ، والذي يعتبر عامله عليه، من الجدير بالذكرلم يتوفر اي وصف يدل على الاشكال المجسدة فيه .فهي عبارة عن ختم مستدير يطلق عليه اسم ختم بولا (Bullae Seal) ، بينما تم العثور على لقية اثرية اخرى في مدينة آداب ، منقوش عليها اسم الكاتب وعامله، وهي عبارة عن ختم طيني يحتوي على وصف يدل فيه على المشهد الذي يجسد فيه وجود أسد بكامل حجمه في مواجهة الجهة اليسرى ، واسد اخر بكامل حجمه في مواجهة الجهة اليمنى ،يتصارع مع مجسد غير واضح المعالم بالنسبة للبقعة المحددة التي تم العثور فيها عليه(١٤).

٣-اما بالنسبة للقية الاثرية رقم (٢٩) : فقد تضمنت المكان الذي تنتمي اليه تيلو (Telloh)النقش الموجود على هذه اللقية الاثرية كتب عليها : الملك شار- كالي - شري ، ملك اكادي ، ومعه آدا(Adda)احد عماله من الكتبة ، فهو عبارة عن ختم من نوع بولا المستدير .وكان يحمل وصف يدلل فيه عن المشهد المجسد : تجسيد أسد بذيل مرفوع ويده السفلى مفتوحة في حالة قتال(تصارع) مع بطل مجرد من اي ملابس او دروع وقائية (١٥) .

٤-اللقية الاثرية رقم (٣٠): المكان الذي تنتمي اليه تيلوه ، النقش الموجود على هذه اللقية الاثرية كتب عليه مايلي : شار-كالي -شري ، ملك اكادي ، ومعه ليبيت - ايلي (Lipit – ili)، ابن عامله القائد شوم – مالك (Shum – Malik)، هي عبارة عن ختم نوع بولا ، الوصف الذي يدلل على المشهد المجسد : تجسيد لأحد الابطال مجرد من اي ملابس او دروع وقائية ، يواجه الجهة اليسرى ويصارع حيوانا غير معروفا ، رأس البطل مجسد في مقطع امامي، واحدى ساقيه مرفوعة للتعبير عن مصارعته لذلك الحيوان الغير معروف (شكله مبهما وغير واضح) (١٦)

٥-اللقية الاثرية رقم (٣١):النقش الموجود على هذه اللقية لم يتبقى منه غير اسم شار- كالي -شري ...والباقي تالف. هي عبارة عن ختم اسطواني ، يحمل فيه وصف يدلل على الاشكال المجسدة فيه : عابد يحمل جدي صغير ، والهة التشفع عشتار ، ومن الجدير بالذكر ان هذا الختم الاسطواني تعرض لكثير من التلف ، ويبدوا انه يعود لأحد عمال شار – كالي – شري (١٧).

٦-اللقية الاثرية رقم (٣٢) : المكان الذي تعود اليه غير معروف ، النقش الموجود على هذه اللقية كتب فيه : الملك شار – كالي – شري ، ملك اكادي ، ابنيشاروم (Ibnisharrum)، الكاتب هو عاملكم . هي عبارة عن ختم اسطواني .الاشكال المجسدة فيه : احد الابطال ، لايرتدي اية ملابس او دروع واقية ، في وضعية نصفية الانثناء (يثنى احدى ركبتيه) يحمل اناء متدفق ، وهناك جاموس نهري يشرب منه ، ونوعا ما هناك نقش من الكتابة موضوعه بشكل عرضي تحتها جسد ذات المشهد لكن بطريقة معكوسة (نمط المرآة) [١٨].

٧-اللقية الاثرية رقم (٣٣): المكان الذي تنتمي اليه غير معروف . النقش الموجود على اللقية الاثرية كتب عليها :شار– كالي – شري ، ملك رعايا الاله انليل (Enlil)، توتاشارليبش الملكة ، وايشكون – داغان (Ishkun–Dagan)،كاتبها وقهرمانها العامل لديها – هي عبارة عن (ختم) على شعار معين او كسرة من اللقى الأثرية[١٩].

٨-اللقية الاثرية رقم (٣٤): المكان الذي تنتمي اليه آداب(بيسمايا، التل الثالث – Bismaya, Mound).النقش الذي دون عليها : شار – كالي –شري ، ملك اكادي ، توتاشارليبش الملكة ، ايشار – بيلي (Ishar –Beli)، قهرمانها والعامل لديها . هي عبارة عن بصمة او ختم على جسم مستدير نوع بولا .يحمل هذا النقش وصف يدل على المشهد المجسد : أحد الابطال لا يرتدي ثياب او دروع وقائية يصارع ثورا [٢٠].

٩-اللقية الاثرية رقم(٣٥): المكان الذي تنتمي اليه تيلوه ، النقش الموجود على هذه اللقية الاثرية كتب عليها : شار – كالي _ شري ، الملك القوي لأكاد ، توتاشارليبش هي محبوبة الملكية، دادا(Dada)، قهرمانكم وعاملكم . هذا النقش عبارة عن دمغة اوختم على جسم دائري من نوع بولا . يوضح المشهد المجسد : شجرة ، انثى صغيرة ماثلة حاملة ملابس (ثوب) ؟ في يدها اليمنى ، وأداة طويلة في يدها اليسرى قد سندتها على كتفها الأيسر، وهناك انثى جالسة في مواجهة الجهة اليمنى ، واضعة يديها على خصرها ،ويقف شخص قبالتها وجهة نحو جهة اليسار ، يرتدي حلة طويلة ،يرفع احدى يديه للتحية [٢١].

١٠-اللقية الاثرية رقم (٣٦): المكان الذي تنتمي اليه نيبور، هي عبارة عن ختم طيني لأحد عمال شار-كالي-شري ؟ مكان عملو او الوظيفة التي يشغلها هذا العامل غير معروفة . ماتبقى من نقش عليه فقط... شار-كالي-شري ، والباقي تالف[٢٢].

ومن اهم الطرق هي :

اولا : شبكة اشنونا :ان شبكات التواصل والترابط في اطار العائلة الملكية يعتبر المركزية لأي عملية تقصي وايضاح تخص الادارة الامبراطورية ،كونها تمثل قلب الامبراطورية . وان الشبكة التي سنتطرق اليها حاليا ماهي الا عملية اعادة انعاش واحياء للروابط الملكية التي تعود الى الفترة القديمة لأشنونا ففي عهد الملك شار- كالي شري ، تعتبر زوجته (توتا – شار – ليبيش) هي المظلة او السقيفة للروابط والصلات التي تتفرع منها مشكلة شبكة معقدة في الادارة المحلية ومن الجدير بالذكر ان هذه الشبكة تشتمل على العديد من المناصب البيروقراطية التي تتقاطع وتتفاعل فيما بينها وان كان بصورة غير مباشرة مع شبكة الأسرة الملكية ، وفي مثل هذه الشبكة الادارية كان هناك اربعة وسبعون نقطة التقاء تولد (٢٤٨) طرفا فرعيا .هذا يعني ان نقطة التقاء كل منصب قد تم تحديدها ، فزوجة شار- كالي شري كانت تمثل احدى نقاط الألتقاء هذه الكونة من رجال ونساء يستلمون حصص وتخصيصات منتظمة ، وفي الوقت نفسه يتفاعلون ضمن حدود معينة مع الافراد الفاعلين والعاملين الاخرين في هذه الشبكة(١٢).

ثانيا : شبكة آداب: يتألف كيانها الاداري الداخلي من (٥١٩) نقطة وصل وهذه النقاط تولد بدورها (٢,٠٨٨) اصرة فردية ، كما موضح في الجدول رقم الشكل (١) توضيح للمناصب حسب اهميتها التي تمثل نقاط الوصل والاواصر التي تتفرع منها كل نقطة وصل ، وممكن اعطاء مثال على ذلك اذ يلاحظ ان منصب الشابرا (Sabra) وهو الشخص المسؤول عن المشاريع الزراعية والبناء في المدينة فضلا عن تمتعه بالمكانة الاعلى في شبكة المدينة اقترانا وتزامنا مع منصب الحاكم (Ensi) [٢٣].

ثالثا : شبكة كيرسو : وهي الشبكة التي تلي شبكة آداب من ناحية كبرها ، اذ تتألف من (٤٣٣) نقطة وصل و(١,٤٠٠) وصلة اصرة فردية . وكما هو الحال في مدينة آداب يلعب الشخص الحامل لمنصب الشابرا دور الوسيط مابين الملك والحاكم . ايضا من

خلال "الشابرا" يرتبط الملك بالعسكر اما بالنسبة لمنصب "السوكال" فأنه مرتبط بصورةغير مباشرة بكل من الحاكم والقادة العسكريين في المدينة ، اي ان مستوى مشاركة حاملي هذا المنصب في كلا من مدينتي آداب وكيرسوى ، وهو ضعيف نسبيا مقارنة مع المناصب الاخرى فهم على مايبدو يشتركون مع اولئك الذين يشغلون وظائف تتطلب التنقل مابين المدن ، اما كجنود رسل او وكلاء تجاريين ، في حين ان منصب السوكال – ماخ (Sukkal–Mak) قد ارتبط بشكل اوثق بقطاع المعابد وادارة الاراضي (البلاد) وبالتالي يمتلك صلة اوثق مع " الشابرا" عنه مع الحاكم . او الحاكم العسكري الشاغينا (Sagina) . وفي جدول رقم (٢) يذكر فيه المناصب في مدينة كيرسو ولاسيما حجم الروابط والصلات التابعة لكل منصب [٢٤].

رابعا : شبكة أوما : كانت مدينة أوما تتألف من (٢٧٥) نقطة اتصال وعلى الرغم من ذلك، فهي ماتزال تحتفظ ب(١,٦٤٣) اصرة فردية دلالة على حالة من التلازم المحكم الديناميكية والتنظيم العالي ، اذ كان منصب " الشابرا" هو الرئيسي في سلسلة الشبكة العاملة ولا سيما انه يتواصل مع مع مختلف الوكلاء المسؤولية عن ادارة المدينة اذ يلاحظ ان منصب الحاكم غائب عن المراكز الرئيسية للمعلومات / او التركيز التفاعلي في اوما . ونتيجة لذلك هناك ثلاث خطوط رئيسية لهذه الشبكة وهي :

١–خط السوكال ، الشاغينا (الحاكم العسكري) والشابرا.

٢– خط الملك .

٣–خط الحاكم للمدينة.

من الجدير بالذكر ان القادة العسكريين كان ارتباطهم بمواقع واماكن جغرافية محلية وهذا يعني كان جل التركيز العسكري على التمرد الحاصل في المناطق الجنوبية وليس عند الاطراف البعيدة من بلاد الرافدين ، وعلى هذا الاساس سيكون للملك صلات مباشرة محدودة مع " الشابرا" في هذه المدينة وبهذا سيكون للشخص الذي يتولى منصب الغالا (gala) دور الوسيط مابين الملك وقادته في هذه المدينة[٢٥].

خامسا : شبكة غاسور : يعد حجم مدينة غاسور صغيرا مقارنة بحجم مدن اخرى مثل آداب وغيرسو وأوما ، اذ ليس فيها قطاع معابد بالامكان استكشافه بسهولة كما هو

الحال في دايالا (Dayala) وان هذا الامر يعيق اية محاولات لمقارنة هذه الاقاليم الشمالية مع قلب بلاد الرافدين اما فيما يتعلق بشبكة غاسورفهي تتألف من (١٥٨) نقطة وصل تتفرع منها (٥٦٦)اصرة فردية ، فيها شخصين الحاكم و"الشابرا" ليس رئيسين في هذه الشبكة ، بل ان الملك والزوزو (تعريف في الهامش اخر البحث)[٢٦].

حوليات الملك الاكدي شار – كالي شري (Aar – Kali – Sarri) :

لقد اصبح نمط اتباع صيغة اسماء السنوات شائعة في مسألة تثبيت التواريخ اليوم والشهر والسنة بشكل كبير في النصوص الادارية ابتدأ منذ عهد الملك سرجون الاكدي مؤسس الأمبراطورية الاكدية وابنائه ومن الجدير بالذكر ماورد من خلال الرقم الطينية التي تم العثور عليها في نيبور وآداب وغيرها من المدن التي اتبعت هذا الاسلوب في عهد كلا من الملك(نرام – سين) و (الملك شار– كالي شري) ، فمعظم السنوات السرجونية تدل على التصديات والمهام العسكرية لملوك اكد وهي تعود الى حوادث ذكرت في النقوش اي (الكتابات الملكية) ، حملت النقوش والنصوص الكتابية اسماء سنوات عهد الملك شار– كالي شري واسماء المعارك التي خاضها ضد الاموريين والكوتيين والعيلاميين كنوع من التخليد واحياء الذكرى للملك الاكدي . وقد جاء في احدى حوليات الملك شار– كالي شري اشارة الى قيامه بجولة ملكية نقشت على احد الرقم الطينية المكتشفة .اذ كانت تحمل تاريخا كتب عليه (السنة الاولى) كما هو موضح في النص التالي:–

(عندما ذهب الملك الى سومر .... في السنة الاولى ، الشهر الثاني ، موثق في زابالام (Zabalam)[٢٧]

كما تم العثور على ترجمة لنص اخر متعلق بالزيارة الملكية لسومر موثقة بأسم السنة، فقد عثر عليه في احدى الرقم الطينية المكتشفة في نيبور وعلى مايبدوا فأنه قد تضمن رحلة الملك شار– كالي شري الى سومر التي قام بها في بداية السنة الاولى في عهد حكمه وهذا ما اوضحه النص ..

(السنة التي قدم فيها شار– كالي شري الى سومر هي السنة الاولى) [٢٨]

توضح لنا تلك النصوص ولاء الحكام السومريين للملك السرجوني شار– كالي شري ، اذ كانت تلك النصوص مهمة وضرورية جدا من ناحية كونها مبادرة ملكية بعد العديد من الاضطرابات التي اجتاحت الامبراطورية الاكدية في عهد اسلافه ومن ناحية اخرى اذ لم تكن هناك اي اشارة توضح حاجة الملك الى مراسيم تتويج ثانية في سومر او نيبور ، بل ان رحلة الملك هذه لم تكن مشروطة بالضرورة عند اعتلائه لعرش الامبراطورية.

ومن خلال استقراء التاريخ فقد تم ذكر اسم السنوات وفقا لترجمة الرقم الطينية، وما ورد فيها من نصوص نقشت عليها اسماء سنوات عهد الملك شار– كالي شري ففي السنة الرابعة من حكمه ، فقد ورد في النص الاتي :–

(السنة التي تلي السنة التي نصب فيها شار–كالي شري ، القائد بوزوريشتار(Puzureshtar) ، لبناء معبد انليل)[٢٩]

اما في السنة السابعة من عهد الملك شار– كالي شري ذكر فيها ان الملك وضع فيها . اساس المعبد للاله انليل .وقد ورد في النص :

((السنة التي وضع فيها اساس معبد انليل))[٣٠]

وفي نص اخر يعيد ذكر اسم السنة التي وضع فيها الملك شار–كالي شري اساس معبد الاله انليل اي السنة اللاحقة التي قصد فيها السنة الثامنة وهذا ما اوضحه النص :

((السنة التي وضع فيها اساس معبد انليل . السنة اللاحقة))[٣١]

وفي نص اخر يبدوا ان الرقيم الطيني مكسور، في السنة التاسعة من عهد الملك شار– كالي شري اذ يذكر في النص ....

((السنة عندما (؟) الملك شار– كالي شري [.....] لمعبد انليل))[٣٢]

اما في السنة الحادية عشر من حكم الملك شار– كالي شري فقد ذكر اسم الملك بتحديد اساسات المعابد في بابل بعد ان القى القبض على ملك الكوتيون بسارلاغ كما موضح في النص الاتي ....

((في السنة التي وضع فيها شار كالي شري ، اساسات معبد انونيتم (Annunitum Temple) ، ومعبد ايلابا (Alaba Temple) في بابل ، وأمسك بسارلاغ (Sarlag) ، ملك الكوتيين)) [٣٣]

وفي السنة الثالثة عشر من حكمه ذكر في احد نصوصه ....

((في السنة التي كان فيها شار – كالي شري ، في احدى المعارك ضد الامورين))[٣٤]

يوضح النص ان الملك قام بشن حملة عسكرية ضد الاقوام الامورية دون ذكر تفاصيل تلك الحملة.

وفي نص اخر يذكر فيه انتصاره في احد حملاته العسكرية ضد الاقوام الامورية في جبل بسار وهذا ما اوضحه النص الاتي:

((السنة التي قهر فيها شار –كالي –شري الامورو في بسار)) [٣٥]

اما في السنة الخامسة عشر من حكم الملك شار –كالي شري فقد ذكر في احدى نصوصه ...

(في السنة التي خاض فيها شار– كالي شري معركة ضد عيلام وزاهارا (Zahara) ، قبالة اكشاك (Akshak) ، و..... كان منتصرا)[٣٦]

ومن الجدير بالذكر جاء في احد النصوص التذكارية ان الملك ارخ بالمصاهرات السياسية بين الملوك التي تشير ربما الى تدخل الدولة الاكدية في شؤون دويلة أنشان او من اجل توطيد العلاقات السياسية والاجتماعية فمنذ عهد الملك نقرأ بالنص الاتي :

((السنة التي تزوجت فيها ابنة الملك شار–كالي –شري أمير أنشان))[٣٧]

هذا النص يوضح ان الملك كان غايته تحقيق السلام وتوطيد العلاقات بين الدول، لكن بلاد عيلام كانت تضمر له ولبلاد اكد العداء.

اما في السنة السادسة عشر فقد ذكر في النص ..

((السنة التي انتصر فيها شار–كالي شري في احدى المعارك على عيلام وزاهارا(Zahara))[٣٨]

يوضح النص ان الملك شار قد استمر في شن حملاته العسكرية خلال السنوات الخامسة عشر والسادسة عشر وحقق فيها الانتصارعلى بلاد عبلام وزاهارا.

واخيرا ماذكرته احدى النصوص في السنة التاسعة عشر من حكمه ،اذ يذكر اسم الملك وبسبب وجود تلف في النص لانجد فيه اي تفاصيل توضح ماذكر فيه ...

((في السنة (عندما) شار–كالي شري [....] اكد))[٣٩]

يمكن القول ان اسماء سنوات عهد الملك حملت اسماء المعارك التي خاضها ضد الاموريين ، الكوتيين والعيلاميين ، كنوع من التخليد واحياء الذكرى ، ولا سيما ان اتباع هذا الاسلوب اصبح شائعا في مسألة تثبيت التواريخ بشكل اكبر في النصوص الادارية ابتداء من عهد سرجون الاكدي وأبناءه من خلال الرقم الطينية التي عثر عليها في نيبور وآداب ، فضلا عن وجود مدن اخرى اتبعت نف الاسلوب في عهد كلا من نرام–سن وشار –كالي شري ومن الجدير بالذكر ان معظم اسماء السنوات السرجونية تدل على التصديات واالمهام العسكرية لملوك اكد وهي تعود الى حوادث ذكرت في النقوش (الكتابات الملكية) ، اذ كانت الصيغة المتبعة هي ذكر اليوم والشهر والسنة .

الادارة السياسية للملك شار – كالي شري(٢٢٥٤–٢٢٣٠ق – م):

طيلة فترة ال (١٤٠) عاما ، ابتداءا من تاريخ اعتلاء سرجون ولغاية موت شار – كالي شري ، ضمت الامبراطورية الاكدية رقعة واسعة من الاراضي (معظم اراضي بلاد الرافدين والاجزاء الغربية من ايران وعيلام) اذ خضعت لحكمها المباشر وهناك دليل واضح على طبيعة اتباع المركزية في سياسة الحكم ولا سيما اصبحت مدينة اكد تمثل قصر اقامة الملك وهي رمز الامبراطورية لتكون الافخم والارفع من بين مدن الامبراطورية الاخرى . ومن الجدير بالذكر فقد تم توثيق رحلات الملك شار –كالي شري ، وحاشيته وصلاته الوثيقة في اطار امبراطوريته من خلال نصوص ادارية عثر عليها في اماكن مختلفة ،اذ ركز الملك في سياسته الخارجية على الشرق بشكل واسع لاسيما بسبب المشاكل التي تعرضت اليها حدود امبراطوريته المستمرة من قبل افراد وجماعات من الاموريين الذين تسللوا الى بلاد الرافدين فقد عمل بعضهم كجنود مرتزقة في الجيش والعض الاخر عمالا واجراء[٤٠] ، فضلا عن العثور على نصوص اخرى تذكر دخول اقوام وشعوب همجية اخرى متخلفة الى بلاد الرافدين لايحسنون التصرف وهم الكوتيون [٤١]، سواء خلال فترة حكمه اي (الفترة السرجونية) او قبل ذلك وهذا ما اوضحه النص الاتي:

((اولئك الذين لايشبهون الاخرين ، والذين لا يعدون كجزء من سكان الارض ، انهم الكوتيين فهم شعب متخلف لايحسنون التصرف ، وليس لديهم ذكاء بشري ، انما لديهم غرائز الكلاب

وخصائص القرود..)) [٤٢]

كما وثق الكوتيون في النصوص الادارية التابعة لكل من (كيرسو ، واوما ، وآداب ، وكيش) وجودهم من بلاد الرافدين في اسم سنة مجهولة كما موضح في النص الاتي ...

((السنة التي حدثت فيها معركة الكوتيين))[٤٣]

والتي قد نسبها الى عهد شار–كالي شري كما اشارت احد السنوات لعهد شار–كالي شري الذي تمكن من الامساك بملك الكوتيين سالارغ (Sarlag) في الوقت نفسه يشير اسم السنة هذا الى ان الملك سارلاغ هو اول ملك كوتي عاصر عهد الملك الاكدي (شار – كالي شري) ومن الجدير بالذكر هناك نصوص ادارية اخرى اشارت الى قطعان الماشية التي نهبت من قبل سلالة من الكوتيين ، يعود تاريخ ذلك النص الى عهد الملك شار– كالي شري ، وقد ذكر في النص الاتي:

((اثناء احدى السنوات قام سلابة من الكوتيين ، بسلب ثيران وماشية الملك))[٤٤]

كما تمت الاشارة الى السلابة من الكوتيين فيما بعد ب (الرسالة الكوتية) التي تعود الى الفترة السرجونية القديمة [٤٥].

لقد استهل الملك شار – كالي شري اعوامه السبعة عشر منذ بداية عهده في الحكم بحروب مستمرة فقد شن الملك حملاته العسكرية ضد الكوتيون في الشرق ، وحملة اخرى ضد الاموريين في سوريا[٤٦]، لا سيما حالة الجفاف التي ضربت المنطقة ولفترة طويلة ، مما جعل سكانها يهاجرون على شكل موجات بشرية الى الامبراطورية الاكدية اذ اتخمت المدن بالمهاجرين فقد اصبح الماء والطعام شحيح مما ادى الى قيام الاموريون بغزو الامبراطورية من جهة الشمال الغربي [٤٧].

فضلا عن اكتشاف نص اخر في كيش ، يعود الى النصوص المكتشفة في كيش عام(١٩٣٠) يعود الى عهد الملك شار– كالي شري ، فيه اشارة الى شارينغوبيسن ومن المحتمل انه ابن شار –كالي شري وقد اشار النص الى (حشد من الكوتيين)، ونصب (شارينغوبيس) [٤٨] في زمن الهيمنة او التسلط الكوتي ، على الرغم من ذلك فقد ضعفت الدولة الاكدية في اواخر عهد الملك شار –كالي –شري ، لعدة اسباب منها كثرة الحملات العسكرية التي خاضتها مع اعداء الدولة ولاسيما استنزاف طاقاتها في تلك الحملات

العسكرية التي تشنها ضد الاعداء لاسيما مع القبائل الجبلية المتمثلة باللولوبيين// والكوتيين ، فضلا عن اخماد كل حركات التمرد التي كانت تحصل في داخل البلاد والاقاليم التابعة ايضا ، كل هذه العوامل ساعدت على سقوط الدولة الاكدية على يد الكوتيين بعد ما استمر حكمهم مدة تقارب مئة عام من الزمن واطلق على هذه المدة من الوجهة التاريخية ب(أولى الفترات المظلمة في تاريخ وادي الرافدين)[٤٩]

ومن خلال استقراء التاريخ تم العثور على لوح في مدينة كيرسو فيه توثيق نصي "لغنائم اوروك" وفي الوقت نفسه ذكر لمصروفات ونفقات لأشخاص من اكد اوحصص مسلمة الى العاصمة اكد، ولاسيما ذكر فيها تاريخ السنة على لوح طيني اخر يعود للفترة السرجونية القديمة من كيرسو ايضا يخلد فيه ذكرى معركة اوروك وكابسوو(Kabsu) وهذا ما اكده النص الاتي:

((السنة التي خيض فيها معركة اوروك وكابسو))[٥٠]

يبدوا ان التوثيقات الارشيفية التي عاصرت تلك الفترة تكشف لنا دليل ان اوروك كانت في الاصل مستقلة في الجنوب ، في الوقت الذي كانت فيه كيرسو لاتزال جزءا من الامبراطورية الاكدية التي شملت معظم عهد الملك شار–كالي– شري، اذا لم يكن خلال العهد بكامله .

واخيرا اشار الملك شار– كالي شري ، في احدى مدوناته الى الاعمال العدائية والتخريبية التي تقوم بها بعض الاقوام الاجنبية المتمثلة بالاموريين والكوتيون ، اذ كانت هذه الاقوام تعمل على محو ذكر انجازات الملك العسكرية ونشاطاته العمرانية واعماله الادارية فقد وجه تحذير لهم في عدة نصوص يذكر فيها كل من يحاول ازالة ذكره (نقوشه التذكارية) ، فسوف تنزل عليه لعنات الالهة وتدمره وعائلته وهذا ما اوضحه النص الاتي:

((اي شخص يقوم بأزالة كتاباتي من معبد الاله انليل ويضع اسمه بدلا من اسمي ، ويقول للاجنبي امسح اسم شار – كالي شري وضع اسمي بدلا منه ، او في مخزنه ، عسى الاله انليل ، ملك الالهة يقرروا حالته ، ويدمروا ذريته .....))[٥١]

يوضح النص الاعمال الشريرة التي تهدد الملك بمحو كتاباته ووضع مكانها كتابات ملوك غيره الا ان الملك شار كان حكيما اذ دون كتاباته في معبد الاله انليل كي يزيد من مخاوف اعدائه من الوصول اليها والا ستصيبهم لعنة الاله انليل .

الخاتمة :

١-يعد شاركالي شري اخر ملك يعتلي عرش الامبراطورية الاكدية بعد وفاة والده نرام-سين.

٢- حسب ماذكرت النصوص الاكدية كان شار كالي شري بالغا عندما اعتلى العرش بعد وفاة والده.

٣-ويظهر ايضا من خلال النصوص التي تركها لنا الملك شار كالي شري وقبل ان يصبح ملكا، قد شغل منصبا رفيعا خلال مدة حكم والده نرام -سين .

٤-كما وذكرت النصوص عن المدة التي حكم فيها الامبراطورية الاكدية التي بلغت تقريبا خمسة وعشرون عاما .

٥- كشفت لنا المسوحات الاثرية عن كتابات تخلو من القدسية السماوية ، ولاسيما خلال مدة حكمه عندما يذكر سنوات حكمه كانت تخلو من وضع رمز الالوهية التي كانت اولى اهتمامات ملوك بلاد الرافدين .

٦-اظهرت لنا بعض النصوص التي تركها لنا الملك شاركالي شري انه كان حاكما حكيما وقويا في تسيير شؤون البلاد ويذكر انه كان يقوم بزيارات متكررة الى عدة مدن سومرية ، الغاية منها تنفيذ مشاريع عمرانية مثل بناء او تجديد المعابد من اجل تأكيد سلطتهم الدينية والسياسية.

٧- وفي ضوء ماتوفر من ادلة اثارية كتابية ومادية فأن شهرة شار كالي شري جاءت عن طريق الاعمال العمرانية التي قام بها خلال مدة حكمه.

٨- تركزت الاعمال العمرانية التي قام بها الملك شار كالي حول بناء وترميم المعابد ولاسيما معبد الاله انليل.

٩- معظم النصوص كانت مهشمة ، لذلك جاءت المعلومات قليلة جدا عنه.

١٠-وللنصوص التذكارية التي تحمل اسم الملك شار كالي شري ، اهمية كبيرة جدا اذ دعت الى تحقيق العدالة في بلاده ، لاسيما ذكره لاسماء الموظفين منهم القهرمان الذي يعمل لدي والدته ، فضلا عن ذكر الكتبة واالشابرا المسؤول عن المشاريع الاقتصادية والعمرانية.

١١-استهل الملك شار كالي شري مدة حكمه التي دامت سبعة عشر عاما بحروب متواصلة ضد الكوتيون والاموريين .

١٢- اوضحت النصوص التذكارية للملك مدى مقاومته لاعداء الدولة وعلى الرغم من شن حملات عسكرية ضد اعداء اكد الا اننا نلاحظ الضعف الذي اصاب دولته بسبب كثرة الحملات واستنزاف طاقاتها التي ادت بالتالي الى سقوط اكد على يد الكوتيين الذين استمرت فترة حكمهم حوالي قرن في حكم البلاد

١٣- كل ماتركه لنا شار كالي شري عن حياته الشخصية والعمرانية والسياسية كان قليلة جدا ،على الرغم من مدة حكمه التي بلغت تقريبا خمسة وعشرون عاما ،ولا تكاد تكون فكرة واضحة عن سيرته الذاتية ومنجزاته العمرانية والسياسية ،لازالت هناك نصوص كثيرة لاسيما سيرة هذا الملك ونشاطاته المختلفة ،التي لم يتم الكشف عنها الى الان.

المصادر العربية والانكليزية :

1-ToshuaJ.Mark, Sargon of Akkad-world History Encyc 2 Septeber (2009), p.7;

الفتيان ، احمد مالك ، دراسات في التاريخ القديم ، دارالكتب والوثائق العراقية :بغداد (٢٠١١)، ص٦٠.

٢- باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢، الوراق للنشر المحدودة (٢٠١٢) ،ج١ ، ص٤٧٠.

3-Nicole. Brisch, Religion and power,Diven Kink, Ship in the Ancient world and Byond, Them Kings of ur: Ashort century of Diven Rule In Ancient Mesopotamia, By: pioty Michalo wski, university, of Michigan, Chicago(2012),p.35.

4- Mario Liverani, Akkad: the first world Empire, Structur, I deology Tradition, padova(1993),p.28.

5- Walther.Sallaberger, Ingo.Sharakamp;Associated Regiond chronolgies and the Eastern Mediterranean (ARCANE111) ,History and Philology,, turnhout, 2015, 47,N-L-krau the British Institute for the study of Iraq(2019),p.4.

6- Ibid

٧-شاجينا : لقب يطلق على الشخص المسؤول او الاداري الرفيع المستوى عن الاشراف على مجالات محددة في الحكم فضلا عن حملهم اعلى الرتب العسكرية التي تلي الملك مباشرة ،هذا كل ماذكرعنه في الرقم الطينية الادارية في كيرسو ..للمزيد ينظر: N.L.Krous, op-cit.,p.4.

8-Ibid.,p.3-4.

9-Mario,Liverani.,op-cit.,p.28.

10-Ibid.

11-Sara,Brumfield, Imperia Methods: using Text Mining andsociai Net Work Analysis to the Akkadian Empire, cak fornia(2013).,p.186.

12-Ibid.,p.211.

13-Ibid.,p.214.

14-Ibid.,p.21.

15-Ibid.,p.22.

16-Ibid.

17-Watther Sallaberge,op-cit.,p.39.

18-Ibid.

19-Editors: Watther Sallaberger and others., ARCANEIII., History and Philosohy,(Belgium,2015),p.47.

20-Ibid.

21-Ibid

22-Ibid.

23-Ibid.,p.46.

24-Ibid.

25-Ibid ; Gwendolyn yn Leick., Historical Dictionary of Misopotamia, Oxford,2003; p.109.

26-Ibid,p.47;Saggs,H.W.F., Everydaylife in Babylonia and Assyria,Assyrian International News Agency,1965.,p.16.

٢٧-سلمان،حسين احمد، كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية ، مكتبة مصر: دار المرتضى (بغداد،٢٠٠٨)،ص٣٢٣.

٢٨-الكوتيون :وهم قبائل عرقية قديمة استقرت في منطقة جبال زاكروس المجاورة لحدود العراق الشرقية مع بلاد ايران، اذ استقروا في منطقة جبلية وعرة وكانت لهم حضارة خاصة بهم ، وقد اطلق الباحثيين على فترة حكمهم (٢٢١١-٢١٢٠ق-م) بالفترة المظلمة الاولى في تاريخ العراق القديم،لاسيما انهم كانوا يتحينون الفرصة للأنقضاض على مراكز الحضارة العراقية في القسم الجنوبي من العراق، وعلى الرغم من مواجهة الملك شار كالي شري لهجومهم الا انهم تمكنوا من تدمير الدولة الاكدية . للمزيد ينظر: الشيخلي عبد القادر عبد الجبار، الوجيز في تاريخ العراق القديم ، ط٢، بغداد: دار الكتب والوثائق (٢٠١٤)، ص١١٠.

29-Edit.rs:halther Sallaberger and

30- Ibid,p.119.

31-Ibid.

32-uhl,xina M., the Decline of Ancint Mesopotamian civilization , New York (2017),p.12.

33-Ibid.

٣٤- شارينغونبيس: وهو المسؤول عن ادارة معبد كيش ،وقد تمت الاشارة اليه في احد النصوص التذكاريه بأنه ولي عهد الملك شار كالي شري ، وفي نص اخر يذكر انه يظهر كقاضي اي "صاحب منصب رسمي رفيع".للمزيد ينظر:

-Editors: Walther Sallaberger ...p.127-128.

35-op-cit,p.117.

36-Ibid.

٣٧- رو ، جورج، العراق القديم، تر:حسين علوان حسين، ط٢، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة(١٩٨٦)، ص٢١٦ ؛

-Henkel, Kelly., Greek and Eastern Mediterr amean Archaeology:from the Bronze Age palaces to the Hellenistic King doms, Towards A Holistic View of climate and collapse, University of Athens,2017.,p.22.

38-Uhl,Xina M., op-cit,p.12.

٣٩- الاحمد، سامي سعيد، العراق القديم ، ص٧٨-٧٩.

40-Editors: Wather Sallaberger and Ingo Shrakamp, and others., op-cit.,p.117.

41-Frayne, D., Sargonic and Gutian periods, RIME , Vol.2 , p.194-195.

٤٢-عبد، حيدر عقيل ، اعمال الملك اب-سين اخر ملوك سلالة اور الثالثة ٢٠٢٨-٢٠٠٤ق-م ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، جامعة بغداد:كلية الاداب ،العدد ٥٠ ،٢٠١٥م ، ص١.

43-Beckman , Gary ,foreigners in the Ancient Neer East , Journal of the American oriental Society. (university of Michigan , 2013) , P.3.

44-Walther Sallaberger and Ingo Shrakamp , and others., ARCANE III , History and Philosophy , Belgiun , 2015,P.119.

45-Arunime Roychoudhuri., Social formation and Cltural Patterns of the Ancient World, Netaji Subhas open Universty, 2021.,P.84.

46-Uhl,Xina M., op-cit.,P.12.

47-Henkel, Kelly., op-cit.,P.22.

48-Editors: Walther Sallaberger and Jngo Shrakamp, op-cit.,P.127.

٤٩- الشيخلي ،عبدالقادر، المصدر السابق ، ص١١٠-ص١١١.

50- Walther Sallaberger and Jngo Shrakamp, and Others., op-cit.,P117>

51-Frayne, D., Sargonic and Gutian periods., RIME., Vol.2 , P.194-195.

المصادر العربية :-

١- الاحمد ، سامي سعيد ،العراق القديم ، بغداد: (١٩٨٣) ، ج٢ ١-

٢- الفتيان ،احمد مالك ، دراسات في التاريخ القديم ،دار الكتب والوثائق العراقية :بغداد(٢٠١١).

٣- القادر،عبد الجبار ،الوجيز في تاريخ العراق القديم ،ط٢،دار الكتب والوثائق :بغداد (٢٠٠٨).

٤- باقر،طه، المقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ط٢،الوراق للنشر (٢٠١٢) ،ج١.

٥-رو،جورج ،العراق القديم ،تر:حسين علوان حسين ،ط٢،دار الشؤون الثقافية العامة (١٩٨٦).

٦-سلمان ، حسين احمد ، كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسارية ، دار الكتب والوثائق :بغداد (٢٠٠٨).

٧- عبد ، حيدر عقيل ، اعمال الملك ابي-سين ملوك سلالة اور الثالثة (٢٠٢٨- ٢٠٠٤) ،مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، جامعة بغداد:كلية الاداب، العدد ٥٠، (٢٠١٥).

المصادر الانكليزية :

1-Beckman ,Gary,Foreigners in the Ancient Neer-East,Journal of the American oriental Society, (university of Michigan,2013)

2- Editors:Watther Sallaberger and Ingo Shrakamp and others, ARCANEIII, History and philosophy(Belgium, 2015).

3- Frayne, D., Sargonic and Gutian periods, RIME, vol.2.

4- Gwendolyn Leick., Historical Dictionary of Misopotamia, Oxford, 2003.

5- Henkel, Kelly., Greek and Eastern Medierr amean Archaeology: from the Bronze Age palaces to the Hellenistic King doms, Towards AHolistic View of climate and collapse, University of Athens,(2017).

6- Mario Liverani , Akkd: the first world Empire , structur , Ideology Tradition , padova(1993).

7- Nicol . Brisch , Religion and power , Diven Kink , ship in the Ancient world and Byond , them Kings of ur : Ashort century of Diven Rule In

Ancient Mesopotamia , By : pioty Michalo wski , university , of Michigan , Chicago (2012).

8- Sara , Brumfield , Imperia Methods : using Text Mining andsociainet work Analysis to the Akkadian Empire , cakfornia , 2013.

9- Saggs , H.W.F., Everydaylife in Babylonia and Assyria , Assyrian International News Agency , 1965.

10- Toshuaj.Mark , Sargon of Akkad- world History Encyc 2 septeber , 2009.

11-Uhl , Xina M., the Decline of Ancint Mesopotamian Civilization , new York (2017).

12-Walther . Sallaberger, Ingo. Sharakamp ; Associated Regiond chronologies and the Eastern Mediterranean (ARCNE111) , History and philology , turnhout , 2015, 47, N-L-krau the British Institute for the study of Iraq , 2019.

تمرد فريز في بنسلفانيا ١٧٩٨-١٧٩٩

ا. م. د. زيدان حسان حاوي مخيلف الشويلي

zaidan_12@yahoo.com

وزارة التربية- المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الثالثة

تمرد فريز في بنسلفانيا ١٧٩٨-١٧٩٩

ا. م. د زيدان حسان حاوي مخيلف الشويلي

الملخص

تمرد فريز انتفاضة محلية تولتها الجالية الالمانية في المقاطعات الشرقية من ولاية بنسلفانيا في السنوات ١٧٩٨-١٧٩٩؛ بنتيجة سوء الادارة الحكومية الفيدرالية واعتمادها على الضرائب في تدبير واردات مالية استعداداً لحرب محتملة مع الفرنسيين في نهاية ١٧٩٨.

تزعم جون فريز واتباعه حركة التمرد، وتمكن من اطلاق سراح بعض المسجونين من ابناء جلدته في احد حانات بيت لحم في ٧ اذار١٧٩٩؛ الامر الذي استتبع قيام ادارة الرئيس آدمز بحشد الامكانيات لإخماد التمرد واعادة الاستقرار الى تلكم المقاطعات .

اسفر قمع التمرد عن اعادة هيبة الدولة، وترسيخ النظام والالتزام بالقوانين النافذة، فضلاً عن اعادة توجيه بوصلة الحكومة للاهتمام بالجاليات الجديدة وضرورة دمجها وطنياً في أطر من المواطنة بعيداً عن الانحيازات الاثنية والدينية. والمهم من كل هذا، اقناع المتربصين بالنظام الحكومي الفيدرالي بعدم جدوى المحاولة لإحداث التغيير باستخدام الوسائل العنيفة.

الكلمات المفتاحية: تمرد- فريز- تاريخ- امريكا

Abstract

Fries rebellion is a regional uprising resumed by the eastern districts of Pennsylvania during 1798-1799, as a result of the mismanagement of the federal governmental administration concerning Alien act and House tax act enacted by the end of 1798.

Fries and his followers led efforts to release the prisoners of Bethlehem in March 1799 . consequently Adam's administration initiated to suppress the rebellion as soon as possible to restore order and tranquility in the troubled regions .

The most important outcome of this rebellion is that it consolidated the governmental power and caused the Federalists lost

the presidential election for the Democratic- republican rivals in 1800 . .

Key words: rebellion- Fries- history-America

المقدمة :

جاء تمرد فريز في بنسلفانيا كرد فعل مباشر لتداعيات شبه الحرب بين فرنسا والولايات المتحدة، وما خلفته من تطورات داخلية حكومية وشعبية؛ وبما الزمنا في تخصيص المبحث الاول من هذه الدراسة لإيضاح ارهاصات التمرد في ضوء الحديث عن جذور النزاع مع فرنسا، والقوانين الحكومية التي أُريد بها ضبط ايقاع الجبهة الداخلية لتنسجم وتطورات الحرب المحتملة. اما المبحث الثاني فقد بينا فيه رد الفعل الشعبي على اجراءات الحكومة، وقيام فريز واتباعه بإطلاق سراح السجناء. فيما خُصص المبحث الثالث لإيراد تداعيات التمرد، من خلال ايضاح مصير شخوص التمرد، وتأثير ما قام به فريز على الساحة السياسية الامريكية.

عانت الولايات المتحدة كثيراً من تبعات حرب الاستقلال، وصعوبة التحديات اللاحقة التي واجهت الدولة الفتية، والتي يقف على رأسها قضية سداد الديون وفوائدها؛ وما سببه ذلك من شح للنقود وكساد اقتصادي حاد دفع بالمستوطنين الى التحول نحو مزاولة المقايضة للإيفاء باحتياجاتهم الاساسية (Winsor, 1888, p. 15). وعلى الرغم من جهود الحكومة الحثيثة لمعالجة مشكلة القروض عن طريق فرض الضرائب، الا ان الاجراء الجديد سبب هو الاخر استياء شعبي واسع كانت اولى بوادره اندلاع تمرد شيز ١٧٨٤-١٧٨٦ في ماساشوستس، ومن ثم تمرد الويسكي في بنسلفانيا ١٧٩١- 1794 ,Pfister) (2018, p. 167. مما اوجد حالة من اللايقين فيما يخص التعافي الاقتصادي وانعكاس ذلك سلباً على الحضور السياسي للدولة الامريكية على الصعيد الداخلي والخارجي معاً (Martel, 2015, p. 172).

المبحث الاول: ارهاصات التمرد

١-النزاع مع فرنسا

تأثرت السياسات الداخلية والخارجية الامريكية في العقد الاخير من القرن الثامن عشر بمراحل الثورة الفرنسية، لاسيما الحروب النابليونية ضد امم اوربا. اذ شهدت العلاقات

الامريكية- الفرنسية تراجعاً واضحاً بفعل رفض ادارة واشنطن الفيدرالية التحالف مع فرنسا، وتمسكها بالحياد ازاء ما يحدث في اوربا من حروب وتطورات (McDonald, 1974, p. 126). كما تدهورت العلاقات بين البلدين اكثر بعدما عقدت الولايات المتحدة معاهدة جاي Jay مع بريطانيا ١٧٩٦، التي جعلت من الاخيرة البلد الاكثر محاباة تجارياً بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية (Bond, 1907, p. 30). غير ان العلاقات وصلت الى طريق مسدود بعد تيقن الامريكيين من استمرار تدفق المساعدات الفرنسية لقبائل الهنود الحمر في قتالهم ضد المستوطنين، فضلا عن المحاولات الفرنسية الحثيثة لتوسيع نفوذها في الكاريبي وشمال امريكا (Kumar, 2019, p. 396).

بلغت العلاقات مع فرنسا مستوى غير مسبوق من التوتر، برغم محاولات الولايات المتحدة للتهدئة. اذ اقدمت ادارة واشنطن في ١٧٩٤ على سحب جيمس مونرو James Monroe (١٧٥٨-١٨٣١) وزيرها المفوض لدى باريس، الذي كان متعاطفاً مع بعض الاطراف السياسية على حساب مصالح بلاده في الحياد (Hazeltine, 1902, p. 3328). على اية حال، لم تكن الخطوة الامريكية موفقة، اذ لم ترفض باريس استقبال الوزير المفوض الجديد بنكني C.C.Pinckney (١٧٤٦- ١٨٢٥) فحسب، بل امرته ان يكون خارج البلاد بطريقة عدائية وغير منسجمة والاعراف الدبلوماسية (Larned, 1907, p. 317).

اقدمت فرنسا من جانبها على تصعيد وتيرة خلافها مع الامريكيين، مستهلتاً ذلك بعمليات نهب متكررة للسفن التجارية الامريكية في اعالي البحار. الامر الذي دفع الرئيس الجديد جون آدمز John Adams(١٧٣٥-١٨٢٦) الى محاولة تسوية النزاع بأمل استعادة العلاقات الدبلوماسية، وخشية ان يتسبب بمشاكل مضافة للبلاد (Moran, 1904, p. 315). وفي هذا السياق، ارسل آدمز وفد دبلوماسي الى باريس لاستجلاء حقيقة النزاع، والتفاوض لتسويته تكون من جون مارشال John Marshall (١٧٥٥-١٨٣٥) و البرج جيري Elbridge Gerry (١٧٤٤-١٨١٤)؛ غير ان الموفدين الامريكيين لم يتمكنا من مقابلة اية مسؤول رسمي فرنسي طيلة تشرين الاول ١٧٩٧ حتى نيسان ١٧٩٨ (Larned, The Rise and Fall of Nations,vol.II, 1907, p. 317) ؛ بل تعرضوا لمحاولة

ابتزاز قادتها شبكة سماسرة مقربين من وزير الخارجية الفرنسي تاليران Talleyrand (١٧٥٤- ١٨٣٨)، طالبوا برشوة للأخير نظير استهلال المفاوضات قدرها ٢٥٠ الف دولار، بالإضافة الى تعويض قدره ١٠ مليون دولار نظير اشارات آدمز العدائية ضد فرنسا في خطابه في الكونغرس في ايار ١٧٩٧. الامر الذي رفضه الوفد الامريكي ب " لا، لا، لا، حتى بمقدار ست سنتات " (AlisonJ.Howard, 2021, p. 892).على اية حال، انهارت المفاوضات مستهلتاً ما يعرف تاريخياً بشبه الحرب بين فرنسا والولايات المتحدة Quasi war التي استمرت زهاء عامين (Fisher, 2004, pp. 23-24) .

أُبلغ الرئيس جون آدمز في ٢ نيسان ١٧٩٨ برسالة المفاوضين التي كشفت ما اصطلح على تسميته بقضية اكس واي زت XYZ ؛ الامر الذي استدعى من الرئيس عقد لقاءات مكثفة مع طاقمه الوزاري للرد على سوء التصرف الفرنسي، حتى اعلن امام الكونغرس " سوف لن ارسل وزيراً الى فرنسا دون ضمانات ان لا يُستغل بحيث يخدم بشرف كممثل لدولة عظيمة حرة ومستقلة" (Fisb, 1913, p. 76). في حين توقفت الدعاية الديموقراطية-الجمهورية في الصحف الامريكية عن دعم فرنسا، حتى بدى الرئيس امام فرصة تاريخية لا تتكرر فيما له علاقة بصلابة الرأي العام الامريكي المساند للسياسات الحكومية الفيدرالية (Shankman, 2004, p. 65)

ادركت ادارة آدمز ضرورة التحرك السريع لتفادي تداعيات الاعتداءات الفرنسية المتكررة على المصالح التجارية الامريكية في البحر الكاريبي. اذ فوض الرئيس وزير الخزانة لاستدانة قرض خارجي بقيمة ٥ مليون دولار، كتخصيص مالي طارئ لتعزيز ترسانة الاسلحة الامريكية، ورفد الجيش بالمزيد من المتطوعين. بل ان الكونغرس قد صوت في ٣٠ نيسان ١٧٩٨ لتأسيس وزارة للبحرية بعد ان رصد لها مبلغ ٩٥٠ الف دولار لشراء سفن حربية، أُريد لها المساهمة في التصدي لمواجهة بحرية محتملة مع الفرنسيين (Williams, 2009, p. 25). وفي ذات السياق، اعلن الكونغرس في ٦ تموز ١٧٩٨ الغاء المعاهدات الثنائية مع فرنسا. مبيناً ان تلك المعاهدات قد "خُرقت بشكل متكرر من جانب الحكومة الفرنسية، وان المطالبات العادلة للولايات المتحدة بإصلاح الاضرار التي ارتكبت قد جرى رفضها، كما ان المحاولات للتفاوض بشأن التسوية الودية للشكاوى بين البلدين قد

ردت بإهانة" (Howland, Annals of North America ,Being A concise Account of the Important events in the United States,the British Provinces and Mexico,from their Discovery down to the present time(492-1877), 1877, p. 475)

باشرت قوات البحرية الامريكية في نهاية ١٧٩٨ مواجهة هجمات الفرنسيين المتواصلة. كما استعانت الحكومة بمجاميع من القراصنة لتمشيط المياه البحرية حول جزر الهند الغربية الفرنسية، والاستيلاء على السفن الفرنسية هناك (Symonds, 2018, p. 16). حتى حدث اول صدام بحري بين الدولتين، تمكنت فيه الفرقاطة الامريكية كونستليشن Constellation من الاستيلاء على نظيرتها الفرنسية لانسارجنت L'Insurgente في ٩ شباط من ذات العام. كما استولت الفرقاطة الامريكية بوسطنBostonعلى السفينة الحربية الفرنسية بيريو Bereau (Wharton, 1887, p. 333). وقد بلغت الاستعدادات الامريكية للحرب اشدها بتعيين جورج واشنطن George Washington (١٧٣٢-١٧٩٩) قائد للجيش الامريكي وهاملتون Alexander Hamilton (١٧٥٥-١٨٠٤) نائب له (Fisb, The Development of American Nationality,vol.II(1783 to the present time), 1913, p. 76)

تواصلت الحرب البحرية بين البلدين بشكل متقطع دون اعلان رسمي، لكنها توسعت عندما امر الرئيس الامريكي ارسال سفن حربية وزوارق اهلية لغرض الاستيلاء على اية سفينة حربية للفرنسيين سواء كانت مشاركة او غير مشاركة في الاعمال العدائية، اذ تمكن الامريكيين بالنتيجة من اغلاق الموانئ الفرنسية في الكاريبي، لكن بخسارة مورد مالي مهم كان يمكن ان يخفف من وطأة الظروف الاقتصادية السيئة للبلاد (Williams H. S., 1904, p. 314)

٢-قوانين الطوارئ

فرض تواصل الاعمال الحربية دون اعلان رسمي قيام الكونغرس بتهيئة الجبهة الداخلية وجعلها منسجمة وظروف الحرب. وفي هذا الجانب، وبغية الحد من توافد الاجانب ذوي التوجهات المخالفة للسياسات الحكومية، والذين قد يشكلون عبأ على اقتصاد الحرب؛

فقد مرر الكونغرس في ١٨ حزيران ١٧٩٨ قانون التجنيس Naturalization act (Macdonald, Select Documents illustrative of the History of the United States 1776- 1861, 1901, p. 138). الذي تطلب من الاجانب ان يكونوا مقيمين في الولايات المتحدة لمدة ١٤ سنة بدل خمس سنين، قبل ان يصبحوا مؤهلين لنيل وثيقة المواطنة الامريكية (Wiley E. , 1915, p. 377)

ان نشاط زعامات ما يعرف بالجمعيات الديمقراطية Democratic Societies المناهض للفيدراليين قد استلزم هو الاخر قيام الكونغرس بتشريع قانون للحد من انتشار هذه الجمعيات، وتحجيم دور المعارضة الديمقراطية-الجمهورية للسياسات الحكومية (Haltzel, 2002, p. 49).على اية حال، مرر الكونغرس في ٢٥ حزيران من ذات العام قانون الاجانب Aliens act. الذي فوض الرئيس طرد الاجانب ،لاسيما " الخطرين على سلام وامن الولايات المتحدة" مستهدفاً بالطبع محرري الصحف ذوي التوجهات المحابية لأفكار المعارضة بزعامة جيفرسون Thomas Jefferson(١٧٤٣-١٨٢٦) ومادسون James Madison (١٧٥١-١٨٣٦) (Channing, 1917, p. 252)

وفي تطور لافت أشر المخاوف من مروجي الفتن، فقد مرر الكونغرس قانون آخر باسم قانون الاعداء الاجانب Aliens Enemies act في ٦ تموز، والذي سمح للسلطة التنفيذية باعتقال وسجن وترحيل اية اجنبي يشتبه في محاباته لدولة اجنبية معادية للولايات المتحدة (Macdonald, 1913, p. 263). وفي ذات المسعى، بلغت سطوة الكونغرس ذروتها عندما شرع قانون التحريض Sedition act في ١٤ تموز ١٧٩٨، الذي بين ان اية نشاط ذات طبيعة تآمريه بضمنها" نشر اية كتابات زائفة، او محتوى خبيث او افتراء كاذب هو مخالفة كبيرة يعاقب [اصحابها] بالغرامة والسجن ". وتفعيلاً لبنود هذا القانون تم اعتقال اكثر من ٢٥ من محرري الصحف ذوي الميول المشتطة، واجبرت صحفهم على الاغلاق بالنتيجة (Macdonald, Documentry Source book of American History 1606- 1898, 1913, p. 265) .

ساهمت القوانين انفة الذكر في زيادة الاستياء الشعبي، وقدمت مبرراً للديمقراطيين- الجمهوريين لزيادة حملتهم المناهضة للفيدراليين؛ متخذين من خرق الحقوق

المدنية، والتعدي على حرية الصحافة والتعبير عن الرأي مبرراً لرفض القوانين الفيدرالية الاخيرة. لاسيما تلك التي تتجاوز في احكامها السلطات الحصرية المفوضة للولايات (Lowenthal, 2025, p. 1803) .

ان تزايد نفقات الاستعداد للحرب خشية انزلاق البلاد في مواجهة مصيرية قد الزم صناع القرار في الكونغرس الامريكي بالبحث عن مصدر مضاف لتمويل الحرب وتدبير ما قيمته ٢ مليون دولار دعماً للمجهود الحربي. اذ اقترح هاملتون فرض ضريبة مباشرة على البيوت والاراضي والعبيد، ما دامت قيمتها قليلة ولا تشكل عبأ على سكان الولايات الثلاث عشر (Harris, 2006, p. 424). على اية حال، لم يتأخر الكونغرس كثيراً في الاستجابة لمقترح هاملتون. اذ الزمت التطورات المتسارعة قيام الكونغرس بتمرير قانون ضريبة الملكية الفيدرالية Federal Property tax act في ٩ تموز ١٧٩٨، الذي اشترط " تقييم الاراضي وبيوت السكن واعداد العبيد في الولايات المتحدة" (Harris, Income Tax in Common Law Jurisdication from the origins to 1820, 2006, p. 424).

وقد قسمت الولايات بموجب هذا القانون الى مقاطعات (ضريبية)، تم تعيين مفوضين لها من قبل الرئيس براتب ثابت. وقد انيط بهؤلاء تقسيم مقاطعاتهم الى اجزاء لسهولة التخمين (Thomas, p. 183). فيما خُصص لكل جزء مسؤول وعدد من المساعدين؛ الذين اوكل اليهم بموجب احكام هذا القانون عمل قوائم للبيوت والاراضي والعبيد وتقييم ثمنها، وتخمين ما يُدفع عنها من المبالغ المستحقة. كما اورد القانون شروط تعيين الجُباة والواجبات المنوطة بهم، بموجب تعليمات يصدرها وزير الخزانة الامريكي (Myer, 1885, p. 422)

الزم قانون الضريبة مُلاك العبيد بدفع ٢٠ سنت عن كل عبد له من العمر ١٢-٥٠ سنة (Godcharles, 1933, p. 259). فيما توجب دفع ضريبة قدرها ٢٠ سنت عن كل مائة دولار لكل بيت تخمن قيمته بين ٢٠٠-٥٠٠ دولار. اما البيوت التي تخمن قيمتها بين ٥٠٠-١٠٠٠ دولار فقد توجب على اصحابها دفع ضريبة قدرها ٣٠ سنت عن كل مائة دولار؛ وقد ارفق بالقانون تعليمات تنفيذه ،لاسيما آلية احتساب الضريبة وفق معيار حساب مساحة البيوت ومقدار ما تحويه من شبابيك من حيث مساحتها وعدد نوافذها (Harley, 1895, pp. 314-315)

توجب على ولاية بنسلفانيا بموجب قانون الكونغرس الصادر في ١٤ تموز من ذات العام، دفع حصتها من الضريبة الفيدرالية البالغة 237.77 الف دولار (Davis, 1809, p. 3). اذ ان قلة اعداد العبيد في الولاية الذين لا يتجاوز عديدهم ١٧٠٠ نسمة قد الزمت ساسة الولاية بالتشدد في جباية الاموال بالاعتماد على ضريبة البيوت والاراضي الزراعية؛ مما اضاف سبب اخر من اسباب الاستياء والغضب الشعبي جراء العجز عن الايفاء بمتطلبات هذه الضريبة، وغيرها من القوانين النافذة (Thomas, A History of Pennsylvania , p. 183)

المبحث الثاني: اندلاع التمرد

يرتبط اضطراب الاوضاع في شمال شرق بنسلفانيا بالجالية الالمانية في الولاية او ما يعرف بشعب الكنيسة Kirchenleute، ممن هاجروا الى امريكا في بدايات القرن الثامن عشر هرباً من اضطهاد الامراء الاقطاعيين الالمان وحروبهم المتواصلة، وما خلفته من ظروف اقتصادية سيئة (Bates, 2015, p. 400). اذ عانوا وقت وصولهم الاقصاء السياسي والتهميش الاقتصادي على ايدي الأنجلو- امريكان والكويكرز، على الرغم من اشتراكهم في حرب الاستقلال ومساندتهم للمصادقة على الدستور (Newman, Fries's Rebellion ,The Enduring Struggle for the American Revolution , 2012, p. 2). الذي استخدموه بذكاء لتبرير مطالبهم، محبذين في هذا بقاء الضرائب تحت سيطرة الولاية بمنأى عن سطوة البيروقراطية المركزية التي يهيمن عليها الكويكرز والانكليز. على اية حال، يبدو ان تفرد او اشتطاط شعب الكنيسة في رفضهم للقوانين الجديدة لم يكن نابعاً من رفضهم للضرائب، بل خوفاً من الاضطهاد السياسي على ايدي خصومهم السابقين (Newman P. D., 2012, pp. 2-3).

خشيت الجالية الالمانية في بنسلفانيا من التحشيد العسكري الذي تقوده ادارة آدمز الفيدرالية بحجة اندلاع مواجهة عسكرية مع فرنسا (Newman, 2012, p. 78). اذ اعتقدوا ان مليشيا الولاية اقدر على مساندة المبادئ الديمقراطية، وحماية المواطنين بالضد من (طغيان) الاجانب والحكومة الفيدرالية معاً؛ حتى انهم ذهبوا ابعد من ذلك، عندما اعتقدوا بإمكانيه اقامة معارضة دستورية شرعية، والافادة من لائحة الحقوق التي ضمنها

الدستور لضمان حصولهم على مطالبهم المشروعة (Newman, Fries's Rebellion,The Enduring Struggle for the American Revolution, 2012, p. 11)

اسفر استياء الجالية الالمانية من قوانين الكونغرس لعام ١٧٩٨، لاسيما قانون الملكية عن استهلال التنظيم السياسي لمقاومة هذه القوانين. اذ قرر موريس ليويلين Morris Llewellyn(١٧٥٠-١٨٢٨) احد الزعماء المحليين من مقاطعة مونتوغومري Montogomery بمعية اخرين رفع علم الحرية Liberty pole في ٢٢ كانون الاول 1798 (Bird, 2016, pp. 345-346). وقد علق على السارية يافطة اشارت الى كون " الدستور مقدس، لا لتكميم الافواه، الحرية او الموت" ؛ فيما تعالت اصوات الهتاف للمقاومة في مشهد غير مسبوق من قبل (Bird W. , 2020, p. 191).

لم يقتصر الامر في اظهار المقاومة على مونتوغومري. اذ سرعان ما انتشرت مشاهد رفع اعلام الحرية في بلدات بيركيمن Perkiimen ، ليهاي فالي Lihigh vally وغيرها. وفي مستهل شتاء١٧٩٩ سادت اجواء الرفض والمقاومة في مقاطعات نورثامبتونNorthampton، بوكس Bucks، بيركس Berks داوفن Dauphin بعدما رفعوا ذات الاعلام، ووقعوا تعهدات لمقاومة تخمين بيوتهم (Rupp, 2010, p. 64). بل اصبح اطلاق النعوت القاسية على الرئيس وطاقمه الوزاري امر مألوف في تلك المقاطعات، وبما يؤشر تحول المعارضة من المقاومة السلبية الى اخرى علنية مختلفة في الآليات والمقاصد (Tinkcom, 1950, p. 216).

ازدادت عدائية سكان مقاطعات بنسلفانيا انفة الذكر مع توارد اخبار شروع المخمنين بعملهم في قياس مساحات البيوت والشبابيك، حتى اصبح حديث قانون ضريبة الملكية شائعاً في الحانات والمحلات، ومادة جديرة بالاهتمام في تجمعات عامة الناس من الطبقة الوسطى والفقيرة (Linn, 1883, p. 32). على اية حال، يبدو ان فشل الحكومة في توضيح مضامين القانون لغير الناطقين بالإنكليزية وسوء الترويج لضروراته على صعيد البلاد، قد ساهم هو الاخر في اشاعة الغموض والذعر بين سكان هذه المقاطعات الناطقة بالألمانية (Curran, 1933, p. 71). كما منح (الغوغاء) من قادتهم فرصة توجيه جموع

المستائين، واثارة مخاوفهم في كون قانون الضريبة توطئة لنظام استبداد جديد، شبيه بضريبة (الموقد) التي عانى منها اجدادهم في بلدهم الاصلي (Harley, Historical Sketches, A collection of Papers for the Historical Society of Montogomery County ,Pennsylvania ,voll.1, 1895, p. 315) .

١-اطلاق سراح السجناء

كانت المعارضة لقانون الضريبة اكثر انتشاراً ونضجاً في بلدة ملفورد Milford (مقاطعة بوكس)، وفي بعض بلدات الحدود من مقاطعة نورثامبتون. اذ لم يتمكن المخمنين اجمالاً من تطبيق احكام قانون الضريبة. ولعل جهود جون فريز John Fries(١٧٥٠-١٨١٨)، فردريك هني Frederick Heaney(١٧٤٠-١٨١٨)، جون كيتمان John Getman(١٧٥١-١٨٠٩) كانت ذات اثر واضح في اعاقة عمل المخمنين، بل والتسبب في ارباك المشهد الحكومي في هذا الجزء من الولاية (Hungerford, 1884, pp. 17-18).

لم يكن فريز شخصية سياسية مرموقة، بل كان بائعاً للأدوات المستخدمة في مقاطعة ملفورد، لا يجيد سوى القراءة والكتابة؛ غير ان صوته الجهوري- بحكم عمله- وقدرته على التحدث بالألمانية، ونضجه الاجتماعي بعد بلوغه الخمسين من العمر، فضلاً عن شجاعته قد منحاه فرصة للتأثير في مجتمع الجالية الالمانية المغلق (Jenkins, 1903, p. 169).على اية حال، يبدو ان عدائيته الشديدة لقانون الضريبة قد اثار الرغبة لدى جيرانه واصدقائه في معارضة القانون. حتى تحول عمله من بائع جوال للأدوات المستخدمة الى مسوّق لأفكار معارضة الضريبة، وتشجيع من يمر امامهم على المعارضة والمقاومة (Hungerford, Alfred Mathews and Austin N. Hungerford, History of the Counties of Lihigh and Carbon in the Commonwealth of Pennsylvania , 1884, p. 18).

بيّن فريز علناً رغبته في منع المخمنين من مزاولة اعمالهم في ملفورد. وباشر في هذا السبيل عقد سلسلة اجتماعات في بيته، شرح فيها للحاضرين خطورة القانون على مستقبلهم. ولم يتأخر الامر كثيراً حتى اخذت بعض الاعلانات مجهولة المصدر بالظهور في ازقة

البلدة تدعوا الى عقد اجتماع في بيت جاكوب كلاين Jacob Kline(١٧٦٥-١٨٤٨) في ٨ شباط ١٧٩٨ (Harley, The American Historical Register ,A monthly Gazette of the Historical ,Military and Patriotic Hereditory Societies of the United Statesof America ,March1896- to November 1896,vol.IV, .p. 24)

كان فريز ابرز المتحدثين في الاجتماع سالف الذكر. وقد اعد بمساعدة جورج ميشيل George Michael(١٧٤٩-١٨٠٩) ورقة صادق على مضمونها ٥٥ من الموقعين؛ تضمنت اراءهم بخصوص موضوع الضريبة، وتصميمهم على معارضة تنفيذ القانون. وقد تعهد فريز للحاضرين بجمع ٧٠٠ رجل لمقاومة الضريبة، مهدداً بأطلاق النار على المخمنين. كما أُتخذ قرار في نهاية الاجتماع طلب من المخمنين عدم المجيء الى ملفورد، لغاية ما يتأكد المؤتمرين من قيام الحكومة بتفعيل قانون الضريبة (Harley, The American Register ,A monthly Gazette of the Historical ,Military and Patriotic Hereditary Societies of the United States of America . ,March1896-to November1896,vol.IV, 1896, p. 24)

سارت عملية تخمين ضريبة الملكية بيسر وسهولة في كافة انحاء بنسلفانيا وغيرها من الولايات، حتى اذعن الناس لتفعيل القانون رغم انزعاجهم الشديد من تبعاته. غير ان الامر لم يكن كذلك في ملفورد، اذ واجه المخمن جون فولك Hohn Foulke (١٧٣٥-١٨٢٠) وصماموئيل كلارك Samuel Clark (١٧٥٠-١٨١٦) صعوبات جمة في عملهم اليومي هناك. تدرجت من السب والشتم حتى اطلاق الكلاب للنيل منهم، بل وحتى سكب المياه الحارة على رأس المخمن اثناء قيامه بمسح البيت وقياس ابعاد نوافذ الشبابيك؛ الامر الذي استلزم معالجة ما لتدارك الموقف والحيلولة دون وقوع مزيد من التداعيات (Buck, 1855, .p. 46)

عقد اجتماع دوري لتفحص ما انجزه المخمنين في بلدات المقاطعة الثالثة برئاسة جيمس جابمانJames Chapman(1743-1807) في ١٦ شباط ١٧٩٨. اظهر فيه المخمنين تقدماً ملحوظاً في انجاز اعمالهم، باستثناء بلدة ملفورد. اذ لم يتمكن مخمنها

كلارك من الذهاب لعمله بسبب التهديدات المتزايدة؛ الامر الذي حاول جابمان تجاوزه بتكليف بديل له في المهمة. غير ان الامر لم يكن بهذه السهولة، اذ لم يُظهر اي من المرشحين الجدد رغبة في الذهاب الى (مناطق الخطر)، متذرعين من اجل ذلك بحجج ومزاعم شتى، ما دام فريز وجماعته هناك (H.W.Kriebel, 1912, p. 706).

ادرك جابمان حراجة الموقف وضرورة استخدام تكتيك مغاير لإنجاز اعمال التخمين. اذ اقترح عقد مؤتمر عام لشرح مضامين قانون الضريبة وتبديد مخاوف سكان البلدات المضطربة من تبعاته على حياتهم ومستقبل ابناءهم. وقد اختيرت حانة جورج ميشيل مكان لانعقاد المؤتمر، وموعد نهاية شباط ١٧٩٨ لمباشرة اعماله (Roberts, History of Lehigh County Pennsylvania and a Geanological and Biographical record of it's families,vol.1, 1914, p. 171). على اية حال، اقترح جابمان على الحاضرين السماح لسكان المقاطعة باختيار مخمنيهم الخاصين، او ترشيح اي شخص اخر مؤهل يمكن تسميته للقيام بأعمال المسح وتقدير الضريبة. غير ان مقترحه هذا لم يحظى باهتمام الحاضرين (Newman, Fries's Rebellion ,The Enduring Struggle for the American Revolution, 2012, p. 120). وبما افقد المؤتمر مسوغ انعقاده رغم الاعداد المسبق، ومشاركة شخصيات معتدلة في النقاشات امثال ايفرهارد فولك Everhard Foulke(1752-1818)، اسرائيل روبرتس Israel Roberts(1749-1807). وهكذا لم يثمر المؤتمر عن نتيجة تذكر، لأدراك المعارضة ابعاد مقترح جابمان الذي سيُظهر سبب رفضهم للقانون مقتصرة على اليات تطبيقه وليس على مضمونه في حال موافقتهم على اختيار المخمنين. حتى تعالت صيحات الاستهجان والرفض عندما حاول اسرائيل روبرتس توضيح (منافع) القانون على صعيد الاتحاد الامريكي وولاية بنسلفانيا على وجه الخصوص (Newman P. D., Fries's Rebellion,The Enduring struggle for the American Revolution, 2012, pp. 111-112).

ازدادت فاعلية المعارضة بعد فشل اجتماع حانة جورج ميشيل. اذ اخذت رسائل التهديد مجهولة المصدر بالظهور في ازقة المقاطعات المضطربة. وعلى الرغم من

استخدامها اللغة الالمانية غير المفهومة للمخمنين الناطقين بالإنكليزية، الا ان انتشار هذه الرسائل اللافت واتسام لغتها بالتهديد والوعيد قد اضاف ارباكاً متزايداً للسلطات الحكومية في الولاية (Riordan, 2010, p. 112).اذ وصفت بعض هذه الرسائل موظفي الضريبة وحلفاءهم كونهم عصبة مع الشيطان. فيما توعدت غيرها " ان هذه الاسلحة هي لذبحكم... وسوف نحرق بيوتكم، ونطلق النار عليكم. ولن تكونوا امنين في بيوتكم". وقد ارفق بعضها برسوم توضيحية عدائية المضمون كانت ابلغ من كلمات الرسائل نفسها (Riordan, Many Identities,One Nation,The Revolurtion and it's Legacy in the Mid- Atlantic, 2010, p. 112).

ان معاناة سكان المقاطعات المضطربة من التمييز اللغوي والعرقي على ايدي النخب الانجلو-فيدرالية، ووصمهم بالجهلة والفوضويين. واعتقاد هذه النخب بحاجة هذه المقاطعات الى اجراء حكومي مناسب لأعاده ضبط ايقاع حراكهم اليومي قد ترجمت بصيغة مذكرات استدعاء بحق المتهمين بعدم سداد الضريبة والاخلال بالأمن العام، لم تتمكن السلطة القضائية المحلية بزعامة القاضي وليم هنري William Henry (1740-1809) من تنفيذها (Coakley, 1988, p. 70)؛ مما دفع الاخير الى مناشدة تدخل رتشارد بيترس Richard Peters (١٧٤٤- ١٨٢٨) قاضي المقاطعة الفيدرالية في فيلاديلفيا للمساعدة في القبض على المتهمين؛ الامر الذي حفز الصراع ورفعه من حادثة محلية الى اخرى ذات تعقيدات وطنية كبيرة (Keller, 1982, p. 28).

وفي تطور لافت يعكس عجز حكومة بنسلفانيا عن تدارك الامر ومعالجة الازمة. فقد اسندت السلطات الفيدرالية مهمة القبض على المتهمين الى المارشال الفيدرالي وليم نيكولاس William Nicholas(1740-1803) في ٢٥ كانون الاول ١٧٩٨ (D.Lawson, 1919, p. 2).على اية حال، وصل المارشال الى نازاريث Nazareth(نورثامبتون) في الاول من اذار ١٧٩٩. وقد باشر تنفيذ اوامر الاعتقال في اليوم التالي، عندما تمكن من اعتقال اكثر من ١٧ متهماً في بلدة ليهاي ونقلهم الى بيت لحم Bethlehem في ٦ اذار، لاحتجازهم ومن ثم نقلهم الى فيلاديلفيا للمحاكمة هناك

(Harley, A collection of papers prepared for the Historical Society of Montogomery County ,Pennsylvania ,vol. 1, 1895, p. 316).

اعتبرت المعارضة قيام المارشال نيكولاس باعتقال المتهمين السبعة عشرة تصعيد خطير يؤشر استبداد السلطة الفيدرالية ومحاولتها قمع اصوات المعارضة بالقوة عن طريق زج المعارضين في السجون؛ الامر الذي اسفر عن الدعوة لعقد اجتماع طارئ في حانة كونراد ماركس Conrad Marks (١٧٥٠-١٨١٠) في بلدة ملفورد في ٧ اذار ١٧٩٩. الذي اوصى بدوره بضرورة انقاذ السجناء على الفور قبل نقلهم الى فيلاديلفيا (Sismondo, 2011, p. 93). على اية حال، اختير جون فريز لتزعم المجموعة الزاحفة نحو بيت لحم. وفي ذات السياق، عقد اجتماع تشاوري مماثل في حانة مارتن رتر Martin Ritter (مقاطعة نورثامبتون) اسفر عن تكليف الكابتن هنري جاريت Henry Jarrett(١٧٥٦-١٨٢٢) لإنقاذ مواطنيه من قبضة السلطات الفيدرالية (H.W.Kriebel, The Penn Germania ,A Popular Journal of German History and Ideals in the United States ,vol. 13, 1912, p. 703). على اية حال، انطلق فريز نحو ملرستاون Millerstown حيثما يقبع السجناء بمعية ١٤٠ رجل من الفرسان والمشاة المسلحين بالبنادق والهراوات والخناجر (Roberts, History of Lehigh County,Pennsylvania and a genealogical and biographical record of it's families,vol. 1, 1914, p. 182).

ان نجاح المارشال في احتجاز المساجين في حانة الشمسSun tavern لم يمنعه من اطلاق سراح بعضهم على كفالتهم الخاصة تخفيفاً للاحتقان، لاسيما بعد حصوله على معلومات تشير الى احتمال زحف مجاميع مسلحة لأطلاق سراح السجناء. فيما نقل آخرين الى الطابق العلوي في غرفة محصنه. وقد استعان بمجموعة عسكرية خاصة مكونه من ١٨ فرداً لحماية أمن الحانه وتأمين سلامة السجناء (Roberts, History of Lehigh County ,Pennsylvania and a genealogical and biographical record of it's families ,vol.1, 1914, p. 183). ومهما يكن من الامر، فقد حاول المارشال الفيدرالي تفادي الصدام المباشر مع مجموعة جاريت المسلحة؛ اذ ارسل وفد مفاوض للقاء

المتمردين عند جسر ليهاي في محاولة لمنعهم من اطلاق سراح السجناء. وقد نجح الوفد المفاوض في ثني المسلحين عن مواصلة التقدم، واقناعهم بأرسال من يجتمع بالمارشال لتوضيح ما لبس من الحقائق مع وعد بتأمين سلامة الموفدين (W.W.H.Davis, 1903, p. 177).

لم تكن نتائج المشاورات مع وفد المتمردين مثمرة. اذ اخبروا المارشال بإصرارهم على عدم السماح بنقل السجناء الى فيلاديلفيا؛ الامر الذي لم يؤكده المارشال او ينفيه، بل نصحهم بالعودة من حيث اتو. ولم تتوقف التطورات عند هذا الحد، اذ التقى وفد جاريت المفاوض بطريق عودته مجموعة فريز المتوجهة لتحرير السجناء، ودار اجتماع قصير بين الطرفين، صمم فيه فريز على انقاذ السجناء بأي ثمن، ورفض دعوات التراجع عن ذلك (Davis W. , 1903, p. 177).

تسبب وصول قوات فريز الى مليرستاون بفوضى كبيرة واضطراب في حانة الشمس وعموم البلدة ايضاً. اذ تجمع السكان قرب المكان لمشاهدة سياق الاحداث والتطورات. على اية حال، سُمح لفريز مقابلة نيكولاس ، وقد اصر على اطلاق سراح السجناء مهدداً ومتوعداً بما يحصل خلاف ذلك (Roberts, History of Lehigh County ,Pennsalvania and a genealogical and biographical record of it's families, vol.1, 1914, p. 184)؛ غير ان المارشال رفض الانصياع كون الامر خارج صلاحياته. وفي ذات السياق، تعالت اصوات استهجان اتباع فريز لدى سماعهم ما دار بين زعيمهم والمارشال الفيدرالي. حتى اندفعوا الى باحة الحانة، غير ان فريز طلب اليهم عدم مباشرة اطلاق النار اولاً، بأمل ان تسفر مباحثات صاحب الحانة مع المارشال عن نتيجة مُرضية (Davis W. , The Fries Rebellion , 1903, p. 178). ومهما يكن من الامر، فقد مرت دقائق صعبة وحاسمة من ظهر يوم ٧ اذار ١٧٩٩، أملت على المارشال التفكير بعقلانية بغية عدم التسبب بالأذى لأفراد القوة المدافعة ولممتلكات الحانة ايضاً. اذ تخلى في النهاية عن اصراره على الاستمرار في احتجاز السجناء، لينطلقوا مزهوين بما حققه فريز من انجاز (McKitrick, 1995, p. 697)

نالت الهواجس من فريز بعد عودته الى بيته في ملفورد. اذ اعتقد انه لم يكن موفقاً بأطلاقه السجناء، او على الاقل ما كان عليه الذهاب بعيداً في مقاومة القانون والنظام؛ الامر الذي تسبب في معاناته ازمة نفسية اقعدته البيت لبعض الوقت، وسمحت للوجهاء في المناطق المضطربة بمحاولة تهدئة الاوضاع للحيلولة دون وقوع مزيد من التداعيات (Davis W. , The Fries Rebellion, 1903, p. 178). على اية حال، تمت الدعوة الى عقد اجتماع تشاوري في حانة كونراد ماركس يوم ١٥ اذار ،حضرة ٢٠٠ شخصية بالإضافة الى فريز نفسه. اذ اسفرت جلسات الاجتماع عن اختيار لجنة رباعية لاقتراح ما يتوجب فعله، نصحت في الامتناع عن مقاومة ومضايقة المخمنين في اداء عملهم. حتى ان فريز اخبر الحاضرين عن سروره بقدوم المخمنين من جديد، مشترطاً عدم تخمين بيته الا بعد تقديمه واجب الضيافة للمخمنين ! (Davis W. , The Fries Rebellion, 1903, p. 178)

٢-رد الفعل الحكومي

دعى الرئيس آدمز طاقمه الوزاري الى اجتماع تشاوري طارئ، بعد ان اعلمه القاضي الفيدرالي رتشارد بيتيرس بقيام فريز بأطلاق سراح السجناء. اكد فيه للحاضرين استحالة تطبيق قانون الضريبة بوجود المعارضة المسلحة. وقد اصبح لزاماً على الرئيس بوصفة اعلى سلطة تنفيذية في البلاد دعوة معكري السلم الاهلي للهدوء والانصراف الى بيوتهم قبل اتخاذ اجراءات قاسية بخلاف ذلك (Harley, A collection of papers prepared for the Historical Society of Montogomery County,Pennsylvania ,vol.1, 1895, p. 25). على اية حال، بيّن الرئيس في اعلان 12 اذار ١٧٩٩ " ان مجاميع مسلحة اعاقت تنفيذ اجراءات قانون الملكية في تقييم الاراضي وبيوت السكن في مقاطعات نورثامبتون، مونتوغومري، بوكس... واجبروا مارشال الولايات المتحدة وليم نيكولاس على اطلاق سراح بعض الاشخاص الذين القي القبض عليهم" ؛ ولكونه مفوض من الدستور في حال مقاومة تنفيذ قوانين البلاد. فأنه يدعو لاستخدام القوة العسكرية لإخماد حراك هذه المجاميع (Coakley, The Role of Federal Military Forces in Domestic Disorders 1789-1878 , 1988, p. 72)

تسبب اعلان الرئيس في عقد اجتماع تشاوري في حانة جورج ميشيل في ٢٥ اذار، حضره فريز وبعض زعماء التمرد. اذ اتفق الحاضرون على السماح للمخمن كلارك بأداء مهام عمله ؛ بأمل ان تلقى هذه الخطوة صداً طيباً لدى السلطات الحكومية ما دامت الاضطرابات قد هدأت في نورثامبتون وبوكس (Newman P. D., Fries's Rebellion ,The Enduring Struggle for the American Revolution , 2012, p. 238).

كما ادرك بعض غلاة التمرد خطورة الاستمرار في مناكفة الحكومة. حيث اقدم هنري ارتمان Henry Artman (١٧٥٥-١٨٠٧)، هنري شانكويلر Henry Shankwyler(١٧٤٣-١٨٠٣) من ملرستون على الذهاب الى فيلاديلفيا لتسليم انفسيهمها للسلطات المختصة طمعاً في اجراء محاكمة عادلة (Newman P. D., Fries's Rebellion ,The Enduring Struggle for the American Revolution, 2012, p. 238).

ابدى حاكم ولاية بنسلفانيا مفلن Thomas Mifflin (١٧٤-١٨٠٠)، وهيئتها التشريعية تأييدهما لإعلان الرئيس وشجبهمها التام لأعمال المتمردين. غير ان ممثلي مقاطعة نورثامبتون لم يوافقوا هيئتهم التشريعية في هذا الرأي. اذ بينوا انهم لم يجدوا ما يشير الى التمرد في مقاطعتهم. لاسيما بخضوع ابناء المقاطعة وامتثالهم لإجراءات القانون والنظام (Rines, 1915, p. 450).

اصدر حاكم الولاية اوامره الى مليشيا ولايته في ١٤ اذار ١٧٩٩ باستعادة الامن والنظام بناء على دعوة الرئيس آدمز. كما اصدر وزير الحرب جيمس مكهنري James McHenry (1753-1816) امراً في ٢٠ اذار من ذات العام يقضي بقيام كتائب الخيالة ومليشيات مقاطعات فيلادليفيا ، جيستر Chester ،مونتوغومري، بوكس وغيرها بقيادة وليم مكفارسون William McPherson (١٧٥٦-١٨١٣) بالتجحفل في بلدة سبرنكفيلد(مقاطعة مونتوغومري)، استعداداً لتنفيذ اوامر الجهات العليا انفة الذكر (Jenkins, Pennsylvania Colonial and Federal , 1903, p. 170).

وبغية اخماد التمرد بسرعة، فقد امرت وزارة الحرب بعض القوات النظامية بالانضمام الى القوة الضاربة. على اية حال، انطلقت القوات المهاجمة في ٤ نيسان ١٧٩٩. اذ اسهم

التنظيم العالي لمسير الجحافل على انغام الموسيقى العسكرية في اضفاء شيء من الرهبة في نفوس المتمردين، بعدما اصطف اصدقاء الحكومة على جنبات الطريق يلوحون للعساكر في طريقهم الى مقاطعة مونتوغومري للتخييم هناك بالقرب من حانة سبرنك هاوس Spring house (Hoogenboom, A History of Pennsylvania , 2010, p. 120)

اصدر الجنرال مكفارسون في ٩ نيسان بياناً الى سكان المقاطعات المضطربة باللغة الالمانية. دعى المسالمين منهم الى العودة الى اعمالهم. لكنه حذر المتعاطفين مع اعمال التمرد" وانه من المناسب اعلام الناس، وكل من له علاقة بالأخطار التي يعرضون انفسهم لها عند الاجتماع في جلسات غير قانونية او مساعدة وتشجيع اولئك[المتمردين]... وان الخضوع لقوانين الولايات المتحدة هو ضروري لدعم الحكومة (Jenkins, Pennsylvania Colonial and Federal , 1903, p. 170) .على اية حال، رافق زحف العساكر وقيامها بالتفتيش عن المطلوبين انتهاكات صارخة لحقوق السكان المدنية؛ لم يحرك القائمين على الامر ساكناً لإيقافها او التخفيف منها (Navarro, 2004, p. 213) .

باشرت العساكر تفتيش بيوت البلدات المضطربة. ففي بلدة كويكرستاون Quakerstown، تم القاء القبض على ١٩ مطلوباً في ١٨ نيسان؛ ارسلوا على اثرها الى فيلاديلفيا تحت حراسة مشددة. اما مقاطعة نورثامبتون التي وصلتها القوات في ١٨ نيسان، فقد اسفر الجهد العسكري فيها على اجبار كونراد ماركس على تسليم نفسه الى السلطات المختصة (Charles Rhoads Roberts J. B., 1914, p. 199). وفي ذات المسعى، تجحفلت قطعات عسكرية اخرى في ليهاي، ملرستون حتى ١٦ نيسان، القت القبض خلالها على بعض المطلوبين، ونفس الشيء يمكن قوله في بلدة النتاون Allentown التي وصلها الزحف في ٢٠ نيسان، اذ اضطر ١٤ مطلوباً الى تسليم انفسهم الى السلطات هناك (Charles Rhoads Roberts J. B., 1914, p. 200).

حاول فريز الرجوع الى عمله السابق في بيع الادوات المستعملة. لكن تورطه في اطلاق سراح السجناء واجتياح قوات المليشيا لبلدة النتاون قد حتم عليه الهرب صوب ضواحي البلدة والاختباء في برميل خشبي في احد المستنقعات النائية. على اية حال، نجحت العساكر في القاء القبض على فريز بدلالة كلبه (ويسكي)، الذي اوصل الجند الى

مكان اختباء صاحبه ! (Harley, Historical Sketches,A collection of papers prepared for the Historical Society of Montogomery ,Pennsylvania .,vol.1, 1895, p. 317)

المبحث الثالث : تبعات التمرد

١-محاكمة فريز واعوانه

حاولت السلطات طي صفحة التمرد بسرعة، بعد ان تمكنت من القاء القبض على كبار الضالعين فيه. اذ شرعت بمحاكمة فريز واتباعه في المحكمة الفيدرالية المتنقلة في فيلادلفيا في ١١ نيسان ١٧٩٩. حيث اتهم ١٥ منهم بالخيانة، فيما تراوحت تهم الاخرين ال ١٦ بالعنف والتحريض وبجرائم اخرى اقل. (Lawson, 1919, p. 4). على اية حال، تألفت المحكمة من قاضي المحكمة العليا جيمس اريديل James Iredell (١٧٥١-١٧٩٩)، وقاضي المقاطعة رتشارد بيترس، بالإضافة الى صاموئيل جيس Samuel Chase(١٧٤١ -١٨١١). فيما ضم فريق الدفاع عن فريز المحاميان وليم ليوس William Lewis(1752-1819)، الكسندر جيمس دالاس Alexander James Dallas (1759-1817) (Christenson, 1991, p. 141).

ضمت لائحة الاتهام ضد فريز واتباعه عدة تهم ابرزها معارضة قانون ضريبة الملكية بالوسائل العنيفة، اعاقة عمل المخمنين عن اداء واجباتهم، عقد اجتماعات غير قانونية للتدخل في تنفيذ قوانين الولايات المتحدة، ممارسة القمع والتضييق بحق من يساعد الموظفين الحكوميين في اداء واجباتهم، واطلاق سراح السجناء (Harley, Historical Sketches,A Collection of papers prepared for the Historical Society of Montogomery County,Pennsylvania , 1895, pp. 707-708). على اية حال، بيّن القاضي اريديل بعدما استعرض ظروف وملابسات التمرد. لاسيما قوانين ١٧٩٨ التشريعية، من ان الجريمة التي يقاضي بشأنها هي جريمة خيانة مادامت متكونه من المقاومة بقوة السلاح لتنفيذ احد قوانين الكونغرس (Bird W. , Press and Speech under Assault , The early Supreme Court Justice , The Sedition Act of 1798,and the compaign against Dissent , 2016, pp. 314-315)

حاول فريق دفاع فريز نقل القضية الى محاكم الولاية بدل المحكمة الفيدرالية المتنقلة بغية الافادة من التعاطف الذي يحظى به موكلهم بين الكثيرين من نواب الهيئة التشريعية للولاية؛ مستنداً في ذلك على احد القوانين القضائية الصادرة في ايلول ١٧٨٩ الذي يحتم اجراء التقاضي في القضايا التي تصل عقوبتها الاعدام في ذات المكان الذي حصلت فيه الجريمة. كما حاججوا المحكمة بأن ذنب موكلهم لم يصل الى مستوى العنف المخل بالنظام ولا الخيانة بحق الولايات المتحدة (Christenson, Political Trials in History, From Antiquity to the Present , 1991, p. 141).غير ان جهودهم هذه لم تُصب نجاح يذكر. اذ بين القاضي اردیل صعوبة ذلك، لاسيما وان مكان الجريمة المفترضة في حالة من العصيان والتمرد، مما يقدح بعدالة التقاضي وسلامة القائمين عليه. حيث أجلت القضية للترافع في الاول من ايار (Roberts, History of Lehigh County Pennsylvania and a genealogical and biographical record of it's families ,vol.1, 1914, p. 202).

أيدت هيئة المحلفين برئاسة وليم راول William Rawle (1759-1836) ادانة المتهمين بجريمة الخيانة العظمى بعدما بين الاخير ان فريز واكثر من مائة من اتباعه قد تجمعوا وبمعيتهم البنادق والسيوف والهراوات في محاولة مبيته لأطلاق سراح السجناء (Riordan, Many Identities ,One Nation , The Revolution and its Legacy in the Mid- Atlantic , 2010, p. 115). فيما ابدى القاضي اردیل استهجانه لأفعال المتمردين وسوء ادراكهم نوايا الحكومة الفيدرالية، واصفاً اعمالهم بترديد لصدى وعنف الثورة الفرنسية؛ مبيناً ان ما قاموا به ليس سوى تهديد لمستقبل الجمهورية الامريكية. مورداً " واذا ما سمحنا لهذه الحكومة ان تتحطم، فأن مشهد العنف سوف يستتبع، وستنتصر الفوضى ويداس عشاق النظام والعدالة تحت الاقدام" (Riordan, Many Identities ,One Nation,The Revolution and its Legacy in the Mid-Atlantic , 2010, p. 115) .

حاول فريز انكار تهمة الخيانة الموجهة اليه مدعياً انه " ليس مذنب " اطلاقاً. حتى قاطعه احد القضاة مبيناً للحاضرين المعنى الكامل للخيانة التي اوجزها بشن الحرب على

الولايات المتحدة، لاسيما وان فريز واتباعه قد تجمعوا بشكل عدائي من اجل اشباع روح الانتقام لديهم، مشيراً الى تآزرهم وتآمرهم لمقاومة السلطة الفيدرالية باستخدام الاسلحة في بيت لحم (Navarro, The Trail Blazers,The Excutives and events that transformed the constitution, 2004, p. 215).على اية حال، ادرك فريق الدفاع خطورة الامر، اذ اوضحوا ان القياس على السوابق البريطانية غير سليم في امريكا. ذلك ان انقاذ سجين من الحبس لا يمثل خيانة كما هو الحال في بريطانيا. صحيح ان ما فعله فريز قد يوازي عمل جرمي مثل القيام بأعمال شغب. لكنه لا يعد خيانة في امريكا؛ ببساطة لأنه ليس تهديد كامن لأجهزة الحكومة، والكونغرس، والرئيس والمحاكم (Presser, 1994, p. 215).

خاض محامو الدفاع كفاحاً شديداً في الدفاع عن موكلهم في جلسة النطق بالحكم في ١٤ ايار ١٧٩٩. وقد طلب المحامي ليوس من رئيس المحكمة منح موكله محاكمة جديدة اكثر عدلاً وانصافاً؛ مدعياً ان جون روادس John Roads(١٧٤٣-١٨٠٧) احد اعضاء هيئة المحلفين كان متحامل ومتحيزاً بالضد من موكله قبل اجراء التقاضي، عندما ادلى بحديث خاص عبر فيه عن عزمه ايقاع عقوبة الاعدام بحق فريز (Navarro, The Trail Blazers,The Excutions and events that transformed the Constitution, 2004, p. 214). ومهما يكن من الامر، فقد اوقع طلب المحامي انقساماً بين القضاة بين مؤيد ومعارض لمنح المتهم محاكمة جديدة. غير انهم اتفقوا في النهاية على منح فريز (فرصة) جديدة، بعدما تيقنوا من وقوع التحامل ضده، لاسيما وان الانقسام في المحكمة قد يقلل من وزن الحكم (Jenkins H. M., 1903, p. 170).

شاركت الصحافة تغطية محاكمة فريز واتباعه. وقد تفردت صحيفة اورورا Aurora ذات التوجهات الديمقراطية –الجمهورية المعارضة للفيدراليين بنشر اخر مستجدات قضية المحاكمة ؛ وبما اوصل قضية فريز الى اقصى مكان تصل اليه الصحيفة. حتى اصبح الاخير شخصية عامة يرتبط مصيرها بضبط ايقاع الشارع الامريكي (Hoogenboom, 2010, p. 120).

استؤنفت مرافعات قضية فريز من جديد في ٢٩ نيسان ١٨٠٠ . اذ تراس الجلسات القاضي صاموئيل جيس ، وقد سحب الاتهام السابق ووضع بدله اتهام (خيانة) جديد. على اية حال، حاول القاضي الجديد حسم القضية لتوفر دلائل الادانة. ولم يمنح فريق الدفاع فرصة ابداء الرأي؛ مما اجبرهم على الانسحاب بزعم تصرف القاضي غير القانوني وغير المسبوق في نظام المرافعات القضائية. وسيراً بذات الاتجاه، فقد اختلت هيئة المحلفين ست ساعات، اصدرت بعدها توصيتها بالإدانة بالذنب لما قام به فريز (Walters, 1943, pp. 82-83).

اجتمعت المحكمة من جديد في ٢ ايار من ذات العام للنطق بالحكم. اذ اوضح القاضي جيس في مستهل كلامه ضخامة جريمة مقاومة قوانين الحكومة. منوهاً لما حظيّ به فريز من محاكمة عادلة ونزيهة. لافتاً انتباه المتهم الى " اقترابه من نهاية مسيرته على الارض، طالباً اليه الاستعداد للحياة الاخرى" . حتى نصحه ان" يقضي ايامه المتبقية في التوبة من ذنوبه، وان يلتمس العفو من الله وحده". ومهما يكن من امر عدالة المحاكمة، فقد ساد قاعة المحكمة وجوم غير مسبوق. اذ وقف القاضي جيس ليخبر فريز" حكمت عليك المحكمة بالشنق من الرقبة، وانا اصلي لله العظيم ان يكون رحيماً بروحك " (Hoffer, 2008, p. 74). ولم تتأخر المحكمة كثيراً في اصدار حكمها بالإعدام بحق كل من جورج كيتمان، فردريك هني ، لدورهما في مؤازرة فريز والتسبب في اثارة الفوضى والاضطراب (Navarro, The Trail Blazers,The Excutives and Events that transformed the constitution , 2004, p. 215)

تسبب قرار المحكمة بإعدام فريز بموجة غضب واستياء شديد من جانب المعارضة الديمقراطية- الجمهورية. لاسيما وان صحفها افردت تغطية كاملة لملابسات القضية، وكيفية وقوع فريز ضحية لتضليل بعض زعامات المعارضة؛ فيما اكد نظرائهم من الفيدراليين بضرورة تنفيذ حكم الاعدام بمن يعارض قوانين الحكومة ويسيء للنظام والامن (Cronin, Inventing the American Presidency , 1989, p. 318). على اية حال، يبدو ان اختلاف زاوية نظر الحزبين بمآل فريز لم يمنعه من تقديم التماس الى الرئيس، توسله التدخل لإنفاذه من موت محقق ومخزٍ ايضاً. واعداً الرئيس " سأظهر حُسن

سيرة وسلوك، ومثله امتنان لبلدي، وكذلك مساندة الدستور وقوانينه الممتازة؛ التي من سوء حظي خرقتها وانتقدتها " (Charles Rhoads Roberts J. B., 1914, p. 207)

عقد الرئيس آدمز جلسة خاصة لمجلسه الوزاري في ٢٠ ايار. قدم خلالها عدة اسئلة فيما يخص سيرة فريز وتمرده. وطلب من وزراءه رأيهم في الحكم الذي صدر بحق الاخير. ومهما يكن من الامر، فقد اختلفت اراء الوزراء في مصير فريز (Riordan, Many Identities ,One Nation,The Revolution and its Legacy in the Mid-Atlantic , 2010, pp. 114-115) . اذ ابدى بعضهم ضرورة اعدام فريز، هيني، وكيتمان. فيما اعتقد اخرون بأن اعدام فريز لوحده سيكون كافياً لإظهار قوة القانون ازاء من يقومون بالإعمال الشريرة (Prakash, 2026, p. 47). حتى اظهر الرئيس عدم موافقته على استخدام فريز كرمز لترسيخ النظام والقانون. لاسيما بعد اقتناعه بأن ما قام به فريز من سلوك مشاغب قد لا يصل الى مستوى الخيانة ازاء الولايات المتحدة. كما اعتقد ان الاثارة الكبيرة السائدة في البلاد يمكن تهدئتها بالرحمة بدل القسوة؛ موضحاً عزمه على منح العفو المشروط لكافة السجناء. الامر الذي تحقق في ٢٣ ايار ١٨٠٠، وقبل يومين من تنفيذ الحكم بحق فريز واعوانه (Cronin, 1989, p. 318).

يرى بعض المؤرخين ان اقدام الرئيس على العفو لم يكن بدافع الرحمة فقط. اذ يعتقدون انه امر بذلك طمعاً بإعادة انتخابه لمنصب الرئاسة. لما سيتركه الامر من رضى وقبول بين انصاره ومعارضيه على حدٍ سواء (Harley, Historical Sketches,A Collection of Papers Prepared for the Historical Society of Montogomery County ,Pennsylvania ,vol. 1, 1895, p. 225). بل ويذهب البعض الاخر الى ذكر ما قامت به السيدة فريز من جهود لتأمين اطلاق سراح زوجها. لاسيما عندما قابلت الرئيس جاثياتاً على ركبتيها تذرف الدموع وصغارها التسع. ولم يكن امام الرئيس سوى اجابة طلبها؛ طالما ان العفو سيزيد من رصيده الانتخابي ويخفف من موجة المعارضة لإدارة الفيدراليين (Roberts, 1914, p. 206).

صدرت بحق المتهمين الاخرين في قضية فريز احكام مختلفة. اذ حوكم كونراد ماركس بتهمة الخيانة في ٢٦ نيسان ١٨٠٠، ووجد غير مذنب. لكنه حوكم مرة اخرى

بتهمة التحريض والمساعدة في التمرد، فوجد مذنباً وحكم بالسجن لسنتين وغرامة ٨٠٠ دولار (Charles Rhoads Roberts, 1914, p. 206). كما حوكم المتهم انتون ستاهلر Anton Stahler (1738-1805) بالخيانة، لكنه وجد غير مذنب، وحوكم مرة اخرى بتهمة المشاركة بأعمال التمرد؛ اذ حكم بالسجن ثمانية اشهر وغرامة ١٥٠ دولار. ولم يكن مصير القس جاكوب ايرمان Jacob Eyerman(1750-1818) مختلفاً كثيراً عن من سبقه. اذ يبدو ان مكانته في قيادة التمرد من خلال التحريض قد حتمت على المحكمة سجنه سنة واحدة مع غرامة قدرها خمسين دولار (Harley, The American Historical Register,A monthly Gazette of the Historical,Military and Patriotic-Hereditary Societies of the United States of America ,March1896- to November1896,vol.IV, 1896, p. 27). فيما صدرت احكام مختلفة بالسجن والغرامة على عدد اخر من المتهمين لمشاركتهم بأعمال التمرد. وقد توجب عليهم دفع كلف مالية اضافية للمحكمة، جرى تخفيفها لاحقاً بسبب ظروفهم المالية الصعبة (Kriebel, 1912, pp. 708-709).

٢-تداعيات التمرد

تسبب العفو الرئاسي عن فريز واتباعه بانقسام داخلي شديد. صحيح ان مبادرة الرئيس قد وضعت خاتمة للتمرد؛ الا انها ساهمت في زيادة نفور زعامات الفيدراليين، وعلى رأسهم هاملتون من توجهات الرئيس آدمز (Bird W. , OPressand Speech under Assault,the Early Supreme Court Justies ,The Sedition Act of 1798,and the compaign against Dissent, 2016, p. 300). اذ عدوا الامر " تنازل قاتل للأعداء" ، وخروج سافر عن ثوابت حزبهم. وبنفس القدر من الاهمية، فأن تعليمات الرئيس الى مبعوثي البلاد في باريس، وتوقيتات مغادرتهم قد سببت هي الاخرى مشاكل بين الرئيس وطاقمه الوزاري. لاسيما عندما تناهت اخبار (المشاجرة) وعدم التوافق بشأن مصير فريز الى مسامع الصحفيين؛ الامر الذي اسهم في تدني شعبية الفيدراليين بين مصوتيهم (Edwin Wiley, Lectures on the growth and development of the United States, 1915, p. 450).

ان سوء الادارة الفيدرالية، وما سببته قرارات الاجانب والتحريض من استياء في عموم الولايات الامريكية، قد اوجد توجهات حقيقية بضرورة احداث تغيير بنيوي في ادارة الدولة. اذ اصدرت الهيئة التشريعية لولاية كنتاكيKentucky بتأثير جيفرسون قراراً في ١٦ تشرين الثاني ١٧٩٨ منح الولاية الحق في تفسير القانون الفيدرالي؛ وبما يمنح الولاية الحق في الغاء بعض التشريعات التي تعدها غير منسجمة واحكام الدستور الامريكي (Hart A. C., 1914, p. 620). اما في فرجينيا، فقد دعى مادسون في ٢٤ كانون الاول ١٧٩٨ الى جمع الالتماسات للتأثير على مندوبي الولاية في الكونغرس الامريكي لإلغاء القوانين الفيدرالية التي يظنون انها غير دستورية، وغير منسجمة مع مصالح الولاية (Hart A. C., Cyclopedia of American Government ,vol.III, 1914, p. 620) وفي هذا السياق، تبادلت كلا الولايتين وجهات النظر في قراراتهما في شتاء ١٧٩٩ . غير ان الامور تغيرت عقب اطلاق فريز سراح السجناء في بيت لحم؛ اذ صوت الكونغرس بأغلبية ٤٣-٢٣ على رفض هذه القرارات" ما دامت تهدف الى اثارة السخط غير المبرر ازاء بعض الاجراءات الحكومية" في اشارة واضحة الى تمرد فريز وما سبقه من قوانين (Newman P. D., Fries's Rebellion, The Enduring Struggle for the American Revolution , 2012, p. 151).

ألقت تداعيات تمرد فريز ومسبباته تأثيراً كبيراً على استحقاقات انتخابات الولاية والانتخابات الرئاسية معاً. اذ رشح الديمقراطيين الجمهوريين ثوماس مكين Thomas McKean(١٧٣٤-١٨١٧) لمنصب حاكم الولاية، لما عُرف عنه من معارضة قوانين الاجانب، والتحريض، والملكية. فضلاً عن تعاطفه مع الثوريين الفرنسيين. مما افضى الى زيادة شعبيته بين ناخبيّ الولاية من الاصول الالمانية؛ ممن عانوا التهميش والاقصاء، حتى تكلل الامر بفوزه في الانتخابات على مرشح الفيدراليين جيمس روس James Ross (١٧٦٢-١٨٤٧) في تشرين الاول ١٧٩٩ (Oberg, 2004, p. 205). ولم يختلف الامر كثيراً في الانتخابات الرئاسية، اذ تسببت انقسامات زعامات الفيدراليين وسوء ادارتهم الحكومية الى زيادة شعبية غرمائهم في عموم الولايات الامريكية؛ الامر الي اسفر عن فوز

الديمقراطيين-الجمهوريين بأغلبية كبيرة في مجلس النواب، وفوز مرشحهم ثوماس جيفرسون في انتخابات الرئاسة الامريكية ١٨٠٠ (Ernst, 2014, p. 299) .

واذا ما تسبب فريز في تشكيل تحدي حقيقي لسلطة الولاية في بنسلفانيا؛ فأن مؤامرة مسلحة جرى التخطيط لها في فرجينيا ١٨٠٠ بفعل ما اوجده تمرد فريز من اضطراب في المشهد الحكومي (Finkelman, 2006, p. 86). اذ حاول جبرائيل Gabrial Prosser (١٧٦٦-١٨٠٠) احد العبيد المتعلمين في الولاية تدبير مؤامرة للتخلص من نظام الرق. وقد انظم اليه في خطته السرية الاف الأتباع ، بعدما قاموا بتجميع الاسلحة استعداداً للاستيلاء على رجموند Richmond، واعتقال حاكمها جيمس مونرو. على اية حال، يبدو ان افشاء سر المؤامرة قد اوصل السلطات الى اعتقال مدبرها، وتنفيذ حكم الاعدام به لاحقاً (Finkelman, Encyclopedia of African- American History 1619-1895,from the colonial period to the Age of Frederick Douglas,vol. 2, 2006, pp. 86-87) .

ساهم انشغال فرنسا النابليونية في حروبها الاوربية ورغبتها في عدم كسب اعدا ء جدد في الاسراع بتسوية خلافاتها مع الولايات المتحدة (Herring, 2017, p. 84). وفي هذا السياق، ارسلت فرنسا ما يُشير الى استعدادها لاستقبال مبعوثي الولايات المتحدة الجدد. الامر الذي اسفر عن ارسال اوليفر السويرث Oliver Ellsworth (1745-1807)، وليم دافي William Davie (1756-1820، ولـيم فـانس مـوري William Vans Murry(1760-1803) الى باريس في مستهل ١٨٠٠؛ في مؤشر لاستعادة العلاقات الرسمية بين البلدين (Gales, 1851, pp. 1124-1125).اذ عقدت معاهدة جديدة في ٣ تشرين الاول ١٨٠٠، ابطلت التزامات المعاهدات السابقة، واتفق فيها البلدان على اعادة كافة السفن المدنية وتعويض حمولتها، فضلاً عن تسديد كافة الديون، وان يحظى البلدين بامتيازات الدولة الاكثر حظوة بين الدول (Herring, Years of Peril and Ambition,U.S. Foreign Relations 1776-1921, 2017, p. 84).

الخلاصة:

- كان تمرد فريز حركة مقاومة محلية عفوية الهوى والتوجه لرفض منظومة قوانين ١٧٩٨. اسفرت ارهاصاتها عن اطلاق سراح مساجين بيت لحم؛ ولم يكن القصد منها شن الحرب على الولايات المتحدة من الداخل بهدف اسقاط نظام الحكم الامريكي كما روجت له قيادات الفيدراليين، وفسره قضاة المحاكم.
- اسهم التهميش السياسي والاقتصادي لأبناء الجالية الالمانية، وعزلتهم الاجتماعية عن بقية فئات المجتمع الامريكي في التأسيس لسوء فهم ظروف الواقع السياسي والاقتصادي ما بعد الاستقلال؛ ومحاولتهم بالنتيجة تصحيح مسار الحراك الثوري الامريكي باعتبارهم احدى ادوات التغيير الاصيلة لتكوين النموذج الحكومي المستحدث.
- لم يكن اعتراض ابناء الجالية الالمانية الاساس موجه بالضد من قوانين الضرائب فقط. اذ انتفضوا على مجمل الاوضاع القائمة بما ينسجم وفهمهم لمثل الثورة الامريكية، التي تحترم خصوصية الولايات وبما بجعل الضرائب تحت سيطرة الولاية بدل جمعها من قبل ادارة بيروقراطية (غاشمة) يهيمن عليها الأنكلو- امريكان. لاسيما وان قوانين الاجانب وسواها بدت للألمان مجرد نُذر لاستبداد حكومي ظالم وغير دستوري قادم.
- لم يكن تمرد فريز تهديد للسلم والنظام كما هو حال تمرد شيز وتمرد الويسكي؛ لكنه قدم الفرصة المواتية لتقوية سلطة الحكومة المركزية وترسيخها في السنوات الاول لتأسيس الدولة الامريكية بدون اراقة دماء .
- كان يمكن لتمرد فريز ان يقدم نموذج (ناجح) لغيره من التمردات اللاحقة، وان يستتبع بتداعيات خطيرة على سلامة الاتحاد الامريكي لولا قيام ادارة الرئيس آدمز باتخاذ اجراءات رادعة بحق المتمردين، اعادت هيبة الدولة بمعية الهدوء والاستقرار للمقاطعات الثائرة، واقنعت المتربصين بعدم جدوى المحاولة .
- اسهم اصدار العفو الرئاسي بحق فريز واعوانه بإشاعة جو من التسامح، وتبديد الصورة النمطية عن استبداد السلطة الحاكمة؛ لكنه تسبب ايضاً بزيادة المشاكل بين الفيدراليين انفسهم وانعكس سلباً بخسارتهم للانتخابات الرئاسية لعام ١٨٠٠.

المصادر:

- Alan Taylor .(٢٠١٤) .*Liberity Man and Gresat Proprietors,The Revolutionary Settlement on the Maine Forntier 1760-1820 .* Chapel Hill: University of North Carolina press
- Albert Bushnell Hart .(١٩٠١) .*American History told by contemoraries,vol.III,National Expansion 1783- 1845* .NewYork: The Macmillan company.
- Alfred A. Curran .(١٩٣٣) .*German Immigration to Pennsylvania 1683-1933,A Genuine Research and Study in A cculturation .* New York: Brentwood University press.
- Alfred F. Young .(٢٠١٢) .*The Democratic Republicans of the NewYork,The Origins 1763-1797* .Chapel Hill: The University of North Carolina press.
- Alfred Mathews and Austin N. Hungerford .(١٨٨٤) .*History of the Counties og Lihigh and Carbon in the Commenwealth of Pennsylvania* .Philadelphia : Everts and Ritchards.
- Allen C. Thomas .(١٩١١) .*A History of Pennsylvania .* New York : D.C. Health and co. publishers.
- Andrew C. McLaughlin and Albert Bushnel Hart .(١٩١٤) . *Cyclopedia of American Government ,vol.III* .New York: D. Appleton and company.
- Androw Shankman .(٢٠٠٤) .*Crucible of American Democracy , The struggle to fuse egalitarianism and capitalism in Jeffersonian Pennsylvania .* Lawrence: University press of Kansas .
- Barbara B. Oberg .(٢٠٠٤) .*The Parpers of THomas Jefferson ,vol.31(February 1799 to 31 May 1800 .(*Princeton: Princeton University press.
- Benson John Lossing .(١٨٩٣) .*Harper's Cyclopedia of United States History fromthe Aboriginal Period,vol.II* .NewYork: Harper and Brothers Publishers .
- Beverley Waugh Bond .(١٩٠٧) .*The Monroe Mission to France 1794- 1796* .Baltimore: John Hopkins press.
- Bob Navarro .(٢٠٠٤) .*The Trail Blazers,The Excutions and events that transformed the Constitution* .New York: Xlibris corporation.

- C.P. Sammerall .(١٩٢٧) .*Journal of the United States Artillery,vol. 68* .NewYork: United States Coast Artillery Association.
- Carl Russell Fisb .(١٩١٣) .*The Development of American Nationality ,vol.II(1783 to the present time .(*New York: American Book company.
- Carroll Smith Rosenberg .(٢٠١٢) .*This Violent Empire ,The Birth of an American National Identity* .Chape Hilll: University of North Carolina press.
- Charles A. Goodrich .(١٨٢٣) .*A History of the United states of America* .Hartford: published by Barber and Robinson.
- Charles Rhoads Roberts .(١٩١٤) .*History of Lehigh County - Pennsylvania , and A Genealogical and Biographical record of it's Families ,vol.1* .Allentown: Lihigh valley publishing company.
- Charles Rhoads Roberts .(١٩١٤) .*History of Lehigh County,Pennsylvania and a genealogical and biographical record of it's families,vol. 1* .Allentown: Lehigh valley publishing company Ltd.
- Christine Sismondo .(٢٠١١) .*America walks into a Bar : A Spirted History of Taverns and Saloons, Speakeasies and Grog Shop* . Oxford: Oxford University press.
- Christopher G. Bates .(٢٠١٥) .*The Early Republic and Antebellum America, An Encyclopedia of Social ,Political,Cultural and Economic History ,vol.2* .New York: Taylor and Francis Group.
- Craig L. Symonds .(٢٠١٨) .*American Naval History,a Very Short Introduction* .Oxford : Oxford University press.
- Darrell J. Kozlowski .(٢٠١٠) .*Key Concept in American History,Federalism* . NewYork: Chelsea House.
- David P. Madden .(٢٠٢٠) .*The Constitution and American Racism ,Setting a course for lasting Injustice* . North Carolina : McFarland and company ,INC.
- Dominick Cavallo .(١٩٩٩) .*A Fiction of the Past ,the sixties in American History* .NewYork: Palgrave Macmillan.
- Edward Channing .(١٩١٧) .*A Student Historyof the United States* . New York : The Macmillan Company.

- Edward Howland .(١٨٧٧) .*Annals of North America ,Being A concise Account of the Important events in the United States,the British Provinces and Mexico,from their Discovery down to the present time(492-1877 .(*Hatford: The J.B.Burr publshing company .
- Edwin and Rines,Irving E. Wiley .(١٩١٢) .*The United States ,its Begining,Progress,and Modern Development .*NewYork: American Educational Alliance.
- Edwin Wiley .(١٩١٥) .*Lectures on the Growth and Development of the United States .*Washington D.C.: American Educational Alliance.
- Ezra Stiles .(١٩٠١) .*The Literary Diary of Ezra stiles,D.D.,LL.D.,vol.III January 1,1782-May 61795 .*NewYork: Charles Scribner's sons.
- Forrest McDonald .(١٩٧٤) .*The Presidency of George Washington .* Lawrence: The University press of Kansas.
- Francis D. Cogliano .(٢٠٠٩) .*Revolutionary America 1763-1815,A Political History .*NewYork: Taylor and Francis Group.
- Francis D. Cogliano .(٢٠٠٩) .*Revolutionary America 1763-1815,A Political History .* NewYork: Taylor and Francis Group.
- Francis Wharton .(١٨٨٧) .*A Digest of the International Law of the United States from Documents issued by presidents and secretaries of states and from Decisions of the Federal Courts and opinions of Attorney -General,vol.III .*Washington D.C.: Government printing office.
- Frank E. and Manuel,Fritzie P. Manuel .(٢٠٠٤) .*James Bowdoin and the Patriot Philosophers .*Philadelphia : American Philosophical Society.
- Frederic Antes Godcharles .(١٩٣٣) .*Pennsylvania ,Political ,Govermental ,Military and Civil,vol. 1 .*New York: American Historical Society Incorporated.
- Garry wills .(٢٠١٣) .*A Necessary Evil,A History of American Distrust of Government .*NewYork: Simon and Schuster,INC.
- Gary B. Nash .(١٩٩٨) .*The American People,Creating a nation and a society,vol.I .*NewYork: Harper Collins.

- George and Dana, Charles A. Ripley .(١٨٦٢) .*The New American Cyclopedia,A Popular Dictionary of General Knowledge ,vol. XIV .* NewYork: D. Appleton and company.
- George C. Herring .(٢٠١٧) .*Years of Peril and Ambition ,U.S. Foreign Relations 1776-1921 .*Oxford : Oxford University press.
- Greg H. Williams .(٢٠٠٩) .*The French Assault on American Shipping 1793-1813, A History and Comprehensive Record of Merchant Marine Losses .*Jefferson-North Carolina : McFarland and company Inc publishiers.
- Grindall Reynolds .(١٨٩٥) .*A Collection of Historical and other Papers .*Cambirdge: John Wilson and Sons.
- H.W. Kriebel .(١٩١٢) .*The Penn Germania , A Popular Journal of German History and Ideals in the United States,vol.13 .*Cleona : Holzapfel publishing company.
- H.W.Kriebel .(١٩١٢) .*The Penn Germanca containing The Pennsylvania - German, A popular Journal of German History and Ideals in the United States,vol. 1(January- December1912 . (* Cleona: Holzapfel publishing company
- H.W.Kriebel .(١٩١٢) .*The Penn Germania ,A Popular Journal of German History and Ideals in the United States ,vol. 13 .*Cleona: Holzapfel publshing company.
- Hary Marlin Tinkcom .(١٩٥٠) .*The Rebublican and Federalists in Pennsylvania 1790-1801,A study in National and Stimulus and Local Response .*Philadelphia : University of Pennsylvania press.
- Henry Smith Williams .(١٩٠٤) .*The Historians' History of the World,The United States(concluded) Spanish America,vol.XXIII .* New York: The Outlook company.
- Howard Malcom Jenkins .(١٩٠٣) .*Pennsylvania Colonial and Federal A History 1606-1903,vol.2 .*Philadelphia : Pennsylvania Historical publishing Association.
- Irving Everett Rines, Albert Bushnell Hart Edwin Wiley .(١٩١٥) . *Lectures on the growth and development of the United States .* Washington D.C.: American Educational Alliance.

- Isreal Danial Rupp .(٢٠١٠) .*Applewood's American Immigration series,History of the Counties of Berks and Lebanon* .Carlisle-Pennsylvania: Applewood Books.
- James Abram Garfield .(١٨٦٦) .*Argument of the Hon. James A. Garfield in the U.S Supreme Court,March 6,1868 in the matter of Ex-parte,L.P.Milligan,W.A.Bowlesand Stephen Horsey .* Washington: Joseph L. Pearson printer.
- John and Wilson, James Grant Fiske .(١٨٨٨) .*Appleton's Cyclopedia of A merican Biography,vol.V* .NewYork: D. Appleton and company.
- John Bach McMaster .(٢٠٠٦) .*A History of the People of the United States from the Revolution to the Civil War,vol.1* .NewYork: D. Appleton and company.
- John Baer Stoudt ,Thomas H. Krick,William J. Dietrich Charles Rhoads Roberts .(١٩١٤) .*History of Lehigh County Pennsylvania and a Genealogical and Biographical records of it's families,vol. 1 .* Allentown : Lehigh Valley Publishing company Ltd.
- John Baer Stoudt, Thomas H. Krick, William J. Dietrich Charles Rhoads Roberts .(١٩١٤) .*History of Lehigh County Pennsylvania and a Genealogical and Biographical records of it's families ,vol.1 .* Allentown: Lehigh Valley PublishingCompany Ltd.
- John Blair Linn .(١٨٨٣) .*History of Cendre and Clinton Counties,Pennsylvania .* Philadelphia : press of J.S.Lippincott and co.,.
- John C. Fitzpatrick .(١٩٣٤) .*Journals of the Continental Congress 1774-1789,vol.XXXI* .Washington: United States printing office.
- John Davison Lawson .(١٩١٩) .*American State Trials , A Collection of the important and intresting Criminal trials which have beentaken place in the United States,from the begining of our Government to the present Day : with Notes and Annotations,vol. 11* .New York : Thomas Law Book.
- John Hammond .(٢٠١١) .*Family and Mormon Church roots,colonial period to 1820* .NewYork: Xlibris corporation.

- John Warner and Howe,Henry Barber .(١٨٦٣) .*Our Whole Country in the Past and Present of the United States,Historical and Descriptive ,vol.1* .NewYork: publishing byGeorge F.Tuttle and Henry Macauley.
- Joseph Gales .(١٨٥١) .*The Debates and Procedings inthe congress of the United States with an Appendix containing important state papers and public Documents* .Washington D.C.: published by Gales and Seaton.
- Joseph Klaits and Michael H. Haltzel .(٢٠٠٢) .*The Global Ramificationof the French Revolution* .Cambridge : Woodrow Wilson Center press and Cambridge University press.
- Josephus Nelson Larned .(١٩٠٧) .*The Rise and Fall of Nations,vol.II* .Springfield: The C.A.Nicholas company.
- Jude M. Pfister .(٢٠١٨) .*The Creation of American Law,John Jay,Oliver Ellsworth and the 1790s Supreme Court* . Jefferson-North Carolina: McFarland and company ,Inc,publishers.
- Justin Winsor .(١٨٨٨) .*Narrative and Critical GHistory of America ,vol.VII* .New York: Mifflin and company.
- Kenneth W. Keller .(١٩٨٢) .*Rural Politics and the collapse of Pennsylvania Federalism* . Philadelphia: The American Philosophical Society.
- Krishan Kumar .(٢٠١٩) .*Visions of Empire,How five regimes shaped the world* .Princeton : Princeton University press.
- L.E. Swartz .(١٩٠٩) .*American Freedom's first test,aAmerican Historical Magazines ,vol.IV,January1909-December 1909* . NewYork: The National American Society.
- Larry J. Sabato and Howard R. Ernst .(٢٠١٤) .*Encyclopedia of American Political Parties and Elections* .New York: Infobase publishing.
- Lemuel Shattuch .(٢٠٠٩) .*A History of the Town of Concord,Middlesex county,Massahusetts from its Earliest settlement to 1832* .Massachusetts: Genealogical publshing com.

- Lewis R. Harley .(١٨٩٥) .*A collection of papers prepared for the Historical Society of Montogomery County ,Pennsylvania ,vol. 1 .* Boston: Haraled Printing and Binding rooms.
- Lewis R. Harley .(١٨٩٥) .*A collection of papers prepared for the Historical Society of Montogomery County,Pennsylvania ,vol.1 .* Boston: Herald printing and Binding rooms.
- Lewis R. Harley .(١٨٩٥) .*Historical Sketches, A collection of Papers for the Historical Society of Montogomery County ,Pennsylvania ,voll.1 .*Pennsylvania : published by Historical Society of Montogomery County.
- Lewis R. Harley .(١٨٩٥) .*Historical Sketches,A Collection of Papers Prepared for the Historical Society of Montogomery County ,Pennsylvania ,vol. 1 .*Boston: published by Historical Society of Montogomery County.
- Lewis R. Harley .(١٨٩٦) .*The American Historical Register,A monthly Gazette of the Historical,Military and Patriotic- Hereditary Societies of the United States of America ,March1896- to November1896,vol.IV .*Boston : The Register Company.
- Liam Riordan .(٢٠١٠) .*Many Identities ,One Nation , The Revolution and its Legacy in the Mid- Atlantic .* Philadelphia : University of Pennsylvania press.
- Lorri Nimsgern .(٢٠٢٠) .*Knell of the Union .*NewYork: Dorrance publishing.
- Louis F Fisher .(٢٠٠٤) .*Presidential War Power .*New York: University press of Kansas.
- Mark M. Lowenthal .(٢٠٢٥) .*Vigilance is not enough, A History of United States Intelligence .*New York: Yale University press.
- Mayo Williamson Hazeltine .(١٩٠٢) .*Orations from Homer to William McKinley ,vol.VIII .*New York: D.F.Collier and son.
- Michael A. Genovese and AlisonJ.Howard .(٢٠٢١) .*Encyclopedia of the American Presidency .* New York: Infobase Holdings,Inc.
- Michael J. Klarman .(٢٠١٦) .*The Farmers' Coup ,The making of the United States Constitution .*Oxford: Oxford University press.

- Minor Myers .(٢٠٠٤) .*Liberty without Anarchy,A History of the Cincinnati* .Virginia: University of Virginia press.
- Nathan Miloszewski .(٢٠١٩) .*Opponents in American History,Federalists and Anti-Federalists* .NewYork: The Rosen publishing Group,INC.
- Paul Douglas Newman .(٢٠١٢) .*Fries's Rebellion ,The Enduring Struggle for the American Revolution* .Philadelphia : University of Pennsylvania press.
- Paul Finkelman .(٢٠٠٦) .*Encyclopedia of African-American History 1619-1895,from the colonial period to the Age of Frederick Douglass,vol.2* .Oxford : Oxford University press.
- Peter Charles Hoffer .(٢٠٠٨) .*The Treason Trails of Aaron Burr* . Lawrence : University press of Kinsas.
- Peter Harris .(٢٠٠٦) .*Income Tax in Common Law Jurisdication from the origins to 1820* .Cambirdge: Cambirdge University press.
- Philip S. Klein and Ari Hoogenboom .(٢٠١٠) .*A History of Pennsylvania* . Pennsylvania : Pennsylvania State press.
- Raymond and Polin,Constance Polin .(٢٠٠٦) .*Foundations of American Political Thought,Readings and Commentary* .NewYork: Peter Lang.
- Raymond Walters .(١٩٤٣) .*Alexander James Dallas, Lawyer-Politician- Financier* .Philadelphia : University of Pennsylvania press.
- Richard M. Valley .(٢٠١٠) .*Encycopedia of U.S. Political History ,vol.1* .Washington D.C.: A Division of Sage.
- Robert Latham Owen .(١٩١٧) .*Withdrawing Power from federal courts to declare Acts of Congress void* .Washington: Government printing office.
- Robert M. Riffle .(٢٠٠٩) .*The Miracle of Indepenence* .NewYork: Xubn press.
- Robert W. Coakley .(١٩٨٨) .*The Role of Federal Military Forces in domestic disorders 1789-1878* .Washington D.C.: Center of Military History United States Army.

- Ron Christenson .(١٩٩١) .*Political Trials in History ,From Antiquity to the Present .* New Brunswick : Transaction Publishers.
- Ronald P. Formisano .(٢٠٠٨) .*For the People,American Populist Movements from the Revolution to the 1850's .*Chapel Hill: The University of North Carolina press.
- Saikrishna Bangalore Prakash .(٢٠٢٦) .*The Presidential Pardon,The Short Clause with Long tourable History .*Massachussets : Harvard University press.
- Saul Cornell .(٢٠٠٨) .*A Well Regulated Militia,The Founding Fathers and the origins of Gun Control in America .*Oxford : Oxford University press.
- Sharon Ann Murphy .(٢٠١٧) .*Other People's Money,How Banking Worked in the Early American Republic .*Baltimore: John Hopkins University press.
- Stainley Elkings and Eric McKitrick .(١٩٩٥) .*The Age of Federalism .* Oxford: Oxford University press.
- Stephen B. Presser .(١٩٩٤) .*Recapturing the Constitution ,Race ,Religion,and Abortion Reconsidered .* Washingtone D.C.: Regenry publishing Inc.,.
- Stephen L. Schechter .(١٩٧٩) .*The Reluctant Pillar,NewYork and the adoption of the federal constitution .*NewYork: Kto press.
- Susan Dudley Gold .(٢٠١٢) .*Freedom of Information Act .*NewYork: Cavendish Square publishing LLC.
- Thomas E. Cronin .(١٩٨٩) .*Inventing the American Presidency .* California: University press of Kansas.
- Thomas Egleston .(١٨٩٤) .*John Paterson,Major-General in the Revolutionary Army .* NewYork: G.P. Putnam's sons.
- Thomas Egleston .(١٨٩٤) .*The Life of John Paterson .*NewYork: G.P. Putname's.
- Thomas Eglestone .(١٨٩٤) .*John Paterson ,Major-General in the Revolutionary Army .* NewYork: G.P. Putnam's sons.
- Thomas Francis Moran .(١٩٠٤) .*The History of North America, the Formation and Developnment of the Constitution,vol.7 .* Philadelphia: George Barrie and Sons.

- Van Beck Hall .(٢٠١٠) .*Politics without Parties,Massachusetts1780-1791* .NewYork : University of Pittsburgh press.
- W.W.H. Davis ١٥) .July, 1903 .(The Fries Rebellion . *The Era Magazine*.١٧٨ صفحة ،
- Wendell Bird .(٢٠١٦) .*OPressand Speech under Assault,the Early Supreme Court Justies ,The Sedition Act of 1798,and the compaign against Dissent* .Oxford: Oxford University press.
- Wendell Bird .(٢٠١٦) .*Press and Speech under Assault , The early Supreme Court Justice , The Sedition Act of 1798,and the compaign against Dissent .* Oxford : Oxford University press.
- Wendell Bird .(٢٠٢٠) .*Criminal Dissent Prosecutions under the Allians and Sedition Actsof 1798* .Massachussetts: Harvard University press.
- William A. Davis .(١٨٠٩) .*Message from the president of the United States to both houses of Congress at the commencement of the second sessionof the eleventh congress* .Washington: A.and G. way printers.
- William C. Martel .(٢٠١٥) .*Grand Strategy in Theory and Practice,The Need for an effective American Foreign Policy .* Cambirdge: Cambirdge University press.
- William G. Myer .(١٨٨٥) .*Federal Decisions ,Cases argued and determinded in the Supreme ,Circuit and District Courts of the United States ,vol.VI* .Washingtone D.C.: The Gilbert book company.
- William Harrison De Puy .(١٨٤٢) .*American Revisions and Additions to the Encyclopedia Britannica,vol.III* .Chicago: R.S. Peale company.
- William J. Buck .(١٨٥٥) .*History of Bucks County* .Pennsylvania : John S. Brown.
- William J. Dell .(٢٠١١) .*Our Constitutional Republic.Seeds of Birth-Seeds of Destruction* .Bloomington: Author House.
- William Macdonald .(١٩٠١) .*Select Documents illustrative of the History of the United States 1776- 1861* .New York: The Macmilan company.

- William Macdonald .(١٩١٣) .*Democracy Source book of American History 1606-1898* .New York: The Macmillan company.
- William Sullivan .(١٨٤٧) .*The Public Men of the Revolution including events from the peace of 1783 to the peace of 1815* . Philadelphia: published by Carey and Hart.
- Windell Bird .(٢٠١٦) .*Press and Speech under Assault,the Early Supreme Court Juictice ,The Sedition Actof 1798,and the compain against Dissent* .Oxford: Oxford University press.

الفكر الوحدوي لدويلات المدن في بلاد الرافدين
الضرورة والتحديات

The unitary thought of city-states in Mesopotamia: Necessity and challenge

أ.م.د. مروان نجاح البلام

Marwan najah albalam

ed.marwan.najah@uoanbar.edu.iq

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

الفكر الوحدوي لدويلات المدن في بلاد الرافدين الضرورة والتحديات

أ.م.د. مروان نجاح البلام

الكلمات الافتتاحية: وحدة، فلسفة الحكم، دويلات المدن ،اتحاد قسري، هدم الاسوار

Introduction

The environment played a major role in the unity and cohesion of the inhabitants of the Sumerian city-states. The Sumerian described himself as *ki-an-gi* ("the inhabitant of the land of the Lord of the Reeds"), which is the highest expression of a unifying thought that reflects a profound concept of citizenship emphasized by the Sumerians. This concept came to occupy an important place in the philosophy behind constructing the system that governed Sumerian society.

Unity in political, religious, social, and economic thought laid the foundations for an advanced civilization that taught the ancient world writing and produced one of the greatest cultures in history.
Thus, unity in the civilization of Mesopotamia was not limited to politics alone. The city-states of the Early Dynastic Period developed a harmonious intellectual framework that outlined a unified vision across all aspects of life, and unity in governance was merely the culmination of this coherence.

Reaching such a result was not a coincidence; the inhabitants of Mesopotamia endured harsh environmental challenges. The rains were destructive, often collapsing the roofs of houses; hail crushed the stalks of wheat and barley before harvest; and the severe, untimely floods destroyed their crops. Added to this were internal conflicts between the city-states and external threats, the most dangerous of which were invasions that left cities in ruins.

المقدمة:

كان للبيئة دور في وحدة وتجانس سكان دويلات المدن السومرية، فوصف السومري نفسه كي ـ ان ـ جي (ساكن ارض سيد القصب)، وهو اسمى وصف للفكر الوحدوي يعبر

عن مفهوم عميق للمواطنة الذي اكد عليه السومري، ليحتل مكانة في فلسفة بناء النظام الذي يسير عليه المجتمع السومري، فالوحدة في الفكر السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي ارسى مدنية راقية صنعت حضارة علمت العالم القديم الكتابة وانتجت اروع حضارة في التاريخ. فالوحدة في حضارة بلاد الرافدين ليس مفهوما قاصرا على السياسة، ودويلات المدن في عصر فجر السلالات تمتعت ببلورة فكر متناسق رسمت اطارا للفكر الوحدوي في جميع مجالات الحياة وما مجال الوحدة في نظام الحكم الا تتويجا لهذا التناسق. لم يكن الوصول لهذه النتيجة وليدة الصدفة، فقد عانى من سكن منطقة بلاد الرافدين ما عاناه من تحدي للطبيعة والبيئة القسرية لبلاده فأمطاره قاسية تدمر سقوف البيوت على ساكنيها، والامطار والبرد (الحالوب) يكسر سيقان الحنطة والشعير قبل حصادها، وفيضانه قاسي يأتي في غير اوقاته ويدمر زرعه، وهناك التحديات الداخلية في المنازعات بين دويلات المدن والتحديات الخارجية واخطرها الاحتلال وما يخلف من دمار للمدن كل هذه العوامل مجتمعة صاغت اطارا فلسفيا غايته الاساس الفكر الوحدوي الذي ارسى (دولة القطر الواحد) لتصبح جميع دويلات المدن السومرية دولة واحدة مركزية تنشر في ربوع ارضه السلم والامان تقوده نحو الازدهار والقضاء على جميع المخاطر حتى لو كان تحدي الطبيعة نفسها، ببناء السدود وشق الانهار نحو منخفضات تخفف وطأة الفيضانات، وتقف بوجه المعتدي لتتخلص من التحديات الخارجية بعد ان قد قضت على التحديات الداخلية بتوحيد المدن. لقد صنعت الوحدة حضارة وتاريخ لشعب تميزت حضارته واصبحت من اعظم حضارات العالم القديم.

الطبيعة ومؤثراتها في الفكر الوحدوي لدويلات المدن السومرية:

اتسمت البيئة في حضارة بالد الرافدين بخصوصية ساهمت مع عوامل عدة في وحدة دويلات المدن السومرية في حضارة العراق القديم ،فالعوامل الداخلية وكان لها تثير كثير من المنافسات بين الممالك السومرية كالأرض الخصبة او قناة الماء او الطرق التجارية ادت بالضرورة الى نشوء نزاعات بين الممالك السومرية ارهقت شعوبها. وعوامل خارجية مثل الاحتلال من دويلات وممالك مجاورة للمدن السومرية تنافسها في التجارة وتضييق الخناق عليها كلها عوامل مضافة اثرت في تطور النظام السياسي لدويلات المدن السومرية نحو بلورة مفهوم للوحدة قاد الى توحيد الجهود ليؤطر نظاما سياسيا وحد الممالك وقفز بخطوة

سريعة لإنشاء امبراطورية عدت الاسبق في تاريخ الانظمة السياسية في الشرق الادنى القديم اصبحت ضرورة متبعة لكل السلالات الحاكمة التي حكمت بلاد الرافدين بعد عصر فجر السلالات و قادت الى القضاء على التفكك الداخلي وتوحيد الجهود للتوسع خارج اراضيه فنشر السلم في ربوع بلاد الرافدين والمناطق التي توسع فيها فأزدهرت التجارة وطورت مدنية وحضارة انتشرت في جميع مناطق الشرق الادنى القديم.

كان للطبيعة الجغرافية في حضارة بلاد الرافدين دورا أساسيا في تحديد واقعه ومستقبله الحضاري، اذ حدوده الطبيعية مفتوحة على كل الجهات ،ولا يوجد مانع جغرافي يقيد الحراك البشري للأقوام التي استوطنت فيه وكذلك الاقوام التي حاولت احتلاله، كما ان طبيعته الجغرافية القاسية من امطار ورياح قوية و فيضان نهري دجلة والفرات اثر في مسيرة تاريخ شعوبه (الخلف، ١٩٦١، ص٣٧)، لذلك صارعت الاقوام التي استقرت في بلاد الرافدين الطبيعة من اجل السيطرة عليها و تطوير القدرة في تحييد قساوتها وعنفها، ونتج عن هذا الصراع بدون شك حضارة عظيمة كانت من ازهى حضارات الشرق الأدنى القديم.

اشارت النصوص المسمارية الى رحلات تجارية تسير مع نهر الفرات من مدينة ماري الى المدن الجنوبية السومرية وصولا الى البحر الأسفل (الخليج العربي) مما منح تلك المدن مكانة تجارية وبالتالي مكانة اقتصادية وسياسية (الهاشمي، ١٩٨٠ ص ٣٨)، وهنا تتدخل العوامل الجغرافية في تقارب المدن وتطوير علاقاتها التجارية مع بعضها البعض لتصب في المستقبل في توحيد تلك المدن، اذ ساهم نهر الفرات بشكل مباشر ونتيجة استعمال انسيابية جريانه في عملية التجارة والتي من خلالها عمل حكام المدن السومرية في تقليل الضرائب على البضائع والحد من تحكم المدن في الاسوق التجارية التي تنتقل عبره البضائع وعدم احتكار السوق، كل هذا ساهم في توحيد تلك المدن تحت قيادة سياسية واحده ومركزيه تفرض قوانين وضرائب متساوية من اجل حرية نقل البضائع وانتعاش الاقتصاد الداخلي ومن ثم الخارجي.

التحديات الخارجية:

شهد بلاد الرافدين منذ بواكير نهضته تحديات خارجية كان الاعتداء اهم اشكالها فعيلام في جبهته الشرقية وجهت انظارها على دويلاته الناشئة والغنية بمواردها الاولية لذلك

عدت عيلام العدو الاول لدويلات المدن السومرية وحرص حكام دويلات المدن على درئ مخاطر هذه الاعتداءات وفي عصور مبكرة اولها في زمن الطور الثاني من عصر فجر السلالات الثاني، ففي جدول اثبات الملوك السومريين ذكر الحاكم اينميبراكيسي بأنه استطاع الانتصار على عيلام (باقر، ٢٠٠٩، ٣٧٣/١) وهي اول اشارة عن اعتداء وحرب جرى بين دويلات المدن السومرية وبين عيلام لتتجدد الاشارة مرة اخرى في جدول اثبات الملوك السومريين بأن السلالة التي حكمت بعد سلالة اور مركز حكمها في مدينة اوان وهي دلالة على تسلط العيلاميين على دويلات المدن السومرية ، وبالرغم من اسماء الملوك الثلاثة الذين حكموا هذه السلالة مشوهة اسماءهم ولا يمكن قراءتها لتتبعها، اشار الى ملك يؤسس سلالة في خمازي او همازي وهي من مدن عيلام لا نعرف عنها شيء لكن معنى ذلك ان دويلات المدن السومرية ماتزال تحتلها عيلام او احد مدنها (باقر، ٢٠٠٩، ٣٤٥/١).

لم تتوقف التحديات بل نجد اقوام جديدة تظهر في المنطقة الشرقية كان لها دور في تهديد دويلات المدن السومرية اضافة الى الاقوام العيلامية وهي الاقوام الكوتية التي ساهمت في ما بعد بأسقاط الدولة الاكدية، ونجد اشارة للملك لوكال ـ آنيموندو بأنه فتح مناطق بعيدة امتدت الى جبال زاجروس وعدد الحكام التابعين له في بلاد عيلام وبلاد الكوتيين في الجهات الشمالية الشرقية (باقر، ٢٠٠٩، ٣٤٦/١).

يتضح ان حكام دويلات المدن قد تبلورت لديهم فكرة توحيد مدنهم بغية مواجهة التحديات الخارجية خاصة وان هناك تعدي على الحدود واحتلال لمدن سومرية ومنافسة تجارية من قبل المدن العيلامية التي طالما ارهقت حكام دويلات المدن السومرية وشغلت فكرهم في توفير الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي يؤمن الموارد المالية لرخاء مواطنيه من خلال التجارة، فعملوا على بذل الكثير من مواردهم الاقتصادية لدرء مخاطر الاعتداءات وتذليل كل ما يصب في حماية مدنها من جهة الحدود الشرقية التي اضحت تنذر بعدو تقليدي سوف يستمر ـ حتى بعد نجاح الفكر السياسي بإيجاد صيغة للحكم تؤطر وحدة اراضيه وايجاد صيغة لدرء الخطر على حدوده بالتوسع الى خارج هذه الحدود ـ في اثارة الفتن واستغلال ضعف السلطات الحاكمة ليقتنص مدينة ضعيفة من مدنه الحدودية وينقض عليها او يسقط سلالة حاكمة في مدنه وينسحب منها او يثير الفتن بين مدنه وبين السلطة

الشرعية بغية عدم بقاء الدويلات موحده لان ذلك التوحيد يهدد عيلام ومدنها. جاءت الاستجابة للتحديات الخارجية لدويلات المدن السومرية بظهور الفكر الوحدوي لدويلات مدنه.

التسمية والالقاب:

اطلق السومريون على مكان سكنهم أي الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين اسم ارض سيد القصب (KI.EN.GI) وهو مصطلح من جزئين (KI) التي تعني بلد او مستقر و (ENGI) التي تشير الى الهة الأرض وهو اله مدينة اريدو السومرية، وبذلك يصبح معناه مستقر او بلد الاله انكي (رو، ١٩٨٤، ص ٥٨٥) ، ان هذه التسمية الشاملة على المنطقة بأجمعها وليس تسمية كل مدينة باسمها دليل على الفكر الوحدوي لدى السومريين ، اذ ان تسمية ارض سيد القصب او بلد انكي الهة المياه توحي لدى الباحث ان السومريين كان لديهم الشعور الجمعي يضمهم و تجمعهم تسمية واحدة.

اخبرتنا الالقاب على تنامي الفكر الوحدوي لدى سكان بلاد الرافدين فلقب ملك كيش تلقب به الكثير من ملوك وحكام دويلات المدن السومرية الذين حكموا في كيش او غيرها من المدن السومرية، تلقب الملك ايتانا بلقب ملك كيش وكذلك الحاكم اي ـ اناتم حاكم لكش الذي منحته اياه الالهة :"اياننا بسبب حبها له فأعطته ملوكية كيش"(سلمان ، ٢٠٠٩، ص ١٤)، ووجد ختم اسطواني يعود الى الملك ميسانبيدا مؤسس سلالة اور الأولى ورد فيه انه ملك كيش، واتخذ هذا اللقب الملك ميسلم كذلك (بوتيرو، ١٩٨٩، ص ٧٩). ويرجع السبب في ذلك ان مدينة كيش كانت تتمتع بالقوة العسكرية وحجم مساحتها الكبير بالنسبة الى بقية المدن السومرية ،فضلا عن انها المدينة التي نزلت بها الملوكية، اذ ان كيش هي صاحبة الحق الإلهي في الحكم، اضافة الى طموحها في انشاء وحدة اكبر سياسيا تتبع فيها الدويلات الصغيرة الدويلة الكبيرة مما ادى الى نمو السلالة الملكية في كيش (باقر واخرون، ١٩٨٠، ص ١٢٥)، ورغم ان الملوكية قد نزلت على العديد من المدن السومرية سواء قبل الطوفان او بعده لكن يبدو ان تميز مدينة كيش بهذا اللقب المهم الذي يشير الى ان من تلقب به كأنما اخضع بقية المدن السومرية له سواء كان شكليا او فعليا.

هناك عدة اسباب في اشتهار مدينة كيش ومحاولتها فرض الوحدة بالقوة على بقية دويلات المدن السومرية، منها طبيعة سكانها ومساحتها الواسعة ومحاولتها للتوسع على حساب جيرانها اضافة الى نزاعها الداخلي مع اوما و ونزاعها الخارجي مع مدينة عيلام لكن يبقى السبب الاهم في تميز هذه المدينة كونها من اكبر المدن السومرية الجزرية فهي خليط من العرقين على حد سواء(السومري، والجزري).

ورغم ذلك نعلم ان الكثير من المدن السومرية لم تكن راضية بهذه السيطرة ، و حاولت التخلص من سيطرة مدينة كيش عليها او محاربتها للتخلص من تبعيتها لها ،"**علينا الا نخضع لبيت كيش بل نحارب بالسلاح**"(باقر، ١٩٨٠،ص ١٩٤).

اتخذ الحكام السومريين القابا اخرى منها ملك سومر، ولقب ملك البلاد، وأول من اتخذ هذه الألقاب هو الحاكم لوكال زاكيزي (سلمان، ٢٠٠٩، ص ١٤)، وكذلك من الألقاب الأخرى التي اتخذها الحكام السومريين ملك اور فضلا عن ملك الجهات الاربعة وحاكم سومر (الجادر، ١٩٨٥، ص١٢٠).

ومن هذه الألقاب التي اتخذها ملوك المدن السومرية يتراءى ان تطور النظام السياسي وجنوحه نحو الوحدة والقضاء على التفرقة كان متبلورا لدى فكر حكام دويلات المدن السومرية، فتلقبهم بلقب ملك كيش اشهر المدن السومرية او لقب ملك الجهات الأربعة دلالة على محاولة ايجاد فكرة توحيد جميع الأراضي السومرية وغير السومرية و ان فكرة البلاد يجب ان تتوحد وفق نظام سياسي يجمع جميع الممالك، كي يتم القضاء على التفتت او التشرذم الذي كانت عليه هذه المدن، ويجب ان تخضع هذه المدن ولو بصورة غير مباشره او مباشرة الى حاكم واحد بتفويض من الالهة الرئيسية التي منحته حق الحكم المطلق على جميع دويلات المدن السومرية.

ونرى في ملحمة كلكامش هذه الرؤية الوحدوية على لسان كاتب الأسطورة، فالإله انليل قد اختار لملوكية بلاد سومر الملك كلكامش وحسب النص الذي ورد في اسطورة كلكامش "**قال انكيدو الى كلكامش ، انت الابن الاوحد ولدتك امك بقرة الاسوار الوحشية الربة ننسون، ان رأسك عال فوق الجميع وقدر اليك انليل الملوكية على البشر**" (سليمان والأحمد، ١٩٧٨، ص ١٣٢).

الملوكية ودورها في التوحيد السياسي(جداول اثبات الملوك السومريين):

تعتمد الملوكية من وجهة نظر سكان بلاد الرافدين على العناصر الحاسمة لوجودها وتكوينها واستمرارها، وعلى راس الملوكية السياسة والدين والبيئة، فالآلهة هي صاحبة السلطة والسيادة في مختلف جوانب الحياة منذ بدء الخليقة(سليمان، ١٩٩١، ص ٢٨)، ومن هنا نرى ان للآلهة الدور الحاسم في الجانب الوحدوي لسكان العراق القديم، فالآلهة عامل توحيد لا تشتيت فعبر سكان بلاد الرافدين عن افكارهم عن الملوكية بأنها نزلت من السماء، وان هناك ملك معين من قبل الالهة وعلى الجميع اتباعه، فهو رمز التوحيد لمعبوديه أينما استقروا في أي مدينة من مدنهم المختلفة، فالألوهية هي من تعطي الملوكية فالإله انليل كبير الالهة هو الذي يمنح الملوكية لمن يريد بقرار من بقية الالهة، فالملكية قد ارتبطت بصفات الاله انليل، و انليل اول من اصبح ملكا في السماء "الهة البلاد انو، انليل وانكي عقدوا مجلسا، اخذ انليل استشارة الالهة، في وسطهم اجلسوا الاله شمس، في وسطهم اجلسوا الالهة الكبيرة للآلهة ، اذ سابقا الملكية لم تكن قد وجدت في البلاد واعطي الحكم الى الالهة".(الشواف، ١٩٩٧، ص ٣١٨)

كان بلاد الرافدين مقسما الى دويلات مدن ولكل دويلة مدينة مركز للمدينة وقرى تابعة لها كما لها معبدها الخاص واراضيها الخاصة بها، فالآلهة هي صاحبة السلطة العليا لتلك المدن والملوك هم من ينوبون عن الالهة في حكم المدن بالعدل والانصاف(كريمر، ١٩٥٧، ص ٥٦)، "بعد ان نزلت الملوكية من السماء، وبعد ان انزل التاج والعرش الخاصان بالملكية من السماء ...واعطيت الملوكية لمدينة اريدو الى نوديمود الحاكم والثانية الى بادتيبرا..."(كريمر، ١٩٥٧، ص ٢٥٤).

ترتب على نزول الملكية من السماء واعطائها الى البشر، التشابه في الحكم، فكما ان الالهة كانت متعددة ومتنوعة ومختلفة القوى، كانت هناك مدن متعددة وحكام مختلفي القوى، فكأنما مجمع الالهة الارضي هو نسخة طبق الاصل من مجمع الالهة السماوي، ولكن وحسب رؤية الالهة يجب ان يكون هناك حاكم رئيس تخضع له كل المدن كي يكون مشابها لمجلس الالهة، و كما ان هناك اله رئيس تستمع وتخضع له بقية الالهة، ويقدمون له النصح والمشورة يجب ان يطبق الامر نفسه على النظام السياسي في الارض وعندما لم يحدث

ذلك، غضبت الالهة على البشر واحدثت الطوفان، وان سبب الطوفان هو الفوضى، و نظره على اسطورة الطوفان نجد ان التجزئة و التشتت بالأساس كان هو السبب في حدوثه :" جمع انليل مجلس الالهة وقال مخاطبا ابناءه الالهة، لقد اصبح ضجيج البشر شديد علي ... ولم يغمض لي جفن بسبب ضجيجهم، فلينتشر الوباء بين الناس وليقضي الاله نمتار على صخبهم، ولتفتك الامراض والاوبئة بهم".(يحيى، ٢٠٠٩، ص ٣٤٦) ، اذا سبب الطوفان والقضاء على البشرية كان بقرار من الالهة، وكما واضح من النص ان القصد هو الضجيج والضوضاء التي اثارها البشر لذلك غضبت الالهة منه وقررت القضاء عليهم، لكن يبدو ان عدم وجود حكومة مركزية تلجم هؤلاء البشر وتجمعهم تحت سلطه واحدة وتقضي على الفرقة بينهم كانت من اهم الأسباب التي جعلت الالهة تحاول انهاء البشرية، ويمكن الاستنتاج ان عدم وحدة دويلات المدن وخضوعها لحاكم واحد ينهي هذه الخلافات والنزاعات كان نتيجته عدم ظهور نظام او قانون ينظم الحياة اليومية لسكان دويلات المدن مما ادى الى ضجيج اغضب الآلهة فأخذت قرار ابادته، فوجود ملك حاكم لكل تلك الدويلات سيجعل نظام الحكم في بلاد الرافدين مشابه الى نظام الحكم في مجمع الالهة، اذ سيكون هناك ملك حاكم كما يوجد الهه رئيس ، وهذا الملك هو من سيخضع له جميع الحكام البقية كما تخضع للإله انو بقية الالهة. ومما يدعم هذا الراي ان الاله انكي او أيا قد افشى سر الطوفان الى احد البشر وهو البشري زيوسودرا، " تدبر انكي واخبر احد البشر، اذ عمد زيوسودرا الى بناء الفلك ... وانقذ زيوسودرا، واصطفى زيوسودرا من قبل الاله انو وانليل ووهباه الحياة وبقى خالدا".(كريمر ، ١٩٥٧، ص ٢٥٨) ومن هنا نستشف ان الالهة قررت بقاء احد البشر مع من اطاعه او صدق بالنبوءة، فضلا عن بقاء الحيوانات، مما يظهر ان الالهة لم ترد القضاء على البشر بقدر القضاء على الضوضاء والفوضوية الذي كان عليه البشر، وانها اختارت احد البشر من اجل بقاء العنصر البشري . فضلا عن محاولة الالهة وكما هو موجود في التفكير القديم الوحدة من اجل التشبه بوحدة الالهة او القضاء على جميع الدويلات التي كانت في تناحر، لذلك كان الطوفان حدا فاصلا بين مرحلتين زمنيتين مختلفين، وهما اما الوحدة او القضاء على جميع السكان.

فلسفة الوحدة في الفكر السياسي لحكام دويلات المدن السومرية:

درج البشر من خلال خبراتهم المتوارثة على محاولة لفهم كل ما حولهم. ومن خلال الممارسات الانسانية تتبلور افكار عن اسباب الوجود والخلق، ليطور من منظوره الخاص و تجاربه على ارض الواقع وكل حسب بيئته، قصة دينية عن فهمه لكل ما يحدث حوله. وبالضرورة يعممها حسب تصوره على الوجود، وتتطور القصص او الاسطورة الى قصص الخلق، والكيفية التي تمت بها هذه القصة، ومن ثم يتحول الى الحكم ومفهوم نشوء الكيانات السياسية، ليتغير فكره السياسي فيما بعد نشوء الكيانات بسبب مواجهة التحديات التي تصيغ برنامجه للحكم والدولة، ثم يضع التطورات الكبيرة التي تحصل لهذه الكيانات ـ مدن، او ممالك، او دول ـ واقعا في تطور افكاره عن الحكم والفكر السياسي، وكان هذا المفهوم حاضرا في دويلات المدن التي نشأت في عصر فجر السلالات الذي امتد من (٢٨٠٠ ـ ٢٤٠٠ق.م) ونخص هذه الحقبة لأنها تمثل مرحلة التاريخ بظهور الكتابة في حوالي ٣٥٠٠ق.م، ولحين تطورت الافكار واصبح هناك نضوج لتوثيق الاحداث، وصلنا الكثير من الافكار في كل ما يشغل فكر الانسان الذي يعيش في هذه المنطقة، والذي يهمنا من كل ذلك الافكار السياسية والكيفية التي تطور منها مفهوم الوحدة موضوع البحث والاستعانة بنصوص القصص الدينية المعبرة عن واقع الانسان كما مر بنا سابقا، ففي بداية حياته ان كل ما يجري ما هو الا محاكاة لمجمع الهي خلق الارض وصوره على ما موجود في السماء بمعنى ان كل ما موجود في الارض من خلق ومدن وحكم وملكية وامور اخرى هي بالأصل محاكاة لما موجود في مجمع الالهة في السماء.

ومن النصوص السومرية التي وصلت هي جداول اثبات الملوك السومريين ان اهم ما يميز تلك المرحلة من الناحية السياسية ان منطقة السومريين في جنوب العراق كانت عبارة عن دويلات مدن مجزئة كل مدينة فيها، مستقلة ومنفصلة عن المدن الاخرى تتصارع فيما بينها على الاراضي الزراعية ومصادر مياه الري(باقر، ٢٠٠٩، ص٣١٧)، وكثيرا ما كانت تتضارب مصالح هذه المدن مع ما تتطلبه المدن من تنظيم شؤون الادارة، والري، والتجارة الخارجية التي كانت ذا اهمية كبيرة لازدهار المدن وتطور مدنيتها وكل هذا بالتأكيد يصب

عكسيا في قيام وحدة سياسية بين هذه الدول بل يكاد التفكير به اسطورة من الاساطير الملحمية.

وبالرغم من ذلك نجد ان تحديات الجغرافية والتحديات الداخلية والخارجية جعلت الفكر السياسي للحكام يجنح الى محاولات الوحدة مع الوعي ان الطموح الشخصي للحكام موجود لكن هذا لا يعني استبعاد محاولة القضاء على كل ما يضعف وحدة المدن والوصول الى اهم نقطة تشكل قوة الارتكاز في الانطلاق الى صنع الحضارة كانت الوحدة حجر الارتكاز فيه.

ولعل اقدم الملوك الذين حاولوا توحيد البلاد دون معرفة منطقة نفوذه واين وصل في سيطرته على البلاد هو الملك ايتانا الراعي ملك مدينة كيش اذ ذكر في جداول اثبات الملوك انه وطد جميع البلاد(باقر، ٢٠٠٩، ص٣٢١) و يصف طه باقر هذه العبارة بأنها حقيقة تاريخية تفيد في اتساع حكم الملك و نضيف بأنها قد تكون البدايات الاولى لتطور النظام السياسي نحو محاولة ايجاد صيغة لتوحيد البلاد ليس بالمعنى الحرفي لكلمة التوحيد لكن على الاقل ظهور اشارة تدل على خطوة جديدة غير متبعة سابقا خاصة وان ايتانا الراعي صعد الى السماء ونزل ومعه التاج الملكي والصولجان وعصا الراعي وهي اشارات الملوكية فهل عنت الاسطورة انه اول ملك بعد الطوفان؟ اضافة الى عروجه الى السماء كان من اسبابه الحصول على نبتة الانجاب لان امرأته عاقر ويبدو انه نجح في مسعاه فخلفه على الحكم ابنه باليخ.(باقر، ٢٠٠٩، ص٣٣٦)

اشارت النصوص الى شخصية اخرى في عصر فجر السلالات كان له شأن كبير نتيجة نفوذه الواسع بالرغم من انه لم يدخل في جداول اثبات الملوك رجح باقر بانه حكم جميع ممالك المدن السومرية :" حكم القطر كله".(باقر، ٢٠٠٩، ص٣٣٨) او مدينة ما حتى اطلق البعض على الطور الذي حكم فيه بعصر ميسلم (باقر، ٢٠٠٩، ص٣٣٨) وبعيدا عن الترجيحات فمحاولاته لفض نزاع اوما ولكش وصفت بالتاريخ بأنها اقدم وساطة والراجح انهم حكام كانوا تحت نفوذه، ووصل الى مدينة ادب وكذلك ذكر في نص المصالحة على حجر الحدود اسم الاله ستران وهو اله مدينة دير على الحدود قرب عيلام في منطقة بدرة الحالية وقد تعني ان سلطاته امتدت الى هذه المدينة، ان محاولات ميسلم الحثيثة نحو الاستقرار وتوحيد كلمة المدن ونبذ المنازعات الداخلية ماهي الا دلالة على ظهور وعي

بحاجة هذه الدويلات لتوحيد كلمتها، اذ ما ارادت التطور نحو المدنية والازدهار الحضاري. وقد استعرضنا اعلاه الالقاب وماذا تعني مدلولاتها فلو لم يصح قول باقر في احتمالية اسمه قد يكون ثاني اسم والذي ظهر مخروما في سلالة كيش في جداول اثبات الملوك نرجح انه لقب يشير الى امتداد سلطانه الى مناطق واسعة وهذا حذو جميع حكام عصر فجر السلالات حين يمدون نفوذهم على المدن الاخرى (باقر، ٢٠٠٩، ص٣٣٩. و انظر التسمية والالقاب في البحث نفسه).

تتجدد الاشارة الى حكام حملوا لقب ملك كدلالة على النفوذ وتنامي السلطات. فالحاكم مسكيكاشر مؤسس سلالة الوركاء اتخذ هذا اللقب "وذهب الى البحر وارتقى الجبال"، لكن الاشارات لم ترد فيها مناطق النفوذ او المدن التي كانت تابعه له. وان ابنه وخليفته في الحكم اينمركار صاحب الاعمال البطولية والذي مر الكلام عنه سابقا كان قد حاول اخضاع حاكم اراتا العيلامي سلميا او بالحرب كي يؤمن المواد الاولية التي تحتاجها مدينة الوركاء ولان اراتا تقع على طرق القوافل التجارية التي تؤدي الى هذه المواد كان يجب ضمها الى سلطانه(باقر، ٢٠٠٩ ص٣٤٠) وهنا نشير الى تطور اخر في النظام السياسي وشكل نظام الحكم في دويلات المدن السومرية الذي سمح لمن يحكم من بعده ان يفكر بتوسيع نفوذه بعد توحيد الممالك على حساب مناطق خارجة عن حدود القطر ليضمن اولا طرق التجارة وامداداتها وثانيا لحماية الحدود من الاعتداءات الخارجية كما فعل سرجون الاكدي مثلا وملوك السلالات من بعده. وهو تحول ليس بالضرورة ايجابيا لأنه اعطى للأقوام المجاورة الحق بإحتلال بلاد الرافدين كلما ضعفت حكومته المركزية.

وذكرت جداول اثبات الملوك محاولات اخرى لتوحيد ممالك دويلات المدن السومرية جاءت على يد مؤسس مدينة اور وحاكمها ميسانيبدا الذي فرض سيطرته على مدينة نفر المقدسة وانتزعها من يد نفوذ مدينة كيش و يحتمل انها دخلت ضمن حكمه واتخذ لقب كيش كدلالة لتوسع سلطاته على دويلات المدن السومرية(باقر، ٢٠٠٩، ص٤٤٤ ـ ٤٤٥). وتستمر الاشارات بعد الملك ميسانيبدا عن ملوك فرضوا محاولاتهم لتوحيد المدن السومرية و اشار البعض بوصول فتوحاتهم الى جبال زاكروس كالملك آنيموندو حاكم مدينة ادب الذي اشار في كتاباته عن عدد الحكام التابعين له في كل من بلاد عيلام وبلاد الكوتيين(باقر،

٢٠٠٩، ص٤٤٦). اما الملك اياناتم والذي لم تذكر اخباره في جداول اثبات الملوك انما وصلتنا عن طريق سجلات مدينة لكش نفسها والتي ذكرت بأن مدينة لكش بلغت في عهده من الازدهار والتوسع كونها بسطت نفوذها على جميع بلاد سومر وذكر اياناتم في كتاباته بأنه حصل على ملوكية سومر واتخذ على عادة الملوك الذين يسيطرون على دويلات المدن السومرية لقب ملك كيش واستطاع الانتصار على مدينة عيلام بعد توطيد حكمه، الا اننا نجد اشارة جديدة للتوسع خارج حدود الدولة وهو التوسع نحو الشمال الغربي للبلاد فسيطر على مملكة ماري وبلاد السوبارتو (باقر، ٢٠٠٩ ص٣٥١)، وهو منحى جديد في التوسع في النظام السياسي لدويلات المدن السومرية بعد ان كانت المناطق الشمالية الشرقية هي مناطق توسعه نرجح اسباب هذا التغيير الى ايجاد طرق تجارية جديدة او ايجاد مناطق جديدة للمواد الاولية التي تحتاجها دويلات المدن السومرية.

لوكال زاكيزي وحلم الوحدة:

كان حاكم مدينة اوما الملك لوكال زاكيزي اخر حاكم لدويلات المدن السومرية ،حكم مدة (٢٥ عاما)، ويعد اول ملك نجح في تحقيق الوحدة لدويلات المدن السومرية شملت منطقة نفوذ تمتد من البحر السفلي (الخليج العربي) الى البحر العلوي (البحر الابيض المتوسط) (الشيخلي،١٩٨٨، ص ٣٣)، لقد استطاع لوكال زاكيزي بفضل قدرته العسكرية الفذة وبراعته في الحرب والقتال من الانتصار على اقوى حكام مدينة لكش اورانميكينا (اوروكاجينا)، اذا سيطر لوكال زاكيزي على المدينة بعد نزاع لمدة ١٠٠ عام وأصبحت لكش واما دولة واحدة. (بوتيرو واخرون، ١٩٨٥، ص٩١)

وبعد ان احكم لوكال زاكيزي سيطرته على مدينة كيش، بدأ زاكيزي في الدخول في صراعات عديدة من اجل ضم المدن السومرية الأخرى، ومن اجل ذلك ادعى بانه ابن الالهة وحبيبها من خلال الصلاة والتوسل للآلهة وتقديم النذور لها، ولقب نفسه بلقب رسول الاله نيسابا (الأحمد، ١٩٧٥، ص٢٧٧)، ويبدو ان فكرة توحيد المدن السومرية قد اختمرت في ذهن الملك لوكال زاكيزي، منطلقا من الارهاصات القديمة للوحدة، لذلك كانت نتيجة اعماله هي محاولة تحقيق الوحدة لكل الدويلات وليس بين مدينتين، منطلقا من الإرث التاريخي لدويلات المدن السومرية. فأتجه زاكيزي بعد اخضاعه مدينة كيش الى مدينة اور واستطاع

السيطرة عليها ولقب نفسه بملك اور، فضلا عن ملك مدينة اريدو وادابا (بوتيرو واخرون،١٩٨٨، ص ٩٣)، كما استولى على مدينة الوركاء واسس السلالة الثالثة فيها ولقب نفسه بملك اوروك او الوركاء (باقر واخرون، ص١٣٥)، وبدأ لوكال زاكيزي يأخذ القابا اكثر شمولية بعد سيطرته على تلك المدن واتخذ لنفسه لقب ملك كيش.(سلمان ،٢٠٠٩، ص ١٥)

وبعد ان سيطر زاكيزي على جميع المدن السومرية في الجنوب، بدأ في الاتجاه نحو الأراضي الشمالية والشمالية الغربية لبلاد الرافدين، اذ سيطر على مدينة نفر ولقب نفسه بلقب اشاكو انليل (أي خادم الاله انليل) ، واهدى الى معبد الاله انليل في نفر بعض الاواني والاوعية مكتوبا عليها انه سيطر على المنطقة الممتدة من البحر السفلي الى البحر العلوي(الفتيان، ٢٠١١، ص ٤٩).

احكم الملك لوكال زاكيزي سيطرته على بلاد سومر و جعل حكمها تحت سلطة مركزية واحدة، لذلك تعددت القابه لإضفاء الشرعية على حكمه لدويلات المدن السومرية ومن هذه الألقاب وزير الاله سين، ملك البلاد، وملك الإقليم (لوكال كالاما)، ووكيل الاله انو،(بوتيرو واخرون، ١٩٨٨، ص ٩٣) ومن هذه الالقاب الجديدة او التي استحدثها لوكال زاكيزي، نرى انه رغم احتفاظه بالألقاب القديمة مثل لقب ملك كيش واريدو، أضاف لنفسه القاب جديدة كدلالة على سيطرته على جميع انحاء البلاد الذي لم يسبقه اليها اي ملك سومري او سلالة سومرية سوى من اتى من بعده واولهم سرجون الاكدي، كما تدل على انه أراد ان يظهر لسكان الدويلات السومرية مقدرته على الحكم وانه مفوض من قبل الالهة.

ويمكن القول ان عهده هو عهد ترسيخ الوحدة الوطنية عن طريق وحدة دويلات المدن السومرية أي بداية ظهور السلطة المركزية وبدايات تأسيس نواة لحكم يشمل اغلب المدن انذاك(سلمان، ٢٠٠٩، ١٥٩)، "**عندما اعطى انليل ملك البلدان جميعها ملوكية البلاد للوكال زاكيزي، وعندئذ لم يبق للإله انليل أي منافس له فأستلقى في ظل حكمه جميع الأقاليم بسلام، وابتهجت البلاد في عهده وانحنى جميع رؤساء سومر وحكام الأقطار الأجنبية كلها امامه في مدينة الوركاء، واور كأنها ثور تشمخ برأسها نحو السماء ولارسا**

مدينة اله الشمس اتو المحبوبة، تطلق صيحات الفرح واوما مدينة شارا المحبوبة ترفع سواعد عظيمة"(سلمان، ٢٠٠٩، ص ١٥).

لم يكن احكام سيطرة لوكال زاكيزي بقبضته على مختلف دويلات المدن السومرية بالأمر الهين، اذ كان الامر الأكثر صعوبة هو المحافظة على تلك السيطرة، فضلا عن مواجهة الاخطار الخارجية، وبالفعل نجحت محاولة التوحيد مدة خمسة وعشرون عاما بيد ان ظهور ملك منافس واكثر طموحا من لوكال ادى الى نهاية حكم لوكال زاكيزي في حدود عام ٢٣٧٠ق.م (سلمان ، ٢٠٠٩، ص ١٥)، "**دحرت اوروك ونقلت ملوكتيها الى اكد وفيها حكم سرجون كان ابوه بستانيا** "(علي، ١٩٨٩، ص٤٨).

ان الملك سرجون الاكدي بعد ان بسط سيطرته التدريجية على بلاد الرافدين ومن ثم الالتحام مع لوكال زاكيزي والانتصار عليه ودخول مدينة الوركاء بعد ان هدم اسوارها (رشيد، ١٩٨٥، ص ٢٤)، نفذ المفهوم الاول للفكر الوحدوي في بلاد الرافدين وهو دولة القطر الواحد اول منفذها الملك لوكال زاكيزي لكن طموح الملك سرجون كان اكبر واسمى في تأسيس كيان اشمل يقود نحو الازدهار وحماية البلد من كل اعتداء وذلك بالتوسع الى خارج حدود دولة القطر الواحد ليصبح مؤسس لمفهوم جديد في العالم هو مفهوم (الامبراطوري العالمي) ويصبح هو اول امبراطور في تاريخ العالم القديم والحديث.

الاستنتاجات :

١-لكل نتيجة عدة عوامل، وان نتيجة الوحدة في بلاد الرافدين يعود الى عدة عوامل ، كان منها عوامل داخلية وهي الاعم، وعوامل خارجية نبهت الى ضرورة الوحدة.

٢-من اهم عوامل الوحدة في ابلاد الرافدين كان العامل الجغرافي المتمثل بنهري دجلة والفرات فضلا عن العامل الجغرافي المتمثل بالأراضي المنبسطة والمتصلة بلا حدود.

٣-ساهم الدين والاقتصاد مساهمة فعالة في ايمان من سكن هذه المنطقة بالوحدة .

٤-بالرغم من عدم نجاح المحاولات العديدة التي قام بها الكثير من حكام دويلات المدن السومرية في سبيل توحيد البلاد الا انها ساهمت في بلورة النواة الاولى لتلك الفكرة.

٥-برهن اللقب في الطور الثاني والطور الثالث لعصر فجر السلالات كدلالة على سعة سلطان هؤلاء الحكام على باقي دويلات المدن الاخرى.

٦-تطورت الألقاب الملكية لاحقا ولم يعد ملك كيش يرمز الى حكام مدينة واحدة، وانما ظهرت القاب تدل على النزوع نحو الوحدة للمجتمع افي بلاد وادي الرافدين، ومنها ملك اور والوركاء وملك سومر.

٧-كان الطوفان حدا فاصلا بين مرحلتين مختلفتين في التاريخ ابلاد الرافدين ، فأما إقامة الوحدة والخضوع لحاكم واحد على شاكلة الالهة او الموت والدمار.

٨-وفي نهاية عصر فجر السلالات نجح الملك لوكال زاكيزي في تنفيذ مشروع الفكر الوحدوي لدويلات المدن السومرية ووضع النواة الاولى للفكر السياسي الجديد عنوانه (دولة القطر الواحد) مما ادى الى فسح المجال لمن جاء بعده بتطوير فلسفة الوحدة في النظام السياسي لمنظومة اشمل وهي الامبراطورية ليكون سرجون الاكدي اول منفذيها بتأسيسه اول امبراطورية في تاريخ العالم شملت أراضي واسعة من ضمنها سوريا وايران وتركيا بعد توحيد دويلات المدن في دولة القطر الواحد.

الهوامش والمصادر:

١- الأحمد، سامي سعيد، السومريون وتراثهم الحضاري، (بغداد، دار الحرية، ١٩٧٥).

٢- الأحمد، سامي سعيد، المدخل الى تاريخ العالم القديم، ج١، (بغداد ،مطبعة الجامعة، ١٩٧٨).

٣- باقر، طه، ملحمة كلكامش، ط٤، (بغداد، دار الشؤون الثقاغية،١٩٨٠).

٤- باقر، طه واخرون تاريخ العراق القديم الساسي، ج١، (بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٠).

٥- بوتيرو، جان واخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، تر:عامر سليمان، (الموصل، دار الكتب، ١٩٨٥).

٦- الجادر، وليد، التجمعات الزراعية الأولى ـ بحث ضمن كتاب المدينة ـ (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥).

٧- الخلف، جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، (القاهرة، بلا.م، ١٩٦١).

٨- رشيد، فوزي، الجيش والسلاح، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، ج٢، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٨).
٩- سلمان، حسين احمد، كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، (بغداد، مكتبة مصر والمرتضى، ٢٠٠٩).
١٠- سليمان ،عامر والفتيان، احمد، محاضرات في التاريخ القديم، (الموصل، دار الكتب للطباعة، ١٩٧٨).
١١- سليمان، عامر، اللغة الاكدية (البابلية -الاشورية)، (الموصل، دار الكتب،١٩٩١).
١٢- الشواف، قاسم، ديوان الاساطير، ج٢، (بيروت ، دار الساقي، ١٩٩٧).
١٣- الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، التحديات في العصر البابلي القديم، ضمن كتاب العراق في مواجهة التحديات، ج١، (بغداد، دار الحرية، ١٩٨٨).
١٤- الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، (بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١).
١٥- علي، فاضل عبد الواحد، من الواح سومر الى التوراة، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩).
١٦- الهاشمي، رضا جواد، اثار الخليج والجزيرة العربية، (بغداد، مطبعة جامعه بغداد، ١٩٨٠).
١٧- يحيى، أسامة عدنان، عصر الالهة دراسة في اساطير وادي الرافدين، (بغداد، مكتبة مصر والمرتضى، ٢٠٠٩).

الدور الاقتصادي لكارل توتشيل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٤-١٩٤٨

م. د. أمين ياسين عباس العيساوي
جامعة الانبار- كلية الآداب
ameenissawe@uoanbar.edu.iq

الدور الاقتصادي لكارل توتشيل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٤-١٩٤٨

م. د. أمين ياسين عباس العيساوي

الملخص:

استدعى الملك عبدالعزيز آل سعود في اواخر العشرينيات من القرن العشرين خبراء ومستشارين اقتصاديين وجيولوجيين امريكيين مختصين ليكتشفوا البلاد بحثا عن المياه الجوفية والمعادن، وقد وجد هؤلاء الاقتصاديين كميات كبيرة من المياه الجوفية ومناجم الذهب والفضة فضلا عن اكتشافهم لحقول البترول في المملكة العربية السعودية، فكان على راس هؤلاء الخبراء هو الخبير الاقتصادي والجيولوجي والمهندس الامريكي كارل توتشيل، فبعد إن قيام بعمليات المسح الميداني لثروات تلك المنطقة أكتشف العديد من المناجم النفيسة ومنها الذهب والفضة، فاستطاع بخبرته الجيولوجية والاقتصادية ان يؤسس شركة سميت بشركة التعدين السعودية، والى جانب اكتشافه لثروات اقتصادية كبيرة في السعودية استطاع ان يكتشف حقولا نفطية كبيرة منها حقلي نفط الدمام والقطيف. اعطت تلك الاكتشافات التي شرع بها الجيولوجي كارل توتشيل دافعا لأصحاب رؤوس الاموال والمستثمرين من الخبراء والاقتصاديين الامريكان التوجه الى المملكة العربية السعودية وعقد الاتفاقيات الاقتصادية معها حول مسالة استخراج وتكرير البترول، تبع عقد تلك الاتفاقيات اتفاقيات مالية وعسكرية اخرى اخضعت جميعها للسياسية الامريكية، وبذلك تمكنت الولايات المتحدة الامريكية بعد حصول شركاتها النفطية على استثمار النفط السعودي من انشاء قاعدة عسكرية لها في السعودية لحماية المصالح الامريكية سميت بـ (قاعدة الضهران). ادت تلك النجاحات والانجازات التي حققها الجيلوجي توتشيل في نهاية المطاف الى اعجاب الملك عبدالعزيز ال سعود بشخصية توتشيل فعينه مستشارا اقتصاديا له، وبهذا استطاع توتشيل تحقيق مكاسب اقتصادية كبيرة لصالح الولايات المتحدة الامريكية، تمثلت تلك المكاسب حصول الشركات النفطية الامريكية على امتياز النفط السعودي وعلى راس هذه الشركات هي شركة نفط ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا، وبدورها فتحت باب النفوذ الامريكي في منطقة

الخليج العربي وتحديدا المملكة العربية السعودية وسحب البساط من تحت النفوذ البريطاني الذي فرض سيطرته على منطقة الخليج العربي لاكثر من مائة وخمسون عام.

The Economic Role of Karl S. Twitchell in Saudi Arabia, 1934–1948

Dr. Ameen Yassin Abbas Al Essawi
University of Anbar- College of Arts

Abstract:

In the late 1920s, King Abdulaziz Al Saud invited American economic, geological, and engineering experts to explore the Kingdom in search of underground water resources and minerals. These experts discovered significant quantities of groundwater, as well as mines rich in gold and silver. Moreover, they uncovered oil fields in the Kingdom of Saudi Arabia. At the forefront of these experts was the American economist, geologist, and engineer, Karl Twitchell.

After conducting field surveys of the region's natural wealth, Twitchell discovered several valuable mines, including those of gold and silver. With his geological and economic expertise, he was able to establish what became known as the Saudi Mining Company. In addition to his discovery of vast economic resources, he also identified major oil fields, including the Dammam and Qatif oil fields.

These discoveries initiated by Twitchell provided strong motivation for American investors and economic experts to turn their attention to Saudi Arabia and to begin signing economic agreements related to the extraction and refining of oil. These economic agreements were later followed by financial and military agreements that aligned with American strategic interests. As a result, after American oil companies secured the rights to invest in Saudi oil, the United States was able to establish a military base in Saudi Arabia—known as Dhahran Air Base—to protect its interests in the region.

The remarkable achievements of geologist Karl Twitchell eventually drew the admiration of King Abdulaziz Al Saud, who appointed him as his economic advisor. Through his efforts, Twitchell succeeded in securing major economic gains for the United States, most notably granting American oil companies—foremost among them Standard Oil of California—the concession to develop Saudi oil.

This, in turn, opened the door to growing American influence in the Arabian Gulf region, particularly in Saudi Arabia, and effectively marked the beginning of the decline of British dominance, which had prevailed over the Gulf for more than 150 years.

المقدمة:

تكمن اهمية المنطقة العربية في ثرواتها وخيراتها والتي دفعت بالقوى الاجنبية الاوربية الى التسابق في ما بينها للحصول على اكبر قدر ممكن من هذه الثروات، بعد ان اصبحت شبه الجزيرة العربية محط انظار للنفوذ الامريكي والبريطاني الذي اظهر تنافسه الشديد من اجل السيطرة على المقدرات الاقتصادية التي تمتلكها المملكة العربية السعودية، ولعل من بين الاشياء التي جرى التنافس عليها وبشدة هو ظهور النفط، اذ شكل ظهوره في المنطقة اول نقطة للتنافس بين الشركات النفطية الامريكية والبريطانية عندما تفجر النفط بكميات كبيرة في البحرين، مما دفع اطماع الدول الغربية في ثروات البلاد العربية وخاصة في منطقة الخليج العربي، على اثر ذلك بدأت تلك الدول المتنافسة ارسال مبعوثي حكوماتها الى امراء وحكام الخليج العربي للتفاوض معهم من اجل النفط وكان من بين هؤلاء المبعوثين هو الخبير الجيلوجي والمهندس الامريكي كارل توتشيل الذي قدم الى المملكة العربية السعودية مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، فادى دورا مهما وكبيرا في مجال اكتشاف النفط والتنقيب عن المعادن والمياه الجوفية بعد اجراء المسوحات الميدانية التي قام بها لكافة مناطق المملكة، فكان لدوره الاقتصادي الاثر الكبير في التنمية الاقتصادية السعودية، تجسد ذلك من خلال نجاحه في التنقيب عن النفط واكتشافه حقولا نفطية كثيره في البلاد.

ادت تلك النجاحات والانجازات التي حققها الجيلوجي توتشيل في نهاية المطاف الى اعجاب الملك عبدالعزيز ال سعود بشخصية توتشيل فعينه مستشارا اقتصاديا له، وبهذا استطاع توتشيل تحقيق مكاسب اقتصادية كبيرة لصالح الولايات المتحدة الامريكية، تمثلت تلك المكاسب حصول الشركات النفطية الامريكية على امتياز النفط السعودي وعلى راس هذه الشركات هي شركة نفط ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا، وبدورها فتحت باب النفوذ الامريكي في منطقة الخليج العربي وتحديدا المملكة العربية السعودية وسحب البساط من

تحت النفوذ البريطاني الذي فرض سيطرته على منطقة الخليج العربي لأكثر من مائة وخمسون عام.

احتوى البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة: استعرض **المبحث الاول:** السيرة الذاتية لكارل توتشيل ودوره كخبير اقتصادي، مكتشفا بذلك لكثير من المعادن والمياه الجوفية ومنها الذهب والفضة في المملكة العربية السعودية. **اما المبحث الثاني:** الذي حمل عنوان كارل توتشيل ودوره الاقتصادي في المملكة العربية السعودية، فقد سلط الضوء على طبيعة العلاقات الامريكية السعودية في مجال الحصول على الامتيازات النفطية فيها، ولا سيما اظهار طبيعة التنافس الامريكي البريطاني على نفط السعودية وكيفية توظيف تلك المصالح النفطية لصالح الشركات النفطية الامريكية، بالإضافة دوره (توتشيل) في المفاوضات وعقد الاتفاقيات مع المستشارين الاقتصاديين الامريكان امثال فرانك هولمز وتشارلز كرين وجون فلبي وابراز دوره في حصول الشركات الامريكية على مبتغاها. **اما الخاتمة:** فقد اودعتها اهم النتائج والتوصيات التي توصلت اليها خلال استعراض موضوع الدراسة، والتي اظهرت الدور الكبير والمهم الذي لعبه الجيلوجي والمهندس الامريكي كارل توتشيل في المملكة العربية السعودية.

المبحث الاول

السيرة الذاتية لكارل توتشيل ودوره كخبير اقتصادي

كارل توتشيل: جيلوجي و مهندس امريكي ولد عام ١٨٨٥ في الولايات المتحدة الامريكية، درس هندسة التعدين والجيولوجيا في امريكيا وكندا ويعد، اول جيلوجي امريكي عمل في المملكة العربية السعودية منذ بداية تكوينها واكتمال وحدتها على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز آل سعود، اسس نقابة وشركة التعدين السعودية عام ١٩٣٧ التي قامت بالتنقيب عن معادن الذهب والفضة في الحجاز، حصل توتشيل على امتياز التنقيب عن المعادن من الحكومة السعودية عام ١٩٣٤، وتوفي عام ١٩٦٨.

ان شركة التعدين التي اسسها توتشيل كانت بتمويل من المستثمرين البريطانيين والامريكان يتألف راس مالها من عشرين الف جنية إسترليني أي ما يعادل مائة الف دولار امريكي، قسمت اسهم هذه الشركة الى عشرين الف سهم بلغت قيمة السهم الواحد جنية استرليني وهو ما يعادل خمسة دولارات[١] .

ان الامتياز الذي حصل عليه توتشيل للتنقيب عن المعادن بدا سريانه عام ١٩٣٧ وحُددت مدته ٥٨ عام، وقد قدرت كمية الخام المستخرج من منجم الذهب ٩٠٠ الف طن انتجت حوالي (٥،٧) اوقية ذهب و١٠٠٢ اوقية فضة، وفي عام ١٩٣١ قابل السيد تشارلز كرين رجل الاعمال الامريكي الجيولوجي توتشيل فطلب منه الملك عبدالعزيز آل سعود ارسال خبير جيولوجي للبحث عن الماء والمعادن في الحجاز، ذلك لان الملك عبدالعزيز كان يخطط للأخذ بأساليب الحضارة العصرية في مجال الزراعة، من اجل النهوض بالاقتصاد السعودي، وسرعان ما استجاب السيد كرين لطلب الملك ووقع اختياره على الجيولوجي والمهندس الامريكي توتشيل الذي تراس البعثة الجيولوجية التي وصلت الى السعودية مطلع الثلاثينيات[٢]، واطلعت على اجزاء متفرقه من مناطق المملكة فبعد وصول توتشيل الى السعودية بذل جهودا كبيرة مع فريقه الفني للكشف عن مصادر المياه في المنطقة، واستطاع العثور على عدد من الابار والسدود القديمة واحواض الاودية والواحات لكنه بالمقابل نجح بالكشف عن مواقع التعدين ومنها منجم الذهب النفيس في مهد الذهب ومصايد البترول في الطبقات البعيدة تحت الارض للساحل الشرقي للمملكة، وبذلك قدم توتشيل معلومات مهمة عن تلك الاثار التي استطاع الوصول اليها[٣].

❖ **المعادن:**

ان كثير ما يوجد الذهب والماس في مستودعات الحصاة المسماة بالطمي أي الحصاة المقذوفة من الجبال بواسطة الامطار والرياح، وهذه المعادن توجد دائما بالقرب من عروق احجار هوائية صلبة (كوورتز)، ولا سيما وان كثير من معادن العالم في هذه الاماكن المسماة طمي تم فحص عيناتها قبل الشروع بتركيب أي معدلات من اجل تشغيلها، لذا يمكن القول انه لا يوجد بهذه الاماكن معدن من المعادن الا بعد اجراء اللازم من العمل لأجل معرفة ذلك، ومن الجدير بالذكر ان جميع المعادن تنحصر في موضعين تسمى (لودس وبلاوس) فهي اكبر ثروة العالم المعدنية تستخرج من المعادن المودوعة، كما اكد توتشيل بان المعادن الثمينة والمحتمل وجودها هي الذهب والفضة والرصاص والحديد والبترول يمكن الحصول عليها بسهولة، اما البحث والتنقيب عن النفط في بلاد واسعة كالسعودية يحتاج وقتا طويلا[٤].

كما اكد توتشيل على ان هذه المعادن الثمينة في المملكة العربية السعودية تحتاج الى مختصين بهذا الشأن من اجل الحصول عليها، واخذ عينات منها، فاكد بان جميع الصناعات يتوقع عملها ما لم يتم التنقيب عن المعادن ودراستها، واوضح بان تقدم الولايات المتحدة الامريكية ناتج عن معادنها فلا يمكن ان اشدد بالإلحاح على المساهمة في التنقيب والاستثمار لهذه المعادن في المنطقة، وبذلك قدم تقريره الخاص عن المعادن الصخرية التي فحصها ودرسها في الوقت الذي كانت المملكة العربية السعودية تسعى للحصول على مكاسب اقتصادية، بسبب الضائقة المالية التي تمر بها خلال حكم الملك عبدالعزيز آل سعود والتي تمثلت بقيام الحكومة السعودية بقمع حركة الاخوان في الحجاز عام ١٩٢٦[٥] .

❖ **النفط:**

ان من الملاحظ بان التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية من قبل المستر كارل توتشيل والجيلوجيين الاخرين كان يؤشر لهم وجود البترول في الاقاليم التي تبدا من املج الى المويلح، مما يتطلب ذلك وضع تقارير حول امكانيات وجود النفط فيها، وقبل الخوض في مسالة التنقيب عن النفط لابد من تشكيل فريق عمل جيلوجي يتولى بشكل واسع ودقيق فحص كل الاقاليم السفلى، وذلك من اجل تشخيص الاماكن الاكثر توافقا من اجل حفر الابار الاولية فيها، غير ان ما قام به توتشيل والمستر تشارلز كرين من جهود بالتنقيب عن النفط والمعادن في السعودية كان ذات قيمة واهمية كبيره ادت بالنتيجة الى تحقيق المملكة ثروة اقتصادية كبيره بالنسبة لها[٦].

كما نلاحظ من ذلك انه منذ اكتشاف البترول بكميات تجارية كبيره وهائلة في السعودية رسخت هذه الثروة اركان جسد الدولة والمجتمع رسوخا كبيرا، وادت الى بناء الاقتصاد السعودي، وبذلك بدأت المملكة العربية السعودية بالتعاقد مع الخبراء والجيلوجيين والاقتصاديين وعلى راسهم الجيلوجي الاقتصادي تشارلز كرين الذي لقب نفسه بصديق العرب، نظرا لعلاقته الطيبة مع رجالات الحكم في السعودية والذي نجح بالتواصل مع الملك عبدالعزيز آل سعود واقناعه بالبحث عن البترول والمعادن، فوافق الملك وبدوره بعث تشارلز كرين خبيرا له هو كارل تشوتشيل الذي قام بالتنقيب عن النفط واستطاع اكتشافه في كثير من مناطق المملكة واهم المواقع التي تمكن من كشفها هو موقع الرس[٧].

فبعد ان قضى توتشيل في جزيرة العرب نحو ثمانية عشر شهرا وجد ان التمكينات الجيلوجية في منطقة الظهران تشير بوضوح الى احتمال وجود النفط فيها، وبذلك قدم توتشيل تقاريره الى الملك عبدالعزيز واوضح له ما يحتاج الية البحث عن النفط وماذا سيحدث لو تم العثور عليه، وعلى الرغم من حماسة توتشيل فقد كان ابن سعود مرتابا، لأنه كان لا يزال يعتقد في قرارة نفسه بانه لم يكن هناك الا الصخور التي لا قيمة لها في صحرائه الجرداء، ولكنه وافق على انه اذا كان هناك نفط في بلاده فلا بد من العمل لاستخراجه وبيعه(٨).

وفي الوقت نفسه كان الامير فيصل بن عبد العزيز على وشك السفر لزيارة بريطانيا وبناءا على تعليمات والده الملك عبدالعزيز ذهبت اليه نسخة من تقرير توتشيل، وسلم خلال تلك الزيارة نسخة من هذا التقرير الى بريطانيا وعرض عليها الامتياز كما طلب منه والده ان يمنحها امتياز النفط في الاحساء، وبعد وقت قصير تسلم الملك عبدالعزيز آل سعود برقية من السفارة البريطانية في جده تفيد بأن الحكومة البريطانية تشكره على عرض الامتياز لها لكنها ليست راغبة فيه(٩).

ونظرا لأهمية التنقيب عن النفط والتعدين في تنويع مصادر دخل الدولة والاهتمام به من قبل الملك ابن سعود، الا انه طلب في العام ١٩٣١ من الجيلوجي كارل توتشيل البحث عن النفط والمعادن في السعودية، وبذلك جاءت اعمال توشيل تؤكد وجود النفط في المنطقة الشرقية والذهب في منطقة الحجاز، وعلى اثرها ادمج مكتب التعدين ضمن المديرية العامة للنفط والمعادن وبدات نقابة التعدين العربية السعودية المحدودة في استخراج الذهب من منجم مهد الذهب في العام ١٩٣٩(١٠).

ولعل ما هو اغرب من ذلك رفض البريطانيين لعرض ابن سعود ربما يكون بسبب توجه الملك ابن سعود الى بريطانيا نتيجة لشعوره بانه مدين لهم لما قدموه اليه من مساعدات في الماضي في الوقت الذي كانت المملكة العربية السعودية تمر بأزمة اقتصادية آنذاك، وظن ان عمله هذا هو بمثابة رد الجميل لهم، ومهما كانت الاسباب فان بريطانيا لم تكن راغبة بامتياز النفط، الامر الذي ادى الى قيام الملك عبدالعزيز بالخطوة التالية الا وهي الوصول الى اتفاق مع الجيلوجي الامريكي توتشيل الذي اصبح الملك عبد العزيز معجبا به وواثقا فيه، فمع ازدياد اعجاب يوسف ياسين بمهارة توتشيل التفاوضية رفع حصته المقترحة من

الارباح الى خمسة عشر بالمائة ومن ثم الى عشرين بالمائة، غير ان توتشيل رفض ذلك بعدها ادرك يوسف ياسين اخيرا انه كان يعني ما قاله توتشيل من ان المغامرة ليست عملية(١١).

يظهر من ذلك ان سبب رفض توتشيل هو انه كان مرتاحا جدا كونه مساحا، ولم يكن لدية طموح من ان يصبح من عمالقة النفط، لكنة كان مستعدا لإعانة الملك عبد العزيز فوعده بان يأخذ نسخة من تقريره الى امريكا، ومن الجدير بالذكر ان معظم المسؤولين الامريكيين كانوا مسرورين بالحصول على الامتياز النفطي، ذلك لأنه كانوا يشعرون بان سمعة البريطانيين في المملكة العربية السعودية لا تزال ملوثة بسبب الاستعمار(١٢).

عندما علمت بريطانيا بمحاولة الملك عبد العزيز ادخال المصالح الامريكية الى بلاده حاولت منعها من الدخول الى تلك المنطقة وبدورها عقدت اجتماعات في لندن ناقشت فيها مسألة امتيازات النفط في الخليج العربي وتحديد نفط السعودية، وخلال تلك الاجتماعات وجه السرجون (كادمان) رئيس شركة الانكلو – فارسية في الاجتماع والقى اللوم على المسؤولين البريطانيين في شركة نفط العراق على تركهم امتياز البحرين للأمريكان وحصولهم عليه، واكد على ان الوضع بدا يشكل خطرا تجاريا وسياسيا على المصالح البريطانية في المنطقة موضحا ذلك بان نجاح شركة (سوكال) الامريكية بالحصول على نفط الاحساء لا يأتي للخليج العربي بشركة نفط امريكية منافسة فقط بل يتبعها نفوذ امريكي هدفه السيطرة على المنطقة الحيوية بالنسبة للمصالح البريطانية(١٣).

المبحث الثاني

كارل توتشيل ودوره الاقتصادي في المملكة العربية السعودية

ان اكتشاف النفط في الخليج العربي وتحديدا في البحرين بكميات تجارية عام ١٩٣٢ ادى الى اهتمام الشركات الاجنبية بالامتياز النفطي في تلك المنطقة، وبذلك اتضح ان العقبة الاساسية من ذلك هو ان الملك عبد العزيز ربما كان لا يزال يشك في وجود النفط في بلاده، بيد انه كان مهتما بالحصول على دفعة كبيره مقابل حقوق التنقيب اكثر من اهتمامة بشان العوائد النفطية المحتملة مستقبلا، ولا سيما وان عبدالله سليمان كان يطالب بقرض مقداره مائة الف جنية استرليني شرطا لمنح حق الامتياز(١٤).

وعلى اثر ذلك بدأت المحاولات البريطانية بالوقوف بوجه المصالح الامريكية ومنعها من دخول المملكة العربية السعودية وحصولها على الامتيازات النفطية فيها، وذلك لمعرفة البريطانيين بالأهمية الاستراتيجية للنفط السعودي لا سيما ان رغبة الملك عبدالعزيز في ادخال المصالح الامريكية الى السعودية كان قد افشل الخطط البريطانية واستطاع بذلك مناقشة الموضوع من خلال مستشارية مع تشارلز كرين رجل الاعمال الامريكي الذي اقتنع بالإمكانيات الاقتصادية التي تمتلكها المملكة العربية السعودية، وبدوره تعهد في شهر شباط ١٩٣١ بأرسال مهندس التعدين الامريكي كارل توتشيل الذي يرى فيه انه سوف يقدم خدمة للحكومة السعودية من اجل البحث عن المصادر المعدنية في مناطقها، الامر الذي ادى الى تكليف تشارلز كرين للجيلوجي الامريكي توتشيل بمهمة القيام بذلك، على اثرها قام توتشيل بعملية المسح الميداني لكافة مناطق المملكة وقدم بذلك تقريره الذي اوضح فيه وجود امكانيات مشجعة وايجابية في استثمار المعادن في تلك البلاد ومنها الذهب والنفط(١٥).

استطاع كارل توتشيل كسب ود ابن سعود الذي جعلة مستشارا له اذ كانت لمقترحات ومشورات توتشيل اثرها لدى ابن سعود، وبذلك استغل توتشيل ود ابن سعود له من خلال ادخال المصالح الامريكية الى السعودية، اذ نصحه بعرض الامتياز النفطي على الشركات النفطية الامريكية، الا ان ذلك العرض لم ينجح في ذلك بسبب رفض شركة تكساس النفطية اقتراح توتشيل، في الوقت الذي كانت شركة نفط الخليج مرتبطة بتعقيدات اتفاقية الخط الاحمر الموقعة في ٣١ تموز ١٩٢٨ بين الشركات الاجنبية النفطية(١٦).

وعلى الرغم من ذلك استطاع توتشيل اجراء دراسات اكد فيها وجود النفط في منطقة الاحساء الامر الذي شجع شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا من الحصول على نفط الاحساء، من هنا وجد توتشيل قبل مغادرته المملكة العربية السعودية ان شركة نفط كاليفورنيا مهتمة بشراء الامتياز والتنقيب عن النفط في المنطقة، واكد انه مستعد للتفاوض مع عبدالله سليمان وزير المالية السعودي نيابة عنها، وبذلك كتب ابن سليمان لتوتشيل استعداده للتفاوض معه، فبدأت تبادل الرسائل بينه وبين ابن سليمان وتطور ذلك بأن دعا ابن سليمان توتشيل الى جده التي وصل اليها بعد فتره قصيره وبصحبة ممثل ومندوب شركة نفط كاليفورنيا الخبير الاقتصادي لويد هاملتون، وامر ابن سليمان بتشكيل لجنة للتفاوض مع

الامريكان فبدأت اللجنة عملها بشكل مباشر، وبذلك تمكنت شركة نفط كاليفورنيا من توقيع عقد امتياز نفط الاحساء مع ابن سليمان عام ١٩٣٣ ولمدة ٦٠ عام [١٧].

وعلى اثر ذلك عمدت شركة نفط العراق التابعة للحكومة البريطانية إلى ارسال ممثلها لونكريك للتفاوض مع الملك عبدالعزيز الذي وصل الى جده عام ١٩٣٣، وكان ممثل الشركات النفطية الامريكية وصل قبلة بعشرين يوما الى المملكة العربية السعودية، وفور وصوله اجرى مفاوضات مع الشركات النفطية المتنافسة في الحصول على الامتياز النفطي في المنطقة، ومن هذه الشركات هي شركة نفط العراق التابعة للحكومة البريطانية وشركة نفط كاليفورنيا الامريكية[١٨].

وخلال المفاوضات التي جرت بين ممثلي الشركات النفطية البريطانية والامريكية مع الملك عبدالعزيز تبين ان العروض التي قدمها ممثل الشركات الامريكية كانت اكثر سخاءا من العرض البريطاني الذي قدمة ممثل شركة نفط العراق البريطانية، على الرغم من التأكيدات من قبل الجانب البريطاني على اهمية الحصول على امتياز نفط الاحساء، وبالنتيجة استطاعت شرطة نفط كاليفورنيا من الحصول على الامتياز النفطي الذي تم التوقيع عليه مع الجانب السعودي في تموز عام ١٩٣٣، واعلن ذلك بجريدة أم القرى السعودية الرسمية بان شركة نفط كاليفورنيا قد حصلت على الامتياز ونشر بذلك نص الاتفاقية التي تم التوقيع عليها في العام المذكور اعلاه بين هاملتون المندوب الاقتصادي لشركة نفط كاليفورنيا وبين عبدالله ابن سليمان وزير المالية عن الحكومية السعودية[١٩].

على الرغم من خسارة بريطانيا امتياز نفط الاحساء عام ١٩٣٣ الا ان ذلك لا يشكل تحولا في السياسة البريطانية تجاه المنطقة، غير انه يعد نقطة تحول مهمة في ما يتعلق بأهمية الامتيازات النفطية في الخليج العربي، اذ شعرت بريطانيا بالقلق على مستقبل النفط السعودي بعد مراجعتها الاثار الجانبية لامتياز نفط الاحساء على الامتيازات النفطية والمصالح البريطانية في مشيخات الخليج العربي وخاصة في الكويت وقطر[٢٠].

شهدت المدة الواقعة بين منح الامتياز عام ١٩٣٣ ظهور النفط في المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٨ مرحلة اخرى من مراحل التنافس بين المصالح البريطانية والامريكية على نفط السعودية، وعلى الرغم من ان الامتياز الاساسي للنفط اصبح بيد الشركات

الامريكية بيد ان الشركة الانكليزية الفارسية حاولت في العام ١٩٣٦ تغيير مجرى الاحداث واخراج شركة نفط كاليفورنيا من السعودية وذلك بتقديمها عرض مغري للحصول على ذلك الامتياز[٢١]، غير ان هذا العرض لم يثير اهتمام الملك عبدالعزيز، وبذلك عمدت شركة نفط العراق بعد ضياعها لامتياز نفط الاحساء اتخاذ خطوات جادة لمنع وقوع ما تبقى من منطقة الخط الاحمر بأيدي الشركات الامريكية، واسست لها شركات فرعية تابعة لبريطانيا لتحقيق هذا الغرض[٢٢]، وبذلت جهودا كبيره وفعالة في مساعدة الشركة ووسعتها وذلك من اجل الحصول على نفط المنطقة المحايدة للسعودية-الكويتية، غير ان الشركات الامريكية كانت في النهاية هي من حصلت على الامتياز في المنطقة المحايدة، فكان نجاح شركة نفط كاليفورنيا في حصولها على الامتياز قد ادخل عنصرا جديدا الى المنطقة خلافا لاتفاقية الخط الاحمر الهادفة بعدم السماح لأي قوة اخرى بالدخول الى المنطقة، وبذلك اضعف المخطط البريطاني الهدف الى التفرد بالمنطقة وخيراتها، وادى نجاح الشركة الى دخول الرأسمال الامريكي والخبرة الفنية التي غيرت مجرى التاريخ العربي، وفتحت الباب امام النفوذ السياسي والاقتصادي للولايات المتحدة الامريكية من اجل السيطرة على اكبر حقل نفطي في الشرق الاوسط الا وهو النفط السعودي[٢٣].

بدأت خطة اكتشاف البترول الفصلية في المملكة العربية السعودية عندما وقع الملك عبدالعزيز ال سعود في العام ١٩٣٣ اتفاقية الامتياز للتنقيب عن البترول بين حكومته وشركة نفط ستاندرد اويل (سوكال)، على اثرها استأجرت الشركة توتشيل الجيلوجي الامريكي للعمل كإحدى ممثليها في التعامل مع الحكومة السعودية، وبذلك نجح هاملتون مندوب الشركة من ابرام اتفاقية تعطي للشركة الامريكية حق الامتياز التنقيب عن النفط في المملكة[٢٤].

اوكلت تلك المهمة للمهندس الامريكي الجيلوجي (توتشيل)، الذي كان يعمل لحساب احدى شركات تشارلز كرين رجل الاعمال الامريكي، واظهرت المسوحات والدراسات المعدة من قبل توتشيل الذي قام بأجراء المسح الميداني لكافة مناطق المملكة بان هناك احتمالات كبيره عن وجود المعادن والذهب والنفط، بالإضافة للمياه الجوفية، ولا سيما وان تلك المهمة كانت بمباركة السيد جون فلبي المستشار الاقتصادي لابن سعود، والتي عدت القاعدة

الاساسية لانطلاق عمليات التنقيب في المملكة[٢٥]، وبعدها اجرى توتشيل عدة اتصالات مع عدد من الشركات الامريكية فاستطاع التوصل الى اتفاق مع شركة ستاندرد اول اوف كاليفورنيا، اذ التقى (لوميس) مستشار الشركة (ولو مباردي) مدير الشركة، ونتج عن ذلك الاتفاق توكيل توتشيل للعمل بنيابة عن الشركة والتوسط بينهما وبين ابن سعود، وبناءا على ذلك اوفد (توتشيل) وبرفقته لويد هاملتون مندوبا عن الشركة فوصلا الى جدة عام ١٩٣٣ للمباشرة بالمفاوضات[٢٦].

وبعد اجراء المفاوضات بين الشركات النفطية الامريكية والبريطانية تم التوصل الى ابرام اتفاقية النفط في تموز ١٩٣٣ وحصلت الشركة الامريكية (كاليفورنيا) على الامتياز وسمي هذا الامتياز بالامتياز العربي السعودي، ومن خلال الدراسة لشروط هذا الامتياز يتضح انها بمجملها كانت لصالح الشركة الامريكية[٢٧]، لقد حصلت الشركة الامريكية بموجب هذا الامتياز على حق التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية على مساحة قدرت بـ (٣٦٠) الف ميل مربع، هذا بالإضافة الى حق الافضلية لها في الحصول على الامتيازات النفطية في المنطقة المحايدة الكويتية- السعودية[٢٨]، كما ان الجديد في هذه الاتفاقية هو البند التاسع الذي يقضي بان تعيد الشركة الامريكية الى الحكومة السعودية خلال ٩٠ يوم بعد الحفر ذلك الجزء من المنطقة التي ترى الشركة انها لن تستخدمه في المستقبل، كما نص البند ٢٣ على الاستخدام الاوسع قدر الامكان للمواطنين السعوديين في منشئات الشركة مع التزامها (شركة النفط الامريكية) بموجب البند ٣٦ بعدم التدخل في الشؤون الادارية والسياسية والدنينة للمملكة العربية السعودية[٢٩].

من جانب اخر رفضت شركة النفط الامريكية ان تضع لأنظمة الحكومة السعودية المتعلقة بدفع ضريبة الدخل على ارباح النفط الذي تبيعه تلك الشركة بعد تصفيته في صيدا[٣٠]، ففي عام ١٩٣٦ وبعد ان تزايد انتاج الشركة من النفط واصبح وضعها في منطقة الشرق الاوسط وجزر الهند الشرقية يتطلبان توسعا في نواحي تسويق النفط – اسست تلك الشركة شركة اخرى تابعة لها وهي شركة نفط كاليفورنيا اربيان ستاندرد اويل كومباني، والتي سلمت في العام ١٩٣٦ خمسون بالمائة من اسهمها الى شركة نفط امريكية ضخمة الا وهي شركة تكساس اويل كومباني والتي تعرف اليوم باسم تكساكو، وفي العام ١٩٣٨ تم

اكتشاف النفط بكميات تجارية كبيرة في حقل الدمام وعلى اثر ذلك الاكتشاف جرى تصدير اول شحنة من النفط الخام على ناقلة نفط الى مصفاة البحرين، وبسبب هذا الاكتشاف سعت شركة نفط ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا للتفاوض مع الجانب السعودي من اجل توسعة الامتياز، وبذلك جاءت الاتفاقية النفطية الملحقة عام ١٩٣٩ والتي الحقت بالاتفاقية النفطية الاولى بهذا الامتياز شملت مناطق جديده بمقدار (١٨٠) الف ميل مربع، وبذلك اصبحت مساحة الارض الكلية التي شملها الامتياز (٤٤٠) الف ميل مربع وضمت اليها المنطقة المحايدة السعودية – الكويتية والسعودية – العراقية، وتعود هذه الزيادة الى تحقيق المصالح للشركات النفطية الاحتكارية دون النظر الى المصالح الوطنية[٣١].

وفي العام ١٩٤٤ غيرت الشركة النفطية الامريكية اسمها الى شركة النفط العربية الامريكية والتي اتخذت من نيويورك مركزا لها حتى طلبت الحكومة السعودية نقل مركزها الى قاعدة الظهران العسكرية السعودية، وفي عام ١٩٤٧ انضمت شركتان امريكيتان تابعتان الى شركة النفط الامريكية (سوكال) وتكساكو وهما شركتا ستاندرد اويل اوف نيوجرسي التي تسمى اليوم اكسون حاليا، وكذلك شركة نفط سكوني فاكوم، وبذلك اصبحت حصة كل من شركة سوكال وستاندرد اويل اوف نيوجرسي وشركة تكساكو ٣٠ بالمائة، اما حصة شركة نفط سكوني فاكوم بلغت ١٠ بالمائة.

لقد اوضح رئيس شركة نفط تكساكو ان السبب الرئيسي وراء ضم شركات نفطية امريكية جديدة قائلا: (ان الملك عبدالعزيز ال سعود كان مهتما بزيادة المدفوعات من الشركات النفطية، في حين ان امكانيات شركتي ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا وتكساكو لم تكن تسمح بتسويق كل تلك الكمية من النفط التي تستطيعان استخراجها)[٣٢]، فيما يرى باحث اخر ان السبب الرئيسي كان من اجل وجود اسواق تجارية كبيرة لتصريف النفط ورؤوس اموال ضخمة لاستثمار احتياطي نفط السعودية على الوجه الافضل، وبذلك اتخذت تلك الاجراءات لضم هذه الشركات[٣٣].

في عام ١٩٤٨ تم اكتشاف حقول نفطية جديدة في المملكة العربية السعودية ومنها حقل الغوار وحقل الفاضلي وبهذه الاكتشافات وصلت الحقول النفطية السعودية المكتشفة الى

ستة حقول، غير ان الانتاج الحقيقي من الناحية العملية لهذه الحقول كان يتركز فقط في حقلي الدمام والقطيف(٣٤).

يتضح مما تقدم من خلال استعراضنا للتطورات السياسية والاقتصادية التي شهدتها المملكة العربية السعودية وبخاصة ما يتعلق بظهور النفط السعودي، كان قد فتح الباب امام توجه الشركات الاجنبية النفطية لاستثمار تلك الثروات التي شهدتها المنطقة، مما فتح الصراع بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بالحصول على تلك الامتيازات النفطية، تمثل ذلك بقيام كلا الدولتين بإرسال الخبراء والمستشارين الاقتصاديين والجيلوجيين وكان على راسهم الخبير الاقتصادي والجيلوجي والامريكي كارل توتشيل الذي لعب دورا كبيرا في الحصول على مكاسب اقتصادية كبيرة وذلك من خلال قيامة بعمليات التنقيب عن النفط والمعادن واجراء المسح الميداني في كافة مناطق المملكة العربية السعودية، محققا بذلك مكاسب اقتصادية تمثلت بحصول الشركات النفطية الامريكية على حق التنقيب عن النفط في المنطقة وعلى راس هذه الشركات شركة نفط كاليفورنيا، وبحصول الولايات المتحدة على تلك الامتيازات النفطية السعودية كان قد فتح الباب بدخول النفوذ الامريكي لمنطقة الخليج العربي وسحب البساط من النفوذ البريطاني الذي كان قد فرض سيطرته على الخليج العربي قرابة ١٥٠ عام.

الخاتمة:

من خلال استعراضنا لمضامين البحث تبين لنا ان العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والمملكة العربية السعودية كانت قد بدأت قبل الحرب العالمية الثانية، ولم تبدا قبل ذلك بسبب سياسة العزلة التي انتهجتها الولايات المتحدة الامريكية من السياسة العالمية، ففي اواخر العشرينيات من القرن العشرين، استدعى الملك عبدالعزيز آل سعود خبراء ومستشارين اقتصاديين وجيلوجيين امريكيين مختصين ليكتشفوا البلاد بحثا عن المياه الجوفية والمعادن، وقد وجد هؤلاء الاقتصاديين كميات كبيرة من المياه الجوفية ومناجم الذهب والفضة فضلا عن اكتشافهم لحقول البترول في السعودية، فكان على راس هؤلاء الخبراء الامريكان هو الخبير الاقتصادي والجيلوجي والمهندس الامريكي كارل توتشيل الذي قدم الى المملكة العربية السعودية في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، واضعا بذلك خططا اقتصادية

استطاع من خلالها الحصول على المعادن والذهب والنفط بعد قيامه بعمليات المسح الميداني لثروات تلك المنطقة مكتشفا بذلك العديد من المناجم النفيسة ومنها الذهب والفضة، بالإضافة الى تمكنه من العثور عن النفط خلال عمليات التنقيب التي اجراها فاستطاع بخبرته الجيلوجية والاقتصادية ان يؤسس شركة سميت بشركة التعدين السعودية والى جانب اكتشافه لثروات اقتصادية كبيرة في السعودية استطاع ان يكتشف حقولا نفطية كبيرة اخرى منها حقلي نفط الدمام والقطيف.

اعطت تلك الاكتشافات التي شرع بها الجيلوجي كارل توتشيل دافعا لأصحاب رؤوس الاموال والمستثمرين من الخبراء والاقتصاديين الامريكان التوجه الى المملكة العربية السعودية وعقد الاتفاقيات الاقتصادية معها حول مسالة استخراج وتكرير البترول، تبع عقد تلك الاتفاقيات اتفاقيات مالية وعسكرية اخرى اخضعت جميعها للسياسية الامريكية، وبذلك تمكنت الولايات المتحدة الامريكية بعد حصول شركاتها النفطية على استثمار النفط السعودي من انشاء قاعدة عسكرية لها في السعودية لحماية المصالح الامريكية الا وهي قاعدة الضهران السعودية، والتي مثل انشاءها ضربة قوية بوجه النفوذ الاجنبي البريطاني في السعودية بصورة خاصة والخليج العربي بشكل عام.

الهوامش:

(١) صبري فالح الحميدي، المستشارون الغرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبدالعزيز بن سعود ١٩١٥-١٩٥٣، دار الحكمة، لندن، ٢٠١١، ص ٤٦٥.

(٢) عبدالفتاح ابو علية، رسائل تشارلز كرين الى الرئيس روزفلت يصف فيها الملك عبدالعزيز، مجلة الداره، العدد الاول، السنة الثالثة، ايار، ١٩٧٧، ص ص ١٩٤-١٩٥.

(٣) صحيفة الجزيرة (السعودية)، العدد ٣١، تشرين الاول، ٢٠١٥،ص ٣٢.

(٤) تقارير المستر توتشيل، المياه والمعادن ١٣٤٩-١٣٥٠، مطبعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٣٥٠،ص٢٢.

(5)Toby Craig Jones, Desert Kingdom, How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia, Harvard University Press, 2011, P. 51.

(6)J.E. Peterson, Saudi Arabia Under Ibn Saud, Economic and Financial Foundations of the State, Bloomsbury Publishing, 2018, P. 41.

(٧) مشاري الذايدي، حكاية الماضي بريطانيا ونفط السعودية، جريدة الشرق الاوسط، العدد ١٤٧٩٠، في ٢٧ ايار ٢٠١٩.

(8)Ahmed Al Rajhi ،Abdullah Al Salamah ،Monica Malik ،Rodney Wilson, Economic Development in Saudi Arabia, Taylor & Francis, 2012, P. 40.

(9)Toby Craig Jones, Op.Cit, P. 52.

(١٠) حمود الضويحي، التعدين- تنويع دخل الوطن، جريدة الرياض السعودية، العدد: ١٤٤٢، في ١٩ تشرين الاول، ٢٠٢٠.

(١١) محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ت، ص ٢٢٩.

(12)Peter J. Vincent ،Peter Vincent, Saudi Arabia: An Environmental Overview, Taylor & Francis, 2008, P. 40.

(١٣) احمد صالح الدليمي، التنافس الدولي على نفط الساحل الغربي للخليج العربي ١٩٣٩-١٩٥٢، دار البيارق للنشر والتوزيع، بغداد، ط١ ، ٢٠١٩، ص ٣٠.

(١٤) كارل توتشيل، المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ترجمة: شكيب الاموي، تصدير حافظ وهبة، القاهرة،١٩٥٥،ص ٢٣١.

(15)Irvine H. Anderson Jr. ،Irvine H. Anderson, Aramco, the United States, and Saudi Arabia, A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy, 1933-1950, Princeton University Press, 2014, P. 40.

(١٦) ابو سلمى، قصة الاحتكارات البترولية في الجزيرة العربية، مجلة صوت الطليعة، العدد: ٨، السنة: ٢، كانون الاول، ١٩٧٤، ص ١٩. نقلا عن: احمد صالح الدليمي، المصدر السابق، ص ٣١.

(17)Clive Leatherdale, Britain and Saudi Arabia, 1925-1939, The Imperial Oasis, F. Cass, 1983, P. 105.

(١٨) جلال يحيى، التاريخ الحديث والمعاصر، ج٣، الاسكندرية، ١٩٩١، ص٤٠٦.

(١٩) محمد محمود النيرب، العلاقات الامريكية السعودية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٩٧ وما يليها.

(٢٠) طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني الامريكي على نفط الخليج العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٨٧.

(٢١) جورج لينشوفسكي ، البترول والدولة في الشرق الاوسط، ترجمة: ابراهيم عبدالستار، بيروت، ١٩٦١، ص ٢٥٠.

(٢٢) الكسي فاسيليف، تاريخ المملكة العربية السعودية، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٨٢.

(23)Winberg Chai, Saudi Arabia, A Modern Reader, University of Indianapolis Press, 2006, P. 18.

(٢٤) بنسون لي جريسون، العلاقات السعودية الامريكية في البدء كان النفط، ترجمة، سعد هجرس، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص ٥٥.

(٢٥) جون فلبي، مغامرات النفط العربي، قصة اكتشاف النفط ومنح امتياز النفط السعودي، ترجمة: عوض البادي، مكتبة العبيكان، بيروت،ط١، د.ت، ص٣٨٥.

(26)John A. DeNovo, American Interests and Policies in the Middle East, 1900-1939, University of Minnesota Press, 1963, P. 206.

(٢٧) صاحب ذهب، اتفاقيات وعقود البترول في البلاد العربية، ج١، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٩، ص٢٠.

(٢٨) خيري الدين الزركلي، شبة الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، ج١، بيروت،ط٢، ١٩٧٧، ص٦٩٦.

(٢٩) اي. باكوفليف، السعودية والغرب، الحقيقة برس،ط١، ١٩٩١،ص١٠.

(٣٠) ناصر سعيد، حقائق عن القهر السعودي، دار الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ط١، ١٩٨٨، ص ٣٥.

(٣١) فهد مسعود الحمود، ثروات السعودية وسبيل الاستقلال الاقتصادي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص٢٩ وما يليها.

(٣٢) اي. باكوفليف، المصدر السابق، ص٤.

(33)James Wynbrandt, A Brief History of Saudi Arabia, Facts On File, Incorporated, 2014, P. 191.

(٣٤) خلود خالد شاكر، السياسة الخارجية السعودية تجاه الوطن العربي منذ عام ١٩٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص٥٢؛ اي.باكوفليف، المصدر السابق، ص٦٥.

قائمة المصادر

❖ **الرسائل والاطاريح :**

١- خلود خالد شاكر، السياسة الخارجية السعودية تجاه الوطن العربي منذ عام ١٩٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣.

❖ **المذكرات الشخصية:**

١- تقارير المستر توتشيل، المياه والمعادن ١٣٤٩-١٣٥٠، مطبعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٣٥٠.

❖ **الكتب العربية:**

١- احمد صالح الدليمي، التنافس الدولي على نفط الساحل الغربي للخليج العربي ١٩٣٩-١٩٥٢، دار البيارق للنشر والتوزيع، بغداد، ط١ ، ٢٠١٩.

٢- جلال يحيى، التاريخ الحديث والمعاصر، ج٣، الاسكندرية، ١٩٩١.

٣- خيري الدين الزركلي، شبة الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.

٤- فهد مسعود الحمود، ثروات السعودية وسبيل الاستقلال الاقتصادي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

٥- صاحب ذهب، اتفاقيات وعقود البترول في البلاد العربية، ج١، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٩.

٦- صبري فالح الحميدي، المستشارون الغرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبدالعزيز بن سعود ١٩١٥-١٩٥٣، دار الحكمة، لندن، ٢٠١١.

٧- طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني الامريكي على نفط الخليج العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

٨- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ت.

٩- محمد محمود النيرب، العلاقات الامريكية السعودية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٩٧ وما يليها.

١٠- ناصر سعيد، حقائق عن القهر السعودي، دار الصفا للنشر والتوزيع، لندن، ط١، ١٩٨٨.

❖ **الكتب المعربة :**

١- الكسي فاسيليف، تاريخ المملكة العربية السعودية، ترجمة: خيري الضامن وجلال الماشطة، بيروت، ١٩٨٦.

٢- اي. باكوفليف، السعودية والغرب، الحقيقة برس، ط١، ١٩٩١.

٣- بنسون لي جريسون، العلاقات السعودية الامريكية في البدء كان النفط، ترجمة، سعد هجرس، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

٤- جورج لينشوفسكي ، البترول والدولة في الشرق الاوسط، ترجمة: ابراهيم عبدالستار، ١٩٦١.

٥- جون فلبي، مغامرات النفط العربي، قصة اكتشاف النفط ومنح امتياز النفط السعودي، ترجمة: عوض البادي، مكتبة العبيكان، بيروت، ط١، د.ت.

٦- كارل توتشيل، المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ترجمة: شكيب الاموي، تصدير حافظ وهبة، القاهرة، ١٩٥٥.

الكتب الاجنبية:

1. Ahmed Al Rajhi ،Abdullah Al Salamah ،Monica Malik ،Rodney Wilson, Economic Development in Saudi Arabia, Taylor & Francis, 2012
2. Clive Leatherdale, Britain and Saudi Arabia, 1925-1939, The Imperial Oasis, F. Cass, 1983
3. Irvine H. Anderson Jr. ،Irvine H. Anderson, Aramco, the United States, and Saudi Arabia, A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy, 1933-1950, Princeton University Press, 2014
4. J.E. Peterson, Saudi Arabia Under Ibn Saud, Economic and Financial Foundations of the State, Bloomsbury Publishing, 2018
5. James Wynbrandt, A Brief History of Saudi Arabia, Facts On File, Incorporated, 2014
6. John A. DeNovo, American Interests and Policies in the Middle East, 1900-1939, University of Minnesota Press, 1963
7. Peter J. Vincent ،Peter Vincent, Saudi Arabia: An Environmental Overview, Taylor & Francis, 2008
8. Toby Craig Jones, Desert Kingdom, How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia, Harvard University Press, 2011
9. Winberg Chai, Saudi Arabia, A Modern Reader, University of Indianapolis Press, 2006

❖ **الصحف والمجلات:**

١- ابو سلمى، قصة الاحتكارات البترولية في الجزيرة العربية، مجلة صوت الطليعة، العدد: ٨، السنة: ٢، كانون الاول، ١٩٧٤.

٢- حمود الضويحي، التعدين- تنويع دخل الوطن، جريدة الرياض السعودية، العدد: ١٤٤٢، في ١٩ تشرين الاول، ٢٠٢٠ .

٣- عبدالفتاح ابو علية، رسائل تشارلز كرين الى الرئيس روزفلت يصف فيها الملك عبدالعزيز، مجلة الداره، العدد الاول، السنة الثالثة، ايار، ١٩٧٧.

٤- صحيفة الجزيرة (السعودية)، العدد ٣١، تشرين الاول، ٢٠١٥.

٥- مشاري الذايدي، حكاية الماضي بريطانيا ونفط السعودية، جريدة الشرق الاوسط، العدد ١٤٧٩٠، في ٢٧ ايار ٢٠١٩.

تطورات قضية لوكربي في ضوء مقالات ومتابعات جريدتي الجمهورية والثورة العراقيتان١٩٨٨ – ١٩٩٢

Developments in the Lockerbie case in light of articles and follow-ups in the Iraqi newspapers Al-Jumhuriya and Al-Thawra,1988-1992

م.م. سارة كمال جسام

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

sarah.k@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

M.A. Sarah Kamal Jassam

Department of History/ Ibn Rushd College of Education for Human Sciences / University of Baghdad

تطورات قضية لوكربي في ضوء مقالات ومتابعات جريدتي الجمهورية والثورة العراقيتان ١٩٨٨ – ١٩٩٢

م.م. سارة كمال جسام

المستخلص:

استهدفت الدراسة إلى إيضاح قضية لوكربي عام ١٩٨٨ ، والمتمثلة بانفجار طائرة أمريكية فوق قرية لوكربي في اسكتلندا ، و قتل ما يقارب (٢٧٠) شخصاً على متنها ، وبينت صحيفتي الجمهورية والثورة العراقيتان من عام ١٩٨٨ – ١٩٩٢ موقفها الرسمي من تفجير طائرة بان الأمريكية رحلة (١٠٣) ،إذ اتسم بالخطاب السياسي بالحذر ، لكن مع تطور الأحداث بدأ التصعيد الإعلامي الدولي في دراسة قضية حادثة لوكربي ، فقد وضحت الصحف العراقية أهم المراحل التي مرت بها قضية لوكربي ، وطالبت بإجراء تحقيق الدولي ، وعدم توجيه الاتهامات الموجهة لليبيا في ظل التطورات التي شهدتها ليبيا خلال حكم فترة الرئيس الليبي معمر القذافي ، طرحت صحيفتي تساؤلات عدة من خلال المشهد السياسي للتحقيقات لاسيما في ظل العلاقات المتأزمة بين الولايات المتحدة وليبيا وركزت هذه الدراسة خلال فترة التسعينات على متابعة صحيفتي الجمهورية والثورة العراقيتان ، وأكدتا على تضامنهما مع الموقف الليبي في مواجهة المواقف الدولية المزدوجة المعايير ، إلى جانب الدعوة الجادة لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا بشأن المثول إلى القانون وتحكم العقل بالاستناد إلى مخرجات التحكمية الدولية ، لاسيما بعد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا باتهام مواطنين في ليبيا ، وطالبت الجهات الليبية بتسليمهم ، فقد أعلنت الصحف العراقية عن رفض ليبيا بتسليم المتهمين الليبيين ، وعدت تمسكها بالسيادة الوطنية ، كما وضحت الدراسة من جانب أخر للجامعة العربية في دورها لإيجاد الحل الدبلوماسي ، والدعوة لاحترام القوانين الدولية ، كما أولت الصحف العراقية في أعدادها اهتماماً بالغاً بقرارات مجلس الأمن ، ومدى ما تعكسه تلك القرارات من حدوث فوضى في ميدان القوى الدولية أكثر من سعيها لتحقيق العدالة الدولية .

الكلمات المفتاحية : قضية لوكربي ، بريطانيا ،الجمهورية ، الثورة

Abstract :

This study aimed to clarify the Lockerbie bombing of 1988, in which an American airliner exploded over the village of Lockerbie, Scotland, killing approximately 270 people. The Iraqi newspapers Al-Jumhuriya and Al-Thawra, from 1988 to 1992, presented their official stance on the bombing of Pan Am Flight 103. Their political discourse was characterized by caution, but as events unfolded, international media coverage of the Lockerbie incident intensified. The Iraqi newspapers outlined the key stages of the Lockerbie case, calling for an international investigation and urging against directing accusations at Libya, given the developments in Libya during the rule of President Muammar Gaddafi. The two newspapers raised several questions within the political context of the investigations, particularly in light of the strained relations between the United States and Libya. This study, focusing on the 1990s, examined the coverage of the Iraqi newspapers Al-Jumhuriya and Al-Thawra, highlighting their solidarity with the Libyan position in the face of perceived double standards from the international community, and their earnest calls for action from the United States. Britain, regarding compliance with the law and the rule of reason based on the outputs of international arbitration, especially after the United States and Britain announced the accusation of citizens in Libya, and demanded that the Libyan authorities hand them over, the Iraqi newspapers announced Libya's refusal to hand over the Libyan accused, and considered its adherence to national sovereignty. The study also clarified, on the other hand, the role of the Arab League in finding a diplomatic solution, and the call for respect for international laws. The Iraqi newspapers in their issues also paid great attention to the Security Council resolutions, and the extent to which those resolutions reflect the occurrence of chaos in the field of international powers more than their pursuit of achieving international justice

keywords : Clarify the Lockerbie, Britain , Al-Jumhuriya , Al-Thawra

مقدمة:

تابعت الصحافة العراقية كعادتها القضايا العربية ، وساندتها بالدعم الإعلامي وإثارة الرأي العام ومناصرة الحقوق العربية ، ومثلت كل من جريدة الجمهورية والثورة نماذجاً بذلك المنبر الإعلامي وهذا ما تمثل في متابعة قضية لوكربي عام ١٩٨٨ ،لذلك تعد قضية لوكربي من القضايا التاريخية المهمة ,والتي حدثت بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وليبيا،والتي أدت إلى تدهور الأوضاع السياسية بين الدول ،لاسيما بعد انفجار طائرة الركاب فوق قرية لوكربي ،إذ أدى إلى توجيه الاتهام لمواطنين ليبين المتهمين بتفجير الطائرة ،وطالبت الولايات المتحدة بتسليم المواطنين الليبيين،لكن ليبيا رفضت تسليمهم، أدت تلك الحادثة إلى توجيه قضية لوكربي وحلها عن طريق الجامعة العربية،ركز هذه الدراسة بالموقف العراقي من خلال تناول موقف الصحف العراقية من قضية لوكربي ، والتي نقلت الحقائق أمام الرأي العام ومتابعة دقيقة لتطوراتها بشفافية وأحداثها ورصد ونقل الحقائق في مراحلها المختلفة حتى عام ١٩٩٢ ، وهذا هو حدود الإطار الزمني لموضوع الدراسة .

المبحث الأول

التعريف بمقدمات ومعطيات التي سبقت وقوع حادثة لوكربي

جاء حادث سقوط طائرة الركاب الأمريكية التابعة لشركة طيران "بان أمريكان " في اسكتلندا فوق بلدة لوكربي في ٢١/كانون الاول /١٩٨٨ , وبينت التحقيقات الأولية إذ تم توجيه الاتهام إلى جهات عديدة إلا انه بعد ثلاث سنوات من التحقيقات المتواصلة ، وجهت الاتهامات إلى ليبيا بمسؤوليتها عن الحادثة الأمر الذي أدى لتحويل القضية الى أزمة في العلاقات الليبية الأمريكية والغربية التي أصبحت تعرف باسم حادثة لوكربي [١].

وفي رؤية وتحليل إبعاد هذه الحادثة يمكن الإشارة إلى جملة من المعطيات وهي الآتية :

١- أسهمت ثورة الفاتح أيلول ١٩٦٩[٢] ،بأنها أمرت وقف خططها الإستراتيجية على إخراج القواعد العسكرية البريطانية عن الأراضي الليبية ، وبعد نجاحها في ذلك تلتها الخطوة

التالية وهي إجراء المفاوضات مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن جلاء قواعدها العسكرية من ليبيا وفعلا حصل ذلك عام ١٩٧٠ .

٢- اظهرت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٣ رغبتها في عدم أمداد المياه الإقليمية لليبيا لتغطي خليج سرت بالكامل ، وعلى أثره قدمت ليبيا اعتراضها على الطائرات التي تحاول الاقتراب من الخليج أو الأراضي الليبية (٣).

٣- توترت العلاقات الليبية – الأمريكية بعد إسقاط طائرة مقاتلة لسلاح الجو الأمريكي أثناء اختراقها للأجواء الليبية.

٤- حضر تصدير النفط الليبي إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لاسيما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ (٤) .

٥- سعت الولايات المتحدة على فرض حصار على ليبيا وبدأت نواياها السيئة عن إيقافها تسليم طائرات النقل " ، و أعلنت الوزارة الخارجية عن امتناعها لتدريب طيارين ليبيين إذ كان من طراز C130 الأمريكية متفق بتدريبهم من قبل شركة (لوكهيد) حيث زادت حدة التوتر بين الطرفين في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر(Jimmy carter) (٥)

أعلن البتاغون اسم ليبيا في قائمة أعداء الولايات المتحدة وداعمة للإرهاب وفي سياق ذلك نفذت المخابرات الأمريكية خطة في عام ١٩٨٠(٦) ، لإسقاط الطائرة التي تنقل الرئيس معمر القذافي(٧) إثناء رحلته إلى أوربا، وبالفعل تم إسقاط طائرة ايطالية كانوا يعتقدون إنها الطائرة المقصودة ،وتوصلت الخطط الأمريكية في مواجهة القذافي و شنت عدوانها على ليبيا وقصفت منزل الرئيس معمر القذافي في ١٥ نيسان ١٩٨٦، واستهدفت الأحياء السكنية في كل من مدن بنغازي وطرابلس وسبب ذلك الهجوم إلى تدمير المباني السكنية ووفاة العديد من المواطنين الأبرياء ، وصف غارة الولايات المتحدة الأمريكية على ليبيا بأنها تهويل دولة تحت ذريعة الدفاع المشروع عن النفس ,وبرزت الإدارة الأمريكية أن ما اتخذته من إجراءات بهدف حماية مصالحها بعد أن تعرضت إلى الخطر (٨)

وبينت مسؤولية ليبيا عن العمليات التي استهدف ملهى ليلي في مدينة برلين في المانيا وأدت إلى مقتل جندي أمريكي واحد وإصابة آخرين بحراح ،إذ ألزمت الولايات المتحدة على تثبيت مسؤولية هذه العملية لليبيا وقدمت للحلفاء الأوربيين أدلة دامغة وأعلنت حملتها العالمية واسعة النطاق لحشد الرأي العام الغربي والأمريكي وتم تجهيز الدول الحليفة ضد ليبيا [٩].

وبينت الادارة الأمريكية ان ليبيا تشكل مصدرا خطر للمصالح الأمريكية والغربية ، وذلك من خلال دعمها لحركات التحرر في العالم الثالث والتي تعتبرها الولايات المتحدة الامريكية داعمة للإرهاب ، وبذلك استطاعت الولايات المتحدة كسب دعم كل من الدول بريطانيا ،فرنسا ، ايطاليا و اسبانيا ولم تكتفي بهذا فقط بل فرضت عقوبات اقتصادية وسياسية ضد ليبيا [١٠].

تدهورت العلاقات الأمريكية – الليبية ،وزادت سوءا بعد سقوط طائرة شركة (بان أمريكان) في ٢١/ كانون الأول/ ١٩٨٨ ، وانتهت التحقيقات بتوجيه الاتهام إلى ليبيا وأعلنت هيئة المحلفين بالمحكمة لمقاطعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية بأن شخصين من ليبيا متورطان في تفجير طائرة بان أمريكان بناءا على التحقيقات التي أعلنتها محكمة ولاية كولومبيا ، واصدر قرار القبض على المشتبه فيهما وأعلن المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية ريتشارد بوشر(Richard Boucher) في الولايات المتحدة إن المتهمين كانوا يعملون في المخابرات الليبية .

واشار دوجلاس هيرد(Douglas hurd) وزير الخارجية البريطانية ان حادثة لوكربي بمثابة قتل جماعي تورطت فيه اجهزة حكومية لدولة ليبيا" [١١] .

وخلف حادث الطائرة ردود فعل الأمريكية وأوربية ضد ليبيا كانت تهدف توحيد الجهود في استنزاف قوى ليبيا ،إلى جانب ذلك كشفت الولايات المتحدة الأمريكية أنشطة ليبيا في مجال صنع الغازات الكيميائية و الأسلحة البيولوجية في المصنع ،إذ أكد الرئيس الليبي معمر القذافي انه مصنع للأدوية وليس لإنتاج الأسلحة كما أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية [١٢] .

وهكذا كانت قضية لوكربي أكثر خطر واجهت ليبيا منذ عام ١٩٨٨ لأنه لم يكن للغرب حجة أقوى من تلك القضية في صراعها مع الرئيس القذافي واستطاع الأخير إدارة الأزمة والخروج بأقل التضحيات [١٣].

المبحث الثاني

موقف جريدتا الجمهورية والثورة العراقيتان تجاه قضية لوكربي ١٩٨٨ – ١٩٩٠

ورد مقال في جريدة الجمهورية بعنوان **(السماء تمطر ناراً...ناراً سائلة)** ،(**تحطم طائرة أمريكية ومصرع ٢٧٣ شخصاً)** ، وذلك نقلاً عن محطة التلفزيون البريطانية (بي بي سي) ، اذ بلغ عدد ضحايا الكارثة الجوية التي وقعت في لوكربي جنوب غرب اسكتلندا عن مقتل (٢٥٨) راكباً بتحطم طائرة نوع البوينغ التابعة لشركة خطوط بانام التي كانت تقوم بالرحلة رقم (١٠٣) بين لندن ونيويورك الأمريكية ، وأعلنت الجريدة انتشل عمال الإنقاذ جهازي تسجيل الرحلة من بين حطام طائرة الركاب التابعة لشركة بان الأمريكية التي انشطرت بالجو وسقطت فوق مدينة اسكتلندية ، أوضحت الجريدة أن وزير النقل بول تشانون(Paul Channon) أمام مجلس العموم معلناً انه تم العثور على الجهازين وهو قد ما يوضح سبب الحادث ,و تحطمت أثناء رحلة من لندن إلى نيويورك ,واشتعلت فيها النيران دون أن تصدر عليها أي إنذارات حينما سقطت من ارتفاع (٩,٥٠٠)متر فوق منطقة لوكربي التي تقع على بعد ١١٠ كيلو متر تقريباً جنوبي غلاسكو ,واصطدمت الطائرة بمحطة بنزين وتناثر حطامها فوق أسطح مبان وحدائق اشتعلت في منازل عدة عند انفجار الطائرة ،وأعلنت الجريدة أن العثور على الحطام في ستة أماكن متفرقة في دائرة نصف قطرها ١٦ كيلو مترا تكهنات بأن يكون سبب الحادث وقوع انفجار بالطائرة ، و أشارت أن شركة الطيران لم تعرف أسباب الحادث و اسم الطائرة **(كليبر ميد اوف ذي سيز** clipper maid of the seas)لم تعلن عن حدوث أي خلل على متنها قبل اختفائها فجأة من على شاشات الرادار [١٤].

وفي خبر أخر عن الحادث أشارت الجريدة تحت **عنوان (تواصل عمليات البحث عن ضحايا الطائرة الأمريكية)** واصلت قوات الشرطة والجيش البريطاني جمع جثث ضحايا

حادثة انفجار الطائرة الأمريكية المنشرة في مساحة تبلغ خمسة عشر ميلاً على امتداد قرية لوكربي باسكتلندا وأكدت الجريدة أخر الإحصائيات مواقع الحادثة ان ١٥٠ قتيلا تم جمع جثثهم فيما أكدت الجريدة عن استمرار البحث عن أكثر من ١٠٣ ضحية وغالبيتهم جوازات سفر أمريكية باستثناء ٣٥ بريطانية وعدد من الأوربيين وأفراد من جنسيات أخرى ،ونقلت الجريدة عن أن وزير المواصلات البريطاني بول شانون أن النظام الأمني في كل المطارات البريطانية ستتم مراجعته في أعقاب انفجار الطائرة الأمريكية التي تحطمت بعد إقلاعها من مطار هيثرو احتمال ان يكون عمل تخريبي وراء تحطم طائرة الركاب الأمريكية في اسكتلندا وأعلنت الناطقة بلسان وزارة الخارجية الأمريكية فليس اوكلي (Phyllis Oakley)في واشنطن أن الولايات المتحدة تلقت أخيراً العشرات من اتصالات التهديد لمصالحها [١٥].

واصلت الجريدة في متابعة أخبار الحادث وأشارت في عنوان جديد **(أمريكا تهدد بضرب ليبيا)** عقد مجلس الجامعة العربية على مستوى المندوبين الدائمين للنظر في التهديدات الأمريكية الأخيرة ضد ليبيا ، وذكرت الجريدة أن مجلس سيستمع إلى شرح من السيد عبد العاطي مندوب ليبيا الدائم لدى جامعة حول ملابسات اتهام الولايات المتحدة الأمريكية بوجود صناعة الاسلحة الكيمياوية في ليبيا وأعلن البيان الذي تضمن الموقف العربي من التهديدات الأمريكية باستخدام القوة العسكرية ضد ليبيا ، أوضحت الجريدة أن وزير الخارجية الليبي جاد الله عزوز الطلحي ، رفض قاطعاً اتهامات واشنطن ووصفها بأنها باطلة وأكدت بالتزام طرابلس بجميع المعاهدات الدولية وعزمها المشاركة في جميع الجهود والرامية إلى إزالة الأسلحة الكيميائية [١٦].

وجاء في عنوان أخر **(العراق يشارك في اجتماع عربي)** ابلغ فيها العراق الأمانة العامة للجامعة العربية في ٢٥/كانون الأول /١٩٨٨ موافقته على المشاركة في الاجتماع الاستثنائي لمجلس الجامعة على مستوى المندوبين الدائمين للنظر في التهديدات الأمريكية ضد ليبيا ، واستمع المجلس خلال انعقاده إلى شرح من مندوب ليبيا حول ملابسات الاتهام الأمريكي لليبيا بوجود صناعة للأسلحة الكيمياوية ومخاطر تهديداتها على الوضع على

منطقة المغرب العربي واستعداد ليبيا لاستقبال وفد دولي للتحقيق في صحة التزاماتها بالمواثيق الدولية التي تحرم إنتاج مثل هذه الأسلحة [١٧].

وفي عدد أخر نشرت جريدة الجمهورية مقال أخر بعنوان **(تحذير واشنطن من العدوان على ليبيا)** حذر مجلس الجامعة العربية في ٢٧/كانون الأول /١٩٨٨ من مغبة أقدام الولايات المتحدة الأمريكية على عدوان عسكري ضد ليبيا وأعلن تضمانه مع ليبيا ضد تهديدات واشنطن ، وعبرت الجريدة أن مجلس في بيان أصدره عن بالغ قلقه من أن تكون التهديدات الأمريكية لليبيا مقدمة لشن عدوان جديد ووصفها بأنها عامل توتر من شأنه ان يسئ إلى جو الانفراج والسلم الدولتين الذي تحرص البلدان العربية على دعمه وتعزيزه ، وذكرت الجريدة البيان أن الدول العربية تلتزم بشكل كامل بالمواثيق وكذلك بمبادئ القانون الدولي،وضحت الجريدة رفضها لأسلوب واشنطن الذي يفترض أن يترك القضايا المختلف عليها للمنظمات الدولية المختصة سواء الأمم المتحدة أو وكالة الطاقة لتعالجها [١٨].

ونقلت الجريدة في موضوع أخر **(تدويل قضية التهديدات الأمريكية ضد ليبيا)** ، دخلت قضية التهديدات الأمريكية الموجهة إلى ليبيا مرحلة التدويل في أحداث تطور سياسي لها بينما تتصاعد حملات الشجب والإدانة للموقف الأمريكي فقد أعلن مسؤول ليبي في أعقاب اجتماع مجلس الجامعة أن بلاده سترحب بأجراء تحقيق دولي حول مصنع الأدوية الذي تدعي الولايات المتحدة بأنه يقوم بإنتاج أسلحة كيمياوية وان ليبيا رحبت بمثل هذا التحقيق شرط أن يجري تنفيذه من قبل لجنة دولية [١٩].

وتابعت صحيفة الجمهورية تطورات القضية ونشرت هذه المرة مقال بعنوان **(واشنطن ترفض اقتراحاً بتفتيش المصنع)** ، أوضحت الجريدة عن إعلان العراق عن رفض الولايات المتحدة عرض الرئيس الليبي معمر القذافي بأجراء تفتيش على مصنع ليبي للأدوية من جانب لجنة دولية فقد وصفت العرض بأنه غير كاف ،وزعمت الولايات المتحدة الأمريكية مجدداً أن المصنع الذي يجري بناؤه على بعد (٥٠) كم جنوب غرب طرابلس هو مصنع للأسلحة لن ينتج سوى المستحضرات الطبية ،و أعلن العراق أن الرئيس الأمريكي رونالد

ريغان قد أعلن أن واشنطن تبحث عن القيام بعمل عسكري ضد ليبيا غير ان المستشارين العسكريين أعلنوا أن مثل هذا العمل لا يمثل خياراً جادا [٢٠].

ونشرت جريدة الجمهورية عناوين أخرى عدة (**تضامن العربي مع ليبيا**)،(**طرابلس تحذر واشنطن**) ، عن تحذير ليبيا للولايات المتحدة من مغبة شن أي هجوم جديد على أراضيها فقد أعلن عن أنباء الليبية أن الإدارة الأمريكية تهدف من وراء تصعيد تهديداتها ضد ليبيا للبدء في تنفيذ خطة عسكرية تم أعدادها بالكامل ،وأكدت ليبيا أن الرأي العام الدولي سيقف إلى جانبها وسيكون مؤيداً لما ستتخذه من إجراءات مشروعة للدفاع عن نفسها [٢١] .

وفي مقال تحت عنوان (**تصرف يدعو إلى الشجب**) ، بينت الجريدة أن العراق يعلن عن خبر اشتباك جوي وقع بين طائرتين ليبيتين وآخرين أمريكيتين أسفر عن سقوط الطائرتين الليبيتين وكتبت الجريدة عن بعض التفاصيل التي تحيط بهذا الاشتباك ورأت انه لا يجوز دولة عظمى سواء كانت الولايات المتحدة أم غيرها أن تتصرف بأبسط الأمور بروح رد الفعل وتهرع إلى استعراض عضلاتها واستخدام قوتها تجاه أي دولة أخرى كبيرة أم صغيرة يضيع الدولة العظمى التي تستخدمها فرصة استخدام عقلها في التعامل مع مشاكل العالم و الإسهام في حلها ويضع بينها وبين دول العالم حاجزاً يعيق التفاهم ويخلق مناخاً دولياً يعقد المشاكل ويضخمها بدلاً من تبسيطها وتسهيل عملية حلها ، فقد وضحت الجريدة رأي العراق بأن امتلاك أي دولة قوة متميزة من دون أن تستخدم عقلها في حل المشكلات الثنائية أو الدولية يشكل خطورة على امن العالم وسلامه ويهدد الإنسانية بأفدح الكوارث ،و أعلن العراق أن احترام القانون الدولي واجب جميع الدول صغيرها وكبيرها . ثم كتبت الجريدة بعنوان أخر(**الطائرات الأمريكية تسقط طائرتين**)،(**ليبيا تقدم شكوى عاجلة إلى مجلس الأمن الدولي**)[٢٢].

وتبين في ضوء ذلك ان أدارة هيئة تحرير الجريدة حرصت على متابعة أحداث لوكربي لما فيها من تداعيات لاسيما فيما يتعلق بالتجاوز على الحقوق الليبية ، بوصفها دولة عربية وعضو فاعل في جامعة الدول العربية .

٢- موقف جريدة الثورة

تابعت جريدة الثورة العراقية أحداث ووقائع وتداعيات حادثة لوكربي فقد نشرت الجريدة مقال بعنوان **(طائرة أمريكية تتحطم في الجو وتدمر ٤٠ منزلاً في بلدة اسكتلندا)،(مقتل ٢٧٣ شخصاً وتكهنات بانفجار الطائرة قبل سقوطها)،و** أكدت أن جميع من كانوا على متن الطائرة الأمريكية البالغ عددهم ٢٥٨ شخصاً بضمنهم أعضاء الطاقم قد لقوا مصرعهم ، نقلت الجريدة عن هيئة الإذاعة البريطانية ومحطات تلفزيونية أن السكان دفنوا تحت الحطام عندما انفجرت الطائرة ودمرت حوالي ٤٠ منزلاً ،أشارت الجريدة إلى التقارير الأولية إلى إن معظم ركاب الطائرة كانوا من العسكريين الأمريكيين العائدين إلى بلادهم في أجازات من قاعدتهم في المانيا ونحو ٢٧ طالباً من جامعة سيراكيوز في نيويورك ،فقد ذكرت الأمم المتحدة أن من بين ركاب الطائرة المنكوبة الدبلوماسي السويدي بيرت كارنسون(Bernt Carlson) مفوض المنظمة الدولية لشؤون ناميبيا ومدير الاتصالات الدولية لوكالة اسوشيتنبرس جون مولروي ،ونقلت الجريدة عن إعلان احد المراقبين الجويين أن كل شي كان طبيعياً ومتطابقاً مع قواعد النقل الجوي ، فقد وضحت الجريدة أن المراقبين الجويين في اسكتلندا انه فقدو الاتصال بالطائرة في الساعة ١٩,١٧ بتوقيت كرينتش وان طيار تحدث قبل ذلك بدقيقتين مع المراقبة الأهلية وأشار إلى الطائرة تفقد ارتفاعها بسرعة ،و أعلن المتحدث باسم مركز الإنقاذ التابع لسلاح الجو البريطاني في اسكتلندا لم تعد هناك عملية إنقاذ سوى انتشال الجثث وقد ثارت تكهنات بأن انفجار سبب الحادث عندما اكتشفت قطع من الحطام في ستة أماكن مختلفة على نطاق دائرة نصف ١٦ كيلو متراً [٢٣].

وفي عنوان أخر نشرته الجريدة **(واشنطن تدرس احتمال وجود عمل تخريبي وراء تحطم الطائرة الأمريكية)، (عدد من موظفي الخارجية الأمريكية كانوا على متن الطائرة)** ، وأكدت الولايات المتحدة إنها تدرس احتمال أن يكون عمل تخريبي وراء تحطم طائرة ركاب أمريكية في اسكتلندا ، و أعلنت الناطقة بلسان وزارة الخارجية فيليس اوكلي (Phyllis Oakley)في واشنطن أن الولايات المتحدة تلقت العشرات من اتصالات التهديد لمصالحها، وأعلنت أن هذه التهديدات غير قابلة للتحقيق كانت في كل مرة تؤخذ على محمل الجد . [٢٤]

أيد وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز (George Shultz) الأنباء التي ذكرت ان ثلاثة من موظفي وزارة الخارجية الأمريكية كانوا على متن الطائرة التي سقطت في اسكتلندا وكان اثنان منهم متمركزين في بيروت والثالث في نيقوسيا [٢٥].

وجاء في عنوان أخر **(عبوة متفجرة وراء كارثة الطائرة الأمريكية)** أعلن المسؤول البريطاني عن تحقيق وزارة النقل اليوم في لوكربي أن انفجار طائرة اليوينغ التابعة لشركة بانام ناتج عن عبوة متفجرة وذكرت الجريدة أن مجهول أكد انه يتحدث باسم ما يسمى بحراس الثورة الإسلامية أعلن مسؤوليته عن الاعتداء في اتصال هاتفي بوكالة أنباء أمريكية في لندن [٢٦].

في ٣٠ / كانون الأول /١٩٨٨ بدأت عملية بحث دولية لكشف مفجري الطائرة الأمريكية، و أعلنت عائلات الضحايا ستلاحق الحكومة الأمريكية قضائياً ، بسبب ما حصل من إهمال خطير من ناحيتهما عندما لم ينبها الناس إلى الخطر ،واكتفى محامي ويبلي يلمح إلى الإنذار الذي أطلقه مجهول أتصل في ٥/ كانون الأول بسفارة الولايات المتحدة في هلسنكي وحذر من أن الاعتداء سيتم ارتكابه في غضون ١٥ يوماً ضد طائرة بان أمريكان تنطلق في فرانكفورت [٢٧].

وفي ٣/ كانون الثاني /١٩٨٩ حذرت ليبيا من مغبة الهجوم الأمريكي على أراضيها، وأعلنت وكالة الأنباء الليبية أن الإدارة الأمريكية تهدف وراء تصعيد تهديداتها ضد ليبيا إلى البدء في تنفيذ خطة عسكرية ، وأنها على يقين من أن الرأي العام الدولي سيقف إلى جانبها وسيكون مؤيداً لما تتخذه من إجراءات مشروعة للدفاع عن نفسها [٢٨].

المبحث الثالث

تطورات قضية لوكربي والموقف الدولي في ضوء أخبار وتقارير جريدتي الجمهورية والثورة ١٩٩٠ – ١٩٩٢

– تقارير وأخبار جريدة الجمهورية بشأن قضية لوكربي

واصلت جريدة الجمهورية متابعة أحداث لوكربي وجاء في عنوان **(حملة أمريكية بريطانية فرنسية تمهد لعدوان جديد على ليبيا) ،(طرابلس تحدث واشنطن ولندن بتقديم**

أدلة وطالبت بتحقيق دولي محايد في حادث لوكربي) نقلت الجريدة بأن ليبيا نفت رسمياً في يوم ١٥/تشرين الثاني /١٩٩١ الاتهامات التي وجهتها إليها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بالتورط في عملية لوكربي ، ودعت إلى تشكيل لجان دولية محايدة للتحقيق في هذه الاتهامات التي تأتي في أطار حملة تمهيداً لعملية ضد ليبيا ، ذكرت وكالة الأنباء الليبية الملتقطة في نيقوسيا عن بيان أصدرته اللجنة الشعبية للاتصال الخارجي والتعاون الدولي قولها أن (وزارة الخارجية تنفي نفياً قاطعاً علاقة لليبيا بالحادث المؤسف الذي أدى إلى تحطم الطائرة) ، وأكد البيان مجدداً أدانه ليبيا للإرهاب بكل أشكاله ، وأعربت الجريدة عن تعاطف الشعب الليبي وتضامنه مع اسر ضحايا الحادث المذكور ، و أضاف البيان أن ليبيا تحتفظ بحقها الكامل في الدفاع المشروع عن نفسها أمام القضاء النزيه والمحايد وأمام منظمة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية وغيرها [٢٩].

واصلت الجريدة عرض إيضاح الوزارة أن البديل للغة التهديد هو الحوار والحجة والمنطق مشيرة إلى انه لم يتم إي اتصال بالسلطات القضائية المختصة في ليبيا لاستيضاح الحقيقة من هذه الاتهامات ، ودعا البيان الولايات المتحدة وبريطانيا إلى اللجوء إلى منطق القانون والحكمة والعقل من خلال الاحتكام إلى لجان تحقيق محايدة والى محكمة العدل الدولية ، وأكد السفير الليبي علي احمد التريكي في تصريح له لشبكة التلفزيون الأمريكية (CNN) "أن هذا شيْ لا معنى له" نحن نتحدى السلطات الأمريكية والبريطانية أن تقدم أي دليل ملموس ،وعلق على إعلان البيت الأبيض أن الولايات المتحدة تبحث مع دول أخرى الإجراءات ولم يستبعد المتحدث استخدام القوة العسكرية ضد ليبيا لاعتقال الشخصين الليبيين هما عبد الباسط المقرحي والامين خليفة فحيمة على حد قوله [٣٠].

وتابعت جريدة الجمهورية أنه في الثامن عشر من تشرين الثاني /١٩٩١ تؤكد منظمة في لبنان مسؤوليتها عن تفجير طائرة(Panam) رفضت حكومة بوش الاب طلباً ليبيا بأن توضع أوراق قضية انفجار طائرة الركاب بان أمريكان –رقم (١٠٣) أمام هيئة دولية كمحكمة العدل الدولية فقد ابلغ بوش الاب بولا(Paula) مراسلة إذاعة صوت أمريكا عن البيت الأبيض قوله سيستمر في التعامل مع هذه القضية من خلال النظام القضائي في كل

من الولايات المتحدة وبريطانيا ، في حين أعربت الجريدة عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عن قلقها البالغ للتهديدات الموجهة من الولايات المتحدة وبريطانيا إلى ليبيا،وأعلنت الأمانة العامة للجامعة العربية في بيان أصدرته الخارجية الليبية الذي نفى ان تكون لليبيا أي يد بهذا الحادث ،دعت الجريدة بالحرص على الالتزام بقواعد القانون الدولي ومبادئه القائمة على عدم جواز استخدام الأنشطة الإرهابية في العلاقات الدولية والحفاظ على المدنيين من التعرض لمخاطر هذه الأنشطة الأمر الذي ينفي أي صلة لليبيا بحادث الطائرة الأمريكية التي أسقطت [٣١].

وبينت الجريدة أن المجلس الوطني يقف إلى جانب ليبيا ، اجتمع وفد من المجلس الوطني في طرابلس مع أمين شؤون المؤتمرات الشعبية بأمانة مؤتمر الشعب العام الليبي ،وعبرت الجريدة عن مساندة العراق وتأييدهم للشعب الليبي في مواجهة التهديدات الأمريكية والبريطانية [٣٢].

ونشرت الجريدة في ٢٣ / تشرين الثاني / ١٩٩١ في صفحاتها عنواناً **(عن احد المتهمين في قضية لوكربي مستعد للمثول أمام القضاء الليبي)** ، وأكد الأمين خليفة مخيمة ومحمد المقرحي المتهمين الليبيين في الحادث وبين انه لا علاقة له بالموضوع ، مشيراً إلى انه ليس رجل استخبارات وليس رجلاً، فقد أعلن انه غادر مركز عمله كمدير للخطوط الجوية الليبية في أيلول ١٩٨٨ ،قبل ثلاثة أشهر من الحادث وقال انا مستعد للمثول أمام أي محكمة ليبية لتنفيذ هذه الاتهامات، ونفى إبراهيم البشاري وزير الخارجية الليبي مسؤولية ليبيا في الحادث الطائرة الأمريكية فوق اسكتلندا قبل ثلاث سنوات حسب الادعاءات أن ليبيا ، وعينت قاضياً من قضاة المحكمة العليا للتحقيق من القضية [٣٣] .

وفي ٢٧/تشرين الثاني/١٩٩١ أشارت جريدة الجمهورية بأن الوزير الليبي أن بلاده تحتفظ بحقها في الدفاع المشروع عن النفس في حال تعرضها لهجوم في الولايات المتحدة وبريطانيا معرباً عن أسفه للهجة التهديد في التصريحات الأمريكية والبريطانية ضد ليبيا ووجهت إلى لغة الحوار وسلطت القانون وصوت الحق والعقل [٣٤].

– مقالات ومتابعات جريدة الثورة لحادثة لوكربي

نقلت جريدة الثورة عن ما تحدث به الرئيس معمر القذافي وبين أن المشاكل العربية يمكن حلها عن طريق الجامعة العربية وأكد أن الولايات المتحدة تفرض نوع من القوة على الأرض والعالم ، (٣٥).

وتابعت الجريدة حيثيات الأزمة الليبية فقد عد الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي أن تطبيق ليبيا للقرار الولايات المتحدة الامريكية ٧٣١ بادانة ليبيا وتورط مواطنيها في حادثة لوكربي ,قرار ٧٤٨ وبه فرضت الولايات المتحدة الامريكية عقوبات دولية شاملة على ليبيا ومنها حضر الطيران اضافة الى الحضر العسكري سينهي التدهور مع الغرب ، في الوقت الذي اجتمعت لجنة المتابعة العربية السباعية لإيجاد مخرج للازمة من القاهرة وأعلن غالي في تصريح له أن دوره في تشجيع الحكومة على تنفيذ الطلبات التي نص عليها القراران ، في حال إذا طبقت الحكومة الليبية هذين القرارين فأننا سنتجنب تدهورا ، ولم يعلق على أسباب الرفض الليبي التي تدور أساساً حول تناقض القرارين مع القوانين الليبية التي تحظر تسليم الليبيين إلى دولة أجنبية ولكن لم يكشف النقاب عن طبيعة هذا المقترح (٣٦).

وواصلت الجريدة اهتمامها بالأحداث في ليبيا فأوضحت في عنوانا لها **(محامي الدفاع لا يضمن عدالة المحكمة)،(ردود فعل حذرة حول مثول الليبيين أمام القضاء البريطاني أو الأمريكي)** ،وصدر رد فعل حذر من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على الأنباء التي أشارت إلى أمكانية سماح ليبيا بتسليم المواطنين المتهمين بتفجير طائرة الركاب الأمريكية للمثول أمام القضاء في لندن أو واشنطن ضمنت محاكمة عادلة كما أعلن المتحدث باسم الخارجية الأمريكية ذكر أن أمريكا لم تجر أي اتصال مع أية جهة حول إمكانية مثول الليبيين أمام المحكمة الأمريكية ، كما أشار إلى أن الولايات المتحدة وبريطانيا لم تتلقيا أي طلب أو اقتراح عن ليبيا بهذا الشأن ، وأكد المتهمان ومحامي الدفاع الخاص بهما انه لا يمكن أجراء محاكمة عادلة لهما في اسكتلندا أو الولايات المتحدة بسبب ما وصفه المحامي إبراهيم الغويل لهيئة الإذاعة البريطانية بالترويج الإعلامي المتحيز قبل المحاكمة ، وأضاف انه يشك بضمانات تحقيق أجهزة المخابرات البريطانية أو الأمريكية

معها من جهة أخرى فقد أعلن مسؤول في وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد أن مجلس الأمن لا يطالب فقط بمحاكمة المرتاب بهما وإنما وضع المجلس شروطاً أخرى لرفع الحضر الجوي والعسكري الذي بدأ بتطبيقه منذ ١٥/نيسان /١٩٩٢ (٣٧).

ونشرت الجريدة مقالاً بعنوان **(تقصير با نام وراء تفجير الطائرة فوق اسكتلندا)** أدانت هيئة محلقين في نيويورك شركة بان أمريكان للطيران بسبب سوء تصرفها وإهمالها فيما يتعلق بتفجير الطائرة الأمريكية التابعة للشركة فوق اسكتلندا عام ١٩٨٨ ، وأعلنت هيئة المحلقين إلى أن الشركة سمحت بتخفيف الإجراءات الأمنية من اجل تحقيق ربح اكبر وأخفقت في التحقيق من إن كل حقيبة تعود إلى راكب موجود على متن الطائرة ،كما اخفق مسؤولوا أمن الشركة في إرسال تحذير إلى الطيار (٣٨).

الخاتمة :

أظهرت الدراسة متابعة الصحافة العراقية جريدتا الجمهورية والثورة حرصهما على متابعة قضية لوكربي عام ١٩٨٨ – ١٩٩٢ ، وبينت في كثير من مقالاتها موقف الرأي العام العراقي مع القضايا العربية ، ولاسيما دعم الشعب الليبي.

أن موقف الخطاب الاعلامي العراقي مرة بمرحلة من الحذر والحيطة ودعا الصحف إلى تحقيق دولي عادل ، والدفاع عن ليبيا ، ورفض الاتهامات التي تعرضت لها ليبيا , وكانت مؤيدة وداعمة لليبيا.

أسهمت الصحيفتين في تشكيل الرأي العام العراقي المتوافق مع الموقف الرسمي للحكومة العراقية ، فقد طالبت الصحيفتين إلى تعزيز التعاون الدولي والأمن والاستقرار وتحقيق العدالة الدولية بعيدا عن العقوبات.

وفي نفس الوقت أظهرت هذه المقالات مواقف الولايات المتحدة والقوى الأوربية في الحادثة وكيف أنها أرادت استغلال هذه الحادثة وإلزام المنظمات الدولية في توجيه العقوبات إلى ليبيا اي قدمت وثائق عن سلامة موقفها من تلك الحادثة .

وفي الختام أن الحوار الدولي هي الطريق الأمثل من اجل تجاوز الأزمات السياسية التي تمر بها الدولتين ، كما دعت الصحيفتين إلى تحقيق التعاون بينهم .

الهوامش:

١-علي عيسى محمد العدوان ، موقف جامعة الدول العربية من أزمة لوكربي ١٩٨٨-١٩٩٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة أل البيت ،العلوم السياسية في معهد بيت الحكمة ،٢٠٠٠،ص ٨٨.

٢- ثورة الفاتح : انقلاب عسكري قادة الضباط الأحرار بقيادة العقيد معمر القذافي في ١/ ايلول /١٩٦٩ موعداً لإعلان الثورة ، أطاحت بالنظام الملكي ،وقيام الجمهورية العربية الليبية . للمزيد ينظر: هاجر خضر محمد النصراوي ، معمر القذافي ودوره في سياسة ليبيا الداخلية حتى عام ١٩٨٦، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،٢٠١٦،ص ٤٠.

٣-محمد مصباح إدريس الصادق ،قضية لوكربي بين القانون الدولي والمنظمات الدولية المختصة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ،٢٠٠٢، ص٨.

٤- عوض عثمان ، العلاقات الليبية الأمريكية ١٩٤٠-١٩٩٢، مركز الحضارة العربية للإعلان والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ ،ص ٩٩ .

٥- جيمي كارتر: ولد في ولاية جورجيا في ١/تشرين الأول /١٩٢٤ ،اكمل دراسته في المدارس العامة ، ثم أكمل الثانوية ، بعدها أكمل في معهد تكنولوجيا في عام ١٩٤٣،تخرج من الأكاديمية للولايات المتحدة عام ١٩٤٦ ،شغل مناصب عدة منها منصب الرئيس للولايات المتحدة . للمزيد ينظر : زياد مهيدي صالح الطائي ، السياسة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ١٩٨١ – ١٩٧٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠١٣،ص ٦٥.

٦- سيد عبد الرحيم أبو خبر ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو ليبيا ١٩٦٩- ١٩٨٩ ، زهران للنشر ،٢٠١٦ ،ص١٩٨.

٧- معمر القذافي : ولد في بلدة سرت في عام ١٩٤٢ ،أكمل دراسته ، وتتخرج من الكلية العسكرية برتبة ملازم عام ١٩٦٥، قاد ثورة الفاتح عام ١٩٦٩ وأطاح بعرش الملك إدريس السنوسي ، ثم أعلن قيام الجمهورية ، رقى إلى عقيد ، ثم عين لمجلس الثورة ورئيسا للوزراء . للمزيد ينظر : فراس البيطار ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج١ ،دار أسامة للنشر ، الأردن ، ٢٠٠٣، ص٩٨٧.

٨- ماجد الحموي ، قضية لوكربي بين السياسة والقانون العلاقة بين محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد السابع عشر ، العدد الثاني ، ٢٠٠١ ، ص٣٣.

٩- مها محمد الشبوكي ، إشكاليات لوكربي أمام مجلس الأمن ، دار الجماهيرية للنشر ،ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٤ – ٢٥ .

١٠- مجموعة من الخبراء والباحثين ، قضية لوكربي ومستقبل النظام الدولي الأبعاد : السياسية والإستراتيجية والقانونية ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ١٦ .

١١- مها محمد الشبوكي ، المصدر السابق ، ص ٣١.

١٢- عبد الهادي محفوظ ، في معاني التهديد الأمريكي ليبيا ، مجلة كل العرب ، المنشورات الشرقية ، باريس ، العدد ٣٣٢ كانون الثاني ، ١٩٨٩ ، ص ٣١ .

١٣- حوراء ياسين كمر الدليمي ، موقف الصحافة المصرية من تطورات قضية لوكربي جريدتي الأهرام والجمهورية أنموذجاً (١٩٨٨ – ٢٠٠١ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة العراقية ، كلية الأداب ، ٢٠٢٢ ، ص ٢٣ .

١٤ – الجمهورية ،٢٣/كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٣٧.

١٥- الجمهورية ،٢٤/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٣٨.

١٦- الجمهورية ،٢٥/كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٣٩.

١٧- الجمهورية ،٢٦/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٤٠.

١٨- الجمهورية ،٢٨/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٤٢.

١٩- الجمهورية ، ٢٩/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٤٣.

٢٠- الجمهورية ،١/ كانون الثاني/١٩٨٩ ،٤٠٤٦ .

٢١- الجمهورية ،٣ / كانون الثاني/١٩٨٩ ،٤٠٤٨.

٢٢- الجمهورية ، ٥ /كانون الثاني/١٩٨٩ ، ٤٠٥٠.

٢٣- الثورة ،٢٣ /كانون الأول / ١٩٨٨،٦٧٨٤.

٢٤- الثورة،٢٤ /كانون الأول/١٩٨٨ ،٦٧٨٥.

٢٥- الثورة ،٢٥ /كانون الأول/١٩٨٨ ،٦٧٨٦.

٢٦- الثورة ،٢٩ /كانون الأول/١٩٨٨ ،٦٧٩٠.

٢٧- الثورة ،٣٠ /كانون الأول /١٩٨٨،٦٧٩١.

٢٨- الثورة،٣ /كانون الثاني /١٩٨٩،٦٧٩٥.

٢٩- الجمهورية ،١٦/ تشرين الثاني/١٩٩١ ،٨٠٣٨.

٣٠- الجمهورية ، ١٧/تشرين الثاني/١٩٩١ ،٨٠٣٩.

٣١- الجمهورية ،١٨ /تشرين الثاني/١٩٩١،٨٠٤٠.

٣٢- الجمهورية ،٢١ /تشرين الثاني/١٩٩١،٨٠٤٣.

٣٣- الجمهورية ،٢٣ /تشرين الثاني/١٩٩١،٨٠٤٤.

٣٤- الجمهورية ،٢٧ /تشرين الثاني/ ١٩٩١،٨٠٤٨.

٣٥- الثورة ،١٨ /آب/ ١٩٩٠،٧٣٨٢.

٣٦- الثورة ،٨ /نيسان/ ١٩٩٢،٧٩٠٢.
٣٧- الثورة ،١٩ /نيسان/ ١٩٩٢،٧٩١١.
٣٨- الثورة ، ١٢ / تموز/١٩٩٢ ،٧٩٨٢.

المصادر:

١-العدوان ،علي عيسى محمد ، موقف جامعة الدول العربية من أزمة لوكربي ١٩٨٨-١٩٩٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة أل البيت ،العلوم السياسية في معهد بيت الحكمة ،٢٠٠٠.

٢-النصراوي ،هاجر خضر محمد ، معمر القذافي ودوره في سياسة ليبيا الداخلية حتى عام ١٩٨٦، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،٢٠١٦.

٣-الصادق ،محمد مصباح إدريس ،قضية لوكربي بين القانون الدولي والمنظمات الدولية المختصة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ،٢٠٠٢.

٤- عثمان ،عوض ، العلاقات الليبية الأمريكية ١٩٤٠-١٩٩٢، مركز الحضارة العربية للإعلان والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤.

٥- الطائي ،زياد مهيدي صالح ، السياسة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ١٩٨١ – ١٩٧٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠١٣.

٦- ابو خبر، سيد عبد الرحيم ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو ليبيا ١٩٦٩-١٩٨٩ ، زهران للنشر ،٢٠١٦.

٧- البيطار، فراس ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج١ ،دار أسامة للنشر ، الأردن ، ٢٠٠٣.

٨- الحموي ،ماجد ، قضية لوكربي بين السياسة والقانون العلاقة بين محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد السابع عشر ، العدد الثاني ، ٢٠٠١.

٩- الشبوكي ،مها محمد ، إشكاليات لوكربي أمام مجلس الأمن ، دار الجماهيرية للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٠.

١٠.- مجموعة من الخبراء والباحثين ، قضية لوكربي ومستقبل النظام الدولي الأبعاد : السياسية والإستراتيجية والقانونية ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٢.

١١- محفوظ ،عبد الهادي، في معاني التهديد الأمريكي ليبيا ، مجلة كل العرب ، المنشورات الشرقية ، باريس ، العدد ٣٣٢ كانون الثاني ، ١٩٨٩.

١٢- الدليمي ،حوراء ياسين كمر ، موقف الصحافة المصرية من تطورات قضية لوكربي جريدتي الأهرام والجمهورية أنموذجاً (١٩٨٨ – ٢٠٠١ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة العراقية ، كلية الأداب ، ٢٠٢٢.

١٣ – الجمهورية ،٢٣/كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٣٧.

١٤- الجمهورية ،٢٤/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٣٨.

١٥- الجمهورية ،٢٥/كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٣٩.

١٦- الجمهورية ،٢٦/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٤٠.

١٧- الجمهورية ،٢٨/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٤٢.

١٨- الجمهورية ، ٢٩/ كانون الأول/١٩٨٨ ،٧٠٤٣.

١٩- الجمهورية ،١/ كانون الثاني/١٩٨٩ ،٤٠٤٦ .

٢٠- الجمهورية ،٣ / كانون الثاني/١٩٨٩ ،٤٠٤٨.

٢١- الجمهورية ، ٥ /كانون الثاني/١٩٨٩ ، ٤٠٥٠.

٢٢- الثورة ،٢٣ /كانون الأول / ١٩٨٨،٦٧٨٤.

٢٣- الثورة،٢٤ /كانون الأول/١٩٨٨ ،٦٧٨٥.

٢٤- الثورة ،٢٥ /كانون الأول/١٩٨٨ ،٦٧٨٦.

٢٥- الثورة ،٢٩ /كانون الأول/١٩٨٨ ،٦٧٩٠.

٢٦- الثورة ،٣٠ /كانون الأول /١٩٨٨،٦٧٩١.

٢٧- الثورة،٣ /كانون الثاني /١٩٨٩،٦٧٩٥.

٢٨- الجمهورية ،١٦/ تشرين الثاني/١٩٩١ ،٨٠٣٨.
٢٩- الجمهورية ، ١٧/تشرين الثاني/١٩٩١ ،٨٠٣٩.
٣٠- الجمهورية ،١٨ /تشرين الثاني/٨٠٤٠،١٩٩١.
٣١- الجمهورية ،٢١ /تشرين الثاني/٨٠٤٣،١٩٩١.
٣٢- الجمهورية ،٢٣ /تشرين الثاني/٨٠٤٤،١٩٩١.
٣٣- الجمهورية ،٢٧ /تشرين الثاني/ ٨٠٤٨،١٩٩١.
٣٤- الثورة ،١٨ /آب/ ٧٣٨٢،١٩٩٠.
٣٥- الثورة ،٨ /نيسان/ ٧٩٠٢،١٩٩٢.
٣٦- الثورة ،١٩ /نيسان/ ٧٩١١،١٩٩٢.
٣٧- الثورة ، ١٢ / تموز/١٩٩٢ ،٧٩٨٢.

مرويات التاريخ السري عن اثر وسيرة اولاد جنكيز خان المعتمدين الاربع.

دنيا رياض نون البنداوي

أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر

Donia.Riad2406m@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد – كلية الاداب – قسم التاريخ

مرويات التاريخ السري عن اثر وسيرة اولاد جنكيز خان المعتمدين الاربع

دنيا رياض نون البنداوي
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر

المقدمة :

يعد التاريخ السري للمغول من أهم المصادر التاريخية التي تناولت نشأة الدولة المغولية وتطورها الداخلي ,وهو النص الوحيد الذي كتب بلغة مغولية أصلية في القرن الثالث عشر الميلادي ,تكمن اهميته في كونه يقدم رؤية من داخل البيت المغولي ذاته , لا من منظور خارجي كما هو الحال في المرويات الصينية او الفارسية او الاسلامية ,مما يجعل تحليله اداة ضرورية لفهم البنية السياسية والاجتماعية والفكرية لتلك المرحلة .

ومن بين ابرز الموضوعات التي تناولها التاريخ السري عنوان " **مرويات التاريخ السري عن أثر وسيرة اولاد جنكيز خان المعتمدين الاربع** " الذين مثلوا الركائز الاساسية في بناء الامبراطورية المغولية وتوسيعها ,كما تبين اهمية تلك المرويات ترسيخ شرعية ابناء جنكيز خان وتوزيع السلطة بينهم لتقديم تصور اكثر توازنا عن ابناء جنكيز خان في بناء الامبراطورية المغولية .

يتناول البحث المرويات المتعلقة بأولئك الابناء دراسة تحليلية نقدية ,من خلال تتبع الصورة السردية لكل واحد منهم في ثلاث محاور رئيسية المحور الاول يخص سيرة الابناء الاربعة في مرويات التاريخ السري للمغول ,بما تتضمنه من اسمائهم ونسبهم ونشأتهم وصفاتهم وعلاقتهم مع بعضهم ,اما المحور الثاني فقد ركز على دورهم في أدارة اقاليم الامبراطورية ,وخصص المحور الثالث الى دورهم العسكري والقيادي في مرويات التاريخ السري .

المحور الاول : سيرة الابناء الاربعة في مرويات التاريخ السري للمغول.

كان لجنكيز خان من نسائه وجواريه الكثير من الاولاد ذكورا واناثا ,وكانت بورته فوجيين كبرى وفضلى زوجاته ,ووفقا لعادة المغول فأنه منزلة ابناء أب تختلف باختلاف

منزلة الامهات ,فاذا كانت الام اكبر منزلة ازداد ابناؤها منزلة ومقاما ,وكان لتلك الزوجة اربعة ابناء اضطلعوا بعظائم الامور وجلائل الاعمال ([1])

واول ابناء جنكيز خان هو جوجي الذي تنوعت الصيغ الواردة لاسم الامير جوجي في المصادر التاريخية فظهر بصور متعددة مثل جوجي([2]) و(توشى)([3]) و(جوتشى خان) ([4]) و(تشجوتشي) ([5]) وجميعها تعنى انه وجد فجأة وجاء الى الوجود فجأة ([6]) وايضا يعنى بالضيف ([7])

لقد ولد جوجي حوالي سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م , وتباينت الروايات حول نسبه الحقيقي بسبب حادثة اختطاف والدته بورته ,غير ان العديد من المصادر المغولية ,وفي مقدمتها مرويات التاريخ السري للمغول اكدت ان بورته كانت حاملا بجوجي قبل اختطافها وان جنكيز خان نفسه أقر بأبوته له قائلا :" **ان اكبر ابنائي هو جوجي** " ([8]) ,ووصفه في موضع اخر قائلا :" **انت يا جوجي أسن اولادي** ... " ([9])

وقدم المؤرخ رشيد الدين رواية تدعم هذا الرأي ,اذ ذكر أن زوجة جنكيز خان بورته عند غزو المركيت وخطفها كانت :" **حاملا بجوجي وكان هناك سلام قائما بين المركيت واونغ خان... وفي طريقها كانت حاملا بجوجي وولدته بسبب خطورة الطريق ,ولم يكن هناك مكان لمهد فعجن الرجل دقيقا ولفها به لكي لا تتألم اعضاؤه فسموه جوجي لانه جاء فجأة** ..." ([10])

ويبين هذا النص ان بورته قبل اختطافها كانت في شهور حملها الاولى ثم أعيدت الى جنكيز خان وتتفق المصادر الاخرى مثل البناكتي مع هذا الاتجاه ,ولم يصرح بقصة نسب جوجي واكتفى بوصفه الابن الاكبر لجنكيز خان ([11])

وكذلك فأن المؤرخ الجوزجاني ,لم يتطرق الى نسبه وصرح قائلا انه الابن الاكبر لجنكيز خان ,وهو ما يعكس قبولا عاما في الادبيات المغولية والاسلامية لأبوته الشرعية([12])

اما الابن الثاني فهو "**جغتاي خان**" ([13]) او ما يسمى ب **(جغطاي خان)** ([14]) في مصادر اخرى كان قد ولد في منغوليا عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م , وتوفي سنة ٦٣٨هـ /١٢٤م, بعد اصابته بمرض عضال ([15])

اما ابنه الثالث فهو "**اوكتاي خان** " الذي كان له النصيب الاكبر من مرويات التاريخ السري ,وكان والده يكن له احتراما كبيرا واعتبره الاقدر على الحفاظ على وحدة الامبراطورية واستمرار مشروعها ([١٦])

ولد عام ٥٨٢هـ /١١٨٦م , وورد اسمه في المصادر بصيغ متعددة مثل **(اقطاي),(اكداي) (اكتي)و(اكيتي)و(اكوتاي)** و **(اوجوداي)** ([١٧]) , وكلها ترجع الى الجذر المغولي والاختلاف فقط بالنطق ,اما المعنى فهو واحد يعنى به **(العروج الى الاعلى)**او **(الصعود الى القمة)**([١٨])

اما الابن الاصغر والرابع وهو تولوي خان الذي ولد حوالي سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م ,ويلقب بلقب "**ايكه نوين**" و" **الغ نوين** " اي الامير الكبير ([١٩]) , اما والده فكان يسميه بلقب **(را نوكر مي خوانده)** ,اي الخادم او المرافق لأنه كان يرافق جنكيز خان في جميع حملاته ([٢٠])

- **نشأة الابناء الاربعة:**

نشأ الابناء الاربعة في كنف والدهم جنكيز خان ووالدتهم بورته ,اذ تربوا وفق النظام القبلي المغولي الذي ركز على تنمية القدرات القتالية والقيادة العسكرية اذ كانوا دائما ملازمين ومصاحبين الابيهم ومعاونين له ([٢١])

اذ غرس فيهم جنكيز خان الوفاق والالفة والوئام وكثير ما كان يلقي على مسامعهم كلمات النصح والارشاد اذ يروي التاريخ السري انه قد :" **جمع ذات يوم ابناءه واستل سهما من غمده وكسره ثم استبدل بالواحد اثنين فكسروهما وكذلك اذ يزيد واحدا بعد الاخر حتى كثر عددها وعجز الابطال الاقوياء عن كسرها ثم توجه الى ابنائه قائلا: هذا مثلكم فالسهم الواحد ضعيف فاذا تضاعف عدده برفاقه كانوا لبعضهم عونا وسندا يعجز الابطال عن كسرهم والنيل منهم ويقرون بالعجز والضعف حياله ,فما دامت مظاهر التأييد ظاهرة بينكم ايها الاخوة ...**" ([٢٢])

ومن ارشادات جنكيز خان لأولاده لتقويم اخلاقهم وفق نشأة سليمة قوله لهم :" **اذا كنتم راغبين في ان تعيشوا في نعيم ودلال وتمضوا حياتكم في عز وهناء وتتمتعوا بالملك فرأيي**

الذي اسمعته لكم الان هو أن يخلفني اوكتاي على عرش السلطة لما تميز به بينكم من رجاحة عقل وصواب رأي ... "([٢٣])

ومن وصايا جنكيز خان التي تدعوا الى تماسك الابناء ووضعهم على المسار الصحيح اذ انه حتى اخر ما تفوه به ,قال لهم :" **اعلموا يا اولادي الجياد أنه قرب موعد سفري الى دار الاخرة ,ودنا اجلي وانا بقوة الاله والتأييد السماوي ,استخلصت مملكة عريضة بسيطة بحيث يسلك من وسطها الى طرف منها مسيرة سنة من اجلكم, يا ولادي وهياتها لكم فوصيتي اليكم أنكم تشتغلون بعدي بدفع الاعداء ورفع الاصدقاء وتكونوا جميعا على رأي واحد ,حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال وتتمتعوا بالمملكة** " ([٢٤])

- **صفات الابناء الاربعة المعتمدين :**

تميز كل ابن من ابناء جنكيز خان بصفات اهلته لتولي زمام السلطة والادارة ,فقد اتسم الابن الاكبر جوجي بصفات قيادية بارزة جمعت بين الشجاعة والدهاء والاتزان السياسي .

وقد وصفته المصادر المغولية بانه كان :" **في غاية الشجاعة والجرأة والرجولة والقتال ,وقد وصلت عظمته الى حد ان اباه كان يخشاه** " ([٢٥])

وعلى الرغم من شجاعته الميدانية فقد عرف بحكمته ومرونته في ادارة النزاعات وساحات القتال ,فقد اثنى عليه جنكيز خان بعد حملته الى قبائل الغابات عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م ,اذ اخضع تلك القبائل دون قتال فقال له جنكيز خان مبينا صفاته :" **أنت يا جوجي اسن اولادي الذي غادر الوطن للمرة الاولى دون ان تسبب الاذى الى انسان او حصان في الارض التي ذهبت اليها** ..." ([٢٦]) وتظهر هذه الرواية بوضوح ميل جوجي الى استخدام الوسائل السياسية واللين في التعامل مع الشعوب المغلوبة وهو ما جعله ركزا للقائد المتزن الذي يوزن بين القوة والرحمة .

اما صفات الابن الثاني جغتاي فقد وصف في مرويات التاريخ السري نقلا عن راي والده جنكيز خان قائلا :" **أن جاداي عنيد ومتطلب وهو بطبعه حريص على التشكيلات...**"([٢٧])

ووصفه رشيد الدين الهمذاني بأنه :" **مباركا وقويا صارما عبقريا ...**" ([٢٨]) وفي رواية اخرى تذكر صفات جغتاي حينما كان جنكيز خان يحتضر اوصى بالملك لابنه اوكتاي : " **على الرغم من ان جغتاي أكبر من اوكتاي الا ان جغتاي كان قاتلا وظالما...**"([٢٩])

اما الابن الثالث اوكتاي خان فقد تميز بصفات الايجابية والسلبية ايضا ,فقد اشتهر في مشرق الارض بالكرم والشهامة والسخاء حتى اطلق عليه الجويني بأنه حاتم اخر الزمان بقوله :" **فتلاشى بكرمه في ايامه كرم حاتم الطائي ... واصبحت الدنيا في عهده دنيا راحة وامان واطاعت له صعاب الفلك ...وكان قويا خضعت له الجياد الجامحة ...**" ([٣٠])

وميزه رشيد الدين الهمذاني بأنه كان متصفا بمحاسن الاخلاق ومكارم الصفات فكان يقول اوكتاي لهم :" **لقد تبين للناس وتحقق لهم ان الدنيا لا تفي لأي مخلوق ,واذن العقلاء بأن يخلد الانسان ببقاء الذكرى الطيبة** " ([٣١]) , ووصفه البناكتي :"**اوكتاي قاان ملكا عادلا عاقلا كريما ...**"([٣٢])

اما الجوزجاني فقد بين بالقول كان :" **اوكتاي في حد ذاته كريما الى اقصى حد وطيب الخلق ,وكان يحب المسلمين للغاية ويجتهد في تعظيم اهل الاسلام ورفاهيتهم ,فكان المسلمون الذين يوجودن في بلاده مرفهي الحال ...**" ([٣٣])

اما صفاته السلبية فقد دونتها مرويات التاريخ السري :" **انا جعلت نفسي تقهر بوساطة الخمرة وكانت هذه بالحقيقة اولى أخطائي**" ([٣٤]) , الخطأ الاخر الذي عد صفة سلبية فهو كان حسب **قوله** :" **الاصغاء الى كلام امرأة دون مبادئ ومثل ومن المؤكد ان الاستيلاء على الاملاك العقارية لبنات عمي اوتجيغين تسبب لي بالغلط ومع انني كنت الخان وسيد الامة ومن المؤكد مشاركتي بالخطأ وبأعمال منافية للمثل هو اثم من اثامي ...**"([٣٥]) , من الصفات الاخرى التي وصف بها نفسه هي صفة الجشع بقوله :" **... انا كنت جشعا وبقول نفسي ماذا لو ان الحيوانات البرية ولدت بمملكتي ... وامتلكت حواز واسوار بنيت من التراب المنفوق لمنع الحيوانات البرية من التشرد وعندما كنت حاجز لهم على هذه الصورة سمعت كلمات الرفض جاءت من اخوتي...**" ([٣٦]) ,ولم يرد وصف للابن الرابع في مرويات التاريخ السري للمغول

ويوصف رشيد الدين الهمذاني الابناء الاربعة المعتمدين **بقوله :" وكان هؤلاء الابناء الاربعة لجنكيز خان ,حكماء ,اكفاء ,شجعان ,محبوبين من أبيهم ,وكانوا بالنسبة اليه مثل اربعة اعمدة ,ويتخيل كل واحد منهم ملكا ... "** (٣٧)

- **العلاقة بين الابناء المعتمدين الاربعة :**

لم تشر مرويات التاريخ السري الى وجود خلاف بين الاخوة سوى في اشارتين وهي عندما اراد جنكيز خان ان يولي العرش الى ابنه الاكبر ,اذ قال جنكيز خان :" **أن الاسن بين اولادي هو جوجي ما الذي تقوله انت يا جوجي ؟ ... وقبل ان يتفوه جوجي بحرف قال جغتاي : انك عندما تقول تكلم يا جوجي وهل تعني أنك سوف تغيب جوجي كخليفة لك ؟ كيف يمكن أن ندع انفسنا تحكم من قبل هذا النغل الذي هو من أصل مركيتي ..."** (٣٨)

وهنا حدث نزاع بين جوجي وجغتاي وتبادل الطرفان الشتم وحتى الضرب الى ان تدخل الحاضرين في الاجتماع وتم توبيخهم من ابيهم ورفض ان يسب جوجي من قبل جغتاي(٣٩)

اما الخلاف الاخر الذي حدث بين جوجي وجغتاي وهو عند محاصرة عاصمة اقليم خوارزم جرجانية اذ اختلف الاثنان حول الخطط الحربية اذ كان جغتاي ينوي الهجوم المباشر وجوجي كان يفضل ان تتم محاصرتهم اول الامر لحين استسلامهم دون قتال مما زاد التوتر في العلاقات بين الاخوين بشكل واضح ابان الحصار كما تسبب بخسائر فادحة تكبدها المغول في صفوف قواتهم وما ان سمع جنكيز خان بهذه الاخبار السيئة عن اولاده حتى ارسل رسالة مستعجلة لهم يأمرهم بوضع نفسيهما تحت قيادة اخيهم الثالث اوكتاي خان (٤٠)

وعلى نقيض هذه الرواية يروي رشيد الدين رواية منفردة ,اذ يذكر فيها ان النزاع نشب بين ابناء جنكيز خان الثلاثة الذين توجهوا الى جرجانية وليس فقط بين جوجي وجغتاي ,فقد وصل رسولا الى جنكيز خان يخبره بالوضع المتدهور للقيادة العسكرية لجبهة جرجانية ثم يرد رشيد الدين الهمذاني قائلا, ان جنكيز خان اصبح في حالة غضب شديد فأرسل على الفور ابنه الاصغر تولوي ليكون قائدا عاما لجميع العمليات العسكرية الموجهة

ضد اقليم خوارزم وعاصمته بشكل خاص ,كما يضيف المؤرخ ان تولوي بحنكته الذكية وسياسته الراقية وحسن تدبيره استطاع ان يعيد نظام الياسا الى مختلف صفوف الجيش والالتزام به ويحل الخلافات القائمة بين اخوته ويستأنف عمليات الحصار واستطاع أن يحتل المدينة ويبدو لنا ان رشيد الدين الهمذاني اراد أن يعظم شأن تولوي خان على اخوته الثلاث كونه المؤرخ والوزير التابع لسلالة تولوي خان ([٤١])

ومن ثم تميزت العلاقات بين الاخوة الاخرين بالوفاق والوئام دون ان يحدث أي خلاف بينهم حتى ان التاريخ السري اشار الى مدى الوفاق بينهم اذ انهم لم يختلفوا بشأن تسليم العرش بعد ابيهم ولا سيما ان تولوي قد ادار العرش على مدى عامين طبقا للعرف المغولي السائد ,وقد نقل لنا التاريخ السري :" **في عام الفار ١٢٢٨م ,احتشد امراء الجانب الايمن (الغرب) وعلى رأسهم جاداي وباتو ,وامراء الجانب الايسر (الشرق) وعلى رأسهم اوتجيغين نويان وبيغو وبيسونغي ,وامراء المركز وعلى رأسهم تولوي ...بتعيين اوكتاي وليا للعهد** "([٤٢])

ويورد لنا رشيد الدين الهمذاني جانبا من الحوار الذي دار بين اولاد جنكيز خان والذي يبرهن على تمسكهم :" **تنفيذا لجكم جنكيز خان ,ينبغي اجلاسك على عرش الملك بعون الله حتى يشد الروؤساء المتمردون منطقة العبودية على وسطهم وليطيع اوامرك البعيد والقريب ...**"([٤٣])

كما اورد التاريخ السري للمغول رواية تبين مدى عمق العلاقة بين اوكتاي اخان واخوته وخاصة جغتاي اذ **انه :" بعدما اكمل اوكتاي عملية اجلاس نفسه على العرش كخان ونقل الحرس العشرة الاف ... عقد قبل كل شيء اجتماعا تشاوريا مع اخيه الاكبر جاداي ,وبناء عليه ارسل الحملات ...**" ([٤٤])

وهناك روايه ينقلها رشيد الدين حول سبب وفاة تولوي خان ان صحت فهي تدل على قوة العلاقة الاخوية بين تولوي واوكتاي ,اذ ذكر ان الخان الاعظم اوكتاي ,كان قد مرض عدة ايام وساءت حالته ,فقدم اخوه تولوي لعيادته وجريا على عادة المغول ,قرأ له السحرة الرقي والتمائم وغسلوا مرضه بالماء في قدح خشبي ولم يشفي فطلبوا ان يفيده بروحه احد من عائلته ,ولما كان تولوي يحب اخاه حبا جما تناول ذلك القدح وناجى ربه بتضرع

قائلا :"...**ايها الاله الازلي...انت تعلم انه لو كان سبب موت القاان هو عصيانك فأنا عصيتك أكثر لأني ازهقت اروح كثير من الناس في الولايات المختلفة واسرت نساهم وابناءهم وابكيتهم واذا تذهب القاان بسبب الطيبة والفضيلة فأنا اطيب منه وافضل فدعه حيا وادعني اليك عوضنا عنه** ..." (٤٥) تفوه بهذه الكلمات وشرب الماء فشفى اوكتاي خان ومرض تولوي بعد عدة ايام وسلم الروح.

المحور الثاني: الدور الاداري والسياسي في ادارة الاقاليم لأبناء جنكيز خان المعتمدين الاربعة في مرويات التاريخ السري.

يمثل الجانب الاداري والسياسي في مرويات التاريخ السري للمغول أحد المحاور الجوهرية لفهم كيفية ادارة الامبراطورية الواسعة التي اسسها جنكيز خان ,وتبرز في هذا السباق مرويات متعددة تتناول اداور ابنائه الاربعة (جوجي ,جغتاي ,اوكتاي, تولوي),الذين اعتمد عليهم في تثبيت اركان الحكم وتقسيم المناطق .

وظائف الابناء الاربعة في النظام الاداري داخل منغوليا :

كان جنكيز خان يعهد بجلائل الاعمال الى ابناءه الاربعة ,كما انه اعتمد عليهم كليا في ادارة امبراطوريته المترامية الاطراف فنراه يكلف اكبر ابنائه جوجي في الاشراف على شؤون الصيد وتنظيم القصور وتزينها (٤٦)

اما ابنه الثاني (جغتاي) فقد وكل اليه تنظيم شؤون القضاء والعمل على تنفيذ احكام جنكيز خان (الياسا)وقوانينه وانزال الجزاء والعقاب على المقصرين وذلك حسب خبرته في هذه الامور (٤٧)

اما اوكتاي فقد اختص بالشؤون المالية والادارية وتنظيم شؤون الملك وتدبريه مصالح الناس ,اما اصغر ابنائه تولوي مباشرة الدفاع واعداد الجيوش (٤٨)

توزيع الاقاليم بين الابناء ودورهم في ادارة الاقاليم:

لقد راى جنكيز خان بثاقب فكره ان خير وسيلة لتدريب ابنائه على مباشرة مهام الحكم وتحمل المسؤوليات ,هو ان يقسم امبراطوريته بينهم وهو على قيد الحياة متبعا نظام الخانيات وهذا امر متبع في العادات والاعراف المغولية اذ ان جميع املاكه ليس ملكا للحاكم بل للاسرة الحاكمة وان لكل فرد من افراد الاسرة أن يختص بعدد من القبائل

اولوس وان يكون له موطن (يورت) يشتمل على مساحة من البراري تمارس فيها هذه القبائل حياة الرعي وتكون منظمة اداريا ([٤٩])

لم يكتف جنكيز خان بتسليم المناطق الادارتها بل حتى يمنحهم اناس يكونون تابعين وخاضعين لهم ,اشارات مرويات التاريخ السري الى اشراف جوجي بن جنكيز خان على عدد من الجند اذ قال ":... **ان اكبر ابنائي هو جوجي ,... سوف يكون قائد عشرة الاف تحت امرة جوجي ...**" ([٥٠])

كما اشارات مرويات التاريخ السري الى ان جوجي اول من قاد حملة خارج حدود الدولة المغولية ضد سكان شعب الغابة وكللت بالنجاح اذ اثنى عليه جنكيز خان **قائلا :**" **انت يا جوجي اسن اولادي الذي غادر ارض الوطن للمرة الاولى ,وانت كنت محظوظا وذلك لأنك ذهبت دون ان تسبب الاذى الى انسان اوحصان مخصي في الاراضي التي ذهبت اليها,...وذلك ان سوف اعطي هؤلاء الناس اليك ...**" ([٥١])

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر الاولية :

***الاصطخري , ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت: ٣٤١هـ / ٩٥١م**

١- مسالك الممالك ,(بيروت : دار صادر ,بلا .ت)

- *** ابن بطوطة , ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت:٧٧٩هـ /١٣٧٩م)**

٢- تحفة النظار في غرائب الامصار ,(بيروت : دار صادر ,١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

***ابن تغرى بردى ,جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)**

٢- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ,تحقيق: احمد يوسف نجاتي ,(القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ,١٩٥٦م).

***ابن العبري , غريغورس بن هرون بن توما (ت: ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)**

٣- تاريخ مختصر الدول ,تحقيق: انطوان صالحاني اليسوعي ,ط٣(بيروت : دار الشرق للطباعة والنشر ,١٩٩٢م)

***العمري, ابو العباس شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)**

٤-مسالك الابصار في ممالك الامصار ,تحقيق : كامل سلمان الجبور,(بيروت : دار الكتب العلمية ,١٩٧١م)

***القلقشندي , ابو العباس احمد بن علي (ت:٨٢١هـ / ١٤١٨م)**

٥-صبح الاعشى في صناعة الانشأ , شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين ,(بيروت: دار الكتب العلمية ,١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)

***ابن كثير , الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٤٤هـ / ١٣٧٣م)**

٦-البداية والنهاية ,تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي ,(القاهرة :مطبعة السعادة , ١٣٥٨م)

***النسوي , محمد احمد بن علي (ت: ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)**

٧- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ,تحقيق: حافظ احمد حمدى ,(القاهرة: دار الفكر العربي , ١٩٥٣م)

***ياقوت ,شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)**

٨- معجم البلدان ,ط٢(بيروت: دار صادر ,١٩٩٥م)

المصادر الفارسية :

***البناكتي , ابو سليمان داود بن ابي الفضل البناكتي (ت: ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م)**

١-روضة اولى الالباب فر معرفة التواريخ والانساب ,ترجمة وتقديم : محمود عبد الكريم علي ,(القاهرة : المركز القومي للترجمة ,٢٠٠٨م).

***الجوزجاني ,ابي عمر عثمان بن سراج الدين (ت: ٦٦٠هـ / ١٢٦٠م)**

٢- طبقات ناصرى ,ترجمة وتقديم : ملكه علي التركي ,(القاهرة : المركز القومي للترجمة ,٢٠١٢م)

***الجويني , علاء الدين عطا ملك (ت: ٦١٨هـ / ١٢٨٣م)**

٣- تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي) ,ترجمة : محمد السباعي ,تحقيق : محمد عبد الوهاي القزويني , (القاهرة : المركز القومي للترجمة , ٢٠٠٧م).

***خوندامير , غياث الدين محمد بن همام الدين (ت: ٩٤٢هـ / ١٥٤٤م)**

٤- تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر ,تحقيق: همائي جلال الدين ,(اصفهان: كتبخانة خيام ,بلا .ت)

***الهمذاني ,رشيد الدين فضل الله(ت: ٧١٨هـ / ١٣١١م)**

٦- جامع التواريخ ,تحرير وتعليق : محمد روشن ومصطفى الموسوي ,(طهران : دار البرز للنشر , ١٣٧٣م)

٧- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان), نقله الى العربية: فؤاد عبد المعطي الصياد , قدمه: يحيى الخشاب , (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر , ١٩٨٣م)

المراجع العربية والمعربة:

***اقبال, عباس.**

١- تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية , ترجمة :حسن ابراهيم واخرون ,(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ,١٩٧٠م)

***بارتولد ,فاسيلي** فلاديمير وفتش .

٢- تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ,نقله الى العربية: صلاح الدين عثمان ,(الكويت : منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ,١٩٨٠م)

***بروكلمان** , كارل .

٣- تاريخ الشعوب الاسلامية ,ترجمة: نبيه امين ومنير البعلبكي , ط٥(بيروت: دار العلم للملايين ,١٩٨٦م).

***تشون ,تشان**

٤- التاريخ السري للمغول, ترجمة : سهيل زكار , (القاهرة: التكوين للطباعة والنشر , ٢٠١١م).

* **حطيط, احمد**

٥- حروب المغول , (بيروت: دار الفكر البناني , ١٩٩٤م)

* **زيدان ,جرجي .**

٦- تاريخ التمدن الاسلامي ,(القاهرة: دار الهلال ,بلا .ت)

* **الصياد, فؤاد عبد المعطي .**

٧- المغول في التاريخ ,(بيروت: دار النهضة العربية ,١٩٨٠م)

* **طقوش , محمد سهيل .**

٨- تاريخ المغول العظام والايلخانين , (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر , ٢٠٠٧م)

* **عاشور , سعيد عبد الفتاح**

٩- الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى),(القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية , ٢٠١٠م,),ج١, ص١١٠٠.

* **العريني, الباز .**

١٠ - المغول , (بيروت: دار النهضة العربية ,١٩٨١م)

العزاوي ,عباس.

١١- تاريخ العراق بين الاحتلالين ,(بغداد , مطبعة بغداد , ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م)

- **عمران , محمود سعيد**

١٢- المغول واوربا , (القاهرة: دار المعرفة ,بلا .ت)

* **الغامدي ,سعيد بن حذيفة**

١٣- سقوط الدولة العباسية ,(غامد: دار بن حذيفة , ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)

***غروسيه, رينيه .**

١٤- جنكيز خان قاهر العالم ,نقله الى العربية :خالد اسعد عيسى , راجعه وقدمه: سهيل زكار ,(دمشق : دار احسان للطباعة والنشر ,١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م)

فامبرى , ارمينوس

. ١٥- تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر ,ترجمة: احمد محمد الساداتي ,راجعه: يحيى الخشاب ,ط٢(القاهرة: مكتبة نهضة الشرق ,١٩٢٧م).

***كتشانوف,أ.ي.**

١٦- حياة تيموتشجين, ترجمة: طلحة الطيب ,(ابو ظبي: مركز الماجد للثقافة والتراث ,١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)

***الرمزي ,م .م**

١٧- تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان والبلغار وملوك التتار ,(بيروت: دار الكتب العلمية , ٢٠٢٢م)

***ليسترنج , كي.**

١٨- بلدان الخلافة الشرقية ,نقله الى العربية : بشير فرانسيس وكوركيس عواد ,(بغداد : مطبوعات المجمع العلمي العراقي ,بلا .ت)

***واكيم, سليم.**

١٩- امبراطورية على صهوات الجياد ,(بيروت: دار الكتاب العربي ,بلا .ت)

الرسائل والاطاريح:

***مزبان ,اسراء مهدي .**

١-اثر القبائل التتارية في نشاطات المغول العسكرية (٥١٩-٦٢٤هـ/ ١١٢٥-١٢٢٧م) ,اطروحة دكتوراه غير منشوره ,جامعة واسط ,كلية التربية , ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

***النائلي ,مؤيد محمد كاظم كشاش.**

٢- المغول في كتاب روضة اولى الالباب في معرفة التواريخ والانساب للبناكتي المتوفى (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م),رسالة ماجستير غير منشوره ,جامعة القادسية ,كلية التربية ,١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م.

***هادي , مريم كاظم .**

٣- الجيش والنظم الحربية عند المغول (٦٠٠-٦٥٨هـ / ١٢٠٣-١٢٦٠م) ,رسالة ماجستير غير منشوره ,جامعة بغداد ,كلية الاداب ,١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

***الدوريات:**

*** الطائي , سعاد هادي حسن.**

١- جغتاي بن جنكيز خان ودوره السياسي ,(بريطانيا: ٢٠٢٠م)., كارترايت ,مارك ,خانات جغتاي ,مقال منشور في فرنسا ,سنة ٢٠١٩م.

المصادر الانكليزية :

*Atwood, Christopher.

1-The Secret History of The Mongols,(UK: penguin Random House ,2023.

*Brent ,p.

2- The Mongol Empire, Weienfield and Nicishon ,London ,1979.

- Curzon,

3-the Secret History of the Mongols, Translated , Edited and Withan Lntrodution by: Urgunge Onon ,Clondand- Newyork ,Taylor Francis Group,2005.

- Saunders, J.J.

4-The History Of The Mongol Conqest , (London,1971).

- Rachewiltz, Lgorde.

5-the Secret History of the Mongols" Mongolian Epic Chronicle University of Wisconsin-Modison ,Books and Mongraphs Book4.2015. '

الهوامش:

[١]) الجويني, علاء الدين عطا ملك (ت٦١٨هـ / ١٢٨٣م),تاريخ جهانكشاي , ترجمة : محمد السباعي ,تحقيق: محمدعبد الوهاب ,(القاهرة :المركز القومي للترجمة, ٢٠٠٧م), ج١, ص ٧٨,. القلقشندي , ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م),صبح الاعشى , شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين ,(بيروت: دار الكتب العلمية , ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م),ج٤, ص٣١٢,.زيدان,جرجي, تاريخ التمدن الاسلامي, (القاهرة: دار الهلال, بلا. ت), ج٤,ص٢٤٣.

[٢]) رشيد الدين الهمذاني , فضل الله (ت ٧١٨هـ/ ١٣١١م),جامع التواريخ ,تحقيق: محمد روشن ومصطفى الموسوي,(طهران: دار البرز للنشر, ١٣٧٣م),م١,ج١, ص٢٩٩-٣٠٠,. البناكتي, ابو سليمان داود بن ابي الفضل (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م), روضة اولي الالباب, ترجمة وتقديم : محمود

عبد الكريم علي ,(القاهرة: المركز القومي للترجمة, ٢٠٠٨م), ص ٤٠٢,.غروسيه, رينيه, جنكيز خان قاهر العالم , نقله الى العربية: خالد اسعد عيسى ,راجعه: سهيل زكار ,(دمشق: دار احسان للطباعة والنشر ,١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م),ص٨٢.

[٣]) الجويني, تاريخ جهانكشاي, ج١, ص ٧٨,. الجوزجاني, ابي عمر عثمان بن سراج الدين (ت٦٦٠هـ / ١٢٦٠م),طبقات ناصرى, ترجمة وتقديم : ملكه علي التركي , (القاهرة: المركز القومي للترجمة , ٢٠١٢م), ج٢, ص ١٣٦,. اقبال , عباس ,تاريخ المغولي منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ,ترجمة: عبد الوهاب علوب , (ابو ظبي :المجمع الثقافي ,١٩٨٥م), ص ٦٦.

[٤]) الغامدي, سعد بن حذيفة بن مسفر ,سقوط الدولة العباسية ,(غامد :دار بن حذيفة ,١٤٠١هـ/ ١٩٨١م), ص١١٧.

[٥]) كيتشانوف, أ. ي ,حياة تيموتشجين , ترجمة: طلحة الطيب ,(ابو ظبي : مركز الماجد للثقافة والتراث ,١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م) ,ص ١١٦.

[٦]) رشيد الدين الهمذاني ,جامع التواريخ ,م١,ج١, ص٢٩٩-٣٠٠.

[٧]) كيتشانوف , حياة تيموتشجين , ص ١١٦.

[٨] ,) تشون , تشان , التاريخ السري للمغول , تحقيق: سهيل زكار ,(القاهرة: التكوين للطباعة والنشر ,٢٠١١م), ص ٣١٤.

[٩]) Rachewiltz, The Secret of History,p.156.

[١٠]) رشيد الدين الهمذاني ,جامع التواريخ , م١,ج١, ص ٣٠٠.

[١١]) البناكتي , روضة اولي الالباب , ص ٤٠٢.

[١٢]) الجوزجاني ,طبقات ناصرى , ج٢, ص ١٦٣.

[١٣]) الفوائد البهية في التراجم الحنفية , ١٩٠٦م, ص٢٤٢,. العزاوي ,عباس, تاريخ العراق بين الاحتلالين , (بغداد: مطبعة بغداد ,١٣٥٣هـ /١٩٣٥م),ص١٢٩.

[١٤]) عاشور , سعيد عبد الفتاح ,الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى),(القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية , ٢٠١٠م,),ج١, ص٤٨٧.

[١٥]) الطائي , سعاد هادي حسن ,جغتاي بن جنكيز خان ودوره السياسي ,(بريطانيا:بلا,م,٢٠٢٠م),. كارترايت ,مارك ,خانات جغتاي ,مقال منشور في فرنسا ,سنة ٢٠١٩م.

[١٦]) تشون ,التاريخ السري للمغول , ص٣٦٧-٣٦٩.

[١٧]) رشيد الدين الهمذاني ,جامع التواريخ ,م١,ج١, ص٦١٨,. الغامدي, سقوط الدولة العباسية , ص١٤٤.

[١٨]) رشيد الدين الهمذاني, جامع التواريخ ,م١, ج١, ص٦١٨,.البناكتي, روضة اولي الالباب, ص٤١٩,. النائلي , مؤيد محمد كاظم كشاش ,المغول في كتاب روضة اولي الالباب, رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القادسية ,كلية التربية ,١٤٤٢هـ /٢٠٢١م, ص١٣٢.

[١٩]) خوندامير , غياث الدين محمد بن همام الدين(ت٩٤٢هـ/ ١٥٤٤م),حبيب السير في اخبار افراد البشر, ترجمة وتعليق: همائي جلال الدين ,(اصفهان: كتبخانة خيام, بلا .ت) , ج٣, ص١٨,. الصياد , فؤاد عبد المعطي ,المغول في التاريخ ,(بيروت: دار النهضة العربية ,١٩٨٠م) , ص ١٦٤,.

Saunders,J.J,The History Of The Mongol Conqest , (London,1971),9.60.

[٢٠]) الجويني , تاريخ جهانكشاي ,ج١ , ص ٧٩-٨٠,. رشيد الدين الهمذاني ,جامع التواريخ,م١,ج١, ص٣٠٠,. العريني, الباز, المغول, (بيروت: دار النهضة العربية ,١٩٨١م), ص١٥٩.

[٢١]) رشيد الدين الهمذاني , جامع التواريخ ,م١,ج١, ص ٩٦-١٢١ ,.الرمزي , م. م ,تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان والبلغار وملوك التتار ,(بيروت: دار الكتب العلمية ,٢٠٠٢م) , ص٣٦٢-٣٦٣.

[٢٢]) تشون ,التاريخ السري للمغول, ص ٣٤٢-٣٤٣,. Curzon, the secret histwore,p.222-224

[٢٣]) الجويني ,تاريخ جهانكشاي ,ج١ , ص ١٩٧,.ابن العبري, تاريخ مختصر الدول , ص٢٤٤.)

[٢٤]) رشيد الدين الهمذاني , جامع التواريخ ,م١,ج١, ص٣٨٥,.الصياد , المغول في التاريخ , ص١٣٧-١٣٨,. العزاوي, تاريخ العراق بين الاحتلالين ,ص١٢٨.

[٢٥]) الجوزجاني, طبقات ناصري, ج٢, ص١٦٣-١٦٤,. العريني ,المغول, ص ١٥٧-١٥٨,. فامبرى, ارمينوس, تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر, ترجمة :احمد محمد الساداتي ,راجعه: يحيى الخشاب ,ط٢(القاهرة: مكتبة نهضة الشرق ,١٩٢٧م), ص١٧٩.

[٢٦]) ابن تغري بردي , جمال الدين ابو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م),المنهل الصافي والمستوفي بعد الصافي ,تحقيق :احمد يوسف ,(القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ,١٩٥٦م) , ج٤, ص ٧٨,. كيتشانوف, حياة تيموتشجين , ص٢٣٠.

[٢٧]) تشون, التاريخ السري للمغول, ص ٣٤٤,. Curzon, The Secret,p.205-208

[٢٨]) جامع التواريخ,م١,ج١, ص ٣٠٠,. الصياد ,المغول في التاريخ , ص ١٦٥.

[٢٩]) الجوزجاني, طبقات ناصرى,ج٢,ص ١٦٥,. فامبرى ,تاريخ بخارى منذ اقدم العصور, ص١٧٩,.غروسيه, جنكيز خان قاهر العالم , ص ٢٧٥-٢٧٩.

[٣٠]) تاريخ جهانكشاي, ج١, ص٢١٣,. الصياد ,التاريخ المغولي, ص ١٩٢.

[٣١]) جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيز خان) , ص ٧٢.

[٣٢]) روضة اولي الالباب, ص٤١٩,. النائلي, المغول في كتاب روضة اولي الالباب, ص١٣٢.

[٣٣]) طبقات ناصرى , ج٢, ص ١٦٥.

[٣٤]) تشون ,التاريخ السري للمغول, ص٤٠٤.

[٣٥]) Curzon, the Secret the History, p.277.

[٣٦]) تشون, التاريخ السري للمغول, ص ٤٠٥.

[٣٧]) رشيد الدين الهمذاني, جامع التواريخ , م١,ج١, ص٣٠١.

[٣٨]) Curzon, the Secret the History.p.202-205.

[٣٩]) تشون ,التاريخ السري للمغول , ص٣٤٣.

[٤٠]) البناكتي ,روضة اولي الالباب , ص٤٠٦,. اقبال ,تاريخ المغول , ص٨٢,. الغامدي, سقوط الدولة العباسية , ص١٣٠.

[٤١]) جامع التواريخ ,م١,ج١, ص ٥١٤,. الغامدي ,سقوط الدولة العباسية , ص١٣٠-١٣١.

[٤٢]) تشون, التاريخ السري للمغول, ص٣٨٤.

[٤٣])جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان),نقله الى العربية : فؤاد عبد المعطي الصياد , قدمه : يحيى الخشاب , (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر, ١٩٨٣م), ص٢٩,.النائلي ,المغول في كتاب روضة اولي الالباب, ص١٣٦.

[٤٤]) Curzon ,The Secret History Of Mongols,p.262.

[٤٥]) الصياد , المغول في التاريخ , ص١٨٥-١٨٦.

[٤٦]) الجويني , تاريخ جهانكشاي ,ج ١, ص٧٨,. العمري ,مسالك الابصار ,ج٣, ص٩٩ -١٠٠,. الصياد , المغول في التاريخ , ص ١٦٤-١٦٥,.الغامدي, سقوط دولة العباسية , ص١٤٢-١٤٣.

[٤٧]) تشون ,التاريخ السري للمغول , ص٣٤٤. , Curzon, the Secret History ,p.205-208

[٤٨]) الجويني ,تاريخ جهانكشاي , ج١,ص ٧٩,. ابن العبري, غريغوريوس ابو الفرج بن اهرون (ت٦٨٥هـ / ١٢٨٦م),تاريخ مختصر الدول , تصحيح وفهرسة : انطوان صالحاني اليسوعي ,ط٢(بيروت : دار الرائد اللبناني , ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م), ص٣٩٦,. الصياد , المغول في التاريخ , ص ١٦٥.

[٤٩]) الجويني , تاريخ جهانكشاي ,ج١ , ص ٧٩,. الصياد ,المغول في التاريخ ,ص ١٦٥,. العريني ,المغول , ص١٥٨

[٥٠]) تشون ,التاريخ السري للمغول , ص٣١٤.

[٥١]) Curzon, The Secret History Of Mongols ,p.202-222; Rachewiltz, The Secret History Of Mongols, p.155-157.

مساهمة علماء مدينة كرخ جدان في العلوم الانسانية والاعمال الادارية في مدينة بغداد

ا.م.د حسام قاسم محمد الصميدعي

Asst. Prof. Dr. Hussam Qasim Mohammed Al-Sumaidaie

المديرية العامة للتربية في ديالى

General Directorate of Education in Diyala

E-Mail: husamkasem5@gmail.com

Mobile: +964 7719846479

مساهمة علماء مدينة كرخ جدان في العلوم الانسانية والاعمال الادارية في مدينة بغداد

ا.م.د حسام قاسم محمد الصميدعي

المستلخص

يهدف هذا المستلخص ابراز الجوانب المهمة والجوهرية في دراستنا لمدينة كرخ جدان , من خلال تناول الموقع الجغرافي و أصل التسمية فضلا عن ادوارها العسكرية واحوالها السياسية ومدى تأثير ذلك على المناطق المجاورة والاحوال العامة للعراق خلال العصر العباسي , وتشير الدراسة الى ان دور هذه المدينة قد برز خلال حكم العباسيين في بغداد , وتزايد ذكرها في المصادر والمدونات التاريخية خلال العباسيين في بغداد , وفضلا عن ذلك نشير الى العوامل التي جذبت واستقطبت العلماء وخاصة علماء مدينة كرخ جدان وما اضافته من ارث حضاري اغنى الحياة العلمية والادارية في مدينة دار السلام .

الكلمات الافتتاحية (مدينة – كرخ جدان– موقع – الثقافة– العلماء–الأعمال الادارية)

Abstract

This abstract aims to highlight the important and essential aspects of our study of the city of Karkh Jadan, by examining its geographical location and the origin of its name, as well as its military roles and political conditions, and the extent to which these influenced neighboring regions and the general conditions of Iraq during the Abbasid era. The study indicates that the city's role emerged during the Abbasid rule in Baghdad, and its mention in historical sources and chronicles increased during this period. We also highlight the factors that attracted and retained scholars, particularly those from the city of Karkh Jadan, and the cultural legacy it added to enrich the scientific and administrative life of the City of dar al salam. .

المقدمة :

هذا البحث يسلط الضوء على مساهمة علماء مدينة كرخ جدان في مدينة السلام (بغداد) , ولا سيما في العلوم الانسانية , فضلا عن الاعمال الادارية , و قد كان لهؤلاء العلماء اثر حضاري ووفكري في مدينة بغداد , و شكل اسهامهم جزء" من المنجز الحضاري الاسلامي المليء والزاخر بالإبداعات في شتى ميادين العلم والادارة ولاسيما العلوم الانسانية التي برع وتميز فيها علماء الاسلام اسهاما وابداعا .

وتناولت الدراسة الأدوار والمساهمات العلمية والادارية لهؤلاء العلماء , وقدمت لنا بحثا مستفيضا عن موقعها وأنها كانت جزء لا يتجزأ من ارض العراق كمثيلاتها مثل مدينة خانقين وحلوان , وقد لا يرى الباحث والدارس أن المصادر قد لا تهتم في تحديد الفواصل بين منطقة واخرى , وربما يعود السبب في ذلك الى اعتقاد المؤرخين انهم في بلد واحد وشعب واحد فضلا عن التداخل الواضح بينهما , وعلى الرغم من قلة المعلموات الواردة في المصادر عن – مدينة كرخ جدان– الا ان البحث يصل الى حقائق عن ماهية هذه المدينة وما حصل فيها من تطورات على الصعيد العسكري واحوالها وأوضاعها السياسية بعد الفتح الاسلامي لها , وقد ساعدت واسهمت الظروف التي كانت تمر بها بغداد سواء العلمية ام الادارية على تفوق وتميز علماء مدينة كرخ جدان اذ شهدت مدينة السلام من خلال تواجدهم فيها نشاطا علميا وفكريا واضحا فضلا عن التطور في منظومة العمل الاداري , ومما ساعد كذلك هو وجود العلماء الاجلاء و وفرة المكتبات والدور العلمية التي كانت عاملا مهما في جذب طلاب العلم الى مدينة السلام لينهلوا من ارثها الثقافي والاداري , ولا يفوتنا ان نشير الى الاهتمام والرعاية التي حظي بها طلاب العلم من لدن الخلفاء والوزراء وهذا بحد ذاته يعد عاملا مهما في تطور الثقافة والفكر في بغداد .

يتضمن البحث مقدمة وثلاث مباحث ثم تلي ذلك خاتمة وقائمة من المصادر التاريخية والمراجع الحديثة , وتجدر الإشارة الى ندرة المعلومات التاريخية حول هذه المدينة , على الرغم من إنها موطن العديد من العلماء الذين نشروا علمهم وبثوا عبيرهم في أرجاء مدينة السلام, وقد قسمت مباحث هذه الدراسة شاملة طبقا للمعلومات المتوفرة وما يتعلق بهذه المدينة من معطيات جغرافية وتاريخية وذلك على النحو التالي؛

اولا ؛ أحوال مدينة كرخ جدان الجغرافية والعسكرية والسياسية .

ثانيا ؛ الجانب الحضاري والفكري.

ثالثا ؛ الأعمال الإدارية.

ومما تجدر الاشارة اليه ان المراجع الحديثة قد رفدتنا بمعلومات مهمة وبيانات دقيقة وشاملة عن تلك المنطقة ولا سيما الجانب الجغرافي اذ تناولت بالدراسة موقعها الجغرافي والمناخ والتضاريس فضلا عن السمات الجغرافية لتلك المنطقة.

أولا: احوال مدينة كرخ جدان الجغرافية والعسكرية والسياسية

١-الموقع

للبيئة دورًا مهمًا ومؤثرا في حياة الإنسان وسلوكه، وتساهم في بناء الفكر وتشكيل الحضارة , ولها ارتباطًا وثيقًا مع الجغرافية، وهذه الصلة تقودنا الى ضرورة دراسة الموقع الجغرافي لأي مدينة لمعرفة وفهم تأثير ذلك على حياة السكان و فكرهم ومظاهر حضارتهم. برزت (مدينة كرخ جدان) كإحدى المدن والحواضر التابعة لمدينة خانقين العراقية، وهي آخر مدينة عراقية تقع على الحدود مع بلاد فارس وقد أكسبها موقعها الجغرافي مكانة وأهمية خاصة، نظرًا لقربها من مدينة خانقين ومدينة حلوان الحدوديتان ، وقد تأثرت بمناخ هاتين المنطقتين وهي مناطق تتميز بخصوصية جغرافية وذات فكر وثقافة متميزة إذا ما قورنت ببقية المناطق العراقية(١).

لقد امتازت مدينة كرخ جدان وخانقين وحلوان بالتنوع الجغرافي والمناخي ، إذ تقع ضمن الإقليم الجغرافي الرابع، وهو أحد الأقاليم الواسعة التي تضم عددًا كبيرًا من المدن العراقية، مثل بغداد والموصل وخانقين وديار واسعة وبلدان أخرى , ومن خصائصها أنها ذات سطح متنوع فهي مدينة تقع بين جبال شاهقة وعالية وأراضيهاٍ متموجة وأخرى سهلة ومنبسطة، و يعكس ذلك التنوع الجغرافي على نمط حياة السكان في هذه المدينة (٢).

أما مناخ المدينة، فقد تأثر بشكل مباشر بالموقع الجغرافي المؤثر على مناخها ، ولذا فقد شابهت هذه المدينة المدن والمناطق الأخرى مثل خانقين وحلوان إلى جانب قربها من مدينة شهرزور، ما أدى إلى تشكيل بيئة مناخية مركبة، ميزت هذه المنطقة عن غيرها(٣).

وتعد كرخ جدان أنموذجا للمدن والمناطق ذات الطابع الحدودي، التي كان لها أدوارًا مهمة وحيوية في المجال الإداري والعسكري، اذ حظيت هذه المدينة باهتمام من قبل الخلفاء والوزراء والقادة العسكرين في بغداد، نظرًا لموقعها الاستراتيجي المهم ، من حيث اتخاذها موقع أمامي متقدم ، نظرا لمجاورتها بلاد الجبال.

٢-التسمية

في هذا المبحث من الدراسة فانا سوف نتطرق إلى دراسة وتحليل مسمى (مدينة كرخ جدان)، وما يتعلق به من دلالات ومعاني لغوية و مسميات تاريخية، بالإضافة إلى ذكر و استعراض بعض المناطق والقرى التي تشابهت معها في الاسم , و مما ورد في هذا الشأن ما ذكره أبو منصور الهروي في سياق ومعرض حديثه عن لغة أهل السواد (وهم أهل العراق)، ان كلمة "كرخ تعني: الساقي الذي يسوق الماء إلى الأرض[٤]، وهي كلمة آرامية سوادية شائعة الاستخدام في العراق خلال العصور الوسطى (العصور الاسلامية)[٥].

أما بالنسبة لكلمة "جدان، فهي على الأرجح صيغة مشددة، وكأنها تثنية لكلمة جد[٦], وبالعودة إلى كتب اللغة والمعاجم العربية، لم نجد سوى تفسيرين لهذه الكلمة (جدان) وهما على النحو الاتي:

الأول: أنها تثنية لكلمة جد .

الثاني: أن "جدان؛ هو اسم علم، ينسب إلى جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار[٧].

ولا شك أن هذا التفسير الثاني أقرب إلى الحقيقة، إذ من الممكن أن جدان بن جديلة قد سكن هذه المدينة، وعرف بعمله في الزراعة وسقي الماء، فنسبت المدينة إليه وسميت باسمه تيمنا و تكريما له ولذكره الكريم.

و من خلال البحث والدراسة في كتب البلدان والمعاجم الجغرافية، فقد وردت لدى الجغرافيين والرحالة اسماء ومناطق متعددة قد شابهت اسم مدينة (كرخ جدان) ، معظمها تقع ضمن أراضي بلاد العراق (أرض السواد)، ومن أبرزها ما يلي:

***كرخ باجدا (ويقال أيضًا: كرخ سامراء):** و يعرف هذا الموضع باسم كرخ فيروز، نسبة إلى فيروز بن بلاش بن قباذ، وهو موقع بني قديما قبل بناء مدينة سامراء، فلما بنى الخليفة المعتصم مدينة سامراء، جعل هذا الكرخ ضمن الامتداد العمراني لمدينة سامراء[٨].

***كرخ البصر**:وهي قرية من قرى مدينة البصرة، تقع إلى جنوب أرض العراق ينسب إلى هذه القرية أبو الفوارس محمد بن علي بن محمد الكرشي، وهو من أعيان ومفكري هذه المنطقة[٩].

***كرخ بغداد**:ويعد هذا الكرخ من أشهر المناطق في بغداد بناها أبو جعفر المنصور، وجعل فيها الأسواق، وهي جزء من الحضارة والبناء العمراني في العصر العباسي[١٠] .

***كرخ الرقة**:لم ترد تفاصيل ومعلومات وافرة عن هذا الكرخ الا ما ذكر عن موقعه في أرض الجزيرة الفراتية، إلى الشمال من العراق وهو جزء من ارض الشام (سوريا الحالي)[١١].

***كرخ ميسان**:وقد اختلف الجغرافيون في نسبة هذا الكرخ , فنسبه بعضهم إلى البحرين، غير أن ياقوت الحموي رد هذه النسبة وهذا الرأي وقال: "وفي ذلك نظر"، مشيرًا إلى أن النسبة الأصح لهذا الكرخ فضلا عن بعد مسافة ميسان عن البحرين وان هذا الكرخ يقع في أرض السواد بالعراق[١٢].

***كرخ عبرتا**: ومنطقة عبرت هي احدى القرى الواقعة في نواحي مدينة بغداد، بالقرب من مدينة النهروان، وإلى هذه المنطقة نسب هذا الكرخ[١٣].

***كرخ خوزستان**:يقع هذا الكرخ في مدينة خوزستان، وهي مدينة تابعة لولاية خرسان (في إيران اليوم) [١٤].

٣-الفتح الاسلامي لمدينه كرخ جدان

تعد مدينة كرخ جدان من المدن العراقية التي كانت تابعة لسيطرة الفرس قبل الفتح الإسلامي لبلاد العراق، وقد استفاد المسلمون من حالة الضعف التي عاشتها الإمبراطورية الفارسية آنذاك , فبعد سلسلة من المعارك وعلى رأسها معركة النهروان التي سطر فيها الجيش العربي الإسلامي أروع معاني الفداء والتضحية من أجل نشر الإسلام وتحرير الشعوب من ظلم الطغاة إلى رحاب الحرية والاسلام، فقد واصلت جيوش المسلمين فتوحاتها الاسلامية باتجاه المشرق ، و من أبرز المعارك التي خاضها الجيش الاسلامي معركة جلولاء [١٥] وهي من الوقائع الخالدة والمهمة في الصراع الإسلامي الفارسي، في سنة (١٦هـ/٦٣٨م)[١٦] ، و قد تولى قيادة هذه الحملة والمعركة القائد(المجاهد هاشم بن عتبة), وبعد انتصار المسلمون في هذه المعركة، أمر هاشم بن عتبة أحد فرسانه وقادته البارزين

الأبطال، وهو الفارس المغوار المقدام(القعقاع بن عمرو التميمي)، بمتابعة وملاحقة فلول الجيش الفارسي وعلى رأسهم القائد منهران، فتبعه ولاحقه فأدركه في مدينة خانقين، وقاتل منهران بمن معه من بقايا جيشه حتى قتل، ثم واصل القائد والمجاهد القعقاع بن عمرو التقدم في العديد من القرى والمناطق التابعة لمدينة خانقين، حتى بلغ منطقة حلوان، وهي آخر حدود العراق باتجاه ولاية خراسان[١٧] , وهي جزء من الاراضي التي تم فتحها وتحريرها مضافة" الى مدينة خانقين وحلوان .

٤-الأحوال السياسية لمدينه كرخ جدان بعد الفتح الإسلامي

بعد الفتح الإسلامي لمدينة كرخ جدان، فقد تغيرت أحوال هذه المدينة و شهدت تحولات كبيرة، ولا سيما على الصعيد السياسي، فخضعت لسلطة الدولة الإسلامية وأنظمتها الإدارية , وأول من ارسل لتنظيم الشؤون المالية فيها الصحابيان الجليلان حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف، وذلك بأمر من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٨] وقد أصبحت مدينة كرخ جدان مضافا إليها مدينة خانقين ومدينة حلوان، منذ ذلك الحين، تابعة لسلطة الدولة، وكان أول وال إسلامي تولّى ولاية وإدارة هذه المناطق هو القائد القعقاع بن عمرو التميمي، الذي كان تحت إمرة قائد الجيوش الإسلامية في العراق، الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ولم تدم ولاية القائد القعقاع بن عمرو طويلًا، اذ صدرت له الأوامر بالتوجه إلى الكوفة وذلك لمتابعة الأعمال العسكرية تجاه بلاد المشرق، وتولى منصبه من بعده القائد قباذ، وهو من مسلمي الفرس الذين أسلموا و حسن إسلامهم[١٩] ، فقد ظلت المدينة خاضعة لسلطة والي العراق طيلة العصرين الاموي والعباسي، ولكن مرت بهذه المدينة أحداثًا عسكرية ذات طابع سياسي، و أصبحت محطة مهمة في صراع الدولة العباسية مع الخارجين عليها، وذلك في سنة (٢٥٢ هـ/٨٦٦م)[٢٠]، وقيل في سنة (٢٥٣ هـ/٨٦٧م)[٢١].

ففي سنة (٢٥٣ هـ/٨٦٧م)، خرج مساور بن عبد الحميد الخارجي على الدولة العباسية، فأمر الخليفة العباسي المعتز بالله (٢٥٥هـ/٨٦٩م) بمواجهته عسكريا وذلك بإرسال حملة عسكرية بقيادة القائد ساتكين ,توجه مساور الخارجي وسلك الطريق المؤدي

إلى خراسان، و قد كان في هذا الطريق كلا من(بندار بن موسى الطبري والمظفر بن سيسل)، وقد خرج في رحلة صيد وسفر في منطقة الدسكرة فعندما بلغ بندار بن موسى اخبار تحرك مساور بن عبد الحميد باتجاه مدينة(كرخ جدان)، قام المظفر بن سيسل وهم بالمسير لملاقاة مساور بن عبد الحميد، إلا أنه قال ؛(قد أمسينا وغدًا هو العيد، فإذا قضينا العيد سرنا إليه ,أما بندار بن موسى الطبري، فحاول أن يكون له السبق في الظفر به ، فانطلق بمن معه من جيشه في الليل حتى أشرف على عسكر وجيش مساور بن عبد الحميد، و قد أشار على بندار بعضا من أصحابه أن يهاجمون على حين غرة، وقد رفض هذا ا فقال ؛حتى أراهم ويروني[٢٢]

والى جانب استعدادات بندار لمهاجمته فقد شعر الخوارج بحركة بندار الطبري، فاستعدوا لملاقاته، فدارت بينهم معركة ضارية , وكان عديد قوات وجيش بندار نحو ثلاثمائة فارس، بينما بلغ عديد الخوارج قرابة السبعمائة مقاتلا, اشتد القتال فشنّ الخوارج بقيادة مساور هجمة قوية قتلوا و اقتطعوا فيها الكثير من قوات بندر بلغ عددهم أكثر من مائة رجل ، وصعد بقية الجيش والمقاتلين وقاتلوا بشجاعة فائقة حتى قتل معظم أصحابه وفرسانه [٢٣]

عندها حلت الهزيمة ببندار و بمن تبقى من رجاله، وبدأ الخوارج يلاحقونه حتى أجهزوا عليهم, أما بندار فقد فر هاربا و لحقوا به وقتلوه، ثم رفعوا رأسه على رمح، ولم ينج من جيشه سوى خمسين رجل وفارسا، بينما قتل مائة منهم ,ولما وصلت الأخبار ومعلومات الصراع بين بندار والخوارج إلى المظفر بن سيسل، قرر الانسحاب إلى مدينة بغداد، بينما اتجه مساور الخارجي إلى مدينة حلوان، فشعر أهالي حلوان بخطورة الموقف فقالوا معركة ضارية معه قتل من أهل حلوان نحو أربعمائة رجل، كما قتل من أتباع مساور جماعة، بالإضافة إلى عدد كبير من حجاج مدينة خراسان الذين صادف مرورهم ووجودهم في تلك المنطقة، وقد أعان حجاج خراسان ا أهل مدينة حلوان، وبعد هذه المواجهة انصرف مساور عن مدينة حلوان واهلها [٢٤].

وفي سنة (٢٨١هـ/٨٩٤م) ، شهدت منطقة –كرخ جدان– صراعا عسكريا مهما تمثل في اندلاع معركة بين العرب والأكراد، انتهت هذه المعركة بانتصار الجيش العباسي بقيادة

الحرمي الخادم، أحد اهم قادة الجيوش العباسية آنذاك , وقد جرت هذه المعركة في يوم الجمعة من شهر ذي القعدة، وتبع ذلك الاستيلاء على أعداد كبيرة من الأسرى والغنائم , وقد ورد إلى الخليفة العباسي كتاب من قائده العسكري في مدينة –كرخ جدان– يخبره ويعلمه فيها نتائج هذه الحملة , وقد وصل الكتاب إلى الخليفة اثناء خروجه الثاني الى الموصل للقضاء على الثورات التي خرجت عليه في مدينة الموصل فورد اليه كتاب من الحرمي الخادم يعلمه فيه بتفاصيل المعركة ونتائجها[٢٥] وقد أورد المؤرخ محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) نص هذا الكتاب، ويعد هذا الكتب من أهم الوثائق الحربية التي تعكس صورة و طبيعة المراسلات العسكرية والأعمال الإدارية في العصر العباسي، ونصّه كما يلي:

(بسم الله الرحمن الرحيم كتابي هذا وقت العتمه ليله الجمعه، وقد نصر الله– وله الحمد– على الأكراد والاعراب، واظفرنا بعالم منهم وبعيالاتهم، ولقد رايتنا ونحن نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عاما أولا، ولم تزل الأسنة والسيوف تأخذهم، وحال بيننا وبينهم الليل، واوقدت النيران على رءوس الجبال، ومن غد يومنا، فيقع الاستقصاء، وعسكرى يتبعني الى الكرخ وكان وقاعنا بهم وقتلنا إياهم خمسين ميلا، فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيرا، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم كثيرا)[٢٦].

تبين لنا من خلال هذا النص اعتماد القادة العباسيين على البلاغة والاسلوب الديني في الكتب والمواصلات العسكرية والادارية، و يعكس الروح الدينية التي تمتع بإعادة الدولة وهيمنت على أدب المراسلات الرسمية بين الخلفاء والقادة الميدانيين، يضاف إلى لك الإشارة الدقيقة لمجريات الواقعة، ومكانها، والنتائج المباشرة لها.

ثانيا:**المجال الحضاري والفكري**

نهضت العديد من المدن الإسلامية وذلك بفضل الله ثم بجهود أبنائها عبر نشاطهم الثقافي والحضاري وهو عمل وجهد عميق ومتواصل قاده المفكرين والمثقفين من أبناء الأمة الإسلامية وهكذا أصبحت المدن والحضارة الإسلامية منارة للعلم والثقافة والأدب على النقيض من الحضارات الأخرى التي كانت تعيش في ظلام دائم وسبات طويل , وقد أدرك

المسلمون الأوائل أن بناء الإنسان وثقافته أهم من البناء البناء العمراني وان بناء الأمم ورقيها يبدأ من الثقافة والفكر لا من الطوب والحجر , وكان العلماء في قلب هذه النهضة ولم يقتصر جهدهم على هذا بل كانوا مهندسي وعي و صناع الهوية وهم حماة للقيم , فارتقت المدن الإسلامية بهذه النخبة , وحملوا مشاعل المعرفة وسيطروا بعلومهم أعظم الصفحات في التاريخ البشري , وكان لعلماء مدينة كرخ جدان نصيب في حمل مشاعل العلم والمعرفة وبناء الفكر والثقافة في المدن الإسلامية ولاسيما مدينة السلام مدينة بغداد وتنوعت إسهامات في تلك العلوم ومنها في ؛

١-علم الحديث :

ويقصد به كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته , و ما يتعلق بسيرته قبل البعثة وبعدها , وهو احد العلوم التي تفردت بها الامة الاسلامية وتفوقت على سائر الامم , وعندما الكلام عن علم الحديث فهو كذلك دراسة في سند الاحاديث النبوية ومتنها, وهو احد فروع العلوم الشرعية التي اولاها المسلمين عناية واهتمام فائق , وقد استمد علماء الاسلام طيلة القرون الاسلامية الاولى هذا الاهتمام من سلفهم الصحابة الكرام الذين حرصوا واهتموا به كثيرا , لانه الوسيلة التي يعرف بها المسلم دينه , وحفظ الصحابة الاحاديث فكانت صدورهم ذاكرة حفظت فيها الاف الاحاديث النبوية و سمعها منهم كبار التابعين وهكذا تناقل علماء الامة الاسلامية هذا الارث الحضاري جيلا بعد جيل حتى عهد تدوين السنة وكتابتها , وفي القرنين الثاني والثالث الهجري برز مصطلح المحدثين ويقصد به الحافظ المشتغل في تعليم الحديث النبوي الشريف سواء بطريقة الرواية او بطريقة الدراية , ونعني بعلم الرواية العلم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وروايتها وضبطها، وتحرير ألفاظها، كل ذلك بالإسناد[٢٧], اما علم الدراية فهو علم يعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها[٢٨] , ولعلماء مدينة كرخ جدان دور مهم في خدمة علم الحديث، إذ نشط العديد منهم في هذا الفن و أسهموا فيه عبر حلقات التعليم، ومجالس التحديث ، فأصبحت مدينة بغداد مركزًا علميًا بارزًا في علم الحديث النبوي الشريف ومنهم :

١-أبو البركات سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن إبراهيم المعروف بابن الرطبي الكرخي [٢٩] والى مدينة كرخ جدان انتسب ابو البركات فأثرى الجانب الفكري بتدريسه وتعليمه وحدث طلاب العلم في اماكن التدريس المتفرقة منها في المساجد ودور العلم ومن ابرز من سمع منه وحدث عنه ابنه القاضي والعلامة المحدث أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد، العلامة أبو العباس ابن الرطبي، الكرخي[٣٠].

٢-محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن عزرة بن المغيرة بن صالح أبو بكر الكرخي[٣١] , من علماء مدينة كرخ جدان ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه وهو من العلماء الوافدين الى مدينة بغداد وهو من علماء القرن الرابع الهجري العصر الذي نشطت فيه حركت التدوين والتأليف وفيه كثرة دور العلم ومجالس العلماء , كانت ولادته في سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) [٣٢] وفد الى بغداد وسكن فيها وحدث طلاب العلم فيها عن شيوخه منهم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن أبان بن مهران أبو بكر البزاز [٣٣], وهو من ثقات علماء الحديث الذين نقلوا هذا العلم ومروياته بكل امانة وحفظ واتقان ومن طلابه الذين حدثوا بعلومه المحدث الحجة، أبو الفرج، الحسين بن علي بن عبيد الله، البغدادي، الطناجيري[٣٤]

٣-أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن سلامة الكرخي[٣٥], وهو شيخ جليل عدل مسند[٣٦] , ولد سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)[٣٧], ويقصد هنا بالمسند هو الذي اسند الاحاديث النبوية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع الاخبار الى قائلها ويجوز أن يكون مأخوذا من قولهم فلان سند أي معتمد فسمي الإخبار عن طريق المتن مسندا لاعتماد النقاد في الصحة والضعف عليه[٣٨], لقد كان ملازما ومثابرا في تحصيله العلمي والثقافي فارتحل وسافر الى مجالس العلم وممن سمع منه أبا القاسم بن البسري، واخرين , ولما شاع امره وذاع صيته ارتحل اليه طلاب العلم ولا سيما بعد معرفة ضبطه وحفظه واتقانه , فنهلوا من علومه ومعارفه وممن سمع منه السمعاني وعلماء كثر [٣٩] , ارتحل الى بغداد واستوطنها وعرف بالبغدادي [٤٠] وفي بغداد الحضارة والفكر بنى مجده وارثه الحضاري والفكري بالتدريس والتعليم فاجاز العديد من طلاب العلم [٤١]وقرأ على العديد منهم [٤٢] توفي في شهر شوال في سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م)[٤٣]

٤-إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر بن علي أبو البدر الكرخي[٤٤] ولد في حدود سنة (٤٥٠هـ) [٤٥] , ترجم له العديد من المؤرخين منهم الامام الذهبي الذي رفدنا بمعلومات قيمة عن سيرته الذاتية والعلمية ارتحل الى بغداد وسكن في دار الشيخ أبي حامد الإسفراييني تفرد بسماع كتاب امالي ابن سمعون الواعظ ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)[٤٦] عن شيخته خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظة المعروفة بالشاهجانية[٤٧] وهو من كتب ومتون الاحاديث النبوية, والى جانب سماعه هذا فقد سمع وتتلمذ على شيوخ اخرين منهم ابن النقور والحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي , ترك ابو البدر أثرا حضاريا وفكريا في بغداد نهل منه طلاب العلم والفكر ومنهم ابن عساكر، وعلماء كثر، وآخر من حدث عنه ترك بن محمد العطار[٤٨] وهم من قامات العلم والفكر في بغداد , ومن مسندي علم الحديث فيها فأكثر الناس السماع عليه وتدوين مروياته وذلك لثقته وضبطه [٤٩] توفي سنة (٥٣٩هـ/١١٤٢م)[٥٠]

٥-أبو المظفر إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن سلامة[٥١] , فهو بغدادي المولد والدار ولد سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) سمع الحديث عن شيخه الشيخ أبي طالب المبارك بن المبارك الكرخي واخرين , وقد ذكر عنه انه كان عسرا ولا يطيق اسماع تلامذته (عسرا في التسميع) توفي سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)[٥٢] وفي مبحث الاعمال الادارية لعلماء كرخ جدان سوف نذكر سيرته الادارية هناك.

٢-**علم الفقه:** يقصد به دراسة علم الدين والشرع الاسلامي و لشرف وعلو منزلة هذا العلم فقد خصه الرسول من بين كل العلوم فقال ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))[٥٣], وبالنظر الى اهمية هذا العلم وفائدته فقد عده العلماء من بين اهم واشرف العلوم والسبب في ذلك مدى استفادة الناس من هذه العلوم واعتبار الانسان هو المكلف الذي استخلف في هذه الحياة وبالتالي يكون العلم المرتبط بالمكلف هو المحور الذي تدور عليه العلوم الاخرى واتساع نطاقه على مستوى العقيدة والاخلاق والاحكام الشرعية[٥٤].

وعند دراسة العلوم النقلية فلابد ان يتبوء علم الفقه منزلة الرأس في منظومة العلوم الاسلامية لانه العلم الذي يختص في معرفة الاحكام والتكاليف الشرعية فقد جاءت العلوم الاخرى وسائل اليه ومؤيدة ومبينة له , ولذلك ينبغي دراسة العلوم الاخر بما يخدم الفقه والتفقه[٥٥], وقد انبرى لدراسة هذا العلم العديد من العلماء ومنهم علماء مدينة كرخ جدان التي خرج منها العديد من الفقهاء الذين خدموا الدين والحضارة بعلمهم ومعرفتهم وتركوا لنا إرثا فقهيا كبيرا انتثر في بطون الكتب منهم:

١-يعد ابو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم[٥٦] الذي ولد سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) من اوائل علماء مدينة كرخ جدان الذين وفدوا وسكنوا في مدينة بغداد وهي حاضرة الخلافة ومعدن الطرائف واللطائف وفيها أرباب العلماء وشهدت تنوعا في مدارس الفقه والفكر ويعكس ذلك الثراء العلمي لمدينة السلام وتعدد الاتجاهات الثقافية فيها , وقد كان للبيئة العلمية التي نشأ فيها اثرها على اتجاهه العلمي فدرس وتتلمذ فيها على شيوخها في الفقه الحنفي وعرف عنه مثابرته في تحصيله العلمي [٥٧], فاق في علمه الكثير من اقرانه فانتهت اليه رئاسة المذهب الحنفي في بغداد فتزاحم طلاب العلم الى مجالسه وجلس بين يديه كبار علماء زمانه منهم أبو بكر الرازي وأبو عبد الله الدامغاني[٥٨] , و يعكس ذلك مكانته العلمية والفقهية في بغداد وتأثير ذلك في مجال الفقه الاسلامي , وقد كان له ارثا فكريا مدونا انتثر في بطون المؤلفات والكتب منها مؤلفاته في الفقه والحديث وهي كتاب "المختصر" و"الجامع الكبير" و"الجامع الصغير" وأودعها الفقه والحديث والآثار المخرّجة بأسانيده، وكتاب "الأشربة وقد ضمن هذه المدونات مسائل في الفقه والحديث النبوي ما جعلها مصدرا مهما في التاريخ الفقهي والحديث النبوي , كانت وفاته رحمه الله سنة(٣٤٠هـ/٩٥١م)[٥٩] .

٢-يعد أبو القاسم منصور بن عمر بن علي الكرخي[٦٠] من ساكني مدينة السلام (بغداد) ومن فقهائها واعلامها الكبار الذين اثروا واسهموا اسهاما واضحا وملحوظا في الفكر والثقافة, اخذ علومه عن نخبة من مشايخ وعلماء المذهب الشافعي , فطافت رواحله قاصدا مجالس العلماء البارزين في عصره يلتمس منهم العلم ومنهم ابي حامد الاسفراييني واخرين , وقد اتسمت دروسه ومجالسه في مدينة بغداد نشاطا علميا ملحوظا

وكانت عامرة بدروس الفقه وعلوم الشريعة فتزاحم الى مجلسه طلاب العلم وهم من مختلف الاقطار والامصار [٦١] , وممن كتب عنه في بغداد الحافظ الكبير مسند بغداد ابو بكر الخطيب البغدادي الذي قال (كتبت عنه وكان سماعه صحيحا)[٦٢], وكان له حضورا مؤثرا في التأليف والتدوين ومن مؤلفاته كتاب "الغنية" الذي يعد من الكتب البارزة في الفقه الشافعي [٦٣] وقد بقي اثره العلمي والثقافي حاضرا في نفوس اتباعه وتلامذته حتى وفاته في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)[٦٤].

٣-يعد ابو العباس أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن إبراهيم بن مخلد الكرخي[٦٥] من اعلام الفكر والعلم البارزين في مدينة بغداد, كان حبه لطلب العلم وميوله العلمية قد دفعته الى التتلمذ والدراسة على ابي اسحاق الشيرازي ومن ثم رحل الى اصفهان حيث واصل في تحصيله وطلبه للعلم ورغبة في توسيع معارفه [٦٦], و رجع الى بغداد حاملا علوم وخبرات متنوعة , وافرغ مساحة كبيرة من جهده ووقته لاثراء الحياة الثقافية في مدينة السلام , وقد كان بارعا سيدا من رجال العلم وذات سمت ووقار [٦٧] ويورد الصفدي ان ابو العباس الكرخي قد تلقى فوائد جمة عن شيوخه , افاد بها الكثير من الدارسين في بغداد [٦٨] , وبرع في المذهب والخلاف جدًا حتى صار يضرب به المثل في ذلك وتميز بقدار فائقة ومتميزة في المناظرة والتدقيق والتحليل العلمي , توفي رحمه الله سنة (٥٢٧هـ/١١٣٣م)[٦٩] تقلد وظائف ادارية عدة سوف نتناولها في المبحث الاحق من هذه الدراسة .

٤-**الشعر** : يعرف الشعر بانه القول المنظوم الذي غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية [٧٠], وتعريفات العلماء كلها بهذا المعنى فالوزن شرط لازم في جميع انواع الشعر القديم , وكذلك القافية وقيل في فضله (فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب والذي قيد عليه الناس المعاني الشريفة وافادهم الفوائد الجليلة)[٧١] , وهو ديوان العرب قبل الاسلام وفيه دونت مفاخرهم وانسابهم , و في العصر الاسلامي فقد برز العديد من الشعراء الذين اثروا الحياة الفكرية بشعرهم وادبهم ونثرهم , وقد توزعت ادوار هؤلاء العلماء على عصور اسلامية مختلفة حتى العصر العباسي الذي تطور فيه الشعر والحياة الادبية وبرز فيه شعراء وادباء كثر منهم العالم الجليل عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم،

أبو الحسن الفقيه الكرخي من ساكني مدينة السلام بغداد ورواد الحركة العلمية والثقافية فيها , والى جانب علومه الدينية والشرعية فقد كان شاعرا اديبا فاضلا له حضوره ومشاركة فعالة في ميدان الشعر والادب فانشد شعرا يثني فيه على نفسه :

كم لوعة في الحشا أبقت به سقما .....خوفا لهجرك أو خوفا من النائي
لا تهجرني فإني لست ذا جلد .....ولا اصطبارا على هجر الأخــلاء
الله يعلم ما حملت من سقم .....وما تضمـنته من شدة الــداء
لو أن أعضاء صب خاطبت بشرا .....لخاطبتك بوجدي كل أعضــائي

ومن شعره ايضا

حسبي سموا في الهوى أن تعلما .....أن ليس حق مودتي أن أظلما
ثم امض في ظلمي على علم .....به لا مقصرا عنه ولا متلوما
فوحق ما أخذ الهوى من مقلتي .....وأذاب من جسمي عليك وأسقما

وقد كانت له مجالس في الشعر في مدينة بغداد مع كبار الشعراء , واحينا يتداول العلماء شعرا في بعض مجالسهم مثلما حدث مع أبو عبد الله الحسن بن علي بن سلمة الذي تبادل الشعر مع عبيد الله بن الحسين بن دلال[٧٢] وهذا السائد على مجالس العلم في بغداد وهو حلاوة المجالس ومذاقها الجميل فكان مجالس الناس واحات ثقافية يحضر فيها العالم والمتعلم وغيرهم من فئات المجتمع الأخرى .

ثالثا: **الأعمال الإدارية**

اهتمت الدولة العباسية كثيرا بالوظائف والاعمال الإدارية وأولت بعضا منها اهتماما اكبر لا سيما التي لها علاقة وصلة بالدين والتكاليف الشرعية ولا سيما وظيفتي (القضاء , والحسبة) وهي من الوظائف الادارية الدينية , فقد شهدت هذه النظم تطورا وازدهارا مقارنة بما سبق من العصور الاسلامية السابقة , فكان لها دورا بارزا في تنمية الحضارة وتعزيز الدور الاجتماعي والاقتصادي في مدينة بغداد والمدن الاسلامية الأخرى, وشهدت الدولة العباسية تطورا ملحوظا في بنيتها ومنظومتها الادارية في استحداث عدد من الوظائف والاعمال الادارية التي اسهمت في تعزيز نظم الادارة في الدولة العباسية ومن ابرز هذه المستحدثات هو وظيفة قاضي القضاة الذي يعد أعلى سلطة في القضاء ومن خلاله يتم

تنظيم شؤونه كافة, وذلك تلبية لحاجة المجتمع ما يعكس حالة التطور والازدهار التي وصلت اليه المنظومة الادارية والابتكار والتقدم في مختلف المجالات , وقد ساعد هذا التطور والانجاز في هذا العصر في كونه محورا وجانبا مهما في فهم تطور المجتمع الاسلامي في تلك الحقبة , وتأثير ذلك على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

١-القضاء

نال القضاء مكانة مهمة وبارزة من بين مختلف النظم والاعمال الادارية الاخرى في العصر العباسي, واحتل مكانة واهتمام ملحوظ لدى خلفاء بني العباس ولا سيما في العصر العباسي الاول عصر النشوء والقوة , ولاعتبارات عدة وفي مقدمتها العدالة التي تعد الركيزة واللبنة الاساسية التي تقوم عليها الكثير من المؤسسات والبني الحضارية, فقد اتبع العباسيون سياسة ونهجا مباشرا في اختيار القضاة وفق معايير النزاهة والعلم والمعرفة بأحوال الناس ، وقد أسهمت هذه السياسة في إضفاء الصفة الشرعية على قرارات و أعمال الخلفاء و الولاة وتعكس في الوقت نفسه السلوك النموذجي في إقامة العدل بين الناس وحفظ حقوقهم , لقد استجاب لتولي وظيفة القضاء الكثير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين وغيرهم من علماء الإسلام لاعتبارات عدة منها؛ اقتداء" بالقدوة والأسوة الأنبياء والمرسلين, وكذلك تحمل المسؤولية المنوطة على عاتقهم, وطمعا بالثواب والأجر في إقامة الحق والعدل[٧٣] , ومنها تحمل المسؤلية الادارية والدينية في المدن الاسلامية ومن بينهم علماء مدينة كرخ جدان وهم كبقية اقرانهم من العلماء الاخرين الذين أسندت اليهم إدارة شؤون القضاء في مدينة بغداد وبرزت أسماء كثر من بينهم ابو العباس أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن إبراهيم بن مخلد الكرخي[٧٤] , الامام العلامة المحدث الفقيه اسند اليه القضاء في بغداد وذلك بعد عودته من مدينة اصفهان , فاسند اليه قضاء الحريم اي حريم نساء دار الخلافة والاشراف على شؤونهم [٧٥], وكان استخلافه هذا من قبل قاضي القضاة محمد بن علي بن محمد، أبو عبد الله الدامغاني[٧٦] ,وقد اوردت لنا المصادر التاريخية ان أمانته وإتقانه ومعرفته و سعة علمه كان لها أثرا كبيرا في توليه القضاء وخاصة فيما يتعلق بادارة شؤون نساء دار الخلافة , وقد عكس هذا الاختيار مدى التطور الذي وصلت اليه منظومة القضاء في ذلك

العصر, وتولى اخوه عبيد الله بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن إبراهيم بن مخلد، أبو محمد الكرخي قضاء عدة مناطق من حواضر بغداد وهي كل (شهراباذ والبندنيجين وجبل) وهذا يدل على توسع ولاية القضاة في مناطق مختلفة[٧٧] اما شهراباذ فهي مدينة كانت بأرض بابل وهي مدينة إبراهيم عليه السلام وكانت عظيمة جليلة القدر راكبة البحر- الفرات- فنضب ماؤه عنها فبطلت وموضع مجراه وسمته معروف إلى الآن[٧٨], وبندنيج ؛ فهي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد[٧٩], واما الجبل فهي من اعمال ونواحي مدينة السلام بغداد[٨٠] وقد رجح الصفدي توليه قضاء مدينة الدجيل وليس الجبل ويقصد بالدجيل المنطقة الواقعة بين مدينة بغداد وسامراء والتي يمر بها نهر دجيل الذي منبعه من اعالي مدينة بغداد ويسقي مدن وقرى كثيرة [٨١] والى هذا النهر سميت مدينة الدجيل باسم النهر الذي يمر بها وهي مدينة عامرة الى اليوم .

ويعتبر ابو المظفر إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن سلامة الكرخي[٨٢] احد اهم الشخصيات البارزة التي تولت سلك القضاء في مدينة السلام فهو من بيت كريم واسرة جليلة في العلم والرياسة والحكم حيث تولى القضاء هو وابوه وجده [٨٣] , كانت سيرته الاولى في القضاء في بغداد بحضوره عند قاضي القضاة أبي طالب روح بن أحمد ابن الحديثي قاضي قضاة مدينة السلام يوم (السبت رابع ربيع الآخر) من سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م)، بعد ان زكاه العدول من اهل بغداد وفي يوم الاثنين (سابع عشري شوال) سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) لما اشتهر وعرف به من عدل واستقامة , تم تكليفه من قبل قاضي القضاة روح بن أحمد في القضاء وبالخصوص قضاء نساء وحريم دار الخلافة وبقي مستمرا في اداء اعماله في القضاء الى ولاية وعهد قاضي القضاة أبو الحسن علي بن أحمد ابن الدامغاني الذي قرر ان يعزله عن القضاء غير ان قاضي القضاة اعاده الى عمله السابق ووظيفته القضائية فولاه قضاء باب الازج[٨٤], ثم اعيد الى القضاء في عهد قاضي القضاة أبو الفضائل القاسم بن يحيى ابن الشهرزوري الذي استنابه في الحكم عنه، وأذن له في ادارة سجلات القضاء نيابة عنه، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة (٥٩٥هـ/١١٨٩م) , ومما يؤثر عنه تميزه بسعة المعرفة باحكام القضاء وقوانين الحكم وشهد له اقرانه ومعاصروه بالعفة والنزاهة الامر الذي

جعله يحظى بثقة قاضي القضاة على اختلاف عصورهم [٨٥] , وقد انعكس سولكه وعفته في ولايته على احوال الناس ومعاشاتهم.

٢- الحسبة

مفهوم الحسبة في الإسلام هو ولاية دينية يقوم ولي الأمر - الحاكم - بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله[٨٦]، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقا لشرع الله تعالى , وقد اولت الدولة الاسلامية من لدن النبي صلى الله عليه وسلم وطيلة عصور الدولة الاسلامية اهمية كبيرة لعمل المحتسب وخاصة في العصر العباسي الذي توسعت فيه الدولة وتطورت فيها الحياة , ولقد ساهم وشارك العديد من العلماء بمختلف اختصاصاتهم وتنوع ثقافتهم في هذا المجال , ولا سيما علماء مدينة كرخ جدان وقد كان لهم حضور ودور فعال في عمل المحتسب في مدينة السلام منهم القاضي ابو العباس احمد بن سلامة بن عبيد الله الكرخي الذي تولى هذه الوظيفة بعد وفاة أخيه أبي محمد عبيد الله بن سلامة في مدينة بغداد وذلك بتكليف وتعيين من قبل قاضي القضاة محمد بن علي بن محمد الدامغاني [٨٧] وقد جرت امور الحسبة في عهده على اتم وجه واكمل سداد ولا يكون ذلك الا لان القاضي ابو العباس كان كثير الفضل وافر العقل حسن السمت[٨٨] ورأي سديد وعقل تام، ورأى صحيح وتدبير سديد[٨٩] ولا شك فان سلوكه هذا ترك اثرا في عمله ووظيفته في مدينة السلام وذلك لصلتها وقربها من حياة الناس وتعاملاتهم .

وشغل وظيفة المحتسب في مدينة السلام بغداد العلامة الامام أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن سلامة نائبا عن عمه احمد بن سلامة بن عبيد الله [٩٠] وذلك عند حضوره مجلس قاضي القضاة في بغداد علي بن الحسين الزينبي وقد اسهمت نيابته اثرا هاما في عمل المحتسب في المجتمع البغدادي وذلك لما اتصف به من الخلق الرفيع و العفة وعلمه البارع ونزاهته , وهي صفات كان لها اثر مباشر وواضح في اظهار كفاءة عمل المحتسب وابرازها باعلى مراتب المهنية والانضباط الوظيفي[٩١], وكان لابي المظفر إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن سلامة بن عبيد الله الكرخي حضور ومشاركة في ظيفة المحتسب في مدينة بغداد سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) وشغل هذه الوظيفة مدة من الزمن ما يقارب الأربع عشر عاما

حتى عزل عنها في شوال سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) [٩٢] , ثم اعيد الى وظيفته في الحسبة يوم الخميس ثاني عشر شعبان سنة (٥٩٢هـ/١١٩٦م)[٩٣] وشغل هذه الوظيفة حتى عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) [٩٤] والناظر الى طول مدة بقائه في الحسبة يدل على معرفته بتفاصيل الحكم ومعرفته الدقيقة بأحوال الناس فضلا عن ما اتصف به من العفة والنزاهة, وتظهر الدراسات التاريخية ان تعيين المحتسبين وعزلهم لا سيما في مدينة السلام كان منوطا بقاضي القضاة فهو المسؤل المباشر عن ولايتهم وعزلهم , وقد لوحظ في الحال نفسه ان بعضا من المحتسبين قد يطول بقائهم في هذه الوظيفة وهذا يرجع الى ما يتحلى به هؤلاء المحتسبين من خبرة واسعة وحكمة وكفاءة في ادارة شؤون هذه الوظيفة .

٣-تأديب أولاد الخلفاء

اهتم الخلفاء العباسيين بمؤدبي أولادهم ، اذ بدأ الخلفاء بالتفكير في أعداد ولاة العهد ، لكي يكونوا مؤهلين في تحمل ما ينتظرهم من مسؤوليات كبيرة وجسيمة عند تسلمهم منصب الخلافة , والناظر الى هذا الحرص هو انتقال نظام الحكم من الشورى الى نظام الوراثة , النظام والطريقة التي أرساها الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان[٩٥] ولذلك بدا الخلفاء يهتمون ويحرصون على تهيئة واختيار المؤدبين الذين يقع على عاتقهم تعليم أبنائهم مختلف العلوم والمعرفة وترسيخ القيم والآداب السلطانية في نفوسهم، ويضمن بذلك الإعداد الكامل والشامل والتهيئة الحقيقة لاستلام السلطة .

ونال بعض المؤدبين منزلة ومكانة رفيعة في العصر العباسي وكان لبعضهم تأثيرا مباشرا على الحكام واتجاهاتهم الفكرية والدينية , وقد كان لعلماء مدينة كرخ جدان حضور ومشاركة ودر مهم في تأديب أبناء الخلفاء منهم أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد الكرخي العلامة المفتي واحد أذكياء عصره الذي عد من رجالات العلم علما وسمتا ووقارا , وقد اختير لتأديب الراشد بالله بن الخليفة المسترشد بالله [٩٦] , وتشير بعض المصادر التاريخية انه كانت له علاقة ود وقرب مع الخليفة المسترشد الذي بعد سببا من اسباب اختياره لتأديب اولاده ومنهم ولده الراشد بالله [٩٧] وتشير مصادر تاريخية اخرى انه تولى تأديب وتعليم بعضا من أولاد الخلفاء الاخرين غير ان هذه المصادر نفسها لم تفصح

لنا الا فيما يخص دوره في تأديب الراشد بالله[٩٨], وقد كان نشاط وعمل الامام ابو العباس احمد بن سلامة الكرخي في بغداد وهي دار الخلافة والسطة والحكم .

الخاتمة

في ضوء ما تقدم ومن خلال دراسة مساهمة علماء مدينة كرخ جدان في مدينة بغداد في العلوم الإنسانية والأعمال الإدارية فقد توصلنا الى النتائج التالية ؛

١-أعطى البحث دراسة مستفيضة عن مدينة كرخ جدان ولا سيما الجانب الجغرافي منها على الرغم من ندرة المعلومات المتوفرة بين أيدينا.

٢-توافرت في مدينة بغداد عوامل عدة جذبت إليها العلماء وطلاب العلم من كل الأمصار ومنهامدينة كرخ جدان وذلك يعود الى عوامل اقتصادية وعلمية و سياسية واجتماعية.

٣-كان نتاج علماء مدينة كرخ جدان في مدينة بغداد ما بين العلوم الانسانية مثل علم الحديث والفقه الاسلامي والشعر العربي فضلا عن الاعمال والوظائف الادارية.

٤-نظرا للمنزلة الرفيعة التي حظي بها علماء مدينة كرخ جدان في مدينة السلام ونيلهم ثقة السلطات الادارية فيها فقد عهد اليهم تربية ابنائهم مثل الراشد بالله.

الهوامش:

(١) ياقوت الحموي, أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ /١٢٢٩م) معجم البلدان دار الفكر (بيروت , لبنان) , ج١ص٣١.

(٢) خليل اسماعيل , قضاء خانقين دراسة في جغرافية المدينة , مطبعة العالي , (بغداد , العراق/ ١٣٩٨هـ, ١٩٧٧م).

(٣) المهلبي , الحسن بن أحمد العزيزي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) , الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك تعليق, تيسير خلف, (جدة , المملكة العربية السعودية/ ٢٠٠٦م).ص١٤٦.

(٤) الهروي , أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، (ت ٣٧٠هـ٩٨٠م) تهذيب اللغة , تحقيق, محمد عوض مرعب ط١، دار إحياء التراث العربي (بيروت , لبنان/ ٢٠٠١م),ج٧ص٢٣.

(٥) رينهارت, بيتر آن دُوزِي (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) تكملة المعاجم العربية , نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي جمال الخياط , ط١, وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد ,العراق/ من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م) , ج٩ص٥٧.

(٦) الزَّبيدي , محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق, مجموعة من المحققين دار الهداية , (المانيا/١٤٢٢هـ , ٢٠٠١م) ,ج٧ص٤٨٤.

(٧) الصغاني, الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت ٦٥٠ هـ/١٢٥٢م) التكملة والذيل والصلة، دار الكتب المصرية,(القاهرة , مصر/ ١٣٩٠هـ , ١٩٧٠ م) , ج٢ص٢٠٧.

(٨) ياقوت الحموي , معجم البلدان ج٤ص٤٤٩

(٩) ابن ناصر الدين , محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم تحقيق , محمد نعيم العرقسوسي, ط ١, مؤسسة الرسالة (بيروت، لبنان/ ١٤١٤هـ , ١٩٩٣م)
,ج ٧ص٣٢١.

(١٠) ابن عبد الحق ,عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ط ١،دار الجيل، (بيروت, لبنان /١٤١٢ هـ , ١٩٩١م),ج٣ص١١٥٦.

(١١) ياقوت الحموي , معجم البلدان ج٤ص٤٤٩.

(١٢) ياقوت الحموي , معجم البلدان ج٤ص٤٤٩.

(١٣) ابن عبد الحق ,مراصد الاطلاع , ج٢ص٩١٥, ياقوت الحموي , معجم البلدان ج٤ص٤٤٩.

(١٤) الاصطخري , المسالك والممالك ,ص ٨٨.

(١٥) جلولاء ؛ بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة (١٦هـ/٦٣٧) ، ياقوت الحموي , معجم البلدان ,ج٢ص١٥٦.

(١٦) الطبري , محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ,(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت ٣٦٩هـ) , ط٢, دار التراث (بيروت , لبنان /١٣٨٧هـ , ١٩٦٧م),ج٤ص٢٥.

(١٧) ياقوت الحموي , معجم البلدان ,ج٢ص٢٩٠.

(١٨) البَلَاذُري , أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان , دار ومكتبة الهلال- (بيروت , لبنان/١٤٠٩هـ , ١٩٨٨ م), ص٢٦٨.

(١٩) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٤ص٢٨.

(٢٠) ابن الاثير , الكامل في التاريخ ,ج٦ص٢٣٣, .

(٢١) ابن كثير , البداية والنهاية , ج١١ص١٢ .

(٢٢) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٩ص٣٧٥.

(٢٣) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٩ص٣٧٥.

(٢٤) ابن الأثير, أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ , تحقيق, عمر عبد السلام تدمري ط ١ , دار الكتاب العربي، (بيروت – لبنان/ ١٤١٧هـ , ١٩٩٧م) , ج٦ص١٩٠.

(٢٥) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج ١٠ص ٣٧.

(٢٦) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج ١٠ص ٣٧.

(٢٧) ابن رجب الحنبلي , زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٥م) شرح علل الترمذي , تحقيق , الدكتور همام عبد الرحيم سعيد , ط١, مكتبة المنار (الزرقاء – الأردن/ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) , ص٢٧٤.

(٢٨) السيوطي ,الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر ,تحقيق , أبي أنس أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي مكتبة الغرباء الأثرية،(المدينة المنورة, المملكة العربية السعودية) , ج١ ص٢٢٩.

(٢٩) ابن نقطة الحنبلي محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، (ت ٦٢٩هـ/١٢٣٣م) إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا) تحقيق, د. عبد القيوم عبد ريب النبي , ط ١, جامعة أم القرى (مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية/ ١٤١٠هـ , ١٩٨٩م), ج٢ص٧٣٦.

(٣٠) الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م), تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تحقيق , عمر عبد السلام التدمري , ط ٢، دار الكتاب العربي، (بيروت, لبنان/١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م) , ج١١ص٤٥٦.

(٣١) الخطيب البغدادي , أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) تاريخ بغداد , تحقيق, الدكتور بشار عواد معروف , ط١، دار الغرب الإسلامي(بيروت , لبنان/١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م), ج ٤ص٣٧١.

(٣٢) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج ٤ص٣٧١.

(٣٣) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج ٦ص٥٤.

(٣٤) الذهبي , سير أعلام النبلاء , دار الحديث (القاهرة, مصر/ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) , ج١٣ص٢٤٨.

([٣٥]) ابن العماد , شذرات الذهب في اخبار من ذهب , ج٤ص١٥٨.

([٣٦]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٥ص٨٦.

([٣٧]) ابن المستوفي , المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) , تاريخ إربل , تحقيق, سامي بن سيد خماس الصقار وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر,(بغداد, العراق/ ١٤٠١هـ , ١٩٨٠ م), ج٢ص٣٣٣.

([٣٨]) الزركشي , أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م) , النكت على مقدمة ابن الصلاح, تحقيق, د. زين العابدين بن محمد ,ط ١،أضواء السلف(الرياض, المملكة العربية السعودية/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) , ج١ص٤٠٥.

([٣٩])الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٥ص٨٦.

([٤٠]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٥ص٨٦.

([٤١]) ابن الدبيثي ,أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت٦٣٧ هـ/١٢٣٩م) ذيل تاريخ مدينة السلام, تحقيق, الدكتور بشار عواد معروف , ط١, دار الغرب الإسلامي , (بيروت , لبنان/ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م), ج ٢ص٤٥٨.

([٤٢]) ابن الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد , ج ٣ص٥٠٥

([٤٣]) ابن ناصر الدين , توضيح المشتبه ,ج٤ص٢٠٢

([٤٤]) ابن نقطة الحنبلي,التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد , تحقيق , كمال يوسف الحوت ط١, دار الكتب العلمية(بيروت , لبنان/١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) , ص١٩٢.

([٤٥]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٤ص٤٦٨.

([٤٦]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٤ص٤٦٨.

([٤٧]) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج ١٦ ص٦٣٨.

([٤٨]) ابن كثير الدمشقي, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري , (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م), طبقات الشافعيين , تحقيق, (د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب) , مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة , مصر/ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م), ص٥٨٧.

([٤٩]) الذهبي , تاريخ الاسلام , ج ١١ص٧٠٢.

([٥٠]) ابن نقطة , التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد , ص١٩٢.

([٥١]) ابن نقطة , اكمال الاكمال , ج٢ص٧٣٧.

([٥٢]) ابن الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد , ج ٢ص٤٥٨.

([٥٣]) الطيالسي , أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصرى (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) , مسند أبي داود الطيالسي , تحقيق , الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي , ط١, دار هجر – (القاهرة , مصر/ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م) ج٢ص٣٠٦.

([٥٤]) سعيد حليم , عوائق تدريس العلوم الشرعية , جزء من محاضرات في مدينة فاس , ص١٤.

([٥٥])مصطفى صادقي,منهاج تدريس الفقه,المعهد العالمي للفكر الاسلامي ط١(الولايات المتحدة الامريكية/ ٢٠١٢م), ص٢٧١.

([٥٦]) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج١٢ص٧٤.

([٥٧])الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج١٢ص٧٤.

([٥٨]) ابن ابي الوفاء , عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد (ت٧٧٥ هـ/١٣٧٣م) الجواهر المضية في طبقات الحنفية , ط١, مطبعة ؛ مير محمد كتب خانه, (كراتشي , باكستان/ ١٣٣٢هـ , ١٩١٨م), ص٣٣٧.

([٥٩]) ابن قطلوبغا, أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) , تاج التراجم , تحقيق , محمد خير رمضان يوسف ط ١, دار القلم (دمشق , سوريا/١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م) ,ص٢٠١.

([٦٠]) ابن قاضي شهبة, أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م), طبقات الشافعية , تحقيق, د. الحافظ عبد العليم خان, ط ١,عالم الكتب ,(بيروت،لبنان/ ١٤٠٧ هـ , ١٩٨٦م), ج١ص٢٣٦.

([٦١]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٨ص٨.

([٦٢]) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج١٥ص١٠١.

([٦٣])الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٨ص٨.

([٦٤]) السبكي , تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ/١٣٢٧م) , طبقات الشافعية الكبرى تحقيق , (د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو), ط ٢, هجر للطباعة والنشر والتوزيع،(القاهرة , مصر/ ١٤١٣هـ , ١٩٩٢م) ج ٥ص٣٣٤.

([٦٥]) الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله, (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٩م) , الوافي بالوفيات, تحقيق , (أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى) , دار إحياء التراث (بيروت , لبنان/١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م) , ج ٦ص٢٢٤.

([٦٦]) ابن المستوفي , تاريخ اربل , ج٢ص٣٥٥.

([٦٧]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٤ص٤١٤.

([٦٨]) ج٦ص٢٤٥.

([٦٩]) ابن كثير , طبقات الشافعيين , ص٥٦٤.

([٧٠]) ابن منظور , ,محمد بن مكرم بن علي الافريقي(ت٧١١هـ/١٣١١م) , لسان العرب , ط ٣ ,دار صادر , (بيروت , لبنان/ ١٤١٤ هـ , ١٩٩٣م),ج٤ص٤١٠.

([٧١])الجرجاني, الجرجاني, عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ- ١٠٧٨م) , دلائل الإعجاز تحقيق, د.محمد التنجي , ط١, دار الكتاب العربي(بيروت , لبنان/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).ص٣١.

([٧٢]) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج١٢ص٧٤.

([٧٣]) الزحيلي , محمد مصطفى الزحيلي , تاريخ القضاء، دار الفكر , (دمشق , سوريا/ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م), ص٢٣٥.

([٧٤]) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج ٦ص٢٤٤.

([٧٥]) ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م), المنتظم في تاريخ الأمم والملوك , تحقيق , (محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا) , ط ١, دار الكتب العلمية، (بيروت ، لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م), ج ١٧ص٢٧٧.

([٧٦]) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج ٦ص٢٢٤.

([٧٧]) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج ١٧ص٤١.

([٧٨]) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٣ص٣٧٥.

([٧٩]) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج١ص٤٩٩.

([٨٠]) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج١ص٤٩٩.

([٨١]) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٢ص٤٤٣.

([٨٢]) الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد ج ٢ص٤٥٧.

([٨٣]) الذهبي , تاريخ الاسلام ج ١٣ص٤٣٢.

([٨٤]) الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد ج ٢ص٤٥٧-٤٥٨.

([٨٥]) الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد ج ٢ص٤٥٧.

([٨٦]) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية , دار الحديث (القاهرة, مصر), ص٣٤٩.

([٨٧]) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج٦ص٢٤٥.

([٨٨]) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج٦ص٢٤٥.

([٨٩]) ابن كثير , طبقات الشافعيين , ص ٥٦٤.

([٩٠]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج٢٠ص٢٧٧.

([٩١]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج٢٠ص٢٧٧.

([٩٢]) الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد ج ٢ص٤٥٨.

([٩٣]) الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد ج ٢ص٤٥٨.

([٩٤]) الدبيثي , ذيل تاريخ بغداد ج ٢ص٤٥٨.

([٩٥]) ابن عساكر , أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ/١١٧٥م), التاريخ الكبير , مطبعة روضة الشام (دمشق , سوريا٢٠١٧)، ج ٩ ، ص ٢٩١.

([٩٦]) الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج١٤ص٥١٥.

([٩٧]) ابن كثير , طبقات الشافعيين ,ص ٥٦٤.

([٩٨]) السبكي , طبقات الشافعية الكبرى , ج٦ص١٩.

المصادر والمراجع الحديثة

١-ابن الأثير, أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ , تحقيق, عمر عبد السلام تدمري ط ١ , دار الكتاب العربي، (بيروت – لبنان/ ١٤١٧هـ , ١٩٩٧م) .

٢-ابن أبي الوفاء , عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد (ت٧٧٥ هـ/١٣٧٣م), الجواهر المضية في طبقات الحنفية , ط١, مطبعة ؛ مير محمد كتب خانه, (كراتشي , باكستان/ ١٣٣٢هـ , ١٩١٨م) .

٣-ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م), المنتظم في تاريخ الأمم والملوك , تحقيق , (محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا) , ط ١, دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

٤-البَلَاذُري , أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ,فتوح البلدان , دار ومكتبة الهلال- (بيروت , لبنان/١٤٠٩هـ , ١٩٨٨ م).

٥-الجرجاني, عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ- ١٠٧٨م) دلائل الإعجاز تحقيق , د.محمد التنجي , ط١, دار الكتاب العربي(بيروت، لبنان/١٤١٦هـ, ١٩٩٥م) .

٦-الخطيب البغدادي , أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) تاريخ بغداد , تحقيق, الدكتور بشار عواد معروف , ط١، دار الغرب الإسلامي(بيروت , لبنان/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).

٧-الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م),

-سير أعلام النبلاء , دار الحديث (القاهرة, مصر/ ١٤٢٧هـ , ٢٠٠٦م) .

-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تحقيق , عمر عبد السلام التدمري , ط ٢، دار الكتاب العربي، (بيروت, لبنان/١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) .

٨-الزركشي , أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م) النكت على مقدمة ابن الصلاح , تحقيق, د. زين العابدين بن محمد بلا فريج ط ١،أضواء السلف (الرياض, المملكة العربية السعودية /١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

٩-السبكي , تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ/١٣٢٧م) , طبقات الشافعية الكبرى تحقيق , (د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو), ط ٢, هجر للطباعة والنشر والتوزيع،(القاهرة , مصر/ ١٤١٣هـ , ١٩٩٢م) .

١٠-السيوطي ,الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر ,تحقيق , أبي أنس أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي مكتبة الغرباء الأثرية،(المدينة المنورة, المملكة العربية السعودية) .

١١-الصغاني, الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت ٦٥٠ هـ/١٢٥٢م) التكملة والذيل والصلة، دار الكتب المصرية,(القاهرة , مصر/ ١٣٩٠هـ , ١٩٧٠ م) .

١٢-الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله, (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٩م), الوافي بالوفيات, تحقيق , (أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى) , دار إحياء التراث (بيروت , لبنان/١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

١٣-الطبري , محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ,(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت ٣٦٩هـ) , ط٢, دار التراث (بيروت , لبنان /١٣٨٧هـ , ١٩٦٧م) .

١٤-الطيالسي , أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصرى (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م), مسند أبي داود الطيالسي , تحقيق , الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي , ط١, دار هجر - (القاهرة , مصر/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م) .

١٥-ابن الدبيثي ,أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت٦٣٧ هـ/١٢٣٩م) ذيل تاريخ مدينة السلام, تحقيق, الدكتور بشار عواد معروف , ط١, دار الغرب الإسلامي , (بيروت , لبنان/ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

١٦-ابن رجب الحنبلي , زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، (ت ٧٩٥هـ /١٣٩٣م) شرح علل الترمذي , تحقيق , الدكتور همام عبد الرحيم سعيد , ط١, مكتبة المنار (الزرقاء – الأردن/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

١٧-ابن عبد الحق ,عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , ط ١،دار الجيل، (بيروت, لبنان /١٤١٢ هـ , ١٩٩١م) .

١٨-ابن عساكر , أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ/١١٧٥م), التاريخ الكبير , مطبعة روضة الشام (دمشق , سوريا/ ٢٠١٧م).

١٩-ابن قاضي شهبة, أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م), طبقات الشافعية , تحقيق, د. الحافظ عبد العليم خان, ط ١,عالم الكتب (بيروت،لبنان/ ١٤٠٧ هـ , ١٩٨٦م).

٢٠-ابن قطلوبغا, أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م), تاج التراجم , تحقيق , محمد خير رمضان يوسف ط ١, دار القلم (دمشق , سوريا/١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م) .

٢١-ابن كثير الدمشقي, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري , (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م), طبقات الشافعيين , تحقيق, (د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب) , مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة , مصر/ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

٢٢-ابن المستوفي , المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م), تاريخ إربل , تحقيق, سامي بن سيد خماس الصقار وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر،(بغداد, العراق/ ١٤٠١هـ , ١٩٨٠ م).

٢٣-ابن منظور ,محمد بن مكرم بن علي الافريقي(ت٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب , ط ٣ دار صادر , (بيروت , لبنان/ ١٤١٤ هـ , ١٩٩٣م) .

٢٤-ابن ناصر الدين , محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم تحقيق , محمد نعيم العرقسوسي ط ١, مؤسسة الرسالة (بيروت، لبنان/ ١٤١٤هـ , ١٩٩٣م).

٢٥-ابن نقطة الحنبلي محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، (ت ٦٢٩هـ/١٢٣٣م)
-إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا) تحقيق, د. عبد القيوم عبد ريب النبي , ط ١, جامعة أم القرى (مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية/ ١٤١٠هـ , ١٩٨٩م) .
-ابن نقطة الحنبلي,التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد, تحقيق , كمال يوسف الحوت ط١, دار الكتب العلمية(بيروت , لبنان١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
٢٦-الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية , دار الحديث (القاهرة, مصر).
٢٧-المهلبي , الحسن بن أحمد العزيزي(ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م), الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك تعليق, تيسير خلف, ط١, التكوين للطباعة والنشر والتوزيع , (جدة , المملكة العربية السعودية/ ٢٠٠٦م).
٢٨-الهروي , أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، (ت ٣٧٠هـ٩٨٠م) تهذيب اللغة , تحقيق, محمد عوض مرعب ط١، دار إحياء التراث العربي (بيروت , لبنان/ ٢٠٠١م) .
٢٩-ياقوت الحموي, أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ /١٢٢٩م) معجم البلدان دار الفكر (بيروت , لبنان).

المراجع الحديث

٣٠-خليل اسماعيل , قضاء خانقين دراسة في جغرافية المدينة , مطبعة العالي , (بغداد , العراق/ ١٣٩٨هـ, ١٩٧٧م).
٣١-رينهارت, بيتر آن دُوزِي (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) تكملة المعاجم العربية , نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي جمال الخياط , ط١, وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد ,العراق/ من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م).
٣٢-الزَّبيدي , محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق, مجموعة من المحققين دار الهداية (المانيا/١٤٢٢هـ , ٢٠٠١م).
٣٣-الزحيلي , محمد مصطفى الزحيلي , تاريخ القضاء، دار الفكر ,(دمشق , سوريا/ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) .
٣٤-سعيد حليم , عوائق تدريس العلوم الشرعية , جزء من محاضرات في مدينة (فاس , المغرب).
٣٥-مصطفى صادقي , منهاج تدريس الفقه ط١, المعهد العالمي للفكر الاسلامي,(الولايات المتحدة الامريكية/ ٢٠١٢م).

Modern Sources and References

1-Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani al-Jazari (d. 630 AH), Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), edited by Omar Abd al-Salam Tadmur, 1st edition, Dar al-Kitab al-Arabi (Beirut, Lebanon, 1417 AH/1997 CE.(

2-Ibn Abi al-Wafa, Abd al-Qadir ibn Abi al-Wafa Muhammad ibn Abi al-Wafa al-Qurashi Abu Muhammad (d. 775 AH), Al-Jawahir al-Mudiyya fi Tabaqat al-Hanafiyya (The Shining Jewels in the Classes of the Hanafis), 1st edition, Mir Muhammad Kutub Khana Press (Karachi, Pakistan, 1332 AH/1918 CE).

3- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad (d. 597 AH), Al-Muntazam fi Tarikh al-Umam wa al-Muluk (The Regular in the History of Nations and Kings), edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1412 AH/1992 CE.

-4-Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud (d. 279 AH), Futuh al-Buldan (The Conquests of the Lands), Dar wa Maktabat al-Hilal (Beirut, Lebanon, 1409 AH/1988 CE.(

5-Al-Jurjani, Dala’il al-I’jaz (The Proofs of Inimitability), edited by Dr. Muhammad al-Tanji, 1st edition, Dar al-Kitab al-Arabi (Beirut, Lebanon, 1416 AH/1995 CE).

6- Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit (d. 463 AH),

Tarikh Baghdad (History of Baghdad), edited by Dr. Bashar Awad Maarouf, 1st edition, Dar al-Gharb al-Islami (Beirut, Lebanon, 1422 AH - 2002 CE.(

7-Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz (d. 748 AH),

Siyar A'lam al-Nubala' (Biographies of Noble Figures), Dar al-Hadith (Cairo, Egypt, 1427 AH, 2006 CE.(

* (History of Islam and Deaths of Famous Figures and Notables), edited by Omar Abdul Salam al-Tadmuri, 2nd edition, Dar al-Kitab al-Arabi (Beirut, Lebanon, 1413 AH - 1993 CE.(

8-Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad ibn Abdullah ibn Bahadur al-Shafi'i (d. 794 AH), *Al-Nukat 'ala Muqaddimat Ibn al-Salah* (Comments on the Introduction of Ibn al-Salah), edited by Dr. Zain al-Abidin ibn Muhammad Bala Farij, 1st ed., Adwa’ al-Salaf (Riyadh, Saudi Arabia, 1419 AH/1998 CE.(

9-Al-Subki, Taj al-Din Abd al-Wahhab ibn Taqi al-Din (d. 771 AH), Tabaqat alShafi’iyya al-Kubra, edited by Dr. Mahmoud Muhammad al-Tanahi and Dr. Abd al-Fattah Muhammad al-Hilu, 2nd ed., Hajar for Printing, Publishing and Distribution (Cairo, Egypt, 1413 AH/1992 CE.(

-10-Al-Suyuti, Al-Hafiz Jalal al-Din Abu al-Fadl Abd al-Rahman ibn Abi Bakr (d. 911 AH), Al-Bahr alladhi zakhir fi Sharh Alfiyyat al-Athar, edited by Abu Anas Anis ibn Ahmad ibn Tahir al-Andonusi, Al-Ghuraba' al-Athariyah Library (Medina, Saudi Arabia.(

11-Al-Saghani, Al-Hasan ibn Muhammad ibn Al-Hasan Al-Saghani (d. 650 AH), Al-Takmila wa Al-Dhayl wa Al-Sila, Dar Al-Kutub Al-Misriyya (Cairo, Egypt, 1390 AH/1970 CE.(

12-Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil ibn Aybak ibn Abdullah (d. 764 AH), Al-Wafi bi Al-Wafayat, edited by Ahmad Al-Arna'ut and Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath (Beirut, Lebanon, 1420 AH/2000 CE.(

13-Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib Al-Amili, Abu Ja'far (d. 310 AH), Tarikh Al-Rusul wa Al-Muluk, wa Sila Tarikh Al-Tabari (Sila Tarikh Al-Tabari by Arib ibn Sa'd Al-Qurtubi, d. 369 AH), 2nd ed., Dar Al-Turath (Beirut, Lebanon, 1387 AH/1967 CE.(

14-Al-Tayalisi, Abu Dawud Sulayman ibn Dawud ibn al-Jarud al-Basri (d. 204 AH), Musnad Abi Dawud al-Tayalisi, edited by Dr. Muhammad ibn Abd al-Muhsin al-Turki, 1st edition, Dar Hajar (Cairo, Egypt, 1419 AH/1999 CE.(

15-Ibn al-Dubaythi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Sa'id (d. 637 AH), Dhayl Tarikh Madinat al-Salam (Supplement to the History of the City of Peace), edited by Dr. Bashar Awad Ma'ruf, 1st edition, Dar al-Gharb al-Islami (Beirut, Lebanon, 1427 AH/2006 CE).

16- Ibn Rajab al-Hanbali, Zayn al-Din Abd al-Rahman ibn Ahmad ibn Rajab ibn al-Hasan, al-Salami, al-Baghdadi, then al-Dimashqi, al-Hanbali (d. 795 AH), Sharh 'Ilal al-Tirmidhi, edited by Dr. Hammam Abd al-Rahim Sa'id, 1st edition, Maktabat al-Manar (Zarqa, Jordan, 1407 AH/1987 CE.(

17-Ibn Abd al-Haqq, Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haqq, Ibn Shama'il al-Qati'i al-Baghdadi, al-Hanbali, Safi al-Din (d. 739 AH), Marasid al-Ittila' 'ala Asma' al-Amakin wa al-Biqa', 1st edition, Dar al-Jil (Beirut, Lebanon, 1412 AH/1991 CE.(

18-Ibn Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hasan ibn Hibat Allah (d. 571 AH), al-Tarikh al-Kabir, Matba'at Rawdat al-Sham (Damascus, Syria, 2017 CE).

19- Ibn Qadi Shahba, Abu Bakr ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Umar al-Asadi al-Shahbi al-Dimashqi, Taqi al-Din (d. 851 AH), Tabaqat al-Shafi'iyya, edited by Dr. al-Hafiz Abd al-Alim Khan, 1st edition, Alam al-Kutub (Beirut, Lebanon, 1407 AH/1986 CE.(

20-Ibn Qutlubugha, Abu al-Fida' Zayn al-Din Abu al-Adl Qasim ibn Qutlubugha al-Suduni (d. 879 AH), Taj al-Tarajim, edited by Muhammad Khayr Ramadan Yusuf, 1st edition, Dar al-Qalam (Damascus, Syria, 1413 AH/1992 CE.(

21-Ibn Kathir al-Dimashqi, Abu al-Fida' Isma'il ibn 'Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri (d. 774 AH), *Tabaqat al-Shafi'iyyin*, edited by Dr. Ahmad 'Umar Hashim and Dr. Muhammad Zaynhum Muhammad 'Azab, Maktabat al-Thaqafa al-Diniyya (Cairo, Egypt, 1413 AH/1993 CE.(

22-Ibn al-Mustawfi, al-Mubarak ibn Ahmad ibn al-Mubarak ibn Mawhub al-Lakhmi al-Irbili (d. 637 AH), *Tarikh Irbil*, edited by Sami ibn Sayyid Khumas al-Saqqar, Ministry of Culture and Information, Dar al-Rashid Publishing (Baghdad, Iraq, 1401 AH/1980 CE.(

23-Ibn Manzur, *Lisan al-'Arab*, 3rd edition, Dar Sader (Beirut, Lebanon, 1414 AH/1993 CE).

24- Ibn Nasir al-Din, Muhammad ibn Abdullah ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Mujahid al-Qaysi (d. 842 AH), Clarification of Ambiguous Names, Genealogies, Titles, and Nicknames of Narrators, edited by Muhammad Na'im al-Arqsusi, 1st edition, Al-Risalah Foundation (Beirut, Lebanon, 1414 AH/1993 CE.(

25-IbnNuqtah al-Hanbali, Muhammad ibn Abd al-Ghani ibn Abi Bakr ibn Shuja', Abu Bakr, Mu'in al-Din (d. 629 AH), Completion of the Completion (a supplement to Ibn Makula's book, Al-Ikmal), edited by Dr. Abd al-Qayyum Abd Rayb al-Nabi, 1st edition, Umm al-Qura University (Mecca, Saudi Arabia, 1410 AH/1989 CE.(

26-Ibn Nuqta al-Hanbali, Al-Taqyid li-Ma'rifat Ruwat al-Sunan wa-l-Musanid, edited by Kamal Yusuf al-Hout, 1st edition, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya (Beirut, Lebanon, 1408 AH - 1988 CE.(

27-Al-Mawardi, Abu al-Hasan 'Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Habib al-Basri al-Baghdadi (d. 450 AH), Al-Ahkam al-Sultaniyya, Dar al-Hadith (Cairo, Egypt.(

28-Al-Muhallabi, Al-Hasan ibn Ahmad al-Azizi (d. 380 AH), Al-Kitab al-Azizi aw al-Masalik wa al-Mamalik (The Book of al-Azizi or Routes and Kingdoms), commentary by Taysir Khalaf, 1st ed., Al-Takween for Printing, Publishing and Distribution, (Jeddah, Saudi Arabia/2006 CE.(

29-Al-Harawi, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad ibn al-Azhari (d. 370 AH), Tahdhib al-Lughah (Refinement of Language), edited by Muhammad Awad Murab, 1st ed., Dar Ihya al-Turath al-Arabi (Beirut, Lebanon/2001 CE.(

30-Yaqut al-Hamawi, Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah al-Hamawi al-Rumi al-Baghdadi (d. 626 AH), Mu'jam al-Buldan (Dictionary of Countries), Dar al-Fikr (Beirut, Lebanon Modern References)

31-Khalil Ismail, Qada' Khanaqin: A Study in the Geography of the City, Al-Aali Press, (Baghdad, Iraq/1398 AH, 1977 CE).

32- Reinhardt, Peter Anne Dozy (d. 1300 AH). Supplement to Arabic Dictionaries. Translated into Arabic and annotated by Muhammad Salim al-

Nu'aymi and Jamal al-Khayyat. 1st ed., Ministry of Culture and Information (Baghdad, Iraq, 1979-2000 CE.(

33-Al-Zabidi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husayni, Abu al-Fayd (d. 1205 AH). Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus (The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary). Edited by a group of scholars. Dar al-Hidayah (Germany, 1422 AH/2001 CE.(

34-Al-Zuhayli, Muhammad Mustafa al-Zuhayli. History of the Judiciary. Dar al-Fikr (Damascus, Syria, 1416 AH/1995 CE.(

35-Sa'id Halim, Obstacles to Teaching Islamic Sciences. Part of lectures in the city of Fez, Morocco.

36- Mustafa Sadeghi, Methodology of Teaching Jurisprudence, 1st Edition, International Institute of Islamic Thought, (United States of America/2012 AD.(

مصادر الوحي القرآني في الرؤيا الاستشراقية

م. د. نعمه حمد ياسين الحبيب

كلية الإمام الكاظم عليه السلام أقسام البصرة

Sources of Qur'anic Revelation in Orientalist Perspectives

Dr. Naama Hamad Yaseen Al-Habib

Imam Al-Kadhim College, Basra Departments

Alnajar52222@gmail.com

مصادر الوحي القرآني في الرؤيا الاستشراقية

م. د. نعمه حمد ياسين الحبيب

المستخلص:

يتناول هذا البحث قضية مصادر الوحي القرآني في الرؤيا الاستشراقية، بوصفها من القضايا الفكرية والعقدية التي أثارت جدلًا واسعًا في الدراسات الاستشراقية الحديثة، لما يترتب عليها من آثار مباشرة في فهم مصدر القرآن الكريم وطبيعة الوحي الإلهي. ويركّز البحث على تحليل أبرز الاتجاهات الاستشراقية التي شككت في المصدر الإلهي للوحي، إذ ذهب بعض المستشرقين إلى ردّ القرآن الكريم إلى مصادر داخلية متصلة بشخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بالبيئة العربية وعاداتها وأشعارها، بينما اتجه آخرون إلى القول بتأثره بمصادر خارجية كاليهودية والمسيحية وغيرها من الديانات السابقة. ويعتمد البحث في مناقشة هذه الأطروحات على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح، وبيان صوره في القرآن الكريم، ثم نقد الشبهات الاستشراقية نقدًا علميًا يستند إلى النص القرآني، والمعطيات التاريخية، والمناقشة العقلية. وقد خلص البحث إلى أن معظم الطروحات الاستشراقية في هذا الباب تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية، وتعتمد على فرضيات مسبقة واستنتاجات غير قائمة على أدلة رصينة، وأن الوحي القرآني في المنظور الإسلامي يمثل مصدرًا إلهيًا مقدسًا، لا يمكن تفسيره بردّه إلى مؤثرات بشرية داخلية أو خارجية. كما يؤكد البحث ضرورة الوعي النقدي بهذه الشبهات ومواجهتها بالمنهج العلمي الرصين.

الكلمات المفتاحية: الوحي القرآني، الاستشراق، مصادر القرآن، الشبهات الاستشراقية

Abstract

This study examines the issue of the sources of Qur'anic revelation from an Orientalist perspective, a topic that has generated considerable debate in modern Orientalist studies due to its direct implications for understanding the origin of the Qur’an and the nature of divine revelation. The research focuses on analyzing the major Orientalist trends that question the divine source of revelation. Some

Orientalists have argued that the Qur’an originated from internal sources related to the personality of the Prophet Muhammad (peace be upon him) or from the Arab environment, its traditions, and poetry. Others have suggested that it was influenced by external sources such as Judaism, Christianity, and other earlier religions. The study adopts a descriptive-analytical approach by presenting the concept of revelation in both linguistic and terminological contexts, outlining its forms in the Qur’an, and critically examining Orientalist claims through reference to Qur’anic texts, historical evidence, and rational analysis. The research concludes that many Orientalist arguments in this regard lack objectivity and scientific rigor, relying largely on preconceived assumptions and unsupported conclusions. It affirms that, within the Islamic perspective, Qur'anic revelation represents a sacred divine source that cannot be explained as a product of internal or external human influences. The study also emphasizes the importance of developing critical awareness of such claims and addressing them through sound academic methodology.

Keywords: Qur'anic Revelation, Orientalism, Sources of the Qur’an, Orientalist Claims.

المقدِّمة

يعد الإيمان بالوحي من أهم أسس العقيدة الإسلامية، وإن إثبات الوحي هو إثبات لنبوة خاتم الرسل عليهم السلام ودليل ناصح على صحة دين الإسلام وإلهيّة مصدره، ولأهميّته الفائقة وخطورته البالغة فقد حاول بعض المستشرقين المغرضين التشكيك بالوحي–جملة وتفصيلاً من أجل تهديم إحدى ركائز الدين الإسلامي الحنيف، وهو الوحي الإلهي المقدس الذي يعتبر واسطة الفيض الإلهي بين العبد وربه وبين المخلوق وخالقه، سواء كان ذلك العبد مرسلاً أو وصياً، بشراً أم غيره.

وكان هؤلاء قد صبوا اهتمامهم وتركيزهم على الوحي الإلهي الذي كان الواسطة بين البارئ سبحانه وتعالى والنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ، وحاولوا ان يأتوا بالحجج والبراهين الواهية من أجل أن يطبعوا صورة في الأذهان تختلف عن تلك الصورة التي طبعت في أذهانهم من خلال تراثهم الإسلامي الذي ألفوه وتربوا عليه.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أنَّ أغلب المستشرقين ولا أقول جميعهم، من خلال تتبع آرائهم فيما يخص مصادر الكتاب المبارك نرى بأنَّهم يطرحون بعض الآراء في خصوص هذه المسألة، بعيدة كل البعد عن الواقع والحقيقة، إذ يتصورون بأنَّ هذه المصادر لم تكن إلهية مقدسة، بل أنَّها من صنع البشر، وذهب جزء منهم إلى أنها من صنع النبي الأكرم محمد ص نفسه، من خلال تأملاته وخلواته في غار حراء نتيجة لمعاناته من الواقع الاجتماعي المرير الذي عاش فيه، ومما يزيد يفاقم تلك المشكلة، أنَّ البعض من الكتاب المسلمين، والذين يحذون حذوا هؤلاء المستشرقين ويعتبر الآراء التي طرحت في تلك المسألة هي من الآراء التي لا تخلو من الصحة وأنها ذات قيمة علمية.

أهميّة البحث

تتبين أهميّة هذا البحث من خلال إثبات قضية هامَّة، وهي التعريف بأنَّ المبنى الذي يرتكز عليه هؤلاء المستشرقون هو مبنى زائف ويجانب الحقيقة في الواقع، وأنهم ينطلقون من رؤيا قبلية أخذها بعضهم من الآخر، أو عدم التثبت من المعلومة التي تصل إليهم وتحليلها بشكل دقيق وموضوعي، أو جهلهم بعادات المجتمع المكي العربي الذي يعيش فيه النبي الأكرم محمد – صلى الله عليه وآله وسلم– أو تقصد بعضهم للحط من مبادئ الإسلام المتمثلة في القرآن والسنة، من خلال خلق الأكاذيب وتلفيقها دون البحث عن الحقيقة التي يدعي الكثير أنهم من أنصارها.

منهج البحث

من المعلوم بأنَّ المنهج الذي يستخدمه الباحث هو عبارة عن الأسلوب المستخدم من قبله في الموضوع الذي يرغب الكتابة فيه، وأنَّ المنهج الذي استخدمناه للكتابة في هذا البحث هو يمكن ان نسميه بالمنهج الوصفي، وهو القائم على دراسة الظاهرة التي طرحت كما هي، ولا يخفى على القارئ اللبيب أننا استخدمنا المنهج التحليلي في بعض مطالب هذا البحث كوننا بعدما قمنا بتوصيف بعض الظاهر في هذا البحث قمنا بتحليلها.

أهداف البحث

من أهداف البحث الذي نروم الوصول إليها وإثباتها هي:

١-الإثبات بأن مصادر الوحي هي مصادر إلهية مقدسة.

٢-الاطلاع على هذه المصادر، وعلى أقسامها.

٣-التعريف بالكيفية النى يتم من خلالها نقل الرسالة الإلهية إلى سائر البشر.

٤-نقض الآراء التي ذكرت من قبل بعض المستشرقين على أنَّ مصادر الوحي ليست بإلهية، بل هي من صنع الإنسان نفسه.

هيكلية البحث

ولقد تطرقت في بحثنا هذا إلى عدة مباحث، إذ أشرت في المبحث الأول كمفاهيم أساسية للبحث ويتكون من مطلبين المطلب الأول تطرقت فيه إلى المراد من الوحي لغة واصطلاحاً وأما في المطلب الثاني، فقد تطرقت فيه إلى الصور التي ذكر بها الوحي في القرآن الكريم، وأما في المبحث الثاني فقد أشرت إلى المصادر القرآنية وفقاً للرؤيا الاستشراقية، إذ تناولت في المطلب الأول من الشبهات الاستشراقية والذي يمكن أن نطلق عليه بالاتجاه الداخلي، إذ يرى بأنَّ مصادر القرآن هي مصادر داخلية منطلقة من الجزيرة العربية نفسها، من عادات بعض العرب وتقاليدهم.

في حين ذكرت في المطلب الثاني وهو الذي يمكن أن يعبر عنه بالاتجاه الخارجي والذي أعني فيه ان هؤلاء حسب زعمهم ان مصادر الوحي القرآني قد اقتبست من ديانات أخرى كاليهودية والمسيحية والمجوسية وغيرها.

المبحث الأول: (المفاهيم الأساسية في البحث)

المطلب الأول: المراد من مفردة الوحي (لغة واصطلاحًا).

تعتبر مفردة الوحي من المفردات التي لها أهميَّة كبيرة بين الأوساط الإسلامية والمجتمعية، فهي لم تختص كمفردة بالمسلمين فحسب، بل هي الواسطة بين الخالق ومخلوقاته، فهي موجودة في ادبيات الأديان الأخرى كالديانة (اليهودية) التوراتية والديانة (النصرانية) الإنجيلية، وغيرهما من الديانات التوحيدية، فالوحي يعتبر مصدراً للفيض الإلهي، الذي يتصل من خلاله بسائر خلقه كما ذكرنا آنفاً. إلا أنه برز في الدين الإسلامي

أكثر من غيره، نتيجة لاهتمام لوروده في الكتاب المبارك بشكل صريح، واهتمام المسلمون بهذا الكتاب والذي أصبح محط اهتمامهم (قراءة – وحفظا– وتفسيراً) وسنقف للتعريف بهذه المفردة من جانب اللغة والاصطلاح من خلال وقوفنا عند بعض المصادر التي يمكن إجمالها بما يلي:

١ . الوحي في اللغة:

اختلف علماء اللغة في المراد من مفردة الوحي فبين من اعتبر فيه الخفاء والسرعة، ومنهم من اعتبر واحداً منهما فحسب.

قال الراغب: (أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمّن السرعة، قيل: أمر وحيّ أي سريع، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة)[١]. وبالجملة فأن معاني الوحي تشتمل على أنه بمعنى: الكتابة، الإشارة، الصوت، السرعة ،الإعلام في خفاء... والقاسم المشترك بين هذه المعاني هو الإخبار بصورة من الصور[٢].

٢. **الوحي في الاصطلاح:** (الإشارة السريعة على سبيل الرمز والتعريض، وما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به)[٣]. ومن خلال ما تقدم في كلا التعريفين اللغوي الذي تمثل بتوضيحهم للمراد من تلك مفردة مستشهداً بعضهم بالصور المتعددة التي صورها الكتاب المبارك، لكي يدعم رؤيته في المراد منها، في صوره المتعددة ،، واستشهد بعضهم بما جاء في القرآن الطريم فيما يخص تلك المفردة وبما جاءت به السنة المباركة، ويجد المتتبع اللبيب أنَّه لا يوجد خلاف بين كل منهما ، بل قد يجد هناك نوعاً من التقارب في المراد من مفردة الوحي، وانَّ المراد منه هو الإشارة السريعة في خفاء.

المطلب الثاني: صور الوحي في القرآن:

أشار القران الكريم إلى الوحي وإلى الصور التي عدة، ومنها:

١– **الإلهام** : وهو أن يلقي الله تعالى في النفس أمراً يبعث على الفصل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص به الله من يشاء من عباده سوى الأنبياء عليهم السلام كما يدل على ذلك قوله تعالى: "{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ }"[٤].

٢-**التسخير**: وهو أن يسخر الله بعض مخلوقاته إلى عمل ما، بهديه وإشائته وتسخيره، بشكل من الأشكال التي لا تستوعبها بعض مداركنا أحياناً، ويستيقنها الذين آمنوا دون أدنى شبهة، ويدل على ذلك قوله تعالى: "{ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}" [٥، ٦].

٣- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان.

قال تعالى: "{ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ... }"[٧] وقوله : "{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}"[٨] . ما يلقيه الله تعالى لملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعالى : "{ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}"[٩].

٤- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء.

كإيحاء زكريا عليه السلام فيما حكاه القرآن عنه: "{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}" [١٠، ١١] هذه أنحاء الوحي بوجه عام وبصورة أجمالية سواء ما كان منها الوحي الرسالي أم دلالات الوحي الأخرى.

المبحث الثاني: الاتجاهات الاستشراقية في الشبهات القرآنية

يمكن تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، فالمطلب الأول يخص الشبهة الأولى التي أطلقت من قبلهم وهي (المصادر الداخلية للوحي)، وأما في المطلب الثاني يخص الشبهة الثانية التي طرحت والتي يمكن تسميتها بـ (المصادر الداخلية)

وهي كالتالي:

المطلب الأول: يقول إن مصادر القرآن هي داخلية.

المطلب الثاني: يذهب إلى أن مصادر القرآن هي خارجية.

المطلب الأول: شبهة المصادر الداخلية للقرآن

اختلف المؤيدون لهذه الشبهة في تحديد نوعية المصدر الداخلي والتي يمكن تتبعها من خلال الفروع التالية :

الفرع الأول: إنَّ القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الفرع الثاني: القرآن هو انعكاس للحياة العربية وتقاليدها.

الفرع الثالث: القرآن مأخوذ من شعر أمية بن الصلت.

الفرع الأول: القرآن من انتاج (صنع) الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ذهب إلى هذا القول المستشرق هنري لامانس (HLammens) إذ يقول: إنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. مر بأزمة دينية ألجأته إلى الاعتزال والوحدة واعتقد بعزلته بأنَّ هناك إلهاً واحداً وإنَّ العرب عليهم أن يؤمنوا به كما أمن اليهود والنصارى، واعتقد أنه مدعوا إلى حمل هذه الفكرة إلى قومه.[١٢]، ونحن أذ نحاول أن نثير مجموعة من التساؤلات حول هذه الفكرة:

أولاً: لا يوجد تلازم بين من يعتقد أن عليه أن يدعو أمته وشعبه إلى الاعتقاد بالواحد الأحد وبين هذه التشريعات الإسلامية الواردة في القرآن، والتي حملت من الدقة على مستوى الصياغة والمعنى ما لا يستطيع أحد إنكاره.

ثانياً: المشكلة التي حدثت بين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبين قومه هي أنه دعاهم إلى الإيمان بالواحد الأحد فلو كان الأمر يقتصر على تصورات داخلية للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم لأخذ زمام المبادرة ودعاهم إلى التشريعات والقوانين التي جاء بها من دون أن يدعوهم إلى هذا النوع من الإيمان مادامت القضية داخلية.

ثالثاً: إنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم جاء بآيات تصرح بأنَّ هذا القرآن ليس من عنده لا على مستوى اللفظ ولا على مستوى المعنى"{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }"[١٣].

رابعاً: طريقة التعبير القرآني اختلفت عن طريقة التعبير على لسان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).. من أحاديثه وقد ميز تحدى القرآن ان يأتوا بمثله، فلو كان من عند الرسول ' وهو ابن بيئتهم ولم يكن يُعرف بأنه شاعر بل كان أمياً فكل هذه الأمور ترجح أن هذا الكتاب هو من عند الله تعالى، ولو قارن إنسان بين القرآن والحديث لوجد بوناً شاسعاً، ولهذا لم يستطع العرب أن يدسوا في القرآن آية ولن استطاعوا أن يدسوا في الأحاديث كثيراً.

خامساً: هناك آيات كثيرة في القرآن وشواهد متعددة وحوادث مختلفة تصرح بأن القرآن ليس من عند الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، منها:

السؤال عن حادثة أصحاب الكهف حيث سئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنها ولم يجبهم إلا بعد ان نزل عليه الوحي وأخبره بها. السؤال عن الروح، "{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}" [١٤] وغير ذلك فلو كان من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأجابهم بسرعة ولا يحتاج الأمر إلى وقت.

سادساً: الإعجاز البياني القرآني يدل بوضوح على إنه ليس من صنع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

سابعاً: لو كانت المسألة هي مجرد تفكير وعزله فكيف عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بأخبار الأمم السابقة وأحوالها، ولهذا نجد القرآن يخاطب الرسول "{ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ}". [١٥]

ثامناً: اشتمال القرآن على إخبار سوف تقع في المستقبل قال تعالى: "{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا }". [١٦] فهذه الأمور وغيرها تقف بوجه من يدعي كون مصدرية القرآن هي من تأملات وعزلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

الفرع الثاني: القرآن هو انعكاس للحياة العربية

قبل الرد على هذه الشبهة لابد من التعرف على منشأها واكتشاف المنشأ يكون من خلال العودة إلى تقاليد وأحكام وعادات الجزيرة العربية لتعرف على تلك الأحكام وتقابلها مع الأحكام القرآنية والحكم بعد ذلك على هذه الشبهة، ولابد من القول إن إيجاد نوع من التشابه بين ما درج عليه العرب وبين أحكام الإسلام لا يدل على أن القرآن مصدره الحياة العربية وتقاليدها لأنَّ الأحكام الإسلامية جاءت مبتنية على المصالح والمفاسد والناس بطبيعة أعمالهم وأعرافهم يبدلون سنن الأحكام وفق مصالحهم وحاجياتهم فقد تكون هناك بعض الأحكام موجودة عند العرب وموجودة في الإسلام انطلاقاً من أن الإسلام ألغى الأعراف والتقاليد الفاسدة وأقر الصالح منها وعدل بعضها وفقاً لمتطلباته وأحكامه.

ففي العصر الجاهلي كان العرف هو المصدر الأساسي للتشريع وإلى يومنا هذا الكثير من الدول العالمية تبني تشريعاتها وفقاً لأعرافها، بل حتى في بعض العشائر العربية يطبق العرف اليوم من أجل حل الكثير من النزاعات بينهم، فالعرف يعتبر مصدراً مهماً للتشريع عند الجاهلين، ويعد هذا المصدر الأول للقرآن عند البعض.

وأما المصدر الثاني لهم هو طريقة العبادة التي كانوا يتدينون بها وهي عبادة الأصنام، وكان للأصنام وللمعابد التي يحتويها أناس خاصين يديرون أمرها وشؤونها وهؤلاء يحملون صبغة دينية تؤهلهم إلى أن يكونوا مطاعين من قبل الجاهلين ونسبوا الأحكام لهم.

فإذن مصادر التشريع عند الجاهلين ثلاثة:

العرف ٢-أصحاب المعابد ٣-أصحاب النفوذ والسلطة

وفي معرض الإجابة على هذه الشبهة نقول:

إنَّ وجود أحكام كانت سائدة في زمن الجاهلية أقرها الإسلام لا يعني أنه اقرها لأنها كانت مستساغة لهم أو إنه تأثر بها أن المتتبع يرى بأنها انسجمت مع تشريعاته فأبقى عليها وأما تلك التي لم تنسجم مع فلسفة التشريع الإسلامي ألغاها وحرمها كبعض العادات المتعلقة بالحج وبعض العقود في النكاح والبيع كـ(الربا) وما شابه ذلك، فالتشريع الإسلامي ينطلق من فلسفة المصالح والمفاسد فإذا ما كانت هناك تشريعات منسجمة مع تلك المصالح والمفاسد يقرها وإلا ألغاها، ويمكن إثارة جملة من الإشكالات على شبهة المستشرقين حول كون الحياة والتقاليد العربية هي المصدر الأساسي للقرآن منها:

لماذا ألغى القرآن الكثير من العبادات والمعاملات وخلق له أعداءً فلو كان المصدر هي العادات والتقاليد لما كان لذلك داعي يذكر. لم نجد من العرب من تفوه بهذه الفرية وقال: إنَّ القرآن هو عبارة عن متن لفظي لسلوكنا العلمي فأنت يا محمد ما هو الجديد الذي أتيت به وتدعوننا إليه. اعتراف العرب بإنَّ هذا الدين جديد بأسلوبه ولفظه ومعناه خير دليل ذلك، ويروي التاريخ أنّ الوليد الّذي يصفه العرب بريحانتهم وحكيمهم سمع الآيات التالية من النبي الأكرم ’ قوله تعالى: "{ حَم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ * مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوح وَ الأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ

هَمَّتْ كُلُّ أُمَّة بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار}"[١٧].

فلما سمع ذلك قام حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: "{ والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لُمْثمِر، وإنّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقْ، وإنّه لَيْعلو وما يُعْلى عليه". ثم انصرف إلى منزله}" [١٨].

الفرع الثالث: القرآن مأخوذ من شعر أمية بن الصلت[١٩].

أول من طرق هذه الفكرة هو المستشرق كليمان هوار(C.HUART) وذكر أن القرآن أخذ كثيراً من شعر أمية بن الصلت وقارن هذا الرجل بين الشعر المنسوب لأمية بن الصلت وبين القرآن، ووجد هناك تشابه بين الأمرين في بعض الأمور، وذكر طه حسين في كتابيه " في الشعر الجاهلي" وكتابه الآخر "الأدب الجاهلي" عمل هذا الرجل وإنه قد قام بعملية مقارنة بين الشعر والقرآن بعد أن أثبت صحة الشعر المنسوب لهذا الشاعر وإنَّ هناك متشابه بين الشعر المنسوب لأمية بن الصلت وبين القرآن، وعلل محاربة المسلمين لشعر أمية بن الصلت ببقاء منفرداً على إنه وحياً إلهياً.[٢٠]

وهذه الشبهة فيها من الوهن ما لا يخفى وذلك:

إنَّ أمية بن الصلت رثى بشعره قتلى بدر من المشركين وكان يتمنى ان يكون نبياً كما ذكر في مروج الذهب، وفي والأغاني[٢١] وعندما جاء برسول وبُعث إلى قومه لم يسلم أمية بن الصلت بل إنه بالغ في عداء الرسول حسداً وحقداً فلو كان الرسول قد أخذ منه القرآن لكان أمية قد رافع عن شعره ورفع صوته عالياً بينما لا نجد لذلك في التاريخ أثراً ولا عين.

إنَّ القرآن قد تحدى الجن والإنس على ان يأتوا بسورة من مثله، ولو كانت مفتريات فإذا كان القرآن قد أخذ من أمية لا استطاع أمية أن يتحدى ذلك مع أننا لم نجد أمية قد فعل. كان أمية ينتظر النبوة كما تشير بعض المصادر وأصابته الصدمة والذهول حينما بعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ كان يأمل ان يكون نبي هذه الأمة. إذ يقول نيكلسون: وأنَّ تصوف أمية وانتظاره النبوة وأسفه عند ظهور الرسالة لدى غيره تؤيدها الرواية الآتية

التي حفظها المسلمون ونقلوها بحذافيرها، وهي أعظم شأنًا بكثير من ذكر التوحيد في شعره؛ لأنها تدل على حقيقة من الحقائق العجيبة، وقد يعجز الفكر عن تعليلها[٢٢].

لقد واجه القرآن الكريم الشعر ونفاه عن النبي الأكرم' وقال فيه: "{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ}"[٢٣] فلو كانت المعاني المذكورة مأخوذة من شعر أمية لواجه العرب محمداً بذلك فيكون لهم أفضل من مواجهة بالسيوف.

بعض المستشرقين ورفض ذلك من قبيل المستشرق الألماني فريدرك سولتهيس (Frydrk solthys) وهذا قد جمع شعر أمية وطبع ديوانه عام ١٩١١ وقال: إنَّ محمداً وأمية اشتركا في ثقافة واحدة وأخذا من مصدر واحد.[٢٤] فهذا المستشرق اطلع على شعر أمية واطلع على القرآن ووجد هناك فروقاً عديدة، إلا أنه من المؤسف لم يحاول ان يبرز ذلك الفرق بشكل جلي وأراد أن يثبت الادعاء المومأ إليه، فلجأ إلى طريق آخر بقوله: إنهما اشتركا في ثقافة واحدة من مصدر واحد، في حين أن المتتبع يرى أنَّ هذه الشبهة لا تصمد أمام النقد الموضوعي والدراسات العملية المنهجية .

المطلب الثاني: إنَّ مصادر القرآن مأخوذة من الديانات الإلهية الأخرى (التوراة والإنجيل).

هذا الاتجاه فيه (حق وباطل) وأراد أصحابه أن يخلطوا الحق بالباطل لشبهوا للمسلمين عليهم الأمر.

أما بالنسبة إلى الحق الموجود في هذا الكلام فيمكن الإشارة إليه من خلال ما يلي:

إنَّ مصدر الديانات الإلهية واحد وهو (الله تعالى) وكل ديانة فيها أمور نظرية وأخرى عملية وبمعنى آخر فيها اعتقادات وفيها أحكام وشرائع "{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}"٢٥ أما الدين فهو واحد عند الله وهو الإسلام بمعنى التسليم "{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}"[٢٦] فما دام المصدر واحد فمن الممكن أن يكون هناك تشابه كبير، بل تطابق في كثير من الأمور الاعتقادية.

إنَّ هناك آيات في نفس القرآن تدل إن الرسول ' والأنبياء السابقين(عليهم السلام) ينهلون من عين واحدة: إذ قال تعالى: "{ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}"[٢٧]. وأيضاً قال تعالى: "{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}"[٢٨].

قال تعالى: "{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ}"٢٩، فهذه الآيات وغيرها تدل على ان المنبع واحد وأن هناك جهات مشتركة بين الديانات فهذا مما أقره القرآن ولا يحتاج إلى شبهات المستشرقين.

إنَّ النجاشي ملك الحبشة عندما سمع من جعفر بن أبي طالب(رضوان الله عليه) بعض الآيات قال: إنَّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، والله ما زاد عيسى على ما تقولون بل إنَّ القساوسة والرهبان كانوا يبكون عندما يسمعون الآيات ويقولون ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام ٣٠.

فهذه المتشابهات التي ذكروها بين القرآن وبين التوراة والإنجيل قد صرح بها نفس القرآن.

أما جانب الباطل في هذه الدعوى إنَّهم قالوا: إنَّ محمداً قد أخذ هذه المعارف من القساوسة ومن الرهبان وكان يتتلمذ على أيديهم فهذه الدعوى الباطلة سوقها المستشرقون مع القول بوجود تشابه بين القرآن والتوراة والإنجيل وفي معرض الإجابة على ذلك سنحاول ذكر الرهبان الذين ادعى المستشرقون إن محمداً قد تتلمذ على أيديهم، ومن ثم ذكر الردود عليها ويمكن تقسيم المطلب إلى قسمين:

الفرع الأول: دعوى تتلمذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على يد بحيرا الراهب وبطلانها.

الفرع الثاني: دعوى تتلمذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على يد ورقة بن نوفل وأدلة بطلانها.

الفرع الأول: دعوى تتلمذ الرسول على يد بحيرا الراهب.

أول من طرق هذا الدعوى المستشرق أميل درمنغام (Dermenghem) والمستشرق مونتيه (Montiet) وقالا: إنَّ الرسول محمداً ' تتلمذ على يد بحيرا في مدينة بصرى الشام، أما بالنسبة إلى بحيرا فقيل إنَّ اسمه جرجس وقيل اسمه نسطوراً وقالوا عنه إنه منجماً وساحراً ويعتقد إن الله تعالى ظهر له ليكون هادياً إلى النصرانية.[٣١]

ويمكن إخضاع هذه الدعوى إلى نظرية طبيعة الأنبياء أي إننا سنقوم بدراسة للظروف الموضوعية التي تتحدث عنها هذه الدعوى بعد ان تنقل القصة التي حدثنا بها وهي إن التاريخ قد نقل الينا:

إنَّ النبي محمد سافر مع عمه أبو طالب إلى الشام وكان عمره أما (١٢) سنة واما (٩) سنين وعندما نزلا في الطريق التقيا هناك براهب اسمه (بحيرا) ودارت محاورة بين عمه أبو طالب وبين الراهب نقلها لنا ابن هشام في سيرته قائلاً : بحيرا سأل أبا طالب عن نسبته إلى هذه الغلام فكان أبو طالب يسميه ولده فقال له: ابني، فقال بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو الغلام حيا فقال: نعم هو ابن أخي، فقال: فما فعل أبوه ؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال بحيرا: صدقت فارجع به إلى بلد واحذر عليه من اليهود فو الله لئن رأوه هنا ليبلغنه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم... [٣٢]

فهذه القصة وهذا اللقاء أن نثير عليه جملة من التساؤلات:

حسب طبيعة الأشياء كم يكون وقت لقاء على مفترق طرق لقافلة، تسير باتجاه الشام فكيف يمكن أن يكون الوقت كافياً لأخذ ديانة كاملة من شخص آخر. لماذا لم نجد في التاريخ والسِير حديثاً أخر عن تعليم النبي ' من قبل بحيرا الراهب بل وجدنا فقط هذا اللقاء وهذا المحاورة.

لماذا لا يدعي بحيرا إنه نبي، لماذا يُعلم شخصاً آخر ويجعله نبياً أليس منصب النبوة منصباً معنوياً والراهب بحيرا قد احتل منصباً معنوياً بأنه راهب فما الحاجة إلى أن يعلم شخصاً آخر ليجعله نبياً. ماذا أخذ الرسول محمد' من بحيرا هل يستطيع أحد أن يقول إنه أخذ كل ما في القرآن من علوم وأحكام.

لماذا لا نجد في التاريخ كلاماً لبحيرا يشبه كلام القرآن المعجز اليس أن بحيرا قد عَلَّمَ الرسول' القرآن فلماذا لا يتكلم بحيرا بنفس كلام القرآن. لماذا طرح النبي نبوته على الملأ بعد أن أصبح عمره ٤٠ عاماً في الوقت أن اللقاء قد تم وعمر النبي ' إما (١٢) عاماً وأما (٩) أعوام فهذه الاستفسارات تضع هذه النظرية في معرض التشكيك عن دوافعها فيا للعجب نجد المستشرقين يحللون الأمور بمناهج علمية رائعة في بعض الحالات، لكن عندما تصل إلى

نبوة النبي محمد' نجدهم في أدنى مستوى من التحليل والموضوعية التي ينادون بها، كأنما لا يملكون عقلاً، وإنما هم مجرد مقلدون يرددون ما يسمعون.

ينقل لنا التاريخ ان الرسول الأكرم ' قد سافر إلى الشام مرتين، مرة مع عمه أبي طالب وعمره ٩-١٢ سنة، وأخرى في تجارة للصديقة خديجة بنت خويلد وكان يبلغ من العمر ٢٥ عاماً، فكيف حصل محمد على النبوة من بحيرا بسفرتين، وهل هناك وسائل اتصال حديثة متطورة يتصل بها الرسول ببحيرا كالأنترنت أو التلفون أو ما شابه ذلك.

أعتقد بعد نقاش هذه الشبهة وما طرح عليها من الإشكالات المتقدمة، يصبح من السذاجة التصديق بها وترديدها، ولهذا أنكر بعض المستشرقين هذه الشبهة كارادفو karadfo وسمى هذه الشبهة (بالخرافة والأسطورة)[٣٣].

الفرع الثاني: دعوى تتلمذ الرسول الأكرم ص على يد ورقة بن نوفل[٣٤].

لم يترك المستشرقون مورداً واحداً فيه إمكانية التشكيك بدعوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.الا استغلوه حتى لوكان ذلك من السذاجة، ففي هذه الدعوى يقول المستشرقون:(إن محمداً تتلمذ على يد ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي عم خديجة بنت خويلد، وهذا الرجل قد اعتنق النصرانية عندما كره عبادة الأوثان وخرج إلى الشام فالتقى بالقساوسة وأعجبته النصرانية فتنصر)[٣٥]، وسنناقش هذه الدعوى بعد ن نذكر باختصار لقاء ورقة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد نقل إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم. عندما تكلم معه الوحي رجع إلى بيته وعلمت خديجة بالخبر فانطلقت إلى ورقة بن نوفل ابن عمها فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من أبن اخيك. فقال له: يا بن اخي ماذا ترى؟

فأخبره الرسول خبر ما أرى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى ... باليتني كنت حياً إذ يخرجك قومك.[٣٦]

فاتخذ المستشرقون هذا اللقاء كشاهد على انَّ النبي كان تلميذاً لورقة وعلمه القرآن وما شابه ذلك من توهمات وهنا سوف نثير على هذه الشبهة تساؤلات عدة منها: من أين

للمستشرقين أن قالوا بان ورقة عَلَّم محمداً القرآن فلا يوجد لديهم إلا طريقان: الأول: التاريخ الثاني: الغيب

أما التاريخ فلم يوجد فيه إشارة واحدة على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تتلمذ على يد ورقة، بل يوجد فيه اعتراف من ورقة أن هذا الذي رآه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كان ينزل على موسى عليه السلام.

إذا كانت النبوة التي جاء الرسول ' هي من تعليم ورقة فلماذا لم يدعيها ورقة نفسه ويضمن لها مكانة معنوية بين قومه. هل يوجد في التاريخ كلام لورقة يشبه كلام القرآن فإذا كانت المسألة تعليمية فالمفروض يوجد مثل ذلك بينما لا نجد في ذلك عين ولا أثر. أين قريش من عملية التعليم هذه فبدلاً من أن يتقاتلوا مع محمد ويفقدوا الأحبة والأهل كان من السهولة بمكان أن يقولون إنك تلميذ لورقة ويواجهون بهذه المواجهة. لماذا لا نجد في التاريخ مواجهة من قريش فالمفروض إن يكون المعلم هو السبب وليس المتعلم. بعض المستشرقين شعر بضحالة هذه الدعوى فعدلها، وقال: بإنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر، وتعلم أشياء كثيرة منه، فهذه الشبهة أيضاً كسابقتها لم تصمد إمام الدراسة الموضوعية والمنهج العلمي البحت.

الخاتمة.

تعد قضية مصادر الوحي الإلهي من القضايا الهامَّة التي تعتبر قضية جديرة في البحث، لانَّ النتائج المترتبة عليها ليست بالنتائج القليلة الشأن في الوسط العلمي والمعرفي، بل تعتبر نتاجاً يساهم في تغيير أسس الحضارة الإسلامية برمتها، ولذلك دعتنا هذه الضرورة ومن باب الحرص على ديننا والدفاع عن مبادئ عقيدتنا أن نستقرأ آراء بعض المستشرقين والغربيين الذين طرحوا آرائهم فيما يخص تلك القضية، ومن خلال تتبع ما طرح من قبلهم، ومناقشة أفكارهم وآرائهم مناقشة علمية وموضوعية توصلنا في نهاية مطاف بحثنا إلى النتائج التالية:

١-أنَّ مصدر القرآن الكريم هو الحق تعالى وأنه أنزل على النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل الوحي الذي تمثل بجبرائيل الأمين ، وهذا ما ذكره القرآن الكريم وشاع بين أوساط المسلمين وغيرهم.

٢- عدم صحة ادعاءَ بعض المستشرقين بأنَّ مصادر القرآن الكريم، هي مصادر مأخوذة إما من المصادر التي يمكن أن أطلق عليها بالمصادر الداخلية لأنها من الجزيرة نفسها والمحيط الذي تربى ونشا فيه النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كالعرف، أو الشعر لعربي، أو من صنع نفسه . وأما من مصادر أخرى أطلق عليها بالخارجية وهي مزيج من أفكار الديانات التي سبقت الإسلام وعاصر نبيها بعضاً من أفرادها، وأنه أخذ بعض أحكام الإسلام من هذه الديانات كاليهودية والمسيحية والمجوسية ومشابه ذلك من الديانات.

٣-اثبات ضعف ما طرحوا من آراء وشدة وهنها وأنها لا تتكأ على حقيقة علمية راسخة ودلائل برهانية صادقة، إذ أن بعضاً من آرائهم كانت مبنية على آراء قبلية من أسلافهم، أو أنها مأخوذة من مصادر لا قيمة علمية لها.

٤-أثبتنا من خلا البحث أنَّ هؤلاء إلا أنَّ مناقشة دعوات المستشرقين وآرائهم تجاه مصادر الكتاب المبارك أثبتت ضعف تلك الادعاءات ووهنها وفقاً للضوابط العلمية والموضوعية، في ثنايا البحث. والكثير منها عبارة عن آراء تطرح من خلال تقليد بعضهم للبعض الآخر، وبالتالي أنَّ هذا الطرح يتسم بعدم المصداقية ويفتقد إلى الموضوعية التي هي أهم أساس من أسس البحث العلمي.

٥-بعد إثبات بطلان مدعى هؤلاء، يثبت بالتلازم بطلان دعوى البعض من الحداثيين الذين يتبنون آراء هؤلاء المستشرقين ويبثون أفكارهم بين الأوساط الشبابية في مجتمعنا.

٦-وبالتالي لابد للشباب المسلم أن يتريث قبال هكذا دعوات وأطروحات وشبهات فارغة المحتوى، الهدف منها واضح التشكيك في الأسس التي اتكأ عليها الإسلام من قرآن وسنة.

٧-وختاماً أنَّ الوحي الإلهي هو وحي مقدس مرسل من قبل الله سبحانه وتعالى، وأنَّ الازم التشكيك به هو التشكيك بأهم أساس من أسس الإسلام وهو الكتاب المبارك، وأنَّ الكثير من هؤلاء المستشرقين ومن يقف خلفهم هدفهم ومرادهم وما يطمحون إليه هو ذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الأصفهاني، أبو الفرج .الأغاني .تحقيق: إحسان عباس. ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨.

٢. الأصفهاني، الراغب .مفردات ألفاظ القرآن .دار القلم، بيروت، ١٤١٦هـ.

٣. الأعرجي، ستار جبر .الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي .ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

٤. ابن هشام، عبد الملك .السيرة النبوية .تحقيق: عمر تدمري. ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠.

٥. الحاج، ساسي سالم .نقد الخطاب الاستشراقي .ط١، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ٢٠٠٢.

٦. حسين، طه .الأدب الجاهلي .ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦.

٧. رضا، رشيد .تفسير المنار .ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٩٤٧.

٨. ستودارد، لوتروب .حاضر العالم الإسلامي .تحقيق: شكيب أرسلان. دار الفكر، بيروت، ١٩٧١.

٩. الصغير، محمد حسين علي .تاريخ القرآن .دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٩.

١٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن .مجمع البيان في تفسير القرآن .دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٥.

١١. عطية، محمد هاشم .الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي .ط٢، مصر، ١٩٣٦.

١٢. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر .فتح الباري شرح صحيح البخاري .تحقيق: محب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت، ١٣٣٩هـ.

١٣. المسعودي، علي بن الحسين .مروج الذهب .تحقيق: حسن مرعي. ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

١٤. المجلسي، محمد باقر .بحار الأنوار .دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٣.

١٥. المفيد، محمد بن النعمان .تصحيح اعتقادات الإمامية .المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ط١، قم، ١٤١٣هـ.
١٦. معرفة، محمد هادي .تلخيص التمهيد .ط٢، ذوي القربى، قم، ٢٠١٢.
١٧. نيكِلسون، رينولد .تاريخ أدب العرب .ترجمة: صفاء خلوصي. ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠.

الهوامش:

١- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ، ص٥١٥.

- ٢ الأعرجي، ستار جبر، الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، ص١٣.

٣- الصغير، محمد حسين علي ، تاريخ القرآن ، ص٢٣.

[٤]- سورة القصص، الآية: ٧ .

[٥] - سورة النحل، الآية: ٦٨

[٦] - محمد حسين علي الصغير ، تاريخ القرآن ،٢٥ – ٢٦

[٧]- سورة الأنعام، الاية: ١٢١

[٨]- سورة الأنعام، الاية: ١١٢

[٩]- سورة الأنفال، الاية: ١٢.

[١٠]- سورة مريم، الاية: ١١ .

[١١]- معرفة، محمد هادي ، تلخيص التمهيد، ج١، ص١١-١٣.

[١٢]- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص٢٧٠.

[١٣]- سورة يونس: ١٥، ١٦

[١٤]- سورة النحل:٢.

[١٥]- سورة آل عمران: ٤٤.

[١٦]- سورة الفتح:٢٧.

[١٧]- سورة غافر:١-٦

[١٨]- الطبرسي، مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٨٧.

[١٩]- محمد هاشم عطية، *الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي*، ط٢، مصر، ١٩٣٦م، ص ٣٤٩-٣٥١.

٢٠- حسين، طه، الأدب الجاهلي، ، ص١٤٢.

٢١- المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٣٦. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج٤، ص١٢٢.

[٢٢]- نيكلسون، تاريخ أدب العرب، ص٦٩.

[٢٣]-سورة يس:٦.

٢٤- عطية، محمد هاشم، الأدب العربي وتاريخه في العصر الحديث، ص٣٥٢.

[٢٥]- سورة المائدة:٤٨.

[٢٦]- سورة آل عمران: ١٩

[٢٧]- سورة النحل: ١٢٣.

[٢٨]- سورة الشورى:١٣.

[٢٩]- سورة المائدة :٤٤.

٦- ينظر :الواحدي، *أسباب النزول*، ص ١٣٦، في خبر خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي وقراءته صدر سورة مريم وتأثر النجاشي بذلك.

[٣١]- رشيد رضا، تفسير المنار، ج١١، ص١٦٩.

[٣٢]- ابن هشام، السيرة ، ج١، ص١٨٠

[٣٣]- ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص٤١.

[٣٤]– ينبغي الإشارة إلى ملاحظة هامة يرجى وأخذها بعين الاعتبار، وهي أنَّ هناك العديد من المصادر الإسلاميّة لا تتفق مع الرؤيا التي يذهب لها البعض من كتاب التاريخ الإسلامي على أن النبي الاكرم ’ ذهب بعد تشرفه بتكليف النبوة إلى ورقة بن النوفل وأن ورقة هو من أخبره بأنه نبي، إذ يستلزم ذلك الرأي إثارة الكثير من المسائل العقدية التي لا يسع المجال لذكرها، والتي لا تتناسب والمقام.

[٣٥] – ستودارد، لوتوب حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص٤٠.

[٣٦]– العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٢٨.

معركة جلاء القوات الأجنبية من لبنان

١٩٤٣ – ١٩٤٦

The Battle of the Evacuation of Foreign Forces from Lebanon 1943-1946

م. د محمد سكَّير مرعيد

قسم المحاسبة، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة الأمام جعفر الصادق (ع)، العراق

Dr.Mohammed Skeer AI-Shammari:Department of **Accounting , College of Administrative and Financial Sciences, Imam Ja'afar AI- Sadiq University,Iraq**

Muhammed.seeker@ijsu.edu.iq

07702648597

معركة جلاء القوات الأجنبية من لبنان ١٩٤٣ – ١٩٤٦

م. د محمد سگير مرعيد

الملخص

تناول البحث معركة جلاء القوات الاجنبية من لبنان، بعد حصول لبنان على الاستقلال، كان الجلاء عن ارض لبنان حقيقة اروع من الخيال وحلماً أصدق من الواقع وسعادة لجميع اللبنانيين، ويتناول البحث ايضا المعطيات الخارجية التي ساعدت على جلاء الجيوش الاجنبية وأثر الحرب العالمية الثانية على دخول لبنان معركة جلاء القوات الاجنبية.

لبنان كان يعاني من مشاكل عديدة بعد انتقال السلطة الى حكومة فيشي والتحول الذي طرأ على السياسة العامة الفرنسية، والمشاكل المستجدة مع بريطانيا كما ان سياسة المفوض السامي الجديد دانتز لم تعد واضحة تجاه لبنان.

ولم يكن تأثير الحرب على لبنان محصور من الناحيتين السياسة والاقتصادية، تعداها الى الواقع المعيشي والاداري في مؤسسات الدولة، وكان للحرب العالمية الثانية الأثر المباشر على استقلال لبنان ومن اولويات المهام الوطنية بعد الاستقلال هو مطالبة الحكومة اللبنانية بجلاء القوات الاجنبية وكان لمجلس النواب اللبناني الدور البطولي في الاستقلال والجلاء.

فضلاً عن معطيات خارجية ساعدت على الجلاء، وان موضوع جلاء القوات الاجنبية من لبنان أثار جدلاً بين اتجاهين لبنانيين، الكتلة الدستورية بزعامة بشارة الخوري تتلقى الدعم من بريطانيا من اجل ازالة الانتداب، وجلاء القوات الاجنبية من لبنان، والكتلة الوطنية بزعامة أميل ادة المتمسكة بكل مظاهر الانتداب والوجود الفرنسي في لبنان.

أصر لبنان على رفض توقيع أي معاهدة مع فرنسا قبيل الجلاء بالرغم من ان الفرنسيين والبريطانيين يصرون على ذلك، وعلى إثر التدخلات البريطانية الى جانب سوريا ولبنان، لحمل الفرنسيين على الانسحاب بدون توقيع أية معاهدة، اضطرت السلطات الفرنسية الى الجلاء من سوريا سنة ١٩٤٥، وعن لبنان في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦، واستلم

قيادة الجيش اللبناني الكولونيل (العقيد) فؤاد شهاب، بعد ما كانت الفرق اللبنانية تحت قيادة الجيش الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: لبنان، فرنسا، بريطانيا، جلاء.

Abreact:

The research deals with the battle to evacuate foreign forces from Lebanon, after Lebanon gained independence. The evacuation from Lebanese soil was a reality more wonderful than fiction, a dream truer than reality, and a source of happiness for all Lebanese. The research also deals with the external factors that facilitated the evacuation of foreign armies and the impact of World War II on Lebanon's entry into the battle to evacuate foreign forces.

Lebanon was suffering from numerous problems after the transfer of power to the Vichy government, the shift in French public policy, and emerging problems with Britain. Furthermore, the policy of the new High Commissioner, Dentz, towards Lebanon was no longer clear.

The impact of the war on Lebanon was not limited to the political and economic aspects, but extended to the living and administrative reality of state institutions. World War II had a direct impact on Lebanon's independence, and one of the priorities of national tasks after independence was to demand the withdrawal of foreign forces from Lebanon. The Lebanese Parliament played a heroic role in independence and withdrawal.

In addition to external factors that facilitated the evacuation, the issue of the withdrawal of foreign forces from Lebanon sparked controversy between two Lebanese factions: the Constitutional Bloc, led by Bechara El Khoury, which received British support for the removal of the mandate and the withdrawal of foreign forces from Lebanon, and the National Bloc, led by Emile Edde, which adhered to all aspects of the mandate and the French presence in Lebanon.

Lebanon insisted on refusing to sign any treaty with France before the evacuation, despite the fact that the French and British insisted on doing so, and as a result of British interventions alongside Syria and Lebanon, to force the French to withdraw without signing any treaty, the French authorities were forced to evacuate Syria in 1945, and

Lebanon on December 31, 1946. Colonel Fouad Chehab took over the command of the Lebanese Army, after the Lebanese divisions had been under the command of the French Army.

Keywords: Lebanon, France, Britain, evacuation.

المقدمة:

يقدم بحثنا هذا مصاعب واجهت لبنان حكومة وشعباً في معركة جلاء القوات الاجنبية، سنتناول في البحث التحديات والصعوبات التي واجهت لبنان في بداية الحرب العالمية الثانية.

في حزيران (يونيو) ١٩٤١، واجهت فرنسا غزواً لأراضيها فاحتل الالمان باريس في الرابع عشر من حزيران وبعد ذلك بأسبوع تم توقيع الهدنة بين المانيا وفرنسا، فدخلت فرنسا تحت السيطرة الالمانية وتسلم فيليب بيتان الحكم رئيساً للحكومة الفرنسية ومقرها مدينة فيشي.

في السادس عشر من تموز(يوليو) ١٩٤١، دخلت القوات الحليفة مدينة بيروت، واحتل البريطانيون المراكز المهمة في المدينة، اتخذ الجنرال جورج كاترو، لقب المندوب السامي العام وأعلن استقلال لبنان في السادس والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١، دون تغيير يطرأ على الواقع السياسي، وفي هذه الاثناء كانت بريطانيا قد اعترفت باستقلال سوريا ولبنان، فور اعلانه فعينت في شباط ١٩٤٢، الجنرال السير ادوارد سبيرز، رئيس بعثة سبيرز، لدى سلطات فرنسا الحرة، وزيراً مفوضا لها في البلدين.

اسفرت انتخابات ١٩٤٣، عن فوز الكتلة الدستورية، برئاسة بشارة الخوري، ادى ذلك الى ارتياح بريطانيا والمعارضة في داخل لبنان، ويعتبر بشارة الخوري من المعارضين لسياسة الانتداب الفرنسي، غضب الشعب اللبناني نتيجة عدم وفاء فرنسا بتعهداتها منح لبنان الاستقلال الناجز.

الاحداث المحلية والاقليمية والدولية سنة ١٩٤٣، ساعدت اللبنانيين الى بلوغ الاستقلال وبلورت الخيارات الوطنية المشتركة، فضلاً السياسة البريطانية، شكلت عوامل هامة في التقريب بين السياسيين ذو النزعة اللبنانية بالسياسيين ذو النزعة القومية، وتكون نظرة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين، وتحقق خلال الاجتماعات واللقاءات التي تمت بين

الزعماء السياسيين ورؤساء الاحزاب السياسية، وحدت ازمة ١٩٤٣، المسلمين والمسيحيين في فريق وطني واحد، كان هذا الاتحاد موجه ضد الانتداب الفرنسي، وعند الافراج عن الحكومة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، اعتبر اللبنانيين بكافة هوياتهم هذا اليوم عيداً وطنياً للبنان، لقد اظهر الشعب اللبناني في اثناء كفاحه من اجل استقلاله ضروباً من الشجاعة والبطولية، وهذه الازمة وحدة الشعب اللبناني وتكونت وولدت صيغة الميثاق الوطني.

بعد ان تحقق الاستقلال وانتهاء الحرب ظلت الجيوش الفرنسية والبريطانية ترابط على ارض لبنان وسوريا، ولم يعد جائزاً بقاء جيوش اجنبية على ارض بلاد مستقلة، فطالب البلدان بالجلاء، وجرت مفاوضات لكنها لم تصل النتيجة، بدلت بريطانيا سياستها تجاه فرنسا، فبدا لها بعد الحرب ان مركز القوة في العالم ينتقل خارج اوربا، الى الولايات المتحدة الامريكية والى الاتحاد السوفيتي، وان بريطانيا بحاجة الى فرنسا القوية للدفاع عن مركز اوربا، قرر لبنان وسوريا اللجوء الى هيئة الامم المتحدة، ولم تكن نيويورك قد تقررت بعد مقراً للهيئة الدولية، فاجتمعت في لندن في مطلع ١٩٤٦، وارسل لبنان وفداً برئاسة حميد فرنجية وزير الخارجية، ورياض الصلح رئيس الوزراء السابق، ويوسف سالم وزير الداخلية، وكل من سفيري لبنان في لندن كميل شمعون وفي باريس احمد الداعوق، وتشكل الوفد السوري برئاسة السياسي الكبير فارس الخوري، وعضوية فريد زين الدين ونجيب الارمنازي، وجرت المباحثات لكل وفد من جهة اللبناني والسوري، ولم تصل المباحثات الى نتيجة فرفع الوفدان شكوى الى مجلس الامن وجرت مناقشتها بين ١٤و١٦ شباط ١٩٤٦، وتم تقديم اربعة مقترحات فاز منها الاقتراح الامريكي، والذي ينص على تحقيق الجلاء واجراء مفاوضات بين الاطراف على هذا الاساس، لكن المندوب السوفيتي (فيشتسكي) استخدم حق الفيتو ضد مصلحة لبنان وسوريا، أنما ليطالب بتحقيق الجلاء دون مفاوضات ودون قيد او شرط، رغم الفيتو أعلن مندوبا فرنسا وبريطانيا أن بلديهما يحترمان مضمون قرار مجلس الامن، وافق الوفد اللبناني وانتقل الى باريس، وجرت مفاوضات ناجحة مع الحكومة الفرنسية وكذلك مع الوفد البريطاني وجرى توقيع الاتفاق في وزارة الخارجية الفرنسية يوم ٢٣ آذار ١٩٤٦، وتمت عملية الجلاء بسلام، وعلى مراحل حتى تم جلاء آخر جندي اجنبي من لبنان في ٣١ كانون الاول ١٩٤٦،

إشكالية البحث:

تسليط الضوء على معركة جلاء القوات الاجنبية وبيان الاستراتيجيات التي استخدمتها فرنسا وبريطانيا، ويمكن من خلال البحث بيان كيفية حركت فرنسا لدى اللبنانيين الشعور بالوحدة الوطنية على الرغم من النزعات الطائفية واصرارهم على الاستقلال الوطني وجلاء الجيوش الاجنبية من ارض لبنان بدون قيد او شرط.

ندرج تحت مشكلة البحث مجموعة من الاسئلة وعلى النحو التالي:

١ – هل كان لتأثير الحرب العالمية الثانية، على لبنان محصوراً في الناحيتين السياسية والاقتصادية آو تعداها الى الاوضاع المعاشية والادارية.

٢ – بريطانيا وضعت أسس سياستها في الشرق الاوسط، لمنافسة فرنسا.

٣ – لبنان كان مصراً بعدم توقيع اي معاهدة مع فرنسا قبل الجلاء.

٤ – هل كان للحرب العالمية الثانية الاثر المباشر في استقلال لبنان وجلاء القوات الاجنبية من اراضيه.

٥ – برز لموضوع الجلاء عند السياسيين جدلاً كبيراً بين اللبنانيين.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي الذي يتلاءم وطبيعة الاحداث السياسية والاقتصادية وتوضيح الاوضاع السياسية في لبنان نتيجة الحرب العالمية، واحتلال الجيوش الفرنسية والبريطانية لبنان، مع دراسة الاوضاع والظروف التي ساهمت الى بلوغ الاستقلال ثم الجلاء للقوات الاجنبية من لبنان بدون قيد او شرط.

اهداف الدراسة:

من الاهداف الرئيسة للبحث تضامن واصرار الشعب اللبناني بمختلف طوائفه والوانه السياسية بإلغاء الانتداب الفرنسي ونيل استقلاله وجلاء القوات الاجنبية.

وتهدف الدراسة على توضيح تأثير الحرب العالمية الثانية على الاوضاع السياسية والاقتصادية والواقع المعيشي والاداري في الدولة ومؤسساتها، وبيان نضال اللبنانيين البطولي من أجل استقلاله وجلاء القوات الاجنبية من اراضه، وظهر اللبنانيين حكومة وشعب ضروباً

من الشجاعة والبطولة، ادهشت الفرنسيين والعالم اجمع، ولم يرى اللبنانيين في تاريخهم حماسه وتوحد أبنائه كالذي توطد من اجل الاستقلال والجلاء بدون قيد أو شرط.

هيكلية البحث:

ولغرض الاحاطة بموضوع البحث فقد تم تقسيم محتوياته الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، في المبحث الاول الحرب العالمية وتأثيرها على لبنان اتخذ المفوض السامي "غبريال بيو" سلسلة من الاجراءات لمواجهة ظروف الحرب، علق الدستور اللبناني، وحل المجلس النيابي، وأعلن الاحكام العرفية وظل إميل اده رئيسا للجمهورية بدون صلاحيات وتشكلت حكومة جديدة. وتناول المبحث الثاني، الصراع البريطاني – الفرنسي على لبنان، بين مسار الحرب أهمية الشرق الاوسط بالنسبة للمصالح البريطانية، وكان لبنان منطقة حيوية في الشرق فمصالح بريطانيا واضحة هي تامين النفط الذي يشكل مصدر للتنافس بين فرنسا وبريطانيا فسيطرت بريطانيا على هذا الموقع الاستراتيجي الذي يمثل مصالح بريطانيا الحيوية، المبحث الثالث تناول الحالة السياسية في لبنان وجلاء القوات الاجنبية منه، أصبح لبنان دولة مستقلة رسمياً ذات سيادة واستلامها المؤسسات العامة التي كانت خاضعة للنفوذ الفرنسي، واجه الفرنسيين موقف الحكومة اللبنانية الرافض لتواجدهم العسكري، وقام لبنان برفع مذكرة الى مجلس الامن، مطالباً بجلاء القوات الفرنسية والبريطانية من لبنان، وتم تعيين خطة للجلاء استنادا الى اقتراح الولايات المتحدة الامريكية الى مجلس الامن، وبعد مفاوضات اذار ١٩٤٦، في باريس حصل لبنان على قرار الجلاء، واعلن مجلس النواب اللبناني بان الجلاء تم في الحادي والثلاثين من كانون الاول ١٩٤٦، ولم يبق في لبنان جندي أجنبي.

المبحث الأول: الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على لبنان:

كان لبنان حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، جزء من الإمبراطورية العثمانية، وضعت الحرب نهاية الدولة العثمانية، غير ان اتفاقية سايكس – بيكو، المعقودة سراً سنة ١٩١٦، بين فرنسا وبريطانيا، وضعت خطة لاقتسام البلاد العربية، فكانت سوريا ولبنان من نصيب فرنسا، والعراق وفلسطين وشرق الأردن من نصيب بريطانيا. (Document of British Foregr Policy 1919 – 1939))

عندما حلت فرنسا أخيرا في لبنان، "وصل الشعور بالفرح الى حد لا يوصف، وشهدنا بأنفسنا تلك الأيام الخالدة من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨ " التصريحات الأولى لممثلي فرنسا فتحت باب الامل على مصراعيه، فتمت دعوة مجلس الإدارة الكبير في جبل لبنان للانعقاد بعد انقطاع دام طيلة فترة الحرب، بالاتفاق مع المفوض السامي، صوت المجلس على المذكرة الشهيرة في ١٩ تموز(يوليو) ١٩١٩، المقدمة الى اللجنة الامريكية جاء فيها (لبنان بلد سيد مستقل، ويجب ألا تمس المساعدة الفرنسية باي حال من الأحوال هذا الاستقلال). (البطريرك، ١٩٨٧، صفحة ٤٩)

أعلن "فلاديمير ايليتش لينين" سنة ١٩١٩، في تقرير مقدم الى المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق قائلاً" ونحن نعلم حق العلم انهم عندما يتحدثون عن توزيع الانتدابات على المستعمرات، فإنما يعنون توزيع الانتدابات للسلب والنهب، اعطاء اقلية ضئيلة من سكان الأرض حق استثمار الأكثرية من سكان الكرة الأرضية". (لينين، ١٩٧٠، الصفحات ١٥-١٦)

في الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، نزلت القوات الفرنسية في بيروت وعممت انتشارها على طول الساحل الممتد من صور حتى كيليكيا(تقع جنوب الاناضول تركيا حالياً)، وأطلق على هذه المنطقة اسم المنطقة الغربية، كما أطلق على منطقة الجيش العربي اسم المنطقة الشرقية، وصارت بيروت عاصمة المنطقة الغربية، ودمشق عاصمة المنطقة الشرقية، وكانت الإدارة في كلا المنطقتين تحت اشراف الجنرال اللنبي العسكرية باعتباره القائد العام لجيوش الحلفاء. (الامين، ١٩٩٨، صفحة ١١١)

وفي سنة ١٩٢٠ عقد مؤتمر" سان ريمو" في إيطاليا وعهد الى فرنسا بالانتداب على سوريا ولبنان والى بريطانيا بالانتداب على العراق وفلسطين، تأزمت العلاقات بين دول اوربا فانقسمت القارة الى كتل متنافسة، فقد ظلت فرنسا وبريطانيا حريصتين على النظام الديمقراطي البرلماني، فيما نشأت أنظمة سياسية جديدة، ففي الاتحاد السوفيتي كان النظام الاشتراكي بزعامة "جوزيف ستالين"، وفي إيطاليا كان نظام الفاشية، بزعامة بينيتو موسوليني، والنظام النازي في المانيا بقيادة أدلف هتلر، رفض هتلر بنود معاهدة فرساي، التي وضعها المنتصرون بعد الحرب العالمية الاولى ، رجع الى التسلح وطالب "بمكان لائق

لبلاده تحت الشمس"، فقرر أن يجمع الجرمان في دولة واحدة، وأن يؤمن " مجالاً حيويا" يليق بالشعب الجرماني، وفي اول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، هاجم بولونيا للسيطرة على الممر البولوني "ودانتزيغ" (هي مدينة حرة ذات حكم ذاتي تحت رعاية عصبة الأمم، بعد الحرب العالمية الأولى)، فبدأت الحرب العالمية الثانية . (وهيب، ٢٠٠٤، صفحة ٢٧٩)

في لبنان فقد أتخذ المفوض غبريال بيو سلسلة تدابير لمواجهة ظروف الحرب، فقد علق الدستور وحل المجلس النيابي، وظل اميل اده رئيسا للجمهورية، وتشكلت حكومة جديدة، واتسعت صلاحيات المفوض السامي، وتم اعلان الاحكام العرفية وحل الأحزاب السياسية ووضع قادتها في السجون لاسيما من الشيوعيين والقوميين، وفرض رقابة مشددة على الصحافة، ومن الجهة العسكرية أرسلت فرنسا حملة عسكرية كبيرة بقيادة الجنرال مكسيم ويغان، ارادت توجيهها من لبنان الى البلقان فألى بولونيا، لكن هذا لم يحصل، فاكتفت باتخاذ تدابير وقائية، مثل مراقبة الجسور وأقامه مراكز للمدفعية. (وهيب، ٢٠٠٤، صفحة ٢٨٠)

وردا على إجراءات المفوض السامي الفرنسي "غابريل بيو" للحد من صلاحيات رئيس الجمهورية، أعتكف اميل أده في منزله معللاً موقفه" بأن السلطات القليلة التي بقيت لديه يمكن ممارستها من خلال وجودي في البيت". (الصليبي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣١)

عمدت المفوضية الفرنسية في لبنان الى اعلان التعبئة العامة في صفوفها، وأصدرت قراراً بالتجنيد الاجباري في لبنان مهددة المتخلفين عن الالتحاق بملاحقتهم قضائياً وتغريمهم بالحبس أو المال. (صحيفة بيروت، ١٩٣٩)

فرنسا انهزمت أمام المانيا ووقعت معاهدة صلح في ٢٢ حزيران(يونية) ١٩٤٠، وتشكلت فيها حكومة برئاسة المارشال فيليب بيتان، وأقامه في مدينة "فيشي" في الهضبة الوسطى، وأصبحت تعرف بحكومة فيشي، وكانت فرنسا قد استدعت الجنرال ويغان من لبنان، وظل "المفوض بيو" في لبنان، فأعلن بيو من لبنان الانضمام الى سياسة حكومة فيشي، فاستدعته حكومته الى فرنسا، ثم عاد والتحق بالجنرال ديغول الذي يقود حركة فرنسا الحرة، وارسلت حكومة فيشي مندوباً جديداً الى لبنان هو الجنرال " موريس دانتز". (وهيب، ٢٠٠٤، صفحة ٢٨١)

عمدت السلطات الفرنسية الى أجراء تغيرات وتعديلات كانت سمتها الأساسية الارتجال والتدخلات الخاصة، وهذا سبب فوضى إدارية، هذا الواقع السياسي والاقتصادي والإداري خلق هوةً بين اميل اده ولمفوض السامي دانتز، الرئيس اده لم يعد يقتنع بتبريرات الفرنسيين، ومنها دق طبول الحرب، والتدخلات التي يمارسونها في دقائق الأمور اللبنانية، وكان راي دانتز ان الأوضاع العسكرية والظروف المحيطة بها، وتشعبات الوضع الإداري وتدخلاته بالشؤون العسكرية ومصالح فرنسا، تفرض عليه زيادة صلاحياته في الشؤون اللبنانية، وقد دفع هذا الصراع بأميل اده الى الاستقالة، كما استقال معه أمين سر الدولة السيد عبد الله بيهم، رد دانتز على الاستقالتين بتعيين ألفرد نقاش الموالي للفرنسيين وسياساتهم رئيسا الدولة في ٩ نيسان ١٩٤١، يعاونه في حكومته مجلس مديرين برئاسة أحمد الداعوق، الا أن الوضع لم يستمر طويلاً بسبب دخول قوات الحلفاء الى لبنان سنة ١٩٤١ . (الصليبي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣٢)

نشأ الخلاف بين رئيس الجمهورية " الفرد نقاش" وكاترو بعد ان أحتج اللبنانيون على بقاء السلطة الفعلية في أيدي الفرنسيين وطالبوا باستقلال كامل، وكان في طليعة المطالبين بذلك البطريركية المارونية، وتمكنت المعارضة اللبنانية من عقد مؤتمر وطني كبير في بكركي يوم عيد الميلاد (٢٥) كانون الأول(ديسمبر) ١٩٤١، تحت رعاية البطريرك الماروني "أنطوان عريضة"، وكان شعار المؤتمر " لا استقلال بدون أعادة الأوضاع الدستورية الى لبنان". (فتوني، ٢٠١٣، صفحة ١٠٣)

افتتح مؤتمر بكركي البطريرك أنطوان عريضة، بخطاب جاء فيه " ان الشعب الحر له حرية سن قوانينه الدستورية التي تقدس الحريات الشخصية والحريات العامة والتي تؤمن تمثيل الطوائف والمناطق تمثيلاً عادلاً وتبقى الاحكام بيد أبناء البلاد يحملون مسؤوليتها ويقومون بأعبائها، والشعب الحر له حق تقرير مصيره بملء الاختيار وله حرية التعاقد مع الدول الأجنبية، ان هذا الصرح ليس وقفاً على الطائفة المارونية فحسب، بل هو بيت جميع اللبنانيين، ووقف للمصلحة اللبنانية. (ظاهر، ١٩٨٤، صفحة ١٣١)

اتبع الجنرال كاترو وعده بتوجيه رسالة الى الجنود الفرنسيين التابعين لحكومة "فيشي"، يدعوهم فيها الى الانضمام لقواته، وعدم مقاومتهم لها في زحفها، ومن جهة اخرى كان

"بيتان" قد دعا قواته الى الدفاع عن المشرق ضد قوات الحلفاء، الا ان تسارع الاحداث العسكرية دفعت بيتان الى التسليم بهزيمة قواته في لبنان وسوريا، طالباً توقيع معاهدة الاستسلام. (زين، ١٩٧٧، صفحة ١٦)

شرعت قوات بريطانيا وفرنسا بغزو سوريا ولبنان، من جهة فلسطين وفي اليوم ذاته اسقطت طائرات الحلفاء على البلدين الاف المناشير تعلن الاستقلال الكامل لسوريا ولبنان، باسم فرنسا الحرة وذلك سعيا وراء تأييد الشعبين، وكانت هذه المناشير موقعة بإمضاء الجنرال كاترو، ممثل الجنرال ديغول في القاهرة، ونجح البريطانيون والفرنسيون الاحرار في احتلال البلدين، فغادر الجنرال دانتز بيروت وحل مكانه الجنرال كاترو، متخذاً لنفسه لقب" المندوب السامي العام "بدلا من " المفوض السامي". (الصليبي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣٢)

الجنرال ديغول قام بزيارة الى بيروت في ٢٧ تموز ١٩٤١، وكان الجنود الفرنسيون واللبنانيون يشكلون السياج لحظة وصول الجنرال ديغول الى السراي الصغير حيث تبادل مع رئيس الحكومة اللبنانية الفرد نقاش كلمات يفعمها التفاؤل، ثم انتقل الى السراي الكبير حيث التأم جميع الشخصيات الفرنسية، وأكد ديغول "كانت الضرورة الملحة تقضي ان نعيد لتلك الحقوق والواجبات وزنها واعتبارها، وقد استطعنا في لبنان أن نمضي بسرعة اكثر من غير ان نعثر مع ذلك على الحل الأمثل، فأن رئيس الجمهورية اميل اده، صديق فرنسا الصامد ورجل الدولة المتثبت، كان قد استقال قبل ثلاثة اشهر من المعركة التي ساقتنا الى بيروت، ولم يحل احد محله وكانت مدة ولاية البرلمان قد انتهت، من جهة أخرى منذ زمن طويل، كان الوضع من ناحية المبادئ والدستور ممهداً خاليا من كل عقبة ، كانت هنالك خصومة جامحة تجعل اميل اده على طرف النقيض من شخصية مارونية أخرى "بشارة الخوري"، فهذا قد انقطع لملابسات الشؤون اللبنانية وتعرجاتها، وجمع حوله عديد من الأنصار ، وصرح لي الخوري سبق ان بلغ اده المنصب الأعلى، وجاء دوري لان أكون رئيساً" وكان رياض الصلح زعيم المسلمين السنة المتحمس، يلوح حول المساجد بعلم القومية العربية، ويحمل المتنافسين على الاستغاثة دون ان يخلصا، مع ذلك الى وفاق" . (الجنرال، ١٩٦٧، صفحة ٢٤٥،٢٥٥)

تألفت وزارة "احمد الداعوق"، وتم استحداث منصب وزير للشؤون الخارجية، وفي أوائل سنة ١٩٤٢، استقالت وزارة احمد الداعوق، في ظل أزمة المواد الغذائية، وتألفت وزارة جديدة برئاسة " سامي الصلح" ، ثم اعترفت بريطانيا باستقلال لبنان، وعينت الجنرال " ادوارد سبيرز" (١٨٨٦ – ١٩٧٤)، لدى سلطات فرنسا الحرة سنة ١٩٤٢، وزيراً لها في لبنان، وجعل سبيرز مركز عمله في بيروت، وتبعتها في هذا الاعتراف الولايات المتحدة الامريكية، وكانت مصر اول بلد عربي يعترف باستقلال لبنان، وقد شكل الاعتراف البريطاني أحراجاً للفرنسيين لكن ظروف الحرب حتمت على بريطانيا الاستمرار في إرضاء العناصر الوطنية في لبنان . (الزيدي، ٢٠١١، صفحة ٨٧)

في ١٨ أذار ١٩٤٣، صدر قرار المفوض السامي الجنرال كاترو رقم (١٢٩) أعاد بموجبه الدستور اللبناني الصادر سنة ١٩٢٦، وأقال كاترو الرئيس الفرد نقاش، وحكومته التي يرأسها سامي الصلح، وعين أيوب تابت رئيسا للجمهورية وللحكومة المؤقتة وجعل مهمتها التحضير لأجراء الانتخابات النيابية لسنة ١٩٤٣. (الجسر، ١٩٨١، صفحة ٢٣٦)

ان الناظر بتعمق للوضع اللبناني أنذاك يستخلص ان كاترو كان يعرف ان البريطانيين وهم في اعلى درجات قيادتهم كانوا مهتمين بالوضع في لبنان وسوريا، ويعتبرون الوضع اللبناني فرصة كبيرة للنيل من فرنسا، فالموقف الفرنسي كشف عنه " تشرشل" وملخصه " لا يجوز لفرنسا ان ترغب في اجلاء الأجنبي عن أراضيها وهي تبشر بالاستعمار في غير بلادها. (يوسف، ١٩٧٨، صفحة ١٧٢)

المبحث الثاني: الصراع البريطاني الفرنسي على لبنان:

ان مجرى الحرب بين لنا بوضوح مدى أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للمصالح البريطانية، فضلاً عن ان لبنان كان يشكل مع بلدان المشرق منطقة حيوية، فمصالح بريطانيا هي تأمين النفط الذي يشكل مصدراً للتنافس بين فرنسا وبريطانيا، فسيطرت بريطانيا على هذا الموقع الاستراتيجي تخولها الحفاظ على مصالحها الحيوية بامتياز، وتوكد بريطانيا ان مسار الحرب له أهمية في الشرق الاوسط لمصالح البريطانية، وفضلا عن هذا ان بلدان المشرق، ولا سيما لبنان من أعظم المناطق الحيوية، فان أهميتها بالنسبة الينا لا تقتصر على كونها مناطق تقع على خطوط مواصلاتنا الى الشرق، ومن جملة المصالح البريطانية في

منطقة الشرق الأوسط ، أولا المحافظة على حرية خطوط المواصلات الدولية الحيوية التي تشكلها منطقة الشرق الأوسط جغرافياً والإبقاء عليها مفتوحة، ثانياً المحافظة على حرية الانتفاع بمخزون حقول النفط لصالح العالم الحر ولمنفعة بلدان الشرق الأوسط، ثالثاً تشجيع العمل على اتخاذ إجراءات فعالة للدفاع عن هذه المنطقة ضد أي اعتداء عليها من الخارج . (زين، ١٩٧٧، صفحة ١٧)

في هذا الحين كانت الولايات المتحدة الامريكية قد تخلت عن عزلتها، و دخلت الحرب العالمية الثانية، ووقعت سلسلة من الاحداث جذبت الولايات المتحدة أكثر فأكثر الى دوامة سياسة الشرق الأدنى، هذه المنطقة ذات الموارد الطبيعية الهائلة، وأكد الرئيس الأمريكي ترومان " Truman" ان اكتشاف حقول غنية بالنفط في العراق وايران، والجزيرة العربية في السنوات الأخيرة قد زاد كثيراً من أهمية هذه المنطقة الاستراتيجية في النصف الأول من القرن العشرين، وقد أنشئت انابيب عبر مئات الاميال مخترقة الصحراء والسهول والجبال ليسيل فيها هذا السائل الثمين الى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وان الشرق الأوسط والادنى يمكن ان يصبح يوماً ما حلبة منافسة عنيفة بين القوى الخارجية . (زين، ١٩٧٧، صفحة ١٧)

الجنرال "سبيرز" كان في بيروت، مصمم على اجراء انتخابات شعبية في لبنان، ولم يجد الفرنسيين الاحرار، بعد اعترافهم باستقلال البلدين، عذراً لرفض هذا الطلب، فماطل الجنرال كاترو بضعة أشهر في تحديد موعد للانتخابات تنفيذا لتعليمات وردته من الجنرال ديغول، لكنه أضطر آخر الامر، الى الرضوخ للضغط البريطاني، فاعلن كاترو عودة الدستور اللبناني، في ٢٥ أذار (مارس) ١٩٤٣، وكان كاترو قبل ذلك قد أقال الفرد نقاش وسامي الصلح، من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء في لبنان، وأستبدلهما بأيوب ثابت كرئيس للجمهورية، ورئيس للدولة في وقت واحد ، فالف ثابت حكومة من ثلاث أعضاء ، أوكل اليها ان تهيء لأجراء الانتخابات. (الصليبي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣٥)

ان التهيج الطائفي لحكومة أيوب تابت، ولدعاة المفوضية العليا الفرنسية، لم يذهب دون نتائج لكنه لم يعطي الثمار المرجوة، بعد ان خبر لبنان نتائج هذه المخططات الاستعمارية طيلة ربع قرن من عمر الانتداب، فكانت معركة انتخابات ١٩٤٣، استفتاء

حقيقياً للشعب اللبناني، بين شعارين أساسيين، اما الاستقلال واما بقاء الانتداب بثياب معاهدة فرنسية – لبنانية، اقيل أيوب تابت من منصبه في ١٢ تموز(يوليو)، وعين مكانه الوجيه الأرثوذكسي "بترو طراد". (ظاهر، ١٩٨٤، صفحة ١٤٠)

وجرت الانتخابات النيابية اللبنانية، على مرحلتين في أواخر صيف ١٩٤٣، تحت رقابة الرئيس بترو طراد والجنرال البريطاني سبيرز، والمفوض السامي الفرنسي الجديد " جان هيللو"، فأسفرت عن فوز " الكتلة الدستورية" وحلفائها فوزاً ساحقاً، وعقد مجلس النواب الجديد جلسته الأولى في ٢١ أيلول (سبتمبر)، وانتخب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية، بأغلبية (٤٤) صوتاً وامتناع (١١) نائباً عن التصويت، وعلى الفور كلف الرئيس الجديد حليفه "رياض الصلح "، تأليف حكومة تتمثل فيها الطوائف الرئيسية الست في البلاد، الموارنة، والسنه، والشيعة، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والدروز، وهكذا برز الى الوجود لبنان تشترك فيه جميع الطوائف اللبنانية . (ظاهر، ١٩٨٤، الصفحات ٢٣٥-١٣٦)

كان بشاره الخوري قد أقام اتصالات جيدة مع البريطانيين خلال الأشهر التي سبقت، ووطد روابطه القديمة مع المسلمين اللبنانيين، وفي ربيع ١٩٤٢، تبنى عدد كبير من الأعضاء البارزين في عائلة الصلح، صيغة جديدة للتعايش المسيحي – المسلم في لبنان عرفت فيما بعد باسم " الميثاق الوطني"، بعد انتخاب بشاره الخوري رئيساً للجمهورية، طلب من رياض الصلح ان يكون اول رئيس وزراء، وبات الميثاق الوطني الذي لم يكتب ابداً بشكل رسمي، جزءاً مركزياً وغير رسمي في الدستور اللبناني، خلال السنوات الأربعين الاولى من حياة الجمهورية اللبنانية المستقلة، وفي ظل الانتداب الفرنسي، كان قد تم توطيد المبدأ الذي بموجبه يكون الرئيس مارونياً ورئيس الوزراء سنياً، وجاء الميثاق الوطني لكي يعطي تقسيم المراكز العليا في الإدارة طابعاً رسمياً، وتم كذلك الاتفاق حسب الميثاق الوطني على ان يكون رئيس مجلس النواب من الشيعة، وقائد الجيش مارونياً، ورئيس اركانه درزياً . (هيلينا، ١٩٨٥، صفحة ٦٣)

بعد انتخاب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية، واختيار رياض الصلح رئيساً للوزراء وقد حملا شعار الاستقلال التام كان لابد لهما من تنفيذ هذا الشعار الذي رفعا لواءه خلال حملتهما الانتخابية.

عقد مجلس النواب اللبناني الجلسة الثانية بتاريخ السابع من تشرين الأول ١٩٤٣، للاستماع الى بيان الحكومة والتصويت على الثقة، فتلا رياض الصلح بيان اول حكومة استقلالية وقد ارتسمت فيه الخطوط العريضة لحكومة الجديدة، فكانت عناوينه، عهد الاستقلال وتنظيمه، تنظيم الحكم الوطني، معالجة الطائفية والإقليمية، تعديل قانون الانتخاب، الاحصاء العام، التعاون مع الدول العربية، العلاقة مع الحلفاء.(محضر مجلس النواب اللبناني، ١٩٤٣/١١/٧)

في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣، تلا رياض الصلح بياناً أمام البرلمان الجديد، في الجلسة المخصصة للتصويت على برنامج الحكومة الجديدة التي يترأسها، أعلن فيه " تعلمون ان في الدستور اللبناني مواد لا يتفق وجودها وقيام الاستقلال، وفيها ما يجعل لغير الشعب اللبناني وممثليه الشرعيين مشاورة في تسيير شؤونه، وستعمد الحكومة حالاً فنطلب الى مجلسكم الكريم أن يجري في الدستور التعديلات التي تجرده من هذه القيود، فيصبح دستور دولة مستقلة تمام الاستقلال. (محضر مجلس النواب اللبناني، ١٩٤٣/١١/٨)

اكدت جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣، أحقية لبنان في تعديل دستوره من دون الرجوع الى سلطة الانتداب، ثم اتبعت ذلك بجلسة عاجلة لمجلس النواب في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣، احقية لبنان في تعديل دستوره من دون الرجوع الى سلطة الانتداب، ثم أتبعت ذلك بجلسة عاجلة لمجلس النواب في الثامن من تشرين الثاني، لتعديل الدستور، على الرغم من مماطلة المعارضة النيابية برئاسة " أميل أده" الذي دعا الى رفعه الى لجنة خاصة لدراسته، فرفضت الحكومة والمجلس مطالبه، فانسحب من الجلسة وأقر المشروع بالأجماع في مجلس النواب . (محضر مجلس النواب اللبناني، ١٩٤٣/١١/٨)

بدأت الازمة السياسية بين سلطة الانتداب والحكومة اللبنانية، وقد عدة فرنسا عمل الحكومة ومجلس النواب، تحدياً لها يجب الرد عليه فوراً، فأقدمت السلطات الفرنسية على اعتقال زعماء البلاد يوم الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣، وساقتهم مخفورين الى قلعة راشيا. (الخوري، ١٩٦١، صفحة ٢٦)

في صباح ذلك اليوم أصدر المفوض السامي " جان هللو" (j. HeLLeu)، جملة من القرارات تقضي بتعليق الدستور، وتعيين أميل أده رئيساً مؤقتاً للدولة. (ريان، ١٩٨٩، صفحة ٨٥)

ان البريطانيين لم يكونوا مطمئنين الى وجود فرنسي ثابت في الشرق المتوسط، وان حق الانتداب الذي حصلت عليه فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى لم يكن برضى تام من البريطانيين، وكان الامريكيون يخططون لاستثمار النفط السعودي ولمد أنبوب نفط من السعودية الى شاطئ لبنان، فكانت مصلحتهم تقضي بأبعاد نفوذ فرنسا حتى لا يكون مصب النفط بأشراف دولة اوربية لابد أن تستعيد قوتها، وكانت الصهيونية تخطط لاقتسام فلسطين، وتقضي مصلحتها بأبعاد نفوذ فرنسا حتى يتسنى لها تهجير عدد من الفلسطينيين والسيطرة على أرض بدون سكان، وكان اليهود لا يرتاحون لسياسة فرنسا تجاه سياستهم في فلسطين، لم يتوصل الحكم في لبنان الى اتفاق مع الفرنسيين، وكان الجنرال البريطاني سبيرس يتدخل مباشرة بكل الاحداث ويشجع الحكومة اللبنانية ضد الفرنسيين. (وهيب، ٢٠٠٤، صفحة ٢٩٢)

تأتي بريطانيا في طليعة الدول التي مارست تأثيراً على فرنسا نظراً لتواجدها العسكري على الأرض اللبنانية، وكشف الكاتب والدبلوماسي العسكري اللبناني، "منير تقي الدين"، وهو أحد الذين انضموا الى حكومة بشامون، بأنهم كانوا على اتصال دائم مع الجنرال البريطاني سبيرز في بيروت يستشيرونه في كل شيء. (مجلة الحوادث، ١٩٧٩)

وجهت لندن احتجاجا الى لجنة التحرر الفرنسية ضد تصرفات قواتها في لبنان كانت تعد خطة جاهزة للتنفيذ في حال لم يفرج عن السياسيين اللبنانيين في راشيا، تشير الخطة الى ان اعلان الاحكام العرفية ستكون الخطوة الأولى، وفي ذات الوقت يوضح للفرنسيين بأن لندن ستعترف بالوزارة والمعتقلين كحكومة لبنان الشرعية، وان ما يبرر ذلك التخوف من ان تتأزم الأمور في لبنان لحد لا يمكن السيطرة عليها، ولإظهار حسن النية البريطانية تجاه لجنة التحرر الفرنسية تشير الخطة " اذا اعيد الوزراء اللبنانيون الى مناصبهم نظن انه يتحتم علينا عندئذ الضغط عليهم بكل حزم ليتفاوضوا معنا ومع الفرنسين للوصول الى تسويه مرضية للتعايش. (شعيب، ١٩٩٠، صفحة ٢٢٠)

فانقلب الشعب اللبناني كله الى شعب ثائر ضد الفرنسيين، مقاتل حملوا ما تيسر لهم من السلاح، وشيوخه رجعت اليهم شعلة الشباب، ليوقدوا نار الحملة في صدور الثوار، المرأة اللبنانية حملت في صدورها سلاح الايمان، ومشاركة في التظاهرات، في وجه الجنود المجتمعة، لقمع الحركة الوطنية ، وأطفال لبنان يركضون في الشوارع يغلقون المتاجر، وينادون بحياة المخلصين، وسقوط الخائنين، وبجلاء المستعمرين، سلاحهم حماسه وايمان، وحجارة يرشقون بها قوات الاحتلال، يتقبلون الرصاص ويستشهد منهم ويجرح الكثيرون منهم وهم ينشدون الأناشيد الوطنية، ويهزجون لاستقلال لبنان وكرامة لبنان. (جورج، ١٩٤٦، صفحة ٢١٠)

كانت في لبنان ردة فعل عنيفة على الصعيدين الرسمي والشعبي، فان وزيرين لم يلق القبض عليهما، هما " حبيب أبو شهلا ومجيد أرسلان "، شكلا حكومة مؤقته في بشامون، وأجتمع النواب وقرروا تأييد الحكومة الشرعية ورفعوا عرائض الاستنكار والاحتجاج، وطلبوا مساعدة الدول الصديقة، وجرى تحرك شعبي واسع، فسارت التظاهرات وأقفلت المحلات، ونشطت الأحزاب السياسية اللبنانية، والهيئات الطلابية والنسائية والجمعيات، وأيدت الدول العربية والدول الكبرى الحكومة اللبنانية، وطالبت بالأفراج عن المعتقلين، وقد لعب الجنرال سبيرس دوراً بارزاً في هذه الاحداث ضد الفرنسيين، أرسل الجنرال ديغول الى لبنان مساعده الجنرال كاترو فقابل أعضاء الحكومة المعتقلين، ورجال الدين والسياسة، وألغى تدابير جان هللو، فاطلق سراح المعتقلين في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣، وأصبح هذا اليوم عيد الاستقلال الوطني اللبناني. (وهيب، ٢٠٠٤، صفحة ٢٩٤)

المبحث الثالث: الحالة السياسية وجلاء القوات الاجنبية من لبنان:

مع اعلان استقلال لبنان رسميا دولة مستقلة ذات سيادة، بدأت رحلته الطويلة نحو تثبيت هذا الاستقلال، باستلام المؤسسات العامة التي كانت خاضعة للنفوذ الفرنسي، فبادر الى عقد اتفاق مع فرنسا الدولة المنتدبة، لوضع الأسس لاستمرار المصالح المشتركة بين البلدين لمدة غير محددة. (ميشال، د . ت، صفحة ١)

وقد تسلمت الدولة اللبنانية المصالح المشتركة، معتبرة أنها باستلامها لهذه المصالح بطريقة مباشرة، تكون قد قامت بأول عمل صحيح على طريق تأكيد استقلالها. (الخوري، ١٩٦١، صفحة ٧٠)

حوادث ٢٧ نيسان ١٩٤٤، ما كان يوسف كرم ينتخب نائباً عن الشمال، بادر وشكر الحكومة على حيادها، فقرر المجيء من زغرتا الى بيروت، المعارضون للحكومة طلبوا من يوسف كرم تأخير موعد مجيئه الى بيروت ليهيئوا تظاهرة كبيرة وقد رفض يوسف كرم هذا الطلب، لكنهم لم يبالوا برفضه بل قرروا متابعة خطتهم واستقباله بتظاهرات صاخبة، الغرض من التظاهرة ليس ابتهاج بنجاح يوسف كرم بل استغلال تلك المناسبة لخلق الشغب، ولما وصل يوسف كرم ترجل من سيارته ورجاهم ان يكفوا عن اطلاق النار وان يرفعوا العلم اللبناني بدلا من العلم الأجنبي، وكان موظفوا الامن العام الفرنسي يحرسون تلك التظاهرة ويطلقون الرصاص من مسدساتهم الاميرية. (منير، ١٩٥٦، الصفحات ٥٨-٥٩)

واقتحمت تلك الجموع الهائجة باب مجلس النواب اللبناني تريد الدخول، ووقف احد الجنود المتطوعين في الجيش (سعد الله بطرس) وبيده علم فرنسي حاول رفعة فوق مبنى البرلمان، وتبادل اطلاق النار بين الشرطة والدرك والمتظاهرين فقتل خمسة اشخاص منهم دركي وجرح واحد وعشرون بينهم عدد كبير من الشرطة، وسط هذه المعركة الطاحنة معركة الكرامة ضد الخيانة، أندفع من بين الجماهير شابان هما (زهير عسيران و نعيم مغبغب)، وبيد الأخير قنبلة يهدد بها من حاول ان يثلم شرف البلاد ثم اطلق من مسدسة رصاصة صرعت الجندي الذي أراد تشويه منظر البرلمان اللبناني بالعلم الأجنبي البغيض. (منير، ١٩٥٦، صفحة ٦٠)

ولم تستقر الأمور نهائياً لصالح حكومة الاستقلال، فقد تحركت الايادي العابثة، بإيعاز من الخارج لزعزعة الاستقرار، فقامت عناصر معارضة للاستقلال بأطلاق الرصاص على جموع الناس أمام مجلس النواب اللبناني لضرب روح التضامن بين اللبنانيين، أثناء نيل الحكومة الجديدة الثقة، فتداركت الدولة الغاية من هذه الاحداث، واتخذت تدابير أمنية سريعة لسد الطريق على العابثين، ونالت الحكومة ثقة المجلس النيابي. (صحيفة النهار، ١٩٤٤) .

وكان امام الحكومة الجديدة، الحائزة على ثقة المجلس النيابي، تنظيم الجيش بعد وضع قسم منه بتصرفها استعداداً لتسلمه كاملاً، وتعيين مندوبين وسفراء لها في الدول الصديقة والحليفة، الى جانب خطة للاصلاح على جميع الأصعدة، وقد بادرت الدول الكبرى الى تعيين سفراء لها في لبنان، فعينت فرنسا الجنرال" بينيه" مندوبا عاما لها في لبنان، وأبقت بريطانيا على الجنرال "سبيرز" مفوضا ومندوباً فوق العادة، وكان قد عين مع دخول الحلفاء للبنان في شباط ١٩٤٢. (الخوري، ١٩٦١، الصفحات ١٠٠-١٠١)

منحت الولايات المتحدة الامريكية قنصلها في بيروت" ودسورث" ترقية الى رتبة وزير مفوض، وأعتمد الاتحاد السوفيتي "سولود" سفيراً له فوق العادة، وابقت بلجيكا على قنصلها العام "دلكوين". (صحيفة العمل، ١٩٤٤)

أما عربياً فقد تطورت العلاقة بين لبنان والعالم العربي ايجابياً ضمن السياسة التي وضعها كل من بشارة الخوري ورياض الصلح، والتي برزت نتائجها الأولية في الموقف العربي الداعم لاستقلال لبنان، أبان اعتقال الحكومة فأسرعت الدول العربية الى الاعتراف باستقلال لبنان، بحدوده الدولية وهذا ما دفع لبنان فيما بعد الى التوقيع على أتفاق أذار ١٩٤٥، والذي أعلن فيه قيام جامعة الدول العربية. (يوسف، ١٩٧٨، صفحة ١٩٧)

بادرت الحكومة اللبنانية برفع مذكرة الى الدول الفاعلة (بريطانيا، الولايات المتحدة، روسيا، الصين) في مؤتمر سان فرنسيسكو، مؤكدة جهوزيتها للمشاركة في المؤتمر، كما تقدمت عبر جامعة الدول العربية بمذكرة الى مؤتمر " يالطا "، احتجاجاً على اغفال دعوة لبنان الى المؤتمر، وشملت المذكرة الدوافع الحقيقية والتاريخية التي تؤهل لبنان للحضور. (صحيفة النهار، ١٩٤٥)

كان اشتراك لبنان في محادثات الجامعة العربية ومن ثم أشراكه في توقيع ميثاقها، اول ممارسة دولية قام بها لبنان المستقل، وأول مشاركة رسمية أقدم عليها مع محيطه العربي، لذلك فان هذه الخطوة، خلافاً للخطوات الميثاقية الاستقلالية الأخرى، أثارت على الصعيدين الوطني والطائفي ضجة تستحق التوقف عندها، لأنها تكشف وتوضح معالم وحدود عروبة لبنان كما حددها اللذين وضعوا الميثاق، ذلك ان ولادة جامعة الدول العربية كانت مرتبطة ارتباطا وثيقاً بفكرة القومية العربية، أي موضوع أنقسم حوله اللبنانيين طيلة ثلاثين عاماً،

وجدت الحكومة اللبنانية نفسها أمام اول تطبيق عملي لهذه الصيغة المؤلفة بين الاستقلال والعروبة، المحادثات التي دعا اليها لبنان والعراق وسوريا واليمن وأمارة شرق الأردن والسعودية انتهت ببروتوكول، وقعته هذه الدول في ٧ تشرين الأول ١٩٤٤، في الإسكندرية، وعرف باسم بروتوكول الإسكندرية. (الجسر، ١٩٨١، الصفحات ١٦٦-١٦٧)

من بين أهم الخطوات الاستقلالية التي اتخذتها الحكومة من أجل اقامة دولة كاملة السيادة، هي تغيير ألوان العلم اللبناني، (العلم منقول عن العلم الفرنسي)، الخطوة الاستقلالية التالية توقيع اتفاق ثلاثي بين الحكومتين اللبنانية والسورية من جهة والحكومة الفرنسية من جهة ثانية، (أتفاق دمشق ٢٢ كانون الأول ١٩٤٣) سلمت فرنسا بموجبه للدولتين "المصالح المشتركة" التي كانت سلطات الانتداب تديرها منذ قيام الانتداب، وهذه المصالح تتناول (الجمارك، الملكية الصناعية والتجارية والأدبية، والاشغال العامة، البريد والبرق والتلفون، مصلحة الاثار، الدفاع المدني، الامن العام، مراقبة الشركات ذات الامتياز، ومن الخطوات الاستقلالية اشتراك لبنان في " سان فرانسيسكو"، وتوقيعه في ٢٢ حزيران ١٩٤٥، شرعت الأمم المتحدة، وبموجب هذه الخطوة اصبح استقلال لبنان، واقعاً مكرساً. (الجسر، ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان ؟ وهل سقط ؟، ١٩٧٨، الصفحات ١٦٣-١٦٤)

الدولة الاستقلالية الأولى واجهت العديد من المشاكل الاقتصادية والسياسية، فعمدت الى حلها بطرق مختلفة بما في ذلك أعادة تشكيل الحكومة، وهذا ما حدث سنة ١٩٤٥، مع الازمة الوزارية الأولى، حيث كلف رئيس الجمهورية " عبد الحميد كرامي" أعادة تشكيل الحكومة، وعلى رأس أولوياتها اصلاح النظام المالي ومعالجة الأزمات المعيشية. (صحيفة النهار، ١٩٤٥)

مسألة البحث عن جلاء القوات الأجنبية عن لبنان، باتت بحد ذاتها أداة للتنافس والمزايدات الدولية، فبعد ان ابدى الامريكيون استعدادهم لمساعدة اللبنانيين في مسعاهم، قدم الوزير المفوض السوفيتي مذكرة الى وزارة الخارجية اللبنانية، تضمنت إصرار الاتحاد السوفيتي على قراره وتعهده بسيادة لبنان، واعتبر الاتفاق البريطاني – الفرنسي غير متوازن بدون مشاركة الاتحاد السوفيتي، وأبدى السوفييت رغبتهم بمساعدة لبنان، اذ كانت قرارات الحكومة اللبنانية لمقاومة الاتفاق. (حسان، ١٩٨٨، صفحة ١٤٩)

أكد وزير الخارجية اللبناني حميد فرنجية في خطابه في هيئة الأمم المتحدة، على احترام استقلال لبنان وسيادته وشرعيته، مشدداً على جلاء القوات الاجنبة غير المشروط. (أنطوان، صفحة ٦٣)

في اتجاه استكمال الاستقلال، كانت معركة جلاء الجيوش الأجنبية عن الأراضي اللبنانية، نقول معركة لان الحكومة الفرنسية لم تكن بعد، قد أقلعت عن فكرة الاحتفاظ بمركز ممتاز في لبنان والظاهر ان فرنسا لم تكن راغبه في التخلي عن آخر ورقة في يدها وهي وجود قوات عسكرية لها على الأراضي اللبنانية، كانت فرنسا قد قبلت مبدئياً بتسليم " الفرق الخاصة" المؤلفة من ضباط وجنود لبنانيين، متطوعين في القوات الفرنسية الى الحكومة اللبنانية لتشكل نواة الجيش اللبناني، ولكن عملية التسليم هذه كانت تجري ببطيء، وكانت حجة فرنسا ان الحرب العالمية لم تنتهي بعد وان الاعتبارات الحربية تتقدم على كل شيء، حاولت فرنسا أقناع اللبنانيين بتوقيع معاهدة وفقاً لاتفاق " ديغول – ليتلون"، وهو اتفاق وقع في ٢٣ يوليو ١٩٤١، بين بريطانيا وفرنسا الحرة حول إدارة سوريا ولبنان، بعد هزيمة قوات فيشي، ولكن الحكومة اللبنانية رفضت على ذلك وأصرت على موقفها " لأبحث في معاهدة قبل انتهاء الحرب ولا اعتراف بمركز ممتاز لأي دولة أجنبية". (الجسر، ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان ؟ وهل سقط ؟، ١٩٧٨، صفحة ١٦٥)

واجه الفرنسيون موقف الحكومة اللبنانية المعادي لتواجدهم العسكري بأثارة مؤيديهم وعلى راسهم البطريرك الماروني "الياس عريضة"، لردع سياسة الحكومة باعتبار ان كل تقليص من نفوذ فرنسا في المشرق هو تهديد للامتيازات المسيحية التي حصلوا عليها ابان فترة الانتداب، وعندما طرحت مسألة انشاء جيش وطني لبناني على حساب جلاء الجيوش الأجنبية أعترض البطريرك ومما قاله" لا أرى فائدة بجيش خارج اعتبارات الامن الداخلي، لأنه يستحيل على جيشنا، وان كان كثير العدد، مواجهة بلد كبير سيوجهنا، أجد في المعاهدات الدولية أفضل وسيلة للمحافظة على استقلالنا، ان تصريح البطريرك يخدم المطالب الفرنسية التي رفعها الجنرال "بينيه" الى الحكومة اللبنانية، ومما يذكر من تصريحات البطريرك بعدما شرعت حكومة رياض الصلح، في تقوية العلاقات مع العالم العربي التي اعتبرتها تهديداً خطيراً للوجود المسيحي.(Courrier du Levant le, 1944)

ازداد التوتر بين لبنان وفرنسا أثر تصريح وزير خارجية فرنسا آنذاك،" جورج بيدو" بأن بلاده لم تلغ الانتداب الغاءً قانونياً، وهي ترغب قبل ذلك في تسوية مصالحها الاقتصادية والثقافية، فكان رد وزير الخارجية اللبنانية بأن الانتداب قد أنتهى عملياً وقانونياً سنة١٩٤١ ان المحافظة على الامن تعود الى السلطات اللبنانية، ولا مبرر لتدخل دولة أجنبية في شؤونه الداخلية بعد الاعتراف باستقلاله. (صحيفة النهار، ١٩٤٥)

في ١٧ أيار ١٩٤٥، أي بعد أسبوع من انتهاء الحرب في أوربا واسترجاع فرنسا سيادتها الكاملة، وصلت الى بيروت فرق من الجنود السنغاليين لدعم الجيش الفرنسي في لبنان وسوريا، فأثار وصول هذه الفرق ردة فعل عنيفة في البلدين، واضطرت بريطانيا الى التدخل مرة ثانية بصورة مفضوحة الى جانب السلطات اللبنانية والسورية، وكان من نية فرنسا ان تبقي المصالح والجيش بيدها لترغم السلطات الاستقلالية على عقد المعاهدة التي تمت فصولها في الثلاثينات ولم يكن في نيتها ان تتخلى الا بقرار من هيئة الأمم، وكان الصراع بين رياض الصلح وعبد الحميد كرامي، قد وصل الى الطريق المسدود، وتم تكليف سامي الصلح بتأليف الحكومة، ان السياسة الخارجية التي أتبعتها حكومة سامي الصلح دستور لكل حكومة، الاستقلال التام دون أي امتياز او مركز ممتاز لأي دولة كانت، التعاون مع سوريا وتأييد لمصالح البلدين ومع البلاد العربية، بمقتضى ميثاق الجامعة العربية، صداقة الأمم المتحدة ضمن نطاق ميثاق سان فرانسسكو، استرجاع المصالح والدوائر الباقية في يد الجانب الفرنسي، وجلاء الجيوش الأجنبية عن البلاد. (الصلح، ١٩٧٠، الصفحات ٧١-٧٢)

عقد مجلس النواب اللبناني الجلسة الثامنة، وضمن المواضيع المبحوثة فيها بيان رئيس الوزراء سامي الصلح عن قضية الجلاء في مجلس الامن الدولي، واتصلت الحكومة بممثلي بريطانيا وفرنسا في بيروت تبلغهما ان لبنان لن يعترف بأي اتفاق لم يشترك فيه، فضلا عن انه مخالف لأحكام السيادة الوطنية، وأعلن رئيس الوزراء ان الحكومة أعطت تعليماتها الى الوفد بأن يثير القضية امام مجلس الامن، وقدم الوزير اللبناني حميد فرنجية، والوزير السوري فارس الخوري، بالاتفاق مع الوفود العربية مذكرة الى مجلس الامن جاء فيها، " بالرغم من انتهاء الحرب منذ عدة اشهر وما تزال جيوش فرنسية وبريطانية تعسكر في لبنان

وسوريا، وان وجود هذه الجيوش الذي يشكل مساساً خطيراً بسيادة البلدين العضوين في منظمة الأمم المتحدة، قد يؤدي الى خلافات جدية"، ابلغنا في الثالث عشر من كانون الأول ١٩٤٥، اتفاقاً فرنسياً بريطانياً قد عقد، وردت فيه الفقرة الاتية: ان منهاج الجلاء سيتم بحيث تبقى عناصر في المشرق، كافية لتأمين الامن ريثما تقر منظمة الأمم المتحدة التدابير التي تراها ضرورية لذلك، والى ان يتم وضع هذه التدابير موضع التنفيذ تحتفظ الحكومة الفرنسية بعناصر محدودة من جنودها في لبنان، يتضح من هذا الاتفاق يعلق جلاء الجيوش الأجنبية بشروط لا تأتلف مع ميثاق منظمة الأمم مع روحه ونصه. (محضر مجلس النواب اللبناني، ١٩٤٦/٢/٥)

في ١١ أذار ١٩٤٦، استقبل الرئيس بشارة الخوري، الجنرال "بينه "مندوب فرنسا في بيروت وابلغه رغبات لبنان في جلاء القوات البريطانية والفرنسية، عن أراضيه في وقت واحد وفي أقرب وقت، فاذا لم يقتنع الجانب الفرنسي، فانه سيأمر الوفد ان يغادر باريس ويسافر الى نيويورك لعرض قضية لبنان مرة أخرى على مجلس الامن للأمم المتحدة الذي تقرر عقده يوم ٢١أذار١٩٤٦، ثم أبرقت الحكومة اللبنانية الى وفدها في باريس تقول أنه على اثر اجتماع رئيسي جمهوريتي سوريا ولبنان في شتورة شكري القوتلي (١٨٩١ – ١٩٦٧)، وبشاره الخوري(١٨٩٠ – ١٩٦٤) ،في العاشر من شهر أذار١٩٤٦، تقرر ان لا يقبل البلدان باقتراحات الفرنسيين والبريطانيين بشأن أطاله امد جلاء قوات فرنسا الى مدة سنه ، وبعد ان هدد الوفد اللبناني حكومة فرنسا بوشك مغادرتهم باريس، احتجاجاً منهم على المماطلة التي لمسوها في اثناء المفاوضات، قبلت الحكومة الفرنسية في ١٧ أذار دعوة الجانب اللبناني الى وزارة الخارجية، حيث جرت مباحثات جديدة بروح تفهم وتساهل لاحد لها. (منير، لبنان ... ماذا دهاك؟، ١٩٧٩، صفحة ٢٨٩)

وشرعت فرنسا بالاتفاق مع لبنان في جدولة انسحابها ضمن فترة تمتد من ١١ أذار ١٩٤٦، الى ٣٠ نيسان ١٩٤٧، وقد تبادل لبنان مع فرنسا رسائل تتعلق بأساليب الجلاء وترتيباته. (زاهية، ١٩٧٥، صفحة ٢١٧)

عللت فرنسا تأخر انسحابها بصعوبات تقنية، مؤكدة على نيتها في الجلاء عن لبنان مبررة استقدامها لسفينتها "ساجيتير"، بأنها تنقل الجنود المسرحين القاطنين في لبنان، وعلى

ضوء ذلك عجل لبنان الى عرض قضيته على اللجنة العربية العليا، كما اجتمع مجلس النواب اللبناني لبحث الموضوع ومضاعفاته، وأضربت المدن اللبنانية احتجاجاً، في حين برر الجنرال "بينيه"، تأخير الجلاء بأن ثمة خلافاً في وجهات النظر حول شؤون فنية. (الصليبي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٣٩)

اذا كان للحرب العالمية الثانية الأثر المباشر على استقلال لبنان سنة ١٩٤٣، فان معطيات خارجية ايضاً ساعدت في جلاء الجيوش الأجنبية عن ارضه، وأثار موضوع الجلاء جدلاً كبيراً بين اللبنانيين، الذي كانت قواسمه المشتركة بين جميع الطوائف الدفاع عن الاستقلال، وفي جلسة مجلس الامن الدولي المنعقدة في ١٧ كانون الأول ١٩٤٤، تمت الموافقة على الاقتراح الأمريكي بوجوب جلاء كافة الجيوش البريطانية والفرنسية عن سوريا ولبنان في أقرب وقت ممكن، على ان تجري بدون تأخير لهذه الغاية مفاوضات مستقلة، القى حميد فرنجية وزير خارجية، شرح فيه سياسة لبنان ولاقى التصفيق الحاد من جميع الوفود، مطالباً بضرورة احترام استقلال لبنان، وعلى الأثر عقد كميل شمعون، مؤتمرا صحفياً في لندن موضحاً فيه قضية سوريا ولبنان، كان يوسف سالم برفقة حميد فرنجية في الوفد الذي سافر الى باريس للمطالبة بجلاء الجيوش الفرنسية. (نعيم، ٢٠١٢، الصفحات ٣٢٣-٣٢٤)

تنفيذاً لما تضمنه اقتراح مندوب الولايات المتحدة الامريكية في مجلس الامن، كلفت الحكومة وفدها ان يشخص الى باريس للمفاوضة على تعيين خطة الجلاء ومراحلها واجالها، فذهب الوفد الى باريس في اول اذار ١٩٤٦،وقد ابلغ رئيس الحكومة النتائج الحاصلة على اثر المحادثات العسكرية البريطانية – الفرنسية، وهي تتلخص في ان جلاء القوات الفرنسية، سيمتد الى سنة كاملة، فكان على الحكومة ان تجابه هذه العقبة الأخيرة بالحزم، الذي واجهت به المراحل السابقة، فكان رئيس الوفد، متابعة المفاوضة لتقصير هذا الاجل الى اقصى حد ممكن، مبينه ان لبنان على استعداد لوضع كل ما في متناوله من الوسائل لتسهيل عمليات الجلاء. (الصلح، مذكرات سامي بك الصلح، ١٨٩٠ – ١٩٦٠، ١٩٦٠، الصفحات ١٥٠-١٥١)

ان قرار مجلس الامن الملزم لفرنسا بالجلاء والانسحاب اجبرها على بدء مفاوضات مع لبنان لدراسة المواضيع العالقة، واتخاذ الإجراءات اللازمة للتنفيذ مع تعميم للسلطات العسكرية بالمباشرة بسحب قواتها من لبنان، ولتأكيد النوايا الحسنه أقام السفير الفرنسي في لندن (ماسيغلي Massigli)، حفلة استقبال تكريماً للمندوب اللبناني في هيئة الأمم المتحدة، مبديا مرونة وتصميماً على الجلاء، مقابل اطمئنان فرنسا بأن لاتحل مكانها دولة أخرى، وهي إشارة غير مباشرة الى بريطانيا، وشرعت فرنسا بالاتفاق مع لبنان في جدولة انسحابها ضمن فترة تمتد من ١١أذار ١٩٤٦، الى ٣٠ نيسان ١٩٤٧. (زاهية، ١٩٧٥، صفحة ٣١٧) (صحيفة النهار، ١٩٤٦)

كان الاتفاق الذي وقعه "بيفن – ماسيغلي"، سفير فرنسا لدى بريطانيا، ممثلاً للحكومة الفرنسية في(وايتهول لندن)، يوضح ان البريطانيين لا يغادرون سوريا ولبنان، الا إذا غادرها الفرنسيون، وكان عدد الجيش البريطاني خمسة وثلاثون ألف مقابل سبعة الاف جندي فرنسي، ونص مشروع الاتفاق على ان يكون التجمع فوق الأراضي اللبنانية لمغادرتها في وقت واحد. (الصلح، احتكم الى التاريخ، ١٩٧٠، صفحة ٧٤)

بدء تجمع القوات الفرنسية في طرابلس حيث نقل اليها مركز قيادة القوات الفرنسية تمهيدا لجلائها النهائي، وتم في باريس توقيع اتفاق الجلاء بين لبنان وفرنسا، على ان تشرف عليه لجنة عسكرية من البلدين وقد عقب المفاوض أحمد الداعوق على هذا الاتفاق بقوله" ان عهداً جديداً من الصداقة ينفتح لفرنسا ولبنان. (صحيفة النهار، ١٩٤٦)

كان قد تقرر بين "جورج بيدو" وزير الشؤون الخارجية لفرنسا، وحميد فرنجية وزير الخارجية اللبنانية، بموجب رسالتين متبادلتين بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٤٦، ان تتم عمليات جلاء الجيوش الفرنسية عن الأراضي اللبنانية في اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول ١٩٤٦، ان القيادتين العسكريتين الفرنسية واللبنانية قامتا بالتعاون باتخاذ جميع التدابير التي آلت الى تنفيذ مواد هذا الاتفاق في المواعيد المحددة، أن آخر جندي فرنسي قد ترك بيروت ولم يبق أي عنصر من عناصر الجيوش المحتلة. (منير، لبنان ... ماذا دهاك؟، ١٩٧٩، صفحة ٢٩٥)

في الحادي والثلاثين من كانون الأول ١٩٤٦، أعلن رياض الصلح في المجلس النيابي اللبناني، ان الجلاء عن لبنان قد تم ولم يبق فيه جندي أجنبي. (صحيفة لسان الحال، ١٩٤٧)

في الأول من كانون الثاني ١٩٤٧، القى الرئيس اللبناني بشارة الخوري، خطاباً بهذه المناسبة وازاح الستار عن لوحة تذكارية على نهر الكلب التاريخي، كتب فيها عبارة " في الحادي والثلاثين من كانون الأول سنة ١٩٤٦، تم جلاء الجيوش الأجنبية عن لبنان. (الخوري، ١٩٦١، صفحة ٢٨٣)

الخاتمة:

تبين لنا ان فرنسا كانت مجبرة باستقلال لبنان ١٩٤٣، راحت تغتنم الفرصة لتفريغ هذا الاستقلال من مضمونه الحقيقي، وسعت على اعتراف شرعي في تواجدها العسكري في لبنان.

الدوافع التي ادت الى ضعف التيار اللبناني الموالي للانتداب الفرنسي نظراً لالتفاف الغالبية الساحقة من الاتجاهات السياسية في لبنان، حول شعار الاستقلال التام والسيادة الوطنية، وتقلص اثناء ذلك العامل الطائفي، والماروني خاصة بعد وقوف البطريرك وعدد كبير من رجال الدين المسيحيين الى جانب شعار الاستقلال، ورفضوا التعاون مع ادارة الانتداب الفرنسي، واسفر التقارب اللبناني – اللبناني عن ولادة ميثاق ١٩٤٣، المعروف باسم "الميثاق الوطني" والذي بقى ميثاقا غير مكتوب ومن ضمن المبادئ الاساسية له(لبنان بلد مستقل ذو وجه عربي).

اسهم التقارب اللبناني – السوري في معركتي الاستقلال والجلاء في إنقاذ لبنان وسوريا معاً من الانتداب الفرنسي، أتضحت قضية جلاء القوات الاجنبية من لبنان على النطاق الدولي، فبدأ مجلس الامن الدولي مناقشة حول قضية الجلاء، وكان أول المتكلمين حميد فرنجية وزير الخارجية ورئيس الوفد اللبناني، فبين وجه نظر حكومته حول جلاء القوات الفرنسية، تم تناول الكلمة لوزير الخارجية الفرنسية "جورج بيدو" وحاول ان يبرهن على ان بقاء القوات الفرنسية والبريطانية في لبنان، ليس نقصاً من سيادة هذا البلد وتحدث على صك الانتداب ومصالح فرنسا وامتيازاتها في تلك البلاد، ثم أدعى مندوب فرنسا بعد ان اضطر

الى قبول الجلاء، انه من المستحيل ان يتم فورا ودعا المجلس التحلي بالصبر، وختم جورج بيدو كلامه مطالباً المجلس بأن يثق بفرنسا وبريطانيا، وان يثق أيضاً بأن القضية سوف يوجد لها حل، كانت قضية لبنان واضحة وصريحة، دولة مستقلة ذات سيادة تطلب جلاء القوات الاجنبية التي تحتل ارضها ولم يبقى لوجودها اي مبرر، وقد استند لبنان في طلبنه هذا الى اسباب لا يمكن دحضها وهي سيادة لبنان واستقلاله المعترف بهما من قبل خمسين دولة وفقاً لميثاق الامم المتحدة، ثم انتهاء الحرب العالمية بنصر ساهم فيه لبنان، وزوال الضرورات العسكرية التي كانت تقتضيها الاعمال الحربية واستتباب الامن في ربوع الشرق.

وفي السابع عشر من آذار ١٩٤٦، وبعد ان هدد اعضاء الوفد اللبناني الحكومة الفرنسية، مغادرة باريس احتجاجاً منهم على المماطلة التي لمسوها في اثناء المفاوضات، قبلت الحكومة الفرنسية دعوة الجانب اللبناني الى وزارة الخارجية، حيث جرت مباحثات جديدة بروح تفهم وتساهل لا حد لها، واثناء الاجتماع صارح وزير خارجية لبنان الممثلين الفرنسيين بان لبنان لا يمكنه ان يسلم بمفاوضات الا إذا كانت غايتها اعلان الجلاء التام بأقصر وقت.

لقد ربح لبنان معركة الجلاء بعد موافقة جميع دول العالم على عدل قضيته، وفي الحادي والثلاثين من اذار ١٩٤٦، عاد الوفد اللبناني من باريس بعد ان نجح في المفاوضات التي قام بها مع الفرنسيين، فاستقبله المواطنون اللبنانيون بحماسة.

وهكذا في الحادي والثلاثين من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦، تحقق جلاء آخر جندي أجنبي عن لبنان تحت اصرار الحكومة وكل الوطنيين اللبنانيين على تمسكهم بالسيادة والاستقلال.

المصادر:

(٢٧ كانون الاول, ١٩٧٩). مجلة الحوادث.

Courrier du Levant le january, 1944). ١٣) Courrier du Levant le.

Document of British Document of British Foregr Policy 1919 – 1939, v. 41.

Foregr Policy 1919 – 1939.

أنطوان حكيم. (بلا تاريخ). لبنان خمسين سنه على الجلاء ١٩٤٦ – ١٩٩٦. انطلياس: ب. ط.

انطوان عريضة البطريرك. (١٩٨٧). لبنان وفرنسا وثائق تاريخية أساسية تبرز دور بكركي في مواجهة الانتداب الفرنسي والاحتكارات الفرنسية . بيروت: دار الفارابي.

انطوان عريضة البطريك. (١٩٨٧). لبنان وفرنسا وثائق تاريخية أساسية تبرز دور بكركي في مواجهة الانتداب الفرنسي والاحتكارات الفرنسية. بيروت: دار الفاربي.

باسم الجسر. (١٩٧٨). ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان ؟ وهل سقط ؟ بيروت: دار النهار للنشر.

باسم الجسر. (١٩٨١). الصراعات اللبنانية والوفاق (١٩٢٠ – ١٩٧٥). بيروت: دار النهار للنشر.

بشارة خليل الخوري. (١٩٦١). حقائق لبنانية ج٢. بيروت: منشورات أوراق لبنانية.

جورج حنا. (١٩٤٦). من الاحتلال الى الاستقلال. بيروت: المكتبة الاهلية.

حسان حلاق. (١٩٨٨). التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣–١٩٥٢. بيروت: الدار الجامعة.

حسن الامين. (١٩٩٨). سراب الاستقلال في بلاد الشام ١٩١٨ – ١٩٢٠. بيروت: شركة رياض الريس للنشر.

ديغول الجنرال. (١٩٦٧). مذكرات الحرب النفير، ١٩٤٠ – ١٩٤٢. (عبد اللطيف شرارة، المترجمون) بيروت: منشورات عويدات.

زاهية قدورة. (١٩٧٥). تاريخ العرب الحديث. بيروت: دار النهضة العربية.

زين نور الدين زين. (١٩٧٧). الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان . بيروت: دار النهار للنشر.

سامي الصلح. (١٩٦٠). مذكرات سامي بك الصلح، ١٨٩٠ – ١٩٦٠. بيروت: منشورات مكتبة الفكر العربي.

سامي الصلح. (١٩٧٠). احتكم الى التاريخ. بيروت: دار النهار للنشر.

صحيفة العمل. (٣ ايار (مايو), ١٩٤٤). صحيفة العمل(العدد ٢٨٩٤).

صحيفة النهار. (٢٩ نيسان (ابريل), ١٩٤٤). صحيفة النهار(العدد ٢٨٩٢).

صحيفة النهار. (٢١ اذار, ١٩٤٥). صحيفة النهار(العدد ٣٠٨٣).

صحيفة النهار. (٢٣ كانون الثاني, ١٩٤٥). صحيفة النهار(العدد ٣٠٤٢).

صحيفة النهار. (٢٥ أيار, ١٩٤٥). صحيفة النهار(العدد ٣١٢٦).
صحيفة النهار. (٥ أذار, ١٩٤٦). صحيفة النهار(العدد ٣٣١٥).
صحيفة النهار. (٢٤ آذار, ١٩٤٦). صحيفة النهار(العدد ٣٣٢٤).
صحيفة بيروت. (٥ ايلول سبتمبر, ١٩٣٩). صحيفة بيروت.
صحيفة لسان الحال. (١ كانون الثاني, ١٩٤٧). صحيفة لسان الحال(العدد (١٥٩١١)).
علي عبد المنعم شعيب. (١٩٩٠). تاريخ لبنان من الاحتلال الى الجلاء. بيروت: دار الفاربي للنشر.
علي عبد فتوني. (٢٠١٣). تاريخ لبنان الطائفي. بيروت: دار الفارابي للنشر.
كمال الصليبي. (٢٠٠٥). تاريخ لبنان الحديث، (المجلد ط٩). بيروت: دار النهار للنشر.
لينين. (١٩٧٠). تقرير في المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق. موسكو: دار التقدم.
محضر مجلس النواب اللبناني. (١٩٤٦/٢/٥).، (صفحة الجلسة الثامنة).
محضر مجلس النواب اللبناني. (١٩٤٣/١١/٧). الدور التشريعي الخامس.، (صفحة الجلسة الثانية).
محضر مجلس النواب اللبناني. (١٩٤٣/١١/٨). الدور التشريعي الخامس.، (صفحة الجلسة الثالثة).
محمد رجائي ريان. (١٩٨٩). الازمة السياسية اللبنانية ١٩٤٣ في ضوء الوثائق البريطانية. مجلة المؤرخ العربي.
مسعود ظاهر. (١٩٨٤). لبنان، الاستقلال، الصيغة، بيروت (المجلد ط٢). بيروت: دار المطبوعات الشرقية.
مفيد الزيدي. (٢٠١١). التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة. بيروت: دار أسامة للنشر.
منير تقي الدين. (١٩٥٦). الجلاء وثائق خطيرة تنشر لاول مرة . بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
منير تقي الدين. (١٩٧٩). لبنان ... ماذا دهاك؟ بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
ميشال سلامة.(د.ت).تطور العلاقات الاقتصادية بين لبنان وسوريا ١٩٤٣–١٩٦٧.بيروت: الجمهورية اللبنانية،وزارة الخارجية والمغتربين.
نعيم مغبغب. (٢٠١٢). نعيم مغبغب رافع علم الاستقلال الاحداث السياسية من ١٩٢٠ – ١٩٦٠. بيروت: ب.ط.
هيلينا كوبان. (١٩٨٥). لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية. (سمير عطا الله، المترجمون) لندن: منشورات هاي لأي.
وهيب ابي فاضل. (٢٠٠٤). لبنان في مراحل تاريخه الموجزة (المجلد ٢). بيروت: مكتبة انطوان.
يوسف سالم. (١٩٧٨). ٥٠ سنة مع الناس. بيروت: دار النهار للنشر.

مفهوم الوحي في علم الكلام الجديد دراسة مقارنة بين أراء (عبد الجبار الرفاعي- عبد الكريم سروش)

م.د حنان شهاب احمد

الجامعة المستنصرية- كلية التربية الاساسية

hanan.sh.a@uomustansiriyah.edu.iq

مفهوم الوحي في علم الكلام الجديد دراسة مقارنة بين أراء (عبد الجبار الرفاعي- عبد الكريم سروش)

م.د حنان شهاب احمد

الملخص:

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة زيادة وتيرة الدعوة إلى تجديدٍ شامل في علم الكلام الإسلامي ، تجديداً لا يقتصر على إضافة موضوعاتٍ معاصرة، انما يمتدُّ إلى نقد أُسس ومناهج العلم القديم ، كخطوة أولى لتأسيس علم جديد للإلهيات الإسلامية، بالاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ؛ ومعالجة قضايا جديدة باتت تهمُّ الإنسان في الوقت الحاضر، ولم تحل سابقا مثل: المجتمع، والإنسان، الفرد، والحرية والأخلاق، وحقوق الإنسان، والتجربة الدينية للإنسان.

وفي هذا الإطار جاءت المقارنة بين آراء عبد الجبار الرفاعي وعبد الكريم سروش حول مفهوم الوحي وهو المحور الأساس في علم الكلام الجديد، لما يحمله من دلالة على طبيعة هذا الوحي وحقيقته، ولِما يثيره من إشكالات تتعلق بإمكانية تواصل الله مع الإنسان عبر اللغة البشرية ، وهو علم جديد لا يكرر أو يستنسخ مناهج الكلام القديم؛ ويخلو من كثير من إشكالياته ويتسع لمسائل جديدة تتصل بأسئلة ميتافيزيقية طرأت في ذهن الأنسان المعاصر، لاسيما الأسئلة المتصلة بمعنى وجود الإنسان وحياته ومصيره.

الكلمات المفتاحية: الوحي ، النبوة، الرفاعي، سروش، علم الكلام

Revelation in Contemporary Islamic Theology A Comparative Analysis of Abdul Jabbar Al-Rifai and Abdul Karim Soroush

Abstract

Over the past three decades, calls have increasingly been made for a comprehensive renewal of Islamic kalam (theology)—whether classical or traditional. This renewal is not limited to adding modern topics, but rather extends to critiquing the foundations and methodologies of the old science as a first step toward establishing a

new discipline of Islamic theology. This new approach draws on contemporary methods in the social sciences and addresses issues that are now of great concern to human beings, issues that were not previously explored, such as society, the individual, freedom, ethics, human rights, and the human religious experience.

Revelation has emerged as the central theme in this new kalam, particularly in explaining the nature of revelation and the possibility of God communicating with human beings in human language. It is considered a new discipline in that it does not replicate the methodologies of classical theology, but rather liberates itself from many of its repeated debates and problems. At the same time, it expands to encompass new questions linked to metaphysical concerns that have arisen in the minds of contemporary humanity but were unfamiliar to earlier generations—especially questions related to the meaning of human existence, life, and destiny.

Keywords: Revelation, Prophecy, Rifa'i, Soroush, Islamic Theology

المقدمة

شهدت السنوات الأخيرة ازدياد وتيرة البحث حول تجديدٍ شامل في علم الكلام الإسلامي تجديداً لا يقتصر على موضوعاتٍ معاصرة، انما يمتدُّ إلى نقد أُسس ومناهج العلم القديم ، كخطوة أولى لتأسيس علم جديد للإلهيات الإسلامية بالاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ، يشكل الوحي المحور الاساس في علم الكلام الجديد اذ يبين حقيقة وإمكانية تواصل الله مع الإنسان من خلال اللغة البشرية، وهو علم جديد لا يكرر أو يستنسخ مناهج الكلام القديم؛ ويخلو من كثير من إشكالياته ويتسع لمسائل جديدة تتصل بأسئلة ميتافيزيقية طرأت في ذهن الأنسان المعاصر، لاسيما الأسئلة المتصلة بمعنى وجود الإنسان وحياته ومصيره.

من هنا جاء اختيار إجراء دراسةٍ مقارنة بين شخصيتين معاصرتين هما عبد الجبار الرفاعي- عبد الكريم سروش لكل منهما رأيه الخاص في الموضوع ونظرته التحليلية ، وهي اراء قد تتفق مع مباحث علم الكلام القديم او الجديد أو تختلف معها، الأمر الذي يفتح مجالاً أوسع لفهم طبيعة الإشكالات المطروحة ومقارنتها في ضوء الرؤى الحديثة.

اولاً: الوحي لغة واصطلاحاً

الوحي في اللغةً اسم مشتق من أوحى التي مصدرها إيحاء ؛ ووحي اسم مصدر عرفه إبن منظور قائلاً[١] : ((الوحي إعلام في خفاء ، صار الإلهام يسمى وحياً والإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه .... يقال : وحيت الكلام وأوحيته ، ووحى وحياً وأوحى أيضاً كَتَب ، والوحي المكتوب والكاتب)).

والوحي الإشارة السريعة ، ولضمان السرعة قيل : أمد وحي كان ذلك يتم بالكلام على شكل الرموز والتعريض ،أو بصوت مجرد عن التركيب ، اما بالنسبة الى بعض الجوارح والكتابة فيقال ان كلام الله المنزل على انبياءه(عليهم السلام) وحياً[٢].

ويعرفهُ محمد رشيد[٣] قائلاً:((الوحي اللغوي هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه ويخفى على غيره ، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل والإلهام بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم ؛ والفطرة كالوحي إلى أم موسى ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان، ووحى الله إلى أنبيائه قد روي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما الخفاء والسرعة)).

وفي السياق الاصطلاحي وردت عدة تعريفات منها انه كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه نعرفه وفق شريعتنا بأنه عرفان شخصي يجده المرء مع اليقين بأنه من الله سواء عن طريق وسيط أو بغيرها ، يعبر عن الأول بصوت مسموع أو بغير صوت ، ويفرق عن الالهام والوجدان اللذين تتلقاهما الروح وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها او من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور[٤] .

وقيلً ايضاً : أنهُ إعلام الله رسولاً أو نبياً ما يشاء من كلام أو معنى يفيد النبي أو الرسول بالعلم اليقيني القاطع بما اعلمه الله به[٥]

وعلى الرغم من اختلاف العبارات الواردة في التعريفات، فإنها تكاد تتفق جميعها في مضمونها، إذ يشير الوحي إلى أن الله سبحانه وتعالى يختص من يشاء

من عباده المرسلين بإعلامهم ما أراد اطلاعهم عليه من الهداية والمعرفة، بوسيلة خفية وسريعة غير مألوفة للبشر.

فالوحي إذن هوما أنزله الله تعالى على أنبيائه(عليهم السلام) من أخبار الغيب والشرائع والأحكام فمنهم من أوحى إليه بكتاب مكتوب فيه التشريع، ومنهم من لم يعط كتابًا، وهو في جوهره إلقاء إلهي للمعنى أو الكلام في نفس النبي(عليه السلام) بخفاء وسرعة، اذ يكون الله تعالى هو الموحِي، والأنبياء والرسل(عليهم السلام) هم الموحى إليهم.

ثانيا:<u>الوحي في القران الكريم</u>

الوحي في القرآن إدراك يلازمه شعور بأن مصدره قوة عليا متجاوزة للذات الإنسانية، مقرون بالوعي بطريقة الإلقاء، وقد وردت ألفاظ الوحي واشتقاقاته في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، منها: الإشارة، الإلهام، الإعلام، والتكليف الإلهي بتبليغ أوامر الله ابتدأ الوحي الإلهي مع النبي آدم (عليه السلام)، فكلمه الله مباشرة، وعلّمه الأسماء كلها، وأمره ونهاه وحلّل له وحرّم عليه من غير واسطة رسول، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[٦]، ثم تتابع الوحي إلى الأنبياء والمرسلين(عليهم السلام)، ومن ذلك: وحي الله إلى النبي نوح (عليه السلام) باختياره رسولاً لقومه:

قوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾[٧].

أمره ببناء السفينة: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾[٨].

كما تجلى الوحي في رؤيا النبي إبراهيم (عليه السلام) التي رآها في المنام، إذ أمره الله بذبح ولده إسماعيل، ورؤى الأنبياء وحيٌ وحق، قال تعالى:

﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾[٩].

وهكذا يظهر أن القرآن الكريم قد عرض صوراً متعددة للوحي، تؤكد أنه وسيلة ربانية لإيصال أوامر الله وتعاليمه لأنبيائه ورسله.

ثالثا:الوحي في السنة النبوية

ابتدأ النبي محمد(ﷺ) بما ابتدأ به الأنبياء السابقون من مقدمات النبوة التي أهلته لتلقي الوحي، وهيأته لتحمل أعباء الرسالة، حتى لا يفاجئه الملك بالوحي فجأة فيعجز عن احتماله بطبيعته البشرية، وقد ورد أن أول ما يُؤتى به الأنبياء هو الرؤيا الصادقة في المنام، ليطمئن قلبهم وتتهيأ نفوسهم، ثم يأتيهم الوحي يقظةً فكانت بدايات النبوة عند الرسول (ﷺ) تتجلى في صدق الرؤيا، وسماع الأصوات، وسلام الحجر والشجر عليه، ورؤية النور، وغيرها من العلامات التي شكلت مرحلة إعداد وتهيئة للنبوة قبل نزول الوحي صراحة بواسطة جبريل (عليه السلام). [١٠] .

١-سماع الصوت

أول ما سمعه النبي(ﷺ) من نداء أثناء مشاركته أعمامه في بناء الكعبة، إذ كان ينقل الحجارة من الوادي، كما رواه عن جابر ، قال : ((لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ، ذَهَبَ النبيّ وعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ عباس للنبي اجعَل إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيك مِنَ الحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عليه إزاره فما رئي بعد ذلك عريانا)). [١١]

٢- تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له ، ورؤية الضوء :

عن جابر بن سمرة أن النبي (ﷺ) قال: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم علي قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن) كما روى ابن عباس أن النبي ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة، سبعاً منها يسمع الصوت ويرى الضوء دون أن ينزل عليه الوحي، وثماني سنوات بعدها يوحى إليه)[١٢]. وقد عُدت هذه الظواهر بشائر للنبوة وكرامة إلهية له.

٣- حب الخلوة

فطر الله تعالى نبيه محمد (ﷺ) على التوحيد، وكره إليه عبادة الأصنام، فكان من إعداد الله له أن حبّب إليه العزلة والتأمل بعيداً عن الناس ، كما جاء في حديث السيدة عائشة(رضي

الله عنها) قالت: ((حُبِب إِلَيْهِ الخَلاءُ ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حراء فَيَتَحَنَّثُ فيه وهو إلى أَهْلِهِ ويَتَزَوَّدُ لذلك .... التَّعَبُدُ اللَّيَالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْل أَنْ يَنْزِعَ إلى ذلك))[١٣] أن تحبب الخلوة له إلهام من الله تعالى لما أراد الله به من خلوة بنفسه، وتفرغه للقاء رسل ربه وسماع وحيه، لما في الخلوة من صفاء النفس وهدوء البال، وفراغ القلب وسكونه، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مخالطة الناس فينسى المألوف من عاداته، ويخشع قلبه، فيبدو الوحي هدفا سهل المراد [١٤].

٤- الرؤيا الصادقة

تُعد الرؤيا الصادقة من دلائل النبوة، فقد كان ما يراه النبي (ﷺ) في منامه يقع كما رآه وقد ذهب العلماء إلى أن الله تعالى يخلق في قلب النائم أو في حواسه ما يشاء كما يخلقه في حال اليقظة، فيكون المنام أحياناً بشارة لما سيقع أو دلالة على أمر أراد الله تحقيقه لاحقاً، ولعل ما رآه يكون علما او امارة على أمور أخرى يقدر الله حدوثها بعد حين او قد تكون حدثت بالفعل ، فتقع كما جعل الله الغيم دلالةً للمطر [١٥].

رابعا:أنواع الوحي

جمعت أنواع الوحي في قوله تعالى:((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ))[١٦]، تفيد الآية الكريمة أنه: ما لا يمكن لأحد من الناس أن يكلمه الله تعالى كلاما مباشراً إلا على ثلاثة أوجه:-

١. الوحي: وهو الإلهام بمعان تلقى في القلب يقظة في الغالب، أو في المنام، كرؤيا إبراهيم الخليل (عليه السّلام) ذبح ولده، وقد يطلق الوحي على الإلهام المجرد، كما أوحى إلى أم موسى(عليه السّلام).
٢. من وراء حجاب متمثلا بالخطاب الالهي الذي يسمعه النبي دون مشاهدة مصدره، متيقناً أنه كلام الله، وهذا النوع خُصّ الله به موسى (عليه السلام) وسماه الله وحيا بقوله: (فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى)[١٧]، وكان موسى(عليه السلام) قد سأل الرؤية بعد التكليم، فحجب عنها.

٣. أن يرسل رسولاً: ويتمثل في أن يبعث الله رسولاً من ملائكته كجبريل يبلغ النبي ما يشاء الله تبليغه وهي الطريقة التي بلغ بها الوحي إلى أكثر الأنبياء (عليهم السلام) [١٨].

إن الله علـيّ عـن صـفات المخلـوقين وصـفات الـنّقص، يفعـل مـا تقتضـيه حكمته حكيم في كل أحكامه، فيجعل الوحي معتمدا على وسيط، أو بغير وسيط.

وهذه الأنواع الثلاثة يتيقن النّبي في كلّ منها أن الله تبارك وتعالى هو مصدر الوحي، دون أي شكّ، كما جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ((إن روح القدس نفث في روعي، وأن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتّقوا الله، وأجملوا في الطلب))[١٩].

خامساً: موقف المستشرقين من الوحي

إختلف المستشرقين في تعليل مصدر الوحي، فمنهم من رده إلى اليهودية والنصرانية، ومنهم من زعم أن النبي (ﷺ) تعلّم من معلمين ، ومنهم من اعتبره نتاجاً نفسياً أو حنيفياً أو شيطانياً أو مرضياً، لكن جميع هذه المزاعم تصطدم بالحقائق التاريخية والنصوص القرآنية التي تؤكد أن الوحي تنزيل من الله تعالى ذهب قسم منهم كالمستشرق ماكدونالد[٢٠] وويلز ولوبون[٢١] إلى أنّ النبي (ﷺ) استقى مادّة القرآن من اليهود والنصارى الذين كانوا موجودين في الجزيرة العربية وأن القرآن ليس وحياً إلهياً وإنما هو من صنع محمد (ﷺ) بينما يذكر بروكلمان[٢٢] ونولدكه[٢٣] أن قصص الأنبياء والأحكام في القرآن ذات أصل يهودي أو مسيحي، بل ذهب نولدكه إلى القول بأن الشهادة الإسلامية "لا إله إلا الله" مأخوذة من نصوص يهودية، وأن كلمة فرقان ذات أصل آرامي مسيحي، غير أن هذا الادعاء مردود، لأن القرآن نفسه يقرر موقف اليهود والنصارى من الإسلام[٢٤].

بينما يركز المستشرق أليكس الروسي[٢٥] أن النبي(ﷺ) كان تلميذاً لبحيرا الراهب[٢٦] وتلقى منه أساسيات التوراة والإنجيل لكن التاريخ لم يثبت سوى رحلتين قصيرتين إلى الشام لم يتجاوز فيهما النبي (ﷺ) سوق بصرى، ولم يعرف أن بحيرا كان له أي أثر بعد ذلك .

ذهب مونتجمري وات [٢٧]أن ورقة بن نوفل[٢٨] كان له أثر مباشر على النبي (ﷺ) ، وأن محمداً أخذ منه بعض الأفكار النصرانية واستشهد بعض النصارى بأن ورقة كان يترجم

الإنجيل إلى العربية لكن الواقع أن ورقة توفي في بداية الدعوة، ولم يشهد نزول الوحي، ولو كان له هذا الأثر لكان أولى بالنبوة من النبي محمد (ﷺ) [٢٩].

اعتمد بعض المستشرقين امثال بروكلمان على ما يسمى نظرية الوحي النفسي، أي أن الوحي مجرد فيض وجداني ناتج عن تأملات النبي (ﷺ) ورغبته في إصلاح قومه، لكن هذه الفرضية تناقض طبيعة القرآن المنزل تدريجياً وفق الحوادث، وقد ردّ على ذلك المستشرق فرتجوف[٣٠] قائلاً: لو كان النبي(ﷺ) كاذباً لذكره المسيح بين الأنبياء الكذبة، أما وقد استمرت رسالته وأثمرت حضارة روحية عظيمة، فهذا دليل على صدقه[٣١].

ذهب المستشرق المجري جولد تسيهر[٣٢] والفرنسي درمنغم[٣٣] إلى أن النبي (ﷺ) كان يعاني من مرض نفسي أو صرع، وأن الوحي ما هو إلا نتيجة لهذه الحالة المرضية، وقد وصف نولدكه بعض الأعراض مثل الزبد على فمه[٣٤].

لكن هذا الادعاء يناقض تاريخ النبي (ﷺ) المعروف برجاحة العقل، كما يناقض طبيعة القرآن المعجزة في نظمه وتشريعاته ولو كان مرضاً نفسياً لما أسس حضارة قائمة على الوحي.

سادسا:علم الكلام بين القديم والجديد: دراسة موجزة

يعد علم الكلام من أبرز العلوم الإسلامية التي نشأت للدفاع عن العقيدة الإسلامية وتوضيح مبادئها في مواجهة الخصوم الداخليين والخارجيين، فقد مثّل في مراحله الأولى استجابة طبيعية للتحديات الفكرية والسياسية والدينية التي واجهها المسلمون، اذ جمع بين العقل والنقل في صياغة حجج وبرهانات لإثبات العقيدة، ومع تطور الحياة الفكرية والاجتماعية، ومع بروز الحداثة وما رافقها من أسئلة جديدة في ميدان الفلسفة والعلم والدين، ظهر ما يُعرف بـ (علم الكلام الجديد) الذي حاول تجاوز الطابع الجدلي التقليدي إلى بناء فلسفة للدين أكثر شمولاً وانفتاحاً تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ملامح الكلام القديم والجديد، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

أولاً: علم الكلام القديم

ورد علم الكلام القديم بتعريفات متعددة، اجتمعت على أنه علم يُعنى ببحث العقائد الإسلامية وإثباتها بالأدلة العقلية والنقلية[٣٥]، ودفع الشبهات عنها وقد سُمّي علم الكلام لكثرة اعتماده على الجدل والنقاش، كما عُرف بأسماء أخرى مثل علم التوحيد و الفقه الأكبر[٣٦].

وقد أسهمت عوامل عدة في نشأته منها العوامل الخارجية التي تلخصت في أنفتاح المسلمين على الفلسفات والديانات المختلفة بعد الفتوحات الاسلامية، وظهور سجالات مع النصارى والمجوس وغيرهم، مما استلزم بناء خطاب عقلاني يواجه هذه الطروحات[٣٧].

اما العوامل الداخلية تمثلت بالخلافات السياسية والفكرية التي أعقبت وفاة الرسول (ﷺ)، خاصةً مسألة الخلافة والإمامة، وما نتج عنها من ظهور فرق كالخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة وقد افرزت هذه الصراعات أسئلة عقائدية كبرى تتعلق بالعدل والجبر والاختيار وحقيقة الإيمان[٣٨].

مدارسه واتجاهاته تتمثل فرقة المعتزلة: ركزوا على العقل وجعلوه حكماً في العقائد، وأكدوا على حرية الإنسان وعدل الله[٣٩].

بينما ركز الأشاعرة الذين كانت افكارهم تجمع بين العقل والنقل التوفيق بين النصوص والبرهان العقلي والحنابلةعارضوا علم الكلام وعدّوه بدعة، مفضلين الاقتصار على ظاهر النصوص[٤٠].

وقد ركز علم الكلام القديم على موضوعات الرئيسة تتلخص:-

١. الأمور العامة ومسائل الوجود والماهية والإمكان والوجوب[٤١].

٢. الطبيعيات الجسم، الحركة، العلة والمعلول[٤٢].

٣. الإلهيات: التوحيد والصفات، النبوة والمعجزات، العدل الإلهي، والإمامة[٤٣].

لذا يمكن القول بأن علم الكلام القديم في جوهره كان علماً دفاعياً، ركز على حماية العقيدة الإسلامية من الاعتراضات الداخلية والخارجية.

ثانياً: علم الكلام الجديد

نشأ علم الكلام الجديد مع دخول العالم الإسلامي في مواجهة الحداثة الغربية وتطور العلوم الإنسانية والطبيعية، برزت قضايا جديدة لم يعالجها علم الكلام التقليدي، من هنا ظهر مصطلح علم الكلام الجديد لأول مرة في القرن التاسع عشر على يد المفكر الهندي سيد أحمد خان(٤٤)، وتوسع لاحقاً عند شبلي النعماني(٤٥) وغيرهما، وصولاً إلى عدد من المفكرين المعاصرين(٤٦).

عرف علم الكلام الجديد انه امتداد للقديم في الغاية، لكنه يختلف في المنهج والموضوعات فهو يستفيد من مناهج العلوم الحديثة، ويركز على التحليل والتفسير بدلاً من المناظرة(٤٧). كما يتجاوز الدفاع الجدلي إلى بناء فلسفة للدين والتي تعالج قضايا الإنسان المعاصر.

ومن أبرز النظريات حول علاقته بالكلام القديم:-

١. النسخ: يعتبره بديلاً يلغي الكلام القديم(٤٨).

٢. التكامل: يراه استمراراً يطور موضوعات القديم(٤٩).

٣. النظرية المختارة: تعدّه تطويراً وإعادة صياغة للقديم دون إلغائه(٥٠).

وقد ركز في مواضيعه على:-

١-أدخل الكلام الجديد مسائل حديثة منها(٥١):

٢- فلسفة الدين ومعنى الحاجة إليه.

٣- العلاقة بين الدين والعلم الحديث.

٤- التعددية الدينية وإمكان الاعتراف بغير المسلمين.

٥- فلسفة الأخلاق والاجتماع والاقتصاد الإسلامي(٥٢).

٦- قضايا المرأة والحرية والفن والعدالة.

٧- نقد آفات التدين مثل التطرف والتعصب.

من خلال المقارنة بين الكلام القديم والجديد يتضح أنّ الأول كان ثمرةً لبيئة الصراعات السياسية والفكرية في صدر الإسلام، فركز على قضايا التوحيد والصفات والعدل والإمامة،

واتخذ طابعاً جدلياً دفاعياً. أما الكلام الجديد فقد وُلد استجابةً لمقتضيات الحداثة وتحدياتها، فجعل محور اهتمامه فلسفة الدين، والعلاقة بين العلم والإيمان، والتعددية الدينية، والقضايا الاجتماعية والفكرية المعاصرة. وبذلك يمكن القول إن علم الكلام الجديد ليس بديلاً عن الكلام القديم، انما هو تطوير لوظيفته الأصلية بما ينسجم مع حاجات الإنسان المسلم في العصر الحديث.

سابعا: مفهوم الوحي عند عبد الجبار الرفاعي

يعد عبد الجبار الرفاعي[٥٣] احد اهم الباحثين في العصر الحديث الذي اولى اهتماماً بالغاً بتأسيس علم الكلام الجديد، وألّف فيه كتباً عدة مهمة تعد مرجعاً للباحثين فيه، وقد خلص الرفاعي من خلال نتاجه البحثي المتعدد أن أغلب المؤلفات والأبحاث العربية التي تناولت علم الكلام الجديد ، و بيان موضوعه ، وتحديد مرتكزاته ورسم حدوده ومدياته ، وإيضاح غاياته ومعاييره ؛ تعاني ضعفاً واضحاً في الرؤية التاريخية ولا تنتمي للعقل الحديث، فيعبر قائلاً:((هناك فوضى إلى الحد الذي أرى فيه أعمالاً تحمل عنوان الكلام الجديد ، فأقرأ فيها معطيات مشتتة ، يمكن تصنيفها على كل شيء ، من دون أن تتكشف او تشير لي اي ملامح الى كلام جديد إلى كلام جديد))[٥٤] .

ويضيف أنَّ أساس علم الكلام الجديد هو الوحي الأمر الجوهري في النبوة، وأن بناء مفهوم جديد للوحي، يُعد العلامة الفارقة للتمييز بين المتكلم القديم والجديد، وهو المعيار الذي ينفرد به الرفاعي، ويتضح ذلك بقوله يبنى هذا المعيار على أجتهاد جديد يقدمه المتكلم لإعادة بناء مفهوم للوحي بعيداً عن الصياغات الموروثة في علم الكلام التقليدي، ويقدم تفسير للنبوة بوصفها ظاهرة ذات بعد ميتافيزيقي [٥٥]، وتحليل لنوع الصلة الوجودية التي يعيشها النبي(ﷺ)مع الله، أما طبيعة الكلام الإلهي، وكيفية تشكل النص القرآني، وتاريخ تدوين الآيات، وجمع المصحف، فكلّ ذلك وغيره من مباحث تتفرع عن الكيفية التي يفهم فيها المتكلم حقيقة الوحي وكيفية تلقي النبي(ﷺ) له وعلى هذا نرى أن كلَّ قول جديد في علم الكلام ينبغي أن يتأسس على بناء مفهوم للوحي في آفاق العقلانية الحديثة[٥٦].

يرى الرفاعي أن علم الكلام الجديد يقوم على فهم مغاير لطبيعة الوحي وهو الأساس الذي تقوم عليه أركان عدة أنَّ تحققت تحقق النص وصح القول بوجود علم كلام جديد؛ وأذ غاب إنتفى الوصف جله، وان كل معالجة وكل كلام لا تنطلق من هذا الأساس لا يمكن عدها جزءا من علم الكلامً الجديد(٥٧).

يُقدم هذا الاتجاه تفسيراً ديناميكياً للوحي ، أذ لا يصور النبي (ﷺ)مستقبلاً ومنفعلاً سلبياً كما صوره علم الكلام القديم الذي يفسر تلقي النبي للوحي ، وكأنه مجرد قناة أو وسيط تمر من عبره كلمة الله للناس دون تفاعل معها ومتأثرا ومؤثرا فيها ، أما في القراءة الجديدة فالوحي عملية تتداخل فيها السمة الإلهية مع البعد البشري ، فالعنصر البشري: يتجلى بشخص النبي وظرفه التاريخي والواقع الذي يعيش فيه مع الابقاء ان اصل الوحي الهي في جوهره، تعود جذور هذا التفسير الى التراث العرفاني لاسيما محيي بن عربي(٥٨) وغيره، وظهرت إشارات مشابهه له مجددا في آثار ولي الله الدهلوي(٥٩) ، قبل ان يعيد أحمد خان بتفصيل وصياغة أوسع ، ويتبع بناءه محمد إقبال على اسس فلسفية حديثة ، وطوره بعض المفكرين الإيرانيين والعرب في نصف القرن الأخير(٦٠) .

أن فهم الرفاعي للوحي لا يهدر المضمون الالهي المتعالي للتاريخ الذي ينطق به الوحي على الرغم من توظيفه لبعض معطيات فلسفة علم الأديان المقارنة وعلوم الانسان والمجتمع في الكشف عن المضمون التاريخي في الوحي الذي يراه الرفاعي قبس نور إلهي تجلى في شخصيات أصيلة صادقة تتفرد بيقظتها الروحية ، وأشرف على أرواح ساطعة كالمرآة المصقولة ، فشغ ضوؤها على الناس فهمي للوحي يتلخص في أنه الحالة وجودية ،(إلهية بشرية – بشرية إلهية) ، يتحقق فيها الإلهي بالبشري والبشري بالإلهي ، هذه الحالة طور وجودي تحظى فيها روح النبي التي يعيشها بمرتبة وجودية سامية لتصبح نوراً صافياً لا يشوبه أي ظلام مهما كان(٦١) .

ومن خلال ما تقدم ذكره في كتابات عبد الجبار الرفاعي يظهر أنَّ للوحي بعدان إلهي وبشري ، فهو في تعبيره عن الله إلهي ، وبتعبيره عن الإنسان بشري بمعنى أن الوحي يعني التلقي البشري للإلهي بالشكل الذي يكون فيه البشري مرآة للإلهي ، بمعنى أن الإنسان الذي

يتلقى الوحي يفتقد ذاته ، بل يحتفظ بطبيعته البشرية ، كما تشير الآية :((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى))[٦٢].

ويعني الوحي ببعده الآخر التعبير الإنساني عن الله الإلهي ، ولا يعبر الإنسان إلا بلغة بشرية ، تخضع لكل حدود اللغة وقيودها ومدياتها ، يظهر البعد البشري في تلقي الوحي في التعبير عنه بلغة النبي(ﷺ) وتنعكس فيه ثقافة عصره ، والواقع في ضوء هذا الفهم يكون القرآن وجه إلهي ووجه بشريا ، فهو من جهة اتصاله بالغيب إلهي ، ومن تلقي النبي له وتعبيره عنه بلغته وثقافته مع الذي كان يعيش فيه بشري ، أي تظهر فيه حدود لغة النبي وغيرها وطبيعة حياته الشخصية ، وملامح عصره ومجتمعه وثقافته [٦٣] .

النظرية الرفاعية ترى أنَّ الوحي يمتد لما هو أبعد من النبوات المقترنة بكتاب سماوي ، فليس بالضرورة أن يقترن كل وحي بكتاب منزل ، ولا أن تقترن نبوة كل الأنبياء برسالة مكتوبة ، بل إن اغلب الانبياء لم يُعرف لهم كتاب اصلاً فذكر القرآن الكريم زبور لداود(عليه السلام) دون ان يصل الينا أو نعرفه ، وأمر يحيى(عليه السلام) بأخذ الكتاب بقوة عندما نفهم الوحي بهذا الوصف الواسع يصبح من اليسير أن ننفتح على الأديان الأخرى خارج أسوار وحدود علم الكلام القديم ، بعيدا عن مقولات الولاء والبراءة وغيرها من مواقف المتكلمين التي كانت سبباً في انغلاق عن الأديان الاخرى ، وفي ضوء هذا المفهوم للوحي تتبلور إمكانية تبنّي رؤية جديدة للتعددية الدينية من منظور مختلف خارج منطق احتكار الحقيقة وامتلاك الخلاص ، ويمكننا أن نرتقي بالحوار بين الأديان ،ونفتح مجالاً فبدلا من أن يظل حوارنا في إطار المجاملات والعلاقات العامة ، وأن يتحول إلى مشروع فكري بناءّ يرسخ قيم السلام ومبادئ التعايش المشترك[٦٤] .

يتيح هذا الفهم الواسع للوحي إعادة قراءة السيرة النبوية من منظور مختلف قراءة تتحرر من مأزق القيد التاريخي ، التي تسرف في تأييد دلالات كل ما هو ظرفي خاص بثقافة الجزيرة العربية ونمط عيش الناس في عصر البعثة ، على الرغم من أن الظرفي يحتل مساحة واسعة في أحاديث السنة وحوادث السيرة ، والتمسك الحرفي بهذه الدلالات يؤدي إلى إبقاء المسلم وكأنه يعيش في عصر الصحابة ، متجاهلاً التغيرات الكبرى في أنماط الحياة

والثقافة المتنوعة والعلاقات الانسانية ومختلف تفاصيل حياته التي يفرضها تتطور الازمان تنوع البيئات(٦٥).

وعليه تخلص الدراسة لوجود تفسيران للوحي في علم الكلام الجديد:

١-الاول يقدم تفسراً للوحي بوصفه ظاهرة تاريخية انعكست عليها الثقافة واللغة والبيئة ، وتجلت ملامحها فيها بوضوح مثلما انعكس الوحي على التاريخ فتفاعل معه وأعاد صياغته وفق رؤيته ، وهذا تيار يرى الوحي مُنَتجا ومُنِتجا ثقافياً ، وموقفه ملتبس حيال المضمون الميتافيزيقي للوحي ، فهناك من نقرأ في بعض عباراته ما يشي بنفي أي بعد ميتافيزيقي للوحي، وصلته بالغيب ، وهناك من يعلن أنه يعتقد بمصدر غيبي للوحي ، على الرغم من تشديده على أن الوحي مرآة انعكست عليها الثقافة واللغة وتضاريس البيئة العربية وظروفها الاجتماعية في عصر البعثة(٦٦) .

٢-المسار الثاني يفسر الوحي بوصفه ظاهرة ميتافيزيقية قبل كل شيء ، في مفهومه حالة وجودية يعيشها النبي من خلال اتصاله بالله ، تتشبع بها روحه وتمتلئ بها مشاعره ، وتتشكل بها رؤيته للعالم ، وينشغل هذا التيار بتفسير حقيقة الوحي وبيان ماهيته في عالم الغيب ، ونمط الصلة الوجودية التي تتحقق بين الله والإنسان ، إذ يذهب بعض مفكريه إلى تفسير كيفية الوحي بأنها نتيجة لتسامي روح الإنسان وصعودها حتى ينكشف لها الله ، في حين يذهب آخرون إلى أن الوحي هو نزول أو تنزيل من الله على الإنسان، وتعثر على رؤية هذا التيار اللوحي في كتابات : احمد خان ، ومحمد إقبال وغيرهم (٦٧).

ثامناً : مفهوم الوحي عند عبد الكريم سروش

يعد عبد الكريم سروش(٦٨) من الباحثين الإسلاميين المجددين إثارةً للجدل والخلافات، بسبب طروحاته الفلسفية في قضايا وإشكاليات مازال صداها يتردد في إيران والدول الإسلامية رغم هجرته إلى أمريكا واستقراره في واشنطن، ومن أهم القضايا إثارةً نظريته حول الوحي النبوي، التي عد الوحي عملية بشريّة راقية وأنّ محمداً (ﷺ) هو من خلق القرآن، فالنصّ القرآني الذي بين أيدينا وفق عبد الكريم سروش هو نص نستطيع أن نلمس فيه

معارف دينيّة من الممكن أن يتطرّق إليها الخطأ بالنظر إلى المعارف الإنسانيّة المعاصرة وهذا الحكم خاضع من قبله إلى النظرة التاريخيّة للإنسانيّة التي ترى جميع المعارف البشريّة واستنباطاتها الدينيّة تاريخيّة وهي عرضة للخطأ(٦٩).

ويتابع قوله في الواقع إنّ بحثنا ينطلق من خارج دائرة الوحي وينظر إلى حادثة باسم الوحي الذي تمظهر في المجتمع العربي وألقى في روع النبي وضميره فلو أردنا إثبات أو نقض هذا الادعاء من خلال القرائن والشواهد فلا بدّ أن تكون هذه القرائن والشواهد من خارج دائرة الوحي(٧٠) .

عد عبد الكريم ان الوحي تجربة دينية يمكن اختصارها في لقاء النبي لله عز وجل لقاءً يخرج منه النبيّ بمعلومات يمكن وصفه بـ (مضمون الوحي)، ثم يعمل على صياغتها في أسلوب لفظي بشري ينقله إلى الناس وهو الوحي، هذه التجربة الدينيّة من القران مشروطة بجمل من المحدوديات مرتبطة بعقل النبيّ وبسماته الشخصية فضلاً عن البيئة الثقافية للعصر الذي عاش فيه؛ الى جانب ما يفرضه الأطار التاريخي من حدود ومؤثرات(٧١).

يبسط سروش نظريته استناداً الى مماثلة اقامها بين الروح والوحي فاذا كانت الروح جوهرا الهيا تحتاج الحواس لأدراك العالم والتفاعل معه وهو الادراك الذي سيتم في ضوئه تقييم مدى استحقاقها فجبرائيل كما يحدثنا القران عنه ، عندما ينزل على النبي ويريد أن يتكلم معه باللغة العربية لا بلغة أخرى ، أي أن هذا الملك جاء الى الجزيرة العربية والحجاز ليلتقي بالنبي(ﷺ) لا في قارة أخرى ، ومقصودي أن ذلك الملك تقبل حالة القيود الطبيعية وإنحاء محدوديات النبي وعليه أن يرضخ لهذه القيود ويتقيد بها (٧٢) .

يتضح أن الوحي في التصور السروشي عملية واعية ، مع أن النبوة قامت على الاصطفاء وبذلك يمكن دراستها وتحليل عناصرها وحيثياتها بما يعزز اعتزاز المسلم بدينه و برسوله دون تلفيقات واختلافات تجعله محل تندر وتهكم الأخر ، وإذا كانت قد تمت بعض الدراسات للوحي من قبل باحثين مسلمين أخرين ، منتمين لحقول بحثية مختلفة ، أمثال

هشام جعيط ومحمد أركون فإنها لم تكن بمثل هذا الصفاء الذهني والتدقيق التعبيري الذي تشكلت موقفه في مدونة سروش(٧٣).

برز هذه السمة في عدد المواضيع و السياقات منها تشبيها للرسول الأكرم إثناء تبليغه للوحي بالبركان الثائر يقول في ذلك : ((والان نستطيع القول بان المسالة الدينية ، أنما تتحقق ضمن ما يسمى بالتجربة الدينية ، فالنبي كالبركان المتفجر تطفح من فوهته المواد المذابة والمنصهرة ، أي أن جميع المواد والعناصر مختلطة وممتزجة مع بعضها ، أذ تشكل وحدة ظاهرية ، لكن مع مرور الزمان ، فأن هذه المواد المذابة تصل إلى درجة انجماد وتتحول إلى كتلة جامدة ، ثم تنفصل عن سائر المواد السائلة ، فهنا تتبدل الوحدة إلى كثرة ، فلا نرى بعد تلك الوحدة الظاهرة الا في إطار تجربة دينية أخرى))(٧٤) .

يمكن لهذا الطرح المغاير لعملية الوحي تفسير العديد من الظواهر التي تؤرق المسلم المعاصر بسبب حالة الشك والارتياب والخمول التي أضحى عليها ، ومن بين تلك الظواهر والقضايا يمكن ذكر تفسير أسباب قصر السور المكية وطول السور المدنية بالقول انه كانت هناك محاول تدريجية لتعويد النبي الأكرم بالود ، لذا تم مراعاة طاقة تحمله ، حتى إذا ما بلغ أشده نزل عليه الوحي في شكل نصف سورة أو سورة قرآنية كاملة تقريبا (٧٥).

وبناءاً على ما تم طرحه يتبين أنَّ عبد الكريم سروش لايهتم بتأويل النص القرآني وفق منهج التأويل ، ويرى أن النبي(ﷺ) استغل حالة الوحي وصاغها للناس وفق مفاهيم مجتمعه وتقلباته، لعل هذا الامر نجده مكرر عن طروحات المستشرقين ولربما كان لا قامة سروش الطويلة في العالم الغربي وتتلمذه هناك اثر على طروحاته الدينية لاسيما فيما يخص الوحي.

الخاتمة

في ختام بحثنا توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات تتلخص بالاتي:-

١-علم الكلام الاسلامي علم تخصص في البحث فيه عن ذات الله تعالى، وصفاته، وأحوال الممكنات في المبدأ والمعاد، على قانون الإسلام والأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قانون الإسلام، وإثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة

٢-علم الكلام الجديد في جوهره عين علم الكلام القديم، ينطلق نحو الغاية نفسها وهي الدفاع عن الدين الاسلامي، مع تجدد في مجمل ابعاده المعرفية.

٣-بحث علم الكلام في الطبيعة للإستدلال على وجود الله إذ إن الطبيعة حادثة وتقع ضمن دليل الحدوث, ولم تُبحث لأجل ذاتها.

٤- يركز تصور عبد الجبار الرفاعي للوحي على ثنائية تجمع الإلهي والبشري ، فهو من جهة تعبيره عن الله (إلهي) ، ومن جهة اخرة يحمل مضمونا عبر وسيط بشري يعبر عنه بطريقته ووفق شروط إنسانيته بمعنى أن الوحي يعني التلقي البشري للإلهي ، بالشكل الذي يكون فيه البشري مرآة للإلهي ، ويبقى النبي محتفظاً بخصائصه البشرية التي تشكل مرآة عاكسة للخطاب الإلهي.

٥- اما عبد الكريم سروش يرى أن الوحي ليس نص جاهز يلقى على النبي أنما هو تجربة روحية يعيش فيها النبي لحظة اللقاء بالله ويخرج منها مايمكن ان نطلق عليه (مضمون الوحي) هذا المضمون يصوغه النبي صياغة بشرية في عبارات وألفاظ ينقلها إلى الناس، فتغدو هي الوحي بحسب هذا التصور تخضع لجملة من المحدودية التي المرتبطة بقدرات وبسماته الشخصية، وبعضها بخصائص الثقافة السائدة في عصره انذاك.

الهوامش:

(١) محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١١٣٧م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٩٩٩،ج٣،ص٨٩٢.

(٢) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ/١٠٤٤م)، المفردات في غريب القران، مصر، المطبعة اليمنية، ١٩٩٩،ص٥١٥.

(٣) رضا، الوحي المحمدي، القاهرة، مطبعة المنار،١٩٣٥،ص٤٥.

(٤) عبده، محمد، رسالة التوحيد، القاهرة، مكتبة الازهر، ١٣٢٥هـ،ص٥٢٧.

(٥) حنبكة، محمد، العقيدة الاسلامية، دمشق، دار القلم، ١٩٨٣،ص٥٢٧.

(٦) سورة البقرة:اية٣٢.

(٧) سورة هود: اية ٣٦

(٨)سورة هود: اية ٣٧

([٩]) سورة الصافات: اية ١٠٢.

([١٠]) العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م ، ج١،ص٦٠.

([١١])احمد بن حنبل، ابو عبدالله احمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م)،مسند الامام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م،ج٢٢،ص٤٥.

([١٢])الطبراني، ابو القاسم سليمان (ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٧٣م،ج٢،ص٢٢٠.

([١٣])البخاري، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجحفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الصحيح، تح: محمد زهير ناصر، دار الطوق، مكة، ٢٠٠١م،ج١،ص١٨١.

([١٤])ماضي، محمود، الوحي القراني، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٩٩٦، ص٢١٠.

([١٥]) ماضي، الوحي القراني، ص١٢٢.

([١٦]) سورة الشورى:اية٥١

([١٧]) سورة طه:اية١٣.

([١٨]) ماضي، الوحي القراني، ص١٢٣.

([١٩])السمعاني، ابو عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ/١٦٦م)، تفسير السمعاني، تح: ياسر ابراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م،ج٤،ص١٩٢.

([٢٠]) ماكدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣م): مستشرق امريكي ولد في بريطانيا عاش فيها عدة سنوات، درس في كلاسجو ثم سافر الى برلين وقصد هارتفورد لتعلم اللغات السامية وأسس فيها مدرسة كنيدي للبعثات، من آثاره مجلة عالم الإسلام ومجلة إيزيس وعلم الكلام في الإسلام وترجمة رسالة ابن سينا في النفس وإحياء علوم الدين للغزالي. العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف ،القاهرة،١٩٨٢م،ص ١٠٠

([٢١])غوستاف لوبون (١٨٤١ - ١٩٣١) مؤرخ وطبيب فرنسي، تخصص في البحث بالحضارة الشرقية، من أشهر آثاره حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس ١٨٨٤" و"الحضارة المصرية" وحضارة العرب في الأندلس هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية لم يسر غوستاف لوبون على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م،ص ١١

([٢٢]) كارل بروكلمان: مستشرق ألماني بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، كانت أشد أمانيه العيش فيما وراء البحاردرس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية، درس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق ثيودور نولدك له مؤلفات عدة اشهرها كتاب الوفا في فضائل المصطفى، مخطوط. ١٨٩٥. العقيقي ، المستشرقون،ص ٦٣٩.

([٢٣]) نولدكه ولد في هامبورغ من أسرة عريقة شغل أفرادها مناصب علمية وإدارية كبيرة وتعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على إيفالد ونال الدكتوراه، ونال جائزة مجمع الكتابات الآداب في باريس على رسالته أصل وتركيب سور القرآن وكانت من أشهر آثاره . العقيقي ، المستشرقون،صص ٧٣٨-٧٣٩.

([٢٤])الاعرجي، ستار جبر ، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ،٢٠١٥، ص٢٠.

([٢٥])إليكسي فاسيليفيتش جورافسكي: مستشرق روسي ولد عام(١٩٣٩م) اختص في دراسة تاريخ العلاقات الحضارية بين الشعوب والقارات والثقافات ،عمل في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية، له مؤلفات عدة منها في قضايا العلاقات الثقافية والحضارية بالأديان والشعوب، ولاسيما بثقافتي الشرق والغرب، وكذلك حول التصورات الفكرية الدينية بالثقافات العربية الإسلامية والأوربية، له دراسة عن نشوء أيديولوجية القومية العربية ودور الأقليات المسيحية في الشرق العربي. عقيقي، المستشرقون، ص١٤٤.

([٢٦])اسم لراهب مسيحي يروى أنه التقى بالنبي محمد (ص) في اثناء سفره مع عمه أبي طالب وكان في الثانية عشرة من عمره لاحظ بحيرا أن أحد أفراد الركب قد ظلته غمامة و مالت أغصانه لتظله من أشعة الشمس، ولما التقى النبي محمد (ص) أخذ بحيرا يسأله بحق اللات والعزى ومناة ان يخبره عما يسأل عنه، اشتد غضبه (ص) ونية بغضه لذكره الآلهة الوثنية، ثم أجاب الراهب ما سأله ، فتأكد بحيرى من أن محمدا هو النبي الذي ذكر اسمه في الإنجيل، ونصح عمه أبا طالب أن يحذر عليه من غدر اليهود. ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م،ج ١،ص١٦٦، ابن حجر العسقلاني، ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن شهاب (ت: ٨٠٢هـ/١٤٤٨م)، الاصابة في تميز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ١٩١٠م ،ج١،ص٤٧٥ .

([٢٧]) مونتجمري وات: مستشرق بريطاني وعميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا ومن آثاره: عوامل انتشار الإسلام ومحمد في مكة (١٩٥٨م) والإسلام والجماعة الموحدة، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام من اشهر كتبه محمد في مكة ، ومحمد في المدينة . العقيقي، المستشرقون،ص ٥٥٤

([٢٨]) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي بن قصيّ، وأمه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصيّ ، وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدّين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان. ابن الأثير، أسد الغابة،ج ٥،ص٨٨؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٦،ص ٤٧٤

([٢٩]) الاعرجي ، شبهات المستشرقين حول الوحي ،ص٢٢.

([٣٠]) فر تجوف شيئون: عالم مسيحي اعتنق الإسلام ، وأصبح صوفيا وله العديد من المؤلفات منها كتابه الوحدة العقيدية،ورد على تهجمات من سمي نفسه الأمازيغي المسيحي. عقيق، المستشرقون، ص١٨٨.

([٣١]) الاعرجي، شبهات المستشرقين، ص٢٢.

([٣٢])جولد تسهير: مستشرق يهودي مجري عرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، ومن اشهر محرري دائرة المعارف الإسلامية، عرف بغزارة إنتاجه عن الإسلام وعد من أهم المستشرقين لكثرة إسهامه وتحقيقاته عن الإسلام ورجاله، متأثراً ربما بيهوديته، وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية العقيقي ، المستشرقون،ص ١٩٧

([٣٣])اميل درمنغم: عالم اجتماع فرنسي ولد في مدينة باريس عام ، ١٨٩٢ شغل منصب مدير مكتبة الجزائر له حياة محمد وقصص القبيلة وأروع النصوص العربية ومحمد والسنة الإسلامية وحول القيم الدائمة والحالية في الحضارة الإسلامية وغيرها. العقيقي ، المستشرقون،ص ٢٩٧

([٣٤])الاعرجي، شبهات المستشرقين حول ،ص٢٢.

([٣٥]) السيوطي، عبد الرحمن بن ابي عبدالله ،معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد ابراهيم عبادة، مكتبة الآداب ، القاهرة،ط١،١٩٩٤، ص٧٠.

([٣٦]) الشافعي، حسن محمود، المدخل الى دراسة علم الكلام، دار الهادي، بيروت،ط١،٢٠٠٢ ،ص٢٠٧.

([٣٧]) صبحي، أحمد محمود ، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية،ج١، دار الكتب الجامعية، مصر،ط١، ١٩٦٩ ،ص٣٠.

([٣٨]) الاشعري، ابو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الاسلاميين، تحقيق: هلموت ريتر ، دار الفكر، بيروت،١٩٩٠،ص٢.

([٣٩]) سورديل، البحاثين، معجم الاسلام التاريخي، ترجمه: الدكتور. أ.الحكيم، الدار اللبنانية للنشر، بيروت،ط١،٢٠٠٩،ج١،ص٨٠٧.

([٤٠]) سورديل، معجم الاسلام التاريخي،ج١،ص٨٠٧.

([٤١]) بدوي، ابراهيم، علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، دار المحجة البيضاء،٢٠٠٩،ص٢٦.

([٤٢]) ينظر، بدوي، علم الكلام، ص٢٧.

([٤٣])بدوي، علم الكلام،ص٢٧.

([٤٤]) سيد أحمد خان بهادر (١٢٣٢-١٣٠٦هـ/١٨١٧- ١٨٩٨م) سياسي، ورجل تعليم هندي مسلم، عده البعض أحد أبرز قادة حركة الإصلاح الاجتماعي والثقافي في الهند، ورائد التعليم الحديث للمسلمين في هذه البلاد، وذلك بتأسيسه الكلّيّة المحمّدية الأنجلو شرقية، والتي تطوّرت لتصبح جامعة عليكرة الإسلاميّة لاحقاً، لن يكن سيد احمد اول ممثل للنزعة العصرانية وحسب بل كان نموذجا كاملا لها وكل اللذين جاءوا من بعده لم يضيفوا شيئا جديدا بل كانوا يعيدون صياغه افكاره. ترك عدة مؤلّفات في مجال التاريخ والآثار والمعارف الدينيّة. له آراء تفرّد بها، ممّا أثار حفيظة عدد من علماء المسلمين. سعيد، محمد بسطامي، مفهوم التجديد الدين، جدة، ط١، ٢٠١٢،ص١٢١.

([٤٥]) شبلي النعماني: شبلي حبيب اله بن سراج الدولة النعماني العلامة الفاضل والمؤرخ والاديب والشاعر الهندي مسلم، عمل في جامعة عليكرة، وشارك في تأسيس ندوة العلماء بلكنو، أبرز مصنفاته: علم الكلام، السيرة النبويّة، سيرة عمر بن الخطاب، نقد لكتاب تاريخ التمدن الإسلامي، رد فيه على كتاب جورجي زيدان، وبعض الكتب الأدبيّة، ومقالات منوّعة. عبد الحي الحسني، بن فخر الدين بن عبد علي (ت :١٣٤١هـ /١٩٢٢م)، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ، دار ابن حزم، بيروت ، ١٩٩٩م، ج٨،ص٦٨.

([٤٦])بدوي، علم الكلام،ص١٠٢.

([٤٧])حنفي, حسن ، الاتجاهات الجديدة في علم الكلام, ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين, الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد, دار الهادي للطباعة، ط١ ،٢٠٠٢، ص٢٥-٢٧.

([٤٨]) خسروبناه، عبد الحسين، الكلام الاسلامي المعاصر،ج١، ترجمة: محمد حسين الواسطي، مطبعة دار الكفيل،ط١، ٢٠١٩،ج١،ص٢٢.

([٤٩])عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة ،طهران، ط٣،٢٠٠٢، ص ٧٨-٧٩.

([٥٠]) خسروبناه، الكلام الاسلامي المعاصر،ص٢٣-٢٤.

([٥١])قاراملكي, احمد، الهندسة المعرفية للكلام الجديد, ترجمة: حيدر نجف وحسن العمري، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي،ط١ ،٢٠٠٢،ص١٨٩.

([٥٢])قاراملكي، الهندسة المعرفية، ص١٨٩.

([٥٣]) عبد الجبار الرفاعي: مفكر عراقي وأستاذ الفلسفة إسلامية، ولد في مدينة ذي قار عام: ١٩٥٤، حصل على شهادات عدة أكاديمية منها : دكتوراه فلسفة إسلامية، بتقدير امتياز، ٢٠٠٥، وماجستير علم في الكلام عام ١٩٩٠، وبكالوريوس دراسات إسلامية، ١٩٨٨، ودبلوم فني زراعي، ١٩٧٥، وله رؤية فلسفية حول الإصلاح ومناهج التفكير الديني، له مؤلفات عدة منها: الدين والظمأ الأنطولوجي، الدين والنزعة الإنسانية، والدين والاغتراب الميتافيزيقي، علم الكلام الجديد. http://www.rifae.com

([٥٤]) الرفاعي، عبد الجبار مقدمة في علم الكلام الجديد، ط١، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،٢٠٢١،ص٣٩.

([٥٥]) مصطلح يشير الامور الخارقة للطبيعة، التي تتجاوز مفهوم او نطاق العلم الطبيعي. مكرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفية، لبنان،١٩٥٩،ص٢١٥.

([٥٦]) عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام، مركز دراسات الفلسفة، بغداد،ط١، ٢٠٢١، ص٣٨.

([٥٧])الرفاعي، مقدمة،ص٣٨.

([٥٨]) هو محي الدين بن العربي الاندلسي الذي القى عصا الترحال في دمشق، وبغداد والموصل واسيا له مؤلفات عدة تفوق المئتين اشهرها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم. محمود، مقديش، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، دار الغرب الاسلامي، بيروت،١٩٨٨،ج١،ص١٧٢.

([٥٩]) ولي الله الدهلوي، الله بن عبد الرحيم العمري، الدهلوي، محدث ومفسر وفقيه اصولي ولد في الهند ونشأ بها، وحج واقام بالحرمين مدة، وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى الهند، ودرس فيها حتى وفاته عام(١١٧٦هـ) من مؤلفاته مهمات علم الاسناد، أنسان العين في مشايخ الحرمين، الفوز الكبير في اصول التفسير. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ١٩٨٨،ج١٣،ص١٦٩.

([٦٠]) عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام،ص٤٠.

([٦١])الرفاعي، مقدمة،ص٤٢.

([٦٢]) سورة الكهف، اية:١١٠.

([٦٣]) عبد الجبار الرفاعي، مقدمة ،ص٤٢-ص٤٣.

([٦٤])الرفاعي، مقدمة،ص٤٣.

([٦٥])عبد الجبار الرفاعي، مقدمة ،ص٤٣.

([٦٦])الرفاعي، مقدمة،٤٥-ص٤٦.

([٦٧])عبد الجبار الرفاعي، مقدمة ،ص٤٦.

([٦٨])عبد الكريم سروش واسمه حسن حاج فرج الدباغ وهو من رواد الإصلاح و كبار المثقفين الإيرانيين الدينيين المعاصرين، من مواليد طهران سنة ١٩٤٥، درس في المدرسة الثانوية (الرفاه)، وهي من المدارس التي كانت تحرص على الجمع في مناهجها بين الدروس الدينية وبين المواد العلمية المعاصرة، ثم التحق بعد ذلك في جامعة لندن بفرع العلوم الكيميائية وحصل على الدكتوراه هناك، عد عبد الكريم سروش من المقرّبين من المفكرين الإيرانيين الشهيرين علي شريعتي ومرتضى مطهري، وهما وجهان محوريان في فترة ما قبل الثورة في إيران، وبعد الثورة عاد سروش إلى بلده وشغل مناصب عليا في الدولة وأخرى بحثية أهمها مؤسسة الأبحاث والدراسات الثقافية . وكيبيديا، الموسوعة الحرة.

([٦٩]) شيحة، عبد المنعم،حول نظريّة سروش في الوحي ونقدها، مقالة منشورة ، مجلة الدراسات الدينية، ص٢.

([٧٠])عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ترجمة: احمد القبانجي، دار الفكر الجديد، العراق، ٢٠٠٦،ص١٤٧.

([٧١]) سروش، التجربة النبوية،ص٢١٢-ص٢١٣

([٧٢]) سروش، التجربة النبوية ،ص١٦٥.

([٧٣]) كفاح علي، مفهوم الوحي ، ص٤٣٤.

([٧٤]) عبد الكريم سروش، العقل والحرية، ترجمة: احمد القبنجي، منشورات الجمل، بيروت، ط١ ،٢٠٠٩،ص١٠٤.

([٧٥]) سروش، العقل،ص١٧.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**

اولا: المصادر

١-الاشعري، ابو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الاسلاميين، تحقيق: هلموت ريتر ، دار الفكر، بيروت،١٩٩٠.

٢-- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م

٣- احمد بن حنبل، ابو عبدالله احمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م)، مسند الامام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.

٤-البخاري، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجحفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الصحيح، تح: محمد زهير ناصر، دار الطوق، مكة، ٢٠٠١م

٤- ابن حجر العسقلاني، ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن شهاب (ت: ٨٠٢هـ/١٤٤٨م)، الاصابة في تميز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ١٩١٠م

٥- الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ/١٠٤٤م)، المفردات في غريب القران، مصر، المطبعة اليمنية، ١٩٩٩

٦-الزبيدي، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١١٣٧م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٩٩٩

٧- السيوطي، عبد الرحمن بن ابي عبدالله ،معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد ابراهيم عبادة، مكتبة الآداب ، القاهرة،ط١،١٩٩٤.

٨- السمعاني، ابو عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢هـ/١٦٦م)، تفسير السمعاني، تح: ياسر ابراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م

٩- الطبراني، ابو القاسم سليمان (ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٠-عبد الحي الحسني، بن فخر الدين بن عبد علي (ت :١٣٤١هـ /١٩٢٢م)، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)،ج٨، دار ابن حزم، بيروت ، ١٩٩٩م.

١١- العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م

ثانيا: المراجع

١٢- الاعرجي، ستار جبر ، شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ،٢٠١٥

١٣- بدوي، ابراهيم، علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، دار المحجة البيضاء،٢٠٠٩.

١٤- حنبكة، محمد، العقيدة الاسلامية، دمشق، دار القلم، ١٩٨٣

١٥- حنفي, حسن ، الاتجاهات الجديدة في علم الكلام, ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين, الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد, دار الهادي للطباعة، ط١ ،٢٠٠٢.

١٦- خسروبناه، عبد الحسين، الكلام الاسلامي المعاصر،ج١، ترجمة: محمد حسين الواسطي، مطبعة دار الكفيل،ط١، ٢٠١٩.

١٧- عبده، محمد، رسالة التوحيد، القاهرة، مكتبة الازهر، ١٣٢٥هـ.

١٨- العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف ،القاهرة،١٩٨٢م

١٩- الرفاعي،عبد الجبار، مقدمة في علم الكلام، مركز دراسات الفلسفة، بغداد،ط١، ٢٠٢١. .

٢٠- بسط التجربة النبوية، ترجمة: احمد القبانجي، دار الفكر الجديد، العراق، ٢٠٠٦.

٢١- العقل والحرية، ترجمة:احمد القبنجي، منشورات الجمل، بيروت، ط١ ،٢٠٠٩

٢٢- رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، القاهرة، مطبعة المنار،١٩٣٥

٢٣- سورديل، البحاثين، معجم الاسلام التاريخي، ترجمه: الدكتور: أ.الحكيم، الدار اللبنانية للنشر، بيروت،ط١،٢٠٠٩.
٢٤- سعيد، محمد بسطامي، مفهوم التجديد الدين، جدة، ط١، ٢٠١٢.
٢٥- الشافعي، حسن محمود، المدخل الى دراسة علم الكلام، دار الهادي، بيروت،ط١،٢٠٠٢.
٢٦- صبحي، أحمد محمود ، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية ، دار الكتب الجامعية، مصر،ط١، ١٩٦٩.
٢٧- قاراملكي, احمد، الهندسة المعرفية للكلام الجديد, ترجمة: حيدر نجف وحسن العمري، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي،ط١ ،٢٠٠٢.
٢٨- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ١٩٨٨.
٢٩- ماضي، محمود، الوحي القراني، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٩٩٦
٣٠- محمود، مقديش، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، دار الغرب الاسلامي، بيروت،١٩٨٨
٣١- الندوي،محمد الهند القديمة،مصر،١٩٩٩.
٣٢- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م

ثالثا:-المقالات المنشورة

٣٣- شيحة، عبد المنعم، حول نظريّة سروش في الوحي ونقدها، مقالة منشورة ، مجلة الدراسات الدينية،٢٠٢٠.

المناقشات البرلمانية الكويتية لاقرار الموزانة المالية للاعوام ١٩٧١ ــ ١٩٧٤

م.م. عبد الحمزة حميد كاظم

الجامعة المستنصرية / رئاسة الجامعة

07723218754

abdul80hamza78llove@gmail.com

المناقشات البرلمانية الكويتية لاقرار الموزانة المالية للاعوام ١٩٧١ ــ ١٩٧٤

م.م. عبد الحمزة حميد كاظم

الملخص

منذ ان حصلت الكويت على الاستقلال عام ١٩٦١, ودخولها الحياة البرلمانية سعت لاضفاء الصفة القانونية والتشريعية على كل قوانينها, وذلك من خلال تقديم الحكومة مسودة قانون الى مجلس الامة الكويتي كونه يمثل اعلى جهة تشريعية في البلاد. فقدمت مختلف القوانين المهمة ومنها قوانين الموازنة من اجل تنظيم جانب مهم من شؤون الكويت المالية, خصوصاً بعد الزيادة الملحوظة في الموارد المالية نتيجة العائدات النفطية, وهذه الخطوة فتحت الباب امام اعضاء مجلس الامة بكافه توجهاتهم الفكرية الى نقاش قوانين الموازنة, بتوجيه النقد اللاذع للحكومة لتقصيرها في تقديم الخدمات لكافة شرائح المجتمع الكويتي, ورغم حدة النقاش في جلسات المجلس؛ الا ان القوانين تمت الموافقة عليها مما يدل على عمل الجميع لمصلحة الكويت وتحقيق الرفاهية لشعبه .

الكلمات المفتاحية (اعضاء المجلس , الحكومة الكويتية , مجلس الامة , قانون الموازنة , الكويت)

Kuwaiti Parliamentary Discussions to Approve the Financial Budget for the Years 1971-1974

Assistant Lecturer Abdul Hamza Hamid Kadhim
Al-Mustansiriya University / University Presidency
07723218754

Abstract

Since gaining independence in 1961 and entering parliamentary life, Kuwait has sought to give legal and legislative status to all its laws. This is achieved by the government submitting draft laws to the Kuwaiti National Assembly, which represents the highest legislative body in the country. Various important laws have been submitted, including budget laws, to regulate a crucial aspect of Kuwait's financial affairs, especially after the significant increase in financial resources resulting from oil revenues. This step opened the door for

members of the National Assembly, across the political spectrum, to debate budget laws, directing sharp criticism at the government for its shortcomings in providing services to all segments of Kuwaiti society. Despite the intensity of the debates in the Assembly sessions, the laws were approved, demonstrating everyone's commitment to the best interests of Kuwait and achieving prosperity for its people.
Keywords: (Assembly members, Kuwaiti government, National Assembly, budget law, Kuwait)

المقدمة

شهدت الحياة البرلمانية الكويتية نشاطاً ملحوظاً في الفصل التشريعي الثالث (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) , وذلك من خلال مناقشة وتشريع القوانين المهمة, واهم تلك القوانين على الصعيد الداخلي الكويتي, القوانين التي نظمت الشؤون المالية الكويتية نتيجة الوفرة المالية الكبيرة التي حصلت عليها الكويت من جراء تصديرها النفط, فضلاً عن زيادة ارباح الكويت من النفط عن طريق مشاركة الشركات النفطية بالارباح , وبرزت اهمية الدراسة كون الكويت اول دولة على مستوى دول الخليج العربي تدخل الحياة البرلمانية والتي انبثقت حكومة ومجلس امة دأب على تشريع قوانين مهمة ومنها تلك التي تعنى بتشريع القوانين تنظيم شؤون الكويت المالية وتمثل ذلك بسن قوانين الموازنة والتي تتضمن (الايرادات والمصروفات ومخصصات كل وزارة) مما جعل شؤونها المالية اكثر دقة وتنظيماً .

حاول البحث الاجابة على عدة تساءلات كيف واجه اعضاء مجلس الامة قوانين الموازنة (نقد الحكومة ام تأييدها)؟ وما مدى استجابة الحكومة لمطالب اعضاء مجلس الامة؟ وهل تم تمرير قوانين لموازنة وما اهم التعديلات عليها ؟

تألف البحث من مقدمة واربعة محاور وخاتمة تناول الحور الاول قانون موازنة العام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢, اما المحور الثاني فقد جاء بعنوان قانون موازنة العام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ واستعرض المحور الثالث قانون موازنة العام ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤, واخيراً المحور الرابع تضمن قانون موازنة العام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

اعتمد البحث على عدد من المصادر, جاء في مقدمتها محاضر مجلس الامة الكويتي اذ انها تعد من مصادر المعلومات الاولية, فقد شكلت مادة اساسية في الدراسة وايضا اعتمدت الدراسة على الجريدة الرسمية لدولة الكويت, والتي يتم نشر القوانين بعد

اقرارها من قبل مجلس الامة فقد فادت الدراسة في كافة محاورها, فضلاً عن باقي المصادر المتنوعة , فضلاً عن العديد من المصادر الاخرى التي يمكن الرجوع اليها في قائمة المصادر .

المحور الاول : قانون موازنة العام ١٩٧١ ــ ١٩٧٢

الميزانية المالية الكويتية هي تقديرات مستقبلية لايرادات الدولة, ونفقاتها لمدة سنة قادمة وقانون السنة المالية الكويتية تقدمه الحكومة الى مجلس الامة من اجل اقراره, وعادة وما تبدأ السنة المالية الكويتية من الاول من نيسان وتنتهي في واحد وثلاثين من آذار من العام الثاني[١], واما مناقشة القوانين فهي تبدأ في شهر حزيران من كل عام .

اعتمدت الموازنة العامة في الكويت على مصدر وحيد, وهو النفط, اما الاستثمارات الداخلية فكانت معدومة, أذ لم تستغل الحكومة الكويتية اعداد الوافدين الى سوق العمل في الكويت خصوصاً بعد اكتشاف النفط وتصديره للاسواق العالمية عام ١٩٤٦, واما الاستثمارات الخارجية فكان الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية[٢], السبيل الوحيد لتحقيق مردود مالي للكويت[٣] .

قدمت الحكومة الكويتية ممثلة بوزير المالية والنفط عبد الرحمن سالم العتيقي[٤], مشروع الموازنة العامة لسنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢, والذي ورد فيه ايرادات الدولة, والتي قدرت بحوالي ٣٥٩,٥٩٠,٠٠٠ دينار كويتي واما المصروفات فكانت حوالي ٢٦٤,٩٩٠,٠٠٠ دينار كويتي وقد خصص قسم من المصروفات لمشاريع انشاء البيوت لذوي الدخل المحدود, وقسم اخر لدعم سياسية الكويت الخارجية عبر الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية عن تزايد الوافدين الى سوق العمل في الكويت, وتضمن القانون صلاحية الحكومة نقل اموال من باب الى باب ضمن مشروع الموازنة [٥], وانتقد العضو غنام الجمهور[٦] في مداخلته قانون الموازنة, موضحاً عدم تطبيق العدالة, في توزيع المخصصات المالية مستشهداً بدستور البلاد الذي كانت نصوصه مبنية على العدالة والمساواة بين المواطنين[٧] .

استئنفت المناقشات في الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٧١ اذ ابدى العضو مبارك الحساوي[٨], استغرابه من زيادة التخصيصات لوزارة الخارجية, والتي لا تزال تستأجر المباني, ولاحظ أيضاً زيادة تخصيصات وزارة الداخلية, ووضع الكويت انذاك لا يزال غير

جيد وقارن بين تخصيصات وزارة الاعلام ووزارة الصحة فقد بلغت تخصيصات الاخيرة ١,٩٠٠,٠٠٠ في حين بلغت نظيرتها في الاعلام حوالي ٥,٤١٠,٠٠٠ , موضحاً في مداخلته اهمية المستشفيات والجانب الصحي بصورة عامة ودروه الكبير في الكويت وحياة الكويتيين,[٩] وعضد العضو ابراهيم الخربيط[١٠] على رأي مبارك الحساوي في انتقاده لسياسة الدولة المالية, محذراً الحكومة من تبذير اموال الكويت معرباً عن استغرابه في استثمارات الكويت في الخارج, واما المشاريع في داخل الكويت فهي " **حبراً على ورق** ", وتطرق الخربيط في معرض مناقشته لابواب الموازنة الى زيادة عدد الموظفين اذ بلغ عددهم حوالي سبعة الالف موظف وقد رصدت الحكومة لرواتبهم حوالي ١١٠ مليون دينار كويتي وهو عدد كبير بحسب كلام العضو مقارنة بعام ١٩٦٣ اذ بلغ عددهم حوالي ٦٤,٧٦٤, وبلغت الاموال التي خصصت لهم حوالي ٥٢ مليون دينار كويتي [١١], من جانب أخر أعرب العضو سالم المرزوق[١٢] عن بالغ اسفه للأهمال الحكومي في قانون الموازنة لقطاعي التعليم, والصناعة, والصحة, فالقطاع الصناعي والذي وصف اصحاب المصانع والشركات هم من المسؤولين الكبار في الدولة ووصف لجنة تنمية الصناعة بـ " **لجنة سرقة الصناعة** " , واما الصحة فقد وضح العضو ان اغلب امراض المواطنين الكويتيين سببها قلة السكن او السكن غير الملائم , فضلاً عن المستشفيات المتلكئة في عملها, وكان للتعليم حيزاً في مناقشة المرزوق فقد أبدى اسفه على واقع التعليم متهماً المسؤولين في وزارة التربية بـ " **الاهمال وانهم مشغولين بالتجارة** " الخاصة بهم فضلاً عن مستواهم المتدني علمياً وبطبيعة الحال انعكس سلباً على واقع التعليم في الكويت بحسب كلام العضو [١٣] .

وجاء الرد الحكومي بنفس الجلسة على لسان وزير العدل ووزير التربية وكالة جاسم المرزوق[١٤], الذي اوضح ان وزارة التربية وزارة مهمة, وذكر أن احد مدارس الكويت وهي مدرسة (عبد الله السالم الثانوية) والتي فيها نسبة كبيرة من العرب ضمن طلاب تلك المدرسة, وقد بلغت فيها نسبة النجاح حوالي ٩١% , مذكراً العضو المناقش ان الرسوب في أي مدرسة هي مسؤولية بين المدرسة وولي امر التلميذ او الطالب, وواضح في رده ان كل العاملين في وزارة التربية هم على قدر من المسؤولية, اما عن بعض المسؤولين عندهم

اعمال خاصة فهذا الامر ليس حديثاً بحسب كلام الوزير, وان القانون لا يمنع المسؤول ان يعمل في التجارة [١٥] .

أما فيما يخص الصناعة الكويتية فقد كانت متدهورة خلال تلك الحقبة؛ بسبب قلة العمالة من ناحية, ومن ناحية اخرى لم يكن للحكومة مراكز للتدريب المهني, وهذا ما جعل العمال يفضلون العمل بالوظائف اذ ان ظروف العمل افضل, فضلاً عن الرواتب المجزية[١٦], وفي تحقيق صحفي اجرته (مجلة الطليعة) الناطقة باسم القوميين من اعضاء مجلس الامة تحت عنوان " **التعليم الفني بين الخطوات الاولى واحتياجات التنمية** " اثبت ان الحكومة الكويتية لم تتمكن من ايجاد الحلول المناسبة لمسالة التعليم الصناعي والفني, رغم المطالبات المتكررة من اعضاء مجلس الامة, ولعل السبب في ذلك يعود الى نظرة المجتمع في مجال العمل الفني والصناعي وهي نظرة متخلفة مستمدة من النظرة القبلية, واكمل على النظرة القبلية غياب التخطيط الاقتصادي مما حدى بالشباب الى الركون الى الوظائف الادارية[١٧], ورغم كل ذلك فالتعليم في حقبة السبعينات في الكويت شهد تطوراً في المسيرة التعليمية وبلورة الاهداف لنهضة التعليم لا سيما في عهد الوزير جاسم المرزوق الذي حرص على تطبيق الخطة الخمسية التي, وضعت منذ العام ١٩٦٧ والتي هدفت الى تنمية الموارد البشرية, وخلق طاقات متخصصة علمية ماهرة, وايضاً مراعاة اتقدم والتاثير بالتطور العلمي والثقافي العالمي[١٨] .

اما الجانب الصحي الكويتي فقد تطور في بداية عقد السبعينات اذ وصل عدد الاطباء حوالي (٨٠٠) طبيب في المستشفيات الحكومية و (٢٠٠) في القطاع الاهلي [١٩] .

ومن القضايا البيئية التي تصدى لها مجلس الامة الكويتي, مشكلة التلوث بالروائح الكريهة المنبعثة من المواد العضوية المتفسخة, وتحديداً في منطقة الصليبية (ضاحية سكنية ضمن محافظة الجهراء شمال غربي الكويت)؛ بسبب اقامة مصنع للاسمدة فيها مما جعلها غير ملائمة للسكن وقد استجابت الحكومة ممثلة ببلدية الكويت لنداء اعضاء مجلس الامة؛ ألا أن الاستجابة لم تكن ايجابية بل سلبية اذ اتبعت اسلوب " **دحرجة المشكلات البيئية** " (وهو نقل المشكلة البيئية من مكان الى اخر من دون حل) متجاهلة تداعيات المشكلة بالمستقبل [٢٠].

واستمرت المناقشات حول قانون الموازنة ففي الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٧١ فقد جاء في مداخلة العضو عيسى بهمن[٢١] شكره لمن اعد القانون, وابدى ملاحظة حول تقارير ديوان المحاسبة[٢٢], والتي لم تصل الى مجلس الامة بحسب كلام العضو مقترحاً تشكيل لجنة للنظر في اعداد تقارير المحاسبة, وناقش ابواب الموازنة مبدياً ملاحظاته عليها وخص بالذكر مشكلة اعداد الموظفين المتزايد, واصفاً ذلك بأنه يكبد الدولة اموالاً كبيرة كما اشارة في مناقشته الى البذخ من قبل الحكومة على الحفلات الغنائية متمنياً ان تكون تلك الاموال لمساعدة الفقراء, وكذلك طالب بدعم الانشطة الرياضية وضرورة دعمها وختم حديثه بمطالبة وزارة الاشغال العامة بتعبيد الطرق وزيادة الرقابة على المقاولين المكلفين باعمال التعبيد, وايضا الحال مع بيوت ذوي الدخل المحدود التي وصفها بأنها " **غير صالحة للسكن** " في اشارة الى الاخطاء العمرانية التي رافقت انشاءها[٢٣], وبنفس الاتجاه تكلم العضو عبد المطلب الكاظمي[٢٤], منوه الى عدم وجود قانون مالي واضح ينظم عمل وزارة المالية من قبيل اجراء الجرد في المخازن وعملية الادخال والاخراج, ونوه ايضا الى ظاهرة الفساد في باقي الوزارات مثل (وزارة الكهرباء) وما فيها من سرقات وقد طالب بوضع قوانين لوزارة المالية, والتي عبر عنها " **بمحدودة الصلاحية** " تنظم العلاقة بين مؤسسات الدولة, ووزارة المالية أي بمعنى ان تفرض وزارة المالية رقابة على كل الوزارات ومؤسسات الدولة, واصفاً موازنة الكويت بانها موازنة انفاق وليس انماء بمعنى " **اجراء العيش واستمرار الحياة** ", وانتقد ابواب الموازنة مبدياً ملاحظاته عليها كالتي تناولها زميله (عيسى بهمن)[٢٥] وتقدمت مجموعة من الاعضاء بطلب قفل باب النقاش واجراء التصويت على الموازنة بنفس الايرادات التي جاءت في مسودة القانون وتمت الموافقة على الموازنة باب باب[٢٦].

قانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٧١ بربط ميزانية العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧١ ـ ١٩٧٢

بعد موافقة مجلس الامة على مشروع قانون الموازنة, صدر في الجريدة الرسمية في الكويت قانون الموازنة متضمن سبع مواد اضافية الى جداول بالمصروفات والايرادات وتم تخصيص حوالي ٩٠,٠١٣,٣١٨ دينار كويتي للمشاريع الانشائية, واضافة ٤,٤٤٦,٣٩٧ دينار كويتي

الى الاحتياطي العام, وتخصيص مبلغ لدعم الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية حوالي ٢٦,٨٢٤,٧٥٢ دينار كويتي [٢٧] .

المحور الثاني : قانون موازنة العام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣

قدمت الحكومة الكويتية مشروع الموازنة لسنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ الى مجلس الامة, في دور الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي الثالث في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٧٢ بايرادات بلغت حوالي ٥٣٦,٢٢٦,٠٠٠ ومصروفات قدرت ٤١٠,٩٠٣,٤١٨ , واحتوى القانون على ابواب الصرف ومخصصات الوزارات[٢٨], وبعد فتح باب المناقشة في مجلس الامة كان خالد المسعود[٢٩], اول الاعضاء المناقشين الذي ابدى استغرابه من حجم الموازنة والمواطنين يعيشون في مشاكل (السكن), ودعا الى ايجاد حلاً لها, وافصح ان هناك مواطنين قدموا طلبات الحصول على السكن منذ اواسط الستينات, وتحقيق العدالة بين المواطنين, وأنتقد المسعود النظام الاداري لموظفي الدولة فهم لم يشمل أي ترفيع اداري بحسب كلام العضو, وقد المح في مناقشته الى حجم ابتعاد المسؤولين في الحكومة عن المواطنين[٣٠] , في حين دافع عبد الله النيباري[٣١] مقرر اللجنة الشؤون الاقتصادية, عن اجراءات الحكومة في قانون الموازنة مبيناً ان المشاريع التي تقرر الحكومة كلها تسبقها دراسة عن طريق مختصين او لجنة تدرسها من ناحية التكلفة, والجدوى الاقتصادية ثم تاتي التوصية, بادراج او عدم ادراج هذا المشروع في الموازنة, واوضح انه من غير الممكن الايعاز الى أي جهة تنفيذ أي مشروع من دون ان يكون له باب في الموازنة, واما عن الاسكان فاللجنة تتفق مع الاعضاء في حث الحكومة على ابداء اولوية للسكن خلل ادراجها من ضمن ابواب الموازنة [٣٢], واضاف العضو فلاح الحجرف[٣٣] على كلام زميله بشأن بيوت ذوي الدخل المحدود الى وجود ما يقرب من(٦٢٩٠) بيتاً قررت الحكومة بناءها وادراجها ضمن موازنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ متسائلا كيف ستوزع هذه البيوت وسط الطلبات المتزايدة منذ الستينيات؟ مطالباً بحل هذه المشكلة في غضون سنتين الى ثلاث سنوات [٣٤], واوضحت لجنة الشؤون الاقتصادية ممثلة بمقرر اللجنة العضو جاسم اسماعيل[٣٥] جواباً على سؤال الحجرف, اذ بين ان هناك حوالي (٥٠٠) بيت بالأضافة الى البيوت التي لم

تنجز الى حين انعقاد الجلسة, وهذا العدد من البيوت المدرجة ضمن الموازنة سوف تغطي كل طلبات الحصول على بيوت منذ منتصف الستينيات[٣٦].

وجاءت مداخلة العضو يوسف المخلد[٣٧] منسجمة مع مداخلات زملاءه اذ افصح عن حجم ارباح الكويت السنوية اذ قدرت بحسب العضو من (١٥٠) مليون الى (٢٠٠) مليون متسائلا عن سياسة الحكومة المالية, والتي وصفها بالغير صحيحة, وابدى معارضته لمشروع الموازنة, ومخصصات بعض الوزارات (الصحة والتربية), واستشهد بوزارة الصحة والتي خفضت الحكومة ميزانيتها غير مبالية بالوضع الصحي للمواطنين, واعترض المخلد في مناقشته على ارسال المرضى الكويتيين الى خارج الكويت اذ اشار انه بالأمكان الوزارة ان توفر اطباء "**بدل الواحد خمسة اطباء**", وايضاً بدل "**الممرضة الواحدة عشرة ممرضاة**" , وانتقد العضو عمل وزارة التربية متسائلاً عن تخرج الالف الخريجين بمختلف الاختصاصات هل الوزارة بحاجة اليهم؟ وابدى العضو المناقش معارضته على الاستثمارات الخارجية, والتي عبر عنها "**غير معروفة التوجهات**"[٣٨] .

وجاء رد الحكومة على العضو بلسان وزير التربية جاسم المرزوق الذي كشف عن وجود تخطيط وتعاون مع جامعة الكويت, في تقليل طلاب العلوم الانسانية والتشجيع على الاختصاصات التي تحتاجها الدولة موضحاً ان عمل الجامعة هو لتثقيف وليس للتوظيف[٣٩].

وفي الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٧٢ طرح قانون الموازنة للتصويت, وتمت الموافقة عليها من حيث المبدأ مع بعض التعديات عليها, والتي شملت زيادة في مخصصات وزارة الصحة اذ صارت ١,٣٩٠,٠٠٠ ولذلك اضافة مبلغ حوالي ٢,٣٠٠,٠٠٠ لتوسيع محطات انتاج الكهرباء في الشعيبة (تقع في محافظة الاحمدي جنوب العاصمة الكويت) [٤٠].

قانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٧٢ بربط الميزانية العامة للدولة عن السنة المالية ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣

بعد تصويت مجلس الامة على مشروع القانون صدر في الجريدة الرسمية قانون الموازنة بايرادات قدرت بحوالي٥٣٦,٢٢٦,٠٠٠ دينار كويتي, ومصروفات قدرت حوالي

٣١٠,٥٦٩,٠٩٥ دينار كويتي, وقد تم تخصيص حوالي ١٨,٩٥ % أي ما قيمته ١٠١,٦٢٨,٢٤٣ دينار كويتي للمشاريع الانشائية (الطرق والمساكن والخدمات الصحية والتعليمية) [٤١] .

المحور الثالث : قانون موازنة العام ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤

وفي دور الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الثالث قدمت الحكومة في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٦ شباط ١٩٧٣ مشروع قانون الموازنة العامة لعام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤, بايرادات حوالي ٥٦٨,١٠٠,٠٠٠ وبمصروفات قدرت حوالي ٣٥٢,٢٥٠,٠٠٠ واحالة مجلس الامة الى لجنة الشؤون المالية والاقتصادية [٤٢].

فتح باب النقاش على مشروع قانون الموازنة في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٧٣, اذا انبرى للنقاش العضو احمد الخربيط الذي انتقد سياسة الحكومة المالية مستنداً الى مقارنة مع فصول تشريعية سابقة, وكرر العضو مسالة كثرة الموظفين, وحجم الضرر على ميزانية الدولة مطالباً الحكومة بالقيام بمشاريع تستند الى تخطيط وتغيير السياسة الحكومة بالصرف, وتساءل الخربيط عن نشاط الحكومة الخدمي في ظل موازنة مالية تبلغ حوالي (٥٦٨) مليون دينار كويتي هل بامكان الحكومة ان تقوم ببناء المدارس والمساجد والمساكن او غيرها من المشاريع في المنطقة الرابعة[٤٣]؟ وانتقد العضو ضعف على الدور الرقابي لديوان المحاسبة, ومجلس الامة على الحكومة الكويتية [٤٤] .

لم ترع الحكومة الكويتية المنطقة الرابعة وذلك من خلال عدم وضع أي خطط عمرانية او خدماتية لتصبح متساوية مع باقي مناطق الكويت, والسبب هو ان المنطقة الرابعة, والى جانبها منطقة الجهراء غالبية سكانها من الفقراء والعمال, ومن هنا يبرز صراع الفقراء مع الحكومة التي تمنحهم قرضاً بسيطة مقارنة مع ذوي الدخل العالي في باقي مناطق الكويت[٤٥], وعضد العضو عبد اللطيف الكاظمي[٤٦] على كلام زميله بشأن ضعف ديوان المحاسبة فقد, وصف تقاريره بانها لاتعدا كونها تقارير بسيطة كتبت بصفة الاستعجال معبراً عن التقارير بـ " **اخذوا القشور وتركوا اللب** " مذكراً رئاسة المجلس ان ديوان المحاسبة ليس وكيل او مساعد وكيل, وان مثل هكذا جهاز يجب ان يكون هيكله الوظيفي متكامل وانه يجب ان يرتبط بمجلس الامة [٤٧], واعرب العضو يوسف المخلد عن بالغ امتعاضه من

قانون الموازنة واصفاً المناقشات داخل المجلس بعديمة الفائدة فهي مجرد توصيات للحكومة, والتي تتعمد بالعمل عكس التوصيات, ونوه عن عدم وجود سياسة مالية واضحة تمض عليها الحكومة في ادارة الصرف[٤٨], وجاءت مداخلة العضو سعد طامي[٤٩] فيها نقد لاذع لوزير المالية والنفط ؛ بسبب كثرة سفره خارج الكويت وعدم استطاعته اتخاذ القرارات المناسبة وضرب مثالاً في مسالة المشاركة مع الشركات النفطية والتي الغيت بقرار صادر من ولي العهد[٥٠], واستغرب العضو عن كيفية ادارة الوزير لازمة ارتفاع الاسعار, وضعف التنسيق مع وزارة التجارة كما تعرض في مناقشته الى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل لتقصيرها في فتح جمعية تعاونية في المنطقة العاشرة[٥١], والتي تساوي ثلث سكان الكويت حسب كلام العضو مما تسبب في ازمة بالمواد الغذائية وعلى وجه الخصوص مادة (الرز) [٥٢] .

يذكر ان الازمة الاقتصادية التي عصفت بالعالم من اوائل عقد الستينات, وامتدت الى عقد السبعينات من القرن الماضي, وتأثرت الكويت مثلها مثل الدول الاخرى, وكانت اجراءات الحكومة ان طلبت من الجمعيات التعاونية دراسة الموقف, واتخاذ الاجراءات اللازمة فكان الاجراء هو استيراد الدقيق وباقي المواد الغذائية بالسعر العالمي, وبيعها بالسعر المدعوم لكافة شرائح المجتمع الكويتي [٥٣] .

وقد حذر العضو احمد الخطيب[٥٤] في مداخلته الحكومة من حال البلاد في حالة نفاذ النفط ووصف الوضع بـ " **الكارثة** " واما الميزانية فقد عبر عنها بأنها تسيير الامور لبعض الوقت, وحث مجلس الامة للوقوف بحزم ضد سياسة الدمار التي تنتهجها الحكومة وخص منهم وزير المالية والنفط وتعرض في حديثه على حال الوزارات والتقصير الواضح في الخدمات الصحية والتعليمية ففي اعتقاده والكلام للعضو ان الميزانية لا يمكن ان تلبي طموح المواطنين ما لم تكن معالجة حقيقية لشتى المجالات [٥٥] .

وكان رد الحكومة متمثلاً بوزير التجارة خالد العدساني[٥٦] على مناقشة العضو سعد طامي في الجلسة المنعقدة في ٢ تموز ١٩٧٣ والدفاع عن اداء وزارته فقد اوضح لمجلس الامة كيفية تعمل وزارة التجارة مع ازمة الرز, وذلك بشراء كمية كافية من الرز من (بيشاور), وارجع سبب النقص في الرز الى الجفاف الذي اصاب العالم, فضلاً عن الاضرابات الامنية في شبه القارة الهندية[٥٧] .

وفي ذات الجلسة تقدم مجموعة من الاعضاء بطلب الى رئاسة المجلس بقفل النقاش حول الموازنة فتمت الموافقة, وطرح قانون الموازنة للتصويت باباً باب فتمت الموافقة عليها. وقدم العضو عبد المطلب الكاظمي مقرر لجنة الشؤون الاقتصادية شكره لرئاسة المجلس ولكل الاعضاء ولمن حضر ممثلاً عن الحكومة [٥٨] .

وكان دخل الكويت من مبيعات النفط في موازنة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ حوالي (٧٦٠) مليون جنيه استرليني أي ما يصل الى حوالي ٨٦% من الدخل الحكومي [٥٩] .

قانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٧٣ بالميزانية العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ بعد تصويت مجلس الامة على مسودة قانون الموازنة صدر في الجريدة الرسمية قانون الموازنة متضمن سبع مواد اهمها الايرادات, والتي بلغت حوالي ٥٦٨,١٠٠,٠٠٠ وبحجم الصرفيات حوالي ٣٣٤,٩٠٠,٠٠٠ اضافة الى جداول مرفقة تبين ابواب الموازنة , كما تم تخصيص مبلغ حوالي ١١٥,٠١٦,٠٠٠ دينار كويتي لمشاريع الانشائية (حل ازمة السكن, وتعبيد الطرق والخدمات الصحية والتعليمية والكهرباء) [٦٠] .

المحور الرابع : قانون موازنة العام ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥

قدمت الحكومة الكويتية في دور الانعقاد العادي الرابع من الفصل التشريعي الثالث, قانون الموازنة الى رئاسة مجلس الامة بايرادات بلغت ٥٨٥,١٠٠,٠٠٠ في حين بلغت المصروفات حوالي ٣٩٤,٠٠٠,٠٠٠ والتي احالته الى لجنة الشؤون المالية والاقتصادية لدراسته وتقديمه للمناقشة [٦١] .

توقعت الحكومة الكويتية ان يدخل خزينتها في العام المالي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ما يصل الى ٤٧,٢٢٥,٠٠٠ مليون جنية استرليني؛ بسبب ارتفاع اسعار النفط فضلاً عن اتفاقية المشاركة[٦٢] التي تعد من أهم منجزات مجلس الامة في فصله التشريعي الثالث[٦٣] .

استئنف النقاش في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٧٤ وجاءت مناقشة العضو ابراهيم الخربيط الذي ذكر المجلس بمطالبته الحكومة بتعديل الاجراءات والتعليمات في الوزارات والهيئات ولكن مطالبته مضت ادراج الرياح باستثناء بعض الاجتهادات الحكومية ولكن على المستوى الفردي وقد انتقد العضو سياسة الصرف, ووصفها بغير

المدروسة, وكذلك انتقد اداء الوزارات, ومنها وزارة الداخلية ـ دائرة المرور ووصف ادارتها بـ " **المزاجية** " وكذلك انتقد اداء وزارة الصحة من ناحية ضعف الخدمات [٦٤].

وقد انتقد العضو عيسى بهمن بعبارات لاذعة بعض الوزارات فقد, وصف عمل وزارة التجارة والصناعة بانها تفتقر للتخطيط, وانتقد وزارة الصحة من حيث المستشفيات, والخدمات الصحية المتدنية, والتي اثرت سلباً على المواطنين الكويتيين الذين صارو يسافرون بمرضاهم للعلاج خارج الكويت, واما وزارة الاشغال فقد اشار بهمن الى تلاعب المقاولين بالمناقصات, مما اثر سلباً على الخدمات المقدمة للمجتمع الكويتي, وتطرق الى سياسة الحكومة تجاه المتلاعبين بالاسعار, ووصف ذلك بالفوضى متهماً الحكومة بالتواطئ مع التجار, وختم العضو مناقشته بالامتناع عن التصويت ان عرض القانون للتصويت[٦٥], وتعرض العضو محمد البراك[٦٦] في مناقشته على السياسة الصرف الخارجية ملقياً باللوم على الحكومة, وعلى مجلس الامة على حدٍ سواء ملفتاً النظر الى الاهمال الواضح من الحكومة للمواطن, منواهاً الى حالة الفقر عند بعض الاسر الكويتية [٦٧] .

وفي الجلسة ذاتها, انتقد العضو عبد الكريم الجحيدلي[٦٨] سياسة الحكومة المالية متسائلاً اين تذهب هذه الاموال؟ و"**البلد خراب**" بحسب وصف العضو, وأشار في مناقشته الى الوضع المزري في مركز العبدلي الحدودي (بين العراق والكويت ويقابله في العراق منفذ صفوان) كما ذكر الجحيدلي مدينة الجهراء (شمال غرب العاصمة الكويت)[٦٩], وما فيها من بيوت من الطين وسط غياب تام للدعم الحكومي واصفاً الكويت بالبلد " **المهدوم** " مذكراً مجلس الامة بالتطور في عواصم البلدان العربية فضلاً عن البلدان الاجنبية[٧٠] .

ووصف العضو احمد النفيسي[٧١] الميزانية بـ " **المصرف** " تفصله الحكومة على هواها معبراً عنها " **رمي الاموال بيد الحكومة** " مبدياً اعتراضه على الميزانية, وانه لن يصوت بالموافقة عليها, وناقش النفيسي امور مختلفة عن مناقشات اقرانه فيها بعد مستقبلي للوضع المالي الكويتي اذ صرح ان دخل الكويت السنوي سوف يبلغ حوالي تسعة الاف مليون دولار وميزانية الدولة حوالي (٦٠٠) مليون دينار كويتي أي حوالي (٢٠٠٠) مليون دولار والمشاريع العربية والتزامات الكويت تجاهها حوالي (١٠٠٠) مليون أي هناك فائض مالي حوالي (٦٠٠٠) الالف مليون دولار مبدياً استغرابه من مناقشة (٣٠٠٠) مليون دولار

وترك (٦٠٠٠) مليون دولار مطالباً الحكومة, وبالتحديد وزارة المالية والنفط, بوضع خطط مستقبلية تستوعب هذه المبالغ وذلك عن طريق تبويبها على النحو القانوني[٧٢].

وفي الجلسة المنعقدة بتاريخ ٦ تموز ١٩٧٤ قفلت المناقشة بطلب من بعض اعضاء مجلس الامة, وطرح مشروع الموازنة للتصويت بايرادات حوالي ٩٥٩,٩٠٠,٠٠٠ والمصروفات قدرت ٣٩٤,٠٠٠,٠٠٠ [٧٣], واحيلت بعض الابواب للتصويت في الجلسة القادمة التي عقدت بتاريخ ٨ تموز ١٩٧٤ اذا استكملت التصويت على باقي ابواب الموازنة[٧٤] .

قانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٧٤ بالميزانية العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ بعد موافقة مجلس الامة على مشروع قانون الموازنة صدر القانون في الجريدة الرسمية الرسمية متضمن سبع مواد وملحقه بجداول ايرادات الدولة, والتي قدرت بحوالي ٩٥٩,٩٠٠,٠٠٠ وكذلك بجداول مصروفات, والتي قدرت بحوالي٣٩٤,٠٠٠,٠٠٠ وتم رصد مبلغ حوالي ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار كويتي للمشاريع الانشائية داخل الكويت ومبلغ حوالي ٥٠٠,٠٠٠ دينار كويتي لدعم الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية [٧٥] .

يمكن عمل احصائية بايرادات ومصروفات دولة الكويت على مدى السنوات مدار البحث وفق الجدول ادناه .

السنوات	الايرادات	المصروفات	الايرادات بعد اقرار قانون الموازنة	المصروفات بعد اقرار قانون الموازنة
١٩٧١-١٩٧٢	٣٥٩,٥٩٠,٠٠٠	٢٦٤,٩٩٠,٠٠٠	٣٥٩,٥٩٠,٠٠٠	٢٦٤,٩٩٠,٠٠٠
١٩٧٢-١٩٧٣	٥٣٦,٢٢٦,٠٠٠	٤١٠,٩٠٣,٤١٨	٥٣٦,٢٢٦,٠٠٠	٣١٠,٥٦٩,٠٩٥
١٩٧٣-١٩٧٤	٥٦٨,١٠٠,٠٠٠	٣٥٢,٢٥٠,٠٠٠	٥٦٨,١٠٠,٠٠٠	٣٣٤,٩٠٠,٠٠٠
١٩٧٤-١٩٧٥	٥٨٥,١٠٠,٠٠٠	٣٩٤,٠٠٠,٠٠٠	٩٥٩,٩٠٠,٠٠٠	٣٩٤,٠٠٠,٠٠٠

الجدول من اعداد الباحث

يتبين لنا مما تقدم بأن الكويت لم تكن تمتلك خطة تنمية منذ الفصل التشريعي الثاني من عمر مجلس الامة الكويتي عام ١٩٦٧, وحتى منتصف سبعينات القرن الماضي اذ ان اغلب المشاريع الكويتية في مجال الطرق, والتعليم, والصحة, والاسكان, والتوسع الصناعي لم

ترى النور؛ والسبب يعود الى ضعف التخطيط فضلاً عن ذلك لم يكن للكويت قانون للانفاق الحكومي ينظم الانفاق على مشاريع خدمية يحتاجها المجتمع الكويتي من جهة ومن جهة اخرى الاموال التي كانت تنفقها الكويت في الخارج من اجل ان يكن لها دوراً على المستولى الاقليمي والدولي, فقد كانت الحكومة تدفع اموالاً للدول التي تحارب اسرائيل, وايضاً كانت للكويت التزامات عربية عبر الصندوق الكويتي الاقتصادي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي[٧٦], ومقره في الكويت والاخير قدم مساعدات للدول العربية (السودان ومصر والاردن والعراق) [٧٧] .

الخاتمة

توصل البحث الى جملة من النتائج ومنها :

١) كان لتقديم الحكومة قوانينها الى مجلس الامة لمناقشتها ثم اقرارها حالة حضارية ديمقراطية انفردت بها دولة الكويت قياساً لدول الخليج العربي .

٢) ان التطور التشريعي بعد نيل الكويت استقلالها يعكس اتجاه الحكومة ومجلس الامة الى بناء دولة متكاملة الاركان

٣) فتحت المناقشات في اروقة مجلس الامة الكويتي لاعضاء المجلس الباب لتوجيه النقد اللاذع للحكومة بسبب تقصيرها عن تقديم الخدمات الاساسية للمجتمع الكويتي.

٤) اختلفت مناقشات اعضاء مجلس الامة تبعاً لخلفياتهم العلمية فنجد ان الاعضاء الذين اتموا دراستهم خارج الكويت وتاثرهم بالتطور يختلفون من ناحية طرح الافكار والمقترحات عن الاعضاء مجلس الامة الذي لم يتموا دراستهم خارج الكويت .

٥) حفزت مناقشات اعضاء مجلس الامة لقوانين الموازنة الحكومة في ايجاد الحلول الناجعة فضلاً عن بعض الحلول التي تمت معالجتها قبل ان يطرحها اعضاء مجلس الامة .

٦) ساهمت المردودات المالية الكويتية في ارتفاع سقف مطالب اعضاء مجلس الامة للحكومة بتقديم المزيد من الخدمات واقامة المشاريع داخل الكويت فضلاً عن حل جذري لمشاكل المجتمع الكويتي واهمها مشكلة السكن .

٧) كان لحضور ممثلين عن السلطة التنفيذية (وزراء الحكومة) اثراء المناقشات والمزيد من وجهات النظر التي تهدف الى سعادة ورفاهية الشعب الكويتي .

٨) كانت المناقشات تقويمية ولم تهدف الى عرقلة اجراءات الحكومة التنظيمية وبالنتيجة ان اقرت كل قوانين الموازنة مع اجراء بعض التعديلات عليها وفقاً لملاحظات بعض اعضاء مجلس الامة التي طرحت اثناء مناقشاتهم .

الهوامش :

(١) شهلاء عبد الرضا عيلان الخفاجي, مجلس الأمة الكويتي دراسة تاريخية في محاضر الفصل التشريعي الثاني١٩٦٧-١٩٧٠, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة البصرة, ٢٠٢١, ص٥٨ .

(٢) الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية : هو من اوائل المؤسسات الانمائية على مستوى العالم الثالث تاسس بموجب قانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٦١ في ١٧ كانون الاول ١٩٦١ يتولى رئاسته رئيس الوزراء الكويتي والذي فوض وزير النفط والمالية تسيير اعمال الصندوق كانت اهم اعماله مساعدة الدول النامية للتفصيل ينظر : دار الكتب والوثائق , الوحدة الوثائقية, العهد الجمهوري , شعبة وكالة الانباء العراقية, قسم المعلومات, رقم الملف (٥٩٠) , نفط الكويت , رقم الوثيقة (٢١) , ١٢ شباط ١٩٨٥ ؛ ماجد الديحاني , الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ودوره كسفير للكويت للتنمية في العالم الثالث , دار البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠٠٤ , ص٣ .

(٣) الكويت الاقتصادية (مجلة), الكويت, العدد ١, السنة الاولى, ربيع ١٩٩٦, ص٦ .

(٤) عبد الرحمن سالم العتيقي : ولد عام ١٩٢٨ بالكويت تلقى تعليمه في مدارس الكويت القديمة (المباركية و الاحمدية) تسنم عدة مناصب مهمة لاسيما في مجال النفط منها المشرف على تنقيب النفط بين الاعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ ثم عمل في سلك الشرطة عام ١٩٥٩ ومن المناصب المهمة التي شغلها سفيراً في الولايات المتحدة الامريكية ووكيل وزارة الخارجية ثم وزير النفط والمالية بين الاعوام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٥ توفي عام ٢٠٢٠ . ينظر : القبس (جريدة) , الكويت , العدد ٥٢٩٨, ١٢ حزيران ٢٠٢٠, ص٥ .

(٥) محضر الجلسة الثانية, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد العادي الاول, ٢٠ شباط ١٩٧١, ص ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٦) غنام الجمهور : ولد عام ١٩٣١ بالكويت وتعلم في مدرسة المباركية والاحمدية في الكويت بدأ مشواره السياسي بالترشيح للانتخابات البرلمانية عن الدائرة الرابعة (الشامية) وقد فاز في الدور

التكميلي في انتخابت الفصل التشريعي الثاني عام ١٩٦٣ ورشح للانتخابات عن نفس الدائرة فاز في انتخابات الفصل التشريعي الثالث عام ١٩٧١ وايضا فاز في انتخابت عام ١٩٩٢ و انتخابات عام ١٩٩٦ كانت اغلب طروحاته داخل مجلس الامة ضد توجهات الحكومة أي انه يحسب على المعارضة البرلمانية توفي عام ٢٠٢٢ . ينظر : وسام الشاعر, سبب وفاة غنام الجمهور النائب السابق في الكويت, الجريدة (جريدة) , الكويت, العدد ٣٤٦٢, ٢٨ تشرين الثاني ٢٠٢٢, ص٥ .

(٧) نص الدستور الكويتي في الباب الثاني : المقومات الأساسية للمجتمع الكويتي فقد تناول مبادئ العدالة والمساواة بين افراد المجتمع . للتفاصيل ينظر : دولة الكويت , دستور دولة الكويت ــ المجلس التأسيسي, مطبعة حكومة الكويت, (د.ت) ؛ محضر الجلسة الثانية, المصدر السابق, ٢٠ شباط ١٩٧١, ص ٣٣٠

(٨) مبارك الحساوي : ولد عام ١٩٢٥ بحي القبلة بالكويت تلقى تعليمه في مدارس الكويت (المباركية والاحمدية) انتخب كعضو في المجلس التأسيسي عام (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) عقب نيل الكويت استقلالها وانهاء الحماية البريطانية ثم فاز في انتخابات عام ١٩٦٧ وانتخابات عام ١٩٧١ ويعد من كبار تجار الكويت عمل في غرفة تجارة الكويت عام ١٩٨٩ توفي عام ٢٠٠٥ . ينظر : باسم عبد العزيز اللوغاتي, الروضة تاريخ وشخصيات, مطابع الخط, الكويت, ٢٠١٠, ص١٨٤ .

(٩) محضر الجلسة الثالثة عشر (د), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الاول, ١٢ حزيران ١٩٧١, ص ص ١١٣ ـ ١١٤ .

(١٠) ابراهيم الخربيط : ولد عام ١٩١٣ تلقى تعليمه على يد الكتاتيب دخل مجال السياسة مرشحاً للانتخابات عن الدائرة الاولى (الشرق) فاز في انتخابات (١٩٦٣ ـ ١٩٦٧) , (١٩٦٧ ـ ١٩٧١) , (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) , (١٩٧٥ ـ ١٩٨١) , توفي في ٥ تموز ٢٠٠٣ . ينظر : موسوعة الكشاف على البوابة الالكترونية www.kachaf.com .

(١١) محضر الجلسة الثالثة عشر (د), المصدر السابق, ١٢ حزيران ١٩٧١, ص١٢٠ .

(١٢) سالم المرزوق : نائب كويتي سابق رشح للانتخابات عن الدائرة الثانية (القبلة) فاز في انتخابات الفصل التشريعي الثالث (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) وايضا فاز في انتخابات الفصل التشريعي الرابع (١٩٧٥ ـ ١٩٨١) ينتمي للتيار الليبرالي وهو اول من قدم استجواب وزير النفط والمالية ايد طرح الثقة عنه . ينظر : عبد الله نجيب الملا, الموسوعة الدستورية, ج١, مطبعة ذات السلاسل, الكويت , ٢٠١٨ , ص٧٨ . ((ولم يتسن للباحث معرفة تاريخ ولادته ووفاته))

(١٣) محضر الجلسة الثالثة عشر (د), المصدر السابق, ١٢ حزيران ١٩٧١, ص١٢٥ .

(١٤) جاسم المرزوق : ولد عام ١٩٣٣ بالكويت بدأ تعليمة في مدرسة احمد الخميس وبعدها التحق في مدرسة المباركية ثم الاحمدية ثم اكمل دراسته في القاهرة عمل في المجلس البلدي في الكويت

عام ١٩٦١ ثم مدير الشؤون الادارية عام ١٩٦٣ ثم مدير للبلدية عام ١٩٦٤ ثم وزير العدل وايضا التربية بين الاعوام ١٩٧١ ـ ١٩٨١ ورئيس لجامعة الكويت ١٩٧١ ـ ١٩٧٨ ثم وزير التجارة والصناعة ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ توفي في ١٥ نيسان ٢٠٢٠ . ينظر : الانباء (جريدة) , الكويت , العدد ١٦١٤٥ , ١٦ نيسان ٢٠٢٠ .

(١٥) محضر الجلسة الثالثة عشر (د), المصدر السابق, ١٢ حزيران ١٩٧١, ص١٢٨ .

(١٦) موسى المتروك, صناعة المعادن في الخليج العربي, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ١٩٩٠, ص١١٨.

(١٧) الطليعة (مجلة), الكويت, العدد ٤٩٣, ٢٨ آيلول ١٩٧٤.

(١٨) دولة الكويت, وزارة التربية, تاريخ التعليم في دولة الكويت (دراسة وثائقية), المجلد الرابع, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠٠٢, ص٤٦ .

(١٩) محمد الحسيني عبد العزيز, حضارة الكويت ودول الخليج العربي, دار السلاسل, الكويت, ١٩٧٥, ص١٢٢.

(٢٠) زين الدين عبد المقصود غنيمي واخرون, مسيرة التنمية البيئية بالكويت, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠٠٨, ص٥٦ .

(٢١) عيسى بهمن : ولد عام ١٩٣١ وهو من اصول ايرانية وبالتحديد من مدينة اشكنان وقد سكنوا الكويت منذ القدم وامتهنوا الاعمال البحرية (صيد اللؤلؤ والسمك) اتجه للعمل السياسي رشح للانتخابات عن الدائرة الاولى (الشرق) فاز في انتخابات ١٩٦٧ و ١٩٧١ و ١٩٧٥ توفي عام ٢٠٠٣ . ينظر : الطليعة (مجلة), الكويت, العدد ٥١٠ , ١ شباط ١٩٧٥ ؛ موقع مدار على البوابة الالكترونية www.K.likco.cc/detait/9523/kut (٢٢) ديوان المحاسبة : وهو جهة رقابية على مصروفات الحكومة ويعبر عنه بـ (عين الشعب) ويصدر بقانون وتتم مناقشته في اروقة مجلس الامة وعادة ما يضفي عليه اعضاء المجلس ملاحظاتهم ومعلومات عليه وايضا يشمل الحقائق المالية التي وقعت خلال السنة وهي على جانبين : الحساب الختامي للايرادات والحساب الختامي للمصروفات . ينظر : عبد الرضا علي اسيري, النظام السياسي في الكويت مبادى ..وممارسات، مطابع الوطن، الطبعة التاسعة، الكويت، ٢٠٠٧, ص٧٦.

(٢٣) محضر الجلسة الثالثة عشر(هـ), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الاول, ١٥جزيران ١٩٧١, ص ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢٤) عبد المطلب الكاظمي : ولد عام ١٩٣٦ بالكويت درس في المدرسة المباركية ومدرسة الروضة واكمل دراسته الجامعية في القاهرة عمل في وزارة الاشغال العامة عام ١٩٦١ ثم في وزارة النفط والمالية ١٩٦٧ وهو اول وزير للنفط بعد ان انفصلت عن المالية عام ١٩٧٥ الى عام ١٩٧٨

خاض الانتخابات وفاز في انتخابات الفصل التشريعي الثالث (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) , (١٩٧٥ ـ ١٩٨١) اختطف مع وزراء منظمة اوبك في فينا عام ١٩٧٥ من قبل مجموعة (كالوس الثعلب) وافرج عنهم بعد ذلك توفي في ١٨ أيلول ٢٠١٢. ينظر: الوطن (جريدة) , البحرين, العدد٩٣٦٦٨ , ١٨أيلول ٢٠٢١؛ الشرق الاوسط (جريدة), بريطانيا, العدد١٥٦٣٦, ١٩أيلول ٢٠٢١ .

(٢٥) محضر الجلسة الثالثة عشر(هـ), المصدر السابق, ١٥جزيران ١٩٧١, ص ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢٦) الاعضاء : (حسن حيات , خالد مشاري الروضان , علي الغانم , احمد سيد عابد الموسوي , ابراهيم الخريبط و ناصر العصيمي) . المصدر نفسه, ص ص ٨١ ـ ٨٣ .

(٢٧) الكويت اليوم (جريدة), الكويت , العدد ٨٣٤, السنة السابعة عشر, ٢٢ حزيران ١٩٧١, ص ص ٣ ـ ٥ .

(٢٨) للاطلاع على مخصصات الوزارات وابواب الصرف . ينظر : محضر الجلسة الحادية والعشرين (أ), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد العادي الثاني, ٢٠ حزيران ١٩٧٢, ص ص ٢١٨ ـ ٢٣٠ .

(٢٩) خالد المسعود : ولد عام ١٩٢٩ في الكويت تلقى تعليمه في الكويت واصبح مدرساً في المدارس الكويتية (١٩٤٨ ـ ١٩٥٦) وله دوراً بارزاً في انشاء التلفزيون الكويتي عام ١٩٦٠ وفي عام ١٩٦٤ تسنم وزارة الكهرباء ثم وزير للتربية حتى عام ١٩٦٧ فاز في انتخابات تلك السنة مرشحاً عن الدائرة الخامسة (كيفان) له بصمات واضحة في انشاء جامعة الكويت عندما كان وزيراً للتربية توفي في ١٧ شباط ١٩٩٢ . ينظر : عبده الدسوقي, شخصيات رحلوا في فبراير, الخليج (مجلة), الكويت, العدد ٦٣٠, ٨ شباط ٢٠٢٠ .

(٣٠) محضر الجلسة الحادية والعشرين (أ), المصدر السابق, ٢٠ حزيران ١٩٧٢, ص ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣١) عبد الله النيباري : ولد عام ١٩٣٦ بالكويت وتعلم في المدارس الكويتية (المباركية و الاحمدية) واكمل دراسته الجامعية في الجامعة الامريكية في مصر وحصل على شهادة الدبلوم العالي من جامعة اكسفورد عام ١٩٦٣عمل في القطاع النفطي الكويتي بين الاعوام١٩٦٦ـ١٩٦٨فاز في انتخابات عام (١٩٧١ـ ١٩٧٥),(١٩٧٥ـ١٩٨١),(١٩٩٢ـ ١٩٩٦) توفي عام٢٠٢٢. ينظر: الجريدة (جريدة), الكويت, العدد٥٢٢٢ , ٢٠٢٢ .

(٢٣) محضر الجلسة الحادية والعشرين (أ), المصدر السابق, ٢٠ حزيران ١٩٧٢, ص ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٣٣) فلاح الحجرف : ولد عام ١٩٢٢ في الكويت في محافظة الجهراء تلقى تعليمه في مدرسة (المنصور البناق) عمل موظفاً في وزارة الاشغال العامة عام ١٩٥٠ رشح للانتخابات عن الدائرة الثالثة (الشيوخ) فاز في انتخابات (١٩٦٣ ـ ١٩٦٧) , (١٩٦٧ ـ ١٩٧١),(١٩٧١ـ١٩٧٥), (١٩٧٥ ـ١٩٨١) , (١٩٨١ـ ١٩٨٥) , (١٩٨٦ ـ ١٩٩٢) , توفي عام ٢٠١٥ . ينظر : الانباء (جريدة) , الكويت, العدد ١٤١٩٥, ٢٥ آب ٢٠١٥ .

(٣٤) محضر الجلسة الحادية والعشرين (أ), المصدر السابق, ٢٠ حزيران ١٩٧٢, ص ٢٦٢.

(٣٥) جاسم اسماعيل : ولد عام ١٩٣٨ بالكويت تلقى تعليمه في مدارس الكويت وحصل على شهادة الماجستير من معهد الاتصال الدولي في المملكة المتحدة خاض غمار الانتخابات مرشحاً عن الدائرة الخامسة (كيفان) فاز في انتخابات الفصل التشريعي الثالث عام ١٩٧١ وفي عام ١٩٧٦ عمل مستشاراً في وزارة الخارجية ثم سفيراً لبلاده في بنغلادش عام ١٩٨٣ توفي في ١١ شباط ٢٠٢٣ . ينظر : موقع مجلس الامة على البوابة الالكترونية www.kna.kw/News.net/kut/8k00 .

(٣٦) محضر الجلسة الحادية والعشرين (أ), المصدر السابق, ٢٠ حزيران ١٩٧٢, ص ٢٦٨.

(٣٧) يوسف المخلد : ولد عام ١٩٢٣ في حي الشرق بالكويت تلقى تعليمه في مدارس الكويت (المباركية والاحمدية) عمل في التجارة البحرية ثم اتجه الى العمل السياسي فاز في انتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٦١ ثم خاض غمار الانتخابات البرلمانية اذ فاز في انتخابات (١٩٦٣ ـ ١٩٦٧) , (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) , (١٩٨٥ ـ ١٩٩٢) تولى منصب نائب رئيس مجلس الامة في الفصل التشريعي الثالث عام ١٩٧١ توفي عام ٢٠١٥ . ينظر : الجريدة, العدد ٥١٦١, ٢٠١٧, ص٤ .

(٣٨) محضر الجلسة الحادية والعشرين (ب), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثاني, ٢١ حزيران ١٩٧٢, ص ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٣٩) المصدر نفسه, ص ٣٤ .

(٤٠) محضر الجلسة الحادية والعشرين (د), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثاني, ٢٦ حزيران ١٩٧٢, ص ص ٦٣ ـ ١٠٤ .

(٤١) الكويت اليوم, العدد ٨٨٨, السنة الثامنة عشر, ١٥ تموز ١٩٧٢ , ص ص ١٠ ـ ١٣ .

(٤٢) محضر الجلسة التاسعة (ج), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٦ شباط ١٩٧٣, ص ٨٨ .

(٤٣) المنطقة الرابعة : تضم مناطق (الشامية, الروضة, الفروانية, جليب الشيوخ والعضيلية) وقد فاز اعضاء مجلس الامة ممثلين عن المنطقة (يوسف خالد المخلد, محمد حمد البراك, عبد الكريم

هلال الجحيدلي, عباس حبيب ناور المسيلم وغنام الجمهور) . ينظر : باسم عبد العزيز اللوغاتي, الروضة تاريخ وشخصيات, مطابع الخط, الكويت, ٢٠١٠, ص٧٩.

(٤٤) محضر الجلسة السابعة والعشرين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٢٥ حزيران ١٩٧٣, ص ص ١٤ ـ ١٥ .

(٤٥) الطليعة (مجلة), الكويت, العدد ٥٤٦, ١٩٧٥/١١/١٨ .

(٤٦) عبد اللطيف الكاظمي : ولد عام ١٩٢٧ في قرية فريح بالكويت وكان تعليمه في مدارسها (المباركية والاحمدية) ثم اكمل دراسته في العراق في جامعة البصرة عمل في مجال التجارة عام ١٩٤٣ ثم في مجال النفط عام ١٩٤٦ له اسهامات في تأسيس الخطوط الجوية الكويتية عام ١٩٥٩ ثم خاض غمار الانتخابات اذ فاز في انتخابات الفصل التشريعي الثاني ١٩٦٧ والفصل التشريعي الثالث ١٩٧١ توفي في اذار ٢٠١٣ . ينظر : النهار (جريدة) , الكويت, العدد ٢٤٩٣, ٢٠١٥ .

(٤٧) محضر الجلسة السابعة والعشرين, المصدر السابق, ٢٥ حزيران ١٩٧٣, ص ٢١ .

(٤٨) المصدر نفسه, ص٣٨ .

(٤٩) سعد طامي : ولد عام ١٩٣٦ في الكويت تلقى تعليمه في المدرسة المباركية والاحمدية اتجه للعمل السياسي بترشيحه للانتخابات عن الدائرة العاشرة (الاحمدي) اذ فاز في انتخابات عام ١٩٦٧ و ١٩٧١ و١٩٧٥ وفي انتخابات عام ١٩٨١ فاز فيها مرشحاً عن دائرة (٢٣) الصباحية وفي انتخابات ١٩٨٥ و١٩٩٦ فاز فيها مرشحاً عن الدائرة (٢٢) الرقة من ابرز نشاطاته في اروقة مجلس الامة كان من المؤيدين لطرح الثقة عن وزير المالية والنفط الكويتي وقد انضم الى الحركة الدستورية في الدورة الانتخابية عام ١٩٧١ والدورة الانتخابية عام ١٩٨٥ ومن نشاطاته ايضاً طالب بسحب الثقة عن العضو سلمان الدعيج وفي الدورة الانتخابية عام ١٩٩٩ كان من المؤيدين لتجنيس البدون ومن اشد المعارضين لمنح المرأة حقوقها السياسية . ينظر : موقع المجلس على البوابة الالكترونية www.almjls.com ؛ www.kuwaitpoliitics.org .

(٥٠) نتيجة لرفض معظم اعضاء مجلس الامة لاسيما القوميين منهم صدر مرسوم اميري في ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣ تضمن سحب مشروع قانون الاتفاقية من مجلس الامة . للتفاصيل ينظر : محضر الجلسة الثانية عشر (ب), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٦ آذار ١٩٧٣, ص ص ٦٥ ـ ٦٧ .

(٥١) المنطقة العاشرة : وتضم مناطق (الجابرية والرميثية والسالمية وهي تابعة الى حولي اكبر محافظات الكويت) وقد فاز اعضاء مجلس الامة ممثلين عن المنطقة (سعد طامي, عبد الله

العجمي, خالد عجران, مسعود سعد الهملان وسلطان سليمان سلطان) . ينظر : صلاح محمد عيسى الغزالي, الحياة الديمقراطية في الكويت, الاتحاد الوطني لطلبة الكويت, الكويت, ١٩٨٥, ص ص ٧١ ـ ٧٨ .

(٥٢) محضر الجلسة الثامنة والعشرين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٣٠ حزيران ١٩٧٣, ص ص ١٠ ـ ١١ .

(٥٣) عبد الله غلوم الصالح, الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح الحاكم ... الوالد ... الانسان, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ١٩٧٨, ص٢٨٠ .

(٥٤) احمد الخطيب : ولد عام ١٩٢٧ بمنطقة الدهلة بالكويت وتعلم بمدارس الكويت الاحمدية والقبلية ثم سافر الى لبنان فدرس الطب في جامعة بيروت وتخرج منها عام ١٩٥٢ عمل في القطاع الصحي في الكويت ثم خاض الانتخابات بعد ان نالت الكويت استقلالها عام ١٩٦١ فانتخب نائب رئيس المجلس التأسيسي كان ممثلا للتيار القومي داخل مجلس الامة فاز في انتخابات عام ١٩٦٣ و ١٩٦٧ و ١٩٧١ اعتزل العمل السياسي عام ١٩٩٢ وتفرغ للعمل في مجال الطب توفي في ٦ آذار ٢٠٢٢ . ينظر : رافد عبد الرضا عيلان الخفاجي, الكويت وقضايا الخليج العربي والجزيرة العربية ١٩٥٠ ـ ١٩٧١, اطروحة دكتوراه (غير منشورة) , كلية التربية , جامعة البصرة, ٢٠٠٩, ص٣٩ .

(٥٥) محضر الجلسة الثامنة والعشرين, المصدر السابق, ٣٠ حزيران ١٩٧٣, ص ص ١٥ ـ ١٦ .

(٥٦) خالد العدساني : ولد عام ١٩١١ بالكويت تلقى تعليمه في المدرسة المباركية ثم سافر للعراق للدراسة في كلية الامام الاعظم وبعد رجوعه للكويت عمل مدرساً في المدرسة المباركية عمل في السلك الدبلوماسي فعين سفيراً لدولته في الاردن عام ١٩٦١ وايضا سفيراً في مصر ولبنان وليبيا عام ١٩٦٣ ثم سفيراً في ايطاليا عام ١٩٦٩ ثم تسنم وزارة الصناعة والتجارة بين الاعوام ١٩٧١ و ١٩٧٥ توفي عام ١٩٨٢ . ينظر : يوسف شهاب, من قديم الكويت, الكويت, ١٩٩٧, ص٧٦.

(٥٧) محضر الجلسة التاسعة والعشرين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٢تموز١٩٧٣, ص١٠ .

(٥٨) الاعضاء : (سليمان الذويخ , علي المواشي , علي الفضالة , محمد البراك و عبد اللطيف الكاظمي) للاطلاع على ابواب الموازنة ينظر : المصدر نفسه, ص ص ٤٨ ـ ١٢٨ .

(٥٩) القبس (جريدة), الكويت , الكويت في الوثائق البريطانية, ج٢, الكويت, ٢٠١٧, ص١٢٩ .

(٦٠) الكويت اليوم, العدد ٩٣٩ , السنة التاسعة عشر, ١٢ تموز ١٩٧٣, ص ص ١٢ ـ ١٥ .

(٦١) محضر الجلسة الخامسة والثلاثين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ١٩ حزيران ١٩٧٤, ص٦٩ .

(٦٢) اتفاقية المشاركة : وهي اتفاقية بين الحكومة الكويتية وشركات النفط الاجنبية العاملة في الكويت وقد تملكت الكويت بموجبها على ما ما نسبته ٦٠ % من موجودات وحقوق والمراكب البحرية التابعة للشركات الاجنبية فضلاً عن ارباح مبيعات النفط وصدر قانون رقم (٩) عام ١٩٧٤ بعد مناقشات محتدمة داخل اروقة مجلس الامة فقد كانت مطالبات اعضاء المجلس لا سيما الكتلة القومية في المجلس بالتأميم الكامل ورغم نسبة ٦٠% لم تكن طموح بعض اعضاء مجلس الامة الا ان الدخل القومي للكويت زاد بشكل ملحوظ أبان تنفيذ الاتفاقية . ينظر : محمد محمود الطناحي, النفط وعلاقات الكويت السياسية بدول الجوار ١٩١١ ــ ١٩٩١, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠١١, ص١١٨ .

(٦٣) القبس, الكويت في الوثائق البريطانية, المصدر السابق, ص١٢٩ .

(٦٤) محضر الجلسة الثلاثين(و), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٢٥ حزيران ١٩٧٤, ص١٤٣ .

(٦٥) محضر الجلسة السابعة والثلاثين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٢٦ حزيران ١٩٧٤, ص ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٦٦) محمد البراك : ولد عام ١٩٣٠ بالكويت وتعلم في مدرسة المباركية ثم الاحمدية اتجه للعمل السياسي ورشح للانتخابات عن الدائرة الرابعة (الشامية) فاز في انتخابات الفصل التشريعي الثاني عام ١٩٦٧ والفصل التشريعي الثالث عام ١٩٧١ والفصل التشريعي الخامس ١٩٨١ توفي في ١٩ أيلول ٢٠٠٠ . ينظر : موقع معرفة على البوابة الالكترونية www.marefa.org.

(٦٧) محضر الجلسة الاربعون, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٣ تموز ١٩٧٤, ص٤ .

(٦٨) عبد الكريم الجحيدلي : ولد عام ١٩٣١ بالكويت تلقى تعليمه في المدرسة المباركية والاحمدية خاض غمار العمل السياسي فرشح للانتخابات عن الدائرة الرابعة (الشامية) فاز في انتخابات عام (١٩٦٧ ـ ١٩٧١) , (١٩٧١ ــ ١٩٧٥) , (١٩٨١ ــ ١٩٨٥) توفي عام ٢٠٠٥ . ينظر : شبكة بحوث وتقارير على البوابة الالكترونية www.nrme.net .

(٦٩) ضمت مدينة الجهراء بيوت من الطين سكنها الالف الاسر الذين صنفوا بأنهم كويتيين من درجة اقل (بدون) فلم يحصلوا على الجنسية الا انهم كويتيون (قول وفعل) لا يقلون عن الكويتيين الاصليين عطاء وفداء وانتماء لارض الكويت. ينظر : سليمان الفهد, شاهد على الزمان, مكتبة مدبولي, القاهرة, ١٩٩١ , ص٩٨ .

(٧٠) محضر الجلسة الاربعون, المصدر السابق, ٣ تموز ١٩٧٤, ص٢١ .

(٧١) احمد النفيسي : ولد عام ١٩٤٥ بالكويت تعلم في مدارس الكويت دخل مجال السياسة فاز في انتخابات ١٩٧١ مرشحاً عن الدائرة الثامنة (حولي) شغل منصب رئيس تحرير مجلة الطليعة (الناطقة بأسم التيار القومي الكويتي) عمل استاذ في جامعة الكويت وفي دولة الامارات العربية المتحدة . ينظر : عبد الله نجيب الملا, المصدر السابق, ص١٢٢ .

(٧٢) محضر الجلسة الاربعون, المصدر السابق, ٣ تموز ١٩٧٤, ص ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٧٣) قدم الاعضاء : (حسن جوهر, خالد الروضان, بدر المضف, عبد الكريم الجحيدلي و جمعان الحرثي) . ينظر : محضر الجلسة الحادي والاربعين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٦ تموز ١٩٧٤, ص٧٠ .

(٧٤) محضر الجلسة الثانية والاربعين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٨ تموز ١٩٧٤, ص ص ٦ ـ ١٠ .

(٧٥) للاطلاع على ابواب الموازنة من مصروفات ومخصصات الوزارات ينظر : الكويت اليوم, العدد ٩٩٠, السنة العشرون, ص ص ١٤ ـ ١٧ .

(٧٦) الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي : تأسس عام ١٩٧٢ بموجب اتفاق المجلس الاقتصادي العربي التابع للجامعة العربية وقد ضم دول (الاردن , السودان , العراق , السعودية , تونس , الجزائر, سوريا , ليبيا , اليمن , الكويت, لبنان , المغرب , امارة ابو ظبي , امارة قطر و امارة البحرين) ومهمته دعم المشاريع الانمائية في البلدان العربية الفقيرة وبلغ راس ماله مائه مليون دينار كويتي ويكون مقره الكويت . ينظر : عبد الله يعقوب بشارة واخرون, الشيخ صباح الاحمد الجابرالصباح امير الكويت قائداً للعمل الانساني, مؤسسة عبد العزيز سعود الثقافية, الكويت, ٢٠١٥, ص٤٥

(٧٧) القبس, الكويت في الوثائق البريطانية, المصدر السابق, ص١٢٨ .

المصادر

اولاً : الوثائق غير منشورة

١) محضر الجلسة الثانية, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد العادي الاول, ٢٠ شباط ١٩٧١ .

٢) محضر الجلسة الثالثة عشر (د), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الاول, ١٢ حزيران ١٩٧١.

٣) محضر الجلسة الثالثة عشر(هـ), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الاول, ١٥جزيران ١٩٧١ .

٤) محضر الجلسة الحادية والعشرين (أ), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد العادي الثاني, ٢٠ حزيران ١٩٧٢.

٥) محضر الجلسة الحادية والعشرين (ب), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثاني, ٢١ حزيران ١٩٧٢.

٦) محضر الجلسة الحادية والعشرين (د), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثاني, ٢٦ حزيران ١٩٧٢.

٧) محضر الجلسة التاسعة (ج), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٦ شباط ١٩٧٣.

٨) محضر الجلسة السابعة والعشرين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٢٥ حزيران ١٩٧٣.

٩) محضر الجلسة الثانية عشر (ب), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٦ آذار ١٩٧٣.

١٠) محضر الجلسة الثامنة والعشرين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٣٠ حزيران ١٩٧٣ .

١١) محضر الجلسة التاسعة والعشرين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الثالث, ٢ تموز ١٩٧٣.

١٢) محضر الجلسة الخامسة والثلاثين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ١٩ حزيران ١٩٧٤ .

١٣) محضر الجلسة الثلاثين (و), الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٢٦ حزيران ١٩٧٤.

١٤) محضر الجلسة السابعة والثلاثين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٢٦ حزيران ١٩٧٤.

١٥) محضر الجلسة الاربعون, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٣ تموز ١٩٧٤.

١٦) محضر الجلسة الحادي والاربعين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٦ تموز ١٩٧٤.

١٧) محضر الجلسة الثانية والاربعين, الفصل التشريعي الثالث, دور الانعقاد الرابع, ٨ تموز ١٩٧٤.

١٨) دار الكتب والوثائق , الوحدة الوثائقية, العهد الجمهوري , شعبة وكالة الانباء العراقية, قسم المعلومات, رقم الملف (٥٩٠) , نفط الكويت , رقم الوثيقة (٢١) , ١٢ شباط ١٩٨٥

ثانياً : الوثائق المنشورة

١) دولة الكويت , دستور دولة الكويت ــ المجلس التأسيسي, مطبعة حكومة الكويت, (د.ت)

٢) دولة الكويت, وزارة التربية, تاريخ التعليم في دولة الكويت (دراسة وثائقية), المجلد الرابع, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠٠٢.

ثالثاً : الرسائل والاطاريح الجامعية

١) شهلاء عبد الرضا عيلان الخفاجي, مجلس الأمة الكويتي دراسة تاريخية في محاضر الفصل التشريعي الثاني١٩٦٧-١٩٧٠, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة البصرة, ٢٠٢١.

٢) رافد عبد الرضا عيلان الخفاجي, الكويت وقضايا الخليج العربي والجزيرة العربية ١٩٥٠ ـ ١٩٧١, اطروحة دكتوراه (غير منشورة) , كلية التربية , جامعة البصرة, ٢٠٠٩.

رابعاً : الكتب العربية

١) باسم عبد العزيز اللوغاتي, الروضة تاريخ وشخصيات, مطابع الخط, الكويت, ٢٠١٠.
٢) زين الدين عبد المقصود غنيمي واخرون, مسيرة التنمية البيئية بالكويت, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠٠٨.
٣) سليمان الفهد, شاهد على الزمان, مكتبة مدبولي, القاهرة, ١٩٩١.
٤) صلاح محمد عيسى الغزالي, الحياة الديمقراطية في الكويت, الاتحاد الوطني لطلبة الكويت, الكويت, ١٩٨٥.
٥) عبد الرضا علي اسيري, النظام السياسي في الكويت مبادى ..وممارسات، مطابع الوطن، الطبعة التاسعة، الكويت، ٢٠٠٧.
٦) عبد الله غلوم الصالح, الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح الحاكم ... الوالد ... الانسان, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ١٩٧٨.
٧) عبد الله نجيب الملا, الموسوعة الدستورية, ج١, مطبعة ذات السلاسل, الكويت , ٢٠١٨.
٨) عبد الله يعقوب بشارة واخرون, الشيخ صباح الاحمد الجابرالصباح امير الكويت قائداً للعمل الانساني, مؤسسة عبد العزيز سعود الثقافية, الكويت, ٢٠١٥.
٩) ماجد الديحاني , الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ودوره كسفير للكويت للتنمية في العالم الثالث , دار البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠٠٤.
١٠) محمد الحسيني عبد العزيز, حضارة الكويت ودول الخليج العربي, دار السلاسل, الكويت, ١٩٧٥.
١١) محمد محمود الطناحي, النفط وعلاقات الكويت السياسية بدول الجوار ١٩١١ ـ ١٩٩١, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ٢٠١١.

١٢) موسى المتروك, صناعة المعادن في الخليج العربي, مركز البحوث والدراسات الكويتية, الكويت, ١٩٩٠.

١٣) يوسف شهاب, من قديم الكويت, الكويت, ١٩٩٧.

خامساً : المقالات المنشورة

١) عبده الدسوقي, شخصيات رحلوا في فبراير, الخليج (مجلة), الكويت, العدد ٦٣٠, ٨ شباط ٢٠٢٠ .

٢) وسام الشاعر, سبب وفاة غنام الجمهور النائب السابق في الكويت, الجريدة (جريدة) , الكويت, العدد ٣٤٦٢, ٢٨ تشرين الثاني ٢٠٢٢.

سادساً : الجرائد والمجلات

- **المجلات**

١) الطليعة (مجلة), الكويت, العدد ٤٩٣, ٢٨ آيلول ١٩٧٤.

٢) ــــــــــــــــ, العدد ٥١٠ , ١ شباط ١٩٧٥

٣) ــــــــــــــــ, العدد ٥٤٦, ١٩٧٥/١١/١٨ .

٤) الكويت الاقتصادية (مجلة), الكويت, العدد ١, السنة الاولى, ربيع ١٩٩٦.

- **الجرائد**

١) الجريدة (جريدة) , الكويت, العدد ٥٢٢٢ , ٢٠٢٢ .

٢) ــــــــــــــــ, العدد ٥١٦١, ٢٠١٧, ص٤ .

٣) الشرق الاوسط (جريدة) , بريطانيا , العدد ١٥٦٣٦ , ١٩ أيلول ٢٠٢١ .

٤) القبس (جريدة) , الكويت , العدد ٥٢٩٨, ١٢ حزيران ٢٠٢٠.

٥) ــــــــــــــــ, الكويت في الوثائق البريطانية, ج٢, الكويت, ٢٠١٧, ص١٢٩ .

٦) الكويت اليوم (جريدة), الكويت , العدد ٨٣٤, السنة السابعة عشر, ٢٢ حزيران ١٩٧١.

٧) ــــــــــــــــ, العدد ٨٨٨, السنة الثامنة عشر, ١٥ تموز ١٩٧٢.

٨) ــــــــــــــــ, العدد ٩٣٩ , السنة التاسعة عشر, ١٢ تموز ١٩٧٣.

٩) ــــــــــــــــ, العدد ٩٩٠, السنة العشرون.

١٠) الانباء (جريدة) , الكويت, العدد ١٤١٩٥, ٢٥ آب ٢٠١٥ .

١١) ـــــــــــــــــــــ, العدد ١٦١٤٥ , ١٦ نيسان ٢٠٢٠ .
١٢) النهار (جريدة) , الكويت, العدد ٢٤٩٣, ٢٠١٥ .
١٣) الوطن (جريدة) , البحرين, العدد ٩٣٦٦٨ , ١٨ أيلول ٢٠٢١ .

سابعاً : المواقع الالكترونية على الشبكة الدولية

١) شبكة بحوث وتقارير على البوابة الالكترونية www.nrme.net .
٢) موسوعة الكشاف على البوابة الالكترونية www.kachaf.com .
٣) موقع مدار على البوابة الالكترونية www.K.likco.cc/detait/9523/kut .
٤) موقع مجلس الامة على البوابة الالكترونية www.kna.kw/News.net/kut/8k00 .
٥) موقع المجلس على البوابة الالكترونية www.almjls.com ؛
www.kuwaitpoliitics.org .
٦) موقع معرفة على البوابة الالكترونية www.marefa.org .

منشورات مجلة النفط والتنمية لتنظيم شؤون نقل النفط العراقي (١٩٧٥-١٩٩٠)

سجى طاهر أحمد

Sajoaltaee3@gmail.com

أ.د.علياء محمد حسين

aliaa_m@yahoo.com

جامعة بغداد – كلية التربية أبن الرشد

للعلوم الانسانية

منشورات مجلة النفط والتنمية لتنظيم شؤون نقل النفط العراقي (١٩٧٥-١٩٩٠)

سجى طاهر أحمد

أ.د.علياء محمد حسين

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل منشورات مجلة النفط والتنمية المتعلقة بتنظيم شؤون نقل النفط العراقي خلال المدة (١٩٧٥-١٩٩٠) ، بما يشمل إنشاء الأسطول الوطني ومشاريع الأنابيب الاستراتيجية ، ويبين أثر العوامل السياسية والاقتصادية في هذا القطاع ، كما يوضح أثر الحرب الخليج الأولى على البنية التحتية النفطية ، ومدى فاعلية الاستراتيجيات التي اعتمدها العراق لمواجهة التحديات وضمان استمرار صادراته النفطية.

الكلمات المفتاحية(مجلة النفط والتنمية ، نقل النفط العراقي)

Abstract:

This study aims to examine and analyze the publications of Oil and Development magazine related to the regulation of Iraqi oil transportation affairs during the period (1975–1990). It covers the establishment of the national fleet and strategic pipeline projects, and highlights the impact of political and economic factors on this sector. The study also clarifies the effects of the First Gulf War on oil infrastructure and assesses the effectiveness of the strategies adopted by Iraq to confront challenges and ensure the continuity of its oil exports.

المقدمة:

يُعدّ النفط من أهم الموارد الاقتصادية التي اعتمد عليها العراق خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، وكان لتنظيم شؤون نقله دور أساس في دعم الاقتصاد الوطني وضمان استمرارية تصديره إلى الأسواق العالمية ، وقد شهدت المدة (١٩٧٥-١٩٩٠) تطورات ملحوظة في منظومة نقل النفط العراقي ، تمثلت بتوسيع شبكات الأنابيب، وإنشاء الأسطول

الوطني لناقلات النفط ، وتطوير الموانئ النفطية، فضلاً عن تنويع منافذ التصدير شمالاً وجنوباً، وجاءت هذه التطورات في ظل ظروف سياسية واقتصادية معقدة، ولا سيما خلال الحرب الخليج الأولى ، التي أثّرت بشكل مباشر على البنية التحتية النفطية ومسارات التصدير، و تُعدّ مجلة النفط والتنمية مصدراً مهماً لتوثيق هذه المرحلة، لما تضمنته من دراسات ومقالات تناولت سياسات نقل النفط والمشاريع الاستراتيجية المرتبطة به ، وقسم البحث الى المحاور الاتية:

اولا- مقدمات انشاء الاسطول العراقي :

أولت هيئة تحرر مجلة النفط والتنمية اهتماماً لنقل النفط العراقي لا يقل اهمية عن استثمار النفط كما موضح من منشوراتها فقد ذكر الباحث سامي احمد [١] بأن عملية توزيع المنتجات النفطية كانت من نشاطات المؤسسة العامة لتوزيع المنتوجات النفطية والغاز التابعة لوزارة النفط[٢] إذ أنشئت هذه المؤسسة في الواحد من تموز عام ١٩٥٩، باسم مصلحة توزيع المنتجات النفطية ، إذ كانت شركة نفط خانقين الاجنبية تتولى مهام تسويق وتوزيع المنتجات النفطية في العراق ، وفي عام ١٩٦٩ قررت الحكومة دمج مصلحة توزيع الغاز وتوزيع النفط[٣]، وبين الباحث قاسم احمد العباس في مقالته(المنشأة العامة لناقلات النفط العراقية في عيدها الخامس) [٤] أَن العراق بدأ تفكيره بإنشاء اسطول لناقلات النفط الخام منذ قيامه باستثمار النفط استثمارا مباشرا ووجدت الجهات المعنية أَنَّهُ من اللازم القيام ببناء اسطول عراقي لنقل النفط الخام ، وتأسست شركة ناقلات النفط ؛ بسبب الاحتكارات الامبريالية على معظم الاساطيل في نقل النفط امتلاكا واستئجارا، فضلا عن تلافي العراقيل التي تضعها الشركات امام نقل النفط بعد استثماره فقامت شركة النفط الوطنية بالتعاقد مع احد المؤسسات الاسبانية لبناء سبع ناقلات متوسطة الحمولة حتى قبل أن تأسس المنشأة العامة للناقلات النفط منذ الاستثمار الوطني المباشر لحقل الرميلة الشمالي وبدأت الوزارة بتوفير الناقلات كحلقة مترابطة من سياستها التأميمية ، وبعد أن تدفق النفط في السابع من نيسان عام ١٩٧٢ ، كانت الناقلة راسية في ميناء الفاو لاستقبال الشحنات الاولى ونقلها وفي الحادي عشر من نيسان عام ١٩٧٢ انشأت الحكومة العراقية شركة ناقلات النفط[٥]، تابعة لشركة النفط الوطنية ، وكان مركزها في الفاو وافتتحت مكتباً لها في بغداد[٦] ولاسيَّما

بعد التأميم فقد برزت عوامل تدعو لدراسة قضايا نقل وتسويق النفط [٧] ومن ثم اخذت الناقلات تصل من اسبانيا ومن اليابان ومن السويد واخذ الاسطول العراقي بالنمو وبلغ عدد الناقلات ثلاث عشرة ناقلة ، وأخذت شركة النفط الوطنية وشركة ناقلات النفط تعطيان اهتماما فائقا لتوفير وخلق ملاك عراقي بحري [٨] ، وارسلت عشرات الطلبة للتدريب في الخارج وساهمت بالاكاديمية العربية البحرية وأصبح لديها عدد من الطلبة في كلية البحرية في البصرة ، وهي ايضا عضو في الشركة البحرية لنقل البترول ، وساهمت في تشريع القانون البحري العراقي[٩]، وتعاقدت المنشأة العامة للناقلات العراقية على بناء الناقلة العمورية مع المؤسسة السويدية ، وبوشر ببنائها في تشرين الاول عام ١٩٧٦، وتصل حمولتها (١,٥ مليون طن)[١٠].

ذكر الباحث سامي محمود حلمي [١١] بأن المؤسسة العامة للمشاريع النفطية بعد اقرار القانون رقم (١٠١) لعام ١٩٧٦، تألفت من المنشأة العامة لتوزيع المنتجات النفطية والغاز بالمناطق الوسطى التي يبلغ عدد وحدتها التوزيعية (١٣٣) وحدة موزعة على محافظات بغداد وصلاح الدين وديالى والانبار، أما المنطقة الشمالية فيبلغ عدد وحدتها (٥٩) وحدة موزعة على محافظات نينوى ودهوك وأربيل وكركوك والسليمانية ، أما المنطقة الجنوبية فيبلغ عدد وحدتها التوزيعية (٥٣) وحدة موزعة على محافظات البصرة وميسان وذي قار ، أما توزيع المنتجات النفطية والغاز في الفرات الاوسط فموزعة على بابل والقادسية ، المثنى ، النجف ، كربلاء ، فضلا عن سيارات حوضية وخدمية خاصة لنقل بضائع[١٢].

حرصت هيئة التحرير على ضرورة متابعة نشر الموضوعات ذات الصلة بمشاريع نقل النفط الخام العراقي وذكرت بأن الحكومة العراقية قد باشرت بتنفيذ مشروع انبوب المنتجات النفطية الكوت – الناصرية [١٣]، و ذكر الخبير النفطي عصام عبد الرحيم الجلبي[١٤] الذي كان رئيس المؤسسة آنذاك جزءاً من سياسة الحكومة هو وصول النفط إلى جميع أنحاء البلاد عبر أنابيب نقل المنتجات النفطية وقد بدأت أجهزة المؤسسة العامة للمشاريع النفطية في تنفيذ المشروع ، بتكلفة (٥ ملايين دينار)، وبلغت طاقته (٨٠٠,٠٠٠ طن سنويا) وطوله(١٨٠ كم) [١٥]، وهو من أكبر المشاريع المنفذة من ملاك المؤسسة بأسلوب التنفيذ

المباشر[١٦]، فضلا عن ذلك افتتحت المؤسسة في الكاظمية محطة تعبئة أوتوماتيكية (التأميم) واحدة من خمس محطات ضخمة تم إنجازها في بغداد ووضعت خططا لإنجاز حوالي(٤٠) محطة تعبئة حديثة في انحاء العراق[١٧].

كذلك أشرفت على العديد من المشاريع النفطية في مناطق مختلفة من البلد[١٨]، قامت أيضا المؤسسة العامة للمشاريع النفطية على تنفيذ عدد من المشاريع لنقل النفط الى جميع اجزاء البلد ، منها الخط الستراتيجي خلال عام ١٩٧٥[١٩]، ثم تسهيل عملية نقله من مصادر انتاجه الى موانئ البحر المتوسط عبر تركيا والى الخليج العربي ، عن طريق شبكة من الأنابيب [٢٠].

ثانيا- ميناء البصرة: بعد أَن حققت الحكومة الاستثمار الوطني المباشر في جنوب العراق، رأت من الضروري العمل على توفير مستلزمات من اجل زيادة الصادرات النفطية في انتاج الجنوب ، لذلك باشرت ببناء ميناء البصرة في الحادي والعشرين من ايلول عام ١٩٧٣، في الخليج العربي ليكون قادرا على استقبال الناقلات الكبيرة ، وقد اكملت المرحلة الاولى منه في السابع عشر من تموز ١٩٧٥، وقد بلغت طاقة المرحلة الاولى(٥٠ مليون طن سنويا) والمرحلة الثانية (٨٠ مليون طن سنويا) والمرحلة الثالثة (١٢٠ مليون طن سنويا)، ويتكون من جزئين جزء بري شارك في انجازه حوالي (٣٧٠٠) مهندس فني وعامل عراقي تكلفته (٥٥ مليون دينار) ، أما الجزء البحري فبلغت تكلفته (١٠١ مليون دينار) وعمل فيه (١٧٠٠) مهندس وفني [٢١].

ويقع الميناء عند مدخل الخليج العربي على بعد(٥٠ كم) من ميناء الفاو ، ويرتبط هذا الميناء بالفاو بواسطة انبوبين بحرين[٢٢] قطر كل منهما (٤٨ أنجا) [٢٣]، ويبلغ طول الميناء كيلو متر واحد [٢٤] ويستطيع استقبال أربع ناقلات وشحنها في آن واحد[٢٥]، لامتلاكه أربعة أرصفة يمكنها استيعاب ناقلات النفط الضخمة جداً[٢٦]، تصل حمولتها لحد (٣٥٠ الف طن) ، ويمتلك القدرة على ضخ النفط إلى جميع مرافقه الأربعة في نفس الوقت، كما يمكنه ضخه إلى مرفأ واحد أو اثنين حسب متطلبات السوق وقد تم تصميم الميناء لغرض تسهيل عمليات التصدير[٢٧]، وتوقفت منظومة التصدير الجنوبية على اثر حرب الخليج الاولى [٢٨] عن العمل مما عرض المنشأة والأنابيب البحرية الى التآكل[٢٩].

ثالثا- الخط الستراتيجي: وقعت شركة النفط الوطنية عقد تنفيذ هذا المشروع مع مجموعة من الشركات الايطالية في التاسع عشر من تشرين الاول عام ١٩٧٣، و قامت الشركة العامة للاستثمارات وتخطيط المشاريع النفطية بالإشراف على إنجاز هذا المشروع وخصصت(٦٠) مهندسا من العراقيين لهذا الغرض[٣٠]، وتم التعاقد مع مجموعتين من الشركات اليابانية و الفرنسية لتجهيز الانابيب الرئيسية، وتنفذ الاتفاقيات لجنة فنية للأشراف على التنفيذ بكل مراحله، وقد أنجز المشروع خلال (٢٢) شهرا ، وأفتتح في شهر تموز عام ١٩٧٥، وبلغت الكلفة الكلية حوالي (١٣٠ مليون دينار)[٣١].

ويتمتع بالضغط على الجهتين المتعاكستين أي بإمكانها نقل المنتجات من البصرة الى بغداد ومن بغداد للبصرة ، ويستطيع ان ينقل اربع منتجات نفطية مختلفة بآن واحد [٣٢] ، يبلغ طوله (٥٤٥ كم) ونصب على طول الخط اربع محطات ضخ موزعة على طوله ويبلغ قطره من الداخل (٢٥ سم) ، أما قطره الخارجي فيبلغ (١٠انجات) ويستغرق نقل المنتجات النفطية بين الشعيبة والدورة او بالعكس من ثلاثة الى ثمانية ايام [٣٣]، تكون الخط الستراتيجي من أنبوبي متوازيين أحدهما لنقل النفط الخام بقطر (٤٢ بورصة) والاخر بقطر (١٨ بورصة)[٣٤]، وتبلغ طاقته القصوى في حالة الضغط باتجاه الجنوب حوالي (٤٨مليون طن) وباتجاه الشمال حوالي (٤٤ مليون طن) ، كان لانحدار الارض من الشمال الى الجنوب اثر في هذا الاختلاف[٣٥] ، يمكن ان ينقل نفطه جنوب العراق الى حديثة لينقل عبر سوريا ولبنان الى البحر المتوسط او نقل نفط شمال العراق من حديثة الى الفاو تحت البحر ، ثم الى ميناء العميق وسط خليج العربي ، وقد ربط حقول ميسان والبزر كان وابو غراب ، بموجبه أصبح للعراق منافذ متعددة لنقل نفطه [٣٦].

وضحت هيئة تحرير المجلة ما ذكره وزير النفط تايه عبد الكريم [٣٧] بأن إنجاز هذا الخط وفر للعراق إمكانية تصدير نفطه باتجاهين، شمالا عن طريق البحر المتوسط وجنوبا عن طريق الخليج العربي بحسب متطلبات السياسة النفطية الوطنية[٣٨]، يمتلك هذا الخط أهمية كبيرة لكونه يعد من الخطوط المهمة في العالم من حيث حجمه وطاقته وطوله وتكتيكه[٣٩].

رابعا- الخط العراقي التركي: اوضحت هيئة التحرير[٤٠] بأن الحكومة العراقية كانت لها مبررات لقيام هذه المشاريع ، فقد بيَّنت بأن النفط في شمال العراق التي تنتجه حقول كركوك

وجمبور وباي حسن وغيرها هي لا تمتلك سوى منفذ عبر سوريا ولبنان، كذلك نفط الجنوب في العراق الذي اخذ يزداد انتاجا وأهمية إذ ليس لديه الا منفذ واحد على الخليج العربي ، وأَن اي توقف في منافذ التصدير في الشمال او في الجنوب سوف يلحق اضرارا كبيرة بالنفط العراقي وأَن الاقتصاد العراقي في هذه المدة يعتمد بشكل كبير على ايرادات النفط ؛ لذلك بيَّنت الحكومة ضرورة قيام شبكة من الانابيب التصديرية المتكاملة لتتمكن من تصدير النفط عبر اتجاهات ومنافذ متعددة ، ولهذا فقد أقامت منفذاً جديداً لنقل النفط العراقي إلى البحر المتوسط عبر تركيا [٤١] وبعد محادثات واسعة ما بين الجانبين العراقي والتركي حول أهمية إقامة هذا المشروع وفي تشرين الثاني من عام ١٩٧٤ ، وقع الجانبان العراقي والتركي بداية تنفيذ هذا المشروع [٤٢] وتمت النقاشات حول عمليات التخطيط بالتنسيق ما بين الجانبين ويتكون هذا المشروع من قسمين متكاملين القسم الاول في العراق ملكيتة للعراق والقسم الثاني ملكيته لتركيا ، وكل واحد منهما يقوم بتشغيل القسم التابع له ويبلغ طوله من طريق العراق(٣٤٥ كم) يمتد من موقعه في محافظة (التأميم) كركوك حتى نهاية الحدود العراقية من جهة تركيا وقد بني القسم العراقي باستخدام المعدات والاجهزة تحت اشراف المؤسسة العامة للمشاريع النفطية[٤٣] ، أما ما يخص القسم التركي[٤٤]في الانبوب فيمتد من الاراضي التركية [٤٥]الى ميناء تحميل بمسافة (٦٦٠ كم)[٤٦] فضلا عن ثلاث محطات ضخ وقياس وخزانات للاستقبال ، وميناء خاص لتحميل الناقلات التي تنقل النفط لتصدير [٤٧] طاقته في بداية بلغت (٢٥ طن سنويا) ثم ارتفعت طاقته الى (٣٥ مليون طن سنويا) [٤٨]، فقامت تركيا بشراء كميات محدودة من النفط العراقي لسد احتياجاتها ، بينما كانت تتلقى عائدات مرور النفط عبر اراضيها وميناءها ، وكان لهذا الخط فائدة لكلا الجانبين لاسيما في تطوير العلاقات[٤٩] .

ذكر الباحث رياض شابا في بحثه (الخط العراقي التركي لنقل النفط الخام)[٥٠] بأن للخط أبعاداً سياسيه فضلا عن ابعاده الاقتصادية وأنه فتح صفحة جديدة من العلاقات مع تركيا ، وقد بين عصام الجلبي ان هذا المشروع يعد احد اكبر المشاريع الناقلة للنفط الخام في العالم ، وأن تحقيقه يعد إنجازاً تاريخيا كبيرا نتيجة لطبيعة الارض التي يمر بها إذ اكسبته ميزة خاصة ؛ لأن المناطق التي اخترقها معظمها جبال وعرة ومنحدرات عديدة،

كذلك بين بالنسبة للجزء الواقع في الاراضي العراقية قد اختارت ثلاثة مواقع لاتمام عملية ايصال الانابيب ببعضها هي (الرياض وعين ربس والوائلية) تم اختيارها لظروف تمثلت بقربها من الطريق العام وملائمة للظروف الجغرافية وان طول كل انبوب منها بلغ (١٢ مترا) يتم ربطها عن طريق عملية تسمى باللحام المزدوج(أي ربط كل انبوبين معا)[٥١].

وحرصت الوزارة على عدم اعطاء المعلومات الكافية ، لذلك لم تتوصل المجلة الى كل المعلومات، لذا ينبغي توضيح ان العراق أكمل إنشاء الخط في ايلول عام ١٩٧٦،أما تركيا فقد أنجزته في كانون الاول عام ١٩٧٦ مع الابقاء على بعض الامور الجزئية لافتتاح الخط [٥٢]، وتم افتتاحه في كانون الثاني عام١٩٧٧[٥٣].

إذ كان الافتتاح على أرض التأميم [٥٤]، وألقى وزير النفط العراقي قاسم أحمد تقي العريبي[٥٥] كلمة في حفل الافتتاح أشاد فيها بالأجواء الايجابية التي سادت المباحثات بين الجانبين وقال إنها كانت فرصة يتبادل فيها الطرفان وجهات النظر بما يخدم المصالح المشتركة للبلدين ، وتحقيق الرفاه والقوة والتقدم الاقتصادي لشعبينا الصديقين [٥٦].

في ضوء ذلك تمكن العراق من فتح منفذ جديد على البحر المتوسط بعد أن أغلقت سوريا خط كركوك بانياس طرابلس نتيجة الخلاف المتعلق بأجور ترانزيت والسعر، فكان الموقف السوري قد دفع العراق ليبحث عن منفذ جديد لزيادة صادراته[٥٧],لا سيما عندما بدأت الحرب الخليج الاولى فقد دمر الأسطول العراقي ، لذلك توجه العراق الى التوسع في خط الانابيب العراقي التركي ، لأنه المنفذ الوحيد لزيادة صادراته ، نتيجة لآثاره الايجابية في اقتصاد البلدين ، وزيادة وارداتهما عملت الحكومتان العراقية والتركية على توسيع الخط ، بهدف المساعدة في التصدي لفقدان الإنتاج عبر سوريا [٥٨]، بعد الزيارات المتبادلة التي كانت لها الاثر في اقامة علاقات متطورة[٥٩] ، لذا تم توسع الخط كركوك جيهان على مرحلتين ، الاولى كانت عام ١٩٨٤ بطاقة(١,١ م / ب) ، والمرحلة الثانية عام ١٩٨٧ بطاقة(١,٦٠٠ م/ ب) ؛ لأنه كان المنفذ الوحيد لتصدير النفط العراقي الى الدول المستهلكة منذ عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٨[٦٠] ، واستمر هذا الأنبوب بالتشغيل حتى السادس من شهر آب عام ١٩٩٠، بعد قرار مجلس الأمن بفرض الحصار على العراق [٦١].

فضلا عن ذلك ذكرت هيئة تحرير المجلة أن الحكومة العراقية عملت على إنجاز خط الأنابيب العراقي–السعودي لتعويضه عن صادراته التي توقفت من سوريا، فوصل الخط الى ميناء ينبع على البحر الاحمر[٦٢]، وانجز على مرحلتين قطره (٤٨ بورصة) ، طوله (٦١٥ كم) منها (١٥٠كم) في الاراضي العراقية والبقيه في الاراضي السعودية ، إضافة الى ثلاثة محطات ضخ الاولى في الزبير والثانية بالقرب من الحدود السعودية والثالثة داخل الاراضي السعودية، وبدأ تشغيله في نهاية ايلول عام ١٩٨٧، وسعت طاقته التصديرية حوالي (١,٦ م ب / ي)، واغلق في عام ١٩٩٠[٦٣]

الخاتمة:

بينت دراسة منشورات مجلة النفط والتنمية الاهتمام الذي أولته الحكومة العراقية لمنظومة نقل النفط بوصفها ركناً أساسياً في دعم الاقتصاد الوطني وضمان استمرارية الصادرات النفطية ، فقد أوضحت المجلة من خلال ما نشرته من دراسات وتقارير ، عن توجه حكومي واضح لبناء بنية تحتية متكاملة لنقل النفط الخام والمنتجات النفطية.

وأوضحت الدراسة أن عقد السبعينيات مثّل مرحلة توسع وتخطيط استراتيجي، اتسمت بتنويع منافذ التصدير وتقليل الاعتماد على مسار واحد، من خلال تنفيذ مشاريع منها الخط الستراتيجي وخط كركوك–جيهان، فضلاً عن مشروع ميناء البصرة ، أما عقد الثمانينيات، فقد تعرضت المنشآت النفطية والموانئ لأضرار كبيرة ، بفعل الحرب الخليج الاولى الأمر الذي دفع العراق إلى تبني سياسات بديلة، أبرزها التوسع في خطوط الأنابيب ولاسيما الخط العراقي–التركي، ثم الخط العراقي–السعودي، وأسهمت هذه التوجهات في الحفاظ على مستوى معين من الصادرات النفطية وضمان تدفق الإيرادات.

الهوامش:

(١) سامي احمد ، توزيع المنتجات النفطية في القطر العراقي ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، أيار ١٩٧٧، ص١٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) بتول علي حبيب ، دراسة وتقييم أسس تأجير الناقلات في شركة ناقلات النفط العراقية ، بحث دبلوم عالي (غير منشور)، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨، ص٣٢.

(٤) قاسم أحمد العباس ، المنشأة العامة لناقلات النفط العراقية في عيدها الخامس ، العدد السابع ، السنة الثانية ، نيسان ١٩٧٧، ص١٤٧.

(٥) وفقاً للقانون رقم(٢٠) لسنة نفسها الذي صدر عن الحكومة العراقية ، وبعد صدور قانون تنظيم وزارة النفط القانون رقم (١٠١) لعام ١٩٧٦، أضحت الشركة تعرف بالمنشأة العامة لناقلات النفط العراقية وارتبطت بشركة النفط الوطنية . للمزيد ينظر: جريدة (الوقائع) العراقية، العدد ٢١٢٦، بتاريخ ٢٢نيسان ١٩٧٢، ص٣؛ وكالة الانباء العراقية ، الاقتصاد ، العدد الخامس عشر ، بتأريخ ١٤ نيسان ١٩٨٠، ص١٧.

(٦) قاسم أحمد العباس ، المنشأة العامة لناقلات النفط العراقية في عيدها الخامس ، ص١٤٧ ؛ هيئة التحرير، في ذكرى المنشأة لناقلات العراقية ، العدد السابع ، السنة الثالثة ، نيسان١٩٧٨، ص١٨٧؛ لقاء صحفي مع الدكتور عصام عبد الرحيم الجلبي ، الجزء الاول ، أطلعت عليه الباحثة بتاريخ الاول من حزيران ٢٠٢٤، https://youtu.be/YYyhWCMcv58?si=z10kkyhd_vaXYnfa.

(٧) صالح مهدي الهاشم ، مساهمة جادة في استكمال حلقات الصناعة النفطية ، العدد السابع ، السنة الخامسة ، نيسان١٩٨٠، ص١١٩-١٢٢.

(٨) سامي أحمد ، وصول الناقلة العراقية الجديدة حطين ، العدد الاول، السنة الثالثة ، تشرين الاول ١٩٧٧، ص١١٦.

(٩) قاسم أحمد العباس ، المنشأة العامة لناقلات النفط العراقية في عيدها الخامس ، ص١٤٩.

(١٠) هيئة التحرير، تعويم الناقلة عمورية ، العدد السادس ، السنة الثانية ، آذار ١٩٧٧، ص ١٦٦.

(١١) سامي محمود حلمي ، القطاع النفطي في العراق نمو متصاعد لخلق صناعة نفطية وطنية متطورة ، العدد العاشر، السنة الثالثة ، تموز ١٩٧٨، ص١٥٦.

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) هيئة التحرير ، المباشرة بتنفيذ مشروع أنبوب المنتجات النفطية الكوت الناصرية ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الثاني ١٩٧٨، ص ١٨٤.

(١٤) ولد في بغداد عام ١٩٤٢ ، وتخرج من ثانويه الاعظمية للبنين في بغداد وحصل على بعثه من وزاره النفط لدراسة الهندسة الميكانيكية وأكمل دراسته عام ١٩٦٥ ، من جامعه لندن وعمل أستاذاً في كليه الهندسة في جامعه البصرة ثم التحق للعمل في وزاره النفط عام ١٩٦٧، ثم استقال من وظيفته وعاد اليها في عام ١٩٧٠ ، وتولى إدارة عدد من المناصب و المشاريع في الوزارة ، وفي عام ١٩٨٧، عين وزيرا للنفط وفي عام ١٩٩٠ تم اعفاؤه من المنصب وانتهت علاقته بالعمل

الحكومي واضحى استشاري في شؤون الطاقة بشكل عام وشؤون النفط والغاز في الشرق الاوسط بشكل خاص حتى توفي في الثامن من شباط عام ٢٠٢٥. للمزيد ينظر: عصام الجلبي ، 50 عاما في عالم النفط سيرة وذكريات ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ٢٠١٩ ، ص ٥٣٩-٦٤١.

(١٥)هيئة التحرير ، خط جديد للمنتجات النفطية ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الثاني ١٩٧٨، ص ١٨٥.

(١٦) سامي محمود حلمي، القطاع النفطي في العراق خلال عام ١٩٧٩، العدد الرابع ، السنة الخامسة ، كانون الثاني، ١٩٨٠، ص ١٢٢.

(١٧) هيئة التحرير ، افتتاح محطة تعبئة أوتوماتيكية ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، كانون الاول١٩٧٧، ص ١٨٤.

(١٨) أذ أنفق العراق خلال عقد واحد من عام ١٩٧٧ -١٩٨٧(٣ مليار دولار) على مشاريع البنى التحتية النفطية أدت هذه الى زيادة الانتاج . للمزيد ينظر: الحكومة العراقية ، وزارة النفط ، مؤتمر تطوير التصاميم في الصناعة النفطية٨-١٠ كانون الاول ١٩٧٩ ، المؤسسة العامة للمشاريع النفطية ، دار الصياد ، بغداد ، ص١٧؛ كمال ديب ، زلزال في أرض الشقاق العراق ١٩١٥-٢٠١٥، ط١، دار الفارابي ، بيروت ،٢٠٠٣، ص١٤١-١٤٢.

(١٩) الحكومة العراقية وزارة النفط ، مؤتمر تطوير التصاميم في الصناعة النفطية ٨ -١٠ كانون الاول ١٩٧٩ ، ص١٧.

(٢٠) مجلة النفط والعالم ، العدد واحد والاربعون ، شباط ١٩٧٧، ص٢١.

(٢١) هيئة التحرير ، العراق مشاريع نفطية كبرى ، العدد الاول، السنه الاولى ، تشرين الاول ١٩٧٥، ص٩٢.

(٢٢) خطاب صكار العاني ونوري خليل البرازي ، جغرافية العراق ، بغداد ، ١٩٧٩، ص٢٨٠.

(٢٣) هيئة التحرير ، طاقة تحميل النفط الخام في مينائي البكر والعميق، العدد الثامن، السنة الاولى ، أيار ١٩٧٦، ص١٤٧.

(٢٤) خطاب صكار العاني ونوري خليل البرازي، المصدر السابق ، ص٢٨٠.

(٢٥) هيئة التحرير ، طاقة تحميل النفط الخام في مينائي البكر والعميق، العدد الثامن، السنة الاولى، أيار١٩٧٦ ، ص١٤٧.

(26) JAREER ELASS AND AMY MYERS JAFFE , IRAQI OIL POTENTIAL AND IMPLICATIONS FOR GLOBAL OIL MARKTS AND OPEC

POLITICS , JAMES.BAKER III INSTITUTE FOR PUBLIC POLICY RICE UNIVERSITY , 2011 , p.19.

(٢٧) الحكومة العراقية ، وزاره النفط ، ميناء البكر الخط الستراتيجي مشروعان عملاقان في مسيرتها النفطية ، مطبعه ناجي ، بغداد ، د. ت ، ص١٤.

(٢٨) وهي حرب بدأت في الثاني والعشرين من أيلول عام ١٩٨٠ ، استمر حتى الثامن من أب عام ١٩٨٨ ، بين العراق وإيران، اهم اسباب حدوثها الخلافات الحدودية ، أدت إلى خسائر بشرية واقتصادية هائلة للطرفين. للمزيد ينظر: الحكومة العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام ، الحرب العراقية الايرانية يوميات ووقائع واحداث ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٧؛ نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي ، الحرب العراقية – الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ مذكرات مقاتل ، ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، بيروت ،٢٠١٤.

(٢٩) سامر عباس الغضبان ، منظومات تصدير النفط العراقي ، ص١٠، أطلعت الباحثة عليه بتاريخ الاول من تموز ٢٠٢٤،

http://iraqieconomists.net/ar/%D8%AB%D .

(٣٠) هيئة التحرير ، العراق مشاريع نفطية كبرى ، ص٩٢-٩٣.

(٣١) المصدر نفسه ، تشغيل مشروع الخط الستراتيجي حديثة – فاو، العدد الخامس، السنة الاولى ، شباط ١٩٧٦ ، ص١٣٠.

(٣٢) المصدر نفسه ، افتتاح اكبر خط لنقل المنتجات النفطية ، العدد السادس ، السنة الثانية ، آذار ١٩٧٧، ص١٦٥.

(٣٣) جاسم الياسري ، خط أنابيب المنتجات النفطية الستراتيجي العراقي ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، ايار ١٩٧٧، ص١٣٢.

(٣٤) امل تولي الكناني ، الاتجاهات الجغرافية لصادرات النفط العراقية دراسة في الجيوبولتيك ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٦، ص ٩٥.

(٣٥) عبد المنعم عبد الوهاب وأخرون ، جغرافية النفط والطاقة ، دار الكتب ، جامعة واسط ،١٩٨١، ص٢٠٣.

(٣٦) سامي أحمد ، ذكرى افتتاح الخط الستراتيجي ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، كانون الاول ١٩٧٧، ص١٢٥-١٢٦.

(٣٧) ولد في عانة عام ١٩٢٣، أكمل دراسته الثانوية فيها ، ثم أنتقل الى بغداد و التحق بدار المعلمين عام ١٩٥٠، عمل بعدها معلماً حتى عام ١٩٥٤، ثم التحق بكلية الآداب قسم اللغة الانكليزية

وتخرج فيها عام ١٩٥٩، تقلد عددا من المناصب منها نائباً لمحافظ البصرة عام ١٩٦٣ وكيلا لوزارة التربية عام ١٩٧٠، وعين في الحادي عشر من تشرين الثاني عام١٩٧٤ وزيراً للنفط الى عام ١٩٨٢، توفي عام ٢٠١٨ في عمان. للمزيد ينظر: حسن لطيف الزبيدي ، الموسوعة السياسية العراقية (مفاهيم احداث احزاب شخصيات) ، ط٢، مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٣، ص١٢٦.

(٣٨) هيئة التحرير، الخط الستراتيجي على مبارزة هامه في تاريخ الصناعة النفط ، العدد الخامس ، السنة الاولى ، شباط ١٩٧٦، ص٧؛ الحكومة العراقية ، وزاره النفط ، ميناء البكر الخط الستراتيجي مشروعان عملاقان في مسيرتها النفطية ، ص٧.

(٣٩) محمد ازهر السماك واخرون ، العراق دراسة اقليمية ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٨٥، ص٢٤١.

(٤٠) هيئة التحرير ، افتتاح خط أنابيب العراق التركي ، العدد التاسع ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٧٧ ، ص١٤٤.

(٤١) المصدر نفسه ، ص١٤٤-١٤٥.

(٤٢) سبق توقيع هذا الاتفاق محادثات أدت الى توقيع اتفاقية في السابع والعشرون من أب عام ١٩٧٣ بعد أن توصل الطرفان الى عقدها وقعها عن الجانب العراقي وزير الخارجية مرتضى سعيد عبد الباقي وعن الجانب تركي وزير الخارجية اوميدها لك باي جون في مبنى وزارة الخارجية التركية في العاصمة أنقره وضمنت الاتفاقية (٢٤) مادة أتفق عليها الجانبان، تكون مدتها (٢٠) عاما، وتجدد كل خمس سنوات بشكل تلقائي وفي حال مطالبة أحد الجانبين بفسخ الاتفاقية يجب ابلاغ الطرف الاخر خطيا بمذكرة انهاء قبل سنة واحدة من التجديد. للمزيد ينظر: T. C. B. C. A, Belge No 30-18-1-2-554-469-6, Bakanlar kurulu kararı, Nisan 1986, S.1 عمار حبيب سمين ، خط انابيب كركوك- جيهان (١٩٧٧-٢٠٠٣) واثره ؛ على انتعاش الحياة الاقتصادية في تركيا ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية الادآب ، جامعة كركوك ،٢٠٢٣، ص٦٠.

(٤٣) تمكنت شركة ايلين الايطالية في السادس والعشرون من تشرين الثاني في عام ١٩٧٤ من توقيع الاتفاقية مع شركة الوطنية لانجاز هذا المشروع على أن يكون عمل هذه الشركة في الامور الاستشارية والادارية ، وعقدت عقد التجهيز الانابيب في الخامس والعشرون من تشرين الثاني عام ١٩٧٤مع مؤسسة مانسمان الالمانية ومجموعة شركات يابانية. للمزيد ينظر: الحكومة العراقية ، شركة النفط الوطنية ، الاستعراض السنوي ١٩٧٤، مطبعة السندباد ، بغداد ، ص٣٥؛ جريدة الثورة ، العدد ٣١٢٧، بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٤ ، ص٣.

(٤٤) قامت شركة بوتاش التركية بأشراف على تنفيذ جزء الواقع في الاراضي التركية. للمزيد ينظر: مجلة النفط والعالم، العدد واحد والاربعون ، ١٩٧٧، ص٢٦-٢٧.

(٤٥) عراك تركي حمادي الفهداوي ، نهر دجلة والفرات واثرهما في جيوبوليتيك العلاقات العربية-التركية ، مجلة الاستاذ، العدد السادس عشر ، الجزء الاول، ١٩٩٩، ص٦٠٧.

(٤٦) هيئة التحرير ، انبوب النفط العراقي التركي ، العدد الرابع ، السنه الثالثة ، شباط ١٩٧٧، ص١٦٦.

(٤٧) المصدر نفسه ، افتتاح خط أنابيب العراق التركي ، ص١٤٤- ١٤٥ .

(٤٨) جعفر منصور سعد، مستقبل سوق ناقلات النفط ١٩٧٦-١٩٧٨، اصدارات مجلة النفط والتنمية ، دار الثورة للطباعة والنشر، مطبعة الاديب ، بغداد، ، ١٩٧٧، ص٩٤.

(٤٩)هيئة التحرير ، افتتاح خط أنابيب العراق التركي ، ص١٤٤- ١٤٥ .

(٥٠) رياض شابا، الخط العراقي التركي لنقل النفط الخام ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٧٦، ص١٣٦.

(٥١) ذكر الباحث كل الامور الفنية بالتفصيل بما فيها امور كيف يتم الضغط اضافه الى كيف يتم معرفه الخلل فيها وبين الباحث بان المهندسين والكواكب العراقية دورا في ذلك من خلال اللقاءات التي تم اجراها معهم الباحث . للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ١٣٨-١٤٠.

(٥٢) عمار حبيب سمين ، المصدر السابق، ص٦٦-٦٨.

(٥٣) فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر ، ترجمة: مصطفى نعمان أحمد ، الجزء الثاني، ط١، دار مصر للطباعة ، مصر،٢٠٠٩، ص ٨٧.

(٥٤) مجلة النفط والعالم ، العدد واحد والاربعون ، شباط ١٩٧٧، ص٢٥.

(٥٥) ولد في الموصل عام ١٩٣٦، ودرس الثانويه فيها وبعد تخرجه من جامعة بغداد من كلية الهندسة عام١٩٥٧، عمل مديرا للدائرة النوعية للصناعات الانشائية ، ثم نائبا لرئيس نقابة المهندسين عام ١٩٧٥، ووكيلا لوزارة الصناعة والمعادن، ووزيرا للنفط ١٩٨٢-١٩٨٦، وله عددا من الدراسات المتعلقة بقضايا تصنيع وصناعة المواد الانشائية، وعد رائدا من رواد الصناعة والمعادن والنفط في العراق، وغادر العراق بعد عام ٢٠٠٣، الى الاردن حتى توفي ٢٠١١. للمزيد ينظر: ابراهيم خليل العلاف ، قاسم أحمد تقي العريبي وزير النفط العراقي في ذكرى وفاته العاشرة ، أطلعت علية الباحثة في العشرين من أيلول٢٠٢٤
https://www.facebook.com/share/p/195jb1KMaM/.

(٥٦) جريدة الثورة (العراقية) ، العدد ٥٣٨٨ ، بتاريخ ١٦شباط ١٩٨٥، ص١٢.

(٥٧) محي الدين اسماعيل ، صورة جديدة لخطوط أنابيب الشرق الاوسط ، العدد السادس، لسنة الثانية، أذار ١٩٧٧، ص ١٢٥-١٢٦ .

(٥٨) خليل أبراهيم الناصري ، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية ، مطبعة الراية ، بغداد ١٩٩٠، ص١٨٥؛ جريدة الثورة ، العدد ٥٣٨٨، بتاريخ ١٦ شباط ١٩٨٥؛ جريدة الجمهورية(العراقية) ، العدد٥٩٢١، بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٥.

(٥٩) حامد قاسم محمد الجبوري، موقف الجمهورية التركية من الحرب العراقية الايرانية (_دراسة للبيئة الداخلية والخارجية المؤثرة في الموقف) ، مجلة الاستاذ، العدد الخامس عشر، الجزء الاول، ١٩٩٩، ص٣٧٩.

(60)T. C. B. C. A, Belge No: 360.3/84-602, Türkiye – Irak 2. Petrol boru hattı müzakereleri, Nisan 1985, S. 1 ؛C.I.A, Iraq: Alternative Trade Routes ,September 1982,p.8.

(٦١) عصام الجلبي، 50 عاما في عالم النفط سيرة وذكريات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠١٩، ص١١٦.

(٦٢) هيئة التحرير ، الاوبك والطلب العراقي المشروع ، العدد الخامس، السنة الحادي عشر، أيلول – تشرين الاول ١٩٨٥، ص ٩.

(٦٣) نبأ أبراهيم مظلوم الشمري ، مشاريع خطوط نقل النفط العراقي واثرها على العلاقات مع الدول الجوار حتى عام ١٩٩٠، رسالة ماجستير (غير منشوره)، جامعة المستنصرية ، كلية التربية الاساسية ، ٢٠٢٣، ص١٥٣- ١٥٥.

قائمة المصادر:

اولا- أعداد مجلة النفط والتنمية الموظفة في البحث

١- هيئة التحرير ، العراق مشاريع نفطية كبرى ، العدد الاول ، السنه الاولى ، تشرين الاول ١٩٧٥.

٢- هيئة التحرير ،الخط الستراتيجي على مبارزة هامه في تاريخ الصناعة النفط ، العدد الخامس ، السنة الاولى ، شباط ١٩٧٦.

٣- هيئة التحرير ،تشغيل مشروع الخط الستراتيجي حديثة – فاو ،العدد الخامس ، السنة الاولى ، شباط ١٩٧٦.

٤- هيئة التحرير ،طاقة تحميل النفط الخام في مينائي البكر والعميق، العدد الثامن ، السنة الاولى ، أيار ١٩٧٦.

٥- رياض شابا ،الخط العراقي التركي لنقل النفط الخام ،العدد الثاني ، السنة الثانية ، تشرين الثاني١٩٧٦.
٦- هيئة التحرير ، انبوب النفط العراقي التركي ، العدد الرابع ، السنه الثالثة ، كانون الثاني١٩٧٧.
٧- هيئة التحرير، تعويم الناقلة عمورية ، العدد السادس ، السنة الثانية ، أذار١٩٧٧ .
٨- قاسم أحمد العباس ، المنشأة العامة لناقلات النفط العراقية في عيدها الخامس، العدد السابع ، السنة الثانية، نيسان ١٩٧٧.
٩- سامي احمد ، توزيع المنتجات النفطية في القطر العراقي ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، أيار١٩٧٧.
١٠-جاسم الياسري ، خط أنابيب المنتجات النفطية الستراتيجي العراقي ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، أيار ١٩٧٧.
١١- هيئة التحرير ، افتتاح خط أنابيب العراق التركي ، العدد التاسع ، السنة الثانية ، حزيران ١٩٧٧.
١٢-سامي أحمد ، وصول الناقلة العراقية الجديدة حطين، العدد الاول ، السنة الثالثة ، تشرين الاول ١٩٧٧.
١٣- هيئة التحرير ،افتتاح محطة تعبئة أوتوماتيكية ،العدد الثالث ، السنة الثالثة ، كانون الاول ١٩٧٧.
١٤-سامي أحمد ،ذكرى افتتاح الخط الستراتيجي ،العدد الثالث السنة الثالثة ، كانون الاول١٩٧٧.
١٥- هيئة التحرير ، المباشرة بتنفيذ مشروع أنبوب المنتجات النفطية الكوت الناصرية ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الثاني ١٩٧٨.
١٦- هيئة التحرير ،خط جديد للمنتجات النفطية ، العدد الرابع ، السنة الثالثة ، كانون الثاني ١٩٧٨.
١٧- هيئة التحرير ،في ذكرى المنشأة لناقلات العراقية ، العدد السابع ، السنة الثالثة ، نيسان١٩٧٨.
١٨-سامي محمود حلمي ،القطاع النفطي في العراق نمو متصاعد لخلق صناعة نفطية وطنية متطورة ، العدد العاشر ، السنة الثالثة ، تموز ١٩٧٨.
١٩-سامي محمود حلمي ،القطاع النفطي في العراق خلال عام ١٩٧٩، العدد الرابع ، السنة الخامسة ، كانون الثاني ١٩٨٠.
٢٠-صالح مهدي الهاشم ، مساهمة جادة في استكمال حلقات الصناعة النفطية ، العدد السابع ، السنة الخامسة ، نيسان ١٩٨٠.

ثانيا- الوثائق الغير منشورة المعتمدة في الأبحاث والدراسات المنشورة في مجلة النفط والتنمية

أ- وثائق أرشيف الجمهورية التركية

1- T. C. B. C. A, Belge No: 360.3/84-602, Türkiye – Irak 2. Petrol boru hatt müzakereleri, Nisan 1985.

2- T. C. B. C. A, Belge No 30-18-1-2-554-469-6, Bakanlar kurulu kararıNisan 1986.

ب- وثائق وكالة الاستخبارات الأمريكية(C.I.A)

1- C.I.A, Iraq: Alternative Trade Routes ,September 1982.

ثالثا- المطبوعات الحكومية

أ- جريدة (الوقائع) العراقية ، العدد ٢١٢٦، بتاريخ ٢٢نيسان ١٩٧٢.

ب- تقارير الوزارات الحكومية

١- الحكومة العراقية ، وزارة النفط ، مؤتمر تطوير التصاميم في الصناعة النفطية ٨ -١٠ كانون الاول ١٩٧٩، المؤسسة العامة للمشاريع النفطية، دار الصياد، بغداد .

٢- الحكومة العراقية ، وزاره النفط ، ميناء البكر الخط الاستراتيجي مشروعان عملاقان في مسيرتها النفطية ، قسم الاعلام والعلاقات العامة ، مطبعه ناجي بغداد.

٣- الحكومة العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام ، الحرب العراقية الايرانية يوميات ووقائع واحداث ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٧.

ت- وكالة الانباء العراقية

١- وكالة الانباء العراقية ، الاقتصاد ، العدد الخامس عشر ، بتأريخ ١٤ نيسان ١٩٨٠.

رابعا_المذكرات الشخصية

١- عصام الجلبي ، 50 عاما في عالم النفط سيرة وذكريات ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ٢٠١٩.

خامسا- الموسوعات

١- حسن لطيف الزبيدي ، الموسوعة السياسية العراقية (مفاهيم احداث احزاب شخصيات) ، ط٢، مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٣، ص١٢٦.

سادسا- الكتب العربية والمعربه

١- كمال ديب ، زلزال في أرض الشقاق العراق ١٩١٥- ٢٠١٥، ط١، دار الفارابي ، بيروت، ٢٠٠٣.

٢- عبد المنعم عبد الوهاب وأخرون ، جغرافية النفط والطاقة ، دار الكتب ، جامعة واسط،١٩٨١.
٣- محمد ازهر السماك واخرون ، العراق دراسة اقليمية ، الجزء الاول ،١٩٨٥.
٤- شركة النفط الوطنية العراقية ، الاستعراض السنوي ١٩٧٤، مطبعة السندباد ، بغداد .
٥- فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر ، الجزء الثاني، ط١، ترجمة: مصطفى نعمان أحمد ، دار مصر للطباعة، مصر،٢٠٠٩.
٦- خليل أبراهيم الناصري ، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية ، مطبعة الراية ، بغداد ١٩٩٠.
٧- نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي ، الحرب العراقية – الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ مذكرات مقاتل ، ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، بيروت ،٢٠١٤.
٨- ناجي أبي عاد وميشيل جرينون ، النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط الناس (النفط، التهديدات الأمنية)، ترجمة: محمد نجار ، ط١، الاردن ،١٩٩٩.
٩- خطاب صكار العاني ونوري خليل البرازي ، جغرافية العراق ، بغداد ،١٩٧٩.

سابعا- الكتب الاجنبية

1- JAREER ELASS AND AMY MYERS JAFFE , IRAQI OIL POTENTIAL AND IMPLICATIONS FOR GLOBAL OIL MARKTS AND OPEC POLITICS , JAMES.BAKER III INSTITUTE FOR PUBLIC POLICY RICE UNIVERSITY , 2011.

ثامنا- الرسائل الجامعية غير المنشورة

١- امل تولي الكناني ، الاتجاهات الجغرافية لصادرات النفط العراقية دراسة في الجيوبولتيك ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٦.
٢- بتول علي حبيب ، دراسة وتقييم أسس تأجير الناقلات في شركة ناقلات النفط العراقية ، بحث دبلوم عالي (غير منشور) ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨ .
٣- عمار حبيب سمين ، خط انابيب كركوك- جيهان (١٩٧٧-٢٠٠٣) واثره على انتعاش الحياة الاقتصادية في تركيا ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة كركوك ، ٢٠٢٣.

تاسعا- الابحاث والدراسات المنشورة

١- حامد قاسم محمد الجبوري، موقف الجمهورية التركية من الحرب العراقية الايرانية (دراسة للبيئة الداخلية والخارجية المؤثرة في الموقف) ، مجلة الاستاذ، العدد الخامس عشر، الجزء الاول، ١٩٩٩.

٢- عراك تركي حمادي الفهداوي ، نهر دجلة والفرات واثرهما في جيوبوليتيك العلاقات العربية-التركية ، مجلة الاستاذ، العدد السادس عشر ، الجزء الاول، ١٩٩٩.

عاشرا- الصحف

١- جريدة الثورة (العراقية) ، العدد ٣١٢٧، بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٤.

٢- جريدة الثورة (العراقية) ، بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٧٥.

٣- جريدة الثورة(العراقية) ، العدد ٥٣٨٨، بتاريخ ١٦ شباط ١٩٨٥.

٤- جريدة الثورة (العراقية) ، العدد ٨٨٣٥ ، بتاريخ١٦شباط ١٩٨٥.

٥- جريدة الجمهورية (العراقية) ، العدد٥٩٢١ ، بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٥.

احد عشر- الدوريات

١- مجلة النفط والعالم، العدد واحد والاربعون ، ١٩٧٧.

اثنا عشر – شبكة المعلومات الدولية(الانترنيت)

١- ابراهيم خليل العلاف ، قاسم أحمد تقي العريبي وزير النفط العراقي في ذكرى وفاته العاشرة ، https://www.facebook.com/share/p/195jb1KMaM/ .

٢- سامر عباس الغضبان ، منظومات تصدير النفط العراقي ، http://iraqieconomists.net/ar/%D8%AB%D .

٣- لقاء صحفي مع الدكتور عصام عبد الرحيم الجلبي ، الجزء الاول ، https://youtu.be/YYyhWCMcv58?si=z10kkyhd_vaXYnfa.

موقف الولايات المتحدة الأميركية من أنشاء السد العالي في مصر (١٩٥٢-١٩٥٦)

The United States' Position on the Construction of the High Dam in Egypt (1952-1956)

أ. م. د. خنساء زكي شمس الدين

كلية التربية المفتوحة

موقف الولايات المتحدة الأميركية من أنشاء السد العالي في مصر (١٩٥٢-١٩٥٦)

ا. م. د. خنساء زكي شمس الدين

المُلخص:

إن فكرة انشاء السدود للسيطرة على مياه فيضان نهر النيل وامكانية الاستفادة منها ظلت تراود العديد من الحكومات المصرية على مر العصور، اذ حاول محمد على باشا، إقامة بعض السدود والقناطر للتحكم في جزء من مياه الفيضان للاستفادة منها في مشروعات الري استمرت حتى مطلع القرن العشرين اذ تم إنشاء خزان أسوان عام ١٩٠٢، لكن على الرغم من تلك الجهود ظلت نسبة كبيرة من مياه الفيضان تفقد في البحر الابيض المتوسط دون الاستفادة منها، مما دعا للتفكير في إنشاء خران آخر بطاقة تخزينية أكبر من طاقة تخزين خزان أسوان عرف باسم السد العالي تمييزا له عن خزان أسوان للاستفادة من مياه الفيضانات و توفير المزيد من المياه لزيادة وتوسيع رقعة الأراضي الزراعية اضافة الى توليد الطاقة الكهرومائية، الا ان فكرة إنشاء السد العالي في النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين؛ لم يتبلور في شكل مشروع قابل للتنفيذ إلا بعد ثورة تموز عام ١٩٥٢.

اجريت الدراسات والتقديرات التخمينية لبدء اتخاذ الخطوات التنفيذية لإنشاء مشروع السد العالي الامر الذي دفع الولايات المتحدة الامريكية للاستعداد في المساهمة في توفير جزء من العملات الأجنبية التي تطلبها المشروع عن طريق تقديمها منحة لمصر في نهاية عام ١٩٥٥ بالاشتراك مع بريطانيا إلى جانب مساهمة المصرف الدولي، وفق شروطها على أمل أن تحقق أهداف تخدم مصالحها ليس في مصر فحسب؛ بل على مستوى الشرق الأوسط، في ظل سياسة تسابق القوى العظمى للسيطرة على المناطق الحيوية في غضون سنوات الحرب الباردة. رفضت مصر الشروط التي وضعتها الولايات المتحدة الامريكية وسرعان ما أيقنت الإدارة الأمريكية تعذر تحقيق ما رمت إليه من وراء مشاركتها في هذا المشروع، مما حدي بها لسحب عرضها في مدة قصيرة لا تزيد على عدة أشهر، متذرعة

بأسباب ادعت فيها عدم استطاعت مصر بسبب ضعف اقتصادها وعدم قدرتها في اكمال المشروع وانعكاساته على الشعب المصري، وقد تعرضت الولايات المتحدة الامريكية لانتقادات حتى من بعض الأمريكيين أنفسهم، وما تلي ذلك من تأميم مصر لشركة قناة السويس.

جاء هذا البحث ليُميط اللثام عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية من بناء السد العالي، إذ قُسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة، تطرق المحور الأول إلى دوافع بناء السد العالي عقب قيام ثورة تموز ١٩٥٢، بينما تناول المحور الثاني الموقف الأمريكي من بناء السد العالي، وتأثير ذلك على طبيعة العلاقات مع مصر، وأسباب سحب المشاركة الأمريكية في تمويل مشروع السد، في حين ركز المحور الثالث إلى دراسة الموقف الامريكي من اعلان مصر تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦.

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الامريكية، مصر، السد العالي.

The United States' Position on the Construction of the High Dam in Egypt (1952-1956)

Abstract:

The idea of constructing dams to control the Nile River's floodwaters and the potential for benefiting from them has preoccupied numerous Egyptian governments throughout history. Muhammad Ali Pasha attempted to build some dams and barrages to control a portion of the floodwater for use in irrigation projects, efforts which continued until the beginning of the twentieth century with the construction of the Aswan Reservoir in 1902. However, despite these efforts, a significant portion of the floodwaters continued to be lost into the Mediterranean Sea without being utilized. This prompted the consideration of building another dam with a greater storage capacity than the Aswan Reservoir, known as the High Dam to distinguish it from the Aswan Reservoir. The goal was to utilize the floodwaters, provide more water to increase and expand agricultural land, and additionally generate hydroelectric power. However, the idea of building the High Dam in the second half of the 1940s did not

materialize into an executable project until after the July Revolution of 1952.

Studies and preliminary estimates were conducted to begin taking executive steps for the High Dam project. This led the United States to prepare to contribute a portion of the foreign currency required for the project by offering a grant to Egypt at the end of 1955, in cooperation with Britain and alongside a contribution from the World Bank, according to their terms. Their hope was to achieve objectives serving their interests not only in Egypt but across the Middle East, amidst the policy of superpowers competing for control over strategic regions during the Cold War years. Egypt rejected the conditions set by the United States, and the American administration soon realized that its aims for participating in the project were unattainable. This led it to withdraw its offer within a short period of no more than a few months, using pretexts claiming Egypt's inability, due to its weak economy, to complete the project and citing its negative repercussions on the Egyptian people. The United States faced criticism even from some Americans themselves, followed by Egypt's nationalization of the Suez Canal Company.

This research aims to shed light on the United States' stance regarding the construction of the High Dam. The research is divided into three main sections: the first section addressed the motivations for building the High Dam following the July 1952 Revolution; the second section dealt with the American position on the construction of the High Dam, its impact on the nature of relations with Egypt, and the reasons for the withdrawal of US participation in financing the dam project; while the third section focused on studying the American stance regarding Egypt's announcement of the nationalization of the Suez Canal on July 26, 1956.

Keywords: United States, Egypt, High Dam.

المُقدمة:

شكلت العلاقة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية واحدا من أهم المواضيع التي أُعدت لها دراسات مستفيضة، فمع بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى في عالمنا

وبشكل جلي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، بدأ تأثيرها الواضح يأخذ مداه على مجمل الأحداث الدولية، ودورها يتنامى أكثر من ذي قبل في تخطيط وتنفيذ العديد من السياسات التي شملت المنطقة العربية مثلما شملت باقي مناطق وشعوب العالم. ومصر بلا شك واحدة من أهم بلدان المنطقة العربية، نظراً لما تمثله من أبعاد عديدة، منها الثقل السكاني الذي لازال يمثل المستوى الأعلى في عالمنا العربي، والبعد الثقافي والإنساني العميق الذي جعله يتميز على العديد من بلدان وشعوب المنطقة حتى غير العربية منها. لذا، كانت محط أنظار الكثيرين ممن اهتموا بالمنطقة وتطلعوا اليها على مدى قرون عديدة، ويكفينا هنا وكدليل على ما أوردناه ان نلقي نظرة عاجلة على التاريخ الحديث والقريب لهذا البلد الذي تزاحم العديد من القوى الأوربية وغيرها للسيطرة عليه، وبدافع مغريات عدة أهمها الموقع الاستراتيجي الذي ميز صراع كل من الفرنسيين والبريطانيين نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في طبيعة الموقف الأمريكي من مشروع السد العالي (١٩٥٢-١٩٥٦)، بالعوامل التي أسهمت في تشكيله وتغييره من القبول إلى الرفض، وما انعكس ذلك على العلاقات المصرية-الأمريكية؟

والاسباب التي دفعت الولايات المتحدة إلى إعلان استعدادها للمساهمة في تمويل المشروع؟ ثم تراجعت وسحبت عرضها للتمويل؟

وكيف أثّر هذا الموقف في مسار العلاقات الثنائية بين مصر والولايات المتحدة؟

وما انعكاسات هذه الأزمة على التوازنات الدولية في منطقة الشرق الأوسط؟

الدراسات السابقة:

تناولت عدة دراسات موضوع مشروع السد العالي والعلاقات المصرية-الأمريكية في خمسينيات القرن العشرين، من أبرزها:

- الدراسات التي ركزت على مشروع السد العالي كإنجاز وطني لمصر: اذ تناولت تلك الدراسات الأبعاد الاقتصادية والتنموية للمشروع، مثل مؤلفات محمد حسنين هيكل،

وكتابات بعض المؤرخين المصريين الذين أبرزوا دور السد في تحقيق التنمية الزراعية والكهربائية.

- الدراسات التي تناولت العلاقات المصرية–الأمريكية في فترة الخمسينيات: وقد ركزت على التغير في السياسات الأمريكية تجاه مصر، لاسيما بعد ثورة يوليو، ومنها أبحاث عربية وغربية تناولت دور اللوبي الإسرائيلي وضغوط الكونغرس في صياغة القرار الأمريكي.
- الدراسات التي اهتمت بالبعد الدولي والإقليمي للأزمة: إذ ربطت بين موقف الولايات المتحدة من السد العالي وأحداث تأميم قناة السويس وأزمة ١٩٥٦، مركزة على التنافس الأمريكي–السوفيتي في المنطقة.
- فضلا عن وثائق العلاقات الخارجية للولايات المتحدة (FRUS) التي وثّقت المفاوضات بين الولايات المتحدة وبريطانيا ومصر بشأن تمويل السد العالي، وتقديم تفاصيل حول المراحل المختلفة للمشروع. الا انها كانت سرية ولم تنشر الا في سنوات متأخرة.

على الرغم من تنوع تلك الدراسات، إلا أن معظمها عالج الموضوع بشكل جزئي، إما من زاوية اقتصادية أو سياسية عامة، ولم يُفرد دراسة متكاملة لموقف الولايات المتحدة من مشروع السد العالي ذاته بوصفه قضية محورية أثرت مباشرة في مسار العلاقات الثنائية. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في سد هذه الثغرة، من خلال تقديم رؤية شاملة تجمع بين الجانبين الاقتصادي والسياسي والاستراتيجي.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال تتبع الأحداث والقرارات السياسية المتعلقة بمشروع السد العالي، وتحليل العوامل الداخلية والخارجية التي أثرت في الموقف الأمريكي. كما تم الاستعانة بالمنهج الوصفي لتوضيح السياق العام للعلاقات المصرية–الأمريكية بعد ثورة يوليو، إضافة إلى المنهج المقارن عند دراسة مواقف القوى الدولية الأخرى (بريطانيا، الاتحاد السوفيتي، البنك الدولي) تجاه المشروع.

وقد استند البحث إلى مجموعة من المصادر الأولية والثانوية، شملت الوثائق الأمريكية والمصرية، والمذكرات الرسمية، والدراسات الأكاديمية الحديثة، فضلًا عن المقالات والدوريات المتخصصة في التاريخ الحديث والعلاقات الدولية.

أولًا: دوافع بناء السد العالي:

عانتْ مصر على مدى سنوات طويلة من اختلال التوازن بين الموارد الاقتصادية وعدد السكان فيها، إذ فاقت معدلات النمو السكاني الزيادة في الموارد، ولما كانت مصر بلدا زراعيا بالدرجة الأولى ويشكل الإنتاج الزراعي نصيبًا كبيرًا في إجمالي الدخل القومي؛ لذا كانت أية تنمية اقتصادية تتطلب تنمية الطاقة الإنتاجية لهذا القطاع، وقد قدرت مساحة الأرض الزراعية في النصف الثاني من اربعينيات القرن العشرين بنحو٦,٣ مليون فدانا الفدان =٤٢٠٠م٢، تعتمد ٦٠% منها في منطقة الدلتا علي الري الدائم بينما الجزء الباقي معظمه يوزع ما بين الري الدائم وري الحياض- الري بإحاطة المحاصيل بحدود تتخذ شكل حوض مستدير أو مربع أو أي شكل آخر، وإيصال المياه مباشرة من قناة الإمداد أو من أي أحواض أخرى- وعليه، كانت ثمة ضرورة لزيادة رقعة الأرض الزراعية، لتحويل أراضي الحياض والمقدر مساحتها بـ ٧٠٠ ألف فدانا بالوجه القبلي- وهي المنطقة الممتدة من جنوب القاهرة وحتى أقصى جنوب مصر على طول نهر النيل- للري الدائم للاستفادة من زراعتها بأكثر من محصول على مدار العام ، مما يستلزم توفير كميات أكبر من مياه النيل لتحقيق تلك الزيادة ، لذا برزت الحاجة لزيادة التحكم في مياه فيضان النيل المتذبذبة من عام لآخر للاستفادة منها بأكبر قدر ممكن، إذ أن الخزانات التي كانت قائمة لم تكن تتمكن إلا من التحكم في ٢٠% من مياه الفيضان بينما ٨٠% منها كانت تضيع سدى في البحر الابيض المتوسط، وقد تمثلت تلك الخزانات في خزان أسوان[١]، بمصر والبالغ طاقته التخزينية ٥ مليار م٣ وخزان جبل الأولياء بالسودان بطاقة تخزينية قدرت بـ ٢مليار م٣ [٢].

تعود جذور فكرة إنشاء سد جديد إلى الجنوب من خزان أسوان إلى المهندس الزراعي المصري - يوناني الجنسية (أدريان دانينوس) Adrian Danino ١٨٨٧-١٩٧٦. عمل بوزارة الري المصرية- مستفيدا من الدراسات التي قامتْ بها وزارة الأشغال المصرية، إذ

استعان بالمعلومات الواردة بالجزء السابع من موسوعة حوض النيل التي أصدرها التفتيش العام لضبط النيل التابع لوزارة الأشغال عام ١٩٤٦، والخاصة بمختلف المشروعات المقترحة للتحكم في مياه نهر النيل للاستعانة بها في التوسع الزراعي وكافة التفاصيل المدعمة بالبيانات الاحصائية الدقيقة، إذ أتاحت تلك المعلومات والبيانات لدانينوس التفكير في إقامة سد كبير الارتفاع على مجرى نهر النيل عند الحدود المصرية الجنوبية لتخزين كميات هائلة من المياه لضمان تصرف ثابت علي مدار السنين لري أراضي جديدة ولتوليد قوة كهربائية كبيرة وحماية البلاد من مخاطر موسم الفيضان أو الجفاف فضلًا عن تحسين طرق الملاحة النهرية [٣].

نتيجة ذلك، وضع دانينوس في عام ١٩٤٧، الخطوط العامة للمشروع معتمدًا إلى وجود حوض طبيعي كبير جنوب أسوان قادر على الاحتفاظ بمياه الفيضان لعامين متتاليين عن طريق إنشاء خزان واحد قدر ارتفاعه بـ ١٠٠م بسعة تخزينية تصل إلى نحو١٦٥ مليار م٣ ، ثم قام بالاتصال بالمهندس الايطالي (كاليولي) Galioli) لإعداد التصميمات الهندسية اللازمة للمشروع، وبعد الانتهاء من تلك الدراسات في عام ١٩٤٨ قام بعرض المشروع على الحكومة المصرية [٤].

تعددت الآراء حول اتخاذ حكومات ما قبل ثورة تموز ١٩٥٢، خطوات نحو تنفيذه، رأى البعض أنه على الرغم من إجراء الدراسات لآراء دانينوس الخاصة بالمشروع؛ بيد أن البيروقراطية الإدارية آنذاك حالت دون اكتراث تلك الحكومات به ، في حين عزى البعض الآخر السبب إلى إخفاق الحكومات المصرية في الحصول على قرض من (مصرف التصدير والاستيراد الأمريكي Export–Import Bank of the United States (EXIM)، للمساهمة في تمويل المشروع [٥]. سواء صحت تلك الآراء أم تلك فالنتيجة أن المشروع لم يرى النور حتى قيام ثورة ١٩٥٢.

في ضوء ذلك، دعتْ حكومة الثورة منذ قيامها للاهتمام بمشروع السد وبدء الخطوات لدراسة إمكانية تنفيذه، فعقب قيام الثورة بمدة قصيرة قام دانينوس وكاليولي كل على حده، بتقديم اقتراحًا لإقامة مشروع السد العالي لحكومة الثورة. ونظراً لأن تلك الحكومة كانت

تهدف منذ البداية لإحداث تغييرات اجتماعية واقتصادية في البلاد، أيقنت أن النجاح في تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي المزمع إصداره لا يتحقق عن طريق إعادة توزيع الملكية الزراعية فقط؛ بل يحتاج إلى زيادة الإنتاج الزراعي عن طريق التوسع الزراعي، والذي يتطلب توفير كميات أكبر من المياه. كما أن رغبتها في تنشيط القطاع الصناعي وإدخال صناعات جديدة يتطلب توفير مصدر لتوليد طاقة كهربائية كبيرة، بهدف إيجاد توازن بين الإنتاج الصناعي والزراعي بالنسبة لإجمالي الدخل القومي، للتخلص إلى حد ما من الصبغة الزراعية التي اتسم بها الاقتصاد المصري وما ترتب على ذلك من زيادة الدخل القومي وتوفير فرص عمال أكبر في المجالين الزراعي والصناعي [٦].

ونظرا لأهمية مشروع السد بالنسبة للاقتصاد المصري أولته الحكومة اهتمامًا كبيرًا، وبدأت في إجراء المراحل الأولية الخاصة بالدراسات العملية تمهيداً لإنشائه في نهاية عام ١٩٥٢، إذ وقع اختيار الحكومة على بعض الشركات الألمانية الغربية التي عهدت إليها إجراء الدراسات الخاصة لاختيار الموقع المناسب لإنشائه وتحليل التربة ووضع التصميمات التفصيلية للمراحل التنفيذية للمشروع وفي نيسان عام ١٩٥٣ ، في الوقت نفسه، عرضت الحكومة المصرية على هيئة استشارية هندسية دولية ما توصلت إليه تلك الشركات من أبحاث، إلا أن الهيئة الدولية أوصت بإجراء المزيد من الدراسات، فقامت الشركات الألمانية باستكمال الدراسات المطلوبة وانتهت من إعدادها في تموز ١٩٥٤، وأثناء قيام الشركات الألمانية بدراسة المشروع دارت مشاورات بين مسؤولي قسم الشرق الأدنى بالخارجية الأمريكية حول مشروع السد العالي المقترح للتنمية الاقتصادية المصرية باعتباره من افضل المجالات التي يمكن لأمريكا تقديم العون فيها لمصر لما له من تأثير فعال سياسي ونفسي إلى جانب تأثيره الاقتصادي، وتعد تلك أولى الخطوات لعلاقة أمريكا بمشروع السد العالي بعد الثورة [٧].

في آب عام ١٩٥٤ دعت الحكومة المصرية هيئة دولية أخرى، تكونت من ثلاثة خبراء استشاريين أحدهما فرنسي واثنان أمريكيان لمراجعة وتقييم ما انتهت إليه الشركات الألمانية من دراسات، فسافرت الهيئة إلى أسوان لدراسة المواقع التي تم اختيارها لإنشاء السد على

الطبيعة، وتشاوروا مع المسئولين والخبراء المصريين وأعضاء بعثة العمليات الفنية الأمريكية التابعة لـ(برنامج النقطة الرابعة).Point Four Program [٨] وانتهت الهيئة الدولية التي كلفتها الحكومة المصرية بدراسة المشروع بوضع تقرير أثبتت فيه سلامة المشروع من الناحية الفنية وضرورة الإسراع في البدء في إنشائه، لأن أي تأخير سيزيد من تكاليفه في الوقت الذي تزيد فيه الكثافة السكانية في مصر مع ثبات الرقعة الزراعية وذلك مما يزيد من مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية. [٩]

في ضوء ذلك، قدرت التكاليف الإجمالية للمشروع بنحو مليار و٣٠٠ مليون دولار يتعين أن تتضمن مبلغ ٤٠٠ مليون دولار بينما تتحمل مصر باقي المبلغ بالعملة المحلية. لذا، توجهت مصر إلى (المصرف الدول) World Bank [١٠]. للمساهمة في تمويل جزء من العملات الأجنبية الخاصة بالمشروع، ففي كانون الثاني عام ١٩٥٣، أبلغ وزير المالية والاقتصاد المصري عبد الجليل ابراهيم العمري المصرف أن حكومته تشرع في إنشاء سد جديد على النيل لزيادة التحكم في مياهه، وفي آذار من نفس العام أعلن مدير المصرف الدولي أثناء زيارته لمصر أنه على استعداد للمساهمة في تمويل المشروع عن طريق تقديم قرض لمصر قد يصل إلى حوالي ٢٠٠ مليون دولاراً ،أو ما يوازيه بالعملات الأجنبية الأخرى. في غضون ذلك، أرسل المصرف في تشرين الثاني عام ١٩٥٤، بعثة من بعض ممثليه لدراسة المشروع من النواحي المالية والاقتصادية والفنية كافة، وذلك بخلاف ما قامت به مصر من دراسات كما قامت بدراسة أوضاع الاقتصاد المصري للتأكد من قدرته على الوفاء بالتزاماته في حال ما إذا وافق المصرف على تقديم قرض لمصر، فضلًا عن دراسة قدرتها على تدبير العملة المحلية للمشروع، وقد انتهت البعثة من دراستها في آذار عام ١٩٥٥ ولكن ظلت هناك مشاورات بين مسؤولي المصرف والمسئولين المصريين إلى أن وضعت البعثة تقريرا في آب عام ١٩٥٥ أكدت فيه سلامة المشروع من النواحي كافة، ومع ذلك، بقتْ المشاورات مستمرة حتى تشرين الأول عام ١٩٥٥، مع بعثة أخرى أوفدها المصرف الدولي – بطلب من الحكومة المصرية، لمناقشة الشروط المقترحة من المصرف لتقديم مساهمته مع الهيئة الهندسية الاستشارية المعينة من هيئة السد العالي المسؤولة من

قبل الحكومة عن تنفيذ المشروع، كما دارت مشاورات أخرى في تشرين الثاني من العام نفسه بين وزير المالية المصري ومسؤولي المصرف، وحتى ذلك التاريخ لم يقدم المصرف تأكيدات للتعهد بتقديم قرض لمصر لتمويل مشروع سد النهضة [١١].

ثانياً: موقف الولايات المتحدة الأمريكية من أنشاء السد العالي:

حتى أواخر عام ١٩٥٥ لم تتوصل مصر إلى اتفاق نهائي مع المصرف الدولي حول تقديم قرض لها، لذا، طرحت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة تقديم عرض لمصر للمساهمة في تمويل المشروع بالاشتراك مع بريطانيا والمصرف الدولي، وقد تعددت الدوافع التي دعت الإدارة الأمريكية للتفكير في ذلك، جاء في طليعتها أنها رأت أن مشاركتها في تمويل مشروع السد العالي يمكنها من تحقيق نوع من التوازن لـ صفقة الأسلحة التشيكية [١٢]، التي عقدتها مصر، والتي أحدثت تغييرًا في استراتيجية الحرب الباردة بين الشرق والغرب حيال منطقة الشرق الأوسط ، إذ أعطت للاتحاد السوفيتي كسبا على حساب الغرب وكسرت احتكار السلاح الغربي لمصر ، وذلك يمكن أن يُتخذ سابقة لدول عربية أخرى لتحذوا حذو مصر في التعاون مع دول اوروبا الشرقية، فضلًا عن اعطاء الاتحاد السوفيتي فرصة للوصول للمياه الدافئة الذي هو أحد أحلامها القديمة [١٣] .

وبهذا الصدد، صرح وزير الخارجية الأمريكي (جون فوستر دالاس) John Foster Dallas ١٩٥٣- ١٩٥٩ [١٤]. أن المساعدة في انشاء مشروع السد تهدف إلى السلام والبناء، بينما صفقة الأسلحة تعمل على إثاره الحرب والتدمير، إذ أن مشروع السد سيعود بالفائدة على الاقتصاد المصري ومن ثم على الشعب المصري وما سيحدثه ذلك من نشر دعاية للولايات المتحدة بأنها تساعد الدول النامية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية [١٥].

ثمة دوافع أخرى شجعت أمريكا للمشاركة في المشروع، منها ما أورده السفير الأمريكي بالقاهرة (ريموند آرثر هير) Raymond Arthur Hare ١٩٠١-١٩٩٤ في تقاريره لوزارة خارجيته من أن أهم مجال تتعرض فيه المصالح الأمريكية للمنافسة في مصر من قبل الاتحاد السوفيتي هو المجال الاقتصادي ، لاسّيما فيما يتعلق بمشروع السد العالي، وأعلن أن الأخيرة قد عرضت على مصر المشاركة في مشروع السد باستعدادها لتقديم قرض سخي

لتنفيذ المراحل الأولي من المشروع قيمته ٤٠٠ مليون روبل يغطي كل احتياجات مصر لهذا المشروع من العملات الأجنبية بفائدة٢% يسدد على مدى ثلاثين عامًا، مقابل القطن المصري وبعض الصادرات المصرية الأخرى على أن يتم تنفيذ المشروع عن طريق المهندسين السوفييت، ورغم أن الغرب قد كون اسهم في تأسيس حلف بغداد [١٦].

ليكون طوق أمني ضد التدخل السوفيتي في منطقة الشرق الأوسط، فإن قبول مصر ذلك العرض إلى جانب اتمام عقد صفقة الأسلحة التشيكية سيتمكن السوفييت من الوصول إلى قلب العالم العربي ما يعرض المصالح الأمريكية للخطر ليس في مصر فحسب؛ بل في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام [١٧].

بناء على ذلك، طالب السفير الأمريكي بالقاهرة من الإدارة الأمريكية أن تسعى جاهدة لمساعدة مصر في ذلك المشروع وتحث المصرف الدولي بما لها من نفوذ على قبول إقراض مصر للمساهمة في تمويل المشروع ، –لاسيما أن مصر طلبت مساهمة المصرف بذلك منذ أكثر من عامين – مستثمرة تجاه المسئولين المصريين وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر [١٨] ، تفضيل اتمام المشروع بمساعدة المصرف الدولي والدول الغربية وعدم اكتراثهم في ذلك الوقت بالعرض السوفيتي الذي لم يتم دراسته أو الرد عليه، وإزالة الشكوك التي تُثار في مصر حيال مساهمة الغرب في المشروع، نتيجة لبعض الآراء التي تشير إلى أن ما أحدثته صفقة الأسلحة التشيكية من توتر في علاقات مصر مع الغرب بعض الشيء قد يعرقل مساهمة الغرب في المشروع[١٩] .

ويبدو أن الولايات المتحدة قد فكرت في أن مساعدتها لمصر في هذا المشروع الكبير يجعلها تعتمد أكثر على الغرب، ومن ثم يمكن أن تحد من سياسة مصر الحيادية المناهضة للأحلاف الغربية في منطقة الشرق الأوسط أو على الأقل يقلص من سياستها المتعارضة مع السياسة الأمريكية في المنطقة.

في السياق نفسه، أوضح أحد مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية من أن انشغال مصر في مشروع ضخم كمشروع السد والذي قد يستغرق إنشاؤه – طبقا للتقديرات الأمريكية – ما يزيد على عشر اعوام، وتكريس كل جهودها في غضون تلك المدة لذلك المشروع،

سيثنيها عن التفكير في القيام بأي حملة عسكرية وبالتالي يوفر نوع من الاستقرار والأمن في مصر ، كما ان ارتباط مصر بسداد مبالغ كبيرة تصل إلى ما يوازي ١٠٠ مليون دولاراً بالعملة المحلية فضلًا عن سداد القروض الأجنبية يتعذر معه توفير فائض لديها للتفكير في شراء أسلحة من الكتلة الشرقية أو من غيرها وربما تكون صفقة الأسلحة التشيكية هي الأولى والأخيرة من نوعها [٢٠].

علاوة على ذلك، فأنَّ دوافع الولايات المتحدة للمساهمة في تمويل المشروع تخدم المعسكر الغربي ككل، وفي الوقت نفسه، تتفق مع النهج البريطاني، بيد إنَّ للأخيرة لها دوافعها الخاصة، إزاء قبولها المشاركة مع أمريكا والمصرف الدولي في تمويل المشروع ، إذ شعرت بريطانيا بأنه في حالة تمكن الاتحاد السوفيتي توفير العملات الأجنبية للمشروع سيتيح للخبراء السوفييت التوغل لأعوام طويلة – مدة بناء السد –ليس في الشرق الأوسط فحسب؛ بل من المحتمل أن تتجه جنوبا إلى السودان ومنها إلى أثيوبيا وكينيا وأوغندا، وبذلك تهدد المستعمرات البريطانية في قلب أفريقيا ، بتوغل الشيوعية إليها . وبالتالي تتأثر المصالح البريطانية سواء في منطقة الشرق الأوسط أو في أفريقيا [٢١].

نتيجة ذلك، عرضت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في منتصف كانون الأول عام ١٩٥٥ ، تقديم منحة لمصر قدرت به ٢٠٠ مليون دولار لتمويل المشروع، إذ بلغتْ حصة الولايات المتحدة بـ ٧٠% بينما كانت حصة بريطانيا ٣٠%، ولم تتعهد الدولتين في ذلك التاريخ إلا بتقديم ٧٠ مليون دولار من ذلك المبلغ ، للمساهمة في المراحل الأولى من بنائه والمقرر تنفيذها أثناء أربع إلى خمس أعوام، والتي تشمل إقامة سد لحجز المياه لوضع الأساس لهيكل السد الرئيس، وشق قنوات التحويل والأعمال التكميلية، إذ تتحمل أمريكا من هذا المبلغ ٥٤,٦ مليون دولاراً وبريطانيا ١٥,٤ مليون دولاراً ، وقد استندت الدولتان عرضهما ذلك على أساس أن تتم موافقة المصرف الدولي على المساهمة في توفير باقي العملات الأجنبية المطلوبة، وأن الأموال التي ستقدمها الحكومتان لمصر ستتاح لها عن طريق المصرف الدولي ويتم الانفاق منها تحت إشرافه بموجب ترتيبات واتفاقات مكتوبة بين

الحكومة المصرية والمصرف ، وأن يتم اختيار المتعاقدين لبناء المرحلة الأولى من السد – التي تتطلب عملات أجنبية – عن طريق مناقصات دولية [٢٢].

يبدو أن الدولتين لم تلتزمان بتقديم تعهد بباقي المبلغ – ١٣٠ مليون دولاراً – للمساهمة في المراحل التالية للمشروع؛ بل وضع تحت موافقة التخصيصات السنوية للأجهزة التشريعية في كل منهما، وقد بررتا ذلك بأنهما لا يستطيعا تخصيص المبلغ بالكامل منذ البداية وفقا لقوانينهما التشريعية [٢٣]. ويبدو ان تلك الدول ارادت استخدام التمويل كورقة ضغط للتأثير على السياسة المصرية، والتأكد من أن مصر تتبع سياسة لا تتعارض مع الغرب.

وعقب قيام الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بتقديم عرضهما المشترك للمساهمة في مشروع السد، وافق المصرف الدولي في ١٦ كانون الأول ١٩٥٥، على المساهمة في تمويل الجزء الباقي من احتياجات مصر من العملات الأجنبية، وأرسل خطاب للحكومة المصرية باستعداده منحها قرضا في (حدود ٢٠٠ مليون دولاراً)، تضمن ذلك الخطاب بعض الشروط التي لم تقبلها مصر، إذ عدتها تدخلا في شؤونها الاقتصادية والتي تمثلت أهمها في أن يقوم المصرف بالإشراف على وضع الاقتصاد المصري طوال مدة سداد القرض لضمان وفاء مصر بالتزاماتها. فضلًا عن التدخل في خطط الاستثمارات المصرية للتأكد من قدرتها توفير العملات المحلية للمشروع، كما اشترط ألاَّ تعقد مصر طوال مدة السداد أي قروض أجنبية وأن تتم الموافقة على عقد القرض من برلمان مصري منتخب [٢٤].

من جانبه، أوضح الرئيس عبد الناصر "أن شروط المصرف الدولي مجحفة، وإذا وافقت عليها الحكومة فأنها لا شك ستتعرض للنقد، لاسّيما من المناهضين لحكومة الثورة، مما قد يؤثر على النظام الحاكم نفسه، إذ أن المصريين لديهم توجس اتجاه الديون الأجنبية منذ عهد (الخديوي إسماعيل) والتي تسببت في اخضاع مصر لرقابة مالية أجنبية وكان من نتائجه الاحتلال البريطاني لمصر" [٢٥].

وبإعلان مصر رفضها لشروط المصرف دارت مناقشات مطولة بين مسؤولي المصرف والحكومة المصرية، لتضييق هوة الخلاف بينهما والوصول إلى الحد الأدنى من

الشروط التي يمكن أن تقبلها مصر، وفي شباط عام ١٩٥٦ توصلت الحكومة المصرية والمصرف إلى تفاهم على بعض النقاط التي يمكن أن تُتخذ كأساس لمساهمة المصرف في المشروع، إذ قبلت الحكومة المصرية أن يقوم المصرف بالإشراف عن طريق هيئة استشارية على وضع مصر الاقتصادي ، بمقابل تخفيض سعر الفائدة الذي كان مقرراً على القرض المزمع عقده من ٥,٥% إلى ٥%، كما حصلت تعهد يضمنن التزام المصرف بالاستمرار في المشاركة في المشروع . كما أبلغت مصر مسؤولي المصرف أنها في طريقها لتكوين هيئة تشريعية منتخبة تحل محل البرلمان [٢٦].

لم يستمر العرض الأمريكي – البريطاني المشترك للمشاركة في تمويل مشروع السد إلا لبضعة أشهر، إذ ما لبثت أن قررت الدولتان سحب عرضهما ، ويعزى ذلك لعدة عوامل أهمها إخفاق الإدارة الأميركية في عهد الرئيس (دوايت دافيد أيزنهاور David) Dwight Eisenhower١٩٥١– ١٩٥٢ [٢٧] ، في إقامة صلح بين العرب و(إسرائيل) عن طريق مصر مقابل المساهمة في مشروع السد، إذ أرسل الرئيس أيزنهاور مبعوثًا شخصيًا له وهو (روبرت برنارد أندرسون1910) Robert Bernerd Anderson –١٩٨٩. للقيام برحلات مكوكية ما بين مصر و(إسرائيل) لإبلاغ وجهات نظر كل حكومة للأخرى، وقد عرض عبد الناصر مطلبين ليكونا أساسًا لأي تسوية تعقد بين الجانبين.

أولهما: يتعلق بضرورة إقامة وطن للشعب الفلسطيني على أرضه ولتسهيل هذه المهمة رأى أن تكون حدود هذا الوطن في خطوط التقسيم نفسها لعام ١٩٤٧، وثانيهما: أن تكون صحراء النقب للفلسطينيين مع ربط مصر بالأردن بطريق بري [٢٨].

بيد أن (إسرائيل) رفضت هذين المطلبين، وبذلك لم تنجح المهمة التي جاء من أجلها أندرسون وانهارت آمال الإدارة الأمريكية لتحقيق السلام بين العرب و(إسرائيل) عن طريق تمويل مشروع السد العالي. في غضون ذلك، بدأت الإدارة الأميركية الخطوات التمهيدية لاتخاذ قرار سحب عرضها لتمويل المشروع، إلى جانب الضغوط التي مارستها (جماعات الضغط)Pressure Groups [٢٩]، اليهودية على صناع القرار الأمريكي للحيلولة دون مشاركتها في مشروع السد لاسّيما بعد إخفاق مهمة أندرسون [٣٠].

وما فاقم الخلافات في العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية ومصر هو الخلاف الأيديولوجي بين الطرفين فيما يتعلق بسياسة الحياد، ففي حين رأت مصر في مبدأ الحياد أنسب السياسات التي يمكن لها أن تتبعها لإقامة علاقات مع الكتلتين الغربية والشرقية، دون الانحياز لأي منهما، إذ أنها عانت طويلا من جراء التحالف مع بريطانيا. مما جعلها تنبذ فكرة الانضمام إلى دولة كبرى خارج منطقة الشرق الأوسط أيا كانت، بالمُقابل، ارتكزت السياسة الخارجية الأمريكية على التكتلات والأحلاف في المناطق الحيوية لضمان كسب أكبر عدد من الدول إلى معسكرها، في محاولة منها للحد من التوغل السوفيتي في تلك المناطق [٣١].

نتيجة ذلك، سعت الولايات المتحدة اتباع سياسة تكتيكية لتضمن اجتذاب الدول المحايدة إلى جانبها، وهذا ما عبر عنه الرئيس أيزنهاور في أحد تصريحاته، إذ ذكر" أن أمريكا لا تمانع في اتباع بعض الدول سياسة الحياد، ولكن بشرط أن يكون حياداً حقيقيًا وأن أمريكا نفسها ظلت محايدة طوال مائة وخمسين عامًا وليس معنى هذا أنها تحبذ هذه السياسة، خاصة أن الدول التي تحالفت معنا تطورت من الجوانب الاقتصادية والعسكرية"[٣٢].

استمرت وزراتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين على موقفهما المتشدد إزاء مبدأ الحياد الذي اعتبراه عملا عدائي وموجه ضد أمريكا ويعمل على تشجيع المصالح السوفيتية، ولا يعد هذا تباينًا من حيث المبدأ بين دوائر البيت الأبيض وبعض الهيئات التنفيذية الأمريكية تجاه الحياد، بدليل أنه كان أحد الأسباب الرئيسة في اتخاذ قرار الولايات المتحدة سحب عرضها لتمويل مشروع السد العالي، فضلاً عن الاتهامات التي وجهتها الدول المناصرة لـ(حلف بغداد) إلى الولايات المتحدة من أنها تكافئ الدول المناهضة لسياستها في منطقة الشرق الأوسط بتقديم المساعدة لهم [٣٣].

نتيجة لتعثر الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق أهدافها من وراء مساهمتها في مشروع السد، قررت سحب عرضها بالاشتراك مع بريطانيا، مع ذلك، لم يخبرا مصر بنيتهما؛ بل اتخذا سياسة التسويف والمُماطلة، بحجة ان موضوع تمويل السد يحتاج إلى دراسات قد

تستغرق بعض الوقت، وأنه في حالة لجوء مصر لطلب العون من الاتحاد السوفيتي، فإن الولايات المتحدة سوف تحرض السودان وتحثها على عدم اتمام الاتفاق بشأن تقسيم مياه النيل مع مصر لإفشال المشروع [٣٤].

ومما يؤكد نية الإدارة الأمريكية في سحب تمويلها للمشروع، أنها قررت في حال عدم استخدام مصر للأموال المخصصة لها لتمويل المراحل الأولى لمشروع السد – (٥٤,٦) مليون دولاراً – حتى نهاية السنة المالية ١٩٥٦ ؛ فإنها ستحول تلك الأموال إلى استخدامات أخرى، وذلك ما أوضحه أحد مسؤولي الخارجية الأمريكية لأحد أعضاء السفارة المصرية بواشنطن عندما استفسر منه الأخير عن إمكانية تحويل الأموال لمشروع السد العالي في السنة المالية ١٩٥٦ لتوظف في مشروعات أخرى للتنمية الاقتصادية في مصر، فكان رد المسؤول الأمريكي أنه نظراً لضخامة المساهمة المقدمة للمشروع باعتباره أكبر المشروعات الاقتصادية المصرية، لا يمكن تحويل تلك الأموال إلى مساعدات اقتصادية أخرى كما يتعذر إرجائها للسنة المالية التالية، في الوقت نفسه، أعرب أعضاء اللجنة المالية التابعة للكونغرس الأمريكي في ١٩ حزيران ١٩٥٦ عن الرغبة في عدم الارتباط بأي أموال لمشروع السد العالي لمصر من الأموال المخصصة لعام ١٩٥٧ ما لم يتم التشاور مسبقًا معها، وقد أكد وزير الخارجية الأمريكي دالاس لرئيس اللجنة أن الحكومة سوف تأخذ ذلك في الاعتبار [٣٥].

ولما كانت الإدارة الامريكية قد بيتت النية في عدم المشاركة في تمويل مشروع السد العالي، ظلت تترقب الأحداث كي تتخذها ذريعة لبدء الخطوات التمهيدية لسحب عرضها؛ فوجدت في اعتراف مصر بالصين الشعبية إحدى تلك الذرائع التي يمكن أن تستند إليها، فعقب إعلان مصر اعترافها بحكومة الصين الشعبية في ١٦ آيار ١٩٥٦ ، عقد لقاء في اليوم التالي بين السفير المصري بواشنطن الدكتور احمد حسين ١٩١١-١٩٨١، ووزير الخارجية (دالاس)، أعرب له الأخير عن استياء الحكومة والرأي العام الأمريكي من اتخاذ مصر لتلك الخطوة التي عدتها عملاً عدائيا ضد المصالح الأمريكية، وأنه في الوقت الذي تسعى فيه لتحسين العلاقات مع مصر فإن الأخيرة عملت على توتر العلاقات، وأن اعترافها بالصين الشعبية الأول دليل على ذلك، لاسيما أنها لم تلمح مسبقا باتخاذ تلك الخطوة، وبهذا

الإجراء تدفع الحكومة المصرية الإدارة الامريكية بتعزيز المساعدات المقدمة لإسرائيل ، فأجابه السفير المصري "أن اعتراف مصر بالصين الشعبية اقتضته مبررات داخلية خاصة بسياسة مصر وأنها لا تهدف من ورائه الإساءة لعلاقتها مع أمريكا أو أية دولة أخرى" وأبدى دهشته من الضجة التي أثارتها الولايات المتحدة عقب اعتراف مصر بالصين في حين أن دول أخرى كثيرة سبق لها الاعتراف بالصين ومن بينها بريطانيا – حليفة أمريكا الرئيسة – ولم تتعرض لمثل تلك الانتقادات (٣٦).

اتضح مما ورد بحديث وزير الخارجية الأمريكي رغبة أمريكا التدخل في سياسة مصر الخارجية وفي صنع القرار المصري وهذا ما لم تقبله مصر.

وتماشيًا في إظهار الولايات المتحدة عدم ارتياحها لتلك الخطوة المصرية، صرح وزير الخارجية الأمريكي دالاس في مؤتمر صحفي في ٢٢ آيار ١٩٥٦ قائلًا" أن أمريكا كانت تتعاطف مع عبد الناصر لتعزيز استقلال بلاده ولكنها لا يمكن أن تتعاطف معه عندما يصل الأمر بتعاون مصر مع السوفييت أو باعترافها بالصين الشعبية ، إذ أنه بعد إجراء يؤثر على المصالح الأمريكية" (٣٧)، ورغم ذلك حرصت الحكومة الأمريكية على ألا تقدم احتجاجا رسميًا لمصر ازاء اعترافها بالصين الشعبية لخشيتها من أن تتعاطف أي دولة من دول الجامعة العربية مع مصر وتحذو حذوها في الاعتراف بالصين في الوقت الذي رغبت فيه أمريكا أن تنحى تلك الدول عن اتخاذ مثل هذه الخطوة قدر المستطاع.

في السياق نفسه، وجدت الإدارة الأمريكية في عدم توصل مصر مع السودان حتى منتصف عام ١٩٥٦ لاتفاق لتقسيم مياه النيل بينهما ذريعة أخرى لإعلان سحب عرضها لتمويل مشروع السد . فقد كان الاتفاق المبدئي أن تقدم الولايات المتحدة الأمريكية مساعدتها لمصر في تمويل المشروع قبل التوصل إلى اتفاق مع السودان حول تقسيم المياه بينهم، ولكن مصر اعلنت بعد ذلك أنها لن تبدأ أية خطوات تنفيذية للعمل في المشروع قبل ابرام ذلك الاتفاق؛ لخشيتها من أن تتعرض لموقف مساومة من جانب السودان يجعلها توافق على بعض شروطهم حتى ولو لم تكن للسودان أحقية فيها : وذلك لرغبتها في استكمال المشروع دون توقف لمدة طويلة (٣٨).

وبهذا الصدد، تعود أولى الخطوات التي اتخذتها مصر للتفاهم مع السودان بشأن السد العالي إلى آب عام ١٩٥٤. ففي ذلك التاريخ أرسلت الحكومة المصرية مبعوثًا إلى السودان، للتشاور معهم لإبداء استعداد مصر للمشاركة في إقامة خزان الرُوصِيْرِصْ- في السودان الذي سيوفر كميات من المياه للسودان، والذي يتطلب إنشائه اجراء تعديل في الاتفاقية القائمة بين البلدين التي تنظم استخدامات مياه النيل بينهما، ويقضى بتخلي مصر عن جزء من حصتها من مياه النيل للسودان، وقد وافقت مصر على ذلك لرغبتها في الحصول على موافقة السودانيين علي إنشاء السد العالي الذي إلى جانب ما سيعود به من فوائد على مصر فأنه سيوفر للسودان في الوقت نفسه كميات من المياه تصل إلى ثلاثة أضعاف ونصف ما تستخدمه السودان قبل إنشاء السد ، وتلك الكميات كانت قابلة للزيادة مع احتياجات السودان من المياه لمدة خمسين عام مقبل [٣٩].

من جانبها، وافقت حكومة السودان على أن تقوم مصر ببناء السد العالي ولكنها وضعت بعض الاشتراطات لذلك، منها أن يتم تحديد نصيب السودان في مخزون مياه النيل مسبقا قبل أن تبدأ مصر في بناء السد ، بحيث تفي تلك المياه التي ستحصل عليها بكافة احتياجات التنمية بها مستقبلا ، وعلى الرغم من موافقة البلدان على الشرط الأخير إلا أنهما لم يتوصلا حتى نيسان ١٩٥٦ إلى اتفاق بخصوص تقسيم مياه النيل بينهما ، إذ أنه في الوقت الذي رغبت فيه السودان تقسيم المياه التي ستخزن قبل حساب ما سيفقد عن طريق التبخير ، بينما رغبت مصر تقسيم المياه بينهما بالتساوي بعد استقطاع ما سيفقد نتيجة التبخير [٤٠].

يتضح من مجريات الأحداث أنه كان للولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا دوراً في إرجاء إتمام الاتفاق بين مصر والسودان حول مشروع السد، وما يؤكد ذلك تحريض الدولتين لكل من السودان وأثيوبيا بعدم الموافقة على المشروع. وبهذا الصدد، ناشد السودانيون الإدارة الأمريكية ألا تقدم أي منحة لمصر ما لم توافق على تقسيم عادل للمياه التي ستخزن عن طريق السد العالي وحرية كل بلد في استخدام تلك المياه وإقامة المنشآت التي تراها مناسبة

لمصلحتها [٤١]. وبذلك نلاحظ رغبة كل من أمريكا والسودان في عدم إتمام الاتفاق مع مصر بشأن مشروع السد العالي.

عُقِدَ لقاء بين السفير المصري بواشنطن – عقب عودته من القاهرة حيث كان يجري بعض المشاورات مع المسؤولين بخصوص السد العالي – ووزير الخارجية الأمريكي وبعض مساعديه في ١٩ تموز ١٩٥٦، أعلن الوزير الأمريكي للسفير المصري سحب أمريكا لعرضها المشاركة في تمويل السد، وعزى ذلك لعدة أسباب، منها:

١- أن الاقتصاد المصري أصبح في وضع غير مشجع للاستمرار في المشروع، إذ سيتكلف ما يقرب من مليار و٣٠٠ مليون دولاراً تتحمل مصر منها ٩٠٠ مليون دولاراً بالعملة المحلية، وان ذلك المبلغ سيمثل عبئاً على الاقتصاد المصري لن يستطع أن تتحمله.

٢- أن مصر لن تنجح في ابرام اتفاقيات مع دول حوض النيل والمتمثلة في السودان وأثيوبيا وأوغندا – بخصوص تقسيم المياه بينهم.

٣- قيام مصر برهن انتاجها من القطن – أهم سلعها التصديرية – سدادًا لديون صفقة الأسلحة التشيكية.

٤- أن الإدارة الأمريكية لا تحبذ المشاركة في إقامة مشروع يواجه معارضة كبيرة في الكونغرس، نتيجة لضغط ممثلي ولايات الجنوب وخشيتهم من منافسة القطن المصري لأقطانهم في الأسواق العالمية لتوقعهم زيادة المساحات التي ستُزرع به عند توفير كميات كبيرة من المياه نتيجة لبناء السد.

٥-معارضة ممثلي بعض الولايات الأمريكية التي هي بحاجة إلى اقامة سدود أصغر بكثير من السد العالي واتهامهم للحكومة الأمريكية بأنها في الوقت التي تقبل المساهمة في مشروع ضخم لإقامة سد في مصر، تتأخر في الموافقة على إقامة سدود بتكلفة أقل بكثير في ولاياتهم.

٦- أن العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الامريكية اصابها الفتور في الآونة الأخيرة، لاسيما وأن مصر تشجع بعض الدول العربية لابتياع السلاح من دول اوروبا الشرقية وبذلك تسيئ علاقات أمريكا مع تلك الدول، مع ذلك، فإن للولايات المتحدة على استعداد

لمساعدة مصر في تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق المساهمة مستقبلًا في مشروعات أخرى أقل ضخامة من مشروع السد [٤٢].

من جانبه، أكد السفير المصري لوزير الخارجية بناء على تأكيدات الرئيس عبد الناصر له، أن مصر لا تحرض أية دولة على شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي ولم تحث المملكة السعودية على عدم الاستمرار في شراء الأسلحة الأمريكية، ولم تعترض على بناء قاعدة جوية أمريكية في الظهران، بدليل أن الرئيس عبد الناصر أعطى تعليماته للمدرسين المصريين والعاملين في الدول العربية بعدم التدخل في السياسة الداخلية للدول التي يقيمون بها. كما ذكر أن الرئيس مستاء من الاتهامات التي توجهها الإدارة الأمريكية لأنها ليست لها أساس من الصحة ولا يوجد دليل لإثباتها [٤٣].

وفيما يتعلق بالمبررات التي استندت إليها الإدارة الأمريكية في إعلان سحبها للعرض الخاص بالمساهمة في تمويل مشروع السد يمكن تفنيدها وإثبات عدم مصداقيتها، ففيما يخص وضع الاقتصاد المصري، صرح وفد المصرف الدولي أثناء زيارته لمصر في حزيران عام ١٩٥٦، أن الاقتصاد المصري لم يطرأ عليه أي تغيير طوال ستة أشهر منذ أن تقدمت أمريكا وبريطانيا بعرضهما في تمويل المشروع. كما لا أساس من الصحة لما أدعته أمريكا من تدهور الاقتصاد المصري نتيجة لرهن قطنها سدادًا لقيمة صفقة الأسلحة التشيكية؛ بدليل أن مصر جدولت قيمة الصفقة على مدى اثنتا عشر عاما، بمعدل ما قيمته من سبعة إلى ثمانية ملايين جنيها سنويا وهذا المبلغ لا يؤثر بالطبع بدرجة كبيرة على ميزانية الحكومة المصرية آنذاك، لاسيما وأن أمريكا تعلم ذلك الوضع مسبقًا قبل تقديمها لعرضها الخاص بالسد [٤٤].

أما بالنسبة لما أثاره نواب ولايات الجنوب الأمريكية من ضجة في الكونغرس من تخوفهم من مسألة منافسة القطن المصري لأقطانهم في الأسواق العالمية غير حقيقي ، اذا أن أحدى الشركات الامريكية تدعي (شركة ارثر د. ليتل) Arthur D Little Incorporation[٤٥] ، أوردت في دراسة أعدتها في نهاية عام ١٩٥٥ أن التقديرات المبدئية أوضحت زيادة رقعة الأراضي التي ستكون قابلة للزراعة بإتمام إنشاء السد العالي بعد توفير

كميات من المياه، وأن الشركة بصدد إجراء مشاورات مع بعض مسئولي الحكومة المصرية لإبداء استعدادها للمساهمة المالية في مشروعات خاصة بالأراضي التي ستستصلح لزراعة مساحات كبيرة بالخضر والفواكه التي يمكن أن تعد للتصدير للأسواق الأوربية المتاخمة لمصر لتوفير عملات أجنبيه لها ، ومما يشجع تلك الشركة للتفكير في المساهمة في مثل هذه المشروعات ما رأته من اتجاه في مصر يسعى للعمل على تنويع الانتاج الزراعي للتخلص من سيطرة القطن عليه. إذ إنَّ من البديهي ألا تخصص مصر أراضي جديدة مستصلحة لزراعة مساحات أكبر من القطن، فضلا عن ذلك، فأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت المتحكمة في أسعار القطن عالميا باعتبارها تزرع ما يعادل (٧٠-٨٠%) من محصول القطن في العالم، لذا فهي تحرص دائمًا على استمرار تحسن اسعاره لحماية المنتج الأمريكي [٤٦].

تجدر الإشارة إلى أن وزير خارجية الأمريكي دالاس قد تعرض لهجوم كبير باعتباره أنه هو الذي قام تبليغ قرار سحب العرض الأمريكي وأن البيان الذي وزعه على الصحف لنشره في هذا الصدد تضمن عبارات متشددة أثارت مشاعر المصريين، كما لا يمكن اغفال دور الكونغرس والرئيس أيزنهاور باتخاذ ذلك الإجراء، وذلك ما أكده دالاس في حديث له مع سفير أحدى الدول الأوربية في واشنطن، بأنه سبق له التشاور مع الرئيس قبل اعلانه لهذا القرار [٤٧]. وعليه، فإن دالاس ليس المسؤول وحده عن اتخاذ قرار سحب العرض الأمريكي.

وفي اليوم التالي لسحب الولايات المتحدة الامريكية عرض تمويل السد العالي أي ٢٠ تموز ١٩٥٦ قامت بريطانيا بسحب عرضها هي الأخرى مبررة ذلك بنفس الأسباب الاقتصادية التي دعت أمريكا لسحب عرضها، وقد قُوبلَ ذلك القرار بارتياح في الدوائر الرسيمة الأمريكية التي عدته تماثلاً للسياسة البريطانية مع سياسة حليفتها أمريكا، وحين أبلغ متحدث باسم الخارجية البريطانية السفير المصري بلندن بهذا القرار، أعرب الأخير عن استيائه من الموقف البريطاني وتساءل عما إذا كان هذا القرار يعبر عن رأى الحكومة البريطانية ، أجابه المسؤول البريطاني أن الحكومتين البريطانية والأمريكية سبق أن تشاورتا ووصلتا إلى النتيجة نفسها والتي مفادها سحب العرض [٤٨].

يظهر أنه على الرغم من توافق الحليفتين في اتخاذ قرار سحب العرض، إلا أن الولايات المتحدة أخذت المبادرة في الإعلان عن القرار لتثبت أنها قد أصبحت مستقلة عن السياسة البريطانية حيال منطقة الشرق الأوسط، وأنها لم تعد تبني سياستها للمنطقة كرد فعل للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط؛ بل اضحتْ صاحب القرار الأول والموجه لتلك السياسة وتخلصت بذلك من تبعية ردود فعل السياسة بريطانيا في الشرق الأوسط والتي ظلت تمارسها للعديد من السنوات عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أي أنها أصبحت في المحركة للأحداث تجاه المنطقة.

وعقب سحب عرض أمريكا وبريطانيا مساهمتهما في مشروع السد ، سحب المصرف الدولي في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٥٦ عرضه للمساهمة في تمويل المشروع والمتمثل في تقديم قرض لمصر، ويعزى هذا القرار الذي اتخذه المصرف لعدة أسباب من أهمها، أنه سبق أن ربط تقديم القرض للمشروع باستمرار عرض العون الأمريكي البريطاني المشترك له، علاوة على نفوذ أمريكا في المصرف باعتبارها من أكبر المساهمين في رأسماله وصاحبة ثلث أصوات مجلس إدارته، وبالتالي كانت تؤدي دوراً كبيراً في توجيه سياسات المصرف نحو الإقراض الخارجي [٤٩]. وما يؤكد ذلك أنه رغم اقتناع ممثلي المصرف الذين قاموا بدراسات المشروع، وقدرة الاقتصاد المصري على الوفاء بالتزاماته، بيد أن المصرف لم يتمكن من مواصلة استعداده لتقديم القرض لمصر عقب توقف كل من أمريكا وبريطانيا في المساهمة في المشروع.

لا شك أن مصر لم تفاجأ بإعلان أمريكا سحب عرض العون لمشروع السد العالي في(١٩ تموز ١٩٥٦)، إذ أنها كانت تعلم بنية الحكومة الأمريكية والبريطانية قبل إعلانهما بالسحب، بدليل أن مصر فكرت قبل إعلان السحب الأمريكي بمدة قصيرة البحث عن مصدر غربي آخر للتمويل ، وقد وقع الاختيار على ألمانيا الغربية كنتيجة منطقية لاشتراك الشركات الألمانية في الدراسات الخاصة بالمشروع منذ البداية، وما أبدته في أواخر عام ١٩٥٥ من رغبتها للمشاركة في التعاقد على تنفيذ المشروع مع اتحاد من بعض الدول الغربية الأخرى قبل تقديم أمريكا وبريطانيا عرضهما المشترك، وبهذا الصدد، أرسل عبد

الناصر مبعوث شخصي المهندس (حسن ابراهيم) إلى المانيا لاستطلاع رأي الشركات والحكومة الألمانية عن مدى قابليتهم للمشاركة في المشروع في ذلك الوقت – أي في منتصف عام ١٩٥٦ – ومع استعداد الشركات الألمانية للمساهمة في المشروع اشترطت مصر الحصول على ضمان من الحكومة الالمانية نفسها، بمعنى أن تتحمل الشركات جزءا من التمويل وتتحمل الحكومة الألمانية الجزء الباقي، ولكن ابلغت الحكومة الالمانية المبعوث المصري بأنها لن تتمكن من المساهمة في المشروع [٥٠].

لاريبْ أن الحكومة الألمانية قد اتخذت هذا القرار تحت ضغط من امريكا، إذ أنها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخروجها منهزمة وتعرضها للتقسيم وتبعيتها للمعسكر الغربي لم تكن في وضع يسمح لها بالانفراد بوضع قرارات سياستها الخارجية، بل كانت تتعرض لضغوط أمريكية، وقد أرادت أمريكا من وراء ايعازها لألمانيا عدم قبول المشاركة في المشروع أن تؤكد لمصر وحدة سياسة المعسكر الغربي في رفض تمويل المشروع وألا تشذ المانيا عن تلك القاعدة.

ثالثاً: الموقف الامريكي من اعلان مصر تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦.

كان الرد المصري على قرار سحب العرض الأمريكي البريطاني للمشاركة في تمويل السد العالي متمثلا في إعلانها تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وتحويلها إلى شركة مساهمة مصرية وذلك في ٢٦ تموز ١٩٥٦ إذ كان الرئيس عبد الناصر مصممًا على تأميم الشركة ليتوافق ذلك الإجراء مع سياسته القومية التي طالب بها، بهدف إزالة أي مظهر من مظاهر السيطرة الأجنبية على الأراضي المصرية، وفي تصريح له عقب التأميم صرح بأن الخطوات الأولى لهذا الإجراء بدأت منذ أكثر من عامين من إعلانه. وهذا يعنى أن قرار تأميم الشركة لم يأت نتيجة لسحب العرض الغربي؛ بل كان سببًا مباشرًا له، إذ رأت فيه مصر الوقت المناسب كي تعلن قرار التأميم [٥١].

وبهذا الصدد، ان قرار التأميم لم يكن ضربة مباشرة للمصالح الأمريكية بقدر ما كان ضد المصالح البريطانية والفرنسية، اذ لم يكن للولايات المتحدة أي سهم في شركة القناة، بينما كانت لبريطانيا وفرنسا النصيب الأكبر من الأسهم [٥٢]، إذ قُوبِلَ إعلان مصر تأميم

القناة بمعارضة شديدة من قبل بريطانيا وفرنسا مع أنهما كانتا على يقين من أن الشركة ستؤول للحكومة المصرية بعد اثنتا عشر عامًا من تاريخ التأميم، فضلاً عن علمهما بنية الحكومة المصرية عدم تجديد عقد امتيازها (٥٣).

تضامنتْ الولايات المتحدة الامريكية مع بريطانيا وفرنسا، في موقفهما من قضية تأميم مصر لشركة القناة، مع أن القناة لم تكن ذات قيمة حيوية بالنسبة لها سواء من ناحية نسبة حصتها في أسهم الشركة، أو من حيث الاعتماد عليها كشريان ملاحي رئيس بخدم تجارتها الخارجية، وربما يعزى الموقف الأمريكي إلى رغبتها في الحفاظ على قناة بنما (٥٤) لأهميتها البالغة بالنسبة لها، وخشيتها من أن تتعرض مصالحها النفطية للخطر في منطقة الشرق الأوسط في حالة ما إذا أقدمت أي دولة من دولها على السير في خطى عبد الناصر فيما يتعلق بالتأميم، فضلًا إلى تأكيد زعامتها للمعسكر الغربي بالنسبة لشؤون الشرق الأوسط.

أصدرت الخارجية الأمريكية بيانًا بعد يومين أعلان التأميم ، أعربت فيه عن احتجاجها إزاء هذا الإجراء المصري، كما أعلنت أن وزير خارجيتها سوف يجتمع بنظرائه وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا للتشاور عما يتعين اتخاذه بصدد تأميم شركة القناة. فبدأت أولى خطوات الاتفاق فيما بينهم على تجميد أرصدة مصر لديهم، لكي تستخدم ذلك كوسيلة للضغط على مصر، وفي٣١ تموز ١٩٥٦ قامت الولايات المتحدة بتجميد أرصدة شركة قناة السويس لديها ووضعها تحت قيود لا يمكن السحب منها إلا بتراخيص من وزارة الخزانة الأمريكية، مُبررة ذلك بحمايتها من محاولة استيلاء الحكومة المصرية عليها، لحين تسوية مشكلة القناة مع الحكومة المصرية، أما عن تجميدها أرصدة الحكومة المصرية، فأوضحت أنها اتخذت ذلك الإجراء حتى تكون ضمانًا في حالة ما إذا طالبت شركة قناة السويس المنحلة السفن الأمريكية التي تمر بالقناة برسوم، نظير مرورها، والتي يتم دفعها في ذلك الوقت للحكومة المصرية، أما بالنسبة للمبالغ التي تحصل عليها مصر بالدولارات بعد ذلك التاريخ نتيجة معاملاتها فقد تركتْ حرة دون تجميد (٥٥).

ومع غياب توافر إحصاءات بقيمة المبالغ التي جمدتها الولايات المتحدة الامريكية إلا أنه طبقا للتقارير التي أعدها (المصرف الفيدرالي المركزي بنيويورك The Federal Reserve Bank of New York)، يتبين أن قيمة أرصدة الحكومة المصرية في الأول من آب ١٩٥٦ والتي تم تجميدها والممثلة في رصيد البنك الأهلي وأرصدة خاصة بالأفراد ورجال الأعمال بلغت ٤٣,٥ مليون دولاراً. كما بلغ رصيد شركة قناة السويس في ذات التاريخ ٤٠,٩ مليون دولاراً، ليصل مجموع ما جمد من أرصدة مبلغ ٨٤,٤ مليون دولاراً، وحتى مطلع تشرين الأول من العام نفسه تم منح تراخيص في حدود ٢ مليون دولاراً، سُحِبَتْ خصمًا من رصيد الحكومة المصرية وفاءا لمصروفات بعثاتها الدبلوماسية في الولايات المتحدة [٥٦].

لا شك، أن تجميد الولايات المتحدة الامريكية لأرصدة الحكومة المصرية لديها أثارًا سلبية على العلاقات الاقتصادية بين البلدين بصفة عامة ولاسيما في المجال التجاري، فعلى سبيل المثال كانت مصر في أيلول ١٩٥٦ في حاجة ماسة لبعض الأدوية والتجهيزات الطبية، فضلاً عن بعض المبيدات لرشها في القرى والمزارع لحماية الساكنين فيها من أخطار الأوبئة، وبما أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا كانوا يعدون المصدر الرئيس لحصول مصر على تلك النوعيات، فقد تقدمت مصر بطلب للسفارة الأمريكية بالقاهرة لإجراء مساعيها لدى الحكومة الأمريكية لإمكانية حصول مصر عليها، بشرط ان تخصم من أرصدة الحكومة المجمدة لديها ، وقدرت تلك الاحتياجات بحوالي مليون دولاراً، لكن قسم التمويل الدولي التابع لوزارة الخارجية أوصى بألا يُفرج عن أية أرصدة مجمدة لديها[٥٧]. وهذا يبين مدى تعنت الحكومة الأمريكية في عدم الإفراج عن جزء من أرصدة مصر مقابل شراء السلع والخدمات الضرورية.

نتيجة ذلك، لم تقف مصر مكتوفة الأيدي إزاء تجميد أمريكا لأرصدتها لديها؛ بل سعت جاهدة للتوصل إلى تفاهم مع المسئولين الأمريكيين للإفراج عنها، فإلى جانب مساعي وزير المالية المصري والسفير المصري بواشنطن أرسل الرئيس عبد الناصر في منتصف تشرين الثاني عام ١٩٥٦ مبعوثا شخصيا له إلى واشنطن – مصطفي أمين – لمناقشة

مسألة الأرصدة المجمدة، وفي لقاء تم بين المبعوث المصري وبصحبته السفير المصري بواشنطن وبعض مسؤولي وزارة الخارجية الأمريكية،

اعرب الجانب المصري للمسئولين الأمريكيين عن مدى استياءهم من تجميد الأرصدة وتبريرها ذلك بأن هذه الأموال قد جمدت إلى أن تسوي تعويضات شركة القناة، ومع أن أمريكا لم تكن تملك إلا نصيبًا ضئيلا يكاد لا يذكر من أسهم الشركة بشكل يدعوها لاتخاذ ذلك القرار، وحتى لو افترض أن مصر قد قبلت تجميد أرصدة شركة القناة فهي لا تقبل تجميد أرصدة المصرف الأهلي مما أعاق نشاط مصر التجاري مع أمريكا ، كما أوضح الجانب المصري أن بريطانيا وفرنسا فقدتا (بعد العدوان الثلاثي)[٥٨]، الكثير من مكانتهما التجارية والصناعية ليس في السوق المصرية فقط؛ بل في العديد من أسواق الشرق الأوسط، ويرى أنه في حالة إفراج الولايات المتحدة الامريكية عن الارصدة المجمدة لديها أن ذلك سيعود بالفائدة عليها، إذ يمكنها من زيادة نشاطها الاقتصادي في تلك الأسواق [٥٩].

الخاتمة:

في ضوء مما سبق تبين موقف الولايات المتحدة الامريكية من انشاء السد العالي، عليه يمكن الوقوف على بعض المؤشرات التي حكمت ذلك الموقف والتي تمثلت في فكرة قبول أمريكا المساهمة في تمويل المشروع ، فقد رأت أن مشروع السد من أهم مشروعات التنمية الاقتصادية بالنسبة لمصر، كما أن حكومة ثورة تموز ١٩٥٢ أولته أهمية بالغة في الوقت الذي لم يكن يتوافر لمصر تغطية كل مستلزمات المشروع من العملات الأجنبية طبقا للتقديرات التي وضعها المختصون الذين قاموا بدراسة المشروع ، ومن هذا المنطلق فكرت أمريكا في المساهمة في تمويل جزء من العملات الأجنبية التي يحتاجها المشروع، لما سيترتب عليه من فوائد على عامة الشعب المصري ، بغية تدعيم مصالحها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية في مصر وفي منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن تحجيم التأثير الذي خلفه تشددها إزاء طلب مصر للسلاح من الكتلة الشرقية.

ومن الملاحظ أن أمريكا قبلت مشاركة كل من المصرف الدولي وبريطانيا في توفير جزء من العملات الأجنبية لتمويل المشروع مع أن الاقتصاد الأمريكي كان قادراً على الوفاء

بكل التزامات المشروع من العملات الأجنبية بمفرده، ومما يؤكد ذلك أن دولاً أخرى أقل قدرة اقتصادية من أمريكا عرضت استعدادها لتغطية تكلفة احتياجات المشروع من العملات الأجنبية بالكامل كألمانيا، والاتحاد السوفيتي فيما بعد، ويكّمن السبب وراء قبول أمريكا مشاركة المصرف الدولي لإضفاء الصبغة الدولية على المساهمة الغربية، في الوقت الذي كانت تتحكم في تقرير سياسة المصرف الاقراضية لما لها من نفوذ كبيرة فيه ، أما بالنسبة للمشاركة البريطانية ، فمع أنه يبدو أن موقف أمريكا كان غريبًا، إذ بينما تسعى للحد من النفوذ البريطاني –ولكن في الوقت نفسه– تقبل مشاركتها لها في تمويل المشروع، ويرجع ذلك لكونها تدرك جيدًا أن بريطانيا ما تزال لها مصالح كبيرة في مصر، وأيضا لتفادي اعتراضها على القيام بمشروع السد بمفردها ، كما أنها أيقنت أن حجم المساهمة البريطانية ستكون أقل بكثير من مساهمتها، وبذلك تبدو أمريكا للمصريين بأنها الدولة التي يمكن الاعتماد عليها وإن بريطانيا لم تعد صاحبة الأولوية في مصر.

بيد أنَّ سرعان ما تغير موقف الولايات المتحدة الامريكية حيال تمويل المشروع بأن قررت سحب عرضها ، ورغم أنه لا يمكن تجاهل المؤثرات التي أدت دوراً بارزاً في اتخاذ هذا القرار والتي من أهمها علاقاتها الخاصة بـ(إسرائيل) وسياستها تجاه منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، فضلاً عن معارضة أصحاب المصالح بالكونغرس ، إلا أن تزامن تلك المؤثرات مجتمعة في عدم إعادة الانتخابات الرئاسية جعل لها دوراً أكثر فاعلية، إذ أن الرئيس أيزنهاور كان يسعى جاهدًا لإعادة ترشيحه للرئاسة لدورة أخرى، فكان في حاجة لكسب أصوات (اللوبي الإسرائيلي) والكونغرس لترجيح كفته في الانتخابات، وربما لو كانت هذه العوامل لم تواكب الانتخابات الرئاسية الامريكية لما كان لها نفس التأثير على ما اتخذته من قرار لسحب العرض.

وباتخاذ الإدارة الامريكية والمعسكر الغربي قرار عدم المشاركة في تمويل مشروع السد، منح الفرصة لمصر التي كانت تنتظرها الإعلان تأميم شركة القناة، وقد عمل ذلك على تأثر العلاقات الاقتصادية بين مصر وأمريكا بقيامها بتجميد أرصدة مصر لديها وما ترتب على ذلك من تأثير على العلاقات التجارية، إلى جانب أثر التأميم على حجم

المعونات الأمريكية لمصر. ومن هنا يتبين أن مشروع السد العالي كان له أثر مزدوج على العلاقات المصرية –الأمريكية، ففي مرحلة ما هدف إلى توطيد تلك العلاقات وفي مرحلة أخرى أدى إلى تراجعها.

هوامش البحث:

(١) سد اسوان: تم بناء سد اسوان القديم عام ١٩٠٢ بمساعدة بريطانية في محاولة للسيطرة على فيضان مياه النيل، ومع الازدياد السكاني في مصر والحاجة الملحة الى تطوير قطاعات عديدة في الدولة المصرية كالزراعة والصناعة ظهرت الحاجة الى الاستفادة اكثر من فائض مياه النيل حيث كانت فكرة رجل الاعمال اليوناني الاصل (دانينوس) العامل في مجال الري والزراعة المصرية القائلة بإمكانية استخدام خزان أسوان القديم لتوليد الطاقة الكهربائية وذلك عام ١٩٤٨، وتطورت تلك الفكرة الى إنشاء سد جديد في منطقة أسوان ذو استيعاب اكبر للمياه، وقد اصبح ذلك المشروع من اهم اهداف ثورة يوليو منذ قيامها. يُنظر: مأمون شاكر إسماعيل، العلاقات السياسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٦ – ١٩٦٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٣٠.

(٢) مرفت صبحي غالي، العلاقات الاقتصادية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، (القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩)، ص ٢٦٤.

(3) P. J. Vatikiotis, The Modern History of Egypt, (London, 1969) p.379.

(4) Aftab Kamal Pasha, Egypt's Relation with Soviet Union, Nasser and Sadat period, (Aligarh Muslim University, Aligarh, 1986), p.5.

(٥) سنان صادق حسين، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه مصر ١٩٥٢ – ١٩٥٦، رسالة ماجستير، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٥٦–٢٥٩.

(٦) روبرت مايرو، الاقتصاد المصري ١٩٥٢- ١٩٧٢، ترجمة صليب بطرس، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦)، ص ١٤١ – ١٤٢.

(٧) مرفت صبحي غالي، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٨) برنامج النقطة الرابعة: هو برنامج مساعدات تقني امريكي، مخصص للدول النامية، أعلن عن البرنامج لأول مرة في خطاب الرئيس الأمريكي هاري ترومان بمناسبة توليه منصب الرئاسة للمرة الثانية عام ١٩٤٩، وقد تحدث الخطاب عن الأهداف الأربعة لسياسة الخارجية الأمريكية، وقد أُقر البرنامج، وخصص له مبلغ ٢٥ مليون دولار أمريكي للسنة المالية ١٩٥٠/ ١٩٥١، كما شكلت لجنة في وزارة الخارجية الأمريكية تحت اسم مجموعة المساعدات التقنية أشرفت على البرنامج. يُنظر:

Glenn Hastedt, Encyclopedia of American Foreign Policy, (New York, Facts On File, Inc., 2004), pp.304 – 305.

(9) Robert Mabro, the Egyptian Economy 1952-1972, (Oxford University Press, 1974), p.p. 88-89.

(١٠) المصرف الدولي: أُسس في تموز ١٩٤٤ في الولايات المتحدة الأميركية، وبدأت أعماله في حزيران ١٩٤٦، ويعرف بـ (المصرف الدولي للإنشاء والتعمير International Bank for Reconstruction and Development- IBRD) ، ويُعدّ أهم مؤسسة لتسويق وتمويل ما تصدره الدول الصناعية من سلع إلى الأسواق العالمية، لاسيما الدول النامية. يُنظر:

(١١) محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، (بيروت، دار النهار للنشر، ، ١٩٧٢)، ص ٩٥-٩٩.

(١٢) عقدت مصر مع الاتحاد السوفيتي في أيلول عام ١٩٥٥ صفقة لإمداد مصر بأسلحة من تشيكوسلوفاكيا بقيمة (٨٣) مليون دولار. وعلقت الخارجية البريطانية عن تلك الصفقة، "انها تمت مع الجيك لرغبة الرئيس عبد الناصر في ان يبدو بنظر العالم والغرب خاصة انه اقل ميلاً الى اليسار، إذ ان جيكوسلوفاكيا تعاملت سابقا مع

(اسرائيل) وباعت لها الاسلحة اثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فضلًا عن ذلك، أن الهدف من اجراء جزء من المفاوضات في العاصمة الجيكية بدلاً من موسكو هو لتجنب لفت انظار الغرب لتلك الصفقة". يُنظر: محمد حسنين هيكل، قصة السويس: اخر المعارك في عصر العمالقة، (بيروت، ١٩٧٦)، ص٢٨.

(١٣) علي الدين هلال، امريكا والوحدة العربية ١٩٤٥-١٩٨٢، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩)، ص ١٣٣.

(١٤) جون فوستر دالاس: سياسي ودبلوماسي أميركي، ولد في العاصمة واشنطن عام ١٨٨٨، أكمل دراسته للحقوق عام ١٩٠٨، عمل بعد تخرجه في محاكم نيويورك، رشح بصفته قنصلاً لبلاده في باريس ضمن الوفد الأميركي في مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩، تولى عدة وظائف في اروقة وزارة الخارجية الأميركية، رشح للعمل في التفاوض في العديد من اللجان الدولية والمعاهدات والتحالفات الأوربية، عمل كمندوب لبلاده في الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة في مؤتمر (سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ ، ترأس الوفد الأميركي المفاوض خلال توقيع معاهدة السلام مع اليابان، شغل رئاسة مجلس الشيوخ الاميركي (تموز – تشرين الأول ١٩٤٩)، أستؤزر للخارجية للمدة (١٩٥٣- ١٩٥٩)، كان له دوراً فاعلاً في الدبلوماسية الأميركية خلال الحرب الباردة. توفى عام ١٩٥٩. يُنظر:

Encyclopedia Americana, Vol.9, (USA, Americana Corporation Manufacture, 1979), p.463.

(١٥) محمد حسنين هيكل، نحن وامريكا، ط٢، (القاهرة، دار العصر الحديث، ١٩٦٧)، ص ١٠٩-١١٠.

(١٦) حلف بغداد: كان تحالفًا عسكريًا تأسس في عام ١٩٥٥ لمواجهة النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة .ضم الحلف في البداية العراق وتركيا، ثم انضمت إليهما بريطانيا وباكستان وإيران. للتفاصيل عن الحلف يُنظر: صبحي ناظم توفيق، حلف شمال الأطلسي وحلف بغداد في وثائق الممثليات الدبلوماسية العراقية قي أنقرة

واستانبول ١٩٤٥-١٩٥٧،(بغداد ، بيت الحكمة،٢٠٠٣)، ص ٣٤٨-٣٦٣؛ عزيز شرف، شعوب أسيا وأفريقيا ضد حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور ،(القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٥٨)، ص ١٢-٢٧.

(١٧) مرفت صبحي غالي، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(١٨) جمال عبد الناصر: ولد في مدينة الإسكندرية في عام ١٩١٨. التحق بالكلية الحربية في القاهرة في عام ١٩٣٧. اشترك في حرب عام ١٩٤٨ وحوصر مع فرقته العسكرية في منطقة "الفالوجا". نظم جماعة من الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة في ٢٣ تموز من عام ١٩٥٢. شغل منصبي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في حزيران من عام ١٩٥٣. شغل منصب رئيس البلاد في عام ١٩٥٤. وفي العام نفسه، وقع معاهدة مع بريطانيا لجلاء قواتها عن قاعدة قناة السويس التي أممها في السادس والعشرين من تموز من عام ١٩٥٦، فكانت سبباً في العدوان الثلاثي على بلاده. ساند ثورتي الجزائر واليمن. في عهده قامت أول جمهورية عربية متحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨. استقال على إثر الهزيمة العسكرية التي منيت بها بلاده في حزيران من عام ١٩٦٧، لكنه عاد عنها تحت الضغط الشعبي. توفي في أيلول من عام ١٩٧٠. يُنظر: جمال مصطفى مردان، عبد الناصر والعراق، (بغداد، المكتبة الشرقية، ١٩٩٠)، ص ١١-٥٨.

(١٩) محمد حسنين هيكل، نحن وامريكا، ص ١١٠.

(20) Foreign Relations of the United States, 1955–1957, Foreign Economic Policy; Foreign Information Program, Volume IX, Telegram From the Embassy in the United Kingdom to the Department of State, , 9/ 12/ 1955,P.2.

ويرمز لها لاحقاً (F.R.U.S)

(21) F.R.U.S., Memo from Allen. NEA to Hoover. Under Secretary, dated , 22/10/1955. PP. 1-2.

(22) F.R.U.S., Memo. from Rountree to Hollister re High Avwen Dam, dated 23/4/1958. p. 4.

(23) F.R.U.S., Memo from the president of IBRD regarding high Dan project dated,16/12/1955,PP.4-7.

(24) Ibid., P.9.

(٢٥) مرفت صبحي غالي، المصدر السابق، ص ٢٧١.

(26) Selwyn Lloyd, Suez 1956: A personal account, (London, 1978), p. 28.

(٢٧) دوايت دافيد أيزنهاور: عسكري وسياسي أميركي، وهو الرئيس الرابع والثلاثين للولايات المتحدة الأميركية، ولد عام ١٨٩٠، ألتحق بالأكاديمية العسكرية الاميركية وتخرج برتبة ملازم ثان عام ١٩١٥، خدم في عدة قواعد عسكرية، منها قاعدة قناة بنما للمدة (١٩٢٢ – ١٩٢٤)، دخل مدرسة قيادة الأركان للمدة (١٩٢٥ – ١٩٢٦)، وبعد الحرب العالمية الثانية تدرج في الرتب العسكرية سريعاً حتى بلغ رتبة فريق أول، وعين رئيساً لأركان الجيش، تولى قيادة الجيش الأميركي في أوربا، تميز بقدراته العسكرية في التخطيط والإدارة، انتخب رئيساً للولايات المتحدة عن الحزب الجمهوري في الرابع من تشرين الثاني ١٩٥٢، كان له دور مهم في الارتقاء لحل لإيقاف الحرب الكورية عام ١٩٥٣، دامت مدة رئاسته حتى عام١٩٦١، وخلالها سجلت له أدواراً دولية مهمة، توفى في ٢٨ آذار ١٩٦٩. يُنظر:

Michael A. Genovese, Encyclopedia of the American Presidency, (New York, Facts On File, 2010), pp.166 – 168.

(٢٨) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، ص ٤٥-٤٦.

(٢٩) جماعات الضغط: هي جماعات مُنظمة شكلتْ لخدمة مصالحها وممارسة التأثير والضغط غير المباشر في صُنع القرار السياسي، وتختلف مصالحها باختلاف أهدافها وأشكالها (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، المهنية وغيرها)، وتتخذ لها صيغاً

وأنماطاً مختلفة من المسميات، منها الجمعيات والمؤسسات والاتحادات والنقابات، كما أطلقت عليهم عدد من المصادر بـ(جماعات المصلحة Interest Groups)، وتعتمد في أداء مُهماتها على أفراد يُعرفون بـ(لوبي Lobby)، الذي أصبح أسماً مرادفاً لها. يُنظر: حسين عبد الحميد أحمد رشوان، في القوة والسلطة والنفوذ. دراسة في علم الاجتماع السياسي، (الإسكندرية، مركز دراسات الإسكندرية، ٢٠٠٧) ص ٢١٣-٢١٨.

(30) Peter Mansfield, the Middle East, (oxford University press, 1973), p. 227.

(٣١) وزارة الدفاع – هيئة البحوث العسكرية – حرب العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦، ج١، (القاهرة، مطابع الاهرام التجارية، د.ت)، ص ١١-١٢.

(٣٢) دونالد نيف، حرب السويس، كيف أدخل ايزنهاور أمريكا إلى الشرق الأوسط، ترجمة أحمد خضر وعبد السلام رضوان، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٠)، ص ١٦٧.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٣٤) جريدة الجمهورية، القاهرة، العدد ٨٥٥ في ١٩ نيسان ١٩٥٦.

(35) F.R.U.S., From Rountree to Hoover mecting with Ambassador Makins concerning Aswan Dam, dated 3/4/1956. p.p. 1-2.

(36) F.R.U.S., Memo, of conversation relating Egyptian relations, dated 17/5/1956. p.3.

(37) F.R.U.S., From Dulles to Carl Hayden, chairman Senate Appropriations committee, dated 23/5/1956.p.3.

(٣٨) جريدة الجمهورية، العدد ٨٨٠ في ١٧ آيار ١٩٥٦.

(٣٩) دونالد نيف، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(40) F.R.U.S., Memo. of Conversaion re Aswan Dam. dated 13/7/56, pp. 1-2 .

(41) Ibid, Memo, of conversation re Aswan dam between Egyptian Ambassador, washington and the Secretary and some of his assistants, dated 19/7/1956. p.p. 1-2.

(42) Ibid, pp. 4-5.

(43) Ibid, p.6.

(44) Ibid. From Hoover to S.O.S.. dated 20/6/1956. pp. 1-2.

(٤٥) آرثر دي ليتل: هي شركة استشارات إدارية دولية مقرها الأصلي في ماساتشوستس، أسست عام ١٨٨٦ أدت الشركة أدوارًا رئيسية في تطوير استراتيجية الأعمال كما تُعد الشركة شركة استشارات إدارية متعددة الجنسيات.

(46) F.R.U.S., From O'connor. Acting Assistant Secretary to Rutherford House t of Representative regards a report prepared by Arthur D. Little Inc., dated 28/6/1956, p.2.

(٤٧) دوايت ايزنهاور، مذكرات ايزنهاور، ترجمة هيوبرت يونغمان،(د.م، ١٩٦٩)، ص ٢٤-٢٥.

(48) F.R.U.S., Telegram from Foster (FO. spokesman, London's to SOS EL regards withdrawal of H.M.G. its offer, dated 20/7/1956. p.1.

(٤٩) جريدة الجمهورية، العدد ٩٤٧ في ٢٥ تموز ١٩٥٦.

(٥٠) وجيه عتيق، السياسة الدولية وخفايا العلاقات المصرية الالمانية ١٩٥٢-١٩٦٥، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩١)، ص ١١٨-١٢٥.

(51) Robert Stephens, Nasser: A political Biography, (London, 1971), p. 193.

(٥٢) تعود فكرة إنشاء قناة السويس الى فرديناند ديليسبس الدبلوماسي الفرنسي الذي كان يعمل نائباً للقنصل الفرنسي في الإسكندرية ثم في القاهرة عام ١٨٣٢، وقدم عرضه

لإنشاء القناة الى الخديوي سعيد عام ١٨٥٤ وحصل منه على امتياز إنشاءها الذي استمر لمدة خمسة عشر عاماً حيث افتتحت عام ١٨٦٩ وحصلت الحكومة المصرية على ٤٤% من أسهم الشركة ونسبة من الأرباح قدرها ١٥%، اما الأسهم الأخرى فقد احتفظ ديلسبس لكل دولة من الدول ذات الأساطيل البحرية الكبرى بنسبة معينة من الأسهم، فمثلاً احتفظ بعشرين ألف سهم للولايات المتحدة الأمريكية، الا ان الحكومة الأمريكية لم تشتر من الأسهم المذكورة، بينما اشترت بريطانيا حصة مصر من الأسهم مقابل أربعة ملايين جنيه إسترليني دفعت للخديوي إسماعيل في عهد رئيس الوزراء البريطاني بنيامين دزرائيلي عام ١٨٧٥ نتيجة للأعباء المالية الكثيرة التي لم يكن الخديوي قادراً على ازالتها، الا ان حق مصر في الأرباح ظل كما هو حتى عام ١٨٨١ حينما اضطر الخديوي توفيق وللأسباب المالية ذاتها التي مر بها والده (إسماعيل) لبيع حصة مصر من الأرباح لإحدى المجموعات المالية الفرنسية. وفي عام ١٩٠٩ حاولت شركة القناة التفاوض مع الحكومة المصرية لتمديد اتفاق الامتياز لمدة أربعين سنة أخرى اي حتى عام ٢٠٠٨، الا ان الجمعية التشريعية في مصر عارضت ذلك مما أدى الى فشل المفاوضات. يُنظر: مأمون شاكر إسماعيل، العلاقات السياسية بين مصر و الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٦-١٩٦٣، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٤٢؛ دونالد نيف، المصدر السابق، ص ١٥-١٦.

(٥٣) مرڤت صبحي غالي، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٥٤) قناة بنما: ممر مائي يعبر برزخ بنما، ويصل ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ. وتُعد هذه القناة من أعظم الإنجازات الهندسية في العالم. عملت القناة بعد الانتهاء من شقها عام ١٩١٤ . على تقصير مسافة رحلة السفن ما بين مدينة نيويورك وسان فرانسيسكو إلى أقل من ٨,٣٧٠ كم.

(٥٥) مصر وأمريكا، عرض تاريخي لتطور العلاقات المصرية -الأمريكية، (القاهرة، مطابع الأهرام، ١٩٧٦)، ص ٢٠.

(56) F.R.U.S., From Elating Arnold Federal Reserve Bank of N.Y. to Corbett. D.O.S., Blocked and free accounts of Egypt and the Suez Canal Co dated 2/10/1956. p.1.

(57) F.R.U.S., Memo. of Conversation regards visit of special emissary from Nasser to U.S .. dated 18/11/1956. p. 4.

(٥٨) العدوان الثلاثي: هي الحرب التي نشبت بين مصر من جهة وبين بريطانيا وفرنسا و(اسرائيل) للمدة (٢٩ تشرين الأول -٧ تشرين الثاني ١٩٥٦) بسبب اعلان مصر تأميم قناة السويس، وانتهت بعدما قدّم الاتحاد السوفيتي إنذاراً إلى الدول المعتدية في (٥ تشرين الثاني ١٩٥٦) ، محذراً من قيام حرب عالمية ثالثة، إذا لم تنسحب قواتها العسكرية من الأراضي المصرية، وعلى أثر هذا الإنذار وعدم تأييد الولايات المتحدة الامريكية للأعمال العسكرية، أعلن وقف إطلاق النار في الجبهات كافة ، وفقاً لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة في (تشرين الثاني ١٩٥٦) . يُنظر: ميسون عباس حسن الجبوري، أزمة السويس والموقف الدولي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد . ٢٠٠٥، ص ١٧٣-١٧٥.

(٥٩) تجدر الإشارة إلى ان الارصدة المصرية بقت مجمدة لدى الولايات المتحدة حتى (حزيران ١٩٥٨)، بعد التوصل إلى اتفاق بين مصر وممثلي حملة الأسهم بشركة القناة. يُنظر: مرفت صبحي غالي، المصدر السابق، ص ٢٩٢-٢٩٣.

موقف ليبيا من تطورات القضية الفلسطينية

(٢٠٠٢ – ٢٠١١)

Libya's position on developments in the Palestinian issue (2002 – 2011)

م.م اصاله عمار ياسر

Ms. Assalah Ammar Yasser

٠٧٧٠٨٦٧٨٢٧١ رقم الهاتف

assalah.a@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية.

موقف ليبيا من تطورات القضية الفلسطينية (٢٠٠٢ – ٢٠١١)

م.م اصاله عمار ياسر

ملخص

تناول هذا البحث موقف ليبيا من تطورات القضية الفلسطينية (٢٠٠٢- ٢٠١١) عبر خمس مراحل مترابطة: الموقف الليبي من انتفاضة الاقصى عام ٢٠٠٠ , الموقف الليبي من مشروع المبادرة العربية والاعتراف بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف ٢٠٠٢, الموقف الليبي من الانتخابات التشريعية الفلسطينية ووفاة ياسر عرفات ٢٠٠٣-٢٠٠٤ , ليبيا وموقفها من الادارة الفسطينية بقيادة حماس ٢٠٠٥-٢٠٠٧, ليبيا وموقفها من الخلافات بين حماس وفتح في ادارة الدولة الفلسطينية ٢٠٠٧-٢٠١١.

اظهر البحث مواقف ليبيا في هذه الفترة، اذ كان موقفها مؤيد بالكامل للقضية الفلسطينية وكانت تصنف من الدول العربية التي تتبنى خطابا" سياسيا" حادا" ضد اسرائيل, وعلى المستوى الشعبي والانساني شهدت ليبيا حملات تبرع واسعة لصالح فلسطين, كما ان الاعلام الليبي الرسمي لعب دورا" داعما" للقضية الفلسطينية ومنندا" بالسياسات الاسرائيلية, شهدت علاقات ليبيا بالقيادة الفلسطينية الرسمية خاصة خلال عهد ياسر عرفات فتورا" بسبب خلافات سياسية تتعلق بالمفاوضات, بعد عام ٢٠٠٦ واثناء انقسام فتح وحماس حاولت ليبيا ان تظهر بموقف محايد لكنها مالت في خطابها نحو دعم المقاومة, كما ان العقيد معمر القذافي رفض تطبيع العلاقات والدعوه الى المقاومة والاحتلال.

الكلمات المفتاحية: (موقف ليبيا, انتفاضة الاقصى, الانتخابات التشريعية, الادراة الفلسطينية).

Abstract

This research examines Libya's stance on developments in the Palestinian issue (2002-2011) through five interconnected phases: Libya's position on the Al-Aqsa Intifada in 2000; Libya's position on the Arab Peace Initiative and the recognition of a Palestinian state with Jerusalem as its capital in 2002; Libya's position on the Palestinian legislative elections and the death of Yasser Arafat in

2003-2004; Libya's position on the Hamas-led Palestinian Authority in 2005-2007; and Libya's position on the disputes between Hamas and Fatah regarding the administration of the Palestinian state in -2011-2007.
The research showed that Libya's position during this period was one of unwavering support for the Palestinian cause. It was considered among the Arab states that adopted a strongly worded political stance against Israel. At the popular and humanitarian level, Libya witnessed extensive donation campaigns in support of Palestine. Furthermore, the official Libyan media played a supportive role for the Palestinian cause and condemned Israeli policies. Libya's relations with the official Palestinian leadership, particularly during Yasser Arafat's era, cooled due to political disagreements concerning negotiations. After 2006, during the Fatah-Hamas split, Libya attempted to maintain a neutral stance, but its rhetoric leaned towards supporting the resistance. Colonel Muammar Gaddafi rejected normalization of relations and called for resistance against the occupation.

Keywords: (Libya's position, Al-Aqsa Intifada, Legislative elections, Palestinian Authority)

المقدمة

احتلت القضية الفلسطينية محورا" اساسيا" في ليبيا وتعاظم هذا الاهتمام الشعبي الرسمي على مر انظمة الحكم التي مرت بها ليبيا منذ استقلالها عام ١٩٥٢ مرورا" بحكم العقيد معمر القذافي(١٩٦٩–٢٠١١) اذ لاقت القضية الفلسطينية دعما" واهتماما" بالشان الوطني، رغم ان ليبيا جغرافيا" ليست من الدول المجاورة حدوديا" مع الدولة الفلسطينية، اذ ظهرت الكثير من الشواهد العملية ان القضية الفلسطينية كانت من اهم المحددات التي تحكم علاقات ليبيا وسياستها الخارجية مع دول العالم.

منذ الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين على ان تسمى (اسرائيل) وتكون مفتوحة للهجرة اليهودية (F.R.U.S,1948, Doc247)، وان ليبيا لها مواقف كبقية مواقف الدول العربية الاخرى التي تمثلت بالاستنكار وعقد المؤتمرات بعد محاولات الرؤساء العرب تنظيم اخوانهم الفلسطينين ودراسة الوضع الحالي لمسألة الكيان الفلسطيني،وابراز الخطط

الرامية الى انشاء هيئة تمثل فلسطين(F.rR.U.S,1968, Doc54)، في عام ١٩٧٤ اعترفت ليبيا بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وان تساعد الدول العربية هذه السلطة عن قيامها في جميع المحاولات والمستويات(MICHALAK)، اذ اكدت ليبيا اهتمامها الكبير واالضروري بالقضية الفلسطينية وتظافر الجهود الليبية لدعم مجاهدين فلسطين(اطلاعات، صحيفة،١٩٨٢)، على الرغم من فشل العديد من مشاريع الدول العربية والدولية في ازمة القضية الفلسطينية، الا ان الموقف الليبي اتجاهها بقي ثابتا" والمناداة باستمرار الكفاح المسلح ضد (اسرائيل) ورفض جميع الحلول السلمية للقضية الفلسطينية(المرشدي، ٢٠٢١، الصفحة١٦٦)

عندما بدأ الكيان الصهيوني بترحيب فكرة هجرة اليهود السوفيت الى الاراضي الفلسطينية عام ١٩٩٠، كان الشغل الشاغل عند ليبيا عدم توطين المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي في الاراضي المحتلة في الضفة الغربية من فلسطين(الناشف،هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ١٩٩٠، الصفحة ٧٨)، لان توطين اليهود في الاراضي الفلسطينية هو امر مخالف لعملية السلام وتشكل انتهاكا" خارجا" لقواعد القانون الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية للشعب الفلسطيني(ياسر،٢٠٢٢، الصفحة ١٥٨).

المبحث الأول: (الموقف الليبي من انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠).

اندلعت انتفاضة الأقصى في ٢٨ ايلول ٢٠٠٠ ، وتوقفت هذه الانتفاضه فعلياً في بداية شهر شباط عام ٢٠٠٥، بعد اتفاق الهدنه الذي عقد في مدينة شرم الشيخ المصرية بين الجانب الفلسطيني ورئيس وزراء اسرائيل، اذ تميزت هذه الانتفاضه مقارنه مع الانتفاضات التي سبقتها بكثرة المواجهات المسلحة وتصاعد الاعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الاسرائيلي، ذهب ضحيتها العديد من الجرحى والضحايا الابرياء الفلسطينين، كما سقط العديد من القتلى والجرحى من الجانب الاسرائيلي، كما افزرت هذه المعركة نتائج فادحه من نوعها، إذ تم تدمير العديد من المدرعات الاسرائيلية، وكانت شرارة اندلاعها دخول زعيم المعارضة الإسرائيلية انذاك (ارئيل شارونAriel Sharon)[1] الى باحه المسجد الاقصى برفقة حراسةٌ والعديد من الضباط الاسرائيليين، الامر الذي دفع

المصلين المتواجدين في المسجد الى التجمهر ومحاوله التصدي له، فكان من نتائجه اندلاع اول اعمال العنف في هذه الانتفاضه وهو اعدام الطفل (محمد الدرة) البالغ من العمر (١١) عاماً اذا صبح رمزاً للانتفاضة الثانية(https://ar.m.wikipedia.org/wiki/)

اخذت مظاهر التعبير عن التأييد والمساندة للشعب الفلسطيني صوراً واشكالاً متعدده، اذ كانت القضية الفلسطينية امراً جوهرياً في الساحة الليبية ابان انتفاضة الاقصى عام ٢٠٠٠ ، إذ اولت وسائل الاعلام الليبية اهتماماً كبيراً بهذه القضية بجميع اشكالها الصحفية من تغطيات اخبارية وتقارير ومقالات وحوارات صحفية من اجل مناصرة وكفاح الشعب الفلسطيني واستعاده ارضه المحتلة (غلام،٢٠٢٣، صفحة ٣٥٥)، كما اتخذ الموقف الليبي تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي تحولاً جذرياً، فبعد ان كانت الجماهيرية العربية البيبية ترى ان تحل هذا الصراع بصورة سريعة ومباشرة من خلال العمل العسكري وتحرير الاراضي الفلسطينية بالكامل(سمير،٢٠١١، صفحة ١٣٥).

طرحت ليبيا بقيادة رئيسها معمر القذافي (Muammar Gaddafi)(2) رؤية سلمية من نوعها من خلال اجتماع المؤتمرات الشعبية الاساسية التي كانت تحضرها، حيت عرفت هذه المبادرة الليبية لحل مشكلة القضية الفلسطينية بـ(الكتاب الابيض White Paper)[٣] الذي يتضمن اقامة دولة (اسراطين) عام ٢٠٠٠ يعيش فيها كلاً من الفلسطينين والإسرائيلين معاً، وتكون هذه الدوله تحت اشراف الامم المتحدة، وتجري فيها انتخابات حرة، كما يتم فيها نزع جميع اسلحه الدمار الشامل، ويعود جميع اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية والغربية إلى ديارهم فلسطين، كان موقف ليبيا متنوعا، حيث تبناه القذافي كحل وحيد للصراع في مقالات له ودعمه لكنه قوبل بالرفض من الاطراف المعنية ومراقبين (باقانيني، ستاريكوف، ٢٠١٢، صفحة ١٦٨).

كان موقف الشارع الفلسطيني يعكس احباطا عميقا وغضبا تجاه السياسات الاسرائيلية ويتجاوب مع دعوات المقاومة ويرفض اي حلول تبدو كصفقات تصفية للقضية الفلسطينية او تفرط في الحقوق الاساسية، وكان للدور العربي غيابا ملحوظا بسبب ضعف النظام الرسمي وتراجع دور جامعة الدول العربية، فضلا عن الانقسام الداخلي بين الدول سواء على مستوى السياسات او التوجيهات الفكرية، وان المواقف الرسمية العربية لم تتجاوز

بيانات الشجب من دون تقديم اي دعم حقيقي للفلسطينيين(باقينيني، ستاريكوف،٢٠١٢، صفحة ١٦٨).

أكد القذافي إن مبادرته سوف تصدر فيها بعد وتوزع للعالم، لانها تشكل تصوراً واقعياً لحل مشكلة الشرق الأوسط بصورة جذرية وبنى رؤية على عودة الشعب الفلسطين وقدم تحليلاً للوضع في منطقة الشرق الأوسط، اشار فيه الى التدخل الكبير بين الاسرائيلين والفلسطينين معتبراً أن الفصل بينهم يبدو مستحيلاً رغم المواجهات المستمرة بينهما، كما دافع القذافي في مرات عديدة عن وجهة نظرهٌ التي طرحها بخصوص ضيق المنطقة التي قال انها(لن تتسع لقيام دولتين اسرائيلية وفلسطينية خاصة وان اسرائيل تملك اسلحه دمار شامل وهي غير متوفره لدى الفلسطينين ولا حتى العرب بأكملاها)(https://www.aljazeera.nat/news/2002/3/2/).

يحتاج الدعم الاستراتيجي للانتفاضة عربياً واسلامياً الى خروج الحركة الشعبية في هذه البلاد من عفويتها واكتسابها دينامية خاصة قادرة على التأثير والفعل في انظمة مازالت بعيدة عن مأسة الديمقراطية والتفاعل، وبالتالي فان الرأي العام الشعبي يجب عدم الاستهانة بما اظهرته الانتفاضة من مخزون نضالي من قبل ابناء شعبها والمساندين الية، دفعت هذه الامكانات النظم العربية الى الالتفات الى الغضب الشعبي بالإقدام على خطوات لا تؤثر في سياستها واستقرارها، فكان لهذا الدافع الاسراع في عقد قمة عربية في ايلول وهي على الارجع القمة الأولى التي عقدت بضغط من الرأي العام العربي والاسلامي، لكن هذا لا يوجب استخلاص ان ممن الممكن دفع الدول الى الانتقال وتبني استراتيجية حرب مع اسرائيل(هلال،٢٠٠٠، صفحة ٢٦).

كان من الضروري وليس من الهين العمل من اجل دفع الانظمة العربية إلى ممارسة ضغط فاعل على الولايات المتحدة وعلى البعض من دول الاتحاد الاوربي لتغيير سياستها تجاه الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، الا ان الاجراءات العربية الرسمية التي اعتمدت في اللحظة (اي بعد ما يقارب الشهرين من بدء الانتفاضة الفلسطينية لم ترق لتشكل ضغطاً على الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية المساندة لاسرائيل وهذا التحليل لا يتعارض مع بذل جهود من اجل توفير اعلى درجات الدعم المادي والسياسي والمعنوي الممكن من

الدول العربية والاسلامية بما يدعم تغيير اطار المفاوضات لإخراج هذا البلد من تحكم الولايات المتحدة واعادته الى اساس تنفيذ القرارات الشرعية الدولية الخاصة بالقضية القليصية(هلال، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦).

إذ اعتبر الرئيس الليبي معمر القذافي ان قيام دولة فلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية لن يكون حلا"، موضحا" في كلامهُ ان الدولة التي يحدها القانون الدولي تحتاج الى اقليم وشعب وهما غير موجودين حاليا"، كما قال القذافي ان فلسطين قد احتلت عام ١٩٤٨ ولم يعد هناك ما يسمى بهذا الاسم، مضيفا" ان من يعترف بأسرائيل لن يعترف بفلسطين وبناءا" على هذه اكد مصرا" ان دولة ليبيا لن تعترف بهذه الدولة أذا اعلنت في الاراضي الفلسطينية في كلا" من قطاع غزة والضفة الغربية(https://www.aljazeera.nat/news/2002/3/2/).

المبحث الثاني:(الموقف الليبي من مشروع المبادرة العربية والاعتراف بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف عام ٢٠٠٢).

بعد حلول عام ٢٠٠٢ عقدت قمة عربية في بيروت في ٢٧ اذار ٢٠٠٢، اذا تم الاعلان فيها عن مبادرة السلام العربية الذي اطلقها ملك المملكة العربية السعودية (عبد الله بن عبد العزيز)[٤] في منطقة الشرق الأوسط بين الفلسطينين والاسرائيلين، كان الهدف منها انشاء دولة فلسطينية معترف فيها دولياً على حدود عام ١٩٦٧، وعودة اللاجئين والانسحاب من هضبة الجولان المحتلة، مقابل اعتراف وتطبيع العلاقات بين الدول العربية واسرائيل، اذ نالت هذه المبادرة تأييداً عربياً، والتواصل الى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق علية وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٩٤)، وقبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الاراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة تكون عاصمتها القدس الشرقية ، كما ان الدول العربية تعلن عن اعتبار النزاع العربي – الاسرائيلي منتهياً، والدخول في اتفاقية سلام، ضمان رفض كل اشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص في البلدان المضيفة، يدعو المجلس حكومة اسرائيل جميعا" إلى قبول المبادرة لحماية السلام وعدم حقن الدماء(https://ar.m.wikipedia.org/wiki/)

تراوحت ردود الفعل لدى المسؤوليين الاسرائيلين بين الايجابية والمحايدة، اذ ان الحكومة الاسرائيلية في بداية المبادرة رفضت الخطة، لانها ستودي إلى عودة عدد كبير من اللاجئين الفلسطينين، كما اعربت اسرائيل عن تحفظاتها على قضايا الخط الأحمر التي ذكرت انها لن تتنازل عنها(https://www.palquest.org/ar/historictext/)، وعند انعقاد مبادرة السلام بذات الشهر هاجم الرئيس القذافي العرب ووصفهم بالجبناء والحقراء داعياً عليهم بالموت وقال(ان باطن الأرض خير لهم من ظاهرها) كما انتقد السعودية لطرح مبادرة للسلام في منطقة الشرق الاوسط، واعتبر ان ما سماه التهليل العربي لها جاء لانها اتت من المملكة العربية السعودية وليس من القناعة بأنها ستكون حلا" للمشكلة، اذ هاجم الجامعة العربية معتبرا" انها مهزلة وعارا" على الامة، ودعا المؤتمرات الشعبية الى دراسة انسحاب الجماهيرية العربية الليبية من جامعة الدول العربية، وقال ان السلام اليوم يقوم على السلام الذري الذي حرم على العرب الحصول عليه، وصب القذافي غصبة على الوضع العربي الراهن، وفيما يخص المبادرة السعودية عبر القذافي عن دهشتهٌ لطرحها موضحا"(كان على المملكة العربية السعودية ان لا توسخ نفسها وتترك ذلك لدول اخرى مثل ليبيا)، واكد القذافي مصرا" ان دولة ليبيا لن تعترف بهذه الدولة اذا اعلنت في الارضي الفلسطينية في كلا" من قطاع غزة والضفة الغربية(القذافي يدعو لانسحاب بلاده من الجامعة العربية، اذ اعلنت طرابلس في تشرين الاول ٢٠٠٢ قرارها بالانسحاب من الجامعة العربية احتجاجا على غياب اي مبادرات في وجه الازمات التي تقصف المنطقة ولا سيما ازمة القضية الفلسطينية، اذ تم تجميد هذا الانسحاب لكنه بحسب نظام الجامعة لا يسري مفعوله الا بعد مرور عام على ابلاغ الامانة العامة به وهو ما لم تفعله طرابلس حتى الان، https://www.aljazeera.net/news/2002/3/2/).

وفي انتفاضه عام ٢٠٠٢، استخدمت القوات الاسرائيلية جميع اعمال الشغب منها قتل الارواح وهدم المنازل وحرمانهم من الخروج إلى العمل، اذ ان الدول العربية لا تحرك ساكناً لأنها لا تملك اسلحه دمار شامل في ظل هذه الظروف يجعل دولة فلسطين عرضة للتهديد المستمر من قبل اسرائيل و حكومتها(عقيلي،٢٠١٠، الصفحة ٩١).

المبحث الثالث: (الموقف الليبي من الانتخابات التشريعية الفلسطينية ووفاة ياسر عرفات ٢٠٠٣-٢٠٠٤)

بعد توقيع اتفاق أوسلو في ١٣/ ايلول ١٩٩٣ وصلت عن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية كسلطة حكم ذاتي مؤقته في ٢٩/ اب ١٩٩٤ ، على ان تكون مرحله انتقالية للتفاوض مع اسرائيل من مجرد اعلان مبادئ إلى اتفاق دائم او معاهدة نهائية عام ١٩٩٩، الا ان صلاحيات اوسلو لم توصل طرفا الصراع الى اي تقدم وحل يذكر، اما السلطة الفلسطينية فقد تعايشت من جانبها مع الوضع القائم، اذ اجريت اول انتخابات رئاسية وتشريعية، كما اتجهت نحو صياغة قانون او دستور اساسي ينظم عمل مؤسساتها الناشئة(جبر،٢٠٢١،الصفحة٥)، وفي عام ١٩٩٦ بحجه معاهده اوسلو قام القدافي بعملته الشرسة على المواطنين الفلسطينين، اذ القى بعدد كبير منهم في خيام على المنافذ الحدودية وقال القذافي في خطاب له: انا حبيبهم وليس لدي معهم مشكلة وسوف انصب خيمتي معهم على الحدود حتى نعود لوطننا فلسطين(المبروك،٢٠١٢،الصفحة ٤).

باشرت القيادة الفلسطينية عملية الاصلاح، وذلك نتيجة الضغط الصادر من اللجنة الرباعية ومن كوادر حركة فتح ايضا، اذ اجبر (ياسر عرفات)[٥] بالتحديد على القبول بأستحداث منصب رئيس الوزراء بعد ان هددهٌ ممثلو اللجنة الرباعية بأن الولايات المتحدة الامريكية ستعطي الضوء الاخضر لأسرائيل للاطاحة به في حال فشلت السلطة الفلسطينية بأتحاذ القرار(ممدوح،٢٠٠٥، الصفحة ص٣).

اذ شهد عام ٢٠٠٣ اول وثيقة دستورية شاملة اقرها المجلس التشريعي المنتخب عام ١٩٩٦، وحددت المادة (٣٦) من الدستور مدة رئاسة السلطة الفلسطينية بأربع سنوات على ان يحق له الترشيح لفترة رئاسية ثانية(جبر، ٢٠٢١، الصفحة ٤)، في هذا الاثناء لم تسمع كل من الإدارة الامريكية والكيان الصهيون بأنهيار السلطة لأن (محمود عباس)[٦] كان خياراً حاضراً رغم خلافة مع ياسرعرفات وابعاده عن السلطة الفلسطينية خلال تلك الفترة، لكن التعديل الدستورية التي أدخلت على دستور السلطة عام ٢٠٠٣ بفعل الضغوط الخارجية، كان الهدف منها ابعاد الرئيس ياسر عرفات عن القرار السياسي والمجيء بحكومة لها صلاحيات واسعة ترأسها محمود عباس عام ٢٠٠٣، الذي كان من ابرز القيادات التي

دعمت فكرة التفاوض مع اسرائيل، من جانب اخر كان هناك شفور في منصب رئيس السلطة الفلسطينية بسبب وفاة ياسر عرفات في منزلة هي ازمة من نوعها تحتاج الى معالجة توافقية بين قيادة حركة فتح وقبول اقليمي ودولي(https://www.palquest.org/ar/highlight/31124/).

توفي ياسر عرفات في ظروف غامضة في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤ بعد حصار مقر اقامته في مدينة رام الله لاكثر من عامين من جانب وحدات الجيش الاسرائيلي عاش خلالها ضروف صعبة ما تسببت في تدهور حالته الصحية، نقل على اثرها الى مستشفى بيرس العسكري في فرنسا وتوفي مسموما"(https://www.palquest.org/ar/overallchronology-grid?nin)، قدمت جميع الدول العربية تعزية خاصه الى فلسطين وشعبها بوفاة ياسر عرفات ومنها ليبيا، اذ تعاملت مع وفاته بأحترام واعربت عن تقديره في دورة ونضاله في القضية الفلسطينية واقامة دولة مستقلة فلسطينة على ارضهم المغتصبة(https://ar.m.wikipedia.org/wiki/).

اذ ان خلال عام ٢٠٠٣ كانت الجماهيرية العربية الليبية تقوم باصلاحات داخلية في ضوء موجة التحولات الديمقراطية التي اجتازت العديد من الدول المجاور لها ضمن النطاقين العربي والافريقي، كما ان القذافي اتخذ طابعاً سياسياً شديداً نحو تشديد قبضته على رجال الاعمال واعتقالهم على اساس انهم كانوا يحتكرون ميدان العمل التجاري (عبيد،ابعاد تغيير النظام السياسي في ليبيا، الصفحات٣٨-٣٩).

وفي نهاية عام ٢٠٠٣ اعلنت ليبيا تطبيع علاقتها مع الدول الغربية، اذ اعلنت ليبيا عن موافقتها في الكشف عن برامجها لتطوير اسلحه الدمار الشامل وانهائها، ونبذ الارهاب، إذ حقق القذافي تقدماً ملحوظا" في تطبيع علاقته، اذ قام بأول رحله الى أوربا الغربية، سافر من اجل حل القضايا القانونية المرفوعة ضده في المحاكم الامريكية بسبب اعمال ارهابية سبقت، اذ نجحت ليبيا في شغل مقعد غير دائم في مجلس الأمن التابع للامم المتحدة(عبيد، العلاقات الليبية-الامريكية ١٩٦٩-٢٠١١، ٢٠١٦، صفحة٤٤٤).

اخذت القضية الفلسطينية مكانه مميزة في قلوب الشعب الليبي على مر تاريخها، وشغلت اهتماما كبيرا، اذ فاقت معاناة المواطن الفلسطيني من الناحية الانسانية كل الشعوب لما

يتعرض له من تهجير قسري ومجازر جماعية ومصادر للممتلكات، كما لاقت هذه المعاناة كل العطف والاحتواء في نفوس الشعب الليبي وغرست في ضميره جرحا" بالغا" خاصة بما كانت تتناقلة وسائل الاعلام من مشاهد وصور لعصابات الصهاينة وجرائمها طوال العشر سنوات الاخيرة من حكم القذافي(المبروك،٢٠١٢،صفحة١).

المبحث الرابع:(ليبيا وموقفها من الإدارة الفلسطينة بقيادة منظمة حماس (٢٠٠٥-٢٠٠٧)

مع انتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة الفلسطينية في عام ٢٠٠٥، القى كلمته التي هاجم فيها القيادي المفصول عن حركة فتح ورئيس جهاز الامن الوقائي في قطاع غزه سابقاً (محمد دحلان)، اذ بثت احدى الفضائيات الفلسطينية كلمة الرئيس عباس ضمن اعمال الدورة الثالثه عشر للمجلس الثوري لحركة فتح بحضور جميع قيادات الصف الاول، تضمن خطاب عباس اتهامات خطرة موجهة إلى دحلان، تبدأ بالخيانة والتورط في اغتيال الرئيس السابق ياسر عرفات، وصولاً الى الفساد والقتل والاستقواء بجهات دوليه واقليمية عديدة، اذ جاء رد محمد دحلان مسرعاً على اتهامات عباس، اذا اتهم الرئيس الفلسطيني بتقويض القضية الفلسطينية وحركة فتح بيكتاتوريته والتورط في الفساد المالي والاداري دخل الدوله، اذ كانت مقابله وسط حشود كبيرة في الشارع لانصار حركة فتح من جهة، وانصار حركة دحلان التي يتركز نفوذها بقطاع غزة في مواجهه حركة حماس(https://www.dohainstitute.org/ar/political)

يعتبر الكثيرون ان قمة شرم الشيخ فى شباط ٢٠٠٥، نهاية الانتفاضة الثانية، باتفاف الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس الوزراء الاسرائيلي ارئيل شارون، على ان جميع الفصائل الفلسطينية ستوقف جميع اعمال العنف ضد الاسرائيلين في كل مكان، بينما توقف اسرائيل جميع نشاطاتها العسكرية ضد الفلسطينيين في كل مكان، اذ وافق ارئيل شارون على اطلاق سراح (٩٠٠) اسير فلسطيني من بين(٧٥٠٠) محتجز في ذلك الوقت، والانسحاب من جميع مدن الضفة الغربية التي اعيد احتلالها خلال الانتفاضة .(https://ar.m.wikipedia.org/wiki/)

حاول الرئيس الفلسطيني عباس بعد انتخابه ان يطبق برنامجه الذي كان رافعةٌ شعاراً، يقضي بإعادة مأسسة السلطة الفلسطينية، على الرغم من اعتراض اوساط من حركه فتح على التنافس مع حماس في الانتخابات التشريعية، بسبب الفوضى الداخلية التي عانتها الحركة ابان انتفاضه الاقصى، فأنه غامر بالذهاب ظناً منه ان ذلك سوف يؤدي الى احتواء حركة حماس في السلطة الفلسطينية تحت قيادة فتح، ولكن فوز حماس في هذه الانتخابات فتح مساراً آخر في الصراع العميق انتهى الى انقسام جغرافي – سياسي، وفي تبلور هذه الأوضاع نشأه التحالف مع دحلان بصفته رجلاً ممولا" لعدد كبير من المليشيات المسلحة ومسؤولا" عنها، وذو علاقات مالية وسياسية بالعديد من اجهزه الاستخبارات في اسرائيل وكذلك بأنظمة عربية اخرى منها علاقته بسيف الاسلام القذافي[٧] وكذلك بعدد من عصابات تهريب الاسلحه والمخدرات، احتاج عباس في مرحلته الاولى من تقلده منصب الرئاسة الى التحالف مع دحلان، كما احتاج اليه ايضا في الصراع مع حركة حماس بعد فوزها بالانتخابات التشريعية(https://www.dohainstitute.ore/ar/political).

وجه الشاعر والخطيب ابو يحيى الليبي في تسجيل مصور سؤلاً إلى اعضاء كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري للحركه قال فيه(اين الثأر اين القنابل اين النار؟) وذكر في التسجيل(ايها الليوث الحماة ان وفاءكم لدماء اسلافكم من الرجال المخلصين لا يكون الا بالتمسك الصارم بطريق الجهاد ونبذ كل مسلك سواه زينه المزينون وتهافت علية المتهافتون)، رغم فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية في عام (٢٠٠٦) الا ان ابو يحيى وجه توبيخا" لزعماء حركة حماس بسبب تبنيهم الديمقراطية واقامة علاقات مع روسيا وايران، هذا ما وصفة بسياسة التوسل بسبب طلبهم للدعم والمساعدة في مواجهة الحصار الغربي للفلسطينيين لان حماس لم تعترف بدولة اسرائيل(https://www.aljazeera.net/news/2007/4/30)

لم يتحل القذافي تماماً عن لفته المعارضة للنظام العالمى السائد، اذ قاد مبادرات افريقيه عاكست مطامع الولايات المتحدة وحلفاءها مثل اسرائيل، مع ذلك فقد تميز العلاقات الليبية – الامريكية بالتطور السريع والايجابي على مستويات مختلفه، اذ اتخذت العلاقات دائرة المصالح المشتركة وخاصة في مجال مكافحة التطرف الإسلامي والحرب على الارهاب

وكشف الشبكة الدولية الخاصة بتهريب مكونات الصناعة النووية، كانت الولايات المتحدة تواجه تحديات كثيره امام سياستها العربية التي وان لم تنفصل عن الأمن والنفط والقضية الفلسطينية ، فأنها ايضا لم تكن منعزله عن التنافس الدولي الذي يميز العلاقات الدولية بشكل عام ، لذلك فأن الولايات المتحدة كانت حريصة على اعادة تاهيل نظام القذافي وتوظيفة نجاحاً خدمة لتلك السياسة ما ان حل عام (٢٠٠٦) حتى بدا واضحا أن الولايات المتحدة تدعم التحول داخل النظام رغم بعض الحساسيات التي حرصت الادارة الأمريكية على اعتبارها جزءاً من الماضي سيختفي سريعا"(الصواني، الصفحة١٢).

المبحث الخامس: (ليبيا وموقفها من الخلافات بين حماس وفتح في ادارة الدولة الفلسطينية ٢٠٠٧ – ٢٠١١).

استمرت اجواء التوتر بعد دخول عام ٢٠٠٧، حتى بادر الملك السعودي (عبد الله بن عبدالعزيز)، بتقديم دعوة إلى حركتي فتح وحماس إلى التحاور في مدينة مكة، حضر(محمود عباس و محمد دحلان) عن فتح ، و(خالد مشعل واسماعيل هنيه) عن حركة حماس، وقعت كلتا الحركتان على ما يعرف بـ (اتفاق مكة) في شباط ٢٠٠٧، وتم تكليف اسماعيل هنية بتشكيل حكومة الحادي عشر(حكومة الوحدة الوطنية) إلا أن الاتفاق فشل بعد مرور عدة اشهر رغم الايجابية التي رافقت الاعلان عنه، بعد مرور اسابيع قليلة عن هذا الاتفاق، اجريت اشتباكات عنيفة مثلت ذروة الصراع بين حركتي فتح وحماس من اجل ان تتمكن كل منهما على قطاع غزة، نجح مقاتلو حماس في الاستيلاء عليه وضيق الخناق على مقاتلي فتح ، اسفر ذلك الامر عن حل حكومة الوحدة وتقسيم الاراضي الفلسطينية إلى كيانين عملياً : الضفة الغربية التي تخضع لفتح تحت مسمى (السلطة الوطنية الفلسطينية) التي تستند على خطة التسوية، وقطاع غزة الذي تحكمة (حركة المقاومة الاسلامية حماس) يستند بدوره على خط المقاومة، والخلاف بينهما هو في حقيقته تعبير عن عملية ادارة كل منهما لبرنامجة ضمن الظروف المتاحة (https://ar.m.wikipedia.org./wiki/).

عند اندلاع الحرب في غزة عام ٢٠٠٧، عرضت اسرائيل على الرئيس الليبي معمر القذافي ان يكون وسيطاً محتملاً بين الاسرائيلين والفلسطينيين لتحقيق السلام فيما بينهم، فتوجهت (دعد شرعب) بتكليف من معمر القذافي إلى منطقة تل ابيب سراً على متن طائرة

اسرائيلية من العاصمة الاردنية عمان، أذ التقت بالرئيس الاسرائيلي (شمعون بيريز)، لكن هذه الجهود باءت بالفشل، ولم تسفر هذه المبادرة عن اي شيء يذكر(https://ar.m.wikipedia.org./wiki/)

في العشر سنوات الاخيرة قبل سقوط نظام القذافي غاب الدور الليبي تماماً عن لعب اي دور ذات قيمة في التطورات المتلاحقة والمتسارعة التي عرفتها القضية الفلسطينية، فيما عدا التعبير الرسمي من التأييد لكل المواقف الداعمة للقضية الفلسطينية في المحافل الاقليمية والدولية(عباس،٢٠١١، الصفحة٦٩).

زار القذافي مقر الامم المتحدة في الثاني والعشرين من ايلول (٢٠٠٩) وتحدث امام الجمعية العمومية في خطاب مدته ساعة ونصف في كلمة هي الاولى خلال اربعة عقود من حكمة، وطالب بأصلاح هيئة الامم المتحدة، واصبح على سير عملها التي تسيطر عليها بشكل واضح الامم المتحدة الأمريكية وعدد من الدول الغربية، طالب القذافي في خطابهٌ التحقيق في الحروب والاغتيالات كافة، وذكر ان (٦٥) حرباً نشبات منذ تأسس هيئة الامم المتحدة، كما طالب القذافي بالغاء العضويات الفردية لصالح الاتحادات القارية، فقد دعا إلى التحقيق في قضايا كثيرة منها الغزو على قطاع غزة ومجازر صبرا وشاتيلا، كما تطرق في موضوع فلسطين التي رأى انه لا يوجد حل لها من دون اقامه دوله واحدة ديمقراطية للشعبين لاستحالة قيام دولتين متجاورتين لأنهما متداخلتان اصلا، وخاطب اليهود مذكراً اياهم بأن العرب من حماهم من الرومان ومحاكم التفتيش الالمانية المحرقة، والغرب يزج بهم اليوم ليحاربو العرب ويغتصبوا ارضه(فاضل، ٢٠١٦، الصفحة١٧٢)

وفي عام ٢٠٠٩ ادلى وزير الخارجية الليبي عبد الرحمن شلقم بشهادته حول ما كان يطلبة قادة حركة حماس حين كانوا يزورون البلاد، اذ صرح على حسابة (زارنا في مجلس لبيبا الكثير من قادة حركة فتح، وقليل من قادة حماس، قادة حماس لا يطلبون المال بل يطلبون السلاح فقط)(https://arabi21.com/story/)

وبعد مرور (٦٣) عاماً لذكرى نكبة فلسطين لم يحدث فيها مثلما حدث في مثل هذه العام(٢٠١١/٥/١٥) اذ اعتبر هذا الامر تطوراً استثنائيا يعمل ابعاداً لم تكن في اذهان الكيان الصهيوني وامريكا، كما ان لا يعني ان ما حدث في هذا اليوم لم يحدث ما هو اهم

منه في تاريخ الكفاح من اجل القضية الفلسطينية، او في تاريخ الصراع ضد الوجود الصهيوني فهنالك سجل طويل من الأحداث العامة تبدأ بمعركة الكرامة وحرف الاستنزاف وصولاً لحربي ٢٠٠٦ في لبنان و٢٠٠٨/٢٠٠٩ في قطاع غزه ، كما ان هذه الاحداث جاءت من كونها ترد على مسيرة التسوية السياسية التي كادت تصل إلى تصفية القضية الفلسطينية من اغلاق ملف النكبة، وحق العودة من جهة، لكونها من جهه اخرى تفرز مسيرة الثورات العربية، هذا يعني بداية مسار فلسطيني – عربي جديد ، فالثورات العربية بحاجة ماسة الى انتفاضة فلسطينية ثالثه بقدر ما كانت فلسطين ولا تزال بحاجه الى الثورات العربية(كابلان،٢٠١٤، الصفحة٤٧).

لم يشهد الموقف الليبي الرسمي والشعبي تطوراً يكافئ وحشية العدوان ويوازي مساعي كسر صمود الغزاويين ومخططات تصفية المقاومة، وان الفورة التي شهدتها الساحة الليبية الشعبية في بداية الحرب قد تراجعت، كذلك غياب الفاعلية مع معاناة اهل غزة على هزال المجتمع المدني الليبي، كما ان الاوساط المجتمعية الليبية التي اهتمت بغزة كانت محدودة ولم تأخذ طابع الاستمرارية والتراكمية فجميعها كانت تقريبا حدثا" ينتهي بأنقضاض جمعية سواء كان احتجاجاً في ميدان عام أو ندوة داخل صاله مغلقة ، أذ لم تشهد الساحات الليبية فعالية متواصلة النشاط والتعبئة على المستوى المحلى او تقاطعاً مع فعالية ونشاط اقليمي او دولي ، الاستثناء كان في النشاط الاغاثي، أذ تحركت البعض من المنظمات المجتمعية في مجال جمع التبرعات وتقديم المساعدات للمتضررين في غزة، هذا كان دورها المأمول بالنظر الى مركزية القضية الفلسطينية واهميتها بالنسبة للرأي العام الليبي(https://arabi21.com/story/).

بعد موجة انطلاق الربيع العربي واحتجاجاته الشعبية العارمة، من تونس في اواخر عام ٢٠١٠ كان من المتوقع انضمام ليبيا إلى موجة هذه الاحتجاجات، وبالفعل لم يمض وقت طويل حتى اصبحت ليبيا ساحه متماثلة مع ساحات الاحتجاج، اذ ارتفعت اصوات مطاليب الشعب الليبي المحتجين مطالبين بأصلاحات سياسية واقتصادية، واسقاط نظام القذافي(الصواني، الصفحة١٢).

وفي ١٧ / شباط ٢٠١١ ، اندلعت شرارة الثورة في ليبيا على شكل انتفاضه شعبية شملت معظم المدن الليبية، اذ طالب الشباب الليبي بأصلاحات اقتصادية وسياسية واجتماعية، تطورت هذه المظاهرات السلمية الى مظاهرات مسلحة فريدة من نوعها وقوتها ، اذ ادت الى تصادم عسكري بين الكتائب التابعة لمعمر القذافي والثوار، استخدم فيها الثوار الليبيون كافة انواع الاسلحة من اجل الاطاحة بالقذافي ونظامهٌ البائد، وبسبب سوء الأوضاع داخل الاراضي الليبية الذي قرر القذافي فيها القتال حتى اللحظات الاخيرة، وصل الأمر إلى التدخل بشرعية عربية وفق قرارات الجامعة العربية ومجلس الامن (٧٢٩٨) و (١٩٧٣)(بشير،٢٠١٥، الصفحة٩٧).

انظم حلف الناتو للثورة المسلحة بعد أن طلبت المعارضة الليبية وجامعة الدول العربية من الحلف التدخل في حل الأزمة الليبية، تدفقت القوى المعارضة في ٢١ اب / ٢٠١١ على العاصمة طرابلس وتمكنت بالسيطرة عليها دون مقاومه تذكر ، وفي ٢٠ تشرين الاول٢٠١١ قامت قوات الناتو بقصف مركب تابع للقذافي وهو في طريقة الى مدينة سرت ، اذ تم اعتقاله من قبل الثوار الليبين ومن ثم إلى قتله، بعد اعلان مقتل القذافي ، اعلن المجلس الوطني انتصار الثورة الليبية وتسلمة ادارة شؤون البلاد كافه(بشير، ٢٠٢١، الصفحة٩٨).

لم يخطر في اذهان الكثير من الشعب الليبي ان عام ٢٠١١ هو المئوية الاولى لعام١٩١١، اذ جعل من هذا الرقم رمزا" للدماء والانشقاق الاجتماعي والسياسي والعسكري داخل المجتمع الليبي(الشريف،٢٠٠٨، الصفحة٨)، وفي ٢٣ / اب / ٢٠١١ اعترفت فلسطين بالحكومة الليبية الجديدة بعد سقوط نظام القذافي(https://ar.m.wikipedia.org/wiki/).

لا ينبغي ان نتغافل ان ليبيا في الاربعين سنه التي سبقت ثورة ٢٠١١ كان لها حضور لافت في إدارة ملف القضية الفلسطينية يجعل من اي متابع للموقف الليبي من القضية الفلسطية يشعر بأن هذه الحضور بعد ثورة فبراير ٢٠١١، اقل ما يقال فيه انه لم يعد كما كان لافتا حتى لا نقول غائباً.

الهوامش

١) ارئيل شارون (١٩٢٨-٢٠١٤) : ولد في قرية كفار ملال في فلسطين، وهو رئيس وزراء اسرائيل الحادي عشر، والحكومة الاسرائيلية الثلاثون ، حاصل على العديد من الشهادات ومنها الزراعة والتاريخ والعلوم والحقوق، وفي عام ١٩٨١ اصبح وزيراً للدفاع في فترة رئاسة مناحيم بيغن، وخلال تولية الوزارة ارتكب مجزرة فلسطينية في مخيمي صبرا وشاتيلا في لبنان عام ١٩٨٢، توفي عام ٢٠١٤ بسبب الفشل الكلوي بعد غيبوبة دامت ثماني سنوات. ينظر: الكيالي، عبد الوهاب.(١٩٨١). الموسوعة السياسية .الموسوعة العربية للدراسات والنشر.ج٣.بيروت.

٢) معمر القذافي (١٩٤٢ – ٢٠١١) : معمر محمد عبد السلام القذافي ، ولد في مدينة سرت واكمل دراسته الابتدائية فيها ثم انتقل إلى مدينة سبها جنوبي ليبيا لاكمال تعليمة الثانوي عام ١٩٦١ ، كما التحق بالكلية العسكرية في بنغازي عام ١٩٦٣ ، وتخرج فيها ضابطاً في الجيش الليبي عام ١٩٦٥ وبفعل نشاطة السياسي المكثف اصبح شخصية بارزه بين رفاقه ونشأ القذافي بشخصية الرجل البدوي حتى بعد توليه الحكم عام ١٩٦٩ ، وفي الاول من ايلول شارك الضباط الوحدديون الاحرار في الثورة والقضاء على الحكم الملكي، تولى القذافي الحكم قرابة اربعة عقود من الزمن توفي عام ٢٠١١ اثر ثورة قامت ضده من الشعب الليبي. ينظر : النصراوي، هاجر خضر محمد.(٢٠١٦). معمر القذافي ودوره السياسي في سياسية ليبيا الداخلية حتى عام ١٩٨٦]رساله ماجستير غير منشورة[.كلية التربية للعلوم الانسانية. جامعة كربلاء. ؛ ملف العالم العربي.(٢٨ أذار ١٩٧٩). الدار العربية للوثائق. الجماهيرية الليبية. رقم ١٢٣. بيروت. ؛ صحيفة, الجمهورية.(٦ ايلول ١٩٦٩). العدد ٥٧٣٥، العراق.؛ Martin, Gus.(2011).The sage Encyciopedia of Terrorism. Sage publications.U.S.A.

٣) الكتاب الابيض :- هو كتاب الفه العقيد الراحل معمر القذا في عام٢٠٠٠ وفيه يعرض حلولاً للقضية الفلسطينية الاسرائيلية التي تمثل اهم قضايا الصراع العربي إذ لا تختلف معظم مكونات النسيج العربي سياسياً ودينياً واجتماعياً على أن الصراع العربي- الاسرائيلي هو اكبر قضايا الامه العربية منذ التحرر من الاستعمار الحديث، مشيراً في كتابه الابيض على المشكله الفلسطينة – الاسرائيلية بدمج دولتين في دوله واحدة ديمقراطية من اجل التعايش السلمي، يقوم اقتراح القذافي على ان المساحة بين النهر والبحر ليست كافية لأقامه دولتين، كما ان جوهر الصراع هو ان الطرفين يتنازعان على قطعة ارض في فلسطين لكن احد الاطراف يعلن دولته عليها (من جانب واحد يسمها باسمه) معتبراً من هذا الإعلان أمرا" باطل ينظر : القذافي، معمر.(٢٠٠٠).الكتاب الابيض (اسراطين). الدار العربية للموسوعات.

٤) عبد الله بن عبد العزيز –: ١٩٢٣ – ٢٠١٥) الملك السادس للمملكة العربية السعودية عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الـ سعود، ويلقب بخادم الحرمين الشريفين ، شغل مناصب عديدة منها رئيس مجلس الوزراء ، كما استلم إدارة شؤون الدولة ، كما أصبح نائباً ثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيسا للحرس الوطني، من هنا انطلقت الحياة السياسية للملك عبد الله ، نشأ في كنف والده الملك عبد العزيز، واستفاد من دراسته وتجاربه في مجالات الحكم والسياسة والقيادة والادارة ابرز اعماله هي توسعه المسجد الحرام والمسجد النبوي، وزيادة عدد الجامعات والكليات وانشاء جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية ، وبرنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي، توفي عن عمر يناهز الـ (٩٠) عاماً بعد اصابته بمرض سرطان الرئة. ينظر: فرحان،يوسف سامي.(٢٠١٥).التطورات السياسية في المملكة العربية السعودية ١٩٨٢–١٩٩٥] اطروحة دكتوراه غير منشورة[.كلية الاداب. جامعة الانبار.

٥) ياسر عرفات (١٩٢٩–٢٠٠٤): ولد في القاهرة بحي السكاكيني، تلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي في مدارس العباسية، ثم تعليمه الثانوي في القدس، التحق بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول، اذ تخرج فيها مهندسا" مدنيا"، تراس اتحاد الطلبة الفلسطينيين في القاهرة، شارك متطوعا في حرب السويس عام ١٩٥٦، اسس حركة التحرر الوطني (فتح) اصبح قائدا للثورة الفلسطينية، واختير من قبل المجلس الوطني الفلسطيني رئيسا لدولة فلسطين، مرض وتوفي في المستشفى العسكري في باريس. ينظر: بابتي، عزيزة مواك.(٢٠٠٩). موسوعة الاعلام العرب والمسلمين. ج٣. لبنان. ؛ اشتيه، محمد.(٢٠١١). موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية.دار الجليل. عمان.

٦) محمود عباس: هو محمود رضا عباس ولد في عام ١٩٣٥ في مدينة صغد الواقعة شمال فلسطين، درس في مدارسها حتى الصف السابع حيث اجبر مع عائلتة على اللجوء الى سوريا، بدأ العمل السياسي الوطني في منتصف الخمسينيات حيث اسس مع مجموعه من زملائه تنظيماً سريا في دمشق، وفي عام ١٩٥٧ عمل مديراً لشؤون الموظفين في وزارة التربية والتعليم ، كما تولى مناصب عديدة منها امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في نيسان وانتخب رئيسا لها عام ٢٠٠٤. ينظر: https://web.archive.org/web/

٧) سيف الاسلام القذافي: ولد في مدينة طرابلس في حزيران ١٩٧٢، درس الهندسة المعمارية في جامعة الفاتح، كما درس الاقتصاد والاعمال في فينا ولندن ليحصل على شهادة الدكتوراه، في عام ١٩٨٨ انشأ مؤسسة القذافي للجمعيات الخيرية والتنمية، رغم انه لم ينسب الى اي جهة عسكرية الا انه منح رتبة رائد في الجيش الليبي، القي القبض عليه بعد اعلان الثورة في ١٩ تشرين الثاني ٢٠١١. ينظر: فاضل، احمد عبدالسلام، عبدالمجيد محمد.(نيسان ٢٠١٦). معمر

القذافي ودوره في السياسة الليبية حتى عام ٢٠١١.مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية. مجلد(٢٣). العدد(٤). كلية التربية. جامعة سامراء.

المصادر

١.غلام، خالد ابو قاسم.(ديسمبر ٢٠٢٣). الاعلام الليبي والقضية الفلسطينية مابعد عام ٢٠١١ قراءة من وجهة نظر النخب الاعلامية الليبية.المجلة الدولية لعلوم الاعلام والاتصال. كلية الاعلام والاتصال. جامعة طرابلس. السنة الاولى. العدد الاول.

٢. سمير، باهي.(٢٠١١). تأثير التحولات الدولية لفترة مابعد الحرب الباردة على السياسات الخارجية للدول المغاربية: دراسة للنموذج الليبي [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية الحقوق والعلوم السياسية. جامعة محمد خيضر بسكرة.

٣. باقانيني، باولو، نيقولاي ستاريكوف.(٢٠١٢). تاريخ ليبيا من عمر المختار الى معمر القذافي. كنوز للنشر والتوزيع. القاهرة.

٤. هلال، جميل.(حريف ٢٠٠٠). انتفاضة الاقصى: الاهداف المباسرة ومقومات الاستمرار. مجلة الدراسات الفلسطينية. المجلد(١١). العدد(٤٤).

٥. عقيلي، بدر.(٢٠١٠). جرائم الحرب الاسرائيلية في غزة. دار الجليل للنشر, الاردن.

٦. المبروك، ونيس.(٢٠١٢). الاسلاميون في ليبيا والقضية الفلسطينية. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. بيروت.

٧. جبر، اياد.(٢٠٢١). دراسة مستقبل السلطة الفلسطينية بعد محمود عباس. مركز ابعاد للدراسات الاستراتيجية.

٨. ممدوح، نوفل.(خريف–شتاء ٢٠٠٤–٢٠٠٥). عرفات بعد مدريد: من خنادق التطرف الى ميدان الواقعية. مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد(٦٠–٦١).

٩. عبيد، منى حسين.(٢٠١٦). ابعاد تغيير النظام السياسي في ليبيا. مجلة دراسات دولية. العدد(٥١). العراق.

١٠. عبيد، منى حسين.(٢٠١٦). العلاقات الليبية–الامريكية ١٩٦٩–٢٠١١. جامعة بغداد. مجلة الاستاذ. العدد(٢١٧). المجلد الثاني. العراق.

١١. فاضل، احمد عبدالسلام، بكر عبدالمجيد محمد.(٢٠١٦). معمر القذافي ودوره في السياسة الليبية حتى عام ٢٠١١. مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية. جامعة سامراء. كلية التربية. العدد(٤). المجلد(٢٣). العراق.

١٢. الصواني، يوسف محمد. الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي. مجلة المستقبل العربي. جامعة طرابلس. ليبيا.

١٣. عباس، عبدالله ناهض.(٢٠١٨). دور حلف شمال الاطلسي في ليبيا منذ عام ٢٠١١ [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية العلوم السياسية قسم العلاقات الدولية والسياسة الخارجية. الجامعة المستنصرية.

١٤. كابلان، نيل.(٢٠١٤). الصراع الاسرائيلي– الفلسطيني تواريخ متضاربة. ترجمة: محمد العشماوي. مراجعة: عماد عواد. المركز القومي للترجمة. الطبعة الاولى.

١٥. بشير، بن مونه.(٢٠١٥). الجامعة العربية ودورها في حل النزاعات والازمات العربية [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية الحقوق. جامعة ابوبكر بلقايد.الجزائر.

١٦. الشريف، محمد ابو راس.(٢٠٠٨). عاصفة الخريف في ليبيا(خيوط المؤامرة التاريخية على ليبيا وعلى المنطقة العربية والعالم الاسلامي). الطبعة الاولى. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية السياسية والاقتصادية. المانيا.

١٧. الشمري، اصالة عمار.(٢٠٢٢). الموقف الليبي من تطورات القضية الفلسطينية[رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية. جامعة بغداد.

١٨. الناسف، تيسير.(ايلول ١٩٩٠). هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. مجلة شؤون فلسطينية. العدد(٢١٠). بيروت.

١٩. المرشدي، علي جميل هليل.(٢٠٢١). العلاقات السياسية الايرانية–الليبية (١٩٦٩–١٩٨٨) [رسالة ماجستير غير منشورة}. كلية التربية. الجامعة المستنصرية.

20.–MICHALAK, Tomas.(2013). The PALESTINIANS AND THE OVTBREAK of WAR IN LEBANON, Maqazine Asion and African Studies, VOI.22.Number 1.

الوثائق:

١. F.R.U.S. 1948. The NearEast,South Asia, and Africa.Volume v.PART 2. Doc 247 .
٢. F.R.U.S.1964-1968. Volume XV 11. Arab-Israel Dispute. 1964-1967. Doc 54.

الصحف:

١. اطلاعات.(صحيفة). طهران.١٨/٢/١٩٨٢.

المواقع الالكترونية:

1. https://ar.wikipedia.org/wiki/
2. https://www.aljazeera.nat/news/2002/3/2/
3. https://www.palquest.org/ar/historictext/
4. https://www.palquest.org/ar/highlight/3/24/
5. الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية جدول الاحداث الكلي https://www.palquest.org/ar/overallchronology-grid?nin
6. محمود عباس https://web.archive.org/web/201709110/
7. https://www.dohainstitute.org/ar/political
8. https://arabi21.com/story/16/5406/

نشوء علم الآثار الكلاسيكي في أوربا وأثرهُ في الدراسات الآثارية المعاصرة

The Emergence of Classical Archaeology in Europe and Its Impact on Contemporary Archaeological Studies

م. د. عمر جسام فاضل

Dr. Omar Jassam Fathel

قسم الآثار–جامعة الموصل

Department of Archaeology – Mosul University

Email: omar.jassam@uomosul.edu.iq

رقم موبايل: ٠٧٧١١١٧٧٠٥٠

ORCID: 0000-0002-0194-0526

نشوء علم الآثار الكلاسيكي في أوربا وأثرهُ في الدراسات الآثارية المعاصرة

م. د. عمر جسام فاضل

الملخص:

يتناول هذا البحث تخصص علم الآثار الكلاسيكي، وهو فرع رئيسي من فروع علم الآثار يختص بدراسة آثار الحضارتين الإغريقية (اليونانية) والرومانية القديمة. ويهدف إلى رصد المسار التاريخي لنشأة هذا التخصص وتطورهُ في أوربا بشكلٍ خاص؛ بدايةً من تشكلهِ كحقلٍ معرفيٍ مستقل خلال عصر النهضة، ثم تطورهُ في مدة عصر التنوير والقرن التاسع عشر، وصولاً إلى التطورات الحديثة التي طرأت عليه في القرنين العشرين والحادي والعشرين. كما يركز البحث على الأهمية الأساسية لهذا التخصص في الكشف عن الموروث الثقافي لتلك الحضارات، وانعكاس ذلك على الممارسات والاتجاهات الآثارية الحالية. وتتضح مشكلة البحث من خلال طرح عدة أسئلة محورية، مثل: ماهية علم الآثار الكلاسيكي؟ وماهي المراحل والفعاليات التاريخية الأساسية التي شكلت مساره؟ وما هي التغيرات في المنظور والأساليب البحثية التي مر بها؟ وأخيراً تأثير ذلك كلهُ على الدراسات الآثارية المعاصرة. وتكمن قيمة وأهمية البحث في تقديمهِ إطاراً تحليلياً تاريخياً متكاملاً لتطور علم الآثار الكلاسيكي، كما يسعى إلى توضيح كيفية معالجة هذا التخصص للتحديات الحالية المرتبطة بالموروث الثقافي وحقوق المجتمعات في ظل الظروف العالمية المعاصرة، مما يساهم في فهم أكثر وضوحاً لدوره في حفظ هذا الموروث وإدارتهِ اليوم.

الكلمات المفتاحية: علم الآثار، علم الآثار الكلاسيكي، الحضارة الإغريقية، الحضارة الرومانية، أوربا

Abstract

This research examines the field of Classical Archaeology, a primary branch of archaeology dedicated to the study of the material remains of ancient Greek and Roman civilizations. The study aims to trace the historical trajectory of the discipline's emergence and evolution, particularly within Europe. It explores its formation as an

independent field of knowledge during the Renaissance, its subsequent development throughout the Enlightenment and the nineteenth century, and the modern advancements characterizing the twentieth and twenty-first centuries. Furthermore, the paper emphasizes the fundamental importance of this specialization in uncovering the cultural heritage of these civilizations and its impact on current archaeological practices and trends. The research problem is addressed through several pivotal questions: What is the nature of Classical Archaeology? What were the key historical stages and events that shaped its path? What shifts in perspectives and research methodologies has it undergone? And finally, how do these factors influence contemporary archaeological studies? The significance of this research lies in providing an integrated historical-analytical framework for the evolution of Classical Archaeology. Moreover, it seeks to clarify how the discipline addresses current challenges related to cultural heritage and community rights within contemporary global contexts, thereby contributing to a clearer understanding of its role in preserving and managing this heritage today.

Keywords: Archaeology, Classical Archaeology, Greek Civilization, Roman Civilization, Europe.

المقدمة

تنضوي تحت مظلة علم الآثار (Archaeology) العديد من التخصصات التي يتم تصنيفها وفقاً لمعايير مختلفة؛ إذ توجد تخصصات تُركز على الثقافات والحضارات القديمة وعلى دراسة جغرافية معينة أو حضارةٍ بعينها دون غيرها، مثل علم الآشوريات (Assyriology)، علم الآثار المصري (Egyptology)، وعلم آثار الشرق الأدنى (Near Eastern Archaeology)...الخ؛ ومن جهةٍ أخرى هناك تخصصات أخرى تُقسم دراساتها بناءً على الحدود الزمنية للآثار، مثل علم آثار عصور ما قبل التاريخ (Prehistory) أو علم الآثار الكلاسيكي (Classical Archaeology) أو علم الآثار الإسلامية (Islamic archaeology)...الخ؛ فضلاً عن التخصصات الفرعية التي تعتمد على الممارسات والمنهجيات الميدانية الحقلية التي يقوم بها علماء الآثار مثل المسح الآثاري والتنقيبات

والتوثيق والصيانة والترميم...الخ، والتي تساهم جميعها في بناء المعرفة الآثارية الشاملة لتحقيق تصور كامل حول مسيرة التجربة الإنسانية القديمة.

إن نشوء وتطور علم الآثار، كمجال علمي منظم إلى حدٍ كبير، يعود إلى الإهتمام المجتمعي الذي أثارهُ الإرث الكلاسيكي (الإغريقي والروماني) لدى طبقات النخب في مجتمعات أوربا، وبالتحديد خلال عصر النهضة؛ فقد أسهم الفضول العلمي والاهتمامات الفنية والجمالية التي شهدتها أوروبا في تلك الحقبة الى تحفيز دراسة الآثار الكلاسيكية؛ الأمر الذي أدى لاحقاً، إلى تأسيس علم الآثار كتخصصٍ أكاديمي منفصل عن دراسات الفنون وتاريخها. وبذلك أضحى علم الآثار الكلاسيكي، الذي يهتم بدراسة الإرث اليوناني (الإغريقي) والروماني، بمثابة القاعدة الأساس والمرحلة الأولى التي دفعت نحو نشوء دراسات علوم الآثار الأولى بتخصصاتها ومنهجياتها المتنوعة والتي بدورها إمتدت ونمت بتأثيرها في واقع الدراسات الآثارية المعاصرة.

في هذا البحث سيتم التركيز على تخصص علم الآثار الكلاسيكي بوصفهِ أحد أبرز العوامل التي أدت إلى نشوء علم الآثار العام. كما يكتسب هذا التخصص أهميتهِ الإستثنائية من خلال تركيزهِ على دراسة آثار مراكز الحضارات والثقافات التي نشأت وازدهرت في مناطق شرق أوربا؛ خصوصاً في بلاد اليونان وإيطاليا وجزر بحر إيجة، بالإضافة إلى المناطق المجاورة لها جغرافياً والتي تأثرت حضارياً وثقافياً بها مثل مناطق شمال أفريقيا والشرق الأدنى القديم. وهو بذلك لا يقتصر على كونه حقلاً تخصصياً ضمن الدراسات الآثارية، بل هو نافذةً أساسيةً لفهم أُسس الحضارة الغربيةِ وموروثها الثقافي؛ فكان لابد من دراسة هذا التخصص ومحاولة فهم مراحل نشؤهِ وإنعكاسات منهجياتهِ على واقع الدراسات الآثارية ومناهجها المعاصرة.

مشكلة البحث:

يركز هذا البحث في مشكلتهِ على تساؤل محوري يتعلق بطبيعة التأثير الذي مارستهُ التطورات التاريخية لعلم الآثار الكلاسيكي، منذ بدايات ممارساتهِ الميدانية الأولى في مواقع الحضارتين الإغريقية والرومانية، مروراً بالتغيرات المنهجية والفكرية التي شهدها في القرن العشرين، ووقع ذلك على إتجاهات البحث الآثاري المعاصر. كما تستكشف الدراسة إشكالية

قدرة هذا التخصص على التكيّف مع القضايا الراهنة، مثل المبادئ الأخلاقية لإدارة الموروث الثقافي، وقضايا إعادة المقتنيات الأثرية إلى مصادرها الأصلية، ودورهُ في صياغة الهويات القومية والثقافية في سياق العولمة.

أسئلة البحث:

١. ما هو نطاق اهتمام علم الآثار الكلاسيكي، وما هي الفترات الزمنية البارزة التي شكّلت نشأته وتطوره كحقلٍ أكاديمي؟

٢. ما هي التطورات الجوهرية في الإطار النظري والأدوات البحثية التي طرأت على علم الآثار الكلاسيكي عبر مسيرتهِ؟

٣. كيف أثّر هذا الفرع المعرفي على الممارسات الحديثة في البحث الأثري، وتفاعلهِ مع قضايا التراث الثقافي في ظل الظروف العالمية الراهنة؟

أهداف البحث وأهميتهِ:

يسعى هذا البحث نحو الإجابة على مجموعة التساؤلات أعلاه، بهدف تتبع المسار التاريخي لتطور علم الآثار الكلاسيكي وأساليبهِ في أوروبا تحديداً؛ واستعراض المحطات الأساسية التي شكّلت ظهور علم الآثار الكلاسيكي، باعتبارهِ حجر زاوية لفهم التطور العام لمجال علم الآثار المعاصر. وذلك من خلال تحليل المراحل التاريخية والتغيرات الفكرية التي مر بها، ودراسة قدرتهِ على مواجهة القضايا الراهنة. كما يهدف إلى تقديم منظور تاريخي آثاري متكامل لتطور هذا التخصص وتقييم تأثيرهُ على المناهج والممارسات الآثارية المعاصرة؛ بالإضافة إلى تحديد أهم الصعوبات والمسائل التي يواجهها هذا التخصص في السياق العلمي المعاصر. وهذا ما يُبرز أهمية هذا البحث لدعم الشبكة المعرفية الأكاديمية لمختصي علوم الآثار.

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج التاريخي التحليلي لرصد مراحل نمو علم الآثار الكلاسيكي وتطورهِ، لربط تلك المراحل بالاتجاهات البحثية الآثارية الحالية.

حدود البحث:

الحدود الزمنية للبحث: عصر النهضة، عصر التنوير، العصر الحديث الراهن.

الحدود المكانية: قارة أوربا.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة التي تناولت نشأة علم الآثار الكلاسيكي وتاريخ تبلورهِ كحقلٍ معرفي، ابتداءً من اهتمامات النخب المثقفة في أوروبا منذ عصر النهضة، ومن أبرز تلك الدراسات:

- Schnapp, Alain., *The Discovery of the Past: The Origins of Archaeology*, Translated by: Ian Kinnes and Gillian Varndell, London: British Museum Press, 1996.
- Dyson, Stephen L., *In Pursuit of Ancient Pasts: A History of Classical Archaeology in the Nineteenth and Twentieth Centuries*, New Haven, CT: Yale University Press, 2006.
- Trigger, Bruce G., *A History of Archaeological Thought*, 2nd ed., Cambridge University Press, 2006.

حيث تناولت هذه المؤلفات تطور الأدوات والممارسات والإسهامات الأكاديمية التي شكلت الأساس لبروز علم الآثار كحقلٍ معرفي، مع تركيز خاص على تخصص علم الآثار الكلاسيكية؛ نظراً لارتباطهِ الوثيق بالحضارات الأوروبية المبكرة التي سعت مجتمعات عصر النهضة، في حينها، إلى استعادة موروثها الثقافي والرجوع إلى منابعها الأصلية. لذا، تُشكل هذه الأعمال المراجع الأساسية لهذا البحث، والتي تم تدعيمها بدراسات إضافية ركزت على منهجيات دراسة الآثار الكلاسيكية، ومن بينها مؤلفات ومقالات الباحثين 'إيان هودر'(Ian Hodder) و'إيان موريس'(Ian Morris).

بينما يُمكن القول بأن هذا البحث يتميز بتقديمهِ تحليلاً مترابطاً لأهم المحطات التاريخية التي شهدها تطور هذا العلم، مع إيلاء اهتمام خاص لنمو المنهجيات الآثارية المصاحبةِ لهُ. ويختلف هذا المنظور الشامل عن الأعمال السابقة التي اقتصرت غالباً على استعراض جوانب منفصلة من تاريخ علم الآثار الكلاسيكي دون توضيح الروابط بين مراحلهِ المتعاقبة وتأثيرها المتبادل وصلتها بالدراسات الآثارية المعاصرة.

المبحث الأول: علم الآثار الكلاسيكي في أوروبا

١,١. ماهية علم الآثار الكلاسيكي:

يشكل علم الآثار الكلاسيكي (Classical Archaeology) دعامةً رئيسية في نطاق علم الآثار العام. وقد نشأ هذا الفرع كحقلٍ معرفيٍ منفصل في مدة النهضة الأوروبية؛ ثم إزداد تركيز الأكاديميين عليهِ خلال عصر التنوير والقرن التاسع عشر، حيث كان لهُ دوراً أساسياً في كشف الإرث الثقافي للحضارتين الإغريقية (Greek Civilization) والرومانية (Roman Civilization) والمجتمعات المحيطة والمتواصلة معهما؛ ولا سيما في مناطق حوض المتوسط وشمال إفريقيا. وقد تطور هذا التخصص متأثراً بشكلٍ كبير بالأفكار والتيارات الثقافية والاجتماعية التي سادت في أوروبا عبر تلك العصور؛ مما يوضح التغيرات في النظرة نحو العصور القديمة وجذور الحضارة الغربية (Trigger, 2006, p. 45).

فمن تحليل الفن القديم والاهتمام بالآثار والهندسة المعمارية التاريخية خلال عصر النهضة، إلى أعمال التنقيب الأولى في مواقع مثل بومبي (Pompeii) وهيركولانيوم (Herculaneum) في القرن الثامن عشر، ثم الانتقال إلى الفحص المنظم للهياكل المعمارية الكبرى والتحف الأثرية، لم يقم علم الآثار الكلاسيكي فقط بكشف جوانب من العالم القديم؛ بل أسس أيضاً كثيراً من القواعد المنهجية والأطر النظرية التي ترتكز عليها الممارسات الآثارية الحالية في دراسة الحضارات القديمة (Dyson, 2006, p. 22).

وفي الوقت الحاضر، ومع استمرار توسع مجالات علم الآثار وأختلاف مناهجها، تبقى إسهامات علم الآثار الكلاسيكي مؤثرةً في الدراسات الآثارية الحديثة المعاصرة؛ إذ قدم وجهات نظر تحليلية مهمة حول كيفية تفسير الإرث المادي ومناهج دراستهِ، ووضع أسساً أولى لأساليب حفظ الموروث الثقافي، مساهماً بذلك في الدراسات متعددة المجالات لتاريخ البشرية (Alcock, 2012, p. 7).

وإذا ما إتفقنا بأن علم الآثار الكلاسيكي يشكل حقلاً مركزياً ضمن نطاق علم الآثار بشكلهِ العام[1]، إلا أن هناك بعض الباحثين يعّدهُ الجذر التأسيسي الذي انبثق منهُ علم الآثار المعاصر (الزين، ٢٠٠٢، ص١). إذ يسعى هذا التخصص إلى استكشاف الموروث المادي للحضارتين الإغريقية والرومانية، والمجتمعات التي تأثرت بهما أو تبادلت معهما

التأثير، من خلال تحليل الشواهد المعمارية والفنية وجوانب الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية لتلك الحضارات؛ لذا تُعد دراسة الآثار الكلاسيكية محورية في فهم الأسس الثقافية والفكرية التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة (Alcock, 2012, pp: 11-12). ويغطي هذا المجال البحثي دراسة الشواهد الأثرية للمدة الممتدة من بدء معالم الحضارة الإغريقية، حوالي الألفية الثانية قبل الميلاد، حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادي.

في مرحلتهِ المبكرة؛ تركز اهتمام علم الآثار الكلاسيكي على دراسة القطع الفنية والعمائر القديمة وتقييمها من منظور جمالي. إذ إهتم بشكلٍ أساسيٍ بفحص الأعمال الفنية والهياكل المعمارية القديمة وتحليل قيمتها الجمالية. ومع تطور المنهجيات، وتوسع الأسئلة البحثية، اتسع تدريجياً ليشمل معالجة قضايا أوسع نطاقاً تتعلق بطبيعة المجتمعات الأوربية وأنماط العيش اليومية في العصور الكلاسيكية (Schnapp, 1996, p. 112). رافق هذا التطور استحداثاً لأساليب بحثية أكثر دقة، نتيجة الخبرات الميدانية المستمرة، وإدخال مناهج من حقول معرفية مجاورة كدراسة النقوش والمدونات القديمة وعلم المسكوكات وعلم اللغة، الأمر الذي وسّع قدرة الباحثين على فهم وتفسير الدلائل الأثرية المستخرجة (Morris, 1994, p. 18). وقد ركز هذا الحقل العلمي أيضاً على أهمية دراسة الطبقات الأرضية في المواقع الأثرية (Stratigraphy) ونظام تصنيف القطع والسمات الأثرية (Typology)، مما أسهم في وضع المبادئ الأساسية للمناهج الآثارية المعاصرة، وفتح المجال لدراسة الحضارات القديمة ضمن إطار تاريخي تسلسلي ومنهجي واضح (Morris, 2020, p. 56).

١. ٢. مراحل نشوء علم الآثار الكلاسيكي

من الصعب تحديد مدة زمنية بعينها تُشكِّل بدايةً قاطعةً لنشأة هذا المجال الأكاديمي، غير أنهُ يُمكن رصد مجموعة من العوامل المترابطة التي ساهمت في تكوين علم الآثار الكلاسيكي كتخصصٍ أكاديمي في الجامعات العالمية، ومن الممكن تتبع هذه العوامل عبر المحطات الرئيسية التالية:

١. ٢. ١. عصر النهضة وإحياء العصور الكلاسيكية:

أبدت النخبة الثقافية خلال عصر النهضة الأوروبية إهتماماً ملحوظاً بموروث العصور الكلاسيكية من فنون وآداب وفكر فلسفي. حيث عمل مفكرو وفنانو تلك الحقبة على استعادة وإحياء إرث الحضارتين اليونانية والرومانية، مما أدى إلى إعادة اكتشاف الأعمال الفنية القديمة وجمع وفحص القطع الأثرية، بالإضافة إلى ترجمة النصوص الكتابية الكلاسيكية، وهو ما شكل ركيزةً أساسيةً للتحول الثقافي والفكري الذي شهدتهُ أوروبا آنذاك (Kristeller, 1961, pp: 35-40).

١. ٢. ٢. دور الأدب الكلاسيكي القديم:

إلى جانب قيمتهِ الثقافية والفكرية، أسهم الإهتمام بالنصوص الكلاسيكية القديمة، بشكلٍ أساسي، في ولادة وتطور علم الآثار الكلاسيكي؛ حيث قدّمت هذه المصادر الأدبية وصفاً مفصلاً للمدن والأحداث والأساطير المرتبطة بالعصور الكلاسيكية القديمة (Finley, 1977, p. 45)؛ وهو ما أثار إهتمام وشغف العديدين، فتحولت هذه النصوص إلى مرجعٍ أساسي للمستكشفين والباحثين في تلك المدة، إذ استعانوا بمحتواها لتحديد مواقع المدن التاريخية والأماكن التي شهدت أحداثاً ذكرتها الكتابات الكلاسيكية (Alcock, 2012, pp: 15-30).

ومن الجدير بالذكر، أن الموروث الأدبي الإغريقي يُعد أحد أهم الدعائم التي أسهمت في تشكيل الهوية الثقافية والفكرية للحضارة الغربية في أوربا؛ عبر أعمالاً أدبيةً بارزةً مثل "الإلياذة" (Iliad) و"الأوديسة" (Odyssey) لهوميروس، بالإضافة إلى مؤلفات 'هيرودوت'(Herodotus) و'ثيوسيديدس'(Thucydides)، التي شكلت مصادر غنية بالمعلومات التاريخية والجغرافية[٢]. إذ كانت هذه الأعمال وثائق تاريخية مفصلة تناولت الحروب والتطورات السياسية في تاريخ أوربا القديم؛ فقد قدّمت الأساطير اليونانية القديمة رؤىً ثاقبةً حول المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية لدى الإغريق القدامى، مما مكّن علماء الآثار الكلاسيكية من فهمٍ أعمق للأعمال الفنية والمراسيم المرتبطة بها، كطقوس القرابين والاحتفالات التي كانت سائدة في تلك الحضارة (Burkert, 1985, p. 112). واستفاد الباحثون منها، بعد ذلك، في مجال الآثار للاستدلال والتأويل وتأريخ المواقع

والأحداث؛ وتوجيههم نحو إجراء التنقيبات الآثارية للبحث عن أدلةٍ ماديةٍ تؤكد ما ورد في تلك النصوص؛ كما ساعد في تحليل وتفسير القطع الأثرية المكتشفة؛ مما أتاح إعادة تركيب الصورة التاريخية للعصور الكلاسيكية القديمة (Momigliano, 1990, p. 56).

١. ٢. ٣. الرحلة الكبرى ودراسة الآثار الكلاسيكية:

خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، أدّت ظاهرة "الرحلة الكبرى" (The Grand Tour) دوراً مهماً في تعزيز الاهتمام بالآثار الكلاسيكية؛ فقد قام النبلاء والمثقفون الأوروبيون، وخاصة البريطانيون منهم، برحلات طويلة إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط مثل إيطاليا واليونان، بهدف الاطلاع المباشر على الآثار الإغريقية والرومانية[٣]. وقد شكلت هذه الرحلة، وقتذاك، طقساً ثقافياً مهماً للنخبة الأوروبية للسفر إلى إيطاليا والإطلاع على فنون وطرز بناء الحضارات القديمة عن قرب؛ مما دفعهم إلى جمع التحف الأثرية كهدايا تذكارية، وهو ما أسفر عن تكوين مقتنيات شخصية وانتشار المؤسسات المتحفية في مختلف أرجاء القارة الأوروبية (Hibbert, 1987, p. 78).

لقد كان لأثر هذه الرحلات دور بالغ في جذب الإنتباه نحو الإرث الكلاسيكي الأوروبي، مما حفّز الإهتمام المتزايد بدراسة الأسس المادية الأولى لهذا الإرث، وتطوير المنهجيات الآثارية في إطارها الأكاديمي؛ كما شكل دافعاً قوياً خلال مراحل تشكل التخصص الأكاديمي المعني بدراسة الموروث الأوروبي الكلاسيكي. ليكون علم الآثار الكلاسيكي أحد أبرز الثمار الناتجة عن تأثير هذه الممارسة النخبوية (Black, 2003, p. 45). في حين مثّل اقتناء المسافرين للأعمال الفنية والتحف الأثرية مصدراً رئيسياً لتكوين المقتنيات الخاصة وإثراء المؤسسات المتحفية في مختلف أنحاء أوروبا وقتذاك.

كما أن العديد من المؤلفات والكتب والدراسات التي نُشرت حول الآثار الكلاسيكية وتجارب تلك الرحلات، حفزت عدداً من الشخصيات البارزة، في حينها، على تأسيس هيئات علمية ومؤسسات أكاديمية متخصصة في دراسة الإرث الكلاسيكي؛ وعلى سبيل المثال، تأسست "جمعية الهواة" (Society of Dilettanti) في إنجلترا سنة ١٧٣٤م، والتي خصصت جهودها لدراسة الفنون والآثار الكلاسيكية؛ ووفقاً لبعض الباحثين، فإنهُ يمكن

اعتبار هذه الجمعيات حجر الأساس في تطوير علم الآثار كحقل أكاديمي منظم (Towner, 1985, p. 125).

١. ٢. ٤. الحفريات الآثارية المبكرة:

إتجه العلماء، خلال عصر التنوير[٤]، إلى اعتماد منهجيات تجريبية في فحص اللقى الأثرية وإدارة المواقع التاريخية، وهو ما أسس لقواعد البحث الآثاري المنهجي الحديث، سواءً على المستوى العام أو في إطار دراسة الآثار الكلاسيكية على وجه التحديد (Trigger, 2006, pp: 92–95). وقد جاء هذا التطور ثمرةً لمجموعة من الممارسات الميدانية والمعارف التي تراكمت نتيجةً للأعمال الميدانية التي نُفذت في مواقع أثرية رئيسية تابعة للحضارتين الإغريقيةِ والرومانية. ومن أبرز تلك الأعمال، والتي كان لها تأثير واضح في تشكيل وتطوير المنهجيات والأدوات الخاصة بعلم الآثار الكلاسيكي، هي الحفريات[٥] التي أُجريت في مواقع مرتبطة بالعصور الكلاسيكية.

أ- حفريات هيركولانيوم وبومبي

شكّلت هيركولانيوم (Herculaneum) وبومبي (Pompeii)، المدينتين الرومانيتين اللتين طمرهُما ثوران بركان 'فيزوف' بإيطاليا عام ٧٩ ميلادي، محطةً فارقةً في هذا التخصص ومرحلةً حاسمةً في تطور علم الآثار الكلاسيكي؛ حيث وفّرت رؤىً استثنائية عن النسيج الحضري والهندسة المعمارية والثقافة الرومانية في ذلك العصر.

أنطلقت أعمال الحفريات في هذه المواقع خلال القرن الثامن عشر الميلادي تحت إشراف الملك الإسباني 'كارلوس الثالث'(Charles III)، وكشفت عن كنزٍ من المعلومات حول المجتمع الروماني القديم ونظامهُ الاقتصادي؛ وأبرزت قدرة البحث الآثاري على إغناء السرد التاريخي وتعميقهِ (Trigger, 2006, p. 78). وكان قد تم اكتشاف هيركولانيوم أولاً عام ١٧٣٨م، ثم أُكتشفت بومبي عام ١٧٤٨م؛ ورغم النتائج القيمة التي أسفرت عنها هذه التنقيبات، فإنها اتسمت في مراحلها الأولى بدرجةٍ كبيرةٍ من العشوائية[٦]؛ حيث كان الدافع الأساسي هو استخراج القطع الأثرية الفنية والكنوز النفيسة بدلاً من السعي وراء الفهم العلمي المنهجي للسياق الآثاري (Wallace-Hadrill, 2011, p. 45).

ب- حفريات طروادة

حفزت الإكتشافات الأثرية، في هيركولانيوم وبومبي، التاجر الألماني الثري 'هاينريش شليمان'(Heinrich Schliemann) نحو الشروع في أعمال حفر، بدأت سنة ١٨٧١م، في موقع هيسارليك (Hisarlik) شمال غرب تركيا؛ والتي أدت إلى اكتشاف مدينة طروادة (Troy) التاريخية التي ورد ذكرها في الأدبيات الكلاسيكية القديمة، وخاصةً في ملحمتَي "الإلياذة" و"الأوديسة" (Schliemann, 1881, p. 45). وبفعل تأثرهُ العميق بالأدب الإغريقي القديم، كان شليمان مقتنعاً تماماً بأن هوميروس قدّم وصفاً دقيقاً لموقع المدينة، وهو ما حفّزهُ لبدء أعمال الحفر في هيسارليك (Traill, 1995, p. 78).

ورغم اكتشافه لعدّة طبقات أثرية متعاقبة في الموقع، إلا أن أساليب شليمان في الحفر أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية وقتذاك، حيث عّدها بعض الباحثين بأنها غير مبنية على فهم صحيح للسياق الآثاري (Fitton, 1995, p. 78).

ج- أعمال آثارية أخرى

تجدر الإشارة أيضاً إلى عدد من المشاريع الآثارية المؤثرة في تشكيل منهجيات وممارسات علم الآثار الكلاسيكي؛ أبرزها الأعمال التي نُفذت في معبد البارثينون (Parthenon) في أثينا، الذي يُعد من أشهر المعالم الأثرية العالمية ورمزاً للحضارة الإغريقية؛ وذلك عندما قام البريطاني اللورد 'إلجين'(Elgin) بإزالة العديد من المنحوتات والعناصر الزخرفية من المعبد ونقلها إلى بريطانيا عام ١٨٠١م (Jenkins, 2001, p. 47)؛ ثم تلتها أعمال البريطاني الآخر 'آرثر إيفانز'(Arthur Evans) في الكشف عن قصر كنوسوس (Knossos) في جزيرة كريت عام ١٩٠٠م، وإبراز ملامح الحضارة المينوية (Minoan civilization) (Evans, 1901, pp: 1-70).

عَقبَ تلك الأعمال المزيد من الحفريات التي شهدت أساليبها تطوراً ملحوظاً، خلال القرن التاسع عشر، عبر جهود عدد من الشخصيات البارزة مثل الإيطالي 'جيوسيبي فيوريلي'(Giuseppe Fiorelli)، الذي أحدث طفرةً في الممارسات الآثارية من خلال تقديم منهجيات حفر منظمة في المواقع الأثرية التي عمل بها، شملت تقسيم الموقع إلى قطاعات وأحياء، كما طور تقنية صنع القوالب الجصية، حين عملهُ في بومبي، للحفاظ على هيئات

جثث سكان بومبي والمواد العضوية المتبقية، جراء البركان، والتي أُكتشفت في الموقع (Cooley, 2013, p. 23). ومن جهةٍ أخرى، ساهم الإيطالي الأخر 'ميشيل روجيرو'(Michele Ruggiero) في تطوير الممارسات الآثارية وتحسين منهجياتها، من خلال التركيز على صون التفاصيل الأثرية في موقع بومبي وتوثيقها بدقة؛ حيث أعد ونشر مجموعة من التقارير والسجلات التفصيلية عن الأعمال الآثارية هناك، والتي لا تزال تُعّد مصادراً علميةً قيمةً للباحثين (Maiuri, 1942, p. 15).

وبذلك، شكلت هذه الأعمال الآثارية المتعاقبة والمتطورة تقنياً نوعاً ما، عبر القرن العشرين والمستمرة حتى القرن الحادي والعشرين، عاملاً مؤثراً في جذب الاهتمام نحو الإرث الكلاسيكي ودراستهِ بشكلٍ تطبيقي، مما أسهم في تشكيل معالم علم الآثار الكلاسيكي.

المبحث الثاني: تطور علم الآثار الكلاسيكي

٢. ١. دور دراسات تاريخ الفن الأكاديمية في تطور علم الآثار الكلاسيكي

أضحت دراسة الإبداعات الفنية القديمة جزءاً لا يتجزأ من النظام التعليمي والثقافي الأوروبي خلال عصر النهضة؛ حيث كان الفنانون في تلك الحقبة، مثل 'ليوناردو دافينشي'(Leonardo da Vinci) و'ميكيل أنجلو'(Michelangelo) وغيرهم الكثير، يبحثون عن مصادر إلهام في الأعمال الفنية الكلاسيكية لإنتاج فنونهم؛ مما أدى إلى جمع وفحص القطع الأثرية الكلاسيكية على نطاقٍ واسعٍ (Murray, P., & Murray, L., 1963, pp: 7-17). حتى بدأ الباحثون بالانتقال من تحليل، الأعمال الفنية المجردة، إلى البحث عن الآثار في سياقها المكاني الأصلي؛ مما أدى إلى تشكيل ممارسات علم الآثار الكلاسيكي الميدانية كإمتداد طبيعي لدراسات تاريخ الفن (Schnapp, 1996, p. 78). ونظراً لأن علم الآثار الكلاسيكي نشأ متأثراً بشكلٍ مباشرٍ بإهتمام المفكرين والفنانين بالإرث الفني للحضارات الكلاسيكية، فإنهُ يُمكن اعتبار تاريخ الفن وعلم الآثار الكلاسيكي مجالين متشابكين بشكلٍ وثيق؛ حيث أسهم الأول بشكلٍ كبيرٍ في نشأة الثاني (Wyke, 2016, pp: 312-315).

٢. ٢. فينكلمان وبداية الدراسات الأكاديمية

على الرغم من أن نشأة علم الآثار الكلاسيكي لم تكن نتيجة جهدٍ فردي؛ بل حصيلة تياراتٍ وجهودٍ ومراحل أكاديمية متعددة؛ إلا أن المؤرخ والناقد الفني الألماني 'يوهان يواخيم فينكلمان'(Johann Joachim Winckelmann) يُمكن عّدُه أحد أبرز الرواد المؤسسين لهذا الحقل من خلال دراساتهِ في تاريخ الفن؛ حتى أنهُ عُرف لاحقاً بـ"أب علم الآثار الكلاسيكي"؛ إذ طور منهجيةً علميةً لدراسة الفنون والآثار الإغريقيةِ والرومانية؛ مع التركيز على أهمية التحليل والسياق التاريخي، وذلك عبر مؤلفهِ "تاريخ الفن في العصور القديمة" (Geschichte der Kunst des Altertums) الذي نُشر عام ١٧٦٤م (Harloe, 2019, pp: 229–235). وفي كتابهِ هذا يمكن تلمس رأي فينكلمان بأن الفن الإغريقي يجسد القمة في الإبداع الإنساني (Winckelmann, 1764, pp: 127–288)، وهي نظرةً تركت أثراً عميقاً على الأبحاث التالية؛ فقد قدم دراسةً تفصيليةً لتطور الفن الكلاسيكي، معتمداً على فحصٍ دقيقٍ للتحف الأثرية والمدونات التاريخية؛ وشدد على ضرورة فهم الإطار التاريخي والثقافي للآثار، مما جعلهُ شخصيةً محوريةً في تاريخ هذا التخصص (Schnapp, 2015, pp: 760–763).

٢. ٣. المنشورات والدراسات الأكاديمية

وفي إطارٍ متصل، شكّلت مرحلة إصدار التقارير التفصيلية عن حفريات هيركولانيوم، تحت عنوان "معروضات أثرية من مدينة هيركولانيوم" (Le Antichità di Ercolano Esposte)، محطةً بالغة الأهميةِ في مسار علم الآثار الكلاسيكي؛ إذ دعمت أسس نشأتهِ الأكاديمية وعكست تأثيرهُ الواسع في الدراسات العلمية. وتتألف هذه التقارير من سلسلةِ مجلداتٍ، صدرت باللغةِ الإيطالية وتمت طباعتها في المطبعةِ الملكيةِ في نابولي بين عامي ١٧٥٧م و١٧٩٢م، توثّق القطع الأثريةِ المكتشفةِ خلال أعمال الحفر الآثارية في مدينة هيركولانيوم (Knight, 1986, p. 78). واشتملت هذه المنشورات على رسومات تفصيلية للنقوش والجداريات والتماثيل والفسيفساء، وغيرها من الأعمال الفنيةِ المكتشفة، مصحوبةً بشرحٍ علمي وتعليقات تاريخية وتحليلية عنها (Pinto, 2012, p. 203). وكانت هذه التقارير الأكاديمية قد أدّت دوراً محورياً ومؤثراً في تطور تاريخ الفن، وعلم الآثار الكلاسيكي،

وساهمت في وضع معايير جديدة لتوثيق ونشر الإكتشافات الأثرية (Ramage, 1990, pp. 45–58). بالإضافةِ إلى مساهمتها في توفير المواد البحثية والدراسات والبيانات الخاصة بإكتشاف العصور الكلاسيكية، إلى جانب دورها في تشجيع تأسيس المتاحف والمجموعات العامة المتخصصة بالإرث الكلاسيكي القديم (Knight, 1986, p. 62)؛ حتى أنها لعبت دوراً مهماً في إنتشار إتجاه ما يعرف بـ "الكلاسيكية الجديدة" (Neoclassicism)[٧] في أوربا وقتذاك (Parslow, 1995, p. 134).

٢. ٤. علم الآثار الكلاسيكي في القرن التاسع عشر

شهد القرن التاسع عشر للميلاد في أوروبا تحولاتٍ عميقةٍ في دراسة الآثار؛ حيث أخذ علم الآثار الكلاسيكي يتبلور كحقلٍ أكاديمي مستقل إلى حدٍ كبير. وجاء هذا التطور نتيجة تفاعل عدة عناصر، منها الاهتمام المتعاظم بالحضارات القديمة، والتقدم في المنهجيات العلمية، ودور المؤسسات الأكاديمية في تنظيم وتوثيق الاكتشافات الأثرية. ففي المدة التي سبقت هذا القرن، كانت دراسة الآثار الكلاسيكية تجري بشكلٍ رئيسي من خلال المنظور الأدبي والفني، دون منهجيةٍ علميةٍ واضحة؛ لكن مع دخول القرن التاسع عشر، أصبحت الحفريات الآثارية أكثر إنتشاراً وتنظيماً، وبدأت المؤسسات الأكاديمية باعتماد منهجيات علمية لدراسة الآثار (Morris, 1994, pp: 61–70).

وبحسب الأستاذ 'هالبرتسما'(Halbertsma) فإن أول كرسي أكاديمي معتمد في الجامعات الأوربية لدراسة علم الآثار (Chair of Archaeology) كان قد تأسس في جامعة لايدن (Leiden University) الهولندية، عام ١٨١٨م، وكان هذا الحدث نقطة تحول فاصلة في التاريخ الأكاديمي لعلم الآثار الكلاسيكي؛ وعُين الدكتور 'كاسبار يوهانس كاتارينوس روفنس' (Caspar J.C. Reuvens) كأول أستاذ لعلم الآثار في هذه الجامعة، والذي كان متأثراً بالحركات الثقافية الكلاسيكية والإهتمام بدراسة الثقافة المادية للإغريق والرومان، ولم يساهم روفنس في تطوير الدراسات الأكاديمية حول الآثار الكلاسيكية في الجامعة فحسب؛ بل شمل ذلك مجهودات كبيرة منهُ في جمع القطع الأثرية الإغريقية والرومانية المهداة للجامعة ووضعها في متحف مصغر لدراستها. في الحقيقة يمكن القول بأن إنشاء كرسي الآثار في جامعة لايدن مثل نقطة تحول حاسمة في تطور علم الآثار

الكلاسيكي أكاديمياً. فقد إنتقل التخصص من كونهِ نشاطاً هاوياً يركز على جمع القطع الجميلة لإبهار الضيوف، إلى تخصصٍ أكاديمي منهجي يهدف إلى الفهم العلمي للحضارات الأوربية القديمة (Halbertsma, 2021, pp. 31–54).

كما أن تطوير تطبيق "المنهج اللغوي التاريخي"، في الدراسات الآثارية، خلال القرن التاسع عشر، كان بمثابة تطور مهم آخر في دراسة علم الآثار بشكلٍ عام، وعلم الآثار الكلاسيكي بشكلٍ خاص، لا سيما من خلال مساهمات شخصيات مثل الألماني 'إدوارد جيرهارد'(Eduard Gerhard)؛ الذي أطلق تسمية "الفيلولوجيا الآثارية" (Archaeological Philology) على منهجية علم الآثار؛ إذ أكد هذا المنهج على تكامل الثقافة المادية مع التحليل النصي للكتابات القديمة، مما أدى إلى فهمٍ أكثر دقةً للعصور القديمة. وبهذا الصدد يُذكر، أن جيرهارد، في نهجهِ هذا، أول من سعى إلى تطوير علم الآثار كتخصصٍ علمي يجمع دراسة القطع الأثرية جنباً إلى جنب مع النصوص التاريخية (Schnapp & Tiews, 2004, pp: 169–171).

وبفضل هذه التطورات خلال هذه المدة، تم إطلاق برامج جامعية متخصصة في علم الآثار وفرع الآثار الكلاسيكية تحديداً، في العديد من الجامعات والمؤسسات الأكاديمية في بريطانيا وألمانيا (Marchand, 1996, p. 34). كما صاحب ذلك نشوء هيئاتٍ مهنيةٍ متخصصة مثل "معهد المراسلات الآثارية" (Archaeological Correspondence Institute)، الذي تأسس عام ١٨٢٩م، في روما من قبل جهودٍ مشتركةٍ لبعض النخب الأوربية ومنها جيرهارد (Schnapp & Tiews, 2004, p. 169)؛ إذ تولى هذا المعهد مهمة نشر دوريات أكاديمية، باللغة الإيطالية، تحت عنوان "حوليات معهد المراسلات الآثارية" (Annali dell'Instituto di corrispondenza archeologica) حوت على تقارير مفصلة عن الأعمال الآثارية في المواقع الأثرية الإغريقية (Presicce, 2019, pp: 7–34). عَقب ذلك تأسيس مراكز بحثية متخصصة في دراسة الآثار الكلاسيكية في اليونان، مثل "المدرسة الفرنسية في أثينا" (École française d'Athènes) التي تأسست عام ١٨٤٦م، بهدف دراسة الحضارة الإغريقية القديمة (Gran-Aymerich, 1998, p. 78)؛ ثم تلاها إفتتاح "المعهد الألماني للآثار في أثينا" (Deutsches

Archäologisches Institut DAI in Athens) عام ١٨٧٤م (Marchand, 1996, p. 45)؛ ومن ثم "المدرسة البريطانية في أثينا" (British School at Athens) عام ١٨٨٦م (Waterhouse, 1986, p. 12)؛ وهو ما يعكس المنافسة والوعي بين الدول الأوروبية في دراسة الحضارات الكلاسيكية، وتأثيرات ذلك على كمية الدراسات والأبحاث الأكاديمية وقتذاك، وأثر كل هذا في تدعيم أسس نشوء علم الآثار الكلاسيكي ونموهِ أكاديمياً في أوربا.

٢. ٥. التحولات النظرية في علم الآثار الكلاسيكي خلال القرن العشرين

على الرغم من أن مرحلة القرن العشرين للميلاد بدأت في ظل المخاطر والتحديات التي أدت إلى تدمير وضياع الآثار الكلاسيكية ومواقعها ومبانيها المنتشرة في مختلف مدن أوروبا أثر الحروب العالمية (Stone, 2016, pp 40–54)؛ إلا أن هذه المرحلة شهدت تحولات فكرية ومنهجية عميقة في منهجيات علم الآثار الكلاسيكي؛ إذ تطور هذا المجال من جذورهِ المنهجية والنظرية، في دراسة تاريخ الفن والآثار المادية القديمة، ليشمل مقاربات أنثروبولوجية وعلمية وتأويلية أوسع. وقد ساهمت في دفع هذه التحولات تطورات في النظرية الآثارية، والتقدم التقني المستخدم في البحث، وازدياد الوعي بالأبعاد الأخلاقية والسياسية لدراسة الماضي؛ بالإضافة إلى ظهور المنهجيات الإجرائية وما بعد الإجرائية في علم الآثار، وإندماج الأساليب العلمية المتقدمة في الدراسات الآثارية (Bugaj, 2011. pp: 255–279). وفي هذه المرحلة، يمكن القول بأن علم الآثار الكلاسيكي إنتقل لحالة إعادة صياغة الهوية الثقافية الإنسانية؛ وأبتعد عن النهج التذوقي والجمالي الضيق الذي يقدس القطعة الفنية لذاتها؛ وهو بذلك لا يرفض إرثهِ المادي كتاريخ للفن القديم، بل سعى نحو دمجهِ في أجندةٍ بحثيةٍ معاصرة تنفتح على العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية، بمنهجيات أكثر تحليلية، وذلك لفهمٍ أكبر للسياقات الثقافية الخاصة بالحضارات الكلاسيكية.

٢. ٥. ١. من تاريخ الفن إلى المناهج الأنثروبولوجية

في مطلع القرن العشرين، كان الإهتمام الرئيسي لعلم الآثار الكلاسيكي منصباً على دراسة ماديات الفن والعمارة الكلاسيكية، لكثرة مواقعها وحالتها الجيدة التي قاومت عوامل الزمن، مع التركيز على تصنيف اللقى الأثرية وتحليلها من الناحية الأسلوبية (Bugaj,

2011. p. 255-279). حيث قام باحثون مثل الألماني 'أدولف فورتفانغلر'(Adolf Furtwängler) والفرنسي 'جون بيسلي غريني'(John Beasley Greene) بدراسة القيمة الجمالية والتاريخية للقطع الأثرية، مع إعطاء أولوية لآثار النخب الحاكمة في الحضارات الكلاسيكية، من خلال دراسة المباني الضخمة مثل القصور والمعابد وما تحتويه من أعمال نحتية وخزفية (Shanks, 1996, p. 45). ورغم أن هذه المساهمات أسست لقواعد بعض منهجيات هذا التخصص؛ إلا أنها أغفلت في كثير من الأحيان الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الأوسع للطبقات غير النخبوية في المجتمعات القديمة، وهو ما شكل أحد أوجه النقد الموجهة لهذا التخصص. لهذا، شهدت مرحلة منتصف القرن العشرين تحولاً جوهرياً في اعتماد منظورات أنثروبولوجية في الدراسات الآثارية؛ وقد تأثر هذا التغيير بالمجال الأوسع لعلم الآثار، وخاصةً صعود "علم الآثار الإجرائي" (Processual Archaeology)[٨] والذي يُعرف أيضاً بـ "علم الآثار الجديد" (New Archaeology) في ستينيات القرن العشرين. حيث انتقلت منهجيات علم الآثار من الوصف الميداني للآثار إلى مرحلة تفسير التغيرات الثقافية الإنسانية وتحديد القواعد العامة التي تحدد السلوك الإنساني عبر التاريخ (Snodgrass, 2006, pp: 63-77).

٢. ٥. ٢. علم الآثار الإجرائي وتأثيره في علم الآثار الكلاسيكي

بدأ علماء الآثار الكلاسيكيون بتجاوز الدراسات الوصفية المحضة والنظر في العمليات الأساسية التي شكلت المجتمعات القديمة. فعلى سبيل المثال، أصبح تحليل أنماط الاستيطان وشبكات التبادل التجاري والمعلومات البيئية، مقاربة محورية لفهم الديناميكيات الاقتصادية والاجتماعية وعواملها الدافعة في مناطق الحضارات الكلاسيكية؛ ويمكن اعتبار أبحاث 'كولين رينفرو'(Colin Renfrew) في دراسة المجتمعات المركبة في منطقة بحر إيجة نموذجاً على تطبيق المناهج الإجرائية في علم الآثار الكلاسيكي (Renfrew, 1972, p. 112). وكان من أبرز إسهامات علم الآثار الإجرائي تأكيدهُ على البحوث متعددة الإختصاصات؛ حيث بدأ علماء الآثار الكلاسيكيون بالتعاون مع متخصصي العلوم الطبيعية، في استخدام تقنيات مثل التأريخ بالكربون المشع وتحليل حلقات الأشجار والمسح

الجيوفيزيائي لتعميق فهمهم للماضي وتحديد إطارهُ الزمني؛ وقد مكنت هذه المنهجيات من تقدير أعمار المواقع واللقى الأثرية بدقةٍ أكبر (Trigger, 2006, p. 315).

٢. ٥. ٣. علم آثار ما بعد الاجرائي

مع حلول ثمانينيات القرن العشرين، بدت محدودية علم الآثار الإجرائي أكثر وضوحاً، مما مهّد لظهور مناهج ما بعد الإجرائية وبروز ما يُعرف بـ "علم الآثار ما بعد الإجرائي" (Post-Processual Archaeology)[٩]؛ فكان من أبرز إسهامات المناهج ما بعد الإجرائية تسليط الضوء على كيفية استخدام المادة الثقافية لدراسة أشكال الهويات الاجتماعية ومستوياتها في العالم القديم؛ بما يشمل جوانب مثل الطبقة الاجتماعية، النوع الاجتماعي، الجنس، العمر، الانتماء العرقي، والدور الديني أو السياسي. فبدأ علماء الآثار الكلاسيكيون في استكشاف موضوعات أكثر تعقيداً في دراسة الحضارات القديمة، مستفيدين من الأطر النظرية المستمدة من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والدراسات الثقافية (Hodder, 1991, p. 78). ومثالاً على ذلك، أظهرت الدراسات الآثارية التي أجراها البريطاني 'أندرو والاس-هادريل'(Andrew Wallace-Hadrill) حول التصميم المكاني للمنازل الرومانية القديمة، كيف أن هذه التصاميم تعكس التسلسلات الهرمية الاجتماعية والقيم الثقافية للمجتمع القديم؛ وذلك من خلال تحليل أساليب البناء والتزيين، حيث بيّن والاس-هادريل أن هذه المساحات لم تكن مجرد أماكن معيشة، بل كانت تعبر عن الهوية الاجتماعية لقاطنيها؛ وبذلك نقل التحليل من مجرد توصيف معماري إلى تأويل اجتماعي عميق (Wallace-Hadrill, 1994, p. 23).

إن هذه المدارس الفكرية الآثارية وما تبعها من منهجيات قد أثرت بشكلٍ كبير في تدعيم ملامح الدراسات الأكاديمية لتخصص علم الآثار الكلاسيكي في أوربا؛ وطورت كثيراً في رؤيتهِ الأكاديمية التحليلية النقدية في التعامل مع ماديات الإرث الكلاسيكي؛ وهذا ما تأثرت به كثيراً دراسات علم الآثار المعاصرة بشكلها العام.

المبحث الثالث: علم الآثار الكلاسيكي في القرن الواحد والعشرين

٣. ١. علم الآثار الكلاسيكي والتكنولوجيا الحديثة

أما في القرن الحادي والعشرين، فبعد التجربة السابقة في الحفريات غير المنتظمة وعدم استخدام السياق الآثاري الصحيح في العمل، وفي ظل التطور التقني المتسارع؛ كان للتطور التكنولوجي دورٌ محوري في التحول العميق لكيفية دراسة المواقع الأثرية الكلاسيكية ومنهجيات علم الآثار الكلاسيكي، وذلك من خلال استخدام التكنولوجيا المتقدمة في الممارسات الميدانية والاعمال الآثارية الخاصة بدراسة الإرث الكلاسيكي؛ ومنها على سبيل المثال، تقنيات المسح الضوئي (LiDAR) والتصميم ثلاثي الأبعاد، التي مكنت الباحثين من إعادة تشكيل المواقع الأثرية بدقةٍ عالية. وأصبح توظيف التقنيات الحديثة في المواقع الكلاسيكية وسيلةً لتقديم رؤىً جديدة حول التخطيط العمراني والهندسة المعمارية في العصور القديمة (Barrett, 2018, pp: 142–150). وهذا ما أتاح للدارسين فحص المواقع الأثرية بدقةٍ غير مسبوقة، كما هو الحال اليوم في معظم الأعمال الآثارية المقامة في مدينة روما على سبيل المثال (Keay, 2011, p. 89).

٣. ٢. دراسة التفاعل بين الحضارات القديمة

أصبح تأثير منهجيات علم الآثار الكلاسيكي واضحاً بشكلٍ كبير في دراسة التفاعلات الثقافية بين الحضارات القديمة؛ خاصةً تلك الدراسات التي تركز على التبادل التجاري والثقافي بين حضارات اليونان وروما من ناحية، والحضارات المجاورة والمتفاعلة معها مثل حضارات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من ناحيةٍ أخرى. وقد بينت هذه الدراسات كيف أن التبادل الثقافي يمكن أن يقود إلى تطورات حضارية كبرى، وهو ما يُطبق كمنهج بحثي الآن في الدراسات الآثارية الخاصة بالتأثيرات المتبادلة لحضارات آسيا وأوروبا وإفريقيا (Morris, 2020, P. 210).

٣. ٣. النقاشات والإشكاليات الأكاديمية

على الرغم من المساهمات الكبيرة التي قدمها هذا التخصص في فهم مسار التاريخ والثقافة الإنسانية، إلا أن بعض مناهجهِ ونظرياتهِ وتفسيراتهِ تواجه باستمرار العديد من النقاشات والإشكاليات الأكاديمية في الدراسات الآثارية المعاصرة. ومن أبرز هذه الإنتقادات

هي التركيز المُفرط على دراسة آثار النخب الحاكمة والطبقات العليا في المجتمعات الإغريقية والرومانية القديمة، مثل المعابد والقصور والتماثيل الباذخة، وإهمال آثار الطبقات الدنيا والعامة. هذا التحيز، من وجهة نظر النقاد، يؤدي إلى صورة مشوهة وغير مكتملة عن الماضي، يتم بها إغفال حياة الغالبية العظمى من السكان الذين لم تحظَ بقاياهم المادية بنفس القدر من الاهتمام الأكاديمي مقارنة بآثار الطبقات العليا في المجتمع (Morris, 2000, p. 45)؛ فعلى سبيل المثال: قدمت الدراسات الآثارية الحديثة، التي تناولت دراسة مواقع القمامة والمساكن العادية في بومبي، رؤىً أكثر ثراءً للحياة الرومانية، اليومية القديمة، مقارنةً بدراسات القصر الإمبراطوري القديم! فمن خلال التركيز على الثقافة المادية ورواسب النفايات، اكتشف الباحثون جوانب دقيقة من السلوك المنزلي والممارسات الاجتماعية التي تم تجاهلها سابقًا في الدراسات الآثارية (Dicus, 2022 pp: 543–566).

كما لوحظ التركيز الكامل لعلم الآثار الكلاسيكي تاريخياً على الحضارات اليونانية والرومانية بإعتبارها "المركز الحضاري" للعالم القديم؛ متجاهلاً، في البدء، التأثيرات الحضارية مع الحضارات الأخرى، وأهمها الحضارات الشرقية؛ حيث تجاهلت المدرسة الكلاسيكية التقليدية، في دراسة الآثار، التأثيرات الفينيقية والمصرية والبابلية على الحضارة اليونانية، حتى جاء 'مارتن برنال'(Martin Bernal) في كتابهِ "أثينا السوداء" (Black Athena) ليناقش، في مجلداتهِ الثلاث، هذا الموضوع بكل حيثياته؛ عبر طرح رأيهِ الذي يُعيد أصول الحضارة اليونانية إلى جذور أفروآسيوية، بدلاً من الإقتصار على التأثير الهندو–أوروبي؛ ويستند برنال لغوياً إلى أن ٤٠% من المعجم اليوناني، شاملًا مصطلحات السياسة والفلسفة، هو ذو أصول مصرية وشرقية، مما يؤكد عمق التأثير الثقافي الشرقي على تشكيل الحضارة الكلاسيكية (Patterson, 1988, pp: 42–45). ناهيك عن إشكالية نموذج الانتشار الثقافي الذي افترض أن كل التطور الحضاري إنتشر من أوروبا، وهو ما دحضتهُ الدراسات الآثارية الحديثة في العراق ومصر على وجه الخصوص (d'Errico, 2007, pp 122–133).

كما ظهرت إشكالية تتعلق باعتماد الباحثين بشكلٍ مفرطٍ على النصوص الأدبية الكلاسيكية القديمة دون نقدٍ كافٍ، مما قد يخلق تحدياتٍ منهجيةٍ في دراسة وتحليل الآثار

المادية المكتشفة؛ إذ أن هذه النصوص غالباً ما تكون ذات طابع أدبي ملحمي وأسطوري، مما يقلل من دقتها كمصادر مباشرة للمعلومات المادية؛ وأن الاعتماد عليها دون تمحيص نقدي، كما فعل شليمان في طروادة، قد يؤدي إلى استنتاجات قد تشوّش على دراسة الشواهد المادية الملموسة (Snodgrass, 2002, pp: 75–82).

وبالرغم من مستويات النقد والإشكاليات المذكورة، إلا أن إحدى أبرز القضايا التي تواجه علم الآثار الكلاسيكي في الوقت الحالي هي الانتقادات المتعلقة بصلتهِ بالاستعمار وإشكاليات الاستحواذ الثقافي؛ خاصةً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. حيث قامت عدة دول، مثل بريطانيا وألمانيا وفرنسا، بنقل آثار كلاسيكية من مواقعها الأصلية في اليونان وإيطاليا وتركيا إلى متاحفها المحلية؛ مما أثار تساؤلاتٍ عميقة حول ملكية هذه الآثار وأخلاقيات نقلها. إذ يرى بعض الخبراء أن الاستحواذ على الآثار الكلاسيكية من قبل القوى الاستعمارية لم يكن مجرد نقل مادي لأحجار قديمة، بل كان كذلك استيلاءً ثقافياً ساهم في بناء هوية متاحف تلك الدول على حساب إرث وتاريخ المجتمعات الأصلية التي نُقلت منها تلك القطع (Cuno, 2008, p. 56).

٣. ٤. علم الآثار الكلاسيكي وإدارة الموروث الثقافي في الوقت المعاصر

وبغض النظر عن إشكاليات النقد والتحليل الأكاديمي النظري، فإن العصر الحالي يشهد تحولاتٍ عميقة لإشكالياتٍ أكبر تتعلق في كيفية إدارة الموروث الثقافي العالمي؛ إذ أصبحت قضايا صونهِ وإدارتهِ أكثر تشعباً بسبب تطور أنماط الحياة والتقنيات المستخدمة والتداول المتسارع للمعلومات والأفكار عبر الحدود الدولية، ناهيك عن تعدد أنواع المخاطر والتهديدات الفكرية والمادية.

وفي ظل هذه التحولات يواجه علم الآثار الكلاسيكي تحدياتٍ متعددة؛ تشمل كيفية صون الآثار الكلاسيكية ومواقعها أمام أخطار الصراعات والإتجار غير القانوني، بالإضافة إلى تأثيرات الصناعة السياحية ومدى قدرة المواقع الأثرية على استيعاب الأعداد المتزايدة من الزوار (Timothy, 2003, p. 102). بالإضافة إلى قضايا رؤية الدول واستراتيجياتها تجاه الآثار ومواقعها. وعليه، أصبحت مهمة الباحثين في مجال الآثار الكلاسيكية أكثر

صعوبة نتيجة الحاجة إلى تحقيق توازن بين حفظ الموروث القديم وتعزيز الحوار الثقافي العالمي.

وبالرغم من كل هذا، فإن هذا التخصص، كغيره من فروع علم الآثار، يؤدي دوراً أساسياً معاصراً في فهم وإدارة الإرث الثقافي للحضارات القديمة؛ فهو ليس مجرد وسيلةً لدراسة الماضي وفهمهِ، بل هو أداةً لتشكيل الهوية الثقافية والحفاظ على مكوناتها المادية في العصر الحالي.

الخاتمة:

إن علم الآثار الكلاسيكي، بكل ما حملهُ من إنجازات وإشكاليات، يبقى شاهداً على قدرة الإنسان على استكشاف ماضيهِ وفهمه؛ وعلى ضرورة المراجعة النقدية المستمرة للمناهج والممارسات العلمية. وفي ظل التحديات المعاصرة، يتطلب هذا التخصص إنفتاحاً أكبر على التعددية الثقافية، والتزاماً أعمق بالمبادئ الأخلاقية، وتوظيفاً أمثل للتقنيات الحديثة، لضمان استمرار إسهامهِ في فهم التجربة الإنسانية وحفظ موروثها الثقافي للأجيال القادمة.

الإستنتاجات:

من خلال تحليل المسار التاريخي لعلم الآثار الكلاسيكي، يمكن استخلاص مجموعة من الاستنتاجات المحورية:

١. يُعد علم الآثار الكلاسيكي المنطلق الفعلي لتأسيس علم الآثار العام كتخصصٍ أكاديمي منظم. فقد شكّل الاهتمام بالإرث الكلاسيكي الدافع الأول نحو تطوير المنهجيات الميدانية والنظرية التي انتقلت لاحقاً إلى دراسة آثار الحضارات الأخرى حول العالم.

٢. لم تكن نشأة هذا التخصص وليدة جهودٍ فردية، بل نتيجة تضافر عوامل ثقافية واجتماعية وأكاديمية متعددة، وخبرات ميدانية امتدت عبر قرون من الزمن. وقد تفاعلت فيها الحركات الفكرية كعصر النهضة والتنوير لتشكل هذا الحقل المعرفي.

٣. شهد علم الآثار الكلاسيكي تطوراً منهجياً متدرجاً، انتقل فيهِ من مرحلة الجمع العشوائي للقطع الفنية إلى التحليل العلمي المتعدد التخصصات. وقد رافق هذا التطور تحول في الأهداف البحثية من البحث عن الجمال إلى فهم السياقات الثقافية والاجتماعية الأوسع.

٤. أسهمت الأدبيات الكلاسيكية القديمة، كملاحم هوميروس وكتابات هيرودوت، في توجيه الباحثين نحو المواقع الأثرية وتفسير المكتشفات. لكن الإعتماد المفرط على هذه النصوص دون نقد كافٍ أدى في بعض الأحيان إلى استنتاجات غير دقيقة.

٥. تأثر علم الآثار الكلاسيكي بشكلٍ عميق بالحركات النظرية في علم الآثار العام، خاصةً مناهج الإجرائية وما بعد الإجرائية، مما أدى إلى توسيع آفاقهِ البحثية ليشمل قضايا الهوية والنوع الاجتماعي والطبقة والتفاعلات الثقافية.

٦. واجه هذا التخصص انتقادات أكاديمية جوهرية تتعلق بتحيزهِ نحو دراسة آثار النخب، وتجاهلهِ المبدئي للتأثيرات الحضارية الشرقية على الحضارة اليونانية، بالإضافة إلى ارتباطهِ بالممارسات الاستعمارية في نقل الآثار.

٧. في العصر الراهن، أصبح علم الآثار الكلاسيكي يواجه تحديات معقدة تتعلق بصون الموروث الثقافي، وإدارة المواقع السياحية، والمطالبات بإعادة الآثار المنهوبة، والتوازن بين البحث العلمي والحفاظ على المواقع.

٨. ساهمت التكنولوجيا الحديثة، كالمسح الضوئي ثلاثي الأبعاد والتحليلات الجيوفيزيائية، في إحداث ثورة في طرق دراسة المواقع الكلاسيكية وتوثيقها، مما فتح آفاقاً جديدة لفهم الماضي بدقة غير مسبوقة.

٩. يظل علم الآثار الكلاسيكي مؤثراً في تشكيل الهوية الثقافية الأوروبية المعاصرة، كما يشكل نموذجاً منهجياً لدراسة الحضارات الأخرى، رغم ضرورة معالجة التحيزات التاريخية التي رافقت نشأتهِ.

المصادر:

١. عمر جسام فاضل، "مصطلحات آثارية دراسة في الدلالة والاستعمال"، **مجلة آثار الرافدين**، الجزء الأول، المجلد التاسع، كلية الآثار–جامعة الموصل، ٢٠٢٤.

٢. ليود سبنسر و أندرزيجى كروز، عصر التنوير، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٣. محمد الزين، دراسات في الآثار الكلاسيكية–الآثار الرومانية، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٢.

4. Alcock, Susan E., & Osborne, Robin. (2012). *Classical Archaeology* (2nd ed.). Malden, MA: Wiley-Blackwell.
5. Barrett, Sarah. (2018). Modern Technology in Classical Archaeology. *Journal of Archaeological Science*, 45. Elsevier, Academic Press.
6. Black, Jeremy. (2003). *The British and the Grand Tour*. London: Routledge.
7. Bugaj, Ewa. (2011). Archeologia klasyczna w poszukiwaniu swej tożsamości. Między przeszłością, teraźniejszą a historią sztuki. *FOLIA PRAEHISTORICA POSNANIENSIA T. XVI*, NSTYTUT PRAHISTORII, UAM POZNAŃ, Wydawnictwo Naukowe Uniwersytetu im. Adama Mickiewicza w Poznaniu, Poland.
8. Burkert, Walter. (1985). *Greek Religion: Archaic and Classical* (John Raffan, Trans.). Oxford: Blackwell.
9. Cooley, Alison E., & Cooley, M. G. L. (2013). *Pompeii and Herculaneum: A Sourcebook*. London: Routledge.
10. Cuno, James. (2008). *Who Owns Antiquity?*. Princeton: Princeton University Press.
11. d'Errico, Francesco. (2007). The Origin of Humanity and Modern Cultures: Archaeology's View. *Diogenes*, 54(2). SAGE Publications, New York.
12. Dicus, Kevin D'Arcy. (2022). Refuse and the Roman City: Determining the Formation Processes of Refuse Assemblages Using Statistical Measures of Heterogeneity. *American Journal*

of Archaeology, 126(4). Publisher: Archaeological Institute of America, University of Chicago Press.
13. Dyson, Stephen L. (2006). *In Pursuit of Ancient Pasts: A History of Classical Archaeology in the Nineteenth and Twentieth Centuries*. New Haven, CT: Yale University Press.
14. Evans, Arthur J. (1901). The Palace of Knossos: Preliminary Report on the Excavations. *The Annual of the British School at Athens*, 6. London.
15. Finley, M. I. (1977). *The World of Odysseus*. New York: Viking Press.
16. Fitton, J. Lesley. (1995). *The Discovery of the Greek Bronze Age*. Cambridge: Harvard University Press.
17. Gran-Aymerich, Ève. (1998). *Naissance de l'archéologie moderne: 1798-1945*. Paris: CNRS Éditions.
18. Halbertsma, R. B. (2021). From Antiquarianism to Scholarship: Classical Archaeology in the Netherlands, 1600–1840. In Agata Kubala (Ed.), *Collecting Antiquities from the Middle Ages to the End of the Nineteenth Century: Proceedings of the International Conference Held on March 25-26, 2021 at the Wroclaw University Institute of Art History*. University of Wroclaw, Poland.
19. Harloe, K. (2019). Johann Joachim Winckelmann (1717-1768): charting the artistic development of nations. *History of Humanities*, 4(2).
20. Hibbert, Christopher. (1987). *The Grand Tour*. London: Methuen.
21. Hodder, Ian. (1991). *Archaeological Theory in Europe: The Last Three Decades*. London: Routledge.
22. Hodder, Ian, & Hutson, Scott. (2003). *Reading the Past: Current Approaches to Interpretation in Archaeology* (3rd ed.). London: Cambridge University Press.
23. Jenkins, Ian. (2001). *The Parthenon Sculptures*. London: British Museum Press.
24. Johnson, Amber L. (2008). Processual archaeology. *Encyclopedia of Archaeology*, 3. USA: Elsevier Inc.

25. Keay, Simon, & Earl, Graeme. (2011). Archaeological Survey and the City. In Simon Keay (Ed.), *Rome, Portus and the Mediterranean*. London: British School at Rome.
26. Knight, Carlo. (1986). *Les Antichità di Ercolano Esposte: A Cultural History*. Naples: Press of the Royal Palace.
27. Kristeller, Paul Oscar. (1961). *Renaissance Thought: The Classic, Scholastic, and Humanist Strains*. New York: Harper & Row.
28. Maiuri, Amedeo. (1942). *Pompeii*. Rome: Instituto Poligrafico dello Stato.
29. Marchand, Suzanne L. (1996). *Down from Olympus: Archaeology and Philhellenism in Germany, 1750–1970*. Princeton: Princeton University Press.
30. Momigliano, Arnaldo. (1990). *The Classical Foundations of Modern Historiography*. Berkeley: University of California Press.
31. Morris, Ian. (1994). *Classical Greece: Ancient Histories and Modern Archaeologies*. Cambridge: Cambridge University Press.
32. Morris, Ian. (2000). *Archaeology as Cultural History*. Malden: Blackwell Publishing.
33. Morris, Ian. (2020). *The Greeks: History, Culture, and Society*. New York: Oxford University Press.
34. Murray, P., & Murray, L. (1963). *The Art of the Renaissance*. Frederick A. Praeger publisher. New York.
35. Palmer, Allison Lee. (2011). *Historical Dictionary of Neoclassical Art and Architecture*. Published by Scarecrow Press, Inc, USA.
36. Parslow, Christopher Charles. (1995). *Rediscovering Antiquity: Karl Weber and the Excavation of Herculaneum, Pompeii, and Stabiae*. Cambridge: Cambridge University Press.
37. Patterson, Thomas C. (1988). Another Blow to Eurocentrism. *Monthly Review*, 40(7). Publisher: Monthly Review Foundation, New York.

38. Pinto, John A. (2012). *Speaking Ruins: Piranesi, Architects, and Antiquity in Eighteenth-Century Rome*. University of Michigan Press.
39. Presicce, Claudio Parisi. (2019). L'Instituto di Corrispondenza Archeologica 190 anni dopo. *Bullettino della Commissione Archeologica Comunale di Roma*, 120. Published by: L'Erma di Bretschneider, Rome.
40. Ramage, Nancy H. (1990). The Publication of the Herculaneum Antiquities: A Contribution to the History of Archaeology. *Journal of the History of Collections*, 2(1). Oxford University Press.
41. Renfrew, Colin. (1972). *The Emergence of Civilisation: The Cyclades and the Aegean in the Third Millennium B.C.* London: Methuen.
42. Schliemann, Heinrich. (1881). *Troy and Its Remains*. London: John Murray.
43. Schnapp, Alain. (1996). *The Discovery of the Past: The Origins of Archaeology* (Ian Kinnes & Gillian Varndell, Trans.). London: British Museum Press.
44. Schnapp, Alain. (2015). Classical Archaeology. In James D. Wright (Ed.), *International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences* (Second Edition). Elsevier.
45. Schnapp, Alain, & Tiews, Matthew. (2004). Eduard Gerhard: Founder of Classical Archaeology?. *Modernism/modernity*, 11(1). Johns Hopkins University Press.
46. Shanks, Michael. (1996). *Classical Archaeology of Greece: Experiences of the Discipline*. London: Routledge.
47. Snodgrass, Anthony. (2002). The Uses of Classical Archaeology. *Journal of Roman Archaeology*, 15. Cambridge University Press.
48. Snodgrass, Anthony. (2006). The New Archaeology and the Classical Archaeologist. In Anthony Snodgrass (Ed.), *Archaeology and the Emergence of Greece*. Edinburgh University Press.

49. Stone, Peter G. (2016). The Challenge of Protecting Heritage in Times of Armed Conflict. *Museum International*, 67. Newcastle University, Published by: ICOM and Blackwell Publishing Ltd.
50. Timothy, Dallen J., & Boyd, Stephen W. (2003). *Heritage Tourism*. Harlow: Prentice Hall.
51. Towner, John. (1985). The grand tour: A key phase in the history of tourism. *Annals of Tourism Research*, 12(3). Publisher: Elsevier.
52. Traill, David A. (1995). *Schliemann of Troy: Treasure and Deceit*. New York: St. Martin's Press.
53. Trigger, Bruce G. (2006). *A History of Archaeological Thought* (2nd ed.). Cambridge University Press.
54. Wallace-Hadrill, Andrew. (1994). *Houses and Society in Pompeii and Herculaneum*. Princeton: Princeton University Press.
55. Wallace-Hadrill, Andrew. (2011). *Herculaneum: Past and Future*. London: Frances Lincoln.
56. Waterhouse, Helen. (1986). *The British School at Athens: The First Hundred Years*. London: British School at Athens.
57. Winckelmann, Johann Joachim. (1764). *Geschichte der Kunst des Alterthums*. Dresden: Walther.
58. Wyke, Maria. (2016). The Renaissance Roots of Classical Archaeology. *Journal of Archaeological Research*, 24(3). Springer Nature.

الهوامش:

١- للمزيد حول علم الآثار وماهيتهِ، يُنظر:- عمر جسام العزاوي، موجز علم الآثار، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.

٢- للمزيد حول هذه الآداب ينظر: - علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، منشورات دار المعارف، القاهرة،١٩٦٠. كذلك ينظر: - صقر محمد خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني، منشورات مكتبة النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٥٦.

٣- أو الجولة الكبرى التاريخية: عبارة عن رحلة تقليدية حول أوروبا يقوم بها شباب من الطبقة العليا من الأوروبيين (وأحيانًا نساء) يتمتعون بالقدر الكافي من الموارد والمكانة الاجتماعية. وكانت الرحلة

تتضمن عادةً زيارات إلى مواقع ثقافية رئيسية في فرنسا وإيطاليا واليونان ودول أخرى، وكانت بمثابة طقوس تعليمية. للمزيد ينظر (Towner, 1985, pp: 297–333).

٤- أو عصر المنطق، وهو حركة فكرية وفلسفية، هيمنت على عالم الأفكار في القارة الأوروبية، خلال القرن الثامن عشر للميلاد؛ انبثق عصر التنوير عن حركة أوروبية فكرية علمية مشتركة من قبل المثقفين المتحررين من سلطة الكنيسة في ذاك الوقت. للمزيد ينظر: – ليود سبنسر و أندرزيجى كروز، عصر التنوير، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٥- تم استعمال مصطلح (حفريات) بدلاً من مصطلح (تنقيبات) لكون أن الأعمال الآثارية في ذاك الوقت كانت عبارة عن حفريات غير منظمة التسلسل الطبقي والأكاديمي بشكلٍ كامل مقارنةً بمصطلح التنقيبات ومدلولها في علم الآثار. ينظر (فاضل، ٢٠٢٤، ص٢٦٣).

٦- ومن المهم ذكر أن تنقيبات هيركولانيوم وبومبي نفذتها مجموعات وباحثون مختلفون عبر العقود، لكن أولى تلك العمليات قادها المهندس العسكري الإسباني 'روكو جواكيني دي ألكوبيير'(Rocque Joaquin de Alcubierre)؛ إذ تميزت منهجية ألكوبيير بالبساطة والتركيز على الحفر عبر الأنفاق والخنادق سعياً لاستخراج القطع الأثرية بسرعة وتكلفة قليلة، بدلاً من اتباع أسلوب منهجي يراعي السياق العلمي؛ ثم تولى مسؤولية الأعمال الآثارية من بعدهِ مساعدهِ السابق، المهندس السويسري 'كارل جاكوب ويبر'(Karl Jakob Weber)، سنة ١٧٥٠م. وقد تميّز ويبر خلال سنوات عملهِ في الموقع بإدخال أساليب حفر أكثر منهجيةً وتنظيماً مقارنةً بمن سبقهُ؛ حتى أن بعض الدارسين يصفونهُ بأنهُ وضع اللبنات الأولى لمنهجية تنقيب منهجية حقيقية، شكّلت حافزاً تقدمياً لأعمال الحفر التي تلتها (Parslow, 1995, p. 45).

٧- هي حركة فكرية وفنية ظهرت في أوربا، خلال منتصف القرن الثامن عشر للميلاد، كرد فعلٍ ضد بعض فنون الزخرفة، محتذيةً مقابل ذلك مبادئ العصور الكلاسيكية الإغريقية والرومانية؛ للمزيد ينظر (Palmer, 2011, pp: 1–14).

٨- وهو شكل من أشكال النظريات الآثارية التجريبية التي تفسر وتحلل المكتشفات الأثرية من خلال مجموعة نظريات ودراسات تعتمد دراسة الثقافة الإنسانية القديمة ومتغيراتها؛ فضلاً عن البيئة التي نشأت بها إستناداً إلى المكتشفات الأثرية المادية، مع تطبيق الأساليب العلمية المستمدة من مختلف التخصصات للتحقيق في أنماط السلوك البشري والعمليات الثقافية في الماضي وتفسيرها. متبنياً فكرة عدم إقتصار علم الآثار على العمل الآثاري الميداني وتسجيل المكتشفات وفق نظرية واحدة فحسب؛ للمزيد ينظر (Johnson, 2008, pp: 1894–1896).

٩- يُعرف أيضاً باسم "علم الآثار التأويلي"، وهو اتجاه نظري في علم الآثار ظهر في أواخر السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين كرد فعل على علم الآثار الإجرائي، الذي كان سائدًا في الستينيات والسبعينيات؛ حيث يركز على نقد الافتراضات العلمية والموضوعية التي تبناها علم الآثار الإجرائي، ويؤكد بدلاً من ذلك على أهمية التفسير الذاتي، والرمزية، ودور الفرد والمجتمع في تشكيل الثقافات القديمة وتاريخها دون الإعتماد على الأدلة المادية فقط، وغير محدد بفكر وعقلية الآثاري المكتشف لها وصاحب التفسير المباشر لمضمونها. للمزيد ينظر (Hodder & Hutson, 2003. p. 9).

نص مساحة من السنة الثالثة لحكم الملك شو- سين (٢٠٣٦ ق.م)

ا.م.د جاسم عبد الأمير جاسم

جامعة القادسية/ كلية الآثار

jassim.aljanabi@qu.edu.iq

نص مساحة من السنة الثالثة لحكم الملك شو- سين (٢٠٣٦ ق.م)

ا.م.د جاسم عبد الأمير جاسم

المقدمة

شهدت دولة أور الثالثة نمواً اقتصادياً كبيراً، لاسيما وأنها اتبعت نظاماً إدارياً محكماً، وتطوراً سياسياً شاملاً وتوسعاً عسكرياً كبيراً، والذي انعكس بشكل كبير على الحياة الاقتصادية للفرد والمجتمع، ومن أبرز نتائج النظام الاقتصادي المتطور هو سعة الأراضي الزراعية وازدياد الحقول وتوسع الدور السكنية وتنظيم البساتين، مما تطلب منهم استعمال أدوات قياس تُنظم من خلالها الاوزان والقياسات والمساحات على اختلاف احجامها واشكالها، إذ تحتم عليهم استعمال مقاييس أساسية لسد الحاجة الملحة التي تتماشى مع النظام الإداري، والنص المسماري موضوع البحث والذي يمثل حداً مساحي لطلاء عدد من الجداران بملاط جصي لمبنى إداري مهم، كأن يكون معبداً أو يرتبط بمعبد، وقد وردت في النص وحدات متعددة لقياس المساحة منها الـ(sar) الذي يعادل (٣٦م^{٢})، والـ(ninda) التي تعادل (٦م^{٢}) والـ($kuš_3$) التي تساوي (٥٠ سم)، جميعها تمت بإشراف وإنفاق أحد كهنة المعبد وهو كاهن الشابرا.

الكلمات المفتاحية (نصوص، نظام، مساحات، طول، مقاييس، نظام إداري)

Keywords (Texts, system, length areas, measures, administrative system)

Abstract

The Third Kingdom of Ur witnessed significant economic growth, especially since it witnessed a tight administrative system, political development, and military expansion, which was greatly reflected in the economic life of the individual and society. Among the most prominent results of the advanced economic system is the expansion of agricultural land, the increase in fields, the expansion of residential homes, and the organization of orchards. This required them to use measuring tools to organize weights, measurements, and areas of

various sizes and shapes. It was necessary for them to use basic measurements to meet the urgent need that was consistent with the administrative system and the cuneiform text under study, which represents a survey limit for coating a number of walls with plaster mortar for an important administrative building, likely a temple. The text mentioned several units for measuring area, including the sar, which equals 36m, the ninda, which equals 6m, and the $kuš_3$, which equals 50 cm, All of these were carried out under the supervision and at the expense of the šabra priest.

قائمة المختصرات والرموز العامة

Symbol	Meaning	المعنى
I.M .	Iraqi Museum	المتحف العراقي
f .	Following Page	الصفحة التالية
ff .	Following Pages	الصفحات التالية
Ibid	In the Same Place	المصدر نفسه
No.	Number	رقم
Obv.	Obverse	وجه الرقيم
P .	Page	صفحة
PP .	Pages	صفحات
Rev .	Reverse	قفا الرقيم
[ ]	Restoration of missing or damaged signs	إكمال العلامات الناقصة أو المفقودة
⌜ ⌝	Signs broken from the top	علامات مكسورة من الأعلى
⌞ ⌟	Signs broken from the bottom	علامات مكسورة من الأسفل
( )	Words added in the translation	كلمات أضيفت عند الترجمة العربية

قائمة المختصرات الأجنبية

ASJ	Acta Sumerologica , (Hiroshima , 1979 ff.).
CAD	Gelb, E., & Others, The Assyrian Dictionary of the University of Chicago (Chicago 1956ff.).
CDA	Black, J. ,&Others ,A Concise Dictionary of Akkadian,SANTAG5,1999
CUSAS	Cornell University Studies In Assyriology and Sumerology .
JNES	Gelb,I,J., "prisons of war in early mesopotamian",JNES-32,(1975)
MDA	Labat, R., Manuel D' Épigraphie Akkadienne, Paris (1976).

NG-3	**Fleckenstein, A., Die Neusumerischen Gerichtsurkunden (München, 1957).**
RGTC	**Reportoire Geograhpiqu des Texte Cuneiform, (Wiesbaden , 1974ff).**
RIME	**The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Early Periods(Toronto1990f**
Sum.Lex.	**Halloran , J.A., Sumerian Lexicon, (Losangles,2006) .**
ŠL	**Deimel, A., Šumerisches Lexikon (Roma 1925-1950).**
ŠDG	**Hubner,b.,&Reizmmer ,A.,Šumersch-Deutshes Glossar ,band 1-2,Marktredwitz ,1986.**
ZA	**Zeitschrift fur Assyriologie und Vorderasitosche,(Leipzig – Berlin) ,(1886).**

I.M. 221981

Obv.

4 ½ ninda gid_2
2 $kuš_3$ dagal
$\frac{1}{2}$ ninda sukud
im-du_8-a-bi 4 $\frac{1}{2}$ sar

5- us_2-sag
4 $\frac{1}{2}$ ninda gid_2
2 $kuš_3$ dagal
$\frac{1}{2}$ ninda sukud
im-du_8-a-bi 4 $\frac{1}{2}$ sar

10- us_2-mur_2
4 $\frac{1}{2}$ ninda gid_2
2 $kuš_3$ dagal
$\frac{1}{2}$ ninda sukud
im-du_8-a-bi 4 $\frac{1}{2}$ [sar]

15 - us_2 3 kam]

Rev.

1 $\frac{1}{2}$ ninda [gid_2]
2 ku[$š_3$ dagal]

$\frac{1}{2}$ ninda [sukud]
im-du$_8$-a-b[i 3 sar]
20- sag 2^{1} [kam]
1 $\frac{1}{2}$ ninda gid$_2$
2 kuš$_3$ dagal
$\frac{1}{2}$ ninda sukud
im-du$_8$-a-bi 3 sar
25- sag 2 kam
ki lal$_3$-li$_2$-a šabra ta
ba-zi
mu si-ma-nu-um^{ki}
ba-ḫul

الترجمة:

الوجه :

الطول ٤ ٢١١ نيندا (٤ ١/٢x٦م^{٢} = ٢٧م^{٢})

العرض ذراعين (٥٠سمx ٢=١م^{٢})

الارتفاع ٢١١ نيندا (٣م^{٢})

قياس مساحة طلاء جدارها الجصي ٤ ٢١١ سار (أي٤ ٢١١ 36 X م^{٢}) =١٦٢م^{٢}

(٢٧م^{٢}x٣م^{٢}=٨١م^{٢} ملاط الجهة الواحدة 162=2Xم^{٢}، مساحة ملاط الجدار من الجانبين)

٥- (قياس مساحة الملاط الاجمالية للـ) الضلع الرئيسي

الطول ٤ ٢١١ نيندا (٤ ١/٢x٦م^{٢} = ٢٧م^{٢})

العرض ذراعين (٥٠سمx ٢=١م^{٢})

الارتفاع ٢١١ نيندا (٣م^{٢})

قياس مساحة طلاء جدارها الجصي ٤ ٢١١ سار (٤ ٢١١ 36 X م^{٢}) =١٦٢م^{٢}

(٢٧م^{٢}x٣م^{٢}=٨١م^{٢} ملاط الجهة الواحدة 162=2Xم^{٢}، مساحة ملاط الجدار من (الجانبين)

١٠-(قياس مساحة الملاط الاجمالية للـ) الضلع الذي في الوسط

الطول ٤ ٢١١ نيندا (٤ ١/٢x٦م^{٢} = ٢٧م^{٢})

العرض ذراعين (٥٠سمx ٢=١م^{٢})

الارتفاع ٢١١ نيندا (٣م^{٢})

قياس مساحة طلاء جدارها الجصي ٤ ٢١١ سار (٤ ٢١١ 36 X م^{٢}) =١٦٢م^{٢}

(٢٧م٢x٣م٢=٨١م٢ ملاط الجهة الواحدة 162=X2م٢، مساحة ملاط الجدار من الجانبين)

١٥- (قياس مساحة الملاط الاجمالية للـ) الضلع الثالث

القفا :

الطول ١ ٢١١ (نيندا) (١ ١/٢x٦م٢ = ٩م٢)

العرض ذراعين (٥٠سمx ٢=١م٢)

الارتفاع ٢١١ نيندا (٣م٢)

قياس مساحة طلاء جدارها الجصي ٣ سار (٣ 36 X م٢) =١٠٨ م٢

٢٠- (قياس المساحة الاجمالية للـضلعين) الرئيسيين

(٩م٢x٣م٢=٢٧م٢ ملاط الجهة الواحدة وللضلعين تساوي ٥٤م٢ X2 من الجانبين=١٠٨م٢)

الطول ١ ٢١١ (نيندا) (١ ١/٢x٦م٢ = ٩م٢)

العرض ذراعين (٥٠سمx ٢=١م٢)

الارتفاع ٢١١ نيندا (٣م٢)

قياس مساحة طلاء جدارها الجصي ٣ سار (٣ 36 X م٢) =١٠٨ م٢

٢٥- (قياس المساحة الاجمالية للـضلعين) الرئيسيين

(٩م٢x٣م٢=٢٧م٢ ملاط الجهة الواحدة وللضلعين تساوي ٥٤م٢ X2 من الجانبين=١٠٨م٢

من لال- لي - آ الكاهن

نفقات

السنة (التي فيها) دُمرت مدينة سيمانوم

المعنى العام : نص يتضمن قياس مساحة ملاط جصي لأضلاع جدار بإشراف وانفاق كاهن الشابرا.

شرح المفردات:

السطر الأول: $ninda\ gid_2$: مصطلح سومري يعني قياس الطول بالذراع، وهو مؤلف من الـ ninda/ وحدة قياس الطول في اللغة السومرية وقد ظهرت منذُ العصر الاكدي، وبقيت في الاستخدام الى العصر البابلي الحديث، وهي تعادل في مقاييس الطول المستعملة في الوقت الحالي ٦ متر تقريباً، ويشار الى الـ ninda احياناً بكونها تعادل ١٢ ذراعاً، وهو ما يعادل ٦ متر تقريباً، للمزيد ينظر:

CAD-N/2,p.238:b; Sachs, A, "Notes on fractional in old Babylonian mathematical texts", JNES-5, No 3, (jul, 1946), p.208.

gid_2: كلمة سومرية تعني طول، طويل، بعيد، ويرادفها في اللغة الاكدية(*arku/mūraku*)، للمزيد ينظر: MDA,p.171; CDA,p.218.ŠDG,p.151.

السطر الثاني: $kuš_3$ dagal: مصطلح سومري يعني قياس العرض بوحدة القياس، والمصطلح مؤلف من الـ$kuš_3$: حد مساحي وهو وحدة قياس من مقاييس الطول، ويعود اقدم استعمال لهذهِ الوحدة الى العصر السومري القديم، ويقابلهُ في اللغة الاكدية (*ammatu*) وكان يُعرف بوحدة قياس المسافات القصيرة، ويعادل في مقاسات الوقت الحالي (٥٠ سم)، للمزيد ينظر:

MDA,p.145; CAD-A/2,p.70:b.

الجبوري، وسام حميد صباح، المكاييل والمقاييس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاثار ٢٠١١، ص١٦٨/٩٢.

والـ dagal: كلمة سومرية تعني العرض، السعة، يقابلها في اللغة الاكدية (rupšu) للمزيد ينظر:

Zamudio,R.J.,Antología de textos sumerios, Madrid, (2003) ,p.79 ; MDA,p.129; CDA,p. 307.

السطر الثالث: sukud: كلمة سومرية تعني ارتفاع، علو، يرادفها في اللغة الاكدية (***mêlû/elû***)، ينظر:

MDA,p. 115;CDA,p. 71:207.

السطر الرابع: im-du_8-a-bi : الـ im-du_8-a : مصطلح سومري بالاكدية (pitqu)، وهو يشير الى مراحل الانتهاء من ملاط الجدار الذي يكون اما بالجص أو بالطين، (أي أن المصطلح يرتبط بالقيام بأعمال الجدران المبني)، أي مرحلة الانتهاء من ملاط الجدار، ولذلك يشير الباحث سينل إلى أن المصطلح يعني عملية الانتهاء من التجصيص، فيما يرى الباحث سيكريست بأن المصطلح (im-du_8-a) يشير الى جصاصي الجبس، اذا كان ورودهُ مع صنف من العمال، أي أنهُ يُشير إلى الملاط الجصي الذي يُطلى بهِ الجدار، ويكون ذلك بحسب ورودهُ في النص، للمزيد ينظر:

CAD-P,p.440:a;Snell, D., "The Ur III Tablets in the Emory University Museum", ASJ-9,Jaban(1987) p.223f; Kleinerman, A.& Owen,D.I., Analytical Concordance to the Garšana Archives (CUSAS-4),Maryland (2009) , p.85-86; Mwekawa, K,. "New texts on the Collective labor Service of the Erin-People of Ur III Girsu", ASJ-10 Jaban(1988),.p. 43ff; Fs Sigrist, 016, No.4,p.381724.

sar : وحدة سومرية لقياس المساحات يقابلها في اللغة الاكدية (*mušaru*) وترد وحدة السار في الغالب مع قياس مساحات الحقول والأراضي الزراعية والمنازل، ويعود اقدم استعمال السار الى العصر السومري القديم ومن ثم استعمل في العصر الاكدي، وفي العصر السومري الحديث وهو يساوي (٣٦م)، للمزيد ينظر:

CAD-M/2,p. 361; Halloran , J.A , Sumerian Lexicon ,Los Angeles, (2006),p.228.

الزيدي، اباذر راهي سعدون، الأراضي الزراعية في نصوص غير منشورة من العصر الاكدي- تل الولاية تنقيبات الموسم الرابع ٢٠٠٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الاثار، بغداد ٢٠١٦، ص ٢٣٤.

السطر الخامس: us_2-sag: مصطلح سومري يشير الى قياس المساحة الكلي أو يعني قياس الضلع الرئيسي بحسب ورودهُ في النص، وهو مكون من مقطعين، المقطع الأول (uš أو us_2): اكبر وحدة لقياس الطول وردت في اللغة السومرية، يقابلها في اللغة الاكدية (*šiddu*) بمعنى ضلع، والمقطع الثاني (sag) يعني رأس، قمة، رئيسي في الاكدية (*rêšu*)، فيكون المعنى (قياس) الضلع الرئيسي، ينظر: MDA,p. 91; CDA,p.302.

فيما يشير الأستاذ علي ياسين الجبوري إلى أن المصطلح (uš-sag) اذا ورد في نصوص الرياضيات فأنهُ يعني الطول والعرض، ينظر:

الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة السومرية-الاكدية-العربية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٦، ص١٠٨٢.

السطر العاشر: us_2-mur_2 : مصطلح سومري يعني الضلع الذي في الوسط، وهو مؤلف من مقطعين، المقطع الأول الـ(us_2) تعني ضلع، والـ(mur_2) كلمة سومرية تعني الذي في الوسط /المتوسط في الاكدية (*qablû*)، فيكون معنى المصطلح (قياس) الضلع الذي في الوسط، للمزيد ينظر:

MDA,p. 155; CAD-Q,p.6ff.

ويقرأ المصطلح (us_2-de_2) الذي يعني قياس مساحة الأساس الا أن هذا المعنى لا ينسجم مع سياق معنى النص، ينظر:

RIME/3 , 1.01.06.05.

السطر الخامس عشر: kam: علامة دالة تلحق بالأعداد، والتي تتشكل من أداة الإضافة (ak) متبوعة بالاداة الرابطة (am)، ينظر :

Foxvog, D.,A ,Introduction to Sumerian grammar, California, (2009), p.256ff ; MDA, p. 183.

السطر السادس والعشرون: ki...ta : صيغة تعبر عن حرف الجر في اللغة السومرية بمعنى (من و إلى) الصيغة أصلها (**ki...(a)k-ta**) وتستعمل مع الأشخاص ، ينظر :

عبد اللطيف ، سجى مؤيد ، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الأولى ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار(٢٠٠٤)، ص ١٧٨.

رشيد ، فوزي ، قواعد اللغة السومرية ، دمشق ، (٢٠٠٩) ،ص٧٩.

$a-li_2-lal_3$: أسم شخص سومري ورد في نصوص مدن كرشانة وايريساكرك وبوزرش- داكان، من زمن سلالة اور الثالثة وتحديداً من زمن حكم الملك شو- سين بوظيفة الـšabra، ويبدو أنهُ موظف رفيع المستوى ومقرب من البلاط الحاكم، وقرء في بعض المصادر بـ(a-ni-ta) للمزيد ينظر:

Owen,D.I, Owen,D.I. Cuneiform Text Primarily From Iri-Sagrig /Al-šarraki and the History of the Ur III Period NISABA-15-1,Maryland ,(2013),p.502;

Michalowski, P., "An Ur III Tablet from Iran", JCS-57, Michigan,(2005), p. 32:b.

šabra: هي وظيفة سومرية تقابلها في اللغة الأكدية (*šabru*) ويعتبر هذا الصنف من الكهنة ذات رتبة رفيعة، وهو مسؤول في المعبد، ورئيس الكهنة الإداريين، وقد ظهرت هذهِ الوظيفة في نصوص مدينة تلو من عصر ما قبل سلالة سرجون الاكدي، للمزيد ينظر :

1. CAD-Š,p.11-12 ;Heimpel ,W.," Ein zweriter schritt Zur Rehabilitierung der Rolle des Tigris in Sumer"ZA-80, New york (1990),p.208; Edzard, D.O., Sumerische Rech tsurkunden der, p.218;Falkenstein , A., Die Neusumerischen Gerichtsurkunden, NG-III, München ,(1957).

السطر السابع والعشرين: ba-zi: مصطلح سومري يعني اخراج، انفاق، يقابلهُ في اللغة الاكدية (ṣītu) MDA, p.43; CDA,p.339.

السطر الثامن والعشرون : mu si-ma-nu-um^{ki} mu-ḫul: سنة تدمير مدينة سيمانوم وهي السنة الثالثة من حكم الملك شو- سين ، وقد وردت بصيغة مختصرة وصيغتها الكاملة :

mu ^{d}šu-su'en lugal šeš-ab^{ki} uri^{ki}-ma-ke$_4$ mu si-ma-num^{ki} mu-ḫul

Sigrist, M.,.& Dame row ,P., Mesopotamian Year Names Neo-Sumerian and Old Babylonian Date Formulae , Berlin,(2001)p.27.

ومدينة سيمانوم تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة ومن المحتمل أن يكون موقعها الدقيق شمال مدينة نينوى، للمزيد ينظر:

Raduà,J,L.,Aportacio a léstudi de les relacionpolítiques military Entre Assíriai Babilònia Durant lasegonameitat del segonmillenia.c , Barcelona (2001),p.82;

Edzard, D.O, und Farber, G., Reportoire Geograhpiqu des Texte Cuneiform, (Wiesbaden) , 1974f,p.165.

التعليقات والاستنتاجات

التعليق والاستنتاج الأول:

نص مسماري من عصر سلالة اور الثالثة، يتضمن قياس مساحة ملاط جصي لمجموعة من أضلاع جدران انفقت من قبل الكاهن في السنة الثالثة من حكم الملك شو- سين، ملك مدينة اور (٢٠٣٨-٢٠٢٩ق.م)، النص مجهول المعثر، أي من النصوص المسمارية التي لم تصل الى المتحف العراقي عن طريق التنقيبات العلمية، النص متضرر قليلاً، لكن تم اكمال معرفة العلامات المسمارية في الأجزاء المكسورة، النص بقياسات طول ٨,٦٠ سم، وعرض ٥,٥٠ سم، وسمك ١,٢٤ سم، دُونت العلامات المسمارية على جانبيهِ.

التعليق والاستنتاج الثاني:

النص هو عبارة عن قياس مساحة ملاط جصي لمجموعة من الجدران باستعمال وحدات قياس مختلفة ابتداءاً من النيندا (ninda) والتي تساوي ١٢ ذراع أي تعادل ٦ امتار بقياساتنا الحالية، وقد استعملها الكاتب لقياس الطول، ثم استعمل وحدة الكوش ($kuš_3$) والتي تعادل ٥٠ سم، وجاءت هذهِ الوحدة في النص لقياس العرض، ثم استعمل النيندا مرةً أخرى لقياس الارتفاع، وهذهِ القياسات استُعملت في النص لغرض قياس مساحة ملاط جدار مستعملاً المصطلح السومري ($im\text{-}du_8\text{-}a$)، والذي يشير الى ملاط الجدار أي المونة أو الطبقة التي يغطي بها الجدار، ويأتي الملاط في سياق البناء بعد اكمال مراحل تشييد الجدار واكساءهُ بطبقة طينية أو جصية لتسوية سطحهُ وجعلهُ مؤهلاً للدهان أو التزيين فيما بعد، والطين أو الجص هو المادة المتعارف عليها في طلاء الجدران عند سكان بلاد الرافدين وحسب البناء أذا كان دينياً أو دنيوياً، أي أن هذهِ المرحلة تتم بحسب مكانة الجدار والغرض الذي شُيد من اجلهِ، واعتقد بأن المقصود هنا هو حساب مساحة الملاط الجصي لساحتين أو قاعتين متجاورتين يفصل بينهما جدار يعود اما الى المعبد أو الى القصر او لربما الى مبنى اداري مهم كون النص المسماري ذكر لنا طبيعة الانفاق والاشراف على العمل والتي كانت من قبل رئيس الكهنة الإداريين في المعبد وهو الشابرا، وأن دل هذا

على شيء فأنهُ يدل على أن الجدران المقصودة في هذا النص تعود إلى بناية دينية مهمة اكتمل ملاطها بإشراف هذا الصنف من الكهنة، واستبعد أن يكون المقصود بالقياسات المعطاة تعود الى جدار حديقة أو بستان أو جدار مبنى اعتيادي، كونها جاءت بقياسات توحي بأن المقصود بها بناية مهمة ترتبط بالمعبد أو القصر، كما اعتقد بأنها ترتبط بمبنى ديني وليست قصر، بالاعتماد على طبيعة الاشراف التي وردت في النص وهو الكاهن، فلو كانت بناية إدارية تخص القصر لكانت بإشراف شخص من الموظفين الذين يرتبطون بالقصر كما وضحت النصوص المسمارية، والتي اذا ما قورنت في هذا النص فيظهر بها أحد المصطلحات الخاصة بموظفي البلاط الملكي من أمثال ($nu\text{-}banda_3$, $giri_3$, ugula) المشرف، المراقب أو المسؤول، فضلاً عن ذلك فان قياسات الجداران والبالغ عددها سبعة جدران ثلاثة منها بطول ٢٧ متر والعرض بقياس ١ متر والارتفاع ٣ متر، والجدران الاربعة الأخرى بطول ٩ متر والعرض بقياس ١ متر والارتفاع ٣ متر فأنها تشير الى جدران ترتبط ببناء مهم وضخم، يوحي بأنهُ من الأبنية ذات المكانة المميزة، كما اننا لو لاحظنا طول الجدران الوارد ذكرها في النص والتي بقياس ٢٧ متر طولاً، نجدها جدران طويلة، واذا ما اخذنا نصف المسافة بينهما والبالغة طولها ١٣ متر ونصف، وهو قياس كبير من الصعب تسقيفهُ بمواد تسقيفية قديمة (الاخشاب مثلاً)، لذلك استبعد بأنها تكون قاعة مسقفة، الا اذا استُعمل في البناء دكاك حجرية توضع كقواعد في منتصف قاعدة العرض تحمل الدعامات الخشبية اذا ما أراد تسقيفها، ومع ذلك فأن العرض يبقى بحدود ٦,٧٥ متر وهي مسافة كبيرة بالنسبة للتسقيف آنذاك، لذلك اعتقد بأنها عبارة عن ساحة وسطية تحيط بها الجدران المقصودة، أو أنها عبارة عن جدران تحيط بمبنى من الخارج، أو قاعة مكشوفة، أو ربما تكون عبارة عن ممر حلقي يحيط بالمعبد، وأن المعبد يكون داخلياً، وتم احتساب ملاط الجدران الخارجية من الجانبين.

التعليق والاستنتاج الثالث:

استعمل الكاتب هنا وحدة قياس الملاط بالـ(sar) للجدار الواحد سواء اكان للجدران الطويلة أو للجدران القصيرة، لان النص ذكر لنا قياسين مختلفين لجدارين أحدهما أطول من الآخر، فالنموذج الأول بطول ٢٧م، والنموذج الثاني بطول ٩م، وكلاهما مضروب في

٣٦م^{٢} قيمة وحدة الـ(sar)، فتكون المساحة الاجمالية للجدار الواحد هو ١٦٢م^{٢}، والمساحة الكلية للنموذج الثاني هي ١٠٨م^{٢}، وعند احتساب مساحة الجدار التي تعتمد على عملية الضرب الحاصلة من ضرب الطول x العرض يكون حاصل الضرب يساوي ٨١م^{٢} لضلع الجدار الطويل، و ٥٤م^{٢} لضلع الجدار القصير، هذا يعني بأن الكاتب هنا يشير الى المساحة الاجمالية لملاط الجدار الجصي ومن الجانبين وليست من جانب واحد وبذلك يكون حساب المساحة مطابق للنتيجة التي ذكرها الكاتب وهي ١٦٢م^{٢} (أي ٨١م^{٢}X٢ من الجانبين) المساحة الاجمالية للملاط الجصي للضلع الطويل، و ١٠٨م^{٢} (أي ٥٤م^{٢}X٢ من الجانبين) المساحة الاجمالية للملاط الجصي للضلع القصير، وهي نتيجة مطابقة لما ورد في النص.

التعليق والاستنتاج الرابع:

احتسب الكاتب هنا في النص عرض الجدار أي سمك الجدار باستعمال وحدة الـ(2 $kuš_3$) والتي تساوي ٥٠ سم، والتي تعادل في مقاساتنا الحالية ١ متر، ولكون الجدار جاء بارتفاع ٣ متر هذا يعني بأنهُ من الجدران الضخمة، لأن العرض ١ متر يكون على طول الجدار من الأسفل الى اعلى نقطة فيهِ، والذي يكون في العادة مسيع (أي من الأعلى) اما بمادة القار أو بالآجر، وكلا المادتين كانتا من المواد المستعملة والمعروفة في تسييع الجدران من الاعلى، ولو قمنا باحتساب مساحة كتلة الجدار بضرب (الطول x العرض x الارتفاع) لما كانت النتيجة بالمتر المربع، كما أوردها الكاتب في النص، بل تكون النتيجة بالمتر المكعب وهذا مالا يتطابق مع النسبة التي جاءت في النص وهي (4 $\frac{1}{2}$ sar) أي ١٦٢م^{٢}، وتكون النتيجة بذلك (٢٧م^{٢}x١م^{٢}x٣م^{٢}) =٨١ م^{٣} متر مكعب وهذا مالا يتطابق مع القياس الذي جاء في النص والذي يساوي ٨١ م^{٢}متر مربع، وهي مساحة الملاط الجصي للجدار من جهة واحدة، ولكلا الوجهين أي ملاط الجدار من الجانبين تكون مضروبة x ٢ (أي ٨١م^{٢}x٢=١٦٢م^{٢}) للأضلاع الطويلة، اما بالنسبة للأضلاع القصيرة فكانت تعادل (3 sar) أي (٣ X 36 م^{٢}) =١٠٨ م^{٢}، أي (٩م^{٢}x٣م^{٢}=٢٧م^{٢} ملاط الجهة الواحدة x ٢ جدارين والتي تساوي ٥٤م^{٢} X2 من الجانبين =١٠٨م^{٢}، المساحة الاجمالية للملاط الجصي للجدران

من الجانبين، هذا يعني بأن الكاتب هنا يقصد حاصل ضرب مساحة الطول x الارتفاع فقط بعيداً عن احتساب مساحة عرض الجدار.

التعليق والاستنتاج الخامس:

عند مراجعة أسماء الاعلام الشخصية والبحث عن شخصية الكاهن لال- لي – آ في قوائم المدن، تبين بأن أسمهُ قد ورد في النصوص المسمارية وتحديداً في السنوات الخمسة الأولى من حكم الملك شو- سين، ولم يظهر لنا في قوائم أسماء الأشخاص لا من زمن حكم الملك امار- سين ولا من زمن حكم الملك أبي- سين، مما يعني بأنهُ عمل ككاهن شابرا في السنوات الخمسة الأولى فقط وتحديداً من زمن حكم الملك شو- سين وبعدها لم يظهر أطلاقاً، والسبب في ذلك ربما يكمن في عزلهِ عن منصب كهانة الشابرا وفقد صلاحياتهُ، أو لربما توفي وحل محلهُ شخصية أخرى لكهانة هذا المنصب، أو لربما النصوص المحفوظة في باطن المواقع الاثرية التي لازالت تنتظر معاول المنقبين توضح لنا معلومات اكثر عن شخصية هذا الكاهن، اما عن مدى حضورهُ في النصوص المسمارية، فقد تم عمل جرد للنصوص المنشورة وتبين ظهورهُ فقط في عشرة نصوص وكانت متفرقة، ومن ثلاثــة مدن وكالتالي: (٦ نصوص من مدينة كرشانة)، (نصين من مدينة ايريساكرك) و(نصين من بوزرش- داكان) أربعة منها ظهر فيها ككاهن والأخرى، كشخص مستلم أو مسَلم لأنواع من المواد الغذائية والحيوانات والطحين(انظر الجدول المرفق)، فضلاً عن نص المساحة موضوع البحث، وعند البحث الدقيق عنهُ ظهر ككاهن وسط مدينة مشكن- كوليزوم الغير معروفة لحد الآن وغير محددة الموقع وكالاتي: (lal$_3$-li$_2$-a šabra a-ša$_3$ maš-kan$_2$-ku-li-zum^{ki})، لال- لي – آ كاهن الشابرا وسط مدينة مشكن – كوليزوم)، وعند البحث عن هذهِ المدينة (مشكن- كوليزوم) لم يتم العثور عليها، لا في قوائم أسماء المدن ولا في النصوص التي جاءت من مدن متفرقة من بلاد الرافدين، مما يأخذنا الاعتقاد بأنها اما أن تكون مدينة غير مكتشفة لحد الآن (وأن كان هذا الاستنتاج منطقي الا أن اسمها لم يُسجل حضور في النصوص المسمارية المكتشفة كبقية أسماء المدن التي لم يُحدد موقعها لحد الآن والغير مكتشفة، والتي ظهر اسمها في العديد من النصوص المسمارية الاقتصادية وغير الاقتصادية، بخلاف مدينة مشكن – كوليزوم فأن النصوص تكاد تخلو منها، إذ أنها وردت

بسبعة نصوص فقط ثلاثة من زمن الملك امار- سين، وأربعة من زمن الملك شو- سين، ومن المعروف عن مدن بلاد الرافدين وحتى غير المكتشفة منها فأن أسمها يظهر بعدد كبير من النصوص، وأن لم تكن محددة الموقع وغير مكتشفة، لذا فأنا اعتقد بأن هذهِ المدينة (مشكن- كوليزوم) هي من المدن الصغيرة أو المواقع الإدارية التابعة الى احدى المدن الكبيرة كأن تكون بجوار مدينة كرشانة على سبيل المثال، أو من المدن الصغيرة التي كانت تبعيتها الى أحدى المدن الكبيرة التي تسجل رعايتها وتدافع عنها، لذلك كان ورود اسمها قليل جداً في النصوص المسمارية، أو ربما تكون من المدن المحيطة بالمدن الكبيرة والقريبة منها على وجه الخصوص مما يجعلنا نعتقد بأن الكاهن لال- لي – آ كان كاهن شابرا في مدينة قريبة من مدينة كرشانة أو احد المواقع الإدارية التابعة لها وهذا الاعتقاد مبني على النصوص المسمارية التي تمت مراجعتها وقوائم أسماء الاعلام والذي أخذنا للاعتقاد بأنها جاءت من كرشانة ما ورد في النصوص المنشورة والتي تم جردها وكما موضح في الجدول رقم(١).

التعليق والاستنتاج السادس:

أن غالبية النصوص المسمارية المنشورة والتي تم جردها في الموقع الالكترونية ومنها موقع الـ CDLI والتي ظهرت فيها مصطلحات المساحة الـ(ninda gid_2, $kuš_3$ dagal, ninda sukud)، قد لوحظ بأن غالبيتها كانت تعود الى زمن حكم الملكين امار- سين وشو- سين، وقد توزعت ما بين مدن اوما وكرسو وكرشانة، وأن دل هذا على شيء فأنهُ يدل على الاستقرار السياسي والمردودات الاقتصادية التي أسسها الملك شولكي واتمها الملكين امار- سين وشو- – سين في البناء والاعمار والترميم، ولربما كان نصيب هذهِ المدن العدد الأكبر من مصطلحات المساحة كان بسبب كثرة مدخولات المعابد بشكل عام والافراد بشكل خاص مما انعكس على الجوانب العمارية والتخطيط التوسعي الحضري في ظل نظام تميز بالاستقرار السياسي للنظام المركزي الموحد والذي شهدتهُ دولة اور الثالثة جراء الإدارة المتميزة لحكامها.

التعليق والاستنتاج السابع:

من خلال القياسات الوارد ذكرها وأبعاد الجدران المعطاة في النص المسماري، ونظراً لطول وارتفاع الجدران (٣ منها بطول ٢٧م^{٢}، و٤ منها بطول٩م^{٢})، والتي ذكرنا بأنها عبارة عن جدران معبد، أو ممر حلقي يحيط بالمكان المقدس في المعبد كما هو الحال في معبد الاله أنكي في مدينة اور، ومعبد شو- سين في تل اسمر، والذي يكون أقرب ربما الى احد مخططات المعابد الوارد شكلها في شكل رقم (١)، أو ربما تكون عبارة عن قاعتين داخليتين متجاورتين كأن تكون أحدى الاجنحة الخدمية أو الورش الصناعية أو أماكن لإقامة الولائم وغيرها والتي ترتبط في المعابد عادةً، أو تكون منفصلة عنهُ، كما هو الحال في المبنى الذي يسمى الكي- بار (gi_6-par_4) المقر الخاص بالكاهنات شكل رقم (٢)، والاشكال (٢،١) هي اشكال توضيحية ربما يكون احدها اقرب الى الشكل المحتمل للمجسم الهندسي الواردة قياساتهُ في النص موضوع البحث والذي قام بترميمهِ الكاهن لال – لي- آ، ولربما يكون شكلهُ أقرب إلى أحد الاشكال المقترحة والتي تم عملها على أساس القياسات الواردة في النص المسماري، ينظر الاشكال (٣ و ٤).

جدول رقم ١:

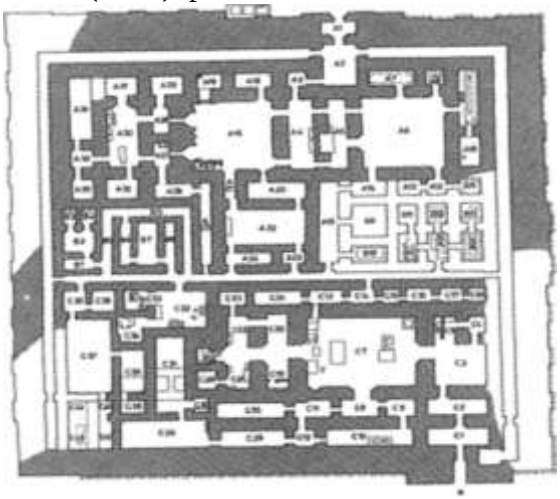
ت	الاسم	الصفة	المدينة التي ورد فيها	مضمون النص	السنة التي دُون فيها النص
١	lal_3-li_2-a	كاهن	ايريساكرك	انفاق شعير من اجل قناة نرام-سين-نيتوم	السنة الأولى من حكم المك شو-سين
٢	lal_3-li_2-a	كاهن	كرشانة	قضية اجتماعية	السنة الأولى من حكم المك شو-سين
٣	lal_3-li_2-a	كاسم	بوزرش-داكان	حبوب	السنة الأولى من حكم المك شو-سين
٤	lal_3-li_2-a	كاهن	كرشانة	استلام طحين	السنة الثالثة من حكم الملك شو-سين
٥	lal_3-li_2-a	كاهن	كرشانة	مواد غذائية وحبوب	السنة الثالثة من حكم الملك شو-سين
٦	lal_3-li_2-a	كاسم	كرشانة	انفاق حيوانات	السنة الثالثة من حكم الملك شو-سين
٧	lal_3-li_2-a	كاسم	بوزرش-داكان	حقول شعير	السنة الثالثة من حكم الملك شو-سين
٨	lal_3-li_2-a	كاسم	ايريساكرك	شعير أجرة سفينة	السنة الثالثة من حكم الملك شو-سين
٩	lal_3-li_2-a	كاسم	كرشانة	انفاق طحين وسط بوزرش داكان	السنة الخامسة من حكم الملك شو-سين
١٠	lal_3-li_2-a	كاسم	كرشانة	رسالة موجهة من لال-لي-آ الى الطبيب	السنة الخامسة من حكم الملك شو-سين

- تم عمل الجدول من قبل الباحث على أساس النصوص المسمارية المنشورة في المواقع الالكترونية.



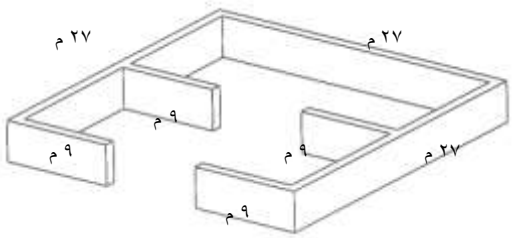
شكل رقم (١)

مجموعة مخططات معابد من عصور مختلفة منها معبد الاله أنكي في اور ومعبد شو- سين في تل اسمر، للمزيد ينظر:
Heinrich, E., Die Tempel und Heiligümer im Alten Mesopotamien, Tyopologie, Morphologie und Geschichte, Band-14,Berlin(1982), p.8.

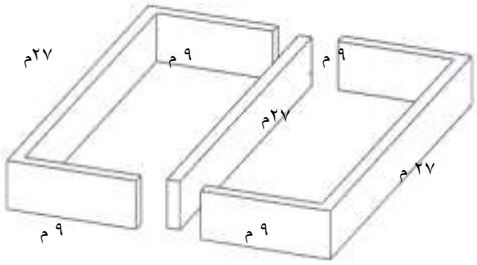


شكل رقم (٢)

مبنى الكاهنات الـ(كي- بار) الذي تظهر فيه مجموعة من القاعات المتلاصقة، للمزيد ينظر:
الدباغ، عبد الناصر طلعت احمد، المنجزات العمارية لملوك سلالة اور الثالثة(٢١١٢-٢٠٠٤ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٣، ص ١٨٠.
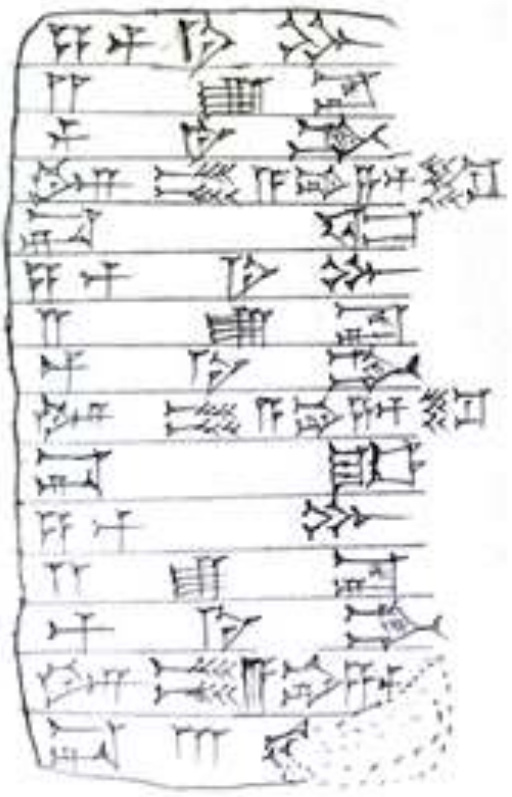


الشكل رقم (٣)



الشكل رقم (٤)

-اشكال توضيحية مقترحة من عمل الباحث بعدد الاضلاع مع قياساتها، والتي ربما يكون احدها اقرب الى الشكل المحتمل للمجسم الهندسي موضوع البحث، والذي قام بترميمهُ الكاهن لال- لي-آ، والتي تم عملها على أساس القياسات الواردة في النص المسماري.

Obv.
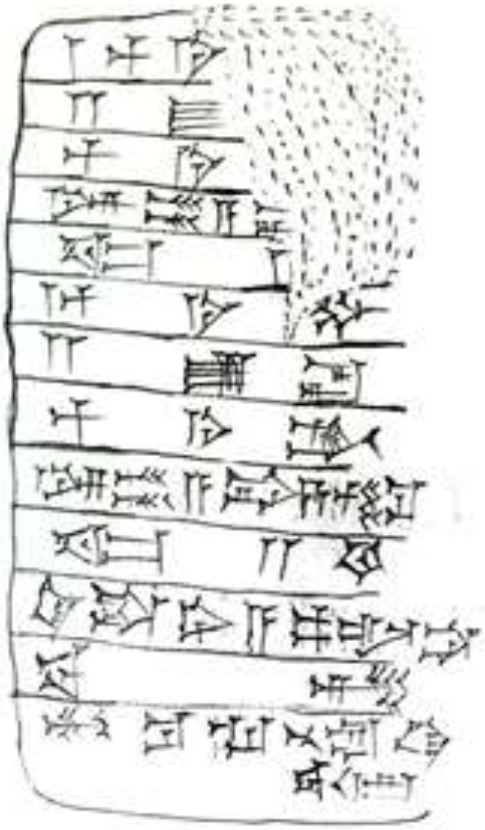


5-

10-

15-

Rev.



Obv.





المصادر والمراجع

المصادر العربية:

١- رشيد ، فوزي ، قواعد اللغة السومرية ، دمشق ، (٢٠٠٩).

٢- عبد اللطيف ، سجى مؤيد ، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الأولى ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار(٢٠٠٤).

٣- الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة السومرية-الاكدية-العربية، أبو ظبي، ط١،(٢٠١٦).

٤- الزيدي، اباذر راهي سعدون، الأراضي الزراعية في نصوص غير منشورة من العصر الاكدي- تل الولاية تنقيبات الموسم الرابع ٢٠٠٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الاثار، بغداد (٢٠١٦).

٥- الجبوري، وسام حميد صباح، المكاييل والمقاييس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاثار(٢٠١١).

٦- الدباغ، عبد الناصر طلعت احمد، المنجزات العمارية لملوك سلالة اور الثالثة(٢١١٢-٢٠٠٤ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، (٢٠١٣).

المصادر الاجنبية

1- Black, J. ,&Others ,A Concise Dictionary of Akkadian, SANTAG,(1999).
2- Edzard, D.O, und Farber, G., Reportoire Geograhpiqu des Texte Cuneiform, (Wiesbaden , 1974f).
3- Edzard, D.O., Sumerische Rech tsurkunden der III. Jahrtausends aus der Zeir vor der III. Dynasties von Ur, München,(1968).
4- Falkenstein , A., Die Neusumerischen Gerichtsurkunden, NG-III, München ,(1957).
5- Foxvog, D.,A ,Introduction to Sumerian grammar, California, (2009).
6- Gelb, E., & Others, The Assyrian Dictionary of the University of Chicago (Chicago 1956ff.).
7- The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Early Periods(Toronto1990f).
8- Halloran , J.A., Sumerian Lexicon, (Los Angles,2006) .
9- Heinrich, E., Die Temple und Heiligümer im Alten Mesopotamien, Tyopologie, Morphologie und Geschichte, Band-14,Berlin(1982).
10- Heimpel ,W.," Ein zweriter schritt Zur Rehabilitierung der Rolle des Tigris in Sumer"ZA-80, New york (1990).
11- Kleinerman, A. &Owen,D.I. Analytical Concordance to the Garšana Archives ,CUSAS-4 ,Maryland (2009).
12- Labat, R., Manuel D' Épigraphie Akkadienne, MDA, Paris (1976).
13- Mwekawa, K,. "New texts on the Collective labor Service of the Erin-People of Ur III Girsu", ASJ-10, Jaban(1988).
14- Michalowski, P., "An Ur III Tablet from Iran", JCS-57, Michigan , (2005).
15- Owen,D.I, Owen,D.I. Cuneiform Text Primarily From Iri-Sagrig /Al-šarraki and the History of the Ur III Period,NISABA-15-1,Maryland(2013).

16- Raduà,J,L.,Aportacio a léstudi de les relacionpolítiques military Entre Assíriai Babilònia Durant lasegonameitat del segonmillenia.c , Barcelona (2001).
17- Sachs, A, "notes on fractional in old Babylonian mathematical texts", JNES-5 , No 3, (jul, 1946).
18- Snell, D., "The Ur III Tablets in the Emory University Museum", ASJ-9, Jaban (1987).
19- Sigrist, M.,.& Damerow ,P., Mesopotamian Year Names Neo-Sumerian and Old Babylonian Date Formulae , Berlin,(2001).
20- Zamudio,R.J.,Antología de textos sumerios, Madrid, (2003).
21- Zeitschrift fur Assyriologie und Vorderasitosche,(Leipzig – Berlin),(1886ff).

هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني
١٥٢٤-١٨٢١

أ.م.د الهام حمزة منسي الطفيلي

كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل

Dr. ILham Hamzah Mansi AL-Tufaili

College of Education for Human Sciences

University of Babylon

ahmztmnsy@gmil.com

هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني ١٥٢٤-١٨٢١

أ.م.د الهام حمزة منسي الطفيلي

الملخص

مثلت الرحلات الإسبانية إلى العالم الجديد في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر منعطفا حاسما في تاريخ أمريكا الوسطى، إذ كان لاكتشاف السواحل الهندوراسية دور بارز في ترسيخ النفوذ الإسباني داخل المنطقة، وجاءت هذه الرحلات في سياق التنافس الأوروبي المحموم لاكتشاف أراض جديدة واستغلال مواردها، إلى جانب سعي التاج الإسباني إلى توسيع نطاق إمبراطوريته خارج القارة الأوروبية، وأسهمت الحملات الاستكشافية المتعاقبة في تمهيد الطريق أمام الغزو العسكري، لتتحول لاحقاً إلى مشروع استعماري منظم استهدف إخضاع السكان الأصليين والسيطرة على الموارد الاقتصادية، وهو ما استمر حتى نيل هندوراس استقلالها عام ١٨٢١، وخلف الاستعمار الإسباني آثار عميقة في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الهندوراسي، وتنبع أهمية دراسة هذه المرحلة من كونها تمثل حقبة مفصلية في التاريخ السياسي لهندوراس أسهمت في بلورة أنماط الحكم وتحديد حدود السلطة وآليات ممارستها.

الكلمات المفتاحية: هندوراس، الاستعمار الاسباني ، الرحلات الاستكشافية، كولمبس، نظام الإنكوميندا

Abstract:

The Spanish voyages to the New World in the late fifteenth and early sixteenth centuries represented a crucial turning point in the history of Central America. The discovery of the Honduran coast played a prominent role in consolidating Spanish influence within the region. These voyages came in the context of the frantic European competition to discover new lands and exploit their resources, in addition to the Spanish crown's endeavor to expand the scope of its empire outside the European continent. The successive exploratory campaigns contributed to paving the way for military conquest, which later turned into an organized colonial project aimed at subjugating the

indigenous population and controlling economic resources. This continued until Honduras gained its independence in 1821. Spanish colonialism left deep effects on the social, economic, and political structure of Honduran society. The importance of studying this period stems from the fact that it represents a pivotal era in the political history of Honduras, which contributed to shaping the patterns of governance and defining the limits of power and the mechanisms for its exercise.

Keywords: Honduras, Spanish colonization, voyages of exploration, Columbus, Encomenda system.

المقدمة :

حظيت هندوراس بمكانة بارزة في الرؤية الاستعمارية الإسبانية، ويعزى ذلك أساسا لموقعها الجغرافي في قلب أمريكا الوسطى، أذ تميزت بإشرافها على كل من البحر الكاريبي والمحيط الهادئ، وهو ما أكسبها أهمية استراتيجية بوصفها نقطة اتصال بين المستعمرات الإسبانية في المكسيك من جهة، وبقية أقاليم أمريكا الوسطى والجنوبية من جهة أخرى، وأسهمت سواحلها ولا سيما المطلة على البحر الكاريبي في تنشيط حركة الملاحة البحرية وتسهيل الأنشطة التجارية ونقل الموارد إلى الموانئ الخاضعة للتاج الإسباني، وإلى جانب ذلك وفرت هندوراس نطاقاً جغرافياً وعسكرياً ذا أهمية خاصة مكن إسبانيا من تعزيز نفوذها الإقليمي وتأمين ممتلكاتها الاستعمارية في مواجهة القوى الأوروبية المنافسة، وبناءً على ذلك شكل الموقع الجغرافي لهندوراس عاملاً حاسماً في إدماجها ضمن المنظومة الاستعمارية الإسبانية، ومنحها دوراً مؤثراً في التوازنات السياسية والاقتصادية للإدارة الاستعمارية.

مثّل التوسع الإسباني في أقاليم أمريكا الوسطى مرحلة تاريخية مفصلية، ترتب عليها إعادة تشكيل الأوضاع السياسية والإدارية في المجتمعات التي خضعت للسيطرة الإسبانية، وكانت هندوراس من بين الأقاليم التي أُدمجت مبكراً ضمن نطاق النفوذ الإسباني منذ القرن السادس عشر، وهو ما أسفر عن قيام نظام حكم استعماري جديد حل محل البنى السياسية المحلية السابقة، واستند هذا النظام إلى آليات إدارة وسيطرة ارتبطت ارتباطًا مباشراً بالتاج الإسباني، الأمر الذي أفضى إلى تحولات جوهرية في بنية السلطة وأنماط ممارستها، فضلاً عن إعادة صياغة العلاقات السياسية السائدة آنذاك.

سعت السلطة الاستعمارية في هندوراس إلى تكريس نموذج حكم ذي طابع مركزي، من خلال إنشاء مؤسسات سياسية وإدارية مستحدثة، وتنظيم شؤون الإدارة المحلية، وربط الإقليم بالمنظومة السياسية العامة للإمبراطورية الإسبانية في العالم الجديد، وفي هذا السياق اضطلع الحكام والولاة إلى جانب مختلف الأجهزة الاستعمارية بدور محوري في إدارة الإقليم، بما يعكس توجهات السياسة الاستعمارية الإسبانية الهادفة إلى إحكام السيطرة وضمان الاستقرار وحماية المصالح الإسبانية.

يهدف البحث الموسوم (هندوراس في ظل الاستعمار الاسباني ١٥٢٤-١٨٢١) إلى تحليل طبيعة النظام السياسي الاستعماري الإسباني في هندوراس، وبيان أساليب الحكم والسيطرة التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية، فضلا عن تتبع انعكاسات تلك السياسات على الواقع السياسي المحلي، ويكتسب البحث أهميته من قلة الدراسات العربية التي تناولت هندوراس خلال العهد الاستعماري الإسباني مقارنةً بدول أخرى في أمريكا اللاتينية، كما يسعى للإجابة عن مجموعة من التساؤلات من أبرزها كيف أدارت إسبانيا شؤون الحكم في هندوراس؟ وما أبرز ملامح السياسة الاستعمارية الإسبانية؟ وما أثر هذه السياسة في تشكيل البنية السياسية والادارية والاجتماعية لهندوراس حتى نهاية العهد الاستعماري؟

حدد الاطار الزمني للبحث بدءً من عام ١٥٢٤ كونه العام الذي شهد بداية الغزو المنظم وتأسيس الوجود الاستعماري الاسباني في هندوراس ، في حين مثل عام ١٨٢١ انتهاء مدة البحث وهو العام الذي حصلت فيه هندوراس على استقلالها من الاستعمار الاسباني .

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول التمهيد المعنون (لمحة تاريخية عن هندوراس قبل الاستعمار الإسباني) دراسة الموقع الجغرافي لهندوراس وخصائصها البيئية، مع بيان أوضاع السكان الأصليين، وطبيعة التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع الهندوراسي قبيل وصول الإسبان، أما المبحث الاول فجاء بعنوان (الرحلات الإسبانية لاكتشاف هندوراس وبداية الاستعمار) وعالج فيه البحث الحملات الاستكشافية الإسبانية ومراحل الغزو، بدءا برحلة كريستوفر كولومبوس إلى سواحل هندوراس سنة ١٥٠٢، مرورا بالرحلات اللاحقة بين سنتي ١٥٠٨ و١٥٢٤، وانتهاءً

بمرحلة التحول من الاكتشاف إلى الغزو المنظم وبداية الاستعمار خلال المدة ١٥٢٤-١٥٣٧،في حين خصص المبحث الثاني لدراسة (تثبيت السيطرة الإسبانية على هندوراس وبداية الحكم الاستعماري)، إذ تناول الأبعاد السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية للوجود الإسباني، واستعرض أبرز المؤسسات الإدارية الاستعمارية، وفي مقدمتها الحاكم الإسباني، والمجالس البلدية (الكابيلدو)، والمحاكم الاستعمارية، فضلا عن النظام المالي والضريبي، وأثر التنظيم الإداري في بنية المجتمع الهندوراسي، إلى جانب مقاومة السكان الأصليين ومحورية الدور الذي اضطلعت به الكنيسة في إطار التنظيم الديني الاستعماري، أما المبحث الثالث فقد حمل عنوان (هندوراس في ظل سيطرة آل بوربون ونهاية الحكم الإسباني)، وتناول انتقال السلطة إلى أسرة آل بوربون وانعكاس إصلاحاتهم على المستعمرات، مع تحليل التنظيم الإداري في العهد البوربوني، والأوضاع الاقتصادية في ظل تلك الإصلاحات، وصولا إلى إعلان الاستقلال وانتهاء الحكم الإسباني، وجاءت الخاتمة لتعرض أبرز النتائج والاستنتاجات التي توصل إليها البحث .

التمهيد: لمحة تاريخية عن هندوراس قبل الاستعمار الإسباني

اولا: موقع هندوراس وبيئتها الجغرافية

تحتل هندوراس موقع جغرافي مميز في وسط أمريكا الوسطى، وهو ما منحها أهمية واضحة قبل خضوعها للنفوذ الإسباني، فقد شكّلت أراضيها ممراً طبيعياً يربط بين الأقاليم الشمالية والجنوبية من المنطقة، الأمر الذي ساعد على تعزيز التواصل بين الجماعات الأصلية وأسهم في تنشيط التبادل التجاري والثقافي مع الشعوب المجاورة، ويحد البلاد شمالا البحر الكاريبي، وغربا غواتيمالا، والجنوب الغربي السلفادور، والجنوب الشرقي نيكاراغوا، ومن الجنوب المحيط الهادئ ، كما تمتد سواحلها الشمالية لمسافات طويلة على البحر الكاريبي، مما أتاح لها انفتاحا بحريا واسعا وسهل الاتصال بالجزر المجاورة، وهو ما جعل هندوراس نقطة تواصل مهمة داخل أمريكا الوسطى وأسهم في تطور الحضارات والثقافات المحلية قبل وصول الأوروبيين.[١]

تميزت هندوراس بتنوع جغرافي واضح إذ جمعت بين السهول الساحلية الغنية بالموارد الطبيعية، والمرتفعات الجبلية في الوسط، إلى جانب الأودية الداخلية، وانعكس هذا التنوع

على أنماط الاستقرار البشري، ففضل السكان الأصليون المناطق المرتفعة لما توفره من مناخ معتدل وقدرة أكبر على التحصين، في حين استثمرت السهول الساحلية في الزراعة والصيد والتبادل التجاري، كما لعبت الأنهار دورا حيويا في ربط المناطق الداخلية بالسواحل، وأسهمت في توفير المياه اللازمة للزراعة وتيسير حركة النقل المحلي.(٢)

اتسمت هندوراس بتنوع مناخي ايضا إذ ساد المناخ المداري المناطق الساحلية وتميز بارتفاع معدلات الأمطار، في حين عرفت المناطق الجبلية مناخًا أكثر اعتدالا ما جعلها ملائمة للاستقرار البشري وممارسة الأنشطة الزراعية، وأسهم هذا التنوع المناخي في تعدد المحاصيل الزراعية وانتشارها، الأمر الذي انعكس على أنماط الاستيطان، أذ تركزت التجمعات السكانية في المرتفعات الخصبة والسهول الساحلية،(٣) واعتمد السكان الأصليون في نشاطهم الاقتصادي على الزراعة والصيد، وكان من أبرز محاصيلهم الذرة والفاصوليا والكاكاو، كما وفرت الأنهار القصيرة مثل أولوا وأغوان مصادر مهمة للمياه العذبة أسهمت في دعم الزراعة ، فضلا عن ذلك تمتعت البلاد بغطاء واسع من الغابات الاستوائية التي زوّدت السكان بالأخشاب والموارد الغذائية المختلفة.(٤)

ونتيجة لهذا الموقع الجغرافي والمناخ المتنوع اندمجت هندوراس ضمن المجال الحضاري لأمريكا الوسطى، وشهدت تطورا ملحوظا على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بما يبرز الأثر العميق للجغرافيا في تشكيل أنماط الحياة والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي للسكان الأصليين قبل خضوع البلاد للسيطرة الاستعمارية الإسبانية.(٥)

ثانيا: السكان الأصليون

سكنت أراضي هندوراس قبل وصول الإسبان عدة شعوب شكلت ثقافات وحضارات متقدمة ابرزها:(٦)

١- المايا: سكنت في غرب هندوراس خاصةً في منطقة كوبان (Copán) نشأت حضارة المايا التي تعد من أكثر الحضارات تقّماً في أمريكا قبل كولومبوس، امتازت هذه الحضارة بتطورها في الفلك والرياضيات ونظم كتابة هيروغليفية خاصة بها، عُرفت هذه الحضارة ببنيتها المعمارية المتقدمة وأنظمتها السياسية المتطورة، كانت مدينة كوبان من أبرز مدن المايا في الهندوراس، أذ امتازت بآثارها التي تشمل المعابد والأهرامات

والمسلات الحجرية والمنحوتات التي اظهرت مستوى عال من التنظيم الاجتماعي والسياسي في تلك المدة.

٢- اللينكا (Lenca): أكبر مجموعة سكانية في شمال وجنوب هندوراس قبل الاستعمار، لهم تنظيم اجتماعي واضح يعيشون في مستوطنات متطورة نسبياً ويمارسون الزراعة والحرف اليدوية، تأتي أهمية هؤلاء من كونهم الأكثر انتشارا وتنظيما عندما وصل الإسبان إلى المنطقة.

٣- البيتش (Pech): عاشوا في المناطق الشمالية الشرقية وتفاعلوا مع المايا ومع ثقافات اخرى.

٤- هناك مجموعات أصغر مثل التولوبان Tolupan، والتايراونا Tawahka والميسكيتو Misquito، كل منها تمثّل مجتمعاً ثقافياً مستقلاً مع عادات ولغات وممارسات اجتماعية متنوعة، سكنوا في المناطق الجبلية والغابية.

ثالثا: النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي قبل الاستعمار

لم تشهد هندوراس قبل وصول الإسبان قيام دولة مركزية موحدة، بل اتسم وضعها السياسي بالتعدد أذ تألفت من مدن وكيانات مستقلة، ولا سيما في مناطق نفوذ حضارة المايا، كانت تُدار من زعماء محليين أو ملوك، إلى جانب مجتمعات قبلية اعتمدت في تنظيمها على سلطة الزعيم والأعراف التقليدية، وتفاوتت طبيعة العلاقات بين هذه الكيانات بين التعاون والتحالف في بعض الأحيان، والتنافس والصراع في أحيان أخرى.(٧)

وعلى الصعيد الاجتماعي تميز المجتمع قبل الاستعماري بوجود بناء طبقي واضح، خاصة لدى المايا، أذ انقسم إلى طبقة حاكمة، وكهنة، وعامة الناس واعتمد التنظيم الاجتماعي على الروابط العائلية والقبلية بوصفها أساسا للعلاقات داخل المجتمع،(٨) في حين شغلت المرأة دور مهم في الأنشطة الزراعية والحرف المنزلية، واتخذ هذا التنظيم طابعا هرميا إذ تداخلت السلطة السياسية مع الدينية وتمتع القادة السياسيون والدينيون بنفوذ واسع داخل المجتمعات الكبرى.(٩)

أما النشاط الاقتصادي فارتكز على الزراعة ولا سيما زراعة الذرة والفاصوليا والفواكه، إلى جانب الكاكاو والقطن، فضلا عن جمع الثمار في المناطق الغابية، وكانت هذه الأنشطة

تُمارس ضمن إطار جماعي أو تحت إشراف قادة المجتمع، كما أسهمت التجارة الداخلية وتبادل السلع بين المناطق الساحلية والداخلية في تعزيز الروابط بين الجماعات المختلفة، أذ جرى تبادل المنتجات الزراعية والأدوات وغيرها، [١٠] وهو ما يعكس وجود علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية معقدة تراوحت بين التبادل السلمي والتحالفات من جهة، والصراعات من جهة أخرى، ولا سيما في المناطق التي شكلت محورا للطرق التجارية بين مدن المايا وغيرها من المناطق المجاورة.[١١]

وعلى الصعيد الديني احتل الدين مكانة مهمة في حياة المجتمعات المحلية في هندوراس وغيرها من مناطق أمريكا الوسطى قبل وصول الإسبان، واضطلع الكهنة بدور أساسي في الحياة الدينية والاجتماعية،[١٢] إذ جمعوا بين السحر والكهانة ، وكان يُنظر لهم بوصفهم وسطاء روحيين تربطهم علاقة مباشرة بالآلهة،[١٣] وتمثلت مهامهم في تفسير الظواهر الغيبية والإشراف على الطقوس الدينية، واعتنق السكان نظام ديني وثني تعددي ارتكز على عبادة قوى الطبيعة فعبدوا آلهة متعددة من أبرزها آلهة الشمس والمطر والزراعة والخصوبة، وانتشرت لدى المايا طقوس دينية معقدة تجسدت في بناء المعابد والأهرامات إلى جانب الاعتقاد بوجود ارتباط روحي وثيق بين الإنسان والكون.[١٤]

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن هندوراس قبل الاستعمار الإسباني لم تكن أرض متخلفة أو معزولة، بل موطنا لمجتمعات غنية بالتنوع الحضاري والثقافي، ضمت شعوب ذات نظم اجتماعية مختلفة، ومؤسسات حكم محلية وعلاقات اقتصادية واسعة، ومع نهاية القرن الخامس عشر بدأت بعض الحضارات مثل المايا في كوبان تشهد تراجع أو تحولات في أنماطها الحضارية نتيجة عوامل متعددة من بينها التغيرات البيئية والصراعات الداخلية، غير أن الغزو الإسباني في القرن السادس عشر شكل العامل الحاسم الذي أنهى استقلال هذه المجتمعات، وأدخلها في مرحلة جديدة من التحولات السياسية والاجتماعية.

المبحث الاول : الرحلات الإسبانية لاكتشاف هندوراس وبداية الاستعمار

اولا: الرحلات الاستكشافية ومراحل الغزو الاسباني لهندوراس

شهدت إسبانيا خلال العقود الأخيرة من القرن الخامس عشر جملة من التحولات السياسية والاقتصادية العميقة، كان في مقدمتها انتهاء (حروب الاسترداد Reconquest)

Wars [١٥] بسقوط مملكة غرناطة سنة ١٤٩٢، وهو تطور تاريخي مكّن التاج الإسباني من تحويل اهتمامه من الصراعات الداخلية إلى الانفتاح على آفاق خارجية أوسع، ومثّلت الكشوف الجغرافية إحدى الأدوات الرئيسة التي اعتمدتها إسبانيا لتعزيز مكانتها الدولية ومنافسة القوى الأوروبية الصاعدة ولا سيما البرتغال.[١٦]

وفي إطار هذا التوجه انتهج التاج الإسباني سياسة داعمة للرحلات الاستكشافية، تمثلت في تقديم الدعم المالي ومنح الامتيازات القانونية للمستكشفين، وذلك في سياق تحقيق أهداف متعددة من أبرزها البحث عن الثروات الطبيعية، وتوسيع دائرة النفوذ السياسي إلى جانب نشر الديانة المسيحية، وجاءت مناطق أمريكا الوسطى ومنها هندوراس ضمن نطاق هذا المشروع التوسعي.[١٧]

عقب النجاح الذي حققته الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبوس عام ١٤٩٢، كثّفت إسبانيا من إرسال بعثاتها الاستكشافية باتجاه جزر البحر الكاريبي وسواحل أمريكا الوسطى، وأسهم دعم التاج الاسباني لهذه الحملات في توجيهها نحو البحث عن المعادن النفيسة، وفتح مسارات تجارية جديدة، وترسيخ الوجود الإسباني سياسياً ودينياً، الأمر الذي جعل السواحل الشمالية لأمريكا الوسطى بما فيها هندوراس محط اهتمام متزايد منص البحّارة والمستكشفين الإسبان.[١٨]

- رحلة كريستوفر كولومبوس إلى سواحل هندوراس (١٥٠٢)

شكلت الرحلة الرابعة لكريستوفر كولومبوس سنة ١٥٠٢ أول احتكاك مباشر بين الإسبان وسواحل هندوراس، إذ وصل كولومبوس خلال هذه الحملة الساحل الشمالي للبلاد، ولا سيما منطقة جزيرة غواناخا Guanaja ، ثم واصل إبحاره باتجاه ساحل ترخيو (Trujillo)، وأُطلق اسم هندوراس على هذه المنطقة في إشارة إلى عمق مياه سواحلها وما تسببه من صعوبات ملاحية، إذ يدل المصطلح في اللغة الإسبانية على الأعماق.[١٩]

وعلى الرغم من أن هذه الرحلة لم تسفر عن إقامة مستوطنات إسبانية دائمة، فإنها أسهمت في توفير معلومات أولية عن الخصائص الجغرافية للسواحل وعن المجتمعات المحلية التي كانت تقطن المنطقة، كما لفتت هذه المعطيات أنظار الإسبان إلى ما تحتوي

هندوراس من إمكانات اقتصادية ، وأصبحت أساساً اعتمدت عليه البعثات اللاحقة الأمر الذي مهد لإدراج هندوراس ضمن نطاق الاهتمام الاستعماري الإسباني.[٢٠]

- الرحلات الإسبانية بعد كولومبوس (١٥٠٨-١٥٢٤)

عقب رحلة كريستوفر كولومبوس تتابعت البعثات الإسبانية نحو سواحل هندوراس ضمن حركة أوسع من الاستكشاف والتوسع التي طالت مناطق متعددة من أمريكا الوسطى وهدفت هذه الحملات إلى الوقوف على الموارد الطبيعية، ولا سيما الذهب، فضلاً عن تأمين طرق الملاحة والتبادل التجاري في البحر الكاريبي، ومن بين أبرز هذه الرحلات تلك التي قادها (خوان دي غريخالفا Juan de Grijalva)[٢١] و ألونسو دي أفيلا(Alonso de Ávila)[٢٢] والتي أسهمت في إعداد خرائط أكثر دقة لسواحل هندوراس، والتعرّف على مرافئها الطبيعية، إضافة إلى جمع معطيات عن السكان الأصليين وأنماط أنشطتهم الاقتصادية.[٢٣]

ورغم الطابع الاستكشافي الذي اتسمت به هذه الرحلات في ظاهرها، فإنها حملت في مضمونها أهدافا استعمارية واضحة، تمثلت في تقييم القدرات الاقتصادية والعسكرية للمنطقة، تمهيداً لإخضاعها سياسيا، وبهذا انتقل الدور الإسباني تدريجيا من مرحلة الاكتشاف والاستطلاع إلى مرحلة التخطيط المنظم لبسط السيطرة.[٢٤]

أما النتائج الرئيسة التي أفرزتها الرحلات الاستكشافية الإسبانية إلى هندوراس فتمثلت في جملة من الآثار، من أبرزها:[٢٥]

١- إدخال هندوراس ضمن المجال الجغرافي للإمبراطورية الإسبانية.

٢- تهيئة الأرضية للغزو العسكري وبداية الحكم الاستعماري.

٣- جمع معلومات جغرافية وبشرية عن المنطقة استندت اليها الادارة الاستعمارية في تنظيم شؤون البلاد.

٤- بداية الاحتكاك المباشر مع السكان الأصليين وما رافقه من صدامات وتغيرات عميقة في البنية الاجتماعية والسياسية.

يتضح مما ذكر اعلاه أن الرحلات الإسبانية لاكتشاف هندوراس لم تكن مجرد مغامرات بحرية، بل شكلت الأساس الذي بني عليه الاستعمار الإسباني ، أذ كانت جزءاً من مشروع

استعماري متكامل هدفه توسيع النفوذ الإسباني في العالم الجديد، فقد أسهمت هذه الرحلات في كشف المنطقة وتحديد أهميتها الاستراتيجية وتهيئة الأرضية السياسية والعسكرية لفرض السيطرة الإسبانية، وبذلك تمثّل هذه الرحلات الحلقة الأولى في سلسلة التحولات التاريخية التي قادت إلى إخضاع هندوراس للاستعمار الإسباني.

ثانيا- الانتقال من الاكتشاف إلى الغزو وبداية الاستعمار ١٥٢٤- ١٥٣٧

مَثّل عام ١٥٢٤ نقطة تحول حاسمة في تاريخ هندوراس، إذ شهد الانتقال من مرحلة الرحلات الاستكشافية إلى مرحلة الحملات العسكرية المنظمة، ففي هذا العام شرعت إسبانيا في اتباع سياسة عسكرية مباشرة لإخضاع هندوراس، بعد أن تبيّن للتاج الإسباني ما تنطوي عليه المنطقة من أهمية استراتيجية ناتجة عن موقعها الجغرافي، وتولى قيادة هذه الحملات عدد من القادة العسكريين الإسبان، كان من أبرزهم (غيل غونثالث دي أفيلا Gael González de Ávila)[٢٦] الذي يعد من أوائل من توغلوا في المناطق الداخلية لهندوراس، وسعى إلى إخضاعها باسم التاج الإسباني، وهو ما عكس بوضوح الانتقال من الاكتشاف إلى الغزو، كما شهدت هذه المرحلة تنافسا بين عدد من القادة الإسبان، من بينهم (فرنسيسكو دي مونتيجو Francisco de Montejo)،[٢٧] على بسط النفوذ والسيطرة، وفي هذه المدة لم تعد الرحلات تقتصر على جمع المعلومات، بل تحولت إلى أداة مباشرة لفرض الهيمنة السياسية، الأمر الذي يشير إلى بداية الاستعمار الإسباني الفعلي في هندوراس.[٢٨]

أدّى هرنان كورتيس(Hernán Cortés)[٢٩] دوراً محورياً في تحويل الوجود الإسباني في هندوراس من مجرد محاولات عسكرية متفرقة إلى مشروع استعماري أكثر تنظيماً، ولا سيما بعد نجاحه في إخضاع إمبراطورية الأزتك في المكسيك، فقد سعى إلى توسيع نفوذه باتجاه الجنوب، وأرسل بعثات عسكرية إلى هندوراس بهدف ضمان ولائها للتاج الإسباني، ومنع القادة الإسبان المنافسين من الانفراد بالسيطرة عليها،[٣٠] كما قاد بنفسه رحلة شاقة براً من المكسيك إلى هندوراس هدفت إلى فرض السيطرة السياسية، وتنظيم الإدارة الإسبانية، ووضع حد للصراعات الداخلية بين القادة الإسبان، وأسهمت هذه الحملة في ترسيخ الوجود الإسباني، وإرساء الأسس الأولى للإدارة الاستعمارية، وربط هندوراس بالنظام السياسي الإسباني في العالم الجديد.[٣١]

وفي إطار سعيه لتثبيت النفوذ الإسباني حاول هرنان كورتيس الاستعانة بمجموعات من الهنود القادمين من المكسيك لإقناع سكان هندوراس بجدوى الحكم الإسباني، ولا سيما في ظل الشكاوى المتزايدة من سوء معاملة بعض الغزاة السابقين، الذين مارسوا الاضطهاد وأجبروا السكان الأصليين على القيام بأعمال شاقة، غير أن هذه المحاولات لم تحقق النتائج المرجوة، مما دفع هرنان كورتيس إلى رفع تقرير في الأول من آب سنة ١٥٢٣ عن الأسطول الذي أعدّه لغزو هندوراس، وتولّى قيادة هذه الحملة كريستوبال دي أوليد(Cristóbal de Olid)[٣٢] أحد القادة العسكريين الذين خدموا تحت إمرة كورتيس في غزو إمبراطورية الأزتك، وتكونت القوة العسكرية من نحو (٤٠٠) رجل موزعين على (٥) سفن مجهزة بمختلف الأسلحة من بينها السيوف والنشاب والبنادق، في مؤشر واضح على الطابع العسكري لهذه الحملة.[٣٣]

اعتمدت الحملات العسكرية الإسبانية في هندوراس على استخدام القوة المسلحة، مستفيدة من التفوق العسكري والتقني، ولا سيما امتلاك الأسلحة النارية، فضلا عن توظيف تحالفات مؤقتة مع بعض الجماعات المحلية، وأسفرت هذه الحملات عن إخضاع عدد من المناطق الساحلية والداخلية، رغم المقاومة العنيفة التي أبدتها الجماعات الأصلية دفاعاً عن أراضيها.[٣٤]

سعى هرنان كورتيس على غرار غيل غونثالث دي أفيلا إلى البحث عن ممر بحري أو بري يربط بين البحر الكاريبي والمحيط الهادئ، غير أن الصراعات السياسية التي نشبت بينه وبين حاكم كوبا (دييغو فيلاسكيز Diego Velázquez)[٣٥] ألقت بظلالها على مسار الأحداث، ففي هذا السياق اعلن كريستوبال دي أوليد ولائه لحاكم كوبا للانفصال عن سلطة هرنان كورتيس والسعي لغزو هندوراس لحسابه الخاص واقامة حكم مستقل فيها، وتشير المصادر إلى أن كريستوبال دي أوليد شرع فور وصوله إلى هافانا بتبادل المراسلات مع دييغو فيلاسكيز الذي أمدّه بدوره برجال لدعمه في التمرد.[٣٦]

رد هرنان كورتيس على هذا التحدي بإرسال حملة عسكرية بقيادة (فرانسيسكو دي لاس كاساس Francisco de las Casas)(٣٧) لإلقاء القبض على كريستوبال دي أوليد، وبعد سلسلة من المواجهات والاضطرابات داخل معسكره تمكن فرانسيسكو دي لاس كاساس

من اعتقال كريستوبال دي أوليد واعدم بالقرب من سواحل هندوراس وبذلك انتهت محاولته للانفصال عن سلطة هرنان كورتيس بالفشل.(٣٨)

أدى مقتل كريستوبال دي أوليد سنة ١٥٢٤ إلى جانب فرار غيل غونثالث دي أفيلا لانتقال زمام القيادة في المنطقة إلى فرانسيسكو دي لاس كاساس الذي وصل إلى هندوراس في أيار ١٥٢٥ على متن سفينته (لا ترينيداد)،وعمل فرانسيسكو دي لاس كاساس على جمع إفادات وشهادات حول النزاعات التي اندلعت بين الغزاة الإسبان، والظروف التي أُعدم فيها كريستوبال دي أوليد، غير أن ممارساته ولا سيما استعباد السكان الأصليين الذين لم يبدوا عداءً للإسبان، عدت مخالفة جسيمة في نظر الملك، إذ اعتُبرت انتهاكا لبروتوكولات الغزو، وأسهمت في تقويض التحالفات مع المجتمعات المحلية.(٣٩)

ومع تفاقم الصراعات بين القادة الإسبان قرر الملك كارلوس الأول (Carlos I)(٤٠) في أواخر عام ١٥٢٥ التدخل بشكل مباشر لوضع حد للنزاعات القائمة في هندوراس، وجاءت الأوامر الملكية بهدف إنهاء الاقتتال الداخلي الذي أدى إلى تدمير أجزاء واسعة من المنطقة ودفع أعدادا من السكان إلى الهجرة، وفي هذا الإطار عين الملك دييغو لوبيز دي سالسيدو(Diego López de Salcedo)(٤١) حاكما مستقلا لهندوراس في خطوة هدفت إلى تقليص نفوذ هرنان كورتيس وبيدرارياس دافيلا(Pedrarias Dávila)(٤٢) ووضع حد لطموحاتهما المتنافسة.(٤٣)

يتبين لنا مما تقدم أن الصراعات التي نشبت بين القادة الإسبان عكست طموحات شخصية متعارضة، أسهمت في إهدار أرواح الإسبان والسكان الأصليين على حد سواء، كما أدت هذه النزاعات إلى تقويض محاولات الغزو القائم على الأساليب الدبلوماسية، الأمر الذي فرض على الملك التدخل المباشر لفرض سلطته ووضع حدّ لحالة الاضطراب التي سادت المنطقة.

ابتداءً من عام ١٥٣٠ أُسندت إدارة شؤون الحكم في هندوراس إلى السكان المحليين تحت الإشراف الإسباني، غير أن هذا الترتيب لم يلبث أن واجه تحديات كبيرة، إذ سرعان ما تفجرت اضطرابات وخلافات سياسية بين مختلف القوى والفصائل، وأمام حالة عدم الاستقرار هذه طالب سكان هندوراس بتدخل القائد الإسباني بيدرو دي ألفارادو(Pedro de

Alvarado)[٤٤] الذي وصل إلى المنطقة عام ١٥٣٦ بهدف وضع حدّ للفوضى السياسية، وتمكن بيدرو دي ألفارادو من هزيمة (سيكومبا Sicumba)[٤٥] أحد أبرز زعماء المايا في وادي أوليا، كما أسس مدينتين أصبحتا من المراكز الحضرية المهمة، هما سان بيدرو دي بويرتو كابالوس (التي عرفت لاحقا باسم سان بيدرو سولا)، ومدينة غراسياس آديوس.[٤٦]

وفي عام ١٥٣٧ أصدر الملك الإسباني قرارا بتعيين فرانسيسكو دي مونتيجو حاكما عاما على هندوراس، وبمجرد وصوله إلى البلاد عمل على إلغاء نظام توزيع الأراضي الذي كان قد أقره ألفارادو، وشرع في إحكام السيطرة الإسبانية المباشرة على الإقليم في خطوة هدفت إلى تعزيز سلطة التاج الإسباني وتوحيد الإدارة الاستعمارية في هندوراس.[٤٧]

المبحث الثاني: تثبيت السيطرة الإسبانية على هندوراس وبداية الحكم الاستعماري

شهدت هندوراس خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ترسخا واضحا للتنظيم السياسي الاستعماري، إذ مثلت هذه المدة مرحلة الانتقال من النشاط الاستكشافي إلى الإخضاع الفعلي، وما تبعه من قيام الإدارة الاستعمارية الإسبانية، ويعد هذا التحول من أخطر المنعطفات في تاريخ هندوراس، لما أفضى إليه من تغييرات سياسية وإدارية عميقة أسهمت في إنهاء الكيانات المحلية للسكان الأصليين، وإدماج الإقليم ضمن المنظومة الاستعمارية الإسبانية في أمريكا الوسطى.

اولا- الابعاد السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية للاستعمار الاسباني

بعد إخضاع المناطق الرئيسة في هندوراس عمل الإسبان على ترسيخ سيطرتهم من خلال إنشاء المستوطنات والمدن الاستعمارية مثل تروخيو وكومایاغوا التي تحولت إلى مراكز إدارية وسياسية ذات أهمية متزايدة، كما جرى تنظيم ملكية الأراضي وتوزيعها على المستعمرين الإسبان في إطار نظام (الإنكوميندا Encomienda)[٤٨] الذي أتاح لهم السيطرة على السكان الأصليين واستغلال طاقتهم في مختلف مجالات العمل.[٤٩]

خضعت هندوراس للنظام الإداري العام للإمبراطورية الإسبانية في العالم الجديد، إذ أُلحقت في مرحلتها الأولى بنيابة الملك في إسبانيا الجديدة (المكسيك)، ثم أُدرجت لاحقا ضمن نطاق القيادة العامة لغواتيمالا، ويعكس هذا الترتيب الإداري حرص التاج الإسباني على إحكام الرقابة المركزية على الأقاليم المستعمرة، والحيلولة دون نشوء قوى محلية مستقلة،

واستندت الإدارة الاستعمارية إلى مبدأ السلطة المركزية المرتبطة مباشرة بالتاج الإسباني، مع منح صلاحيات محدودة للمسؤولين المحليين بما يضمن تنفيذ السياسات الاستعمارية دون المساس بالسيادة العليا لإسبانيا.(٥٠)

يعد هذا النظام الإداري إحدى الأدوات الأساسية لترسيخ الحكم الاستعماري، إذ أخضع السكان الأصليين لسلطة المستعمرين في إطار قانوني وديني، وانتهجت الإدارة الاستعمارية سياسة مزدوجة تجاه السكان الأصليين، جمعت بين استخدام القوة العسكرية لقمع التمردات، والسعي إلى إدماجهم في النظام الاستعماري من خلال التنصير وفرض القوانين والنظم الإسبانية.(٥١)

أسفر الاستعمار الإسباني عن تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والاقتصادية لهندوراس إذ أدى إلى تدمير عدد كبير من المجتمعات الأصلية، وظهور تركيبة اجتماعية جديدة قائمة على التمايز العرقي والاقتصادي. كما أسهم قدوم الأوروبيين في نشوء اقتصاد غير متوازن، تركزت فيه الثروة والسلطة في أيدي المستعمرين الإسبان والنخبة المحلية المرتبطة بالتاج الإسباني، وبحلول القرن السابع عشر، أصبحت هندوراس جزءا من اقتصاد إمبراطوري واسع تهيمن عليه إسبانيا، وتوجّه موارده لخدمة المصالح الاستعمارية.(٥٢)

اعتمدت الإدارة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس على نظام العمل القسري بوصفه أداة رئيسة لاستغلال الموارد البشرية والاقتصادية، وبرز في هذا السياق نظام الإنكوميندا (الذي اشرنا له سلفا) مُنح المستعمرين الإسبان بموجبه حق إجبار السكان الأصليين على العمل في الزراعة والتعدين، ولا سيما في مناجم الذهب والفضة، كما طور الإسبان تربية الماشية والإنتاج الزراعي لتوفير الغذاء لسكان المستوطنات الاستعمارية، وغالبا ما كانت ظروف العمل قاسية ما أدى إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأصليين، مقابل التزام شكلي بحمايتهم وتعليمهم الديانة المسيحية، وأسهم ذلك في استنزاف القوى البشرية وتراجع أعداد السكان الأصليين نتيجة الإرهاق وسوء التغذية وانتشار الأمراض مثل الجدري، ومع تناقص أعدادهم لجأت إسبانيا إلى جلب العبيد الأفارقة للعمل في المزارع والمناجم، الأمر الذي أدى إلى تكون مجتمع متعدد الأعراق ضم السكان الأصليين و(المستيزو Mestizo)(٥٣) و الأفارقة والأوروبيين.(٥٤)

وإلى جانب نظام الإنكوميندا لجأت الإدارة الاستعمارية إلى أشكال أخرى من العمل القسري، من بينها نظام السخرة الذي فُرض على السكان الأصليين لتنفيذ المشروعات العامة، وبناء المدن والمنشآت الاستعمارية، الأمر الذي عزز الطابع الاستغلالي للسياسات التي انتهجتها إسبانيا في هندوراس،(٥٥) و ركز الاستعمار الإسباني على إعادة توجيه الاقتصاد المحلي ليقوم أساسا على النشاط الزراعي الموجه للتصدير، إذ أُنشئت مزارع لزراعة محاصيل السكر والقطن والتبغ والكاكاو، التي خُصص إنتاجها بدرجة كبيرة للأسواق الأوروبية، وفي المقابل جرى تهميش وتفكيك النظم الزراعية التقليدية التي كان يعتمد عليها السكان الأصليون، ما أدى إلى إحداث تحول جذري في أنماط الإنتاج، وأسهم في تحويل المجتمع الهندوراسي إلى مجتمع قائم على الزراعة التجارية.(٥٦)

ترتب على هذه التحولات الاقتصادية آثار اجتماعية وسياسية عميقة تمثلت في تفكك البنى التقليدية للسكان الأصليين، وإعادة تشكيل المجتمع في هندوراس وفق أسس استعمارية جديدة، كرست الهيمنة الإسبانية وأعادت ترتيب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بما يخدم المصالح الاستعمارية، ومما تجدر الاشارة اليه ان إخضاع هندوراس للإدارة الاستعمارية الإسبانية اسفر عن نتائج سياسية وإدارية هامة أبرزها:(٥٧)

١- إنهاء الاستقلال السياسي للكيانات المحلية.

٢- إدماج هندوراس ضمن النظام الإداري للإمبراطورية الإسبانية.

٣- فرض أنماط حكم جديدة استمرت آثارها حتى مرحلة الاستقلال.

٤- تعميق الفجوة الاجتماعية بين المستعمرين الإسبان والسكان الأصليين.

اما أهم نتائج السياسة الاستعمارية الإسبانية تجاه السكان الأصليين في هندوراس فأبرزها التراجع الحاد في أعداد السكان الأصليين نتيجة إخضاعهم لأنظمة العمل القسري، فضلا عن انتشار الأمراض الأوروبية التي لم تكن لديهم مناعة طبيعية ضدها مثل الجدري والحصبة، ادى ذلك إلى وقوع موجات واسعة من الوفيات أسهمت في إحداث اختلال ديمغرافي واضح داخل المجتمع الهندوراسي ،(٥٨) كما أدت السيطرة الاستعمارية إلى تفكك البنى الاجتماعية والسياسية التقليدية للسكان الأصليين، إذ رافق وصول المستعمرين الإسبان تدفق أعداد متزايدة من الأوروبيين والكاثوليك إلى البلاد، ما أحدث تغييرا جوهريا في التركيبة

السكانية، ونتيجة لذلك تركز الوجود الأوروبي في المدن والمراكز الحضرية في حين ابعد السكان الأصليون إلى المناطق الريفية، الأمر الذي عمق الفوارق الاجتماعية وأعاد تشكيل العلاقات داخل المجتمع على أسس استعمارية.(٥٩)

شملت السياسة الاستعمارية ايضا فرض ثقافة ولغة ودين جديدين على حساب الهوية الأصلية، إذ فرضت اللغة الإسبانية بوصفها لغة رسمية للإدارة والتواصل ما أدى إلى تراجع استخدام اللغات الأصلية، رغم تنوعها وانتشارها قبل الاستعمار ومنها لغات المايا، ورافق هذا التحول اللغوي تهميش متزايد للثقافات المحلية في المجالات الرسمية والتعليمية، فضلًا عن اندثار عدد من العادات والتقاليد التي كانت تمارسها الشعوب الأصلية.(٦٠)

وخلال مدة الاستعمار تأثرت العمارة في هندوراس بالأسلوب الاستعماري الإسباني، أذ شيدت الكنائس والقصور وفق تصاميم أوروبية تقليدية، وبرز الطابع الاستعماري في التخطيط العمراني والهندسة المعمارية، وخلفت هذه المرحلة إرثًا ماديا تمثل في مبانٍ ومعالم تاريخية، مثل مبنى Caxa Real في كوماياغوا الذي استُخدم لخزن الضرائب لصالح المملكة الإسبانية، إضافة إلى القلاع الدفاعية مثل قلعة سان فرناندو في أوموا، وعلى الرغم من هذا التأثير حافظت الفنون التقليدية الهندوراسية على بعض سماتها الأصلية، ولا سيما في الحرف اليدوية كالنسيج والفخار مع ظهور تداخل واضح بين العناصر الثقافية المحلية والإسبانية.(٦١)

أما على صعيد العادات والتقاليد فقد فرض نمط الحياة الإسباني في جوانب متعددة من الحياة اليومية بما في ذلك الطقوس الاجتماعية والاحتفالات، فعلى سبيل المثال أصبح الزواج بين السكان الأصليين يتم وفق التعاليم المسيحية، واستبدلت العديد من الممارسات الاجتماعية التقليدية بطقوس ذات طابع إسباني، كما طرأت تغييرات ملحوظة على الملبس وأنماط الغذاء، إذ انتشرت الأزياء الأوروبية والأطعمة الإسبانية بين السكان.(٦٢)

يتضح مما تقدم أن السياسة الاستعمارية الإسبانية تجاه السكان الأصليين في هندوراس قامت على مزيج من القمع السياسي، والاستغلال الاقتصادي، والهيمنة الدينية، إلى جانب إحداث تغييرات عميقة في نمط الحياة، ومع ذلك لم تتمكن هذه السياسات من القضاء بشكل

كامل على إرادة المقاومة لدى السكان الأصليين، الذين واصلوا الدفاع عن وجودهم وهويتهم الثقافية بوسائل متعددة عبر مختلف مراحل الحكم الاستعماري.

ثانيا : المؤسسات الإدارية الاستعمارية في هندوراس

تكونت الإدارة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس من عدة مؤسسات تولت تنظيم شؤون الحكم والإدارة والقضاء وجباية الضرائب في مقدمتها الحاكم الإسباني، والمجالس البلدية (الكابيلدو)، والمحاكم الاستعمارية أسهمت هذه المؤسسات في ترسيخ النظام الاستعماري الإسباني، وإحلاله تدريجيا محل التنظيمات السياسية والإدارية المحلية التي كانت قائمة قبل الغزو، وسنوضحها فيما يأتي:

أ:- الحاكم الإسباني

تأسس منصب الحاكم الإسباني في هندوراس عام ١٥٢٤، ومثّل أعلى سلطة تنفيذية في الإقليم خلال الحقبة الاستعمارية، وكان الحاكم يعين مباشرة من ملك إسبانيا أو من السلطات العليا في غواتيمالا، ليكون ممثلا للتاج الإسباني والمسؤول عن تنفيذ سياساته وتوجيهاته، وتولى الحاكم تنفيذ القوانين والأوامر الملكية، والحفاظ على الأمن الداخلي من خلال إصدار التعليمات والتنظيمات اللازمة لضبط النظام، اضطلع ايضا بمهمة الإشراف على جباية الضرائب وتنظيم الموارد المالية، فضلا عن قيادة القوات العسكرية المحلية بهدف صد التهديدات الخارجية، وقمع التمردات الداخلية، وشملت صلاحياته تنظيم العمل الإداري في البلديات والمقاطعات، والإشراف على الموارد الاقتصادية، سواء في مجالات التعدين أو الزراعة أو التجارة، ولم يقتصر دوره على الجوانب الإدارية والعسكرية، بل امتد إلى فرض الثقافة الإسبانية والديانة الكاثوليكية بوصفهما جزءا من السياسة الاستعمارية الشاملة.[٦٣]

عمل الحاكم على تعيين موظفين محليين لإدارة الأقاليم الصغيرة وتنظيم المدن والمراكز الاستيطانية مثل سان بيدرو سولا وغراسياس آديوس التي أسسها الإسبان بوصفها قواعد إدارية وتجارية، ولم تكن سلطته مقتصرة على المستوطنين الأوروبيين، بل شملت السكان الأصليين أيضا، أذ أُخضعوا لنظام الإنكوميندا الذي منح المستعمرين الإسبان حق السيطرة على الأراضي والسكان الأصليين مقابل التزامات شكلية بالحماية والتنصير وهو نظام استغلالي أشرف عليه الحاكم بشكل مباشر.[٦٤]

يتضح مما تقدم أن الحاكم الإسباني يعد أهم مؤسسة إدارية في هندوراس خلال الحقبة الاستعمارية، إذ عكس منصبه الطبيعة السلطوية للنظام الاستعماري من خلال جمعه بين السلطات التنفيذية والسياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية، كان الحاكم أداة رئيسة لترسيخ السيطرة الإسبانية، وجزء من منظومة استعمارية أوسع مثّلت إرادة التاج الإسباني في مستعمرات أمريكا الوسطى، وأسهمت في تشكيل البنية السياسية والاقتصادية للمجتمع الهندوراسي.

ب: المجالس البلدية (الكابيلدو)

أنشأ الإسبان عام ١٥٢٤ المجالس البلدية المعروفة باسم الكابيلدو في المدن الاستعمارية الرئيسة، مثل كومایاغوا وتروخيو، وضمت هذه المجالس ممثلين عن المستوطنين الإسبان حصريا، إذ لم يُسمح للسكان الأصليين بالمشاركة الفعلية في صنع القرار وتولت الكابيلدو إدارة الشؤون المحلية، بما في ذلك تنظيم شؤون المدن والبلدات وتنفيذ قرارات التاج الإسباني والحاكم العام أو المحلي، كما اهتمت هذه المجالس بتنظيم الحياة اليومية للسكان، والإشراف على الأسواق والأنشطة التجارية، وتحديد الأسعار، وجمع الضرائب والرسوم البلدية، وشملت صلاحياتها الإشراف على الأراضي البلدية وتوزيعها، وإدارة الأشغال العامة مثل الطرق والجسور والمباني الرسمية،[٦٥] فضلا عن متابعة شؤون الصحة العامة والنظافة، وتنظيم توزيع المياه والموارد الغذائية، تولت الكابيلدو أيضا الفصل في القضايا البسيطة والنزاعات المحلية سواء المدنية أو الجنائية، إلى جانب مراقبة النظام الاجتماعي وضبط سلوك السكان وفق القوانين الاستعمارية، كما لعبت دورا في تنظيم العمل القسري المفروض على السكان الأصليين، وعلى الرغم من أن هذه المجالس مثلت شكلا من أشكال الإدارة المحلية، فإنها ظلت خاضعة لرقابة السلطة الاستعمارية العليا، ولم تخرج عن إطار المصالح الاستعمارية الإسبانية.[٦٦]

من خلال ما تقدم يتضح أن الكابيلدو كانت أداة أساسية بيد الاستعمار الإسباني لإحكام السيطرة الإدارية والسياسية والاقتصادية على هندوراس، أسهمت في تنظيم المدن بما يخدم مصالح التاج الإسباني والمستوطنين، مع تهميش السكان الأصليين وإقصائهم عن إدارة شؤون بلادهم.

ت: المحاكم الاستعمارية

شكلت المحاكم الاستعمارية التي أُنشئت في هندوراس منذ النصف الأول من القرن السادس عشر وتحديدا ابتداء من عام ١٥٢٦ ركيزة أساسية لترسيخ النظام القانوني الاستعماري، خضعت هندوراس في ظلها للمحاكم العليا في غواتيمالا التي تولت الفصل في القضايا الكبرى، في حين نُظرت القضايا المحلية أمام محاكم أدنى مستوى، هدفت هذه المحاكم إلى فرض سلطة التاج الإسباني وتطبيق القوانين الملكية، وتنظيم العلاقات بين مختلف فئات السكان، وضبط المجتمع المحلي وفق الأسس القانونية الإسبانية، كما أسهمت في توحيد النظام القانوني في الأراضي الخاضعة للاستعمار، وضمان تنفيذ الأوامر والأنظمة الصادرة عن التاج الإسباني بما يخدم استقرار الحكم الاستعماري ويعزز هيمنته السياسية والإدارية.[٦٧]

اضطلعت المحاكم الاستعمارية في هندوراس بدور محوري في ترسيخ النظام الاستعماري، إذ تولت النظر في القضايا المدنية المتعلقة بالنزاعات على الأراضي والملكية والعقود، فضلا عن الفصل في القضايا الجنائية كالجريمة والتمرد والمخالفات الاخرى، كما نظرت في القضايا المرتبطة بالضرائب وأشكال العمل الإلزامي، وحاكمت السكان الأصليين وفق نظام قانوني يجمع بين التشريع الإسباني وبعض الأعراف المحلية، مع فرض العقوبات التي تضمن الامتثال للسلطة الاستعمارية، وساند الجهاز القضائي أنظمة العمل القسري، مثل الإنكوميندا و(الريبارتيمينتو Repartimiento)،[٦٨] من خلال إضفاء الشرعية القانونية عليها، كما أسهم في دعم السلطة الإدارية عبر مساندة الحاكم الاستعماري في فرض النظام والأمن، وملاحقة المعارضين للسياسات الاستعمارية، والحد من النزاعات بين المستوطنين الإسبان أنفسهم، أدى ذلك إلى إضعاف الأعراف القانونية المحلية وتقويض استقلال القضاء التقليدي للسكان الأصليين، أما من حيث البنية القضائية فقد تمثلت أهم المحاكم بمحاكم البلديات والكابيلدو إلى جانب المحاكم الإقليمية المختصة بالقضايا الكبرى، في حين شكلت محكمة الأودينثيا الملكية (Real Audiencia)[٦٩] المرجع القضائي الأعلى، وكانت هندوراس غالبا خاضعة لأودينثيا غواتيمالا.[٧٠]

وعلى الصعيد الاقتصادي اهتمت المحاكم بشكل أساسي بحماية مصالح التاج الإسباني والمستوطنين، ولا سيما في مجالات التعدين والزراعة والتجارة، والفصل في النزاعات المتعلقة بالضرائب وحقوق الاستغلال، وتنظيم ملكية الأراضي ومنح الامتيازات، واتسم النظام القضائي بتمييز قانوني واضح بين الإسبان والسكان الأصليين، إذ كانت فرص هؤلاء في الدفاع القانوني محدودة، مما جعل القضاء أداة للهيمنة أكثر منه وسيلة لتحقيق العدالة.(٧١)

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن المحاكم الاستعمارية في هندوراس لم تكن مؤسسات قضائية محايدة، بل شكّلت أداة سياسية وقانونية لضمان استمرارية السيطرة الإسبانية، وحماية المصالح الاقتصادية للتاج والمستوطنين، وإخضاع السكان الأصليين للنظام الاستعماري، في إطار حكم مركزي سلطوي قائم على الطاعة وتنفيذ أوامر التاج الإسباني، دون منح السكان الأصليين أي دور فعلي في إدارة شؤون الحكم.

ثالثا: النظام المالي والضريبي في العهد الاستعماري

شكل النظام المالي والضريبي أحد الركائز الأساسية للإدارة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس وأداة رئيسة للسيطرة الاقتصادية، إذ جرى تصميمه لخدمة خزينة التاج الإسباني وتمويل الجهاز الإداري والعسكري، مع تحميل السكان الأصليين العبء الأكبر من الالتزامات المالية، وتمثلت أهداف هذا النظام في تأمين موارد مالية ثابتة للتاج، وتمويل المؤسسات الاستعمارية، واستغلال الثروات الطبيعية، ولا سيما المعادن والزراعة، فضلا عن إخضاع السكان الأصليين اقتصاديا وربطهم بالبنية الاقتصادية الاستعمارية، ولهذا الغرض فرضت السلطات الإسبانية مجموعة متنوعة من الضرائب على السكان الأصليين والمستوطنين، بهدف تعزيز موارد التاج وضمان استمرارية الإدارة الاستعمارية وكان لهذه السياسات أثر بالغ في تعميق التفاوت الاقتصادي وترسيخ التبعية الاقتصادية داخل المجتمع الهندوراسي، اما اهم الضرائب فهي:(٧٢)

- الخُمس الملكي مقدارها ٢٠% من المعادن المستخرجة، خاصة الذهب والفضة ، كانت من أهم موارد الخزينة الملكية في المراحل الأولى للاستعمار.

- ضريبة الجزية فُرضت على السكان الأصليين تُدفع نقدًا أو عينًا على شكل محاصيل أو منتجات زراعية او عمل قسري ، استُخدمت كوسيلة لإجبار السكان الأصليين على الاندماج في الاقتصاد النقدي.
- العُشر الكنسي الذي فُرض لدعم الكنيسة الكاثوليكية خاضعة لإشراف التاج الإسباني ، وكان يُجمع بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية ومقدارها ١٠% من الإنتاج الزراعي والحيواني.
- ضرائب التجارة والرسوم الجمركية وهي رسوم على السلع المستوردة والمصدّرة، فرضت قيودا على التجارة وربطت هندوراس بالموانئ الإسبانية.
- ضريبة المبيعات تُفرض على بيع وشراء السلع ، أثرت سلبًا في النشاط التجاري المحلي.
- ضرائب التعدين والزراعة لا سيما على إنتاج الذهب والفضة والمنتجات الزراعية.

أما مؤسسات التحصيل والإدارة المالية في العهد الاستعماري الإسباني بهندوراس فتمثلت أساسا في الخزينة الملكية التي تولت إدارة الموارد المالية وجمع الضرائب وتحويلها إلى خزينة التاج الإسباني، إلى جانب المسؤولين الماليين الذين أشرفوا على عمليات الجباية والتدقيق والمراقبة، كما شاركت المجالس البلدية (الكابيلدو) في تحصيل بعض الرسوم المحلية ضمن إطار يخضع للسلطة الاستعمارية المركزية.(٧٣)

استُخدم النظام الضريبي وسيلة للضغط على السكان الأصليين، إذ أُجبر كثير منهم على العمل في المناجم والمزارع لتسديد الالتزامات المفروضة عليهم. وأدت الأعباء الضريبية الثقيلة إلى تفاقم الفقر، وحدوث موجات من الهجرة القسرية، فضلا عن التراجع الملحوظ في أعداد السكان، ولم يقابل ما دفعه السكان الأصليون من ضرائب أي مردود خدمي حقيقي، الأمر الذي جعل النظام الضريبي عبئا اقتصاديا واجتماعيا بالغ القسوة، كما أسهم هذا النظام في إعاقة نمو اقتصاد محلي مستقل، وتركيز الثروة في أيدي المستوطنين الإسبان، وتعزيز تبعية هندوراس الاقتصادية للمراكز الاستعمارية، ومع اشتداد القسوة الضريبية انتشرت ظاهرة التهرب من الجباية، ولا سيما في المناطق الريفية، ما أدى إلى اندلاع احتجاجات وتمردات محلية متفرقة، واجهتها السلطات الاستعمارية باستخدام القمع والقوة لضمان استمرار تحصيل الضرائب.(٧٤)

مما تقدم يتضح إن النظام المالي والضريبي في ظل الاستعمار الإسباني في هندوراس شكّل آلية استغلال اقتصادي ممنهجة هدفت إلى تحويل موارد البلاد لخدمة مصالح التاج الإسباني، وأسهم في إفقار السكان الأصليين وإضعاف البنية الاقتصادية المحلية، مخلفا آثارا بعيدة المدى استمرت حتى ما بعد مرحلة الاستقلال.

رابعا- آثار التنظيم الإداري الاستعماري على المجتمع الهندوراسي

أسهم التنظيم الإداري الذي فرضه الاستعمار الإسباني في إعادة بناء المجتمع الهندوراسي وفق أسس جديدة اتسمت بالتمييز الطبقي الواضح، إذ جرى تقسيم المجتمع إلى فئات اجتماعية متباينة، تصدّرها الإسبان المولودون في إسبانيا، يليهم الكريول وهم أبناء الإسبان المولودون في المستعمرات، ثم المستيزو من ذوي الأصول المختلطة، في حين وُضع السكان الأصليون في أدنى السلم الاجتماعي، و ترتب على هذا التقسيم إقصاء السكان الأصليين وتهميشهم، وحرمانهم من أي مشاركة فعلية في الحياة السياسية والاجتماعية، ولم يقتصر أثر هذا البناء الطبقي على الجانب الاجتماعي فحسب، بل امتد ليشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية، إذ تركزت السلطة والثروة في أيدي المستعمرين الإسبان الذين احتكروا المناصب الإدارية العليا، وعلى رأسها منصب الحاكم، في مقابل إخضاع السكان الأصليين لسياسات الاستغلال والتهميش، كما أدى فرض النظام الإداري والضريبي الإسباني إلى تفكيك البنى السياسية التقليدية، إذ ألغت الإدارة الاستعمارية أنظمة الحكم المحلية للسكان الأصليين أو أخضعتها لسيطرتها المباشرة، مما أضعف الروابط القبلية والتقليدية وأفقد الزعامات المحلية نفوذها،[٧٥] فضلا عن ربط المجتمع المحلي بالاقتصاد الاستعماري الأوسع في إطار أمريكا اللاتينية، كما أسهم انتشار أنظمة العمل القسري، ولا سيما نظام الإنكوميندا في تعميق معاناة السكان الأصليين، إذ أُجبروا على العمل في المناجم والمزارع في ظروف قاسية (كما اشرنا سلفا)، ما أدى إلى تدهور أوضاعهم الاجتماعية والصحية وارتفاع معدلات الوفيات بينهم.[٧٦]

رافق التنظيم الإداري الاستعماري فرض الثقافة واللغة الإسبانية، أذ لعبت الكنيسة دورا بارزا في نشر اللغة الإسبانية والعقيدة الكاثوليكية، الأمر الذي أسهم في تراجع اللغات

والمعتقدات المحلية، كما فرضت أنماط جديدة للحياة اليومية شملت أساليب السكن والعمل والتعليم، ما أحدث تغييرات عميقة في البنية الثقافية للمجتمع الهندوراسي.(٧٧)

من خلال ما تقدم يتضح أن التنظيم الإداري الاستعماري الإسباني في هندوراس شكل الأساس الذي استند إليه الحكم الإسباني، إذ مكنت المؤسسات الإدارية، ونظام الحكم المركزي، والسياسة الضريبية الصارمة إسبانيا من إحكام سيطرتها على البلاد لمدة طويلة، ويُظهر هذا التنظيم كيف تحول الاستعمار من مجرد احتلال عسكري إلى نظام حكم متكامل، خلف آثارا عميقة في التاريخ السياسي والإداري لهندوراس.

خامسا- مقاومة السكان الأصليين للإخضاع الإسباني

واجه الإسبان في هندوراس مقاومة قوية من الشعوب الأصلية، ولا سيما شعب اللينكا الذي عُد أكثر المجموعات تنظيما وانتشارا، ولم يتخذ السكان الأصليون موقفا سلبيا إزاء السياسات الاستعمارية الإسبانية، بل عبّروا عن رفضهم لها عبر أشكال متعددة من المقاومة، تنوعت بين العصيان، والامتناع عن اداء الالتزامات المفروضة عليهم ،الهروب من مواقع العمل القسري، وصولا إلى التمرد المسلح دفاعا عن مجتمعاتهم واراضيهم ونظمهم التقليدية،(٧٨) بلغت هذه المقاومة ذروتها في انتفاضة واسعة اندلعت عام ١٥٣٧ قادها زعيم اللينكا (ليمبيرا Lempira) الذي تمكن من الصمود أمام القوات الإسبانية مدة تقارب ستة أشهر، متحصنا في موقعه الدفاعي المعروف بصخرة سيركوين ،(٧٩) وتعد حركة ليمبيرا من أبرز نماذج المقاومة المنظمة ضد الغزو الإسباني، إذ سعى من خلالها إلى الدفاع عن استقلال المجتمعات المحلية، وتمكن من توحيد عدد من القبائل في مواجهة القوات الغازية، ورغم القوة التي أظهرتها هذه الانتفاضة فإنها انتهت بمقتل ليمبيرا، الأمر الذي شكل ضربة قاسية للمقاومة المحلية، كما أسهم التفوق العسكري الإسباني إلى جانب انتشار الأمراض الأوروبية في إضعاف قدرة السكان الأصليين على الاستمرار في المواجهة، ونتيجة لذلك تمكن القائد الإسباني مونتيجو، بمساندة ألونسو دي كاسيريس من فرض السيطرة الإسبانية على معظم أراضي هندوراس، وبحلول عام ١٥٣٩ كانت المرحلة الرئيسة من الغزو قد اكتملت، في حين خضعت غالبية المناطق الهندوراسية للنفوذ الإسباني مع منتصف القرن السادس عشر، وإلى جانب المقاومة المسلحة، برزت أنماط أخرى من المقاومة غير المباشرة

تمثلت في التمسك بالعادات والتقاليد المحلية سرا، ورفض الاندماج الكامل في البنية الاستعمارية، وهو ما يعكس عمق الرفض الشعبي للهيمنة الإسبانية حتى بعد إخضاع البلاد عسكريا. (٨٠)

سادسا- التنظيم الديني (الكنيسة الاستعمارية)

مثلت الكنيسة الكاثوليكية إحدى الركائز الأساسية للسياسة الاستعمارية الإسبانية في هندوراس، إذ ارتبط التوسع العسكري بمشروع ديني هدفه نشر المسيحية بين السكان الأصليين، وإحلال القيم الدينية الأوروبية محل المعتقدات المحلية السائدة، وأسس الإسبان الإرساليات الدينية، وأسندوا مهمة التنصير إلى الرهبان الذين اضطلعوا بدور مزدوج فمن جهة عملوا على تعليم السكان العقيدة المسيحية، ومن جهة أخرى أسهموا في ترسيخ الطاعة للنظام الاستعماري وتعزيز الخضوع لسلطته، كما ارتبطت عملية التنصير بفرض اللغة الإسبانية والعادات الأوروبية الأمر الذي ساهم في إضعاف الهوية الثقافية للسكان الأصليين على المدى البعيد.(٨١)

شهدت هندوراس خلال الحقبة الاستعمارية موجة واسعة من تحويل السكان إلى المسيحية، رافقها نشر مفاهيم ومؤسسات الحضارة الغربية، ومع استقرار الحكم الإسباني بدأ إنشاء مؤسسات تعليمية تعتمد المنهج الكاثوليكي، غير أن هذا التعليم ظل محدودا واقتصر في الغالب على المستعمرين الإسبان أو أبناء النخب المحلية المرتبطة بالإدارة الاستعمارية، وأدى هذا التوجه إلى تقليص فرص التعليم أمام السكان الأصليين، وبقاء شريحة واسعة من المجتمع في حالة من الأمية رغم الخطاب الرسمي الذي روج لنشر التعليم.(٨٢)

تولت الكنيسة الإشراف المباشر على المؤسسات التعليمية والدينية طوال مدة الاستعمار، فشهدت البلاد تأسيس عدد من الكنائس والمراكز الدينية البارزة، ففي عام ١٥٥٠ أُسست كنيسة لا ميرسيد في كوماياغوا، وتُعد من أقدم الكنائس الاستعمارية في هندوراس، ثم أُنشئت عام ١٥٦٠ كاتدرائية سيدة الرحمة في مدينة غراسياس التي كانت مقرا لمحكمة إسبانية، وأدت هذه الكاتدرائية دورا دينيا وإداريا مهما، وفي عام ١٦٣٥ تأسست كنيسة سانتا ماريا دي لوس دولوريس في إطار توسع النشاط الكنسي في المدن الاستعمارية.(٨٣)

وعلى الصعيد التعليمي أسس المبشرون جامعة سان كارلوس عام ١٦٧٦ التي شكلت المركز الجامعي الوحيد في أمريكا الوسطى آنذاك، وارتادها أبناء النخبة في هندوراس، وأسهمت في تخريج رجال دين وقضاة وإداريين خدموا الإدارة الاستعمارية، كما أُنشئت عام ١٦٧٨ الكلية التريدنتينية في كوماياغوا التي تخصصت في تدريس اللاهوت والفلسفة وإعداد الكوادر الدينية، وخلال القرن الثامن عشر سعت الكنيسة الكاثوليكية إلى إحكام سيطرتها على الحياة الفكرية والثقافية في العالم الجديد، إذ وظّفت الإدارة الاستعمارية الدين بوصفه أداة داعمة للحكم،[٨٤] وأسهمت الكنيسة في تعزيز شرعية السلطة الإسبانية من خلال نشر العقيدة المسيحية وترسيخ قيم الطاعة والاستقرار، ورغم ظهور أصوات فردية من رجال الدين انتقدت مظاهر الاستغلال والقسوة التي تعرض لها السكان الأصليون، فإن الكنيسة بوصفها مؤسسة ظلت حليفا أساسيا للإدارة الاستعمارية في تثبيت نفوذها وضمان استمرار سيطرتها.[٨٥]

المبحث الثالث: هندوراس في ظل سيطرة آل بوربون ونهاية الحكم الإسباني

مع انتقال العرش الإسباني إلى أسرة آل بوربون عام ١٧٠٠ دخلت المستعمرات الإسبانية مرحلة جديدة اتسمت بإطلاق سلسلة من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والعسكرية، عرفت باسم الإصلاحات البوربونية[٨٦] استهدفت هذه الإصلاحات تعزيز سلطة التاج الإسباني، وإعادة تنظيم مؤسسات الدولة، وإحكام السيطرة على المستعمرات في العالم الجديد، إلى جانب زيادة الموارد المالية المتدفقة من تلك الأقاليم، ولم تكن هندوراس بمنأى عن آثار هذه التحولات إذ تأثرت بشكل واضح بالسياسات الجديدة ضمن إطار الإدارة الاستعمارية في أمريكا الوسطى.[٨٧]

أولا: انتقال الحكم إلى آل بوربون وتأثيره في المستعمرات

انتهى حكم أسرة آل هابسبورغ في إسبانيا بوفاة الملك شارل الثاني عام ١٧٠٠ دون وريث مباشر، ما أدى إلى اعتلاء الملك فيليب الخامس المنتمي إلى أسرة آل بوربون عرش إسبانيا، غير أن هذا الانتقال لم يكن بسلاسة، إذ أعلن لويس الرابع عشر استمرار مطالبته بالعرش الإسباني، الأمر الذي أدى إلى اندلاع حرب الوراثة الإسبانية، والتي استمرت حتى عام ١٧١٤، وجرى خلال هذه الحرب توقيع عدد من الاتفاقيات الدولية، أبرزها معاهدة

أوترخت عام ١٧١٣ التي اعترفت بموجبها الدول المتحاربة بفيليب الخامس ملكا على إسبانيا ومستعمراتها فيما وراء البحار مقابل تخليه عن أي حقوق في التاج الفرنسي، هدفت المعاهدة لإعادة تنظيم التوازن السياسي في أوروبا، والحد من توسع نفوذ أسرة بوربون، وضمان مصالح القوى الأوروبية الكبرى، خصوصا بريطانيا وهولندا، تضمنت المعاهدة بنودا هامة بشأن الاعتراف بشرعية حكم بوربون في إسبانيا مع اشتراط عدم اتحاد فرنسا وإسبانيا في شخص واحد، فضلا عن نقل بعض المستعمرات الأوروبية والتجارية لبريطانيا، بما في ذلك حقوقها في تجارة العبيد مع المستعمرات الإسبانية في الأمريكتين، شكلت المعاهدة منعطفا أساسيا في تاريخ السياسة الأوروبية وأثرت بعمق على النظام الاستعماري الإسباني في أمريكا، أذ ساهمت في تعزيز النفوذ البريطاني التجاري وتقليص سيطرة إسبانيا في بعض مناطق الكاريبي وأمريكا الشمالية.(٨٨)

أثرت المعاهدة بشكل مباشر على التجارة والاستعمار، إذ فتحت المجال أمام النشاط البريطاني التجاري، وزادت ضغوط الإدارة الإسبانية على مستعمراتها لتعويض الفاقد المالي، كما ساعدت على ترسيخ سلطات فيليب الخامس في التنظيم الإداري والاستعماري، شكل هذا التحول نقطة مفصلية في السياسة الاستعمارية الإسبانية، إذ تبنّت أسرة آل بوربون نهجا مركزيا أكثر صرامة يقوم على تعزيز السلطة الملكية المباشرة في المستعمرات، وتقليص نفوذ النخب المحلية، وتشديد الرقابة على الإدارة والمالية العامة، وبما أن هندوراس كانت جزءا من الإدارة العامة لغواتيمالا، فقد تأثرت بهذه الإصلاحات في إطار التوجه العام لإعادة هيكلة الحكم الاستعماري في أمريكا الوسطى، خاصة في ظل مخاوف إسبانيا من ضعف السيطرة وتراجع الإيرادات وانتشار الفساد الإداري.(٨٩)

ثانيا: التنظيم الإداري في هندوراس خلال العهد البوربوني

لم تكن هندوراس كيانا سياسيا مستقلا في ظل الحكم الإسباني، بل كانت إقليما تابعا للإدارة الاستعمارية المركزية، ومع تطبيق الإصلاحات البوربونية جرى تعزيز الطابع المركزي للحكم من خلال تقليص صلاحيات المجالس المحلية المعروفة بـ(الكابيلدو)، وإخضاع السلطات الإقليمية لإشراف مباشر من ممثلي التاج الإسباني، كما أُدخل نظام الانتندنسيا (Intendencias)(٩٠) في أواخر القرن الثامن عشر وكان اول تطبيق فعلي لهذا النظام في

امريكا الوسطى لاسيما هندوراس عام ١٧٨٢ ، والذي منح الموظفين الملكيين سلطات واسعة في المجالات المالية والعسكرية والقضائية، الأمر الذي أدى إلى تراجع نفوذ النخب المحلية، ولا سيما فئة الإسبان المولودين في المستعمرات (الكريول)، وهدفت هذه الإجراءات إلى ضمان ولاء الأقاليم للتاج الإسباني، غير أنها أسهمت في تصاعد التوترات السياسية والاجتماعية داخل المجتمع المحلي.(٩١)

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية في ظل الإصلاحات البوربونية

شكل التعدين وبخاصة استخراج الفضة الركيزة الأساسية للاقتصاد الهندوراسي خلال هذه المدة، وعملت الإدارة الإسبانية على إعادة تنشيط المناجم المهملة، وفرض ضرائب مباشرة على إنتاج المعادن، فضلا عن تشديد الرقابة على عمليات الاستخراج والتصدير، كما شجعت زراعة المحاصيل النقدية التي تخدم السوق الاستعمارية وتحقق أرباحا سريعة، وهو ما أدى إلى تهميش الأنماط الزراعية التقليدية التي اعتمد عليها السكان الأصليون، وأسهم في تدهور أوضاعهم المعيشية، (٩٢) وفي الإطار ذاته طُبّق نظام تجاري احتكاري يخدم المصالح الإسبانية مع توسيع قاعدة الضرائب وتحسين آليات التحصيل بهدف زيادة موارد التاج، وشملت هذه السياسات مختلف فئات المجتمع، بما في ذلك السكان الأصليون والكريول، ما أدى إلى تصاعد الاستياء العام نتيجة ارتفاع الأعباء الضريبية واستحداث ضرائب جديدة، فضلا عن تشديد إجراءات الجباية للحد من التهرب وزيادة العائدات المالية.(٩٣)

اتبعت الإدارة البوربونية سياسة مزدوجة تجاه السكان الأصليين، إذ وفرت لهم حماية قانونية شكلية من الاستعباد المباشر، في الوقت الذي استمرت فيه أشكال الاستغلال الاقتصادي، من خلال فرض العمل القسري في المناجم، وإلزامهم بأداء الضرائب المرتفعة، وتجنديهم في الأشغال العامة، أدت هذه السياسات إلى تفاقم الأوضاع الاجتماعية والمعيشية، وظهور احتجاجات ومظاهر مقاومة محلية، وإن كانت محدودة من حيث التنظيم والتأثير.(٩٤)

أسهمت سيطرة آل بوربون في تعميق الفوارق الطبقية داخل المجتمع الهندوراسي، إذ تركزت السلطة والثروة في أيدي ممثلي التاج الإسباني، بينما تعرضت النخب المحلية للتهميش السياسي والاقتصادي، ومع مرور الوقت بدأ الكريول بتبني أفكار معارضة للحكم

الإسباني، متأثرة بمبادئ عصر التنوير الأوروبي، وانتشرت حالة من السخط الاجتماعي نتيجة الضرائب المرتفعة والعمل القسري والتمييز الطبقي، ولعب هذا التراكم من التوترات الاجتماعية والفكرية دورا مهما في تهيئة المناخ السياسي والفكري لحركات الاستقلال في مطلع القرن التاسع عشر، وأسهم في نشوء وعي قومي متزايد، شكل أحد العوامل الرئيسة التي مهدت لنهاية السيطرة الإسبانية على هندوراس.(٩٥)

رابعا : إعلان الاستقلال ونهاية الحكم الإسباني في هندوراس

دخلت الإمبراطورية الإسبانية مع مطلع القرن التاسع عشر مرحلة من الضعف السياسي والعسكري نتيجة الأزمات الداخلية والحروب الأوروبية المتعاقبة، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على أوضاع مستعمراتها في العالم الجديد ومنها هندوراس، فقد أدت الحروب النابليونية واحتلال إسبانيا عام ١٨٠٨ إلى إضعاف سلطة التاج الإسباني، وتراجع قدرته على فرض سيطرته الإدارية والعسكرية على الأقاليم التابعة له، ما أسهم في خلق حالة من الاضطراب السياسي داخل المستعمرات،(٩٦) وفي هذا السياق شهدت هندوراس تراجعا ملحوظا في فاعلية الإدارة الاستعمارية، بالتزامن مع تصاعد الوعي السياسي بين النخب المحلية، ولا سيما فئة الكريول، كما دفعت الأزمات المالية التي عانت منها إسبانيا إلى زيادة الأعباء الضريبية المفروضة على المستعمرات، في محاولة لتعويض الخسائر الاقتصادية، الأمر الذي فاقم حالة السخط الشعبي، وأسهم في تنامي النزعات المطالِبة بالتحرر من الهيمنة الإسبانية.(٩٧)

تأثرت هندوراس كذلك بحركات الاستقلال التي اندلعت في مناطق مختلفة من أمريكا اللاتينية، ولا سيما في المكسيك وأمريكا الجنوبية، أذ شكل نجاح تلك الحركات مصدر إلهام للنخب السياسية والفكرية في أقاليم أمريكا الوسطى، وانتقلت الأفكار الاستقلالية عبر قنوات متعددة شملت رجال الدين والتجار والطلاب، ما ساعد على ترسيخ الوعي السياسي تدريجيا، كما أسهم انتشار أفكار عصر التنوير، والثورة الفرنسية، والاستقلال الأمريكي في تعزيز مفاهيم الحرية والمساواة وحق الشعوب في تقرير مصيرها.(٩٨)

وفي ظل هذه التحولات شهدت هندوراس خلال العقود الأخيرة من الحكم الإسباني أوضاعا اقتصادية واجتماعية متأزمة، أذ اعتمد الاقتصاد الاستعماري بدرجة كبيرة على

استغلال الموارد الطبيعية، ولا سيما التعدين والزراعة، غير أن إنتاج المناجم بدأ يتراجع منذ أواخر القرن الثامن عشر، ما أدى إلى انخفاض الإيرادات المالية للتاج الإسباني، وفي الوقت نفسه فرضت السلطات الاستعمارية ضرائب مرتفعة على الإنتاج الزراعي والتجارة المحلية الأمر الذي أثقل كاهل السكان الأصليين والفلاحين، وعمق مظاهر الفقر وعدم المساواة الاجتماعية،[٩٩] ومع ضعف الإدارة الاستعمارية وعجزها عن معالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة تصاعدت رغبة النخب المحلية في إدارة شؤون البلاد بصورة مستقلة بعيدا عن القرارات المركزية الصادرة من إسبانيا، وفي ظل التأثير المتزايد للحركات الاستقلالية في أمريكا اللاتينية أعلنت هندوراس إلى جانب بقية أقاليم أمريكا الوسطى استقلالها عن التاج الإسباني في ١٥ أيلول ١٨٢١ وذلك دون اندلاع حرب واسعة النطاق داخل البلاد، إذ تم الاستقلال في إطار إعلان جماعي صدر في مدينة غواتيمالا.[١٠٠]

تميز استقلال هندوراس بطابعه السلمي نسبيا فلم تشهد البلاد مواجهات عسكرية كبرى، بل جاء نتيجة توافق سياسي بين النخب المحلية والإدارة الاستعمارية التي كانت تعاني من الضعف والتراجع. ويُعزى هذا الطابع السلمي إلى محدودية الوجود العسكري الإسباني، فضلًا عن حرص النخب المحلية على تجنب الفوضى وعدم الاستقرار.[١٠١]

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن مدة سيطرة آل بوربون على هندوراس شكلت مرحلة حاسمة في تاريخها الاستعماري، إذ اتسمت بتشديد القبضة الإدارية، وزيادة الاستغلال الاقتصادي، ومحاولات تحديث مؤسسات الحكم الاستعماري. ورغم أن هذه الإصلاحات أسهمت مؤقتا في تعزيز موارد الدولة الإسبانية، فإنها أدت في الوقت نفسه إلى تعميق التوترات الاجتماعية والسياسية، ما عجل بانهيار السيطرة الإسبانية ومهّد الطريق لقيام حركات الاستقلال، وبالتالي إنهاء الحكم الاستعماري الإسباني في هندوراس.

الخاتمة :

يعد الاستعمار الإسباني مرحلة مفصلية في التاريخ الهندوراسي، إذ ترك آثارا عميقة في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد، فقد أسهم في إعادة تشكيل التركيبة السكانية، وتنظيم الاقتصاد بما يخدم مصالح التاج الإسباني، وربط هندوراس بالمنظومة الاستعمارية العالمية، كما أدخل أنماطًا إدارية وثقافية جديدة، وأرسى نظام حكم مركزي احتكر فيه

الإسبان السلطة، وسيطروا من خلاله على مختلف مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولم يكن إخضاع هندوراس عملية سريعة أو سهلة، بل جاء نتيجة سلسلة من الحملات العسكرية والمواجهات العنيفة مع السكان الأصليين، رافقها قمع ومقاومة متبادلة، ومهد هذا الإخضاع لقيام إدارة استعمارية إسبانية منظمة شكلت الأساس الذي استند إليه الحكم الإسباني طوال الحقبة الاستعمارية، وأسهمت في إحلال المؤسسات الاستعمارية محل النظم المحلية التقليدية.

تعرض السكان الأصليون خلال الحقبة الاستعمارية لأشكال متعددة من الاستغلال شملت العمل القسري، ونهب الموارد الطبيعية، والتهميش الاجتماعي، فضلًا عن تآكل جانب كبير من هويتهم الثقافية، كما أدّى تركّز السلطة بيد الإدارة الاستعمارية إلى إعاقة تطور اقتصاد محلي مستقل يخدم مصالح المجتمع الهندوراسي، ومع ذلك لم تخل هذه المرحلة من مظاهر المقاومة والرفض التي عبّرت عن سعي السكان للحفاظ على كرامتهم وحقوقهم، وأسهمت في بلورة الوعي الوطني وتهيئة الأرضية الفكرية لحركات الاستقلال.

ومع انتقال الحكم إلى أسرة آل بوربون لم تشهد هندوراس تراجعا في السيطرة الاستعمارية، بل دخلت مرحلة إصلاحية اتسمت بمزيد من المركزية والتشديد الإداري والاقتصادي، ورغم أن هذه السياسات أسهمت مؤقتا في تعزيز موارد الدولة الإسبانية، فإنها في المقابل أدّت إلى تعميق الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وزيادة التفاوت الطبقي، ما عجّل بانهيار النظام الاستعماري ومهّد الطريق أمام بروز المطالب الاستقلالية، وبذلك يمكن اعتبار العهد البوربوني مرحلة انتقالية حاسمة في تاريخ هندوراس الحديث.

تمثّل نهاية الحكم الاستعماري الإسباني واستقلال هندوراس عام ١٨٢١ محطة تاريخية فاصلة أنهت قرونا من الهيمنة الأجنبية، وفتحت المجال أمام مرحلة جديدة من التاريخ الوطني، غير أن هذا الاستقلال لم يكن نهاية للتحديات بل بداية لمسار معقد تمثّل في بناء الدولة الحديثة، وتحقيق الاستقرار السياسي، ومعالجة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية المتوارثة، وتظهر دراسة هذه المرحلة أن تجربة هندوراس الاستقلالية ارتبطت ارتباطا وثيقا

بالسياق الإقليمي لأمريكا الوسطى، وأن الإرث الاستعماري ظل عاملا مؤثرا في مسارها السياسي والاجتماعي لسنوات طويلة لاحقة.

الهوامش :

(1) Bruhns Karen ,Ancient South America, University press, Cambridge, 1994, p.375.
(2) Arthur helps, the Spanish Conquest in America and its relation to the history of slavery and to the government of colonies, vol. i., new york, p. 421.
(3) Kenneth Hirth And others, Ritual and Economy in a Pre-Columbian Chiefdom: The El Cajón Region of Honduras, University Press of Colorado,p29-30.
(4) James Lockhart and Stuart B. Schwartz ,Early Latin America A History of Colonial Spanish America and Brazil, Latin American Studies, Cambridge, 1984,p.60.
(5) Bruhns Karen, OP.Cit, p.378.
(6) Frederick Lange, Paths to Central American Prehistory, University Press of Colorado, 1996,p.272 ; Matthew, L. y Oudjik, M. Conquistadors Chouchiak, Forgotten allies: The origins and roles of native mesoamerican auxiliaries and indios conquistadores in the conquest of Yucatan, 1526-1550, University of Oklahoma press, Oklahoma, 2007, pp.179.
(7) Mark A. Burkholder Lyman L. Johnson, Colonial Latin America ,8th Edition, Oxford University Press, 2012,p.78-79.
(8) Kenneth Hirth And others, OP.Cit, pp.59-60.
(9) Charles C. Mann New Revelations of the Americas Before Columbus , Vintage , 2006,pp421-422.
(10) Stephan Palmié, and Francisco A. Scarano ,The Caribbean A History of the Region and Its Peoples, University of Chicago,2011,pp.91-92.
(11)Frederick Lange, OP.Cit, p.182.
(12) David Carrasco ,Religions of Mesoamerica: Cosmovision and Ceremonial Centers (Religious Traditions of the World), HarperSan Francisco, 1990,pp.67-68
(13) John Eric Sidney Thompson ,Maya History and Religion ,Volume 99,The Civilization of the American Indian Series, University of Oklahoma Press,1990,p321.
(14) Miguel Leon-Portilla , Native Meso-American Spirituality (Classics of Western Spirituality) , Paulist Press,1980,p.257.

(١٥) حروب الاسترداد: هي سلسلة من الصراعات العسكرية والسياسية والدينية التي دارت في شبه الجزيرة الإيبيرية بين القوى المسيحية في الشمال والكيانات الإسلامية في الأندلس، وامتدت على نحو متقطع من أوائل القرن الثامن الميلادي حتى أواخر القرن الخامس عشر، هدفت هذه الحروب إلى توسيع رقعة النفوذ المسيحي واستعادة الأراضي التي خضعت للحكم الإسلامي منذ الفتح، و ارتبطت بتكوّن الممالك المسيحية وتبلور هوياتها السياسية، إلى جانب تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والدينية للمنطقة. وانتهت هذه الحروب بسقوط مملكة غرناطة عام ١٤٩٢، وهو الحدث الذي مثّل اكتمال السيطرة المسيحية على شبه الجزيرة الإيبيرية وبداية مرحلة تاريخية جديدة في إسبانيا. للمزيد من التفاصيل ينظر :

David Nicolle ,El Cid and the Reconquista 1050-1492, Osprey Publishing, Oxford ,1988.

(16) María de los Angeles Chaverri, La formación histórica de Honduras: factores que inciden en la constitución de la territorialidad de Honduras durante la época colonia, centro de Estudios Históricos y Sociales para el Desarrollo, 1992,p.21

(17) J. H. Parry,The Age of Reconnaissance: Discovery, Exploration, and Settlement, 1450-1650 First Edition, University of California Press,1982,p.49.

(١٨) عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠ ، ص ص ٢٧٤-٢٧٥.

(١٩) محمد خميس الزروكة، جغرافية العالم الجديد، دار المعرفة الجامعية، بيروت،٢٠٠٠، ص ص ٣٦-٣٧؛ Washington Irving, The life and voyages of Christopher Columbus, CreateSpace Independent Publishing Platform,2016,p.396.

(20) Ibid, p.398.

(٢١) خوان دي غريخالفا : ولد عام ١٤٨٩م في كويار في قشتالة بإسبانيا، أحد المستكشفين الإسبان البارزين في بدايات القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بالمرحلة التمهيدية للتوسع الإسباني على سواحل خليج المكسيك وأمريكا ،برز بوصفه قائد بحري شارك في الرحلات الاستكشافية الأولى التي هدفت إلى التعرف على السواحل والموارد وإقامة اتصالات أولية مع المجتمعات المحلية، قاد عام ١٥١٨ حملة استكشافية مهمة انطلقت من كوبا، تمكن خلالها من استكشاف أجزاء واسعة من سواحل خليج المكسيك، بما في ذلك مناطق يوكاتان وفيراكروز، وأسهمت رحلته في تزويد

الإدارة الإسبانية بمعلومات جغرافية واقتصادية دقيقة مهدت لاحقًا لحملة هرنان كورتيس، تميّز دور خوان دي غريخالفا بطابعه الاستطلاعي أكثر من كونه احتلالي مباشر، إذ ركز على رسم السواحل، وتحديد المرافئ، وجمع المعطيات عن التنظيمات السياسية والاقتصادية للسكان الأصليين، وبذلك يعد من الشخصيات التي أسهمت في تشكيل المعرفة الإسبانية المبكرة بالعالم الجديد، ضمن سياق السياسات الاستكشافية للتاج الإسباني في مطلع العصر الحديث، توفي عام ١٥٢٧ في إقليم أولانتشو في هندوراس. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Henry Raup Wagner, The discovery of New Spain in 1518 by Juan de Grijalva, Smithsonian Libraries, Mexico.

(٢٢)ألونسو دي أفيلا: ولد عام ١٤٨٦ في مدينة سيوداد ريال باسبانيا ، يعد من القادة العسكريين والمستكشفين الإسبان الذين برزوا في مطلع القرن السادس عشر، وارتبط اسمه بالمرحلة الأولى من التوسع الإسباني في أمريكا الوسطى والمكسيك، ينتمي إلى جيل الـ كونكِستادوريس الذين شاركوا في الحملات الاستكشافية والعسكرية التي مهدت لترسيخ النفوذ الإسباني في العالم الجديد، شارك ألونسو دي أفيلا في الرحلات الاستكشافية إلى سواحل خليج المكسيك، وكان من بين القادة الذين أسهموا في جمع المعلومات الجغرافية والعسكرية عن المنطقة قبل الغزو الإسباني المنظم، كما ارتبط اسمه بحملة هرنان كورتيس، إذ أُوكلت إليه مهام قيادية وعسكرية مهمة من بينها الإشراف على تحركات القوات وحماية الموارد التي استولى عليها الإسبان خلال العمليات الأولى، تميز دوره بالجمع بين الوظيفة العسكرية والإدارية، أذ عكس نموذج القائد الإسباني الذي لم يقتصر نشاطه على القتال، بل شمل أيضا إدارة الغنائم وتنظيم شؤون القوة الإسبانية الناشئة، وبذلك يمثل ألونسو دي أفيلا إحدى الشخصيات التي أسهمت بصورة مباشرة في الانتقال من مرحلة الاستكشاف إلى مرحلة السيطرة العسكرية والإدارية في تاريخ الوجود الإسباني بأمريكا الوسطى، توفي عان ١٥٢٤ في نيفا غاليسيا شمال غرب المكسيك. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Bernal Díaz del Castillo ,Historia verdadera de la conquista de la Nueva España, Tomo I, Mexico.

(23) William H. Prescott, History of the Conquest of Mexico , Modern Library, 2001, pp189-190.

(24) Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, p.94.

(25) Robert Stoner Chamberlain, The conquest and colonization of Honduras 1502-1550, Octagon Books,1966,p.39.

(٢٦) غيل غونثالث دي أفيلا : ولد عام ١٤٧٠ في احدى مناطق قشتالة، هو أحد الغزاة الإسبان في مطلع القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بمرحلة التوسع الإسباني في أمريكا الوسطى، ولا سيما في أراضي نيكاراغوا وشمال غرب كوستاريكا وهندوراس، نشط خلال العقدين الثاني والثالث من القرن السادس عشر، وكان من أوائل القادة الذين أوفدتهم التاج الإسباني لاستكشاف هذه المناطق وبسط النفوذ الإسباني فيها، تميزت حملاته بطابع استكشافي وعسكري ، إذ سعى من لإخضاع السكان الأصليين وفرض السيادة الإسبانية من جهة، ومن جهة أخرى البحث عن الموارد، ولا سيما الذهب، فضلا عن نشر المسيحية وهو مظهر من مظاهر ترسيخ السيطرة الاستعمارية، أسهمت تحركاته في كشف الطبيعة الجغرافية والبشرية لأجزاء واسعة من أمريكا الوسطى، لكن رافقتها أيضاً مظاهر عنف واستغلال كان لها أثر بالغ في المجتمعات الأصلية،

وعلى الرغم من أن غيل غونثالث دي أفيلا لم ينجح في تأسيس حكم مستقر طويل الأمد، فإن نشاطه يمثل حلقة مهمة في تاريخ الغزو الإسباني، إذ مهد الطريق أمام حملات لاحقة أكثر تنظيماً، وأسهم في إدماج مناطق من أمريكا الوسطى ضمن المجال الاستعماري الإسباني خلال القرن السادس عشر . للمزيد من التفاصيل ينظر :

Ovidio García Regueiro ,Oro y descubrimiento: la expedición de Gil González Dávila, Cuadernos Hispanoamericanos, núm. 418 ,abril 1985, pp. 5-33.

(٢٧) فرنسيسكو دي مونتيجو : ولد عام ١٤٧٩ في مدينة سالامانكا بإسبانيا ، في بيئة اجتماعية أتاحت له الالتحاق المبكر بمشروعات التوسع الإسباني في العالم الجديد، هو أحد أبرز الغزاة الإسبان في النصف الأول من القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بعملية إخضاع شبه جزيرة يوكاتان ودمجها ضمن المجال الاستعماري الإسباني ، برز بوصفه قائداً عسكرياً وممثلاً للتاج الإسباني، إذ حصل على امتيازات رسمية خولته استكشاف يوكاتان وغزوها وتنظيم شؤونها الإدارية، قاد عدة حملات بين عشرينيات وأربعينيات القرن السادس عشر، واجه خلالها مقاومة شديدة من جماعات المايا، واتسمت سياسته بمزيج من القوة العسكرية ومحاولات التفاوض والتحالف مع بعض الزعامات المحلية، فضلا عن السعي إلى فرض النظام الاستعماري الإسباني من خلال إنشاء المستوطنات وتوزيع الامتيازات، وعلى الرغم من أن مونتيجو لم يحقق بنفسه السيطرة النهائية على يوكاتان، فإن جهوده مهّدت الطريق أمام استكمال الغزو على يد ابنه، المعروف بفرنسيسكو دي مونتيجو الابن ،أمّا وفاته فكانت عام ١٥٥٣م في المكسيك بعد مسيرة طويلة في الإدارة الاستعمارية والعمل العسكري. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Inga Clendinnen, Ambivalent Conquests: Maya and Spaniard in Yucatan, 1517-1570 , 2nd Edition, Cambridge University Press,2003.

(28) Aram and Rafael Obando Andrade , Violencia Esclavitud y Encomienda en la conquista de América 1513-1542, Historia Social, no.87,2017, pp.129-132.

(٢٩)هرنان كورتيس : ولد عام ١٤٨٥ في بلدة ميديين دي لاس طوريس في اسبانيا ضمن اسرة تنتمي لطبقة النبلاء الصغرى ،هو أحد أبرز قادة الغزو الإسباني في مطلع القرن السادس عشر، ارتبط اسمه بسقوط دولة الأزتك وضم أراضي وسط المكسيك إلى التاج الإسباني في حدث شكل نقطة تحول حاسمة في تاريخ العالم الجديد، ينتمي كورتيس إلى جيل الغزاة الذين جمعوا بين الطموح الشخصي والقدرة العسكرية والدهاء السياسي، في إطار التوسع الإمبراطوري الإسباني بعد اكتشاف القارة الأمريكية، برز كورتيس قائداً لحملة عسكرية انطلقت عام ١٥١٩ من كوبا باتجاه سواحل خليج المكسيك، وتمكن خلال مدة وجيزة من تأسيس تحالفات مع جماعات محلية معادية لحكم الأزتك، مستفيداً من التناقضات السياسية داخل المنطقة، وأسهمت هذه التحالفات إلى جانب التفوق العسكري النسبي والعوامل الوبائية في إضعاف مقاومة الأزتك، وصولاً إلى سقوط عاصمتهم تنوتشتيتلان عام ١٥٢١ وهو الحدث الذي مهد لقيام إسبانيا الجديدة، لم يقتصر دور هرنان كورتيس على الجانب العسكري فحسب، بل اضطلع أيضاً بوظائف إدارية وسياسية بوصفه ممثلاً للتاج الإسباني، إذ سعى إلى تنظيم السلطة الاستعمارية وتثبيت النفوذ الإسباني عبر إنشاء المدن وتوزيع الامتيازات وتنظيم العلاقات مع السكان الأصليين، ومع ذلك ظل مساره مثار جدل تاريخي واسع، نظراً لما ارتبط باسمه من عنف واستغلال وتدمير للبنى السياسية والاجتماعية الأصلية، مقابل دوره في إدخال المنطقة ضمن النظام العالمي الحديث، وفاته عام ١٥٤٧ في قرية كاستييخا دي لا كوستا قرب مدينة اشبيلية. ينظر:

Christian Duverger ,Memorias de Hernán Cortés , Grijalbo, Spain, 2023.

(30)William H. Prescott, OP.Cit, p.196.

(31)Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, p.64.

(٣٢) كريستوبال دي أوليد : ولد عام ١٤٨٨م في إسبانيا، ونشأ في بيئة عسكرية مكنته من الالتحاق بحملات الاستكشاف والفتح في العالم الجديد، فاصبح أحد القادة العسكريين الإسبان الذين برزوا في مرحلة الغزو الإسباني لأمريكا الوسطى والمكسيك في مطلع القرن السادس عشر، انضم إلى قوات هرنان كورتيس وشارك في عدد من العمليات العسكرية المهمة خلال غزو المكسيك، وأسهم بدور مهم في إخضاع مناطق متعددة بفضل خبرته القتالية وقدرته على قيادة الجنود، وحظي في البداية بثقة هرنان كورتيس الذي أوكل إليه مهام عسكرية وإدارية من بينها قيادة حملة نحو مناطق أمريكا الوسطى ولا سيما الأراضي الهندوراسية، غير أن طموحات كريستوبال دي أوليد

السياسية وولائه لحاكم كوبا دييغو فيلاسكيز دفعته إلى التمرد على سلطة هرنان كورتيس فأدى ذلك إلى صراع داخلي بين الإسبان أنفسهم، وانتهى بإلقاء القبض عليه ومحاكمته من قبل خصومه وأُعدم عام ١٥٢٤ في هندوراس. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Valle Rafael Heliodoro, Cristóbal de Olid conquistador de México y Honduras, Universidad Pedagógica Nacional Francisco Morazán, Tegucigalpa,2011.

(33)William H. Prescott, OP.Cit, p.198.

(34) Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, p.101.

(٣٥) دييغو فيلاسكيز : ولد عام ١٤٦٥ في مدينة كوييار في اسبانيا ،هو أحد أبرز القادة والإداريين الإسبان في مرحلة التوسع الاستعماري الإسباني في منطقة الكاريبي وبدايات غزو المكسيك خلال أوائل القرن السادس عشر، شارك فيلاسكيز في المراحل الأولى من الغزو الإسباني لجزر الكاريبي، ولا سيما في حملة كريستوفر كولومبوس الثانية (١٤٩٣م)، ثم برز دوره لاحقا في إخضاع جزيرة كوبا وتنظيمها إداريا، وفي عام ١٥١١م عين حاكما لكوبا، أذ أشرف على تأسيس عدد من المدن الإسبانية، ووضع أسس الإدارة الاستعمارية بما في ذلك تنظيم توزيع الأراضي ونظام العمل القسري للسكان الأصليين، ارتبط اسم دييغو فيلاسكيز ارتباطا وثيقا ببدايات غزو المكسيك، إذ كان الداعم الأول لحملة هرنان كورتيس، قبل أن تتدهور العلاقة بينهما بسبب الخلاف حول الصلاحيات والولاء للإدارة الإسبانية، أدى هذا الخلاف إلى صراع سياسي وقانوني بين الطرفين، عكس طبيعة التنافس الحاد بين قادة الغزو الإسباني في العالم الجديد، وأسهم في تشكيل مسار الأحداث التي انتهت بسقوط إمبراطورية الأزتك ، توفي في سانتياغو دي كوبا عام ١٥٢٤.للمزيد ينظر:

Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, pp.121-124.

(36)William H. Prescott, OP.Cit, p.200.

(٣٧) فرانسيسكو دي لاس كاساس: هو أحد القادة العسكريين الإسبان الذين ظهروا في مرحلة الغزو الإسباني للمكسيك وأمريكا الوسطى ، ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بهرنان كورتيس، إذ كان من الضباط الذين اعتمد عليهم في تنفيذ المهام العسكرية ذات الطابع السياسي، ولا سيما في المناطق التي شهدت اضطرابات أو تمردات داخلية بين الإسبان أنفسهم، برز دوره بشكل خاص عندما كُلّف بقيادة حملة إلى هندوراس لمواجهة تمرد كريستوبال دي أوليد، أذ أسهم في إلقاء القبض عليه وإنهاء محاولته الانفصال عن سلطة كورتيس، أدت الظروف فيما بعد إلى توتر علاقته بكورتيس نفسه، ودخوله في نزاعات قانونية وإدارية انتهت بعودته إلى إسبانيا. للمزيد ينظر:

Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, pp.147-149.

(38) Murdo J. MacLeod ,Spanish Central America: A Socioeconomic History, 1520-1720, University of texas press,2012,p.23.

(39) Ibid, p.24-25.

(٤٠) كارلوس الأول: ولد عام ١٥٠٠م في مدينة غنت في الأراضي المنخفضة (بلجيكا حاليا)، عرف أيضا باسم شارل الخامس بصفته إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة، هو أحد أبرز ملوك إسبانيا في القرن السادس عشر وأكثرهم تأثيرا في التاريخ الأوروبي والعالمي، تولى كارلوس الأول عرش إسبانيا عام ١٥١٦ بعد وفاة جده فرناندو الكاثوليكي، جامعا تحت سلطته ممالك قشتالة وأراغون وما يتبعها من ممتلكات واسعة في أوروبا والعالم الجديد، وفي عام ١٥١٩ انتخب إمبراطورا رومانيا مقدسا، وهو ما جعله يحكم رقعة جغرافية غير مسبوقة شملت إسبانيا، وأقاليم في إيطاليا، وألمانيا، والأراضي المنخفضة، إضافة إلى المستعمرات الإسبانية في القارة الأمريكية، شهد عهده توسعًا كبيرًا للنفوذ الإسباني في العالم الجديد، أذ جرت في ظله حملات الغزو والاستيطان في المكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية، وفي المقابل واجه تحديات داخلية وخارجية كبرى تمثلت في الثورات الداخلية في إسبانيا، والصراعات مع فرنسا، والمواجهة المستمرة مع الدولة العثمانية، إضافة إلى النزاعات الدينية التي رافقت الإصلاح البروتستانتي في أوروبا ، توفي في عام ١٥٥٨م في دير يوستي في إسبانيا. للمزيد ينظر:

Robert Stoner Chamberlain, OP.Cit, pp.45-47.

(٤١) دييغو لوبيز دي سالسيدو: ولد اواخر القرن الخامس عشر في اسبانيا، هو أحد الإداريين والقادة الإسبان في مرحلة التوسع الاستعماري الإسباني في أمريكا الوسطى خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وارتبط اسمه بتاريخ هندوراس في السنوات الأولى لفرض السيطرة الإسبانية عليها، منصب الحاكم الإسباني لهندوراس في سياق إداري اتسم بالصراعات بين القادة الإسبان أنفسهم وبضعف الاستقرار السياسي والعسكري في الإقليم، واجه خلال ولايته تحديات متعددة من أبرزها النزاعات مع قادة إسبان آخرين على النفوذ والسلطة، فضلًا عن المقاومة المحلية من السكان الأصليين وصعوبة فرض النظام الاستعماري في منطقة حديثة العهد بالسيطرة الإسبانية، وتشير المصادر إلى أن حكمه اتسم بقدر من القسوة وسوء الإدارة، وهو ما أسهم في تأجيج الاضطرابات داخل الإقليم، وانتهى بعزله ومحاكمته من قبل السلطات الاستعمارية الإسبانية، توفي في عام ١٥٣٠ تقريبا، ويرجح أن وفاته كانت في هندوراس أو في الأراضي التابعة للإدارة الإسبانية في المنطقة. ينظر: Murdo J. MacLeod, OP.Cit, pp.24-26.

(٤٢) بيدرارياس دافيلا : ولد عام ١٤٤٠ في مملكة قشتاله بإسبانيا عرف أيضاً باسم بيدرارياس القاسي، أحد أبرز القادة العسكريين والإداريين الإسبان خلال مرحلة التوسع الاستعماري في أمريكا الوسطى ، تولى منصب حاكم قشتالة عام ١٥١٤م، وهي المنطقة التي شملت أجزاءً واسعة من بنما وأمريكا الوسطى، أذ كلف بإحكام السيطرة الإسبانية وتنظيم الإدارة الاستعمارية، واتسمت سياسته بالحزم الشديد واستخدام العنف المفرط تجاه السكان الأصليين، ما جعله موضع انتقاد حتى من بعض معاصريه من الإسبان، كما لعب دوراً مهماً في الصراعات الداخلية بين القادة الإسبان، ولا سيما خصومته مع المستكشف فاسكو نونييث دي بالبوا، التي انتهت بإعدام الأخير عام ١٥١٩، أسهم بيدرارياس دافيلا في تأسيس عدد من المستوطنات الإسبانية وتعزيز النفوذ الملكي في أمريكا الوسطى، وكان له تأثير مباشر في مسار الغزو الإسباني في نيكاراغوا وبنما، توفي عام ١٥٣١ في مدينة ليون في نيكاراغوا. ينظر:

Marco A. Cardenal- Telleria and Luis E. Varela-Cardena , Pedrarias Davila: Biografia de un Hombre de Accion y su Tiempo, Tomo I, CreateSpace Independent Publishing Platform,2013.

(43) Murdo J. MacLeod , OP.Cit, p.26.

(٤٤) بيدرو دي ألفارادو : ولد عام ١٤٨٥م في مدينة باداخوث أو في منطقة إكستريمادورا جنوب غرب إسبانيا، أحد أبرز القادة العسكريين الإسبان خلال مرحلة الغزو والاستعمار في أمريكا الوسطى ،شارك ألفارادو في بعثات الاستكشاف الإسبانية إلى جزر الكاريبي، ثم انضم إلى حملة هيرنان كورتيس لغزو المكسيك (١٥١٩-١٥٢١)، أذ لعب دورا عسكريا بارزا في العمليات العسكرية ضد إمبراطورية الأزتيك، قاد حملات توسعية إلى مناطق غواتيمالا والسلفادور وهندوراس، وأسهم في إخضاع شعوب المايا وتأسيس الحكم الاستعماري الإسباني في تلك المناطق، كما شغل منصب حاكم غواتيمالا (غواتيمالا الجديدة) وكان أحد أهم ممثلي السلطة الملكية الإسبانية في أمريكا الوسطى ، توفي عام ١٥٤١م في مدينة غوادالاخارا في المكسيك نتيجة إصابة تعرض لها أثناء حملة عسكرية. ينظر:

Adrián Recinos, Pedro de Alvarado: conquistador de México y Guatemala, ondo de Cultura Económica, 1952.

(٤٥) سيكومبا : ولد في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ضمن الأسرة الحاكمة للكيتشيه في مدينة قوماركاه (أوتاتلان)، عاصمة المملكة آنذاك، أحد أبرز القادة السياسيين والعسكريين لدى شعب الكيتشيه (K'iche' Maya) في مرتفعات غواتيمالا خلال مطلع القرن السادس عشر، تولّى سيكومبا قيادة الكيتشيه في المرحلة الأخيرة التي سبقت الغزو الإسباني، وقاد

المقاومة المحلية ضد الحملات العسكرية التي قادها الإسبان بزعامة بيدرو دي ألفارادو عام ١٥٢٤ ، تمثل شخصية سيكومبا نموذجاً لزعماء المايا الذين حاولوا الدفاع عن الكيان السياسي والثقافي لمجتمعاتهم في مواجهة التفوق العسكري الإسباني، قتل عام ١٥٢٤م أثناء المواجهات العسكرية مع القوات الإسبانية بعد مدة قصيرة من دخولها أراضي غواتيمالا. ينظر:

Bernal Díaz del Castillo, OP.Cit, pp.201-203.

(46) William H. Prescott, OP.Cit, p.201.

(47) Ibid, p.203.

(٤٨) نظام الانكوميندا : أحد النظم الاقتصادية والاجتماعية التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية في مستعمراتها في العالم الجديد منذ أوائل القرن السادس عشر، قام هذا النظام على منح التاج الإسباني بعض الغزاة أو المستوطنين الإسبان، المعروفين باسم الإنكومنديروس (Encomenderos) حق الإشراف على جماعات من السكان الأصليين المقيمين في منطقة معينة مقابل التزام شكلي بحمايتهم وتعليمهم العقيدة المسيحية وضمان ولائهم للسلطة الملكية، تحول نظام الإنكوميندا إلى وسيلة لتنظيم العمل القسري واستغلال الموارد البشرية والاقتصادية للسكان الأصليين، إذ فُرض عليهم تقديم العمل أو الجزية العينية لصالح الإنكومنديروس، وعلى الرغم من أن النظام لم يمنح ملكية مباشرة للأرض أو للأشخاص، فإن تطبيقه الفعلي أدى إلى أوضاع قريبة من العبودية، وأسهم في تدهور الأوضاع الاجتماعية والديموغرافية للشعوب الأصلية نتيجة الإرهاق وسوء المعاملة وانتشار الأوبئة، ارتبط نظام الإنكوميندا ببدايات التوسع الاستعماري الإسباني، ولا سيما في مناطق الكاريبي والمكسيك وأمريكا الوسطى ، وأثار جدلاً واسعاً داخل إسبانيا نفسها، ما دفع بعض رجال الدين والمفكرين مثل بارتولومي دي لاس كاساس إلى انتقاده والمطالبة بإصلاحه، أدت هذه الانتقادات إلى صدور القوانين الجديدة لعام ١٥٤٢ التي سعت إلى الحد من تجاوزات الإنكومنديروس وتقليص النظام تدريجياً، من دون القضاء عليه نهائياً في جميع المستعمرات.ينظر:

Silvio Arturo Zavala, Encomienda indiana, la,Porrua,1992.

(49)Rina Cáceres Gómez,Rutas de la esclavitud en África y América Latina, Universidad de Costa Rica,2001,p.321.

(50) Aram y Obando, OP.Cit, p.138.

(51) Ibid, p.139.

(52) William H. Prescott, OP.Cit, p.203.

.

(٥٣) المستيزو: هم مجموعة عرقية ناتجة عن تزاوج الأوروبيين ولاسيما الأسبان بالسكان الأصليين من الهنود لقارة أمريكا الجنوبية ونتج عنهم هذا الجنس ما يسمى بالمستيزو. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Robinson H. ,Latin America, London,1965,p.17.

(54) Silvio Arturo Zavala, OP.Cit, p.11-12.

(55) Murdo J. MacLeod , OP.Cit, p.34.

(56) William H. Prescott, OP.Cit, p.203.

(57) Linda Newson ,The Cost Of ConquestIndian Decline In Honduras Under Spanish Rule, Routledge, 2022,p.74.

(58) Aram y Obando, OP.Cit,p142

(59) Linda Newson , OP.Cit, p.79.

(60) Robert Stoner Chamberlain,OP.Cit,pp.53-54.

(61) Ibid, p.57.

(62) Aram y Obando, OP.Cit, p.145.

(63)Lesley Byrd Simpson, The Encomienda in New Spain The Beginning of Spanish Mexico, University of California Press,2021,pp.171-172.

(64) Linda Newson , OP.Cit, p.87.

(65) P. J. Bakewell ,Silver Mining and Society in Colonial Mexico Zacatecas 1546-1700 , Cambridge University Press,2010,pp.81-84.

(66) Lesley Byrd Simpson, OP.Cit, p.176.

(67) Ibid, p.178.

(٦٨) الريبارتيمينتو : نظام عملٍ إلزامي اعتمدته الإدارة الاستعمارية الإسبانية في أمريكا الوسطى بوصفه آلية لتنظيم وتسخير القوى العاملة من السكان الأصليين لخدمة المصالح الاقتصادية للتاج الإسباني، نشأ هذا النظام في سياق التحولات التي أعقبت تراجع نظام الإنكوميندا، إذ سعت السلطة الاستعمارية إلى إعادة ضبط علاقة المستوطنين الإسبان بالمجتمعات الأصلية ضمن إطارٍ أكثر خضوعاً للإشراف المباشر من قبل ممثلي التاج،

يقوم الريبارتيمينتو على إلزام القرى أو الوحدات المجتمعية الأصلية بتقديم عددٍ محدد من الرجال للعمل لمدة زمنية مؤقتة في المناجم أو المزارع أو مشروعات البنية التحتية، وكان توزيع العمال يتم وفق حصص تحددها السلطة الإدارية المحلية، كالحاكم أو القاضي الملكي، مع النصّ نظرياً على دفع

أجرٍ مقابل العمل، غير أن الطابع الإلزامي للنظام، فضلا عن ظروف العمل القاسية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

William L. Sherman, Forced Native Labor in Sixteenth-Century Central America , 2009, University of Nebraska Press,2009.

(٦٩) محكمة الأودينثيا الملكية: هي أعلى هيئة قضائية أنشأها التاج الإسباني في أقاليمه داخل شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم نقلها إلى مستعمراته في العالم الجديد بوصفها ممثلا مباشرا للسلطة الملكية، اضطلعت هذه المحكمة بوظائف قضائية وإدارية معا، مما جعلها ركنا أساسيا في البناء المؤسسي للدولة الاستعمارية، أُنشئت الأودينثيا الملكية في غواتيمالا في القرن السادس عشر، وكانت ذات اختصاص يشمل أقاليم المنطقة ومنها هندوراس، مما جعلها المرجع القضائي الأعلى للمدن والمقاطعات الهندوراسية خلال الحقبة الاستعمارية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Mark A. Burkholder and D. S. Chandler , From Impotence to Authority: The Spanish Crown and the American Audiencias 1687-1808, University of Missouri Press, Columbia ,1977.

(70)Murdo J. MacLeod, OP.Cit, p.39.

(71)Aram y Obando, OP.Cit, p.149.

(72) Murdo J. MacLeod, OP.Cit, pp.46-47.

(73) P. J. Bakewell , OP.Cit, p.89.

(74) Linda Newson , OP.Cit, p.92.

(75)Jay Kinsbrunerthe, Colonial Spanish-American City: Urban Life in the Age of Atlantic Capitalism , University of Texas Press, Austin,2005,p65.

(76)Murdo J. MacLeod, OP.Cit, pp.53.

(77) Ibid, p.59.

(78) Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, Overlooked Places and Peoples Indigenous and African Resistance in Colonial Spanish America 1500-1800, Routledge, New York, 2024,pp.106-107.

(٧٩) صخرة سيركوين: هي موقع جبلي حصين يقع غرب هندوراس ويعد من ابرز المواقع المرتبطة بمقاومة شعب اللينكا ضد التوسع الاسباني ، اكتسبت هذه الصخرة اهميتها التاريخية من كونها احد المعاقل التي تحصن بها الزعيم لمبيرا واتاحت الطبيعة الجبلية الوعرة امكانية تنظيم الدفاع والمواجهة، أذ شكلت تضاريسه عاملا استراتيجيا في مواجهة التفوق العسكري الاسباني، لكن هذه

المقاومة انتهت بمقتل لمبيرا وهو الحدث الذي مثل نقطة تحول في اخضاع المنطقة الغربية من هندوراس للسيطرة الاسبانية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Matthew Restall ,Seven Myths of the Spanish Conquest 1st Edition, Oxford University Press,2004,pp.189-192.

(80) Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, OP.Cit, pp.109-110.

(81) John Lynch ,New Worlds: A Religious History of Latin America , Yale University Press, New Haven, 2012,pp.228-230.

(82)Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, OP.Cit, p.118.

(83)Joel M. Cruz ,The Histories of the Latin American Church: A Handbook , Fortress Press, 2014,pp.335-336.

(84) Ibid, p.337.

(85)John Lynch , OP.Cit, p.237

(٨٦) تطلق تسمية الاصلاحات البوربونية على مجموعة الاجراءات الادارية والاقتصادية والعسكرية والكنسية التي طبقتها اسرة ال بوربون الحاكمة في اسبانيا خلال القرن الثامن عشر لمعرفة تفاصيل الاصلاحات البوربونية ينظر :

John Lynch, Bourbon Spain 1700-1808, Blackwell, Oxford,1989.

(87) Adrian J. Pearce , The Origins of Bourbon Reform in Spanish South America, 1700-1763, Palgrave Macmillan, U.S.A, 2014,pp.17-18.

(88) Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, The Spanish Atlantic World in the Eighteenth Century: War and the Bourbon Reforms, 1713-1796 , Cambridge University Press, Cambridge, 2014.

(89) Adrian J. Pearce , OP.Cit, p.20.

(٩٠) نظام الانتندنسيا :هو جزء من الإصلاحات البوربونية التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية في امريكا الوسطى بضمنها هندوراس لتقوية سلطة الملك وتحسين كفاءة الإدارة والضرائب في المستعمرات، شكّل الانتنديت الذي يعين مباشرة من الملك السلطة المركزية في المقاطعة وكان مسؤولا عن تطبيق القوانين الملكية، تنظيم الموارد الاقتصادية، مراقبة المحاكم، وجباية الضرائب، سعى النظام إلى الحد من نفوذ النخب المحلية وتعزيز الرقابة المباشرة على شؤون الحكم، لكنه واجه تحديات تتعلق بالمقاومة المحلية، يعكس نظام الانتندنسيا في هندوراس جهود الإدارة الإسبانية لتحقيق مركزية الحكم والكفاءة المالية في المستعمرات. ينظر:

John Lynch, Spanish Colonial Administration 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , Praeger Publishers Inc, 1969.

(91) Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, OP.Cit, p.96.

(92)Adrian J. Pearce , OP.Cit, pp.33-34.

(93)Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, OP.Cit, p.101.

(94) Ibid, p.103.

(95) John Lynch, Spanish Colonial Administration, 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , OP.Cit, pp.112-113.

(96)John Chasteen, Americanos: Latin America's Struggle for Independence (Pivotal Moments in World History), Oxford University Press,2008, p.67.

(97) John Lynch, Spanish Colonial Administration, 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , OP.Cit, p.117.

(98) Ibid, p.119.

(99)Rina Cáceres Gómez, OP.Cit,,p.334

(100) Ibid,p.337.

(101)Jaime E. Rodríguez O, The Hispanic Revolution: Spain and America, 1808-1826 , Read History ، 2009, p.15.

المصادر:

١) الكتب العربية

- عيسى علي ابراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠.

- محمد خميس الزروكة، جغرافية العالم الجديد، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ٢٠٠٠.

٢) الكتب الاجنبية

-Adrian J. Pearce , The Origins of Bourbon Reform in Spanish South America, 1700–1763, Palgrave Macmillan, U.S.A, 2014.

- Allan J. Kuethe and Kenneth J. Andrien, The Spanish Atlantic World in the Eighteenth Century: War and the Bourbon Reforms 1713–1796, Cambridge University Press, Cambridge, 2014.
- Arthur helps, the Spanish Conquest in America, and its relation to the history of slavery and to the government of colonies, vol. i., new york.
- Bruhns Karen ,Ancient South America, University press, Cambridge,1994.
- Charles C. Mann New Revelations of the Americas Before Columbus , Vintage , 2006.
- Dana Velasco Murillo and Robert C. Schwaller, Overlooked Places and Peoples Indigenous and African Resistance in Colonial Spanish America 1500–1800, Routledge, New York, 2024.
- David Carrasco ,Religions of Mesoamerica: Cosmovision and Ceremonial Centers (Religious Traditions of the World), HarperSan Francisco, 1990.
- David Nicolle ,El Cid and the Reconquista 1050–1492, Osprey Publishing, Oxford ,1988.
- Frederick Lange, Paths to Central American Prehistory, University Press of Colorado, 1996.
- Henry Raup Wagner, The discovery of New Spain in 1518 by Juan de Grijalva, Smithsonian Libraries, Mexico.
- Inga Clendinnen, Ambivalent Conquests: Maya and Spaniard in Yucatan, 1517–1570 , 2nd Edition, Cambridge University Press,2003.

- J. H. Parry, The Age of Reconnaissance: Discovery, Exploration, and Settlement, 1450-1650 First Edition, University of California Press,1982.
- James Lockhart and Stuart B. Schwartz ,Early Latin America A History of Colonial Spanish America and Brazil, Latin American Studies, Cambridge, 1984.
- Jay Kinsbr unerthe, Colonial Spanish-American City: Urban Life in the Age of Atlantic Capitalism , University of Texas Press, Austin,2005.
- Joel M. Cruz ,The Histories of the Latin American Church: A Handbook , Fortress Press, 2014.
- John Chasteen, Americanos: Latin America's Struggle for Independence (Pivotal Moments in World History), Oxford University Press,2008..
- John Eric Sidney Thompson ,Maya History and Religion ,Volume 99,The Civilization of the American Indian Series, University of Oklahoma Press,1990.
- John Lynch ,New Worlds: A Religious History of Latin America , Yale University Press, New Haven, 2012.
- John Lynch, Bourbon Spain 1700-1808, Blackwell, Oxford,1989.
- John Lynch, Spanish Colonial Administration 1782-1810: The Intendant System in the Viceroyalty of the Rio de la Plata , Praeger Publishers Inc, 1969.
- Lesley Byrd Simpson, The Encomienda in New Spain The Beginning of Spanish Mexico, University of California Press,2021.

- Linda Newson ,The Cost Of ConquestIndian Decline In Honduras Under Spanish Rule, Routledge, 2022.
- Mark A. Burkholder and D. S. Chandler , From Impotence to Authority: The Spanish Crown and the American Audiencias 1687-1808, University of Missouri Press, Columbia ,1977.
- Mark A. Burkholder Lyman L. Johnson, Colonial Latin America ,8th Edition, Oxford University Press, 2012.
- Matthew Restall ,Seven Myths of the Spanish Conquest 1st Edition, Oxford University Press,2004.
- Matthew, L. y Oudjik, M. Conquistadors Chouchiak, Forgotten allies: The origins and roles of native mesoamerican auxiliaries and indios conquistadores in the conquest of Yucatan, 1526-1550, University of Oklahoma press, Oklahoma, 2007.
- Miguel Leon-Portilla , Native Meso-American Spirituality Classics of Western Spirituality , Paulist Press,1980.
- Murdo J. MacLeod ,Spanish Central America: A Socioeconomic History, 1520-1720, University of texas press.
- P. J. Bakewell ,Silver Mining and Society in Colonial Mexico Zacatecas 1546-1700 , Cambridge University Press,2010.
- Robert Stoner Chamberlain, The conquest and colonization of Honduras 1502-1550, Octagon Books,1966.
- Silvio Arturo Zavala, Encomienda indiana, la,Porrua,1992.
- Stephan Palmié, and Francisco A. Scarano ,The Caribbean A History of the Region and Its Peoples, University of Chicago,2011.

- Washington Irving, The life and voyages of Christopher Columbus, CreateSpace Independent Publishing Platform,2016.
- William H. Prescott, History of the Conquest of Mexico, Modern Library,2001.
- William L. Sherman, Forced Native Labor in Sixteenth-Century Central America , 2009, University of Nebraska Press,2009.

٣) الكتب باللغة الاسبانية

- Adrián Recinos, Pedro de Alvarado: conquistador de México y Guatemala, ondo de Cultura Económica, 1952.
- - Bernal Díaz del Castillo ,Historia verdadera de la conquista de la Nueva España, Tomo I, Mexico.
- Christian Duverger ,Memorias de Hernán Cortés , Grijalbo, Spain, 2023.
- Jaime E. Rodríguez O, The Hispanic Revolution: Spain and America, 1808-1826 , Read History ، 2009.
- Kenneth Hirth And others, Ritual and Economy in a Pre-Columbian Chiefdom: The El Cajón Region of Honduras, University Press of Colorado.
- Marco A. Cardenal- Telleria and Luis E. Varela-Cardena , Pedrarias Davila: Biografia de un Hombre de Accion y su Tiempo, Tomo I, CreateSpace Independent Publishing Platform,2013.
- María de los Angeles Chaverri, La formación histórica de Honduras: factores que inciden en la constitución de la

territorialidad de Honduras durante la época colonia, centro de Estudios Históricos y Sociales para el Desarrollo, 1992.

- Rina Cáceres Gómez,Rutas de la esclavitud en África y América Latina, Universidad de Costa Rica,2001.
- Valle Rafael Heliodoro, Cristóbal de Olid conquistador de México y Honduras, Universidad Pedagógica Nacional Francisco Morazán, Tegucigalpa,2011.

٤) البحوث المنشورة باللغة الاسبانية

- Aram and Rafael Obando Andrade , Violencia Esclavitud y Encomienda en la conquista de América 1513-1542, Historia Social, no.87,2017
- Ovidio García Regueiro ,Oro y descubrimiento: la expedición de Gil González Dávila, Cuadernos Hispanoamericanos, núm. 418 ,abril 1985.

ثقافة العصر البرونزي في اليمن و ردم الفجوة الحضارية
الاستيطان القديم في حوض صنعاء أنموذجاً

The culture of the Bronze Ages in Yemen and bridging the civilizational gap
Ancient settlement in the Sana'a Basin as an example

خالد عبده محمد الحاج

باحث دكتوراه، قسم الآثار والسياحة، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن

Khaled Abdo Muhammed Al-Hajj
PhD Researcher, Archeology and Tourism Department, Faculty of Arts and Human Sciences, Sana'a University, Yemen

E-mail : kha_alhajj@yahoo.com
Mobile: 783300436

ثقافة العصر البرونزي في اليمن و ردم الفجوة الحضارية الاستيطان القديم في حوض صنعاء أنموذجاً

خالد عبده محمد الحاج

الملخص:

تناولت الدراسة مواقع الاستيطان الخاصة بثقافة العصر البرونزي المكتشفة حديثاً في منطقة حوض صنعاء، وهي دراسة أثرية تغطي الفترة الزمنية من الألف الرابع إلى الألف الأول ق.م، إذ يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة تقديم صورة واضحة وأدلة جديدة تبين ارتباط الإنسان بتلك المواقع منذ عصور ما قبل التاريخ، والامتداد التاريخي للاستيطان المتواصل لها حتى عصور الاستقرار ونشؤ الممالك اليمنية القديمة، وبالتالي توضيح مسألة الغموض الذي يجده الباحثون حول الانتقال من العصر البرونزي إلى العصور التاريخية ونشوء الممالك اليمنية القديمة. وتهدف هذه الدراسة إلى إثبات ارتباط الإنسان بتلك المواقع منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصور التاريخية، والعوامل التي ساعدت على اختيار أماكنها ومراحل تطورها والامتداد التاريخي للاستيطان المتواصل فيها من خلال تتبع مراحل الاستيطان التي مرت بها تلك المجتمعات في عملية تنمية ثقافاتها وتطوير حياتها المعيشية والاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: ثقافة، حوض صنعاء، العصر البرونزي، ما قبل التاريخ، مستوطنات.

Abstract:

The study dealt with the settlement sites of the newly discovered Bronze Age culture in Sana'a Basin region. It is an archaeological study covering the time period from the fourth millennium to the first millennium BC. Through this study, the researcher seeks to provide a clear picture and new evidence showing human connection to these sites since prehistoric Ages, and the historical extension of continuous settlement until the eras of stability and the emergence of the ancient Yemeni kingdoms, Thus, clarifying the ambiguity that researchers find about the transition from the Bronze Age to historical times and the emergence of the ancient Yemeni kingdoms. This study aims to prove the human connection to these sites since prehistoric Ages, and

the factors that helped choose their places, the stages of their development, and the historical extension of continuous settlement there, by tracing the stages of settlement that these societies went through in the process of developing their cultures and developing their living, economic, and social lives.
Keywords: culture; Bronze Age; Sana'a Basin; prehistoric; settlement.

المقدمة:

في البداية يجب أن نوضح أن العصر البرونزي "كمصطلح" يشير إلى التطورات الثقافية التي حدثت خلال الفترة من٤٠٠٠ –١٢٠٠ق.م. في معظم مناطق الشرق الأدنى القديم من شبه الجزيرة العربية (اليمن وشرق وشمال غرب الجزيرة) وبلاد الشام (سوريا وفلسطين) إلى بلاد الرافدين (العراق) في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة الشرق الأدنى القديم (كوتريل ١٩٩٧: ١٦٣). وكغيره من المصطلحات مثل "الشرق الأدنى" التي توارثها علماء أثار منطقة الشرق الأدنى القديم عن الترتيب التقليدي بنظام الثلاثة العصور: (العصر الحجري القديم، العصر البرونزي، وعصر الحديد). إلا أن البعض يجد أن استخدام مصطلح العصر البرونزي للإشارة للثقافات التي انتشرت خلال الألف الرابع ق. م في تلك المناطق هو استخدام غير موفق، معللين ذلك بسبب أن البرونز لم يظهر في بلاد الشام والعراق إلا في الربع الأخير من الألف الثالث ق.م ولم يصبح شائعاً في بلاد الشام إلا في بداية الألف الثاني ق.م، وأن التطور في التمدن أو التحضر هو الحدث المميز لهذه الفترة، وهو من وجهة نظرهم تمييز أكثر دقة (محيسن ١٩٩٠: ١٢٠ ؛ العريقي ٢٠١١: ١٠٤). لذلك نجد أن علماء الآثار المهتمين بدراسة ثقافات ومجتمعات هذه الفترة التاريخية في منطقة الشرق الأدنى القديم يستخدمون مصطلحات مختلفة للتعريف بها، فقد تعارف البعض على تسميتها في اليمن بـ "العصر البرونزي" بينما في منطقة شرق الجزيرة العربية هناك من يطلق عليها "العصر البرونزي"، ومنهم من يطلق عليها "عصر مجان أو عصر أم النار أو وادي السوق في عُمان؛ وعصر دلمون أو باربارا في البحرين.

وحول ثقافة عصور ما قبل التاريخ في اليمن، يرى أولبرايت أن منطقة جنوب الجزيرة العربية كانت أرض جدباء يتجول فيها السكان البدو الذين كانوا يمارسون عملية الجمع والصيد لتأمين غذائهم، وأنهم لم يكونوا قد عرفوا الزراعة أو مارسوا أي شكل من أشكال إنتاج

الطعام، وبالتالي لم يعرفوا بعد حياة القرى أو المدن الحضرية حتى الألف الأول ق.م (Albright 1950: 5–15). وبناءً على ذلك وضعت بعض النظريات حركة السكان في شبه الجزيرة العربية وأصول سكانها من العصر الحجري الحديث في موضع تساؤل، إذ يرى البعض أن مجتمعات العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية لم تكن من السكان الأصليين، وقد افترضوا أنهم من المهاجرين من سكان مناطق الشرق الأدنى الذين استقروا في منطقة جنوب الجزيرة العربية (Drechsler, 2009 ; Uerpmann et all, 2009). ضمنيًا تطرح هذه النظريات فكرة أن اعتماد الزراعة كان شكلًا متفوقًا من أشكال التكيف البشري، وأن سكان جنوب الجزيرة العربية كانوا متلقين لهذا الإرث الزراعي، وبصرف النظر عن هذه الآراء التي أهملت العلاقة الطويلة بين البشر والنباتات والحيوانات التي تطورت على مدى آلاف السنين، إلى جانب التغيرات البيئية التي أثرت في هذه العملية، كان هناك قدر كبير من الأدلة الأثرية الجديدة التي تتعارض مع تلك الآراء. فقد احتوت تلك الأدلة على الكثير من المعلومات التي تشير إلى أن جنوب الجزيرة العربية، موطن السكان الذين مارسوا الزراعة خلال الألف السادس ق.م على أقل تقدير بعد نظرائهم في الشرق الأدنى، وأنهم قبل ذلك خلال العصور الحجرية القديمة عاشوا بشكل جماعات شبه مستقرة في العديد من مناطق جنوب الجزيرة العربية، وأنشئوا المستوطنات السكنية الموسمية والثابتة والمستقرة (Černý et all, 2011 ; Al-Abri et all, 2012 ; Gandini et all, 2016 ; Fernandes et all, 2015 ; Hilbert et all, 2015). بالإضافة إلى ما أظهرته الأدلة الأثرية المكتشفة في بعض المواقع – التي سنأتي على ذكرها في حينه – إلى وجود علاقات مع بلدان الشرق القديم خلال العصر الحجري القديم الأوسط.

أما بالنسبة لثقافة العصر البرونزي في اليمن فهي الأخرى تم التشكيك بأصولها مما أسهم أيضاً في بلورة نظريات تسلم بوجود فجوة في ثقافة هذا العصر تشمل الفترة من الألف الرابع حتى نهاية الألف الأول ق.م (Pirenne 1955 ; Van Beek 1952). وحسب راي كل من بيك وبيرين فإن تاريخ الاستيطان الحضري في اليمن يعود إلى حوالي الألف الأول قبل الميلاد وأن العناصر الأساسية للثقافات التي نمت في المدن التي نشأت خلال هذه الفترة لها أصول أجنبية، وأن أنظمة الري والزراعة والازدهار الاقتصادي والاجتماعي

والسياسي، كانت نتيجة للسيطرة الأجنبية على تلك المدن. إلا أن ذلك الاعتقاد كان قد بني بسبب عدم عثور الباحثين الأثريين الأوائل على مواقع الاستيطان التي تعود إلى الفترة الزمنية التي سبقت الألف الأول ق.م، فلم تحظى مواقع عصور ما قبل التاريخ بنفس الاهتمام التي حظيت به مواقع ممالك المدن التاريخية من جانب علماء الآثار والمؤرخين الذين عملوا في اليمن منذ أواخر القرن التاسع عشر نظراً لبعدها وصعوبة الوصول إليها بعكس مواقع العصور التاريخية التي تميزت بفنها المعماري ونقوشها.

ولهذه الأسباب رأى الباحث دراسة المواقع الخاصة بثقافة العصر البرونزي، خصوصاً بعد الاكتشافات الحديثة التي أجراها في منطقة حوض صنعاء، والتي سترفد الدراسات الأثرية بمعطيات جديدة لتسهم إلى جانب دراسة سابقة قدمها "غالب[1]" في مسألة الفجوة الحضارية ترد على أطروحات سابقة عن وجود هذه الفجوة الحضارية الواقعة بين الفترة الانتقالية من العصر البرونزي والألف الأول ق.م.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في معرفة الغموض الذي اكتنف تاريخ عصر نشوء الممالك اليمنية القديمة والانتقال من العصر البرونزي إلى العصور التاريخية المتميزة بانتشار الكتابة وظهور المدن. فهل كانت العناصر الأساسية لهذه الحضارة عناصر محلية؟ وكيف يُفسر التطور المفاجئ لممالك جنوب الجزيرة العربية (اليمن) في أوائل الألفية الأولى ق.م؟ وهل هو ناتج عن وصول سكان أجانب كما يقترح البعض، أو هو ناتج عن تطور في المجتمعات الأصلية؟

الدراسات السابقة:

بما أننا نركز في هذا البحث على تحديد مواقع الاستيطان الخاصة بثقافات مجتمعات عصور ما قبل التاريخ في اليمن والامتداد التاريخي لاستيطانها المتواصل حتى عصور الاستقرار ونشؤ الممالك اليمنية القديمة، نرى ضرورة رصد أهم تلك الدراسات وعرضها، وهي:

[1] ينظر: غالب، عبده عثمان ٢٠١٠.

- دراسة أجرتها البعثة الأثرية الايطالية سنة ١٩٨٤م بعنوان "*A bronze Age for Southern Arabia*". إلى جانب دراسة أخرى أجرتها نفس البعثة في العام ١٩٩٠م كانت بعنوان "*حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدأ*" بقيادة اليساندرو ديمجريت، ويُعد هذا الفريق من اوائل طلائع المستكشفين لثقافات ومستوطنات فترات ما قبل التاريخ والفترة التاريخية المبكرة في هضبة اليمن الغربية ؛ ففي عام ١٩٨١م بدأ الفريق أعماله الاستطلاعية في الجزء الشمالي الشرقي من مناطق (خولان والحدأ) أسفرت عن اكتشاف عددا كبيرا من المستوطنات تختلف جوهريا من حيث مخططاتها وأساليب بناؤها وصناعاتها الفخارية والحجرية عن المستوطنات السبئية ومستوطنات العصر الحجري الحديث ؛ أطلقوا عليها *"ثقافة العصر البرونزي في اليمن"* ؛ وخلصوا في دراساتهم وتحرياتهم إلى أن المخططات المعمارية التي وجدت فيها هي بقايا مساكن وأدوات فخارية وحجرية أرخت بواسطة نتائج تحليلات C^{14} إلى الفترة بين نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني قبل الميلاد (De Maigret 1984 ;1990).
- دراسة أجراها غالب في العام ١٩٩٠م بعنوان "*Agricultural Practices in Ancient Radman and Wadi al-Jubah – Yemen*". ففي أواخر العام ١٩٨٨م أجرى غالب مسوحات وحفريات أثرية وجيمورفولوجية في مناطق قانيا ووعلان ومناطق أخرى من أراضي ردمان التي تقع في الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة الغربية، أسفرت عن العثور على عدد من المستوطنات والمنشآت الزراعية القديمة، وكانت مستوطنة وادي الهضبة وبقايا الحقول المدرجة وقنوات تجميع مياه الأمطار في الوادي من أهم هذه الاكتشافات التي أرخها بواسطة نتائج تحليلات C^{14} إلى فترة العصر البرونزي وتحديدا إلى الربع الأخير من الألف الرابع والألف الثالث ق.م (Ghaleb1990).
- دراسة أخرى أجراها غالب في العام ٢٠١٠م بعنوان *"فرضيات الفجوة الثقافية والتوطن القديم في اليمن – دراسة تحليلية نقدية"* فند فيها رؤى فان بيك وجاكلين بيرين، لردم الفجوة الثقافية، مشيراً إلى أنه لم تكن هناك فجوة ثقافية، بل فجوة في المعرفة الأثرية بثقافات العصر البرونزي في اليمن القديم، وأن الفجوة المعرفية لدى فان بيك و بيرين

كانت نتاج عن إهمال علماء الآثار المهتمين بالشرق الأدنى القديم إدخال اليمن ضمن إستراتيجية أبحاثهم، فقد كانوا ينظرون إليها على أنها منطقة صحراوية وجبلية وعرة، وبالتالي فهي منطقة غير مهمة (غالب، عبده عثمان ٢٠١٠).

- سلسة دراسات أجراها فريق بعثة جامعة شيكاغو الأثرية الأمريكية خلال الفترة من ٩٢ إلى ١٩٩٧م في منطقة المرتفعات الوسطى من الهضبة الغربية (منطقة ذمار) أسفرت عن اكتشاف عددٍ كبيرٍ من القرى والبلدات والمدن الصغيرة الحجم، أرخت إما بواسطة نتائج تحليلات عينات C^{14} أو بالمقارنة أو الاسناد إلى فترة الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد – والألف الثاني ق.م (; Gibson and Wilkinson 1995 Edens 1999).

هذه الدراسات التخصصية رغم قلة نتائجها كانت قد شكلت الخطوة الأهم في الاتجاه الصحيح للبحث الأثري في اليمن، فقد كانت دراسات جمعت بين العمل الأثري والعمل الجيمورفولوجي ووظفت لهذا الغرض مناهج وعلوم علمية مختلفة، فجاءت بهذه النتائج التي القت الضوء على قرى وثقافات العصر البرونزي في اليمن التي كانت مجهولة قبل الثمانينات من القرن الماضي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يقدم مادة جديدة من مواقع الاستيطان التي لم يتم دراستها من قبل والتي قدمت صورة واضحة عن نشاطات مجتمعات العصر البرونزي وثقافاتهم، إذ تُعد من أهم المصادر التي تعكس مظاهر البيئة القديمة ونمط حياة المجتمع اليمني القديم، كما تمثل مؤشراً سريعاً للتغيرات في التكوين الاجتماعي للسكان.

منهج الدراسة:

تطلب طبيعة البحث استخدام المنهج العلمي الأثري الاستطلاعي، والمنهج التحليلي المقارن كونه اعتمد على العمل الميداني بشكل أساسي. وعرض الباحث الدراسة لهذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث، الأول يتناول الجغرافيا الطبيعية والمناخ وأثرها في تحديد مناطق الاستيطان في منطقة الدراسة، والثاني يتناول الاطار التاريخي والثقافي لمنطقة الدراسة، أما

المبحث الثالث فيتناول المواقع المكتشفة في منطقة الدراسة، وأنواعها ومحتوياتها ومكوناتها من خلال الوصف والمقارنة والتحليل، ثم خاتمة عرض فيها الباحث أهم النتائج.

المبحث الأول: الجغرافيا الطبيعية والمناخ وأثرها على تحديد مناطق الاستيطان

تدخل منطقة الدراسة ضمن محافظة صنعاء، يحدها من الشمال محافظتي الجوف وعمران، ومن الشرق محافظة مأرب، ومن الجنوب محافظة ذمار، ومن الغرب محافظتي المحويت والحديدة (خريطة:١). وهي منطقة جبالها عالية تكثر فيها الأخاديد والمجاري المائية العميقة، وأكثر هذه الجبال علواً وأشدها انحداراً ووعورة هي الجبال الغربية، إذ يُعد جبل النبي شعيب في منطقة بني مطر من أعلى الجبال ارتفاعاً، إذ يصل ارتفاعه إلى ٣٧٦٠م عن مستوى سطح البحر. وتحديداً فإن منطقة حوض صنعاء تقع في الجزء الشمالي الغربي للجمهورية اليمنية بين دائرتي عرض ١٥,٠٢ و ١٥,٤٥ شمالا وخطي طول ٣٩,٥٨ و ٤٤,٣٥ شرقا (خريطة:٢). وهذا الموقع يأتي ضمن ما يعرف بمنطقة الأحواض الوسطى في إقليم المرتفعات الجبلية الغربية التي تمثل الجزء الأعلى لمستجمع وادي الخارد أحد مصارف وادي الجوف (سنهوب٢٠٠٦: ٢-١١). يحده من جهة الشرق سلسلة جبل كنن، ومن جهة الغرب سلسلة الجبال الواقعة ضمن الامتداد التضاريسي لجبل النبي شعيب التي تتميز بانحدارها نحو جهة الشرق، مثل جبل بيت نعم وجبل ديان وجبل الظفير، ومن الجهة الجنوبية يحد الحوض مرتفعات عافش ومرتفعات دار عمرو التي تفصله عن حوض ذمار/ معبر (الويسي١٩٩١: ٤٤). والأرض هنا ترتفع تدريجيا باتجاه حوض ذمار معبر، إذ يصل أعلى إرتفاع لهذا الحد عند قرية دار عمرو والزايدة وجبل جلال ٢٩٠٠م تقريبا، أما حدود الحوض من الناحية الشمالية فتكاد تكون مغلقة نتيجةً لامتداد مرتفعات جبل عريشة والسمعة التي تفصله عن حوض عمران/ البون، وتتميز بانحدارها نحو الجهة الشمالية الشرقية حيث تبدأ الأرض هنا بالانخفاض تدريجياً باتجاه وادي الجوف لتمثل خط تقسيم المياه عند نقطة التقاء وادي الخارد بوادي الزبيرات على ارتفاع ٢٢٢٠م فوق مستوى سطح البحر، في حين يمثل خط تقسيم المياه عند جبل النبي شعيب حدا طبيعيا للحوض من الجهة الجنوبية الغربية ويشكل حداً فاصلا بين حوضي صنعاء و سردد.

المناخ وأثره في تحديد مناطق الاستيطان:

كان للمناخ أثراً مهما في تحديد مناطق الاستيطان، وتشكُلها منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى بداية العصر التاريخي، فقد أثبتت الدراسات الجيمورفولوجية والأثرية أن منطقة الربع الخالي شهدت مناخاً جافاً في الفترة الواقعة ما بين أواخر عصر البلايستوسين وبداية الهولوسين، وقد استمرت فترة الجفاف هذه من ٣٦٠٠٠ – ١٧٠٠٠ سنة من وقتنا الحاضر (Fedele and Zaccara 2005:219). بعد فترة الجفاف هذه بدأ العصر المطير في المنطقة في الفترة من ١٧٠٠٠ – ٩٠٠٠ ق.م. وفي الفترة من ٩٠٠٠ – ٦٠٠٠ق.م تواصلت الأمطار لتشهد فترة الألف السادس ق.م أمطاراً غزيرة تم العثور على إرساباتها في وادي الجوبة وقانية (Ghaleb 1990). وفي الفترة الممتدة من ٦٠٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م. بدأ الجفاف الذي نتج عنه تكوُن الكثبان الرملية في منطقة الربع الخالي مما جعل الإنسان يهجر ذلك المكان ويستقر على حواف رملة السبعتين التي تتوفر فيها المياه والنباتات والحيوانات. وخلال الفترة من ٤٠٠٠ – ٨٠٠ ق.م، شهدت مناطق مرتفعات الهضبة الغربية أمطاراً ولكنها كانت أقل غزارة من السابق، إذ تذكر الدراسات الجيمورفولوجية أن تلك المناطق ظلت تستقبل أمطاراً موسمية بمعدلات مرتفعة بواقع شهرين في السنة الواحدة والتي استمرت بصورة منتظمة حتى الألف الثالث ق.م (Overstreet and Grolier 1996: 298 ; Wilkinson 1999: 91). مما جعل الإنسان يهجر المناطق السابقة ويتجه نحو مناطق المرتفعات في الهضبة الغربية التي استقر فيها لتظهر هناك المستوطنات والقرى الصغيرة التي سكنتها تجمعات صغيرة من الرعاة والمزارعين. وتأسيساً على ذلك يمكن القول أنه كان للتغيرات المناخية التي حدثت منذ نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر البرونزي في الفترة من (٦٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م) إسهاماً كبيراً في تفضيل استيطان بعض مناطق المرتفعات على غيرها من مواقع مناطق السهول الشرقية أو السهول الساحلية، فالتحول الذي حدث في المناخ نحو الجفاف بعد ٤٥٠٠ ق.م. كما يرى مكلور كان قد تسبب في جفاف المياه وانخفاض الغطاء النباتي في وديان الربع الخالي وفي الوديان الكبيرة الواقعة على حدوده الغربية (McClure 1976: 755–756). كذلك تعرضت مناطق إقليم السهل الساحلي للجفاف ونشاط التعرية الريحية مما أدى إلى اتساع رقعة الأراضي الصحراوية

وأصبح سقوط الأمطار أكثر ندرة، ونتيجة لذلك اختلت أهم عوامل الاستقرار مما ترتب عليه تغير الطبيعة الإقليمية والاقتصادية، فهاجر معظم سكان تلك المناطق واتجهوا في مجموعات صوب المرتفعات الجبلية الغربية للبحث عن أحوال بيئية بديلة يعتمدون عليها في معيشتهم، وقد أثر ذلك في تشكيل سمات حياة الانسان الذي انتقل للعيش في تلك المناطق بمميزات مختلفة أهمها اختيار مواقع المستوطنات في المناطق القريبة من مصادر مياه السيول الناتجة عن الأمطار للاستفادة منها. وتشير تلك الدراسات إلى أن مناطق المرتفعات الغربية التي تشمل مرتفعات صنعاء وذمار والمناطق المحيطة بها، كانت حتى منتصف الألف الرابع أو في بداية الألف الثالث ق.م. لا تزال تستقبل أمطاراً غزيرة وبمعدلات مرتفعة وبالتالي أصبحت من المناطق الأكثر ملائمة للسكن بسبب استمرار المناخ الرطب وتَوفُر شروط الإقامة، إذ توفرت فيها المياه بالإضافة إلى خصوبة تربتها ووفرة الأعشاب والحشائش والنباتات الحبية والأشجار الغابية التي وفرت أيضا بيئة مناسبة لعيش أنواع مختلفة من الحيوانات، إلى جانب تَوفُر المواد الخام الأساسية وسهولة الحصول عليها لبناء المساكن وصناعة الأدوات الحجرية، مما أدى بدوره إلى نمو عددٍ كبيرٍ من المستوطنات، فمن خلال المسح الأثري الذي أجراه الباحث في منطقة الدراسة تمكن من تسجيل وتوثيق أكثر من ٣٠ موقعاً في المنطقة الممتدة جنوباً من وادي حِزْيَز في منطقة سنحان جنوب العاصمة صنعاء وحتى وادي رَيعان ولولوة في منطقة همدان إلى الشمال من العاصمة ضمن الاطار الجغرافي لمنطقة الدراسة بين دائرتي عرض ١٥,٤٦ و ١٣,15 شمالاً وخطي طول ٤٤,٠٨ و ٤٤,١٣ شرقاً، ضمن نطاق سلسلة المرتفعات الجبلية الغربية التي تحيط بالعاصمة صنعاء التي تشكل الحافة الغربية للحوض. ومعظم تلك المواقع تتواجد في أماكن استراتيجية على قمم المرتفعات الجبلية التي تشرف على الأودية الخصبة والبعض الأخر تتواجد في الأماكن المنبسطة القريبة من سلسلة الجبال على أطراف الأودية والقيعان الزراعية وفي الشعاب وروافد الأودية الداخلية، وقد احتوت تلك المواقع على مجموعة من الشواهد والأدلة الأثرية بينت وجود مستوطنين فيها ونشاط بشري متنوع يوضح المراحل التسلسلية المتعاقبة للتطورات التي مرت بها المجتمعات في تلك المناطق منذ وصولهم إليها واستقرارهم فيها وتطويع بيئتها واستغلالها وتكوين واكتساب معارفهم المختلفة التي استطاعوا من خلالها

تطوير أسلوب معيشتهم وحياتهم وتشكيل ثقافاتهم ونضوجها منذ الألف الرابع وحتى الألف الأول ق.م.

المبحث الثاني: الاطار التاريخي والثقافي لعصور ما قبل التاريخ في اليمن

يتبين من خلال الدور الذي أداه كل من الموقع الجغرافي والمناخ المتميز لمنطقة حوض صنعاء أنها شكلت منطقة جذب للجماعات البشرية التي انتقلت من منطقة الربع الخالي بعد أن شهدت مناخاً جافاً في الفترة الواقعة بين أواخر عصر البلايستوسين وبداية الهولوسين التي تشكلت على أثرها الكثبان الرملية مما جعل الإنسان يهجرها ويستقر في منطقة المرتفعات الجبلية من هضبة اليمن الغربية التي استمر هطول الأمطار فيها بمعدلات مرتفعة حتى فترة الألف الثالث ق.م. مما أدى إلى تكوين المستوطنات السكنية ونشؤ العلاقات الاجتماعية بشتى صورها وأنواعها خلال الفترة الواقعة بين الألف السادس إلى الألف الأول ق.م. وهي الفترة التي حدثت فيها العديد من التغيرات البيئية ونضوج مجموعة من التطورات الثقافية والحضارية حققت المجتمعات اليمنية خلالها مستوى متقدم في اكتساب المعرفة بجوانبها المختلفة. الاستيطانية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية. فالأدلة الأثرية تشير إلى أن منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) بشكل عام ومنطقة حوض صنعاء بشكل خاص قد مرت بمختلف مراحل عصور ما قبل التاريخ، يأتي ذلك في الوقت الذي لم تُغطِ فيه الأبحاث والدراسات الأثرية سوى مناطق متفرقة من اليمن، وعلى الرغم من ذلك أظهرت نتائج تلك الأعمال والدراسات العديد من الأدلة المادية التي مكنتنا من رسم صورة شبه مكتملة عن عصور ما قبل التاريخ وثقافاتها في اليمن، وذلك على النحو الآتي:

١. **العصر الحجري القديم** (Paleolithic): ينقسم إلى ثلاث حِقَب هي: (الحجري القديم الأسفل، الأوسط ،الأعلى)، وأغلب حقب هذا العصر تمتد من ٢مليون- مليون عام من وقتنا الحاضر(أحمد ٢٠٢١: ٧).

أ. **مواقع العصر الحجري القديم الأسفل:**

- **في حضرموت:** كشفت أعمال التنقيبات الأثرية التي نفذتها البعثة الأثرية السوفيتية في موقع كهف القُزة عن أقدم الأدلة الثقافية التي تعود للفترة الألدوانية "حوالي مليون سنة" (Amirkhanov,2008 3-4). فقد تم العثور على مجموعة من الأدوات الحجرية

تضمنتها الطبقات الاستيطانية لهذا الموقع وهي مشابهة لصناعات أولدوا في أفريقيا، كذلك أظهرت نتائج أعمال المسح الأثري المنفذة من قبل البعثة نفسها في وادي دوعن عدد كبير من مواقع العصر الحجري القديم احتوت هي الأخرى على أدوات تعود لنفس الفترة "ثقافة أولدوا" في كل من مواقع المشهد[٣] ؛ وكهف شرحبيل ؛ وكهف الأميرة. وقد تشكلت معظم تلك الأدوات من مجموعة لسواطير أحادية الجانب وسواطير ثنائية الوجه ومقاشط جانبية وأدوات مسننة ونويات (غالب و الشهاب ٢٠٢١: ٤٠).

- **في المهرة:** تمثل المواقع المكتشفة في وادي الجيزي غرب الغيضة نموذجاً للمواقع والمستوطنات التي تعود إلى مرحلة الثقافة الآشولية٤٥٠,٠٠٠ سنة (Amirkhanov, 2008, 3).
- **في تهامة ونطاق تعز:** كشفت الأعمال الأثرية التي نفذتها البعثة الامريكية التابعة لجامعة شيكاغوا خلال المسح المنظم عن مواقع الاستيطان الخاصة بمرحلة الثقافة الآشولية في مناطق السهول الغربية بين الشريط الساحلي الموازي للبحر الأحمر والسهول الجبلية وفي منطقة خرز الواقعة بمحاذاة مضيق باب المندب وخليج عدن، وقد احتوت تلك المواقع على مجموعة كبيرة من الأدوات الخاصة بفترة الثقافة الآشولية التي تتكون من فؤوس يدوية ونويات وأدوات ثنائية وأحادية الشطف ومثاقب ومكاشط مستدقة الرأس ورقائق وأدوات مسننة ونصال سكاكين (Whalen 1994 ؛ غالب و الشهاب ٢٠٢١: ٣٨). كذلك عثر براين دو في جبل تلع في لحج على فؤوس يدوية تعود إلى الثقافة الآشولية (Doe. 1971, 134).

ب. **مواقع العصر الحجري القديم الأوسط:**

في كل من منطقتي معبر وقاع جهران بمحافظة ذمار: عثرت البعثة الأثرية الإيطالية على عدة مواقع تعود إلى هذه الفترة في موقع المصنعة (De Maigret. 2002). كذلك تم العثور على مواقع تعود إلى نفس الفترة في منطقة سهل تهامة ووادي سردد ووادي رماع ووادي زبيد، وقد احتوت هذه المواقع على أدوات تعود إلى الثقافة الموستيرية شملت المكاشط الجانبية وثنائية الحد المصنوعة من أحجار الريوليت والكوارتز(Bulgarelli, 1988. 33).

- **في منطقة حوض وادي سردد:** على الضفة اليسرى من وادي سردد كشفت البعثة الأثرية الفرنسية الإيطالية المشتركة عن واحد من أهم المواقع التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط في موقع (شعبة الضحي) على بعد ١٠٠كم إلى الغرب من منطقة حوض صنعاء على السفح الجنوبي الغربي لجبل النبي شعيب الذي يمثل خط تقسيم المياه وحداً فاصلا بين حوض صنعاء وحوض سردد. وبدأ استيطان هذا الموقع منذ ٥٥ ألف عام من وقتنا الحاضر وتكمن أهميته في أنه يلقى ضوءاً جديدًا على دور جنوب الجزيرة العربية (اليمن) في مرحلة توسع الإنسان العاقل الحديث خارج أفريقيا، كما أنه يمثل أول مجمع طبقي مؤرخ من العصر الحجري القديم الأوسط في هذا الجزء الذي يواجه شرق أفريقيا مباشرة والتي فصلها وادي سردد الذى يمثل حوضه منطقة بيئية مناسبة للاستيطان البشرى حتى خلال فترات الجفاف، فقد توافرت في المنطقة مصادر مستدامة للمياه العذبة (Delagnes ,et al,2012,471-491). وتبرز أهمية هذا الموقع بما يحتويه من تنوع يبرز مظاهر الحياة لسكان هذه المستوطنة القديمة وما عثر عليه من مواد وأدوات أثرية تشير إلى مجاميع بشرية شبه مستقرة، تعيش على عملية الصيد وجمع النبات، كما تشير إلى وجود علاقات التواصل بين جنوب الجزيرة العربية والشرق الأدنى وشرق إفريقيا، دل على ذلك مجموعة اللقى والمعثورات التي أظهرتها الطبقات الثقافية التي احتوت ضمن طياتها على مجموعات متنوعة من الأدوات الحجرية التي تتشابه تقنية صناعتها مع تقنية صناعة شمال افريقيا والقرن الأفريقي وبلاد الشام (Delagnes ,et al,2012, 452-453). بالإضافة إلى بعض المواقع المنتشرة في مناطق أخرى من اليمن كموقع وادي وعشة في حضرموت والتي تمثلت بمجموعة من النصال الحادة ذات الوجه الواحد والنصال المدببة، والشظايا المدببة، واللفلوازية ذات حواف القطع الطويلة غير المشذبة المصنوعة من الريوليت المتوافر محلياً (Crassard and Hilbert 2013: 2)، وكان من أهم المعثورات التي أظهرتها الطبقات الثقافية التي تم الكشف عنها على عمق٣م مجموعة من العظام تخص نوعا من الجواميس الإفريقية الغير مستأنسة، أيضا تم العثور على سن حصان قديم لا يعيش اليوم إلا في آسيا الوسطى، وهذا دليل على أن المنطقة كانت تشهد مناخا باردا في السابق على عكس ما هي عليه الآن ما يؤكد أن هناك العديد

من التغيرات المناخية التي مرت بها المنطقة (Delagnes ,et al,2012,471-491). وهو ما يفتح المجال لدراسات جديدة ستؤدي إلى اكتشافات جديدة على صعيد التغير المناخي.

- **في منطقة حوض صنعاء:** بالنسبة لهذه الفترة، تظهر معرفتها من خلال المعطيات التي كُشف عنها في منطقة وادي ظهر التي عثر فيها على شظايا وبعض الأدوات الخشنة (Bayle 1976, 5-37). وفي موقع بيت نعم، على السفح الشرقي من جبل عيبان عُثر على مجموعة من الأدوات الصوانية أعيدت إلى الفترة نفسها (المعمري١٩٩٦: ٨٨). ومن أهم أدلة هذه الفترة ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية التي أجريت في حرم جامعة صنعاء لمجموعة الأدوات الحجرية المصنوعة من الصوان، منها أداة ساطوريه الشكل (Cleaver) في الطبقة ١٢ على عُمق ٦,٣م، بالإضافة إلى العديد من الأدوات الحجرية الأخرى التي وجدت في كل من الطبقتين ١٠ و١١ وهي أدوات مشذبة من جهتين من نوع (Chopper-towside) تؤرخ إلى ثقافة العصر الحجري القديم الأوسط (المعمري١٩٩٦: ٩٠- ٩٥).

ج. **العصر الحجري القديم الأعلى:**

تميز العصر الحجري القديم الأعلى (٣٥٠٠٠ - ١٥٠٠٠ق.م) من ناحية تقنية الأدوات وأنواعها على استخدام اسلوب الطرق غير المباشر وإنتاج شفرات ونصال بدلاً عن الشظايا اللفلوازية التي سادت في الفترة السابقة، إلا أن البعض يرى أن هناك نوعا من الغموض في هذه الفترة من ناحية تحديد الخصائص التقنية والحضارية ومعرفتها وقد عزوا ذلك إلى قلة مواقع هذه الفترة في اليمن (Crassard and Hilbert 2013).

٢. **العصر الحجري الوسيط (Mesolithic):**

يبدأ هذا العصر في بلاد الشام وفلسطين ومناطق شمال الجزيرة العربية من ١٥,٠٠٠ وينتهي في ١٠٠٠٠ق.م. (المعمري ٢٠١٤: ٢٩) ويتميز بكونه عصراً انتقالياً بين العصر الذي سبقه والعصر الحجري الحديث، فالإنسان في هذه الفترة لا زال يعتمد في حياته على الصيد والجمع على الرغم من

أنه مارس حياة الاستقرار الموسمي وتشييد القرى. وفي اليمن أثبتت الدراسات الحديثة وجود ثقافة هذه الفترة في كل من:

أ. **منطقة الهضبة الغربية:** التي تم اكتشافها في المرتفعات الشرقية من منطقة خولان الطيال من قبل البعثة الأثرية الايطالية في موقع وادي الطيا[٣]، فقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية فيه أدلة مادية احتوت على آثار بشرية مدفونة في طبقة رسوبية قديمة بعمق ٠,٨ – ١م سببتها على ما يبدو فترة نشاط بشري (Fedele.1988: 34-37).

ب. **في ساحل تهامة:** عثرت البعثة الأثرية الكندية في موقع جبل مستور والحُنذُبة على أدوات حجرية دقيقة تنسب إلى العصر الحجري الوسيط (ما قبل ٨٠٠٠ ق.م.) الأمر الذي يؤدي إلى افتراض أن كِلاَ الموقعين يمثلان فترة زمنية واحدة وبالتالي المجموعة البشرية نفسها (Keall.2005: 98 ؛ ونس، ٢٠٠٨، ٢٤– ٢٥).

٣. **العصر الحجري الحديث (Neolithic):**

عُرِفَت الفترة الممتدة من الألف التاسع إلى الألف الرابع ق.م بالعصر الحجري الحديث، أو مرحلة إنتاج القوت، وهي مرحلة مهمة في مسيرة الحضارة البشرية، إذ بدأ خلالها الإنسان القديم يخطو نحو المدنية والاستقرار وإنشاء القرى الزراعية المبكرة واستئناس الحيوان ومعرفة الزراعة وصقل الأدوات الحجرية وصناعة الفخار وممارسة الطقوس الدينية. تشير الشواهد والأدلة الأثرية التي تعود إلى هذه المرحلة في اليمن بشكل أكثر وضوحا، حيث مثلت انعطافاً جذريا في تطور ثقافات المجتمعات القديمة، فضلاً عن تقنية جديدة تم تأكيدها من خلال وجود أدوات حجرية ثنائية الوجه ومباني سكنية بسيطة، مع عدم وجود الفخار(Fedele.1988. 34). كما تم التأكيد على وجود ثقافة هذا العصر في اليمن في مناطق الهضبة الغربية بشكل عام، ومنطقة حوض صنعاء بشكل خاص وهي على النحو

الآتي:

أ. **في منطقة صحراء الربع الخالي:** تم العثور على مستوطنات وقرى هذه الفترة التي أكدت عليها الأدوات الحجرية المتمثلة بمجموعة رؤوس السهام ذات الأشكال والأحجام المتنوعة وهي أدوات ثنائية الوجه ذات نمط عربي تقليدي (Lewis. 2000. 9) نسبت إلى

العصر الحجري الحديث المتأخر في الصحراء (المعمري، ٢٠٠٢: ٣٧). وعثر إلى جانب تلك الأدوات على قشور من بيض النعام ساعدت من خلال تأرختها بواسطة C14 وضع هذا النمط من الأدوات في الفترة الواقعة بين ٩٠٠٠ – ٤٠٠٠ق.م (Lewis, 2000, 9).

ب. **في حضرموت والمهرة:** عثرت البعثة الأثرية الروسية على مجموعة كبيرة من الأدوات الحجرية في ٤٣ موقعاً أثرياً اتضح أنها تضم نمطين لثقافتين مختلفتين في النشأة والتقنية، الأولى تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث المبكر ٨٠٠٠ – ٦٠٠٠ق.م. والثانية تعود إلى العصر الحجري الحديث المتأخر ٦٠٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م. أو ما يسمى بالعصر الحجري الحديث الصحراوي (Amirkhanov 1997:247–249).

ج. **في سهل تهامة:** عثرت البعثة الأثرية الايطالية على بعض المواقع التي تعود إلى هذا العصر في كل من موقع الشومة وموقع جحابة التي احتوت على أدوات حجرية وعظام شملت أنواع مختلفة من الحيوانات البرية والمدجنة، مما يشير إلى احتمال وجود تدجين محلي ساد في المنطقة خلال الفترة المبكرة من العصر الحجري الحديث (De Maigret, 2002b,128)، كما قدم موقع جحابة أيضا دلائل أكيدة على عملية التدجين للحمير والماشية والأبقار (Tosi 1986:400).

د. **في الهضبة الغربية:** في المنطقة الواقعة ضمن سلسلة المرتفعات الشرقية إلى الشرق من منطقة حوض صنعاء، وجدت البعثة الأثرية الايطالية في خولان الطيال مجموعة من المواقع تنسب إلى هذه الفترة، من أهمها: (موقع الرقلة والنجد الأبيض[٧] وموقع الطيال[٣]) وهي عبارة عن قرى صغيرة لمجتمعات مستقرة تحتوي على مساكن حجرية بيضاوية الشكل عثر بداخلها ومحيطها على أدوات حجرية لنصال ورؤوس سهام ومثاقب ثلاثية الوجه وشظايا ومقاشط، كما عثر على أدوات طحن ومطارق حجرية تبدو صناعتها مميزة نوعا ما (De Maigret 2002a:145).

هـ. **في منطقة المرتفعات الوسطى:** إلى الجنوب الشرقي من منطقة حوض صنعاء عثرت البعثة الأثرية الأمريكية التابعة لجامعة شيكاغو في منطقة الحدأ في موقع جبل قطران على مجموعة من الأدوات الحجرية القريبة من النمط العربي التقليدي ورقية الشكل ثنائية

الوجه، ذات أحجام وأشكال مختلفة لرؤوس سهام مدببة ثنائية الوجه ومثاقب ومسننات ومكاشط وأزاميل (إيدينز؛ ويلكنسون ٢٠٠١: ١٢). وهي تختلف عن الأدوات الحجرية التي تم العثور عليها في موقع خولان الطيال[٣] مما يشير ربما إلى وجود مرحلتين مختلفتين للعصر الحجري الحديث في منطقة الهضبة الغربية وربما تمثل تكيفا لمرحلة متأخرة عن مجموعة أدوات جبل قطران التي يمكن استخدامها كنقطة تحول في عملية الانتقال من العصر الحجري الحديث إلى العصر البرونزي في منطقة المرتفعات الشرقية التي تميزت بوجود صناعات حجرية مختلفة وبوجود منشآت معمارية سكنية ذات مخططات دائرية وبيضاوية شكلت القرى الصغيرة، بالإضافة إلى وجود مؤشرات قوية عن عملية استئناس وتدجين أنواع معينة من الحيوانات كالأبقار والماعز. وبالتالي فإن العصر الحجري الحديث يؤرخ في مناطق المرتفعات الشرقية من الهضبة الغربية إلى الفترة من ٦٠٠٠ وحتى ٤٠٠٠ق.م (إيدينز؛ ويلكنسون ٢٠٠١: ١٢).

٤. العصر البرونزي:

يمثل هذا العصر المرحلة الأخيرة لعصور ما قبل التاريخ ولذلك يُعد عصراً انتقاليا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، ويطلق عليه أحيانا: (عصر ما قبل الكتابة أو ما قبل العمران أو مرحلة فجر التاريخ أو مرحلة العصر المعدني) يبدأ من الألف الرابع إلى الألف الثاني ق.م في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية بناءً على سمات حضارية تتعلق بنوع المواقع الأثرية والمادة التي تحتويها (زارنس وآخرون ٢٠٠١: ٢١). فهي الفترة الحضارية التي استطاع الإنسان فيها أن يدخل إلى ما يسمى بمرحلة الحضارات القديمة، حيث اتسمت هذه الفترة ببدء التحول من صيد الحيوانات وجمع الثمار إلى مرحلة الرعي والزراعة، وتحولت خلالها القرى الزراعية المبكرة إلى بلدات ومدن كبيرة وعرفت البدايات الأولى للكتابة الأبجدية وأنظمة الحكم المركزي والإدارة والتجارة والمعتقدات الدينية (زارنس وآخرون ٢٠٠١: ٢٣ ؛ إيدينز و ويلكنسون٢٠٠١). وفي اليمن اعتبر بعض العلماء أن هذه الفترة مثلت فجوة في التسلسل التاريخي والثقافي (Van Beek 1952 ; Pirenne 1955; Albright 1950). إلا أن هناك من يرى أن الفجوة بين العصر الحجري الحديث والألف الثاني ق.م، كانت متوازية بفجوة مماثلة

في المعرفة الجغرافية بآثار المجتمعات الأولى في المرتفعات اليمنية Wilkinson (2003 ؛ غالب٢٠١٠). وقد أمكن سد هذه الفجوة الزمنية من خلال الدراسات الأثرية التي اعتبرت من خلالها فترة العصر البرونزي في اليمن تمتد من نهاية الألف الرابع إلى نهاية الألف الثاني ق.م، حيث تم من خلالها التعرف على العديد من المظاهر الحضارية المميزة لذلك العصر والتي كان من أهمها ظهور الزراعة وصناعة الفخار والتعدين وأصبحت المستوطنات أكبر مساحة بمستوى القرى أو البلدات الكبيرة والمدن الصغيرة (Edens 2002: 81). وتنتشر مواقع هذه الفترة في أماكن متعددة من مناطق مرتفعات الهضبة الغربية وهي على النحو الآتي:

أ. **في الجهة الشرقية من منطقة حوض صنعاء:** وثقت البعثة الأثرية الإيطالية في الأماكن الواقعة بين صنعاء ومارب أكثر من ٤٠ موقعاً أثرياً تقع أغلبها في منحدرات الجزء الأعلى لمستجمع حوض وادي ذنه على ارتفاع ٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر ومن أهم تلك المواقع، موقع وادي يناعم في منطقة خولان الطيال الذي تبين أنه يعود إلى العصر البرونزي (De Maigret 1984 ,75). ويغطي من خلاله الاطار الزمني لمرحلة مهمة تمتد من نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحديدي الذي ازدهرت فيه فيما بعد الممالك اليمنية القديمة، احتوت تلك المواقع على منشآت سكنية ذات مخططات بيضاوية وشبه دائرية ومستطيلة (شكل١) وهي تنقسم إلى مجموعتين اعتمادا على المساحة والاختلافات المعمارية:

مواقع صغيرة: تبلغ مساحتها من ٥٠٠-١٠٠٠م^{٢} (غالب ٢٠٠٣: ٢٠٧٥)، تتكون من فناء دائري مكشوف محاط بغرف دائرية مترابطة بشكل حلقي.

مواقع كبيرة: تبلغ مساحتها نحو ١٠,٠٠٠م^{٢}(غالب ٢٠٠٣: ٢٠٧٦)، توجد على مسافات متباعدة ولكنها منتظمة على امتداد الوادي، ويبدو أنها تسيطر على مساحات كبيرة تتجمع فيها المواقع الصغيرة وأحيانا تجاور بعضها البعض. وبذلك نجد أن النمط المعماري لمستوطنات عصر البرونز قد أنشئت وفقا لتقنية هندسية تتكيف مع طبيعة البيئة الزراعية التي تنسجم مع المجتمعات الحضارية المستقرة التي أصبحت تمتلك القدرة على اختيار المواقع المتميزة من الناحية الجغرافية والتي ترتبط بطبيعة الحياة اليومية

لمجتمعات العصر البرونزي في المرتفعات، ولكن رغم ذلك فإن ثقافة عصر البرونز في المرتفعات الشرقية لم تبلغ النضج الكامل، يؤكد ذلك أنه بنهاية موقع وادي يناعم بين ٢٠٠٠-١٨٠٠ق.م. لم تُستَوطَن المنطقة بعد هذا التاريخ ويبدو أنها قد هجرت بسبب تغير المناخ وازدياد موجة الجفاف التي ضربت المنطقة منذ أواخر الألف الثالث ق.م. وأن الهجرة كانت باتجاه المنطقة الرطبة في المرتفعات الشمالية الغربية والمرتفعات الجنوبية والوسطى. ومن ثم فإن المرتفعات الشرقية لم تستوطن بعد ذلك حتى العصر السبئي (Fedele 1988: 36- 37). يؤكد ذلك أيضا أنه لم تظهر حتى الوقت الحاضر مدينة بمخططها المكتمل كمدينة بنمطها الهندسي والمعماري وتكوينها الاجتماعي والاقتصادي والديني والسياسي في مناطق المرتفعات الشرقية في خولان التي ظلت مستوطناتها الكثيفة الانتشار على مستوى القرى الصغيرة والمحلات المتوسطة.

ب. **في الجهة الشمالية الغربية من منطقة حوض صنعاء:** على أطراف حوض عمران تم العثور على عدد من مواقع العصر البرونزي، من أهمها موقع بهايس الذي أحتوى العديد من المستوطنات ومواقع الرسوم الصخرية، كما أظهر عن معرفة مجتمع تلك المنطقة عملية التعدين الذي اتضح من خلال مجموعة نصال الخناجر والسيوف المصنوعة من البرونز التي تم العثور عليها هناك (دي مجريت،١٩٩٩، ٣٤).

ج. **في الجزء الشمالي الشرقي من الهضبة الغربية:** أجرى "غالب" مسوحات وتنقيبات أثرية وجيمورفولوجية في منطقة بدبدة (غالب،١٩٩٣، ١٠-٦١)، وفي مناطق قانيا ووعلان ومناطق أخرى من أراضي ردمان التاريخية أسفرت نتائجها العثور على عدد من المستوطنات والمنشآت الزراعية القديمة، وكانت مستوطنة وادي الهضبة وبقايا الحقول المدرجة وقنوات تجميع مياه الأمطار في الوادي من أهم هذه الاكتشافات التي تؤرخ بواسطة نتائج تحليلات C^{14} إلى الربع الأخير من الألف الرابع والألف الثالث ق.م (Ghaleb 1990). كما نفذ سلسلة من المسوحات والتنقيبات في منطقة حضور همدان إلى الجهة الشمالية الغربية من منطقة حوض صنعاء، اسفرت من خلالها العثور على عدد كبير من القرى تشبه في مخططاتها الهندسية وصناعاتها الفخارية والحجرية قرى

وصناعات العصر البرونزي في مناطق خولان والحدأ وذمار (غالب ١٩٩٥: ٢١٠-٢٣٣ ؛ Ghaleb,2005).

د. **في مناطق الهضبة الغربية بين محافظتي صنعاء وذمار:** على إرتفاع ٢٠٠٠-٢٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر اكتشفت البعثة الأثرية الأمريكية التابعة للمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو العديد من مواقع العصر البرونزي المتمركزة في السهل الواسع من قاع ذمار وقمم الهضاب الصخرية المطلة على القيعان، وقد أظهرت الدراسات، أنه منذ نهاية الألف الرابع ق.م. تم استيطان مناطق المرتفعات الغربية في اليمن وأقيمت فيها العديد من القرى والبلدات(Wilkinson2003). وكان من أهما: "السبال ومدينة البلد وخربة أفيق وهواجر" في المنطقة الواقعة شرق قاع جهران. بالإضافة إلى تلك التي عثر عليها في كل من: "قاع شرعة وبني عبدالله وباب الفلك وتألبه وهكر وسد أضرعه" وقد بلغ عدد المواقع المكتشفة حوالي ١٨٥ موقعاً تغطي من خلالها المرحلة الزمنية من نهاية الألف الرابع حتى نهاية الألف الثاني ق.م. بحسب نتائج C^{14} التي أجريت على عينة من بقايا التربة أخذت من سد أضرعه (Wilkinson. and Gibson,96/1997). وقد قدمت تلك المواقع التي مثلت في بنيتها التكوينية نوعا من القرى والمراكز الزراعية الكبيرة فنوناً معمارية وأدوات حجرية وصناعات فخارية دلت على تطور كبير، مما يشير إلى وجود مجتمعات أكثر استقراراً في هذه المنطقة مارست الزراعة وانتاج الفخار كموقع السبال الذي تم تأرخته وفقا لنتائج C^{14} إلى ما بين ٢٨٠٠ و١٧٠٠ ق.م. الأمر الذي يجعل السبال موقعاً معاصراً لمواقع خولان في الثلثين الأخيرين من الألف الثالث ق.م(Wilkinson and Edens.1999,12-18). بالإضافة إلى موقع حمة القاع الذي يمثل مدينة متكاملة احتوت على نمطين من المباني بحيث يظهر النمط الأول من مباني بسيطة مستطيلة الشكل ذات غرف منفردة والنمط الثاني يظهر بشكل مباني أكبر في الحجم والمساحة تضم عدة غرف تفتح جميعها على فناء، فضلاً عن مجموعة من الفخاريات والأواني والأدوات الحجرية والعظمية ومن الزجاج البركاني (إيدينز ؛ ويلكنسون٢٠٠١: ٣٠).

هـ. في منطقة السهل الساحلي (تهامة): لم يقتصر وجود مواقع العصر البرونزي والعصر الحديدي على مناطق المرتفعات اليمنية في الهضبة الغربية فقط، بل انتشرت لتشمل المناطق الساحلية الغربية والجنوبية، وهو أمر يدل على المساحة الجغرافية الكبيرة التي تشغلها، ويدل من جهة أخرى على التفاعل الحضاري وتطور المجتمعات في العصور التي سبقت إزدهار الممالك اليمنية القديمة فيما يسمى بالعصر الحديدي، فقد تم الكشف عن ثقافة متكاملة للعصر البرونزي في المناطق المطلة على ساحل البحر العربي أطلق عليها "ثقافة صبر بمحافظة لحج، امتد تأثيرها إلى ساحل البحر الأحمر، والموقع عبارة عن مدينة تضم مجتمعاً متكاملاً بلغ مرحلة متقدمة من التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي اختلف تماماُ عما كان عليه في مواقع العصر البرونزي في المرتفعات، مما دفع البعض إلى القول بوجود ثقافات مختلفة ازدهرت في جنوب الجزيرة. وأطلقوا على كل منطقة ظهرت فيها آثار ذلك العصر اسماً يختلف عن المنطقة الأخرى (فوكت١٩٩٩: ٤٧-٤٨). فهناك ثقافة المرتفعات التي تشمل مرتفعات صنعاء وذمار والمناطق المحيطة بها، وثقافة المناطق الساحلية التي تم تمثيلها في موقع صبر لحج، والسبب في ذلك حسب زعمهم يكمن في عدم وجود اتصالات ثقافية بين تلك المناطق، وبالتالي انعدام التفاعل الحضاري بينها على الرغم من ازدهارها في مراحل زمنية متقاربة، كما أنه من خلال الدراسة المنهجية للميزات الحضارية الخاصة بكل منطقة من تلك المناطق يتضح التجانس الحضاري بينهما من جوانب مختلفة، مثل طبيعة النشأة والتطور وكذلك العمارة وبعض جوانب النشاط الاقتصادي، ولم تكن تلك التباينات الطفيفة إلا عبارة عن تمايزات أملتها التأثيرات المحلية والبيئية لكل منطقة، وبمقارنة تلك القرى والمدن الموجودة في مناطق المرتفعات مع ما هو موجود في المناطق الساحلية مثل موقع صبر، نجد أن البيئة المحلية قد أثرت في نوعية النشاط الاقتصادي وفي التسمية، حيث اختلف نشاطها الاقتصادي الذي اعتمد على صناعة الفخار وتجارته مع الساحل الافريقي للبحر الأحمر، وبالتالي يعتبر موقع صبر من المواقع المهمة التي تمثل المرحلة الانتقالية بين العصر الحجري الحديث والعصور التاريخية. فقد أظهرت نتائج تحاليل العينات المستخرجة من خلال التنقيبات الأثرية للطبقات العليا أنها تقع بين الفترة

الممتدة من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن ق.م كفترة ثانية للإستيطان، بينما أظهرت وبصورة أولية بعض المؤشرات في الطبقات السفلى التي تمثل المراحل الأولى للإستيطان أنها تعود إلى الألف الثالث ق.م (فوكت ٢٠٠٣: ١٩- ٢١). وقد احتوت المدينة على نمطين من المنشآت المعمارية:

النمط الأول: مجموعة من المساكن البسيطة شُيدت بمواد قابلة للتلف كسعف النخيل وأغصان الأشجار والأخشاب، ذات مخططات دائرية أو بيضاوية، دلت عليها حُفر الأعمدة المكتشفة داخل الغرف ومحيط المباني.

النمط الثاني: مساكن شيدت بمواد ثابتة من الطين والطوب غير المحروق، تتكون من غرف صغيرة حول فناء أو عدة فناءات داخلية، بينما الجدران تتكون من خط واحد من الطوب غير المحروق. وقد احتوت الطبقات الثقافية والاستيطانية في هذه المساكن على مجموعة من الأدوات الخاصة بالاستخدام اليومي من أواني فخارية وأدوات مصنوعة من مواد متنوعة من أهمها الأوبسيديان والعظام وبعضها وبشكل قليل من المعدن، أما البقايا العظمية فتمثل عظاما حيوانية وأغلبها من المحار وعظام الأسماك. وبالتالي فإن موقع صبر مقارنة بمواقع أخرى من العصر البرونزي في اليمن يحتوي على مواد كثيرة، كالأواني والتماثيل الطينية وأدوات من الأحجار والعظم والأوبسيديان والبرونز، فضلا عن أدوات الزينة من الأحجار شبه الكريمة والذهب والصدف وهو ما يدل عن وجود حياة اقتصادية مستقرة تعتمد على الزراعة وتربية الماشية والصيد، بالإضافة إلى إنتاج وتصنيع مكثف للفخار يظهر بكميات كبيرة ذو طابع مميز مصنوع محليا بطريقة يدوية، تميل أشكال الأواني إلى الشكل الدائري العميق والأكثر شيوعا هي الجرار الكروية والطاسات والكؤوس والأطباق، كما يتميز فخار صبر بمعالجة سطحه من الداخل والخارج والزخارف يغلب عليها الأشكال الهندسية المحززة أو المطبوعة على هيئة أشرطة عمودية وخطوط أفقية، كما توجد الزخرفة بالألوان.

المبحث الثالث: مواقع العصر البرونزي في منطقة حوض صنعاء

أظهرت الشواهد الأثرية أن منطقة حوض صنعاء عرفت الاستيطان منذ عصور ما قبل التاريخ وتواصل فيها دون انقطاع إلى يومنا هذا. وقد أسفرت الأعمال والدراسات الأثرية

التي أجراها الباحث في هذه المنطقة، التعرف على مجموعة مواقع جديدة تنتمي إلى ثقافة الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد. وقد تبين من التحريات الأثرية التي أجريت عليها أن عدداً منها تضمنت بقايا أثرية لأنماط ثقافية مختلفة يُرجح أنها تمثل تعاقب الإستيطان بها منذ ثقافة العصر الحجري الحديث، بينما كانت أغلبية المواقع، جديدة أنشئت خلال الألف الرابع ق.م وكانت قد استوطنت لمرة واحدة. وسنكتفي هنا بعرض أربعة مواقع منها كنماذج وهي على النحو التالي:

١. **موقع حروة:** يتموضع على قمة جبل حروة الذي يشرف من جميع جهاته على أودية زراعية خصبة، ويقع إلى الجهة الشمالية الشرقية من قرية شعسان بمديرية سنحان على بعد ٢٠كم الى الجنوب الشرقي من مدينة صنعاء، بين دائرة عرض ("15°13'60.41) شمالاً وخط طول ("80.12 '20 °44) شرقاً، على ارتفاع ٢٥٦٣م من مستوى سطح البحر(خريطة:٢). يُشَكِل الموقع قرية سكنية متوسطة ذات مخطط هندسي شبه دائري بمساحة ٧٥٠×٧٨٠م (شكل٢) ، شيدت مبانيها في الجزء المنخفض من أعلى قمة الجبل وهو الجزء الذي يحيط بهذه القمة من ثلاث جهات "الشمالية والشرقية والغربية. (شكل٣) احتوت منشآتها المعمارية على نمطين من المباني، يظهر النمط الأول من وحدات سكنية بسيطة شبه دائرية ومستطيلة الشكل، تتكون كل وحدة سكنية من غرفتين إلى ثلاث غرف تفتح مداخلها على فناء يتوسطها (صورة رقم١). والنمط الثاني يظهر بشكل مباني أكبر في الحجم والمساحة، تتكون معظمها من ثلاثة أضلاع (جدران)، بينما شكلت الصخور الطبيعية الكبيرة الضلع الرابع لها (صورة رقم٢) وتكونت كل وحدة سكنية في هذا النمط من عدة غرف مستطيلة تفتح على فناء، ويلاحظ أن عدد كبير من هذه المساكن لا تزال تحتفظ ببقايا مداخلها، بعض هذه المداخل وجدت بعضاداتها الحجرية قائمة (صورة رقم٣). شيدت المساكن في هذا الموقع من احجار غير مشذبة بأحجام مختلفة من صف واحد على الصخر مباشرة بعد ان تم تسوية الارض بطبقة طينية متماسكة، ومن ثم تم اقامة صف من الاحجار بسمك ٥٠سم. ولأن الموقع تموضع في مكان صخري تشرف بعض أطرافه على منحدرات غير مستوية فقد سهل لعوامل التعرية الطبيعية والبشرية من ازالة أجزاء من معالمه ومنشآته المعمارية بعد هجر الاستيطان فيه. أما الجهة الجنوبية من الموقع وهي

الجهة التي تمثل الجزء الأعلى من قمة الجبل، فهي تتميز بسطح مستوي بمساحة ٢٤٥×١٥٠م، تم إحاطة جزء من هذه المساحة بمبنى لسور مستطيل الشكل يمتد من الجنوب باتجاه الشمال بطول ١٤٢م، وعرض ٥١م (شكل٣)، ضم من الداخل في جزئه الشمالي أربع منشآت معمارية دائرية الشكل منفصلة عن بعضها البعض مبنية من صف واحد من أحجار البازلت الغير مشذبة، اختلفت أحجامها ومساحاتها بحيث يصل طول قطرها بين ١٣- ٢٠م. وفي الطرف الشمالي الغربي خارج اطار السور توجد منشئتان معماريتان ذات مخطط هندسي مستطيل الشكل، أبعاد المنشأة الأولى ٢٥×١٨م، والثانية وهي اصغر حجما أبعادها ١٥×١٠م، يرجح أنها مباني ذات وظيفة دينية، إذ تشير الرسوم والنقوش الصخرية المنتشرة داخل الموقع ومحيطه إلى أن هذا الجزء من الموقع كان يستخدم لممارسة الطقوس الدينية المخصصة للمعبود "ود". وكان من أهم المعثورات التي احتواها سطح الموقع، العديد من كسر الفخار والادوات الحجرية المصنوعة من الصوان والزجاج البركاني "الأوبسيديان" تظهر بشكل نصال وشفرات لها حواف حاده مهذبة.

٢. **موقع الجبل الأسوَّد/ عَصِر:** يقع على بعد ٥كم إلى الغرب من مدينة صنعاء، بين دائرة عرض ("15°21'55.29) شمالاً وخط طول ("59.45 '44°8) شرقاً على ارتفاع ٢٦٥٠م عن مستوى سطح البحر (خارطة رقم:٢). ويتكون الموقع من مستوطنة سكنية متوسطة ذات مخطط بيضاوي الشكل بمساحة ٢٠٠×١٠٠م، تطل على قاع زراعي خصب من جهته الغربية. تحتوي على منشآت معمارية لوحدات سكنية دائرية ومستطيلة، بعضها كبيرة وأخرى صغيرة، الوحدات السكنية الكبيرة تظهر مخططاً مترابطاً واضحاً لمساكن شبه دائرية أو مستطيلة كل وحدة منها تتكون من فناء مكشوف تحيط به جدران أمامية لسلسلة غرف مترابطة قطرها بين ٤ – ٥م مكونةً فيما بينها دائرة كبيرة طول قطرها ٢٠م (صورة٤) وتضم مجموعة من المواقد، وكانت الغرف تفتح الى داخل هذه الساحات. كما تضم هذه المساكن غرف ملحقة خارج الفناء يرجح أنها استخدمت لإيواء الحيوانات كالماعز والأغنام. وتجاور هذه المساكن، وحدات سكنية أخرى مستطيلة الشكل، كل مسكن يتكون من غرفتين بمساحة ٦ × ٤ م. أما الوحدات السكنية الصغيرة فتتكون من غرفتين إلى ثلاث غرف، كل غرفة تصل مساحتها إلى ١,٥٠ م × ٨٠ سم. وهذا النمط المعماري

يتشابه بشكل واضح مع تلك الوحدات التي تم الكشف عنها من قبل البعثة الأثرية الإيطالية في مستوطنة وادي يناعم١ في خولان الطيال، التي تم إعادة تاريخها إلى نهاية الألف الثالث ق.م (ديمجريت١٩٩٠ :٥٢).

٣. **موقع جبل الدرع/ عَصِر**: على بعد حوالي ٢كم إلى الشمال الغربي من قرية عصر السفلى، بين دائرة عرض ("15°21'13.9) شمالاً وخط طول ("74.50 '8°44) شرقاً على ارتفاع ٢٥٤٧م من مستوى سطح البحر (خارطة رقم:٢). الموقع كبير جدا بمخطط شبه بيضاوي الشكل، مساحته الحالية ٥٦٠م شرق – غرب، و٣٠٠م جنوب – شمال، وبمساحة كلية تصل إلى ١٤٠٠م٢ تقريباً. يطل الموقع من جهته الشرقية نحو وادي المورد أحد روافد وادي السنينة الذي يصب في سهل صنعاء المعروف (بالسائلة) التي تتوسط العاصمة، وتنحدر شمالاً وتروي مساحات واسعة من الأراضي في الأجزاء الشمالية خصوصاً الواقعة منها في إطار مديرية بني الحارث، وجزء من تلك المياه تصب في وادي الخارد وبعض الوديان الفرعية مثل وادي الفرس ووادي حده والطرف السفلي من وادي ظهر. يمثل الموقع مدينة كبيرة محاطة بسور من جميع الجهات مبني من صفين من كتل أحجار البازلت والجرانيت المتوسطة والكبيرة الحجم بسمك يصل إلى ٥٠سم، بعض أجزاء منه لا تزال قائمة بارتفاع ١م، كما يلاحظ أن أجزاء كبيرة من أحجار هذا السور قد استخدمت في تسوير الأراضي الزراعية الحالية بعد أن تم انتزاعها من أماكنها الأصلية (صورة٥). تنتشر على سطح الموقع كسر الفخار ومطاحن جرش الحبوب الحجرية، بالإضافة إلى الكثير من الأدوات الحجرية المصنوعة من الصوان والزجاج البركاني. ويتكون الموقع من منشآت سكنية ذات مخططات دائرية وشبه دائرية وبيضاوية ومستطيلة ومربعة الشكل، بعضها لا تزال بأساساتها في حالة جيدة (صورة٦). كما يلاحظ أن بعض أساسات المباني قد أقيمت على بقايا معمارية لمباني أقدم، وهذا يعكس تعاقب الاستيطان في هذا الموقع الذي يُرجح أنه يمثل نفس الموقع الذي ورد اسمه في أحد نقوش المسند الصخرية باسم (ع ص ر م)، تم العثور علية في محيط الموقع، والذي جاء فيه: (ش ر ح م ا ح و ر ا ع ص ر م) بمعنى: (شارح أو شُريَح من سكان عصر) وعصر هي اليوم قرية على السفح الجنوبي لجبل عصر، بالطرف الغربي من مدينة صنعاء، يرد ذكرها لأول

مرة في هذا النقش الذي يبدو من خلال أسلوب الخط فيه أنه يعود إلى المرحلة الأولى من تطور الكتابة التي يؤرخ لها في الفترة الممتدة من ١٥٠٠- ٢٠٠ق.م (الصلوي ٢٠٠٨: ٦٧، ٦٨). مما يدل على أن عصر والمناطق المحيطة بها كان لها اهمية وكانت مأهولة بالسكان قديماً.

٤. **موقع تبة المصنعة:** تقع على بعد ٢,٥كم إلى الجنوب من قرية بيت نعم، بين دائرة عرض (15°23'03.53") شمالاً وخط طول (44°5' 49.20") شرقاً على ارتفاع ٢٥٧٩م من مستوى سطح البحر (خارطة رقم:٢). يتكون الموقع من قرية زراعية متوسطة، بمخطط شبه بيضاوي، تشغل مساحة ٢٥٥م جنوب شرق إلى شمال غرب، و١١٠م جنوب غرب إلى شمال شرق. تتموضع القرية على قمة جبلية مستوية السطح، تنحدر بشدة من الجهتين الجنوبية الغربية، والشمالية الغربية نحو قاع زراعي واسع تخترقه العديد من الأودية الكبيرة، من أهمها وادي ريعان والبياضي ولولوة. والقرية محاطة بسور تحصيني من جميع الجهات، مبني من كتل صخرية كبيرة ومتوسطة الحجم من البازلت (صورة٧). وتنتشر على سطح الموقع كسر الفخار وأحجار الرحى (المطاحن) والشظايا المصنوعة من الصوان والزجاج البركاني، وتظهر المنشآت المعمارية بشكل واضح بحيث تتكون من مجاميع وحدات سكنية دائرية وبيضاوية ومستطيلة، تضم كل وحدة سكنية أكثر من مسكن ولكل مسكن عدد من الغرف والملاحق. والغرف في هذه الوحدات مبنية من أحجار البازلت، ولا تزال أعداد كبيرة منها محتفظة بمخططاتها في حالة حفظ جيدة (صورة٨). ويعتبر النمط التخطيطي الدائري والبيضاوي للوحدات السكنية في هذه المستوطنة أو القرية هو النمط الشائع في بناء المساكن في مستوطنات الألف الثالث والثاني ق.م في مناطق الهضبة الغربية، ومنها منطقة حضور همدان (غالب١٩٩٥: ٢١٤)، التي تقع هذه المستوطنة ضمن إطارها الجغرافي، والوحدة التخطيطية في تبة المصنعة تشغل مساحة شبه موحدة يتراوح قطرها ما بين ٢٠- ٢٥م، شيدت على هيئة وحدات متصلة ومنفصلة، يفصل بينها ممرات وأزقة ضيقة. الوحدات السكنية المتصلة فيها تتكون من عدة غرف، وهي إما دائرية، أو بيضاوية أو مستطيلة الشكل، تتراوح أبعادها بين ٣×٣م و ٣×٢م، تفتح جميعها على فناء، وتشغل هذه الغرف أكثر من نصف مساحة الوحدة، بينما يشغل الفناء بقية المساحة التي تحتوي

على بعض الملحقات كالمخازن والمواقد. وقد بنيت جدران الغرف من أحجار كبيرة ومتوسطة الحجم وضعت فوق بعضها لتشكل صفوفاً مستقيمة. وهذه الغرف لا تحتوي في وسط أرضياتها على الأعمدة الحجرية التي يعتقد أنها كانت توضع لحمل السقف، وأن ما وجد لهذا الغرض في الغرف هنا هو مجموعة من الثقوب تم نقرها على الصخور الكبيرة التي تشكل الأساس للغرفة، هذه الثقوب توجد على أبعاد منتظمة تحيط بجدار الغرفة من الخارج بحيث يصل طول قطر الثقب إلى ٢٠سم، وعمق يصل إلى حوالي ٣٥سم (صورة٩)، يرجح أن هذه الثقوب استخدمت لتثبيت الدعائم الخشبية من جذوع الأشجار حول اطار الغرفة لحمل السقف بدلا عن الدعائم الحجرية التي توضع في وسط ارضية الغرف. كذلك يحتوي الموقع على مساكن فردية تتكون من غرف دائرية وبيضاوية ومستطيلة شيدت بأحجار البازلت الكبيرة والمتوسطة الحجم الغير مشذبة وضعت بشكل مستقيم على هيئة صفوف أحادية مكونة غرف تتراوح أبعادها ما بين ٣ و ٦م، تحتوي بعض هذه المساكن على ملحقات إضافية من الخارج شيدت بأحجار صغيرة الحجم ربما كانت تستخدم كزرائب لإيواء الحيوانات المستأنسة (صورة١٠).

٥. **موقع لكمة السواد:** يحد الموقع من الشمال قرية بيت بوس، ومن الشرق مستشفى ٤٨، أما من الجهة الغربية قرية أرتل، بين دائرة عرض ("15°15'13.5) شمالاً وخط طول ("44°13' 37.0) شرقاً على ارتفاع ٢٣٤٧م من مستوى سطح البحر (خارطة رقم:٢). ويتكون الموقع من قرية زراعية كبيرة تتوسط قاع سواد حزيز المنبسط الذي يضم أراضٍ زراعية واسعة وخصبة. تحتوي القرية على عدد كبير من الوحدات السكنية والمساكن الفردية التي تظهر بعضها بشكل وحدات مستقلة تتكون من مسكن واحد (صورة١١). يتألف المسكن من أربع غُرف وملحقاتها (مخازن، ومواقد، وزرائب لإيواء الحيوانات)، بنيت الغرف بأشكال تخطيطية مختلفة، حيث يتوسط المبنى غرفتين، الأولى مستطيلة الشكل بمساحة ٤,٢٠×٢م، يليها من جهة الجنوب الغرفة الثانية التي تظهر بشكل بيضاوي بمساحة ٣,٥٠× ٢م. يلي الغرفتين في كل من الطرف الشرقي والطرف الغربي غرف دائرية الشكل، يصل قطر الغرفة الشرقية ٢م، تحتوي في طرفها الشمالي من الداخل على كوات صغيرة الحجم بمساحة ١م.

أنماط المنشآت المعمارية ومخططاتها الهندسية المكتشفة

يلاحظ من خلال المخطط العام للمستوطنات التي تم الكشف عنها في منطقة حوض صنعاء أنها اتخذت ثلاثة أشكال هندسية هي:

أ. **شكل تضاريس الموقع نفسه:** تتخذ المستوطنات في هذا النوع مخططها الهندسي إما بنظام الامتداد الراسي، أو الأفقي، بحيث تتوزع مساكنها على المساطب الصخرية بشكل مجموعات لوحدات سكنية تكون إما متقاربة أو متباعدة بحسب الموضع والمستوى الذي يفرضه الشكل الطبوغرافي للموقع، وهذا الأمر ينطبق على موقع حروة(شكل٣) إذ يلاحظ أن الوحدات المعمارية فيها توزعت بشكل أقسام ومستويات ذات مناسيب متباينة، تتألف من وحدات سكنية منها المستقلة والجماعية، تكونت بعض المساكن فيها من غرفة واحدة وبعضها من غرفتين إلى ثلاث غرف (شكل٤)، اتخذت مخططاتها الهندسية الشكل البيضاوي أو المستطيل، وهي بأحجام ومساحات مختلفة يحيط بكل وحدة سكنية سور ولها فناء أو ساحة دائرية مشتركة لمزاولة الأنشطة اليومية.

ب. **الشكل البيضاوي:** وهو النمط السائد الذي يمكن ملاحظته في تخطيط كل من مواقع الجبل الأسود، وجبل الدرع، وتبة المصنعة، التي تظهر بشكل قرى زراعية صغيرة وكبيرة ومدن، وهي أكثر تطوراً في مخططاتها الهندسية ومكوناتها المعمارية الداخلية من مساكن وملحقاتها، وعادةً ما يتم إنشاء مثل هذه المستوطنات على قمم المرتفعات الجبلية أو الهضاب والروابي الصخرية وتتألف من وحدات سكنية دائرية وبيضاوية ومستطيلة الشكل (شكل٥)، تظهر على هيئة وحدات متصلة ومنفصلة، يفصل بينها ممرات وشوارع ضيقة. الوحدات السكنية المتصلة تتكون من عدة غرف مترابطة وهي إما دائرية أو بيضاوية أو مستطيلة، تفتح جميعها على فناء، وتشغل هذه الغرف أكثر من نصف مساحة الوحدة التي تشغل بعضها مساحة كلية من ١٢ – ٢٦م، بينما يشغل الفناء بقية المساحة التي تضم بعض الملحقات كالمخازن ومواقد النار وغرف ملحقة خارج الساحة أو الفناء يرجح أنها خصصت كزرائب للحيوانات المستأنسة كالماعز والأغنام.

ج. **الشكل المستطيل:** وهو النمط السائد في تخطيط موقع (لكمة السواد). وعادةً ما يتم إنشاء مثل هذه المستوطنات على قمم أو سفوح المرتفعات الجبلية أو الهضاب والتلال الصخرية المحاذية للوديان والقيعان الزراعية. وتتكون هذه المستوطنات من قرى صغيرة ومراكز زراعية متوسطة وكبيرة الحجم، تحتوي بعضها على وحدات سكنية مستقلة مكونة من مسكن واحد يتألف من أربع غُرف وملحقات. كما توجد وحدات سكنية جماعية مترابطة تتكون كل وحدة منها من مسكنين إلى ثلاثة مساكن كل مسكن فيها مكون من غرفتين إلى أربع غُرف وملحقاتها، كذلك تظهر بعض هذه المستوطنات من القرى والمراكز الصغيرة أو الكبيرة الحجم محاطة بسور تحصيني، بحيث يضم السور من الداخل مجموعة كبيرة من الوحدات السكنية المترابطة (عنقودية الشكل) كل وحدة تتكون من عدد من المساكن.

الأدوات الحجرية المكتشفة في مستوطنات المنطقة الغربية من حوض صنعاء:

إنّ الإكتشافات الأخيرة التي تمت في هذه المنطقة وما جاورها من مناطق أخرى مثل خولان وبدبدة وحضور همدان وقاع معبر وذمار، ليست إلا جزءاً من مجموعة مكتشفات حديثة أخذت على عاتقها تقديم الأدلّة عن الأصول المحلية للحضارة اليمنية. وفي المنطقة الغربية من حوض صنعاء، تم العثور على مجموعات متعددة من الأدوات الحجرية المصنوعة من أحجار الصوان والكوارتزيت، التي تظهر بشكل نصال، وشظايا صغيرة. بعض هذه الأدوات لها حواف حاده مهذبة من جهة واحدة وبعضها من جهتين. وكان بين مجموعة تلك الأدوات مجموعة من النصال والشفرات المصنوعة من الزجاج البركاني الأوبسيديان التي تتميز بحجمها الصغير، بالإضافة إلى وجود أدوات جرش وطحن الحبوب (صورة ١٢).

وتأسيساً على ما سبق، يتضح أن المنطقة الغربية من حوض صنعاء احتوت على أعداداً كثيرة من مستوطنات وقرى ومدن العصر البرونزي، هذه المستوطنات اعتمد اقتصادها على الزراعة إلى جانب الصيد وتربية الحيوانات، فقد امتازت الحياة المعيشية لمجتمعات تلك المستوطنات خلال هذا العصر بوصفها الاقرب الى النمط الزراعي الرعوي، حيث يتضح ذلك من خلال الشواهد الأثرية المتمثلة بمواقع الاستيطان ومحتوياتها من أدوات حجرية

خاصة بجرش وطحن الحبوب، بالإضافة إلى أدوات الحصاد المصنوعة من الصوان التي ظهرت بشكل نصال وشظايا ومكاشط، إلى جانب ما أظهرته بقايا المنشآت الخاصة بالحقول الزراعية من جدران وأجران، وسدود صغيرة وقنوات، بالإضافة إلى ما أظهرته الرسوم الصخرية من صور لأنواع الحيوانات التي احتوتها البيئة في معظم مناطق تلك المستوطنات، وخصوصاً تلك التي تظهر على نطاق واسع وكبير في كل من مواقع عَصِر وحروة التي اتضح أن معظمها كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمناطق الصيد والرعي والزراعة. بالإضافة إلى ما دلت عليه المخططات الهندسية للوحدات السكنية وتعدد المساكن فيها، ومكوناتها من غرف المعيشة المتعددة وأماكن ممارسة الأنشطة اليومية المتمثلة بالساحات ومحتوياتها من الملحقات كالمخازن الخاصة بحفظ الأعلاف والمحاصيل الزراعية ومواقد النار وأماكن جرش وطحن الحبوب الزراعية، التي تشير جميعها إلى وجود نمط اقتصادي يعتمد على الزراعة، إلى جانب ذلك يستدل من وجود الملحقات المعمارية المتمثلة بالغرف المضافة خارج أفنية المساكن إلى احتمال استخدامها كأماكن لإيواء الحيوانات المستأنسة، كالماعز والأغنام، مما يشير بدوره إلى وجود اقتصاد رعوي قائم على استئناس وتربية الحيوانات. ومن خلال تلك الشواهد ومقارنتها باقتصاديات مستوطنات المرتفعات الشمالية الشرقية من الهضبة الغربية (مناطق خولان والحدأ)، ومستوطنات المرتفعات الشمالية الغربية (حضور همدان) ومناطق المرتفعات الوسطى من الهضبة الغربية (مناطق ذمار) التي تم دراستها، وخاصة عينات التربة، وطبعات الحبوب على الفخار والبقايا المعمارية، يلاحظ أن معرفة الانسان للزراعة وممارستها ؛على أقل تقدير؛ منذ الألف الخامس ق.م إلى جانب الجمع والصيد (غالب٢٠١٠). وقد زادت خبراته الزراعية خلال الألف الرابع ق.م بحيث مارسها بشكل أوسع، وكونَ ما يعرف بمجتمعات المزارعين الأوائل (غالب١٩٩٣: ٢١١– ٢١٣).

ومجمل القول أن تاريخ نشأة المدن في مناطق المرتفعات الغربية يرجع في الأغلب إلى العصر البرونزي، فقد دلت الاكتشافات الأثرية في مناطق المرتفعات الغربية على وجود عدد كبير من المواقع التي اطلق عليها مدن العصر البرونزي في قاع ذمار مثل مواقع: السبال وحمة القاع ومدينة البلد وخربة أفيق وهواجر، التي تبين أنها تغطي المرحلة الزمنية من منتصف الألف الرابع إلى نهاية الألف الثاني ق.م. وكانت هذه المدن تضم كثافة سكانية

متوسطة ولكن العامل الأساسي في الحكم على قيام الحياة الحضرية ليس بعدد السكان رغم أهميته بقدر ما هو نوع نمط الحياة السائد في تلك المجتمعات وهو نمط يتميز في المحل الأول باشتغال الناس بأنواع من الأنشطة الاقتصادية التي لا تتعلق بإنتاج الطعام كما هو الحال في الجمع والالتقاط أو الصيد والقنص، فهذه كلها ترتبط بأشكال الحياة الأكثر بدائية وتأخرا عن حياة الحضر وحياة المدن، وذلك فضلا عما تتطلبه الحياة الحضرية بالضرورة من الاستقرار اللازم لقيام نظم اجتماعية وعلاقات معقدة ومتشعبة بين السكان وتباين عاداتهم وقيمهم الاجتماعية –على الأقل في بداية الأمر– لا سيما حين تنزح جماعات مختلفة إلى منطقة واحدة تستقر فيها وتؤلف نواة لقيام مجتمع حضري. واضح إذن أننا عندما نتحدث عن "المدينة" فان هذه الكلمة تعني أشياء كثيرة ومختلفة ومتباينة، مما يقتضي دوما أن توضع منذ البداية بعض المعايير التي تساعد على توضيح أهم الملامح التي يجب أن تتوفر في المجتمع الحضري. فالمدن الأولى لم تظهر بصورة مفاجئة وسريعة ولكنها مرت بمراحل معينة في عملية نشأتها كما أن المدينة تتأثر إلى حد بعيد بالعناصر الطبيعية للإقليم الذي تقع فيه من حيث حجمها ووظيفتها وعلاقاتها الخارجية مع المناطق التي تحيط بها. فالمدينة لكي تبقى وتستمر في تطورها وازدهارها لابد وان تشغل موقعا تتوفر فيه مناطق الرعي والزراعة ومواد البناء الضرورية. ومن العوامل التي أدت إلى نشأة المدينة أن مجتمع قرية من القرى استطاع إن ينتج ما يكفي جميع أفراده بحيث يستطيع جزء منهم إنتاج الطعام، ويتفرغ جزء آخر لإنتاج أعمال وأنشطة أخرى، كأن يتفرغ للتنظيم والتخطيط والفن أو الدين أو السياسة. كذلك فقد اقترن ظهور المدن بتقدم المعرفة والقدرات، ومن أهم هذه القدرات استعمال المعادن والاشتغال بأنشطة أخرى إلى جانب النشاط الزراعي، وهكذا ظهرت التجارة والصناعة إلى جانب الزراعة في بعض القرى فتحولت إلى مدن. فمن خلال انتقال أعداد كبيرة من المجاميع السكانية من مناطق حواف المرتفعات الجبلية في الهضبة الغربية في بداية الألف الثاني ق.م، بحسب ما أشار إليه الدليل الأثري والجيمورفولوجي إلى وسط الوديان الزراعية الخصبة، تبين أن نشأة المدن اليمنية كمدن حضرية تمت في الوديان الشرقية، حيث أسست تلك المجاميع البشرية هناك مراكز ومدن حضرية كانت متباينة في حجمها وهندستها المعمارية وأن هذا التباين يدل على نمو متواصل وتسلسل هرمي

وتخصص اقتصادي لثقافة مادية غير عادية توجت بظهور الممالك القديمة في منتصف الألف الثاني ق.م. في مناطق مارب والجوف وبيحان وحضرموت. وبقيام تلك الممالك نشطت التجارة المحلية والخارجية وشُرِعت القوانين لتنظيمها وحمايتها وحققت التجارة الخارجية أرباح كبيرة للممالك اليمنية والمجتمعات على حدٍ سواء، قامت تلك السلطات بتوظيف تلك الأرباح في مشاريع زراعية كبيرة لتحقيق فائض كبير في المنتوج الزراعي كافٍ لإطعام الجميع، فشيدت السدود وقنوات الري واستصلحت الأراضي الزراعية والمحافظة عليها وصيانتها من مخاطر مياه الأمطار التي كانت تسقط على المرتفعات الجبلية وتتحول إلى سيول مدمرة تجري في الوديان الكبيرة وتصب في صحراء صيهد. وتوسعت تلك الممالك وأقيمت التحصينات الدفاعية حولها مثل مدن مأرب وشبوة وتمنع. في نفس الوقت زاد حجم البلدات التي نشأت في وسط الوديان الزراعية الكبيرة مثل مدن غيمان وحاز وعصر وشعوب ويلا، إلى جانب كل من براقش وهجر بن حُميد وهجر الريحاني، وجميعها كانت مدن تقع على طرق التجارة البرية. وجاءت الأدلة الأثرية والجيمورفولوجية لتقوي الافتراض بأن المدن اليمنية القديمة نشأت كقرى صغيرة يقوم اقتصادها على الزراعة وتربية الماشية، ثم نمت وزاد عدد سكانها وتنوعت وظائفها وابتكارات سكانها في الصناعة وتقنيات الري مما أهَلَّها لأن تصبح مراكز إدارية وأسواق تجارية محلية. وربما أدى نموها وتطورها المتواصل لأن تصبح عواصم محلية في منتصف الألف الثاني ق.م. ومن المُرجح أن هذا التحول قد رافقه تطور في الصناعة والتجارة مما سمح لمجتمعاتها التوسع في نشاطهم التجاري، حيث امتد لمناطق بعيدة لم تصلها تجارتهم من قبل، مثل بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ومصر وبلاد ما بين النهرين، وأسسوا لصلات تجارية مع شعوب تلك البلدان، تطورت تلك الصلات وبلغت أوج ازدهارها في الألف الأول ق.م وبعد الميلاد. وأنه في الألف الأول ق.م برز عدد من هذه المدن فأصبحت عواصم سياسية لدول مثل مدينة مأرب عاصمة سبأ، ومدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت ومدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان ومدينة قرناو عاصمة مملكة معين، لكن هذا التاريخ لا يؤسس عليه تاريخ نشوء هذه المدن، فعلى سبيل المثال حددت الدراسات الأثرية الحديثة تاريخ نشوء مدينة مارب إلى المراحل الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد إذ تشير تلك الدراسات إلى أن مدينة مارب في مراحلها الأولى كان معظم سكانها

مزارعون وكانت مساحتها وعدد سكانها في تزايد مستمر وأنه في كل مرحلة من مراحل نموها كانت مساحة الأراضي المزروعة في المناطق المحيطة بها تتوسع وأنظمة جديدة للري تبتكر وكانت التجارة تمارس على نطاق محلي بين المدن. وكان النشاط التجاري الخارجي محدود واستمر كذلك حتى مطلع الألف الأول ق.م. ينطبق ذلك على بقية المدن التي نشأت في الوديان الزراعية المتاخمة لرملة السبعتين مثل مدينة شبوة وتمنع وهجر بن حميد وهجر الريحاني وهجر التمرة، ومدينة براقش وريبون، فقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية والدراسات الجيمورفولوجية التي أجريت في تلك المدن أن نشأة مدينة مأرب كانت في بداية الألف الثاني ق.م. في حين أُرخت مدن مثل صبر وريبون إلى بداية النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. ومدن أخرى مثل يلا وهجر بن حميد وهجر الريحاني وهجر التمرة أُرخت إلى نهاية الألف الثاني ق.م. وأُرخت مدينة يثل (براقش) إلى القرن العاشر أو التاسع ق.م. وتمنع إلى القرن الثامن أو السابع ق.م. وقد أعطيت هذه التواريخ بواسطة قراءات C^{14} والقراءات المقارنة للفخار.

أهم النتائج:

١. من خلال دراسة آثار العصر البرونزي تبين أن أسس ومبادئ العمارة بمختلف وظائفها قد ترسخت في هذا العصر وخاصة ما يتعلق بتخطيط القرى والمدن ومكوناتها المعمارية الداخلية من مساكن وملحقاتها التي لم تظهر بشكل هندسي موحد، إذ أن ذلك الأمر لم يكن قد تبلور بعد.

٢. عرفت منطقة حوض صنعاء الاستيطان منذ العصر الحجري القديم الأوسط وذلك استناداً إلى الأدوات الحجرية التي تم العثور عليها في موقع قرية بيت نعم الواقعة على سفح جبل عيبان بمديرية بني مطر، إلى جانب ما تم الكشف عنه مؤخرا في مواقع أخرى داخل حرم جامعة صنعاء، وفي مناطق بني مطر أقدمها يعود إلى العصر الحجري القديم وأحدثها إلى العصر الحديدي.

٣. اشتمل البحث على خمسة مواقع احتوت مجموعة من الشواهد والأدلة الأثرية، بينت وجود نشاط بشري متنوع يوضح المراحل التسلسلية المتعاقبة للتطورات التي مرت بها المجتمعات في تلك المناطق منذ استقرارهم فيها وتطويع بيئتها واستغلالها وتكوين

واكتساب معارفهم المختلفة التي استطاعوا من خلالها تطوير أسلوب معيشتهم وحياتهم وتشكيل ثقافاتهم منذ الألف الرابع ق.م.

٤. أظهرت المواقع المشار إليها أنها احتوت على عدد من المستوطنات والقرى البدائية واستمرت في التطور منذ الألف الرابع ق.م إلى أن صارت قرى ومراكز زراعية كبيرة كانت النواة الأولى في تشكيل المدن والمراكز الحضارية في المنطقة.

٥. شهد نشاط السكان تحولا واضحاً من ممارسة جمع الغذاء والصيد إلى ممارسة الزراعة بشكل واسع خلال العصر البرونزي، واستقروا بشكل نهائي في قرى ثابتة كتجمعات استيطانية صغيرة ومتوسطة، تظهر فيها المساكن بمخططاتها الهندسية البسيطة بشكلها الدائري والبيضاوي، إلى جانب الأراضي الزراعية على حواف الوديان الفرعية والشعاب الداخلية، وخير دليل على ذلك هو ما تم الكشف عنه في قمة وسفح جبل الجعير، وقوزع، وجبل حمل من وحدات منفصلة لمساكن دائرية وبيضاوية يحيط بكل منها سور يفصلها عن وحدة استيطانية أخرى بنفس النمط.

٦. أن العدد الكبير من مواقع القرى الزراعية وانتشارها الكبير في مناطق المرتفعات يدل على النشاط الحضاري الكثيف، مما يجعلنا نرجح بأن التحول من القرية إلى المدينة قد تم في هذا العصر ؛وهو أمر كان غير معروف في الدراسات الأثرية الخاصة بعصور ما قبل التاريخ في اليمن؛ مما أدى إلى القول بعدم وجود قرى زراعية ومدن صغيرة أسوة بما هو معروف في مناطق الشرق الأدنى القديم، وذلك يسد الفجوة المعرفية حول تلك المرحلة الزمنية في اليمن القديم، ويؤكد ذلك تزايد الاكتشافات الأثرية في السنوات الأخيرة لتلك النوعية من المواقع وتنامي عددها لتشكل ظاهرة كانت غير معروفة في السنوات الماضية .

٧. أن وجود الملحقات المعمارية التي ظهرت بشكل غرف صغيرة خارج اطار فناء الوحدات السكنية تخص أماكن إيواء الحيوانات مما يفيد بوجود مؤشرات قوية عن عملية استئناس وتدجين أنواع معينة من الحيوانات كالأبقار والماعز منذ العصر الحجري الحديث لتترسخ وتظهر كثروة اقتصادية في العصر البرونزي في منطقة المرتفعات الغربية بشكل عام، ومنطقة الدراسة بشكل خاص.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

أحمد، فائز حسن عثمان: ٢٠٢١:

"التشابهات الحضارية بين الجزيرة العربية واقليم النيل الأوسط خلال فترة ما قبل التاريخ – تقنية الصناعات الحجرية أنموذجاً"، في كتاب: التواصل الحضاري بين ساحلي البحر الأحمر(دراسة آثارية تاريخية)، وحدة البحوث والنشر– مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، السودان، ٧– ٢٨.

إيدينز، كريستوفر ؛ ويلكنسون، توني ٢٠٠١:

"جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث(الهولوسين): الاكتشافات الأثرية الأخيرة، ١٩٩٨" في كتاب: دراسات في الأثار اليمنية من نتائج بعثات أمريكية وكندية، ترجمة: ياسين الخالصي، مراجعة وتقديم: نهى صادق، المعهد الامريكي للدراسات اليمنية، سلسلة الدراسات المترجمة(٤)، صنعاء، ٢٠٠١. ص١–٩٦.

ديمجريت، اليساندرو:

١٩٩٩: "التنقيبات الإيطالية في يلا: معطيات جديدة حو التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام"، ترجمة: منير عربش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي، صنعاء.

١٩٩٠: حضارة العصر البرونزي في خولان الطيال والحدأ، ازميو – روما.

١٩٨٤: حضارة العصر النحاسي في الجمهورية العربية اليمنية، ترجمة: عثمان الخليفة، معهد دراسات الشرق الأوسط والشرق الأقصى "أسميو" ، البعثة الأثرية الايطالية.

زارنس, يوريس ؛ وآخرون ٢٠٠١:

"برنامج المسح الأثري الشامل لآراضي المملكة العربية السعودية: التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية", أطلال٥، ط٢، ص٩–٣٦.

سنهوب، حمادي حمود أحمد ٢٠٠٦:

الموارد المائية في حوض صنعاء واستثمارها في الري، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، كلية الآداب – ق/ جغرافيا .

الصلوي، إبراهيم محمد ٢٠٠٨:

"كتابات المسند وكتابات الزبور في اليمن القديم" مجلة أبجديات، ع٣، مركز الخطوط، مكتبة الاسكندرية، ص٦٠ – ٧٧.

العريقي، منير عبد الجليل ٢٠١١:

"المميزات الحضارية للعصر البرونزي في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن القديم)"*مجلة الباحث الجامعي* ، العدد٢٦، يوليو – سبتمبر، الادارة العامة للبحث العلمي، جامعة إب، ص١٠٣ – ١٥٤.

غالب، عبده عثمان:

٢٠١٠: "فرضيات الفجوة الثقافية والتوطن القديم في اليمن – دراسة تحليلية نقدية"، *مجلة الإكليل*، ع٣٥، ٣٦، وزارة الثقافة، صنعاء.

٢٠٠٣: العصور البرونزية، الموسوعة اليمنية، ج٣، ط٢، مؤسسة العفيف الثقافية، الجمهورية اليمنية، صنعاء.

١٩٩٥: "نتائج المسح الأثري في منطقة حضور همدان ١٩٩٣ – ١٩٩٥ – مواقع جديدة من الألف الرابع والألف الثالث ق.م"، *مجلة الإكليل*، ع٢٣، وزارة الثقافة، صنعاء.

١٩٩٣: تقرير مبدئي عن المسح والتنقيب في منطقة بدبدة، مأرب" الموسم الأول ١٩٩٢ ، *مجلة التاريخ والآثار*، تصدر عن الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار، العدد الأول ، صنعاء.

غالب، عبده عثمان ؛ الشهاب، سامي شرف. ٢٠٢١:

"تهامة في عصور ما قبل التاريخ وصلاتها الحضارية بشر افريقيا"، في كتاب: التواصل الحضاري بين ساحلي البحر الأحمر(دراسة آثارية تاريخية)، وحدة البحوث والنشر– مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، السودان.

فوكت، بوركهارد:

١٩٩٩: "صبر مدينة من نهاية الألف الثاني خلف منطقة عدن"، في كتاب: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عردوكي،
معهد العالم العربي، باريس، ص٤٧–٤٨.

٢٠٠٣: حضارات مجهولة سادت على خليج عدن منذ حقبة الركام الصدفي في العصر الحجري حتى ظهور مدينة صبر في العصر البرونزي المتأخر، في كتاب: ٢٥عاماً حفريات وأبحاث في اليمن (١٩٧٨-٢٠٠٣)، أصدر من قبل: أيريس جرلاخ، المعهد الألماني، قسم الشرق، مكتب صنعاء، ص١٩ -٢١.

كوتريل، ليونارد١٩٩٧:

الموسوعة الأثرية العالمية، ط١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

محيسن، سلطان ١٩٩٠:

عصور ما قبل التاريخ، جامعة دمشق، دمشق.

المعمري، عبد الرزاق راشد :

١٩٩٦: "مخلفات أثرية لإنسان ما قبل التاريخ في حوض صنعاء"، في كتاب: الندوة العلمية الأولى للأثار اليمنية (صنعاء الحضارة والتاريخ)، ج١، صنعاء، ص٨٧ – ١٢٠.

٢٠٠٢: "إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية"، مجلة أدوماتو، العدد (٥)، يناير، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ص٣٢-٣٨.

٢٠١٤: " العصر الحجري القديم اللاحق في الجزيرة العربية"، دراسات في علم الآثار والتراث، ع٥، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض، ص١٧-١٠٢.

الويسي، حسين بن علي ١٩٩١ :

اليمن الكبرى –كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي- ج١، ط٢، مكتبة الارشاد، صنعاء.

ونس، أحمد عمر، ٢٠٠٨:

تهامة في التاريخ القديم – الألف الثالث قبل الميلاد إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد – دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ.

Albright, W. F. 1950:
"The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban." Bulletin of the American Schools of Oriental Research 119.

Al-Abri A., Podgorná E., Rose J.I., Pereira L., Mulligan C.J., Silva N.M., Bayoumi R., Soares P., Černý V., 2012:
Pleistocene-Holocene Boundary in Southern Arabia : From the Perspective of Human mtDNA Variation. *American Journal of Physical Anthropology* 2012 : 1-8.

Amirkhanov, H. A.:
2008: Cave Al-Guza: The Multilayer Site of Oldowan in South Arabia, Russian Academy of Sciences Institute of Archaeology, Moscow: Taus, 56 p. IS BN-978-5-903011-28-5.
1997: The Neolithic and Post Neolithic of Hadramawt and Mahra. Moscow. P. 247 .

Bayle des Hermens,R. de 1976:
Première mission de recherches prehistorques en République Arabe du Yémen, in : L'Anthropolgie vol.80.pp5-37.

Bulgarelli, M .G.1988:
Evidence of Paleolithic Industries in Northern Yemen, in: Daum,W.(ed)Yemen 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix, Innsbruck / Frankfurt -an- Main ,p.33.

Černý V., Mulligan C.J., Fernandes V., Silva M., Alshamali F., Non A., Harich N., Cherni L., El Gaaied B., Al-Meeri A., Pereira L., 2011:
Internal diversification of mitochondrial haplogroup R0a reveals post-last glacial maximum demographic expansions in South Arabia. *Molecular Biology and Evolution* 28(1) : 71-78.

Crassard, Remy ; Hilbert YH 2013:
"A Nubian Complex Site from Central Arabia: Implications for Levallois Taxonomy an and
Human Dispersals during the Upper Pleistocene", PLoS One journal, Volume 8, pone, Portugal, p.1-18.

Delagnes, A., & OTHERS. 2012 :
"Inland Human Settlement in Southern Arabia 55,000 Years Ago, New Evidence from the Wadi Surdud Middle Paleolithic Site Complex, Western *Yemen", **Journal of Human Evolution*** 63, 452-474, doi:10.1016 / j.jhe vol03.008.

De Maigret, Alessandro .

1984: A bronze Age for Southern Arabia. East and West. Vol.34 No. 1-3. Rome, Pp.75 – 106.

1990: "Bronze Age Faunal Collections from North Yemen." In., The Bronze Age Culture of Khawlan al-Tiyal and al-Hada. Rome: IsMEO. Pp. 149-170.

2002a: The Bronze Age in Yemen Arabia Felix, An Exploration of the Archaeological History of Yemen, Stacey International .

2002b: The Neolithic Period on the coast .in: Arabia Felix. An Exploration of the Archaeological History of Yemen . Stacey International .

Doe, B.1971:

Southern Arabia , Thames and Hudson , London, P.134.

Drechsler P. 2009:

The dispersal of the Neolithic over the Arabian Peninsula. British Archaeological Reports International Series 1969. Oxford ***:*** ***Archaeopress***.

Edens C.:

1999: The Bronze Age of Highland Yemen: Chronological and Spatial Variability of Pottery and Settlement. Paleorient 25: 105-128.

2002: Before Sheba. Queen of Sheba: Treasures From Ancient Yemen. London.

Fedele F. G. 1988:

North Yemen: The Neolithic, in: Daum, W.(ed.), Yemen 3000 years of Art and Civilization in Arabia Felix , Innsbruck / Frankfurt -an-Main. pp.34-37.

Fedele F. G. and Zaccara D. 2005:

"Wadi Al-Tiyal 3: A Mid-Holocene Site on the Yemen Plateau and its Lithic Collection." In Sabaean Studies: Archaeological, Epigraphical and Historical Studies in honour of Yusuf M. Abdallah, Alessandro de Maigret, Christian Robin. Eds. Amida M. et. al., pp. 213-245.

Fernandes V. ; Triska P. ; Pereira J.B. ; Alshamali F. ; it. all., 2015:

Genetic stratigraphy of key demographic events in Arabia. ***PLoS One*** 10(3) : e0118625.

Gandini F. ; Achilli. ; Pala. ; Bodner. ; Brandini. ; Huber. ; it all 2016:

Mapping human dispersals into the Horn of Africa from Arabian Ice Age refugia using mitogenomes. Scientific Reports 6 (25472)

Ghaleb, A. O.:

1990: "Agricultural Practices in Ancient Radman and Wadi al-Jubah (Yemen)", Unpublished Ph.D. dissertation, University of Pennsylvania, Philadelphia.

2005: "Bronze Age Sites in Bidbida, the Northeastern Highland of Yemen." In Sabaean Studies: Archaeological, Epigraphical and Historical Studies in honour of Yusuf M. Abdallah, Alessandro de Maigret, Christian Robin. Eds. Amida M. et. Al., pp.279-294.

Gibson, M., and Wilkinson T. J.:

1994-1995: Oriental Institute Investigations in Yemen, Dhamar Project.

1995: "The Dhamar Plain, Yemen: A Preliminary Study of the Archaeological Landscape." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 25, PP 159-183.

Hilbert Y.H., Parton A., Morley M.W., Linnenlucke L.P., it. all. 2015:

Terminal Pleistocene and Early Holocene archaeology and stratigraphy of the southern Nejd, Oman. *Quaternary International* 382 : 250-263.

Uerpmann H.-P., Potts D.T., Uerpmann M., 2009:

Holocene (re-)occupation of eastern Arabia. In: M.D. Petraglia, J.I. Rose (eds.), The Evolution of Human Populations in Arabia: 205-210. Dordrecht : Springer

Keall, E.2005:

Placing Al-Midamman in time. The work of the Canadian Archaeological Mission on the Tihama Coast, from the Neolithic to the Bronze Age: the Archäologischer Berichte aus dem Yemen. Verlag Philipp Von Zabern. Mainz Am Rheine Band X p98

Lewis.K.2009:

Beyond Subsistence: Archaeology of Food and Society in Early Historic Highland, Yemen, Dissertation proposal presented to University of Chicago ,Department of Anthropology .31:9.

McClure, H. A. 1976:

"Radiocarbon Chronology of Late Quaternary Lakes in the Arabian Desert" Nature 263, 755.

Overstreet, W. C., and Grolier, M. J. 1996:

The Wadi al-Jubah Archaeological Project vol. 5, Environmental Research in Support of Archaeological Investigations in the Yemen Arab Republic, 1982-1987. Washington DC: American Foundation for the Study of Man.

Pirenne. J. 1955:

La Grece et Saba. Paris: Academie des Inscriptions et Belles-Lettres.

Tosi, M 1986:

Archaeological Activities in the Yemen Arab Republic, Survey and Excavations on the Coastal Plain (Tihama)". *East and West* .vol. 36 pp. 400 - 414.

Van Beek, G. W. 1952:

"Recovering the Ancient Civilization of South Arabia." Biblical Archaeologists 15, 2-18.

Whalen, N. m 93- 1994 :

"Is the Early Man Found his way through Bab Al-Mandab strait from Africa to Yemen" *Journal of the History & Archaeology*, GIJ.Vol.2 & 3, pp. 1- 17.

Wilkinson T. J. :

1999: "Settlement, Soil Erosion and Terraced Agriculture in Highland Yemen : A Preliminary Statement." Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 29: 183-191.

2003: The organization of settlement in highland Yemen during the Bronze and Iron Ages, PSAS.33 ,P.157-168.

Wilkinson, T,J ; & Gibson, M, 96/ 1997:

Oriental Institute investigations in Yemen, Dhamar Project, Report. Ou.uchicago. edu.

Wilkinson, J. and Edens.C.1999:

"Survey and Excavation in the Central Highlands of Yemen: Results of the Dhamar Survey Project,1996-1998" in : Arabian Archaeology and Epigraphy pp.12-18.

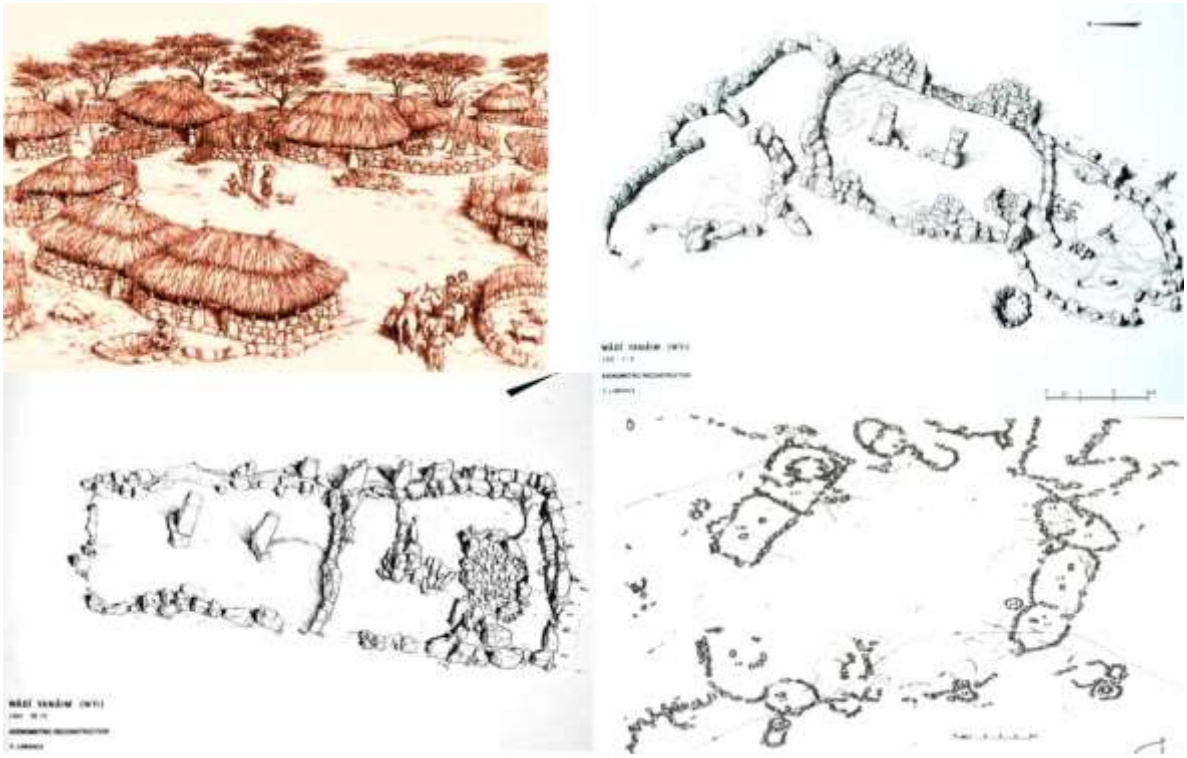
الخرائط والأشكال والصور



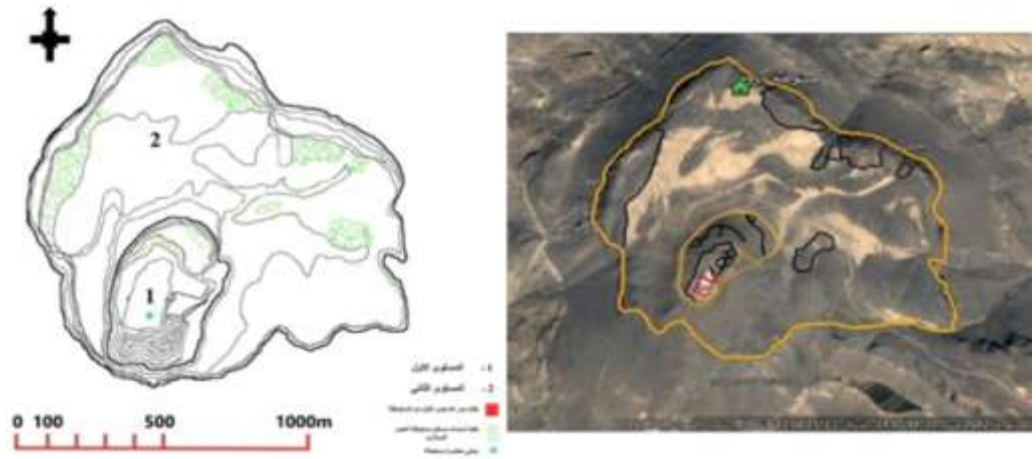


خريطة رقم ١: توضح موقع محافظة صنعاء. عن: (الهيئة العامة للموارد المائية)

خريطة رقم٢: توضح موقع وحدود حوض صنعاء وأماكن انتشار مواقع العصر البرونزي، عن: (الهيئة العامة للمساحة).



الشكل١: منشآت سكنية من العصر البرونزي ذات مخططات بيضاوية وشبه دائرية ومستطيلة – موقع وادي يناعم خولان الطيال. عن (De Maigret , 1984).



الشكل٢: المخطط العام لموقع مستوطنة جبل حروة، بالاستعانة ببرنامج Google Earth. الباحث



صورة ١: النمط الأول من الوحدات السكنية البسيطة، مستوطنة حروة



صورة٢: النمط الثاني من الوحدات السكنية ، مستوطنة جبل



صورة ٣: مساكن تحتفظ ببقايا مداخلها المكونة من عضادات حجرية قائمة، مستوطنة جبل حروة



صورة ٤: وحدات سكنية تتكون من ساحة مكشوفة تحيط بها سلسلة غرف مترابطة موقع الجبل الأسود / عصر



صورة ٥: توضح موقع المدينة والسور المحيط بها من جميع الجهات - موقع جبل الدرع / عَصِر.



صورة٦: توضح الوحدات السكنية ومخططاتها الهندسية، موقع جبل الدرع / عَصِر.



صورة٧: توضح موقع مستوطنة تبة المصنعة محاطة بسور تحصيني، مبني من كتل صخرية من البازلت.



صورة٨: وحدات سكنية دائرية وبيضاوية ومستطيلة، ، مستوطنة تبة المصنعة



صورة٩: توضح الثقوب المستخدمة لتثبيت الدعائم الخشبية الحاملة للسقف – موقع مستوطنة تبة المصنعة.



صورة١٠: توضح مساكن فردية تتكون من غرف دائرية وبيضاوية ومستطيلة شيدت بأحجار البازلت الكبيرة، مستوطنة تبة المصنعة.



صورة ١١: توضح الوحدات السكنية والمساكن الفردية التي تظهر بشكل وحدات مستقلة، موقع مستوطنة لكمة السواد.



صورة١٢: توضح مجموعة من الأدوات الحجرية المكتشفة في مستوطنات حوض صنعاء.

إبراهيم سعيد البيضاني
دراسة في اهتماماته في الفكر التاريخي وصناعة التاريخ
الوثيقة التاريخية نموذجاً

أ.م.د. رياض خليل حسين

إبراهيم سعيد البيضاني –دراسة في اهتماماته في الفكر التاريخي وصناعة التاريخ الوثيقة التاريخية نموذجاً

أ.م.د. رياض خليل حسين

ملخص البحث

احد اهم الاهتمامات والمسارات لدى الدكتور إبراهيم سعيد البيضاني كمؤرخ واكاديمي عراقي، كان مجال البحث في الفكر التاريخي وصناعة التاريخ، وهذا الامر تجسد من خلال كتابة الأبحاث والمقالات في مجال الفكر التاريخي في مقالات وابحاث عديدة منها الأهمية التاريخية للوثيقة والنقد التاريخي وعلم التاريخ والمعرفة التاريخية، فضلا عن موضوع الزمن والدعوة الى تأسيس مدرسة فكرية تاريخية عراقية، وتجسد هذا الاهتمام بالفكر التاريخي من خلال صناعة التاريخ وقيادة أنشطة وفعاليات تحت مظلة الاتحاد الدولي للمؤرخين الذي يتولى قيادته، هذه الأنشطة والفعاليات العلمية بصيغة ندوات دولية كندوة الوثيقة وندوة النقد التاريخي، فضلا عن عقد مؤتمرات دولية بهذا الاتجاه وكان ابرز مؤتمر عن المدارس الفكرية ومؤتمر اخر كان عن علاقة التاريخ بالعلوم الأخرى. فضلا عن ذلك فان العمل القيادي والإداري للاتحاد الدولي للمؤرخين سار باتجاه هدف صنعه البيضاني في ان يجعل من الاتحاد الدولي للمؤرخين منصة فكرية لصناعة التاريخ تدعمه مجلة علمية رصينة تصدر عنه.

Summary

One of the most important interests and paths of Dr. Ibrahim saeed Al-Baidhani as an Iraqi historian and academic, was the field of research in historical thought and the History Industry, and this matter was embodied through writing research and articles in the field of historical thought in many articles and research, including the historical importance of the document, historical criticism, history science and historical knowledge, as well as the topic of time and the call for the establishment of an Iraqi historical School of thought, and this interest in historical thought was embodied through the History Industry and leading activities and events under the umbrella of the International Union of historians, which he leads, these activities and scientific events in the form of seminars international document symposium and historical criticism

symposium, as well as He held international conferences in this direction, the most prominent conference was on schools of thought, and another conference was on the relationship of history with other sciences. Moreover, the leadership and administrative work of the International Union of historians has moved towards the goal of making the International Union of historians an intellectual platform for the history industry supported by
a solid scientific journal issued by it.

المقدمة

يعد النشاط العلمي ولا سيما البحثي أهم صفة يمتاز بها الاستاذ الاكاديمي، وتكمن أهمية الأخير من خلال النتاجات العلمية التي انتجها وشارك فيها داخليًا وخارجيًا. وعلى هذا الأساس جاء اختيار الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني دراسة في اهتماماته في الفكر التاريخي وصناعة التاريخ الوثيقة التاريخية نموذجًا " عنوان البحث من أجل الوقوف على تحليله للوثيقة التاريخية بأنواعها التأريخية بعد تعريفها واظهار اهمية حفظها في المؤسسات الحكومية والدور الذي ادته في حفظ الحقوق فضلا عن الاصول.

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على الاهتمامات الفكرية التاريخية للدكتور إبراهيم سعيد البيضاني، مع التركيز على دراساته حول الوثيقة التاريخية. كما يسعى الى استكشاف مطلقاته المنهجية في التعامل مع الوثائق، ومدى تأثير رؤيته في تطوير الدراسات التاريخية الحديثة. ومن خلال استعراض وتحليل أبحاثه، نأمل في تقديم رؤية شاملة لدوره في ترسيخ أسس البحث التاريخي المعتمد على الوثائق ، وتعزيز الوعي بأهميتها في بناء المعرفة التاريخية الرصينة. ويمكن ذلك من اهمية هذه الشخصية في استعمالاتها للوثيقة التاريخية وصناعة التاريخ من خلال تتبع صفحات هذا البحث.

١ – الأستاذ الدكتور إبراهيم سعيد البيضاني

البيضاني مواليد بغداد ١٩٥٢ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر بتخصص تاريخ الولايات المتحدة واوربا، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد كلية الاداب عام ١٩٩٢، وحصل على الاستاذية عام ٢٠٠٠، لديه ستة عشر كتابا منشور واكثر من مائة بحثا، له نشاط واضح متميز في عقد وإدارة المؤتمرات الدولية والقاء المحاضرات داخل

العراق وخارجة، مؤسس الاتحاد الدولي الدولي للمؤرخين وامينه العام ورئيس تحرير المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية التي تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين [١].

عرف الدكتور إبراهيم سعيد البيضاني اهتمامه في الجانب الفكري التاريخي واهتمامه بالوثيقة، اذ يرى فيها مصدر أساسيا في الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة [٢].

١ – الفكر التاريخي في اهتمامات البيضاني

قال الدكتور إبراهيم البيضاني لكي نصنع تاريخا ونترك اثرا إيجابيا كمؤرخين كما يرى لابد ان نجهز العوامل والشروط التي تهئ لذلك، وأول هذه الشروط ان نحدد اهدافنا ونرسم ونحدد منهجنا في كتابة التاريخ، ثم نمتلك دراية وفهم وقدرة على تحليل الاحداث التاريخية وامتلاك الاليات والأدوات والقواعد والأصول التاريخية، بل ان البيضاني حدد هدفه من وراء تأسيس وقيادة الاتحاد الدولي للمؤرخين بانه يجعل منه صانعا للتاريخ من خلال الأفكار والقراءات والدراسات التي تجعل المؤرخ أداة للبناء وتجعله يساهم في صياغة الحياة من جديد. فالفكر الثاقب هو سلاح للدفاع وهو أداة للبناء وقراءة المستقبل، فقد نجح المؤرخ البيضاني في تحقيق هدفه فجعل من الاتحاد الدولي للمؤرخين منصة حقيقية للفكر والمعرفة وأصبح الاتحاد مركز استشاري في الأمم المتحدة، وامتلك مجلة علمية رصينة وعقد نشاطات ثرية تمثلت بالمؤتمرات الدولية والندوات والمحاضرات الدولية، ونشر مئات الأبحاث العلمية الرصينة وإصدار الكتب والمجلات، فضلا عن الحوارات الفكرية المعمقة [٣].

يُعَدّ الفكر التاريخي أحد الركائز الأساسية في بناء الوعي التاريخي وصناعة المعرفة، حيث يمثل أداةً لاستكشاف الماضي وفهم تحوّلاته وتأثيراته على الحاضر والمستقبل. ومن بين الباحثين الذين منحوا هذا المجال اهتمامًا خاصًا، برز الدكتور إبراهيم سعيد البيضاني كأحد المؤرخين الذين أثروا الدراسات التاريخية، ولا سيما في مجال الوثيقة التاريخية.

لقد شكلت الوثيقة التاريخية حجر الزاوية في العديد من أبحاث الدكتور إبراهيم سعيد البيضاني، حيث تناولها من زوايا متعددة، وأبرز أهميتها في بناء السرد التاريخي، ودورها في حفظ الحقائق، وتناول آليات نقدها وتحليلها وفق مناهج البحث العلمي. وقد جاءت إسهاماته

في هذا المجال لتسهم في ترسيخ أهمية الوثائق كمصادر أصيلة لا غنى عنها لفهم الماضي وتحقيق الدقة في تأريخ الأحداث.

اعتمد البيضاني ثلاثة مسارات تؤكد مكانة الوثيقة في فكره ومنهجه التاريخي، تمثل المسار الأول في قيادة نشاطات علمية في مجال الوثيقة التاريخية واهميتها في الفكر التاريخي والكتابة التاريخية، فعقد وادار مناقشات ندوة علمية دولية في عام ٢٠٢٠، قدمت فيها عدد من الأبحاث العلمية الرصينة من باحثين على امتداد الساحة العربية والدولية، نشر وقائعها بعدد خاص من اعداد المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية [٤].

إن الوثيقة هي المستند الرسمي الصادر عن جهة رسمية حكومية او غير حكومية من الافراد والاهالي والمنظمات غير الحكومية، وله طابع رسمي بدمغة وتوقيع، يفسّر على أنه "أي مؤشر ملموس أو رمزي، محفوظ أو مسجل، لإعادة البناء أو لإثبات ظاهرة سواء كانت جسدية أو عقلية". ومن الأمثلة على ذلك: الآراء والارقام والاسماء والبراءات والمواقع والوقائع والملكيات والبيانات والولادات والوفيات والاجازات والشهادات والبرقيات والشفرات الدبلوماسية والتسجيلات والاحصاءات والوقفيات والاحكام والخطط والقوانين والتشريعات والقرارات والمداولات والدفاتر والسجلات والاضابير والتقارير والمراسلات الرسمية العسكرية والمدنية والاسعار والعملات وغير ذلك من المستندات. وبالتالي فان مفهوم الوثيقة يشمل الوثيقة الاهلية وفتاوي رجال الدين على ان تكون موثوقة وموقعة ومؤرخة، فضلا عن المستندات والوثائق والاوراق الصادرة عن المنظمات غير الحكومية، ويحث المشاركون في الندوة الى الاهتمام بحفظ وارشفة وتسجيل هذه الوثائق وجعلها سجلا وثائقيا داعما للوثيقة الرسمية الحكومية.

فالوثيقة التاريخية هي المستند الذي يثبت أو يشرعن واقعة ما أو حدثا ما محدد بالزمان والمكان ويستفاد منها كدليل لا يعتريه الشك، وهي محتوى مكتوب أصلي يتضمن معلومات مباشرة أو غير مباشرة، سواءً خُطّت باليد، أو طبعت على ورق أو نقشت على معدن أو حجارة او الجلد او العظم او اي مادة متاحة في عصرها . ولا تقتصر على الوثائق السياسية فقط، بل هناك ايضا وثائق ذات أهمية كبيرة لمجالات الحياة المختلفة سواء

الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية. وتأخذ عدة اشكال مختلفة ما بين نصوصية واحصائية ورسوم بيانية وخرائط وحتى الصور الفوتوغرافية والرسومات [٥].

والمسار الثاني الذي يؤكد مكانة الوثيقة في فكره ومنهجه التاريخي، هي انه قدم كتبه وابحاثه ورسائله الجامعية بالاعتماد بشكل رئيسي على الوثيقة التاريخية، وقدم لنا قراءة في هذا المجال، ويؤكد انه تعامل مع الوثائق الدبلوماسية العراقية، وهي محفوظة في ملفات وزارة الخارجية العراقية وفي دار الكتب والوثائق ببغداد، وهي عبارة عن مراسلات بين السفراء العراقيين ووزير الخارجية، وكذلك الحال مع القناصل والقنصليات، فضلا عن ان هذه الوثائق نقلت تقارير اعلامية تتضمن خلاصة اسبوعية لما تناقلته الصحافة من اخبار، ونقلت ما يدور بين السفراء والشخصيات التي يلتقيها، وبالتأكيد فان الاهمية تكون للمخاطبات الرسمية بين السفير ووزارة الخارجية حول الاحداث والمواقف ذات العلاقة بأحداث مهمة كانت على الساحة السياسية، والعلاقات المشتركة بين العراق والبلد الذي تتواجد فيه البعثة الدبلوماسية.

وتعامل مع الوثائق الامريكية في أطروحة الدكتوراه وبقية كتبه في مجال السياسة الخارجية الامريكية تجاه سوريا، والوثائق الامريكية متاحة من خلال المواقع الالكترونية الرسمية لوزارة الخارجية الامريكية ووزارة الدفاع الامريكية، فضلا عن مكتبة الكونكرس، فهي تشكل مادة غنية للباحثين ومتاحة بشكل سهل جدا من خلال الانترنيت، وبمجملها تقدم صورة تاريخية لأحداث العالم لأنها تغطي مساحة واسعة من الجغرافية من خلال انتشار البعثات الدبلوماسية الامريكية.

وتأتي أهمية الوثيقة الامريكية من كونها صادرة من جهات تصنع القرار، اذ ان المداولات والمراسلات تجري بين وزير الخارجية الامريكي والرئيس، وهي ثمرة لمراسلات جرت بين السفارة وقنصلياتها من جهة ووزارة الخارجية الامريكية، وتنقل الوثائق الامريكية اليات انضاج القرار والراي، وكل الحوارات تصب في المصلحة الامريكية، وهي مادة غنية بالمعلومات التي تهم للباحثين والمؤرخين وتعطي فهم لطبيعة القرار الامريكي وتكشف عن اهداف ومخططات السياسة الخارجية الامريكية وتنقل ايضا مواقف الدول التي تتواجد فيها

وتعطي تحليل لأحداث وشخصيات سياسية في الدول التي تتواجد فيها. ولكن على الباحثين ان يدركوا ان الوثيقة الامريكية تعبر عن وجهة نظر أمريكية خالصة، فضلا عن انها أحيانا كثيرة تحجب معلومات واشخاص ومواقف لا تريد ان تقدمها في الوقت الحاضر. فضلا عن ان للبيضاني تجربة أخرى في مجال الوثائق هي الوثائق العثمانية، اذ خاض فيها لدراسة النزاعات العشائرية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

البحث في أهمية الوثيقة التاريخية

الوثيقة تعزز وترسخ حقيقة ان التاريخ علما، فقد اصبحت علما، والعلوم الوثائقية والارشيفية علما من العلوم، فهي ثقافة وعلم لدراسة الخطوط واللغة واعتماد الدقة والتحقيق والمقارنة والتدقيق، وبالتالي فان الوثيقة تؤكد علمية التاريخ، وان المعرفة التاريخية تكتسب مشروعيتها من خلال التعامل المنهجي في دراسة وتحليل الوثائق التاريخية [٦].

في بحثه الذي حمل عنوان قراءة في الأهمية التاريخية للوثيقة [٧]، قدم قراءة واستعراض لتعريف الوثيقة ثم أشار الى أهمية الوثائق الفرنسية والبريطانية والأمريكية، فضلا عن الوثيقة المحلية في دراسة التاريخ، واكد على الأهمية التي تحظى بها الوثيقة التاريخية في الدراسات التاريخية، فضلا عن انه توقف امام مسالة مهمة تعزز وتجعل من التاريخ علما. فالوثيقة علم وهي تخضع الى عمليات فنية وتقنية تساهم في الحصول على المعلومة وتسهل امر استخدامها وتوظيفها، فالتكنولوجيا قدمت لنا وسيلة لحفظ الوثيقة واسترجاعها وتحليلها وخزنها ونشرها، فاصبح التوثيق علما وله مكانة ومنزلة رفيعة في حياة الإنسانية، وتعد صناعة جليلة، وأصبحت تحفظ حياة ودماء واموال الناس.

واستعرض البيضاني في بحثه أهمية الوثيقة في المدرسة الوضعانية التاريخية التي ترى في الوثيقة مصدرا مهما من مصادر دراسة التاريخ، وان مهمة المؤرخ في المدرسة الوضعية ان يجمع الوثائق ويهتم بصيانتها وحفظها في الأرشيف، لان دراسة التاريخ تتم بالاعتماد على الوثائق الرسمية المكتوبة، فضلا عن ذلك فان مدرسة التقنيات اكدت ان التطور التقني زاد من إمكانية تطور أساليب التعامل مع الوثيقة وتنقيتها وطباعتها ومعالجتها[٨].

وخلص البيضاني في بحثه ان مكان حفظ الوثيقة لدى المؤسسات الحكومية تعد مسالة مهمة، فضلا عن ان صدق وصحة الوثيقة يأتي من خلال مقارنتها مع الوثائق التي صدرت قبلها واثناءها وبعدها وتأتي في سياق يؤكد مصداقيتها، وان تحديد مكان حفظها يعد دليلا على مصداقيتها وقوتها، وفي هذا الإطار فان الوثائق الشخصية ووثائق المؤسسات والهيئات غير الحكومية تعد وثائق معتمدة.

ويؤكد البيضاني ما ذهبت اليه الكثير من القراءات الى ان مكان حفظ الوثيقة لدى المؤسسات الحكومية تعد مسالة مهمة، فضلا عن ان صدق وصحة الوثيقة ياتي من خلال مقارنتها مع الوثائق التي صدرت قبلها واثناءها وبعدها وتاتي في سياق يؤكد مصداقيتها، وان تحديد مكان حفظها يعد دليلا على مصداقيتها وقوتها، وبالتالي فان الوثائق الشخصية ووثائق المؤسسات والهيئات غير الحكومية تعد وثائق معتمدة.

فالتاريخ الجديد نشا في اطار ثورة على التاريخ الوصفي الذي ساد خلال القرن التاسع عشر، وفيه يجب ان يكون هناك تصور جديد للوثيقة ونقدها ، وبالتالي فقد توفرت قاعدة منهجية واليات جامعية[٩]. واعتقد ان الوثيقة ستحتفظ بأهميتها العلمية في المدرسة التاريخية الجديدة، اذ لم تستغن عنها المدرسة الوضعية او مدرسة الحوليات الفرنسية، وفي دراساتنا الحديثة والمعاصرة لا تزال الوثيقة تشكل اهمية كبيرة في البحث التاريخي، وبالتالي فنحن امام اهتمام اكبر في التدقيق والتمحيص والتحليل للوثائق، بل لابد من الخوض في قراءة تفكير ودوافع صانع هذه الوثيقة وصاحب القرار الذي وراءها، فضلا عن اهمية تصنيف وحفظ وارشفة الوثائق المحلية [١٠].

الوثيقة تعزز وترسخ حقيقة ان التاريخ علما، فقد اصبحت علما، والعلوم الوثائقية والارشيفية علما من العلوم، فهي ثقافة وعلم لدراسة الخطوط واللغة واعتماد الدقة والتحقيق والمقارنة والتدقيق، وبالتالي فان الوثيقة تؤكد علمية التاريخ، وان المعرفة التاريخية تكتسب مشروعيتها من خلال التعامل المنهجي في دراسة وتحليل الوثائق التاريخية[١١]

حاول الوضعانيين تاكيد كون الوثيقة علما من خلال الاهتمام بالوثيقة التاريخية وتاكيد دورها في كتابة التاريخ، وهي عندهم تشبه المادة في العلوم الطبيعية، وبالتالي فان هذه

الرؤيا تعد تطورا في اهمية ومكانة الوثيقة في انتاج المعرفة التاريخية، وتمنح التاريخ معايير العلوم والمعرفة. وان لم تصل الوثيقة الى مرحلة اليقين، فانها على الاقل تقوي الاحتمالات والافتراضات ، ويمكن للمؤرخ من خلال ما يجمعه من شواهد وادلة ووثائق فانه بالتاكيد سيكون قريبا من تحقيق المصداقية والوصول للحقيقة، وتصبح دليلا علميا لعلم التاريخ. فالوثيقة وفقا للمنظور الوضعاني ترتبط بالاستكشاف الوثائقي، وهي اداة ودليل للمعرفة التاريخية وتحقق قدرة وامكانية النقد التاريخي. وان جمع الوثائق واستكشافها وحمايتها ومعالجتها ونقدها اصبحت وفقا للتطور التكنولوجي العلمي علما ومعرفة وتطورا مهما [١٢].

المدرسة الوضعية التي تمتلك منهجا في كتابة التاريخ تري ان الوثيقة جعلت من التاريخ علما، ودورها كتابة التاريخ يشبه دور المادة في بناء المعرفة العلمية في العلوم الطبيعية، وقد اتاحت المجال لازدهار النقد التاريخي وجعلت منه يتطور في افاق المعرفة وانتاج المعرفة التاريخية ويجعلها اقرب الى الموضوعية، ويؤكد مارو ان المؤرخ هو من يتوفر على برنامج يمكنه من ابراز وثائق عديدة وموثوقة، وان مهمة جمع الوثائق من مصادرها لا تقتصر مهمته على استكشاف الوثائق بالطريقية الميكانيكية الصرفة، بل ان العمل مع الوثائق هو فن وقواعد وادوات.وفي تعامل المؤرخ مع الوثيقة فانه يجسد ويحقق ادوات واليات علمية،فهو يتعامل مع الوثيقة من خلال النقد، فالنقد الخارجي يؤكد على نقد الثقة والمصدر وتحديد طابع الهوية، فضلا عن الانتقال للنقد الباطني في استهداف مضمون الوثيقة ووالتجرد من الاحكام المسبقة، ومقارنة الوثيقة مع وثائق اخرى، وبالتالي كشف الحقائق وتمييزها، فضلا عن ان المؤرخ في نقده للوثيقة يستعين بعلوم اخرى مساعدة مثل علم التخطيط وفقه اللغة وعلم الوثائق.[١٣].

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت للمدرسة الوضعانية الذين منحوا الوثيقة كل الاهتمام، ووصفهم بانهم اعتمدوا فقط على النص والوثيقة، الا ان ذلك النقد لا يقلل من اهمية الوثيقة بالدراسات التاريخية، فالمؤرخ وفقا ل(مارو) غير منفصل عن التاريخ ، وبالتالي استخلاص الاراء والافكار من خلال تنوع الاثار والنصوص والمعارف يتمكن ان يقدم المعرفة والعلم [١٤] .

بوصف ان الوثيقة من مخلفات الماضي ، لذلك فانها تاخذ اهمية استراتيجية في البحث والكتابة التاريخية، وتعد اساسا في المعرفة الاستراتيجية. فالتاريخ يصنع من الوثائق، وتوصف الوثائق بانها الاثار التي خلفتها افكار وافعال السلفن فلا تاريخ بدون وثائق، ولكي نجعل من التاريخ تصوير لما حدث ويحدث فان من مسؤولية المؤرخ تحليل ومقارنة الوثائق والنصوص، فهو يبحث عن الحدث ويدركه من خلال دراسة النصوص بامعان. فالمدرسة الوضعية رهنت التاريخ بمدى توفر الوثيقة ومدى تحققها، وكما يقول مارو احد ابرز مؤرخي الوضعانية انه ينبغي على المؤرخ ان يستخلص الحقيقة التاريخية من الوثيقة، وفي نظر هذه المدرسة الفكرية ان الاهمية للوثيقة تاتي من كونها وثيقة الماضي، لكنها في الوقت نفسه انها تؤكد على ان التاريخ علم، فالمعرفة التاريخية لا تكتسب مشروعيتها الا عبر معايير واليات منهجية صارمة (١٥).

ان القوانين الدولية التي صدرت عن الدول التي اعتمدت الارشيفات الوثائقية خلت من أي تحديد لمعنى الوثيقة الذي يمكن اعتماده لوصف الوثيقة الارشيفية، وفي القانون الاساسي لدار الوثائق البريطانية الذي صدر في ١٤ اب اغسطس ١٨٣٨ وصف الوثائق بانها السجلات والكتب والاجراءات والاهداف والمفاهيم ذات طابع عام تخص المملكة ومودعة في اماكن الاحتجاز او الحفظ.وفي عام ١٨٦١ طالبت دار الوثائق القومية في فرنسا ان تضم اليها كل الوثائق، اذ اعترضت على حفظها لدى المكتبة الملكية، وترى ان هذه ليست مسوؤلية المكتبة الوطنية، اذ ان المشتغلين بالارشيفات يرون ان مثل هذه الوثائق تفقد ركنا هاما هو الولاية القانونية (١٦).

لذلك فان الحديث عن اهتمام الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني بالوثيقة كجزء من اهتمامه بالفكر التاريخي يجسد من خلال معطيات حقيقية ملموسة، فقد جسدها بشكل عملي في منهج البحث التاريخي واعتمد على الوثيقة التي اخذت منه مساحة واسعة من ابحاثه، ودراسته الاكاديمية في الماجستير والدكتوراة فضلا عن نشاطاته وابحاثه العلمية بعد ذلك كانت تعتمد على الوثيقة العراقية والوثيقة الامريكية، زيادة على ذلك فانه جسد اهتمامه بالوثيقة ببحث علم عن اهميتها في الدراسات التاريخية، ولعل الصورة الابرز في اهتمام

البيضاني بالوثيقة ادارته لندوة فكرية تاريخية عن اهمية الوثيقة التاريخية في الدراسات التاريخية، قدمت فيها ابحاث متنوعة اختتمت بحوارات علمية ونقاشات ادت الى الخروج بمفهوم جديد للوثيقة، يعد اضافة فكرية نوعية للفكر التاريخي.

الخاتمة

١- برز البيضاني بنشاطه المتميز في اهتماماته بالوثائق التاريخية ، إذ عدها الركيزة الاساسية التي تستند عليها الحقيقة التاريخية.

٢- كان لدى البيضاني اهتماماته بالمراسلات ولاسيما الامريكية صياغة ما يوثق بما يخدم المصالح الامريكية.

٣- استطاع البيضاني ان يبني مؤسسة تعنى بالدراسات التاريخية من خلال استحداثه للاتحاد الدولي للمؤرخين ويعد هذا النشاط صرحا علميا فضلا عن انه تقلة نوعية في نشاط الاستاذ.

٤- ان ما قام به البيضاني من نشاط علمي ودبلوماسي عد سفيرا للعلم والمعرفة والتوثيق.

المصادر

١- لقاء شخصي مع الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني بتاريخ ٢٠٢٦/١٠/٣

علي رفعت عبد عصود الفتلاوي، النخبة الاكاديمية الفكرية والعلمية في كلية التربية ابن رشد ١٩٥٨-١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية/جامعة بغداد، ٢٠٢٣،.

إبراهيم سعيد البيضاني، الاتحاد الدولي للمؤرخين وصناعة التاريخ، كلمة العدد ١٤ لسنة ٢٠٢١ من المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية.

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٧ تموز ٢٠٢٠.

ندوة فكرية عقدها الاتحاد الدولي للمؤرخين

المنهج الوضعاني والتاريخاني، تعريف النص التاريخي، المحاضرة الخامسة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢.

جاك لوغوف ، المصدر السابق ، التاريخ الجديد ،٨١.

إبراهيم سعيد البيضاني، قراءة في الأهمية التاريخية للوثيقة، المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٧ تموز ٢٠٢٠، ٧-١٤.

محمد صهود، مفهوم الوثيقة بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية، مجلة التدريس، كلية علوم التربية جامعة محمد الخامس، العدد ٨ ٢٠١٦، ٩٤.

محمد احمد حسين. الوثائق التاريخية. القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٠،١٩٥٤.

الهوامش:

[١] علي رفعت عبد عصود الفتلاوي، النخبة الاكاديمية الفكرية والعلمية في كلية التربية ابن رشد ١٩٥٨-١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية/جامعة بغداد، ٢٠٢٣، ١٦١.

[٢] المصدر نفسه، ١٦٢.

[٣] إبراهيم سعيد البيضاني، الاتحاد الدولي للمؤرخين وصناعة التاريخ، كلمة العدد ١٤ لسنة ٢٠٢١ من المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية.

[٤]المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٧ تموز ٢٠٢٠.

[٥]ندوة فكرية عقدها الاتحاد الدولي للمؤرخين

[٦] المنهج الوضعاني والتاريخاني، تعريف النص التاريخي، المحاضرة الخامسة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢.

[٧]إبراهيم سعيد البيضاني، قراءة في الأهمية التاريخية للوثيقة، المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٧ تموز ٢٠٢٠، ٧-١٤.

[٨]إبراهيم سعيد البيضاني، قراءة في الأهمية التاريخية للوثيقة، المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٧ تموز ٢٠٢٠، ٧-١٤.

[٩] جاك لوغوف ، المصدر السابق ، التاريخ الجديد ،٨١.

[١٠] إبراهيم سعيد البيضاني، قراءة في الأهمية التاريخية للوثيقة، المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٧ تموز ٢٠٢٠، ٧-١٤.

[١١] المنهج الوضعاني والتاريخاني، تعريف النص التاريخي، المحاضرة الخامسة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢.

[١٢] المنهج الوضعاني والتاريخاني، تعريف النص التاريخي، المحاضرة الخامسة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢.

[١٣] محمد صهود، مفهوم الوثيقة بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية، مجلة التدريس، كلية علوم التربية جامعة محمد الخامس، العدد ٨ ٢٠١٦، ٩٤.

[١٤] المنهج الوضعاني والتاريخاني، تعريف النص التاريخي، المحاضرة الخامسة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢.

[١٥] محمد صهود، مفهوم الوثيقة بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية، مجلة التدريس، كلية علوم التربية جامعة محمد الخامس، العدد ٨ ٢٠١٦، ٩١.

[١٦] محمد احمد حسين. *الوثائق التاريخية*. القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٠،١٩٥٤.

أنماط الرعاية الاجتماعية عند العرب حتى القرن العاشر الهجري

ا.د. جنان احمد عبد العزيز

أنماط الرعاية الاجتماعية عند العرب حتى القرن العاشر الهجري

ا.د. جنان احمد عبد العزيز

الملخص

تعد الرعاية الاجتاعية قديمة قدم البشرية، إذ أن لها الدور الأساسي في النهوض بالمجتمعات الإنسانية من خلال حل المشاكل الاجتماعية والتخفيف من حدتها، لكن التعقد في الحياة مو مرور الزمن جعل الدولة تأخذ على عاقتها بعض عبء المواطنين في مجال الرعاية الاجتماعية مثل التعليم والصحة والأمن والعمل والإسكان وغيرها من الخدمات الأساسية. لذلك جاءت هذه الدراسة من أجل الكشف عن أنماط الرعاية الاجتماعية عند العرب حتى القرن العاشر الهجري، حيث تم تناول مفهوم الرعاية الاجتماعية وتصنيفها ومراحل تطور الرعاية الاجتماعية، والرعاية الاجتماعية في القرن العاشر الهجري وذلك من وذلك من خلال مقدمة وثلاثة مباحث. وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج من أهمها: أن مفهوم الرعاية الاجتماعية تطور في القرن العاشر الهجري من الإحسان إلى دولة أو مجتمع الرعاية. كما أن للرعاية الاجتماعية خصائص تمثل كافة الخدمات اللازمة من أجل تحقيق الحد الأدنى لمعيشة المواطنين، وهو ما ساهم في ظهور نمطين من الرعاية الاجتماعية هما: النمط العلاجي والنمط المؤسسي.

الكلمات المفتاحية: الرعاية الاجتماعية، النمط العلاجي، النمط الوقائي، القرن العاشر الهجري.

Patterns of social welfare among the Arabs until the tenth century AH

Abstract

Social welfare is as old as humanity, as it has a fundamental role in the advancement of human societies by solving social problems and alleviating their severity, but the complexity of life over time has made the state take on its Disability some of the burden of citizens in the field of social welfare such as education, health, security, work, housing and other basic services. Therefore, this study came in order to reveal the patterns of social welfare among the Arabs until the tenth century Hijri, where the concept of Social Welfare, its classification and the stages of the development of social welfare, and social welfare in the tenth century Hijri were addressed through an introduction and three treatises. The study reached a number of conclusions, the most important of which is that the concept of social welfare evolved in the tenth century AH from charity to a state or welfare society. Social Welfare also has characteristics that represent all the necessary services in order to achieve the minimum standard of living for citizens, which contributed to the emergence of two types of social welfare: therapeutic and institutional.

Keywords: social welfare, therapeutic style, preventive style, tenth century Hijri.

مقدمة

من المعلوم أن الإسلام قد سبق بحضارته حضارات العالم في احتوائه لكافة الطبقات الاجتماعية ورعاية الضعيف منها، وتلك الرعاية أثمرت صفحات من المجد السياسي والحضاري على مر التاريخ الإسلامي، واتسمت تلك الجهود باستمراريتها منذ القرون الهجرية الأولى وتجلت في القرن العاشر الهجري واستمرت لعصرنا الحديث.

وأعطت تعاليم الحضارة الإسلامية البعد الإنساني الشامل، ووضعت الأسس والقواعد التي أسهمت في الحضارة الإنسانية وارتقت به منذ بدايته(١)، ولا شك أن هذا مما يجب أن يتم توثيقه للتراث الحضاري الإنساني الخالد كإحدى المواضيع النادرة والشيقة في أسلوبها، وبقيت بعيدة عن الاستقصاء قياساً للجانب السياسي، وتعزيز الدور الاجتماعي للحضارة الإسلامية(٢).

وتعد الرعاية الاجتماعية بمفهومها التقليدي مساعدة المقتدر لغير المقتدر في أوقات الشدة لمواجهة احتياجاته، وبمعنى آخر تقديم الإنسان العون لأخيه الإنسان، أما المفهوم الحديث فينحصر في تقديم الهيئات الحومية والغير حكومية من أجل مساعدة المواطن على مقابلة كافة احتياجاته الغذائية والاجتماعية، وتوفير كل ما يحتاجه من أساسيات معيشية لتخفيف حدة الفقر عنه، خاصة فئة المسنين والأتيام والفقراء. وولم تمر فترة من تاريخ العرب لم تعرف فيها الرعاية الاجتماعية، حتى تطورت بتطور المجتمع الإنساني وتعقده، وكان يتسع مداها بالضرورة كلما عرف المجتمع الإنساني طريقه للتقدم والنهضة(٣).

وقد نشأت الرعاية الاجتماعية بشكل عام بنشأة البشرية، حيث تطورت في كل مجتمع إنساني وفي كل حضارة من الحضارات، وكل ديانة من الديانات، لذلك فتطور الرعاية الاجتماعية جاء من خلال الحضارات القديمة، كالحضارة الإغريقية ولرومانية والفرعونية(٤).

أما الرعاية والحياة الاجتماعية عند العرب، فقد كان العرب قبل الإسلام عبارة عن قبائل متفرقة، تسودهم العصبية القبلية البدوية، حتى أن الحروب بينهم تحدث لأتفه الأسباب، وتنتشر بينهم الأمية والجهل، وكان الرق جزءاً رئيسياً من حياتهم، حيث كان الأغنياء يسخرونهم من أجل خدمتهم ويستعملونهم في تجارتهم، ومحرومون من أبسط حقوقهم، فليس هناك قوانين وأسس تحكم العلاقة بين السيد والخادم، لذلك فالمعاملة بين اسيد والخادم ليس لها ضوابط، وبذلك فالسيد يحكم خادمه كيفما يشاء(٥).

ثم جاء الإسلام لوضع أسس وقواعد الرعاية الاجتماعية، ففرض الزكاة، وهي حق معلوم ثابت في أموال الأغنياء من أجل فئات بحد ذاتها في القرآن الكريم ، وجعل مسئولية المجتمع في حال عجزت موارد الزكاة والجهود التطوعية عن مواجهة احتياجات المحتاجين سيما إذا كانت هناك ظروف طارئة

كالكوارث الطبيعية، والحروب، فهنا لابد من أن يتدخل المجتمع من خلال موارد بيت المال الذي يعد الملجأ الأخير لكل من تتقطع به سبل الحياة، لذكك وفي ظل التعاليم الإسلامية نشأت الدولة الإسلامية القائمة على التمسك بالمساواة والأخوة والعدالة والحرية.(٦).

وعليه، سيتم الوقوف على انماط الرعاية الاجتماعية عند العرب حتى القرن العاشر الهجري.

المبحث الأول

مفهوم الرعاية الاجتماعية وتصنيفها

ظهر تعاريف عدة لمفهوم الرعاية الاجتاعية، إذ عرفها "وافثر فريد لاندر" على أنها "نسق من الخدمات الاجتماعية مصمم لتقديم المساعدات للجماعات والأفراد كي يحصلوا على مستوى مرضي من الحياة، ومساعدتهم في تكوين علاقات جيدة وسليمة، وتقوية وتنمية قدراتهم بما يحقق نوع من التناغم بين الأسر والافرد والجماعات والمجتمع ككل"(٧).

كما عرفها "هوارد راسل" بأنها: "مجال المسؤولية الحكومية الممارسة من أجل تحقيق الحماية والأمن وتوفير فرص التكيف الاجتماعي الناجح للافراد والأسر، من أجل إشباع حاجاتهم التي لا تكفلها هيئات أخرى بما في ذلك مساعدة المحتاجين مالياً، وحماية العاجز والضعيف من الاستغلال الاجتماعي، وتوفير ما يلزم من خدمات علاجية وسكنية"(٨).

وأشار ريد (Reid) في دائرة معارف الخدمة الاجتماعية سنة ١٩٩٥ إلى أن الرعاية الاجتماعية هي تغيير شامل ومتسع في الوقت ذاته وغالباً ما يتم تحديدها على أنها الأنشطة والتدخلات المهنية للمنظمة والتي تقترح من خلالها برامج وسياسيات كاستجابة للمشاكل الاجتماعية انتي يتم التعرف عليها أو من أجل تحسين أحوال المعرضين للخطر، وتهتم بالتنظيم المناسب للعلاقات بين الجميع(٩).

كما تعرف الرعاية الاجتماعية أيضاً بأنها النسق المنظم من الخدمات الاجتماعية التي تهدف لمساعدة الجماعات والأفراد من أجل الوصول إلى مستويات مناسبة للعيش الكري، بهدف قيام العلاقات الاجتاعية السوية بين أفراد المجتمع وذلك بتنمية قدراتهم وتحسين مستوى حياتهم الإنسانية بما يتفق مع حاجات المجتمع(١٠).

ويأتي تعريف الأمم المتحدة للرعاية الاجتماعية شاملاً وذلك بعد أن عرفها بأنها: "تنظيم يهدف لمساعدة الأفراد على مقابلة احتياجاتهم الذاتية والاجتماعية، ويقوم هذا التنظيم على اساس تقديم الرعاية من خلال الهيئات والمؤسسات الحكوومية، والأهلية"(١١).

ومن ابرز السياسات التي تقوم عليها الرعاية الاجتماعية، فهي التي تتمثل من القرارات التي تصدر عن السلطات ذات الاختصاص في المجتمع من أجل تحقيق أهداف اجتماعية(١٢). وعرفها قاموس الخدمة الاجتماعية بأنها "البرامج والخطط الحكومية في الصحة والتعليم ورعاية المنحرفين والإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والرعاية الاجتماعية"(١٣).

كما أنها الاتجاهات والقواعد العامة التي تتمخض عن التفاعل القوي الاجماعي في المجتمع من أجل تحقيق أهداف اجتماعية تتضمن أساليب ومجالات العمل، وذلك لتحقيق الأهداف ضمن ايديولوجية المجتمع، في ضوء الواقع المتاح وصولاً إلى المعدل المرغوب من الرفاهية لأفراد المجتمع(١٤).

ويتضح مما سبق من التعاريف، أن الرعاية الاجتماعية نشاط منظم يهدف لإحداث التكيف اللازم والنائج بين أفراد المجتمع وبين بيئتهم الاجتماعية، وذلك من خلال استخدام وسائل وأساليب تصمم من أجل تمكين الفرد والجماعة، والمجتمع، من مقابلة احتياجاتهم وحل مشاكلهم عن طريق التعاون لتطوير وتنمية الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

ويمكن للباحث أن يلاحظ من التعاريف السابقة أن هناك خصائص للرعاية الاجتماعية تمثل كافة الخدمات اللازمة من أجل تحقيق الحد الأدنى لمعيشة المواطنين، لذلك هناك نمطين للرعاية الاجتماعية في العالم هما: النمط علاجي والنمط المؤسسي– أي القائم على النظام الاجتماعي–:

أولاً: النمط العلاجي:

ينظر من خلال هذا النمط إلى خدمات الرعاية الاجتماعية على أنها تقدم في حالة تعرض بناء المجتمع الاجتماعي لأزمة ما أو أصابه ضعف، وبذلك تنظم هذه الخدمات للأفراد من ذوي الاحتياجات الضرورية والملحة والذين لا يستطيعون إشباع حاجاتهم، وفي حال عودة الأسرة أو النظام الاجتماعي لممارسة وظائفهم بصورة ملائمة، فإن هذه الهيئات تنسحب، ويمكن لنا تلخيص هذا المفهوم من خلال النقاط الآتية(١٥):

- هذه الخدمات تقدم لفئات محددة في المجتمع مثل ذوي الاحتياجات الخاصة (المعوقين).
- يمكن تقديم هذه الخدمات على شكل خدمات مالية وفي الظروف الطارئة.
- تقدم هذه الخدمات من قبل السلطات المحلية وتأتي مختلفة بحسب اختلاف المنطقة.

ثانياً: النمط المؤسسي:

يأتي هذا النمط مخالفاً للرأي السابق كونه يعتبر الرعاية الاجتماعية مسألة طبيعية ليس فيها صفة الطوارئ أو العجز، بل تعد من أهم وظائف المجتمع الأساسية لبناء مجتمع أفضل، يقوم على العدالة والتراحم، ومن هذا المنطلق، فهو "نسق من القوانين والبرامج والفوائد والخدمات التي يتمثل هدفها الأساسي بتقوية الإمدادات وضمانها من أجل مقابلة الاجتياجات التي تعد احتياجات أساسية لرعاية كل المواطنين وتحسين أدائهم الاجتماع"(١٦). وعليه، فمن خصائص هذا المفهوم:

- يهتم بكافة فئات المجتمع ولا يستهدف فئة بحد ذاتها.
- لا يعمل على الخدمات العلاجية فقط، بل يقدم الخدمات الوقائية والإنمائية.
- الرعاية الاجتماعية من خلال هذا المفهوم بمثابة نظام طبيعي في المجتمع هدفها الاعتناء بكافة السكان.

وتهدف سياسات الرعاية الاجتماعية إلى وضع مختلف البرامج التي تحقق مقابلة احتياجات الفرد الأساسية دون تمييز، بالإضافة إلى وضع التشريعات الاجتماعية في التعليم والصحة والضمان الاجتماعي والإسكان والتعليم والتوظيف، وذلك بإصدار القرارات التي توفر الخدمات الأساسية وترتقي بها(١٧).

وتعتبر سياسات الرعاية الاجتماعية بأنها العمليات التي توجه الرعاية الاجتماعية كي تتوافق مع ايديولوجية المجتمع وقيمته، وتقوم الدولة ومؤسسات المجتمع المدني بالمشاركة معاً في صنعها وتقديرها، ووضع الاساليب والبرامج وآليات تنفيذها ومراقبة هذه البرامج وفق خطة أو أكثر، من أجل مقابلة الاحتياجات والمجتمعمية لتحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية والأمن الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع(١٨).

وقد تم تصنيف الرعاية الاجتماعية إلى عدة أصناف تتمثل في(١٩):

أولاً: الرعاية الاجتماعية الرسمية:

وهي التي تشير بشكل عام للأنشطة المنظمة للمؤسسات الأهلية أو الحكومية والتي تهدف إلى منح المساهمة والحاجة في حل المشاكل الاجتماعية وتحسين أحوال الأفراد والجماعات والمجتمعات أيضاً من النواحي الاجتماعية، وهذه الأنشطة تتضمن الجهود التي يقوم بها المهنيين من أطباء وممرضين وقانونيين ومعلمين ومهندسين وأخصائيين اجتماعيين.

ثانياً: الرعاية الاجتماعية غير الرسمية:

ويقصد بها الرعاية المقدمة من قبل العائلة أو الأصدقاء أو الجيران، والتي تكون غير منظة، وتقوم بها مؤسسات تطوعية أو قانونية أو حكومية، ولا يتلقى القائم بهذه الرعاية من أعضاء الأسرة أو غيرهم أي مكافآت مادية لقاء قيامهم بهذه الرعاية، ومن مميزات هذا النوع من الرعاية بأنها توفر فرص للتفاعلات والعلاقات الطبيعية والتي تشعر بالأمان وتنمي الجوانب الروحية والعلاقات الودية ودفء الأسرة وتحافظ على مكانة الأعضاء الاجتماعية.

ثالثا: دولة الرعاية الاجتماعية:

حيث برز هذا الصنف من الرعاية الاجتماعية في بداية ثلاثينات القرن العشرين في المملكة المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ثم انتشر هذا الصنف بشكل تدريجي، وجاء هذا المسمى نتيجة مسؤولية الدولة بالدرجة الأساس عن تنظيم العلاقات الاجتماعية، إذ تساعد الأفراد بما قد يحتاجونه من أنواع المساعدات، لذلك اصبح يتم تأدية الرعاية الاجتماعية عن طريق الحكومات التي لها الموارد الكبيرة، وهو ما أسهم في ظهور مسمى "السياسة الاجتماعية".

خامساً: مجتمع الرعاية الاجتماعية:

ويأتي هذا الصنف من منطلق أن الحكومات غير قادرة على القيام بعبء تحمل نفقات برامج الرعاية الاجتماعية، وفي ذات الوقت، فهي لم تتخل عن مسؤولية برامج الرعاية الاجتماعية، إلا أنها

عملت على تقليص دورها نوعاً ما، تارحة المساحة تتسع بشكل أكثر للجهود غير الحكومية التي تبذلها كثير من الجمعيات، ومنظمات المجتمع المدني، مما يجعل الحكومة والمواطنين مسؤولين عن هذه الجهود ضمن مبدأ التشاركية(٢٠).

ويرى الباحث أنه من خلال التعريفات السابقة لمفهوم الرعاية الاجتماعية يتضح أن هذا المفهوم قد تطور من الإحسان إلى دولة أو مجتمع الرعاية في القرن العاشر الهجري، ما أدى لظهور خصائص للرعاية الاجتماعية التي تمثل كافة الخدمات اللازمة من أجل تحقيق الحد الأدنى لمعيشة المواطنين، بالتالي نجد أن هناك نمطين من الرعاية الاجتماعية هما: النمط العلاجي والنمط المؤسسي.

المبحث الثاني

مراحل تطور الرعاية الاجتماعية

ظهرت عدة أفكار تنتقد النظم القديمة في الرعاية الاجتماعية، لذلك ظهرت كثير من الأدبيات التي اهتمت بدراسة الفقر والبحث عن وسائل لعلاجه بعد معرفة أسبابه من أجل مساعدة الفقراء وحماية الأطفال والعجزة وتعديم العون للمرضى ونشر التعليم وتشغيل من لا يعمل في المجتمع. إذ اعتمدت الرعاية الاجتماعية منذ القدم على الجهود الفردية مع تدخل بسيط من الدولة، كان في معظم الأحيان يتصف بالإحسان وفلسفة الثواب والعقاب، وأحياناً أخرى خوفاً من نقمة وثورة الشعب. إلا أنه ومع ظهور الإسلام تبدلت تلك المفاهيم واختلفت بكل كامل عما سبق، إذ وضع نظام للرعاية الاجتماعية يضمن كرامة الأفراد وحقهم في العدل والمساواة، ولم يأت هذا النظام خاصاً بالمسلم فحسب، إنما شمل كافة افراد المجتمع الإسلامي حتى لو كان من غير المسليمن، وذلك من أجل تعزيز التكافل الاجتماعي.

ومن المعلوم أن الرعاية الاجتماعية نشأت بنشأة البشرية، ففي كل مجتمع إنساني نشأت فيه حضارة من الحضارات أو ديانة من الديانات، وتطورت مع تطور المجتمع، لذلك سوف نتطرق لتطور الرعاية الاجتماعية في الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية والإقريقية والرومانية وكالآتي:

أولاً: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الفرعونية:

يقصد بالحضارة الفرعونية المجتمع المصري القديم، إذ تجلت في هذه الحضارة مظاهر الرعاية الاجتماعية والأعمال الخيرية لصالح الفقراء والمعوقين والضمان الاجتماعي للعمال، وقد امتازت الرعاية الاجتماعية بطبيعتها الديمقراطية، وإدارتها المركزية منذ آلاف السنين، وذلك يعود للتنظيم السياسي الذي عرفه المجتمع المصري القديم قبل غيرهم من الشعوب، وهو ما تمثل في نظام الملكية (تقسيم البلاد لأقاليم). كما ظهر نظام القضاء وإدارة المركزية، بالإضافة لنظام الضرائب والجيش والسياسة. وللوقو

ومن العوامل التي ساهمت في قيام الرعاية الاجتماعية في الحضارة الفرعونية:

- عوامل طبيعية كخصوبة الأرض والحصول على الإنتاج الوفير من خلال استخدام الآلات البدائية في الزراعة، بالإضافة لانخفاض منسوب النيل، وهو ما أسهم في تعزيز فرض روح التعاون بين أفراد المجتمع لمواجهة الآثار السلبية للقحط.
- عوامل دينية كون الديانة المصرية القديمة حثت على الإحسان وفعل الخير واستخدمت المعابد كمراكز للبر وملاجئ للعجزة والمرضى، وكمراكز لتعليم العلوم، إذ كان الكهنة هم من يشرفون على تلك الأعمال.
- بالإضافة للعوامل الإدارية، إذ كانت مصر مقسمة لأقاليم، ولكل إقليم حاكم يفصل بالعدل بين أصحاب الشكاوي.
- عوامل سياسية، تمثلت في سعي الحكام على تعزيز علاقتهم مع الفقراء وذلك بتقديم يد العون لهم وتوزيع التبرعات عليهم.
- عوامل اجتماعية ساهمت في تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي بين الأفراد وذلك لكون افراد المجتمع المصري القديم كانوا يعشون في قرى صغيرة.

وقد تمثلت الرعاية الاجتماعية في الحضارة الفرعونية بأوجه عديدة منها الأسرة والتي تعد خلية أساسية في المجتمع، فحرصوا على احترامها ودعمها وتقوية الروابط بينها وبين أفرادها، وكان الزواج يتم من خلال عقد رسمي يحفظ حق الزوجة في أموال زوجها، وكانت تتمتع بالمكانة الطيبة في المجتمع، مما دعلها تمارس مختلفة الأنشة كالتجارة والزراعة إلى جانب رعاية اسرتها، بالإضافة لرعاية الجنود والعمال والشباب والمسنين.

كما سعت الحضارة الفرعونية على الاهتمام بجوانب أخرى من الرعاية من بينها التعليم مثل المدارس التي كانت تتصل بالمعابد، إذ كانوا يتعلمون فيها العامة في مرحلتهم الأولى، لكن المرحلة الثانية تقتصر على الأبناء من أشراف الأغنياء. أما الرعاية الصحية فكانت تمارس في المعابد أيضاً بالإضافة لمراكز طبية خاصة، فوجدت تخصصات عديدة كأمراض العيون والرأس وجراحة الأسنان والاهتمام ببرامج الوقاية. بالإضافة لرعاية فراعنة مصر بالفنون والآداب والرياضة، وتم إنشاء حدائق عامة للأطفال والغناء والموسيقى وظهرت في مناسبات عدة كالأعياد الشهرية عند ظهور الهلال، وعيد اكتمال القمر وعيد فيضان النيل والحصار وغير ذلك من المناسبات، وكانت تقدم هذه الخدمات بشكل منظم من خلال سجلات يتم تدويها في موارد مالية.

ثانياً: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإقريقية:

امتازت حضارة الفلسفة اليونانية بصفة القوة، إلا أن ذلك لم يمنع من تواجد خيرين في هذا المجتمع، بحيث كانوا يساعدون العبيد، فبالرغم من الظروف القاسية التي كان يعاني منها شعوب الإغريق من قانون الديون فقد تمثلت الرعاية الاجتماعية في الآتي[٢١]:

- تقديم العون والمساعدات للأفراد المحتاجين في حالات وقوع الكوارث.
- اهتمام الدولة بأيتام الحروب وذلك بتعليمهم، إذ كانت الدولة تقدم هذه الخدمة لأهداف سياسية.
- ترتبية الأطفال منذ ولادتهم إلى أن يصبحوا جنوداً.
- رعاية الجنود وأسرهم وكانت الدولة تخصهم بالرعاية والاحترام الكاملين.
- الاهتمام بالعجزة إذ كانت الدولة توفر لهم الملبس والمأكل.

ثالثاً: الرعاية الاجتماعية في الحضارة الرومانية:

كانت الرعاية الاجتماعية في الحضارة الرومانية تقدم من أجل دوافع سياسية تمتاز بروح الشعبية، إذ كانت توزع على الفقراء ما يحتاجونه من زيوت ولحوم وبشكل شهري، وتجلت هذه الرعاية أيضاً في العناصر الآتية:

- قدم مجلس الشيوخ المعونات التي يحتاجها الشعب لإغاثته من خلال تعيين مندوب للاسواق كي يشتري الكميات الكبيرة من الحبوب وبيعها للفقراء بأثمان قليلة.
- تشجيع أعمال الخير كتوزيع الغذاء والكساب وتوفير الثقافة والتعليم.
- تقديم الخدمات التشريعية مثل منع التفرقة في الزواج بين الأشراف والعامة.
- الاهتمام بأسر المحاربين الذين يقتلون في الحروب أو يصابون بتشوهات أثناء المعارك مما أسهم في عجزهم عن القيام بأي عمل يعيلهم.

وقد بدأت ملامح الرعاية الاجتماعية بالظهور في العصور القديمة بالرغم من الانتقادات التي وجهت إليها من حيث نوعها والنظم الحاكمة لها، إذ بدأت تعبر عن وجود أشكال من الرعاية الاجتماعية التي شكلت أساس التاريخ عندا ظهرت أشكال من الرعاية الاجتماعية وعلى فترات لاحقة في المجتمع من أجل مواجهة مظاهر التوتر التي قد يسببها غياب مظاهر الرعاية الاجتاعية، وإحساس الفئات المستهدفة بهذه الرعاية بواقع الإحباط والظلم الذي قد يخلق مزيد من بؤر التوتر في المجتمع(٢٢).

رابعاً: الرعاية الاجتماعية في العصور الحديثة:

ظهرت أفكار كثيرة انتقدت النظم القديمة التي اهتمت بالرعاية الاجتماعية، إذ ظهرت أدبيات اهتمت بدراسة الفقر والبحث عن أسبابه ووسائل علاجه، ومساعدة الفقراء وحماية الأطفال والمرضى والمسنين ونشر التعليم وغيرها من مظاهر الاهتمام الاجتماعي(٢٣).

ففي القرون السابقة تم سن قوانين خاصة بالفقراء لمساعدتهم من مال الدولة ومنع التسول، وتخصيص مستشفيات خاصة بالعجزة والمقعدين، بالإضافة لتخصيص سجل لكل مدينة يتم تسجيل الفقراء فيه، لكن كل تلك القوانين لم تمنع من معاملة الفقراء مثل العبيد، فالعمل الذي يرتكبون فيه أخطاء مهنية للمرة الثالثة يتم الحكم عليهم بالإعدام(٢٤).

ثم ظهرت فيما بعد جمعيات خيرية استهدفت مساعدة الفقراء، حيث نشأت في ألمانيا صناديق تمويل عامة للقضاء على التسول، إذ يتم توزيع الطعام والمال على المحتاجين وليس المتسولين، وفي سنة ١٧٨٨ تم إقامة مشروع المدينة لأقسام جغرافية مهتمتها التكفل بكل ما يلزم الفقراء من احتياجات بحسب كل قسم، بعد ذلك تم وضع القانون المدني سنة ١٧٩٤ والذي نص على أن الدولة تكفل بمساعدة الفقراء من خلال انشاء مستشفيات وملاجئ للعميان(٢٥). أما في أنجلترا فتم المصادقة على قانون اليزابيث الذي يلزم كل اقليم بسماعدة فقرائه. إلا أن فرنسا لم تكن تعاقب على فكرة الشحاذة ما لم يتم توفير عمل لكل فرد، وإمداده بأساليب الرزق(٢٦).

أما في القرن التاسع عشر، فقد زاد اهتمام الدول الأوروبية وأمريكا بالرعاية الاجتماعية وذلك من قبل تنظيم حركة الأحسان وهيئات التمويل المشترك، وهيئات التنسيق بين الخدمات، وظهر أول جهاز من أجل تنظيم حرمة الإحسان في انجلترا سنة ١٨٦٩م وفي أمريكا سنة ١٨٧٧م وكان هدفه رعاية الفقراء وتعليمهم ورفع مستواهم والقيام بالبرامج الإصلاحية(٢٧).

ويرى الباحث، أنه ومن خلال استعراض المراحل السابقة للرعاية الاجتماعية نجد أن أن الرعاية الاجتماعية نشأت بنشأة البشرية، ففي كل مجتمع إنساني نشأت فيه حضارة من الحضارات أو ديانة من الديانات، وتطورت مع تطور المجتمع، حتى جاء الإسلام وبدل تلك المفاهيم ووضع نظام للرعاية الاجتماعية يضمن كرامة الأفراد وحقهم في المساواة والعدل، وشمل هذا النظام كافة افراد المجتمع الإسلامي حتى لو كان من غير المسليمن، وذلك من أجل تعزيز التكافل الاجتماعي.

المبحث الثالث

الرعاية الاجتماعية في القرن العاشر الهجري

سعى الولاة في القرن العاشر الهجري على تحقيق الرعاية والعدالة الاجتماعية، وذلك من خلال إنشاء مؤسسات خاصة بذلك، وهي الأوقاف، والتي كانت مختصة بالاعتناء بالتعليم، لذلك أنشأت المدارس ودور الأيتام، بالإضافة للأربطة والخانقاوات والتكايا والزوايا. وهو ما سوف نحاول الوقوف عليه في هذا المبحث.

أولاً: تحقيق العدالة الاجتماعية في المدارس ودور الأيتام:

الوقف في اللغة هو الحبس والمنع، ويقال وقف يقف وقفاً، ولا يأتي رباعياً "أوقف"، وعرف هذا المصدر باسم المفعول، فيقال: هذه الدار وقف، أي موقوفة، لذلك فهو يثنى ويجمع عندئذ، فيقال: وقفان وأوقاف، كما يأتي بمعنى الكون، يقال، وقفت الدابة إذا سكنت(٢٨)، ووقف بمعنى حبس وأحبس وسبل(٢٩)، والوقف في الشرع هو قطع التصرف في رقبة العين، فلا يتصرف فيها بالبيع أو الرهن أو الهبة، وهو لا ينتقل بالميراث، وهو تصرف لجهة من جهات الخير ابتداءً بالوقف الخيري انتهاءً بالوقف الأهلي(٣٠).

ومن ألفاظ الوقف الصريحة بالإضافة للفظ وقف وحبس وسبل، متى تلفظ الواقف بها أصبح وقفاً، لأن الألفاظ ثبت لها عرف الاستعمال بين الناس، وأيد ذلك الشرع بقول النبي –صلى الله عليه وسلم– لعمر: "إن شئت حبست أصلها وسبلت ثمرها"(٣١).

ويعتبر الوقف بمفهومه الواسع تعبيراً واضحاً وصادقاً للصدقات التطوعية الدائمة، ويمتاز بالخصائص والمواصفات التي تميزه عن غيره، وهو ما كفل للمجتمع المسلم التواد والتراحم بين أفراد على مر العصور بكافة مستوياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، إذ أن نظام الوقف مصدر هام لفاعلية المجتمع وحيويته وتجسيد لقيمه الحية في التكافل الاجتماعي(٣٢).

وقد جاء الإسلام بتشريعاته الخاصة في العمل على اعادة توزيع الثروات والدخول من أجل تحقيق العدالة والتوازن الاقتصادي عملاً على كفالة الحد الأدنى من مستوى المعيشة لجميع أفراد المجتمع، ومن ضمن ذلك وسائل الوقف وإسهامه في اعادة توزيع الدخول والثروات في المجتمع(٣٣). لذلك فالوقف له أهمية متميزة في الإسلام، فهو نوع من أنواع التكافل والترابط الاجتماعي وخدمة العلم والعلماء وبناء المساجد وإعمارها والبر بين أفراد المجتمع، لذلك كان للتوجيهات القرآنية والأحاديث النبوية الأثر الكبير في إنفاق المسلمين أموالهم لله تعالى ثم لأبناء المسملين(٣٤).

وقد أشارت بعض الدراسة إلى أن البيمارستان كحالة من حالات الوقف، يعد النموذج المستخدم لإنشاء المستشفيات في العالم الإسلامي ، وكان ناجحا في تحقيق أعداد كبيرة من مرافق الرعاية الطبية وضمان الاستدامة وجودة الخدمة وسهولة الوصول إلى الجمهور خلال القرن ١٠ في بغداد ، القرن ١٢ في دمشق والقرن ١٣ في القاهرة، حيث تشير السجلات التاريخية إلى النجاح الهائل الذي حققته الأوقاف الصحية من خلال أربع مؤسسات رعاية صحية إسلامية: بيمارستان الأرماد، في كل من بغداد والقاهرة ودمشق وتونس، من خلال ما يقدمانه من رعاية استثنائية من حيث أنهما يعتبران تعويضا للمرضى وعائلاتهم أثناء العلاج، فكان أول مستشفى للأوقاف، وكان لديهما أفضل المعدات الطبية والأطباء والممرضات والاستشاريين الصحيين، وحصل الموظفون على راتب من الخليفة(٣٥).

أما فيما يتعلق بإسهام المؤسسات الاجتماعية في القرن العاشر الهجري، فقد كان للوقف دورفاعل في مجال تحقيق كل من الرعاية والعدالة الاجتماعية سيما في مجال التعليم، حيث تمثل الدور الرئيسي للوقف في المدارس التي تم إنشاؤها خصيصاً للأيتام وتوفير المأكل والأدوات المدرسية فيها، كما تمثل دور الوقف في مجال الرعاية الاجتماعية من خلال الأربطة والزوايا والخانقاوات والتكايا(٣٦). إذ اعتبروا حينها أن الاعتناء بالعلم وتجشيع الطلبة على تحصيل العلم ونشره والنفع به من أفضل الأعمال التي تقرب الفرد إلى الله ويجزل بها الثواب الكبير، لذلك فالتحبيس على طلبة العلم ومدارسه وكتبه في كان في مقدمة ما أولاه المسلمون من رعاية واهتمام وحرص(٣٧). إذ حرصوا الولاة سنة (٩٨٣هـ/١٥٧٥م) على

إنشاء المنشآت التعليمية وقف الأوقاف عليها وتشييد المساجد من أجل أن تقوم بتأدية وظيفة التدريس إلى جانب الصلاة(٣٨).

أما دور الأيتام فقد كان للوقف في إسهام كبير، وذلك من خلال حرص المسلمين على رعاية الأيتام وتربيتهم بحثاً عن الثواب والأجر وطلباً لمرافقة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في الجنة، حيث روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن رسول الله قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا، وأشار بالسبابة والوسطى"(٣٩).

وقد حرص الولاة العثمانيين في القرن العاشر الهدري على تحقيق الرعاية والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع برعاية وتعليم الأيتام، وتوفير الكسوة والمأكل والمساعدات المادية لهم، وخير مثال على ذلك وثيقة الوالي العثماني "سليمان باشا الخادم" حيث جاء فيها ما يصرف للأيتام من مرتبات عينية، وهي: "ويصرف لكل يتم من الأيات المذكورين فيه أعلاه في كل يوم/ من الأيام على الدوام والاستمرار رطلين من الخبز والجراية المستخرج من الدقيق البر..." (٤٠). كما كان يصرف في كلة سنة في أواخر شهر رضمان كسوة، وشرط الواقف أن يلبسها الأيام يوم عيد الفطر، وجاء فيها: "ولكل يتم في اواخر شهر رضمان من كل سنة قميصاً من الخام الكتان وقفطانا من البرد وبطانة له، وقبعا من الصوف وشداً وقبقاباً واثنا عشر عثمانياً لخياطة قميصه وقفطانه ويكون كل القصمان والقفاطين المذكورة سايلة على كل منهم ويلبس كل منهم كسوته يوم عيد الفطر ليحصل له بذلك جبر الخاطر على حكم ما تقدم ذكره في الأيتام المقدم ذكرهم فيه.. (٤١).

ثانياً: الأربطة والخانقاوات والتكايا والزوايا

يعرف الربط بالأماكن التي يتم إعدادها على الثغور من أجل المجاهدين، وصد هجمات الأعداء، وهي مشتقة من كلمة "الرباط"، وهي الخانقات والتكايا والزوايا، ثم تحولت بمرور الوقت إلى أماكن للتفرغ للعبادة، وكان من يريد التفرغ للعبادة يعتكف فيها،ويجري عليها الواقفون الجرايات اليومية من كساء وغذاء(٤٢). ومع مرور الزمن تحولت تلك الأربطة لملاجئ دائمة لمن يستحقون الرعاية من الناس، سيما ذوي العاهات وكبار السن والمطلقات والعميان(٤٣).

أما التكايا، فهي من المنشأت التي تحقق العدغالة الاجتماعية ايضاً، حيث حرص الولاة على إنشاؤها، ومن هؤلاء الولاة سليمان باشا الخادم، والذي ذكر اسمه على تكية في "الخطوط التوفيقية" بأنها تقع في شارع لاسروجية شمال الذاهب إلى الصليبة عمرها الأمير سليمان باشا سنة ٩٢٠هـ، وكانت بالأصل مدرسة تعرف بمدرسة سليمان باشا ثم تحولت لتكية وبها خلاوي يسكنها دراويش القادرية(٤٤). وكان يوفر للساكين في طباخ مسؤول عن مخزن الحبوب في التكية ويصرف لهم مصاريف في كل شهر من شهور الأهلية لتوفير الخبز والأطعمة بكافة أنواعها(٤٥).

ثالثاً: تحقيق العدالة الاجتماعية في مجال الصحة:

تعد البيمار ستانات من الظواهر التي برزت في تاريخ الحضارة الإسلامية في القرون الماضية، والتي كان أساس نشأتها الأوقاف، ثم تطورت لتعليم العاملين فيها، ويقدم فيها للمرضى الرعاية الصحية وفق تنظيم ملفت لكل من زارها، وبالإضافة للمأكل والمشرب والملبس الذي يقدم للمرضى، ظهرت خدمات اجتماعية مرافقة للصحة، ومنها تخصيص بعض البيمار ستانات للفقراء دون الأغنياء، إذ يتم من خلالها معالجة المرضى من الفقراء مجاناً دون مقابل(٤٦).

رابعاً: رعاية الفقراء

من المعلوم أن الأوقاف كونها صدقة جارية، قامت بالدور الكبير في مجال الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي لكثير من أفراد المجتمع المسلم، سيما أن مساهمة السلطة الحاكمة في مجال الرعاية الاجتاعية تعتبر محدودة، تكتفي بأريحية الموسرين وأصحاب الأموال تجاه الفقراء، ومن اللافت للنظر أن وثائق الأوقاف في معظمها نصت على مساعدة المحتاجين والفقراء، واعتبرت ذلك ركناً أساسياً في الوقف، وكانت المساعدات من خلاله تأتي بعدة أشكال، إما تكون نقدية أو عينية مثل الأكل والملابس والأدوات المعيشية سيما في أوقات الغلاء(٤٧).

كما حرص السلاطين على ارسال الصدقات لأهل مكة في عام ٩١١ / هـ ١٥٠٥ مع محمل (٢٦(الحج المصري عبارة عن قمصان تفرق على فقراء الحرم(٤٨) . وعندما حج ابن السلطان الأشرف قانصوة الغوري عام ٩٢٠/ هـ ١٥١٥م، تصدق بمال (٤٠(عظيم ، وفعل من البر والمعروف والإحسان في الحرمين الشريفين ما يجل عن الوصف(٤٩) .

بالإضافة إلى أن الولاة في القرن العاشر الهجري كانوا يهتمون بتحقيق الرعاية الاجتماعية للعجزة والغرباء (عابري السبيل) بصورة عامة، إذ كان الواقفون الذين ينشؤون المدارس، يضعون بجوارها بيت خاص للطلبة المغتربين ويتم فيها إعداد ما يحتاجونه من غذاء(٥٠).

ويرى الباحث، أن الرعاية الاجتماعية في القرن العاشر الهجري كانت تهتم بها منشآت تمثلت في دور الأوقاف، والأربطة والخانقاوات والزوايا والتكايا، وقد تشكلت هذه المنشآت رغبة من الولاة في ذلك الوقت لتحقيق العدالة الاجتماعية حيث اهتموا بالتعليم والصحة والفقراء والمسنين وعابري السبيل وكافة أطياف المجتمع الغير قادرة.

الخاتمة

بعد العرض السابق لموضوع أنماط الرعاية الاجتماعية في القرن العاشر الهجري من خلال دراسة حضارية وثائقية. تمكنت الدراسة من التوصل إلى عدد من النتائج تتمثل في:

- تطور مفهوم الرعاية الاجتماعية من الإحسان إلى دولة أو مجتمع الرعاية في القرن العاشر الهجري، ولا زالت ظاهرة إنسانية لا غنى عنها، مادام الإنسان متفاعلاً في بيئته الاجتماعية توفر له الموارد التي تلبي حاجاته.
- للرعاية الاجتماعية خصائص تمثل كافة الخدمات اللازمة من أجل تحقيق الحد الأدنى لمعيشة المواطنين، وهو ما ساهم في ظهور نمطين من الرعاية الاجتماعية هما: النمط العلاجي والنمط المؤسسي.
- وضحت الدراسة دور الأوقاف في الحياة الاجتماعية، وذلك تطلعاً من الولاة في القرن العاشر الهجري للوصول للعدالة الإنسانية التي حثت عليها كافة الأديان السماوية وشد عليها الدين الإسلامي الحنيف.
- كان الولاة يميلون لتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال نظام الأوقاف من أجل تأدية الأعمال الخيرية والنهوض بالمجتمع، إذ وقفوا عليها الكثير من الوقف سواء في مجال تعليم الأيتام والفقراء وتوفير الرعاية الصحية في البيمارستانات وتوفير دور لرعاية المسنين عابري السبيل.
- رصدت الدراسة عدد من الأعمال الخيرية التي سعى ولاة القرن العاشر الهجري لتحقيقها كالاهتمام بالمدارس والدور التي تم إنشاؤها خصيصاً للأيتام، والتي تتمثل بالأربطة والخانقاوات والزوايا والتكايا، وكان يوفر لهم في هذه الأمكنة المأكل والأدوات المدرسية.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

١- ابن قدامة، المغني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٤٠١ هـ، ج٥، ص٦٩٧. محمود ابن ابراهيم الخطيب، أثر الوقف في التنمية الاقتصادية، بحث بمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.

٢- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة وقف.

٣- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة بيروت، ١٩٨٦.

٤- أحمد مصطفى خاطر، الإ*دارة وتقويم مشروعات الرعاية الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٠.

٥- أنيس مصطفى الأبيض، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طبع جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٤.

٦- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، كشاف ا لقناع عن متن الإقناع، راجعه وعلق عل يه هلال مصيحلي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٤٠.
٧- الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيري الحنبلي الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢.
٨- حازم محمد إبراهيم مطر، قسم التخطيط الاجتماعي، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة، ٢٠١٧..
٩- حسن الوراكلي، عبد الملك السعدي تطوان، أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.
١٠- حسني ابراهيم الرباط، ومنى عويس، التخطيط الاجتماعي، مفاهيم وإجراءات، القاهرة، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ٢٠٠٢.
١١- رشيد زرواتي، مدخل للخدمة الاجتماعية، مطبعة هومنة، الجزائر، ٢٠٠٠.
١٢- سلامة محمد الهرفي البلوي، رعاية الضعفاء في الحضارة الإسلامية، طبع المنتدى الإسلامي، الشارقة، الإمارات، ١٤٣٥هـ.
١٣-سلوى العضيدان، هكذا هزموا اليأس، ط٢، موقع الكتيبات الإسلامية، ١٩٨٢.
١٤-طارق بن عبدالله عبد القادر، المدارس الوقفية في المدينة المنورة، دراسة تاريخية وصفية، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.
١٥-طلعت مصطفى السروحي، سياسة رعاية المسنين الرعاية الرسمية وغير الرسمية، بحث منشور ي مؤتمر كلية الخدمة الاجتماعية، الفيوم، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، ٢٠٠٦.
١٦-عاطف سعد محمد محمود، العدالة الاجتماعية من خلال حجج وأوقاف الولاة العثمانيين في مصرفي القرن العاشر الهجري: دراسة حضارية وثائقية، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد ١٥، جامعة جنوب الوداي، أسيوط.
١٧-عبد اللطيف بن عبدالله العبد اللطيف، أثر ال وقف في التنمية الاقتصادية بحث بمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.

١٨-عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان، مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.

١٩-فهد بن صالح النغيمشي ، العمل الخيري وأثره في الحياة العامة في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠- ٩٢٣ هـ) (١١٧٤-١٥١٧م) دراسة تاريخية ، (رسالة ماجستير) ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ، جامعة القصيم ، ١٤٣١هـ.

٢٠-قوت القلوب محمد فريد، تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، مفاهيم، فلسفة، مبادئ، ط١، ٢٠٠٠.

٢١-ليلى خواني، الرعاية الاجتماعية وتطورها التاريخي، مجلة جامعة ابو بكر بلقايد، متعددة التخصصات المجلد٢، العدد ١، ٢٠١٨.

٢٢-ماهر أبو المعاطي علي، التخطيط الاجتماعي ونموذج السياسة الاجتماعية في المجتمع المصري، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط٥، ٢٠٠٢.

٢٣-محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣)، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠.

٢٤-محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية وخصخصة الخدمات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥.

٢٥-محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية وخصخصة الخدمات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥.

٢٦-محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، (٦٤٨-٩٣٢هـ/١٢٥٠هـ-١٥١٧م)، دراسات تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.

٢٧-محمود اسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤.

٢٨-محمود حسن محمد، مقدمة في الخدمة الاجتماعية، القاهرة، مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٨٠.

٢٩-نور الهدى حماد، الرعاية الاجتماعية في الإسلام ودورها في تعزيز التكافل الاجتماعي، اعمال المؤتمر الدولي حول التضامن الإنساني، طرابلس، ١٨-٢٠ ديسمبر ٢٠١٥.

المراجع الأجنبية:

- Demertius S. Iatridis, Policy Practice (IN) Richard, L. Edwards, Ed., Inchief Encyclopedia of Social Work, 19th, Edition, V3, N.Y.NASW, Press, 1997.
- Mahmoud Al Ansari, "Bımaristans and Waqf in Islam case studies of hospital endowments during 9th13th century CE in the Muslim world", A Thesis, The University of Sydney, 2013.
- Robert L. Barker, the Social Work Dictionary, N.S.W; New York, 1987.

Walter Fried Lander, introduction to social welfare, prentic-hall, inc, englwood cliffs, N.J, 1968.

الهوامش:

(١) أنيس مصطفى الأبيض، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طبع جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٤، ص٥.

(٢) محمود اسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٧.

(٣) سلامة محمد الهرفي البلوي، رعاية الضعفاء في الحضارة الإسلامية، طبع المنتدى الإسلامي، الشارقة، الإمارات، ١٤٣٥هـ، ص٦ .

(٤) ليلى خواني، الرعاية الاجتماعية وتطورها التاريخي، مجلة جامعة ابو بكر بلقايد، متعددة التخصصات المجلد٢، العدد ١، ٢٠١٨، ص٦

(٥) أنيس مصطفى الأبيض، مرجع سابق، ص٦.

(٦) نور الهدى حماد، الرعاية الاجتماعية في الإسلام ودورها في تعزيز التكافل الاجتماعي، اعمال المؤتمر الدولي حول التضامن الإنساني، طرابلس، ١٨-٢٠ ديسمبر ٢٠١٥، ص١١.

(7) Walter Fried Lander, introduction to social welfare, prentic-hall, inc, englwood cliffs, N.J, 1968, P3.

(٨) محمود حسن محمد، مقدمة في الخدمة الاجتماعية، القاهرة، مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٨٠، ص١.

(٩) حازم محمد إبراهيم مطر، قسم التخطيط الاجتماعي، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة، .٢٠١٧. ص٩.

(١٠) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة بيروت، ١٩٨٦، ص٢٨٢.

(١١) محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية وخصخصة الخدمات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥، ص٢٣.

(١٢) أحمد مصطفى خاطر، الإ*دارة وتقويم مشروعات الرعاية الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٠، ص١٨٩.

(١٣) حسني ابراهيم الرباط، ومنى عويس، التخطيط الاجتماعي، مفاهيم وإجراءات، القاهرة، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ٢٠٠٢، ص٣٩.

(14)Robert L. Barker, The Social Work Dictionary, N.S.W; New York, 1987, p153>

(15)Walter Fried Lander, op-cit, P3..

(١٦) عاطف سعد محمد محمود وحنان مصطفى حجازي، العدالة الاجتماعية من خلال حجج وأوقاف الولاة العثمانيين في مصرفي القرن العاشر الهجري: دراسة حضارية وثائقية، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد ١٥، جامعة جنوب الوداي، أسيوط، ص٨٩١. .

(١٧) ماهر أبو المعاطي علي، التخطيط الاجتماعي ونموذج السياسة الاجتماعية في المجتمع المصري، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط٥، ٢٠٠٢، ص٣٣٤.

(18)Demertius S. Iatridis, Policy Practice (IN) Richard, L. Edwards, Ed., Inchief Encyclopedia of Social Work, 19th, Edition, V3, N.Y.NASW, Press, 1997, p1866.

(١٩) طلعت مصطفى السروجي، سياسة رعاية المسنين الرعاية الرسمية وغير الرسمية، بحث منشور ي مؤتمر كلية الخدمة الاجتماعية، الفيوم، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، ٢٠٠٦، ص٢.

(٢٠) طلعت مصطفى السروجي، المصدر نفسه، ص٣.

(٢١) رشيد زرواتي، مدخل للخدمة الاجتماعية، مطبعة هومنة، الجزائر، ٢٠٠٠، ص١٥.

(٢٢) سلوى العضيدان، هكذا هزموا اليأس، ط٢، موقع الكتيبات الإسلامية، ١٩٨٢، ص١١٨ .

(٢٣) أنيس مصطفى الأبيض، مرجع سابق، ص٧ .

(٢٤) محمود حسن محمد، مرجع سابق، ص١ .

(٢٥) محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية وخصخصة الخدمات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥، ص٢٣.

(٢٦) قوت القلوب محمد فريد، تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، مفاهيم، فلسفة، مبادئ، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٨٧.

(٢٧) محمود حسن محمد، مرجع سابق، ص٢.

(٢٨) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة وقف..

(٢٩) البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، كشاف ا لقناع عن متن الإقناع، راجعه وعلق عل يه هلال مصيحلي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٤٠.

(٣٠) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، (٦٤٨-٩٣٢هـ/١٢٥٠هـ-١٥١٧م)، دراسات تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١، ص١١.

(٣١) ابن قدامة، المغني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٤٠١ هـ، ج٥، ص٦٩٧. محمود ابن ابراهيم الخطيب، أثر الوقف في التنمية الاقتصادية، بحث بمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص٢٥٠..

(٣٢) عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان، مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص٤.

(٣٣) عبد اللطيف بن عبدالله العبد اللطيف، أثر ال وقف في التنمية الاقتصادية بحث بمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص١٢١.

(٣٤) طارق بن عبدالله عبد القادر، المدارس الوقفية في المدينة المنورة، دراسة تاريخية وصفية، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص٨٨.

(35)Al Ansari, M. (2013), "Bımaristans and waqf in Islam case studies of hospital endowments during 9th13th century CE in the Muslim world", eThesis, The University of Sydney, P21.

(٣٦) عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان، مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مرجع سابق، ص١٢.

(٣٧) حسن الوراكلي، عبد الملك السعدي تطوان، أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول جامعة ام القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص٧٤.

(٣٨) عاطف سعد محمد محمود وحنان مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص٨٩١.

(٣٩) عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان، مرجع سابق، ص١٣.

(٤٠) وثيقة عثمان باشا، ص٦٥ س١٥-١٦.

(٤١) وثيقة سليمان باشا، ص٦٥، س١٧، ص٦٦، س١٠٣..

(٤٢) عبدالله بن ناصر بن عبدالله السحدان، مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(٤٣) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣)، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٠٦.

(٤٤) علي مبارشك، الخطوط التوفيقية، مرجع سابق، ص٥٦.

(٤٥) عاطف سعد محمد محمود، مرجع سابق، ص٨٩٣.

(٤٦) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٤٧) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٤٨) فهد بن صالح النغيمشي ، العمل الخيري وأثره في الحياة العامة في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠- ٩٢٣ هـ) (١١٧٤-١٥١٧م) دراسة تاريخية ، (رسالة ماجستير) ، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية ، جامعة القصيم ، ١٤٣١هـ، ص١٠٢.

(٤٩) الجزيري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيري الحنبلي الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص٤٩١.

(٥٠) عاطف سعد محمد محمود، مرجع سابق، ص٨٩٦.

الكتابات الملكية السومرية على المخاريط الفخارية

في ضوء النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة

أ.م.د. خالد حيدر عثمان الحافظ

قسم الاثار، كلية الاثار، جامعة الموصل، الموصل، العراق

Khalid Haidar Othman Alhafid

Dept. of Archaeology, College of Archaeology,

.University of Mosul, Mosul, Iraq

E-mail: Kh_othman1975@uomosul.edu.iq

ORCID: 0009-0007-2611-5032

الكتابات الملكية السومرية على المخاريط الفخارية
في ضوء النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة

أ.م.د. خالد حيدر عثمان الحافظ

الكلمات المفتاحية
1_ مخاريط فخارية 2_ احجار الاسس 3_ الكتابات السومرية 4_ السومرية

مقدمة

لقد أبدع السومريون في كتاباتهم، حيث أمدتنا التنقيبات الأثرية بالعديد من أنواع النصوص المسمارية، حيث ان تلك النصوص أخذت أشكالاً ومضامين مختلفة تداخلت في كل نواحي الحياة، منها الاقتصادية والدينية والتاريخية وغيرها والتي من خلالها استطعنا رسم صورة عن تاريخ السومريين وأفكارهم .

ومن خلال هذا البحث حاولنا تسليط الضوء عن جانب من الكتابات الملكية المسمارية على المخاريط الفخارية والتي تعتبر أيضاً نوعاً من أنواع أحجار الأسس التي تم اشارة دراستها من المتحف العراقي في بغداد وهي تحت رقم (212034 – م ع) وهي من النصوص المصادرة.

والمخروط عموماً مصنوع من الطين المفخور والذي يبلغ طوله 11سم وقد دُوّن على المخروط نص نذري لأمير مدينة لكش كوديا كما سنوضح ذلك لاحقاً.

Abstract

The Sumerians excelled at writing, and significant excavations have provided us with numerous types of continuous texts. These texts encompass a wide range of topics, covering all aspects of life, including economic, religious, and historical affairs, allowing us to reconstruct a picture of Sumerian history and thought.

This research aims to highlight a specific aspect of the exclusive royal inscriptions found on royal cones, which are considered foundational stones. These cones, studied in the Iraqi Museum in Baghdad under the number (212034-MA), are among the most important texts.

The cone, an ibud from the burnt Lai, is 11 cm long. It bears a votive text dedicated to Gudea, the prince of Lagash, as we will .explain later

المخاريط الفخارية وأحجار الاسس :

وهي عبارة عن نصوص مسمارية توضع في صناديق فخارية وتدفن في أسس البناء وهي من النصوص النذرية التكريسية التي يدونها الملوك والامراء في العراق القديم عبر مر العصور لأخبار الأجيال التي تلي عصورهم بأعمالهم العمرانية والعسكرية فيه تعتبر من النصوص التاريخية التي دونها الملك للتاريخ وليس لبيان تلك الأعمال في عصورهم التي قاموا بها بالبناء أو بأعمال عسكرية[1].

أما أشكال وأحجام أحجار الأسس في العراق القديم فقد تباينت بين المخاريط والمواشير وهذه الاشكال هي الأغلب من بين الأنواع[2].

أما المواشير فقد شاع استخدامها في العصور الآشورية وخاصة في العصر الآشورية الحديث ويعتبر النص المدون على الموشور من النصوص الطويلة حيث قُسِّم الموشور إلى عدة أسطح ودونت عليه العديد من الأسطر بالعلامات المسمارية[3].

أما ما يخص المخاريط الفخارية فهي أشبه بالمسامير الكبير وقد ظهرت بشكل كبير في عصر لكش الثانية وخاصة في عهد ملكها كوديا.

تحليل النصوص المسمارية المخروطية:

يمكن ان نحلل النص لأحجار الاسس مخروطية الشكل حيث ان تلك النصوص التزمت بتسلسل معين في تدوينها حيث يبدأ النص عادةً باسم الإله الذي بني لأجله سواء أكان معبداً او سوراً او حتى تجديد البناء تعبر هنا اسم الإله بمثابة المفعول لأجله المتقدم للجملة وكما هو معروف ان المفعول لأجله

([1]) المعاضيدي، تهاني رياض، وسائل الاخبار والتذكر في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآثار، 2020، ص .

([2]) تميّزت أحجار الاسس في العصر الأكدي بأشكالها المستطيلة وانتظام كتابتها. ينظر: سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، ص80-81.

([3]) العلوش، ايمان هاني، كتابات الأسس المسمارية في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، 2001، ص15 .

وصفاته يأتي بعد الفاعل في الجملة لكن في النصوص المخروطية جاء المفعول لأجله في بداية الجملة قبل الفاعل الذي هو اسم الملك او الأمير مدون النص وهذا يعتبر تكريم للإله حيث يمكن أن نقرأ:

1- ^{d}en-ki
2-lugad-a-ni
3- ur-^{d}ba-ú

1- الإله انكي
2- ملكية
3- اور- باد [1]

ثم يأتي الفاعل ويلحق به صفاته وعادةً ما يكون الفاعل اسم الأمير او الملك الذي قام بالعمل وبعض من صفاته، تقرأ مثلاً:

1- ^{d}ba-ú
2-muus-sa-ga
3- dumu-an-nava
4- ur-^{d}ba-ú
5- émsi
6- lagaš^{ki}

1- الإله با-د
2- المرأة الجميلة
3- ابنة ال السماء
4- اور-باو
5-امير
6- مدينة كاش [2]

حيث يلاحظ في المثال السابق ان الفاعل هو الأمير اور-باد[3] أمير مدينة لكش، وبعد اسم الفاعل يأتي المفعول به وفي نهاية الجملة تأتي عبارة الفعل وهي في العادة تكون على شكل *mu-na-dú* وهي من بنى.

([1]) Edzard, Dotto, Gudea and his Danastry, London, 1997, P.11.
([2]) Edzard, Op.Cit, P.15.
([3]) يكتب اسم الامير اور-باد وأحياناً يكتب بشكل اور-بابا وقد حكم هذا الأمير مدينة لكش ثلاثة عشر سنة 2093-2080 حيث بنى واعاد بناء اكثر على معبد في عدة مدن أهمها مدينة كاش وقد سبق ومهد الطريق لاستلام كوديا الحكم في لكش، للمزيد ينظر:
Suter, CE, Gudeastemple Building, Nethevland, 2000, P.19.

وفي بعض الحالات يمكن ان يتقدم اسم الفاعل في بداية الجملة لكن تلك الحالات قليلة إذا ما قورنت بتقديم اسم المفعول لأجله في البداية حيث يمكن ان نقرأ:

1- ^{d}gù-dé-a
2- ensi
3- lagaš^{ki}
4- lú eninnu
5- ^{d}nin-gir-pu-ka
6- im-dù-a

1- كوديا
2- امير
3- مدينة لكش
4- اجمل معبد الخمسين
5-الإله ننكرسو
6- بنى له [1]

وبعد دراسة النص المرقم (212034 – م ع) والعائد الى المتحف العراقي في بغداد تبين انه مكون من سبعة أسطر وقد بدأ هذا النص بالصيغة المتعارف عليها حيث بدأ بالمفعول لأجله المتقدم وصفاته ثم الفاعل وصفاته وانتهى بالفعل، حيف تقرأ:

1- ^{d}nin-gir-su [2]
2- ur-sag [3] ***-kal-ga*** [4]
3- gù-dé-a [1]

([1]) Edzard, Op.Cit, P.29.

([2]) ***^{d}nin-gir-su*** : الإله ننكرسو اسم جاء في محل المفعول لأجله المتقدم. للمزيد ينظر:
Thomson,m.,op.cit,p44
وكذلك ينظر:ادزارد,واخرون,قاموس الالهة والاساطير,ترجمة محمد وحيد,بيروت,2000,ص70

([3]) ***ar-sag*** : البطل وهي صفة للمفعول لأجله المتقدم. للمزيد ينظر:
Habner, B., SAG, Band. II, P. 1125.

([4]) ***kal-ga*** : القوي صفة ثانية للمفعول لأجله. للمزيد ينظر:
Habner, B., P. 305.

4- ensí (2)

5- lagaš^{ki} (3)

6- É-ninnu(4) ***an-im-mi***(5) ***mušem***(6) ***-bari-bari-ra-ná***(7)

7- ma-na-dá(8)

1- الإله ننكرسو

2- البطل القوي

3- كوديا

4- امير

5-مدينة لكش

6- معبد الخمسين (معبد) طائر الرعد الأبيض

7- بنى

---

(1) ***gù-dé-a*** : كوديا اسم في محل الفاعل. للمزيد ينظر:

???

(2) ***ensí*** : امير صفة للفاعل كوديا. للمزيد ينظر:

???

(3) ***lagaš^{ki}*** : مدينة كاش. للمزيد ينظر:

Jacobsen, th., Some Samerian Sity-mames , JCS, 21, 200 .

(4) ***É-ninnu*** : معبد الخميسن. للمزيد ينظر:

Suter, Claudia, E., Gudea's Temple Building, Groningen, 2000, P. 421.

(5) ***an-im-mi*** : نسر برأس أسد. للمزيد ينظر: الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة السومرية– الأكدية– العربية، أبو ظبي، 2018، ص93.

(6) ***mušem*** : علامة دالة على الطيور. للمزيد ينظر:

CAD, Vol, 10, P. 23.

(7) ***bari-bari-ra-ná*** : الأبيض شديد البياض، وقد كررت *bari* للدلالة على تأكيد الصفة. للمزيد ينظر:
Edzard, D., Sumerian Grammar, 2003, P. 105.

(8) ***ma-na-dá*** : بنى عبارة الفعل. للمزيد ينظر:

Thomsom, M., The Sumerian language, Copenhagen, 1984, P. 217.

قائمة المصادر

المصادر العربية

1_المعاضيدي,تهاني رياض, وسائل الاخبار والتذكر في العراق القديم, رسالة ماجستير غير منشورة,كلية الاثار جامعة الموصل,2020

2_ادزارد,واخرون, قاموس الالهه والاساطير,ترجمة محمد وحيد,بيروت, 2000

3_العلوش, ايمان هاني, كتابات الاسس المسمارية في بلاد الرافدين, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الاداب جامعة الموصل 2001

4_ رشيد, فوزي, ترجمة النصوص الملكية, بغداد, 1985

5_الجبوري,علي ياسين,قاموس اللغة السومرية–الاكدية–العربية,ابو ظبي,2018

6_سليمان ,عامر,الكتابة المسمارية,الموصل, 2000

المصادر الاجنبية

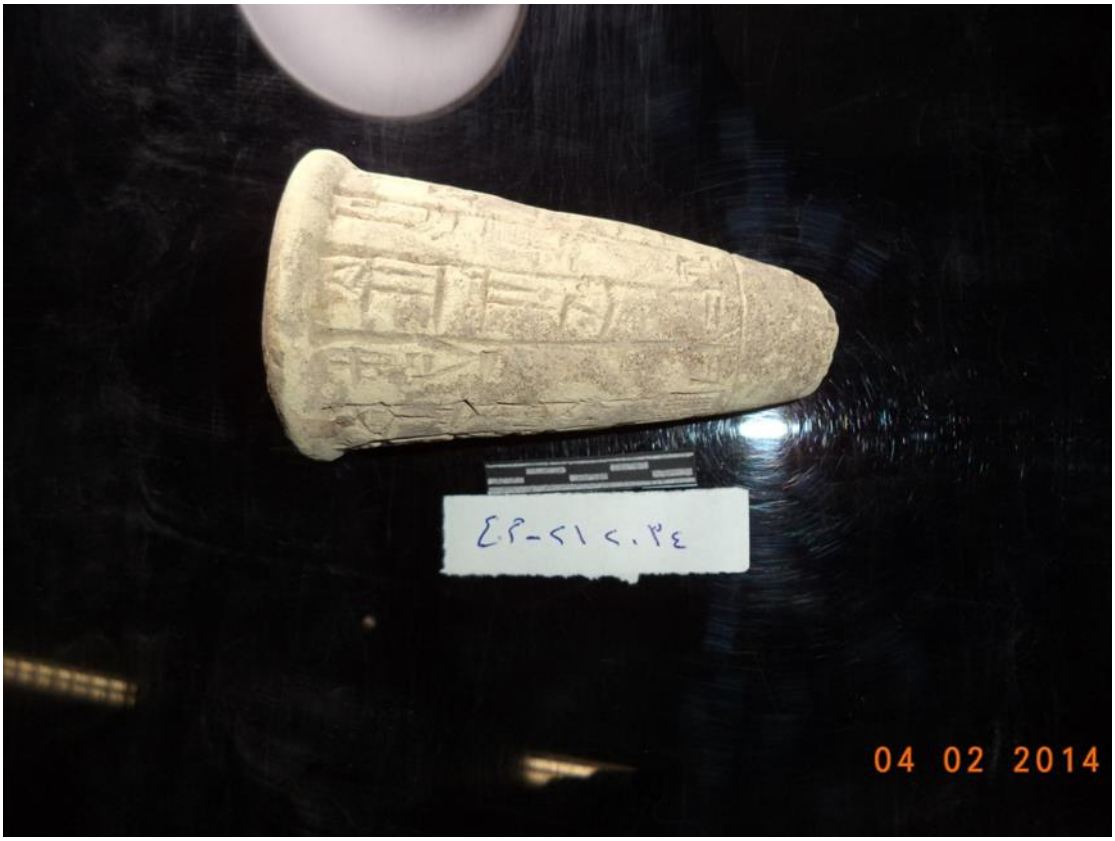
Edzard,D.,Gudea and his dainastc,London,1997_1

Suter,CE,Gudea stemple bailding, Netherland,2000_2

Jacopssen,Th.,some sumerian sity-manes,jcs,V21,2000_3

Edzard,D.,sumerian Grammar,2003_4

Thomson,M.,the sumerian language Copenhagen,1984_5


04 02 2014

